مجلة الأزهر

٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٨٧

المجلد السادس والستون ـ القسم الأول

السنة ١٤١٤هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25899823 / 25907497

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان ـ ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م
وصدر العدد الأول في المحرم / ١٣٤٩ هجرية
رئيس التحرير
د/ علي أحمد الخطيب
مدير التحرير
علي حامد عبد الرحيم
المراسلات: باسم مدير التحرير
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت/ ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣
الاشتراكات
قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

هجرة الأنبياء

قَصَّ علينا المولى – عز وجل – فى كتابه العزيز أكثر من هجرة لأكثر من رسول من رُسُلِهِ – عليهم الصلاة والسلام – ففى القرآن الكريم حديث واضح عن نجاة الأنبياء المرسلين : نوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، ثم محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام – وتلك النجاة تكون بهجرتهم إذ يُؤْذِنُهُم الله – تعالى – بعذابٍ يَلْحَقُ أقوامهم الضالين ، ومواطنها يسهل الرجوع إليها فى القرآن الكريم .

وهجرة الأنبياء تضع لنا معالم بارزة تحدد : سبب الهجرة ، ومتى تكون .. وما يَعْقُبُها فى القوم الضالين ، ثم علاقة هؤلاء المرسلين – بأرض الرسالة التى بُعِثُوا – إلى أقوامهم – فيها .

وابتداء نقول :

لم يُهاجِرْ رسولٌ من هؤلاء الرسل الكرام ؛ فيترك وطنه خوفا من أذى قومه ، أو طلبا للنجاة من شرهم ؛ فقد كان على كل رسول أن يصبر على هذا الأذى ، ويَتَحَمَّلُهُ فى جَلَدٍ وصبر وصَفْح ، ويستمر - فى دعوته - لقومه كى يؤمنوا ، ويتركوا ما هم عليه من شرك وكفر ووثنية مهما كانت النتيجة ، ولو لم يُؤْمِنْ برسالته إلا رجل واحد من قومه ، بل ولو لم يُؤْمن به أحد ، ولقد أَرَى اللهُ - تبارك وتعالى - نَبِيَّهُ محمداً - عليه الصلاة والسلام - أنبياء : منهم النبى قد آمن به جماعة ، والنبى لم يؤمن به إلا رَهْطٌ من قومه - أى جَمْع لا يزيد على عشرة ، والنبى لم يؤمن به أحد من قومه[1] .

ليس لهجرة الأنبياء - عليهم السلام - إلا سبب واحد ، وُجُودُه يَعْنِى إِذْنَ الله - تعالى - للنبى بالهجرة ؛ فإذا وقع هذا السببُ أوحى الله لنبيه بها ، وذلك السببُ هو رفض مَنْ لم يُؤْمِنْ للإيمان ؛ فإذا تَوَقَّف الإقبالُ على الإيمان ، وأَصَرَّ القوم على الضلال فلم يَزِدْ عَدَدُ المؤمنين رجلا ولا امرأة - كان ذلك نذير نهاية الرسالة فيهم ، فإِذْنُ اللهِ - تعالى - لنبيه بالهجرة ، وإعلامه إياه بحلول عذاب يُهلكهم فى أرضهم إن لم تَكُنْ حَرَماً للهِ - عز وجل - أو فى أرض غيرها يستدركهم الله - سبحانه - إليها لِيَلْقَوْا سوء المصير .

وقد تحدث الهجرة - هجرة النبى بالمؤمنين - والعذاب يَحِلُّ بقومه ؛ بل قد يكون عذابهم تحت قدميه ، وفى الكتاب العزيز شاهد ذلك .. كانت سفينة نوح - عليه السلام - تطفو على سطح الماء وكان الماء نَفْسُهُ هلاكَ الضالين .

لقد عَلِمَ نوحٌ من ربه - تَقَدَّسَ اسْمُه - رَفْضَ قومه للإيمان ، فقد أخبره - عز وجل - بقوله : « لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ »[2] ... لقد انتهى الأَمْرُ ، وعَقِمَتِ الأرضُ فلن تخرج بعد ذلك مؤمنا ، فإذا هى لا خيرَ فيها ، وَأَوْلَى بها عذابٌ يجعلها عبرة .

(١) انظر الحديث بالجامع الصحيح للترمذى ٤/٦٣١ ط مصطفى الحلبى .
(٢) سورة هود ٣٦

وفى الكتاب العزيز : « حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ »(يوسف ١١٠) .

● ● ●

إنَ الإِذْنَ بالهجرة يعنى – فى مضمونه – أمرين :

(أ) بشارة للنبى والمؤمنين بالنجاة والنصر على الضالين .

(ب) وإعلاما بحلول العذاب الذى لا حيلة لأحدٍ فى دفعه ، إنه بَأْسُ اللهِ – أى عَذَابُه الذى لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين .

قال ابن عباس – رضى الله عنهما :

لما أُخرِجَ النبى – ﷺ – من مكة قال أبو بكر :

« أُخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ !؟. لَيَهْلِكُنَّ » فأنزل الله – تبارك وتعالى : « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » الحج ٣٩ .

قال رسول الله – ﷺ :

إن الله – عز وجل – إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها ؛ فجعله لها فرطاً(٢) وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونَبيُّها حيٌّ فأهلكها – وهو ينظر – فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره(٣) .

● ● ●

وتأتى الهجرة ؛ فيهاجر النبى والمؤمنون ، وأكثر الهجرات جَمَعَ النبىَّ ومن آمن به فهاجروا جميعا دفعة واحدة ، ونَدَرَ أن تتفرق هجرة النبى وقومه إلى جماعات تتعاقب هجرتُها ، وهذا الوضع الأخير من الهجرات المتتابعة كان لخاتم النبيين محمد – ﷺ – وصحابته ؛ فقد بدأت

(٢) فرطاً وسلفاً – هنا – بمعنى واحد والمراد : أن يسبق بلقاء الرفيق الأعلى ، وهو بين ظهرانى المؤمنين فيكون لهم شفيعاً .

(٣) صحيح مسلم ٦٥/٧ ط الشعب .

هجرتهم ــ رضى الله عنهم ــ جماعة بعد جماعة إلى الحبشة ، وجماعة بعد جماعة إلى المدينة المنورة ، ثم هاجر ــ عليه الصلاة والسلام ــ صحبة الصديق ــ رضى الله عنه ــ إلى المدينة نفسها .

● ● ●

ومهما اختلفت صُـوَرُ الهجرة ، سواء كانت دفعة أم دفعات ، فإنها ــ عموما ــ تَتَّسمُ بالخروج من الوطن فى دَعَةٍ وسكون يصحبهما حِرْصٌ شديد على ترك قومهم دون أدنى تلاحم أو اشتباك ، ولو كلفهم ذلك ضياع دُورهم وأموالهم ، وبذلك قطعوا الطريق على أقوامهم فلا يستطيعون أن يتهموهم بعُدْوَان ، ذلك أنها هجرات لله ــ عز وجل ــ وفى سبيل الله يهون كل شيء من زُخْرُف الحياة الدنيا وزينتها .

ويهاجر النبى والمؤمنون ؛ فَيَحْرُمُ عليهم استيطان هذه الأرض التى خرجوا منها .. ذلك أنهم تركوا ــ هذا الوطن ــ كما تركوا دُورَهم وأموالهم ــ تقربا لله .. لا بأس أن يمر بها المهاجر ، أو يقيم فيها يوما أو أكثر . أما أن يستوطنها فلا ... عامرة كانت أو دارسة .

وعنده ــ سبحانه ــ العوض والملاذ .

د. علي أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

دروس فى ذكــــرى الهجـــرة

بقلم: فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق
شـيخ الأزهـــر

اليوم مطلع العام الهجرى الجديد ، نأمل أن يكون موقظا للشعور بثقل الأعباء التى تنوء بها كواهل الشعوب الإسلامية ، وحافزا للهمم وهاديا إلى شرف الغاية .

أسأل الله سبحانه أن يجعل هلال شهر المحرم «سنة ١٤١٤ هـ» بشيرا لأمة الإسلام بالوفاق فيما بينها ، شعوبا ، وحكومات ، وملوكا ورؤساء ، وأمراء ، وبالنصر على أعدائها (إن ربى لسميع الدعاء) وأهنىء الأمة حكاما ومحكومين بهذا العام الجديد الذى يستقبله كل مسلم وكل مسلمة ، فتعاوده ذكرى هجرة رسول الله محمد ـ ﷺ ـ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فى سبيل نشر هذا الدين ، تلك الهجرة التى استمدت روحها وخطها من وحى الله ، ونسجها من خلق رسول الله ـ ﷺ ـ واستقرت أحداثها ومقاصدها فى قلـــوب ومسامع الأجيال مثلا مضروبا لقواد الإنسانية عامة ، وقادة المسلمين خاصة ، يستلهمون منها الصبر على المكاره ، والاستمساك فى مزالق الفتن ، والاستبسال فى مواطـــن المحن ، والاستشهاد فى سبيل المبدأ الحق والاعتقاد الصادق .

لقد بَلَّغ الرسول ـ ﷺ ـ رسالة ربه ، حين أمره فى قوله سبحانه : « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين» . ثم جهر بدعوته ، وصدع بالحق الذى جاء به حين نزل عليه قول ربه فى القرآن : «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» ولقد تألبت ضده حماقات الشرك والعصبية وعداوات الحسد والمنافسة وحرمان الفقر فما وهن عزمه ، وما استكانت عزيمته ، حين أبت قفار مكة أن ينبت بها هذا الدين ، هذا الغرس الإلهى ، وبعد صبر ومصابرة ومثابرة ، وإعداد واستعداد ، وتكوين للعصبة أولى القوة بالإسلام وبالإيمان ، وبصدق العزم على بيعهم أنفسهم وأموالهم لله نصرة لدينه ، هاجر الرسول ـ ﷺ ـ تحرسه وتحميه عين الله ورعايته .

(لاتحزن إن الله معنا) .. قالها الرسول ـ ﷺ ـ لصاحبه فى الغار إخبارا بوعد الله وحفظه ..

وهنالك فى دار الهجرة ـ بالصدق وبالإيمان وبالصبر ، وبالرجولة وثباتها وإقدامها ، أثمر غرس الدعوة الإسلامية ، وانتشر نور الله وصارت القلة المؤمنة من المهاجرين والأنصار ملة ، وصارت القرى الثلاث التى شرفت بخطى رسول الله ـ ﷺ ـ (مكة ـ الطائف ـ المدينة المنورة) بمثابة قارات ثلاث ، فقد امتد الإسلام ـ فى مدة وجيزة ـ إلى آسيا وأفريقيا وأروبا) .

هذا هو العام الهجرى الجديد يهل ، فهل راجعنا السجل ، سجل الألف ومابعدها من أعوام الهجرة منذ كانت ، لنقرأ ماخطه التاريخ من أمجاد أمة ..

إن فعلنا عثرنا على مجد العرب والمصريين ، بل والمسلمين أجمعين ، وسمعنا صوت الأجداد ، يهيب بنا أن نستلهم الدين ، ونستحث القادة ، ونجمع الشمل ، بدلا من مجرد قرع الطبول بالويل والثبور ، وقتل الزمن فى تأييد رأى وتفنيد رأى ،

أو فى زفاف البشرى ، لو فعلنا لخجلنا من هذا الموقف السلبى ضد الأحداث ، وفقط تصور الخطط بالخطب وبالكلام ، ونطلب النصر فى الأحلام .

انطوت صفحة عام هجرى ، ولم تسجل فى أوطان المسلمين ـ غير الأسى والألم ، فهذه الأهواء المتصارعة ، والأقلام المتنازعة المتدافعة ، فى غير قضية ، وإنما فى أطماع متعارضة وفردية طاغية ، وأثرة تسف وخصومة تكيد ولاتكف ، وشعوب تكابد داء الغرور فى زعمائها ، وتكاد تستجير بعدوها من أوليائها ، ننظر هذه الشعوب ، فنرى فى يدها العتاد ، وفى طبعها الاستعداد ، ومع هذا فما تزال وضيعة الشأن فى الحياة لا يثقل بها الميزان لأنها تفرقت سدى ، واستثمر عدوها هذا التمزق فأشعل الفتيل نارا ، وما أن تطفأ حتى تندلع هنا وهناك .

هذه فلسطين البائسة ـ أول كارثة للمسلمين فى هذا القرن الذى أوشك على الرحيل ـ من دماء أبنائها كان المداد ، ومن نشيج بكائها كان هذا الكم ، بيعت فى سوق السياسة منذ وقعت فريسة ، تزايد فى هذا السوق أهلها العرب بالحق وقالوا إن الحق رأى واجتهاد . وبالقانون ، وما كان القانون إلا كلمات ومدادا من صنع الإنسان الذى تتغلب عليه الأهواء والمطامع دون إلتزام بحقوق الإنسان التى جاءت بها شريعة الإسلام .

وهذه كشمير ، والحرب فى الهند ضد المسلمين ، وهدم مساجدهم ومطاردتهم ، وهذه بعض بلاد المسلمين التى انحلت عصبتها ، وعمتها الفوضى ، فلم تعد بها دولة ، وتلك الأقليات المسلمة التى تطارد فى كل مكان مهيضة الجناح ، لاتجد من إخوتها فى الدين ـ وهم كثرة كاثرة ـ من يعاونها فى الدفاع عن أرضها وعرضها ، ولا من بنى الإنسان فى جوارها من يحمى ظهرها أويمد لها يد الغوث ، بل تكالبت ضدها الأنياب تنهش لحومها الإنسانية ، وتنتهك عرضها ، وتهدم دورها ، وتقتل النساء والأطفال والشيوخ .

والإنسانية فى كل العالم تهزل وتلهو ، ولايؤرقها هذا الهول ولايوقظ إنسانيتها ذلك الظلم ، ولو سمعوا عواء كلب أو مواء قط لغدوا إليه بالطائرات وربما بالمركبات الفضائية رحمة وحنانا ، ولكنهم بالإنسان المسلم أشد قسوة وظلما ، ثم مع هذا يتنادون إلى السلم والسلام وهم يتغون بنداءاتهم الاستسلام ، فإلى متى هذا التجاهل للمواثيق الدولية وحقوق الإنسان وإلى متى يقف مجلس الأمن وكافة المنظمات الدولية ، متفرجة وربما حارسة حتى : تجهز الذئاب على الفريسة ، التى لم ترتكب جرما إلا أن ـ تقول : «اشهدوا بأنا مسلمون» .

ثم هؤلاء القادة الأفغان لم يجدوا بدا بعد إذ نصرهم الله على عدوهم وامتلكوا زمام وقيادة وطنهم إلا أن يشعلوا حربا فيما بينهم مهدرين كل المواثيق التى تعاقدوا عليها ، ولحساب مَنْ ، ومَنْ المستفيد أيها المجاهدون وفيمن تجاهدون الآن !!!

ثم فى كل مكان على أرض المسلمين فتن وحروب وتخريب وتدمير وانتهاك لحرمات الناس ولما حرم الله ، والمسلمون من حول هؤلاء وأولئك ينظرون نظر العُوَّاد إلى المريض ، يؤنسونه بالبكاء ، والبكاء لايدفع الموت ويسعفونه بالدعاء ، والدعاء وحده لايرفع الواقع الذى تكابده الأمة الإسلامية .

فهلا انتفعنا بذكريات الهجرة واستفدنا من دورسها حتى لانبدد الجهود فى التجارب ، ونفسد أمورنا بالتردد ، ذلك أن لنا تاريخا ..

إنسانيا حافلا فيه لكل عظيمة موقف ، ولكل ملمة تجربة،وأن لنا دستورا كاملا فيه لكل قضية دليل ومخرج ، فإذا التمسنا دليلنا من وحى الله ، واقتبسنا استدلالنا مما أثر عن السلف الصالح من خبرة وتجربة واستقمنا كما استقام سلفنا على الطريقة التى سنها الله وانتهجها الرسول - ﷺ - لاتجهنا إلى الغاية وانتهينا عندها إلى القوة والوحدة .

إن من سمة الإسلام أنه دين يقوم على التوحيد ، وعموم الرسالة للناس أجمعين ، قال الله لنبيه - ﷺ - : «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا» وقال : «قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا» .

فجاءت أحكام هذه الرسالة هادية للأبيض والأسود والأحمر ، تقرر المساواة بين البشر ، والإخاء بين المؤمنين ، والعدل بين الناس أجمعين ، وجاءت عباداتها نقية خالصة لله رب العالمين .

وكانت الهجرة إيذانا بمجتمع مسلم ، ينتظم جميع الأجناس والأقوام بألوانهم ولغاتهم ، ويحتوى خصائص البشر وكفاياتها ، وينسق بين جماعتها ويخلصها للإسلام ، ويعقد الإخاء بينها على اختلاف ألوانها ، وألسنتها ، ويربط بينها بروابط الحب ، ومشاعر الرحم والقرابة ، ووحدة الغاية وسمو الأهداف (إنما المؤمنون إخوة) .

ومن ثم ظهرت بالهجرة أمة إسلامية نبيلة السمات ، تنتصر للحق ابتغاء وجه الله ، فكانت حضارتها ظاهرة ، سامقة بين حضارات التاريخ .

وتفرد مجتمع الهجرة فى الحياة العملية بمنهج رفيع ، يعلى خصائص الإنسان العليا ، وينميها ، ويتسامى بها ، ويبث مشاعر الإخاء بين المسلمين ، ويؤكد روابط الحب والألفة بينهم ، « وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ سورة الأنفال

بهذه السمات والمشاعر كان مجتمع الهجرة مجتمع الرضوان « أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ سورة المجادلة

لقد بارك الله هذا المجتمع وصلى عليه ، قال : « هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

سورة الأحزاب

فكان المجتمع الذى طهره الله وأتم عليه نعمته ، وخاطبه بقوله : « مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ » وبقوله « وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » . سورة المائدة / ٣

وجماع ذلك أن الهجرة أنبتت خير المجتمعات ، فقد قال الله فى ذلك « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » . سورة آل عمران / ١١٠

فهو المجتمع الذى استمسك بالمثل ، والمبادىء ، التى جاء بها الوحى ، واعتصم بأحكام الإسلام ، وتحلى بأخلاق القرآن ، ورعى أواصر الإخاء والوحدة بين المؤمنين التى أمر الله برعايتها .

فكانت هجرة إلى النصر ، وإلى السمو

الإنسانى ، وإلى الحضارة ولن يصلح حاضر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، اعتصام بالدين وعمل جاد للمعاش والحياة ، ورعاية لما أمر الله به ، ووثقه من أواصر الوحدة والإخاء بين المسلمين .

وما أحوج المسلمين اليوم وقد أظلتهم هذه الذكرى أن يهاجروا إلى الله بالعمل ، فيهجروا مانهى الله عنه من الخلاف والفرقة ، والشقاق والنفاق ، وسوء الأخلاق ، والتهجم على الإسلام ، والتخلى عن آدابه ، وأن يعودوا إلى دعائم الإيمان من التراحم ، والتواصل والإخاء الوثيق ، والتعاون على البر والتقوى .

وهذه من عهد الإيمان « وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » سورة الفتح (١٠)

إن المتغيرات التى حدثت فى العالم المعاصر تنبىء عن أحداث .. جسام تقتضى الحذر واليقظة والإعداد والاستعداد ، واستشعار الأخطار المحدقة ببلاد العرب خاصة ، وبالمسلمين عامة ، فقد سقطت الأقنعة وانخذلت الصداقة ، واختفى الصدق ، وانشكف المستور الذى يراد بهذه الأمة .

وها قد تعالت أصوات الحادثات والنوازل التى أطبقت على أمة المسلمين فى العام الهجرى الذى انصرم من عمر هذه الأمة ، وهذه الانفجارات التى تحدث على أرض المسلمين فى كل مكان حتى صار بأس المسلمين بينهم شديد ، وأصبحت قلوبهم شتى ، وكلما تقاربت القلوب أوقد الأعداء نيران الخلافات ، وأشعلوا الحروب بين الشعوب الإسلامية وحكامها ، وانساق هؤلاء وأولئك حتى صاروا وقوداً للحرب وإمعات للفتن ، وكل يدعى أنه يعمل للإسلام وبالإسلام وما هم فى هذا وذاك من هدى الإسلام فى شىء .

ألا فليكف أولئك المتنازعون فى كل مكان من بلاد الإسلام عما وقعوا فيه ، وليذكروا قول الرسول ـ ﷺ ـ صاحب الهجرة .

« ... لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

احذروا أيها المسلمون ما يراد بأمتكم وشعوبكم من فرقة وإفساد واعلموا ان ماحدث ويحدث على أرضكم كان وسيظل امتهانا لأمة عريقة الحضارة قدمت للإنسانية أسمى الأخلاق وأرقى العادات والأعراف ، وعلمت الجاهل ، وهدت الضال ..

وشتان بين الهجرة الخيرة المثمرة الهادية التى تمر بنا ذكراها فنأخذ منها الهدى والرشاذ ، وبين هجرة آثمة معتدية ، ومهجرين مستأجرين للعدوان على أهل الديار وأصحابها ، جاءوا مفسدين مخربين للعامر ، يهلكون الحرث والنسل ، ولامناص من أن تتجسد الأمة الإسلامية كافة جسدا واحدا كما وصفها رسول الله ـ ﷺ ـ صاحب هذه الذكرى فى الحديث الذى وراه مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبى ـ ﷺ ـ قال :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

احذروا ـ أيها المسلمون ـ دعاة الفكر الفاسد ، الذين دأبوا على خلط الأوراق ، وتزوير العناوين ، ليوهموا الناس أنهم دعاة فكر مصلح ، والذين يفترون على الله الكذب ، ويقولون فى دين الإسلام مالا يعلمون عدوانا وظلما .. « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ

رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾
سورة هود

هؤلاء الذين ذهبوا يحرفون الكلم عن مواضعه بدعوى أن من حقهم الاجتهاد كما اجتهد غيرهم ، مع أنهم لم يستجمعوا أدوات الاجتهاد فى دين الله ، شأن كل علم له أركانه وقواعده ، فكانوا ممن اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وممن يصدق فيهم قول الله سبحانه « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ » . سورة لقمان

ولعل من أخطر مافى عصرنا ــ هذه المشابهة والمشاكلة التى يقلد فيها أهل الإسلام غيرهم ، فإنها وان كانت ظاهرية لكنها تجر إلى مشابهة ومشاكلة فى أمور أخرى تصرف عن حقائق الإسلام إلى أباطيل خصومه ، وتستتبع تآلفا وتنسيقا بل واندماجا فى الفعال والخصال ، وفى ذلك إضعاف لشخصية المسلم ، بل إزهاق لميزاته ومميزاته .

فمن الهجرة المطلوبة فى عصرنا وبحكم الإسلام أن نهجر تقاليد غيرنا وأن نتحفظ فى متابعتهم حذرا من الوقوع فيما يخالف أحكام الإسلام .

وأخص بالذكر هؤلاء الذين فتنوا من المسلمين وافتتنوا بمحاكاة الأمم غير المسلمة فى عاداتهم وأزيائهم وسلوكهم ، حتى فيما ينافى المروءة والغيرة ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ ، وباب خطر داهم ، ليس فى أمر الإسلام عقيدته وشريعته فحسب ، بل وفى أمر هذه الحياة إذ أن هذه المتابعة ــ دون حذر وترو ــ طريق انحلال الأمم وفنائها وتسلط غيرها عليها بعيد ذوبان مقوماتها .

وفى ذكرى الهجرة النبوية يلزمنا هجر السوء وتركه أيا كان نوعه أو وصفه ونسفه ، وأن نهاجر إلى الله بعبادته كما فرض وأمر ، وبإحسان معاملة الخلق ، كما أرشدنا رسول الله ــ ﷺ ــ فى الكثير من **أقواله** ، بل وفى سلوكه ومودته ، ومحبته للناس وإيثاره إياهم بكل خير ، والوقوف معهم فى كل محنة والنزوع بهم إلى كل سلوك حميد أومحمود .

اهجروا الخيانة ماظهر منها ومابطن فى الأقوال والأفعال ، واصدقوا مع الله ومع رسوله تنعموا فى دنياكم ويوم لقائكم ربكم ، وليصدق القول العمل .

ولنكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ونبتعد عن المراء والجدل لتتوثق صلاتنا ، وتزداد مودتنا ، وتعود أمتنا إلى متانة بنيانها وحسن أخلاقها وصدق تعاونها ، وليدرس أهل الإسلام سيرة الهجرة ومسيرها درس استنباط ليأخذوا منها الهدى والحل لأزماتهم المتلاحقة التى حاقت بالمسلمين فأوهنت البنيان وزلزلت الأقدام ، وتقلصت الأواصر التى كانت للأمة رباطا .

لقد أسست الهجرة مجتمع المدينة ، تقوده عقيدته وأخلاقه . مجتمعا تطهر من نزوات الطيش والبطش والاستغلال واستقرت فيه الفضائل ، حتى أشربت بها عقول المسلمين وقلوبهم ، فكانوا هداة صالحين ، قادة بهم تم البناء وفيهم كمل الدين ، وأصبحت بهم المدينة قاعدة لأمة فاضلة لم تلبث أن عبرت هدايتها إلى الآفاق فى كل اتجاه .

إن على المسلمين أن يتذكروا ماضيهم ليصلحوا به حاضرهم ويؤمنوا طريق مستقبلهم ، ملتزمين بأوامر الله فى القرآن وبسنة رسول الله :

إنهم إن فعلوا ذلك ارتفعوا فوق الأحداث ، وهانت تحت أقدامهم الخطوب وانجابت عنهم الكروب ، واجتمع شملهم وتوحدت كلمتهم .

ولا يفت فى عضدكم ، ولا يوهن من عزيمتكم نكوص الآخرين عن الوقوف معكم فالله كفيل بنصر من استعان به .

إن الأزهر الشريف وهو يُذَكِّر فى هذه الكلمة ببعض الدروس من هجرة الرسول محمد ﷺ ليرفع إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء آمال الشعوب الإسلامية فى عمل جاد تأخذ به الأمة الإسلامية زمام المبادأة فى الدفاع عن الشعوب الإسلامية المستضعفة فى فلسطين والبوسنة والهرسك وكشمير وغيرها .

هذا العمل يتمثل ـ فى استخدام النفوذ والصلات السياسية التى لو وُجِّهَتْ إلى دعم هؤلاء المستضعفين لشدت من أزرهم ، والناس يتحدثون لماذا تظل سفارات الصرب مفتوحة فى البلاد الإسلامية ؟ ولماذا تظل سفارات المسلمين فى بلغراد ؟ ولماذا يُمْنع السلاح عن المسلمين فحسب ؟ !!!

إن شعوب المسلمين تأمَل من حكامها وقفة مع النفس وعملا جادا مع الهيئات الدولية التى أهملت حماية المسلمين فى البوسنه والهرسك بل وضيقت عليهم ..

إن المسلمين يأملون أن يروا قرارا جادا تتحمل الدول الإسلامية أعباءه المالية توقف به هذه المجازر والتخريب فى بلاد الإسلام .

ان الناس يتحدثون عن أن دول أوربا المتحضرة ـ التى تُسَيِّر أمر العالم اليوم ـ تتفرج على مأساة البوسنه والهرسك وتجتمع وتنفض وتقرر وتلغى ما قررت ، ولا تصدر قرارا حاسما كقرار الكويت ، أو قرار الصومال ويزيد الأسى والأسف أنها لا تعطى للمُعْتَدى عليه الضحية وهم المسلمون حق الدفاع عن النفس ، والدول الإسلامية راضية أو راغمة لماذا ؟ !!!

إن مبدأ الإسلام واضح وصريح فى نصرة المظلوم ففى القرآن الكريم ..

﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ... ﴾ .
سورة الحجرات / ٩

إن الأمل أن تبادر منظمة المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية ومنظمة الدول الإفريقية إلى استصدار قرار حاسم من منظمة الأمم المتحدة وليباشر هذا عدد من الملوك والرؤساء والأمراء حتى تتوقف هذه المذابح ويعود المشردون إلى ديارهم ..

إن الأزهر الشريف ليذكر الأمة الإسلامية وحكامها بأن التاريخ سيكون شاهدا على هذا الجيل ، والزعماء الذين عاصروا هذا الحدث الجلل فى البوسنه والهرسك مسجلا موقف التردد والنكوص لدى أمة عرفت بالحمية والشجاعة والجرأة والنجدة ، وما تزال كتب التاريخ تنطلق بما كان من أن امرأة من المسلمين اعْتُدِىَ عليهافنادت : وامعتصماه ...

فكان لها ماردَّ روعتها وصان عرضها فأمنت بعد فزع وخوف ..

نسأل الله ألا يتكرر ما حدث للمسلمين فى الأندلس منذ أكثر من خمسمائة عام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

شيخ الأزهر الشريف
(جاد الحق على جاد الحق)

عيد الأضحى

يوم بر وعطاء ووفاء

بقلم : صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهــــر

هذا يوم العيد الذى فيه تتسامى المشاعر ، وهو من أجلّ الأعياد خطراً وأبلغها أثراً فى حياة المسلمين ، حيث تجلت فيه مبادىء الإسلام وغاياته .

لقد وفد هذا العيد ـ على أمة المسلمين ـ هذا العام ـ وكأنه موجة من النور الهادى فى خضم هذا الزمان المظلم المضطرب ، وكأنه ـ كذلك ـ فترة من السلام الإلهى بين هذه الخطوب التى تموج فى جنبات ديار المسلمين ، فتضطرم بها الشواغل والأحاسيس نحو ما هو واقع وما كان مأمولًا ومرغوباً فيه .

هذا العيد : نفحة علوية من نعيم الله ، تندى لها القلوب اليابسة بالود الخالص وبالبر المحض وهو سبب يصل ـ بالإحسان ـ بين الغنى والفقير ، وبين القريب والبعيد بالمودة ، وبين القوى والضعيف بالمرحمة ، وبين الإنسان وربه بالصلاة ، وبين ضيوف الرحمن ـ فى الحج ـ بالحمد والشكر لله الذى أتم نعمته .

هذه الأعياد الإسلامية ما أحوجنا ـ نحن المسلمين ـ إلى أن نفهم غاياتها فهماً سديداً جديداً ، ونتلقاها ، لنجدد ـ بها ـ فى نفوسنا معانيها السامية ، ولتدفعنا إلى التفكير فى صدق القول السائر : « دوام الحال من المحال » .

فنعمل على تغيير ما وقر فى النفوس من كساد وما استقر فيها من فراغ حتى صار أكبر الهموم « تجديد الثياب واتساع ابتسامات النفاق » .

إن العيد فى الإسلام هو المعنى الذى ينبغى أن يكون فى يومه ، وليس اليوم نفسه .

ذلك : أن معنى العيد انبعاث وجود الأمة وحضورها الروحانى فى أجمل المعانى وإثبات ذاتيتها بدلا من إثبات الوجود الحيوانى فحسب فى أبرز معانيه .

إن العيد إشعار للأمة بأن فيها قوة التغيير لما ران عليها من خمود واستكانة ، بدلا من ركونها إلى ترديد القول بأن الأيام قد تغيرت ، وأن المسيرة قد تعثرت ، حتى صارت حياة الأمة الإسلامية ، وكأنها فرق متناحرة وعصبيات متشاجرة وربما متقاتلة .

كنا نرقب أن يجىء يوم عيد الأضحى وأيام مثله تعرض أمة الإسلام فيها جمال نظامها الاجتماعى الذى صاغه الرحمن فى القرآن ، وأصل قواعد تكافلها فى المهمات والملمات ، فيكون الشعور الواحد فى قمة الوجود ، فى نفوس كافة الشعوب المسلمة ، تتعاطف وتتعاون على دفع الكروب التى أحاطت بها من كل جانب ، وتواجه الخطوب التى خطت إلى أرضها ففرقت شعوبها وبددت وحدتها وانفرط عقدها بعد أن كانت معتزة بجمعها الذى صنعه الإسلام وأقام أسسه .

إن العيد يكون يوم أن تتحد كلمة الأمة تجاه النوازل المتواثبة ، فتشعر بالقدرة على وقفها ، وتغيير مسارها إلى صالحها ، لا القدرة على تغيير الثياب فحسب .

هذا العيد قد وفد والأرض تنتقص من تحت أقدام شعوب المسلمين ويطردون من ديارهم ، أو تهدم فوق رءوسهم وتغتصب نساؤهم ويقتل أطفالهم وتنتهب ثرواتهم ، وتهدم مساجدهم ويستذلون فى أوطانهم .

كل هذا والعالم المتحضر من حول المسلمين ــ فى البوسنة والهرسك ــ مثلًا قد وقف حارساً أميناً للبغى والعدوان حتى يصل إلى منتهاه ، ويحقق غاياته ، بحصار المسلمين وتجويعهم وقتلهم ، وخطط السلام التى لا تتجه إلى السلام بمعناه المشروع وإنما تؤكد سلوك الطغاة وتمدهم بالسلاح والمال ، والمسلمون هناك لا يجدون عوناً من أحد حتى أهل ملتهم وحتى السلاح ليدافعوا عن أرضهم وعرضهم وأطفالهم . قد حجب عنهم بقرارات من ممثلى المجتمع الدولى (مجلس الأمن) بئست هذه الحضارة وليتها ما كانت تلك المدنية الحيوانية التى تأوى الكلاب وتقيم لها المآدب والمساكن وتقتل بنى الإنسان لاختلاف الدين والعرق (ألا ساء ما يزرون) . (ألا ساء ما يحكمون) .

(قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) لقد تحالفت على المسلمين فى تلك البلاد وغيرها النوائب من كل جانب وتألب ضدهم طغاة العصر وبغاة الشر ، يعطون من طرف اللسان حلاوة ويروغون كالثعالب لا وفاء بوعد ، ولا نجدة لبائس أو مشرد ، إنهم يحاصرون الضحايا من المسلمين ليفترسهم أولئك

الطغاة البغاة الذين تخلت عنهم كل القيم الإنسانية ، هذا فى أطراف بلاد الإسلام وشأن الأقليات منهم .

فأين الأمة الإسلامية بشعوبها وحكوماتها وزعمائها وأين أصحاب هذه المفرقعات فى وادينا ، وباقى البلاد الإسلامية لِمَ لَمْ يذهب أربابها إن كانوا ـ جادين حقا ـ إلى هذا الميدان بأسلحتهم وشبابهم فقد وجب إعمال قول رسول الله ﷺ : (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) ، (قيل كيف أنصره ظالماً ؟ قال تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره) .

فهل نصرنا إخواننا المظلومين المقهورين فى بلادهم ؟

نعم أين الأمة الإسلامية مما يحدث لشعب من شعوبها يقتل ويشرد ؟!!

ألا فليتجه هؤلاء الذين يبتغون نصرة الإسلام والمسلمين إلى حيث يحتاجهم الموقع ، والموقف ولا يوهنوا صفوف الأمة من خلف أولئك المقهورين ولتتفرغ الأمة بكافة شعوبها لنجدة أولئك وهؤلاء ؛ ففى كل ركن من شعوب الأمة ظلم وظلمات (ليس لها من دون الله كاشفة) .

أما فى بلاد المسلمين فقد برزت الألسنة من الأفواه ، وامتشقت الأقلام شامتة مجهزة على جراح المسلمين وكأن هؤلاء ينفخون فى نار الفتن بما يقولون ، وبما يكتبون ، والصحف لهم مبسوطة ، والمساحات مكفولة تعاند الناس فى عقيدتهم وتغمزهم فى شريعتهم ، وتنشر الإفك والتضليل تحت عناوين التنوير .. (والله من ورائهم محيط) .

ومن قبل كان لأمثالهم مواقف حكاها القرآن فى سورة فصلت فقال الله سبحانه :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ . سورة فصلت

إن محنة الإسلام تشتد ، ولكن الله غالب على أمره ، وإن على المسلمين أن يستعيدوا قيم هذا الدين حتى يعلو قدرها ، استمساكاً بها وإظهاراً لها ، وحتى يكون الدين كله ﷺ ويبوء أولئك بالخسران المبين .

إن عيد الأضحى هو عيد للأسرة وللأمة وللملّة يُفيض المودة والألفة ، سفير التعارف والتآلف بين ضيوف الرحمن فى عرفات ، وكافة مناسك الحج .

ينبغى أن نستمع لصوت هذا العيد الذى يهتف بقوة منادياً أمة الإسلام : أن اخرجى من أتراحك ، وخذى العدة ليوم النصر ، يوم التخلص من الأوزار والأوضاع بالتضحية فيه بالأهواء ، وبهجر الانطواء والقطيعة ، واللدد فى الخصومة حتى يتم التوافق على ما ينفع الأمة ويكشف الغمة ، تلك التى طمت وعمت ساحات المسلمين حتى لا نكاد نجد وطناً ومسلماً قد سلم من العدوان .

ليت أولئك الذين يثيرون الحقد والبغضاء فى الشعوب الإسلامية ، أو ينشرون الهوان والاستهانة بمقدراتها ، ليتهم يراجعون أنفسهم ويعلمون أنهم ـ بصنيعهم هذا ـ يفرقون صفوف الأمة ويجعلونها عرضة لفقد هويتها ، وذهاب ريحها الفرط ما بذلوا من بذور الفرقة والخلاف (وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) .

الأنفال ٤٦

آن الأوان لأصحاب القلم واللسان أن يقولوا للناس حسناً ، وأن يكفوا عما يفسد على الناس دينهم وحياتهم ، وعن التهجم على دين الأمة ، وأن يفحصوا المشكلات من جذورها ، ويصفوا لها الدواء الذى به ــ بإذن الله ــ يكون الشفاء . ذلك الذى وصفه الله ودعا إليه فى القرآن :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ . سورة الأنعام

لتأخذ الأمة من عيد الأضحى وشعاراته كيف توجه وتقود نفسها بقوتها وبكلمتها ، وبوحدة حركة الحياة إلى معنى واحد ــ كلما شاءت ــ تتغياه ، حيث ضرب الإسلام لها فى مصادره الأمثال ، ووضع لها قواعد النجاة .

ليت هذا العيد يجمع قادة وزعماء هذه الأمة فى لقاء نقى وعهد وفىّ أن ينحوا فرقتهم وينهوا غربتهم عن وحدة صفهم ويتدارسوا كيف يقودون هذه الأمة إلى حياة عزيزة رشيدة تخلو من ذل السؤال ، ومن وصمة الاستذلال التى حلت بها ، حتى تتساند فى الضراء وفى البأساء ، وتتعاون على البر والتقوى ؛ فهذا هو طوق النجاة من تلك الأوحال التى غاصت فيها الأمة فثقلت أقدامها عن مسيرة الحياة كأنها لها مجدها وتاريخها ، وتثاقلت فى السباق حتى استُبِقَتْ ، وأنَّى للكسول أن يكون مقداماً ، وللخوار أن يكون شجاعاً ؟

وما كان العهد بها على هذه الحال ، فقد قادها الإسلام إلى عز العلوم والمعارف وأمدها بأسباب القوة وأساليب الحياة الشريفة .

إن الأزهر الشريف وهو يوجه هذه الكلمة مهنئاً الأمة الإسلامية بكافة شعوبها ولغاتها وأوطانها بعيد الأضحى المبارك ليتوجه إلى هذه الشعوب ــ وعلى رأسها أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ، الملوك والرؤساء والأمــراء وإلى معاونيهم من الزعماء والقادة ــ ناصحاً أن يضحوا فى هذا العيد بكل العوامل التى فرقت كلمتهم وزرعت البغضاء فيما بينهم ،وأن يجعلوا ليل هذه الأمة الدامس نهاراً وضيئاً مليئاً بالأمل وبصالح العمل .

وعندئذ تنجاب عن الأمة هذه الغمة ويعلو قدرها وتنكف من أرضها وعن عرضها هذه الذئاب العاوية .

إن الشعوب الإسلامية ترقب بأمل يوم عيد الأضحى لترى هذا الأمل عملًا مرئياً بالأبصار ، بدلًا من مجرد برقيات التهانى (البروتوكولية) التى احتجبت بها تقاليد الإسلام ، وانقطعت الأواصر وحجبت سبل المصارحة .

وإذا كان من أغلى وصايا نبى الإسلام ﷺ : (الدين النصيحة) فإن الأزهر الشريف ليعلن مع تهنئة المسلمين وأولياء الأمور فيهم نصحه هذا بأن يوحدوا كلمتهم وصفهم ؛ لتأخذ الأمة دورها فى الحياة ، ويتقدموا بخطوات عملية لنصرة المغلوبين والمضطهدين من المسلمين (والله معكم ولن يتركم أعمالكم) .

وكل عام وأنتم بخير .
وبالله التوفيق ..

شيخ الأزهر الشريف

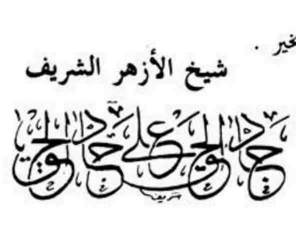

فتوى

فى شأن أطفال النساء المغتصبات

فى

البوسنه والهرسك

للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

وبعد

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من رئيس حلقة الدراسات الإسلامية ـ بحيدر آباد ـ السيد غوسى خاموشى وفيه يعرض اقتراحا يأمل دراسته على ضوء الكتاب والسنة وملخصه :

النساء المسلمات اللاتى اغتصبن فى معسكرات الاغتصاب بالبوسنه وحملن نتيجة لذلك لكنهن يرفضن أطفالهن مما جعل الإرساليات المسيحية تستقبل هؤلاء الأطفال لتربيتهم وسوف ينشأون على كراهية مجتمع الإسلام والمسلمين الذين رفضوهم ، ومن ثم يكونون أعداء للإسلام الذى رفض أن يأويهم ..

وعلى عكس ذلك إذا ما وجدت منظمات أو جمعيات إسلامية تعطى الحماية والرعاية لهؤلاء الأطفال ولا ذنب لهم ، ولا لأمهاتهم فإنهم سيكونون قوة للإسلام للانتقام مستقبلا من وحوش الصرب .

والسؤال : هل هؤلاء الأطفال يطلق عليهم أطفال غير شرعيين رغم أنهم ضحايا عدوان ووحشية ؟

وفى أوربا يطلقون على هؤلاء الأطفال وأمثالهم أنهم طبيعيون رغم أنهم غير شرعيين .

ثم يقول : وفى رأيى لو لم تعتبرهم الشريعة أطفالا مولودين بطريقة شرعية أو طبيعية فإنهم لابد أن يربوا بواسطة منظمات أو جمعيات إسلامية لنسترد لهم جزء من احترامهم ولأمهاتهم اللاتى لم يرتكبن أخطاء من أنفسهن ولكنهن وقعن فى براثن القوة الغاشمة ، ورأيكم الموقر يكون له عظيم التقدير ..

والجـواب :

أولا : اغتصاب نساء البوسنه والهرسك وعدوان الصرب عليهن وحملهن نتيجة هذا العدوان جريمة نكراء تأباها الإنسانية ، وقد جرّمها الإسلام ، وعدَّها من الفواحش التى حرّمها الله عز وجل ، وأكدت السنة النبوية تحريمها . قال الله تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾(١) .

وقال تعالى فى سورة النور :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾(٢)

وفى الحديث الشريف عن ابن عباس(٣) – رضى الله عنهما – عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه – قال : (الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف) .

ثانيا : أجمع فقهاء المذاهب على أن المرأة إذا استُكرهت على الزنا وغُلِبَتْ على أمرها كما حدث لنساء البوسنه والهرسك المعتدى عليهن فإنه لا يقام عليهن حد الزنا لأنهن مستكرهات مغلوبات على أمرهن(٤) .

وقد روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – عن النبى – ﷺ – قال : (إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)(٥) .

ثالثا : حكم حمل المرأة المغتصبة والمكرهة على الزنا هو أن الحمل حملها تحمله حتى تضعه وترضعه حتى يستغنى عن إرضاعها بالغذاء ، وهو منسوب إليها يحمل اسمها واسم أسرتها ولا تنسبه لأب جبرا لأنه ولد نتيجة علاقة غير الزواج ، وبوسيلة محرمة قطعا .

وقوة القرائن المصاحبة لما وقع لنساء البوسنه والهرسك من اعتداء الصرب عليهن بعد أسرهن ،

---

(١) الآية رقم ٣٢ .

(٢) من الآية رقم ٢ .

(٣) متفق عليه ونصه (إن الله بعث محمدا – ﷺ – بالحق ، وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، رجم رسول الله – ﷺ – ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم من كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف) اللؤلؤ والمرجان فيما أتفق عليه الشيخان – باب رجم الثيب فى الزنى حديث رقم ١١٠١ جـ ٢ ص ١٨٦ ط دار الحديث ورواه الترمذى بألفاظ متقاربة وقال هذا حديث حسن صحيح وروى من غير وجه عن عمر رضى الله عنه . الجامع الصحيح (سنن الترمذى) جـ ٤ ص ٣٠ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة كتاب الحدود جـ ٥ ص ٩٥ .

(٥) أخرجه ابن ماجة والبيهقى واللفظ لابن ماجه جـ ١ رقم ٢٠٤٥ .

واحتجازهن فى معسكرات الاغتصاب تؤثر على فراش الزوجية لمن كان لها منهن زوج ، ويكون الفراش من حقها كالمعدوم حكما ، لأن المراد بالفراش أن تحمل الزوجة من زوجها فى ظل عقد زواج صحيح ، فيكون ابنها ولدا لهذا الزوج ، لكن إذا ولد الطفل أثرا لصلة رجل بامرأة بغير عقد زواج « أى زنا » كحمل نساء البوسنة من الصرب فإن هذا الطفل – كما سبق – ينسب لأمه ، ترثه ويرثها ويتبعها فى الدين ، وله عليها كل الحقوق من حضانة ، ونفقة ورعاية نفاذا لقول الله تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾(١) وعليها كذلك أن تحسن تربيته وتصلح من شأنه ، حماية له من الإهمال وخوفا عليه من التشرد وارتقابا لخيره ، واتقاء لشره حتى لا يكون وسيلة إفساد فى المجتمع ، وعسى أن يكون نافعا لنفسه ولغيره .

هــذا :

ومن كانت من نساء البوسنه والهرسك حاملا من زوجها الشرعى ، فى ظل عقد الزواج الصحيح ، ثم اغتصبت واعتدى عليها من جنود الصرب فإن فراش زوجيتها قائم وينسب طفلها إلى زوجها لا إلى نفسها ولا إلى من زنا بها بعد اغتصابها ، لأن فراش الزوجية قائم فعلا ، والطفل نبت فى ظله وما حدث بعد ذلك من الاعتداء يعتبر عارضا لا يؤثر على فراش الزوجية أو يفقده .

ويؤيد هذا ما ورد عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : (الولد للفراش وللعاهر الحجر)(٢) والعاهر الزانى وله الرجم ...

رابعا : من فقه الشريعة الإسلامية أنها اعتبرت المحافظة على نسب الطفل أحد الضرورات الخمس التى وجب الحفاظ عليها وهى (الديـــن ، والعقل ، والنفس ، والمال ، والنسل) .

ونظرا لأن النسب للنسل حق من حقوق الله تعالى لا ينفسخ ولا يرد ولا يحول ، فقد حرم رسول الله – ﷺ – على المرأة المتزوجة أن تدخل طفلا زورا وبهتانا – على قوم زوجها ، وتلحقه بهم ، وهى متحققة أنه ليس طفل زوجها ، لما يترتب على ذلك من اختلاط الأنساب ، واضطراب الحياة فى حل النكاح وحرمته ، وفى استحقاق الميراث ، وعدم استحقاقه ، الأمر الذى اقتضى صيانة الأنساب وإحاطتها بسياج منيع ، حتى حرم الله التبنى بقوله :

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾(١)

كما حرم الجنة على المرأة التى تدخل على قوم زوجها من ليس منهم فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أنه سمع رسول الله – ﷺ – يقول حين نزلت آية المتلاعنين : (أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ، ولم يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه – أى يعلم أنه ولده – احتجب الله عنه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين)(٢) .

---

(١) من الآية رقم ٢٣٣ من سورة البقرة .
(٢) رواه الجماعة إلا أبا داود وفى لفظ للبخارى : لصاحب الفراش – نيل الأوطار للشوكانى جـ٦ ص ٢٧٩ ط دار الحديث .

(١) من الآية رقم ٥ من سورة الأحزاب .
(٢) بلوغ المرام شرح سبل السلام جـ٣ ص ٢٤٦ باب اللعان .

خامسا : إذا حملت المرأة بطريقة شرعية (زواج صحيح) أو بطريقة غير شرعية (أى زنا) فإن الشريعة الإسلامية ـ تحظر عليها ، وعلى غيرها أن يتعرض للحمل باسقاط أو قتل ، دون عذر أو ضرورة ، بعد نفخ الروح فيه بمضى أربعة أشهر ، لأن الحمل ـ والحالة هذه ـ أصبح نفسا يجب احياؤها ، قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(1) .

وتدل أقوال الفقهاء جميعا على الحظر ، فقد نصوا على أنه يجب فى اسقاط الجنين عقوبة جنائية ، فمن أسقطت جنينها ، وخرج منها ميتا ، بعد أن كانت الروح قد سرت فيه ، وجب عليها ما أطلق عليه الفقهاء اصطلاح « الغرّة »(2) وكذلك الحكم إذا اسقطه غيرها وانفصل عنها ميتا ولو كان أبوه هو الذى أسقطه وجبت عليه الغرّة أيضا .

وبعض الفقهاء أوجب مع ذلك كفارة ومقتضى هذا أن هناك إثما وجريمة فى اسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه ، وهذا حق لأنه قتل انسان وجدت فيه الروح الانسانية فكان هذا الجزاء الدينى بالاثم وفيه الكفارة ، والجزاء الجنائى بالتغريم وهو الغرة . أما : إذا قامت ضرورة تحتم الإجهاض (الإسقاط) كما إذا كانت المرأة عسرة الولادة ، ورأى الأطباء المختصون أن بقاء الحمل فى بطنها ضار بها فعندئذ يجوز الإجهاض ، بل يجب إذا كان يتوقف عليه حياة الأم عملا بقاعدة (ارتكاب أخف الضررين ، وأهون الشرين) .

وإذا كان الاسقاط قبل نفخ الروح فى الجنين أى قبل مضى أربعة أشهر فان الفقهاء اختلفوا فى حكم هذا الاجهاض فمنهم من أباح مطلقا ، ومنهم من حرمه مطلقا ، ومنهم من كرهه مطلقا ، ومنهم من أباح لوجود العذر وكرهه عند انعدام العذر(1) .

ومن ثم فانه يحرم على من حملت سفاحا ، اغتصابا من هؤلاء النسوة أن تسقط حملها إلا بسبب شرعى على نحو ما تقدم .

سادسا : الشريعة الإسلامية تعتبر الفرد المسلم قواما للجماعة ، وعضوا من أعضائها تحفظ له حريته وكرامته وتصون له حقوقه منذ أن استقر فى بطن أمه جنينا فلا تبيح اعتداء عليه ولا ترضى عن أمه إن رفضته أو قصّرت فى حقه ، حتى وإن كان هذا الحمل أثرا لاغتصاب وعدوان .

وحين ترفض الأم طفلها غير الشرعى ، وتلفظه لظروف الحياة القاسية وتتركه ملقى على الأرض فى مهب الريح ، وتولى مدبرة منصرفة عنه ، فانها تكون قد ارتكبت اثما كبيرا وعليها

---

(1) من الآية رقم ٣٢ من سورة المائدة .

(2) والغرّة نصف عشر الدية عند جمهور الفقهاء أنظر (المغنى) لابن قدامة جـ ٩ ص ٥٤٢ وما بعدها مع الشرح الكبير ط المنار ١٣٤٨ هـ و (بداية المجتهد) لابن رشد جـ ٢ ص ٣٤٧ ط أولى الخانجى ١٣٢٩ هـ و (حاشية ابن عابدين) جـ ٥ على الد ر المختار ص ٥١٦ ط بولاق الاميرية ١٢٩٩ هـ و (أسنى المطالب شرح روض الطالب) لزكريا الأنصارى جـ ٤ مع حاشية الرملى ط الميمنية ١٣١٣ هـ .

والدية على ما حققه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ـ ألف دينار ذهبا تقابل بالوزن المعاصر ٤٢٥٠ جرام ـ أربعة آلاف ومائتين وخمسين جراما من الذهب الخالص ويقوّم جرام الذهب بالسعر المحدد بالعملة السارية وقت ارتكاب الجريمة (جلسة اللجنة الفقهية بالمجمع بتاريخ ٢٣ من شوال ١٣٩٦ هـ ـ ١٧ أكتوبر ١٩٧٦ م) ولما كانت الغرّة باتفاق نصف عشر الدية فإنها تحتسب على أساس الذهب على هذا الوجه وقت الحادث .

(1) تراجع فتاوى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر جـ ٩ من الفتاوى الإسلامية ص ٣٠٩٨ ، ٣٠٩٩ ، ٣٢١٦ ، ٣٢١٧ ، ٣٢٢٥ .

مسئولية ما صنعت ، وعلى المجتمع الإنسانى حينئذ رعاية هذا الطفل وأمثاله فلا يُتركون عرضة للموت ، بل فى التقاط هؤلاء الأطفال والإبقاء على حياتهم ، حياة للمجتمع كله ، وقد سبق تلاوة قول الله تعالى :

﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ .

ذلك لأن الإسلام يوجب رعاية الأطفال ولو كانوا من غير الشرعيين بواسطة أفراد أو جماعات أو منظمات ، تحمى طفولتهم حتى يكونوا نافعين وتسترهم ولا تفضحهم ولا تشهر بهم ولا تذكرهم بنشأتهم من زنا وهم أجنة فى بطون أمهاتهم ، ولا تطلق عليهم (أطفالا طبيعيين) لمخالفة ذلك لواقعهم ، ومجافاته لقول الله تعالى فى سورة الأحزاب[٢] :

﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾

سورة الأحزاب

ولقد حرص فقهاء الإسلام على بيان حكم الأطفال حديثى الولادة المتروكين على أبواب المساجد أو الكنائس والبيع أو على جوانب الطرق لأى سبب من الأسباب وقرروا أحكاما بشأنهم فى كتب الفقه ومما قالوا : (اللقيط حر وهو لمن التقطه مسلما أو غير مسلم والملتقط متبرع عليه واللقيط مسلم ان التقط فى دار إسلام ، وغير مسلم ان التقط من بيعة أو كنيسة) . وقد جاء فى كتب فقه الأحناف[١] أن أحد المسلمين وجد طفلا منبوذا أمام داره فالتقطه وذهب به إلى الخليفة عمر ابن الخطاب فقال : هو مسلم وعلينا نفقته .

وبتطبيق أحكام الشريعة المبينة فيما سبق تحفظ لهؤلاء الأطفال ـ موضوع السؤال ـ آدميتهم وتصان حريتهم ، لأنهم ضحايا أناس معتدين آثمين وأمهات قست منهن القلوب فطرحن فلذات أكبادهن خلف ظهورهن ، ورفضن رعايتهم بالرضاع والحضانة مخالفات بذلك توجيه الإسلام فى قصة المرأة التى عرضت نفسها على رسول الله ـ ﷺ ـ ليقيم عليها حد الزنا : فقد روى عن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ـ ﷺ ـ وهى حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبى الله ـ ﷺ ـ وليها فقال أحسن إليها فإذا وضعت فأتنى ففعل فأمر بها رسول الله ـ ﷺ ـ فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال له عمر نصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله)[٢] .

ويستفاد من أمر ولى المرأة بالإحسان إليها ؛ أن ذلك من أجل الإحسان للجنين لأنه فى ذاته لم تصدر منه جناية أو معصية ورجاء ما يؤمل من خيره ودفع ما يخشى من شره وعسى أن يكون نافعا فى الدين والدنيا وتصلح به وله الحياة .

ومما سبق يعلم الجواب على السؤال والله أعلم .

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

(٢) الآية رقم ٥ .

(١) كتاب الاختيار لتعليل المختار جـ٣ ص ٤٢ .

(٢) رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه نيل الأوطار للشوكانى جـ٧ ص ١١٢ .

بين فضيلة الإمام الأكبر ورئيس مجلس إدارة دار التحرير

السيد الأستاذ/ سمير رجب
رئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر
ورئيس تحرير مجلة (عقيدتى)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد ...

فقد طالعت كلمة (بالحق .. أقول) المنشورة فى صدر عدد هذه المجلة برقم ٢٤ الصادر فى يوم الثلاثاء ١٩ من ذى القعدة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣/٥/١١ م بما دار بين سيادتك وبين السيد/ عبدالعزيز الرواس وزير الإعلام العمانى بمسقط عاصمة سلطنة عمان الشقيقة ، ولقد سرتنى هذه الآمال الكبار والمهام العظام التى استعاد ذكرها السيد الوزير العمانى عن ماضى الأزهر الشريف ، وأنه كان يتمنى ألا

* رد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على السيد الأستاذ سمير رجب رئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر ورئيس تحرير مجلة عقيدتى بشأن ما كتبه فى جريدة عقيدتى فى ٢٦ من ذى القعدة ١٤١٣هـ ـ الموافق ١٨ مايو ١٩٩٣م تحت عنوان بالحق أقول والذى يفيد أن الأزهر الشريف قد انشغل عن وظيفته الأساسية بفروع العلم التى قلصت مهمته الدينية .

إن للأزهر ـ فى عمره المديد ـ اسهاماته الفعالة ، ولم يتخل عن تدريس العلم ـ بمدلوله العام ـ ومؤلفات علمائه فى الطب والصيدلة والرياضيات والفلك وغيرها من مستحدثات العلوم شاهدة على ذلك لأن العلم بصنوفه المختلفة فى تقدير الأزهر (رواق) واحد وإن الطبيب الذى تؤهله ثقافته الأزهرية إلى نصح الناس فى أمور دينهم انفع ممن لا يحسن إلا الطب فقط .

بل الأزهر قد استعاد سهامه حيث يدرس سائر العلوم الإنسانية ، وشتى المعارف . وبهذا يكون لدى عالم الأزهر أدوات علمية يبلغ بها رسالة الله ، وثقافة شاملة ينفع بها المجتمع الذى يعايشه .

عمر البسطويسى على

يخرج الأزهر عن (رواقه) فانشغاله بفروع العلم قلص مهمته الدينية ، ولا أعتقد أن مصر بجامعاتها وكلياتها المتعددة والكثيرة كانت فى حاجة إلى ذلك !!

وقد بدا أن ـ سيادتك ـ معه إذا أخذنا بمبدأ : السكوت رضا ، وأيضا لهذا الذى تردد ـ منذ وقت ـ فى صحفنا بمناسبة حالات الشغب التى وقعت وقيل : أين الأزهر .. ؟

أقول للناس جميعا إن الأزهر فى ميدان العلم والتعليم والدعوة قائم بواجباته المتنوعة فى مصر وخارج مصر بين شعوب الأمة الإسلامية على اختلاف ألوانها وألسنتها ومواقعها على أرض الله ، وعلماؤه يعملون فى سلطنة عمان بطلبها ، وغيبة الإعلام بقنواته ووسائله المتنوعة قد حجبت عن الناس جميعا جهده المبذول ، وكان المأمول أن يكون الجميع على علم بهذا الجهد ، وهذا الحضور الدائم لعلماء الأزهر بين أبناء الشعوب الإسلامية على اختلاف ألسنتهم .

ثم إن من يظن أن الأزهر الشريف بتنظيمه لجامعته وتقنين نوعيات دراستها لتستوعب علوم اللغة العربية وعلوم القرآن والسنة وما تفرع عليهما ، وعلوم الطب والصيدلة والهندسة والزراعة وغير هذا من العلوم الإنسانية النظرية والعملية ـ من يظن ـ أن الأزهر ـ بهذا ـ قد خرج عن (رواقه) يكون غير متابع لماضى الأزهر العلمى وإسهامته فى دراسة العلوم المتنوعة فهو فى عمره المديد ـ الذى فاق الألف من السنين ـ لم يختلف ولم يتخل عن تدريس العلم ـ بمدلوه العام ـ فى مراحل هذا العمر ومؤلفات علمائه فى الطب والصيدلة ، والفلك والرياضيات شاهدة على ذلك ، ومن يزور مكتبة الأزهر يطالع الكثير الوفير فى هذه الفنون وغيرها من مستحدثات العلوم .

فالأزهر مواكب فى دراسته للعلم مواكب للعصور التى مرت به وفى مقدمة مدارسها تحصيلا للعلم وابتكاره لصُنوفه ، أصوله وفروعه وتجاربه العلمية ، دون أن يتخلى عن (رواقه) أو يخرج منه ، لأن العلم بصنوفه فى تقدير الأزهر (رواق) واحد ، يغذى بعضه بعضا ، أليس الطب بفروعه المتنوعة يستظهر قول الله سبحانه : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وكذلك العلوم الأخرى من فلك ورياضيات وكيمياء وفيزياء وكل ما اصطلح أهل العلم على تصنيفه وتدريسه فى المدارس والجامعات ، ومع هذا الواقع الذى كان فى ماضى الأزهر ، جاء تنظيمة الآن وتقنينه فى الأقسام العلمية فى المعاهد الأزهرية وفى الكليات العلمية بجامعة الأزهر امتدادا لهذا الماضى الذى يفاخر به والذى له آثاره التى قد تغيب عن بعض الناس لغيبة دور الإعلام الثقافى .

ثم إن الأزهر الشريف حين جمع فى (رواقه) بين مهمته فى علوم الإسلام واللغة العربية والعلوم المعاصرة على جدتها وحداثتها وتطورها المستمر ، قد استعاد كامل مهامه ، حيث يدرس سائر العلوم لطلابه من البنين والبنات لينشأ جيل ، بل أجيال لا تنفصم عن ملاحقة العلوم الإنسانية وشتى المعارف فى هذا الكون ، وبهذا يكون لدى عالم الأزهر أدوات علمية يبلغ بها رسالة الله وثقافة شاملة ينفع بها مجتمعه الذى يعايشه .

فهذا الطبيب الذى تؤهله ثقافته الأزهرية إلى نصح الناس فى أمور دينهم أنفع ممن لايحسن سوى أمور الطب .

ولعلى لا أعيد ماسبق أن نشر ويعرفه المتتبعون للأزهر الشريف المعاصر ولعلمائه فى كل مكان ، وفى مصر بالذات آلاف العلماء فى المساجد والمدارس والجامعات والمصانع ، والقوات المسلحة ، والسجون ودور الرعاية الاجتماعية وغير هذا من جهوده ، المبذولة فى الداخل والخارج .

ومن المهم أن يعرف أن الأزهر الشريف صاحب الكلمة الطيبة التى ضرب الله مثلها :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

من سورة إبراهيم

وهو القائم على أمر الدعوة بمنهاج الله فى القرآن :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ النحل (١٢٥) .

وحين تبرز الجرائم وتشرع الأسنة ويدوى الرصاص ، لايكون للكلمة أثرها ومن المأثورات (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

(بالحق .. أقول) إن الأزهر الشريف يعمل الآن بين أنواء الحياة وأعاصيرها التى دونها الإمكانات المتاحة له ، وأنه يبنى ، وجهات أخرى - أتيحت لها كل الإمكانات تهدم وبعنف وإصرار - وكل فى واد ، حتى ارتفع صوت الباطل ، وتاه صوت الحق فى هذا الضجيج المتعالى .

إن الأمر جد وفى حاجة إلى فحص العلل وأسبابها وصولا إلى تحديد الداء ووصف الدواء ، الذى يتمثل فى التنسيق التام بين جهات عديدة ، واقعها أنها تتصارع ولا تتعاون ، بل جهة تبنى أوتنصح ، وجهات أخرى عديدة تهدم وتتحدث عن قضايا فرعية تشغل بها المجتمع وتشعل بها نار الفتن لاسيما وأقوالهم منشورة وربما مأثورة ومقدمة على غيرها والله قد قال :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾
سورة المائدة

مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ
ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟
فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾

بينت الآيات السابقة حال الكفار المصرين على الكفر وحرب المسلمين ، وما نالهم من الهوان يوم بدر ، وهذه الآية ان باب التوبة مفتوح لمن يريدون الرجوع إلى الله ، فإذا هم انتهوا عما هم عليه من عناد الرسول ـ ﷺ ـ وحرب المسلمين عفت هذه الرجعة على كل ماقدموا من سيئات ، لأن الإسلام يجب ماقبله ، وقد جاء فى حديث عمرو بن العاص : «فلما جعل الله الإسلام فى قلبى ، أتيت النبى ـ ﷺ ـ فقلت : ابسط يدك أبايعك ، فبسط يمينه فقبضت يدى ، قال : مابك ؟ قلت أردت أن اشترط ، قال : تشترط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لى ، قال : أما علمت ياعمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟» .

وغفران ما قد سلف يشمل الغفران فى الدنيا وفى الآخرة ، يغفر الرسول ـ ﷺ ـ والمؤمنون للتائبين الراجعين إلى الإسلام بعد كفرهم ، فلا يطالبون بدم سفكوه ولا بدية لقتيل ، ولا بسلب أوغنم اكتسبوه فى حرب المسلمين .. ويغفر الله لهم فى الآخرة ، فلا يعاقبهم على شىء منه .

وفرق بعض الفقهاء بين الحربى الذى يدخل الإسلام وبين الذمى ، فقالوا إلى الحربى إذا أسلم لاتبقى عليه تبعة قط ، لامادية ولاغير مادية ، فلا يلزم برد ما سلب ولايكلف بإعادة صلاة فائتة ولا قضاء صيام أوزكاة ، وأما الذمى فتسقط عنه حقوق الله فقط ، وتبقى عليه حقوق الآدميين ، .

وهذه الأحكام تجرى على المرتد عن الإسلام ثم يعود إليه ، فعودته إليه إسلام جديد وانتهاء عن الردة وهى كفر ، وقال الإمام أبو حنيفة : إن المرتد إذا أسلم لايلزمه قضاء العبادات المتروكة فى حال الردة ، واعتبر «وإن يعودوا» تعبيرا عن الردة .

والآية على كل حال لاتعنى أن يلقنهم النبى ـ ﷺ ـ هذه العبارات ولكنها تعنى ان يعلن إليهم هذا الحكم ، وهو يندرج على أبى سفيان وصحبه ومن يأتون من بعدهم ، وقرأ ابن مسعود «إن تنتهوا بالخطاب ويغفر لكم» بالخطاب أيضاً ، وعلى هذه القراءة يكون الأمر بخاطبهم بهذه الجملة ، ومثله : «وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه» إذ لم يقل ماسبقتمونا إليه ـ فوجه الخطاب إلى غيرهم ليسمعوهم .

والفعل «يغفر» مبنى للمجهول ، أى تغفر لهم ذنوبهم تلقائيا ، وقرىء يغفر لهم بالبناء للفاعل ، أى يغفر الله لهم .

وجواب فى «وإن يعودوا» محذوف مفهوم من الجملة المذكورة «فقد مضت» والتقدير ، وإن يرجعوا إلى الكفر فسيلقون عاقبة عملهم كما لقيه السابقون منهم يوم بدر ومن الأمم السابقة التى تمردت على أنبيائها .

ومصداق هذه الأشياء كلها حدثت فى حياة الرسول ـ ﷺ ـ فهو فى حجة الوداع أعلن أن دماء الجاهلية موضوعة لاقصاص عليها ولادية ، وربا الجاهلية موضوع أيضا ، وبدأ بوضع دم ابن عمه وربا عمه .

وهناك أشخاص دخلوا الإسلام واستشهدوا ولم يصلوا ركعة واحدة ولكنهم استحقوا الجنة والتمتع بنعيمها ، من هؤلاء الأصيرم الأشهلى من بنى عبد الأشهل ، وكان من أعداء الإسلام الصادين عنه المثبطين قومهم عن اتباعه ، وقد جاء يوم أحد إلى المدينة فوجد قومه قد خرجوا مع النبى ـ ﷺ ـ للقتال ، ووقع فى قلبه الإسلام

فأسلم ثم أخذ عدة حربه وذهب إلى المعركة ، فقاتل حتى اثبتته الجراح ، وجاء قومه يلتمسون قتلاهم فوجدوه بآخر رمق ، فسألوه عن السبب فى خوض الحرب ، فقال : آمنت بالله ورسوله ، ولما ذكروه لرسول الله ـ ﷺ ـ قال : «إنه لمن أهل الجنة» .

ومن هؤلاء الاسود الراعى ، وهو حبشى كان يسمى «أسلم» وكان أجيرا لبعض يهود خيبر يرعى الغنم ، وجاء الى رسول الله فقال : اعرض على الإسلام فعرضه عليه فأسلم ، وساق الأغنام التى كانت بيده نحو الحصن ، فاندفعت إليه ثم حارب مع المسلمين فأصابه سهم من شخص مجهول فمات ، وقال النبى : «إن معه زوجتيه من الحور تنفضان التراب عن وجهه» .

وسنة الأولين من قبـــل هؤلاء المشركين المكيين ، أن الله سبحانه عاجلهم بالعقوبة حين كذبوا أنبياءه ، وقال جل جلاله :

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠ ﴾

سورة العنكبوت/٤٠

وعذاب الآخرة هو الأشق والأبقى ، ولكن سنة الله أن يعاجل بعض العصاة خصوصا مكذبى الأنبياء بالعقوبة ، ليكون ذلك ردعا للآخرين وتسلية وتشجيعا للأنبياء ، اللاحقين ، ونجد مثلا هودا عليه السلام يذكر قومه بما حدث لقوم نوح ، فيقول : واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح .

وصالح يذكر قومه بما حدث لقوم عاد «واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد» ، ويتكرر فى القرآن مثل «أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم» ، «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل» .

وتقدير الكلام فى آيتنا : «وان يعودوا إلى الكفر والعناد فسينالهم ما نال المكذبين من قبلهم ، وقد جرت سنة الله وطريقته بهذا ، وكان ينبغى أن يكفيهم ما أصابهم يوم بدر» .

«وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة» أى إلى ألا تكون فتنة ، أوكيلا تكون فتنة ، و«تكون» على كلا التقدير تامة بمعنى تحدث فتنة ، والأمر بالقتال فوق الأمر بالحرب .

والفتنة تصدق على الشرك الذى كانوا فيه وهو رد عن طريق الحق ، كما تصدق على ما كان يفعله المشركون بالمسلمين أوبمن يميلون إلى الإسلام ، وقد عذب كثير من هؤلاء الضعفاء وأوذوا حتى بعد الهجرة ، وقد أوذى المسلمون الأولون ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يمر بآل ياسر بن عمار وهم يعذبون فيقول لهم : صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ، ـ فالمسلمون مأمورون بالقتال ـ قتال المشركين كى ينقطع هذا التعذيب .

والشرك فتنة أكبر من كل فتنة ، فتنة للعقل وفتنة للقلب ، لأنه لفت عن عبادة الحق الخالق ، فالمعنى إذن قاتلوا حتى لايبقى شرك ولا كفر .

«ويكون الدين كله لله» لايستطيع أحد أن يفتن أحدا ويرده عن دينه ، هذا إذا كان دينا كديانة أهل الكتاب ، أما الشرك من عبادة الأوثان فليس إلا سفها للعقل وإهدار للكرامة الإنسانية ، والمسلمون لايكرهون كتابيا على ترك دينه

ودخول الإسلام ، وكان جماعة من أولاد الأنصار تنصروا وتهودوا منذ صغرهم ، وأراد أهلوهم أن يكرهوهم على الإسلام فنزل قول الله تعالى : لا إكراه فى الدين ، وأمر النبى - ﷺ - أن يخيروا - فمعنى كون الدين لله أن يكون خالصا له لا شرك معه .

فإن انتهو .. إى إذا انتهى المشركون عن الكفر وعن قتال المسلمين فلهم جزاؤهم من الله . فإنه سبحانه بصير عليم بأعمالهم وبنياتهم ، ويجازيهم عليها جزاء خيرا مما يطمحون إليه من أموال الدنيا وماديانها .

والتعبير بهذا أقوى من نحو فلهم ثوابهم فيثيبهم ، لأنه يحمل الدليل على المثوبة .

وقرىء « بما تعملون » بتاء الخطاب ، وهو إما خطاب للمشركين تنبيها على أن أجرهم ثابت غير ضائع ، وإما خطاب للنبى - ﷺ - وصحبه ، أى أن الله سيثيبكم بما بذلتم من جهد فى هدايتهم وإرشادهم إلى الحق .

وفى سورة البقرة :

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ ، بمعنى سالموهم إذا فاءوا للحق ، لأنهم حينئذ غير ظلمة .

« وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم » أى إذا أعرضوا عن سماع دعوتكم وأصروا على كفرهم ، فلا تيأسوا ولاتحزنوا ، وكونوا على ذكر أن الله معكم ، وهو ناصر دينه ، فلا يحزنكم أعراضهم ولاتحزنوا ، كما قال تعالى :

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة الشعراء

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ سورة الكهف

فالآية إذن تقوية وشد لعزائم المسلمين ، وتذكير بأن الله - سبحانه - متولى أمرهم ، وهو لا يضيع من تولاه ، بل ينصره على أعدائه ، إنه « نعم المولى ، ونعم النصير » فلا مولى مثله ولا نصير يشابهه .

الرحمن على العرش استوى (١)

وآراء العلماء في المتشابه

لفضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقي

من صفات الله تعالى التى يجب الإيمان بها مخالفته تعالى للحوادث :

وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢)

وجاء فى جوهرة التوحيد :

وكل نص أوهـــم الـــتشبيها أولـــه أو فوض ورم تنـــزيها

وقال الشاعر :

كل ما ترتقـــى إليـــه بوهـــم من جلال ورفعـــة وسنـــاء

فالـذى أبـــدع البريـــة أعـــلا منه سبحانه مبدع الأشيـــاء

وبين يدى ذلك وما يقرره من مبدأ نفى المماثلة بينه سبحانه وبين كل شىء . وبين بعض الآيات والأحاديث التى جاء فيها ما يحصل به الشبه من الأعضاء والجهة مثل قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾(٣) ، وقولـــه : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(٤) ، وقوله : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾(٥) ، وقولـــه : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(٦) ، وقولـــه : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ ﴾(٧) ، وقوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(٨) ، وقولـــه : ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾(٩) .

وفى الحديث الشريف : ﴿**إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفـــه حيث شاء**﴾(١٠) . كما جاء فى الحديث أيضاً : ﴿**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**﴾(١١). رواهما مسلم .

(.) الكاتب : وزير الأوقاف المصرية الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

(١) الآية ٥ من سورة طه .

(٢) الآية ١١ الشورى .

(٣) من الآية ٢٧ الرحمن .

(٤) من الآية ٨٨ القصص .

(٥) من الآية ٣٩ من سورة طه .

(٦) من الآية ٤٨ الطور .

(٧) من الآية ٤٧ الذاريات .

(٨) من الآية ٦٤ المائدة .

(٩) من الآية ٦٧ الزمر .

(١٠) رواه ابن عمر رضى الله عنهما ـ جامع الأحاديث حـ ٢ ص ٤٣٥ .

(١١) عن أبى موسى رضى الله عنه جامع الأحاديث حـ٢ ص ٣٤٠ .

وفى التنزيل : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ ، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾(١٢) ،

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ﴾(١٣) .

وقد أجمع العلماء ــ السلف منهم والخلف ــ على تنزيه تعالى عن الظاهر المفضى إلى التشبيه كما أجمعوا على الإيمان بما ثبت من ذلك وأنه من عند الله ، واختلفوا فى تعيين محمل له معنى صحيح وعدم تعيينه ، فذهب السلف إلى التفويض فى المعنى الذى أراده الله تعالى بعد الإيمان به والتنزيه عن الظاهر المستحيل ، قال ابن حجر فى فتح البارى ــ وهو قول مالك والثورى وابن عيينة والأوزاعى وأبى حنيفة والشافعى وابن حنبل . وهو قول أهل القرون الثلاثة ، وقال محمد بن الحسن : اتفق الفقهاء من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث الثابتة عن النبى ﷺ فى صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير ، وقال إمام الحرمين فى النظامية : اختلفت مسالك العلماء فى هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها وذهب السلف إلى عدم التأويل والتفويض إلى الله تعالى . وقال : والذى نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة اتباع السلف للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لكان اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان هو الوجه وإلى التفويض ذهب الصوفية أيضاً .

وذهب الخلف إلى التأويل وعليه الجمهور من المتكلمين وهو الواجب فى حق العوام لئلا تسبق عقولهم إلى المحال . قال الشعرانى : إذا خفنا على إنسان وقوعه فى محظور تعين التأويل . كما فتح لنا الحق تعالى باب التأويل بقوله فى حديث مسلم وغيره : « مرضت فلم تعدنى » فإن العبد لما توقف فى ذلك «قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين . قال أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده »(١٤) الحديث .

ثم ما كان له محمل واحد كهذا الحديث فإن السلف القائلين بالتفويض ليس أمامهم إلا العمل به قالوا وذلك قليل .

وقال الفخر فى تفسيره «لابد من التأويل ، قال : إزالة اللبس ، وفيه نظر» . فإن التأويل بمعنى صرف اللفظ عن المعنى الموهم متفق عليه بين السلف والخلف وإنما الخلاف بينهم فى التأويل بمعنى تعيين المراد . فالسلف فوضوا وأحالوا على علم الله تعالى ، والخلف عينوه فقوله تعالى : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾. فيه تأويلان :

الأول : أنه ليس بالمكان والحيز والجهة وهذا مجمع عليه .

---

(١٢) من الآية ٤ الحديد .

(١٣) الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة الملك .

(١٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه ــ الترغيب والترهيب جـ٤ ص٣١٧ .

والثانى : أن معناها بالعلم دون الذات . وهذا محل الخلاف . قال ابن المبارك : «إن تأويل المعية بمعنى العلم دون الذات قول مشهور ، بل حكى بعضهم الإجماع عليه وهو ما ذهب إليه ابن عطية فى تفسيره حيث قال : ﴿ **وهو معكم** ﴾ معنا بقدرته وعلمه واحاطته ، والمقصود بالإجماع المذكور الإشارة إلى أن هذا الرأى من أقوال أهل السنة وأما الاستواء على العرش فى قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فقد وردت كلمة الاستواء على العرش فى ست آيات من القرآن الكريم . قوله تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

وقوله تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يونس : ٣].

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان : ٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الرعد : ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [السجدة : ٤] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . [الحديد : ٤].

وفى معنى الاستواء يقول ابن جرير الطبرى فى قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾ وأحال عليه بعد ذلك تفسير الإستواء على العرش . الإستواء فى كلام العرب منصرف على وجوه ، منها انتهاء شباب الرجل وقوته ومنها استقامة ما كان فيه من أُوَدٍ من الأمور والأسباب فيقال استوى لفلان أمره إذا استقام له بعد أُوَدٍ ، والأُوَدُ الإعوجاج ، ومنها الإقبال على الشيء بالفعل ، ومنها استوى فلان على فلان بما يكرهه بعد الإحسان إليه ، ومنها الاحتياز ، والاستيلاء كقولهم : استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها ومنها العلو والارتفاع كقول القائل : استوى فلان على سريره يعنى علوه عليه وأولى المعانى بقول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾(١٥) يعنى علا عليهن وارتفع ، كما فسر العلو فى قوله تعالى فى آية الكرسى : ﴿ **وهو العلى العظيم** ﴾ فإنه يعنى والله العلى من قولك علا يعلو علوًّا إذا ارتفع فهو عال وعلى ، والعلى ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته وكذلك قوله العظيم : أى ذو العظمة الذى كل شيء دونه فلا شيء أعظم منه .

أ.هـ (النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب جـ١ ص٤٣٨ ـ ٤٤٨ بتصرف) .

وقال فى تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾(١٦) . أى ذو علو على كل شيء فلا

(١٥) من الآية : ٢٩ سورة البقرة .

(١٦) من الآية ٣٤ النساء .

تبغوا أيها الناس على أزواجكم إذا أطعنكم فيما ألزمهن الله لكم من حق سبيلًا لعلو أيديكم على أيديهن فإن الله أعلى منكم ومن كل شيء وأعلى منكم عليهن وأكبر منكم ومن كل شيء وأنتم فى قبضته فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن سبيلًا وهن لكم مطيعات فينتصر لهن منكم ربكم الذى هو أعلى منكم ومن كل شيء وأكبر منكم ومن كل شيء . «فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأقوام» .

والعرب تقول وهم الذين نزل القرآن بلغتهم إن العرش سرير الملك الذى يجلس عليه للحكم ، والإستواء عليه هو العلو عليه ثم كنوا به عن علو الملك والسلطان حتى صار يستعمل فى هذا المعنى بحيث يكون هو المقصود بالإثبات . فإذا قيل لم يستو فلان على العرش كان هذا المعنى هو المقصود بالنص ومن تتبع القرآن الكريم هداه إلى ذلك فقد أقام القرآن القرينة اللفظية فى كل موضع ذكر فيه الإستواء على أنه لم يرد ظاهره هذا ، والعلو المعنوى منتشر فى القرآن مستفيض فى لغة العرب فى وصف الخالق والمخلوق على ما يليق بكل .

يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾(١٧) ويقول : ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾(١٨). ويقول : ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾(١٩) . والظهور هنا هو العلو ولما ذاق المشركون حلاوة النصر المؤقت فى أحد قال قائلهم (أعل هبل) فأجابهم المسلمون عن قول رسول الله ﷺ :«الله أعلى وأجل» .

وفى شعر العرب :

ولما علونا واستوينا عليهم
تركناهم مرعى لنسر وكاسر

كل ذلك وما جاء فى القرآن وفى كلام العرب يفيد أن العلو منه حسى ومعنوى وللإشارة إلى أن علو المكان من علو السلطان فليس العلو المكانى إلا علو جسمانى أما العلو المعنوى فهو العلو الذاتى الأصلى . نفس المرجع ص ٩٩ ـ ١٠٢ .

وجاء فى كتاب الأسماء والصفات للبيهقى ص ٤٠٧ قال :

فأما الإستواء فالمتقدمون من أصحابنا رضى الله عنهم كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه أى فى الإستواء لنحو مذهبهم ، أى تفويضاً وتهيباً وأما من فسر الإستواء بالعلو الحسى والإستقرار والقعود والجلوس فهو قد جسم معبوده فى المعنى وإن لم ينطق بلفظ الجسم تعالى الله عن ذلك وقال ابن حزم : ذهبت طائفة إلى القول بأن الله جسم وحجتهم أنه لا يقوم فى المعقول إلا جسم أو عرض «فلما بطل أن يكون هذا عرضا ثبت أنه جسم . وقالوا : إن الفعل لا يصح إلا من جسم والبارى تعالى فاعل فوجب أنه جسم . أما قولهم : إنه لا يقوم فى المعقول إلا جسم أو عرض فإنها قسمة ناقصة ، والصواب أنه لا يوجد فى العالم إلا جسم أو عرض وكلاهما يقتضى وجود محدث له . فلو كان محدثهما جسماً أو عرضاً لكان يقتضى فَاعِلًا فَعَلَهُ ولابد فوجب بالضرورة أن يكون فاعل الجسم والعرض ليس جسماً ولا عرضاً .

---

(١٧) من الآية ١٣٩ آل عمران .

(١٨) الآية ٣١ النمل .

(١٩) من الآية ٢٠ الكهف .

يقول الأوزاعى : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا ، وقال عبدالله بن وهب كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال : يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ . كيف استواؤه ؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء[٢٠] ثم رفع رأسه فقال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه وفى رواية أنه قال : الإستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً فأمر به أن يخرج .

والآثار عن السلف فى مثل هذا كثيرة ، وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعى وإليها ذهب أحمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلى ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابى هذا رأى السلف .

وذهب أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى إلى أن الله جل ثناؤه فعل فى العرش فعلاً سماه استواء كما فعل فى غيره فعلاً سماه رزقاً ونعمة أو غيرهما من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ . وثم للتراخى والتراخى إنما يكون فى الأفعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه إياها ولا حركة .

كما ذهب كثير من المتأخرين إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة وفائدته الإخبار عن قهره مملوكاته . وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات فنبه بالأعلى على الأدنى ، والاستواء بمعنى القهر والغلبة شائع فى اللغة كما يقال : استوى فلان على الناحية بمعنى غلب أهلها قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق

أى غلب أهله من غير محاربة وليس ذلك فى الآية بمعنى الاستيلاء لأن الاستيلاء غلبة مع توقع ضعيف . ومما يؤيد ذلك قوله تعالى : « ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ » . والاستواء إلى السماء هو القصد إلى خلق السماء فلما جاز أن يكون القصد إلى السماء استواء جاز أن تكون القدرة على العرش استواء ، ومن حمله على معنى الاستيلاء حمله عليه بتجريده من معنى المغالبة ، الأسماء والصفات للبيهقى ص ٤١ .

ولقد كان قول الله تعالى[٢١] :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

مثار الاختلاف بين المفسرين فى معنى قوله الله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾

وفى المقالة القادمة بمشيئة الله ـ تعالى ـ نعرض لبعض أقوال المفسرين فى هذا الصدد .

« يتبع »

(٢٠) الرُّحَضاء : العرق الكثير .

(٢١) الآية ٧ آل عمران .

أم القرآن والمجتمع

للشيخ / حسين بسيومى حسن سليمان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥
ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ
ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

* روى البخارى فى أول كتاب التفسير فى الصحيح . عن أبى سعيد . رافع إبن المُقلّى — رضى الله عنه — قال : قال لى رسول الله — ﷺ — لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدى ، فلما أراد أن يخرج قلت : ألم تقل لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن ؟ قال : « الحمد لله رب العالمين . هى السبع المثانى والقران العظيم الذى أوتيته » .

روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال :

* بينما جبريل (عليه السلام) قاعد عند النبى ﷺ إذ سمع نقيضا-صوتا — من فوقه فرفع رأسه فقال .

هذا باب من السماء فتح اليوم — ولم يفتح قط — فى زمن مضى — إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال :

هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل إلا اليوم ، فسلم وقال :

« أبشر بنورين أوتيتهما ، ولم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته .

مقدمـــــة :

خلق الله الثقلين لغاية محدودة ، وهيأهم للقيام بها على بصيرة ربانية وقوة ذاتية باختصار ودون تقييد واجبار منه على أن يعرف كل نهاية سعيه وثمرة جهده « وان ليس للانسان إلا ما سعى وان سعيـــه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » النجم/٣٩ ـ ٤١ وتعهد لمن استقام على الطريق السوى وسلك سبل الاستقامة بالهداية والتوفيق والقبـول ما دام العهـد باقيا ، وعلى الطاعـة مستمرا .

ومن تنكب الطريـق ، وعصى الرحمن ، وأطاع الشيطان ، وأسرته الشهوات ، وتملكت غرائزه النفس الأمارة بالسوء تركه لمن باع نفسه اليهم وتخلى عن هدايته حتى يتوب ويعود اليه طالبا منه ـــ جلت قدرته أن يشمله برعايته وان يتجاوز عن خطاياه ، فهو الغفار ، التواب الرحمن ، الرحيم .

الصـــــلاة :

كانت الصلاة وهى الركن الثانى من أركان الاسلام هى التنفيذ العملى للمسلم بعد أن يدخل إلى حظيرة الإسلام ، ونور الايمان وكانت الصلاة قبل أن تبلغ الى الرسول الكريم ـــ ﷺ ـــ مباشرة ليلة المعراج ـــ ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى ـــ وقد أنزل الله أعظم سورة فى القرآن وفسرها سيد الأنام فى حديث سعيد بن رافع بأنها « هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوُتيتُه » البخارى .

ورد فى السبع المثانى روايات كثيرة منها :

١ ـــ تثنى فى الصلاة فى كل ركعة ، كما جاء عن ابن عمر بسند صحيح قال :

٢ ـــ فاتحة الكتاب أى « السبع المثانى » .

٣ ـــ تثنى بسورة أخرى فى كل ركعة .

٤ ـــ نزلت بمكة ، ونزلت بالمدينة ، ومثلها قوله تعالى :

« وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل »

ومثلها فى ذلك :ـــ

* خواتيم سورة النحل ، وأول سورة الروم ، وآية الروح .

* اشتمالها على ثناء ودعاء .... الخ .

قال الحسن البصرى :

« إن الله أودع علوم الكتب السابقة فى القرآن ، ثم أودع علومه فى الفاتحة ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسيره » .

وورد عن على ـــ رضى الله عنه ـــ « لو شئت أن أوقر على الفاتحة سبعين وقرا ، لأمكننى ذلك » وهو صحيح لحملها سائر ما يتعلق بالموجودات دنيا وأخرى ، وأحكاما ، وعقائد وتفسير ذلك يستغرق العمر كله وزيـادة ★ . أ. هـ دليـل الفالحين فى معنى « المثانى » ٣/٤٠٥ الحلبى ٧٧ .

ان الصلاة هى معراج الصالحين وربط صلة العابد بربه ـــ عز وجل ـــ وقد جعل لهذه الصلة أوقاتا مفروضة فرضا عينيا ، حتى تكون الصلة به موثقة بالزمان ، وترك له حرية الاتصال فيما بعد ، وعصم المؤمن فى كيفية الاتصال به بما شرع له من صنيع الحمد والثناء والطلب والرجاء على الهداية الربانية والعناية الآلهية .

ولأن الناس فى الحياه مختلفون فى طباعهـم ومشاربهم وأهوائهم حدد الخالق البارىء جل جلاله طوائفهم الأساسية ، والتى منها يتفرعون وإليها ينتمون كانت نهاية المطاف توجيه عهده

الذى أحبه وهداه وكتب على نفسه ــ تفضلا وتكرما ــ رحمته له أن يطلب اليه ، هدايته الى طريق عباد له هدوا الى الحق والى طريق مستقيم وأن يجنبه طريق قوم لُعنوا من الله وحلت بهم النقمة ، وآخرون ضلوا سواء السبيل . فهم ثلاثة فى جملتهم كما هو واضح فى أم القرآن والتى تليها

غاية الغــايات

إن فاتحة الكتاب قد اشتملت على معانى القرآن الكريم لقوله ــ ﷺ ــ « الحمد لله رب العالمين . هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيتُه » البخارى ــ كتاب التفسير ــ .

ولقول الحسن البصرى :

« إن الله أودع علوم الكتب السابقة فى القرآن ثم أودع علومه فى الفاتحة ، فمن علم تفسيرها ، كان كمن علم تفسيره » .

فهى مبتدأه بكلمات الثناء بما أحب الله تعالى ورضى أن يثنى عليه بها ، ثناء بأسمائه الحسنى وصفاته العليا .

وفى سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله ــ ﷺ ــ حدثهم أن عبدا من عباد الله قال :

« يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك » فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا الى الله فقالا :

يا ربنا إن عبدا قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها قال الله ــ تعالى وهو أعلم بما قال عبده ماذا قال عبدى ؟

قالا : يارب إنه قال : لك الحمد يارب كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى ، فأجزيه بها أ. هـ ابن كثير تفسير فاتحة الكتاب

إن فضائل فاتحة الكتاب أم القرآن الجامعة لكتاب الله تعالى ، المشتملة على الثناء الجميل والدعاء المعصوم لرب الوجود بالاقرار له بالعبودية التامة والألوهية المتناهية أن يصحح للعباد المخلصين طريق الحياة الدنيا ليسلموا فى الحياة الباقية وهذا نهاية المطلوب وغاية الغايات من الثناء والدعاء والإخبات ، وما قصدت فى هذا التصنيف أن يكون المقصود هو بيان الله تعالى لفئات المجتمع الانسانى فى الحياة الدنيا توضيحا علميا من خلال توجيهات الحق جل جلاله وهو ما ختم الله به هذه السورة فى أجمل بيان وأوضح غاية كما قال تعالى موجها عباده أن يتجهوا اليه به عباده خالصة له » .

« اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين » لقد ورد فى الحديث القدسى :ــ

« يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم « رياض الصالحين باب المجاهده » على معنى هذا الحديث يكون المطلوب من العباد ان يطلبوا الهداية وأن يضرعوا اليه كى يجنبهم الغواية فالناس على فئات ثلاث :ــ

(ا) مهتدون : وهم أهل الاستقامة والطاعة لله ولرسله ، امتثالا للأوامر ، وتركا للنواهى .

(ب) مغضوب عليهم : قد فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه ولا صراط لهم عليه يسيرون .

(جـ) ضالون : قد فقدوا العلم وفسدوا العمل ، فهم ضالون لا يهتدون الى الحق « وأكد الكلام بلا ليدل على أن ثم مسلكين

قاصدين ، وهما طريقة اليهود والنصارى .

ا. هـ « تفسير ابن كثير » بتصرف

بيـــــان
أقسام المجتمع الانسانى
خاتمة لســـورة الفاتحة

اقال تعالى :

« اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين » .

(ا) المنعم عليهم بالهداية السالكون طريق الاستقامة .

(ب) المغضوب عليهم ، المطرودون من رحمته المستحقون لنقمته .

(جـ) الضالون : السالكون لطريق الغواية ظانين أنهم على الهداية .

الفريق الأول :

أهل الهداية والرضا والقبول فلا نعمة أجل من الهداية ، ولا فضل أعظم من توفيق الله عباده إلى طريق الايمان قال تعالى : وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ الحجرات/٧ ، ٨

لقد أوضح الله أهل الصراط المستقيم بأنهم المنعم عليهم بأجل النعم أعظمها ، فهم أهل طاعة الله ورسوله ففى سورة النساء قال تعالى :

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ » النساء/٦٩ ، ٧٠ .

« قال العلماء هم أهل الاسلام الحق حيث لا يقبل غيره قال تعالى :

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ال عمران/٨٥ .

« روى الامام احمد ، والترمذى وغيرهما باسناد صحيح عن النواس بن سمعان عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قال :

« ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جَنْبَتَىْ الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول :

يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا ، وداع يدعوا من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه .

فالصراط الاسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط : كتاب الله ، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم .

ا. هـ تفسير ابن كثير لفاتحة الكتاب

ولما كانت الفاتحة جامعة لما اشتمل عليه التنزيل الحكيم من الاجمال البيانى من غير إخلال بالمعانى أَوْرَدَ الله صفات الفريق الأول فى المجتمع الانسانى بما سبق بيانه ، والسورة التالية سنام القرآن وذروته .

قال ابن عَلان صاحب دليل الفالحين : سميت البقرة بقسطاط ـــ القرآن ، لأنها : فصلت فيها

الأحكام ، وضُربت فيها الأمثال ، وأقيمت فيها الحجج ولعظم فهمها أقام عمر ــ كما فى الموطأ ــ ثمان سنين على تعلمها . أ. هـ دليل الفالحين ٥٣/٣٠ ط الحلبى

جاء وصف الفريق الأول فى سورة البقرة بالتقوى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » فى آيات خمس ختمها الله تعالى بقوله :
« أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .
ولا تضارب فى المعانى وإنما ايضاحُ بَعْد إيضاح والله الموفق للصواب .

الفريق الثانى
من المجتمع الانســـــانى

قال تعالى :

« غير المغضوب عليهم » من هم المغضوب عليهم ؟
أجمع أهل العلم لما ورد فى الأحاديث بأن المغضوب عليهم هم اليهود ولا اختلاف بينهم أى أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ فى هذا لتوارد الأحاديث ولما جاء فى القرآن الكريم فى شأن اليهود قال تعالى :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
. البقرة/٨٧ ــ ٩٠

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ المائدة/٦٠

وعلى ما سبق بيانه أن المغضوب عليهم هم اليهود كما هو وارد فى الأحاديث وفى الآيات السابقة ، وهذا فى أم القرآن إجمالا للصفات وإحكاما للبيان فهم بذلك الصنف الثانى من المجتمع الإنسانى ، مع أن هؤلاء جاءت صفاتهم فى السورة التالية بأنهم الكافرون وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، فلعل هذا البيان عام ، وخاصة أنه ورد فى شأن المشركين والمنافقين مثل ما ورد فى شأن اليهود . قال تعالى :ــ

وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾

وفى شأن قتل المؤمن عمدا قال تعالى :ــ

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾
النساء ٩٣

إذاً فالمغضوب عليهم هم أهل اللعنة سواء أكانوا من اليهود خاصة ، كما جاء فى الأحاديث والقران أم من الكافرين والمشركين والمنافقين فهم المبعدون من رحمة الله ـــ تعالى ـــ وقد طلب من عباده المؤمنين أن يسألوه دائما وأبدا الهداية إلى طريق الحق ، والإسلام طريق أهل الطاعة والإنعام والبعد بهم عن طريق الفجور والطغيان ، فهو المستعان على كل حال يهدى الى الحق ، والى صراط مستقيم .

الفريق الثالث والأخير من المجتمع الانسانى

قال تعالى : ولا الضالين .

من هم الضالون الذين أكد الله الكلام بلافيهم كما قال ابن كثير فى نفسيره : ليدل على أن ثم طريقين ومسلكينَ قاصدين لا طريق واحد طريق اليهود وهم المغضوب عليهم ، وطريق آخر وهم الضالون « ابن كثير بتصرف » .

فالمغضوب عليهم هم اليهود كما أجمع أهل الحديث ، وما أشار اليه القرآن الكريم والضالون : هم النصارى عند أهل الحديث إجماعا .

ويقول الله تعالى :

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

المائدة/٧٧

فإن أخص أوصافهم الضلال ، فهذه الآية السابقة جاءت خاتمة لآيات غاية فى بيان الضلال المبين للنصارى خاصة قوله تعالى :

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ

وقوله :

« لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ » .

الآيات المائدة/٧٢ ـــ ٧٦

هذا التقسيم للمجتمع الانسانى فى أم القرآن الكريم له إجماله خلافا لقول المفسرين حيث أنه عام شامل لكل من وصفهم الله تعالى ، وأوضح هذا التقسيم فى سِنَام القرآن وفسطاطه فى سورة البقرة ثم أسهب البيان فى عموم القرآن .

وحيث إن الضلال واضح فى المنافقين فمنهم المنافق الخالص ، ومنهم المنافق المتردد بين الكفر والايمان كما سيأتى بيانه فى سورة البقرة وما يليها .

هذه خلاصة لما قصدنا ابرازه لمجتمع ارسل الله له محمدا ـــ ﷺ ـــ شاهدا على كل المكلفين فهو رسول الانسانية جمعاء أبيضهم وأحمرهم إنسهم وجنهم ، هو البشير النذير المبعوث رحمة للعالمين أوجز الله وظيفته فقال :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

الاحزاب/٤٥ ـــ ٤٨

فالمؤمنون المقيمون للصلاة المتجهون الى الله بما شرع لهم ، المقتدون برسول الله لهم عند الله الفضل الكبير ، والأجر العظيم ، فقد أنعم عليهم

بالهداية ووفقهم للطاعة فكانوا على هدى من ربهم ، وكيف لا وقد وعدهم الله كما وعد رسولهم الكريم فى حديث جبريل ونزول ملك من السماء مبشرا لرسول الله — ﷺ — « ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة — لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته » رياض الصالحين — باب الحث على سور وآيات مخصوصة .

أم القرآن وعطاء الله للطائعين المنعم عليهم

قال تعالى :

« إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا » . النساء/١٠٣

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ هود/١١٤

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ
الشورى ٢٥ — ٢٦

الصراط المستقيم :

لقد علمنا مما سبق أن الصراط المستقيم هو طريق الاسلام بما تعنى الكلمة من اخلاق سامية بها بلغ خليل الرحمن مكانة عظيمة حيث قال له ربه :

« إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » .. البقرة/١٢٤ .

وقال للناس من بعده « وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ »
البقرة ١٣١/١٣٠

هذا الطريق الذى طالب الله من عباده المتقين أن يسألوه « اهدنا الصراط المستقيم » .

صراط الذين أنعمت عليهم :

فمن هم المنعم عليهم ؟

انهم الصفوة المنحازة الى جانب الله تعالى ، راجعين اليه فى كل أمورهم بالخيرات شاكرين أنعمه مما أصابهم من عثرات ، سائلين الله عفوه ومغفرته ، لعلمهم به خائفين أن ينزلقوا بالذنوب ويضلوا بالخطايا صراط الاستقامة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين » هذا مضمون خلقهم وفى التنزيل الحكيم ما ينير لهم الطريق ويوصلهم الى درب السلامة حيث قال :

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ
الشورى/٢٥

إن اعظم نعمة ينعم الله بها على عباده ، أن يعهد إلى الحق ، ويرزقهم سلوك الطريق القويم وأن يبصرهم بذنوبهم ويلهمهم التوبة والاستغفار والرجوع الى الله دائما وأبدا وعلى كل حال وبهذا أرشد المختار — صلوات الله وسلامه عليه — الأمة فى أضوائه .

لقد روى البخارى عن شداد بن أوس — رضى الله عنه — عن النبى — ﷺ — قال :

سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على وعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء ـــ أقر وأعترف ـــ لك بنعمتك على وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب الا انت ، من قالها فى النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » . رواه البخارى (رياض الصالحين كتاب الاستغفار)

وسائل إنعام الله :

لقد جعل الله لكل عطاء سببا يعطى به المؤمن ما تفضل به عليه وهو ذو الفضل العظيم ، ويضع الاختبارات أمام طلاب العلا ، ليعطى كل مجتهد درجة اجتهاده على قاعدتى الثواب والعقاب فاذا أثاب فبفضل واذا عاقب فبعدل قال تعالى :

« إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » .

وفى الحديث القدسى الذى رواه ابن عباس وعن النبى ـــ ﷺ ـــ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال :

« إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة ، وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » متفق عليه ـــ رياض الصالحين ـــ باب الاخلاص) .

هذه طريقة المعاملة أعلمها الله تعالى عباده عن طريق الكتاب المحفوظ والنبى المختار ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ ليعلم كل ما ينتهى إليه الطريق الذى يسلكه .

فالمتقون كما عبرت عنهم سورة البقرة ، والمنعم عليهم كما عبرت عنهم سورة فاتحة الكتاب يسلكون طريق النجاة ، طريق الله المستقيم سائلين الله باللسان ومُتبرهنين بالأعمال أنه هو الهادى والموفق والمعين : أن يهديهم صراطه المستقيم ، ويوفقهم الى خير الأعمال وأن يتقبل عنهم أعمالهم فهم على علم بالله ، وإدارك لما يقدمون من أعمال ، وقد جعل الله تبارك وتعالى من هؤلاء مثلا عليا جعلهم سببا بأخلاقهم لبيان ما ينزل من قرآن كريم .

قال تعالى :

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

. التوبة/١٢٤

إن أحداث إرساء القواعد الأخلاقية لهذه الأمة تتجمع فى دائرة الضوء الإيمانى لتنير للسالكين طراطه المستقيم ، طريق من أنعم عليهم بفضله ، وكرمه وعطائه الكريم / روى الامام مسلم عن أبى هريرة ـــ رضى الله عنه قال :

« لما نزلت على رسول الله ـــ ﷺ ـــ لله ما فى السموات وما فى الارض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله « الآية » اشتد ذلك على أصحاب ـــ رسول الله ـــ ﷺ ـــ فأتوا رسول الله ـــ ﷺ ـــ ثم بركوا على الرُكب فقالوا : أى رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق (الصلاة والجهاد والصيام والصدقة) وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، فقال رسول الله ـــ ﷺ ـــ :

أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا

غفرانكِ ربنا واليك المصير ، فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم أنزل الله تعالى فى إثرها : « ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ » فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى : وانزل الله عز وجل « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا » قال نعم : « رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا » من ، قال نعم . « رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ » قال نعم . « وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ » قال نعم

هذا المنهج الايمانى ، والنور الربانى ، والتربية الاخلاقية فى أسمى ما يرق اليه ، بل هذا التوفيق من الله والاستجابة من عباده ، والطاعة والانقياد لحكم الله ــ تعالى يوشحها الله ــ تبارك وتعالى فى وعده المحقق لطلاب الصراط المستقيم قال تعالى :

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ سورة النساء

العطاء الجزيل والمدد المستمر :

كما كان هذا العطاء ، بتوفيق العباد الى الاهتداء بالسير على طريق الفلاح كان لابد من الزاد حتى يبلغ المسافر وطنه الدائم ومستقره الأبدى فأنزل الله على رسوله ما أخبرنا به وسجلناه فى صدر الصفحة الأولى بنزول ملك من السماء بعطاء الله لمحمد وامته نورا مستمرا الى يوم الدين قائلا له : « أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبىّ من قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته » .

إنه قرآن يعطى القارىء بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها كما جاء فى حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، ولا أقول « ألم » حرف ، بل « ألـــــف » حرف ، « ولام » حرف ، « وميم » حرف . (رياض الصالحين : كتاب الفضائل)

وهذا عطاء آخر إنه إجابة الداعى إذا دعى وعدا من الله تعالى كما مر فى حديث أبى هريرة ، وقال نعم « عند كل طلب ، وما شرع الله بأن تقرأ أم القرآن فى كل ركعة من الصلاة فى أجل القربات إلا ليحقق بفضل منه ومنه على الطائعين ما وعد ومن أوفى بعهده من الله فإنه لا يخلف الميعاد .

وما كان عطاء ربك محظورا :

عن أبى مسعود البدرى ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه »

والمعنى كفتاه المكروه تلك الليلة ، وقيل كفتاه من قيام الليل (رياض الصالحين) .

هذا وعند الله المزيد من التوفيق ومن العطاء ومن الرضا والقرب فمن تقرب إليه شبراً تقرب إليه ذراعا .. إلخ .

فاللهم اهدنا صراطك المستقيم ، وجنبنا طريق الغاوين إنك نعم المولى ونعم النصير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فهو يقول الحق وهو يهدى السبيل ، والله أجل وأعلم .

وحدة الرسالات الإلهية

منزلة الإنسان فى القرآن

بقلم: فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان
مدير عام الوعظ سابقاً

— ٢ —

وليت الإنسان يدرك أن الله تعالى قد كرمه فى القرآن : فيقابل الإحسان بالإحسان والله يقول : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ سورة الإسراء

وإن المؤمن ليدرك ذلك ويعرف قيمة نفسه وفضل ربه عليه ، وآلاءه التى بين يديه ولكن المنافق يأبى إلا أن يكون ظلوما جهولا ، أفيجهل مسلم نعم الله عليه التى لا تحصى ولا تعد ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (سورة إبراهيم – ٣٤ –)

«أجمل صورة»

إن الله قد خلق الإنسان فى أحسن تقويم . وأجمل صورة . بخلاف الحيوان الذى يَنكَبّ على وجهه ليتناول طعامه وشرابه بفمه ثم هو مسخر لخدمة الإنسان والله يقول ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ (سورة يس – ٧٢ –) تلك هى الأنعام التى جعلها الله مملوكة للإنسان الذى فضله ربه بالعقل والتمييز والمنطق والعلم وبالمعارف كلها وقال ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة البلد)

والإنسان حين يقرأ قول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا... ﴾ (سورة البقرة ٢٩) يرى عناية الله بعباده فقد خلقها كلها لمصلحة الإنسان ولإسعاده : وكلمة «جميعا» تشمل الماء والهواء والبحار والفضاء والثمار والأشجار وكذلك الله خلق الشمس والقمر والليل والنهار ، وأنبت من الأرض نبات كل شىء وجعل من الماء كل شى حى ، والقرآن زاخر بتعداد النعم فى آيات بينات تهز المشاعر وتأخذ بالألباب والله يقول :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾

(سورة ابراهيم عليه السلام ـ ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤) ، والله آياته كثيرة ونعمه وفيرة لا حصر لها أفلا يستحق كل ذلك شكر الله بطاعته ومراقبته وخشيته ؟

«وحفظ الأنساب تكريم للإنسان»

ومن نعم الله فى شرائع الله أن نسب الأبناء للآباء فشرع الزواج وجعله آية : فهو سنة المرسلين وشريعة الله للمسلمين ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) (سورة الروم ـ ٢١ ـ)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ (سورة الرعد ـ ٢٨ ـ)

وهكذا يبين لنا الله تبارك وتعالى فضله على عباده ليعرف الفضل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وليتجهوا إلى ربهم وحده مخلصين له الدين ليمنحهم رضاه ويدخلهم جنات النعيم إنجازا لوعده : ولن يخلف الله وعده : وهو القائل

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ (سورة مريم ـ ٩٦) لأن التقوى تصلح البال وتنفع الذرية

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ﴾ (سورة محمد)

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ الشورى ٢٢

وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ (سورة العصر)

ومجالات العمل الصالح كثيرة وأبواب الخير وفيرة ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٧٦) (سورة مريم

ولا ريب أن التقوى تنفع صاحبها فى الدنيا والآخرة ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأعراف ـ ٩٩

الفوز والنجاة فى العودة إلى منهج الله

يقول الله عز وجل :

﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾ سورة مريم

وفى قوله تعالى ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا﴾ تأكيد بين العدل الإلهى ، لأن الله لا يظلم مثقال ذرة ولكن الناس يظلمون أنفسهم بابتعادهم عن ربهم الذى أقام الإسلام على أساس متين ، وهو الإيمان بالله الواحد القهار ليلتزم الناس به فى كل وقت وحين ، وبالإيمان السليم والخلق القويم تطهر المجتمعات من كل رجس وخبث فلابد من الأخذ بالفضائل ، وتجنب الرذائل التى تجر إلى المحن المزعجة المقلقة وتدفع الى الفسوق والعصيان ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (١١٧ سورة هود) ولابد من دين الله لدنيا الناس :

ولا يصلح آخر هذه الأمة

إلا بما صلح به أولها

لا ريب أن رسل الله عليهم السلام بذلوا فى سبيل الله جهودا غير عادية قد قصها الله علينا للعبرة منها ؛ فقد كانوا أبطال التضحية المخلصة المجردة : ولكنهم جعلوا أجرهم عند رب العالمين ، وأما خاتمهم سيدنا محمد عليه السلام فقد قص الله عليه ما حدث لهم ليثبت بهذا القصص فؤاده : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (سورة هود ـ ١٢٠) والأمة المحمدية ـ اليوم تشعر بالحنين إلى ماضيها المشرق المضىء يوم كانت أمتهم أمة واحدة ، ولكن هذا الشعور لا يكون بقول يحكى ولا بتاريخ يتلى : ولكن بنفوس قوية مطمئنة وأخلاق كريمة تبنى كما جاء بها الإسلام ولا تهدم ما بناه الإسلام لكى يبقى مدى الحياة : أفيعجز كل مسلم عن بناء بيته على العزة والعفة والصدق والوفاء ، ويؤسسه على المودة والرحمة والنقاء ؟ ، ولو سئلت ما هو أقرب طريق لبناء الأمة بناءً سليما قويا قويما لما ترددت فى أن أقول إنه البيت فهو الأساس ، ثم المدرسة لتكون تربية وتقوية وتزكية وتثقيفا : وهذا يحتاج لصدق العزيمة وعلوا الهمة وحسن النية والانتماء المخلص ، وأما أمة القرآن والعلم فعليها الاقتداء بهداية السماء ورسالة الأنبياء ، وليتأسَّوْا ـ أى أهل العلم والقرآن بصاحب الخلق العظيم عليه السلام الذى كان ولا يزال الأسوة الحسنة لأتباعه جميعا أينما حلوا وأنى وجدوا وان إختلفت أوطانهم وألوانهم فليوحدوا كلمتهم ، لأن الله قال لهم ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (سورة الأنفال ـ ٤٦ ـ)

إن الإصلاح يحتاج للصبر والله تعالى قد قال لرسوله الكريم ـ ﷺ ـ ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (سورة الأحقاف ـ ٣٥ ـ) وأولوا العزم هم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، وكُل كان هدفه الهداية وإصلاح المجتمع وفى ارتباط الرسول بالأنبياء المرسلين السابقين يقول تبارك وتعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾(سورة القلم

وكان هذا الارتباط عن طريق القصص القرانى (أحسن القصص) وهذا أحسن أثر وأصدق خبر لمعرفة العظة والعبرة من القصة القرآنية الخالدة ، لأن القرآن جعله الله خالدا محفوظا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ (سورة الحجر)

وأما إمام المرسلين وخاتم النبيين فهو أسوة حسنة للمسلمين فى شتى بلاد العالمين قولا وفعلا وأمرا ونهيا وتقريرا وصفة ومنهجا ومسلكا : لأنه لا كتاب بعد القرآن وليس بعد رسول الله رسول ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سورة سبأ - ٢٨ -) والله يقول ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ ﴾ (سورة الإسراء)

منزلة رسل الله عليهم السلام

إن مكانة رسل الله عليهم الصلاة والسلام فى تاريخ الإنسانية مقدسة لا يصل إليها أحد من الأبطال العباقرة : ولا يرتقى إليها ذو جاه أو صاحب سلطان مهما كان شأنه وذلك لأن الله إصطفاهم على العالمين ورباهم واجتباهم ورعاهم بعنايته واصطنعهم لنفسه ، ولن يدرك لله حد مرتبتهم مهما نال من النبوغ والذكاء لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (سورة الحج - ٧٥ -) وبعد أن ذكر الله أسماء عدد من أعلام الأنبياء فى سورة الأنعام مبينا أقدارهم ومنازلهم يقول جل جلاله : ﴿ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ ويقول : ﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٨٨ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ۝٨٩ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ۝٩٠ ﴾ (سورة الأنعام)
هذا مكانهم من الله وموضعهم فى التاريخ الإنسانى فهم أئمة الهداية وقادة الرشد والإصلاح ، والنبوة منحة وهبة من الله تعالى لبعض الخاصة من اصفيائه المخلصين ليهتدوا بهديه وليبلغوا رسالاته والله «يختص برحمته من يشاء» .

الرسالة المحمدية خالدة

ولو قدمت الرسالة المحمدية اليوم صافية نقية لهؤلاء الحيارى الذين لا يعرفون حقيقتها وأهدافها لأنقذتهم من هذا التخبط فى المتاهات والجهالات والمذاهب التى لا يهتدى بها ضال ، وذلك لأن هذا العالم الحائر القلق فى حاجة الى هداية الله التى جاء بها خاتم رسل الله من عند الله ، وهى التى تهدى للتى هى أقوم ، وإن الدعوة المحمدية قادرة على قيادة الناس الى الخير ، فهى تشتمل على أعظم منهاج وأضخم نظام يحقق العدل ويصلح المجتمعات وينشر الفضائل ، لأن الباطل زاهق فلا يتحرك إلا فى غفلة الحق القوى الذى يطارده ويمحقه ويزهقه (إن الباطل كان زهوقا) ، وما

بعث الله رسلا مبشرين ومنذرين إلا لهداية من انطمست بصائرهم ليردوهم الى رشدهم ومعرفة ربهم ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (سورة الحديد ـ ٢٥ ـ) وتلك هى عقيدتهم ورسالتهم وهى رسالة خاتم الرسل التى جاءت شاملة كاملة خالدة تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونظام الاسلام يلازم المسلمين فى حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم ، وفى سرهم وعلانيتهم ، فى صداقتهم وعداوتهم ، فى سلمهم وحربهم ، فى قيامهم وقعودهم ، فى قوتهم وضعفهم ، لأن الله يعلم السر وأخفى ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولهذا فإن الأخلاق الاسلامية لا تفارق المسلم فى معاملاته وعبادته وسلوكه كله ، ليكون راسخ الإيمان ثابت العقيدة عزيز النفس قوى البأس ومن اعتز بالله فلن يذل لأحد سواه ، فلا يعبد إلا إياه ، فلا ملجأ من الله إلا إليه ولا توكل إلا عليه ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ (سورة الانعـــام)

وحدة الضمير والمصير

ولقد آن للمسلمين أن يكونوا ـ كما أرادهم الله ـ أمة واحدة : قوية البنيان تعتصم بحبل الله ، فقد قدمت رسالات الله تعالى للبشرية القدوة فى شتى العصور ، ثم جاء الاسلام لهداية البشرية كلها فاكتملت به الملة وتمت به النعمة ، وارتضاه الله لنا دينا فأشرقت الأرض بنور ربها بنزول القرآن ، وسطعت شمس الهداية برسالة سيدنا محمد بن عبدالله عليه السلام ، وهى التى جاءت لتحقيق العدالة وحماية الأمن وإنقاذ خلق الله من ظلم الطغاة الشاردين من هداية الله تعالى .. ونحن نعرف أن الوحدة والقوة لابد منهما لتأمين العقيدة وحماية الملة ورعاية مصالح الأمة فنحن كثيرون بالوحدة قليلون بالفرقة التى نهانا عنها ربنا فقال ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (سورة آل عمـــران ـ ١٠٥ ـ) فإن لم يتيسر توحيد الأمة الواحدة فيمكنهم أن يعرفوا أنهم أخوة وأن ملتهم واحدة وقبلتهم واحدة وإلههم واحد فهو يقول للمسلمين ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ويقول لهم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة الحجرات ـ ١٠ وسورة الفتح ـ ٢٨ ـ) .

«الأمة المحمدية باقية»
(ببقاء القرآن الكريم)

ولقد أكرم الله الأمة الإسلامية بسيد البشرية خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، وأكرمها بنزول القرآن وجعله محفوظا لا يتبدل ولا يتغير لأن دعوة القرآن لأمة القرآن جميعا : ولأن الرسول سيدنا محمد خاتم المرسلين ورحمة الله للعالمين وشريعة الله ليس بعدها شريعة ؛ فهى ملائمة للحياة فى شتى العصور والدهور ، لأنها جمعت أشتات الأمم فى أمة واحدة ، نظامها واحد مهما حاول البعض أن يشكك حقدا على هذا

الدين أو غباء أو غير ذلك ، ومن القرآن الكريم الخالد نأخذ التوجيهات الإلهية فى شتى نواحى الحياة فهو يهدى للتى هى أقوم وهو يهدى أقواما رضوا لأنفسهم الهداية ، وأقبلوا عليها باختيارهم ، لأن الدعوة الحسنة مبدأ قرره الإسلام ، فلا إكراه فى الدين ، ولكنه جعل باب التفاهم مفتوحا ، لأن الله وهب العقل لعباده للانتفاع به والله جعل الإسلام لنا دينا خالدا فهو لا يقبل تعطيلا فهو دين يتمشى ويتسع لكل شئون الفرد والجماعة لينالوا حظىْ الدنيا والآخرة . ولا أقول كلمة (إنه صالح لكل زمان ومكان) فهى محدودة المعنى !! ، إنه الدين القيم والإسلام هو الدين الذى تصلح به الدنيا ويستقر به الأمر ويستتب به الأمن ويطمئن إليه العقل ولقد خاطب الله الناس جميعا فقال ﴿ **ياأيها الناس**﴾ ليدخل فى الخطاب جميع الناس وهذا هو مظهر الرحمة بالعالمين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء ـ ١٠٧ ـ) وهذا يشير إلى أن الإسلام عام عالمى : ولقد وضع لنا الإسلام أسس الخلق والفضيلة وأعلن للدنيا حقوق الإنسان كاملة ، ومنها حق المرأة فى حدود الفضيلة الحقة التى تحمى لها كرامتها ، لذلك كانت الإنسانية كلها مدينة للإسلام فى كل ما وصلت إليه من خير وهدى ورشاد ، ولا يغض من هذا الفضل عدم اعتراف الجاحدين والجاهلين والمنحلين من أولئك القوم الشاردين من هداية الله ، فهم لا يشعرون بقيمة الحضارة الإسلامية التى صنعت الرجال وكونت الأبطال ممن هداهم الله ، ومن هؤلاء الأبطال الذين لم ير التاريخ مثلهم ـ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الذى قال له رجل اتق الله ياعمر ، فقال بعض الجالسين أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ، فغضب عمر وقال : (ألا فلتقولوها والله لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها) ، فلقد كان عمر رضى الله نموذجا إنسانيا مثاليا يعجز الزمان عن الإتيان بمثله ، ومن الناس من ينصح فيغضب ، ومن الناس من ينصح فينفر ، ومنهم من ينصح فيقرب بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة إبراهيم

إن الكلمة الطيبة لها تأثيرها الكبير فى نفوس الناس ، ولكن أهل الأهواء لا يتقبلون إلا ما يرضى أهواءهم ، والله تعالى يقول :

﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة النور)

ولقد قامت الحجة على الناس بإرسال رسل مبشرين ومنذرين فلا يعيشون فى ضلالة وجهالة والله يقول : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (سورة النساء ـ ١٦٥ ـ) والمؤمن يعيش طيب النفس قوى الإرادة ثابت العقيدة حسن السيرة نقى السريرة ومن هؤلاء المؤمنين يتكون المجتمع السليم المتماسك المتراحم يتعاون على البر والخير والإخلاص فى العمل ، لأن العاملين الأقوياء فى الاسلام خير من الضعفاء ولو تظاهروا بأنهم أتقياء

لأن الإيمان «الحق» ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

وللإسلام أعداء

وللإسلام فى شتى العصور أعداء يتربصون ويكيدون ويتآمرون لإرضاء أحقادهم المقنعة التى لا تريد بالمسلمين خيرا فقد بدت البغضاء من أفواهم وما تخفى صدورهم أكبر : وهم اليوم ـ يعملون بأساليبهم وألاعيبهم ـ على تفتيت وحدة المسلمين وتمزيق قوتهم بمؤامرات خبيثة تهدم الروابط بين أقطار المسلمين فاتخذوا لهم بطانة من المسلمين بغير إسلام يمدونهم بالأسرار والأخبار بالتجسس الرخيص والعمل الخبيث ولكن «لا ينفع الأصل من هاشم اذا كان النفس من باهلة»

وأبأس خلق الله فى الناس أمة
تضام ومنها للذى ضامها جند

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الصف

وكيف نحمى الشباب من المكائد ؟

دين الإسلام القيم لا يسمح لأتباعه باعتناق المذاهب الضالة والأفكار الضارة التى تضع السم فى الدسم بخدائع شيطانية ذكية فهو يحذر المسلمين من شر الدخلاء الأعداء الألداد الذين لا يريدون بدينهم خيرا وليعلموا أن هذه المذاهب لا يتقبلها منهم إلا من سفه نفسه وأضله الله على علم فنسى الله فأنساه نفسه فتخلت عنه عناية ربه فتعقدت أموره والتوى سلوكه ، ولا عجب فلا يرتبط بدين الله وعقيدته وأخلاقه فى جميع أحواله إلا من علم أن الإسلام جاء لبناء المكارم بالعقل والعدل، ورقة المشاعر ويقظة الضمائر واستقامة السلوك بأداء الأعمال التى تحقق الآمال ، وللدين القيم (الإسلام) قدسية ومكانته فى قلوب المتقين من شبابنا وشيبنا من أبناء الأمة المحمدية وشبابنا من خيرة الشباب فلا يغريهم إغراء جذاب من الذين يفسدون فى الأرض ، ومنهم من يتحرك لغزو العقول والأخلاق لاستهواء الضعفاء الذين لم يتعلموا الدين فى الدار منذ نعومة الأظفار ، فلم يرتبطوا بمبادئه ولم يجلسوا على موائده فللبيت أثره فى صيانة الأبناء من عبث الأشرار من الاخلاء بتحذيرهم من صحبة الأشرار فمن صاحب العلماء وقر ومن صاحب السفهاء حقّر ، والسفهاء هم المستهترون بدينهم وابتعدوا عن الفضائل والشمائل واتخذوا هذا القرآن مهجورا ، فلم يكن يهديهم للتى هى أقوم ولكن المسلم إذا تسامى بأخلاقه وترفع عن الخضوع المذل للنزوات والشهوات من غير الطيبات فقد سلم دينه وقوى يقينه وهدى إلى صراط مستقيم .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾

سورة آل عمران

ارتباط الهجرة بالجهاد

للشيخ / محمد صابر البرديسى

عن مُجَاشِع بن مَسْعُود السُّلَمِىّ قال : « أَتَيْتُ النَّبِىّ (ﷺ) أُبايِعُه عَلى الهجرة ، فقال : إنَّ الهجْرَةَ قَدْ مَضَتْ لِأَهْلِهَا ، ولكَنْ على الإسْلام والجِهَادِ والخَيْرِ »
« رواه مسلم » .

اللغة : قد مضت : أى كانت قبل الفتح .

ما يشتمل عليه الحديث :

١ – احتفال المسلمين بهجرة النبى .
٢ – ارتباط الهجرة بالجهاد .
٣ – المؤمن مهاجر إلى الله فى كل ميادين الحياة .

البيان

١ – احتفال المسلمين بهجرة النبى :

يحتل المسلمون فى مطلع كل عام قمرى بهجرة النبى – ﷺ – من مكة إلى المدينة ، وحق للمسلمين أن يحتفلوا بها ، فقد كانت حادثا عظيما فى الإسلام ، وموطنا لكثير من العبر والذكريات التى ينبغى أن يحرص المسلمون عليها .

لقد حولت هذه الهجرة حال المسلمين ، فبعد أن كان المسلمون فى قلة وضعف ، وكانت قريش تضيق عليهم وتقعد لهم كل مرصد ، أصبح المسلمون فى قوة ومنعة ، وعزة وطمأنينة ، وصارت لهم دولة .

لقد تآمرت قريش بالدعوة ، وأرادت أن تتخلص منها فى مهدها ، فى شخص صاحبها «محمد» ﷺ فأطلعه الله على ما تآمرت به . وأوحى إليه بالهجرة ، فخرج مع صاحبه أبى بكر ، بلا جيش ولا عُدَّة ، والأعداء من كل جانب يتربَّصُون به ، ويترقبونه .

كانت القوة المادية والطغيان الغاشم فى جانب ، والرسول – ﷺ – ومعه الحق فى

جانب ، فآزره الله ، وأعزه ونصره وجعل كلمة الذين كفروا هى السفلى ، وكلمة الله هى العليا والعبرة فى هذه الهجرة أن المسلم متى آمن بالحق عن بصيرة واقتناع ، كان النصر حليفه ، وفاز بسعادة الدنيا والآخرة .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة الروم آية : ٤٧ .

٢ ـ ارتباط الهجرة بالجهاد :

لقد ارتبطت الهجرة بالجهاد ارتباطا وثيقا ، فالذين هاجروا من مكة إلى المدينة تركوا ديارهم وأموالهم ، وبقيت ديارهم بمكة خالية تضربها الرياح ، ثم جاهدوا مع رسول الله وعرضوا أنفسهم للهلاك .

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ سورة الأحزاب آية : ٢٣ .

ورسول الله ـ ﷺ ـ لم يهاجر هربا ولاضعفا ، وإنما هو أمر الله الذى قضى أن تكون الهجرة بداية مرحلة جهاد ومواجهة ، وإن كان الإيذاء سببا من أسبابها .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ البقرة آية : ٢١٨ .

وقال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ سورة الأنفال ٧٤

وانما وصل المهاجرون إلى هذه المنزلة لأنهم هاجروا وجاهدوا ، كما أن الأنصار بلغوا درجة عظيمة لأنهم آووا ونصروا .

إن الهجرة الممدوحة الفاضلة ، تلك الهجرة المهمة المطلوبة التى امتاز بها أهلها امتيازا ظاهرا قد انقطعت بفتح مكة ، ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة ، لأن الإسلام قد قوى وعزّ بعد فتح مكة عزًّا ظاهرا .

وإذا كان تحصيل الجهاد بسبب الهجرة قد انقطع بفتح مكة ، فإن هناك مايقارب هذه الهجرة وهو ما ذكره الحديث الشريف فى قوله : « ولكن على الإسلام والجهاد والخير » فمعناه أبايعه على أن تفْعَلَ هذه الأمور .

ولهذا نجد أن الإيمان والهجرة والجهاد غالبا ما تقترن ثلاثتها وتأتى مجتمعة فى القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة آية : ٢١٨

وقوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

سورة الأنفال آية : **٧٤**

وحين جعل سيدنا عمر (رضى الله عنه) الهجرة بداية تاريخ فإنه يكون بذلك قد ربط بين الهجرة والجهاد فى سبيل الله ، لأن الهجرة كانت بداية للجهاد ، والتحريض على القتال فى سبيل الله ، وكانت النقلة من مكة إلى المدينة هى الحركة التى تغير بها مجرى التاريخ ، وأحداث الزمن .

والجهاد قد يكون فرض عين وذلك إذا نزل الكفار ببلد من بلاد المسلمين وانتهكوا حرماتهم .

وعلى المسلم أن يكون مثلا أعلى فى التضحية والجهاد قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ،

سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

٣ ـ المؤمن مهاجر إلى الله

إن الهجرة المحمدية ، ستظل مَنْبَعَ لايجف لأصفى المبادىء ، فهى معجزة للإسلام كحركة جديدة أبرز ما تشير إليه ، أنها كانت نقطة تحول فى تاريخ الأمة الإسلامية كلها وكانت الثقة الكبرى فى الله ـ عز وجل ـ ولئن كانت الهجرة قد فاز بها الأولون ، ولم يعد بعد الفتح هجرة إلى المدينة ، فإن هناك نوعا آخر من الهجرة لم يغلق بابه ، وهى أساس كل هجرة وروحها هى هجرة المعاصى والتخلص من شوائبها ومقاومة الرغبة فيها .. هجرة ينطلق بها المسلم خالصا إلى الإسلام كله ، ليمارس أَمْرَهُ وَيَهْجُرَ نهيه ، هى الفرار إلى الله تعالى قال تعالى :

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ الذاريات آية : ٥٠ .

والفرار إلى الله انتصار على أى حال قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾

سورة الحج آية : ٥٨ .

وليس الجهاد مقصوراً على ميادين الحرب ، فميادين الجهاد كثيرة ومتنوعة ، فإن كرم المبادىء وسموها ليس هو الذى ينصرها ـ وحده بل لابد من جهاد كى تنتصر ، والمسلمون اليوم فى حاجة إلى الجهاد فى شتى ميادين الحياة من العمل الجاد ، والإخلاص لله ، والتضحية فى سبيل الله وحيث إنه لاهجرة ـ بعد الفتح ـ فإن تحصيل الخير بسبب الفتح قد انقطع بفتح مكة ولكن علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نحصل الخير بالعمل الصالح والنية الحسنة ، قال ـ ﷺ ـ فيما رواه العباس أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال يوم الفتح ـ فتح مكة : «لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا» رواه مسلم .

ففى الحديث حث على نية الخير مطلقا ، وأن المَرْءَ يُثَابُ على النِّيَّةَ لقوله ـ ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرى ما نوى»

قال تعالى :

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف آية ٣٠ :

حَدَّثَ أبوسعيد (رضى الله عنه) قال : جاء أعرابى إلى النَّبِىّ ـ ﷺ ـ فسأله عن الهجرة فقال : «ويحك إن الهجرة شأنها شديد ، فهل لك من إبل ؟ قال نعم ، قال : فتُعْطِ صدقتها ؟ قال : نعم ، قال : فهل تمنح منها ؟ قال : نعم ، قال : فتحلبها يوم ورودها ؟ قال نعم ، قال : فاعمل من وراء البحار ، فإن الله لن يترك من عملك شيئاً» رواه البخارى .

والله الموفق

---

(١) يَتِرَك = يَنْقُصُك .

وحى الهجرة

للأستاذ / مصطفى صادق الرافعى رحمه الله

نشأ النبى ـ ﷺ ـ فى مكة ، واستُنْبِئَ على رأس الأربعين من سنِّه ، وغَبَر ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله قبل أن يهاجر إلى المدينة ، فلم يكن فى الإسلام أول بدأته إلا رجل وامرأة وغلام : أما الرجل فهو هو ـ ﷺ ، وأما المرأة فزوجه خديجة ، وأما الغلام فعلى ابن عمه أبى طالب .

ثم كان أول النمو فى الإسلام بحر وعبد : أما الحر فأبو بكر ، وأما العبد فبلال ، ثم اتسق النمو قليلا قليلا ببطء الهموم فى سيرها ، وصبر الحر فى تجلده ، وكأن التاريخ واقف لايتزحزح ، ضيق لايتسع ، جامد لاينمو ، وكأن النبى ـ ﷺ ـ أخو الشمس : يطلع كلاهما وحده كل يوم . حتى إذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول إلى المدينة ، بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها ، وكانت خطواته فى هجرته تخط فى

هو الاديب الإسلامى المعروف ، والقطعة من كتابه «وحى القلم» ٢/٢ .

الأرض ، ومعانيها تخط فى التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب .

لقد كان فى مكة يعرض الإسلام على العرب كما يعرض الذهب على المتوحشين : يرونه بريقا وشعاعا ثم لا قيمة له ، ومابهم حاجة إليه ، وهو حاجة بنى آدم إلا المتوحشين ، وكانوا فى المحادة والمخالفة الحمقاء ، والبلوغ بدعوته مبلغ الأوهام والأساطير - كما يكون المريض بذات صدره مع الذى يدعوه فى لية قارة الى مداواة جسمه بأشاعة الكواكب ، وكانت مكة هذه صخراً جغرافياً يتحطم ولا يلين ، وكأن الشيطان نفسه وضع هذا الصخر فى مجرى الزمن ليصد به التاريخ الإسلامى عن الدنيا وأهلها .

وأوذى رسول الله - ﷺ - ، وكـذب وأهين ، ورجف به الوادى يخطو فيه على زلازل تتقلب ، ونابذه قومه وتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضا عليه ، وانصفق عنه عامة الناس وتركوه إلا من حفظ الله منهم ، فأصيب كبيراً باليتم من قومه ، كما أصيب صغيراً باليتم من أبويه .

وكان لايسمع بقادم يقدم من العرب له اسم وشرف ، إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض نفسه عليه ، ومع ذلك بقيت الدعوة تلوح وتختفى ، كما يشق البرق من سحابة على السماء : ليس إلى أن يرى ثم لاشىء بعد أن يُرى !

* * *

فهذا تاريخ ماقبل الهجرة فى جملة معناه ، غير أنى لم أقرأه تاريخاً ، بل قرأت فيه فصلا رائعا من حكمة إلهية ، وضعه الله كالمقدمة لتاريخ الإسلام فى الأرض ...

فلو أنت حققت النظر لرأيت تاريخ الإسلام يتأله فى هذه الحقبة ، بحيث لاتقرؤه النفس المؤمنة إلا خاشعة كأنها تصلى ، ولاتتدبره إلا خاضعة كأنها تتعبد .

بدأ الإسلام فى رجل وامرأة وغلام ، ثم زاد حرا وعبدا ، أليست هذه الخمس هى كل أطوار البشرية فى وجودها ، مخلوقة فى الإنسانية والطبيعة ، ومصنوعة فى السياسة والاجتماع ؟ فهاهنا مطلع القصيدة ، وأول الرمز فى شعر التاريخ .

ولبث النبى - ﷺ - ثلاث عشرة سنة لا يبغيه قومه إلا شرا ، على أنه دائب يطلب ثم لايجد ، ويعرض ثم لايقبل منه ، ويخفق ثم لا يعتريه اليأس ، ويجهد ثم لا يتخونه الملل ، ويستمر ماضيـاً لايتحـرف ، ومعتزمـاً لايتحول ، أليست هذه هى أسمى معانى التربية الانسانية أظهرها الله كلها فى نبيه ، فعلم بها وثبت عليها ، وكانت ثلاث عشرة سنة فى هذا المعنى كعمر طفل ولد ونشأ وأحكم تهذيبه بالحوادث ، حتى تسلمته الرجولة الكاملة بمعانيها من الطفولة الكاملة بوسائلها ؟

أفليس هذا فصلا فلسفيا دقيقا يعلم المسلمين كيف يجب أن ينشأ المسلم : غناه فى قلبه ، وقوته فى إيمانه ، وموضعه فى الحياة موضع النافع قبل المنتفع ، والمصلح قبل المقلد ، وفى نفسه من قوة الحياة مايموت به فى هذه النفس أكثر مافى الأرض والنـاس من شهـوات ومطامع ؟

ثم أليست تلك العوامل الأخلاقية هى التى ألقيت فى منبع التاريخ الإسلامى ليعب منها تياره فتدفعه فى مجراه بين الأمم ، وتجعل من أخص الخصائص الإسلامية فى هذه الدنيا ـ الثبات على الخطوة المتقدمة وإن لم تتقدم ، وعلى الحق وإن لم يتحقق ، والتبرؤ من الأثرة وإن شحت عليها النفس ، واحتقار الضعف وإن حكم وتسلط ، ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب ، وحمل الناس على محض الخير وإن ردوا بالشر ، والعمل للعمل وإن لم يأت بشىء ، والواجب للواجب وإن لم يكن فيه كبير فائدة ، وبقاء الرجل رجلا وإن حطمه كل ماحوله ؟

ثم هى هى البرهانات القائمة للدهر قيام المنارات فى الساحل ـ على نبوة محمد ـ ﷺ ـ: تثبت ببرهان الفلسفة وعلوم النفس أنه روح وغاياتها المحتومة بالقدر ، لاجسم ووسائله المتغلبة بالطبيعة ، ولو كان رجلا ابتعثته نفسه لتحمل الحيل لسياسته ، ولأحدث طمعاً من كل مطمع ، ولركد مع الحوادث وهب ، ولما استمر طوال هذه المدة لايتجه وهو فرد إلا اتجاه الإنسانية كلها كأنما هو هى .

ولو هو كان رجل الملك أو رجل السياسة ، لاستقام والتوى ، ولأدرك مايبتغى فى سنوات قليلة : ولأوجد الحوادث يتعلق عليها ، ولما أفلت ماكان موجوداً منه يتعلق به ، ولما انتزع نفسه من محلة فى قومه وكان واسطة فيهم ، ولاترك عوامل الزمن تبعده وهى كانت تدنيه .

قالوا : إن عمه أبا طالب بعث إليه حين كلمته قريش فقال له : يا ابن أخى ، إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، فأبق علىَّ وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق . فظن رسول ـ ﷺ ـ أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاء(*) وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال : ياعماه ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا لأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته . ثم استعبر ـ ﷺ ـ فبكى ! .

يادموع النبوة ! لقد أثبت أن النفس العظيمة لن تتعزى عن شىء منها بشىء من غيرها كائنا ما كان ، لامن ذهب الأرض وفضتها ، ولا من ذهب السماء وفضتها إذا وضعت الشمس فى يد والقمر فى الأخرى .

وكل حوادث المدة قبل الهجرة على طولها ليست إلا دليل ذلك الزمن على أنه زمن نبى ، لازمن ملك أو سياسى أو زعيم ، ودليل الحقيقة على أن هذا اليقين الثابت ليس يقين الإنسان الاجتماعى من جهة قوته ، بل يقين الإنسان الإلهى من جهة قلبه ، ودليل الحكمة على أن هذا الدين ليس من العقائد الموضوعة التى تنشرها عدوى النفس للنفس ، فهاهو ذا لايبلغ أهله فى ثلاث عشرة سنة أكثر مما تبلغ أسرة تتوالد فى هذه الحقبة ، ودليل الانسانية على أنه وحى الله بإيجاد الإخاء العالمى والوحدة الإنسانية . أفلم يكن خروجه عن موطنه هو تحققه فى العالم ؟

ثلاث عشرة سنة ، كانت ثلاثة عشر دليلا تثبت أن النبى ـ ﷺ ـ ليس رجل ملك ، ولا سياسة ، ولا زعامة ، ولو كان واحداً من هؤلاء

(*) أى نشأ له رأى جديد فيه ، وهذا كما يقولون : رجع عن رأيه .

لأدرك فى قليل ، وليس مبتدع شريعة من نفسه ، وإلا لما غبر فى قومه وكأنه لم يجدهم وهم حوله ، وليس صاحب فكرة تعمل أساليب النفس فى انتشارها ، ولو كانه لحملهم على محضها وممزوجها ، وليس رجلا متعلقاً بالمصادفات الاجتماعية ، ولو هو كان لجعل إيمان يوم كفر يوم ، وليس مصلح عشيرة يهذب منها على قدر ما تقبل منه سياسة ومخادعة ، ولا رجل وطنه تكون غايته أن يشمخ فى أرضه شموخ جبل فيها دون أن يحاول مابلغ إليه من إطلاله على الدنيا إطلال السماء على الأرض ، ولا رجل حاضره ، إذ كان واثقاً دائماً أن معه الغد وآتيه وإن أدبر عنه اليوم وذاهبه ، ولا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما يلتمس الجائع لبطنه ، ولا رجل شخصيته يستهوى بها ويسحر ، ولا رجل بطشه يغلب به ويتسلط ، ولا رجل الأرض فى الأرض ، ولكن رجل السماء فى الأرض هذه هى حكمة الله فى تدبيره لنبيه قبل الهجرة : قبض عنه أطراف الزمن ، وحصره من ثلاث عشرة سنة فى مثل سنة واحدة ، لاتصدر به الأمور مصادرها كى تثبت أنها لاتصدر به ، ولا تستحق به الحقيقة لتدل على أنها ليست من قوته وعمله .

وكان ــ ﷺ ــ على ذلك ــ وهو فى حدود نفسه وضيق مكانه ــ يتسع فى الزمن من حيث لايرى ذلك أحد ولايعلمه ، وكأنما كانت شمس اليوم الذى سينتصر فيه ــ قبل أن تشرق على الدنيا بثلاث عشرة سنة ــ مشرقة فى قلبه ــ ﷺ .

والفصل من السنة لا يقدمه الناس ولا يؤخرونه ، لأنه من سير الكون كله ، والسحابة لايشعلون برقها بالمصابيح ، ومع النبى من مثل ذلك برهان الله على رسالته ، إلى أن نزل قوله تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾(١)

فحل الفصل ، وانطلقت الصاعقة ، وكانت الهجرة .

تلك هى المقدمة الإلهية للتاريخ ، وكان طبيعيا أن يطرد التاريخ بعدها ، حتى قال الرشيد للسحابة وقد مرت به : أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك !

قرأت بالأمس تاريخ الهجرة النبوية فى كتاب أبى جعفر الطبرى لأكتب هذه الكلمة ، فلم أكن ــ علم الله ــ فى كتاب ولا فى حكاية ، بل فى عالم انبثق فى نفسى مخلوقاً تاماً بأهله ، وحوادث أهله ، وأسرار أهله جميعا ، كما يرى المحب حبيبه : لايكون الجميل فى محل إلا امتلأ مكانه بعاشقه ، فهو مكان من النفس والدنيا ، لا من الدنيا وحدها ، وفيه الحياة كما هى فى الوجود بمظهر المادة ، وكما هى فى الحب بمظهر الروح .

وتلك حالة من القراءة بالروح والكتابة بالروح ، متى أنت سموت إليها رأيت فيها غير المعنى يخرج معنى ، ومن لاشىء تخلق أشياء ، لأنك منها اتصلت بأسرار نفسك ، ومن نفسك اتصلت بأسرار فوقها ، فيصبح التاريخ معك فن الوجود الإنسانى على الوجه الذى أفضت به الحكمة إلى الحياة لتستمر بالنفس الإنسانية ، لا فن علم الناس على الوجه الذى أفضت به الحوادث مما بين الحياة والموت .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٣٩ .

مولوداً في ظلال الهجرة

بقلم الأستاذ عبد الحفيظ فرغلي على القرني

تمس ذكرى الهجرة إلى المدينة المنورة وجدان المسلمين ، وتثير مشاعرهم ، لما يتمثل فيها من جوانب عظمة الرسول - ﷺ - وأصحابه الكرام الذين تحدوا المخاطر ، وتخطوا الصعاب ، ووضعوا أرواحهم على أكفهم فى سبيل الله ونشر دينه فى الآفاق .

ولكن يكاد حديث الناس ينحصر فى هذه المناسبة الجليلة فى الهجرة إلى المدينة المنورة ، ولا يكادون يتحدثون عن هجرة الحبشة التى سبقت الهجرة إلى المدينة ، حيث هاجر كثير من المسلمين إلى الحبشة فى دفعتين بلغ عدد رجالهما ثلاثة وثمانون رجلا عدا من اصطحبوه من نسائهم وأطفالهم . وقد ولد لكثير منهم فى الهجرة من أصبحوا فى أفق الإسلام شموساً مشرقة وكواكب مزهرة .

الهجرة من علامات الإيمان :

كانت الهجرة فى بدء الإسلام الدليل العملى على قوة الإيمان ، فعن طريقها يثبت المسلم إن كان الله ورسوله أحب إليه من أهله ونفسه ووطنه ، أم لا ؟

وقد كان ذلك فى وقت اشتد فيه الأذى على المسلمين ، حيث غلظت أكباد المشركين ، فأقبلوا على من أسلم يذيقونه أشد العذاب الذى تُحَدِّثنا كتب السيرة والتاريخ عن مدى بشاعته وفظاعته .

ولم يكن هناك طريق للإفلات من هذا التعذيب الوحشى إلا بالهجرة إلى الحبشة ، حيث قال النبى ﷺ لأصحابه المستضعفين : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة - فإن بها ملكا لايظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق - يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » - سيرة ابن هشام .

وشعر المسلمون فى الحبشة بالأمن والأمان - كما أخبر النبى ﷺ .

غيظ قريش :

وأغاظ ذلك قريشاً ففكرت فى إعادة هؤلاء المهاجرين إلى مكة لتعذيبهم ، وأرسلت لهذا الغرض عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة ، ولكنهما فشلا فى مهمتهما ، فقد وجدا - على الرغم من الهدايا التى حملاها معهما ليرشُوَا بها النجاشى وحاشيته ، بالرغم من تزييف الكلام وتنميقه ليوغرا به صدر النجاشى على من عنده من المسلمين ليطردهم - وجدا من النجاشى أذنا صماء عن الغيبة ، ويداً ضنينة بالتفريط فى الحق ، وقلبا واسعاً للمناقشة والمحاورة ، فأعلن عن مناظرة تبين من خلالها وجه الحق والصواب ، وأدرك أن المسلمين على الجادة ،

وأن مايقوله نبيهم ـ ﷺ ـ هو الصواب الذى جاء به قبله عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فعاد رسولا قريش إلى مكة مخذولين مدحورين ، مردودة عليهما هداياهما المشبوهة ، فقد قال النجاشى ـ لبطارقته وحاشيته : ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لى بها ، فو الله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىَّ ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىَّ فأطيعهم فيه .

وأقام المسلمون عند النجاشى فى خير دار وأفضل جوار ، لم يعد أكثرهم من عنده إلا مع فتح خيبر فى العام السابع من الهجرة ـ فى المحرم منه .

من المولودين فى الحبشة

لقد كفل الله للمهاجرين فى الحبشة فى ظل النجاشى حياة سعيدة آمنة ، ولد فى ظلها بعض الأبناء الذين نجبوا وعظم شأنهم فيما بعد ، ونحن نذكر بعض هؤلاء .

١ ـ عبدالله بن عثمان بن عفان

وهو ابنهُ من زوجته السيدة رقية بنت رسول الله ـ ﷺ ـ وُلدَ عبدالله لأبويه فى الحبشة ، قال مصعب الزبيرى ـ فيما يرويه ابن الأثير فى أسد الغابة : لما هاجر عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ـ ﷺ ـ ولدت له هناك غلاماً سماه عبدالله ، وبه كان يُكْنى .

وكبر عبدالله حتى بلغ ست سنوات ، فاختاره الله إلى جواره ، ويقال ـ فى سبب موته : أن ديكا نقره فى عينه ، فتورم وجهه ، فمرض ومات سنة أربع من الهجرة ودفنه النبى ـ ﷺ ـ ونزل فى قبره ـ أسد الغابة ٣٣٥/٣ .

وقد هاجر عثمان بن عفان مع زوجته رقية إلى الحبشة الهجرتين . ولكنه قطع هجرته الثانية إليها ، وعاد إلى مكة ليهاجر الهجرة الثالثة إلى المدينة المنورة بعد ذلك .

٢ ـ عبدالله بن جعفر بن أبى طالب

ومن الذين ولدوا بالحبشة عبدالله بن جعفر بن أبى طالب ، وأمه هى أسماء بنت عُميس ، كان جعفر وأسماء من السابقين إلى الإسلام ، وأسلم جعفر بعد واحد وثلاثين مسلما ، يقال فى سبب إسلامه : إن أبا طالب رأى النبى ـ ﷺ ـ يصلى وعن يمينه على بن أبى طالب ، فقال لابنه جعفر : صِلْ جناح ابـن عمك وصَلِّ عن يساره . واستشهد جعفر فى موقعة مؤتة .

وكان ابنه عبدالله بن جعفر أول مولود فى الإسلام بأرض الحبشة ، وقدم مع أبويه إلى المدينة أيام خيبر .

وهو أخو محمد بن أبى بكر الصديق ، ويحيى بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما لأمهما .

وتوفى رسول الله ـ ﷺ ـ ولعبدالله بن جعفر عشر سنين ، وبلغ عبدالله القمة فى الكرم والسخاء ومكارم الأخلاق ، وكان النبى ـ ﷺ ـ يحبه . أخرج الإمام أحمد فى مسنده من حديث عبدالله بن جعفر قال : «أردفنى النبى ـ ﷺ ـ وراءه ذات يوم ، فأَسَرَّ إلى حديثا لا أحدث به أحداً من الناس ، وكان أحب ماستتر به رسول الله ـ ﷺ ـ لحاجته هدف أو حائش نخل ـ يعنى حائطا ـ فدخل حائطا لرجل من الأنصار ، فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبى ـ ﷺ ـ جَرْجَر ـ الجرجرة صوت البعير ـ وذرفت عيناه ، فأتاه النبى ـ ﷺ ـ فمسح رأسه إلى سنامه وذِفْرَيه ـ موضع رأسه وهو الموضع الذى يعرق من قفاه ـ فسكن ، فقال : من رب هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لى يارسول الله . فقال : ألا تتقى الله

فى هذه البهيمة التى ملّكَك الله إياها ، فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه ؟» المسند ٢٠٤/١

ولعبد الله بن جعفر أخبار فى الكرم والسخاء والحلم والوفاء لاتحصى ، تزوج من السيدة زينب بنت الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وله منها : على ، وعون الأكبر ، وعباس ، ومحمد ، وأم كلثوم ، وقد استشهد بعضهم مع خالهم الحسين ـ رضى الله عنه ـ فى كربلاء سنة ٦١ هـ .

وتزوجت أم كلثوم ابن عمها القاسم بن محمد ابن جعفر ، فولدت له بنتا اسمها فاطمة ، وبعد وفاة القاسم أراد الحجاج بن يوسف الثقفى التزوج منها ـ وهو يومئذ أمير مكة والمدينة ـ ولكن عبد الملك بن مروان أمره أن يفارقها ، ففارقها . فتزوجها أبان بن عثمان بن عفان ـ

«السيدة زينب» للشيخ موسى محمد على ص ١١٥ ـ توفى عبدالله بن جعفر سنة ثمانين من الهجرة ، ودفن بالبقيع ـ رضى الله عنه ـ أسد الغابة ٢٠٠/٣ .

٣ ـ محمد بن أبى حذيفة

ومن الذين ولدوا فى الحبشة محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكنيته أبو القاسم ، وهو أحد الذين تسموا باسم النبى ـ ﷺ ـ واكتنوا بكنيته ـ أسد الغابة ٨٧/٥ .

وكان أبوه من السابقين إلى الإسلام ، الذين أبلوا فيه بلاء حسنا . هاجر إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، وكانت معه فى الهجرتين زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، وولدت له فى الحبشة محمد بن أبى حذيفة .

وقد جمع الله لأبى حذيفة بين الفضل والشرف ، وعاد من هجرته من الحبشة مبكرا إلى مكة ، وأقام مع النبى ـ ﷺ ـ حتى هاجر إلى المدينة .

واستشهد أبو حذيفة فى معركة اليمامة فى عهد أبى بكر ، بعد أن كان قد شهد مشاهد الرسول ـ ﷺ ـ كلها معه . ولما قتل أبو حذيفة ضم عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ إليه ابنه محمداً فكفله إلى أن كبر ، وسار محمد إلى مصر . وفى مصر كان من بين المؤلبين على عثمان . وقتل فى أيام معاوية بن أبى سفيان ـ اسد الغابة ٨٧/٥ .

٤ ـ سعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته

وولد فى الحبشة سعيد بن خالد بن سعيد وأخته أمة بنت سعيد بن خالد . أبوهما خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . أسلم قديما ، يقال : إنه أسلم بعد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قالت ابنته أم خالد : كان أبى خامسا فى الإسلام ، تقدمه على ابن أبى طالب وأبو بكر وزيد بن حارثة وسعد بن أبى وقاص.

قصة فى سبب اسلامه : وكان سبب إسلامه إنه رأى فى نومه أنه وقف على شفير النار ، فذكر من سعتها ما الله أعلم به ، وكأنَّ أباه يدفعه إليها ، ورأى رسول الله ـ ﷺ ـ آخذاً بحقويه ـ الحقو : معقد الإزار من الخاصرة إلى الضلع ـ حتى لايقع فيها ، ففزع وقال : أحلف إنها لرؤيا حق ، ولقى أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ فذكر ذلك له ، فقال له أبو بكر : أُرِيدَ بك الخيرُ ، هذا رسول الله ـ ﷺ ـ فاتبعه ، فإنك ستتبعه على الإسلام الذى يحجزك من أن تقع فى النار ، وأبوك واقع فيها . فلقى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بأجياد ، فقال له : يا محمد ، إلى من تدعو ؟ فقال : أدعو إلى الله وحده لاشريك له ، وأن

محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لايسمع ولايبصر ، ولايضر ولاينفع ، ولايدرى من عبده ممن لم يعبده .

قال خالد : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله . ــ أسد الغابة ٢/٩٨

وهاجر خالد إلى الحبشة ، ومعه زوجته أميمة ــ وقيل : همينة ــ بنت خالد ــ وقيل : بنت خلف ــ الخزاعية . وفى الحبشة ولد لهما ابنهما سعيد ، وابنتهما أمة التى كنيت بأم خالد ، وبها اشتهرت .

وعاد خالد بن سعيد ومعه زوجته وولداه مع جعفر بن أبى طالب إلى المدينة ، والنبى ــ ﷺ ــ فى غزوة خيبر ، فأسهم للعائدين جميعا من خيبر مع من حضر الموقعة .

ولم تتحدث الأخبار كثيرا عن سعيد بن خالد ، ولكنها تحدثت عن أم خالد : أمة بنت خالد .

قال ابن الأثير : كبرت أمة بنت خالد ، فتزوجها الزبير بن العوام فولدت له عمر بن الزبير ، وخالد بن الزبير ، وبه كانت تكنى .

وحين عادت مع أبويها إلى المدينة ــ وكانت طفلة ذات سنوات ــ كان النبى ــ ﷺ ــ يدللها ويقول لها : «سناه سناه يا أم خالد» أى حسن حسن بلغة الحبشة .

وفى تكنية النبى ــ ﷺ ــ لها بأم خالد إلهام نبوى ، فقد كان اسمها أمة ، ولم تُكَنَّ بأم خالد إلا بعد أن تزوجت وولد لها خالد بن الزبير ، فكانت تكنية النبى ــ ﷺ ــ لها وهى طفلة بهذه الكنية من إشراقات النبوة .

وكساها النبى ــ ﷺ ــ وهى صغيرة . حكى ذلك السهيلى فى الروض الأنف ج ٢ ص ٨٠ .

وروى ابن المبارك عن خالد بن سعيد عن أبيه عن أمة أم خالد قالت : اتيت النبى ــ ﷺ ــ مع أبى ، وعلى قميص أصفر ، فقال النبى ــ ﷺ : «سنه سنه ــ قال عبدالله : وهى بالحبشية حسنة ــ فذهبت ألعب بخاتم النبوة ، فزبرنى ــ دفعنى ــ أبى ، فقال رسول الله ــ ﷺ : «دعها» .

أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد ــ باب من تكلم بالفارسية والرطانة ج ٤ ص ٩٠ وكتاب الأدب ــ باب من ترك صبية غيره تلعب ٨/٨ .

وفى كسوة النبى ــ ﷺ ــ لها حدث البخارى قال : عن أم خالد بنت خالد قالت : أتى النبى ــ ﷺ ــ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : «من ترون أكسو هذه ؟» فسكت القوم ، فقال : «آتونى بأم خالد» فأتى بها تحمل ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها ، وقال : «أبلى وأخلقى» وكان فيها علم أخضر أو أصفر ، وقال : «يا أم خالد ، هذا سناه» ــ أخرجه البخارى فى كتاب اللباس ــ باب الخميصة السوداء ٧/١٩١ .

٥ ــ عبدالله بن المطلب بن أزهر بن عون الزهرى

أسلم المطلب بن أزهر الزهرى ، وهو ابن عم عبدالرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأخو طليب بن أزهر . وهاجر هو وأخوه طليب إلى الحبشة .

وولد للمطلب فى الحبشة ابن عبدالله وأمه هى رملة بنت أبى عوف بن صبيرة ــ ولم يلبث أن توفى المطلب فى الحبشة فورثه ابنه عبدالله فكان أول من ورث أباه فى الإسلام ــ أسد الغابة ٣/٣٩٢ .

٦ ـ زينب بنت أبى سلمة

ومن المولودات فى أرض الحبشة زينب بنت أبى سلمة بن عبد الأسد القرشية المخزومية . وأمها أم المؤمنين هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية ، وتكنى أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ تزوجها النبى ـ ﷺ ـ بعد وفاة زوجها المجاهد أبو سلمة متأثرا بجرح أصابه فى أحد ، وكان قد أندمل هذا الجرح ، ثم انتقض عليه فمات فى جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة .

وحين تزوج النبى ـ ﷺ ـ أمها كانت صغيرة ، ولذلك يطلق عليها ربيبة رسول الله ـ ﷺ .

قال ابن الأثير : ولدتها أمها بأرض الحبشة وقدمت بها معها ، وروى ما أسنده إليها ، قالت : كانت أمى إذا دخل رسول الله ـ ﷺ ـ يغتسل تقول لى : ادخلى عليه ، فإذا دخلت نضح فى وجهى من الماء ، ويقول : « ارجعى » قال عطَّاف بن خالد المخزومى : قالت أمى : ورأيت زينب وهى عجوز كبيرة مانقص من وجهها شىء [أسد الغابة ١٣٢/٧] وما ذلك إلا ببركة رسول الله ـ ﷺ ـ والماء الذى كان ينضح به وجهها .

وكبرت زينب فتزوجها عبدالله بن زمعة بن الأسود الأسدى ، فولدت له ، وكانت أفقه نساء زمانها ، وقتل لها يوم الحرة سنة ٦٢ هـ ولدان .

قال ابن عبدالبر : لما كان يوم الحرة قُتل أهل المدينة ، فكان فيمن قتل أبناء رينب ربيبة رسول الله ـ ﷺ ـ فحملا فوضعا بين يديها مقتولين ، فقالت : إنا لله وإن إليه راجعون ، والله إن المصيبة فيهما على لكبيرة ، وهى علىَّ فى هذا أكبر منها فى هذا ، لأنه جلس فى بيته . فدُخِل عليه فقتل مظلوما ، أما الآخر فإنه بسط يده فقاتل فلا أدرى علام هو من ذلك ـ الاستيعـــاب فى الأصحاب ١٨٥٥/٤ .

٧ ـ أول مولود للمهاجرين فى المدينة

أما أول مولود للمهاجرين فى المدينة ، فهو عبدالله بن الزبير بن العوام ، وأمه ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما .

وحين ولد حمل إلى النبى ـ ﷺ ـ فحنكه بتمرة لاكها فى (فيه) ثم حنكه بها ، فكان ريق رسول الله ـ ﷺ ـ أول شىء دخل جوفه ، وسماه عبدالله ، وكناه : أبا بكر بجده أبى بكر .

وكان ابن الزبير صاحب مناقب عظيمة وجهاد فى الإسلام ، وهو أحد الذين لقبوا بأمير المؤمنين ، حين أخذ البيعة لنفسه بعد وفاة معاوية وابنه يزيد ، ودانت له بالطاعة معظم البلاد ماعدا الشام . وقتل ـ رضى الله عنه ـ وهو محاصر بالكعبة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة النبوية .

وحين قتل كَبَّر أهل الشام ، فقال عبدالله ابن عمر ـ رضى الله عنهما : المكبرون عليه يوم ولد خير من المكبرين عليه يوم قتل .. أسد الغابة ٢٤٤/٣ .

وبعد ، فهذه شذرات من سيرة بعض من ولدوا فى دار الهجرة التى اضطر آباؤهم إليها ، فرارا بدينهم إلى الله ، وضنا بعقيدتهم التى هان فى سبيلها المال والوطن والأهل والعشيرة ، وصدق الله اذ يقول ـ فى حق المهاجرين : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ الحشر .

صاحب الهجرات الثلاث

الصحابى الجليل والخليفة الراشد

عثمان بن عفان رضى الله عنه

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

أحد المبشرين بالجنة ، شب على كريم الخصال وحسن السيرة ، عفيفاً حَيِيًّا محبباً فى قومه مأموناً عندهم أثيراً لديهم ، أجاب إلى الإسلام على يد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ولقوة صلته بالنبى ﷺ زوجه من ابنته (رقية) فلما توفيت زوَّجه بابنته الثانية (أم كلثوم) فكانت معه حتى توفيت فى السنة التاسعة للهجرة ولهذا سمى ذا النورين ، كما كان ـ رضى الله عنه ـ من كتاب الوحى .

ذلك هو عثمان ابن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى رضى الله عنه ، يجتمع مع رسول الله ﷺ فى عبد مناف(1) .

كيف كانت هجرته الأولى إلى الحبشة ؟

قال محمد بن اسحق : (لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب من قبل كفار قريش قال لهم : «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» فخرج من المسلمين فى مكة أحد عشر رجلًا وأربع نسوة كان منهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكان ذلك لخمس سنين من البعثة(2) ، وفى هذه الهجرة قال رسول الله ﷺ : صحبهما الله ، إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط(3)

يشير ﷺ إلى قول الله ـ جل وعلا : ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾(4).

وفى أرض الحبشة يقول قائلهم : (فجاورنا بها خير جار ، أمناً على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه)(5).

هجرته الثانية إلى أرض الحبشة :

وكان عدة من خرج فى هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين ، ومن النساء إحدى

---

(1) (الخلفاء الراشدون) تأليف الشيخ عبدالوهاب النجار صفحة ٢٦٣ ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٠.

(2) فقه السيرة تأليف الشيخ محمد الغزالى صفحة ١١٥ الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٠.

(3) (الخلفاء الراشدون) المرجع السابق صفحة ٢٦٤ .

(4) سورة العنكبوت الاية ٢٦ .

(5) نهاية فى الأرب فى فنون الأدب لشهاب الدين النويرى صفحة ٢٣٣ بالسفر السادس عشر طبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

عشرة ، منهم : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ فقال عثمان : (يا رسول الله ، فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشى ولست معنا فقال ﷺ : أنتم مهاجرون إلى الله وإلىّ ، لكم هاتان الهجرتان جميعاً : قال عثمان فحسبنا يا رسول الله[٧].

وكانت هذه الهجرة الثانية إلى الحبشة أشق من سابقتها فقد تيقظ لها المشركون من قريش وقرروا إحباطها ، بيد أن المسلمين كانوا أسرع فيسر الله لهم السفـــر قبـــل أن يصل إليهم أعداؤهـــم المشركـون ، وانحازوا إلى أرض الحبشة حيث وجدوا عند حاكمها ما يبغون من أمان وطيب جوار وكرم وفادة[٨].

تآمر المشركين بمكة على المسلمين بالحبشة لتسليمهم إليهم :

عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين جلدين هما : عمرو بن العاص وعبدالله ابن أبى ربيعة ـ وذلك قبل إسلامهمـا ـ وأن يهدوا للنجاشى هدايـــا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا دفعوا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى فيهم ، وقالا لكل بطريق منهم أنه قد لجأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لردهم إليهم ، فإذا كلمنـا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم .

فقال البطارقة : نعم) .

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشى فقبلهـا وعندئذ كلماه ليرد المسلمين المهاجرين بالحبشة إليها فقالت بطارقته : صدقا أيها الملك ، وطلبوا منه أن يسلمهم إليهم ؛ فغضب النجاشى ورفض تسليمهم حتى يدعوهم فيسألهم ويسمع منهم فإن كانوا كما يقول رسولا المشركين بمكة أسلمهم إليهم وردهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعهم منهم وأحسن جوارهم ما جاوروه[٩] .

ثم أرسل النجـاشى إلى هؤلاء المهاجريـــن المسلمين فدعاهم فحضروا وقد أجمعوا على صدقة كل ما يسألهم ، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبى طالب فقال لهم النجاشى : (ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من الناس ؟) .

فقال له جعفر : (أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميته ونأتى الفواحش ونقطع الأرحـام ونسيىء الجوار ويـأكل القـوى منـا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله وأن لا نشرك به شيئا ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقـذف المحصنـة ، وأمرنـا بالصلاة والصيام والزكاة .. وعدد عليه أمور الإسلام .

قال جعفر : فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا ، وحللنا ما أحل لنا ، فتعدى علينا قومنا

(٧) نهاية الأرب فى فنون الأدب المرجع السابق صفحة ٢٤١ .
(٨) فقه السيرة المرجع السابق صفحة ١١٩ .
(٩) نهاية الأرب فى فنون الأدب المرجع السابق صفحة ٢٤٨.

فعذبونا وفتنونا عن ديننا ؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك) .

فقال النجاشى : (هل معك مما جاء به عن الله شىء ؟ قال نعم ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) فبكى النجاشى وأساقفته ، وقال النجاشى : إن هذا والذى جاء به المسيح يخرج من مشكاة واحدة ، وخاطب عمرو بن العاص وصاحبه بقوله : إنطلقا ، والله لا أسلمهم إليكما أبداً) .

ولما كان عمرو بن العاص صاحب حيلة ودهاء دبر فى نفسه أمراً وقال لصاحبه عبدالله بن أبى ربيعة (والله لآتينه غداً بما يبيد خضراءهم) فلما كان الغد قال للنجاشى : (إن هؤلاء يقولون فى المسيح ابن مريم قولًا عظيماً : فأرسل النجاشى يسألهم عن قولهم هذا ؟ فقال جعفر : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ، هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ؛ فأخذ النجاشى عوداً من الأرض وقال : ماعدا المسيح ما قلت قدر هذا العود .

فنخرت[١٠] بطارقته فقال : وإن نخرتم ، وقال للمسلمين المهاجرين : اذهبوا فأنتم آمنون ما أحب أن لى جبلًا من ذهب وأنى آذيت رجلًا منكم ، ورد هدية قريش ، وقال : ما أخذ الله الرشوة منى حتى آخذها منكم ، ولا أطاع الناس فى حتى أطيعهم فيه ، وأقام المسلمون عنده بخير دار وأخفقت حيلة عمرو بن العاص ، وعاد هو وصاحبه إلى مكة يجرر أذيال الخيبة ، وعرفت قريش أنها لن تشبع ضغينتها على الإسلام وأهله إلا فى حدود سلطانها[١١].

عودة عثمان بن عفان من الحبشة ثم هجرته إلى المدينة :

بلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة خبرا عن إسلام أهل مكة فأقبل بعضهم على العودة إلى وطنهم حتى إذا دنوا من مكة تبين أن ما كانوا سمعوه عن إسلامهم كان باطلًا ، فلم يدخلها أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً وكان من هؤلاء العائدين عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ .

ولما أيد الله نبيه ﷺ بالأنصار فى المدينة وبايعوه على النصرة والجهاد فى سبيل الله ، ونشر الإسلام أمر المسلمين فى مكة بالخروج إلى المدينة واللحوق بإخوانهم من المسلمين فيها وكان ممن خرج وهاجر عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله[١٢].

فى المدينة شهد مع رسول الله ﷺ جميع مشاهده وغزواته إلا بدراً إذ كان يقوم بتمريض زوجه رقية بنت رسول الله ﷺ والتى توفيت فى اليوم الذى أظفر الله المسلمين على مشركى قريش ببدر وقد أسهم له النبى ﷺ مع الغانمين فعد بذلك بدرياً[١٣].

من مآثر عثمان بن عفان فى المدينة :

كان ــ رضى الله عنه ــ ممن أدَرَّ الله تعالى عليه أخلاف الخير فقد كان واسع الثروة كثير المال لم

---

(١٠) فنخرت : تعنى تكلمت بلغتهم كما جاء فى كتاب نهاية الأرب المرجع السابق .

(١١) أخرج هذه القصة ابن اسحق فى المغازى وأحمد من طريق ابن اسحق بسند صحيح من حديث أم سلمة زوج النبى ﷺ جاء ذلك فى كتاب فقه السيرة المرجع السابق .

(١٢) نهاية الارب المرجع السابق صفحة ٢٦٢ .

(١٣) الخلفاء الراشدون المرجع السابق صفحة ٢٦٤ .

يضن به فى فعل الخير إذ كان كريم النفس جواداً سخى اليد فى طاعة الله وإعلاء دينه ونفع المسلمين .

١ - فمن مسارعته إلى البذل ابتغاء وجه الله تعالى قيامه بشراء (بئر رومة) من مالكها اليهودى وجعلها سبيلًا للمسلمين يستقون منها تنفيذاً لتوجيه رسول الله ﷺ فى قوله : «من يشترى بئر رومه فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه فى دلائلهم وله بها مشرب فى الجنة» .

٢ - ومن هذا القبيل أن رسول الله ﷺ قال من «يزيد فى مسجدنا» فاشترى عثمان موضع خمس سوار فزاده فى المسجد .

٣ - ولقد بذل فى تجهيز جيش العسرة من ماله ما لم يبذله أحد ، فقد جهز ذلك الجيش بألف بعير وخمسين فرساً ، وقد أخرج الترمذى عن أنس والحاكم وصححه عن عبدالرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى النبى ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره فجعل رسول الله يقبلها ويقول (ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم) مرتين[١٤] .

الحديبية وعثمان بن عفان :

لما أهل يوم الإثنين الأول من ذى القعدة سنة ٦ للهجرة استنفر رسول الله ﷺ أصحابه إلى العمرة فأسرعوا وتهيئوا لها وركب عليه الصلاة والسلام راحلته وخرجوا من المدينة متوجهين إلى مكة المكرمة فى عدد يصل إلى ألف وخمسمائة وخمسة وعشرين رجلًا وليس معهم من السلاح إلا سلاح المسافر ، السيوف فى القرب وساق هو وأصحابه البدن حتى وصل إلى الحديبية وهى قرية قريبة من مكة ، ولما بلغ المشركين خروجه أجمعوا على صده عن المسجد الحرام وأرسلوا إليه مكرز ابن حفص بن الأخنف أخا بنى عامر ثم عروة بن مسعود الثقفى ليثنوه عن دخول مكة .

فرأى رسول الله ﷺ أن يبعث عثمان بن عفان إلى أبى سفيان بن حرب وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لبيت الله ومعظماً لحرمته لكن قريشاً احتبست عثمان عندها وبلغ المسلمين ما أشيع عن غدر قريش وأنها قتلت عثمان ، فدعا الرسول أصحابه إلى البيعة وقال لا نبرح حتى نناجز القوم فكانت بيعة الرضوان وتمت تحت الشجرة ، ثم علم حينذاك أن عثمان حى فقال عليه الصلاة والسلام : (إن عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله) ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال بيده اليمنى : هذه يد عثمان . فكانت يد رسول الله لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم[١٥] .

ثم أخبر الله تعالى نبيه برضاه عن أهل بيعة الرضوان فى القرآن الكريم وذلك فى قوله جلّ وعلا : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[١٦] .

وقد انتهى أمر الحديبية بصلح بين قريش وبين المسلمين ولأن الرسول ﷺ كان على استعداد للتفاهم على أساس عادل سليم ؛ لأنه يؤمن بأن السلم هو أجدى وأنفع لدعوة الإسلام من الحرب ومن أجل ذلك فرح ، واستبشر حينما أرسلت قريش رسولها الأخير سهيل بن عمّرو وتيمن باسمه وقال لأصحابه : (قد سهل الله لكم من أمركم) وكان من شروط الصلح أن يرجع النبى والمسلمون من غير عمرة هذا العام ثم يأتى العام المقبل فيدخلها

(١٤) المرجع السابق صفحة ٢٦٤ ، ٢٦٥.
(١٥) نهاية الأدب السفر السابع عشر صفحة ٢١٧- ٢١٨
(١٦) سورة الفتح الآية ١٨ .

بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش فيقيمون بها ثلاثة أيام ليس معهم إلا القوس والسيف فى القراب وأن توقف الحرب بينهم عشر أعوام .

ولما استدار العام بعد الحديبية وأهل شهر ذى القعدة توجه الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين إلى مكة لأداء العمرة وفق صلح الحديبية والسيوف فى قربها وساقوا الهدى أمامهم حيث مكثوا بها ثلاثة أيام قبل عودتهم إلى المدينة وقد سميت هذه العمرة بعمرة القضاء لأنها قضاء لعمرة الحديبية التى لم تتم وقتئذ[١٧] .

كيف تولى عثمان بن عفان الخلافة وخطة عمله فيها :

لما طعن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بفعل المجوسى أبى لؤلؤة فيروز وتيقن بدنو أجله ذكر للمسلمين ستة نفر من الصحابة كان منهم عثمان بن عفان وقال فيهم عمر : إن رسول الله ﷺ مات وهو عنهم راض ، وأنهم رؤساء الناس ، والناس لهم تبع ، وكانت استشارة عبدالرحمن بن عوف للناس فى شأن من يلى الخلافة تتجلى فى الغالب إلى عثمان فبويع بالخلافة ، وتم له ذلك فى السنة الرابعة والعشرين للهجرة .

وقد استفتح ـ رضى الله عنه ـ بكتب أربعة .

١ ـ فأرسل إلى أمراء الأمصار كتاباً يوصيهم فيه بأن يكونوا رعاة لا جباة ، وأنَّ أعدل السيرة أن ينظروا فى أمور المسلمين وفيما عليهم فيعطوهم مالهم ويأخذوهم بما عليهم ، وأن يعتنوا بالذمة فيعطوهم الذى لهم ويأخذوهم بالذى عليهم ، وأما عن الأعداء فعليهم أن يستفتحوا عليهم بالوفاء .

٢ ـ وأرسل إلى أمراء الأجناد بالثغور وهم حماة الإسلام وزادتهم ألا يبلغه عن أحد منهم تغيير ولا تبديل فيغير الله به ويستبدل بهم غيرهم .

٣ ـ وبعث إلى عمال الخراج أن يأخذوا الحق ويعطوا الحق وأن يحافظوا على أماناتهم ويوفون بها ولا يظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم .

٤ ـ وكتب إلى العامة من المسلمين بالأمصار يوصيهم بالاقتداء والاتباع ويحذرهم من الابتداع[١٨] وجمع الناس بعد ذلك على مصحف واحد بالقراءات الثابتة بطريق التواتر عن رسول الله ﷺ .

فتوحات المسلمين فى عهد عثمان بن عفان :

استأنفت دولة الخلافة حركة الفتوح فى عهده فتم فتح بلاد : أمنية والقوقاز وكانت أذربيجان قد سبق فتحها فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ كما تم للمسلمين فتح باقى بلاد الفرس والتى كانت تضم بلاد بلوخستان وبلاد الأفغان وكردستان ، وقضى على بيت الملك فى دولة الفرس الساسانية بمقتل يزدجرد آخر ملوكهم .

أما فى بلاد الروم ، فقد تم فتح عمورية على حدود غلاطية وأيضاً تم فتح جزيرة قبرص بواسطة أساطيل المسلمين التى تم بناؤها فصارت محطة حربية ومستودعاً للمسلمين فى البحر ونقطة اتصال بحرية بين أهل الشام وبين أساطيلهم التى كانت تمخر البحر الأبيض المتوسط وتلجأ إلى تلك الجزيرة عند الحاجة .

---

(١٧) سيرة الرسول تأليف الدكتور محمد الطيب النجار صفحة ٢٦١ ـ ٢٦٨ .

(١٨) الخلفاء الراشدون صفحة ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(١٨) مجلة الأزهر عدد ذى القعدة سنة ١٣٩٠ هـ مقال عن القراءات للأستاذ عبدالفتاح القاضى بتصرف واختصار .

ومن تاريخ فتح هذه الجزيرة سنة ٢٨ هجرية صارت دولة الإسلام دولة بحرية كما هى دولة برية وقد أفادها ذلك بسبب طول شواطئها فى الشام ومصر .. وبرقة وتونس(١٩) .

الفتنة التى أشعلها اليهودى ابن سبأ وكيف انتهت بمقتل عثمان ظلماً :

كانت دولة الإسلام فى عهد خلافة عثمان قد بدأت فى تثبيت حضارتها الربانية لكى تحقق الغاية العليا من الوجود الإنسانى فى عبادة الله وحده وإسعاد خلقه ، وأجمع الرواة وأهل الأخبار على أنه ـ رضى الله عنه ـ قضى الشطر الأكبر من خلافته وهو أحب الناس إلى الرعية .

ولكن كيف تستقيم الأمور وهناك من يتربص بالدولة الناشئة من اليهود بعد أن أكل الحقد قلبه بسبب شموخ دولـــة الإسلام وصلاح حال المسلمين ؟! فعمل عبدالله بن سبأ اليهودى ـ بعد أن أظهر إسلامه ـ على إشعال الفتنة وإثارة المسلمين على خليفتهم ، فأخذ ينتقل من إقليم إلى إقليم حتى ألف فى كل مكان جماعة ناقمة ساخطة على الخليفة ، ثم اتفقوا سنة ٣٥ للهجرة على أن يتوافدوا إلى المدينة ، فقدمت تلك الوفود من مصر والكوفة والبصرة كل منها فى أربع فرق ..

فلما جاءت الجمعة التى تلى دخولهم المدينة خرج عثمان فصلى بالناس ، وقام جدال بينه وبين تلك الوفود فثاروا عليه وحصبوه حتى خر مغشياً عليه ، فأدخل داره وقد دافع عنه جماعة من أهل المدينة منهم : سعد بن أبى وقاص ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن على بن أبى طالب ، فأرسل إليهم عثمان أن ينصرفوا حقناً للدماء فانصرفوا وقد صلى ـ رضى الله عنه ـ بالناس ثلاثين يوماً ثم منعه الثوار من الصلاة وحاصروه فى داره ومنعوه الماء ، ولزم أهل المدينة بيوتهم خوفاً منهم ، ودام ذلك خمسين يوماً ، ثم ازداد حنقهم عليه وَجَدُّوا فى قتاله ، فبعث الإمام على بن أبى طالب ابنيه الحسن والحسين يذبان عنه وكذلك فعل الزبير بن العوام ، وطلحة ابن عبيد الله وغيرهم فوقفوا على باب عثمان يذبون عنه .

فلما رأى الثائرون ذلك تسوروا داره من منزل مجاور لها ، ونزل عليه منهم رجلان فقتلاه وهربا ، ولم يكن معه إلا امرأته نائلة بنت القرافصة فصرخت وقالت : قد قتل أمير المؤمنين ودخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بنى أمية فوجدوه قد فاضت نفسه ولم يمكنهم أن يسألوا عمن قتله(٢٠) وكان ذلك لثانى عشرة ليلة من ذى الحجة سنة ٣٥ هجرية التى توافق ٢٠ من مايو سنة ٦٥٦ ميلادية(٢١).

وبوفاته ـ رضى الله عنه ـ طويت صفحة ناصعة مجيدة من صفحات الخلفاء الراشدين المهديين بعد رسول الله ﷺ لكن يبقى دليل الاتهام والجريمة أبد الدهر يشير بشدة بأن الخزى والعار على ذلك اليهودى ابن سبأ الذى دس الفتنة وأهاج الناس بحقده الأسود ففرق جماعة المسلمين وجعلها شيعاً وأحزاباً وهل هناك شاهد على عداوتهم أصدق من القرآن . قال الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾(٢٢).

---

(١٩) الخلفاء الراشدون المرجع السابق صفحة ٢٧٠ ـ ٢٩٢.

(٢٠) القضايا الكبرى فى الإسلام تأليف الشيخ عبدالمتعال الصعيدى الأستاذ السابق بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر صفحة ١٥٩ـ ١٦٠ الطبعة الثانية .

(٢١) (الخلفاء الراشدون) المرجع السابق صفحة ٣٤٢.

(٢٢) جزء من الاية ٨٢ من سورة المائدة .

الفتوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ عبدالمنعم فوده

السؤال من السيد/أ . س . ى

من هو الخضر ، وهل هوى نبى أو رسول ، وهل هو حى أو ميت ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرق المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فإن الخضر رضى الله عنه عبد صالح من عباد الله الصالحين وقيل : إنه نبى من أنبياء الله عز وجل وقد كان موجوداً فى عهد سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ وهو الرجل الصالح الذى تقابل معه فى عرض البحر واتبعه وكان من أمره ماكان مع موسى : فى قصة السفينة التى حرقها والطفل الذى قتله والجدار الذى أقامه كما ذكر ذلك فى سورة الكهف .

وليس معنى هذا أنه أفضل من موسى ــ عليه السلام ــ أو من نبى لكن الله علمه علما لم يعلمه لموسى عليه السلام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أما عن حياته أو موته فالله أعلم بأنه مات بعد انقضاء أجله وما يتردد بين الناس بأنه حىٌ للآن لم يقم عليه دليل قاطع والحق أنه مات بعد انقضاء أجله .

السؤال من السيد/ز . ص . ب

فى شهر رمضان من كل عام يلقى فى بلدتنا قبل صلاة العشاء درس علم ، وفى يوم من الأيام طال وقت الدرس حتى ميعاد آذان العشاء ، فاستمر شيخ المسجد فى آداء الدرس حتى تأخر لأكثر من ساعتين بعد ميعاد وقت الصلاة ، وقد نبهنا عليه بهذا أكثر من مرة وما

أن انتهى من الدرس حتى صاح غاضبا بأننا جهلاء لانعرف شيئا ، وأن الدرس أهم من الأذان . أفيدونا أفادكم الله هل كلام الشيخ على صواب أم خطأ .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فإن الآذان للإعلام بدخول الوقت ويستحب المحافظة عليه فى أول الوقت لآداء الصلاة فى وقتها المشروع والصلاة فى أول الوقت رضوان لله فإذا كان هناك درس دينى وسط جمهور داخل المسجد فلا مانع من أن يقف العالم بمقدار الآذان ويردد الجميع وراء المؤذن الآذان ويصلون على النبى ـ ﷺ ـ ولا يجوز تأخير الآذان لآخر الوقت أوحتى ينتهى المحاضر من محاضرته ـ بل لابد من الإعلام بدخول الوقت فى حينه والله أعلم .

السؤال من السيدة/ر . م . هـ

هل التعويض الذى يدفعه المالك مقابل التنازل عن العين المؤجرة حق لمن يقيم بالعين وينتفع بها ؟ أم يقسم المبلغ على الورثة باعتبار أن عقد الإيجار باسم أبيهم ، وتعامل معاملة التركة ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التعويض الذى يدفعه المالك فى سبيل التنازل عن العين للمالك إن كان يرضى نفسه وطيب خاطره فى نظير تنازل الورثة الذين لهم حق فى العين لا يأس به ولايعتبر خلواً محرماً ، لأنه هو الذى يعرض التنازل فى سبيل إخلاء العين .

ويكون المبلغ المدفوع من المالك من حق الورثة لهم أن يقتسموا فيه شرعا كما أوجبه الله لأصحاب الأنصبـــاء من التركـــة للذكـــر مثـــل حظ الانثيين ....الخ .

هو حَقُّ للجميع ولا يشترط أن يكون الجميع ساكنا فى العين لأنه تركة موروثة يجرى عليها مايجرى على التركة الشرعية ... والله أعلم .

توفى شاب أعزب وترك والدته وأختين وأخ أشقاء وأخ غير شقيق من جهة الأم .

فهل يرث الأخ غير الشقيق . وما نصيب من يرث ؟

الأزهر لجنة الفتوى

الجـــواب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .. وبعد .

فنفيد بأن للأم السدس فرضاً لوجود العدد من الاخوة وللأخ لأم السدس فرضاً لعدم من يحجبه والباقى للأخ والأختين الأشقاء تعصيباً يقسم بينهم بينهم للذكر ضعف الأنثى هذا والله تعالى أعلم .

توفى رجل بعد عام ١٩٤٦ م عن أربعة أبناء ، بنت أبن فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لبنت الابن المتوفى قبل والده بمقدار ما كان يستحقه الابن لوكان على قيد الحياة فى حدود

الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م وبشرط ألا يكون الجد قد أعطاها شيئا حال حياته بدون عوض يساوى نصيب أصلها فتقسم التركة خمسة أجزاء جزء منها وصية واجبة لبنت الابن دون أن يشاركها أحد والباقى وهو أربعة أجزاء هو الميراث للأبناء الأربعة الأحياء تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى والله تعالى أعلم .

من/ن . ع . ف :
ما حكم صيام يوم عاشوراء .
وما هو الصيام المجزىء المتفق عليه .

الجـــواب

صيام يوم عاشوراء مندوب شرعا لأن النبى ـ ﷺ ـ صامه وأمر بصيامه والصيام المجزىء المتفق عليه هو يوم العاشر من محرم وإن صام التاسع فلا مانع لأن النبى ـ ﷺ ـ قال:لو عشت إلى العام القادم لأصومن التاسع والعاشر .

السؤال من السيد/أشرف محمود بدر الدين :
هل الزوج ملزم بشراء شقة ملك لإقامة الزوجة فيها ؟
وما حقوق الزوجة المطلقة بعد الدخول بها .
وهل للزوجة حق فى مال زوجها ؟
وما حكم منزل الزوجية بعد طلاق الزوجة ولم يكن معها حاضن . علما بأن المسكن باسم الزوج ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن السؤال الأول بأن الزوج ليس لزاما عليه شراء شقة للزواج بها ولكنه يمكن ايجاد شقة بالإيجار للإقامة بها هو وزوجته .

وعن الثانى بطلاق الزوجة تستحق مؤخر صداقها ، ونفقة عدتها ؛ فإذا كانت من ذوات الحيض فعدتها حينئذ ثلاثة حيضات ، وإن كانت يائسة فعدتها ثلاثة أشهر ، وإن كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل . وليس للزوجة بعد ذلك حق فى مال زوجها .

وعن الثالث إذا كان المسكن باسم الزوج وطلق زوجته ولم يكن معها حاضن فعدتها تنتهى كما بيّنا فى السؤال السابق ؛ فبعد انتهاء العدة عليها أن تغادر مسكن الزوجية . أما إذا كان معها حاضن إن كان ذكراً لها أن تقيم فى منزل الزوجية حتى تنتهى سن الحضانة ، والحضانة بالنسبة للذكر عشر سنوات ، وللأنثى اثنا عشر عاما طبقا لقانون الأحوال الشخصية المعمول به فى مصر . وعلى كل الأحوال فالمسكن باسم الزوج والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/عصام حسن فريد :
حلفت على زوجتى بقولى لها أنت طالق طالق طالق فى مجلس واحد وهذا أول طلاق فما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه بقولك لزوجتك أنت طالق طالق طالق فى مجلس واحد يقع به طلقة واحدة رجعية فلك مراجعة زوجتك مادامت فى العدة فإذا انقضت عدتها منك حلت لك بعقد ومهر جديدين وبرضاها وتبقى معك على طلقتين هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

من أعلام الأزهر

المؤرخ الحجـة

أبو حامد المراغي الجرجاوي

للدكتور / أحمد حسين النمكي

هو العالم والمؤرخ الحجة والفقيه النبيه محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن أحمد بن حجازى بن أحمد الشريف ، الحسنى من جهة أبيه وأمه ، المالكى المذهب .

ولد الشيخ أبو حامد المراغى فى مدينة جرجا ، ليلة السبت الموافق ستة عشر من شهر شوال ١٢٨٢ هـ ، ١٨٦٥ م . وقد نشأ بين أحضان أسرة عرفت بعراقة النسب ، واقبالها على العلم ، وكان لها صيت عريق فى الناحيتين الدينيـة والعلمية ، حيث ساهم جل أفرادها مساهمة فعالة فى الدفاع عن الدين الحنيف ونشر تعاليمه السمحة فى كافة ربوع مصر ، وكان لهذا الشيخ المراغى

الدور الأكبر[١] فقد كان ابنه العالم الفقيه الشيخ محمد آخر من بقى من أبناء الشيخ المراغى ، الذين حملوا راية الدين والعلم بعد أبيه[٢] .

حفظ المراغى القرآن الكريم على يد الشيخ الفاضل أحمد المشهور بالعجماوى ، ثم أتم حفظ القرآن على يد عم والده الشيخ أحمد بن حامد المراغى ، وكذا جَوَّدَه صغيراً[٣] ثم أخذ فى إعداد نفسه ليكون مؤرخاً كبيراً ، وفقيهاً قديراً ، وناظماً وشاعراً مجيداً ، فأخذ العلم على يد كثير من علماء صعيد مصر وغيرهم ، وكانت (جرجا) آنذاك ومنذ وجهت إليها الدولة العثمانية الأنظار ـ كعبة القصاد والعلماء ، إذ كان بها الأزهر الثانى الذى كان دوره لا يقل خطورة ولا إجلالًا عن دور الأزهر الشريف بالقاهرة ، وفى كل المجالات[٤] .

فى هذا الأزهر تخرج الشيخ المراغى ، كما تخرج الكثير ، وأخذ يتردد على جوامع ومدارس جرجا التى بلغت فى القرن الثالث عشر الهجرى مكانة ملاحظة فى صعيد مصر[٥] فاشتغل الشيخ بالعلم على يد أفاضل علماء جرجا الذين قال عنهم الشيخ الإبراشى شيخ الإسلام : « تغيب الفتوى فى كل مكان وتكون فى جرجا » ، وكان الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن على المالكى السيوطى[٦] آخر من تلقى على أيديهم العلم شيخنا المراغى ، ويذكر المراغى نفسه فى إحدى مخطوطاته أنه تلقى العلم على يد الكثير من العلماء ، مثل الشيخ عبد المتعال بن عمر الشهير بالبسطاوى وهو ممن أرخ له المراغى فى (تعطير النواحى والأرجاء)[٧] .

وأخذ عن الشيخ حجازى بن محمد بن عبد الله عنانى ، والشيخ نصر مفتى جرجا آنذاك[٨] وقال المراغى نفسه : إنه تلقى العلم على يد جده لأمه العلامة الشيخ أبى بكر السيوطى من سنة ١٢٩٠ هـ إلى سنة ١٣٢٦ هـ الذى كان يلقى دروس العلم فى (زاوية الكردى) ، كما قال : « تلقيت فيها ـ أى زاوية الكردى ـ حاشية المصطفى وبعضاً من شرح الزرقانى وبعضاً من شرح الكفراوى على متن الآجرومية »[٩] ، وكان ذلك على يد الشيخ السيد عبد العزيز بن عبد الخالق

---

(١) لقد ذهبنا إلى منزل الشيخ والمؤرخ المراغى بجرجا ، وعرفت من حفيدته السيدة الفاضلة فاطمة المراغى أن جدها المؤرخ أنجب ولدين .
الأول محمد ، وقد اشتغل بالعلم والإمامة خلفاً لوالده .
والثانى أبو الفضل .

(٢) كان الناس يُفرِّقون ـ فى مدينة جرجا ـ بين الشيخ الكبير محمد المراغى ، والابن الشيخ الصغير محمد المراغى ابن الأول ، فيطلقون على الشيخ المؤرخ أبى حامد المراغى لقب : « الشيخ أبو سنة » وهذا قد عرفناه عن أسرة المؤرخ نفسها . ولا ندرى تفسيراً لهذا اللقب .

(٣) محمد عبده الحجاجى : من أعلام الصعيد ، العارف بالله أحمد بن شرقاوى والخلفى ص ١١٥ طبعة دار التضامن ١٩٦٩ م .

(٤) أحمد حسين التمكى : الأزهر الثانى ، تاريخه وحضارته . مخطوط . ص ١٤/١٩ .

(٥) محمد عبده الحجاجى : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(٦) أحمد حسين التمكى : المرجع السابق ، ص ١٩ . مخطوط .

(٧) كان من شيوخ المراغى الذين عنوا بالبحث والتنقيب ، ولكنه لم يعن بالتأليف مثل تلميذه الذى كتب عنه فى (تعطير النواحى والأرجاء) الموجود فى دار المخطوطات المصرية . تحت رقم ١٠٦٤٩ ، ٣٥٠٩٦ ، ٤٧٩١٢ .

(٨) محمد بن محمد بن حامد المراغى : (سلافة الشراب الصافى) البكرى فى ترجمة عالم جرجا بل علامة الصعيد الشيخ عبد المنعم أبى بكرى . ص ٦ مخطوط بمكتبة الباحث .

(٩) المراغى : نفس المخطوط . ص ٢٠/١٩ .

الأنصارى المالكى المتوفى بمصر سنة ١٣٣٦ هـ[١٠] . وكان هذا العالم الفاضل من شيوخه العلامة الشيخ محمد المهدى الحنفى شيخ ومفتى الديار المصرية المتوفى سنة ١٣١٥ هـ[١١] .

والجدير بالذكر أننا نجد الشيخ المراغى قد نشأ بين أحضان الأزهر الثانى وعلمائه ، ولاسيما أن له أسرة كان لها فى العلم باع طويل ، فقد كان جده لأمه عالماً[١٢] ، وكان جده لأبيه العالم الفاضل الشيخ محمد بن أحمد بن حجازى المالكى المراغى الجرجاوى أحد شيوخ الأزهر الجرجاوى[١٣] ، ومن ثم تفرغ المترجم له تفرغاً كاملًا لجمع آثار العلماء الفضلاء ، منكباً على كتب التاريخ والأدب منهمكاً فى جمع الدواوين الأخبارية فى كل أرب[١٤] ، ثم قرر الرحيل إلى القاهرة ليتلقى على علماء الأزهر الشريف بالقاهرة ، فأخذ العلم على يد الشيخ يوسف بن على الحواتكى الصعيدى ، والشيخ مصطفى حبيب المالكى والعلامة الشيخ أحمد المنصورى ، والشيخ محمد البسيونى وشيخ الجامع الأزهر العلامة سليم البشرى ، وشيخ الإسلام محمد أبى الفضل الجيزاوى الوراق ، وشيخ الأزهر محمد الامبابى[١٥] .

وبعد رحلته إلى القاهرة عاد إلى أهله ، وبلده والتقى بالشيخ الأستاذ الإمام أحمد بن شرقاوى[١٦] الذى تشرف على يديه بأخذ تعاليم الطريقة الخلوتية ، وكان الشيخ ابن شرقاوى يعتز بتلميذه ، على الرغم من أنه كان أصغر المريدين سناً ، لكنه أوفرهم ذكاء ، وصار ملازماً له فى حله وترحاله ، ومؤرخاً له ، ومقيداً عنه أخباره وأحواله .

كتب المراغى رحلة أستاذه أحمد بن شرقاوى . واستطاع أن يربى ملكاته الروحية ، وفى الجانب العلمى يقول المراغى عن نفسه : « أعلم أنى أخذت صحيح البخارى بطريقة الإجازة عن علامة الدنيا المرشد العارف بالله ـ تعالى ـ الشيخ أحمد بن شرقاوى الخلفى ـ بخاء معجمة وفتح اللام ، نسبة لقرية يقال لها : الخلافية ، بلصق جرجا ، وهو عن علامة الصعيد الحبر الوحيد الشيخ محمد بن حسن المصرى الجرجاوى عن شيخ الإسلام محمد بن أحمد المصرى عن العلامة عبد المنعم الخياط المكنى بأبى بكرى عن والده العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد المنعم الخياط »[١٧] وأخذ الشيخ يسند إلى أن وصل إلى شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ، وأثبت أن سند ابن حجر واضح المعالم ، ويطلب من مواضعه .

وعلى أية حال ، فإن الشيخ المراغى ، كان قد بلغ مكانة سامية فى صعيد مصر ، فى أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى ، وانتزع احترام أهل الصعيد ، ولاسيما أبناء جرجا موطنه الأصلى[١٨] ، وطبقت شهرته آفاق

---

(١٠) المراغى : نفس المخطوط . ص ٤٤ .

(١١) المراغى : نفس المخطوط . ص ٢٠/١٩ .

(١٢) المراغى : نفس المخطوط . ص ٢٠/١٩ .

(١٣) المراغى : نفس المخطوط . ص ٥٩ .

(١٤) راجع محمد عبده الحجاجى : أبو العارف أحمد بن شرقاوى الخلفى . ص ١١٦ .

(١٥) المراغى : تعطير النواحى والأرجاء : حـ ١ ص ٣ (المقدمة) دار المخطوطات المصرية . تحت رقم ١٠٦٤٩ .

(١٦) قطن ابن شرقاوى فى مدينة جرجا بقرية تسمى الخلافية ، وقد ضبطها الأستاذ محمد رمزى ، حـ ٤ ص ١١٥ من القاموس الجغرافى ، كما ضبطها الأستاذ المراغى المترجم عنه ، فهى بفتح اللام الأولى ، قرية تبعد عن جرجا بمقدار اثنين كيلو متر .

(١٧) المراغى : سلافة الشراب الصافى . ص ٦٤ . مخطوط بمكتبة الباحث .

(١٨) محمد عبده الحجاجى : العارف بالله أحمد بن شرقاوى الخلفى . ص ١٢٠ .

الصعيد ، ومصر ، فضلًا عن أنه نال إعجاب أحمد باشا أبو الفتوح مدير إقليم جرجا ، الذى أسند إليه منصب الوعظ والارشاد بهذا الإقليم ، فاندفع الشيخ فى حمية بالغة ينتقل من مكان إلى آخر ، ومن محفل إلى سواه ، ملقياً للدروس فى مساجد جرجا وفى هذه المحافل ، ساعياً فى نشر العلم وتعاليم الإسلام ، وناشراً تعاليم أستاذه الشيخ أحمد بن شرقاوى[١٩] .

أصدقاؤه وتلاميذه من العلماء :

كان أصدقاؤه من العلماء والتلاميذ كثير ، فقد كانت جرجا مجمعاً علمياً ، وكان يفد إليها العلماء والطلاب من كل مكان ، بل كان هناك من الطلاب من يفد إلى جرجا ثم يقيم بها ولا ينزح عنها ، مثل الشيخ إبراهيم نوفل ، والشيخ عبدالرحيم السيوطى والشيخ عبدالمجيد المغربى والشيخ محمد إبراهيم المصرى ، والشيخ عبدالرحمن أحمد الأنصارى[٢٠] وكذا الشيخ أبو الحجاج يوسف الأقصرى ، والشيخ أحمد بن عوض الملقب بالطاهر الحامدى والشيخ الفاضل ومفتى الديار المصرية سابقاً محمد حسنين مخلوف فهو واحد من تلاميذ المعهد الجرجاوى الثانى ، ووكيل الأزهر سابقاً[٢١] وكان من أبرز تلاميذ الشيخ المراغى المقربين إليه ابنه الشيخ محمد ، والشيخ عبدالمجيد المصرى ، والشيخ أحمد شحاته أستاذ علم القراءات ومن أكابر الشعراء فى جرجا وكان الاخير له باع طويل فى علم القراءات وعلم التوحيد والتصوف الإسلامى ، والتفسير والحديث وكان ملازماً للشيخ المراغى ملازمة الظل ، وسكنا معاً فترة .

آثاره العلمية :

ترك الشيخ المراغى مؤلفات علمية كثيرة فى مختلف العلوم والفنون لازالت خطية ولو أنها حققت لساهمت كثيراً فى جلاء الغموض الذى أسدل على الحضارة الإسلامية فى صعيد مصر ، ودور الأزهر الثانى الجرجاوى فى ترسيخ هذه الحضارة[٢٣] كما تجلى مؤلفات المراغى الغموض عن الآثار الإسلامية كالمساجد وغيرها التى تناولها الشيخ المراغى بالوصف وكأنه رجل من الآثاريين فقط ، وعنى بذكر الخطط والآثار على نظام المقريزى فى خططه ، وعنى بالجوانب الفقهية ، وذكر ، بعض الألفاظ وتطورها اللغوى التاريخى ، وأحياناً أخرى يذكر نواح تخص النحو والصرف ، وغير ذلك مما لايتسع له المقام . ومؤلفات المراغى لم تزل فى دار المخطوطات . ومنها ما لا يوجد فى الدار المصرية ، وكذا لا يوجد فى منزله ، ولقد تحققنا من ذلك ، إذ وجدنا بعض أسماء كتب ليس لها ذكر فى دار الكتب المصرية وكذا ليس لها ذكر ولا يوجد لها نسخة فى منزله ، بيد أنه ذكر اسم هذه الكتب فى ثنايا مخطوطاته ، إذ كان كثير الإشارة إليها ، من خلال مؤلفاته . ومن هذه المؤلفات :

(١٩) محمد عبده الحجاجى : نفس المرجع .
(٢٠) الشيخ محمود نوفل : مناقب الشيخ إبراهيم نوفل . ص ٧٠ .
(٢١) مجلة الأزهر – نوفمبر – ديسمبر ١٩٩٠م .
(٢٢) أحمد حسين التمكى : أحمد شحاته . بحث بمجلة الأزهر . أعلام الأزهر . عدد نوفمبر ١٩٩١م .
(٢٣) أحمد حسين التمكى : الأزهر الثانى . تاريخه وحضارته . مخطوط .

١ ـ الأجوبة السديدة فى الأسئلة العديدة .

وهى منظومة تتعلق بأمور الدين والدنيا ، وقد فرغ منها فى سنة ١٣٢٦ هـ وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية(٢٤) .

٢ ـ أحسن النكات فى نظم أسئلة تتعلق بسورة العاديات .

تكلم فيها على ما اشتملت عليه هذه السورة من الحقائق والمجازات والنكات والتشبيهات وما شابه ذلك من المحسنات البديعية ، وهى تعد لوناً من التفسير البيانى للقرآن الكريم .

فرغ من كتابتها فى سنة ١٣١٤ هـ . مخطوط بدار الكتب المصرية(٢٥) .

٣ ـ البدر السافر فى تحقيق أن الوداع يكون من المقيم كما يكون من المسافر .

وهى رسالة فى الرد على ما ورد على البيتين الذين انشدهما العارف بالله ـ تعالى ـ أحمد بن شرقاوى الخلفى ، وهما :

أتـــانى وارد يدعـــو حثيثـــا
ولا أدرى إلى أيـــــن انتهائى
أعـــزائى أودعكـــم بروحـــى
وأوصيكـــم بتقـــوى ذى العطـــاء

فرغ من تأليفها يوم الخميس الثانى عشر من شهر رجب سنة ١٣١٧ هـ . وهى نسخة مجلدة بخط عبد الرحيم محمد العجمى ، فرغ من كتابتها فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٢٠ هـ . وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية(٢٦) .

٤ ـ « بغية المقتدين ومنحة المجدين على تحفة المهتدين فى بيان أسماء المجددين » .

وهى شرح على المنظومة المسماة تحفة المهتدين فى أسماء المجددين ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى(٢٧) .

٥ ـ « تعطير النواحى والأرجاء بذكر من اشتهر من العلماء وبعض أعيان مدينة جرجا » ويسمى أيضاً « أضواء الطالع السعيد فى ذكر من اشتهر من علماء وأعيان جرجا من مدينة الصعيد » .

وهذا المؤلف ، مما هو واضح أنه سار فيه على نمط الشيخ العلامة أبى جعفر الأدفوى ت ٧٤٨ هـ . بيد أن المراغى قد كان أشمل فى تناوله للتراجم من كافة النواحى ، وفى هذا المؤلف ذكر المراغى الضبط لاسم مدينة جرجا وموقعها وما اشتملت عليه من المبانى ، ثم ذكر من بها من المشاهير والأعلام فى مختلف العصور ، ومن لم يقف على ترجمته وتاريخ حياته اكتفى بذكر اسمه وعصره ، الذى كان موجوداً فيه .

هذا الكتاب مكون من ثلاث مجلدات . ورتبه صاحبه على نسق حروف المعجم ، وهو حافل بذكر حياتنا الدينية ، والأدبية والاجتماعية التى لا غناء لأحد من الباحثين عن الوقوف عليها . وقد انتهى من هذا الكتاب فى يوم السبت لثلاث عشر ليلة مضت من ربيع الثانى سنة ١٣٢٢ هـ . وهو بخط المؤلف أما الجزء الثانى . فقد انتهى من تأليفه سنة ١٣٤٠ هـ وهو بخط أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن حجازى .

وهناك نسخة لهذا المؤلف فى مجلدين اثنين ولكنها نفس النسخة الموجودة فى ثلاث مجلدات(٢٨) .

(٢٤) انظر فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٦ ص ٥١ .
(٢٥) فهرس دار الكتب المصرية . جـ٢ ص ١٧٥ .
(٢٦) فهرس دار المخطوطات المصرية . جـ ٧ ص ٩٩ .
(٢٧) فهرس دار المخطوطات المصرية . جـ ٥ ص ١٤٢ .
(٢٨) فهرس دار المخطوطات المصرية . جـ ٥ ص ١٤٢ .

٦ ـ « خلاصة تعطير النواحي والأرجاء »

وهو اختصار لكتابه السابق ذكره ، ضمنه تاريخ مدينة جرجا ومساجدها ، وكنائسها ، وما حدث فيها وتراجم من كان بها من العلماء والأمراء ومذاهبهم وألقابهم ، ومواليدهم ، ووفياتهم وما تركوه من مؤلفات ، وآثار تشهد لهم بالفضل والمنة ، ورتبه كالأصل على حروف المعجم . وفرغ من هذا الاختصار في يوم التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ هـ وهو بخط محمد بن فراج بن على الشهير بالروبى المالكى الجرجاوى الشرقاوى ، فرغ من كتابته يوم الأحد التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة ١٣٣٢ هـ محفوظ بدار الكتب المصرية(٢٩) .

٧ ـ « خلاصة وسيلة المجدين فى ذكر تراجم المجددين »

وهو مختصر لكتابه المسمى « وسيلة المجدين » مخطوط بدار الكتب المصرية ويقع فى جزءين(٣٠) .

٨ ـ « الدرر الذهبية فى شرح القصيدة الدالية فى مدح خير البرية »

وهو شرح للقصيدة الدالية فى مدح خير البرية للعلامة عبد الرحيم السيوطى ، فرغ من تأليفه يوم الخميس الرابع من شهر جمادى الأولى ١٣٠٣ هـ وهو مخطوط بيد المؤلف(٣١) .

٩ ـ « مناقب أحمد بن شرقاوى . ويسمى بأسماء مختلفة »

وهو نسخة مجلدة بخط المؤلف فرغ من كتابتها يوم الأحد الرابع عشر من ذى القعدة سنة ١٣٣٧ هـ مخطوط بدار الكتب المصرية(٣٢) .

١٠ ـ موارد الصفا على مولد المصطفى

مخطوط . فرغ من تأليفه سنة ١٣١٠ هـ نسخة مجلدة بخط المؤلف ، بدار الكتب المصرية(٣٣) .

١١ ـ عقد الدرر فى الجيد فى نظم أسماء ذوى التجديد أوله :

يقول راجى حفظه من باغى
الحسنى عبده المراغى

وهى منظومة سلك فيها المراغى أسماء المجددين للدين والذين بعثهم الله على رأس كل مائة سنة لإصلاح أحوال الناس وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم فى الدنيا والآخرة . مخطوط بدار الكتب المصرية(٣٤) .

١٢ ـ قطع الوهم الخبيث بحسن الرد الحثيث فى بيان وضبط قوله ﷺ ، « تطلع الآجال من شعبان إلى شعبان » .

مخطوط بدار الكتب المصرية(٣٥)

١٣ ـ وسيلة المجدين وهو مختصر من شرح الحديث المشهور المتداول وهو قوله ﷺ « إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » وقد ذكر فيه المؤلف أسماء المجددين وقد سار فى ترتيبهم على حروف المعجم . ويقع فى جزءين . وهو مخطوط بدار الكتب المصرية وقد كتب بخط الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف بن حجازى الشهير بالدمنهورى الشافعى الجرجاوى . الذى فرغ من كتابته يوم الثلاثاء ٢١ من صفر ١٣٣٩ هـ الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٢٠ م . وكانت آخر ترجمة فى هذا

(٢٩) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٥ ص ١٤٢ . تاريخ .
(٣٠) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٥ ص ١٧٠ . تاريخ .
(٣١) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٥ ص ١٧٣ . تاريخ .
(٣٢) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٧ ص ١٢٦ . أدب .
(٣٣) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٨ ص ١٠٠ . تاريخ .
(٣٤) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٨ ص ٢٥٨ . تاريخ .
(٣٥) فهرس الكتبخانة الخديوية . جـ ١ ص ٢٨٠ .

المؤلف لصديقه الشيخ يوسف الحجاجي الأقصرى[٣٦] .

١٤ ـ سلافة الشراب[٣٧] الصافى ـ البكرى فى ترجمة عالم جرجا بل علامة الصعيد الشيخ عبد المنعم أبو بكرى .

بخط الفقير لربه . حسن محمود نوفل ،

وهذه المخطوطة وجدناها فى منزل أسرة العارف بالله ـ تعالى ـ عبد المنعم أبى بكرى المعروف بالخياط ، وصاحب الزعامة ، والمعروف بمقاومته للحملة الفرنسية على جرجا ، التى اتخذ منها مراد بك مقراً له ، وهرباً من وجه نابليون وقواده[٣٨] وهذه المخطوطة لم نجد لها صورة أو أصلًا فى دار المخطوطات ، ولا فى منزل المؤرخ نفسه[٣٩] وإنما ذكر لى أحد أفراد عائلة المراغى نفسها أن مؤلفات ومكتبة الشيخ قد قسمت بين أفراد عائلته وهناك محاولة تبذل من أجل ضم هذه المكتبة إلى الأزهر الشريف ، وذلك تحقيقاً لرغبة الشيخ المراغى ، وحتى لا تضيع هذه المكتبة أدراج الرياح ، والجدير بالذكر أن الشيخ المراغى قد قضى نحبه يوم الثلاثاء صباحاً ، بعد أن أدى الفريضة ، ثم ودع هذا العالم إلى عالم علوى ، ودفن رحمه الله ـ تعالى ـ بعد صلاة العصر ، الموافق ١٠ من شوال ١٣٦١ هـ ٢٠ من أكتوبر ١٩٤٢ م ، وكان الدفن بجوار العارف بالله ـ تعالى ـ الشيخ أبى عمرة[٤٠] ، ورثاه تلميذه الشيخ أحمد بن شحاته فقال :

هات ياعين دمعك المدرارا
واسبقى فى مسيلك الأنهارا
وإذا جفت الدموع فهات
من مآقيك كالعقيق احمرارا

والقصيدة من واحد وثلاثين بيتا جاء فيها هذا البيت الذى يفيض بعلم المراغى :

نمقت راحتاه خمسين سفراً
كل سفر يطوى هدى واعتبارا

وفى ختامها يقول :

ياحديث الرسول فابكى[٤١] إماما
كان يوليك همة واقتدارا
ياحديث الرسول فابكى هماما
كان يهوى لبحثك الأسحارا
ياحديث الرسول مات حبيب
لك فاملأ ضريحه أنوارا
رضى الله عنه حيا وميتا
وحباه إلى النبى جوارا

وإذا كنا قد أحصينا للشيخ من مؤلفاته مايزيد على خمسة عشر مؤلفاً ، فإن الشيخ أحمد شحاته لم يبالغ فى ذكر هذا الرقم ، ذلك أنه لم يفارق شيخه ، وكان الشيخ المراغى يطلعه على مذكراته التى كان يضعها فى (جيب) داخل (جبته) ، ويقول له : اقرأ ياأحمد .

هذا ، وقد قدمنا فى البحث مايشير إلى ضياع كتب له . رحمه الله رحمة واسعة .

---

(٣٦) فهرس دار الكتب المصرية . الملحق لقسم التاريخ . ص ٢٧٧/٢٨٨ .

(٣٧) السُّلاف ما سال من عَصير العنب قبل أن تعصر وتسمى الخمر سلافاً ، وسلافة كل شيء عَصَرْته أوله . قاموس مختار الصحاح . مادة سلف ص ٣١٠ .

(٣٨) أحمد حسين التمكى : الأزهر الثانى . تاريخه وحضارته . مخطوط . ص ١٥ .

(٣٩) نقوم الآن بتحقيق هذه المخطوطة ، وكل مانرجوه أن نلقى معاونة أمناء دار المخطوطات .

(٤٠) هذا التاريخ أخذناه من واقع شهادة وفاة الشيخ المراغى ، من منزل حفيدته السيدة فاطمة المراغى ، وهى قاطعة بصحة الوفاة فى هذا اليوم عكس ماذكره الأستاذ محمد عبده الحجاجى .

(٤١) .... كذا .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الأمانة الثقيلة

للأستاذ/ محب الدين الخطيب
إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

هذه دعوة صادقة ، جاءت فى وقتها ، فأصابت المحز . فالواقع يهتف بنا أن هلم إلى احياء سنن الإسلام الدارسة التى يكاد أن يطويها النسيان ويسدل عليها الستار .

يا قومنا إن تراثنا العلمى أغنى وأضخم من تراث أى أمة ، فينبغى ألا نقصر فى دراسته وتنظيمه حتى تظل لنا الميزة الفريدة التى ساقها ـ عز وجل ـ لنا فى قوله : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران : ١١٠)

قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ هى هذا التراث العلمى العظيم الجسيم الذى ملأ خزائن كتب الأمم من كنوز شريعتنا ، وجهود أعلامنا وأئمتنا وعلمائنا وحكمائنا وخطبائنا فى أربعة عشر قرناً .

هى هذا النهب المقسَّم بين أيدى الدهر ، وأهواء الملل ، وحسد الأقوياء ، وشهوات العلماء والجهلاء ، وآفات الأرض والسماء .

ومن قبل هذا التراث الإسلامى الأعظم ، كانت ألسنة أسلافنا وعقولهم مؤتمنة من الله على هذه اللغة العريقة فى القدم ، البالغة فى أوديتها وجبالها أقصى غايات الكمال والجمال ، حتى اضطر عدو العروبة والإسلام العلامة الفرنسى الكبير ارنست رينان لأن يقف ـ فى كتابه تاريخ اللغات السامية ـ أمام عظمة العربية وجلال روعتها ، وخصب مادتها ، ودقة الأحاسيس التى تعرب عنها بكل حرف من حروفها ، وبكل صيغة من صيغها ، وبكل لحن موسيقى ساحر من ألحان نبراتها وجمال منطقها ، وبما فى ظلال هذه الحروف والصيغ والألحان من باهر الدلائل على رجاحة أحلام قدماء الناطقين بها ، وسعة مداركهم ، وبعد أغوار إنسانيتهم ، فأنساه ذلك كله ما انطوت عليه نفسه من إحنة للعروبة والإسلام ، فلم يلبث أن رأى صوته يهتف بكلمته الخالدة يوم قال :

« إن هذه اللغة قد بلغت حد الكمال فى قلب الصحراء عند أمة من الرحل ، ففاقت اللغات بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها . وكانت مجهولة من الأمم ، لكنها من يوم علمت ظهرت للناس فى حلل الكمال ، ولم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة . ولا نعلم شبيهاً لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج ، وبقيت حافظة كيانها ، خالصة من كل شائبة » .

إن أمة ائتمنها الله على هذه اللغة المحسودة ، وعلى هذه الشريعة الحكيمة التى هى رجاء الإنسانية فى مبادئها المثالية العليا لو قيض لها رجال يتقنون تنظيمها ويحسنون عرضها ويتعاملون

بأحكامها وأخلاقها حتى يراها الناس بأبصارهم لا بأسماعهم ، ثم ائتمنها الله على جهود قادة الفكر وأئمة العلم فى الدنيا منذ كان الفكر معطلاً من نشاطه إلا فى أوطاننا ، ومنذ كان العلم غريباً عن الناس إلا فى معاهدنا ومساجدنا وحلقات دروسنا ..

هذه الأمة التي ائتمنها الله على تراث للعقول والفهوم والعلوم لا نظير له فى ماضى أمة أخرى من الأمم ، ما أدرى بماذا يحكم عليها قضاء الله العادل جزاء إعراضها عن هذه الثروة الفخمة الضخمة ، وإهمالها هذه التركة الغنية بأثمن مواريث الفكر البشرى والترف العلمى والمتاع الثقافى والأدبى .

أليس من العجيب أن يتسع وقت موظف واحد من موظفى الحكومة المصرية فى القرن السابع الهجرى لتأليف معجز لسان العرب فى عشرين مجلداً بلغ بها فى زمانه حد الإتقان ، ثم نعجز نحن وجامعاتنا ومجمعنا اللغوى عن أن نؤلف لزماننا معجماً للعربية يكون ـ فى إتقانه وشموله وسهولة استعماله وحسن التسلسل الإشتقاقى والتاريخى فى مواده ـ مضارعاً للمعاجم الممتازة فى اللغات الأخرى ، ثم نختصر منه لجمهور المثقفين معجماً متوسطاً ، ونختار من الوسيط لصغار الطلبة معجماً وجيزاً ، فنسد بهذه المعاجم الثلاثة الواقية حاجة العصر إلى مراجع فى اللغة يرتاح الناس إليها ويقضون وطرهم منها .

أليس من العجيب أن يحدث الله هذا الإنقلاب السريع فى إتجاه الطلبة الجامعيين ، فبعد أن كانوا قبل عشرين سنة طابوراً خامساً يتنكر للتراث الإسلامى ، صار لنا منهم الآن مئات ومئات يهتفون من أعماق قلوبهم : القرآن دستورنا ، لكنهم يبحثون آناء الليل وأطراف النهار عن مراجع جيدة يتعرفون منها إلى تفاصيل أحكام هذا الدستور القرآنى فلا يجدون بين أيديهم ما يشبعون به نهمتهم الفكرية ، ومايسهل به عليهم النفقة بسنن الإسلام فى تكوين المجتمع الصالح ، والأمة المفلحة ، والدولة الإسلامية المثالية .

إن فقهاء القانون الفرنسى ـ على قرب عهده ـ قد أصدروا معاجم لفقه قانونهم حافلة بكل معنى من معانيه وكل غرض من أغراضه ، مؤيدة بنصوص القوانين المعمول بها ، ومقارنة بأمثالها فى مختلف البلاد اللاتينية الأخرى ، ومشفوعة بأحكام المحاكم العليا فى فرنسا وبلجيكا وسويسرا وغيرهن ، ومرتبة موادها على حروف المعجم ، فيستطيع القاضى أو المحامى أو طالب الحقوق أن يراجع كل معنى يريده فى دقائق ليجد نصوص القانون وآراء علمائه فى تفسيرها وأحكام المحاكم وحيثياتها فى تطبيقها . أما فقهنا السابق على فقه القانون الفرنسى بأكثر من ألف سنة ، والذى ملأ علماؤنا وأئمتنا خزائن الأرض بأجود المؤلفات فى تأصيله وتفريعه ، وفى شرحه وبيان حكمته ، وقد حكم به مئات الألوف من قضاتنا فى أوروبا (الأندلس وغيرها) وفى آسيا وإفريقيا بأحكام أصابت كبد العدل المجرد عن كل غاية وهوى ، وأفتى بدقائق وقائعه ومختلف مذاهبه ألوف الألوف من أعلام الفتيا فى جميع أمصار الإسلام من عصر الصحابة إلى الآن ، فإنه ـ ويا للأسف ـ لا يزال مبعثراً فى المخطوط والمطبوع من كتبه التى لم يتمرس بمراجعتها ولم يأنس بالإفادة منها حتى طلبة كلية الشريعة بالأزهر ، فما بالك بطلبة كليات الحقوق فى الجامعات المدنية ! بل إن أنفس كتب الفقه وأثمنها لا تزال مخطوطة وموزعة فى آفاق الشرق والغرب ، والمطبوع منها أصبحت طبعاته نادرة وفى حكم المخطوطة . وحتى غير النادر منها كيف يتوصل طلبة العلم إلى مراجعتها

بوقت سريع وهى لم تنظم تنظيماً مقارناً يقوم عليه فقهاء ضلعيون أمناء على هذه الشريعة ويعتبرون عملهم هذا عبادة كما كان فقهاؤنا الأقدمون يتعبدون بهذا الضرب من ضروب القربة إلى الله عز وجل ؟

وأعلام هذه الأمة من الصحابة والتابعين والفاتحين والدعاة والحاكمين والعلماء والأدباء والساسة والمؤرخين والشعراء والمؤلفين وقادة الرأى ، لماذا لا يكون فى الأيدى كتاب واحد يجمع تراجمهم جميعاً من قدمائهم الأولين إلى زماننا هذا ، ليجد شباب الجيل فى سيرتهم الأسوة والقدوة ، وليعرفوا طريقهم إلى أهدافهم سائرين فيه على آثار من تقدمهم .

والمذاهب والنحل التى نجمت فى الإسلام ، لماذا تبقى إلى الآن عالة فى معرفتها على كتابى الشهرستانى وابن حزم ، ولماذا لا يقوم فى علمائنا من يدرس ما جد بعد الشهرستانى وابن حزم من مذاهب وطوائف ونحل آخرها البابية والبهائية والشيخية والبكتاشية والتجانية والقاديانية والأحمدية ؟ أليس من الفقر العلمى أن لا يكون فى أيدى الناس معجم عصرى جامع لكل فرقة ونحلة وطائفة وطريقة ومذهب نجم فى تاريخ الإسلام ، ولكل داعية من دعاة الفتنة والفساد الذين حاولوا أن يحدثوا فى الإسلام بدعة لم تكن منه ، وانحرافاً عن كتاب الله وسنة رسوله بالدس أو التأويل أو التضليل أو غير ذلك من أساليب الشيطان ، فيكون هذا المعجم قائماً على دراسة كل فرقة ، والتعريف بها من نصوص كتبها وصميم دعوتها ، وكيف تطورت ، وما هى مقاطع أطوارها ، ومن هم الذين مثلوا هذه الأدوار ، وما هى مقاصدهم ، ولحساب من كانوا يعملون ؟

وهذا الوطن الإسلامى والعربى ، هل فى أيدينا معجم واحد شامل لكل ما فيه من أمكنة وبقاع كما هى اليوم وكما كانت من قبل ؟ إننا لانزال نعيش فى ذلك على مجهود أبى عبيد البكرى يوم كنا نحن أصحاب البلاد الإسبانية ، وعلى مجهود ياقوت الحموى قبل مئات كثيرة من السنين . وقد قامت بعدهما معالم للعمران تغيرت بها الأرض غير الأرض ، وجدت لأبناء العروبة والإسلام ذكريات تاريخية ومفاخر أو كوارث ملية وقومية فى جبال وطن المسلمين والعرب وأوديته ومرابعه لم يكن يعرفها أبو عبيد البكرى ولا ياقوت ، فهل تحركت فى قلب عالم من علمائنا المشتغلين بالجغرافيا أمنية التفرغ لتأليف معجم جديد للبلدان الإسلامية والعربية يبنى فيه على ما أسسه البكرى وياقوت ، ويستقصى أسماء الأمكنة والبقاع إلى زماننا ، وكما هى فى زماننا ، فتحيى به مواطن الذكريات لنشأة عظمائنا وأحداث تاريخنا وميادين جهادنا الحربى والعمرانى والعلمى .

وحديث نبينا أيضاً كدنا نصير فيه عالة على الأجانب عنا فى ديننا ولغتنا وعلومنا ! أليس من المخجل أن يسهر فى بلاد هولندا رجال من علمائها على دراسة السنة المحمدية فى دواوينها الكبرى دراسة شمول واستقصاء فيتتبعوا كل لفظة وردت فى أى حديث نبوى ، ويثبتوها فى مكانها من معجم عظيم يشتغلون الآن بتأليفه ، ويضعون إلى جانب تلك اللفظة كل حديث وردت فيه ، ومكان ذلك الحديث فى كتبه المعتبرة مع تعيين أجزائها وصفحاتها من تلك الكتب . ونحن كان لنا من القرن السادس الهجرى كتاب النهاية فى غريب الحديث ، وهو معجم لألفاظ السنة ألفه ابن الأثير الجزرى بعد مؤلفات كثيرة تقدمته فى هذا الموضوع ، وجدت بعده كتب اخرى على

هذا النمط ، غير أن هؤلاء الهولنديين لم يريدوا من معجمهم تفسير غريب الحديث ، بل أرادوا استيفاء ألفاظه واستقصاء الأحاديث التى إستعملت فيها هذه الألفاظ والدلالة على مواضعها من كتب السنة ليتمكن طالب كل حديث من معرفة مواضعه فى الكتب المشهورة بسرعة ويسر ، ومع أن المؤلف الأول لهذا المعجم قد مات ، فإنه قد خلفه على الاستمرار فيه عالم من مريديه وأصدقائه ، ثم مات هذا المؤلف الثانى ، فتكفلت مؤسسة (اليونسكو) بالإنفاق على إتمامه والإستعانة بأهل العلم للمضى فيه ، وقد صدر منه إلى الآن ثمانية عشر جزءاً ، ومن الإنصاف الإعرتاف للعاملين الأولين فى هذا الكتاب بأنهم لم يخطر على بالهم فيه أى كسب مادى ، وإنما قاموا به ليملأوا فراغاً علمياً شعروا ــ قبلنا ــ بوجوده ، فأعدوا أنفسهم لسد ثغرة قدر العلم من هذه الناحية ، ومضوا فى عملهم بجد وصبر ومثابرة لا يعرف قدرها إلا من يعرف قدر العلم ، ويشعر بالسعادة فى السهر عليه دون أن يخامره خاطر من خواطر الكسب المادى من وراء ذلك .

وتاريخ العروبة والإسلام ، وهو من حاجياتنا الأساسية فى مدارسنا ودراستنا ، لايزال إلى اليوم مهملًا بحيث لا نستطيع أن نزعم أنا لنا كتاباً واحداً فيه يعطى صورة صادقة لأبناء الجيل عن عظمة أسلافهم وما قاموا به للإنسانية وأمجادها من جهاد لم تبلغ أمة من أمم الأرض عشر معشاره .

وإن أسلافنا البررة المخلصين ، والمعاصرين لهم فى كل أدوار التاريخ من علماء الطابور الخامس فى الإسلام ، قد سجل هؤلاء وهؤلاء وقائع التاريخ ، فجاء فيه الصدق والحق من طريق أهل الحق الصادقين ، وجاء فيه الإفك والزور من طريق ذوى الأهواء والمغرضين ، وقد يختلط هذا بهذا على الطلبة وأنصاف المتعلمين إن لم يبادر أهل الألمعية من علمائنا العارفين بأقدار أسلافنا فيمحصوا هذه الروايات ويجردوها من آفاتها ويردوها إلى أصلها الصحيح ، ثم يحسنوا عرضها فى كتب وجيزة ومتوسطة ومطولة ، فيتم البعث بذلك لجهاد مجيد قام به عظماء كانوا بشهادة الله لهم ﴿ **خير أمة أخرجت للناس** ﴾ ، وسار فيه على قدمهم مجاهدون من التابعين لهم بإحسان ففتحوا الممالك ونشروا دعوة الله إلى الهدى ، فنبغ فى ظلال نظامهم رجال من أبناء البلاد التى دخلت فى الإسلام على أيديهم كانوا أئمة الدنيا ومفخرة العلم والعدل ، وكانوا هم الناس فى زمانهم . بينما كتب التاريخ التى تلقن الآن فى مدارسنا ومعاهدنا لا يجد فيها شباب الجيل الصورة الصحيحة لتلك العصور ، وكل ما فيها قشور عن اختلافات زيد فيها وحرفت عن حقيقتها حتى صار فيها العظيم صغيراً ، وذو اليد الكريمة على أمته ذميماً لئيماً .

أنا لا أدعو إلى محاباة الأسلاف ، ووصفهم بغير ما كانوا عليه ، وإنما أدعو إلى تجريد سيرتهم من أكاذيب الطابور الخامس التى دسوها فى كتبهم وأصابت فيما مضى رواجاً بتشجيع أهل الأهواء من ذوى السلطان ، وقد آن أوان تطهير التاريخ الإسلامى من هذه الطوارىء عليه والدخائل فيه .

نعم لقد آن أوالن هذا التطهير والتنقيح فى كتب المناهج ، ومن الواجب على معاهد الأزهر وعلى وزارة التعليم أن يعيدا النظر فى كتب الدراسة ، وأن تكتب من جديد بالأساليب التى تلائم تكوين الأمة تكويناً جديداً سليماً تتبوأ به مكانها بين الأمم .

يزعمون أننا فى عصر تقدم وارتقاء ، ومن الناس من يريد أن يوهمنا بأن عصور أسلافنا كانت

دون عصرنا هذا فى نهضته العلمية وتقدمه الثقافى . ويكفى لإدحاض هذه الأكذوبة دليلان قائمان لا يستطيع أن يمارى فيهما أحد : أولهما أن الأقدمين كفوا أزمانهم ما كانت تحتاج إليه من المؤلفات والمعاجم الكبرى التى لانزال عالة عليهم فيها ، والآخر أنهم كانوا يعملون لله معتبرين العلم وخدمته عبادة لا يشوبونها بشىء من شهوات الكسب المادى أو أنانية الاستعلاء .

ولو أننا من خمسين سنة إلى الآن أخلصنا للعلم كما أخلص له ابن منظور فى تأليف لسان العرب ، والنورى فى تأليف ما خلفه لنا من مصنفات نفيسة ، وابن حجر العسقلانى فى هذه العشرات الكثيرة من المجلدات التى خدم بها السنة ورجالها والشريعة وعلومها والتاريخ وأعلامه ، وابن تيمية الذى أحدث فى علوم الإسلام بعثاً جديداً بمؤلفات مبتكرة لو تفرغ أربعة رجال من بدء حياتهم إلى نهايتها ليبيضوا مسوداتها لما أتوا على آخرها ـ وهكذا كان علماؤنا من زمن الإمامين الشافعى وأحمد إلى زمن السيوطى وأضرابه يتعبدون بخدمة العلم وتمحيصه وتدوينه لوجه الله وحده ـ فلو سار علماؤنا من خمسين سنة فى طريقهم وخدموا العلم بالنية التى كانت يخدمه بها الأسلاف ، لوجدت فى الأيدى حتى الآن أمهات الكتب التى نحن محتاجون إليها ، لأمكن تتويج هذه الجهود بتأليف دائرة لمعارفنا كما ألفت الأمم ـ وآخرها اليهود ـ دوائر لمعارفهم .

وأعظم ما إئتمن الله علماءنا عليه من أمانات العلم فى التراث الإسلامى (سنن الإسلام) التى يجب على كل مسلم إحياؤها والعمل بها فى الأخلاق الشخصية ، والتقاليد المنزلية ، والمعاملات فى السوق ، والآداب فى المجتمع ، والأحكام فى المحاكم ، والأهداف فى سياسة الحكم . وكيف يستطيع المسلم أن يحيى هذه السنن إن لم يعرفها ، وكيف يعرفها المسلمون إن لم يقم العلماء بأعباء هذه الأمانة الإسلامية بجد وحزم وعناية واستقصاء ، وأول مراحل القيام ببعث سنن الإسلام بعد العلم بها والعمل بها ، وأول من يترتب عليه العمل به العالمون بها . فإحياء سنن الإسلام أول جهاد العلماء ورأس واجباتهم ، وإثم انحراف الأمة عن هذه السنن وتعطيلها فى جميع المرافق ـ بعد تعطيلها فى النفوس والبيوت ـ واقع بلاشك على المقصرين فى تعريف المسلمين بها ، ودلالتهم عليها بالبيان العلمى ، وحسن عرضهم لها بالسيرة والتعامل والأخلاق .

وبعد فإن تراثنا العلمى القديم أغنى وأضخم من تراث أى أمة أخرى ، ولكن تقصيرنا فى دراسته وتنظيمه والإفادة منه قد تجاوز كل حد ، حتى كاد يحكم علينا المستشرقون بأننا لسنا من أهله ، ولو أننا نحن أصحابه لكان لنا فيه شأن آخر .

ترى هل آن الأوان لتغيير موقفنا من أمانة العلم ، وهل يحاسب كل منا نفسه على ما قام به فى حركة البعث والإحياء ، لنصل حاضرنا بماضينا ، ونكوّن أمتنا فى عصرنا تكويناً عربياً إسلامياً نعيد به ما مضى من جمال كياننا ، مع ما نحن قائمون به من تجهيزه بأحدث معارف العصر وصناعاته وأسباب قوة الأقوياء فيه ؟

إن التفكير فى ذلك ، والتماس الأسباب لتحقيقه ، من تمام ما نحن فيه من تجديد ، فى هذا العهد الجديد ،

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سلطان العلم

قال يحيى ابن أكثم : قال الرشيد ما أنبل المراتب ؟

قلت : ما أنت فيه يا أمير المؤمنين .

قال : فتعرف من أجلّ منى ؟

قلت : لا ، قال : لكنى أعرفه ، رجل فى حلقة يقول : حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : قلت يا أمير المؤمنين ؛ أهذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله ـ ﷺ ـ وولى عهد المؤمنين ؟

قال : نعم ، ويلك هذا خير منى ، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ـ ﷺ ـ لا يموت أبداً ، ونحن نموت ونفنى ، والعلماء باقون ما بقى الدهر .

ذكر الناس داء

عن الأعمش ، قال : قال سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عليكم بذكر الله فإنه شفاء ، وإيَّاكم وذكر الناس فإنه داء .

صدق أهلك

أكل أعرابى مع أبى الأسود الدؤلى ؛ فرأى له لقْماً منكراً ، وهاله مايصنع فقـــال له : ما اسمك ؟ قال : لقمان قال : صدق أهلك ، أنت لقمان .

اجتنب

اجتنب سبع خصال يستريح جسمك وقلبك ويسلم لك دينك وعرضك .

لا تحزن على ما فاتك ، ولا تحمل هم مالم ينزل بك ، ولا تلم الناس على ما فيك مثله ، ولا تطلب الجزاء على مالم تعمل ، ولا تنظر بشهوة إلى مالم تملك ، ولا تغضب على من لا يضره غضبك ، ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك .

إلى كل صاحب رسالة

جعل الله لك العلم نورا فى الطاعة ، وسببا إلى النجاة ، وزلفة عند الله .

نفع الله بعلمك المستفيدين ، وقضى بك حوائج المنحرمين ، وأوضح بك سنن الدين وشرائع المسلمين .

أدام الله لك التطول بإسعاف الراغب ، وأنجح بك حاجة الطالب ، وأمنك مكروه العواقب .

جواب فى هزل

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو والى الكوفة « جدى » يوضع على مائدته ، فحضره أعرابى فمد يده إلى الجدى ، وجعل يسرع فيه .

فقال له المغيرة : إنك لتأكله بحرد كأن أمه نطحتك .

قال : وإنك لمشفق عليه كأن أمه أرضعتك .

نصائح حانية

للشاعر الأديب الأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين :

● إن كنت عاقلا جادا :

تعلم الحرفة من أربابها ، وخذ العلم من فقهائه ، واحفظ لكل حرمته .

● للشباب سكرة تورث الحرة ، فتبصر كى لا تخسر .

● حكمك على الناس حكم الناس عليك ، هذا صدى لذاك .

● من أشاد بغثائك فقد مكر بك ، وجرعك السم فى العسل .

● من أفنى شبابه لاهيا ، قضى مشيبه باكيا ، ورحل غير مأسوف عليه .

● استمع لمجرب ، وإن أغلظ فعضال الداء يُسيغ مر الدواء .

أبيات محببة

ذكر عن الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ إنشاده لهذين البيتين كثيرا :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب

الأعرابى والناقة المفقودة

ضلت ناقة لأعرابى فى ليلة مظلمة ؛ فأكثر فى طلبها فلم يجدها ، فلما طلع القمر وانبسط نوره وجدها إلى جانبه ببعض الأودية ، وقد كان اجتاز بموضعها مرارا فلم يرها لشدة الظلام فرفع رأسه إلى القمر وقال :

ماذا أقول وقولى فيك ذو حصر
وقد كفيتنى التفصيل والجملا
إن قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا
أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

دعـــاء

اللهم اعصمنا بحبلك ، وثبتنا على أمرك .

العلـــوم الكونيـــة

من مآثر المسلمين فى العلوم الهندسية

ا . د . أحمد فؤاد باشا
أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

انتزع علماء المسلمين من مؤرخى العلم والحضارة شهادتهم الصريحة بما ابتكروا وأسهموا فى مجال علوم الرياضيات والهندسة والارتقاء بها نظريا وعمليا . ولقد ساعد تقدم العلوم الهندسية بخاصة على تقدم تقنية الهندسة المعمارية متمثلة فى المبانى والقصور والمساجد التى نهضت فى الشرق والغرب ، ولا تزال خطوطها وزخارفها ودقة أشكالها وتنسيقها محل إعجاب حتى اليوم . كذلك تقدمت تقنية هندسة الرى ، لأن أعمال الرى وتوزيع المياه تتطلب معرفة دقيقة بمستوى الأرض وانحدارها وبكمية المياه وسرعتها ومجراها ، وبمواد البناء وخصائصها واختيار الانسب منها لبناء السدود والتحكم فى التوزيع .

وسوف نقتصر فى هذا المقال على عرض التطور التاريخى لعلم الهندسة ودور علماء المسلمين فى تقدمه .

مقدمة تاريخية :

يمكن القول أن الهندسة التطبيقية المستخدمة فى الحياة العملية لتعيين مساحات الأراضى وحدودها لتقدير الخراج ، وتحديد مساقط الخطوط على الأرض لضبط عمليات البناء ، كانت معروفة لدى المسلمين قبل اطلاعهم على تراث الحضارات القديمة بصورة عامة ، وحضارة الاغريق على وجه الخصوص . بل إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أمر ببناء عواصم جديدة فى الأقاليم التى شرفت بالفتح الاسلامى حسب خطط معينة ، مثل الكوفه فى العراق ، والفسطاط فى مصر ، كما أمر بمسح أراضى السواد (جنوب العراق) وغيرها مما فتح على المسلمين لتحديد خراجه . وهندسة الزخرفة كانت معروفة أيضا ويشهد عليها بهاء القصور الأموية وزخرفة مساجد القدس والمدينة المنورة وعلى هذا فإن علم الهندسة عند المسلمين كانت له أصول وتطبيقات فى حياة الناس .

لكن عندما نتحدث عن الهندسة النظرية بما فيها من بنية منطقية وأنساق منهجية تعتمد على بديهيات ومسلمات ومبرهنات ، فإننا نعود الى نقطة البدء من هندسة « إقليدس » فى كتابه « للأصول » .

وكان الحجاج بن يوسف بن مطر الذى عاش فى أيام الرشيد والمأمون قد قام بالترجمة والتعليق على كتاب « الأصول الهندسية » لاقليدس مرتين : الأولى أطلق عليها اسم : « الترجمة الهارونية » والثانية عرفت باسم : « الترجمة المأمونية » كذلك ترجم هذا الكتاب إلى العربية كل من : حنين بن اسحق ، وأبى الريحان البيرونى الذى كتب رسالة فى حل شبهة عرضت فى المقالة

الثالثة عشرة . وقد أتاحت هذه الترجمات الفرصة للتعرف على أحد فروع الرياضيات الذى يتعامل مع النقطة والخط والسطح والفراغ ويعنى بدراسة الأشكال من حيث الحجم والمساحة .

ويضم كتاب « الأصول » جل ما نعرفه اليوم عن الهندسة الإقليدية ويدرسه طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية من التعليم العام ، ويقع فى خمس عشرة مقاله : منها أربع مقالات فى السطوح الهندسية ، ومقالة فى المقادير المتناسبة ، وأخرى فى نسب السطح بعضها إلى بعض ، وثلاث مقالات فى العدد والتمثيل الهندسى ، ومقالة فى المنطق ، وخمس مقالات فى المجسمات .

العلوم الهندسية فى التراث الإسلامى :

حظى كتاب اقليدس فى الهندسة باهتمام علماء المسلمين ، فمنهم من قام بدراسته دراسة وافية شاملة ، ومنهم من اختصره وزاد على نظرياته وتفنن فى البراهين وطرق حل المسائل ، ومنهم من ألف على نسقه وابتكر مسائل هندسية جديدة لا زال بعضها يعرف حتى الآن باسم أصحابها ، مثل مسألة ابن الهيثم التى اكتشفها عندما بحث انعكاس الضوء بطرق هندسية[1] .

وكان إقليدس قد اعتبر فى كتابه أن المسلمات أو المصادرات POSTULATES الخمس التى تنطلق منها سائر العلوم الهندسية هى :

١ ــ يمكن أن نخط خطا مستقيما بين أى نقطتين .

٢ ــ يمكن ان نمد خطا مستقيما على استقامته .

٣ ــ يمكن ان نرسم دائرة على أى نقطة وبأى بعد .

٤ ــ الزوايا القائمة كلها متساوية .

٥ ــ اذا قطع خط مستقيم خطين مستقيمين آخرين فصيَّرَ الزاويتين الداخلتين على جهة بعينها أنقص من قائمتين فإن المستقيمين يلتقيان فى تلك الجهة إذا مُدًّا على استقامتيهما .

ونلاحظ أن المسلمات الثلاث الأولى ما هى إلا رسوم هندسية للخط المستقيم والدائرة ، والمسلمة الرابعة تقرر حقيقة تساوى الزوايا القائمة وجعلها مقياسا تقاس الزاوية به وتنسب إليه . أما المسلمة الخامسة فهى نظرية يتحقق فيها التقاء مستقيمين مرسومين على سطح واحد إذا تحقق شرط محدد . وإذا كان المقصود بالمسلمة هو أنها قول أو حكم أو فرصة يمكن قبوله والتسليم بصحته بدون حاجة إلى برهان ، فإن هذا المفهوم يمكن أن ينطبق على المسلمات الأربعة الأُول ، ولكنه يحاط بالغموض والشك فيما يتعلق بالمسلمة الخامسة التى كانت هدفا لنقد علماء الرياضيات منذ ظهورها ، ورفضوا اعتبارها من القضايا التى يجوز التسليم بها دون برهان ، فقد يسلم المرء بأن فى إنقاص الزاويتين الداخلتين عن قائمتين ما يستلزم

---

(١) تنص مسألة ابن الهيثم على أنه : « إذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس ، فكيف تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الواصل منها إلى احدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس » . وحلول هذه المسألة كثيرة متنوعة ، وهى تتراوح بين اليسر والسهولة فى الأحوال العامة وحينا يكون السطح العاكس مستويا ، وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كريا أو اسطوانيا أو مخروطيا أو حينما تعتبر حالات خاصة . وتؤدى هذه المسألة إلى معادلة من الدرجة الرابعة ، حلها ابن الهيثم بواسطة تقاطع دائرة مع قطع زائد . راجع فى ذلك مؤلفنا « التراث العلمى للحضارة الاسلامية » القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٨٦ وما بعدها .

بالضرورة تقـــارب الخطين من جهـــة هاتين الزاويتين ، ولكن هذا وحده لا يكفى للجزم بأن الخطين لابد ملتقيان فى نقطة ما . إذ من المعلوم أن هناك خطوطا هندسية يقترب الواحد منها نحو الآخر باستمرار دون أن يلتقيا أبدا مثل القطع الزائد والخطين المقاربين له .

إذن فالمسلمة الخامسة لإقليدس ما هى إلا فرض راجح الصدق ، ولما كان رجحان الصدق لا يكفى للاقناع فى الرياضيات والهندسة فلا مفر من البرهنة عليها . وبعد ترجمة كتاب إقليدس إلى العربيـة تصدى لشرح هذه المسلمـة وبرهـانها كثيرون مثل البيرونى ، وثابت بن قرة ، والحسن ابـن الهيثم ، وعمـر الخيـام ، ونصر الديـــن الطوسى ، والجوهرى ، وغيرهم .

منهج المسلمين فى شرح المصادرة الخامسة :

إن تناول علماء المسلمين لنظريـة الخطـوط المتوازية ، أو المسلمة الخامسة لإقليدس ، يعكس طريقتهم العلمية فى البحث العلمى . فقد عنى ابن الهيثم ، على سبيل المثـال ، بشرح مصادرات (مسلمات) إقليدس ، ويعتبر كتابـة « حل شكوك إقليدس فى الأصول وشرح معانيه » من أهم المؤلفات التراثية التى أثـارت العديـد من المجادلات والمناقشات العلمية وفتحت الباب لمزيد من التأليف فى هذا المجال الخصب من المعرفة ويوضح ابن الهيثم منهجه العلمى فى مقدمة كتابه هذا بقوله : « كل معنى تغمض حقيقته ، وتخفى بالبديهة خواصه ، ويشك به فى بعض أحواله فالشك متسلط عليه ، وللمعاند والمشكك طريق مقنع إلى معاندته والطعن عليه ، وخاصة العلوم العقلية والمعانى البرهانية ، إذ العقل والتمييز مشترك لجميع الناس ، وليس جميعهم متساوى الرتبة فيها ، وليس يذعن واحد من الناس لغيره فيما يدعى صحته بالقياس ، ولا تصح دعواه فى نفسه إلا بعد أن يصح له ذلك المعنى بقياسه وتمييزه الذى استأنفه هو وتشكك صحته فى عقله .. والمصادرات (أى المسلمات والبديهيات) تنقسم الى ثلاثة أقسام : المسلم به ، والمبين بالقياس ، والمحدود ، فكل مسلم به يحتمل التشكك ، أما المبين بالقيـاس فيمكـن أن يتشكك بمقدمـات قياسه ، وأما المحدود فيمكن التشكك والطعن فى حدوده .. وإن كتاب إقليدس فى الأصول هو الغاية التى يشار إليها فى صحة البراهين والمقاييس ومع ذلك لم يزل الناس قديما وحديثا يتشككون فى كثير من معـــانى هذا الكتـــاب وكـــثير من مقاييسه » .

وهنا تجدر الاشارة إلى سمة هامة من سمات الشخصية العلمية الحقيقية التى يتمتع بها ابـن الهيثم ، وتتمثل فى إدراكه الواعى لأهمية ما يسمى « بالشك المنهجى » عند البدء فى تناول موضوع علمى بالبحث والدراسة ، فهذا الأسلوب يمكن أن يستخدمه الباحث الناضج بإرادته ، رغبة منه فى اختبار معرفته وعدم تأثر تفكيره بالأخطاء المألوفة التى تشوب الثقافة السائدة فى مجتمعه أو التى يقرأها فى الكتب . وهذا النوع من الشك يعتبر فى حقيقة الأمر أحد عناصر اليقين فى تحصيل الحقيقة العلمية وترجيح صحتها ، وهو يختلف عما يعرف بالشك الحقيقى أو المطلق الذى يزاول لذاته وبغير إرادة من صاحبه ، فيعيش فى حالة ريب متكاسل يبدأ فيها وينتهى بالشك وعدم الثقة فى بلوغ أعلى درجة من الصدق واليقين . وهناك من الباحثين من يرى فى الشك المنهجى القوة

الموقظة فى تاريخ النشاط العقلى ، ويرجع إليه كل نزوع الى النقد الصحيح وحرية البحث وعبقرية الاكتشاف فى ماضى المعرفة وحاضرها . فمثل هذا الشك العلمى منهج يتبع عند اختبار المعرفة أو امتحانها أو عند العمل على كسبها ، وقد عرفته الدراسات العقلية الحديثة وأيده التحليل « السيكولوجى » الحديث . ذلك أن الاعتقاد والانكار فى رأى الكثير من علماء النفس مظهران لحالة نفسية واحدة . فالضد الصحيح للاعتقاد هو الشك والبحث وليس الانكار ، وإذا صح هذا كان الشك بهذا المعنى ضروريا لكل معرفة علمية صحيحة فى مجال السلوك أو البحث التجريبى أو النظرى ،بل إن اكتساب المعرفة وتحصيل المعلومات الصحيحة يقوم على اتجاه عقلى يعبر عنه بالشك فى بادىء الأمر .

ولعل هذه السمة المنهجية فى تفكير ابن الهيثم هى التى جعلت عالما رياضيا معاصرا مثل الدكتور على مصطفى مشرفة يقول عن كتاب « حل شكوك إقليدس » الذى نحن بصدد الحديث عنه : « إن المطلع على كتاب ابن الهيثم فى حل شكوك إقليدس يلمس دقة المؤلف فى التفكير وتعمقه فى البحث واستقلاله فى الحكم ، كما يتضح له صحة إدراك ابن الهيثم لمكان الهندسة الإقليدية من العلوم الرياضية على أنها دراسة منظمة للعلاقات والمقادير المكانية من ناحية كونها علاقات أو مقادير دون النظر الى ما يمكن أن تدل عليه من موجودات .. فابن الهيثم فى هذا الكتاب رياضى بحت بأدق ما يدل عليه هذا الوصف من معنى وأبلغ ما يصل اليه من حدود[٢] .

وكان طبيعيا أن يؤلف ابن الهيثم بعد ذلك رسالة خاصة بدراسة نظرية الخطوط المتوازية ضمنها محاولته لبرهان المسلمة الخامسة لإقليدس بمفاهيم جديدة تتناول الحركة والحس والتمييز ، وصاغها فى منطوق جديد مؤداه « أن الخطين المتقاطعين لا يوازيان خطا واحدا » . وتفهم عمر الخيام مفاهيم ابن الهيثم وانطلق منها الى برهان جديد مستنتجا أن مجموع زوايا أى شكل رباعى تساوى ٣٦٠° وأن مجموع زوايا أى مثلث تساوى قائمتين . ثم جاء بعد ذلك نصير الدين الطوسى فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى وأظهر براعة فائقة فى معالجة المسلمة الخامسة من مسلمات إقليدس وقدم برهانا جديدا على أن مجموع زوايا المثلث تساوى زاويتين قائمتين فتداولته كتب الهندسة التى تدرس فى جامعات العالم وقال عنه المؤرخون أنه بداية عصر جديد فى علم الرياضيات الحديثة[٣] .

ويعترف المؤرخون للعلوم الرياضية بأن برهان نصير الدين الطوسى يعتبر نقطة التحول فى تطور علم الهندسة وظهور الهندسات اللاإقليدية الجديدة التى تلعب الآن دورا عظيما فى دراسة الفضاء الكونى وتفسيرات النظرية النسبية بعد أن تطورت على أيدى « لوباشوفسكى » الروسى و « ريمان » الألمانى ، وغيرهما . ولا يزال هناك الكثير من النظريات والأفكار الهندسية التى تم الكشف عنها فى ثنايا الكتب والمخطوطات التى تم تحقيقها أو التى تنتظر جهود المخلصين من أهل الاختصاص للبحث عنها وتعريف الأجيال برواد العلم وصناعه الحقيقيين من نوابغ العرب والمسلمين .

---

٢ ــ راجع مؤلفنا : التراث العلمى للحضارة الاسلامية مرجع سابق ، ص ٦٠ .

٣ ــ نفس المرجع ، ص ٥٩ .

حول مقالى

المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية

أمر الله لا تحده سرعة الضوء

- ٢ -

للدكتور/ عبد الرحمن أحمد السمان (*)

وخلاصة القول فيما قدمناه بعدد ذى الحجة :

١ ـ المكان : مكان التدبير (موضع التدبير) هو العرش ومادون العرش موضع التفضيل ، وما دون السموات موضع التصريف (القرطبى) .

٢ ـ المنفذ : جبريل عليه السلام (يحيى بن سلام ، الزمخشرى) الملك الذى يدبر الأمر ، حملة الأخبار من الملائكة (ابن عباس ، قتادة ، ابن شجرة ، النقاش) أو جبريل والملائكة (مجاهد والضحاك) .

مدة التدبير : ألف سنة من سنى الدنيا (مجاهد) أى يقضى أمر كل شيء لألف سنة فى يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته .

سرعة التنفيذ : يرى الزمخشرى أن جبريل لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم من أيامكم .

ويرى ابن عباس أن الملك يصعد فى يوم مسيرة ألف سنة (النزول ألف سنة والصعود ألف سنة).

ويرى قتادة أن نزوله فى خمسمائة سنة وصعود فى مثلها .

الأمور التى يتم تدبيرها : القضاء والقدر (ابن عباس) أو أمر الرياح والجنود بواسطة (جبريل عليه السلام) ، القطر والماء بواسطة (ميكائيل) ، الموت بواسطة (عزرائيل) ، وينزل بالأمر عليهم (إسرافيل) ـ القرطبى .

(*) الكاتب : مدرس بكلية العلوم قسم الرياضيات جامعة الأزهر

أو أمر الشمس فى طلوعها وغروبها ورجوعها إلى موضعها من الطلوع فى يوم كان مقداره فى المسافة ألف سنة ـ القرطبى .

المكان الذى يعود إليه الأمر بعد التدبير : مكان غيبى (المكان الذى أمرهم الله تعالى أن يرجعوا إليه) مجاهد والضحاك .

تفسير آية سورة الحج : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ .

المصدر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٩٥٧ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر وزارة الثقافة ج.م.ع جـ ١٢ ص ٧٧ .

قال ابن عباس ومجاهد : يعنى من الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض .

وقال عكرمة : يعنى من أيام الآخرة وأعلمهم الله إذ استعجلوه بالعذاب فى أيام قصيرة أنه يأتيهم فى أيام طويلة .

الفراء : هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم فى الآخرة . أى يوم من أيام عذابهم فى الآخرة ألف سنة .

وقيل : المعنى وأن يوماً فى الخوف والشدة فى الآخرة كألف سنة من سنى الدنيا فيها خوف وشدة وكذلك يوم النعيم قياساً .

تفسير فى ظلال القرآن : سيد قطب ١٩٨٢ الطبعة العاشرة دار الشروق المجلد الرابع ص ٢٤٣٠ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ .

وذلك دأب الظالمين فى كل حين ، يرون مصارع الظالمين ، ويقرأون أخبارهم ويعلمون مصائرهم ، ثم إذا هم يسلكون طريقهم غير ناظرين إلى نهاية الطريق !! فإذا ذكروا بما نال أسلافهم استبعدوا أن يصيبهم ما أصابهم . ثم يطغى بهم الغرور والاستهتار إذا أملى لهم الله على سبيل الاختبار فإذا هم يسخرون ممن يخوفهم ذلك المصير وإذا هم من السخرية ـ يستعجلون ما يوعدون !!

﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ فهو آت موعده الذى أراده الله وقدره وفق حكمته واستعجال الناس به لا يعجله كى لا تبطل الحكمة المقصودة من تأجيله وتقدير الزمن فى حساب الله غيره من حساب البشر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ .

ص ٢٤٠٧ والشوط الثالث يتضمن عرض نماذج من تكذيب المكذبين من قبل ، ومن مصارع المكذبين ومشاهد القرى المدمرة من الظالمين ، وذلك لبيان سنة الله فى الدعوات وتسلية الرسول ـ ﷺ ـ عما يلقاه من صد وإعراض وتطمين المسلمين بالعاقبة التى لابد أن تكون كذلك .

تفسير الجلالين ص ٤٤٠ : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ﴾ ـ بإنزال العذاب كإنزاله يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا ..﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب (كَأَلْفِ سَنَةٍ) فى الدنيا .

المصحف المفسر : ص ٤٤٠ : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ . ولكن

الله حكيم لا تستفزه عجلة المتعجلين ولا تثيره أهواء الطائشين وإن يوما عنده كألف سنة مما تعدون وكم من قرية أمهلتها وهى ظالمة لترجع إلى الصواب ثم أخذتها بعد اليأس من صلاحها وإلىّ المصير .

صفوة التفاسير جـ ٢ ص ٢٩٣ دار القلم بيروت ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾.أى : ويستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بالعذاب استهزاء وإن ذلك واقع لا محالة ، لكن لوقوعه أجل لا يتعداه لأنه تعالى لا يخلف الميعاد .

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تعدُّونَ﴾ . أى هو تعالى حليم لا يعجل فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حلمه فلماذا يستبعدونه ويستعجلون العذاب ؟

ولهذا قال بعد ذلك ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ .

يتضح من مجموع هذه الآراء والتفاسير أن :

١ – كيفية تدبير الله لأمور الخلائق كلها أمر غيبى جملة وتفصيلًا .

٢ – افتراض أن هناك يوماً إلهيا ﴿ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يقابله اليوم الدنيوى وبالتالى يمكن عقد مقارنة بين طوليهما قول متكلف لأن الله يخاطب البشر بما يمكنهم فهمه وليس بما يمكنه صنعه جل وعلا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية ١١ الشورى .

٣ – الاجتهاد مع القران يتطلب استحضار القرآن كاملًا وليس اقتطاف آيات متفرقات والوقوف عند مفردات متشابهات لأن ذلك يهدر مبدأ رئيسياً من مبادىء التفسير وهو مراعاة سبب النزول والهدف من الآيات .

٤ – وضع حد أعلى لسرعة تنفيذ الأمور الإلهية لا يزيد على مقدار سرعة الضوء معناه مباشرة أن الله جل علاه – لا يقدر – وحاشا لله ألا يقدر – على ما هو أسرع وأكبر تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن ناحية أخرى فإن تدابير الإنسان لشئون حياته تقوم على العناصر الآتية :

١ – استقبال الأمر فى الخاطر (بمجرد التفكير فيه فسبحان من سخر لنا كل شىء) .

٢ – النظر فى امكانية تنفيذه من حيث توفر الأسباب وملاءمة الظروف المحيطة .

٣ – اصدار أمر التنفيذ (أو الهم بالتنفيذ) .

٤ – تحديد وسيلة وكيفية التنفيذ .

٥ – متابعة تحقيق التنفيذ واستقرار العمل فيه إذا كان العمل ممتداً لفترة زمنية .

٦ – معالجة الآثار الجانبية فى الوسط المحيط بتنفيذ الأمر .

ويحتاج كل عنصر مهما كان الأمر المنفذ بسيطاً إلى زمن حتى ولو كان لمح بصر .

أما فى جانب الخالق جل جلاله فإنه يأمر فيخلق من عدم فلا معنى إذاً للزمن أو السرعة وغيرها من المصطلحات البشرية .

يقول المؤلف (ص ٩١٠ يسار) (جـ) قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَعْرجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ تدل ــ كما فهم معظم المفسرين ــ على حد السرعة فى السماء .

تعليق : من أقوال المفسرين السابقة يتضح أن أحداً منهم لم يقل بأن هناك حداً أعلى لسرعة تدبير الأوامر الإلهية .

ص ٩١١ (يمين) سطر ١١ (من الآخر) يقول المؤلف وبالرجوع إلى الآية القرآنية التالية فإن الضوء ــ معبراً عنه كلمح البصر هو أحد الأوامر الإلهية كما فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [سورة القمر ٤٩ ــ ٥٠] .

تعليق : يقول الشيخ الصابونى فى صفوة التفاسير جـ ٣ ص ٢٩٠ .

أى وما شأننا فى الخلق والإيجاد إلا مرة واحدة لا تحتاج إلى تأكيد بثانية فيكون ذلك موجوداً كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين (المختصر ٣/٤١٤) .

وفى قصة سيدنا سليمان عندما سأل جلساءه قائلًا (كما يحكى القرآن) .

﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [الآية ٣٨ سورة النمل] .

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [الآية ﴿٤٠﴾ سورة النمل] . يعنى أسرع من لمح البصر .

وقد تحقق ذلك فعلًا : ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [الآية ﴿٤٠﴾ سورة النمل] فإذا كان من عنده علم من الكتاب وهو مخلوق لا محالة يستطيع أن ينجز أمراً أسرع من لمح البصر فإن هناك سرعة أكبر من سرعة الضوء .

ص ٩١١ : يمين سطر ٢ (من الآخر) : يقول المؤلف ولقد أجمع المفسرون على أن الأمر فى آية السجدة شيء كونى بالغ السرعة وليس أمراً تحمله الملائكة ، لأن الله هو المدبر للأمر فى أية السجدة .

تعليق : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ [الآية ١٥٤ سورة آل عمران] . يفرق المؤلف بين أمر الله ينفذه سبحانه وأمر يوكله إلى الملائكة فيتم حسب قدرة الملك المكلف بذلك وهذا ينطوى على تحايل لأن الملائكة مسخرون لا يعصون الله ماأ مرهم ويفعلون ما يؤمرون فليس للملك قدرات ذاتية يتصرف بها إذا أمره الله بشيء .

أما قوله شيء كونى بالغ السرعة يرمى بذلك إلى أن سرعة الأمر الإلهى هى سرعة الضوء ــ يتناقض مع مايدعيه من أن سرعة الملائكة خمسين مثلًا من سرعة الضوء ، فهل سرعة الأمر الإلهى أقل من سرعة الملك ؟!!(٠)

ص ٩١٢ سطر ١٠ يسار : يقول المؤلف (جـ) أن آية السجدة (٥) والحج (٤٧) تسمحان لنا عملياً بحساب الحد الأقصى للسرعة الكونية المطلقة (يقصد سرعة الأمر الإلهى) كما سبق استنتاجه من حديثه طبقاً للمعادلة القرآنية التالية والمستنتجة من النص الشريف للآيتين .

تعليق : السرعة الكونية حتى الآن حسب قوله مجهولة ويرغب سيادته فى استنتاج قيمتها حسابياً ويقول « المسافة التى يقطعها الأمر الكونى بالسرعة القصوى فى السماء فى زمن قدره يوم أرضى واحد تساوى تمام المسافة التى يقطعها القمر فى فلكه الخاص حول الأرض فى زمن قدره ألف سنة قمرية » .

المقالة الثانية : عدد رجب ١٤١٣ هـ ص ١٠٨٣ ـ ص ١٠٩٠ :

يقول المؤلف ص ١٧٣ (ثالثاً) المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية كحد أقصى للسرعة الكونية .

١ ـ معادلة جديدة فى نظام الأرض والقمر .

المسافة التى يقطعها الأمر الكونى بالسرعة القصوى فى يوم أرضى واحد = المسافة التى يقطعها القمر فى مداره الخاص حول الأرض فى ألف سنة قمرية .

تعليق : **ليس هناك مبرر لتحديد سرعة الأمر الكونى (بالسرعة القصوى) هى سرعة ما ع كم/ساعة مثلاً .**

فى ص ١٠٨٤ سطر (٤ ، ٥ ، ٦) .

يقول المؤلف : وبهذا يمكن كتابة المعادلة السابقة كما يلى باعتبار أن أية مسافة تساوى حاصل ضرب السرعة × الزمن إذا كانت السرعة منتظمة .

تعليق : طالما أن سرعة الأمر الكونى مجهولة لنا فهى مجهولة لنا مقداراً واتجاهاً يصبح افتراض ثبوتها (سرعة منتظمة) مجرد فرض يحتمل الصواب والخطأ ولا يصلح للقطع به يقيناً .

يقول المؤلف :

الحد الأقصى للسرعة الكونية × زمن اليوم الأرضى = ١٢٠٠٠ × طول المدار القمرى .

معادلة (٢)

ويقول :

$$\text{الحد الأقصى للسرعة الكونية} = \frac{\text{١٢٠٠٠} \times \text{طول القمر حول الأرض}}{\text{زمن اليوم الأرضى}}$$

معادلة (٣)

والتعويض عن طول المدار القمرى حول الأرض فى المعادلة الأخيرة : بحاصل ضرب متوسط السرعة المدارية للقمر × زمن الشهر القمرى :

$$\text{الحد الأقصى للسرعة الكونية} = \frac{\text{١٢٠٠٠} \times \text{متوسط السرعة المدارية للقمر} \times \text{الشهر القمرى}}{\text{زمن اليوم الأرضى}}$$

معادلة (٤)

تعليق : استخدام متوسط السرعة المدارية للقمر هو نوع من التقريب للسرعة الحقيقية للقمر التى تختلف من نقطة إلى أخرى على المدار القمرى حول الأرض كما أن سرعة القمر مقاسة عن مسطح الأرض وهى متحركة فى مسار بيضاوى بسرعة غير منتظمة هى سرعة نسبية (ظاهرية) وطالما أننا نبحث عن ثابت كونى من خلال القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فيجب عدم التدخل بأى تقريب وحساب الكميات بطريقة مضبوطة تماماً ويكفى الخطأ القائم فى أجهزة القياس مهما دقت .

وقد جرت عادة العلماء أن يربطوا الأجرام السماوية المتحركة بجرم سماوى بعيد جدا يطلقون عليه النجم الثابت حتى يتسنى لهم حساب السرعات وغيرها بما يتفق ومبادىء الميكانيكا التقليدية النسبية وغير النسبية . وقد أشار المؤلف إلى ذلك ثم أهمل استخدامه فى الحسابات .

فقد ذكر فى ص ١٠٨٥ سطر (٦) من الآخر «لهذا تسمى الفترة من الهلال إلى الهلال بالشهر الاقترانى وهى فى المتوسط ٢٩,٥٣٠٥٩٠ يوماً بينما يدور القمر دورة كاملة (٣٦٠°) حول الأرض بالنسبة إلى النجوم البعيدة كمرجع ساكن نسبياً فى شهر نجمى قدره مقاساً بالساعات الذرية ..» .

ويقول ص١٠٨٦ (سطر ٨ من الآخر) ويتميز النظام النجمى فى أنه يتخلص من تأثير دوران الأرض حول الشمس فيعطى الأزمنة الفعلية المناسبة للحساب فى المعادلة القرآنية السابقة .

وفى سطر (٤) من الآخر يقول : ومعنى هذا أنه عند التعويض عن زمن اليوم الأرضى نستخدم اليوم النجمى كمدة دوران الأرض فى فلكها الخاص حول نفسها دون تأثير دوران الأرض وفلكها حول الشمس وكذلك عند التعويض عن زمن الشهرى القمري نستخدم الشهر النجمى كمدة دوران القمر فى فلكه الخاص حول الأرض دون تأثير دوران الأرض ومعها القمر حول الشمس .

وفى ص ١٠٨٧ سطر (١) يقول :

وبالمثل فإننا عند حساب طول المدار القمرى فى فلكه الخاص حول الأرض فلابد أن يكون هذا الفلك مستقلًا عن الأفلاك الأخرى المتداخلة معه وهذا سوف يضطرنا إلى اجراء التصحيح التالى للسرعة المدارية المرصودة للقمر حول الأرض .

تعليق : يتضح من أقواله أنه أدخل التقريبات الآتية :

١ ـ سرعة القمر = متوسط سرعته المدازية .

٢ ـ مدار القمر هو دائرة نصف قطرها ٣٨٤٠٠٠ كم بينما المسار بيضاوى طول نصف المحور الأصغر = ٣٥٦٠٠٠ كم ، طول نصف النظر الأكبر = ٤٠٦٦٠٠ كم تقريباً .

٣ ـ سرعة القمر = $\frac{\text{٢ ط} \times \text{متوسط النصف قطر المدار}}{\text{زمن الشهر النجمى}}$

٤ ـ اعتبار الزاوية التى تدورها الأرض حول مركز الشمس وليس حول النجم البعيد الثابت فى زمن قدره شهر قمرى وأخذ القيمة ٢٦,٩٢٨٤٨° شهرياً (ص ١٠٨٨ ، ١٠٨٩) .

وبالتالى اعتبار هذه الزاوية نفس زاوية دوران القمر حول الشمس خلال شهر . (سطر ٣ من أسفل ص ١٠٨٨) .

وهذا اهمال للنظام النجمى الذى اعتبره المؤلف أدق فى الحساب من غيره واعتماد النظام النجمى يعنى أن الزاوية هـ= صفر .

ثالثاً ـ حساب السرعة ع (التى سماها المؤلف السرعة القصوى) :

فى النظام النجمى يكون :

هـ = صفر

متوسط السرعة المدارية للقمر = ٣٦٨٢,٠٧ كم/ساعة

زمن الشهر النجمى = ٦٥٥,٧١٩٨٦ ساعة — من الجداول المنشورة بالمقالات

اليوم النجمى = ٨٦١٦٤,٠٩٠٦ ثانية

فتكون ع = (١٢٠٠٠ × ٣٦٨٢,٠٧ × ٦٥٥,٧١٩٨٦) / ٨٦١٦٤,٠٩٠٦ = ٣٣٦٢٥٢,٣٤٠١ كم/ث

وإذا اعتمدنا على النظام الشمى نجد أن :

ع ٣٢٣٠٧١,١٦٠٩ كم/ث

يتضح من ذلك أن ما يسمى بالسرعة القصوى للأمر الكونى (الإلهى) لا تقوم على أساس علمى سليم مما يستدعى مراجعة المؤلف فيما ذكره من خواطر وحسابات .

أما المقالة الثالثة :

فلا تحتاج إلى تعليق تفصيلى . ويسترعى الإنتباه ذكر المؤلف فى ص ٢١٢ سطر ١٤ العنوان ٧ ـ سرعة عروج الملائكة والروح :

والتعليق : هو تذكير الباحث بقول الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الآية ٨٥ الإسراء] .

كما أن الروح يطلق على سيدنا جبريل عليه السلام ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الآية ١٩٣ الشعراء] .

شكر :

أتقدم بخالص الشكر للأستاذ الدكتور عبدالشاف فهمى عبادة أستاذ ورئيس قسم الرياضة بكلية العلوم جامعة الأزهر على تفضله بقراءة هذا التعليق وتوجيهاته الإيمانية والعلمية القيمة وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يتقبل منا جميعاً صالح الأعمال وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

---

(٥) راجع المقالة الثالثة ص ١٢١٣ سطر ١٩ ، ٢٠ .

الجديد فى العلم والتقنية

اعـــداد : د. نجوى السيد أحمد.

● استخدام الضوء لعلاج الاكتئاب .

لجأ أطباء نفسانيون فى إحدى المدن الألمانية إلى استخدام نوع غير تقليدى من العلاج هو العلاج بالضوء لمكافحة الاكتئاب بدلا من استخدام الأدوية المضادة للاكتئاب . وتتكون أجهزة العلاج من (٧) لمبات فلورسنت تعطى الوان الطيف العادى التى يعطيها ضوء النهار وتشبه المجموعة كلها الشمس فى منتصف النهار . يجلس المرضى مرتين فى اليوم أمام الضوء من ساعة إلى ساعتين لامتصاص الأشعة الضوئية التى تعمل على تنشيط إنتاج الجسم من هرمون « السيروتونين » ووظيفته مكافحة الكآبة والهبوط .

● انتاج مواد لتحسين التربة الزراعية :

أدت نتائج الأبحاث التى تجرى بالمركز القومى للبحوث إلى إمكانية الحصول على مواد تمتص الماء بنسبة ٥٠٠٪ من وزنها ، وذلك لانتاج مواد محسنة للتربة تقوم بامتصاص الماء وتخزينه . وهذه المواد يمكن تصنيعها من مخلفات الحيوان بعد معالجتها كيميائيا بحيث تزداد درجة امتصاصها للماء ، وكذلك عن طريق مواد كيميائية فى صورة بودرة أو مواد جلاتينية . وتصلح هذه المواد فى مصر خاصة فى زراعة الصحراء حيث يمكن توفير كميات المياه التى قد تتسرب إلى الرمال .

● استخدام المخلفات الصناعية لانتاج العلف :

توصل فريق بحثى بالمركز القومى للبحوث إلى مصادر جديدة لانتاج بروتينات وحيدة الخلية عن طريق تنمية سلالات من الخميرة على مخلفات المصانع الغذائية مثل عصائر المانجو والجوافة كمصدر كربونى لنمو هذه الخمائر ومن فوائد هذه الدراسة : الإقلال من التلوث البيئى الذى تسببه هذه المخلفـــات ، والحصول على بروتين غير تقليدى قليل التكلفة يمكن استخدامه كعلف للحيوانات .

● بلاط للحماية من غاز الرادون :

ابتكر مهندس بناء بريطانى نوعا من البلاط يمنع تسرب غاز الرادون المشع الذى ينطلق من صخور اليورانيوم إلى داخل البيوت المبنية فوق هذه الصخور ويسبب الكثير من الأمراض السرطانية والبلاط الجديد لا يختلف عن البلاط العادى سوى أن سطحه السفلى فيه تعرجات متوازية ، وعندما يوضع بشكل منتظم تتكون من هذه التعرجات قنوات متوازية وتنتهى عند الجدران الخارجية للمنازل المبنية من الطوب المفرغ فيدخل الغاز

• باحثة بالمركز القومى للبحوث .

المنطلق من أرض المنزل خلال القنوات فى الطوب ويتبدد فى الجو الخارجى ، والبلاط الجديد مصنوع من أسمنت بلاستيكى يطلى بعد مزجه فوق الأرض بطبقة من مادة بلاستيكية تمنع تسرب غاز الرادون من الشقوق بين البلاط .

● عربة أطفال لحمايتهم من تلوث الهواء :

ابتكرت احدى الشركات الأمريكية جهازا جديدا يعد بمثابة سكرتيرة إلكترونية حيث يمكن الاحتفاظ بعشرة آلاف حرف ورقم ، أى ما يعادل مئات الأسماء والأرقام التليفونية ، كما يقوم الجهاز بإجراء العديد من الحسابات ، ويذكر بالمواعيد الهامة وذلك على مدى اسبوعين قادمين .

● ثورة جديدة فى عالم صناعة « الكمبيوتر » :

يشهد العالم ثورة جديدة فى عالم صناعة أجهزة الكمبيوتر حيث سيتوصل « الكمبيوتر » إلى فهم كل حرف وقوس ومسألة مكتوبة بالقلم على شاشته ، ونظام التشغيل لديه قدرة على فك رموز خط اليد مهما كان شكلها ، ويتوقع المحللون حركة رواج كبيرة فى مجال صناعة « الكمبيوتر » وذلك لسهولة استخدام هذه الأجهزة للأقلام .

● أجهزة الليزر للكشف عن مخالفات السيارات :

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية أجهزة ليزر حديثة لتكشف بسرعة وبدقة السيارات المخالفة للسرعات المسموح بها . يصدر الجهاز الجديد سلسلة من النبضات الخفيفة تحت الحمراء ، وتحدد وحدات الليزر السرعة عن طريق قياس مدى السرعة التى تعكسه السيارة المنطلقة .

● جهاز إلكترونى يعمل كسكرتيرة :

ابتكرت احدى الشركات الألمانية عربة خاصة للأطفال تستوعب ٦ أطفال من ٣ الى ٥ سنوات ، وهى مزودة بغطاء من مادة خاصة تغلف الهواء المحيط بالأطفال بدخان عازل لحمايتهم من تلوث الهواء وعوادم السيارات أو العدوى بالأمراض ، وهذه المادة لا تحتوى على أية سموم ، فهى آمنة تماما حتى لو أمسك الطفل بغطاء عربته التى تجوب الشوارع ، كما أن العربة مزودة بأزرار خاصة يمكن عن طريقها زيادة أو انقاص هذه المادة .

● الفضلات المنزلية كوقود للسيارات :

انتجت إحدى الشركات الفرنسية المتخصصة فى معالجة الفضلات المنزلية أول سيارة تسير بوقود غاز الميثان الذى يتم الحصول عليه من معالجة الفضلات المنزلية ، حيث تعطى الفضلات العضوية عند تحللها غاز الميثان الذى يعتبر من أنظف أنواع الوقود المعروفة حتى الأن حيث لا لون له ولا طعم ولا رائحة وأخف من الهواء وهو مكون رئيسى للغاز الطبيعى .

مآذن مصر الإسلامية

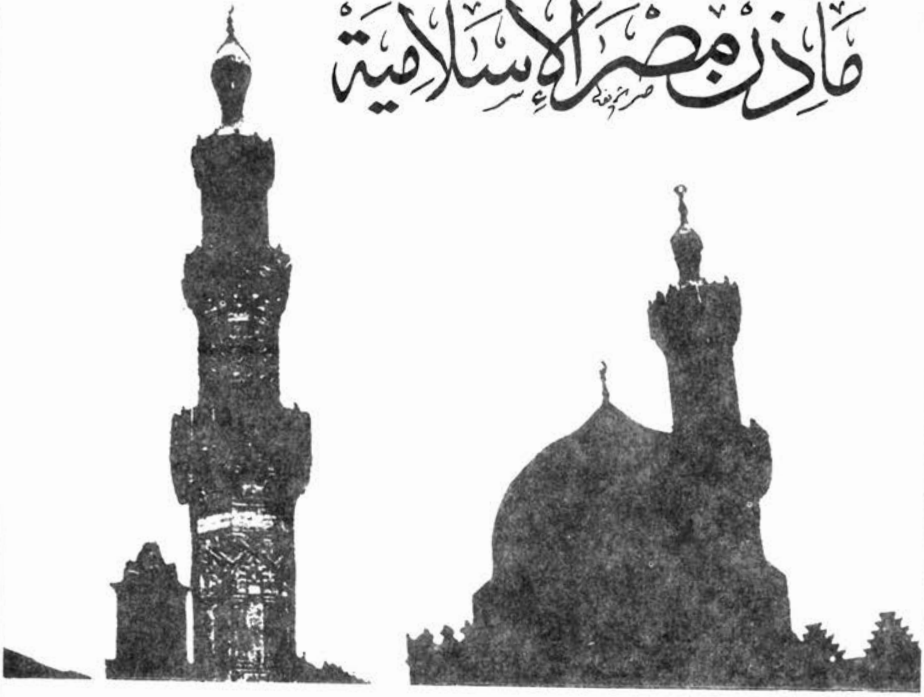

للأستاذ / أحمد رجب محمد على

مقدمة :

من فوق مئات المآذن الممتدة فى أنحاء مصر يرتفع صوت المؤذن فيعبق الأرجاء بنور الإيمان، ويعلن شموخ الإسلام على مر الزمان ، وتدوى صيحة : « الله أكبر » « لا إله إلا الله » فى كل مكان .

هذه المآذن تشابهت هاماتها وأختلفت عماراتها ... وفى هذا البحث نتناول جزءاً هاماً من أجزاء المئذنة وهو (تاج المئذنة) الذى يعرف بـ (خوذة المئذنة) فى محاولة للوقوف على أشكال الخوذات ، وتعليل وجودها بهذه الأشكال .

أشكال خوذات مآذن

تنوعت أشكال هذه الخوذات فكانت هناك مآذن ذات خوذات على هيئة القبة وأخرى على هيئة المبخرة وثالثة على هيئة (القلة) ، ثم المآذن ذات الخوذات المخروطية الشكل .

١ ــ مآذن القبة :

وتعد القباب من أقدم أنواع الخوذات التى توجت مآذن مصر الإسلامية ومن أشهر المآذن التى توجت بقباب (مئذنة الجيوشى) بجبل المقطم ٤٨٧ هـ ــ ١٠٨٥م ، و(مئذنة أسنا) ٤٧٤ هـ (١٠٨١ ــ ١٠٨٢م) ومئذنتا جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة (٧٣٥هـ ــ ١٣٣٥م) (شكل ١) .

ويعد العصر الفاطمى أكثر العصور التى انتشرت فيها المآذن المتوجه بقباب .

٢ ــ مآذن المبخرة :

وتعد الخوذات التى على شكل المبخرة ثانى أشكال خوذات المآذن فى مصر من حيث الترتيب

شكل (١)
أحدى مئذنتى جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة (٧٣٥هـ ــ ١٣٣٥ م) وهى ذات خوذة على هيئة القبة .

الزمنى وقد انتشر هذا النوع من خوذات الماذن فى مصر اعتبارا من نهاية العصر الفاطمى ، ثم العصر الأيوبى وعصر المماليك البحرية ، ويعد العصر الأيوبى هو العصر الذهبى لانتشار هذا النوع من الخوذات ، ومن أشهر للآذن التى اتخذت خوذاتها شكل المبخرة مئذنة أبى الغضنفر (٥٥٢هـ ــ ١١٥٧م) وهى الوحيدة من النوع المعروف بالمبخرة فى القرن الثانى عشر الميلادى (١) . ومئذنة المدرسة الصالحية بالناحسين (٦٤١هـ ــ ١٢٤٣م) شكل رقم (٢) ومئذنة زاوية الهنود (٦٤٨هـ ــ ١٢٥٠م) ــ ومئذنة خانقاه بيبرس الجاشنكير (٧٠٦هـ ــ ٧٠٩) (١٣٠٦ ــ ١٣١٠م) .

بالمجتمع الأيوبى وبالفكر السائد بين أفراده . إذ أنه بدراسة الحياة الاجتماعية والفكرية للعصر الأيوبى ــ الذى يعد العصر الذهبى لانتشار المباخر فوق المآذن . نجد أن المجتمع الأيوبى يغلب على أفراده الاعتقاد فى الرقية ومايدفع اليها من أسباب شعبية .. ولعل ذلك يؤيده أن أغلب ما عثر عليه من قطع معدنية تنتمى إلى العصر الأيوبى عبارة عن مباخر و(طاسات الخضة)(١) وهى أوانى تستخدم فى تلك الأغراض الشعبية ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بعدد كبير منها .. وهى تعكس إلى حد بعيد سيطرة هذه الأفكار على عقول أفراد المجتمع الأيوبى ، ومن ثم فلا عجب أن نجد المبخرة أبرز الأدوات التى استخدمها الأيوبيون تتوج كل مآذن العصر الأيوبى .

٣ ــ مآذن القلة :

ويعد هذا الشكل من أكثر أشكال خوذات المآذن انتشارا ، ولعل ذلك راجع إلى كون هذا الشكل قد انتشر فى العصر المملوكى الذى بنيت فيه أغلب مساجد ومدارس مصر الإسلامية .. ومن أبرز المآذن التى اتخذت خوذاتها شكل القلة (مدرسة الجادى اليوسفى) المعروفة بجامع السايس بشارع سوق السلاح (٧٧٤ هـ ١٣٧٣ م) ومآذن (مدرسة السلطان حسن) ٧٥٧ ــ ٧٦٤ هـ (١٣٥٦ ــ ١٣٦٢ م) ومئذنة (مدرسة الأمير أزبك اليوسفى) ٩٠٠ هـ ــ ١٤٩٤ ــ ١٤٩٥ م (شكل ٣) .

شكل (٢)

مئذنة المدرسة الصالحية بالنحاسين (٦٤١هـ ــ ١٢٤٣ م) وهى ذات خوذة على هيئة المبخرة .

وفى اعتقادى أن اتخاذ خوذات للمآذن على شكل المبخرة يعتبر من تأثير الفنون المنقولة على العمارة الإسلامية فقد استعار المعمار شكل (المبخرة) كى يتوج بها مئذنته بعد أن لاحظ التشابه المعنوى فى الوظيفة بين المبخرة والمئذنة فالمبخرة تعطر الجو بالروائح الطيبة وتضفى طابع الروحانية على المكان ، وكذلك المئذنة تعطر الجو بعبير الأذان ، وتطرد الشياطين وتضفى طابع الروحانية أيضا على المكان .. ومن الأشياء التى ساعدت على لفت نظر المعمارى المسلم إلى المبخرة أنها استخدمت داخل المساجد لتعطير جوها .. ومن ثم فلاغرابة فى اتخاذها (خوذة) للمآذنة ، لأنها من الأشياء وثيقة الصلة بالمساجد .

المبخرة فوق المئذنة انعكاس نمط تفكير المجتمع الأيوبى :

وإضافة إلى التعليل السابق يمكننا أن نعلل وجود المبخرة فوق المئذنة بتعليل آخر مرتبط

(١) الطاسة : إناء ، وهو ــ هنا ــ إناء بشكل مخصوص ، وكلمة (الخَضَّة) فى لسان العوام ، تعنى (الذُعْر) لأمر مفاجىء .

شكل (٣)

مئذنة مدرسة الأمير أزبك اليوسفى (٩٠٠ هـ - ١٤٩٤ - ١٤٩٥ م) وهى ذات خوذة على هيئة القلّة .

شكل (٤)

مئذنة جامع سنان باشا (٩٧٩ هـ - ١٥٧١ م) وهى ذات خوذة مخروطية الشكل .

وفى اعتقادى أن اتخاذ خوذات للمآذن على شكل القلة هو من تأثير الفنون المنقولة على العمارة الإسلامية شأنها شأن المبخرة . فلقد استعار المعمار شكل القلة كى يتوج بها مئذنته بعد أن لاحظ التشابه المعنوى فى الوظيفة بين المئذنة والقلة - فالقلة تروى ظمأ العطشى - وكذا المئذنة يرتفع منها الأذان - لدعوة الناس للصلاة فيروى أرواحهم بالعبادة .

٤ - المآذن ذات الخوذات المخروطية الشكل :

ومع نهاية حكم المماليك فى مصر وبداية حكم الأتراك العثمانين بدأ يظهر نوع جديد من خوذات المآذان وهو خوذات المآذن المخروطية الشكل ، ومن أشهر أمثلة المآذن ذات الخوذات المخروطية مئذنة (جامع المحمودية) ٩٧٥ هـ - ١٥٦٨ م و(مئذنة جامع سنان باشا) ٩٧٩ هـ - ١٥٧١ م (شكل رقم ٤) .

ثم تطورت هذه الخوذات فى عصر محمد على لتصبح أقل قطرا وأكثر تَدَبُّباً لتلائم بدن المئذنة الذى أصبح هو الآخر أقل قطرا وأكثر ارتفاعا .. ويشبه بعض العلماء مآذن العصر العثمانى بالقلم الرصاص المبرى أوالمسلة وهو طراز عثمانى لم يسبق إليه . وتعتبر المآذن ذات الخوذات المخروطية المدببة بمصر انعكاس لمآذان تركيا وفى اعتقادى أن الأتراك قد اتخذوا لمآذنهم الخوذات المخروطية المدببة نظرا لكونها أكثر الأشكال ملائمة لهم وتعبيراً عن حياتهم فالدولة التركية العثمانية كانت دولة عسكرية النشأة والحياة والأتراك محاربون منذ نشأتهم ولعل فى ذلك تبريراً لوجود النهايات المدببة لمآذن الأتراك والتى تلائم طبيعتهم العسكرية فهى أشبه ما تكون بحربة أوبسهم يعبر عن الأتراك فاتحى القسطنطينية .

تعدد الخوذات

من الملاحظ أن بعض مآذن مصر الإسلامية قد اشتمل على أكثر من خوذة فبعضها كان له خوذتان (خوذة مزدوجة) وبعضها كان له خوذة ذات خمس رءوس .

(أ) المآذن ذات الرءوس المزدوجة :

وظاهرة احتواء المئذنة على رأسين بدأت فى مصر منذ النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى فقد ذكر ابن كثير أن المئذنة المزدوجة الرأس وجدت فى (مدرسة السلطان حسن) التى سقطت سنة ٧٦٢ هـ ، ثم شاع هذا النوع من المآذن فى القرن التاسع للهجرة ، وحتى نهاية العصر المملوكى (٣) .

وتعد مئذنة مدرسة (قانى باى الرماح) بالناصرية (حى السيدة زينب) أثر رقم (٢٥٤) أقدم مئذنة ماتزال قائمة تحتوى على رأس مزدوج وهى ترجع إلى سنة ٩١١ هـ (٤) . أما (مدرسة قانى باى أمير خور) بالقلعة فعلى الرغم من كونها كانت تشتمل على مئذنة ذات رأس مزدوجة ترجع إلى عهد أقدم من (مئذنة قانى باى الرماح) بالناصرية حيث إنها ترجع إلى سنة ٩٠٨ هـ إلا أنها سقطت سنة ١٨٧٠ م .

والمئذنة الموجودة حاليا ترجع إلى تجديدات لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٣٩ م .

مع مراعاة أن تكون مطابقة تماما لما كانت عليه وقت إنشائها . ومن أشهر المآذن المزدوجة الرأس بمصر تلك المئذنة التى بناها السلطان قنصوه الغورى بالجامع الأزهر سنة ٩١٥ هـ ـ ١٥٠٩ (شكل ٥) .

شكل (٥)

مئذنة السلطان قنصوة الغورى بالجامع الأزهر (٩١٥ هـ ـ ١٥٠٩ م) وهى خوذة مزدوجة رأس مزدوجة .

وفى اعتقادى أن سبب بناء أول مئذنة مزدوجة الرأس بمصر ـ وهى مئذنة السلطان حسن ـ هو الإشارة إلى المدخل الرئيسى للمدرسة بتمييزها عن باقى مآذن المدرسة .

كذلك أعتقد ـ أيضا ـ أن هذه المئذنة المزدوجة الرأس والتى كانت تعلو مدخل المدرسة كان رأسها المزدوج ضخما وأن المعمارى قد حاول مد (زيادة قطر) الجزء اللعلوى للمئذنة حتى يتمكن من وضع خوذتين ، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى التعجيل بسقوطها بعد فترة وجيزة من تشييدها ، ولاعجب فى ذلك إذ أن هذه المئذنة تعد طبقا لما ذكره ابن كثير أول عهد المعمارى المصرى المسلم بالمآذن المزدوجة الرأس ، ومع مرور الزمن استقامت يد المعمارى المسلم فى بناء المآذن ذات الرأسين ، وهو مايبدو لنا من المآذن البديعة الباقية (كمئذنة قانى باى الرماح) بالناصرية و(مئذنة الغورى بالجامع الأزهر) .

(ب)المآذن ذات الخمسة رءوس :

ويتمثل هذا النوع من نموذجات المآذن فى (مئذنة مدرسة السلطان الغورى) بالغورية ٩٠٨ هـ حيث اشتملت هذه المئذنة على خمسة رءوس رأس كبيرة فى الوسط يحف بها أربع رءوس ، وكأنها مقتبسة من نظام تخطيط المدرسة (صحن كبير فى الوسط يحف به أربع إيوانات) .

وقد ظهرت المئذنة ذات الرءوس الخمسة مرة أخرى فى (مسجد محمد بك أبى الدهب) بميدان الأزهر ١١٨٨ هـ تلك المدرسة التى تقع بالقرب من مدرسة الغورى ، وهى ـ أغلب الظن ـ مقتبسة منها ، ولكن مع الاختلاف فى الشكل اذ أن هذه الرءوس الخمسة فى (مئذنة أبى الدهب) على شكل « زلع » مما دفع العامة إلى الاعتقاد بأنها مليئة بالذهب وتحرسها أفعى كبيرة (٥) .

الهلال فوق المئذنة

من الظواهر الملفتة للنظر أن معظم المآذن فى مصر يعلوها هلال صغير ، ولعل هذا راجع إلى أن الهلال يمثل أهمية خاصة لدى المسلمين حيث ان الهلال هو المعول عليه فى إثبات الشهـــور الشرعية ، إذ أنها تعتمد على الحساب القمرى ، ثم هناك ـ أيضاً ـ ارتباط بمناسبتين هامتين عند المسلمين وهما شهر رمضان ويليه عيد الفطر وشهر ذى الحجة وقد جرت العادة فى العصور الإسلامية المتعاقبة بأقامة الاحتفالات وأحيانا المواكب لاستطلاع الهلال . أما عن سبب ارتباطه بالمآذن فربما كانت المآذن هى الأماكن التى يستطلع من فوقها الهلال نظرا لكونها فى مستوى مرتفع ، ولذا وضع الهلال فوقها ـ والله أعلم .

سفينة النجاة فوق مئذنة الجامع الطولونى

يذكر المقريزى وابن دقماق أن منارة جامع بن طولون كان يعلوها عشارى أى « سفينة صغيرة » من البرونز ، وقد بقيت حتى سقطت سنة ١١٠٥ هـ ـ ١٦٩٣ م (٦) وهذه السفينة ترجع إلى تجديدات (السلطان لاجين) وقد ذهب البعض إلى اعتبار المئذنة كلها من تشييده أمثال « هو تكير » بينما ذهب البعض الآخر إلى اعتبار أن أعمال (السلطان لاجين) لاتعدو إصلاح ما بقى من المئذنة وإضافة الطابقين العلويين (٧) .

على أية حال فالجميع متفق على أن الجزء العلوى الذى تعلوه السفينة يرجع إلى عصر (السلطان لاجين) ٦٩٦ هـ والذى كان قد اختفى فى الجامع الطولونى حيث ذكر المقريزى أن (الأمير لاجين) كان قد اتفق مع (الأمير بيدار) على قتل (السلطان الأشرف خليل بن قلاوون) . فلما قتل الأمير بيدار أثناء محاربته المماليك الأشرف خليل فر لاجين من المعركة واختبأ بالجامع الطولونى ، وهو حينئذ خراب لاساكن فيه ، وأعطى الله عهداً إن سلمه الله من هذه المحنة ومكنه فى الأرض أن يجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له مايقوم به ، فلما استولى لاجين على (دست السلطنة)[٢] سنة ٦٩٦ هـ جعل إلى (الأمير علم الدين سنجر) شراء الأوقاف على الجامع الطولونى وصرف له كل ما تحتاجه إليه عمارته (٨) . فلعل سبب وجود السفينة فوق

(١) الزلعة أشبة بقلة كبيرة الحجم

(٢) أى عرش السلطنة .

مئذنة ابن طولون أنها تعبر عن سفينة النجاة التى عبرت بالسلطان لاجين بحر الخطر والذى بدأ بقتل الأمير بيدار على يد مماليك الأشرف خليل ، وانتهى بوصول السلطان لاجين إلى بر الأمان وتوليه دست السلطنة .

زخارف خوذات المآذن :

فى الواقع أن زخارف خوذات المآذن قليلة ، إذ أن جمال الخوذات كان فى أشكالها المتنوعة ما بين القبة والمبخرة والقلة والمخروط .. وفى الواقع أن جمال الشكل والهيكل قد يفوق فى بعض الأحيان جمال الزخرفة ، ولعل ذلك يذكرنا بـ (أوانى البورسلين الصينى) البيضاء والتى تبدو بأشكالها الانسيابية المتنوعة أجمل فى بعض الأحيان من مثيلاتها المزخرفة ولكن مع جمال الشكل والهيكل لجأ الفنان(٣) إلى استخدام (التفصيص) التضليع فى زخرفة بعض خوذات مآذنه ، مثل مئذنة المدرسة الصالحية ومئذنة مدرسة سلاروسنجر الجاولى ومئذنة مدرسة خانقاه بيبرس الجاشنكير .. وفى بعض الأحيان كانت تكسى خوذة المئذنة بـ (بلاطات القشانى) مثل خوذتى مئذنتى (جامع الناصر محمد بن قلاوون) بالقلعة حيث كسيت خوذتاه ببلاطات القاشانى الأخضر ، وكسيت رقبتهما ببلاطات القاشانى الأزرق الذى يشتمل على بعض الكتابات القرآنية باللون الأبيض .

مواد بناء الخوذات :

تنوعت مواد بناء خوذات المآذن ـ وبصفة عامة ـ خوذات المآذن التى على شكل القباب ، والتى على شكل المباخر فقد بنيت من الآجُرّ ، بينما بنيت بعض خوذات المآذن المملوكية بالحجارة ، وأخرى صنعت من الخشب مثل (خوذة مئذنة جامع اق سنقر) المعروف بجامع النور بشارع باب الوزير (٧٤٨ هـ) والتى صنعت من الأخشاب المصفحة بالرصاص والرءوس الخمسة لمئذنة قنصوه الغورى بالغورية .

أما الهلال الذى يعلو المآذن فعادة ما كان من النحاس .

المراجع

١ ـ د. كمال الدين سامح ـ العمارة الإسلامية فى مصر ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة ١٩٨٧ ـ ص ٨٩ .

٢ ـ د. سعاد ماهر ـ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ الجزء الخامس ـ القاهرة ١٩٨٣ ص ٤٧ .

٣ ـ د. سعاد ماهر ـ المرجع السابق ـ الجزء الرابع ـ ص ٣٢٠ ـ وانظر سامى حليم آثار قانى باى الرماح بالقاهرة ص ١٥٩ .

٤ ـ د. سعاد ماهر ـ نفس المرجع ج ٤ ص ٣٢٨

٥ ـ د. سعاد ماهر ـ نفس المرجع ج ٥ ص ٢٧٠ .

٦ ـ د. كمال الدين سامح ـ المرجع السابق ـ ص ٢١ .

٧ ـ د. السيد عبدالعزيز سالم ـ المآذن المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ ص ١٧ .

٨ ـ د. سعاد ماهر ـ المرجع السابق ـ الجزء الأولى ص ١٤٧ .

(٣) الأولى الْمِفَنّ ، إذ أن الفنان هو حمار الوحش .

مدى تلازم الوحدة الموضوعية مع القصيدة العربية

- ٣ -

بقلم الأستاذ/أحمد مصطفى حافظ

يتعين أن نعود إلى الحديث عن مقتل كليب بن ربيعة التغلبى ، وهو الشاعر : شيخ قبيلته .

وقد اقتصرنا - فى مقالنا الأول - عن الوحدة الموضوعية فى الأدب الجاهلى - على مرثية زَوْجِهِ : جليلة بنت مرة ، أخت جَسّاسٍ قاتله .. وهى قصيدة لا تحتاج إلى إعمال الحيلة لإثبات وحدتها الموضوعية ، فضلا عن شدة ترابطها ، وحرارته الوجدانية ، وتركُّزها المتين . كذلك ؛ فإن « المهلهل - عدى بن ربيعة التغلبى » أخا كليب - قد وُتِرَ فى شقيقه رأس القبيلة وعِزِّها ، وهو بدوره - كالمهلهل - شاعر[1] ، وإن كان المهلهل يفوقه فنا ومذهبا ، فهو الذى نقل الشعر الجاهلى من (المقطعات) إلى (المطولات[2]) ، وتبعه فى ذلك مَنْ بعده ، ولك أن تحكم - مطمئنا - على هذه المقطعات بأنها قصائد لم تفتها الوحدة الموضوعية .

ثم هو - خالٌ لامرىء القيس ، رائد الشعر الجاهلى ، ولا يمكن أن يفوته (القولَ) فى هذا المقام ، فهناك العديد من الأسباب التى تدفعه إلى القريض ، يتقدَّمها - جميعا - مأساته فى أخيه ، أضِفْ إلى ذلك (أَعْرافَ) بيئته ، وما تستنْبته تلك الأعراف من شتى المشاعر ومختلف الأحاسيس ، التى ينزوى العقل أمامها ، ويتخلف عنانه .. ليترك القيادة لجاهلية الدماء ، وبطش الثأر ، وَنَزَق الغضب والانتقام .

ومرثية المهلهل فى أخيه كليب لا تقلُّ - فى عناصرها وتشقُّق القول فيها - عن مرثية جليلة بنت مُرة .

• • •

(١) من شعر كليب حين رأى (ربيعة الزهراء) أخته وقد صفعها زوجها (لبيد بن عنبسة) فأثر فى وجهها ؛ فشكته لأخيها قائلة :

ما كنت أحسب والحوادث جمة ... أنّا عبيد الحىّ من قحطان

حتى أتتنى من لبيد لطمةٌ ... فَعَشِيَتْ لها من وقعها العينان

فأسرع كليب فقتله ، وقال شعرا منه البيت :

إن يكن قتْلُنا الملوك خطاءً ... أو صوابا فقد قتلنا لبيدا

(٢) ويعتبر من شعراء الطبقة الأولى ، ذكره عمرو بن كلثوم مفتخرا :

ورثتُ مهلهلا والخير منه ... زهيراً ، نعم ذخر الذّاخِرينا

كانت صرخة « البسوس بنت منقذ التميمية » وقت فجعت فى ناقتها (سراب) إذ أصابها كليب بسهمه ، وقد رآها ترعى فى حماه فأنكرها فرماها فقتلها ـ كانت تلك الصرخة سببا فى مقتل كليب فيما بعد ..

رأت البسوس ـ وهى خالة جسّاس قاتل كليب ـ ناقتها تنزف دَماً ولبنا إذ أصابها السهم فى ضرعها ، فذُهلت ، وأخذت تضرب بيدها على رأسها ، ونادت : « واذُلّاه » ثم قالت :

لعمرك لو أصبحت فى دار منقذ ... لقام بنصرى عند ذاك ساداتى
ولكننى أصبحت فى دار غربة ... متى يَعْدُ فيها الذئبُ يَعْدُ على شاتى
فيا نفسُ قد آن الرحيلُ عن الأذى ... لأنك فى قوم عن الجار أموات

وأدركها جساس ابنُ أختها ، وعلم ما حدث ـ فَكَبُرَ عليه أن ينال خالته هذا الأذى ، وهى ضَيْفَةٌ نازلة عليه ، فقتل كليبا ، وقامت الحرب المريرة ـ حرب البسوس ـ التى استغرقت أربعين عاما حتى أطفأ نارها عمرو بن هند بمسعاه ..

وها هى إحدى مراثى المهلهل فى أخيه ،

اهاج قذاء عينىَ الادِكار(*) ... هُدُوًّا فالدموع لها انْحِدَارُ
وصار الليل مشتملًا علينا ... كأن الليل ليس له نهار
وبت أراقب الجوزاء حتى ... تقارب من أوائلها انحدار
أُصرِّف مقلتى فى إثر قوم ... تباينت البلاد بهم فغاروا
وأبكى والنجوم مطلّعات ... كأنْ لم تحوها عنى البحار
على من لو نعيت وكان حيا ... لقاد الخيل يحجبها الغبار
دعوتك يا كليب فلم تجبنى ... وكيف يجيبنى البلد القفار
أَجِبْنِى يا كليب خلاك ذمٌ ... ضنينات النفوس لها مزار
أَجِبْنِى يا كليب خلاك ذمْ ... لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث إنك كنت غيثاً ... وَيُسْراً حين يلتمس اليسار
أبت عيناى بعدك أن تكفا ... كأنَّ غضا القتاد لها شفار
وأنك كنت تحلم عن رجال ... وتعفو عنهم ولك اقتدار
وتمنع أن يمسهم لسان ... مخافة من يجير ولا يجار
وكنت أعد قربى منك ربحاً ... إذا ما عَدَّتِ الرِّبْحَ التجار
فلا تبْعدَ فكل سوف يلقى ... شعوباً يستدير بها المدار
يعيش المرء عند بنى أبيه ... ويوشك أن يصير بحيث صاروا
أرى طول الحياة وقد تولى ... كما قد يسلب الشيء المعار
كأنى إذ نعى الناعى كليباً ... تطاير بين جَنبىَّ الشرار
فدرت وقد عشى بصرى عليه ... كما دارت بشاربها العقار
سألت الحى أين دفنتموه ... فقالوا لى : بسفح الحى دار

(*) الادكارُ : تُقرأ بكسر اللام وإسقاط أَلِفَي الوصل .

فســرت إليــه من بلــدى حثيثــا ... وطـــار النـــوم وامتنـــع القـــرار
وحـــادت ناقتـــــى عن ظل قبر ... ثــوى فيــه المكــارم والفخـــار
اتغــدو يَا كلــيب معـــى إذا ما ... جبــان القــوم أنجــاه الفــرار
اتغــدوا يا كلــيب معـــى إذا ما ... حلــوق القــوم يشحذهــا الشفــار
اقـــول لتغــلب والعـــزّ فيها ... أثيروهـــا لِذُلِكـــم انتصـــار
تتابــع إخــوتى ومضَــوا لأمــرٍ ... عليــه تتابــع القـــوم الحِســـار
خُـذِ العهــدَ الأكيــدَ علــىّ عُمْـرى ... بتَرْكِـــى كُلَّ مَا حَوَتِ الديـــارُ
وهجـــرى الغانيـــاتِ وشرب كأسٍ ... وَمَلْـــبَسَ جُبَّـــةٍ لا تُسْتَعَـــارُ
وَلَسْتُ بخَالِـعٍ دِرْعـــى وَسَيْفِـــى ... إلى أن يَخْلَـــعَ الليـــــلَ النهارُ
وإلّا أن تَبِيـــدَ سَـــرَاةُ بَكْـــرٍ ... فلا يَبْقَـــى لَهَـــا أَبــدًا أَثَـــارُ

وبعـد :

فإذا علمنا أن كليبا قد قتل نحو عام ٤٩٤ م فيما يذكرون ، أى قبل ترجمة كتاب الشعر لأرسطو بقرون عدة ، وما جاء به من حديث عن الوحدة العضوية التى يجب أن يتوخاها الشاعر فى الشعر المسرحى ، وليس فى الشعر الغنائى .. بل وقبل حصاد النقد الأدبى عند العرب وتقعيد قواعده التى بدأ البحث فيها منذ القرن الثالث الهجرى .. لو علمنا ذلك كله ، لأدركنا مدى مَا وُفِّق إليه المهلهل فى مرثيته ، وهو ـ فيما يقال : الشاعر الأول الذى طَبَعَ شعر العصر الجاهلى بطابعه ، ومَضَى على أثره امرؤ القيس ـ ابن شقيقته ـ فزاد وشاد وأجاد .. وحرارة رثاء المهلهل ، بمعانيها الوجدانية الداخلية ، تدحض ما شاع عن سطحية وخارجية المعانى فى الشعر الجاهلى وافتقادها للوحدة الموضوعية من جهة ، ومن جهة أخرى ما ردده المستشرقون وتابعهم فيه بعض نُقادنا فى ذلك (٣) وهم يدعون إلى التجديد فى الأخيلة والأساليب ، ومراعاة الصدق الفنى والوحدة العضوية ، والتجربة الشعورية ، وغير ذلك من المصطلحات النقدية الغربية (٤) .

وأبيات مرثية المهلهل ، قد انبثقت بالتداعى الحر ، والانفعال الصادق ، للتنفيس عن لظى الحزن الذى شمل كيانه كله ، فمضى يسير صُعُدا فى مرثيته ، خطوة بعد خطوة ، نحو بلوغ ما يتوخاه ـ دون قصد أو تخطيط مُسبَّق ـ من بكاء لفقيده ، وإشادة بسجاياه ، والتأمل فى وقع الموت ، وطلب الثأر من الجُناة ..... الخ

(الحديث موصـول)

(٣) ومنهم الناقد النابه الدكتور محمد غنيمى هلال ، الذى نفى أن يكون للقصيدة الجاهلية وحدة عضوية « فى شكل من الأشكال ، لأنه لا صلة فكرية بين أجزائها ، فالوحدة فيها خارجية لا رباط فيها » أنظر كتابه النقد الأدبى الجديد ص ٣٣٦ .

(٤) وقد كان أرسطو يعنى الشعر المسرحى فى حديثه عن الوحدة العضوية ، أما الشعر الغنائى ـ كما يقول الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر السابق ـ « فما كان أرسطو يقيده بمثل هذا القيد ، لأن الشاعر فيه لا ينسى ذاته بإزاء الموضوع ، ولا يقبل أن تغله أغلال الزمان أو المكان أو الحدث ، والمنطق الوحيد الذى يخضع له ، إنما هو منطق نفسه ، وهو عامل انطلاق وحرية ، لا عامل حَجْر وتعويق » أنظر كتابه قضايا النقد الأدبى الحديث ص ٨٨ .

الشعر والشعراء

إشراف الأستاذ/ رشاد يوسف

أسْمَى البشر مَنْطِقاً وصدقاً رسول الله ﷺ .

أبيات للشاعر أحمد محرم ـ رحمه الله .

مِنْ هَيْبَةٍ يُغْضِي القريضُ ويُطْرِقُ
وَيَميلُ ـ فيك إلى السكوتِ ـ المنطقُ
ما في النوابغ من لبيب حاذق
إلا وأنت أَلَبُّ منه ـ وأحْذَقُ
إيذن يَفِضْ هذا البيان ؛ فإنَّهُ
مما يَفِيضُ بيانك المتدفق

نفحة الذكرى العاطرة

للشـاعر الأستاذ :
محمد عبد الرحمن صان الدين

ردد على الأجيـال ذكـرى الهجـرةِ   وانفـح بريَّاهـا شَجِـيَّ المهجـةِ(١)
هي للمعَنَّـى نسمـة فواحـة   هي في قفـار العيش أينـع روضة
تتفيَّـأ الألبـاب ظلا وارفـاً   فيها ، وتقطـف من زهـور الحكمـة
وتَـعُبُّ من ينبوعهـا الأرواح عذ   با سلسلا يشفـى لهيب الغلـة(٢)
ياليتنـا بالفكـر نرصد رحلـة   كانت على الأزمـان أعظـم رحلـة
قد جاء من رب الوجـود محمـد   يُهـدى إلى الإنسان أوفى ملـة
لتحطـم الأغـلال من أعناقـه   وتـقيم صرح العـدل فوق القمـة
لو جال فيها الحائـرون لأدركـوا   وانجاب عن وعـي حجـاب الغفلـة
ولأبصروا النهج المعَبَّـد واتقـوا   في رحلـة الدنيـا شرور الفتنـة(٣)
قل للـذى عنها تَنَـكَّب . وارْتَضَى   في العـيش سيرا في طريـق الظلمـة
أغـراك يا مفتـون فيها بارق   مثـل السراب ، جنـاه شوك الحسرة
إن الـذى يحيـا بلا ديـن حقيقـيٌّ تردى في غيـاهب شِقـوة
ومباهـج الدنيـا ـ وإن فاضت على   أهـل الغواية ـ متعـة في لحظـة
قولـوا لمن قد راح يسأل في أسَىً   وهـواجس ، متقلبـا في حيرة :
أيُحَـارَب الإسلام وهْـوَ على طريـق الحب للإنسان خير شريعـة ؟
هل فيـه إلا العـدل يبسط ظلـه   ويـقيم معوجـا سقيم الفطنـة

المفردات اللغوية :

(١) رياها : ريحها الطيبة ، شجى : حزين .

(٢) سلسلا : سائغا سهلا ، الغلة : العطش .

(٣) المعبد : الممهد المذلل .

والأمــن بين ربوعــــه ، سِيَّـــان تابـــع مسجـــد فيها ، وتابـــع بِيعَـــة[٤]
كل ينـــام بظلـــه فى مأمـــن من كل عاديـــة ، ونزعـــة قَسوة
ما خاصم الإسلام طول عهـــوده دينـــا يخالفـــه بغير جريـــرة
بل إنـــه فى رقـــة ، وسماحـــة يدعـــو إلى الحسنَـــى ، وكل فضيلـــة
فَلِـمَ السهـام تنوشه من داخـــل أو خارج مشحونـــة بالإِحْنَـــة[٥]
الحق يجْحَـــدُهُ ضَلِيـــل مُبْطِـــل والعـــدل يمقتـــه غَوِىُّ الذمـــة
فيشن حربـــا ليس تخبـــو نارهـــا ويكيـــد فى خُنـــق بكـــل وسيلـــة
والجَعْـــل ينشد فى المَعَاطِـــنِ مرتعـــا والنـــور عنـــد البـــوم أقسى محنـــة[٦]
ولـــــذا فإن الشر فوق الأرض صَبَّ على مَعِين الخير جَامَ النقمـــــة
لكن صوت الحق ـ وهو مُحَـــارَب يبقـــى على طول المدى فى صحـــوة

● ● ●

يأيها الإنسان إنك خاسر إن ضل وَعْـيك عن جليـل الـعبرة
فاعمـــد إلى التـــاريخ فى أسْفَـــاره وانظـــر ملامحهـــا بكـــل رَوِيَّـــة
إن رُمْتَهـــا فى همة تظفـــرْ بها مكنونـــة فى ذكريـــات الهجـــرة
إنى جعـــلتُ الحقَّ فيمـــا دَبَّجْتُـــه يَرَاعتـــى فى كل حال قبلتـــى

---

(٤) بيعة : كنيسة .

(٥) تنوشه : تناله ، الإحنة : الحقد .

(٦) الجعل : الجعران ، المعاطن : مبارك الإبل ومرابض الغنم .

هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

الشاعر محمد محمود الماحى

الليـل سـهران الجفـون بظلمة الكـون اكتحلْ
ومعالـم الصـحراء قد مُدَّت كأطـراف الأزل
وكتـائب الصـمت الرهيـب تدب فى سفح الجبل
والبيـد فى فـرح تهدهـده تباريـح الوَجَـل
والبـدر فى وجه السـماء رأى المهاجـر فاكتملْ
وأنامـل التـاريخ أمسـكت اليـراع على عجـل
لتخـط أروع قصـة فى خُلْدِهـا أوفى مثـل
والكـون حيـن تحمـل السـر استعـز بما حمل
ضـمت جـوانبه بآمـال المنـى أحلـى أمـل
والوحـى بين يديـه قيثـار تغنـى وارتحـل
وعلـى أديم الأرض أقـدام تسير على مهـل
خطـيـواتها فوق الرمـال كأنها لمس القبـل
ما ذلك السر الذى يمشى ، ومن هذا البطل ..؟
هذا رسـول الله . هَاجَـرَ للمدينـة وارتحـل

وتسـير قافلة النبى على هـدى نـور النبـىّ
سـارت بوحـى الوحـى للمختـار من أمـر العلىّ
هى حكمة أذن الرسـول بها بمعناهـا الخفـى
فمضى بسـرٍّ يقينـه يمضـى فلا يُثنيـه شـىّ
بل هاجـر الرجـل الأبـى بدينـه السـمح الأبـى
ببطولة كالخلـد ، كالأقـدار ، كالنـور الجلى
تسـرى معانيهـا إلى معنـى الشـجاعة فى «على»
ضـحىَّ لينعـم بالمبيت بمضجع الطُهـر النقـى
وينـام ملء عيونــه والموت حول الدارحـــىّ
وسرت بمعناهـا الـوفى إلى «أبى بكـر» الـوفى
هذا الصَّـدِيقُ الصادق الصِّـدِّيقُ ذو القلب الرضى
وسرت إلى «أسماء» وهى كبرعم الزهر الندى
فتحملـت ما نالـه منها «أبـو الجهـل» العتـىّ
كم راح يضربها فمـا لانت ولا باحت بشـىّ
لتسـير قافلـة النبـى على هـدى نـور النبـى

م. الوعى الإسلامى سـ ٧٥

مع ذكرى الهجرة

الشاعر/ محمد محمد مسعود الزلتيني

جوبى مسافات السنين وجددى عهد الفدا فى عمر كل مُوحّد
يا هجرة العزم المصمم طاويا وجه الظلام الغر يبحث عن غد
يا هجرة النفس الأبية من نقائصها إلى قمم الكمال الأحمدى
يا هجرة الإنسان من سنح الهوان إلى ذرا العلياء لم يتردد
يا هجرة الإيمان والإخلاص والإصرار فى أبهى وأروع مشهد
يا هجرة المختار من أم القرى من كيد كل مهرج متوعد
وتألقى فوق الزمان منارةً تهدى الحيارى من شعوب محمد
فى ليلة أرقت وفزّع قلبها سفه تجرأ سيفه لم يغمد
لبس البغاة الليل ثوب خيانة تودى بعمر الناسك المتعبد
خرج الرسول تحوطه عين العناية والرعاية فى حجاب سرمدى
خرج الحبيب فلم يروا أثراً له ومضى قوى العزم غلّاب اليد
أعمى بصائرهم وأخرس حمقهم نور النبى وهيبةُ المتهجد
يا غار ثَوْرٍ تِهْ على كل البقاع وفز بذكر فى الكتاب مخلد
حصن من الإعجاز أعلى ركنه الجبار ما أعلته كف مشيد
الصدق والصديق فيه . وربنا سبحان ربى الواحد المتفرد
هيهات أن يصل النبىَّ وصحبَه فى الغار كيدُ الهاجم المتمرد
جاءوه شاكين السلاح وأدبروا بددا كذرات الثرى المتبدد
من ذلك السارى وفى عينيه أحلام الحياة ترف كالزهر الندى ؟
من ذلك الساعى تبارك سعيه آماله الكبرى ونيل المقصد ؟
من ذلك السارى وفوق جبينه ضاء الوجود العبقرى المهتدى ؟
هذا النبى مهاجرا لله عُدَّتُـهُ بغير الحق لم يتزود
وهناك فى يوم تنفس فجره عطرا كساه المجد حلة سؤدد
طلع النبى فكان شمس هداية يا أرض «طيبة» عَظِّمِيهِ ومجدى
صولى به صونى به شرف الحياة المستباح ، بيومه الغالى اسعدى
اليوم موعدنا مع التاريخ يا دنيا لباريك المهيمن فاسجدى

الهجرة

للشاعر / محمود سامي البارودي

وجـــاءه الوحـــى إيذانـــا بهجرتـــه فيمم الغـــار بالصـديق فى الغَســم(١)
فمـا اسـتقر بـه حتـــى تبـــوأه من الحمـائم زوج بـارع الرَّنـم(٢)
بنـى بـه عشـــه واختلـــه سكنـــا يأوى إليه غـداة الريح والرِّهَـم(٣)
إلفـــان ما جمـــع المقـدار بينهمـا إلا لسـر بصَـدْرِ الغـار مكتتـم
كلاهمـا «ديـدبان» فوق مَرْبَـأة يرعى المسالك من بعد ولم ينم(٤)
وَسَجَّفَ العنكبوتُ الغار محتفيا بخيمـة حاكهـا من أبـدع الخيـم
وارت فم الغار عن عين تلم به فصـار يحكى خفاءً وجـه ملتثم
فظل فيـه رسـول اللـه معتكفـاً كالدرّ فى البحر أو كالشمس فى الغُسَم
وسـار بعـد ثـلاث من مبـاءته يؤم طيبـة مأوى كلّ معـتصم(٥)
أعظـم بمقدمـه فخـرا ومنقبـة لمعشر الأوس والأحياء من جشم(٦)
فخر يدوم لهم فضـل بذكـرته ما سارت العيـس بالزوار للحـرم
يـوم به أرخ الإسـلام غرتـــه وأدرك الدين فيـه ذروة النجـم
ثم ابتنى سيّدُ الكونين مسجده بنيان عز فأضحى قائم الدعـم
واختص فيـه بـلالا بالأذان ومـا يُلْفَى نظيـر له فى نبـرة النغـم
حتى إذا تـمّ أمر اللـه واجتمعـت له القبـائل من بعـد ومن زَمَـم(٧)
قـام النبـى خطيبـا فيهـم فـأرى نهج الهدى ونَهَى عن كلّ مجترم
وعمهـم بكتـاب حَضٍّ فيه على محاسـن الفضـل والآداب والشيم

«من قصيدة كشف الغمة فى مدح سيد الأمة وليس له من قصيد فى الموضوع سواها ، وجدير بالذكر أنها ، ليست بالديوان بجزأيه» .

المحرر

---

(١) الغسم : السواد واختلاط الظلمة .
(٢) الرنم : الصوت .
(٣) الرهم : جمع رهمة وهى المطر الضعيف الدائم .
(٤) المربأة : المرقبة وهى الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب .
(٥) المباءة : المنزل أو الدار ويقصد الغار .
(٦) جشم : أراد بهم الخزرج .
(٧) الزمم : القرب .

على عتبات الغار

رشاد محمد يوسف

رَكَضَتْ فى البيد أشواقُ الحيارى تَتَوَدَّدْ
وسرى همس بأسماع الليالى يتجدد
وحروف النور من قلب «حراءٍ» تَتَمَدَّد
يا محمد !

• • •

أشرق الغار وفى أعماقه شع الضياءْ
وخيوط النور قد طارت به نحو السماء
ما الذى يحدث فى الغار ؟ وما هذا الرواء ؟
ما الذى يجرى لضيف الغار ؟ ماذا يا محمد ؟

• • •

كل حرف أشرقت فيه أغاريد الحياهْ
كل حرف أزهرت فيه أمانىّ النجاه
كل حرف فيه ومض من تسابيح الإله
قم فصافح مسمع الدنيا وبلغ ـ يا محمد !

• • •

قم فأنذر ـ يا رسول الله ـ أنصار الضلالهْ
قم فبشر بانطلاق النور فى أجلى مقالهْ
قم فوطد فى ربوع الكون أركان العدالهْ
قم فكبّر ، فطهّر ، وعلى اسم الله ردد
يا محمد !

• • •

أول الغيث قراءات وعلم وحضارهْ
وارتقاء بضمير الكون للكون منارهْ
تَهَبُ الإنسان إيماناً وعزًّا وطهارهْ
وتزيح الغيم عن أحداقه كى يتعبد...
يا محمد !

• • •

كَحَّلَ الشـوق عيـون العابديـن الناســكين
فسعـوا فى الأرض عبّـادا لأنـــوار اليـقين
يرقبـون الغـار والمختـار والـروح الأميــن
وبـذورُ الضـوء قـرآن على قلـب محمـدْ

● ● ●

أسـكر اللحن حشاشـات الحيـارى الصابرين
فتناجـوا باسمـه الغـالى على مر السـنين
إنـه نـور الحيـارى وشـفـاء العالميـن
إنـه الرحمـة والنعمـة والخيـر تأكـد ..
فى محمـد ..

● ● ●

عُدْ إلينا يا رسـول اللـه يا نـور الوجـودْ
يا أمـانَ العـالم المقهـور من أسـر القيـود
يا هـدى الحيـران فى تيه التـردى والشـرود
عـد إلينـا خذ بأيدينـا ... تقـدم يا محمـد

فى «سـراييفو» وفى الصـومال والقـدس جراحْ
فى «سريلانكا» و«بورمـا» أطفأوا نـور الصباح
وَبَنُـو الإسـلام فى الأرض قطيـع مسـتباح
مـاتت النخـوة فيهـم فاستكانوا يا محمـد

● ● ●

من يجيـر الأم داسـوا عرضـها فى همجيـةْ ؟
من يجيـر الطفـل شـقُّوا بطنـه فى عصـبيةْ ؟
من يجيـر الشـيخ ما أبقـوا لدى الشـيخ بقيـةْ ؟
من يجيـر الديـن من بطـش الأعـادى يا محمـد .

● ● ●

كم ديـار آمنـات أسـقطوا فيهـا المـآذنْ
كم ربـوع ناضـرات أحرقـوا فيهـا المـدائن
كم ، وكم فى كل أرض أشـعلوا نـار الضـغائن
وحكايات الغـدر والعـدوان عـادت تتجـدد .
يا محمـد ..!

● ● ●

نحن . من نحن ؟ نسـينا أننـا من خيـر أمـةْ
ونسـينا الوحـى والقـرآن فى أحلـك ظلمـةْ
ونسـينا الله ، فانهالـت علينـا ألـف نقمـةْ
عد إلينـا بلـواء النصـر يجلـو كلّ غمـةْ ..
يا محمـد ..!

● ● ●

يـوم أن كنـا مع الرحمـن نسـتهدى كتابهْ
ونـرى سـنتك الغـراء تجلـوها الصـحابـه
أسـوةٌ مُثْلَـى وأنـوار طريـق ومثابـه
دانـت الدنيـا لنـا علمـا وفتحـا ومهابـه
وترانـا الآن أشـلاءً وعـزاً يتبـدد
يا محمـد ...!

● ● ●

عُـد صـفاءً وضيـاء لنفـوس ظامئـاتِ
عـد حنـانا وأمـانا لقلـوب راجفـاتِ
أنقـذ الغـرق ــ حنانيـك ــ بأطـواق النجـاةِ
بالهـدى بالنـور بالتقـوى بكـل المكرمـات
ليثـوب النـاسُ من هـذا التـردى ..
يا محمـد ..!

● ● ●

يا رسـولا عطـر الدنيـا بأنـوار الإلـهْ
يا رسـولا أنبت الإيمـان فى عمـق الحيـاه
يا رؤوفـا يا رحيمـا يا إمامـا .. للدعـاه
حسـبنا أنا على دربـك بالتوحيـد نشـهد
ونناجى بعد ذكـر اللـه نـورا يتجـدد
لا تغب عنـا ولا تقطـع رجـانا يا محمـد ..

محمد رسول الله

شريف

للشاعر علي الجارم .

محمد أنقذت الخلائق بعدما | تنكبت الدنيا بهم وتنكبوا
وأطلقت عقلا كان بالأمس مصفدا ـ فدان له سر الوجود المحجب
وأرسلتها من صيحة نبوية | يمور لها قلب الجبال ويُرعَب
إذا كان صوت الله فى صيحة الفتى | فأىَّ عباد الله يخشى ويرهب ؟
وَبَلَّغْتَ آيات روائعُ لفظها | من الصبح أهدى ، أو من النجم أثقب
(كأن) وما تعنى كأن ؟ فخلها | فإن من التشبيه ما يُتَعَصَّبُ
وماذا يقول الشعر فى آى رحمة | لها الله يُمْلِى والملائك تكتب ؟
خطبت لنا يوم الوداع مُشَرِعًا | وهل لك ند فى الورى حين تخطب ؟
فكشفت أسرار السياسة موجزا | وجئت بما يعيا به اليوم مسهب
وأمليت « دستورا » شقينا بتركه | فَثُرنا على الأيام نشكو ونعتب

إليك ـ رسول الله ـ طار بنا الهوى | وحلو الأمانى والرجاء المحبب
أفِضْهَا علينا نفحة هاشمية | تلم شتات المسلمين وترأب
وتُرجع فيهم مثل « سعد » و « خالد » | وترفع من راياتهم حين تنصب
سنصحو فقد ملَّ الطريح وِسَادَهُ | وفى نورك القدسى نسعى وندأب
عليك سلام الله مَاحَنَّ واجد | وفاخرت الدنيا بقبرك يثرب

من ديوان على الجارم

ملاحظة : ليس فى ديوان الجارم بقسميه إلا هذه القصيدة فى الأغراض الدينية

المحرر

أسمى الحب

لمصطفى صادق الرافعي - رحمه الله

مَنْ لِلْمُحِبّ ، ومَنْ يُعِينُـهْ   والحبُّ أهْنَــؤُهُ حزينُــهْ
أنا ما عرفتُ سِوَى قَسَـا   وَتِهِ .. فقولوا : كيف لِينُـهْ
إنْ يُقْضَ دَيْنُ ذوى الهوى   فأنا الذى بَقِيَـتْ ديونُـهْ
قلبـى هو (الْأُلماسُ) يُعْــ   ـرَفُ من أُشِعَّتِـهِ ثَمِينُــهْ
قلبـى هو الذهـبُ الكريــ   ـمُ ، فلا يُفَارِقُــهُ رَنِينُــهْ
قلبـى يُحب ... وإنَّمَــا   أخلاقُــهُ فيــه ودِينُــهْ

● ● ●

يا مَنْ يُحِـبُّ حَبِيبَــهُ   وبظنــه أمســى يُهِينُــه
إن تَنْقَلِــبْ لِصًّ العَفَــا   فِ لمن تُحِبُّ ... فَمَنْ أَمِينُهْ . ؟
كالقبــر غَطَّتْــهُ الزهــو   ر ، وتحته عَفِنٌ دَفينُــهْ

● ● ●

وَيْلــى علــى مُتَدَلِّــلٍ   لا تنقضــى عنى فتونــه
كيفَ السُّلُــوُّ ، وفى فؤا   دى لا تفارقنــى عيونــه

اللغة والنقد والأدب

حروف العربية

بين التوزيع والتوظيف عند ابن القيم

دكتور/ توفيق محمد شاهين

هذه نظرات أخرى فى أصول اللغة عند إمامنا الجليل ابن قيم الجوزية ، رحمه الله رحمة واسعة .

وهى تؤكد ما سقناه من سعة مدارك الإمام ، وعلمه الوفير ، وإلمامه وهضمه لمعارف وفنون العربية والإسلام .

يحدثنا عن نعمة الصوت ، وماهيته ، وكيفية حدوثه وتكونه ، ووظيفته فى الأداء والبيان وإتيان اللفظ والمعنى فى اتساق وحسن تعبير عن المطلوب بدقته فى اللغة العربية .

ثم يحدثنا عن سر الحروف المقطعة ، التى ابتدأت بها بعض سور القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لبعضها .

وهى دراسة جيدة ، حبذا لو اقتفى أثرها ، لبيان روعة القرآن الكريم فى معانيه ومبانيه .

الصوت نعمة حين يتم التعارف به ، ويؤدى المطلوب ، وتلاشى الصوت نعمة ؛ حتى لا يمتلىء العالم به ، ومنشؤ الصوت : أثر الاصطكاك لا الاصطكاك نفسه .

يحدثنا عن هذا العلامة ابن القيم فيقول :

(الصوت أثر يحدث عند اصطكاك الأجرام ، وليس نفس الاصطكاك ، كما قال ذلك من قاله ، ولكنه موجب الاصطكاك وقرع الجسم للجسم ، أو قلعه عنه ، فسببه : قرع أو قلع فيحدث الصوت ، فيحمله الهواء ، ويؤديه إلى مسامع الناس ، فينتفعون به فى حوائجهم ومعاملاتهم بالليل والنهار ، وتحدث الأصوات العظيمة من حركاتهم ...)[1]

فيلاحظ أنه ـ رحمه الله ـ ينبهُ إلى أن الصوت من موجبات الاصطكاك وأثره ، وكثير من علماء أصول اللغة لما ينتبهوا لذلك من قبل .

ويقول عن الشق الثانى ـ تلاشى الكلام ـ وإن كان العلم الحديث يقول اليوم بأن الهواء يحتفظ بالأصوات ، ولو أمكن جمع الذبذبات الصوتية ومواصفات الصوت كلها لأمكن التقاط أصوات بعينها مازالت تدور فى فلك الأثير .

يقول ابن القيم رحمه الله :

(فلو كان أثر هذه الحركات والأصوات يبقى فى الهواء ، كما يبقى الكتاب فى القرطاس لامتلأت العالم منه ، ولعظم الضرر به ، واشتدت مؤنته ، واحتاج الناس إلى محوه من الكلام فى الهواء والاستبدال به أعظم من حاجتهم إلى استبدال الكتاب المملوء كتابة فإن ما يلقى من الكلام فى الهواء قرطاسا خفيا ، يحمل الكلام بقدر ما يبلغ الحاجة ، ثم يمحى بإذن ربه ، فيعود جديدا نقيا لا شىء فيه ، فيحمل ما حمل كل وقت[2] .

وفى دقة العالم ، ويقين المسلم ، وتفكير المؤمن ، يحدثنا العلامة ابن القيم عن كيفية حدوث الصوت اللغوى ، وتكون الحرف ، ومقاطع الكلام ، يقول :

(... تأمل فى هذا الصوت الخارج من الحلق ، وتهيئة آلاته ، والكلام وانتظامه ، والحروف ومخارجها ، وأدواتها ومقاطعها وأجراسها .. تجد الحكمة الباهرة فى : هواء ساذج يخرج من الجوف فيستهلك فى أنبوبة الحنجرة ، حتى ينتهى إلى الحلق واللسان والشفتين والأسنان ، فيحدث له هناك مقاطع ، ونهايات وأجراس ، يسمع له عند كل مقطع ونهاية منفصل عن الآخر ، يحدث بسببه الحرف .

فهو صوت واحد ساذج يجرى فى قضية واحدة ، حتى ينتهى إلى مقاطع وحدود تسمع له منها تسعة وعشرين حرفاً ، يدور الكلام عليها كله :

أمره ونهيه ، وخبرة واستخباره ، ونظمه ونثره ، وخطبه ومواعظه وفضوله ...... فسبحان من أنشأ ذلك كله من هواء ساذج ، يخرج من الصدر ، لا يدرى ما يراد به ، ولا أين ينتهى ، ولا أين مستقره .

هذا إلى ما فى ذلك من اختلاف الألسنة واللغات ، التى لا يحصيها إلا الله ....

---

(١) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ص٢٨٩ .

(٢) السابق ٢٨٩ .

واللسان الذى هو الجارحة واحد فى الشكل والمنظر ، وكذلك الحلق والأضراس والشفتان ، والكلام مختلف متفاوت أعظم تفاوت[٣] .

إلى أن يقول :

ثم تأمل اختلاف هذه النغمات ، وتباين هذه الأصوات ، مع تشابه الحناجر والحلوق ، والألسنة ، والشفاه ، والأسنان ..

فمن الذى ميز بينها أتم تمييز ــ مع تشابه محالها ــ سوى الخلاق العليم .

ومن الحروف تتألف الكلمات ، ومن الكلمات تعبير وبيان لمن رق طبعه ولطف حسه ومن البيان سرٌ وروعة[٤] .

والمعنى واللفظ عنده متناغمان ، ويأتى المعنى على سمت اللفظ ، ويخدم اللفظ المعنى فى اتساق وتناسب . ويضرب لذلك مثلا بأن الاسم من (هذا) هو الذال وحدها على أصح القولين ، بدليل سقوط الألف فى التثنية والمؤنث ، وخصت الذال بذلك لأنها من طرف اللسان ، والمشار إليه مبهم ، يشار إليه بلفظه أوبيد ، ويشير مع ذلك بلسانه فإن الجوارح خدم القلب فإذا ذهب القلب إلى شىء ذهاباً معقولا ذهبت الجوارح نحوه ذهاباً محسوساً .

والعمدة فى الإشارة فى مواطن التخاطب على اللسان ، ولا يمكن اشارته إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان ، التى هى آلة الاشارة دون سائر أجزائه ، (وهى) إما الذال ، أو التاء :

« فالتاء » مهموسة رخوة ، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها بالبيان « والذال » مهجورة ، فخصت بالإشارة إلى المذكر .

وخصت « التاء » بالإشارة إلى المؤنث ، لأجل الفرق .

وكانت « التاء » به أولى لهمسها ، وضعف المؤنث ، ولأنها قد ثبتت علامته للتأنيث فى غير هذا الباب[٥] .

فقد بين أن « الذال » من (هذا) ، عليها مدار الكلام وحدها ، وعلل لذلك للاقناع .

وخص الذال بالاشارة ، لكونها من طرف اللسان . وبالتالى وظف اللسان فى الاشارة كاليد وغيرها ، فهو مشير ، والذال من طرفه لتكون أوضح فى الإشارة وأبين .

ولتقواه ، يحاول جعل الجوارح خدمـــاً للقلب .. وجعل إرادته معقولة ، بينما ارادة الحواس وفعلها محسوسا ، ليكون منطقيا فى حكمته وتعبيراته .

والمشار إليه مبهم ، ولابد من الإشارة إليه ، مامن شأنه أن تتأتى منه الاشارة ويفاضل بين « الذال » فى هذا ، و« التاء» فى هذه ، لتوضيح المقام بقوة حين الاشارة ، وفضلت « الذال » الشديدة بالجهر ، على « التاء » الرخوة بالهمس .

واختصت الذال المجهورة بالاشارة للمذكر ، القوى فى جنسه . وخصت التاء الرخوة بالمؤنث تفرقة للجنس الضعيف فى عموميته .

---

(٣) مفتاح دار السعادة ٤٩٠ .
(٤) السابق ٣٠٠ .
(٥) بدائع الفوائد ١/ ١٨٠ .

ومن هذا الباب ما ينقله عن ابن فورك ، عن مخارج لفظ الجلالة (الله) حين قال :

الحكمة فى وجود (الألف) فى أوله ، أنها من أقصى مخارج الصوت ، قريبا من القلب ، الذى هو محل المعرفة .

ثم الهاء فى آخره ، مخرجها من هناك أيضاً ، لأن المبتدأ منه والمعاد إليه . والاعادة أهون من الابتداء .

وكذلك لفظ « الهاء » أهون من لفظ « الهمزة »(٦) .

وهذا توظيف للحروف فى مخارجها جميل ، من امام جليل .

ويقول رحمه الله تعالى (عن سر الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور) : (تأمل سر «ألم» ، كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة :

«فالألف» إذ بدىء بها أولا كانت همزة ، وهى أول المخارج من أقصا الصدر .

«واللام» ، من وسط مخارج الحروف ، وهى أشد الحروف اعتمادا على اللسان .

«والميم» ، آخر الحروف ، ومخرجها من الفم .

وهذه الثلاثة هى أصول مخارج الحروف ، أعنى : الحلق ، واللسان ، والشفتين وترتيب فى التنزيل : من البداية ، إلى الوسط ، إلى النهاية .

فهذه الحروف معتمد المخارج الثلاثة ، التى تتفرع منها ستة عشر مخرجاً ، فيصير منها تسعة وعشرون حرفاً ، عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين ، مع تضمنها سراً عجيباً ..

وهو أن «للألف» البداية ، و«اللام» التوسط ، و«الميم» النهاية فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة ، فهى مشتملة على بدء الخلق ، ونهايته وتوسطه ، فمشتمله على تخليق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر ..

فتأمل ذلك فى البقرة ، وآل عمران ، وتنزيل السجدة ، وسورة الروم .

وتأمل اقتران الطاء بالسين **والهاء** فى القرآن :

فإن « الطاء » جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها ، وهى الجهر ، والشدة ، والاستعلاء ، والإطباق .

و«السين» مهموس ، رخو ، مستعل ، صفيرى ، منفتح ، فلا يمكن أن يجمع إلى « الطاء » حرف يقابلها « كالسين » ، « والهاء » فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف .

وتأمل السور التى اشتملت على الحروف المفردة ، تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف :

فمن ذلك (ق) والسورة مبنية على الكلمات « القافية » من ذكر القرآن ، وذكر الخلق ، وتكرير القول ، ومراجعته مراراً ، والقرب من ابن آدم ، وتلقى الملكين قول العبد وذكر الرقيب ، وذكر السائق والقرين : والالقاء فى جهنم ، والتقديم بالوعيد ، وذكر المتقين ، وذكر القلب ، والقرون ، والتنقيب فى البلاد .

وذكر القيل مرتين ، وتشقق الأرض ، والقاء الرواسى فيها ، وبسوق النخل والرزق وذكر القوم وحقوق الوعيد ، ولو لم يكن إلا تكرير القول والمحاورة .

---

(٦) بدائع الفوائد ١٨٠/١ .

وسر آخر ، وهو : أن كل معانى هذه السورة مناسبة لما فى حرف (القاف) من : الشدة ، والجهر ، والعلو ، والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح هذا ، فتأمـــل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة :

فأولها : خصومة الكفار مع النبى ، ﷺ وقـولهم : «اجعـــل الآلهة الها واحـــدا»(٧) الخ كلامهم .

ثم اختصام الخصمين عند داود عليه السلام .

ثم تخاصم أهل النار .

ثم اختصام الملأ الأعلى فى العلـم ، وهـو الدرجات والكفارات .

ثم مخاصمة ابليس واعتراضه على ربه فى أمره بالسجود لآدم .

ثم خصامة (ابليس لعنه الله) فى شأن بنى (آدم) وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم .

فليتأمل اللبيب الفطن ، هل يليق بهذه السورة غير (ص) ، وبسورة (ق) غير حروفها ؟

وهذه قطرة من بحر من بعض أسرار هذه الحروف ، والله أعلم(٨) . أ.هـ

فقد نبهنا إلى أن الألف إذا بدىء بها أولا كانت همزة ، كما قال المحققون اليوم .

وأشار إلى أن أول مخارج الحروف ما يخرج من أقصى الصدر ، أو ما يسمى بالحروف الحلقية ، وهى :

همز فهاء ثم عين حاء مهملتان ثم عين خاء

ويتنقل من أقصى الحلق أو الصدر إلى الشفتين أو الفم كما أشار ، ومثل بالميم قسيمة الباء فى هذا المخرج .

ثم أشار إلى الوسط بين الطرفين وهو اللسان ، الذى تعتمد عليه أشد الحروف وهى اللام .

فذكـر الحلـق ، ومـر بالـــلسان ، وانتهى بالشفتين أو العكس ، فى الأماكن الثلاثة .

ومن هذه المخارج الثلاثة تتحرك الحروف على مدرجها ، لترينا ستة عشر مخرجا تنتج تسعة وعشرين حرفاً ، عليها مدار الكلام كله .

وجعل الحروف الثلاثة فى (أ.ل.م) المتضمنة للبداية والتوسط والنهاية ، **ممثلة لبداية الخلق ونهايته وتوسطه ، أو على تخليق العالم فى بدايته ، ونهايته فى غايته ، والتوسط فى التشريع والتكليف والأوامر والعمل .**

ونبه على أننا لو راجعنا سورة البقرة ، وآل عمران ، وتنزيل السجدة ، وسورة الروم ، وكلها ابتدأت بقوله تعالى : ﴿ الم ﴾ ، لوجدنا معانى هذه السور تتحدث عن البداية ، والنهاية والغاية ، ثم توسط التشريع فى الأوامر والنواهى .

وذكر أن لاقتران الحروف المقطعة فى أول السور سر فى الجمع يجمع بين صفات الحروف فى تناسق لطيف يتطابق فيه ما تتصف به الحروف من ضعف أو قوة فى توازن هندسى ، يقول :

تأمل اقتران الطاء بالسين والهاء فى القـرآن الكريم :

فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات ، لم يجمعها غيرهـا وهـى : الجهـر ، والشدة ، والاستعلاء ، والإطباق .

---

(٧) ص : ٥ .

(٨) بدائع الفوائد ٣/١٧٣ ، ١٧٤ .

بينما السين حرف مهموس رخو مستقل صفيرى منفتح .

فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها كالسين والهاء .

فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف ، من قوة وضعف ..

وعنى بالتطبيق فذكر دراسة مقتضية عما تضمنته سورة (ق) وسر البدء بهذا الحرف .

وكل المعانى التى ذكرها تدور حول ما يتناسب مع صفات حرف (القاف) وكلها أو جلها معانى تتطلب القوة والشدة :

من إلقاء الرواسى فى الأرض ، وشموخ النخل وبسوقه ، وسوق الرزق للعباد ، وتنقص الأرض منهم ، وفوقية السماء ، ودأب الأقوام الجفاة فى تكذيب الرسل ، وحق الوعيد ، والقدرة على البعث ، كما كانت فى خلق الانسان من لا شيء والحديث عن سكرة الموت ، وتمكن القرين ، وقهر كل جبار عنيد ، وإلقائه فى العذاب الشديد وحوار جهنم .

وإحكام القول ، وتنقيب الأشداء فى البلاد ، والاستعداد لإطلاق الصيحة وتشقيق الأرض ، وزوال العمران ، والتذكير بالقرآن فى المبدأ ونهاية السورة .. الخ .

فلا عجب أن يتكرر حرف « القاف » الذى بدئت به السورة الشريفة قرابة الستين مرة .

وذكر نماذج لمثل هذه الدراسة عن سورة (ص) ، والمعانى التى تتضمنها السورة والتى طابقت صفات حرف الصاد ..

وحبذا لو احتذى محتذ لمثل هذه الدراسات فى القرآن الكريم ، فى السورة التى افتتحت بالحروف ، لتضيف إلى علمنا ببلاغة القرآن معانى جديدة ، وآفاقا واسعة تثرى الدراسات القرآنية ، وتجلى عبقرية اللغة العربية وحكمتها وفصاحتها فى دنياها الثرة والعجيبة ..

وابن القيم ، ينبه على شرف هذه الحروف ، وعظم قدرتها وجلالتها ؛ إذ هى مبانى كلامه وكتبه .

وقال : إنها ما ذكرت قط فى أول سورة إلا وعقبها بذكر القرآن ، إما مقسما به ، وإما مخبرا عنه ، ماعدا سورتى « مريم » ، و« ن »[9] .

وكذلك استثنى الزركشى سورتى « العنكبوت » و« الروم »[10] .

ويذكر ابن كثير أن (كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته) .

ويعقب الدكتور محمد بدرى عبد الجليل ، فى كتابه القيم ؛ بأن هذه الخصيصة ليست للسور التى افتتحت بالحروف المقطعة ، وإنما جاء ذكر القرآن والتنبيه على شرفه فى سور أخرى لم تفتتح بذلك كسورة « الكهف » وسورة « الزمر » وكذلك فى تضاعيف القرآن الكريم مرات عديدة تفوق عدد السور المفتتحة بالحروف المقطعة[11] .

ونقول : بأن الأمر لبيان مزية ، وترجيح رأى ، واستشهاد بموجود ، لا أن الأمر على سبيل الحصر والقصر .

ونفس السبب نرد به على اعتراض المعترضين على ابن القيم فى (اتخاذه من صفات الحروف منطلقا ليكشف عن ارتباط بين بعض الحروف

---

(9) التبيان فى أقسام القرآن ، لابن القيم ٢٠٣ .

(10) دراسات فى النصوص القرآنية د. محمد بدرى ص ١٠٠ .

(11) السابق ١٠١ .

وبعضها تارة) كما ذكرنا فى اقتران الطاء بالسين والهاء فى القرآن ، كما ألمحنا إلى ذلك فى هذا البحث إذا ما اعترض بإمكانية وجود الياء مع السين ومع غير السين[١٢] .

وابن القيم إنما ذكر تمثيلا لا حصراً ولا استقصاء ، وإلا لأفرغ جهده فى ذلك ، أو أشار إلى أن الأمر يحتاج إلى مجلدات - إن أراد حصر - كما عودنا فى مقالاته العميقة والتى يستفرغ فيها جهده .

وليس ابن القيم وحده فى هذا الصدد ، وإنما يشاركه فى ذلك الزركشى ، فى اشارات تشير إلى ذلك ، حين يقول : انما زيدت «صاد» (المص) فى أول الأعراف ، لأجل قوله تعالى : ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾[١٣] . وشرح قصص آدم بعد ذلك ومن بعده من الأنبياء[١٤] .

ولا نحاسب ابن القيم على ما وصف به حرف «ق» من صفات وصفه بها الأقدمون وخالفها المحدثون ، كما ذكر الدكتور محمد بدرى عبد الجليل ، فما جدَّ من جديد فى دنيا علوم الصوتيات اليوم ماكان ابن القيم يحلم به ، ولا يتوقعه .

وكذلك لا نوافق على نقض كلام ابن القيم ؛ لأن من الكلمات العربية ماهو ضعيف وإن اشتمل على حرف «ق» ؛ لأن الأمر مبناه التمثيل ، والإشارة إلى الإشعاعات التى عليها صفات الحرف ، أى حرف ، منتزعا من المعانى التى تضمنتها السورة المفتتحة بحروف مقطعة .

وماذكره الدكتور من أمثلة تخرج عما ذكر ابن القيم ، وتمثل صفات ضعف ، ليست نصا على ضعف مادى أو معنوى ؛ لأن الأمر نسبى ، كالجلل للأمر الهين والعظيم ، فالقليل من كل شىء لا يدل على ضعف والرجل القتين (قليل الطعم واللحم) ليس ضعيفاً ، بل لعله أقوى من السمين ، وقرسم الرجل سكت ، لعل قوته فى سكوته[١٥] ... الخ ومتى اضطردت كل القوانين اللغوية على وتيرة بلا شذوذ فى لغة من اللغات ؟!

ولم يجزم ابن القيم بأن العلاقة مطردة ووطيدة بين المبنى والمعنى وما قال هكذا .. وحسبه أنه عاشق للقرآن ومبانيه ، وظهرت أمامه إشعاعات معانيه ، ولعل تقدم الأبحاث يرينا المفيد والجليل والجديد فى صفات الحروف ومخارجها وأسرارها ، وفى بلاغة القرآن الكريم وأسرار إعجازه ..

وحسب علمائنا القدامى - رحمهم الله - أنهم رواد بلا إمكانات ، وقادة بلا غاية سوى وجه الله تعالى ، وخدمة العربية والإسلام ، وباحثون فيما يرجون أن يلقوا به ربهم ، وأن يكون فى موازين أعمالهم يوم يلقون الله ، فخلفوا علما كثيرا .. وصنفوا كتبا قيمة ، كانت للمسلمين الأول مشاعل نهضة ، ولغيرهم فيما بعد وسائل تقدم ورقى .

وإن جنحوا فما قصدوا ، وإن قصدوا فمن ضعف الوسائل ، ولعل ما كتبوه يثير شاكلة انتباه لدى المحدثين من علمائنا ، فيضيفوا جديداً ، ويكملوا نقصا ، ويلقوا مزيدا من الضوء على غامض أو مبهم .. ﴿**والله يقول الحق وهو يهدى السبيل**﴾ .

---

(١٢) السابق ١٠٢ .
(١٣) الأعراف ٢ .
(١٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١/ ١٧٠ .
(١٥) دراسات فى نصوص القرآن ١٠٨ وما بعدها .

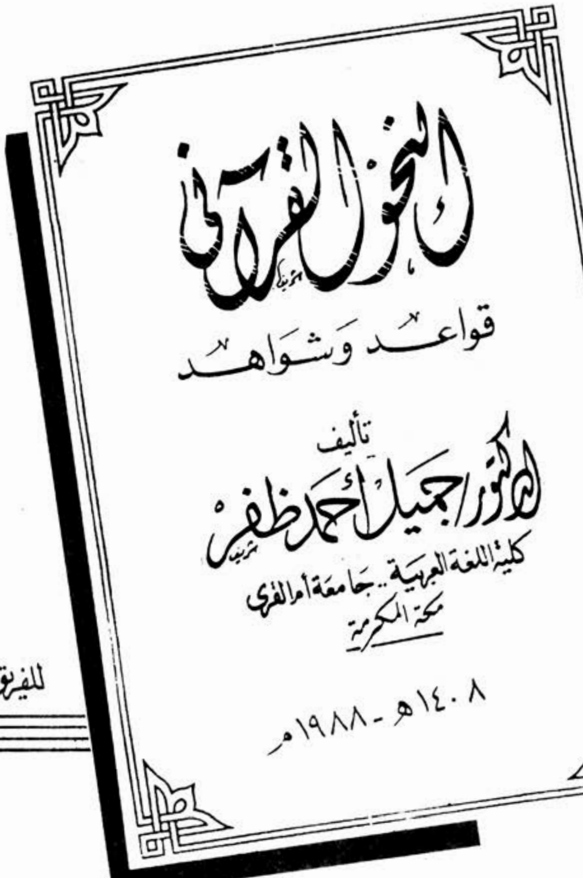

للفريق : يحيى عبد الله المعلمي

قواعد وشواهد :

أَفْضَلَ أخي العزيز الدكتور/ جميل أحمد ظفر عليّ[١] فأهدى إليّ نسخة من كتابه « النحو القرآني : قواعد وشواهد » .

ولا أذكر أني قد سعدت بلقاء الأخ الدكتور ظفر ، ولكني مع ذلك أحمل له في نفسي مودة كبيرة ، واحتراماً عظيماً وإعجاباً شديداً بما يكتبه وما يذيعه .

فقد كنت أستمع إليه وهو يذيع فصولًا من كتابه هذا في أحاديث عبر المذياع فأنصت إليه باهتمام ، وأعجب بما يورده من معلومات وشواهد ، ويعجبني صوته وطريقة حديثه ، فهو محدث إذاعي ممتاز في نبرة صوته ، وفي فصاحة لسانه ، وفي صحة تعبيره ، وفي ضبطه لمخارج الحروف وإتقانه طريقة الأداء السليم .

---

(١) أستاذ الأدب العربي بجامعة (أم القرى) بمكة المكرمة .

وقد (هاتَفتُه)[٢] مرة وأعربت له عن إعجابى بمادة أحاديثه وبأسلوبه وبطريقة إلقائه ، كما عبرت له عن سرورى بأن أجد بينى وبينه علاقة روحية تتمثل فى إعجاب كل منا ببلاغة القرآن الكريم وفصاحته ، وباستمداده من بحور العلم التى يشتمل عليها هذا الكتاب الكريم ، فقد شرفت باصدار مجموعة من الكتب استُمِدَتْ مادتها من القرآن الكريم منها :

الأمن فى القرآن الكريم ، مكارم الأخلاق فى القرآن الكريم ، الأمثال والشواهد فى القرآن الكريم ، آيات قرآنية ، المرأة فى القرآن الكريم .

بالإضافة إلى استشهادى دائماً بآيات القرآن الكريم فى أحاديثى ومحاضراتى ومقالاتى .

ورأيت أنى أشترك أيضاً مع الأخ الكريم الدكتور ظفر فى التعلق باللغة العربية الفصيحة ، والحرص على سلامة ألفاظها وتراكيبها من اللحن والهجنة ، وفى هضم قواعد النحو العربى ، والاهتمام بشواردها وشواذها وتتبع دقائقها ، وإن كنت أقر بتقصيرى فى كل ذلك وبقلة حصيلتى منه ، وبضعف استيعابى له ، ولكنى أحاول ما استطعت ، وأرجو من الله مزيداً من التوفيق والفتح .

وزاد يقينى فى اشتراكى مع الأخ الدكتور ظفر فيما أشرت إليه ـ وإن كان له الفضل الأوفر والنصيب الأوفى من كل خير ـ ما قرأته فى مقدمة الكتاب الذى أتحدث عنه فقد قال :

النحو القرآنى .. قواعد وشواهد .. بحث قمت به إسهاما منى فى خدمة القرآن الكريم وعلومه تقرباً إلى الله تعالى وطلباً لمرضاته ولينتفع به الدارسون والباحثون فى هذه اللغة الخالدة : لغة القرآن الكريم والدين الحنيف .

ويعتمد هذا البحث على شواعد كتاب الله ـ عز وجل ـ فى قضايا النحو المتشعبة المتفرعة بدلًا من الاعتماد على النصوص الشعرية التى عول عليها ، واستند إليها كثير من النحاة ، على الرغم مما يعترى نماذج غير قليلة منها من قصور وضعف كتعدد الرواية فى النص ، أو جهل القارىء أو تعدد النسبة لأكثر من شاعر ونحو ذلك .

ويهدف هذا البحث إلى تقريب المسائل النحوية لأذهان طلاب العلم ، وترغيبهم فى دراستها ، وتمكينهم من الأداء السليم لنصوص هذه اللغة ، وتنمية قدراتهم اللغوية والتعبيرية باستظهار هذه الشواهد القرآنية ، وفهمها ، والإفادة منها بالدرس والبحث .

وقد سلكت هذا المسلك أو ما يقرب منه فى مقدمة كتابى «الأمثال والشواهد فى القرآن الكريم» الذى أرجو أن يخرج إلى النور قريباً إن شاء الله فقلت :

«إن هذا الكتاب ... اختيار لبعض الآيات والعبارات القرآنية التى تجرى مجرى الأمثال ، ويمكن الاستشهاد بها فى الحديث العادى بين الناس .. والذى دفعنى إلى تتبع هذه العبارات القرآنية البليغة .. إنما هو شغفى بالقرآن الكريم بصفته كتاباً عربياً مبيناً يقع من البلاغة فى قمتها ، ومن الفصاحة فى أوجها ، ومن الحكمة فى ذروة سنامها ، ورغبتى فى أن يرطب المؤمن لسانه

(٢) تحدث إليه عبر الهاتف .

بذكر الله وترديد اياته فى كل وقت وآن ، وفى كل ظرف ومناسبة ، واستحسان أن يجمل الإنسان كلملاه بالعبارات القرآنية الجميلة لفظاً ، العظيمة معنى .. وأعتقد أن هذه ... أهداف نبيلة يدفع إليها الإيمان بكتاب الله والرغبة فى استظهاره وتدبره واستحضاره والتلذذ بترديد عباراته تعبداً وتبركاً واستمتاعاً بالجمال المعنوى الرفيع » .

وكتاب « النحو القرآنى » يقع فى نحو ستمائة صفحة (٦٠٦ صفحة بما فيه من مقدمة وخاتمة وقائمة مراجع وفهارس) وقد طبع طباعة جيدة فى مكة المكرمة .

وقد رتبت مواضيع الكتاب (أو موضوعاته) على نمط من أنماط ترتيب أبواب النحو ، وتضمن ستة فصول :

- **الفصل الأول** : عن الأفعال المعربة والمبنية .
- **الفصل الثانى** : عن الأسماء المبنية والنكرة والمعرفة والمعربة .
- **الفصل الثالث** : عن التوابع (النعت والعطف والتوكيد والبدل) .
- **الفصل الرابع** : عن الجمل التى لها ـ والتى ليس لها ـ محل من الإعراب .
- **الفصل الخامس** : عن حروف غير عاملة .
- **الفصل السادس** : عن موضوعات أخرى .

وقد قسم كل فصل إلى تقسيمات فرعية حسب الاقتضاء .

ولقد قرأت الكتاب بإمعان ودونت عليه بعض الملاحظات ، ولا أرى أن نطاق المجلة يتسع لذكر الملاحظات جميعها ولكنى سأشير إلى بعضها بإجمال :

- **أولًا** : أن المؤلف قد ألَّف كتابه للخاصة فلذلك جاءت بعض عباراته موجزة إلى درجة غمض معها معناها على القارىء غير الضليع فى النحو .

- **ثانياً** : أن المؤلف يورد بعض القراءات الشاذة وما قاله النحاة فى إعرابها ، وفى هذه الأقوال تكلف كبير ، وقد يؤدى بعضها إلى تحريف بعض كلمات القرآن عن مواضعها ، ولعل المؤلف وهو يقدم كتابه إلى الخاصة قد حرص على إيراد كل الأقوال فى إعراب الشواهد التى استشهد بها من القرآن الكريم سواء ما كان من هذه الأقوال راجحاً أو مرجوحاً .

- **ثالثا** : أن المؤلف يورد شواهد من آيات قد يلتبس على القارىء الشاهد فيها .

فمثلًا يستشهد على رفع الفعل المضارع بالضمة بقوله تعالى : ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ (سورة لقمان الآية ١٢) .

ويستشهد على نصب الفعل المضارع بالفتحة بقوله تعالى : ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ سورة الحج الآية ٣٧

وكان فى إمكانه أن يستشهد بآيات أخرى لا يلتبس فيها الشاهد بغيره . لأن بعض ما أتى به من آيات يتكرر فيها لفظ (الشاهد) .

وعلى وجه العموم ، فإن هذا الكتاب يعد من الذخائر النفيسة التى تضم إلى المكتبة العربية وسأحاول تسجيل ملاحظاتى على هذا الكتاب ونشرها إذا وجدت مجالًا لذلك .. فيما بعد .

والله ولى التوفيق ،،،،،

النظرية الأدبية فى ضوء القرآن الكريم

بقلم دكتور / السيد تقى الدين السيد

إن هذا الكتاب العزيز (لا تنقضى عجائبه)[1] كما قال رسول الله ﷺ :

ومن هنا نجد كل جيل يقول فيه كلمة ليست الأولى وليست الأخيرة وإنا لنرجو مخلصين أن تحظى الدراسات الأدبية للقرآن بمزيد من جهود العلماء والباحثين مع ملاحظة أن أحدا لم يختلف فى أدبية القرآن سواء منهم من آمن بالقرآن ومن كفر ، فإذا تحدثنا عن أصول النظرية الأدبية المستنبطة من القرآن الكريم فنحن بذلك لا نخرج على إجماع الناس حول هذه الظاهرة الأدبية الفريدة فى تاريخ البشر .

ولكن هل القرآن معجزة أدبية قبل كل شىء ؟

فى تصورى أن القرآن ليس معجزة أدبية قبل كل شىء ، هكذا بهذا الاطلاق والتعميم والحسم ، وإن كان القرآن قد جمع إلى إعجازاته المتعددة إعجازاً أدبياً إلا أن القول بأن القرآن معجزة أدبية أولا وقبل كل شىء يجرد القرآن من أبلغ إعجازاته التى دلت عليها مقاصد الرسالة والنبوة ، وهى إعجازات التشريع الحكيم الصالح لكل زمان ومكان ، والأخبار الصوادق والغيوب العجيبة عن الماضى والمستقبل ، والقول كذلك بأن القرآن معجزة أدبية قبل كل شىء يجعل القرآن كتاب أدب ولغة وبلاغة فى حين أنه كتاب تشريع وتعليم وتنظيم ومن الطبيعى والبدهى أن يكون ـ وهو كلام خالق البشر وآدابهم ولغاتهم وبلاغتهم ـ معجزاً فى أسلوبه وصياغة تراكيبه وتعابيره وفوق كل التعابير والتراكيب ، إن القرآن قد أعجز ولا يزال يعجز بمعانيه وألفاظه بمعانيه التى جاءت مناسبة لفطرة الناس فيما حدثتهم به من عقيدة سهلة وشريعة سمحة وفيما استوفته من حقائق الوجود ورب الوجود .

إن اللغة والابداع الأدبى فى القرآن غلاف جميل لِلُبَابٍ أجمل ، وإطار جليل لصورة أجمل تعبر عن التجربة الدينية الإسلامية .

---

(١) سنن الترمذى ٣٤٥/٤ رقم الحديث ٣٠٧٠ ط بيروت .

إن القرآن قد حوى صفات الأدب الخالد ومميزاته ، وهذا ما جعل المتأخرين من العرب ومن تعلموا العربية يدركون إعجازه ، ويتذوقون جماله وهذا ما جعله لا يخلق على التكرار ، ولا يسرع الملل إلى قارئه مهما أعاده إذا لم يكن معارضا متحيزا أو متحاملا .

هذه المميزات التى تجعل منه أدبا خالدا تظهر فى الفكرة العامة السامية التى يقول بها القرآن والتى تجعل فيه :

وحدة موضوعية غائية تسعى للمثل الأعلى وتحقيق خير الإنسانية .

وتظهر فى العاطفة الصادقة القوية العميقة التى تنبعث فيه ويستشفها القارىء له من ثنايا آيِهِ وسُوَرِهِ وتثيرها التلاوة فى نفسه فيشعر أن روحا قويا خفيا يحمله من عالم الأرض ليحلق به فى عالم السماء ، ويدرك أن القرآن يفتح عينيه ليرى المثل العليا جلية بهية قريبة المثال إذا صمم العزم على سلوك طريقها .

وتظهر هذه المميزات فى تعاليمه الرفيعة التى تسعى لتنظيم الكون فى يسر وسماح ، وفى هذا اليسر سر من أسرار جمالها .

وتظهر فى الخيال الخصب الذى يصور الندم وعذاب الضمير وآلام النفس وأفراحها وتعاطف البشر ويصور الجنة والنار ، وسير من مضى وقضى من الأمم .

وتظهر فى أسلوبه العظيم الذى أدى ما يراد إبلاغه إلى الناس بأجمل موسيقى وخير أداء فنرى المعنى ينساب إلى النفس مع انسياب الألفاظ إلى السمع فكأن الكلام يقع فى القلب لا فى الأذن ، وترى الروح فيه يخاطب الروح وتدرك معرفة منزله بالنفس البشرية ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الملك ١٤ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ ق ١٦ كما تدرك حسن التأنى فى مخاطبة النفس مما حمل بعض الباحثين على القول بالإعجاز النفسى للقرآن[٢] .

هذه الصفات التى تجعل من القرآن أدباً خالداً هى التى أذهلت عقول الجاهليين فحاروا فيما يقولون فيه : أشعر هو أم سحر ؟ أكلام بشر هو أم كلام فوق طاقة البشر ؟ وهذه الصفات نفسها هى التى ساقت بعض علماء المسلمين لأن يقولوا[٣] إن القرآن معجز لأن الله يحيط بالألفاظ والمعانى فيقدر الألفاظ على أقدار المعانى فينتظم منها ما يسحر اللب ويأخذ القلب وهى التى ميزت فن القرآن عن غيره من فنون الأدب .

وهكذا نصل فى النهاية إلى أن هذا الكتاب العزيز خير ما عرفه الأدب الإنسانى ، وأن صياغة هذا الكتاب ليست مما من شأنه أن يخضع للطاقة البشرية ، وأن معانيه ليست مما يأتى بمثله الفكر الإنسانى ، **وأننا فى دراستنا الأدبية للقرآن الكريم نستطيع أن نستنبط أصول نظرية أدبية متكاملة تقوم على الخصائص التالية :**

١ ـ أن القرآن ليس على أعاريض الشعر فى رجزه ولا فى قصيدة وليس على سنن النثر المعروف فى إرساله ولا فى تسجيعه ، ولكنك مع ذلك تقرأ بضع آيات منه فتشعر بتوقيع موزون من تتابع آياته ؛ بل يسرى فى صياغته وتآلف كلماته ، وتجد فى تركيب حروفه تناسقاً عجيباً بين الرخو

---

(٢) أمين الخولى فى مجلة كلية الآداب المجلد الرابع جـ٢ ديسمبر ١٩٣٦ .

(٣) البيان فى إعجاز القرآن للخطابى .

منها والشديد والمجهور والمهموس والممدود والمقطوع بحيث يؤلف اجتماعها بعضها إلى بعض لحنا مطرباً يفرض نفسه على صوت القارىء العربى كيفما قرأ إذا كانت قراءته صحيحة .

٢ ـ من أجل مظاهر الإبداع الأدبى فى القرآن أن التعبير القرآنى يظل جارياً على نسق رفيع واحد من السمو فى جمال اللفظ ورقة الصياغة وروعة التعبير برغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص والمواعظ والحجاج والوعد والوعيد والإلهيات وذلك ما يعجز عنه جميع من عرفنا من فحول العربية والبيان .

٣ ـ أن معانيه مصوغة بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم ، وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم ، ومع تطور علومهم واكتشافاتهم ؛ فالآية تعطى كل منهم من معناها بقدر مايفهم ، وما يفهم المتأخرون من معاينة زيادة كان مطويا عن السابقين لعدم وجود ما ينبههم إليه إذ ذاك .

٤ ـ التكرار ، وهذه الخاصية ماتزال موضع البحث ، والتكرار فى القرآن نوعان :

(أ) تكرار بعض الألفاظ والجمل .

(ب) تكرار بعض المعانى كالأقاصيص والأخبار .

فالنوع الأول يأتى للتأكيد وينطوى على نكت بلاغية كالتهويل والإنذار والتجسيم والتصوير ، وللتكرار أثر بالغ فى تحقيق هذه الوجوه البلاغية فى الكلام ، وكل مافى القرآن من تكرار الكلمة أو الجملة من هذا القبيل وعلى مثل هذا الإشراق .

وأما النوع الثانى منه وهو تكرار المعنى كتكرار بعض الأقاصيص والأخبار فإن من أغراضه غرضان مهمان هما :

(أ) تثبيت هذا المعنى فى الأذهان بأشكال متعددة وهذه طريقة تربوية ناجحة .

(ب) التفنن فى القول ليتجلى إبداع القرآن وقصور الطاقة البشرية عن تقليده . ومن هنا لانعثر فى القرآن على معنى يتكرر بأسلوب واحد ، ويلاحظ مع تغير الأسلوب اللفظى تغير الطريقة فى التصوير والعرض ـ وسبب ذلك أن القرآن جاء خطابا للناس كلهم فمنهم من لا يكفيه الموجز والخلاصة ، ولا يفيده إلا الأطناب .

٥ ـ تداخل الأبحاث والموضوعات فى معظم الأحيان وهو مظهر انفرد به القرآن واستقل عن كل مألوف ومعروف من طرائف البحث والتأليف . نَسَقٌ غير معهود فى منهجه وأسلوبه وتعبيره ، ومن الخطأ أن نلزم القرآن بمعايير عصرنا فى التأليف ونقده وهو عرف وليس مثلا أعلى إلزامياً ؛ ثم إن المناهج تتناسخ والأساليب تتطور .

ثم إن هذه الخاصة نابعة لحكمة عليا هى أن القرآن جميعه يدور على معنى كلى واحد هو دعوة الناس أن يكونوا عبيد الله بالفكر والاختيار كما خلقهم عبيدا له بالجبر والاضطرار ، وأن أمامهم حياة ثانية تضؤل أمامها الحياة الحاضرة والقرآن يبث هذا المعنى الكلى الخطير فى جميع موضوعاته من تشريع ووعد ووعيد وقصة وأمثلة ووصف وإنما يتحقق ذلك بهذا النسق من التداخل والتماذج فى المعانى وذلك ليتنبه الفكر ويظل مستيقظاً للحقيقة الكلية الكبرى التى تطوف بها جميع المعانى والأبحاث . ثم للقرآن ـ بعد ـ وحدته الفنية الرائعة .

٦ ـ الكلمة القرآنية تمتاز بجمال الإيقاع فى السمع والاتساق مع المعنى فتشم رائحة المعنى أو تلمسه فيها ، وباتساع دلالتها بطريق الإيحاء

والشمول فتنوب كلمة عن كلمات أو جمل وقد توجد فى بعض تعابير الأدباء هذه الخواص ولكن اجتماعها كلها لا يتوافر إلا فى القرآن .

٧ ـ من خصائص الجملة القرآنية أن القارىء لا يشعر بالملل حين يتلوها مهما أكثر وكرر .

٨ ـ ومن خصائصها إخراج المعنى المجرد فى مظهر الأمر المحس الملموس وبث الروح والحركة فى هذا المظهر نفسه بحيث تتحرك فى الخيال كأنها قصة تمر أحداثها على مسرح يفيض بالحياة والحركة المشاهدة الملموسة ويستقبل القارىء والسامع معانى الآيات بكل عقله وخياله معاً وكلام غير الله يتفاعل فيه العقل وحده مع الكلام والمعانى إلا فى الموضوعات التى تقوم فى جوهرها على التخيل والتصوير والتجسيم .

٩ ـ يتكون منهج القصة فى القرآن من المظاهر التالية :

(أ) التكرار ولكن القرآن يتناول فى كل مرة جانباً تستدعيه المناسبة .

(ب) الاقتصاد من حوادث القصة على ما يتعلق به الغرض .

(١٠) الخصائص الفنية للقصة فى القرآن يمكن ارجاعها إلى ما يلى :

(أ) الغرض التصويرى .

(ب) التنويع فى استهلاك القصة ووضع المدخل إليها وهى تبدأ فى أكثر الأحيان بأغرب مشهد يلفت النظر إليها ولو كان متأخراً فى سياق القصة .

(جـ) العرض التمثيلى الذى يبرز المشاهد حية مشرقة أمام الناظر .

(١١) النزعة الإنسانية فى القرآن :

فالقرآن كتاب عربى نزل بلغة عربية ولهجة أوسط القبائل العربية ولكنه ليس فيه إلا السمة الإنسانية المطلقة ولم يتأثر فى مبادئه وأفكاره بالبيئة أو الإقليم أو القوم الذين ظهر بينهم فهو إنسانى النزعة ، وكان فيما يخص العقيدة للعاملين طرا ولم يكن لقوم دون آخرين ، والقرآن من هذه الزاوية يقدم المثل الأعلى للأدب .

وتتمثل النزعة الإنسانية أيضاً فى أسلوب القرآن فهو يتجه بالخطاب إلى الناس أو بنى آدم أو المؤمنين وبرغم أن القرآن نزل منجما بحسب الوقائع والمشكلات ولكنه لم يسجل أى اسم من أسماء أولئك الذين نزلت فى حقهم آيات وأحكام وإنما نزلت الآيات موضوعية عامة كى يبقى القرآن إنسانيا يضع المبادىء والمناهج للبشر جميعهم . وهناك آيات نزلت مدحاً أو ذماً لأشخاص بأعينهم ولكنها جاءت بصيغة العموم .

١٢ ـ حكمة القرآن فيما يخص الإنسان والكون والحياة تقوم على أسس حضارية شاملة بحيث تتفاعل فيها هذه العناصر الثلاثة الإنسان والكون والحياة . فى تناسق وانسجام .

ففيما يتعلق بالكون يبصر القرآن الإنسان به على أنه من إبداع الله لغرضين اثنين :

(أ) أن يتأمل الإنسان فيه ليؤمن بالخالق وأنه عبد له ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٤) .

(ب) أن هذه المظاهر الكونية مسخرة لخدمة الإنسان ومصلحته وحاجاته ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٥) .

---

(٤) البقرة آية ١٦٤ وآل عمران ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٥) البقرة ٢٩ .

وفيما يتعلق بالإنسان وصفه القرآن بأنه مخلوق يحمل أخطر المميزات والصفات من عقل وإدراك وقدرة على تحليل الأشياء وأثرة وحب تملك وقوة وحب عظمة ونزوع إلى السيطرة والكبرياء ، وهى أسلحة ذات حدين يمكن أن تستغل فى الخير والشر ، ولذلك كانت أمانة .

والإنسان فى القرآن خليفة الله فى الأرض ؛ فشاءت قدرته أن يكون مظهراً لعدالته وتطبيق أوامره ونواهيه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٦) «وقوله» أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ(٧) .

ويصف القرآن الإنسان بعد هذا بصفتين :

(أ) أنه خلقه ﴿ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ أى من نطفة ومن تراب : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾(٨) .

(ب) أنه كرمه وفضله ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٩)

والإنسان فى القرآن أولا وأخيراً عبد الله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾(١٠) .

وفيما يتعلق بنظرة الإنسان إلى الحياة :

يتحدث القرآن عن الحياة الدنيا من جانبين :

(أ) جانب قيمتها الحقيقية وعلاقتها بما وراءها وبالوجود بأسره والحياة كلها وما يجب أن تكون عليه حالة الإنسان تجاهها فقيمتها الحقيقية أنها فانية ومتاع الغرور .

والجانب الآخر من الحياة الذى يتحدث عنه القرآن أنها وسيلة إلى تقديم معاشه ومعاده وإسعاد نفسه وبنى جنسه وعلى ذلك يأمر القرآن الإنسان بالإستفادة من الحياة على أن لا تكون همه الأول ــ وعلى أن تكون وسيلة للغاية الكبرى التى خلق من أجلها ، وسبيلا إلى سعادة الآخرة ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾(١١) .

ويقول القرآن فى معارضة الانقطاع وعن متعة الحياة الدنيا وطيباتها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝ ﴾(١٢)

ويتبين من هذا أن محور المخلوقات كلها فى الرتبة والأهمية إنما هو الإنسان وأن الغاية التى خلق من أجلها أن يكون مظهراً لحكمة الله تعالى وعظمته وعدالته فى الأرض بما يلتزمه من منهج العبودية لله تعالى وأن محور الوجود كله هو الدار الآخرة وأن الدنيا مزرعة لها .

وتلك هى أسس الحضارة الإنسانية التى جاء بها القرآن وجعلها للإنسانية دستوراً ومنهجاً فى هذه الحياة وتلك أيضاً هى الفلسفة العليا للأدب الخالد والمثل الأعلى لذلك الأدب يقدمه الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز .

---

(٦) البقرة ٣٠ .

(٧) النمل ٦٢ .

(٨) الطارق ٥ ــ ٧ .

(٩) الإسراء ٧٠ .

(١٠) الذاريات ٥٦ ــ ٥٧ .

(١١) القصص ٧٧ .

(١٢) المائدة

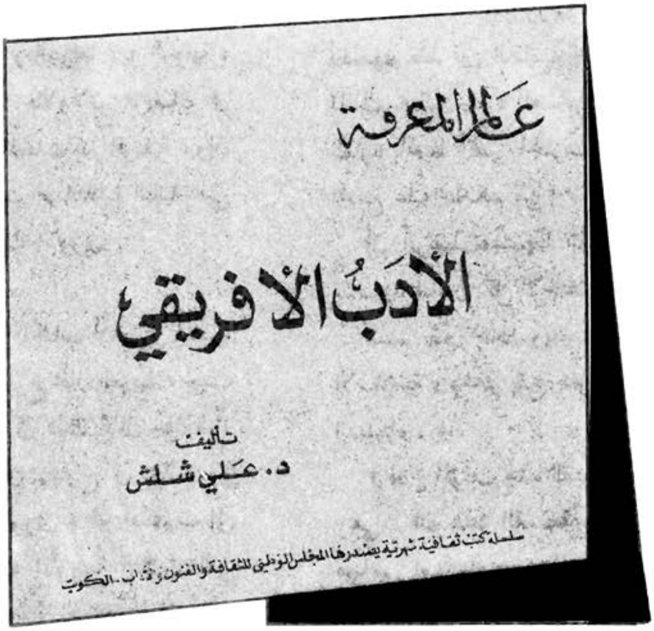

عرض : عبير عبد الواحد

هذا الكتاب « الأدب الأفريقى » للأستاذ « على شلش» صدر بسلسلة « عالم المعرفة » التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت الشقيقة .

والكتاب هو الحادى والسبعون بعد المائة من هذه السلسلة ، من القطع المتوسط يقع فى سبع وخمسين ومائتى صفحة .

فى لمحة سريعة عُنى المؤلف بإبراز النقاط الهامة التالية :

(ا) صلته هو بالأدب الأفريقى وقد بدأت بقراءة لعدد من مجلة « اتلانتيك » الأمريكية عام ١٩٥٧ م

(ب) إعجابه بهذا الأدب الذى يحمل روح الكتابات العربية .

(جـ) الانفجار الكمى والكيفى لهذا الأدب الذى شمل القارة فى السنوات الثلاثين الأخيرة .

(د) اهتمامه — وهو اهتمام طبيعى — بهذا الانفجار الأدبى لافريقيا غير الناطقة بالعربية .

(هـ) ايضاحه الشديد لموقفه من هذه الدراسة فقد رأى بحق ان كتابا واحدا فى هذا الحجم لا يمكن أن يغطى دراسة أدبية أصيلة لقارة .

(و) عَمْدُهُ إلى أنسب طريقة للدراسة فى هذه الحالة وهى العرض والتعريف مع ما يحتمله العرض من المقارنة والتحليل والاهتمام بالتطور التاريخى لأدب هذه المساحة الشاسعة .

(ز) إشارته إلى أهم المؤثرات الخارجية والداخلية التى قادت حركة هذا الأدب .

(ح) تناوله لخمسة أجناس أدبية من هذا الأدب

هى على الترتيب التالى حسب عراقتها : الشعر ، المسرحية (الدراما) ، الرواية ، القصة ، السيرة : فالاولان عريقان فى افريقيا لم ينقلا عن ثقافات غير افريقية ، وإن انتفعا بهذه الثقافات ثم الثلاثة التالية التى استمدت من التراث الأوربى .

يحاول المؤلف فى هذا الكتاب أن يلقى الضوء على « الأدب الأفريقى خارج مجال العربية » حيث كتب بغير العربية سواء فى ذلك شمال القارة أو جنوبها هذا الأدب الذى يتدرج فى مجاله من الأدب الشعبى (الفولكلورى) غير المكتوب إلى الأدب المكتوب باللغات الأوربية الثلاث التى دخلت فى ركاب السيطرة الاستعمارية وهى بترتيب ظهورها فى أفريقيا ــ البرتغالية والانجليزية والفرنسية ثم يشمل أدب اللغات الأفريقية المكتوبة مثل السواحلية والزولو والهوسا .. يناقش المؤلف هذا الأدب متناولا إياه من خلال الخمسة الأجناس الأدبية التى أشرنا إليها .

يتناول المؤلف دراسته فى هذا الضوء « الأدب الافريقى خارج مجال العربية » وهو مصطلح اختاره لنفسه بعد دراسة تحليلية لعدة مصطلحات غير موفقة صدرت عن مآرب استعمارية غير علمية وغير أمينة مثل : الأدب جنوب الصحراء ، أو أدب أفريقيا غير الأسلامية ، أو أفريقيا الزنجية ، أو هذا المصطلح الغامض « أجيسيمبا . AGISYMBA » هذا المصطلح البطليموسى الغامض الحدود انظر ص ١٦ .

وأنصافا للنقد نبين توفيق الله ــ تعالى ــ للكاتب فى اختياره لمصطلحه هذا ، ورَدِه لمصطلح « الأدب الإفريقى الذى نبت نباتا استعماريا أخذ به جمهور المستفرقين AFRICANISTS ورضى به بعض أدباء افريقيا أنفسهم فقد بين الكاتب أن هذا المصطلح يعنى المناطق التالية جنوبا للصحراء الكبرى حتى التقاء القارة بالمحيط أقصى الجنوب : ونشأ هذا التفسير المجمع عليه عندهم من إجماع لهم سابق يرى : أن أفريقيا تقسمها الصحراء الكبرى إلى قسمين مختلفين كل الاختلاف .

قسم يقع شمالها ويسمونه « أفريقيا العربية الاسلامية » وآخر يقع جنوبها ويسمونه « أفريقيا السوداء ..» .

يرفض المؤلف هذه القسمة لعدة اعتبارات ألا وهى : **أن هذه القسمة وضعت فى ظل إطار سياسى استعمارى هدفه تشطير القارة وتدعيم تجزئتها فلم تكن الصحراء الكبرى هذه فاصلا حقيقيا بين الشمال والجنوب قبل السيطرة الاستعمارية ولا كانت حائلا دون دخول « أفريقيا السوداء » فى الإسلام إبان العصور الوسطى .**

كما أن انتشار الثقافة العربية والإسلامية جنوب الصحراء الكبرى ، وتغلغلها فى ثقافات الشعوب الزنجية هناك قد شكلا مؤثرا مهما من المؤثرات فى الثقافة والأدب بل قد نشأت جنوب الصحراء ممالك وأمبراطوريات إسلامية كان حصيلتها ــ فى النهاية ــ أن الإسلام أصبح دين الأغلبية بين شعوبها حتى اليوم ص ١٥ فانتشرت الثقافة الإسلامية جنوب الصحراء انتشارا سلميا ــ .

هذا وخارج مجال العربية ذكر المؤلف عدة خصائص للأدب الافريقى من بينها : أنه حديث النشأة ، محدود الكم ، وإن كان متزايد الظهور .

أما عن الخصائص المتعلقة بالكتابة والكتاب فمن بينها :

ضآلة الحصيلة النهائية للكتاب والكتب بالقياس إلى عدد السكان .

وضآلة حجم اللغات المستخدمة فى التعبير الأدبى المكتوب ، سواء كانت لغات محلية أو أجنبية بالقياس الى مجموعة اللغات المتاحة للتعبير ويعنى ذلك أن فرص ازدياد حجم التعبير الأدبى كبيرة ، وأن تدوين اللغات غير المدونة واجب قومى ووطنى .

كذلك نلاحظ أيضا انقراض عدد من اللغات الأوربية الوافدة كأداة للتعبير الأدبى ، مثل اللاتينية والأسبانية والألمانية والهولندية ، وسيادة ثلاث لغات أوروبية معينة هى : الانجليزية والفرنسية والبرتغالية على التوالى .

ولقد تعرض الكاتب لمشكلات الأديب ومشكلات الدارس .

مشكلات الأديب :

رأى المؤلف ان تجربة الكتابة الأدبية خارج مجال اللغة العربية اكتنفها منذ البدء جو من الشعور المزدوج بالغربة ، الغربة داخل الوطن نتيجة لاستئثار المستعمر بكل شيء والغربة داخل اللغة نتيجة لاضطرار الكاتب إلى التفكير بلغة أمه والكتابة بلغة مستعمرة كما أن الكاتب يشعر بالقلق لضآلة جمهوره إذا كان يكتب بلغة إفريقية مدونة وفى كلتا الحالتين يعانى الكاتب من ضيق رقعة القراء الناتجة عن ارتفاع نسبة الأمية .. كذلك فلقد ارتبطت تجربة الكتابة الأدبية هنا بفكرة الالتزام السياسى والاجتماعى سواء إبان السيطرة الاستعمارية ، أو فى ظل الحرية والاستقلال .

ونلاحظ أن هذا الالتزام هو التزام تقليدى أو فطرى وأنه امتداد لالتزام الكاتب بقومه أو بقبيلته فالكاتب التقليدى والمعاصر مشغولان بقيم قومهما ومجتمعهما قبل أى شيء آخر .

كذلك من أهم المشكلات مشكلة « أدب التلمذة » وهو الأدب الذى يحتذى فى أسلوبه النماذج الأوروبية ، ويتخذ فى مضمونه « أيديولوجية » الاستعمار وأشكاله الاجتماعية وعلى هذا النحو يصبح كل ما هو أوروبى ممتازا وتقدميا وأفضل من التقاليد الأفريقية التى تصور — بشكل مباشر أو غير مباشر — على أنها رديئة وبدائية ووثنية .

مشكلات الدارس :

أما عن المشكلات التى تواجه الدارس فمن بينها : مشكلة الأدب الشفهى الذى لا يعرف مؤلفا محددا وتتناقله الشفاه من مكان الى آخر ومن جيل الى آخر ، والذى لم يُجمع حتى اليوم بطريقة شاملة ومنظمة .

ومن بين مشكلاته أيضا مشكلة المراجع حيث نلاحظ أن جانبا هاما من الأدب المكتوب بلغات أفريقية ما زال بعيدا عن متناول الدارس غير المتخصص فى هذه اللغات .

مع فصول الكتاب :

فى الفصل الأول يقدم الكاتب الشعر الافريقى خارج مجال العربية حيث للشعر بوجه عام سبق فى آداب الأمم وهو هنا كذلك ، بل إن له مكانة بارزة فى الآداب المكتوبة وغير المكتوبة على السواء وهنا يميز بين أربعة أنماط من الشعر هى بترتيب ظهورها :

١ ـ النمط الفولكولورى الغير معروف المؤلف الذى يتداول عن طريق الشفاه بلغة محلية غير مدونة .

٢ ــ النمط الشعبى ، المعروف المؤلف الذى يتداول عن طريق الشفاه أو التدوين منسوبا لمؤلفه ، بلغة محلية أيضا مدونة أو غير مدونة .

٣ ــ النمط المدون بلغة إفريقية منسوبا لمؤلفه .

٤ ــ النمط المدون بلغة أوروبية : البرتغالية والانجليزية والفرنسية ، وهى أبرز اللغات الأوروبية التى ظهر بها كثير من أدب القارة :ــ

فالنمط الأول (الفولكلورى) عريق غزير لا يمكن تحديد بدايته أو كميته .. ويشمل الكثير من الأنواع وتختلف كل جماعة أو قبيلة عن الأخرى فى حجم أنواعه فعند (اليوروبا) ــ فى جنوب غرب نيجيريا ــ نجد مدائح الآلهة والبشر والحيوان والنبات ، كما نجد شعر الأنساب وأغانى الصيد وشعر الحفلات التنكرية وشعر الرُّقى والتعاويذ والأغانى العادية وشعر السحر المستخدم فى إلحاق الخير أو الأذى ولكل نوع من هذه الأنواع قواعده وشروطه وأوزانه .

وعند (الزولو) فى أقصى جنوب القارة يوجد الكثير من هذه الانواع الى جانب اهتمام خاص بشعر الحرب والقتال والبطولات .

أما النمط الشعبى ــ وهو الثانى من أنواع الشعر ــ فمن الصعب أيضا تحديد بدايته أو كميته ومن السهل العثور على شعرائه بين القبائل والجماعات ، فللشاعر وظيفة اجتماعية ، إذ أنه يعبر عن قيم الجماعة وثقافتها ، ويرفه عنها ويعلمها حين تكون مهمته رواية سيرة أو ملحمة ، وعندئذ يتحول إلى التشخيص والتمثيل أثناء إلقائها حتى يوصل رسالتها إلى جمهوره ، فالشاعر الشعبى ــ على الصعيد العام ــ أشبه بالصحافى والمؤرخ والمغنى للجماعة فى آن واحد بل أصبح فى عهد السيطرة الاستعمارية مناضلا وطنيا يستخدم شعره فى تذكية نار النضال إلى جانب إبداعه السير والملاحم البطولية ، ويعد الشعر الملحمى أبرز تراث اللغة السواحلية وقد تأثر فى موضوعاته وأشكاله بالعربية والفارسية والأردية التى دخلت إلى الساحل الشرقى الإفريقى منذ القرن الثانى عشر . وبعضه ترجمة للقصائد والمطولات العربية ولا سيما فى السيرة النبوية والمغازى الإسلامية ويؤلف فى مقطوعات رباعية ويتكون كل بيت من ثمانية مقاطع ، وأهم ملاحمه وأطولها « الملحمة المحمدية » وهى تسجيل منظوم للسيرة النبوية ، يبلغ عدد مقطوعاتها (٦٢٨) مقطوعة أى (٢٥١٢٠) بيت ، وبذلك تعد أطول ملحمة فى أفريقيا .

وتواترت الملاحم فى « السواحيلية » وتنوعت فى أغراضها ، فشملت :

السيرة النبوية والحروب والغزوات الاسلامية وغزوة على بن أبى طالب لليمن وسيرة الحسين بن على ــ رضى الله عنهم « فضلا عن سير آل البيت ونسائه والأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ كما شملت حروب المقاومة للسيطرة الألمانية فى أواخر القرن الماضى وبلغ ما جمع من هذه الملاحم عام ١٩٧٢ أكثر من (٧٠) سبعين ملحمة معظمها حفظته المخطوطات .. وهكذا الحال فى لغة الإيجوية فى غرب نيجيريا . ومن أطول ملاحمها ملحمة « أوزيدى » التى تدور حول بطل شعبى بهذا الاسم قاوم الطغيان فى قومه حتى مات وهو يقاتله ، فخلفه ابنه ــ الذى حمل اسمه ــ ثم اخذ بثأره .. ونلمس ذلك أيضا عند (الزولو) فى الجنوب ، حيث تكثر ملاحمهم بسبب كثرة الحروب بينهم وبين جيرانهم ، أو بينهم وبين الغزاة الطامعين من الأوروبيين .

لقد استلهم أدباء أفريقيا « تشاكا » وهو ملك وبطل قومى جمع ما تفرق من قومه ووحدهم .

لقد استلهم أدباء أفريقيا المحدثين والمعاصرين من

هذا التراث الشعبى والفولكلورى الكثير من الأشعار والقصص والروايات والمسرحيات **حتى أصبح التراث الفولكولورى والشعبى يؤدى للأدب الحديث المدون ما سبق أن أداه التراث الاغريقى والرومانى للأدب الأوروبى عند نهضته** . أى حين أصبح من أهم ركائز هذه النهضة .

وأما النمط المدون بلغة[1] أفريقية فهو محدود ، لان عدد اللغات ذات الأبجدية المدونة قليل بالقياس إلى مجموعة اللغات الأفريقية السابقة وأقدم ما وصلنا من هذا الشعر تضمه (اللغة الأمهرية) فى إثيوبيا ويرجع الى القرن الرابع عشر ويليه (لغة الهوسا) فى شمال نيجيريا وغربها . ويرجع الى القرن السابع عشر . ثم يليه ما تضمه (اللغة السواحلية) فى شرق أفريقيا (كينيا وتنزانيا) ويرج الى القرن الثامن عشر وأخيرا يأتى الشعر الذى تضمه (لغات اليوروبا) جنوب غرب نيجيريا والصومالية والزولو والزوسا والسوتو بجنوب أفريقيا ، ويرجع الى القرن التاسع عشر .

بدأ الشعر فى هذه اللغات بالأغانى والأهازيج ثم تطرق الى الأغراض الدينية والتعليمية . ولم يعبر عن قائليه إلا فى فترات متأخرة ، أى أنه سار فى خط تطور الشعر فى اللغات الأخرى العريقة ولكنه سبق الشعر المكتوب باللغات الأوروبية الثلاث المذكورة .. ولم يلق هذا الشعر أى تشجيع من السلطات الاستعمارية حين سقطت القارة فريسة لها ، وظل حبيس المخطوطات أو الطبعات المحدودة حتى نال أصحابه استقلالهم ابتداء من أوائل الستينات وبعدها بدأ الاهتمام الرسمى والشعبى به ..

هذا ولقد دخل الشعر فى لغات اليوروبا والزوسا والزولو والسوتو فى عنق زجاجة منذ عام ١٨٧٠ م تقريبا **فقد سيطر عليه الفرار من الواقع واليأس والتحليق فى الخيال مع شىء من الاحتجاج على ما يسود هذا الواقع من بؤس واضطهاد دون ابتعاد عن النغمة الدينية التى رافقت مولده .. وبهذه النغمة الاحتجاجية المشوبة بإيمانهم الدينى يقول الشاعر** (س . مقابى ــ MGHAYI) ص ٤٥ بلغة الزوسا فى مناسبة تكريم أمير ويلز عند زيارته لجنوب أفريقيا عام ١٩٢٥ .

انت يا بريطانيا ! يا بريطانيا العظمى !
بريطانيا العظمى التى لا تغرب عنها الشمس الساطعة !
لقد قهرت المحيطات وأفرعتها
وافرغت الأنهار الصغيرة وجففتها
وهى الآن تتطلع إلى السموات المفتوحة
أرسلت لنا الواعظ ، أرسلت لنا الزجاجة
أرسلت لنا الإنجيل ، وبراميل البراندى .

إلى أن يقول .. ها نحن نجلس فى الظلام .
نرتجف فى عتمة وجهل ، تحت شمس الظهيرة الساطعة ..

وكتب الشعر أيضا بـ (اللغة الأفريكانية المشتقة من الهولاندية) فى جنوب أفريقيا ومع أن هذه اللغة وقف على البيض من المستوطنين فكثير من الملونين من غير الأهالى الأصليين يستخدمونها ويوجد فى شعر هؤلاء المستوطنين أصوات إنسانية تشارك السود بعض أشواقهم ، وتتعاطف معهم فى محنتهم ومن أبرز شعراء هذه اللغة (يوجين ماريز) و (لويس لايبولت) و (شيلا كاسونز) و (انجريد يونكر) وغيرهم ص ٤٩ غير أن شعر اللغات المحلية المدونة هذه لم يكتسب حتى اليوم شيئا من لمعان شعر اللغات الأوروبية الوافدة ، لأنه لم يتهيأ له من المواهب والنشر والليرس ما تهيأ للشعر المكتوب بلغات أوروبا الثلاث .

أما النمط الرابع ، وهو الشعر المكتوب باللغات الأوروبية فيرى المؤلف أن ظهوره يعود الى مجموعة من العوامل التاريخية والتربوية أهمها السيطرة

الاستعمارية والدعوة إلى النصرانية وشروعها فى فرض لغاتها ونظمهما التربوية منذ وقت مبكر ومحاربتها اللغات المحلية المكتوبة وغير المكتوبة على السواء .. **ومع التعليم الأوروبى الدينى والمدنى خرجت أجيال بعد أجيال من الشعراء والأدباء الذين تسللت إليهم عن طريقة الثقافة والتراث الأدبى الأوروبى ولم يجد معظمهم لغة محلية ذات أبجدية مدونة تقاوم ذلك الزحف الأوروبى المنظم**

قال المؤلف ص ٥١ ومن التعليم الأوروبى الدينى والمدنى ــ على السواء ــ خرجت أجيال بعد أجيال من الشعراء والأدباء ثم عرج الكاتب لعرض تطور هذا الشعر مع التوقف عند شاعر فى كل من اللغات البرتغالية والانجليزية والفرنسية .

نماذج المؤلف :

اختار المؤلف من شعراء البرتغالية الأفريقى « أجوستينونيتو ١٩٢٢ ــ ١٩٧٩ » شعراء ما بعد (الرومانتيكية) وعرض لحياته حتى صار أول رئيس لبلاده (أنجولا) وقد تأثر شعره بنضالة ضد الاستبداد وطلبا للحرية وأورد آخر قصائده (يجب أن نعود) التى كتبها فى سجنه عام ١٩٦٠ وأورد القصيدة ص ٥٤ :

« إلى بيوتنا .. إلى اعمالنا .. إلى الشواطىء .. إلى حقولنا يجب أن نعود » .

وفيها يذكر ــ بحرارة ــ العودة إلى البحث عن مصادر الثروة فى بلاده ، وإلى التنعم بخيراتها فى ظل أمن وسرور وسلام ثم ينتهى إلى القول :

يجب أن نعود
إلى الريف الأنجولى الجميل .. إلى أرضنا .. أمنا
يجب أن نعود
يجب أن نعود
إلى أنجولا المحررة .. أنجولا المستقلة .

ومع الانجليز برز الشاعر « كريستوفر أوكيجيو ١٩٣٢ ــ ١٩٦٧ » من نيجيريا وغيره كثير وتأثر شعرهم بنظيره الانجليزى دون أن يفقد أصالته الوطنية كما تأثر بالتراث الشعرى العالمى ، وكان يندد بما أسموه الأدب الافريقى ويقول : لا يوجد أدب إفريقى ، وانما يوجد أدب جيد وأدب ردىء ، ولا شىء غير ذلك وفى إحدى قصائده يقول ص ٦٢

إذا لم أتعلم كيف أغلق فمى
سأمضى سريعا إلى جهنم
أنا أوكيجيو منادى المدينة
ومعى جرسى المصنوع من الحديد

وقدم المؤلف دراسة مستوعبة لهذا الشاعر الذى رفض أخذ الجائزة الأولى عن شعره فى مهرجان داكار عام ١٩٦٦ .

وأهتم بالشاعر (سنجور) « أهم شاعر أفريقى كتب بالفرنسية » فشعره من الموهبة والأصالة والغزارة بحيث يشكل عالما بذاته ، كان سنجور كثير الاحتجاج على التفرقة العنصرية والاجتماعية ، عميق الوعى بعذاب الانسان على أخيه دون أن تنسيه هذه المشاعر الإحساس المتأصل بالرنين والإيقاع والرمز ودقة التعبير ، وهذه قطعة من قصيدته « نيويورك » حين زارها فى أعقاب الحرب ص ٧٠ .

نيويورك اسمعينى يا نيويورك
دعى الدم الأسود يجرى فى دمك
عساه يزيل الصدأ عن مفاصلك الصلبة
كأنه زيت الحياة
فيكسب جسورك استدارة التلال
ومرونة النباتات المتسلقة

وعاد إلى الأوطان الجديدة عدد كبير من الشعراء المشردين والمنفيين والدارسين فى أوروبا بصفة خاصة .. ومع توالى السنين لم تعد السنجال مركز

الشعر الأفريقى خارج مجال العربية ، بل شاركتها نيجيريا والكونغو وأوغندا وكينيا وأنجولا وجنوب أفريقيا ، فتعددت مراكز الشعر ، وظهرت مواهب جديدة ولم يعد للقصيدة تلك الرسالة الاجتماعية والسياسية الصارخة التى كانت لها فى العهد المباد ، فقد شاعت القصيدة الغنائية ، ودخل سوق الشعر الشكل الدرامى ، واتخذ التعبير الشعرى بعدا جديدا هو الارتباط بقضايا الإنسان الأفريقى فى إطار مضمون العهد الجديد .. مضمون إعادة البناء ، وسيادة الحرية ووصل ما انقطع من التاريخ .

يقول المؤلف : إن هذا الشعر كله بعهديه تربى فى كنف الواقع الأفريقى المتغير ، وأنه تربى أيضا من حيث الشكل إلى حد كبير — فى كنف الشعر الأوروبى بمختلف مذاهبه وتياراته ولكنه لم ينشىء أنماطا واضحة محددة من هذه المذاهب والتيارات . فما أكثر ما نجد فيه التداخل والاختلاط بين الرومانتيكية ، والكلاسيكية ، والواقعية والرمزية والسريالية ، حتى عند الشاعر الواحد ولكننا لا نجد أثرا لما يسمى فى أوروبا باسم « المصطلح الشعرى » فكل الالفاظ تصلح للشعر حتى فى لغة الحياة اليومية والعبرة بالموقف والمناسبة بل إن اللهجات الشعبية وجدت أنصارا لها يكتبون بها ..

ويتساءل المؤلف : أين تكمن الخصوصية فى هذا الشعر ؟ .

ويجيب قائلا : بأن خصوصيته تكمن فى ارتباطه الشديد الواضح بالأرض التى تنتجه من خلال ارتباط الشعراء أنفسهم بهذه الأرض ، والتزامهم بالتعبير عن آلام أهلها وآمالهم ، ولابد أن نأخذ الأرض هنا بالمعنى الواسع للكلمة الذى يجعلها مهدا لثقافة معينة بالمعنى (الأنثروبولوجى) أى من حيث كونها حصيلة طرق الانتاج والتقاليد والقيم ، ورؤية الكون ، وأساليب التعامل والتفاهم ..

ويقول المؤلف : إن الشعر المكتوب بالفرنسية قاد حركة الشعر الأفريقى فى اللغات الأوروبية الثلاث طوال عقدين من الزمان . وفى أوائل الستينات عندما هبت رياح الحرية والاستقلال انتقلت القيادة إلى الإنجليزية . أما البرتغالية فلم يحن دورها بعد ، فيما يبدو .

وبعـــد :

فإن هذا العرض الميسر لأحد أركان هذا الكتاب الخمسة ، لا يعكس ما فى هذا السفر من عمق لدراسة أصيلة لموضوعية فى حدود ما عرف من ميادين تناوله ، وإشاراته الصريحة إلى أن كثيرا من أبواب هذا الأدب لا يمكن لهذا الكتاب أن يتناولها ، وقد وضع بين يدى قارئه أسباب ذلك ص ١٦ وغيرها من الكتاب .

فى هذا الكتاب يلتقى العربى بكثير من مواقع المشابهة لهذا الأدب مع فجر الأدب العربى حتى لتكاد أن تكون الثمار واحدة .

ومع ذلك حمل الكتاب عنوانا لم يرض عنه الكاتب . كما أن اختياره لعنوان يحدد — الى قدر ما — ميدان دراسته لم يكن مقنعا تماما ، فإن عبارته « الأدب الافريقى خارج مجال العربية » أفقدنا أدباء أفارقة من أبناء نيجيريا وغيرهم تكلموا الشعر بلغة عربية بليغة ، عُرِض بعضها على مجلة الأزهر ، ولا زال من أبناء إفريقيا خارج البلاد العربية من يستهويه الأدب العربى فيصدر عنه — بلغتنا — بحرارة وحب يثير الإعجاب .. فأين دور هؤلاء من دراسة الدكتور على شلش ..

وهذه الملاحظة — على أية حال — لاتنال من سفر غُنى صاحبه أن يقدم دراسة منهجية رائعة لأدب حضارى متقدم استطاع أن يهز امبراطوريات كما استطاع أن يلمس بإنسانيته مواطن الاعجاب .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

جـــريمتهم الإســـلام!!

بهذا العنوان تلقت المجلة كلمة القارىء/محمد أبو اليسر ـ الطالب بكلية التربية النوعية شعبة الإعلام بمنية النصر ـ وفيها يرثى لحال المسلمين والأقليات المسلمة فى العالم ، فمنهم من شاعت بين صفوفهم روح الفرقة والانقسام ، ومنهم من فقدوا النصير وذاقوا الهوان والقهر والحرمان من أبسط حقوق الإنسان ، وعلى مرأى ومسمع من المجتمع الدولى ، فماذا فعل لهم ؟ لا هو الذى وافق على مساعدة المسلمين فى تسليحهم ليدافعوا عن أنفسهم ، ولا هو الذى أخذ على عاتقه حمايتهم ورد اعتبارهم ، فما ذنبهم غير انهم اتخذوا الإسلام دينا .

المصالحات العربية ضرورة حتمية

ليس من شك أن المصالحات العربية أصبحت ضرورة حتمية يحتمها علينا الواقع الذى نعيشه ، ففى الوقت الذى أصبح فيه العالم يرتكز أساسا على التحالفات والتكتلات نجد التحالف العربى ضعيفا واهنا إذا ما قورن بحجم التحالفات والتكتلات العالمية .

وها هى الأحداث من حولنا تحث ـ يوما بعد يوم ـ على التعجيل بالمصالحات العربية وتجاوز الخلافات من أجل إيقاف التردى العربى والحفاظ على ما تبقى للمسلمين من موارد ، وصياغة التضامن العربى بالشكل الذى يُمَكِنُ من مواجهة التحديات والأخطار المحدقة بمجتمعاتنا حول هذا المعنى يشير القارىء/يحيى السيد النجار ـ دمياط شارع الحزاوى . ج.م.ع ـ إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ الأنعام : ١٥٣ ، وإلى قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ العمران : ١٠٣ ، ويقول : إن موقف الإسلام واضح إذن ، ولكن أين نحن من العمل الجاد وحمل الأمانة ؟!

محاسبة النفس مبدأ إيمانى

كما وصلتنا رسالة القارىء/يحيى عبدالغنى إبراهيم ـ ليسانس الشريعة والقانون من جامعة الأزهر :

وفيها يؤكد على ضرورة محاسبة النفس فى الدنيا قبل أن تحاسب فى الآخرة ، على أن ذلك لا يتم الا إذا وزن العبد أعماله بميزان الشرع ، فيعرض نفسه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليعرف أين هو ؟! ومما جاء فى رسالته قوله : « محاسبة النفس هى أولى مراتب الاصلاح وغـــايتها فى نفس الوقت ؛ فبها يتجنب الإنسان الزلل وينجو من المهالك ، وبدونها يفتقد الإنسان وسيلة كان من الممكن أن يزيد بها إيمانه ويقوى بها ضميره بما يسعده فى الدنيا والآخرة .

ومحاسبة النفس تتطلب ضميرا يقظا يدرك به صاحبه أنه قد يفلت من عقاب الدنيا بالتحايل وإظهار التقوى والصلاح ، لكنه لن يستطيع أبدا أن ينجو من عقاب الآخرة .

ويستطرد الكاتب فى تطبيق مبدأ « المحاسبة » على النفس بحيث لا تكون هناك حركة أو هفوة دون أن يحاسب العبد نفسه عليها ، فإن كانت صائبة حمد الله وان كانت غير ذلك استغفر الله وتاب إليه .

الحجاب فريضة شرعية

فرض الإسلام حجاب المرأة حماية للأخلاق ، وقد أوجب على المجتمع الحرص على شرف المرأة وكرامتها ، وعدم التعرض لها بالمعاكسة أو الإيذاء بالقول أو بالفعل ، كما بدا فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور : ٣٠ ، وقد تلقت المجلة نداء القارىء/يحيى إبراهيم ــ بكلية الشريعة والقانون ــ جامعة الأزهر ــ والذى يتوجه به إلى الأخت المسلمة حيث تقع المسئولية على عاتقها فى المقام الأول يقول فى ذلك : « إن الحجاب تكريم من الله ــ تعالى ــ للمرأة المسلمة ، فهو صيانة لها وحماية ممن فى قلوبهم مرض ، وحتى لا تتعرض لمعاكسات الشباب فعليها أن تلتزم بالحشمة والوقار فى مظهرها وسلوكها وأن تتجنب ارتداء الملابس القصيرة والشفافة التى تبرز مفاتنها وتكشف عن عوراتها ، فتلفت بذلك أنظار الشباب وتكون عرضة لمعاكساتهم .

ولاشك أن المرأة التى لا تلتزم بشرع الله فى مظهرها أمرأة متبرجة تبرج الجاهلية .. وهذا ما نهى الله ــ تعالى ــ عنه النساء فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ الأحزاب : ٣٣

ردود وتعليقات

● القارىء/ربيع علوانى عبدالله ــ من الفيوم ــ اطسا ــ المختلطة ــ ج. م. ع :

نشكركم على تقديركم لأسرة تحرير مجلة الأزهر ، وبعون الله ــ تعالى ــ تكون دائما عند حسن ظن القراء فى أداء رسالتها ، ومرحبا بك صديقا للمجلة ، وفى انتظار ما يعن لك من أفكار ومقترحات .

● القارىء/أسامة شفيق عطا بسيونى ــ قرية سجين ــ مركز قطور ــ محافظة الغربية ــ ج. م. ع :

شعورك بأن مجلة الأزهر « جامعة دينية وعلمية » ــ بما تقدمه من زاد ثقافى رفيع المستوى ــ شعور طيب وله وجاهته ، وقد أعجبنا من أفكارك ما نقلته عن الحكماء فى « فوائد الصمت » من أنه يمنح صاحبه هيبة من غير سلطان ، ويغنيه عن الاعتذار ، ويزينه من غير حُلّى ، فضلا عن أنه يستر العيوب ويريح الكرام الكاتبين .

● القارىء/بوعنان عبدالباق ـ بدائرة جامعة ولاية الوادى ـ الجمهورية الجزائرية :
ليس فى الإمكان ـ حالياً ـ تزويدك بأعداد لاحقة من المجلة .

● القارىء/خيرى محمد ابراهيم أبو الروس ـ الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ ـ ج. م. ع :
نتفق معك فى أنه لن يصْلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وإن الذى صلح به أولها هو « الاتباع الكامل » لكتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ﷺ وعسى الله أن يعيننا حكومة وشعبا على هذا الاتباع ، أما كلمتك عن « الجرأة فى الحق » فعسى أن نتمكن من عرضها فى عدد لاحق .

● القارىء/جومدى يوسف ـ بلدية الرتيبة ـ ولاية الوادى ـ الجزائر :
للاشتراك بمجلة الأزهر عليك الاتصال بمؤسسة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ ج. م. ع .

● القارىء/محمد حسن قنديل ـ الجدية ـ رشيد ـ بحيرة ـ ج. م. ع :
إن باب « بين المجلة والقارىء » لا يحدد شروطا لمن يكتب فيه ، إنما يستقبل ما يصله من أفكار القراء واقتراحاتهم ، فنعرض لمحتوى بعضها ـ كما تلمس ـ ونخص البعض الآخر بالتعليق وفقا لما تقتضيه طبيعة الرسالة ومساحة النشر .

أما اقتراحك بأن يصدر الأزهر تفسيرا ـ نصف شهرى ـ باسم « تفسير الأزهر » فلا مبرر له حيث والى إصدار « التفسير الوسيط » على أعداد حتى اكتملت أجزاؤه ، وفيما يتعلق بانشاء باب فى المجلة عن « المكتبة الإسلامية » للتعريف بالانتاج الفكرى فى مجال الثقافة الإسلامية فسوف تدرسه إدارة المجلة ، وقد تفسح له فى صفحاتها مستقبلا .

● القارىء/يسّ فرج جلال ـ مدير تعليم سابق بتفتيش إدفينا مركز رشيد بالبحيرة :
يمكن البحث عن الأعداد القديمة من مجلة الأزهر فى (مرتجعات) المجلة بإدارة مشتريات الأزهر خلف مدينة البعوث الإسلامية بالقاهرة .

● القارىء/رجب سيد عياد البرديسى ـ باحث تربوى ببنى سويف ـ الواسطى ـ صفط الشرقية :

مرحبا بتعليقاتك ، وفى النية تخصيص ركن فى هذا الباب تحت عنوان « وصلت رسائلكم » كما اقترحت ، لكن عندما يستدعى حجم الرسائل هذا ، كما نشكركم على إعدادكم الجيد لصحيفة استطلاع الرأى العام فى تدريس الثقافة الإسلامية بجميع الجامعات ، غير أن المساحة لا تفى بنشره .

● القارىء/عبدالنور محمد ـ حى ديار الحلوة ـ الجزائر :
مرحبا بك صديقا دائما للمجلة وفى انتظار مراسلاتك .

● بمشيئة الله تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها تباعا .

ردود خاصة باشتراكات المجلة

■ إلى الاخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة
(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .
(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد : الأستاذ مصطفى عبد المجيد

الامام الأكبر يترأس اجتماع هيئة الرياسة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

من المقرر أن يترأس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة اجتماع هيئة الرياسة الثامن عشر المزمع عقده بالقاهرة بمشيئة الله ـ تعالى ـ صباح يوم الخميس ٢ من صفر ١٤١٤ الموافق ١٩٩٣/٧/٢٢م .

لقاءات إسلامية مع الشباب خلال الصيف

من المقرر أن يشارك فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى بعض اللقاءات التى تقرر اقامتها وفق خطة متكاملة سوف يتم تنفيذها خلال اشهر الصيف القادم بالتنسيق بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف وذلك بمراكز الشباب والتجمعات الشبابية .

الإمام الأكبر يشهد الحفل الختامى للأنشطة الطلابية بالمعاهد الأزهرية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر الحفل الختامى السنوى

للانشطة الطلابية لتوزيع جوائز مشروع الجائزة الكبرى على المناطق الازهرية المتميزة والفائزة فى مسابقات الانشطة الطلابية الدينية والثقافية والاجتماعية . وقد دعا فضيلة الامام الأكبر كافة طلاب مصر وطلاب المعاهد الأزهرية على وجه الخصوص أن يستغلوا أجازاتهم الصيفية فى مشروعات خدمة المجتمع والمشاركة فى مشروعات الحفاظ على البيئة وتحسينها .

كما دعا فضيلته الطلاب فى مصر إلى أن يقدموا لآبائهم من أفراد الشعب المصرى واجبا عليهم من خلال مساهمة الطلاب فى مشروع محو الأمية لتعليم الكبار والصغار .

اقيم الحفل بالمجمع النموذجى للمعاهد الازهرية بمدينة نصر وحضره فضيلة الشيخ محمد بشير عبد الظاهر وكيل الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية لشئون المناطق وقيادات التعليم بالأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يلتقى وفد المشاريع الخيرية فى لبنان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وفد جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية فى لبنان ، وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف وتلك الجمعية ، كما تم بحث نشاط الجمعية فى لبنان ودول أوروبا وأمريكا والدول العربية وقد أشاد الوفد بدور الأزهر الشريف الريادى والتاريخى فى نشر الدعوة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامى الحنيف بعيدا عن الغلو والتطرف .

بدء امتحانات الشهادات الأزهرية وتعديل موعد امتحانات الدور الثانى لسنوات النقل

بدأت فى الثانى عشر من يونيه الجارى ١٩ ذى الحجة ١٤١٣ هـ امتحانات الدور الأول للشهادات الثانوية والاعدادية والمعلمين والقراءات بالأزهر .

واشار فضيلة الشيخ محمد يوسف وكيل الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية إلى أن عدد الطلاب الذين تقدموا لامتحانات الشهادات هذا العام بلغ حوالى مائتى ألف طالب وطالبة .

من ناحية أخرى أعلن فضيلته أنه تقرر تعديل امتحانات الدور الثانى لسنوات النقل بالمعاهد الأزهرية لتكون على النحو التالى :ـ

والسبت الموافق ٢٠ من المحرم ١٤١٤ هـ ١٠ من يوليو ١٩٩٣ م لامتحانات النقل الاعدادى .

مالسبت الموافق ٢٧ من المحرم ١٤١٤ هـ ١٧ من يوليو ١٩٩٣ م لامتحانات النقل الثانوى .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

الأزهر الشريف

قرر الأزهر الشريف زيادة المنح المقررة للوافدين من دول العالم الإسلامى إلى ألف منحة للعام القادم تقسم حسب احتياجات كل دولة، وكذا زيادة عدد المنح لطلاب الجمهوريات الإسلامية المستقلة حديثا عن الاتحاد السوفيتى سابقا كما قرر صرف مكتبة دينية تحوى أمهات الكتب لكل وافد من العلماء فى الدورات التدريبية التى تنظمها الأمانة العامة للدعوة الإسلامية بالأزهر لأئمة العالم الإسلامى وذلك يتيح الفرصة لتمكين العالم من جمع مادته، كما أنها تقضى على أزمة الكتاب فى تلك المناطق، وقد تم — حتى الآن — توزيع ٨٠٠ مكتبة تكلفة الواحدة ألف جنيه مصرى.

تركيا

صرح الشيخ صالح أوسجان رئيس مجلس إدارة بنك فيصل الإسلامى فى استامبول لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية أن (المصرف) قام باستقدام ١٤٠ طالبا من مختلف جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية للدراسة فى المعاهد والكليات الشرعية فى تركيا، ويقوم البنك بتوفير كل احتياجاتهم.

بريطانيا

تفتح الجامعة الإسلامية فى نوتنجهام ببريطانيا أبوابها للدراسة قريبا حيث تستقبل الدفعة الأولى من الطلبة، وجاء فى تصريح للشيخ محمد كمال رئيس الجامعة نشرته جريدة المدينة السعودية أن الدراسة الأولية ستقتصر على مرحلتى الثانوية الانجليزية ومرحلة الاعداد للجامعة، كما ستنظم الجامعة دورات مكثفة لتعليم الانجليزية الى جانب المواد المقررة من الحكومة الانجليزية، وكذا اللغة العربية والقرآن وعلوم الحديث والتوحيد والتفسير والعقيدة.

أندونيسيا

وقعت الحكومة الأندونيسية قانون النظام الأساسى للاتحاد الإسلامى لمالكى البواخر. كما اتخذت الإجراءات اللازمة لدخول شركة (جاكارتا ليود) المملوكة للدولة فى هذا الاتحاد. وقد تم ذلك بحضور الأمين العام لمنظمة الاتحاد الإسلامى لمالكى البواخر الذى عبر عن بالغ تقديره للحكومة الأندونيسية، ودعا جميع

الشركات الملاحية هناك للانضمام إلى الاتحاد المذكور .

أيرلندا

افتتحت رئيسة (جمهورية ايرلندا) السيدة ميرى روبنسون المدرسة الاسلامية فى (دبلن) رسميا وذلك فى احتفال حضره وزير مالية دولة الإمارات وعمدة العاصمة الإيرلندية وسفراء الدول الإسلامية بها وبعض الوزراء ونواب البرلمان الايرلندى ووكيل وزارة التربية والتعليم وممثلو بعض المنظمات الاسلامية فى المملكة المتحدة وايرلندة .

وكانت المدرسة قد افتتحت فى سبتمبر ١٩٩٢ ميلادية فى مبنى مؤقت بالمركز الاسلامى بدبلن وقد قام وزير المالية الاماراتى بشراء المبنى الجديد للمدرسة حيث انتقلت إليه المدرسة فى مطلع هذا العام ، والمعروف أن (جمعية اقرأ) الخيرية فى جدة ووزارة الأوقاف والشئون الاسلاميـــة بالكويت ورابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة وصندوق التضامن الاسلامى بأبى ظبى وجمعية الفرقان الإسلامية ب (دبى) كل هؤلاء قد ساهموا فى هذا المشروع الكبير .

والقت رئيسة أيرلندا كلمة قالت فيها : إن عدد المسلمين فى إيرلندا يتزايد بصورة مطردة ونظرا لتمسك المسلمين بعقيدتهم وتشبثهم بدينهم وتعطشهم للعلم والمعرفة وتصميمهم على الحفاظ على هويتهم الثقافية وتقاليدهم العريقة فقد كان طبيعيا ان يحسوا بالحاجة الى منهج تعليمى يعكس قيمة الدين الاسلامى وبالتعاون والتشجيع من وزارة التعليم الإيرلندية تحقق هذا الهدف المنشود .

ورد الشيخ يحيى محمد الحسينى إمام ورئيس المركز الإسلامى فى دبلن بكلمة جاء فيها .

إن قضية تعليم أطفال المسلمين قضية هامة نشعر أنه من الضرورى أن تتخذ الخطوات اللازمة للحفاظ على ثقافتهم الاسلامية بين الاطفال والشبان غير المسلمين (بايرلندا) وتلبية لذلك أقيمت المدرسة الإسلامية لتعليم النشء أمور دينهم .

تركيا

قدم وزير التعليم بتركيا اقتراحا الى البرلمان التركى باعتمادات شهادات المدارس القرآنية المنتشرة فى تركيا بحيث يصبح من حق حاملى هذه الشهادات مواصلة دراستهم فى المدارس والجامعة الحكومية ، وأن تكون هذه الشهادات معترف بها ، وقد دافع الوزير عن مشروعه قائلا : إن المدارس القرآنية مفخرة للشعب التركى الى الدين الحنيف .

سرايفو

تسلم الصحفى البوسنى المسلم (كمال كروس باهيتش) رئيس تحرير جريدة التحرير الصادرة فى البوسنه والهرسك جائزة التحدى الصحفى تقديرا لاستمرار جريدته فى الصدور منذ عام .

ونظرا لضراوة القتال الصاروخى والقصف المدفعى المستمر تصدر الصحيفة من أقبية المنازل ويوزعها محرروها على السكان ، وقد بلغت نسخها ٢٥ ألف نسخة وقد استشهد ثلاثة من محرريها .

Les Conditions de Validité de l'Invocation

Par Hoda Hassan Abdel Hamid

Pour que l'invocation soit exaucée il faut :

— Purifier le coeur de tout péché par le repentir.

— Rendre aux opprimés leurs droits usurpés.

— S'adresser corps et âme à Allah le Bienfaiteur et le Tout Puissant, avec une intention sincère et une foi inébranlable.

C'est pourqoui les invocations des Messagers et des Prophètes furent plus rapidement exaucées que celles des autres. Et cela car ils sont à l'abri des péchés; ils sont aussi d'une fidélité absolue envers Allah le Bienfaiteur et le tout Puissant.

En fait, l'invocation est semblable au médicament qui, pour atteindre le but requis, doit répondre à certaines conditions, conjointement à une certitude préalable que toute chose est soumise à la volonté d'Allah.

Or, pour qu'un médicament amène la guérison il faut :

1. que le médecin soit habile.
2. que le médicament soit efficace.
3. que le corps réagisse favorablement au médicament.

Si le médecin n'est pas habile, il prescrira un médicament inadéquat, et il se peut que le médecin soit bien compétent mais qu'il ne sache pas prescrire le médicament convenable.

De même, il se peut que le médecin soit habile, que le médicament soit efficace mais que l'état du malade l'empêche d'en profiter.

Ainsi, si les trois conditions sont remplies la guérison saccomplit avec lapprobation d'Allah et Sa volonté toute-puissante.

Allah nous a recommandé d'appliquer à toute chose notre raison, tout en nous remettant à lui pour obtenir nos demandes.

Il en est de même pour l'invocation qui est une des raisons les plus efficaces pour repousser un mal, aussi pour atteindre la chose requise, et cela, si les conditions de l'invocation sont remplies :

1. l'invocateur ; (le médecin).
2. l'invocation : (le médicament).
3. les raisons pour lesquelles l'invocation serait exaucée.

Il se peut que lorsque l'invocateur invoque Allah, il ne s'en remette pas entièrement à lui; il serait donc semblable au médecin qui n'est pas habile ou à l'arc lâche qui lance faiblement la flèche.

Il se peut que l'invocation soit elle-même faible, car Allah la désapprouve à cause du mal et de l'animosité qu'elle contient : comme celui qui demande une rupture des liens de sang ou une demande logiquement impossible ou une chose illicite.

Quant au refus de l'invocation, il peut être dû au gain illicite et à l'excés de péchés et de fautes. commises par l'invocateur.

HODA HASSAN ABDEL HAMID

Ainsi lorsque un bien est accordé à l'homme qu'il dise : ceci est un bienfait d'Allah, mais si un mal l'atteint, il doit en tirer une leçon agir avec prudence et ne point s'exclamer : "Ô Seigneur, pourquoi ce mal m'atteint-il?", car c'est là une protestation contre la volonté divine, par contre, il doit dire : "Nous appartenons à Allah et c'est vers Lui que nous retournerons. Le Révérend Cheikh Char'raoui ajoute : "Nous devons bien réf-féchir sur cette mention importante et délicate qui se trouve dans la parole divine du sens du verset de la Sourate "La Famille d'Imran" et où Allah - Gloire à Lui dit : "Dis Ô Allah! Souverain du Royaume, Tu donnes la royauté à qui Tu veux et Tu enlèves la royauté à qui Tu veux. Tu honores qui Tu veux et Tu abaisses qui Tu veux. Le bien est entre Tes mains. Tu es, en vérité, Puissant sur toute chose."

Observons avec soin la fin de ce verset qui souligne que c'est Allah seul qui détient entre Ses mains la source du bonheur, sans mentionner son contraire : le mal (à suivre).

Dr. Rokeya MAHMOUD GABR

"L'honneur du poste est un épreuve" "d'après un article du Révérend Cheikh Cha'raoui"

Dr. Rokeya Mahmoud Gabr

Il ne faut pas croire que le fait de prendre son mal en patience est une faiblesse, mais au contraire, c'est une force et un pouvoir de contrôle sur soi-même. Le vrai croyant a la certitude que tout revient à Allah qui ne veut pour Son serviteur que ce qu'Il soit être un bien pour lui, c'est pour cela qu'Allah, qu'Il soit exalté, répond à celui qui se réjouit du malheur du musulman en disant : (Dis, Rien ne nous atteindra, en dehors de ce qu'Allah nous a destiné).

Lorsque l'homme subit un malheur dont il n'est responsable, s'il est un vrai croyant, il voit en ce malheur un profit pour lui et non pas un mal, ce qui donne au fait une justification. Mais si ce malheur résulte d'une négligence de sa part, le bien à tirer de cela consiste à éviter les erreurs responsables de ce mal.

Le Cheikh Mohamed Metwally Al Cha'raoui a commencé par ces mots, ses réflexions sur les sens des versets 155 à 157 de la Sourate "La Vache": (Nous vous éprouvons par un peu de crainte, de faim; par des pertes légères de biens, d'honneurs ou de récoltes. Annonce la bonne nouvelle à ceux qui sont patients, à ceux qui disent, lorsqu'un malheur les atteint: nous appartenons à Allah et nous retournons à lui. Sur ceux-là descendent les bénédictions et la miséricorde de leur Seigneur; ceux-là sont ceux qui sont bien guidés)".

Le Révérend Cheikh ajoute: dans la vie il y a des choses que l'homme doit admettre et auxquelles il ne doit pas s'opposer mais qu'il doit attribuer à Allah : qu'il soit touché par le bien ou par le mal et cela en fonction de ce qu'il connait. En effet, ce qu'il considère comme un mal selon ses critères peut n'être en fait qu'un bien selon Allah qui l'a voulu.

Observons bien la Parole Divine dans le sens du verset 19 de la Sourate "Les Femmes" où il est dit : (Il se peut que vous éprouviez de l'aversion contre une chose en laquelle Allah a placé un grand bien).

Alors, si un bien touche l'homme, il ne doit pas prétendre que ceci est le fruit de son oeuvre, de son intelligence et de ses dispositions, car il y a ceux qui travaillent, mais leur travail ne donne point de fruit; ou bien n'aboutit qu'à un résultat insignifiant.

Il y a également ceux qui sont doués d'intelligence et de sagacité et pourtant le rendement de leur qualités reste toujours vain.

Mais cela ne signifie pas que nous abandonions tout travail et que nous cessions d'avoir recours à l'intelligence et à la sagacité car ces dernières sont nécessairement indispensables dans la vie. Pourtant lorsque nous commençons à les mettre en pratiques dans notre vie, il faut que nous nous rappelions du Donnateur de ces grâces qui sont: le pouvoir, la sagesse, l'intelligence et la sagacité.

REVUE AL-AZHAR

El Muharam, 1414
Volume 66 — Partie I

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

that she may find inconvenient and difficult to cover. However, when the face and hands are uncovered they should not be beautified. Scholars, concerning the question of whether the woman should cover the face, are divided in opinion into two groups:- The first group interpreted the words "what appears of it) in the verse 24:31, as the face and hands, as they may find difficulty in covering them all the time. They are the parts which a woman reveals in Prayer and Pilgrimage. However, this group of commentators (Malikis, Hanafiz and Shafiis)[4] stipulated that if the face is uncoverd, it should not be made attractive by the use of ornaments or cosmatics. Moreover, a woman should not let herself appear in front of non-mahram men who might gaze at her which is an act forbidden by Allah.

The second group interpreted "what appears of it", in the verse as the ornaments such as clothes, rings and the like. Thus, the face and the hands are not exempted from the rule of covering. Therefore, a woman should not cover her face in front of anybody other than those stated in the above mentioned verse[5].

Advocates of this interpretation (Al Hanabelah, some Shafiis) use the following evidence to support their viewpoint :

(1) The Hadith narrated by Umm Salameh (may Allah be pleased with her): "When the verse of hijab was revealed, the women of Ansaar went outdoors with their heads like crows".[6] The 'Simile' compares the woman of Ansaar as crows indicates that they were covering their faces with their flowing clothes.

(2) What is quoted by El-Bukhari, narrated by 'Aisha (may Allah be pleased with her) under the heading "what a Muhrim (the pilgrim) Should Wear. Under this heading it is stipulated that she should uncover her face during pilgrimage and this shows that she must be covering her face at any other time.

Having discussed the above issues of 'hijab' based on the Qur'an and Hadith, it thus noteworthy to mention that there is no statement of the type or form of the Islamic dress for women in the Qur'an or the sayings the prophet. However, it has been agreed by Fuqahaa that the woman should cover the whole body without showing its form or beauty. They also agreed that the ideal length of the dress should reach the ankles. It is not acceptable that should be any shorter than the ankles even if the legs are to be covered by heavy socks.

Accordingly, let every woman reconsider her attitude towards her dress as a muslim. It goes, without saying that whoever pronounce the 'Shahada' that "there is no God but Allah and Muhamed is his Messenger" should have complete submission to Allah and his orders. This includes what is stated about 'hijab', despite the fact that some women would consider it an important matter. It is quite clear from the above discussion that 'hijab' is part and parcel of the belief in Islam and faith in Allah, and whatever suffering this may incur, if any, one should remember Allah's promise for the Obedients as in the translation of the meanings of verse (4:13) :

And whoever obeys God and his messenger, he shall admit him to Gardens beneath which rivers flow, abiding therein forever; that is the great triumph. (4:13).

---

(4) Dr. el-Bauty refers the reader to the books: Ahkamul Qur'an by Ibn al-Araby, Vol 3, p. 1357, to Ahkamul Qur'an by al-Gasas, Vol 3, p. 289 and to al-Durul Mukhtar in the chapter dealing with permissibility and in permissibility Vol 5, P. 244 in the explanation by Ibn Abdin.

(5)Dr. El-Bouty refers the reader to the commentary of El-Beidawi on verse 24:31 and the book Al-Mughnie by Ibn Kudamah, Vol. 7, p. 23, as well as the book Mughnil Muhtaj Fi Menhaj et — Talebeen, Vol. 3, p. 128.

(6) Ibn Kathiir. Tafsiir al Qur'an Alhakiim, Vol. 3, p. 518 Cairo. Dar Ihaya'ul Kutabul Arabeyyah, nid.)

In the Pre-Islamic period known as (Jaheleyya), women were keen on showing their beauty (to men). The neck, the bosom and the foretock were especially cared for and displayed in front of men. After the advent of Islam, its legislative rules were revealed gradually. As regards women's dress, the following verses were revealed:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن
يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ (سورة الأحزاب)

The following is a translation of the meanings of the above verse:

O prophet, say to your wives and daughters and the wives of the believers to draw close round them their flowing outer garments. That is better so they may (not) (3) be known and they may not be hurt and God is Forgiving, merciful. (33: 59)

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

The following is a translation of the meanings of the above verse:

And say to believing women to restrain their eyes, and guard their private parts, and show not their adornment except what appears of it'. And let them cast veils over their bosoms and not display their adornment save to their husbands, or their fathers, or their husband's fathers, or their sons, or the sons of their husbands, or their brother, or their brothers' sons or their sisters' sons, or their women, or what their right hands possess, or male attendants of no sexual desires, or children who have seen nothing of womens hidden parts. And let them not shake their legs to let it be known what they conceal of their ornaments. And repent you all to God, O you believers, so that perhaps you may prosper. (24:31)

The verses clearly state that revealing some parts of the woman's body (i.e. 'tabarruj'), which the Arab women had been doing in 'Al-Jahiliya', is prohibited; except for what normally appears of her, i.e. that which is too difficult and inconvenient to cover. Moreover, a woman should not use any ornaments and appear in front of non-mahram meh.

Hence, Muslim imams (religious leaders), without exception, have agreed that a woman should cover her body except for the face and the hands which are the parts

---

(3)The negative 'not' has been added here to Khatib's translation in order to make the meaning clearer. It would also be preferrable to use instead of the word close in his translation (to draw close round) the expression to 'cast down their outer garnments' as in Yusuf Ali's translation.

Hijab

"The Islamic Dress for Women" 1
By Mrs. Iman Muhammad Hassan

Islam is a unified system which sets rules to organize the life affairs of believers and guarantees happiness for them in both this life and the Hereafter. Allah, the Almighty is One, He is the affectionate, who loves His worshippers and his legislation is to attain the welfare of people. Islam means submission and surrender to Allah, the Almighty, whose guidance we should follow blindly thus, the true believer who has faith in his Lord is not liable to place his preference over Allah's decree. He is to obey his God exclusively in compliance with the following verse :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ (سورة الأحزاب)

It does not befit a believing man and woman, when God and his Messenger have decreed a matter, that they should have the choice in their affair. And whoever disobeys God and His Messenger, he then shall stray into a manifest aberration. (33:36) 2.

Thus, for a Muslim woman complying with Allah's orders should have a priority over satisfaction of her own desires. Therefore, the Islamic dress for women is not to be tampered with. Yet, women differ in their opinions and attitudes towards this dress: some conform to it while others are not; some conform to it whereas others hesitate.

The aim of this paper is to present some verses from the Qur'an, some of the sayings of the prophet Mohamed (i.e. Hadith) as well as views of 'Fuqaha' concerning this issue for those who refuse to wear the Islamic dress. The 'ulama (Muslim scholars) have written a lot on the subject, discussing the juristic rule of 'hijab' (i.e. Muslim dress) and its on the subject, discussing the juristic rule of 'hijab' and its requirements. They give special a attention to what is agreed upon by the 'Fuqaha' (Muslim jurists) and what is controversial, such as the issue of covering the Muslim woman's face. The following is a translation of a summary of Dr. El Bouty's book Ila Kull Fatah Tu'men Bellah (To Every Believing women), which is considered one of the most comprehensive discussions of hijab.

---

(1) This article is based on Dr. Muhammed Said Ramadan el-Bouty's book Ila Kull Fatah Tu'men Bellah (To Every Believing Lady), 2nd ed., (Cairo: Darul Sahwah, n.d). This book is the fourth in a series named Sawtul Azharul Sharif (The Voice of the Honourable Azhar). It discusses heavily the topic of "Hijab' documented by books of Tafsir, "Figh' and 'Hadith'. Dr. el-Bouty is a Syrian Muslim scholar who was awarded a prize in 1992 by Al-Azhar for his contribution to propagating Islam through his books.

(2) The translation of the Qur'anic verses quoted in this article is taken from M. M. Khatib's translation authorized by al-Azhar. (London : Macmillan, 1984).

Rodwell is definitely mistaken, here, as it is well known and documented that the Qur'an during the life of the Prophet Mohamed (MPBUH) was dictated and written under the supervision of Mohamed himself as Khalifa (1983 : 38) says (3):

«Islamic history bears ample witness to the fact that Qur'anic revelations were recorded in writing under the Prophet's personal supervision. His scribes who were often with him and to Whom he dictated the heavenly message, were well known to their fellow Muslims».

Khalifa also adds on page (42):

«It so happens that there is ample evidence proving the Prophet had set a textual order for the Surah's, both in the form of the instructions to his companion and in his recitations of successive Surahs.»

However, Rodwell carries on saying:

«and convey no idea whatever of the development and growth of any plan in the mind of the founder of Islam, or of the circumstances by which he was surrounded and influenced».

In the above quotation he doubts the prophethood of Mohamed (MPBUH), and consider him the «founder of Islam» this main idea prevails as he carries on saying on page 8:

«The sources whence Mohamed derived the materials of his Koran are, over and obove the more poetical parts, which are his own creation, the legends of his time and country, Jewish tradition based upon Talmud, or perverted to suit his own purposes, and the floating christian traditions of Arabia and S. Syria.»

Then on page 10 of his preface he contradicts himself by saying:

"We have no evidence that Muhammad had access to the Chrisitan Scripture».

He carries on saying:

«There is but one direct quotation (Sura XX 105) in the whole Koran from the Scriptures; and though there are a few passages, as where «alms» are said to be given to be seen of men, and as, none forgiveth sins but God only, which might seem to be identical with texts of the New Testament, yet this similarity is probably merely accidental.»

From the above quotations, it is clear that Rodwell is all the time contradicting himself. He first states that Mohamed has said the words of the Qur'an in a poetic version of his own or it could have been taken from either old or New Testament. Then, later, he said that there is no evidence that he could have access to these texts, but he adds saying it might seem to be identical with the text of the New Testament. The use of this expression means that he is not sure and could not confirm the similarity.

To Be Continued

(3) For further discussions on the matter of gathering the Qur'an and when it was first written, the reader is advised to read The Sublime Qur'an and Orientalism (1983) by Mohamed Khalifa.

is presented by M.M. Khatib entitled The Bounteous Koran, and authorized by Al-Azhar in 1984 and first published 1986. Khatib, is an Egyptian Muslim who has good command of both languages and acquired a good deal of knowledge about Islamic culture.

The aim of this paper is to discuss some of the pitfals of these translators of the Qur'an, namely Revernd J. Rodwell, Arthur J. Arbery and M.M. Khatib. However, as this is merely a short paper, therefore, I'll select two or three examples from each slator, who was a priest and one of the leading church members, started with an introduction which was entitled 'Refutation of the Qur'an'.

It was in 1734, that George Sale presented an English translation of the Qur'an from Latin which was then considered the original English source for the translation of the Qur'an and was republished several times in Europe. From then onwords, there followed many English and other European translation of the Qur'an through which the translators expressed what they believed about Islam. This was sometimes done within the core of the translated text or in the form of footnotes or comments. This has led some Muslims such as Yusif Ali & Pickthall to translate the meanings of the Qur'an into English in an attempt to give the reader, as far as possible, the most adequate rendering of the Qur'an into English. The first Muslim who tried to translate the Qur'an into English was Dr. Mohamed Abdel Hakeem Khan in 1905. However, the first published English translation was that presented in 1861 by Revernd J. M. Rodwell and reprinted several times entitled The Koran translation from the Arabic.

In 1930, there appeared another translation by Mohamed Marmaduke Pickthall entitled The Meanings of the Glorious Qur'an. He was a Christian Englishman, who converted to Islam. In his view, the Qur'an cannot be translated and that his work is merely an attempt to present the meanings of the Qur'an into English. This translation was then followed in 1934 by that presented by Yusif Ali, which is most commonly used now, entitled The Holy Qur'an. Yusif Ali was a Muslim scholar who has had good command of both Arabic and English languages. His translation is in a way free from grave misinterpretations found in other translations like those presented by Qadyani sect. translation. The reason for choosing these translations lies in the fact that Rodwells was the first translation done from the Arabic text and being a member of church was affected by the Christian teachings and was against Islam. His aim was to falsify Islam as a revealed religion. On the other hand, Arbery had moderate views about Islam. He disagreed with Rodwell on many of his views, especially the belief that Qur'an is not the «word of God» revealed to Mohamed (MPBUH). The third translator, «Khatib», is a Muslim whose translation is the most recent and authorized by Al — Azhar.

In the preface to his book entitled The Koran Translation from the Arabic, Rodwell commented on the gathering of Qur'an and arrangement of the Suras, during the time of both Caliphs Abou Bakr El Sideeq and Othman Ibn Affaan, He mentioned that the Suras revealed in Medina were placed in the book preceding those Suras revealed in Mecca and that some Ayyahs revealed in Medina were placed in the middle of Suras revealed in Mecca and vice versa. Thus, to him (2) the Qur'an is «almost unreadable and incongruous patchwork».

---

(2) This quotation is taken from The Koran translated from the Arabic (1961 : 2) by Rev. J. M. Rodwell (First published 1861).

An Approach to the Translations of the Meaning so of The Qur'an into English

By Doctor Trandil H. El Rakhway. PHD

The miracle of the Qur'an lies in its language, its beauty and eloquency of its style. It was revealed to Mohamed (MPBUH) in the 7th century for all worlds, peoples and races. Therefore, there has always been the need for translating its meanings into other languages. In this paper, I'll present a brief review of some English translations fo the Qur'an that exist up till the present day.

The first translation to be carried out by Robertus Rotensis and Hermannus Dalmata in 1143 was into Latin done in the interest of the convents during the time of the Crusades. This Latin translation was then translated into German, Italian and Hindo languages. In 1647, it was translated into French by the French Consul in Egypt André du Ryer. The first English translation to be carried out was from the French version in 1688 by Alexander Ross, which was described, «as despicable by Savory and a very bad one and no better than its French origin by Sale». (1)

In 1689 another Latin translation was presented by Maracci including the Arabic text as well as extracts from the different commentaries of the Qur'an. These commentaries according to Mehana (1978) were chosen in such a way so as to give bad impression about Islam to Europeans. The trans-Yusif Ali has also added some comments at the bottom of each page, helping the reader to comprehend the text correctly.

In 1956, another translation into English appeared entitled The Koran A New Translation, presented by N. J. Dawood, which was published within the series of «The Penguin Classics». In his introduction, he says that the reason he presented this work was to supply the reader with a version of the Qur'an translated into modern English.

The translation presented by Arthur J. Arbery, in 1955, entitled The Koran Interpreted was published by Oxford University Press. Arbery was a Christian professor in a British University who died recently. He agress that the Qur'an being a great work should not be translated. Hence the title he chose for his translation. Despite the fact that Arbery was a non — Arab, non — Muslim, yet he had moderate views about Islam and the Qur'an.

Then, there were the three translations of the Qur'an presented by «Qadyani» sect. These three translations are done by the followers of Maraza Ghulam Ahmed El Qadyani who is known to this sect as the «Expected Christ» to come. The members of this sect have beliefs of their own and are so proud that they declare and admit it. These translations are The Holy Qur'an by Mawlana Mohamed Ali, first published 1918: The Holy Qur'an by Malik Ghulam Fareid, first published in 1969; The Qur'an by Muhamed Zafrulla Khan, first published in 1971. The last and most recent translation

---

(1) Quoted by Khalifa (1983 : 65).

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part I
Muharam, 1414, Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

CONTENTS

1. An approach to the Translations of the meanings of the Qur'an into English Part I
   By : Dr. Trandil Hussein El Rakhawy

2. "Hijab", the Islamic Dress for women
   By : Mrs. Iman Muhammad Hassan

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

فهرس العدد

● الافتتاحية (هجرة الأنبياء)
للدكتور على أحمد الخطيب ١
مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر
● دروس فى ذكرى الهجرة
للإمام الأكبر ٦
● عيد الأضحى يوم بر وعطاء ووفاء
للإمام الأكبر ١٢
● فتوى فى شأن أطفال النساء المغتصبات فى البوسنه والهرسك
للإمام الأكبر ١٦
● بين الإمام الأكبر ورئيس مجلس إدارة دار التحرير ٢١
● مع سورة الأنفال
للدكتور عبدالجليل شلبى ٢٤
● الرحمن على العرش استوى
للشيخ إبراهيم الدسوقى ٢٨
● أم القرآن والمجتمع
للشيخ حسن بيومى حسن سليمان ٣٣
● ارتباط الهجرة بالجهاد
للشيخ محمد صابر البرديسى ٤٩
● وحى الهجرة
للأستاذ مصطفى صادق الرافعى ٥٢
● مولودون فى ظلال الهجرة
للأستاذ عبدالحفيظ فرغلى على القرنى ٥٦
● صاحب الهجرات الثلاث
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٦١
● الفتـــاوى
إعداد الأستاذ عبدالمنعم فودة ٦٧
● من اعلام الأزهر
بقلم د. أحمد حسين الحكى ٧٠
● من روائع الماضى (الأمانة الثانية)
إعداد الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات ٧٧
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٨٢

العلوم الكونية

● من مآثر المسلمين فى العلوم الهندسية
أ. د أحمد فؤاد باشا ٨٤
● المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية (٢)
للدكتور عبدالرحمن أحمد السمان ٨٨
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد د. نجوى السيد أحمد ٩٥
● مآذن مصر الإسلامية
للأستاذ أحمد رجب محمد على ٩٧
● مدى تلازم الوحدة الموضوعية مع القصيدة العربية (٣)
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٠٤

الشعر والشعراء

● نفحة الذكرى العاطرة
للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين ١٠٨
● هجرة المصطفى - ﷺ -
للشاعر محمد محمود الماحى ١١٠
● مع ذكريات الهجرة
للشاعر محمد محمد مسعود الزلتينى ١١١
● الهجـــرة
للشاعر محمود سامى البارودى ١١٢
● على عتبات الغار
للشاعر رشاد محمد يوسف ١١٣
● محمد رسول الله
للشاعر على الجارم ١١٥
● أسمى الحب
لمصطفى صادق الرافعى ١١٦

اللغة والنقد والأدب

● حروف العربية بين التوزيع والتوظيف عند ابن القيم
الدكتور توفيق محمد شاهين ١١٨
● النحو القرآنى (قواعد وشواهد)
للفريق يحيى عبدالله المعلمى ١٢٥
● النظرية الأدبية فى ضوء القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور السيد تقى الدين السيد ١٢٨
● الأدب الأفريقى
عرض عبير عبدالواحد ١٣٣
● بين المجلة والقارىء
إعداد الدكتور محمد عبدالحكيم محمد ١٤٠
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذ مصطفى عبدالمجيد ١٤٥
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ١٤٧

Section Française

Article 2 :- Par : Hoda Hassan Abdel Hamid 149
Article 1 :- Par : Dr. Rokeya Mahmoud Gabr 151

English Section

Article 2 :- By : Mrs. Iman Muhammad Hassan 155
Article 1 :- By : Dr. Trandil Hussein El Rakhawy 158

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم / ١٣٤٩هـ هجرية

رئيس التحرير

د/ على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

المراسلات : باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت / ٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات

قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

هجرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم

استلزم الإعداد لهجرة رسول الله ﷺ الاهتمام بخاصيتين لم تكونا فى الرسالات السابقة ، هما :

(أ) عموم رسالته ﷺ الأمر الذى يعنى استئناف بَثّ الدعوة بالأرض الجديدة إلى الناس جميعاً .

(ب) وقيام أتباعه - ﷺ - بنشرها كذلك إلى يوم الدين ؛ فرسالته - ﷺ - يلتزم بها الأتباع - ممارسة وبلاغا - للناس أجمعين ، ولو كانت رسالته - ﷺ - خاصة لارتحل بأتباعه ، فجاور قبيلة عربية ما ، وعكف على ممارسة الشريعة بين الأتباع حتى يَلْقى ، ويَلْقَوْنَ الرفيق الأعلى ؛ لكن الرسالة عامة

لِذَا ظل البحث عن هذه الأرض مستمراً ثلاث سنين :

تأتى القبائل إلى مكة ــ حاجة أو معتمرة ــ من كافة أنحاء الجزيرة ، وتضرب خيامها بين مكة ومِنىً فيسير بينها رسول الله ــ ﷺ ــ باسطا دعوته :

(أ) فمنهم من رد رسول الله ــ ﷺ ــ ردا قبيحا ، وكان أَقْبَحَهُم رداً بنو حنيفة ، ومن هؤلاء فريق من بنى عبدالله من قبيلة كلب ، وتصدى لرسول الله ــ ﷺ ــ بَيْحَرَةُ بن فراس الْقُشَيْرِى ــ من بنى عامر بن صعصعة ــ شَرَّ تصدٍ ، وقال له : قم فالحق بقومك ، ثم غمز هذا الخبيث ناقة رسول الله ــ ﷺ ــ بعد أن ركبها ــ فاهتزت من قسوة غمزها وألقت برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

(ب) ومنهم من أراد أن يستقبل رسول الله ﷺ والمؤمنين ، شريطة أن يكون الأمر مُلكا يرثونه بعد رسول الله ﷺ وكانوا فريقا من بنى عامر من كِنْدَةَ بوسط الجزيرة ، قالوا لرسول الله ﷺ : إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك ؟

فقال ﷺ : (إن الملك لله يجعله حيث يشاء) .

فقالوا : أجئتنا لتصدنا عن آلهة العرب ، وننابذ العرب ، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك ؛ فانصرف صلى الله عليه وسلم .

(جـ) ومنهم من منعه من حماية رسول الله ﷺ سلطانُ الفرس عليهم ، فقد كانت أرض بنى شيبان بن ثعلبة متاخمة لأرض فارس ، ورجال هذه القبيلة مدحوا رسول الله ﷺ ودعوته ، ولكنهم بينوا لرسول الله ﷺ أنهم على عَهْدٍ مع كسرى يمنعهم أن يجيروا أحدا ذا دعوة يكرهها حكام فارس ، وقالوا لرسول الله ﷺ : إنهم يستطيعون أن يجيروه فى أرضهم فى جانبها العربى المجاور للأراضى العربية ؛ فتركهم رسول الله ﷺ ومدحهم لصدق حديثهم وأمانته ، ولم يقبل شرطهم ؛ لأنه شرط لا يتيح للدعوة الإسلامية عالميتها ، تلك العالمية التى هى طابعها .

فكان طبيعيا ــ إذ قالوا : إن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى العرب فعلنا ! ــ أن يقول ﷺ : « ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق » ، إنه لايقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه .

دارت هذه الأحداث فى السنوات الثلاث الأخيرة من بقائه ــ ﷺ ــ بمكة ، وهى بالتحديد السنوات : الحادية عشرة ، والثانية عشرة ، والثالثة عشرة من بداية البعثة .. وفى البداية من هذه السنوات الثلاث أسلم من أهل المدينة ستة نفرٍ من (الخزرج) إحدى أكبر قبيلتين بـ (يثرب) التى سميت بعد : « المدينة المنورة » ، وفى العام التالى أسلم منهم اثنا عشر رجلاً ، وفى العام الثالث والأخير أسلم على يديه ﷺ ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ، وبايعوا رسول الله ﷺ على السمع الطاعة وحماية الدين ، وَجَمَعَ الإسلام فى المدينة بين الأوس والخزرج على خير صُحْبة ، فانطلق إليها رسول الله ﷺ آمنا ينشر دعوة ربه على خير ما يريده الله ــ عز وجل .

د. على أحمد الخطيب

° راجع فى هذه الحوادث « السيرة النبوية » لابن كثير ــ الجزء الثانى .

مع
الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

حوار مع الإمام الأكبر

حول قضايا الساعة

بدأ فضيلة الإمام الأكبر الحديث بالترحيب بالمحرر فى الأزهر الشريف ، وتقدم المحرر بالشكر الجزيل لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن اللقاء والتفضل بالموافقة على هذا الحوار ، ثم بدأ بالسؤال الآتى :

● المحرر : أين الأزهر مما يحدث الآن فى مصر ؟

فضيلة الإمام الأكبر : ماذا يحدث ـ أرجو أن تحدد ماذا تقصد بما يحدث فى مصر لأن كلامى دائماً محدد ؟

● المحرر : أقصد أن هناك موجات من العنف ، والعنف المضاد ، وهناك محاولات لإصلاح ذات البين

ـ فضيلة الإمام الأكبر :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ يبدو أن الحديث موجه إلى ما تنشره وسائل الإعلام من حوادث الصدام بين بعض الفئات وبين الشرطة تحت عنوان (الإرهاب ومقاومة الإرهاب) ، وأود أن أقول أولا وبوضوح : إن عنوان الإرهاب بالنسبة لما يحدث فى مصر ليس هو الواقع ، فأكثر الحوادث أو التعديات من بعض الفئات على رجال الشرطة ، إنما هو رد فعل ، والحوادث فى أصلها إما حوادث إجرامية مخالفة للقانون ، وإما حوادث ثأر ، والثأر أمره معروف فى منطقة الصعيد ، فإذا اتخذت هذه الحوادث وبأسبابها التى ذكرتها على أنها إرهاب يكون خطأ . (أظن ذلك واضحا) .

● المحرر : نعم . وهو كذلك ـ ولكنها تنسب إلى الدين على أية حال .

فضيلة الإمام الأكبر : هذا أمر آخر ، فالسارق إذا سرق وقال : (بسم الله الرحمن الرحيم) ماذا نصنع له ؟ لا شىء ـ أما أن نطلق عليه أن هذا إسلام ، أو جماعات إسلامية ، ولا نسميه باسمه ، فنقول : هذا سارق وهذاقاتل . يكون الخطأ ، فلابد

أجرى الحوار ... أيمن الصياد
وأعده لمجلة الأزهر ـ عبدالكريم محمد عبدالرحمن

الأزهر لم يغب - يوما - عن الساحة، لا فى الماضى ولا فى الحاضر

وسائل الإعلام لا تتابع جهود الأزهر ولا تنقل خطواته

أن توصف كل حادثة بمضمون الواقع الفعلى لها ، وليس كل شيء ينسب إلى جماعة إسلامية ، لأن الإسلام برىء من كل هذه الأعمال .

الإسلام لم يأذن لأحــد أن يقتص لنفسه .

لم يأذن لأحد أن يسرق أو يقتل أو يخيف الناس .

فكيف ننسب من يفعل ذلك إلى الإسلام ونقول : هذه جماعات إسلامية .. ؟ هذا خطأ .

● المحرر : ولكن لعلكم توافقوننى على أن هناك أفكارا معينة اقتنع بها البعض ، ومن واقع هذه الأفكار كانت ممارساتهم .

فضيلة الإمام الأكبر :

قد يكــون ذلك وإن كان الأزهر قد دعا هؤلاء إلى أن يرجعوا إلى العلماء فيما يشتبه عليهم ، وإذا كان هؤلاء لم يرجعوا إلى العلماء ، ولم يعرضوا أفكارهم على العلماء فكيــف يُتعرف عليهم ؟

فليُقدَّموا بوصف الإجــرام الذى ارتكبوه إلى المحاكمة ، وعندئذ تبرز أفكارهم ويستطيع العلماء أن يناقشوهم .

● المحرر : تذكرون فضيلتكم أن المحكمة العسكرية التى حاكمت قتلة الشيخ الذهبى عام ١٩٧٧ نسبت إلى الأزهر ، ورجاله تقصيراً فى أداء دورهم ، وقالت : إن غيابهم عن الساحة كان سببا فى الفراغ الدينى ، واعتبرته مسئولا عن ظهور وتعاظم ظاهرة التطرف ، وتلك المقولة تتردد كثيرا هذه الأيام كما ترددت كثيرا على مدى الأعوام الماضية .

فضيلة الإمام الأكبر :

دون تعرض للحكم الذى أشرت إليه ، فتلك وجهة نظر قضائية لكنها تجافى الواقــع ، والذين يأخذون معلوماتهم عن وسائل الإعــلام مقصرون فى مهمتهم ، فالأزهر لا يتابعــه الإعلام ، والإعلام لا ينقــل خطوات الأزهر ولا ما يعمله الأزهر ، إن رجال الوعظ يملئون البلاد ، وعلماء المعاهد يملئون القرى وكافة البلاد ، وكل يؤدى واجبه فى الدعوة فأين التقصير ؟

إن الأزهر مهمته النصح ، وليس من مهمتــه أن يحمــل السلاح ، ولا أن .. يتعــقب الخارجين على القانون ، وإنما هذه

مهمة الجهات الأخرى ، وإذا غاب جهد الأزهر عن هؤلاء ، الذين يأخذون معلوماتهم من وسائل الإعلام فقد قصروا فى حق علمهم وأنفسهم ، أما الأزهر فلم يغب يوما عن الساحة لا فى الحاضر ولا فى الماضى .

● المحرر : معنى ذلك أنكم لا توافقون على القول بأن هناك فراغا دينيا ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

الفراغ الدينى موجود فى مناهج التعليم ، وليس فى واقع الحياة بإطلاق

واقع الحياة : أن العلماء يقومون بواجبهم فى كل مكان ، لكن الفراغ الموجود فعلا هو فى مناهج التعليم من الحضانة إلى الجامعة .

● المحرر : انتقادات الأزهر فى السنوات الأخيرة لاتأتى من خارجه فقط بل تأتى أحيانا من عدد ، من علمائه .

فضيلة الإمام الأكبر :

لكل وجهة ـ لم يُخلق الناس على رأى واحد ـ وهؤلاء العلماء الذين يصفون الأزهر بالتقصير ، لعلهم يراجعون ماذا هم يقدمون ؟

● المحرر : لا نستطيع أن نتجاهل حقيقة أن التنظيم المتطرف الرئيسى يجلس على قمته عالم أزهرى ـ هو الشيخ عمر عبدالرحمن .

فضيلة الإمام الأكبر :

إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ

● المحرر : (الله أكبر ليستقل شيخ الأزهر) كتاب تعرفونه على وجه اليقين .

فضيلة الإمام الأكبر :

نعـــم .

● المحرر : وتعلمون أن الشيخ عمر عبدالرحمن ، يتهمكم بانحيازكم ضد التيار الإسلامى ، معتبرا أنكم تحولتم إلى أدوات من أجل إخماد صوت الإسلام الحق .

فضيلة الإمام الأكبر :

الله أعلم بأن الأزهر يقوم بدوره من شيخه إلى أصغر طالب فيه ، لكن لكل وجهة هو موليها ، ولكل أسلوبه الذى يؤدى واجبه به ، والشيخ عمر عبدالرحمن مع تقديرى لشخصه له وجهته وله أسلوبه الذى لايقره الإسلام .

● المحرر : ما تعليقكم على هذا الأسلوب ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لا شىء إلا ما أجبت به ، لقد قُلتَ إن الشيخ عمر عبدالرحمن ينتقد الأزهر ، وهو أزهرى ، فقلتُ لك ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾

● المحرر : فى مواجهة اتهامات الدولة والجماعات على حد سواء ، اضطر الإمام الأكبر الدكتور/ عبدالحليم محمود فى عام ١٩٧٧ ـ إلى إصدار بيان لم يُسمح بنشره فى حينه يدافع فيه عن الأزهر فى مواجهة الطرفين ـ هل تعتقدون أنكم فى حاجة إلى مثل هذا البيان ؟

الفراغ الديني موجود في مناهج التعليم من الحضانة إلى الجامعة

فضيلة الإمام الأكبر :

لا ـ لسنا فى حاجة لأننا ندعو ، ولا ندافع عن أحد ، وإننا ننصح الناس جميعا ، وقد صدرت بيانات الأزهر فى حينها ، وكما قلت : لكل أسلوبه فى العمل .

● المحرر : ولكن تظل الدولة ، ويظل المجتمع يطالبونكم بدور ما فى مواجهة تصاعد حدة العنف الإسلامى ، هل تتصورون لكم دورا ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

دور الأزهر أو دور الدعوة دائما النصح ، فإذا لم يستجب من يوجه إليهم النصح فليس لدى الأزهر قوة مادية يفرض بها النظام ولكن هذا مهمة الجهات الأخرى .

● المحرر : إذن أنتم تقومون بهذا الدور .

فضيلة الإمام الأكبر :

نعم نقوم بدورنا .

● المحرر : أم أن عدم توافر الإمكانات يحول دون ذلك ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لا إطلاقا ـ كل الإمكانات والحمد لله متوفرة ، والعلماء يقومون بواجبهم ، لكن كيف تعلم أنت ـ وأنت رجل الإعلام وكيف يعلم غيرك ؟

هذا شأنكم وليس شأن الأزهر .

● المحرر : لوحظ أنكم غبتم عن محاولات الوساطة التى يحاول البعض القيام بها الآن ، لماذا ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

ليس كل أمر يفكر فيه الناس يتدخل فيه الأزهر ، فمن الخير دائما أن تتاح الفرصة لجهات غير الأزهر تقوم على الدعوة كالجمعيات المرخص لها بذلك ، فهذا أمر لا يضر إطلاقا أن يتدخل فيه أناس ، أو أن يعرض أناس أن يتدخلوا للوساطة ، هذا أمر لا علم لى بتفاصيله ، وهؤلاء عرضوا هذا الأمر أكثر من مرة ولا أدرى حتى الآن ماذا تم .

● المحرر : لكن تتصورون أن يكون للأزهر دور فى إصلاح ذات البين ، أو فى كسر حدة العنف .

فضيلة الإمام الأكبر :

إذا عرفنا البين عرفنا إصلاحه (واضح الكلام أم هناك تفسير ؟) بمعنى أن الأزهر لا يعرف من طرفى الخصومة سوى الحكومة

الظاهرة ، أما هؤلاء الآخرون فلايعرفهم الأزهر ، فإذا برزوا للساحة وعُرفوا أمكن أن نتدخل ، إنما نحن لا نعرفهم بأشخاصهم ولا بمبادئهم ، لأننا نقرأ عنهم فقط عند الحوادث في الصحف .

● المحرر : لكن ألم تُحل إليكم كتابات (كتب وكتيبات) لهم ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

نعم : تُحال بعض الأفكار وبعض الكتب وندرسها دراسة علمية ، لكن هذه الكتب ليس عليها اسماء مؤلفيها ، وليس عليها عناوين ، وليس عليها أماكن ، فهى عبارة عن كتب تضبطها الشرطة ثم تسأل : هل هذه الأفكار صحيحة أم لا ؟ ويُرد عليها حسب واقع الأمر .

● المحرر : ألا تعتقدون أن مناقشة هذه الأفكار فى وسائل الإعلام من شأنه أن يكون له عائد طيب ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لو أن الإعلام التفت إلى ذلك ، وحجب نفسه عن إشاعة الحوادث التى تقع والتضخيم فيها ، كان أولى ، ولكنه لم يفعل ، أى إعلام سواء فى مصر أو فى الخارج ، بل ربما يتأثر الإعلام فى مصر بما يأتى من الخارج بكل أسف .

● المحرر : هل تتصورون أن مناقشة هذه الأفكار فى وسائل الإعلام مفيدة ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

نعم : مفيدة ، على الأقل تكون توعية للناس يعرفون مدى صحة هذه الأفكار من وجهة نظر الإسلام .

● المحرر : ألا يمكن أن يؤدى ذلك إلى الافتتان بها ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لا إطلاقا ـ هل حين تحذر من الكذب تشيع الكذب ؟ وحين تحذر من الخيانة تشيع الخيانة ، المهم : أسلوب البيان فمثلا ، كان رسول الله ـ ﷺ ـ عندما ينصح الناس : «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة ، وإياكم والكذب ..» لم يأت بالكذب أولا ، إنما أتى بالدعوة الفاضلة أولا . إذن أسلوب الإيضاح والتفسير ينبغى أن يكون مفيدا .

● المحرر : كنتم فى بداية الثمانينات من المشرفين على الحوار مع الشباب الذى يوصف بالتطرف ، اليوم بعد عشر سنوات ـ هل ترون أن الحوار يمثل الأسلوب الأمثل ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لاشك أن الأنبياء عندما بعثوا إلى الناس ، لم يبعثوا بالمدفع ولكن بالكلمة الداعية إلى الإصلاح والصلاح ، وبالدعوة إلى الحوار ، والقرآن كله حوارات بين الأنبياء وأقوامهم ، وبين رسول الله ـ ﷺ ـ وبين قومه فالحوار أولا .

● المحرر : معنى ذلك أنكم مازلتم تقتنعون بأنه يمكن حوار هؤلاء ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

إذا تيسر هذا ، ولكن أين هم ؟

الحوار يمكن أن يتم

● المحرر : لكن ـ هل يمكن حوارهم ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

يمكن : إذا وجدوا وكان اللقاء ، فيمكن أن يتم الحوار .

● المحرر : البعض ينادى بتوحيد خطبة الجمعة ، وإغلاق المساجد الصغيرة ، وأن تكون الجمعة فى المسجد الجامع ، وإغلاق المساجد الكبيرة فى غير أوقات الصلاة ، ويرون فى ذلك ما يساعد على مواجهة الأفكار المتطرفة .

فضيلة الإمام الأكبر :

جملة هذه الأفكار غير دقيقة وغير مفيدة ، فما كانت الخطبة نموذجا يُتلى ، وإلا عدنا إلى عصر (ديوان ابن نباته المشهور) ، وهذا لا يفيد الناس فى عصرنا هذا ، إن خطبة الجمعة فى مضمونها ذكر ونصح ، والنصح لابد أن يكون فى الحاضر ، لا فى الحوادث الماضية ، أو لمجرد التخويف بالنار والوعد بالجنة دون أن يبين ما الذى يوصل إلى النار ، والذى يذهب بصاحبه إلى الجنة .

نحن نريد فى خطبة الجمعة أن تكون نصحا للناس ليقبلوا على العمل الصالح ويعرضوا عن العمل السىء ، هذا ما يجب أن يكون ، فالخطبة تذكير بما فى العصر من حوادث وأخلاق وفتن .

● المحرر : البعض يأخذ عليكم أنكم بدلا من الاهتمام بمواجهة المتطرفين فإنكم تعنون أكثر بمحاربة الآخرين فتصادرون كتبهم على سبيل المثال .

فضيلة الإمام الأكبر :

الأزهر لا يصادر فكرا ولا كتبا وإنما يحجب المعتدى على الدين .

الأزهر لا يأخذ فرصته كاملة فى وسائل إعلامنا

ومظلمومة هذه الحرية : حرية التعبير ، وحرية الرأى فى عصرنا وفى بلدنا ـ وكأنها تهدر ما اصطلح على أنه نظام عام ـ ونحن الأزهريين نقول : حق الله لابد أن يراعى ، واحترام قيم الإسلام وأصوله الثابتة التى لاخلاف عليها أمر يجب أن يلقى العناية والحماية ، الأزهر لايصادر فكرا إطلاقا ، ولا يصادر ما فيه قولان اطلاقا ـ مادام هناك إجازة شرعية لأى رأى ـ الأزهر يتدخل عندما تهدر الأمور المجُمع عليها ، الأمور الثابتة قطعا ـ هذا هو ما يتدخل فيه الأزهر .

● المحرر : هل يأخذ الأزهر فرصته كاملة فى الرد فى وسائل الإعلام المختلفة ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لا إطلاقا ـ الأزهر له نطاق محدد لايدخل فى مسمى الرقابة ، هو فقط يرخص بطبع المصحف الشريف ، ومتون الأحاديث ، هذا الذى لايجوز طبعه إلا بعد الرجوع إلى الأزهر ، ويراجع الأزهر بنفسه نص القرآن ، ونص الحديث ، ويعطى الموافقة على الطبع ـ ما عدا هذا لادخل للأزهر إلا فيما يرد إليه للفحص ، سواء من الأفراد ، أو من الجماعات ، أو من الدولة .

إذن حين يعرض على الأزهر باختيار صاحبه أو باختيار جهة رسمية لابد أن يبدى رأيه كخبير وليس كرقيب .

● المحرر : ولكن لماذا لم توضحوا للرأى العام رأيكم فى هذا الكتاب أو ذاك ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

هذا كأننا ننشر مارأينا حجبه حين نقول للناس فى وسائل الإعلام هذا غير صحيح اطلاقا ، كأن كل مايحجب كتاب لعلة ما نقول لماذا حجب ، هو يذهب إلى المحكمة أو الجهة التى تصادر ـ نحن لا نصادر ـ نحن نبدى رأينا للجهة التى أرسلت وهو عليه أن يذهب إلى المحكمة أو النيابة ، يكتب فى الصحافة ، كل هذا لاشأن لنا به .

● المحرر : تاريخ الأزهر شهد فترات من القوة وفترات من الضعف ، والملاحظ أن هناك علاقة مابين قوة الأزهر وضعفه ، وبين ظهور وتنامى الأفكار المتطرفة ـ هل توافقوننا على هذا الرأى ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لاشك أن معيار القوة والضعف يختلف من وقت إلى وقت ولاشك أن ظهور الأفكار الضالة والمحرفة لقيم الإسلام تجعل مهمة الأزهر مهمة ثقيلة وعليه أن يواجهها وهذا مايحدث .

● المحرر : البعض يعتقد أن أزهراً مستقلاً عن الدولة سيكون أكثر قدرة على الأداء .

فضيلة الإمام الأكبر :

ما مدى هذا الاستقلال ، هل توجد جهة أو هيئة ما على أرض دولة ما مستقلة عنها ، أو أن الاستقلال أمر نسبى ـ لاشك أن التفسير الصحيح لاستقلال أى جهة على أرض دولة ، هو استقلال نسبى ـ بمعنى أن لها حرية الحركة فى مهامها ، فى نطاق النظام العام وهذا مايتمتع به الأزهر .

● المحرر : هل آن الأوان لإعادة النظر فى القانون الخاص بتنظيم الأزهر ، والذى يعتبره البعض مسئولا عن ضعف المؤسسة الدينية العريقة ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

الذين يتحدثون عن ضعف الأزهر واهمون ، لأنهم فى الأغلب لايعرفون ماذا فى الأزهر ؟ ولا أين الأزهر ؟ الأزهر فى شباب وعافية متجددة دائما ، يتجدد شبابه بأبنائه ـ وهو كأى كائن حى يتعرض فى مهامه للفتور ، ولكنه سرعان ماينشط إلى مهامه وهذا ما عليه الأزهر .

● المحرر : كتابات كثيرة بل وآراء رسمية فى الغرب وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية بدأت تتحدث عن العالم الإسلامى باعتباره العدو الجديد والبديل للشيوعية ما تعليقكم على هذا ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

هذا أمر واضح ، مايتحدثون عنه يريدونه ويقصدونه وهذا واضح من موقف أمريكا وأووبا فى حملتها ضد المسلمين وضد قاضاياهم ـ فأين البؤرة الساكنة فى العالم الإسلامى التى تقوم بواجباتها الإنسانية وبتنمية مورادها وبلادها .

إن كل مناطق العالم الإسلامى فيها مايكفيها مما يلهيها عن أن تنشط إلى التنمية الذاتية والمادية والاقتصادية .

إنهم يزرعون الشوك فى العالم الإسلامى .

● المحرر : فضيلة الإمام الأكبر نشكر لفضيلتكم حسن لقائكم .

ـ فضيلة الإمام الأكبر :

شكرا لكم وآمل أن اطلع على ما يكتب إن شاء الله .

فتوى

فى جناية قتل

لا يجوز لأحد من أولياء القتيل ولو كان ابنه القصاص من القاتل الذى حكم عليه بالسجن فى هذه الجناية بعد الإفراج عنه

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعـــد

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد/التمراوى أحمد التمراوى ــ كلية الشريعة والقانون بأسيوط ، يفيد بما ملخصه أن عم أبيه قتل أباه عمداً مع سبق الإصرار والترصد بطعنة نافذة أردته قتيلا ، وقبض على القاتل وهو مدرس خريج كلية أصول الدين ، وانتهى القضاء فى جريمة القتل المذكورة إلى الحكم بخمس عشرة سنة سجنا للجانى الذى خرج من السجن بعد سبع سنوات ، ووجود هذا الجانى أمامه فى صحة جيدة يحرك فى نفسه الأخذ بحق القصاص من قاتل أبيه لأنه ولى الدم ، والقصاص حق يرثه الإبن ، وهو أى السائل دارس ــ قانون وشريعة ــ وسوف يحدد مصير هذا الموضوع فى حدود خمسة عشر يوما ويريد إفادته بالحق وبالعدل ، وأنه يقسم بالله سأفعل ما تقول .

الجـــواب

أولًا : قتل النفس عمدا بغير حق جريمة منكرة؛ لا يقرها شرع ولا يتقبلها وضع

ولا يستسيغها مجتمع ، لذلك عنيت الشريعة الإسلامية بالمحافظة على دماء الناس عناية تامة ، فنهت عنها ، وشددت فى التنفير منها والنكير عليها وبينت أحكامها الدنيوية والأخروية تحذيرا للنفوس من ارتكابها : صيانة للأرواح وقطعا لعوامل الشر ، وعملا على استقرار الأمن فى المجتمع بكل ممكن من الوسائل .

وقد ورد فى نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية النهى الصريح عن القتل ففى القرآن الكريم : يقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١) .

ويقول سبحانه :
﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ (٢) .

ويقول ـ عز من قائل ـ : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٣) .

وفى الحديث : عن عبد الله ـ رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال :

لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل (٤) .

وعنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال :

(أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء) (٥) .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال :

(اجتنبوا السبع الموبقات ؛ قالوا : يا رسول الله وما هن ؟

قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) (٦) .

ثانيا : شرع الله القصاص من القاتل ، عقوبة دنيوية له حقنا للدماء ، وكفا عن العدوان على الأرواح ، وحياة للناس ، ورفعا للأحقاد من النفوس ، وقد جعل الله لأولياء الدم سلطانا على القاتل الذى يثبت عليه القتل ، ومع ذلك حبب إلى نفوسهم العفو عنه ، وذكرهم بعاطفة منبع التراحم والتسامح ، وحذرهم من نقض العفو نفاذا لقول الله ـ تعالى ـ :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٧) .

وروى البيهقى وغيره عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ كان ما رفع إليه قصاص قط إلا أمر فيه بالعفو (٨) .

ثالثا : لا خلاف بين الأئمة فى أن القصاص فى

---

(١) من الآية رقم ١٥١ من سورة الأنعام .

(٢) سورة الاسراء الآية ٣٣ .

(٣) سورة النساء الآية ٩٣ .

(٤ ، ٥) روى الحديثين البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، والترمذى ، « التاج الجامع » للأصول ج٣ ص٣ .

(٦) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى والترمذى « التاج الجامع » للأصول ج٣ ص٥

(٧) الآيتان رقم ١٧٨ ، ١٧٩ من سورة البقرة .

(٨) كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » ج٥ ص ٢٥٩ .

القتل لا يقيمه إلا أولو[٩] الأمر الذين فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك .

لأن الله – سبحانه وتعالى – خاطب جميع المؤمنين بالقصاص[١٠] ، ولما كان لا يتهيأ للمؤمنين جميعا أن يجتمعوا على القصاص ، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم فى إقامة القصاص وغيره من الحدود[١١] .

ولذلك يرى الفقهاء أن السياسة الشرعية لها تأثير عظيم فى تنظيم الأحكام وتركيز الحقوق .

وتخريجا على ذلك فلا يجوز لأحد أن يقتص من أحد حقه دون السلطان الذى أعطاه الله هذه السلطة ، وليس للناس أن يقتص بعضهم من بعض ؛ وإنما يكون ذلك للسلطان أو من نصبه السلطان لذلك ؛ ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدى الناس بعضهم عن بعض[١٢] .

---

(٩) يراجع فى هذا كتاب «نصب الراية لأحاديث الهداية» للزيلعى الحنفى جـ٣ ص٣٢٦ ط / أولى مطبقة دار المأمون شبرا ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م الحديث السادس عشر :
قال عليه السلام : (أربع إلى الولاة وذكر منها الحدود).
قلت : غريب .
وروى ابن أبى شيبه فى (مصنفه) حدثنا عبده عن عاصم عن الحسن قال : (أربعة الى السلطان ، الصلاة ، والزكاة ، والحدود ، والقصاص أ هـ .
حدثنا إبن مهدى عن حماد بن سلمة عن جبلة بن عطيه عن عبد الله بن محيريز قال : (الجمعة والحدود والزكاة والفيء إلى السلطان . أ هـ .
حدثنا عمر بن أيوب عن مغيرة بن زياد عن عطاء الخراسانى قال : (إلى السلطان الزكاة والجمعة والحدود). أهـ.
وهل القصاص من الحدود أولا ؟ : فى الفقه الحنفى والمالكى أن القصاص لا يدخل فى الحدود ، ولا يأخذ كل أحكامها — وفى الفقه الشافعى فى قول : إن القصاص يدخل فى أحكام الحدود ، حيث قالوا : إن الحدود ثمان (يراجع فى هذا حاشية ابن عابدين ج٣ ص١٤٠ والطحاوى جـ٢ ص٣٨٨ ، والشرح الصغير جـ٤ ص٤٢٥ والتاج والإكليل على مواهب الجليل ج ٦ ص ٢٧٦ ، ٣١٩ ، والمنثور فى القواعد ج٢ ص٣٩ وكشاف القناع ج٦ ص٧٧ ، ٨٩ ، ١٠٤ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٤٩ والمغنى ج٨ ص١٥٦ ، وتبصرة الحكام ج٢ ص١٣٥ ، والقليوبى ج٤ ص٢٠١) ، وفى فتح البارى لابن حجر العسقلانى الشافعى (شرح صحيح البخارى) ج١٢ ص١٣٢ ط أولى المطبعة الخيرية ١٣٢٥ هـ اختلف السلف فيمن يقيم الحدود على الأرقاء : فقالت طائفة لا يقيمها إلا الإمام أو من يأذن له وهو قول الحنفية ، وعن الأوزاعى والثورى لا يقيم السيد إلا حد الزنا ، واحتج الطحاوى بما أورده من طريق مسلم بن يسار قال : كان أبو عبد الله رجل من الصحابة يقول : الزكاة والحدود والفيء والجمعة إلى السلطان .
قال الطحاوى : لا نعلم له مخالفا من الصحابة .
وقد تحدث الشوكانى فى (نيل الأوطار) عن هذا فى الجزء السابع فى (باب السيد يقيم الحد على رقيقه) بعد أن أورد عدة أحاديث قال — ص٢٩٥ وأحاديث الباب فيها دليل على أن السيد يقيم الحد على مملوكه وإلى ذلك ذهب جماعة من السلف والشافعى وذهبت العترة إلى أن أحد المماليك إلى الإمام إن كان ثم إمام؛ وإلا كان إلى سيده .
وروى عن الثورى والأوزاعى : أنه لا يقيم السيد إلا حد الزنا .
وذهبت الحنفية إلى أنه : لا يقيم الحدود على المماليك إلا الإمام مطلقا ثم نقل أن أهل المدينة كانوا يقولون : لا ينبغى لأحد أن يقيم شيئا من الحدود دون السلطان إلا أن للرجل أن يقيم حد الزنا على عبده أو أمته .
وجاء فى (المحلى) لابن حزم ج١١ ص١٦٥ — بعد أن نقل الآثار فى هذا وخلاف الفقهاء قال : فلما اختلفوا نظرنا فى ذلك لنعلم الحق فنتبعه عن الله – تعالى – فوجدنا أبا حنيفة وأصحابه يحتجون بما روى عن مسلم بن يسار عن أبى عبد الله — رجل من أصحاب رسول الله — ﷺ — قال : كان ابن عمر يأمرنا أن نأخذ عنه ، قال : هو عالم فخذوا عنه فسمعته يقول : الزكاة ، والحدود ، والفيء ، والجمعة إلى السلطان . وعن الحسن البصرى أنه ضمن من هؤلاء أربعا : الجمعة والصدقة والحدود والحكم .
وعن ابن محيريز أنه قال : الحدود والفيء والزكاة والجمعة إلى السلطان .
قال ابن حزم ص١٦٦ : ما نعلم لهم شبهة غير هذا ، وكل هذا لا حجة لهم فيه لأنه ليس فى شيء مما ذكرنا أن لا يقيم الحدود على المماليك ساداتهم ، وإنما فيه ذكر الحدود عموما إلى السلطان ، هكذا نقول لكن يخص من ذلك حدود المماليك إلى ساداتهم بدليل أن وجد ومما تقدم يتضح : أن إسناد إقامة الحدود إلى السلطان أو من يأذن له بوجه عام لا خلاف عليه وفقط جرى الخلاف فيمن يقيم الحد على الرقيق ، وليست بنا حاجة إليه فى هذا العصر فالعموم فى الحديث المرقوم قائم لا مناقض له ، ويدخل فى هذا القصاص فى العمد حيث لا يتولاه إلا أولو الأمر .

(١٠) سبق الخطاب فى الاية ١٧٨ من سورة البقرة .

(١١) «الجامع لأحكام القرآن الكريم» للقرطبى عند تفسير الآية ١٧٨ من سورة البقرة ج٢ ص٢٤٥ ، ٢٤٦ ط١٩٨٧ الهيئة العامة للكتاب .

(١٢) المغنى ج١٠ ص١٤٦ وما بعدها ، وشرح فتح القدير ، ج ٤ ص١٢٩ ، والمهذب ج٢ ص٢٨٧ — وأسنى المطالب ج ٤ ص١٣٢ ، وشرح الزرقانى. ج٨ ص ٨٤ ، والفقه على المذاهب الأربعة ج٥ ص٢٤٩ ، وتفسير القرطبى ج٢ ص٢٥٦ سالف الذكر وحاشية قليوبى وعميرة على شرح الجلال المحلى ج٣ ص١٢٣ فقه شافعى .

والسلطان الذى جعل لولى الدم ليس هو الاستيفاء الفعلى ، وإنما هو حق الطلب وهو المقرر فى الشريعة ، الثابت بالنصوص .

وقد جاء فى «تبصرة الحكام» لإبن فرحون المالكى فى بيان ما يفتقر لحكم الحاكم وما لايفتقر ما يأتى : إن كل ما يحتاج إلى نظر وتحرير وبذل جهد فى تحرير سببه ومقدار سببه لابد فيه من حكم الحاكم ثم عد من جزئيات ذلك الحدود ، وقال فيها : (إنها تفتقر إلى حكم الحاكم وإن كانت مقاديرها معلومة لأن تفويضها لجميع الناس يؤدى إلى الفتن والشحناء والقتل ، وفساد الأنفس والأموال .. ثم قال : وكذلك ما جرى هذا المجرى كاستيفاء القصاص)[١٣].

هـــذا :

وقد قرر فقهاء المالكية أن ولى الدم إذا باشر قتل الجانى بغير تفويض من الإمام أو نائبه فإنه يؤدب لافتئاته على الإمام فى حقه .

وجاء مثل ذلك فى كتب الشافعية وبهذا يعرف أن حكم الحاكم أمر لابد منه فى استيفاء القود ، وأن الاستيفاء حق للحاكم له أن يفوضه لولى الجناية فى النفس فقط ، وأن يفوضه ولغيره ممن يختار فى النفس ، وفيما دونها[١٤] .

رابعا : القضية موضوع السؤال ، نظرت أمام القضاء ، ومثل الجانى بين أيدى هيئة المحكمة ثم قضت بما جاء فى كتاب السائل من الحكم بسجن القاتل خمس عشرة سنة ، استوفى بعضها ، ومن المعلوم قضاء أن حكم القضاء عنوان الحقيقة ظاهرا ، فليس لابن المجنى عليه أن يُقْدم على إرتكاب جريمة قتل قصاصا لدم أبيه بعدما قضت المحكمة بما قضت به ، ويفوض الأمر لله ـ سبحانه ـ فهو الحكم العدل .

وعلى السائل أن يقدم على العفو الذى ندب الله إليه بقوله ـ تعالى ـ :

« فمن عفى له من أخيه شيء[١٥] الآية .

وحين يقدم السائل ، ويقبل العفو مختارا يكون قد أسهم فى رأب الصدع الذى حدث فى عائلته نتيجة قتل ابن عم أبيه لأبيه ، وأصلح بذلك بين قومه وعشيرته ، ويصبح قدوة صالحة فى قريته ، والقرى المجاورة ، تقتدى به القبائل والعشائر ، وينال الخير الموعود به فى قول النبى ـ ﷺ ـ : (« لأن يهدى الله بك رجلًا واحداً خير لك من حمر النعم)[١٦] .

نقول ذلك وبخاصة أن السائل ذكر فى كتابه أنه دارس قانون وشريعة فى كلية الشريعة والقانون بأسيوط .

ومن ثم فعليه ألا يتخلى عن العمل بالشريعة والقانون ، وأن يرضى بالحكم القضائى الذى صدر فهو عنوان الحقيقة ظاهرا ، وعليه أن يجاهد نفسه ولا يتبع غير سبيل المؤمنين ، بل يعفو ويصلح ..

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ســورة الشورى

وفيما تقدم جواب عن السؤال وبيان الحكم للسائل .

والله أعلم .

(١٣) تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون المالكى بهامش فتح العلى المالك فى الفتوى على مذهب الإمام مالك للشيخ محمد عليش ، ج١ ص٨٣ ، ٨٤ ط أولى ١٣١٩ هـ مطبعة التقدم العلمية بمصر .

(١٤) شرح الجلال المحلى الشافعى على منهاج الطالبين ج ٣ ص ١٢٣ مع حاشيتى قليوبى وعميرة مرجع سالف الذكر .

(١٥) سبق ذكرها فى هذا الجواب من هذه الفتوى .

(١٦) الجزء الأول من كتاب التاج الجامع للأصول ص ٦٣ وقد خرج الحديث البخارى ومسلم وأبو داود .

فتوى
فى ملاحظات سلوكيات فئة تتصدى للدعوة إلى الله

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من / أبو محمد عبدالعظيم العبادى ـ عنوانه أم درمان ـ السودان .

وقد تضمن أنه لاحظ الآتى :

١ ـ مرور جماعات من شباب وشيوخ بلدانهم متنوعة (السودان ، مصر ، باكستان ، عرب آخرون) يسمون أنفسهم بأسماء مختلفة مثل : (جماعة البلاغ) ، ملابسهم متشابهة ، أصحاب لحى ، بعضهم تصل لحيته إلى سرته يقولون :

إنهم خارجون فى سبيل الله ..
هل للإسلام فى ذلك رأى ؟

٢ ـ لوحظ أن بعضهم لا يقول لمن بجواره من المصلين (يتقبل الله) حسب ماتعودنا ـ وأيضاً ـ إذا رفع الإمام يديه بالدعاء عقب الصلاة لايشاركونه بل ، يقومون دفعة واحدة ، وقد يسارع أحدهم إلى مكبر الصوت ليتكلم ، وربما لم يكن أتم تسبيح الصلاة ، وقد يستأذن ليتحدث ، وقد لا يستأذن .

٣ ـ لا يراعون أصحاب الأعذار من المرضى ، وذوى الحاجات بأن يعلنوا قبل الصلاة أن أحدهم سوف يتحدث عقب الصلاة ، فيبقى من يريد الاستماع ، ويخرج صاحب العذر قبل بدء الحديث بلاحرج .

٤ ـ بعض المسلمين لايرتاحون إليهم ـ وبخاصة ـ عند الهرولة داخل المسجد للتحدث مع ما يظهر أن المتحدث ليس بفقيه ، ولا بالمتعلم ؛ لذا نجد الواحد منهم يفتقر للأسلوب اللبق ، فما يلبث أن يقرأ آية ، وحديثا ثم ينطلق فجأة لينكر على الصوفية ، ويهاجمهم وينعتهم بأنهم (كُهّان) وأن أتباعهم مشركون ، ولو أنه التزم بالآية والحديث لاستمع الناس إليه بدل أن يتفلتوا واحداً بعد الآخر ، والمتحدث يلتفت يمينا وشمالا كأنما يقول لهم : (أنتم صوفية) وهؤلاء لم يراعوا قول الله تعالى : «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» وقول الرسول ﷺ : (يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولاتنفروا ..) .

٥ ـ هذه الشعب هى فى نظرى دسائس ينتظر منها شرور كثيرة ولا أقول شطارات وعبقريات لازمة لتصحيح ما بعقول الجهلاء من أمتنا ، وتذكير الغافلين بل هى فى نظرى تعوق انطلاق الإسلام إلى مايجب أن يبلغه .

وفى الختام : أرجو تنوير الأمة من خلال هذه الملاحظات ، واستغفر الله لى ولكم إنه كان غفارا .

وأجاب فضيلته :

أولا :

أمر الله رسوله محمداً ـ ﷺ ـ بتبليغ رسالة ربه للناس جميعا ، فبلغ استجابة لقوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(١)

وفى بلاغه ـ ﷺ ـ للناس قال لهم :

﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٢) .

وقال :

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٣) .

وكان فى ذلك متبعاً قول الله تعالى :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾(٤) .

فكان بذلك المثل الأعلى والقدوة الحسنة والأسوة الطيبة .

اتخذ أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة سبيلا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وهدايتهم إلى الصراط المستقيم فى ضوء المنهج الإسلامى الصحيح :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٥)

---

(١) من الآية رقم ٦٧ من سورة المائدة .
(٢) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام .
(٣) الآية رقم ١٠٨ من سورة يوسف .
(٤) من الآية رقم ١٥ من سورة الشورى .
(٥) من الآية رقم ١٢٥ من سورة النحل .

ثانيا :

خاطب الله الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس لقيامها بمهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فقال تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٦) .

وأكد فلاح الأمة الداعية للخير ، والآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر فقال :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٧) .

وقد وجه رسول الله – ﷺ – أمته إلى تحصيل فضيلتين عظيمتين :

الأولى :

التفقه فى دين الله ؛ لينال الفقيه الخيرية التى أرادها الله :

فقد روى معاوية عن النبى – ﷺ – قال : (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين)(٨) .

الثانية :

فضيلة تبليغ القرآن الكريم والسنة النبوية : فعن عبدالله بن عمرو عن النبى – ﷺ – قال : (بلغوا عنى ولو آية ..)(٩) .

وعن ابن مسعود عن النبى – ﷺ – قال : (نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ؛ فرب مُبَلَّغ أوعى من سامع)(١٠) .

وكما وجه النبى – ﷺ – أمته – فيما سبق – بشرها ، وحذرها : فبشرها بأن هداية رجل واحد خير للداعى من الإبل المحببة للنفس :

فعن سهل بن سعد – رضى الله عنه – أن النبى – ﷺ – قال لعلى – رضى الله عنه : (فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)(١١) .

وحذرها من تعلم العلم لغير الله ، خشية دخول النار : فعن ابن عمر عن النبى – ﷺ – قال :

(من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار)(١٢) .

---

(٦) من الآية رقم ١١٠ من سورة آل عمران .

(٧) الآية رقم ١٠٤ من سورة آل عمران .

(٨) متفق عليه – رياض الصالحين للنووى – كتاب العلم صـ ٥٧٧ ط النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

(٩) من حديث رواه البخارى ونصه : (بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ، ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) فتح البارى بشرح صحيح البخارى – كتاب الأنبياء – باب ماذكر عن بنى إسرائيل جـ ٦/ صـ ٤٩٦ ط مؤسسة مناهل العرفان – بيروت ومكتبة الغزالى دمشق ، ورواه الترمذى – بنفس اللفظ وقال : حديث حسن صحيح – الجامع الصحيح (سنن الترمذى) كتاب العلم باب ما جاء فى الحديث عن بنى إسرائيل جـ ٥ صـ ٣٩ – ط دار الكتب العلمية – بيروت .

(١٠) رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال : (رحم الله امرأ) . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح ، الترغيب والترهيب للمنذرى جـ١ صـ ١٠٨ ط قطر الوطنية .

(١١) متفق عليه – رياض الصالحين للنووى كتاب العلم صـ ٥٧٨ ط النهضة الحديثة مكة .

(١٢) رواه الترمذى وابن ماجه كلاهما عن خالد بن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه ، ورجال إسنادهما ثقات ، الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ صـ ١١٦ ، ١١٧ ط قطر الوطنية .

وعن كعب بن مالك عن النبى ـ ﷺ ـ قال :

« من طلب العلم ليجارى به العلماء ، أو يمارى به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله النار »(١٣) .

ثالثا :

من هدى رسول الله ـ ﷺ ـ فى الدعوة إلى الله أنه كان رفيقا بالناس يكرر القول حتى يُفهْم عنه ويُحفظ ؛ ييسر لهم ولايعسر عليهم ويبشرهم ولاينفرهم ، ويخفف عنهم ولايثقل عليهم ، لايمل السامع له موعظة ، لأنه ـ ﷺ ـ ما كان ليسئم الناس بطول حديث أو بكثرة كلام .

روى أنس عن النبى ـ ﷺ ـ قال : (يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا)(١٤) .

وعن أبى وائل قال : كان عبدالله بن مسعود يذكرنا فى كل خميس مرة ، فقال له رجل ياأبا عبدالرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم فقال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم ، وإنى أتخولكم (أتعهدكم) بالموعظة كما كان النبى ـ ﷺ ـ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)(١٥) .

هذا هدى رسول الله ﷺ وأى بشر أحسن منه هديا أو أصدق منه قولا أو أعجب منه سمتا ووقارا ؛ فلقد أثر عنه ـ ﷺ ـ :

أنه كانت له عمامة ولحية يُعْنَى بتنظيفها ، وتخليلها وتمشيطها وتهذيبها ؛ لتكون متناسبة مع تقاسيم الوجه والهيئة العامة ، وتابعه فى ذلك الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ .

ومن هديه القصد والتواضع ، فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى ـ ﷺ ـ قال : (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير سرف ولا مخيلة)(١٦) .

وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(١٧)

رابعا :

الإسلام يحبب فى الدعوة إلى الله بواسطة علمائه المتخصصين أو جماعة صالحة تقتفى هدى رسول الله ـ ﷺ ـ فى تبليغ دعوة ربه وتُعرِّف الناس بنفسها ، ولاتدعى أنها المؤهلة للدعوة دون غيرها ، وتدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتراعى أحوالهم ، وما يناسب ظروفهم وتجمعهم ولاتفرقهم ، ولاتتصرف بما يعوق مهمتها ، وتعالج ما يخالف الدين بالدين ، ولا تصف من أعلنوا شهادة الإسلام وأقاموا أركانه بكفر أو شرك ، والداعى المصلح من يُقَوِّم ما أعوج ويصلح مافسد ، ويلفت أنظار الناس إلى شرائع الإسلام

---

(١٣) رواه الترمذى واللفظ له وابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت وغيره والحاكم شاهدا والبيهقى ، وقال الترمذى حديث غريب ـ المرجع السابق جـ ١ ص١١٦

(١٤) رواه البخارى ومسلم ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ صـ ٤١٧ ط قطر الوطنية .

(١٥) متفق عليه ـ رياض الصالحين للنووى صـ ٣٦٠ باب الوعظ والاقتصاد فيه .

(١٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ صـ ٢٥٢ كتاب اللباس ـ ط مؤسسة مناهل العرفان ـ بيروت .

(١٧) الآية رقم ٣١ من سورة الأعراف .

ومحاسنه ، ويوجههم إلى مايحفظ عليهم عقيدة الإيمان دون أن يشعرهم بحرج يجعلهم ينفضون من حوله ، وبذلك ينال الخير الموعود :

(لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)[18] .

وبهذا الأسلوب الدقيق المتزن تُبلَّغ دعوة الإسلام إلى كل أطراف الدنيا ؛ لأنه دين عالمى ، والنشاط فى الدعوة إليه يجب أن يُدْعم ويَستمر مع وجوب الإخلاص للدعوة بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية ، وعلى المسلمين أن يوفدوا بعض أبنائهم إلى المؤسسات الدينية وفى قمتها الأزهر الشريف ليتعلموا حقائق الدين ، ويتفقهوا فى علومه ويرجعوا حاملين رسالة الإسلام يبشرون بها أقوامهم وينذرونهم وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[19]

وفى نشر الوعى الدينى الصحيح حماية للمسلمين فى داخل أوطانهم من غزو الأفكار الأجنبية وتنوير للجاليات الإسلامية خارج بلاد الإسلام بمفاهيم دينهم وحقيقة إسلامهم ؛ لرد الشبهات التى يثيرها أعداؤهم ، ويجب أن يعتبر كل مسلم نفسه داعيا إلى الله بما يحسنه من العلم ويتقنه من المعارف الإسلامية وبما يتحلى به من خلق كريم ، وأدب رفيع ؛ لأن للقدوة الحسنة أثرها الطيب فى نشر الإسلام ، وغرس قيمه فى قلوب الجماهير .

وعلى شعوب الأمة الإسلامية أن تتحصن بالدين الخالص ، وأن تكون متيقظة دائماً وتأخذ العلم عمن اختصهم الله به ، ولاتغفل عمن يريدون بها الشر أو يدسون لها السم فى العسل .

هــــذا :

ولقد أُثر عن رسول الله ـ ﷺ ـ حسن المقال فى النهى عن سيىء الأفعال ، وفاحش الأقوال ، فلم يصرح ـ ﷺ ـ باسم إنسان بذاته أو فئة بوصفها وإنما كان يقول :

(مابال أقوام قالوا كذا وكذا ..)[20] .

وهذا مايشير إليه قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة البقرة .

﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[21] .

فهؤلاء الذين أشار إليهم السائل فى خطابه : عليهم ـ إذا كانوا جادين فى تبليغ الدعوة الإسلامية أن يتخلقوا بأخلاق رسول الله ـ ﷺ ـ وبطريقته فى الخطاب والبلاغ ، وألا يذكروا أحداً بشخصه أو بوصفه أو فئة محددة بالمثالب أو بما يشعر بانحرافها عن جادة الصواب ، وإنما يذكرون الفعل أو القول غير الجائز أو غير

---

(١٨) سبق تخريجه .

(١٩) الآية رقم ١٢٢ من سورة التوبة .

(٢٠) من حديث رواه مسلم فى صحيحه ونصه : عن أنس أن نفرا من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ سألوا أزواج النبى ـ ﷺ ـ عن عمله فى السر فقال بعضهم : لا أتزوج النساء وقال بعضهم : لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : (ما بال أقوام قالو كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ صـ ١٧٥ ، ١٧٦ ـ كتاب النكاح ط دار الكتب العلمية بيروت ورواه البخارى أيضا عن أنس بألفاظ متقاربة ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب النكاح جـ ٩ صـ ١٠٤ ط مكتبة الغزالى بدمشق ومناهل العرفان ـ بيروت .

(٢١) من الآية رقم ٨٣ .

الصحيح ويعقبون بالجائز أو بالصحيح بيانا لوجه الحق الموافق لحكم الإسلام على حد قول الرسول - ﷺ - سالف الذكر : (مابال أقوام قالوا كذا وكذا..) .

وهذه نصيحة يقدمها الأزهر الشريف إلى كل من يتصدى للعمل بالدعوة الإسلامية وإبلاغها إلى الناس أن يلتزم بدستورها وآدابها التى وردت فى القرآن ، وجملة ذلك قول الله - سبحانه - فى سورة النحل :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾(٢٢)

وثناء الله على رسوله - ﷺ - ووصفه بأحسن الأوصاف ، دعوة للناس للاقتداء به حيث قال فى سورة آل عمران :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٢٣)

وفى سورة الأحزاب :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(٢٤)

ومتى أساء القول أو الفعل أحد ممن يتصدى للدعوة وإبلاغها فقَدَ القدوة والتأثير فى سامعيه ، وعلى هؤلاء وأمثالهم أن يقرأوا سيرة رسول الله - ﷺ - وأصحابه ليروا ويعلموا ، كيف علّمو الناس وكيف بلغوا رسالة الله .

هـــذا :

وترك هؤلاء بعض ما اعتاده الناس - فى مصر أو السودان وغيرهما من المصافحة بعد الصلاة ، وتبادل الدعوات بعبارة : (يتقبل الله) أو (حرما) تلك التى يعنون بها الدعاء بالصلاة معا فى حرم الله بمكة أو ترديد بعض الدعوات جماعة هو من باب الخلاف فى العادت لا فى العبادات المسنونة أو المأثورة .

إذ أن المأثور من قول الرسول - ﷺ - : (تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين)(٢٥) .

وفعل هذا جماعة غير مأثور ويجوز إذا أريد منه تعليم الناس هذه السنة ، وكذلك القنوت جهراً بعد هذا التسبيح هو من العادات الحسنة فى بعض البلاد للتعليم ، وفى كل حال لايعد فعله أو تركه محل لوم أو عتاب .

ومما سبق يُعلم الجواب عن تلك الملاحظات الواردة بذلك الكتاب .

وهذا إذا كان الحال كما جاء به .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٢٢) من الآية رقم ١٢٥ .
(٢٣) من الآية رقم ١٥٩ .
(٢٤) من الآية رقم ٢١ .

(٢٥) من حديث متفق عليه ونصه : (عن أبى هريرة) رضى الله عنه - قال : جاء الفقراء إلى النبى - ﷺ - فقالوا : ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون . قال : (ألا أحدثكم بما إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيهم إلا من عمل مثله ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين) . فاختلفنا بيننا فقال بعضنا : نسبح ثلاثا وثلاثين ونحمد ثلاثا وثلاثين ونكبر أربعا وثلاثين . فرجعت إليه فقال : (تقول سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته حديث رقم ٣٤٨ جـ ١ صـ ١١٨ ط دار الحديث .

رسالة الإمام الأكبر إلى رئيس مجلس الشعب

ما سمي بكتب التنوير لم تعرض على الأزهر

كتب فضيلة الإمام الأكبر الخطاب التالي إلى رئيس مجلس الشعب

السيد الأستاذ الدكتور/أحمد فتحى سرور

رئيس مجلس الشعب

....السلام عليكم ورحمة الله وبركـــاته ... وبعـــد :

فبمناسبة ما نشرته الصحف صباح يوم ١٩٩٣/٥/٢٠ م عما أثير بالمجلس الموقر فى استجواب السيد وزير الثقافة فى شأن بعض المطبوعات ، وما نسب إلى سيادته من قوله : (هذه الكتب والمجلات تعرض على الأزهر قبل إصدارها) .

أبعث مع هذا بيان الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية المختصة تعقيبا على ما نشر منسوبا للسيد الوزير .

رجـاء التفضل بتوثيق هذا التعقيب ....

مع خالص التقـدير .....

والسلام عليكم ورحمة الله وبركـــاته ....

شيخ الازهـــر

(جاد الحق على جاد الحق)

بسم الله الرحمن الرحيم .

الأزهــــر
مجمع البحــوث الاســــلامية
الادارة العــــامة
للبحــوث والتــاليف والترجمــة

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

بيـــان وتوضيـــح

من الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف

نشرت بعض الصحف اليومية و المجلات الأسبوعية اعلانا تحت عنوان :

وزارة الثقافـــة ... هيئة الكتـــاب

تواجه الارهاب بالتنويـــر ...

(تعلن فيه عن وجود سلسلة من الكتب المباعة و في مكتبات الهيئة بسعر رمزى)

ونسبت الصحف تصريحات الى بعض المسئولين أن هذه الكتب والمجـــلات التى تصدرها الهيئة تعرض على الأزهر قبل إصدارها .

ولما كان ما جاء بهذا التصريح على هذا الوجه يغاير الحقيقة فإن تلـــك الكتب المعلن عنها لم تعرض على الأزهر الشريف من قبل إصدارها بمعرفة الهيئـــــة سوى كتاب واحد هو : موقف الاسلام من العنف للاستاذ حسن محمود خليل المحامى حيث عرضه مؤلفه بنفسه على الإدارة و روجع وأجيز نشره قبل الاصدار ..

رجاء التفضل بالنشـــر ..

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

تحريرا فى ١٤١٣/١٢/٢هـ
١٩٩٣/٥/٢٣م

ينشر بجميع وسائل الإعلام (المصنف)
١٩٩٢/٥/٢٤

مديـــر عـــام
الادارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة
" (فتح الله يس جـــزر) "

مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن
كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) ﴾

سورة الأنفال

الغنيمة ، والغنم ـ بضم الغين ـ والمَغْنَم ما يناله الإنسان من غير مشقة ، ويقال : غنيمة باردة ، أى جاءت بدون تعب ومشقة ، وما يؤخذ من الأعداء يسمى غُنَماً وغنيمة ومغنما أيضاً ، سواء أخذ بمشقة وحرب أو بدون ذلك .

وما أخذ من الكفارقهرا بحرب أو إيجاف هو من الغنيمة أيضا ، ولكنه لايخمس إلا إذا كان بإذن وتوجيه من الحاكم العام ، وما أخذ اختلاسا وبدون توجيه لايسمى فى الإسلام غنيمة ولايخمس ، ولكنه من حيث اللغة غنم لانه جاء بدون مقابل ، فهو ربح ، ويقابل الغنم الغُرْم ـ أى الخسارة ويقال غرِم الشخص الدية وغرم الدين بمعنى أداه ، كما يقال غنم بمعنى حصل على الشىء . قال الحطيئة :

وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم
وماغرموا غُرْماً ، وقد غنموا غُنْماً

ويقال : غرَّم خصمه وأغرمه .

وهناك الفىء ، وهو كل ماصار للمسلمين من أموال خصومهم المشركين ، بأى وجه ، فإذا وضعت الحرب أوزارها وصارت الدار دار سلام ، صار المال المأخوذ لبيت المال ، فهو مال المسلمين جميعاً ولايخمس ، وجاء فى القرآن الكريم :

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾(١) ..

وجاء أيضاً : ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾(٢) .. فهو على أى حال أعم من الغنيمة ، وقيل أيضاً : إن الفىء ما كان عن صلح بغير قتال ، والغنيمة : ما كانت عنوة بقتال ـ فهما إذن متقابلان .

والغنيمة ـ على ماقلنا فى تعريفها ـ أعم من النفل ، لأن النفل ماجاء منحة من الله ومن غير مشقة ، ومايعطى لبعض الناس قبل قسمة الغنيمة . وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ لأصحابه وهو يدعوهم لمقابلة العير يوم بدر : (لعل الله أن ينفلكموها) .. ويرى الفقهاء أن كل ماحل أخذه من مال المشركين المحاربين فىء .

وقد قتل المغيرة بن شعبة رفاقاً له وهم عائدون من مصر واستولى على ماكان معهم ، وكان لايزال مشركاً ثم أعلن إسلامه وجاء بغنيمته إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأبى أن يأخذ منها شيئاً ، ولم يعاقب لأن الإسلام يجب ماقبله .

والسَّلَبْ : مايسلب من المقتول فى المعركة من سلاح وثياب ودابة .. وهذا يعطى للقاتل إذا جعل الإمام له ذلك ـ وقد قال النبى ـ ﷺ ـ يوم بدر أول المعركة : (من قتل قتيلا فله سلبه) ، أما إذا لم يقل ذلك فمتاع القتيل من الغنيمة وكان لدى العرب المرباع والصفايا ، وهو مايصطفيه سيد القوم لنفسه ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يصطفى لنفسه شيئاً من الغنيمة سبياً أو أسلحة ، ويفىء منه على من يراه مستحقاً من أصحابه .

(١) سورة الحشر الآية ٧

(٢) سورة الحشر الآية ٦

والآية : ﴿وأعلموا أنما غنمتم ..﴾ جاءت عقب الأمر بقتال المشركين ، «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة» ، والقتال عادة يتبعه غنم ، فذكرت الآية تخميسه ، و«ما» فى أنما موصولة ، وكان حقها أن تكتب منفصلة هكذا ، واعلموا أن ماغنمتم ، والعائد محذوف ، والتقدير وأعلموا أن ماغنمتموه ، وكلمة «من شىء» عامة ، تشمل كل شىء صغيراً كان أو كبيراً قليلاً أو كثيراً . ويوم حنين قال ـ ﷺ ـ : (مالى من فيئكم .. إلا الخمس والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخيط والمخيط ، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة) . وكان عقيل بن أبى طالب أخذ من الغنيمة إبرة ، وأعطاها امرأته تخيط بها ثيابها ، فسمع المنادى ينادى : من أخذ شيئاً فليرده حتى الخيط والمخيط فرجع بها وألقاها فى الغنيمة ، وجاء رجل من الأنصار بكبة شعر كان قد أخذها ليصلح بها بردعة بعيره فسأل رسول الله ـ فقال : (أما نصيبى منها فلك) ، فقال الأنصارى : أما إذا بلغت هذا فلا حاجة لى بها ، وألقاها .

وإذا كان الجمهور على أن الآية نزلت فى غزوة بدر ، فإن أصحاب السير والفقهاء لم يتفقوا على هذا الرأى ، ولهم أقوال مختلفة ، قيل شرع التخميس فى غزوة بنى قينقاع ، وقيل يوم قريظة ، وقيل يوم حنين .. وكل هذا لا ينافى أن التخميس كان معروفاً ومعمولاً به من قبل ، وإنما الخلاف فى يوم فرضه ، وفى سرية عبدالله بن جحش ، وكانت قبل غزوة بدر ـ قال عبدالله لأصحابه : إن لرسول الله مما غنمنا الخمس ، وعزله له ، وقسم باقى الغنيمة بين أصحابه .

وقد جاء فى أول السورة أن الأنفال لله ولرسوله ، وقال بعض المفسرين : إن الآية نزلت بعد تقسيم غنائم بدر لتفيد بيان مصرف الخمس ، لا لأصل مشروعيته .

قال الزمخشرى : «فأن لله خمسه» مبتدأ خبره محذوف ، تقديره فحق أو واجب أن لله خمسه ، ويمكن إعرابه على أنه خبر مبتدؤه محذوف ، تقديره فحكمه أو فالحكم أن لله خمسه ، وعلى كلا الوجهين فتح أن ظاهر ، ورويت الآية فى بعض القراءات بكسر إن على أنها جملة مستقلة ، وقرأ النخعى «فلله خمسه» فالآية خالية على قراءته من التوكيد ، والقراءة لهذا مرجوحة .

وقرىء فأن لله خُمْسه (بسكون الميم) ، وذلك مستعمل فى اللغة ـ يقال خُمُس وخُمْسٌ وذكر الله ـ سبحانه ـ لتعظيم الرسول ـ ﷺ ـ لأن الله لا يأخذ شيئاً ، وذلك كما فى قوله تعالى : يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول . وبذا يكون التخميس واضحا وعلى أن الآية جاءت لتقسيم الخمس الذى يختص به النبى ـ ﷺ ـ فالأربعة الأخماس للمحاربين . وهذا هو الأشهر والمعمول به ، ومنطوق الآية .

ويراد بذوى القربى ينو هاشم وبنو المطلب ـ دون بنى أخيهما الشقيق عبدشمس ، وأخيهما لأبيهما نوفل ، وذلك لأنه ـ ﷺ ـ اختص هؤلاء دون أولئك ، وقد قال له عثمان بن عفان وجبير بن مطعم : هؤلاء إخوتك بنو هاشم لاينكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله تعالى منهم ، أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة ، نحن وبنو المطلب شىء واحد أو بمنزلة واحدة ،

فقال ـ عليه السلام ـ : إنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام ، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ، وشبك بين أصابعه ، ومعروف أن قريشا لما حصرت بنى هاشم فى الشعب وقاطعوهم كان معهم فيه بنو المطلب ، ولم يدخله بنو عبد شمس ، ومنهم عثمان ، ولابنو نوفل ، ومنهم جبير بن مطعم فهم من ذوى القربى ولكن لا نصرة لهم للنبى ولا للإسلام ، بل كانوا محاربيه .

وهكذا كانت القسمة على عهد الرسالة ، سهم لرسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو المعنى بكلمة « فلله والرسول » ، وسهم لذوى القربى المذكورين ، والأسهم الثلاثة الباقية ، للأصناف الثلاثة المذكورة .

وبعد موت النبى ـ ﷺ ـ سقط سهمه لأنه كان يستحقه برسالة ، وسقط أيضا سهم ذوى القربى ، ويعطى الفقير منهم كما يعطى الفقراء الآخرون ، ولكنهم يقدمون على غيرهم ، وقد منع الخليفة الأول أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بنى هاشم الخمس وقال : لكم أن يعطى فقيركم ، ويزوج أيِّمكم ، ويخدم مالا خادم له منكم ، فأما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن السبيل ..

وقال أبو العالية : إن خمس الغنيمة يقسم على ستة أقسام ، واحد منها لله ، وقال ومن تبعه إن السهم الذى لله يصرف لعمارة الكعبة .

وقالوا كان النبى يفعل ذلك سهم لله ـ سبحانه ـ ينفق فى المصالح العامة كشعائر الدين ، وعدة الغزاة من السلاح والكراع ـ أى الخيول والإبل التى تشترى للحرب ، وسهم لرسول الله ـ ﷺ ـ بوصفه رئيس الأمة وحاكمها ، والسهم الثالث لذوى القربى ، والثلاثة الأسهم الباقية لليتامى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل .

وقال بعض منهم : إن رسول الله ـ عليه السلام ـ كان يضرب يده فى هذا الخمس ، فما قبض عليه من شيء جعله للكعبة ـ فهذا سهم الله .

وقول أبى العالية ومن تبعه مرجوح بدليل أن النبى ـ ﷺ ـ قال يوم خيبر ويوم حنين : مالى مما أفاء الله عليكم إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، ولم يقل : إلا السدس .

وفى أيامنا تجرى الأرزاق على المحاربين فى أوقات السلم وأوقات الحرب ، ويمنحون الجوائز المشجعة ، ولكن الغنائم كلها لبيت المال الذى تؤخذ منه نفقات الدولة للشئون المختلفة ، وقد تقسمت المصالح إلى فروع على كل فرع قيم ، ينفق مما تحت يده فى المصالح التى يراها ، وكل ذلك يندرج تحت عبارة فى سبيل الله ـ حتى المآدب الكبرى التى تقام لكبار الزوار والمدعوين ، فينبغى أن يكون للدولة أمامهم مظهر ملائم لمكانتها وحضارتها حتى تكون لها هيبة لديهم ، وقد أقر عمر معاوية على موكبه الفخم الذى قابله به ، وقال : نحن أمام دولة لها كذا وكذا فإذا لم يكن لنا مثلهم استهانوا بنا .

فقال عمر : لا آمرك ولا أنهاك .

والدول الراقية الكبيرة تعنى بما يسمى الخدمة الاجتماعية ؛ ومنها مصالح الشعب من العلاج والمواصلات وبناء المدارس والمستشفيات ورعاية المحتاجين أيا كانوا .. فهذا كله عمل فى سبيل الله ، وهو أيضا مصرف من مصارف الزكاة .

ويدخل فى ذلك الأراضى التى تستصلح للزراعة ، والآبار التى تحفر لاستخراج المياه أو البترول أو المعادن ، وللحاكم أن يمنح منها من يراه أهلا للعمل فيها ، وأن يقطع من يستحق الإقطاع . وقد أقطع رسول الله ـ ﷺ ـ وأقطع عمر ولا يغيب عنا ما أقطعه ابن سندر فى مصر .

وأما قوله تعالى : ﴿**إن كنتم آمنتم بالله** ... ﴾ فهو شرط جزاؤه محذوف يدل عليه ما تقدم ، أى إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل فاعلموا أن القسمة على ما ذكر ، فاجروا على هذا التقسيم واعملوا به ، فليس المراد من «واعلموا» مجرد العلم .

﴿وما أنزلنا على عبدنا .. يوم الفرقان ..﴾

ما اسم موصول أيضا عائده محذوف ، والتقدير إن كنتم آمنتم بالله وآمنتم بالذى أنزلناه على عبدنا ـ وهو رسول الله ـ ﷺ ـ والتعبير عنه بعبدنا مضافا إلى ضمير التعظيم ، يؤذن بتشريفه غاية التشريف . ويوم الفرقان هو يوم بدر ، فقد فرق الله فيه بين الحق والباطل ، حين التقى الجمعان من المسلمين والكافرين ، وقد أنزل الله ـ سبحانه ـ عليه الملائكة كما أنزل النصر والبشرى .

وتقدير الكلام إن كنتم آمنتم بالله وما أنزله على عبده ونبيه فى ذلكم اليوم ، فليكن تقسيمكم الغنائم على ما ذكر ، وقرن الإيمان بما أنزل على النبى يوم بدر بالإيمان بالله يؤذن بتشريف هذا اليوم ، وبأن جحد ما أنزل فيه كفر .

«والله على شىء قدير» ومن مظاهر قدرته ما حدث فى هذا اليوم من نصر فئة قليلة العدد غير مستكملة العدة ، ولا مستعدة للحرب على فئة كثيرة ذات قوة وبأس ، ولم يكن ذلك النصر إلا بتهيئة من الله سبحانه .

الرحمن على العرش استوى

وآراء العلماء فى المتشابه

- ٢ -

بقلم فضيلة الشيخ / إبراهيم الدسوقى

التأويل يكون بمعنى التفسير ، ويكون بمعنى مايؤول إليه الأمر :

وقد حدده بعض الفقهاء فقال : (هو إبداء احتمال فى اللفظ مقصود بدليل خارج عنه) ، فالتفسير : بيان اللفظ مثل « لاريب فيه » أى لاشك فيه

والتأويل : بيان المعنى كقوله : لاشك فيه عند المؤمنين أو لأنه حق فى نفسه .

« وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ » **قيل : هو ابتداء كلام مقطوع عما قبله أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع فالذى عليه الأكثر أنه مقطوع عما قبله ، وأن الكلام تم عند قوله : « إلا الله » وهذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة وعمر بن عبدالعزيز وحكى الطبرى نحوه عن أشهب عن مالك بن أنس « ويقولون » على هذا خبر الراسخين .**

وروى عن مجاهد أنه نسق « الراسخين » على ماقبله ، وزعم أنهم يعلمونه ، واحتج له بعض أهل اللغة ، فقال معناه : والراسخون فى العلم يعلمونه قائلين « آمنا به » ورجح ابن فورك أن الراسخين يعلمون التأويل ، وفى قول النبى — عليه السلام — لابن عباس : (اللهم علمه التأويل)[1] ما يبين ذلك أى علمه معانى كتابك كما قال ابن عباس : (أنا ممن يعلم تأويله) ، والوقف على هذا يكون عند قوله « والراسخون فى العلم » .

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر وهو الصحيح فإن تسميتهم راسخين يقتضى أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذى يستوى فى علمه جميع من يفهم كلام العرب ، وفى أى شىء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا مايعلمه الجميع .

● لكن المتشابه يتنوع فمنه مالا يعلم البتة ، كأمر الروح ، **والساعة مما استأثر الله بعلمه وهذا لايتعاطى علمه أحد لا ابن عباس**

---

(١) رواه ابن عباس — رضى الله عنهما — فى كتاب « جامع الأحاديث » جـ٢ ص١٠٧ برواية أخرى وهى قول النبى ﷺ . « اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل — مسند الإمام أحمد والطبرانى » .

ولا غيره ، فمن قال من العلماء الحذاق أن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه فإنما أراد هذا النوع ، والحكمة فى أن الله لم يجعل القرآن كله واضحاً أن يظهر ـ والله أعلم ـ فضل العلماء وإلا لم يظهر فضل بعضهم على بعض ، والله أعلم . أهـ قرطبى .

● **ويقول ابن كثير فى قوله تعالى :** ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ .

قال : اختلف القراء فى الوقف هنا فقيل على الجلالــة ، ومنهم من يقــف على قولـــه : ﴿ **والراسخون فى العلم** ﴾ وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول ، وقالوا الخطاب بما لا يفهم بعيد ، وقد روى ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : (أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله) .

وفى الحديث أن ـ رسول الله ـ ﷺ ـ دعا لابن عباس فقال : (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) .

ومن العلماء من فصل هذا المقام وقال : التأويل يطلق ويراد به فى القرآن معنيان :

أحدهما التأويل بمعنى حقيقـة الشيء ، وما يؤول أمره إليه ومنه قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ﴾(٢) وقوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾(٣) .. الآية .. أى حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة ، لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمـه على الجليـة إلا الله ـ عز وجل ـ ، « والراسخون فى العلم » مبتـدأ « ويقولون آمنا به » « خبره » وأما إن أريد بالتأويل التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله : ﴿ **نبئنا بتأويله** ﴾ أى بتفسيره فالوقف على « والراسخون فى العلم » لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ماهى عليه ، وعلى هذا فيكون قوله : ﴿ **آمنا به** ﴾ حالا منهم وساغ هذا ، وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه كقوله : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾(٤) ـ إلى قوله ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾(٥) ..

الآية وقوله تعالى : ﴿ **وجاء ربك والملك صفاً صفا** ﴾ أى وجاء الملائكة صفوفاً صفوفاً ، وقوله : إخباراً عنهم أنهم ﴿ **يقولون آمنا به** ﴾ أى المتشابه « كل من عند ربنا » أى الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد .أهـ

وجاء فى تحفة المريد « على الجوهرة » .

وكـل نـص أوهـم التشبيهـا
أوّلـه أو فوض ورمْ تنزيهـا

المراد بالنص : ما قابل القياس والاستنباط والإجماع ، وهو الدليل من الكتاب أو السنة سواء كان صريحاً أو ظاهراً ، وقوله : « أوهم التشبيها » أى أوقع فى الوهم صحة القول به بحسب ظاهره ، وقوله : « أوله » أى احمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد أى تأويلا تفصيليا فيه بيان المعنى المراد ، وهو مذهب الخلف وهم من كانوا بعد الخمسمائة ، وقيل : بعد القرون الثلاثة ،

(٢) من الآية ١٠٠ سورة يوسف .
(٣) من الآية ٥٣ سورة الأعراف .
(٤) من الآية ٨ سورة الحشر .
(٥) من الآية ١٠ سورة الحشر .

وقوله : «أو فوض» أى بعد التأويل الإجمالى الذى هو صرف النظر عن ظاهره ، فيعد هذا التأويل فرض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف ، وهم من كانوا قبل الخمسمائة وقبل القرون الثلاثة . الصحابة والتابعون ، وأتباع التابعين .

وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد لله تعالى وتنزيهه تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد إليه .

فظهر من ذلك اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالى لأنهم يصرفون النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى ، لكنهم اختلفوا بعد ذلك فى تعيين المراد من ذلك النص وعدم التعيين . وكان سبب ذلك اختلافهم فى قوله تعالى : ﴿**والراسخون فى العلم**﴾ من قوله تعالى : ﴿**وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم**﴾ .. الخ هل هو معطوف على لفظ الجلالة وعلى هذا يكون نظم الآية ﴿**وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم**﴾ ، وجملة ﴿**يقولون آمنا به**﴾ مستأنفة لبيان سبب التماس التأويل ، إذ الوقف على قوله : ﴿**إلا الله**﴾ يقتضى أن قوله : ﴿**والراسخون فى العلم**﴾ استئناف[6] .

● **ثم قال والحاصل أنه إذا ورد فى القرآن أو السنة ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح اتفق أهل الحق وغيرهم على تأويل ذلك لوجوب تنزيهه ــ تعالى ــ عما دل عليه ما ذكر بحسب ظاهره فمما يوهم الجهة قوله تعالى** : ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾[7] . فالسلف يقولون : فوقية لا نعلمها ، والخلف يقولون : المراد بالفوقية التعالى فى العظمة ، فالمعنى : يخافون أى الملائكة ربهم من أجل تعاليه فى العظمة أى ارتفاعه فيها ، ومنه قوله ــ تعالى ــ : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ .

فالسلف يقولون : استواء لا نعلمه ، والخلف يقولون : المراد به الاستيلاء والملك كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ..
من غير سيف ودم مهراق .

وسأل رجل الإمام مالكاً عن هذه الآية أجابة بنحو ما قدمنا .

وسأل الزمخشرى الغزالى عن هذه الآية فأجاب بقوله : «إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه ــ تعالى ــ بأين ، أو كيف ، وهو مقدس عن ذلك» .

● **ومما يوهم الجسمية قوله ــ تعالى ــ** : ﴿**وجاء ربك**﴾ .. الآية ، وحديث الصحيحين : (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له) ؟[8]

فالسلف يقولون : مجيء ونزول لا نعلمهما ، والخلف يقولون : المراد وجاء عذاب ربك ، أو أمر ربك الشامل للعذاب ، والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله ... الخ .

● **ومما يوهم الصورة ما رواه أحمد والشيخان «أن رجلا ضرب عبده فنهاه النبى ﷺ وقال** :

---

(٦) يراجع «شرح الجوهرة» ص١٠٨ .
(٧) من الآية ٥٠ سورة النحل .
(٨) رواه أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ أخرجه البخارى ــ «اللؤلؤ والمرجان» ص١٤٤ .

(إن الله خلق آدم على صورتـه) . **فالسلف يقولون** : صورة **لا نعلمها ، والخلف يقولون : المراد بالصورة من سمع وبصر وعلم وحياة فهو على صفته فى الجملة ، وإن كانت صفته ـ تعالى ـ قديمة وصفة الإنسان حادثة ، وهذا بناء على أن الضمير فى صورته عائد على الله ـ تعالى ـ كما يقتضيه ماورد فى بعض الطرق بلفظ (فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن) ، وبعضهم جعل الضمير عائداً على الأخ المصرح به فى الطريق التى رواها مسلم بلفظ** : (**فإذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته**)(٩) ، **أى وإذا كان كذلك فينبغى احترامه باتقاء الوجه ، وإذا اتبعنا قاعدة عودة الضمير إلى أقرب مذكور كان الضمير فى (صورته) عائداً على آدم لا على لفظ الجلالة ، وفائدة هذا الوجه نفى ما قيل عن أن أصل الإنسان قرد ، ومما يوهم الجوارح قوله تعالى : ﴿ويبقى وجه ربك﴾ ، ﴿يد الله فوق أيديهم﴾** وحديث : (إن قلوب بنى آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من أصابع الرحمن)(١٠) ، فالسلف يقولون : لله وجه ويد وأصابع لا نعلمها ، والخلف يقولون : المراد من الوجه الذات ، ومن اليد القدرة ، ومن قوله : (بين أصبعين من أصابع الرحمن) ، بين صفتين من صفاته ، وهاتان الصفتان : هما القدرة والإرادة .

يقول صاحب المنار : والمقصود هنا أنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاماً لا معنى له ، ولا يجوز أن يكون الرسول وجميع الأمة لا يعلمون معناه ، كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين ، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ سواء كان مع هذا تأويل القرآن لا يعلمه الراسخون ، أو كان للتأويل معنيان يعلمون أحدهما ولا يعلمون الآخر ، وإذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان لا يعلم معنى المتشابه من القرآن ، وبين أن يقال الراسخون فى العلم يعلمون كان هذا الإثبات خيراً من النفى . فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على أن جميع القرآن مما يمكن علمه وتدبره وفهمه وهذا مما يجب القطع به ، فإن السلف قد قال كثير منهم أنهم يعلمون تأويله منهم : مجاهد ، والربيع بن أنس ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ونقلوا ذلك عن ابن عباس أنه قال : (أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله) وهو قول أحمد فيما كتبه فى الرد على الزنادقة والجهمية ؛ وهذا يقتضى أن الراسخين فى العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده أى عند أحمد ؛ وهو التفسير فى لغة السلف .

لهذا لم يقل أحمد ولا غيره من السلف أن فى القرآن آيات لا يعرف الرسول ولا غيره معناها . وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة منهم : ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقى وغيرهما .

تفسير المنار جـ٣ ص١٧٥ .

هذا : وقد وضح مما تقدم رأى السلف ورأى الخلف فى التشابه مأخوذاً من المراجع الموثقة لكل منهما ، ومستمداً من كتاب الله ـ عز وجل ـ فى قوله تعالى : **﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به﴾** .

ثم نلقى نظرة على النصوص التى جاءت فى هذا المقام على النحو الآتى :

---

(٩) رواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ لابن ماجة ـ «جامع الأحاديث» جـ١ ص٤٦٥ .

(١٠) رواه ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ «جامع الأحاديث» جـ٢ ص٤٣٥ .

نحو قوله الله تعالى :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾

(ســورة طــه)

فقد نقل عن أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ أنه أجاب حين سئل عن (حصر الله تعالى فى الجهة الفوقية أو التحتية) . على ما يفهم من قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استـوى﴾(١١) بقوله : من حصر الله فى الجهة الفوقية أو التحتية فقد كفر .

ومقالة مالك : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والسؤال عن ذلك بدعة) .

وما قاله الشافعى : (آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل) .

وقول أحمد بن حنبل : (استوى كما قال لا كما يخطر بالبال) .

وقول الشبلى : (الرحمن لم يزل والعرش محدث وهو بالرحمن استوى) .

وقول ذى النون المصرى : (أثبت ذاته ونفى مكانه ومهما تصور فى نفسك فالله بخلاف ذلك) .

وقول جعفر الصادق : (من زعم أن الله فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك به فلو كان على شىء لكان محمولا ، ولو كان من شىء لكان محدثاً ، ولو كان فى شىء لكان محصوراً ـ تعالى ـ الله عن ذلك علوا كبيراً) .

والنصوص التى ذكرت جميعها تمثل رأى السلف :

وقول أبى حنيفة : (من حصر الله فى الجهة الفوقية أو التحتية فقد كفر) يفسره قول جعفر الصادق : (من زعم أن الله تعالى فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك به إذ لو كان على شىء لكان محمولا ، ولو كان من شىء لكان محدثاً ، ولو كان فى شىء لكان محصوراً ـ تعالى الله ـ عن ذلك علواً كبيراً (ومثل ذلك التحتية) .

وقول الشافعى وابن حنبل وذى النون تعنى رأى السلف وهو التأويل الإجمالى مع التفويض فى المعنى المراد لله تعالى .

وقول الشبلى الرحمن : (لم يزل والعرش محدث وهو بالرحمن استوى) يعنى : إثبات القدم والبقاء لله ـ عز وجل ـ وأن العرش محدث ومخلوق لله سبحانه ـ ومعنى قوله : (وهو بالرحمن استوى) قال إمام الحرمين : لا يبعد حمل الاستواء على قصد الإله إلى أمر فى العرش ، وهو تأويل الإمام الثورى واستشهد عليه بقوله تعالى :

﴿**ثم استوى إلى السماء وهى دخان**﴾ معناها قصد إليها .

وقال ابن حزم : (أن معنى قوله تعالى : ﴿**على العرش استوى**﴾ . أنه فعل فعله فى العرش وهو انتهاء خَلقه إليه فليس بعد العرش شىء ، والعرش نهاية جرم المخلوقات(١٢) الذى ليس خلقه خلاء ولا ملاء ، ومن أنكر أن يكون للعالم نهاية من المساحة والزمان والمكان فقد لحق بقول الدهرية وفارق الإسلام ، ثم رد على القائلين بالمكان ثم ختم كلامه بقوله : فإنه لا يكون فى مكان إلا

(١١) من الآية ٥ من سورة طه .

(١٢) «الأسماء والصفات» ص٤٠٦ ، ص٤٠٩ .

ماكان جسماً أو عرضاً فى جسم هذا الذى لا يجوز سواه ولا يتشكل فى العقل والوهم غيره البتة ، وإذا انتفى أن يكون الله ـ عز وجل ـ جسماً أو عرضاً فقد انتفى أن يكون فى مكان أصلا وبالله نتأيد .

وقال الإمام الغزالى فى كتابه « الجام العوام عن علم الكلام »(١٣) ـ إذا ورد قوله تعالى : ﴿ **استوى على العرش**﴾ فلا ينبغى أن يقال مستو ويستوى لأن دلالة قوله مستو على العرش على الاستقرار أظهر من قوله : ﴿**رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش**﴾ بل هو كقوله ﴿**خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء**﴾ . فإن هذا يدل على استواء قد انقضى من إقبـــال على خلقـــه(١٤) أو على تدبير المملكـــة بواسطته .أه .

وقـــول أبى منصور البغــــدادى : (ذهب الأكثرون إلى أن معنى «الاستواء» هو القهـر والغلبة ، أى الرحمن غلب العرش وقهره وخصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات) ، وهذا القول يمثل رأى الخلف : قال إمام الحرمين فى «الإرشاد» ولم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة وذلك سائغ فى اللغة ، كما تقول استوى فلان على الملك والممالك ، إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب ، كما قال ، وفائدة تخصيص العرش بالذكر أنه أعظم المخلوقات فى نظر البرية .. أهـ .

ثم جاء فى الأسماء والصفات(١٥) .

وفيما كتب إلى الأستاذ أبو منصور بن أبى أيوب أن كثيراً من متأخرى أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو : القهر والغلبة ومعناه أن الرحمن غلب العرش وقهره ، وفائدته الإخبار عن قهره مملوكاته وأنها لم تقهره ، وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المملوكات فنبه بالأعلى على الأدنى قال والاستواء بمعنى القهر والغلبة شائع فى اللغة ، كما يقال ، استوى فلان على الناحية إذا غلب أهلها . قال الشاعر فى بشر بن مروان :

قد استـوى بشر على العـراق
بغير سيف ودم مهـراق

والله أعلم .

---

(١٣) «المنار ٦ ص٢٢٢ حـ٣ .
(١٤) إيجاده .
(١٥) ص٤١٢ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر فى ٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٨هـ .

فليغضب جاك بيرك !

بقلم: دكتورة / زينب عبد العزيز

نعم ، فليغضب جاك بيرك كما يحلو له ، فالقرآن ليس لعبة يلهو بها هو أو غيره من المغرضين .. إننى لاأناقش مكانة جاك بيرك كمستشرق ، أو حتى كصديق للعرب والمسلمين ـ وإن كان ذلك على مدى كتاباته بأسرها ـ لكن ما اقترفه فى حق القرآن والإسلام تضامنا مع تلك الهجمة التى يقودها الغرب ، بحاجة إلى وقفة أمينة وليس إلى تملق طائش !

فلقد ظهرت عدة مقالات فى الاسابيع الماضية تدافع عن جاك بيرك وترجمته المغلوطة لمعانى القرآن .. وتتضافر فى الغضب لغضبه ، وتبالغ فى الترحيب به . وكان آخرها ماكتبه د. محمود عزب ، المدرس بكلية اللغات والترجمة وجاء فى مقاله : «والتقينا فى أحد مؤتمرات الجمعية الفلسفية فى الصيف الماضى ١٩٩٢ بالأستاذة التى فجرت هذه المشكلة ، وهى أستاذه للغة الفرنسية ، ورددنا عليها أمام الجمهور دفاعاً عن الحقيقة .. ثم دفاعا عن جاك بيرك .. وأبرزنا لها كيف خالفها الصواب فى فهم بعض التفاصيل» ..

وأول ماأبدأ به هو أن السيد المذكور قد انبرى فعلا معقبا على إشارتى إلى الترجمة المغلوطة التى قام بها جاك بيرك ، لكنه قال عبارة مختلفة تماما ، أرجو ألا يتنصل منها ، وهى : «إن جاك بيرك يأسف لما صدر عنه سهواً من أخطاء فى هذه الترجمة ، وهو على أتم استعداد لتصويبها» !!

والفرق شاسع بين ما قيل فى العام الماضى أمام الجمهور ، وبين ماكتبه اليوم (بالأهرام ٩٣/٦/٢٥) فى محاولة واضحة لطمس فداحة ما اقترفه بيرك .

وعلى الرغم من أن الدكتور صاحب المقال قد

(١) كذا الأصل

أشار ضمنا إلى استعداد بيرك «للمراجعة والتدارك والتصحيح» إلا أنه صاغها في صورة تكبير وإجلال لا تتفق وما اقترفه المستشرق الفرنسى المحنك .. ولا يسعنا إلا أن نتساءل :

ما معنى أن يأسف السيد بيرك بعد ثلاثة أعوام من صدور ترجمته ، وآلاف المسلمين القائمين فى فرنسا ، وهم نحو الأربعة ملايين نسمة ومثلهم الذين لايجيدون سوى الفرنسية ، يقرءون ما قدمه لهم من فريات ؟

كما لا يجب أن نغفل أن هذه الملايين المسلمة ، هى من يطاردها بعض الساسة الفرنسيين بعد أن تم اعتصار كيانهم ، ويضيّقون عليهم الخناق ما بين الطرد ، أو الامتزاج الكامل فى المجتمع الفرنسى بعقيدته !

وليست القضية هى الاختلاف «فى بعض التفاصيل الواردة فى التفاسير القرآنية ، وفى تسمية بعض السور باسمين» كما حاول صاحب المقال التهوين من أهمية الموضوع وفداحته ، وإنما اعتراضى كان منصباً على ما يطرحه جاك بيرك فى تلك الدراسة المشحونة التى ألحقها بترجمته ، وكل ما تتضمنه من محاور لا تكشف إلا عن موقف مغرض متعمد ، وليس من قبيل «السهو» كما يزعمون .

ومن هذه المحاور على سبيل المثال لا الحصر :

ـ التشكيك فى نزول وترتيب وتجميع القرآن .

ـ تأثر القرآن بالشعر الجاهلى وبالفكر اليونانى (مؤكدا ذلك فى أكثر من موضع) .

ـ تأثر القرآن بمزامير داود .

ـ احتواء القرآن لخط أسطورى (ميثولوجى) لفلسفة كوارثية النزعة للتاريخ .

ـ فظاعة الحديث عن الله كما هو وارد فى القرآن !

وذلك بالإضافة إلى انتقاده لمعيارية القرآن ، وأنها أبعد ما تكون عن التقنين .

ـ وغموض تعبير الأحكام ، مما سمح للمفسرين القدماء بحريات من التصرف غير مقبولة من مذاهب أخرى .

ـ وتناقض الشريعة ، ومنها يخرج بالهجوم على الصحوة الإسلامية وعدم فصل الدين عن السياسة .

ـ وإثارة قضية فتنة خلق القرآن من جديد ؛ وتحريف القرآن للأساطير « فى شكل حوار مشبوب بعلم النفس الفارق وبالطرافة» .

ـ واتهام بعض المفسرين بإلغاء بعض الآيات إن كانت تخرج عن قبضتهم ؛ أو «تحريفهم لمعناها» .

ـ وأن «الإسلام قد أخذ على عاتقه جزءاً من الميراث الجاهلى بأن تقلد جزءاً من ميراث اليونانيين ، بعد أن فرض على كل منهما تعديلات استعلائية صارمة» .

ـ وان «مشكلة الإسلام اليوم ـ إذن ذلك الانفصال الذى يمكن أن يتفاقم بين مواقف العقيدة ومسيرة العالم الفعلية ؛ بل عن مسيرة العالم الإسلامى نفسه» ..

ـ كما انتقد اتجاه الإسلام إلى أصوله

وتوكيده على ضرورة تناول القرآن بدمج العصرية أو الحداثة بالأصالة ليتمشى مع متطلبات العصر !

وكلنا نعلم وندرك معنى ومغزى ذلك المطلب الذى يصر عليه الغرب حالياً ، والذى عبر عنه «جان ـ كلود بارو» فى كتابه عن «الإسلام والعصر الحديث» الذى صدر عام ١٩٩١ ، إذ قالها ـ بصراحة ـ أكثر وضوحاً : «لابد من إعادة صياغة القرآن والسنة بمفاهيم عصرية جديدة وإلا على الإسلام أن يختفى» ! وهو نفس المطلب الذى دارت حوله العديد من البحوث فى (مؤتمر كولورادو) لتنصير المسلمين ، الذى انعقد عام ١٩٧٨ ، والذى تأتى ترجمة جاك بيرك مواكبة لمطلبة .. وهو ما يدرج أيضا ضمن تلك العمليات التبشيرية التى تشير إليها الصحف باقتضاب ، وإلى المصاحف المحرفة التى يروجونها ..

أما فيما يتعلق بأسلوب جاك بيرك وبمستوى ترجمته ، فلا يسع المجال هنا لتناولها بالتفصيل ، وان كان ما يتضمنه من أخطاء لايمكن أن يصدر عن من فى مثل مكانته المخضرمة أن يقع فيها الا لمرض فى نفسه .. وتكفـــــى الإشارة إلى الاستخفاف الذى تناول به نص القرآن ، وتكفى الإشارة إلى تلاعبه بالألفاظ ، كأن يقول ـ على سبيل المثال لا الحصر : «إن الله يمحو ويبدل ويؤكد النبوءات وفقا لهواه» ؛ أو أن يضع على لسان أبى بكر أنه قال عن القرآن : «لكل كتاب أجل» ! بل يكفيه أنه أبى استخدام كلمة «نبى» للإشارة إلى سيدنا محمد ﷺ ، مستخدما كلمة رسول فحسب ، وكأنه عز عليه الاعتراف بنبوته !

وذلك بالإضافة إلى استبعاده لكلمات أساسية فى الإسلام كالمسجد ليضع بدلا منها مسميات كنسية ، علما بأن الكلمة الفرنسية مشتقة عن العربية وإصراره على ترجمة كلمة «النصر» بكلمة «النجدة» وكأنه يأبى كتابة النصر للإسلام أو أن الإسلام قد انتصر ! أو أن يترجم سورة «الروم» باسم العاصمة الإيطالية روما.. ودرءاً لإحساسه بما يقترفه من مغالطة يبادر بوضع هامش يقول فيه : «نقول روما لأسباب ترخيم الصوت أو التطريب **(Euphonic)** حيث كان لابد من وضع كلمة (البيزنطيون) بالطبع» (صفحة ٤٣١) ! وياللمغالطة السافرة ! فمتى كانت الترجمة ، أو اختيار الكلمات يتم من باب الترخيم أو التطريب بعيداً عن معنى الكلمة ألا أن تكون تحريفاً للمعنى ؟!

إن أبجدية الترجمة تعنى الأمانة فى نقل المعنى بأوضح ما يمكن . غير أنه لو كان قد كتب كلمة «البيزنطيون» لنقل ذهن القارىء إلى عصر الفتوحات الإسلامية ، وهو ما يحاول تحاشيه أو التضليل عليه طيلة الوقت ؟!

بل لقد وصل بالسيد بيرك الاستهزاء فى الترجمة بأن ترجم آية «إن الله لايخلف الميعاد» بأن الله لايخلف «الرانديفو» **(Rendez-vous)** !! بغض الطرف عن معناها الشعبى السائد .. فمن البديهى أن الميعاد هنا يعنى الوعد ، وكان لزاما عليه أن يضع كلمة **(Promesse)** ومن الغريب أنه فى الست مرات التى ترد فيها كلمة الميعاد فى القرآن ـ ولا أتحدث عن تنويعاتها ـ ترجمها أربع

مرات بكلمة (Rendez-vous) ومرة بكلمة Pacte أى اتفاق ، ومرة واحدة بمعناها الصحيح ، وذلك فى سورة الزمر ـ علما بأن معناها ومضمونها فى النص القرآنى واحد لم يتغير !

فهل ذلك هو ما يطلق عليه الزميل الشاب أنها أراء صدرت «عن قراءة واعية للتفاسير ولعلوم القرآن الكريم بدرجة قد لايصل إليها كثير من المسلمين» ؟!

ولا يسعنى إلا أن أقول : تبت يد أى مسلم يتناول نص القرآن بمثل الاستخفاف والامتهان الذى تناوله به جاك بيرك !

إن المرحلة المصيرية التى يعيشها الإسلام والمسلمون حاليا تحتم علينا جميعا أن نتضافر للدفاع عن القرآن ونصه المنزّل ، ضد الهجمة الضارية التى يكيلها الغرب للإسلام حاليا على الصعيد العالمى .. فإصراره على فرض الحداثة والعصرية لدراسة القرآن ، ومطالبته بفصل شئون الدين عن الدنيا لايتنافى مع العقيدة الإسلامية فحسب ، وإنما يخالف ماقامت به الكنيسة الكاثوليكية لضرب الحداثة ـ وهو العلم الذى وُجد أساساً لدراسة النصوص الإنجيلية ، وتطبيق العلوم التاريخية والنقدية عليها ، لعدم توافق معطياتها والاكتشافات العلمية .. فكيف يفرضون على نص القرآن المنزل مارفضوا تطبيقه على نصوص ثبت نسخها على مر الزمان ؟!

وفى النهاية ، لايسعنى إلا أن أقول ـ للزميل الشاب ، دارس العبرية ، و«المسئول عن مراجعة الترجمات الفرنسية والعبرية لمعانى القرآن .. الحريص على تحرى الدقة ، وعلى القراءة الواعية للترجمة كلمة ، كلمة» ـ كما قال عن نفسه ـ والذى أوضح لى كيف «خالفنى الصواب» فى فهم ما انساق إليه جاك بيرك ، أن يقرأ نص الدراسة التى تقع فى اثنتين وثمانين صفحة ، والملحقة بالترجمة المغلوطة لمعانى القرآن ، وأن يعاود قراءاتها «باهتمام شديد وبحرص أشد» على حد قوله عن نفسه أيضا ، عله يدرك كل ماورد بها من فريات ومغالطات وتخريف لم أشر إلا إلى بعض منها ..

ولعله لايجهل ـ كقارىء ـ أن المقدمة هى أول ما يبدأ به أى قارىء لأى كتاب ، حتى وإن لم يتم قراءته ، فما بالنا والكتاب هنا هو القرآن والمقدمة تغص بما أشرنا إلى شذرات منها .. فما بالنا والقراء ليس بوسعهم أن يقرءوا سوى تلك الفريات اعتماداً على سمعة رنانة سابقة ؟!

وبعد :

فكيف يسمح لمتخصص فى العبرية بالقيام بمهمة مراجعة ترجمة : جاك بيرك الفرنسية المغرضة وكان الأجدر أن يقوم بالفحص متخصص فى الفرنسية يعلم ضروب استعمال كلماتها ؛ حينئذ كان سيكشف مااقترفه جاك بيرك فى حق القرآن والإسلام .

إن موقف جاك بيرك مواكب ـ كما أوضحنا ـ لتلك الهجمة الضارية التى يكيلها الغرب للإسلام والمسلمين حاليا ، فلا يجب أن نغفر له بزعم مواقفه الاعلامية وأحاديثه السيارة ، أو خضوعا لاية ضغوط أيا كانت ..

وليغضب جاك بيرك كما يحلو له ، فالقرآن ليس لعبة يلهو بها هو أو غيره من المغرضين .

قبس من أنوار النبوة

أين نحن من القرآن ؟

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال :
سأل رجل رسول الله ﷺ أى الأعمال أحب إلى الله ؟
فقال : « الحال المرتحل . قال : يا رسول الله ، ما الحال المرتحل ؟.
قال : صاحب القرآن يضرب فى أوله حتى يبلغ آخره ، وفى آخره حتى يبلغ أوله » .
رواه الطبرانى

وفى رواية أخرى أنه عليه الصلاة والسلام سئل : « أى الأعمال أفضل ؟.
فقال : الحال المرتحل . قيل : وما ذاك ؟.
قال : الخاتِمُ المفَتتح » أى : الذى يختم القرآن بتلاوته ، ثم يفتتح التلاوة من أوله ، شبهه بالمسافر ، يبلغ المنزل فيحل فيه ، ثم يفتتح سيره ويبتدئه .

القرآن الكريم هو كتاب الإسلام الخالد ، ومعجزته الكبرى ، ومنهجه القويم ، يهتدى به الإنسان .

« يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (سورة المائدة/ ١٦)

هذا هو القرآن الذى أنزله الله على رسوله ﷺ فيه أغلى الدرر ، وسعادة البشر : مَنْ قال به صدق ، ومَنْ عمل به أجر ، ومَنْ حكم به عدل ، ومَنْ دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

يقوِّم السلوك ، وينظِّم شئون الحياة ، مَنْ تركه من جبار قصمه الله ، ومَنْ ابتغى الهدى فى غيره أضله الله .

تلاوته أفضل العبادات ، وأفضل الذكر . من شغله القرآن أعطاه الله أفضل ما أعطى السائلين .

عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » رواه الترمذى .

والقرآن مأدبة الله لعباده ، ومائدته لأحبابه المتقين ، وأصفيائه المخلصين ، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق (يبلى ويفنى) على كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، أما إنى لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الحاكم .

وأهل القرآن هم الذين ـ رضى الله عنهم ـ وأعلى درجاتهم فى الجنة . لتمسكهم بهديه فهم أهل الله وخاصته . روى النسائى وابن ماجه والحاكم عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله أهلين من الناس ، قالوا : من هم يا رسول الله قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته .

ومن اجاد حفظ القرآن ، وأحل حلاله ، وطبق أحكامه ، وحرم حرامه ، أدخله الجنة وأذن له أن يرجو ربه العفو عن عشرة من أهل بيته .

عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : ـ فيما رواه ابن ماجه والترمذى ـ وقال حديث غريب ـ قال رسول الله ﷺ : من قرأ القرآن فاستظهره (أجاد حفظه واتقن أحكامه) فأحل حلاله ، وحرم حرامه أدخله الله به الجنة ، وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » .

وعلى مائدة القرآن ، وفى ساحة الفضل والرضوان ، يحلو للأحباب أهل الإيمان أن يجتمعوا فى أى مكان ليحظوا بالفوز والغفران . كما قال ـ عليه الصلاة والسلام : ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

رواه مسلم وأبو داود . عن أبى هريرة .

ومن هنا رغبنا رسول الله ﷺ فى تلاوته وتعليمه وتعلمه فقال ـ فيما رواه البخارى ومسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وقال رسول الله ﷺ :يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم[1] آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة .. » رواه ابن ماجه .

أبان ﷺ منزلة الماهر فى القرآن ، ورفع من قدر من يشق عليه فقال ـ عليه الصلاة والسلام : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه ـ وهو عليه شاق ـ له أجران » البخارى ومسلم .

وحذر من تركه والغفلة عنه . فقال ﷺ فيما رواه الترمذى والحاكم : إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » .

---

(١) يبدو أن فى الفعل حذف إحدى التاءين .

كما ينبغى لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه بقراءة القرآن فى ليله ونهاره فى الصلاة أو فى غيرها لئلا ينساه ، فقد أوصى النبى أمته ودعاها إلى العناية بقراءة القرآن وتعاهده بالمواظبة عليه حتى لا يكون عرضة للنسيان .

روى مسلم عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « تعاهدوا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها » .

ولقد حرص المسلمون فى كل زمان ومكان على تلاوة كتاب الله ، وطول النظر فيه كما جاء عن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه : « عبد جاءه كتاب من سيده ومن واجب العبد أن يطيل النظر فى كتاب سيده » .

وورد فى التوراة .

« ياعبدى أما تستحى منى ؟ يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شىء .. وهذا كتابى أنزلته إليك ، انظر كيف فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ، ثم أنت تعرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ؟

ياعبدى يقص عليك بعض إخوانك حديثا فتقبل عليه بكل وجهك ، وتصغى إلى حديثه بكل قلبك ، فإن كلمك متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو أومأت إليه أن كف .

وهأننا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض عنى بقلبك افجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا »(٢)

فما بالك بالقرآن خاتم كتب السماء ، إن العتب أشد وبعد :

فهل يقبل الآباء والأمهات والذرية على كتاب الله فنجعل منه وردا يوميا نعيش معه تلاوة وحفظا ، وهل نستمر على ذلك . ونديم النظر فيه .

لقد جاء فى السنة أنه يستحب للإنسان أن يختم القرآن كل شهر فإن وجد فى نفسه قوة أكثر ختمه فى أسبوع . والأفضل الوقوف عند هذه المدة حتى يكون هناك تمهل وتدبر ، وبعد عن المشقة على النفس بما قد تعجز عن المداومة عليه . قال عبد الله بن عمرو لقد شددت على نفسى فشدد الله على فهلموا إلى القرآن نجعل وردا نداوم عليه . ولنأخذ من رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ، وأثر عنه ﷺ أنه إذا ختم يقرأ من أول القرآن خمس آيات إلى قوله تعالى : أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . وهذا معنى الحال المرتحل .

روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« يجىء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول القرآن : يارب حَلِّه ، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول : يارب زده ، فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له : اقرأ وارْقَ ويزاد بكل آية حسنة » رواه الترمذى والحاكم .

اللهم أجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا . ونور أبصارنا . وجلاء همومنا وأحزاننا . وألزم قلوبنا حفظه وتلاوته آناء اليل وأطراف النهار . إنك على كل شىء قدير . وبالإجابة جدير .

(٢) عن الإحياء جـ ٣ ص/٤٩٩ ط الشعب

الحسد في الأحاديث النبوية

بقلم : د/ محمد شامة

يكاد يكون الاعتقاد فى تأثير العين الشريرة على المعيون تأثيراً مباشراً ، عاما وشاملاً بجميع المجتمعات الإنسانية ، إذ لا يخلو تراث من قصص وأساطير تتحدث عن ضحايا الحاسدين ، وعن مآسى المحسودين من جراء ما لحق بهم من ضرر ، نتيجة وقوعهم تحت لحظة من عين حسود ، أو نظرة خاطفة من عين شريرة ، بل إن من النادر ــ وخاصة فى المجتمعات النامية ــ أن يتخلص فرد من هذا الموروث الاعتقادى ، مهما كانت درجة ثقافته وعلمه ، وعلى أى شكل حضارى كانت حياته ومعيشته ، إذ يقع العالم والجاهل ،والمثقف وغير المثقف ، والبدائى والحضارى تحت تأثير هذا الاتجاه ، حيث يرى نفسه أمام الظواهر التى لا يستطيع لها تفسيراً ، أسيرا لهذا الاعتقاد ، وخاصة عندما تعجز قدرته عن معرفة أسباب ما يصيبه ، أو يصيب أحدا من أقاربه ، أو ممن يتصلون به ، ويحتك بهم فى حياته ، ولذلك نراه يميل إلى تصديق ما يروى له من قصص الحسد ، تُبرر اعتقاده فى هذا المجهول ، وتؤكد له وقوع مثل هذه الظواهر فى قديم الزمان وحديثه ، فترتاح نفسه ، ويستقر فى قلبه ما يطمئنه على أن ما يعتقده فى هذا المجال ليس بعيدا عن الواقع ، بل هو حقيقة مؤكدة ، وإن لم يتوصل الإنسان بعد إلى سبب مادى يؤكدها .

وكأن تلك المرويات الخرافية هى الدليل الذى لا ينقض ــ على الأقل فى وجدانه ــ على صحة ما يعتقده معظم الناس ــ إن لم يكن كلهم ــ فى تأثير عين العائن على المعيون ، فيطمئن قلبه ، وترتاح نفسه ، بل تراه ينبرى للدفاع ، إذا ووجه بما يشكك فى صحته ، أو يزعزع الإيمان به ، فيظل يردد ما سمعه من العصور الماضية حول هذا الموضوع بأسلوب يوحى للسامع بأنه قد عاشها ، ورأى هذه الأحداث بأم عينه . وهذا يؤكد ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن أساطير المجتمعات البدائية لم تختف كلية من المجتمعات المعاصرة ، وخاصة إذا كانت أسباب ما تدور حوله لا زالت مجهولة ، لم يكتشفها العلم بعد ، كتأثير عين العائن على المعيون .

ولم تسلم النصوص الدينية فى الأديان السماوية من تأثير هذا الاتجاه ، إذ نرى المفسرين يؤولونها بما يفيد تأكيد صحة هذا الاعتقاد ، فقد جاء فى التوراة هذا النص .

« يوسف غُصن شجرة مثمرة ، غصن شجرة مثمرة على عين »[1] ومعنى العين هنا : عين الماء ..

ولكن بعض المفسرين أولوها تأويلا آخر ، فذهبوا إلى أن المقصود من العين هنا هو : عين الحسود ، واستنتجوا من هذا أن عين الحسود لا تصيب أحداً من نسل يوسف ، لأنه كان غصن شجرة متسلط على العيون الشريرة ، فهى لا تصيب أحدا من نسله ، ورووا أسطورة فى التلمود تؤكد هذا التفسير ، وهى :

أن « رابى » حذر رجلا من ضرر عين الحسود ، فنصحه بأن يبتعد عنه ، كى لا تقع عينه عليه ، فيصيبه ضرر ، فرد عليه الرجل قائلا : أنا من نسل يوسف ، لا تستطيع العين الشريرة أن تصيبنى بضرر[2] .

كذلك فسر بعض علماء النصرانية نصوصا فى التوراة والإنجيل بما يفيد أنها تؤكد صحة ما يعتقده الناس فى تأثير العين الشريرة ، فما ورد فى تلك النصوص من أحاديث عن التطير والتفاؤل ، فسرها العلماء باحتمال أن يكون المقصود بها ــ أى التطير والتفاؤل ــ أولئك الذين لديهم عين شريرة ، أى العائنين الذين يصيبون من يرونهم إصابات قاتلة[3] .

● وتأثر الفكر الإسلامى ــ أيضاً ــ بهذه الظاهرة ، فرأينا علماء لهم قدم راسخة فى فهم النصوص وتأويلها ، يتأثرون بهذا الاتجاه ، فيميلون كل الميل إلى الاعتقاد فى قوة العين وتأثيرها على المعيون ، لدرجة أنهم يهاجمون المعارضين هجوما عنيفا ، فيصفونهم بقلة العقل والسمع ، وينعتونهم بالغفلة والجهل ، ويرون أنهم ــ أى المنكرين لتأثير عين الحسود على الحاسد ــ من أغلظ الناس حجابا وأكثرهم طباعا ، وأبعدهم عن معرفة ذلك الأثر الروحانى « اللامرئى » يقول ابن القيم :

« أبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين ، وقالوا : إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها ، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ، ومن أغلظهم حجابا ، وأكثفهم طباعا ، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس ، وصفاتها ، وأفعالها ، وتأثيراتها[4] .

● وليس من المستغرب ، ولا من

١ ــ سفر التكوين ٤٩ : ٢٢

٢ ــ SELI GMANN BD.I.S.1 .

٣ ــ قارن المصدر السابق ج١ ، ص١٢ وما بعدها .

٤ ــ زاد المعاد : ج٤ ص١٦٥

غير أنهم لم يتناولوا استدلال المؤيدين بالقرآن الكريم على صحة اعتقادهم فى إلحاق الضرر بالمحسود بمجرد النظر إليه ، إذا كان المقام يقتضى منهم أن يفسروا ما ورد فى القرآن الكريم عن الحسد على نحو يضعف الاستدلال بهذه الآيات على صحة ما يحاك حول هذه الظاهرة ، ويوجهها إلى ما يقضى على هذه الخرافات ، لأن السهم الذى يبدو قاتلا للمعارض فى معرض المناقشات حول هذا الموضوع هو ما يردده المؤيدون دائماً :

« كيف تنكر الحسد وقد ورد فى القرآن الكريم » ؟

وكأنهم يريدون بذلك التلميح بأن من ينكر هذا يكون قد أنكر نصا من نصوص القرآن الكريم ، ومن يصل الى هذا الحد فلا تسل عن نظرة الناس إليه ، وحكمهم على عقيدته .

● كذلك لم يبين المنكرون لنا رأيهم فيما ورد من أحاديث تثبت صحة رأى المؤيدين ، وخاصة أن من بينها أحاديث ، جاء الإخبار فيها بضرر المحسود من جراء نظرة الحاسد واضحا لا لبس فيه ، ومن أشهر تلك الأحاديث ما حكاه الرواة من : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر »[٩] . بل إن الإمام الغزالى ذكر حديثا قريبا من هذا المعنى فى معرض الاستدلال على وقوع الحسد وهو : كاد الفقر أن يكون كفرا ، وكاد الحسد أن يغلب القدر[١٠] .

ولهذا سوف نتناول بالدراسة : الآيات التى تحدثت أو أشارت إلى الحسد ، وكذلك ما ورد فى هذا الصدد من أحاديث ، لنلقى الضوء على هذا الموضوع ، وسنبدأ باستعراض الأحاديث التى ورد فيها ذكر الحسد ، ثم نختم بحثنا بتوضيح معنى الحسد الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم ليكون الحديث عن موقف القرآن الكريم عن الحسد هو البيان الأخير والختام المسك ، فهو القول الفصل ، ولا قول بعده :

« إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ »[١١] .

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾[١٢] .

● عندما يتحـــدث المرء عن الحسد فى الأحاديث النبوية ، فإن منهج البحث يحتم عليه أن يحدد مفهوم ما يريد إثباته فى هذا المجال ، لأن زوايا البحث متعددة ، وصوره متنوعة ، فلو اختلط الأمر بينها ضاعت معالم الطريق التى تفصل بين المؤيدين والمعارضين . ولو لم يحدد الباحث كل جزئية من جزئيات البحث ، ويلقى الضوء عليها من حيث إمكانية ثبوتها ونــفيها ، لصارت الأحكام عامة ، يمتزج فيها الثابت بالمنفى ، فتضيع الفواصل التى تميز الحقائق من الأساطير ، وتختفى المنارات التى تكشف الخط الفاصل بين النصوص الدينيــة ، وأباطيــل الأحــاديث الموضوعة ، وتوضح الفرق بين مفهوم التعاليم السماوية ، وبين ما توحى به مرويات الذين غُيِّبَت عقولهم ، فاستكانوا إلى أحاديث القرون الوسطى ، وتخاريف الوثنيات الأولى .

ومن هنا نفتح صفحة الأحاديث النبوية ،

---

٩ ـ الأصفهانى : حلية الأولياء .. ج ٧ ص ٩٠ .

١٠ ـ الغزالى : إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٨٧ .

١١ ـ الطارق : ١٣ و ١٤ .

١٢ ـ الاسراء :٩ .

المستبعد – عقلا وواقعا – أن يظهر هذا الاتجاه فى الفكر الإسلامى ، لأنه من الظواهر التى عمت جميع مناطق الكرة الأرضية ، فقد سيطر هذا الاتجاه على الفكر الإنسانى كله فى العصور القديمة والمتوسطة ، بل ظلت له السيادة على سلوكيات كثير من الناس فى العصر الحديث على الرغم من القفزة الهائلة فى المجالات المتعددة لعلم النفس ، وعلوم الاجتماع ، حيث كشفت الأبحاث والتجارب كثيرا مما كان غامضا على الإنسان قبل عصر النهضة .

كان من الطبيعى أن ينتشر هذا الاعتقاد بين المسلمين ، لأن الإنسان بحكم تكوينه يميل الى تصديق كل ما من شأنه أن يفسر له الغموض الذى يحيط به ، وخاصة إذا كان مرتبطا بما يصيبه من ضرر وآلام ، وما يتصل به من نتائج لا يعرف مصدرها ، ولا يدرك أسبابها ، فدور الأساطير فى هذا المجال : هو التخفيف النفسى الذى يسبغ على الإنسان نوعا من الهدوء والاطمئنان ، فهو يحس فى روايتها والاطمئنان اليها بأنه قد انتشل من دوامة الحيرة والارتباك . فهى أشبه ما تكون بإحساس شارب الخمر ، ومتعاطى المخدرات : إحساس بالراحة الزائفة ، مع عدم الوصول إلى أسلوب نافع ، لمواجهة هذه الظاهرة مواجهة جادة ومؤثرة ، ولهذا نرى أن هذه الأساطير تزداد انتشارا فى عهود الانحطاط والانحدار الفكرى ، فيصدقها الناس ويدافعون عنها بكل ما أوتوا ، حتى ولو كان ذلك عن طريق تأويل النصوص الدينية ، وترويج المرويات التى أقحمت على التراث الدينى تحت الضغط النفسى لهذه الظاهرة ، وانتشارها الواسع بين الناس ، لتأكيد صحتها ، وبيان أن مصادر الدين أقرتها فأعطتها جواز المرور إلى نفوس المتدينين ، فتكتسب بذلك قوة يصعب على المفكرين الجادين إضعافها ، لأنهم لن يقفوا أمام ظاهرة اجتماعية فحسب ، بل سيواجهون مبدأ لبس مسوح الدين المدعم بالنصوص المقدسة .

وعلى الرغم من الصعوبة البالغة فى مواجهة ظاهرة هذا شأنها ، إلا أننا وجدنا من علماء المسلمين من يتصدون لهذا الاعتقاد فينكرون تأثير العين على المعيون بمجرد النظر ، يقول الحارث المحاسبى :

« ولو كان يضر المحسود حسد الحاسد له ، فيزيل عنه بحسده له النعم ، لدخل عليك أعظم الضرر ، لأنك لا تَعْرَى[٥] أن يحسدك غيرك ، فلو كان الحسد يضر المحسود ، لما بقيت عليك نعمة ، إذ كنت لا تَعْرَى أن يحسدك حاسد ، فيحب زوال النعمة عنك[٦] .

ويقول الإمام الغزالى :

فلو كانت النعمة تزول بالحسد ، لم يبق الله تعالى عليك نعمة ، ولا على أحد من الخلق ، ولا نعمة الإيمان أيضا ، لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان ، قال تعالى :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[٧] إذ ما يريد المحسود لا يكون .. وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ، ولا تزول عنك بحسدك غيرك ، فهذا غاية الجهل والغباوة[٨] .

---

٥ – عرى ، يعرى : غَشِىَ – وألم .
٦ – المحاسبى : الرعاية ص ٤٠٤ .
٧ – البقرة : ١٠٩ .
٨ – الغزالى : إحياء علوم الدين ج٣ ص ١٩٧ .

لنبحث فيها عن خمس نقاط محددة تتعلـــق بالحسد ، وهى :ـــ

١ ـ إمكانية وجود الحسد ..

٢ ـ ضرر عين العائن للمعيون .

٣ ـ التمـــائم .

٤ ـ التعاويذ والرقى ..

٥ ـ أساليب علاج المحسود .

١ ـ إمكانية وجود الحسد

تتحكم فى الإنسان ـــ بحكم وجوده داخل مجموعة من أمثاله ـــ مجموعة من الغرائز تدفعه إلى الاصطدام مع أقرانه ، إذ عندما يستجـــيب لغرائزه ، فيسلك من الطرق ما يرى أنها تحقق له إشباعها ، يصطدم برغبات الآخرين فى حالة فقدان التوازن بين العرض والطلب ، فإن وجدت الوفرة التى تشبع رغبات جميع الساعين إلى التملك والاستيلاء على ما يشبع رغباتهم ، فلن تهدأ النزعة الإنسانية أيضا ، قناعة بما تحقق لها ولن تطمئن النفوس بما حصلت عليه من متع الحياة وزينتها ، لأن طبيعة الإنسان مفطورة ـــ فى الغالب الأعم ـــ على طلب المزيد ، حتى وإن لم تدع الحاجة الطبيعية إليه ، فالنفوس مشرئبة دائما إلى طلب الاستحواذ على ما فى يد الغير ، والقلوب متلهفة إلى اللحظة التى يحس المرء فيها أنه مميز على جميع أقرانه ، ومتفوق على من حوله ، فإذا عجزت نفسه عن الوصول إلى هذا المبتغى ، فلم تسعفه قدرته على امتلاك ما يتمتع به غيره من مال أو جاه أو غير ذلك من النعم ، نقم عليه ، وتمنى زوال هذه النعمة عنه ، وذلك هو الحسد .

فوجوده فى المجتمع الإنسانى نتيجة لازمة لحياة الإنسان مع بنى جنسه ، سواء كانت تلك الحياة بدائية ، أم بلغت من الحضارة شأوا بعيدا ، إذ لا تخلو تلك الحياة من وجود قدرات متفاوتة بين أفراد المجتمع ، وإمكانات لبعض الأشخاص دون بعض ، الأمر الذى يحتم ظهور تفاوت فى إمكانية الحصول على معطيات الحياة : من مال وجاه ، وعلم ومعرفة .. وغير ذلك مما يرفع شأن الفرد بين بنى جنسه ، ويضفى عليه هالـــة من الجاه والسلطان ، وبالتالى يحس بالحسرة والألم من لم تهبه الحياة هذه القدرة ، فكان نصيبه منها شذرات قليلة ، تمسك عليه حياته ، أو مكنته قدرته المحدودة من الوصول إلى درجة أعلى من ذلك ، ولكنها لم تساعده على الوصول إلى ما يراه عند الآخرين من مظاهر يرى أنه محروم منها ، فيعتصر الحزن قلبه ، ويكسر الألم نفسه ، فيتمنى زوال تلك النعمة بقلبه ؛ لأن وجودها لدى الآخرين مصدر ألمه ، وسبب بلائه وشقائه ، وذلك هو الحسد .

ومن هنا كان وجود الحسد ظاهرة حتمية لحياة المجتمعات البشرية ، وضرورة لازمة لطبيعة الإنسان المفطور على حب الْفَوْق على الأقران والنظراء ، فطبيعته تدفعه إلى الحسد ، وظروفه الاجتماعية تساعده على ذلك ، والمناخ العام للحياة الإنسانية تربة خصبة لنمائه ، تمده بما يحتاج إليه للتمكن من نفوس الناس ، وتغذيه ليصبح ظاهرة عامة ، منتشرة بين أفراد المجتمعات الإنسانية ، لا فرق فى ذلك بين بدائيها ومتحضرها .. ولهذا لا ينكر أحد وجوده إلا إذا تجاهل طبيعة النفس الإنسانية ، وتجاهل معطيات الحياة الاجتماعية ، وغفل عن المردود المادى والمعنوى للتفوق والتميز على الإنسان فى أنظمة الحياة كلها ، سواء كانت سياسية ، أو اقتصادية ، دينية أو اجتماعية ، ثقافية أو علمية .

فإذا تصفحنا الأحاديث النبوية بحثا عن هذا الجانب من الحسد ـــ وهو وجوده بين البشر ـــ

لوجدنا العديد منها يخبر بوجوده بين الناس ، أو يحذر منه بطريق مباشر ، أو يبين أنه يأكل الحسنات ، فمما يخبر بوجوده قول رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله — عز وجل — مالا ، فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله — عز وجل — علما ، فهو يعمل به ويعلمه للناس »[١٣] .

وقوله :

« دب إليكم داء الأمم : الحسد والبغضاء »[١٤] .

وقوله :

« ثلاثة لا ينجو منهن أحد : الظن ، والطيرة ، والحسد »[١٥] .

فهذه الأحاديث — وأمثالها — تثبت وجود الحسد بين الناس ، وهو ما بيناه : من أنه ظاهرة لازمة لطبيعة الإنسان أو حتميته فى المجتمعات البشرية .

أما التحذير منه ، فقد جاء فى قوله ﷺ :

« ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة » ..

قيل : يارسول الله من هم ؟

قال :

— « الأمراء بالجور .

— والعرب بالعصبية .

— والدهاقين بالتكبر .

— والتجار بالخيانة .

— وأهل الرستاق(*) بالجهالة .

— والعلماء بالحسد »[١٦] .

وقوله :

« أخوف ما أخاف على أمتى : أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون »[١٧] .

وقوله :

« لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا »[١٨] .

وجاء الإخبار بأنه كان يأكل حسنات الحاسد ، ويرزؤه فى دينه ونفسه فى قوله — ﷺ — : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[١٩] .

وقوله :

« دب إليكم داء الأمم : الحسد والبغضاء . والبغضاء هى : الحالقة لا أقول حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين »[٢٠] .

هذه الأحاديث تخبر عن ظاهرة بشرية ، لا ينكرها أحد .

يتبع

---

١٣ — صحيح البخارى — كتاب العلم .

١٤ — سنن الترمذى .

١٥ — اخرجه ابن أبى الدنيا فى (كتاب ذم الحسد) من حديث أبى هريرة ، وفيه يعقوب بن محمد الزمرى ، وموسى بن يعقوب الزمعى ، ضعفهما الجمهور ، والرواية الثانية رواها ابن أبى الدنيا أيضا ، من رواية عبد الرحمن بن معاوية ، وهو مرسل ضعيف . وللطبرانى من حديث حارثة بن النعمان نحوه (انظر : الغزالى : إحياء علوم الدين ج ٣ هامش ص ١٨٧) .

* رستق : اللحيانى : الرزتاق والرستاق واحد فارسىّ معرَّب ، الحقوه بقرطاس ويقال : رزداق ورستاق والجمع الرساتيق وهى السواد . وسواد القوم : معظمهم ، والسواد جماعة النخل والشجر ، وسواد كل شىء كورة ما حول القرى والرساتيق ، والسوَّاد : ما حوالى الكوفة من القرى والرساتيق (لسان العرب مادة : رستق وسود) .

١٦ — أخرجه أبو منصور الديلمى من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين (المصدر السابق ج ٣ ص ١٧٨) ط . دار الصابونى .

١٧ — اخرجه البخارى ومسلم والطبرانى .

١٨ — مسند احمد ١/٥ ط (الميمنية) .

١٩ — رواه الترمذى وأحمد .

٢٠ — رواه ابن ماجة .

خذوا الأولاد بمنهج الإسلام

لفضيلة الشيخ / معوض عوض إبراهيم

إن الشباب من الجنسين ذكورا وإناثا لابد من التخطيط ليومهم وغدهم ، وكبر مقتا عند الله أن نفرح بالفتيان حين يولدون ، ونغتبط بغدوهم ورواحهم .
والفتيات حين يولدن ويدرجن على طريق الحياة في حياء والتزام للحشمة والوقار الذى يريده رب العالمين من شقائق الرجال .

وجلت مِنَّهُ الله علينا بالذكور والإناث وهو يقول : (وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ) النجم ـ ٤٥ ولحكمة جليلة قدم الله ـ عز وجل ـ فى بيان خلقه ومخلوقاته الاناث على الذكور فهو يقول :

(يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ) .

الشورى ـ آية : ٤٩

ومن المستفيض المأثور أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد رزق البنات والبنين فكانت له زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وكان له ثلاثة ذكور و كلهم من أم المؤمنين خديجة إلا ابراهيم فإنه من مارية القبطية ، واستأثرت رحمة الله بذكور مصطفاه وإناثه فى حياته إلا فاطمة رضى الله عنها فقد اقتضت حكمته ـ تبارك وتعالى ـ أن تموت بعد أبيها بأشهر ستة ـ رضى الله عنها ـ ومنها كان ابناهُ الحسن والحسين ابنا على ، وأولادهم من بعدهم رضى الله عنهم أجمعين .

ولقد بقى فى المجتمع المسلم رواسب وآثار من الجاهلية الأولى ، وقص القرآن الكريم من أخبار القوم فى القديم ما يكاد يكون واقعا فى دنيا الناس اليوم ، برغم ما يستفيض به الحديث الشريف ، وتذخر به السنة المطهرة من حفاوة النبى ﷺ بالبنات ، ويبرز ذلك من سيرته هو — صلوات الله وسلامه عليه — فنرى حظا كافيا فى إسكات أولئك الذين ينظرون إلى الأنثى شزرا ولا يُولُونها من الاهتمام ما يولونه أخاها ، فعن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله — ﷺ — قال :

(ما من أحد يدرك ابنتين أحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة) — أخرجه ابن ماجة والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، كما قال الإمام العراق .

وروى الترمذى من حديث أنس أن رسول الله — ﷺ — قال : (من عال جاريتين حتى تدركا كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين) والنبى عليه الصلاة والسلام كان دائمـا يشير بالسبابـة والوسطى ، توكيدا للقرب التام .

ومع ذلك ، بقى من لم ينتفع بأدب الدين على شيء من الجاهلية فى شأن البنات ، فهذا (أبو حمزة)[1] وقد توالى وضع زوجته البنات — قال لزوجه — وقد حملت : إن ولدت أنثى فهذا فراق بينى وبينك ، وولدت أنثى وترك الرجل بيته ، وكان يغدو ويروح على بيت آخر له ويقدم لزوجه وبناته ما يلزم الآباء ، وفى يوم من الأيام سمع امرأته تغنى لطفلتها الأخيرة وتقول :

ما لأبى حمزة لا يأتينـــا
يبيت فى البيت الــذى يلينـا
غضبـــان ألا نلـــد البنينـــا
تا لله ماذلك فى أيدينـــا
فنحـــن كا لأرض لزارعينـــا
ننبت مـــا قد غرســوه فينا

وذلك كلــه من الحق لاريب ، وبلغت كلمات المرأة قلب زوجها فاذا به يعود إلى بيته واذا به يجد بعد قليل أن الذى رزقه الإناث قد رزقه الذكور .

عَلَى أنه فى بعض المجتمعات تتسع جوانب الإهمال فتشمل الذكور والإناث على سواء حين يحيا الرجل لنفسه ولا يعرف بيته إلا حين تصرخ بطنه أو يلح عليه نوم قاهر ، وكم يسكتون صراخ بطونهم بما يأخذونه من طعام كاف أو غلالة إلى حين .

وفى الأمهات من تشغلهن الأسواق وتتبع آخر ما يقذفنا به الغرب من أزياء وأدوات تجميل .

إن النبى ﷺ وهو — بكل أحواله — القدوة الحسنة والأسوة الطيبة كان يعطى « أمامة بنت زينب » ابنته مثل ما يعطى الحسن والحسين — رضوان الله على الجميـــع — من هشاشة وبشاشة واهتمام ورعاية .

وهذا شداد بن الهاد يروى أنهم — صلوا وراء رسول الله ﷺ صلاة أطال فيها السجود حتى ظن الصحابة أن الرسول ﷺ قد أصابه أمرا أو نزل عليه وحى ، فلما انتهى الرسول — عليه الصلاة

١ — ممن روى الحادثة أبو على القالى فى الأمالى .

والسلام ــ من صلاته صارحوه بما خامرهم ، ووقع فى خواطرهم ، فقال ﷺ : "كل ذلك لم يكن لكن ابنى هذا ارتحلنى ، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته" وهو[٢] ﷺ يحمل فى صلاة الفريضة أمامة بنت زينب ابنته فإذا ركع أو سجد وضعها ، وإذا قام رفعها[٣] وكان ــ صلوات الله عليه ــ أندى الناس عاطفة مع أولاد أصحابه ، وكتب السنة حافلة بفيض من شواهد ذلك ، وقد كان ــ صلوات الله عليه ــ يغسل بيديه الشريفتين وجه أسامة بن زيد بن حارثة فى صباه ، ويسميه الحِبَّ بن الحِبّ ويداعب صغار أصحابه إذا حضروا ويسأل عنهم إذا غابوا ، ويوم ذهبت بنت أحد أصحابه تلعب بخاتم النبوة بين كتفى النبى ﷺ وزجرها أبوها إعزازا لقدر المصطفى ــ صلوات الله عليه ــ أمر الرؤوف الرحيم الرجل أن يدع ابنته وما تفعل ، ودعا لها وَبَرَّكَ عليها ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فكانت ميمونة الغدوات والروحات .

نعم : إن السنة زاخرة بالآداب وبكثير من صنوف الرعاية النبوية بأولئك الشباب منذ ولادتهم[٤] وفى السنة اختيار الزوجة الصالحة وجمالها وحسبها ودينها ، ولكن المصطفى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ بعد أن قرر هذه الحقيقة يقول : "فاظفر بذات الدين تربت يداك"[٥] .

والنبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يأمر بأن نتخير لنطفنا[٦] ، وهو بذلك يرعى الوراثة الخلقية والخلقية فهى من توجيهات النبوة .

ولا يزال يتجاوب فى خاطرى حوار ذلك العربى القديم الذى جمع إليه أبناءه يوما وقال لهم « لقد أحسنت إليكم صغارا ، وأحسنت إليكم كبارا ، وأحسنت اليكم قبل أن تولدوا فقالوا : إن احسانك إلينا صغارا ، وإحسانك إلينا كبارا ، مما لا نمارى فيه ، فكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ فأنشد :

وأول إحسانى إليكم تخيرى
لما جدة الأعراق بادٍ عفافها .

وما أسعد الذين يخططون للشباب وهم يراجعون القرآن والسنة ليعرفوا من هم الشباب وما هى حقوقهم على الآباء والأمهات والمربين والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

٢ ــ النسائى واحمد .

٣ ــ مسلم والنسائى وأحمد .

٤ ــ تحفة المودود لابن قيم الجوزية .

٥ ــ متفق عليه عن ابى هريرة برفعه .

٦ ــ عن أم المؤمنين عائشة مرفوعا عن ابن ماجة والدار قطنى والحاكم والبيهقى بزيارة على ما ورد هنا « وانكحوا الاكفاء وأنكحوا إليهم » .
« كشف الخطا » للعجلونى .

الله أكبر خير من الدنيا وما فيها وسبحان رب كل شيء ومليكه

لفضيلة الشيخ: أحمد بن محمد طاحون

سبحان المحيط علما بكلِّ شيء ، والمحصى عددا لكلِّ شيء ، القادر على كلِّ شيء ، لا يغلبه غالب ، ولا يُعْجزُه هارب .

سبحان سامع النداء ، ومجيبِ الدعاء ، ومفرِّج الكربات ، القريب المجيب الفعَّال لما يُريد ، لا يشاركه فى إرادته ولا يُنازِعُه فيها أحد من خلقه .

سبحانه وتعالى جلّ شأنه .. يحب أولياءه الصالحين ويَرْضَىٰ عنهم ، ويرحمهم ، ويمنحهم مثوبته ورضاه .

سبحان وليِّ المؤمنين وناصرهم وكافيهم ، وعليه المتّكل ، وإليه اللَّجَأ ، كابت المعاندين ومُهينهم لسوء أعمالهم واجترائهم على معاصيه فيما يعملون ويتركون .

سبحان الرحْمن الرحيم الغفَّار التوَّاب .

يا أهل العقل والحكمة :

يا أحباب الله .. استحضروا عظمة الله فى قلوبكم ، وتدبَّروا متأمِّلين فى ملكوته وانظروا بنور الفكر فى آلائه وفيما أفاض على الخلْق من إنعامه ، والتفتوا ببصائركم إلى براهين قدرته سبحانه ، ووحدانيته ، وحكمته كما وضحت فى كلِّ ذرة وجرْم ، وفى كلِّ نبضة فى الجسم ، وفى كل لوْن فى الثِّمار والزروع .. التفتوا إلى دلائل القدرة فيما يشمّه الأنف ، وتقعُ عليه العين ، وتلمسه اليد ، ويذوقه اللِّسان ، وتسمعه الأذنان ممَّا ائتلف واختلف ، وانسجم وتنافر ، وصمت ونطق ، وفيما تحرك وسكن ، وأضاء وأظلم وبكى وضحك ، ومات ووُلد ، وحضر وغاب ، وجف واخضرّ ، وحلا وملح .

ينبغى لنا أن نُنعم الفكر ونطيله متدبِّرين فى هذا مع حضور القلب ، إذ فى التأمُّل عبادة ، وبه يزداد الإيمان ، ويقوى اليقين بوجود الملك القدّوس المالك لجميع الأشياء ، المتصرف فيها بإرادته وقدرته وحكمته ذى العظمة والسلطان ، والغنى ، المستغنى بذاته سبحانه وبصفاته وأفعاله

عن كلِّ ما سواه . «هو الله الذى لا إلهَ إلَّا هو الملك القدُّوس».

التضادُّ من البراهين الشاهدة بوجود المدبِّر الحكيم :

إن التفاوت بين الخلـــق ، والتقابـــــل فى الكائنات ، والتضاد الذى نراه ونشمُّه ونلمسه ونذوقه ونسمعه لمن البراهين الناطقة بوحدانية الخالق ، وبكمال قدرته وتدبيره فى خلقه .. فهو سبحانه مالك الملك .. يعطى ويمنع ، ويَبْسط الرزق ويقدر ، ويعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء ، «يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن» ومن شأنه سبحانه أن يغفر ذنبا ، ويفرِّج كربا ، ويرفع قوما ، ويضع آخرين ، ويحيى ويميت ، من شأنه سبحانه أن يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، ويخرج الحىَّ من الميت ، ويخرج الميت من الحىَّ ، ويشفى سقيما ، ويسقم سليما ، ويبتلى معافىً ، ويعافى مُبتلىً .

فسبحان من يقر فى الارحام ما يشاء ، ويميت الحىَّ ، ويعزُّ الذليل ، ويذل العزيـز ، ويجيب الداعى ، ويسوق المقادير إلى المواقيت ، ويمهل العاصى حتى إذا أخذه لم يفلته « وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ» الأعراف : ١٨٣ .

نعمة العقل :

إن الانسان له عقل يعى ، وفكر يجول يقطع المسافات والأزمنة وصاحبه جالس فى مكانه ، وخير الناس من ينظر فى العبر ، وتهزُّ فكـره الحوادث ، وتلفت عقله الايات ، فيقبل على نفسه يصلح حالها ، ويهيئها لمعاده .. ألا ترى ــ ياذا اللبِّ ــ الدنيا كسوق يجمع الناس ثم ينفض !. أرأيت شمل أسرة اجتمع أبـدا لا ينـقصُ منهم أحد ؟ .. أسمعت عن سعادة لم تشبها المتاعبُ والالام ؟ أفكرت ياذا اللب فى القبور ووحشتها ؟ وفيمن تطويهم فى أحشائها وهم ألوف كيف كانوا ، ثم إلى أين صاروا ؟ أفكرت فيمن كان قويا ثم صار ضعيفا ، وفيمن كان شابا ثم تقوَّس ظهره ، وشاب شعره ؟ أما فكرت فى سخافة تفكير الإنسان حين يشعل فتيل الحروب لا يتدبر العواقب ولا يبنى الأمر على أسباب تكون فى الحقيقة أعزّ على الإنسان من نفسه كدفاعه عن عقيدته الصحيحة ومقدساته ، وليذود عن شرف أمته ، ويردَّ عنهم الفتن ؟ أما مرت بك الرياح والعواصف ، والزلازل والبراكين ، والسيول؟ أما رأيت عجز الإنسان وضعفه أمامها ؟ أما امتد فكـرك إلى الحيوانات الضعيفـة ، والحشرات الصغيرة والطيور المحلقة تخرج فى الصباح خماصا بطونها خالية ثم تعود بطانا مسبحة بحمد ربها ؟ جُل بفكرك ــ ياذا اللب ــ وقل من قلبك :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾
الاسراء

وقد جاء فى الخبر أن هذه آية العزّ ، وكانت خاتمة التوراة ، وقد خُتمت بها سورة الإسراء ، وروى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم : كان إذا أفصح الغلام من بنى عبدالمطلب علَّمه : «وقل الحمدلله الذى لم يَتَّخذْ ولدا ..» الاية .

تدبَّروا ، وتفكَّروا دوما ــ يا أولى الألباب ــ فى عظمة الله وسلطانه ، واحذروا مسالك اليهود والنصارى والمشركين وأشباهم الذين لم يُنَزِّهُوا ذا العزَّة والكبريـاء ، المتفـرِّد بالعظمـة والجلال ، فنسبوا إليه الابن والبنت ، وقالوا: الملائكة ذرَّية الله ، وعزيرٌ ابن الله ، والمسيح ابن الله .. سبحانه جل جلاله ، وعظم سلطانـه ، تعـالى الله عن

أقـــوالهم .. احـــذروا ــ يا أهـــل الحكمـــة والبصيرة ــ أن تظنوا أن لله شريكا فى ملكه ، أو أن تشركوا فى عبادته أحداً من خلقه كالاستغاثة بالأولياء والأنبياء ، أو التمسح بقبورهم ، أو تقديم النذور لهم أو دعاء الأموات والأضرحة أو غير ذلك من صنوف الشرك وألوانه .

الله واحد فى ألوهيته وربوبيته :

نزهوا ربكم ــ يا أهل العقل السليم ــ عن مشابهة المخلوقين وعن النِّد والولد والصاحبة ، فهو وحده المنعم الوهاب المتفرد بالإلهية والربوبية ، هو وحده المستحق لجميع المحامد لا إله إلا هو ، ولا ربَّ سواه ، ولا معبود بحق إلا هو .. هو وحده الغنى المستغنى عن كل ما سواه ، وكل المخلوقين محتاجون إليه .. سبحانه لا يحتاج إلى وليٍّ ولا ناصرٍ لعزَّته وكبريائه ، فكبِّروا ربَّكم تكبيرا ، وعظموه عظمة تامة ، وقولوا دوما : «الله أكبر» فهى كما قيل: أبلغ لفظةٍ للعرب فى معنى التعظيم والإجلال ، أى أنه سبحانه وتعالى أكبر من كل شىء وفى الحكمة قديما :

رأيت الله أكبر كل شىء .. محاولة وأكثرهم جنودا

ولذا علَّمنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نقول : «الله أكبر» عند الدخول فى الصلاة كما علَّمه رُبه .. قال عمر بن الخطاب : قول العبد : الله أكبر خير من الدنيا وما فيها .. ولو أن العبد فهم ووعى معنى الله أكبر لعاش مطمئن القلب ، شجاعا فى الحق ، صبورا فى الشدائد ، جلدا فى مواجهة الخطوب ، ولتهاوت من نفسه كل أصنام الوهم التى يقيمها الهوىٰ ، والشيطان ، وضعف النفس ..

فسبحان الواحد الأحد الفرد الصمد المقصود فى الحوائج على الدوام لعظم قدرته وكمالها ، الذى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا رادَّ لقضائه ، وهو الكبير الذى ليس فوقه أحد ــ سبحانه ــ وهو الحىُّ قبل كل شىء والباقى بعد كل شىء ، والعليم بكل شىء .

وهو ـ سبحانه ـ القدُّوس المنزَّة عن سمات النقص والعيوب ، تقدست عن الحاجات ذاته ، وتنزهت عن الافات صفاته ، هو الواحد الذى ليس كمثله شىء ، البديع الذى لا مثيل له ولا نظير فى ذاته وصفاته وأفعاله ، الذى أظهر عجائب صنعته ، وأظهر غرائب حكمته المبدع للأشياء بلا احتذاء ولا اقتداء : «بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)» الأنعام

وممَّن خلقهم عبده ورسوله عيسى ـ عليه السلام ـ فالجميع خلقه ، والكل عبيده وتحت قهره وسلطانه ، فهو سبحانه أكبر من كل شىء ، وفوق كل شىء : « وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ » طه (١١١) ، أى خضعت وذلت للقائم على كل نفس بما كسبت ، المدبر لأمور خلقه ، الدائم الذى لا يزول فهو الباقى أزلا وأبدا : «**وقد خاب من حمل ظلما**» أى: الخسران والهلاك والشقاء الـــدائم لمن حمل شركا ، ولم يخلص التوحيد .

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) **الانعام**

الحل الإسلامى لمواجهة العنف وإقرار السلام (*)

لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين

« وبعد » : فإن الإسلام دين السلام ؛ اسمه مشتق من نفس المادة التى اشتقت منها كلمة السلام . وهو من الأسماء الجليلة التى سمى الله بها نفسه فى القرآن الكريم .

إن المسلم ينتهى من مناجاة ربه فى الصلاة مقبلا على الناس بالسلام يلقيه عن يمينه وعن شماله ، ومن أسماء الجنة التى يشتاق إليها المؤمنون ويجتهدون فى الأعمال الصالحة أملا فى دخولها : (دار السلام) .

وتحية الإسلام التى علمها لأتباعه لكى يتبادلوا بها التحية هى : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

وهى كذلك تحية أهل الجنة بعضهم لبعض كما أخبرنا القرآن الكريم ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

وعندما تحدث رسول الله ﷺ معرفاً بالمسلم قال : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه ..)(٢) .

أى أن المسلم هو الذى لايؤذى أحداً بيده ولا بلسانه .

لماذا قاتل المسلمون ؟

قد يقول قائل : ولماذا قاتل المسلمون ودخلوا فى معارك كثيرة ضد الجميع تقريباً .

والجواب يعرفه كل من درس التاريخ بحيدة ونزاهة .

وملخص ذلك أن رسول الله ﷺ قام بتنفيذ أمر ربه فدعا الناس إلى عبادة الله وحده وترْكِ عبادة الأصنام التى لاتضر ولاتنفع ، وأقام الحجة عليهم ولكنهم لم يستجيبوا بالرغم من أنه كان يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتى هى أحسن وكان يقول لهم :

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(٣)

إلا أنهم أبوا أن يتركوه وشأنه يبلغ الناس رسالة ربه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وأصروا على إلحاق الأذى به وبمن آمن معه واتبعه ، وقد

(*) محاضرة عامة ألقيت فى «صالة ماردينى ٣٢٢ بجامعة تكساس فى مدينة أوستن عاصمة ولاية تكساس الأمريكية» يوم الجمعة ٣٠ من شهر رمضان سنة ١٤١٢هـ الموافق ٣ من شهر إبريل سنة ١٩٩٢م ؛ بدعوة من الدكتور «لاستر كارتر» أستاذ علم الاجتماع .

(١) يونس : ١٠ .

(٢) متفق عليه .

(٣) الكافرون : ٦ .

تحمل الرسول الأذى هو وأصحابه صابرين محتسبين على أمل أن يهدى الله القوم الكافرين فيؤمنوا أو يكفوا أذاهم ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث . واضطر الرسول ومن معه إلى الهجرة من مكة إلى المدينة وقد اختارها : لأن مجموعة من أهلها دخلوا فى الإسلام وتكونت بذلك قاعدة الدولة الإسلامية التى ولدت فى المدينة عقب الهجرة .

وهنا نسأل : أليس من حق محمد ﷺ والمؤمنين معه أن يقاتلوا أهل مكة الذين عذبوهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق ؟

إن أى منصف سيقول : بلى هذا من حقهم ، ولهذا فقد فرض الله على المسلمين قتال أعدائهم فقال ــ سبحانه ــ :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ (٤)

هذا شأن المسلمين مع أهل مكة استمرت المعارك بين الفريقين عدة سنوات ، وعندما دعى رسول الله إلى الصلح معهم على شروط مقبولة رضى بذلك رسول الله ﷺ ووفى بالعهد ؛ لكنه قبل مرور سنتين نقض أهل مكة هذا الصلح وغدروا ؛ وكان لابد من تأديب الغادرين ، فتم فتح مكة ، وهذا الفتح يعنى أن المسلمين الذين طردوا من مكة بالقهر والقوة عادوا إلى مكة بالقوة .

وعندما تمكن رسول الله من أعدائه من زعماء مكة ووقفوا بين يديه صاغرين ، ما الذى فعله بهم ؟ لقد عفا عنهم وهو قادر على الانتقام منهم . وقال لهم : (ما تظنون أنى فاعل بكم ؟) ، قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، عندئذ قال لهم : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

أما شأن رسول الله مع اليهود الذين كانوا فى المدينة المنورة فقد سالمهم وأبرم معهم معاهدة تضمن لهم كافة الحقوق كمواطنين على قدم المساواة مع المسلمين إلا أنهم نقضوا العهد وغدروا وأعانوا أهل مكة ضد المسلمين ، وحاول بعضهم قتل رسول الله ﷺ لكن الله نجاه منهم .

من أجل هذا كله وقع القتال بين المسلمين واليهود .

ولو فرضنا أن اليهود كانوا قد حافظوا على العهد ولم يغدروا لبقوا مقيمين مع المسلمين ينعمون معا بالسلام إلى يوم القيامة ؛ لكن ماذا تفعل مع من غدر بك ؟

أما القتال مع الفرس والروم فإن حدودهم المتاخمة لأراضى المسلمين جعلوا منها مسرح فتنة ، وتحريض لبعض القبائل المقيمة فى أطراف الدولة الإسلامية لكى يعتدوا على المسلمين ، بل قام بعضهم بقتل السفير الذى بعثه إليهم محمد ﷺ برسالة يدعوهم فيها إلى الإسلام ؛ ومعلوم أن قتل الرسل محرّم ، ويعتبر إعلاناً للحرب من جانب القاتل .

وهناك أسباب أخرى لا يتسع المجال لتفصيلها ولعلكم تعجبون إذا قلت لكم : إن محمداً ﷺ مع كثرة المعارك التى خاضها ، ومع أنه كان دائماً فى مقدمة الصفوف لم يقتل بنفسه إلا رجلًا واحداً فى غزوة «أحد» ، جاءه مهاجماً على فرسه يريد

(٤) الحج : ٣٩ ، ٤٠ .

قتله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يصيح : أين محمد ؟ ، لانجوت إن نجا ، فأخذ رسول الله حربة كانت بجواره وقذف بها ذلك الرجل فوقع قتيلا .

إن المسلمين مسالمون لايرغبون فى قتال أحد ، وكل مايريدونه هو أن يعيشوا بالطريقة التى يأمرهم بها دينهم أن يعبدوا الله الواحد الأحد ، وأن يطبقوا شريعتهم ، وأن يبلغوا رسالة الله إلى كل خلق الله فى كل الأرض كما أمرهم الله . فلو تركهم الناس ، ولم يتعرضوا لهم ولم يعتدوا عليهم ولم يحولوا بينهم وبين أن يعيشوا الحياة التى يمليها عليهم الإسلام ولم يمنعوهم من تبليغ رسالة الله فلن يقع قتال بين المسلمين وبين أحد من خلق الله .

إن بعض التقارير الرسمية الواردة من السجون الأمريكية تفيد أن المسجونين من المجرمين يتغير سلوكهم تماماً إذا مادخلوا فى الإسلام عن طريق الدعوة التى يمارسها بعض الدعاة الذين يقومون بزيارة السجون ، وتؤكد إدارات السجون أن هؤلاء الذين أسلموا صاروا بعد إسلامهم وادعين مسالمين وأنهم قد تخلوا عن الشغب والعنف ، وهذا دليل من الواقع يؤكد طبيعة الإسلام السمحة وأثره الواضح فى أهله .

هل العالم يسير نحو السلام ؟

وقد يسأل سائل : والآن هل الظروف التى يعيشها العالم اليوم تشير إلى أن السلام قادم ، أم أن الأمر بخلاف ذلك وأن السلام بعيد المنال ؟

إننى أصارحكم القول بأنه لا مجال لتحقيق السلام فى العالم مادامت القوة فى يد من لا يحسن استعمالها ، ومن يسخرها لخدمة أهدافه الخاصة بعيداً عن الحق والعدل .

إن من العجيب فى هذا العصر الذى نعيشه أن كثيراً من الكلمات حرفت معانيها وأصبحت تستعمل فى عكس مدلولها أحياناً .

هذه كلمة إرهابى مثلا تطلق على :الفلسطينى الذى يجاهد لاسترداد وطنه المسلوب ، ولاتطلق على اليهودى الذى يقتله ، ويستمر فى اغتصاب أرضه ووطنه ، أى أن المعتدى صار مناضلًا يلقى الدعم والمساندة ، والمدافع عن حقه صار إرهابياً مطارداً .

وإذا تحدث اليهودى بطريقة عفا عليها الزمن وهو يحاول إعادة الناس إلى الوراء أربعة آلاف عام عندما كان لليهود فى جزء من فلسطين دولة لم تستمر أكثر من ثلاثة وسبعين عاما لا يوصف بأنه متطرف أو رجعى .

وحتى كلمة الشرعية الدولية التى ظهرت حديثاً ، هانحن نرى أن هذه الشرعية الدولية تبصر بعين واحدة .. عين مصالح القوى الكبرى بصرف النظر عن الحق والعدل ، والدليل على ذلك ممارسات هذه الشرعية الدولية فى أزمة الخليج ، ومايدبر الآن باسمها ضد ليبيا مع أن هذه الشرعية غائبة تماماً عن فلسطين وعن غيرها من قضايا المسلمين بل إنها متواطئة مع الظالمين ضد المظلومين .

إن ذلك يعنى بوضوح أن العالم لن يعرف السلام مادام هذا الوضع موجوداً ومادام تحريف الكلم عن مواضعه شائعاً .

الحل الإسلامى :

وعلى كل فهاهى خطة تحقيق السلام ـ باختصار ـ كما يطرحها الإسلام وإن كانت

ظروف تنفيذها غير متاحة بسبب الخلل الموجود فى كل مكان من العالم .

١ ـ السلام النفسى :

إن الخطوة الأولى على طريق تحقيق السلام هى أن ينجح المعنيون بأمر السلام العالمى فى تحقيق سلامهم النفسى أولا قبل أن يتصدوا لتحقيقه فى الأرض ، والسلام النفسى لا يتحقق للإنسان إلا بالمصالحة مع الله ـ عز وجل ـ ، فإن من عادى الله وخالف تعاليمه ، وعصى أوامره ، وارتكب معاصيه لن يذوق طعم السلام . والعاجز عن تحقيق السلام لنفسه يكون عن تحقيق السلام لغيره أشد عجزاً .

٢ ـ السلام الاجتماعى :

والخطوة الثانية هى : العمل على تحقيق السلام الاجتماعى ، وذلك بإشاعة المحبة والتراحم بين جميع أفراد المجتمع وفئاته وطبقاته بلا تمييز ، بحيث لا يكون الغنى جشعاً ، ولا يكون الفقير حاسداً أو حاقداً ، وأن تسود روح الإيثار بين الجميع ، وأن يقضى على كل صور الفساد فى المجتمع بواسطة التربية والقدوة وبدعم من القانون الصالح المنصف كى يكون هذا المجتمع قادراً على قيادة البشرية على طريق السلام العالمى الحق ؛ بعد أن يكون قد تحقق فيه أولاً .

٣ ـ السلام العالمى :

أما السلام العالمى فإن دوره يأتى بعد ما ذكر وليس قبله وهو يقوم على الدعائم الآتية :

أولًا : الناس جميعًا إخوة أبوهم جميعًا واحد وأمهم جميعًا واحدة فهم أشقاء ، والقرآن الكريم ينادى الناس جميعًا قائلاً :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا »(٥) .

ومادام الأمر كذلك فإنه لا مبرر لأن يتكبر أحد على أحد بسبب جنسه أو لونه أو دينه . ولا معنى للتفرقة بين الناس على أساس أبوّة عُلْياً وأخرى سفلى(٦) ، لأن مثل هذا الزعم يشعل نار العصبية ، ويزرع بذور العداوة والبغضاء ويؤدى إلى الحروب العدوانية التى قد يزج ببعض الأديان ليؤيدها بالباطل خروجاً على سماحته .

وهل إذا دخل فى الإسلام أمريكى أو فرنسى أو ألمانى يتحول بمجرد إسلامه ليصبح من تلك الطبقة السفلى ؟

إن غالبية المسلمين ليسوا من العرب ، فهل هؤلاء جميعًا من أبناء الطبقة السفلى ؟

إن من حق المسلمين أن يجأروا بالشكوى قائلين : إن الناس فى العالم المعاصر الذى يوصف بالتقدمية والتحضر متعصبون ضدنا ، لأننا مسلمون .

ثانياً : العدل لا يتجزأ بمعنى أنه مادام الناس جميعًا إخوة فلا يجوز أن يظلم أخ أخاه ، ولا أن يهضم حقه لأى سبب من الأسباب .

وعلى هذا فقد حرم الإسلام الظلم بكل صوره ، وحرم الجشع ، والربا والغش ،

(٥) النساء : ١ .

(٦) أشير هنا إلى ما جاء فى « سفر التكوين » الفصل الحادى والعشرون فقرة ١١ .

والاحتكار . ولا يحل مال أحد أو دمه بغير حق ، يستوى فى ذلك القريب والبعيد ، والعدو والصديق

يقول الله ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٧) .

وإهمال هذا المبدأ هو من أهم أسباب المنازعات والمشاكل فى عالمنا المعاصر .

والمشاهد الآن أن الأقوياء يريدون أن يحكموا العالم بالقوة لا بالعدل ، متوهمين أن القوة ستدوم لهم ، ومتجاهلين عبرة التـاريخ : (لو دامت لغيرهم ما آلت إليهم) .

ثالثاً : **لا إكراه فى الدين** مبدأ يعلنه الإسلام ويطبقه بكل دقة ، وهذا المبدأ يعنى إعلان حرية الاعتقاد حقيقة بلا تلاعب فيما تعتنقه من دين ؛ وأن لا يُحَوَّل أحد عن دينه بالقوة أو بالحيلة والمكر والخديعة .

وقد التزم المسلمون بهذا المبدأ التزاماً تاماً ، ولم يعرف التاريخ حالة واحدة أكره فيها أحد الناس على الدخول فى الإسلام بغير طريق الحجة والإقناع .

رابعاً : يعرض الإسلام على الناس جميعاً ــ وبخاصة أهل الكتاب ــ أن يتجه الكل إلى الله الخالق وحده ، وأن يكونوا معا عبيداً خاضعين لسلطانه وحده ، وأن لا يخضع بعض الناس لبعض ، فليس مقبولًا أن يؤله بعض المخلوقين نفسه ليتسلط على خلق الله ، كما أنه ليس مقبولًا أن يؤله بعض الناس أحداً أو شيئاً من خلق الله يخضعون له من دون الله ، أو ويعبدونه مع الله .

وإذا رفض البعض قبول هذا المبدأ الأخير فليس معنى هذا أن الإسلام سيتخلى عن دعوته للأخوة الإنسانية والعدل والسلام ، وإنما ــ فقط ــ سيطلب من هؤلاء الرافضين أن يتركوا المسلمين وما اختاروه من الاستسلام لأمر الله وحده ومن الخضوع لسلطانه وحده ، وأن يسلموا بحق المسلمين فى أن يكونوا مسلمين كما اختاروا .

يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٨) .

هذا هو الحل الإسلامى المتكامل الذى سبق تطبيقه بنجاح منقطع النظير ، يحول دون تطبيقه اليوم القوى المعادية للسلام عملياً وسلوكياً .

لكننى واثق أن هذا الحل سيطبق فى المستقبل لإيمانى الكامل بأن المستقبل بيد الله وحده ؛ وليس بيد أحد من خلقه ، ولإيمانى الكامل بأن الأوضاع القائمة فى العالم اليوم لا ترضى الله ، وأى شىء لا يرضى عنه الله يوشك أن يغيره بعد أن يهىء الأسباب لذلك ، والله على كل شىء قدير .

وهو الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

أخيراً أسأل الله لى ولكم الهداية والتوفيق .

---

(٧) المائدة : ٨ .

(٨) آل عمران : ٦٤ .

إنبعاث الحياة الإسلامية

في جمهوريات آسيا الوسطى

د. عبد الله نجيب محمد

سقوط الحضارات والأمم سنة من سنن التاريخ المعروفة ، بل هى عبرة التاريخ من قديم الزمان ، فكما أن للإنسان عمرا لايتعداه ، كذلك الحضارات البشرية ، تطول أو تقصر ، ولكن مآلها إلى الضعف والانحلال .

وصراع الحضارات فيما بينها ظاهرة أخرى ملازمة لصعودها وهبوطها . وهى تمثل السباق البشرى فى ميدان العطاء الفكرى والعلمى فى كل جوانبه ، كما تمثل التراجع أو السقوط الأخلاقى والسلوكى فى جوانبه السلبية .

وسقوط الشيوعية ماهو الا أحد مصاديق الحياة الحضارية التى تستحق الدراسة العميقة ؛ لما فيها من انعكـــــاسات كبرى على تاريخ الإنسانية ، وكان من أسبابها ـ وليست كلها ـ تصاعد المد الإسلامى على المستوى الدولى ، وبدء فترة جديدة ، يطرح فيها البديل الفكرى الإسلامى وهذا البديل ، وان كان من منظور القوى الكبرى فى عالم اليوم مهددا لمصالحها إلا أنه فى حقيقته البديل الصادق والعادل للوضع العالمى المتردى بما فيه من توتر وصراع ومادية طاغية ، واستغراق فى التوهم والتفوق العنصرى البغيض ، والذى لايؤدى إلا إلى مظالم تنعكس على كل الشعوب والأفراد .

إن المسلمين قد طرحوا ومازالوا يطرحـون الإسلام بديلًا حضارياً للنظام الغربى الليبرالى والشيوعى ، ويركز المفكـرون المسلمـون على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، وإن كان بعضهم يكتفى بترديد هذه القناعة دون ارتباط عملى بقضايا الحكـم والسيـاسة والعلاقـــات البشرية ، إلا أن المشروع الإسلامى فى جوهره ومقاصده يحقق الكثير للبشرية وعلى رأس ذلك بالطبع : المساواة والعدالة بين الأفراد والشعوب والتأكيد على النموذج حياتى ليس مادياً صرفا بهذه الصورة فى عالم اليوم .

وقد نتج عن انهيار الشيوعية . قيام عدد من الجمهوريات الإسلامية الجديدة التى عاصرت أيديولوجيتها ، وعاشت مشكلاتها كما عانت من صراعها مع الليبرالية الغربية أجيالا ، وهـم لم يتخلوا عن هويتهم وجذورهم الثقافية . بل لعلهم صقلوا صقلا جديداً ، وامتحنوا امتحانا قاسيا ، والسؤال المطروح الآن هو : ماذا ننتظر من هؤلاء المسلمين وماذا نتوقع لهم ؟ هذا هو السؤال الذى نحاول الاجابة عليه ، وسوف نلقى نظرة على التقارير السياسية والصحفية لنرى ماذا يقولون ؟ وماذا يتوقعون ؟

اتجهت أنظار العالم نحو الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتى امنهار فى الفترة الأخيرة ، وتحولت أنظار الدوائر السياسيـــة والثقافية تجول هنا وهناك ، فى محاولة جادة نشطة للبحث عن أحوال المسلمين واتجاهاتهم ، ونظرتهم الجديدة إلى المستقبل ، وفى هذا المقال نتابع بعض مانشرته هذه الدوائر محاولين استخلاص النتائج التى توصلوا إليها .

تقول صحيفة «دى ولت» الألمانية : «حينما يتهاوى المنجل والمطرقة فى أنحاء الاتحاد السوفيتى ، يرتفع بدلا منها الهلال رمز المسلمين .. ويتنادى المسلمـون فى الجمهوريـات الإسلاميـة الست بالعـودة إلى جذورهـم وأصولهم المؤسسة على الثقافة الإسلامية ، وتزدهر اللغة العربية ، ويقرأ القرآن من جديد فى المساجد ، ويرتفع الأذان من فوق المآذن : أن لاإله إلا الله محمد رسول الله .

والجمهوريات الست هي :

١ ـ أذربيجان وعاصمتها «باكو» ورئيسها «إياز مطلبوف» وهـذه الجمهوريـة كانت قد انفصلت عن العالم الإسلامى وضمت إلى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٢ م وأصبحت إحـــدى جمهورياته عام ١٩٣٦ ، ويقدر عدد سكـانها بنحـــو ٧ ملايين أكثر من ٨٠٪ منهم من الآذربيجانيين ، وهى غنية بالنفط ، وتحاول هذه الجمهورية المستقلة أن تشق طريقها نحو العالم الإسلامى ، فتمد يدها من جهة إلى إيران ويدها

الأخرى إلى تركيا ، ويعمل أهلها بكل سبيل على استعادة هويتهم وثقافتهم ، ودعم علاقاتهم بكل دول العالم الإسلامي .

٢ ـ والجمهورية الثانية هي « كازاخستان » أو (قازاقستان) وعاصمتها « ألما آتا » ، وهي أكبر الجمهوريات الست مساحة وسكانا ، ويرأسها « نور سلطان نزار بايف » وهي من أوائل الجمهوريات التي ضمت للاتحاد السوفيتي وأعلنت استقلالها عام ١٩٩٠ ويمثل القوزاق نحو ٤٠٪ من السكان ، البالغ عددهم ١٧ مليون نسمة ، وهذه الجمهورية مشهورة بانتاج القطن ولها علاقات قوية بجيرانها من الدول الإسلامية .

٣ ـ تركمانستان (تركستان أو تركمانيا) : وقد ضمت إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٤ وأصبحت إحدى جمهورياته عام ١٩٢٥ ، وعاصمتها « عشق آباد » وهي في جملتها صحراوية ورئيسها « سيبار مراد نيازوف » وقد أعلنت استقلالها في أغسطس ١٩٩٠ وهي غنية بالغاز الطبيعي والقطن ، ويقدر عدد سكانها بنحو ٣,٦ مليون نسمة ، ومنهم ٧٢٪ من التركمان .

وهذه الجمهورية تتبع سياسة هادئة متأنية في علاقاتها بجيرانها من الدول الإسلامية .

٤ ـ أوزبكستان : وعاصمتها طشقند ، وهي حدى البلاد ذات التاريخ الإسلامي العريق ، و ئيسها « إسماعيل كريموف » ويمثل الأوزبك نحو ٧١٪ من سكانها البالغ عددهم ٢٠ مليون نسمة . وكانت قد ضمت إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٤ ، وأصبحت أحدى جمهورياته عام ١٩٢٥ ، واستقلت حديثاً ، والاوزبك عموماً كان لهم دور مهم في تاريخ المسلمين الحديث ، وقد أدى الصراع بينهم وبين الشاه إسماعيل الصفوى حاكم إيران في القرن السادس عشر إلى اضعافهم ، مما مكن الروس من الاستيلاء على بلادهم .

٥ ـ تاجيكستان : وعاصمتها « دوشنبه » وهي جمهورية جبلية ، ويرأسها « قهار محاكموف » وهذه البلاد كانت قد خضعت فترة من الزمان لإيران ، وفترة أخرى لأفغانستان ، وضمها الشيوعيون عام ١٩٢٩ ، ويبلغ عدد سكانها نحوا من خمسة ملايين نسمة يمثل التاجيك ٦٢٪ منهم . وأعلنت استقلالها في أغسطس ١٩٩٠ وسكانها تختلط فيهم الدماء العربية بالفارسية والتركية ، وعلاقتها قوية بايران .

٦ ـ قرغيزستان : (أوقيرغيريا) وعاصمتها « بيشيك » (فروتزه) ويرأسها « عسكر أكايف » ويقدر عدد سكانها بنحو ٤,٤ مليون نسمة ، يمثل القيرغيز ٥٢٪ من عددها ، ضمت للاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٦ وأعلنت استقلالها مؤخرا .

كذلك ، فعلاوة على هذه الجمهوريات ، فإن أهالي « تشينشينيا انيغوش » يطالبون بالحكم الذاتي والاستقلال عن موسكو ويصرون على حماية ثرواتهم المنجمية ومنها النفط من أي استغلال خارجي ، كما يطالب التتار والباشكير في قلب روسيا ذاتها ، وعلى ساحل نهر الفولجا بالاستقلال ، بينما يطالب أهالي استارخان الذين يقطنون شمال بحر الخزر بالاعتراف بحقوقهم الخاصة ، مما جعل الأقليات الروسية والسلافية تهم بالنزوح عن هذه المناطق .

ويتضح من التقارير الصحفية التي تتابع أحوال المسلمين في وسط آسيا أن انتفاضة الشعب في « تشينشينيا اينغوش لن تتوقف حتى يحصل على الحكم الذاتي ، كذلك تشتد الثورة في منطقة

داغستان وتتفجر حركة استقلالية كذلك فى أوستياى الجنوبية وهى ذات أغلبية مسلمة ، وتتبع الآن «جورجيا» وهى تطالب متضامنة مع اوستياى الشمالية بتشكيل مقاطعة مستقلة ، ويحاول «جمسيا خورديا» باستخدام القوة أن يحول دون تحقيق هذه الغاية كما يواجه فى نفس الوقت ثورة أهالى مدينة «أبخازى» التى كان ستالين قد أهداها إلى جورجيا مسقط رأسه ، مما يعتبره الأبخازيون مهيناً لكرامتهم ، ويمثل الأذربيجانيون نحو ٦٪ من مجموع سكان جورجيا البالغ عددهم نحوا من ٥,٥ مليون نسمة .

وتقول «دى ولت» : إن اتصال روسيا بالبحر الأسود قد أنقطع تماما ، ولن يطول الوقت حتى ينقطع اتصالها كذلك ببحر الخزر ، وذلك كنتيجة مباشرة لاستقلال «أوكرانيا» وكان خروشوف ـ رغبة منه فى تأكيد هيمنة الروس على البحر الأسود ـ قد أضاف جزيرة كريمة المسلمة إلى أوكرانيا عام ١٩٥٦ م .

اضافة إلى ما ذكر ، فإن المسلمين يمثلون نحو ٣٪ من سكان أرمينيا ، البالغ عددهم نحوا من ٣,٥ مليون نسمة ، كما أن عددا آخر من المسلمين ينتشر فى باقى الجمهوريات المنفكة عن الاتحاد السوفيتى ، حتى فى قلب أوروبا ، وأن هؤلاء لهم صلاتهم الوثيقة بمسلمى يوغسلافيا وبلغاريا .

هذه فكرة عامة عن أحوال المسلمين السياسية ، أما التحول إلى الإسلام والجذور الثقافية الإسلامية ، فقد كتبت عنه «اللومند الفرنسية» متحدثة عن الأوضاع فى الجمهوريات الآسيوية قائلة : «إن الأغلبية الساحقة فى الجمهوريات الإسلامية الآسيوية ترى فى الاستقلال عودة إلى الهوية الإسلامية ، وأضافت أن الموجة الإسلامية ، وبعث الحياة الدينية من جديد هما الطاقة الأصيلة للقدرة السياسية فى هذه المناطق فقد أستأنفت المساجد مرة أخرى نشاطها ، حيث تنتظم صفوف دراسة القرآن الكريم واللغة العربية بصورة مكثفة» .

وتبحث جماهير هذه الجمهوريات عن معالم هويتها المستقلة فى الدين الإسلامى واللغة العربية واللغات القومية التى يعيدون كتابتها بالحروف العربية ، وكذلك فى العادات والتقاليد الإسلامية الأصيلة ، وتتعامل مع تراثها الإسلامى على أنه ينبوع تاريخها الحقيقى المتأصل فى تربتها الثقافية . وهى ترى إن إقامة حكومة إسلامية أصبح من المسلمات المنطقية التى يجب ألا تعوقها العوائق ، مهما كانت .

أما صحيفة «ديلى كورانتى» السوفيتية الناطقة بلسان المجلس الليبرالى لمدينة «موسكو» فقد قالت : «إن قادة الجمهوريات الآسيوية يصغون باهتمام بالغ لكل مايصدر عن الجمهوريات الإسلامية فى إيران ، وكل ماتبثه اذاعة باكستان ، وأضافت أن عامل الإسلام مهم للغاية ، وسوف تتحسسه قريباً» .

وتجمع الصحف الغربية والشرقية سواء بسواء على أن استقلال الجمهوريات الإسلامية ، وانبعاث الإسلام فيها من جديد بهذه الصورة .

يعد إضافة جديدة وهامة للإسلام والمسلمين ، ويتوقع كثير من الخبراء السياسيين أن يتزايد دور المسلمين فى عالم المستقبل ويدعو بعضهم إلى اعادة النظر فى التعامل مع المسلمين ، واتباع أسلوب جديد ، ومنطق جديد ، يأخذ فى حسبانه أن الإسلام سوف يزدهر وأن الحضارة الإسلامية سوف تحتل مكانتها فى عالم المستقبل .

أثر تغير قيمة النقود

فى الحقوق والالتزامات

للدكتور/ على السالوس

- ٣ -

(المطلب الرابع أقوال الحنفية)

قال المرغيانى فى الهداية :

ولو استقرض فلوساً فكسدت عند أبى حنيفة - رحمه الله - يجب عليه مثلها لأنه إعارة ، وموجبة رد العين : معنى ، والثمنية فضل فيه ، إذ القرض لا يختص به . وعندهما تجب قيمتها ، لأنه لما بطل وصف الثمنية تعذر ردها كما قبض فيجب رد قيمتها ، كما إذا استقرض مثلياً فانقطع . لكن عند أبى يوسف رحمه الله يوم القبض ، وعند محمد رحمه الله يوم الكساد على ما مر من قبل . وأصل الاختلاف فيمن غصب مثلياً فانقطع . وقول محمد رحمه الله أنظر للجانبين ، وقول أبى يوسف أيسر[١] .

وقال ابن الهمام فى فتح القدير شارحاً ما سبق[٢] .

(قوله ولو استقرض فلوساً فكسدت عند أبى حنيفة - رحمه الله - يرد مثلها) عدداً ، اتفقت الروايات عنه بذلك ، وأما إذا استقرض دارهم غالبة الغش فقال أبو يوسف فى قياس قول أبى حنيفة عليه مثلها ، ولست أروى ذلك عنه ، ولكن الرواية فى الفلوس إذا أقرضها ثم كسدت . وقال أبو يوسف : عليه قيمتها من الذهب يوم القرض فى الفلوس والدراهم . وقال محمد : عليه قيمتها فى آخر وقت إنفاقها . وجاء قوله (لأنه) أى القرض (إعارة وموجبة) أى موجب عقد الإعارة (رد العين) إذ لو كان استبدالًا حقيقة موجباً لرد المثل استلزم الربا للنسيئة ، فكان موجباً

(١) انظر الهداية (٦/٢٧٨- ٢٧٩) مع شروحه : العناية وفتح القدير والكفاة .

(٢) الكتاب المذكور ٦/٢٧٨ : ٢٨٠ .

رد العين ، إلا أن ما تضمنه هذا العقد لما كان تمليك المنفعة بالاستهلاك مع بقاء العين لزم تضمنه لتمليك العين ، فالبضرورة اكتفى برد العين معنى وذلك برد المثل ، ولذا يجبر المغصوب منه على قبول المثل إذا أتى به الغاصب فى غصب المثلى بلا انقطاع ، مع أن موجب الغصب رد العين ، وذلك حاصل بالكاسد (والثمنيـــة فضل فى القرض) غير لازم فيه ، ولذا يجوز استقراضها بعد الكساد ، وكذا يجوز استقراض كل مثلى وعددى متقارب ولا ثمنية . (ولهما أنه لما بطل وصف الثمنية تعذر ردها كما قبضها فيجب رد قيمتها) وهذا لأن القرض وإن لم يقتض وصف الثمنية لا يقتضى سقوط اعتبارها إذا كان المقبوض قرضاً موصوفاً بها ، لأن الأوصاف معتبرة فى الديون ، لأنها تعرف بها بخلاف الأعيان المشار إليها وصفها لغو لأنها تعرف بذواتها . وتأخير دليلهما بحسب عادة (المصنف) ظاهر فى اختياره قولهما . (ثم أصل الاختلاف) فى وقت الضمان اختلافهما (فيمن غصب مثلياً فانقطع وجبت القيمة عند أبى يوسف يوم الغصب وعند محمد يوم القضاء) وقولهما أنظر للمقرض من قول أبى حنيفة ، لأن فى رد المثل إضراراً به ، ثم قول أبى يوسف أنظر له أيضاً من قول محمد ، لأن قيمته يوم القرض أكثر من قيمته يوم الانقطاع (فكان قول محمد أنظر) للمستقرض من قول أبى يوسف (وقول أبى يوسف أيسر) لأن القيمة يوم القبض معلومة ظاهرة لا يختلف فيها ، بخلاف ضبط وقت الانقطاع فإنه عسر ، فكان قول أبى يوسف أيسر فى ذلك .

وقال صاحب الكفاية (٦/٢٧٩ ـ ٢٨٠) :

قولـــه : (وأصل الاختـــلاف) أى أصل الاختلاف بين أبى يوسف ومحمد رحمهما الله ، وإنما قيدنا به لأنه بنى هذا الاختلاف على الاختلاف فى غصب المثلى كالرطب مثلا ، وفيه كان الاختلاف بينهما نظير الاختلاف الذى نحن فيه ، كذا فى النهاية . وفى فوائد الخبازى : وأصل الاختلاف فيمن غصب مثلياً فانقطع ، إلا أن هناك تعتبر القيمة يوم الخصومة عند أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ وهنا لا يقول به ، لأن إيجاب قيمتها من الفضة يوم الخصومة لا يفسد ، لأن قيمتها كاسدة وعينها سواء ، بل إيجاب العين كاسدة أعدل من قيمتها كاسدة ، فأوجب مثلها كاسدة . وعندهما لما وجب اعتبار قيمتها رائجة إما يوم القبض أو آخر يوم كانت رائجة فيه فكسدت ، كان إيجاب قيمتها من الفضة أولى من إيجاب عينها كاسدة كما فى المبسوط . وقول محمد رحمه الله أنظر فى حق المقرض بالنظر إلى قول أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ وكذا فى حق المستقرض بالنسبة إلى قول أبى يوسف ـ رحمه الله ـ وفى فتاوى قاضيخان ـ رحمه الله ـ قال محمد ـ رحمة الله عليه ـ: قيمتها فى آخر يوم كانت رائجة ، وعليه الفتوى . وقول أبى يوسف ـ رحمه الله ـ أيسر ، أى للمفتى أو القاضى ، لأن قيمته يوم القبض معلومة ، ويوم الانقطاع لا يعرف إلا بحرج .

وقال صاحب العناية (٦/٢٧٩ ـ ٢٨٠) :

ولاشك أن قيمة يوم القبض أكثر من قيمة يوم الانقطاع ، وهو ضرر بالمستقرض ، فكان قول محمد أنظر للجانبين (وقول أبى يوسف أيسر) لأن قيمته يوم القبض معلومة للمقرض والمستقرض وسائر الناس ، وقيمة يوم الانقطاع تشتبه على الناس ويختلفون فيها فكان قوله أيسر .

هذا ما جاء فى الهداية ، وشروحه الثلاثة .

وهو يتعلق بحالة الكساد والانقطاع . غير أن العلامة ابن عابدين أغنانا عن الرجوع إلى كثير من كتب الحنفية ببحثه القيم «تنبيه الرقود على مسائل النقود» . قال فى البداية : هذه الرسالة سميتها تنبيه الرقود على مسائل النقود ، من رخص وغلاء وكساد وانقطاع . جمعت فيها ما وقفت عليه من كلام أئمتنا ذوى الارتقاء والارتفاع ، ضاماً إلى ذلك مايستحسنه ذوو الإصغاء والاستماع .. إلخ . ورسالة ابن عابدين تقع فى عشر صفحات ، والكتب التى جمع منها فيها المتفق عليه والمختلف فيه ، وفى بعضها ما يعارض بعضها الآخر . ورأينا من ينقل بعض ما ذكره ابن عابدين منسوباً لأصحابه دون النظر إلى ما ذكره فى موضع آخر معارضاً الرأى الأول ، بل أخذ أحد الرأيين على أنه المذهب الحنفى .

لذلك رأيت أن أبين خلاصة ما جاء فى الرسالة كلها .

بعد أن انتهى ابن عابدين من التعريف برسالته بدأها بما يأتى : قال فى (الولواجية) فى الفصل الخامس من كتاب (البيوع) :

رجل اشترى ثوباً بدراهم نقد البلدة ، فلم ينقدها حتى تغيرت فهذا على وجهين : إن كانت تلك الدراهم لا تروج اليوم فى السوق أصلًا فسد البيع ، لأنه هلك الثمن ، وإن كانت تروج لكن انتقضت قيمتها لا يفسد لأنه لم يهلك ، وليس إلا ذلك ، وإن انقطع بحيث لا يقدر عليها فعليه قيمتها فى آخر يوم انقطع من الذهب والفضة هو المختار . ونظير هذا ما نص فى كتاب (الصرف) : إذا اشترى شيئاً بالفلوس ، ثم كسدت قبل القبض بطل الشراء يعنى فسد ، ولو رجعت لا يفسد . ا.هـ.

وفى جواهر الفتاوى قال القاضى الإمام الزاهدى أبو نصر الحسين بن على : إذا باع شيئاً بنقد معلوم ثم كسد النقد قبل قبض الثمن فإنه يفسد البيع ، ثم ينتظر إن كان المبيع قائماً فى يد المشترى يجب رده عليه ، وإن كان خرج من ملكه بوجه من الوجوه أو اتصل بزيادة بصنع من المشترى ، أو أحدث فيه صنعة متقومة مثل إن كان ثوباً فخاطه ، أو دخل فى حيز الاسهلاك وتبدلَ الجنس مثل إن كان حنطة فطحنها ، أو سمسماً فعصره ، أو وسمة[3] فضربها نيلًا[4] . فإنه يجب عليه رد مثله إن كان من ذوات الأمثال كالمكيل ، والموزون ، والعددى الذى لا يتفاوت كالجوز ، والبيض ، وإن كان من ذوات القيم كالثوب والحيوان فإنه يجب قيمة المبيع يوم القبض من نقد كان موجوداً وقت البيع لم يكسد . ولو كان مكان البيع إجازة فإنه تبطل الإجازة ويجب على المستأجر أجر المثل ، وإن كان قرضاً أو مهراً يجب رد مثله . هذا كله قول أبى حنيفة . وقال أبو يوسف : يجب عليه قيمة النقد الذى وقع عليه العقد من النقد الآخر يوم التعامل . وقال محمد : يجب آخر ما انقطع من أيدى الناس . قال القاضى : الفتوى فى المهر والقرض على قول أبى يوسف ، وفيما سوى ذلك على قول أبى حنيفة. (ا.هـ) انتهى .

وفى الفصل الخامس من (التتارخانية) : إذا اشترى شيئاً بدراهم هى نقد البلد ولم ينقد الدراهم حتى تغيرت فإن كانت تلك الدراهم لا تروج اليوم فى السوق فسد البيع ، وإن كانت

---

(٣) الوسمة : نبات عشبى زراعى للصباغ .

(٤)النيل : مادة للصباغ مستخرجة من النبات.. والصباغ نفسه .

تروج لكن انتقصت قيمتها لا يفسد البيع . وقال فى (الخانية) : لم يكن له إلا ذلك . وعن أبى يوسف : إن له أن يفسخ البيع فى نقصان القيمة أيضاً ، وإن انقطعت تلك الدراهم اليوم كان عليه قيمة الدراهم قبل الانقطاع عند محمد ، وعليه الفتوى . وفى عيون المسائل عدم الرواج إنما يوجب الفساد إذا كان لا يروج فى جميع البلدان ، لأنه حينئذ يصير هالكاً ويبقى المبيع بلا ثمن ، فأما إذا كان لا يروج فى هذه البلدة فقط فلا يفسد البيع ، لأنه لا يهلك ولكنه تعيب ، وكان للبائع الخيار إن شاء قال أعطنى مثل الذى وقع عليه البيع ، وإن شاء أخذ قيمة ذلك دنانير . انتهى .

وكذا فى الفصل الرابع من الذخيرة البرهانية ، والحاصل إما أن لا تروج ، وإما أن تنقطع ، وإما أن تزيد قيمتها أو تنقص : فإذا كانت كاسدة لا تروج يفسد البيع ، وإن انقطعت فعليه قيمتها قبل الانقطاع ، وإن زادت فالبيع عن حاله ولا يتخير المشترى ـ كما سيأتى ـ، وكذا إن انتقصت لا يفسد البيع وليس للبائع غيرها . وما ذكرناه من التفرقة بين الكساد والانقطاع هو المفهوم مما قدمناه .

وذكر العلامة شيخ الإسلام (محمد بن عبدالله الغزى التمرتاشى) فى رسالة سماها بذل المجهود فى مسألة تغير النقود : اعلم أنه إذا اشترى بالدراهم التى غلب غشها أو بالفلوس وكان كل منهما نافقاً حتى جاز البيع لقيام الاصطلاح على الثمنية ولعدم الحاجة إلى الإشارة لالتحاقها بالثمن ، ولم يسلمها المشترى للبائع ثم كسدت بطل البيع ، والانقطاع عن أيدى الناس كالكساد ، وحكم الدراهم كذلك ، فإذا اشترى بالدراهم ثم كسدت ، أو انقطعت بطل البيع ، ويجب على المشترى رد المبيع إن كان قائماً ، ومثله إن كان هالكاً وكان مثلياً ، وإلا فقيمته ، وإن لم يكن مقبوضاً فلا حكم لهذا البيع أصلًا ، وهذا عند الإمام الأعظم . وقالا : لا يبطل البيع ، لأن المتعذر إنما هو التسليم بعد الكساد ، وذلك لا يوجب الفساد لاحتمال الزوال بالرواج كما لو اشترى شيئاً بالرطبة ثم انقطع . وإذا لم يبطل وتعذر تسليمه وجبت قيمته ، لكن عند أبى يوسف يوم البيع وعند محمد يوم الكساد وهو آخر ما تعامل الناس بها . وفى الذخيرة الفتوى على قول أبى يوسف ، وفى المحيط والتتمة والحقائق (على قول) محمد يفتى رفقاً بالناس (٥٨ ـ ٥٩).

وبعد هذا الجزء من رسالته ذكر المراد بالكساد والانقطاع فقال :

<u>الكساد لغة</u> ـ كما فى المصباح ـ من كسد الشىء ، يكسد ، من باب قتل : لم ينفق لقلة الرغبات ، فهو كاسد وكسيد ، يتعدى بالهمزة فيقال : أكسده الله وكسدت السوق فهى كاسدة بغير هاء فى الصحاح وبالهاء فى التهذيب . ويقال أصل الكساد الفساد .

وعند الفقهاء : أن تترك المعاملة بها فى جميع البلاد ، وإن كانت تروج فى بعض البلاد لا يبطل ، لكنه يتعيب إذا لم يرج فى بلدهم ، فيتخير البائع إن شاء أخذه وإن شاء أخذ قيمته ، وحد الانقطاع أن لا يوجد فى السوق وإن كان يوجد فى يد الصيارفة وفى البيوت ، وهكذا فى الهداية . والانقطاع كالكساد كما فى كثير من الكتب ، لكن قال فى المضمرات : فإن انقطع ذلك فعليه من الذهب والفضة قيمته فى آخر يوم انقطع هو المختار . ثم قال فى الذخيرة : الانقطاع أن لا يوجد فى السوق وإن كان يوجد فى يد

الصيارفة وفى البيوت ، وقيل : إذا كان يوجد فى أيدى الصيارفة فليس بمنقطع ، والأول أصح . انتهى . هذه عبارة الغزى فى رسالته (ص ٥٩ ـ ٦٠).

وقال بعد هذا :

« وفى الذخيرة البرهانية بعد كلام طويل : هذا إذا كسدت الدراهم أو الفلوس قبل القبض ، فإما إذا غلت فإن ازدادت قيمتها فالبيع على حاله ولا يتخير المشترى ، وإذا انتقصت قيمتها ورخصت فالبيع على حاله ، ويطالبه بالدراهم بذلك العيار الذى كان وقت البيع .

وفى المنتقى : إذا غلت الفلوس قبل القبض أو رخصت قال أبو يوسف : قولى وقول أبى حنيفة فى ذلك سواء ، وليس له غيرها ، ثم رجع أبو يوسف وقال عليه قيمتها من الدراهم يوم وقع البيع ويوم وقع القبض ، والذى ذكرناه من الجواب فى الكساد فهو الجواب فى الانقطاع . انتهى . (وقوله) يوم وقع البيع أى فى صورة البيع (وقوله) ويوم وقع القبض أى فى صورة القبض كما نبه عليه فى النهر . وبه علم أن فى الانقطاع قولين : الأول فساد البيع كما فى صورة الكساد ، والثانى أنه يجب قيمة المنقطع فى آخر يوم انقطع وهو المختار كما مر عن المضمرات ، وكذا فى الرخص والغلاء قولان أيضاً : الأول ليس له غيرها ، والثانى له قيمتها يوم البيع وعليه الفتوى كما يأتى . وقال العلامة الغزى عقب ما قدمناه : عند هذا إذا كسدت أو انقطعت . أما إذا غلت قيمتها أو انقطعت فالبيع على حاله ، ولا يتخير المشترى ، ويطالب بالنقد بذلك العيار الذى كان وقت البيع . كذا فى فتح القدير . وفى البزازية معزياً إلى المنتقى : غلت الفلوس أو رخصت ، فعند الإمام الأول والثانى أولا : ليس عليه غيرها ، وقال الثانى ثانياً : عليه قيمتها من الدراهم يوم البيع والقبض ، وعليه الفتوى ، وهكذا فى الذخيرة والخلاصة بالعزو إلى المنتقى » (ص ٦٠).

والدراهم التى ورد ذكرها جاء الحديث عنها بعد ذلك حيث قال : « لم تختلف الرواية عن أبى حنيفة فى قرض الفلوس إذا كسدت أن عليه مثلها . قال أبو يوسف : عليه قيمتها من الذهب يوم وقع القرض فى الدراهم التى ذكرت لك أصنافها ، يعنى البخارية والطبرية واليزيدية . وقال محمد : قيمتها فى آخر نفاقها . قال القدورى : وإذا ثبت من قول أبى حنيفة فى قرض الفلوس ما ذكرنا ، فالدراهم البخارية فلوس على صفة مخصوصة ، والطبرية واليزيدية هى التى غلب الغش عليها فتجرى مجرى الفلوس ، فلذلك قاسها أبو يوسف على الفلوس » (ص ٦٢) .

وما ذكره ابن عابدين من أن الرخص والغلاء فيه قولان جاء ما يعارضه ، حيث نقل عن مجمع الفتاوى قوله : « لو غلت أو رخصت فعليه رد المثل بالاتفاق » (ص ٦١) .

وقال : قال الإمام الأسبيجابى فى شرح الطحاوى : « وأجمعوا أن الفلوس إذا لم تكسد ولكن غلت قيمتها أو رخصت ، فعليه مثل ما قبض من العدد » (ص ٦٢) .

وأشار إلى مثل هذا فى فتاوى قاضيخان . (انظر ص ٦٠) . وحاول ابن عابدين أن يزيل هذا التعارض فقال :

« (فإن قلت) يشكل على هذا ما ذكر فى مجمع الفتاوى من قوله ولو غلت أو رخصت فعليه رد المثل بالاتفاق . انتهى . (قلت) لا يشكل ، لأن أبا يوسف كان يقول أولا بمقالة الإمام ، ثم رجع

عنها ، وقال ثانياً الواجب عليه قيمتها كما نقلناه فيما سبق عن البزازية ، وصاحب الخلاصة والذخيرة ، فحكاية الاتفاق بناء على موافقته للإمام أولًا كما لا يخفى والله تعالى أعلم» (ص ٦١) .

وقال فى موضع آخر (ص ٦٣ - ٦٤) .

بقى الكلام فيما إذا نقصت قيمتها فهل للمستقرض رد مثلها وكذا المشترى أو قيمتها ؟

لا شك أن عند أبى حنيفة يجب رد مثلها ، وأما على قولهما فقياس ما ذكروا فى الفلوس أنه يجب قيمتها من الذهب يوم القبض عند أبى يوسف ويوم الكساد عند محمد ، والمحل محتاج إلى (التحرير) . ا.هـ (وفى) حمله الدراهم - فى كلام البحر - على التى لم يغلب غشها نظر ظاهر ، إذ ليس المراد إلا الغالبية الغش كما قدمناه وصرح به شراح الهداية وغيرهم (والذى) يغلب على الظن ويميل إليه القلب أن الدراهم المغلوبة الغش أو الخالصة إذا غلت أو رخصت لا يفسد البيع قطعاً ، ولا يجب إلا ما وقع عليه العقد من النوع المذكور فيه ، فإنهما أثمان عرفا وخلقة ، والغش المغلوب كالعدم ، ولا يجرى فى ذلك خلاف أبى يوسف . على أنه ذكر بعض الفضلاء أن خلاف أبى يوسف فى مسألة ما إذا غلت أو رخصت إنما هو فى الفلوس فقط ، وأما الدراهم التى غلب غشها فلا خلاف له فيها (وبهذا) يحصل التوفيق بين حكاية الخلاف تارة والإجماع تارة أخرى ، وهذا أحسن مما قدمناه عن الغزى ، ويدل عليه عبارتهم بحيث كان الواجب ما وقع عليه العقد فى الدراهم التى غلب غشها إجماعاً فما فى الخلاصة ونحوها أولى ، وهذا ما نقله السيد محمد أبو السعود فى حاشية (منلا مسكين) عن شيخه ، ونص عبارته : قيد بالكساد لأنها لو نقصت قيمتها قبل القبض فالبيع على حاله بالإجماع ، ولا يتخير البائع وكذا لو غلت وازدادت ولا يتخير المشترى .

وفى الخلاصة والبزازية : غلت الفلوس أو رخصت فعند الإمام الأول والثانى أولًا : ليس عليه غيرها وقال الثانى ثانياً : عليه قيمتها يوم البيع والقبض وعليه الفتوى انتهى . أى يوم البيع فى البيع ويوم القبض فى القرض كذا فى النهر (واعلم) أن الضمير فى قوله قيد بالكساد ، يعود على الدراهم التى غلب غشها ، وحينئذ فما ذكره مما يقتضى لزوم المثل بالإجماع بعد الغلاء والرخص حيث قال فالبيع على حاله بالإجماع ؛ ولا يتخير البائع إلخ لا ينافى حكاية الخلاف عن الخلاصة والبزازية فيما إذا غلت الفلوس أو رخصت هل يلزمه القيمة أو ليس عليه غيرها . هذا حاصل ما أشار إليه شيخنا من التوفيق . قال شيخنا : وإذا علم الحكم فى الثمن الذى غلب غشه إذا نقصت قيمته قبل القبض كان الحكم معلوماً بالأولى فى الثمن الذى غلب جيده على غشه إذا نقصت قيمته لا يتخير البائع بالإجماع ، فلا يكون له سواه ، وكذا لو غلت قيمته لا يتخير المشترى بالإجماع قال : وإياك أن تفهم أن خلاف أبى يوسف جار حتى فى الذهب والفضة كالشريفى البندق والمحمدى والكلب والريال ، فإنه لا يلزم لمن وجب له نوع منها سواه بالإجماع ، فإن ذلك الفهم خطأ صريح ناشىء عن عدم التفرقة بين الفلوس والنقود . انتهى . ما فى الحاشية ، وهو كلام حسن وجيه لا يخفى على فقيه نبيه» . ا.هـ

وبعد هذا أشار ابن عابدين إلى الأخذ بالفتوى عند الاختلاف فى الكساد والانقطاع فقال «وفى الذخيرة الفتوى : على قول أبى يوسف وفى التتمة والمختار والحقائق : بقول محمد يفتى رفقاً بالناس .. إلخ» (انظر ص ٦٤) . ثم ذكر

تنبيها يتعلق بالشراء بنوع مطلق من الأثمان غير مسمى ، ثم ختم رسالته مما يلى :

«ثم اعلم أنه تعدد فى زماننا ورود الأمر السلطانى بتغيير سعر بعض من النقود الرائجة بالنقص ، واختلف الإفتاء فيه ، والذى استقر عليه الحال الآن دفع النوع الذى وقع عليه العقد لو كان معيناً ، كما إذا اشترى سلعة بمائة ريال افرنجى أو مائة ذهب عتيق ، أو دفع أى نوع كان بالقيمة التى كانت وقت العقد إذا لم يعين المتبايعان نوعاً والخيار فيه للدافع كما كان الخيار له وقت العقد ، ولكن الأول ظاهر سواء كان بيعاً أو قرضاً بناء على ما قدمناه ، وأما الثانى فقد حصل بسببه ضرر ظاهر للبائعين ، فإن ما ورد الأمر برخصه متفاوت : فبعض الأنواع جعله أرخص من بعض فيختار المشترى ما هو أكثر رخصاً وأضر للبائع فيدفعه له ، بل تارة يدفع له ما هو أقل رخصاً على حساب ما هو أكثر رخصاً ، فقد ينقص نوع من النقود قرشاً ، ونوع آخر قرشين ، فلا يدفع إلا ما نقص قرشين ، وإذا دفع ما نقص قرشاً للبائع يحسب عليه قرشاً آخر نظراً إلى نقص النوع الآخر ، وهذا مما لاشك فى عدم جوازه . وقد كنت تكلمت مع شيخى الذى هو أعلم أهل زمانه وأفقههم وأورعهم فجزم بعدم تخيير المشترى فى مثل هذا لما علمت من الضرر ، وأنه يفتى بالصلح حيث كان المتعاقدان مطلقى التصرف يصح اصطلاحهما بحيث لا يكون الضرر على شخص واحد ، فإنه وإن كان الخيار للمشترى فى دفع ما شاء وقت العقد وإن امتنع البائع ، لكنه إنما ساغ ذلك لعدم تفاوت الأنواع ، فإذا امتنع البائع عما أراده المشترى يظهر تعنته ، أما فى هذه الصورة فلا ، لأنه ظهر أنه يمتنع عن قصد إضراره .

ولا سيما إذا كان المال مال أيتام أو وقف ، فعدم النظر له بالكلية (مخالف) لما أمر به من اختيار الأنفع له ، فالصلح حينئذ أحوط خصوصاً والمسألة غير منصوص عليها بخصوصها ، فإن المنصوص عليه إنما هو الفلوس والدراهم الغالبة الغش كما علمته مما قدمناه ، فينبغى أن ينظر فى تلك النقود التى رخصت ويدفع من أوسطها نقصاً لا الأقل ولا الأكثر كيلًا يتناهى الضرر على البائع أو على المشترى . وقد بلغنى أن بعض المفتين فى زماننا أفتى بأن تعطى بالسعر الدارج وقت الدفع ، ولم ينظر إلى ما كان وقت العقد أصلًا ، ولا يخفى أن فيه تخصيص الضرر بالمشترى . لايقال ما ذكرته من أن الأولى للصلح فى مثل هذه الحالة مخالف لما قدمته من حاشية أبى السعود من لزوم ما كان وقت العقد بدون تخيير بالإجماع إذا كانت فضة خالصة أو غالبة لأنا نقول ذاك فيما إذا وقع العقد على نوع مخصوص كالريال مثلًا وهذا ظاهر كما قدمناه ولا كلام لنا فيه . وإنما الشبهة فيما تعارفه الناس من الشراء بالقروش ودفع غيرها بالقيمة ، فليس هنا شيء معين حتى تلزمه به سواء غلا أو رخص . ووجه ما أفتى به بعض المفتين كما قدمناه آنفا أن القروش فى زماننا بيان لمقدار الثمن لا لبيان نوعه ولا جنسه ، فإذا باع شخص سلعة بمائة قرش مثلًا ودفع له المشترى بعد الرخص ما صارت قيمته تسعين قرشاً من الريال أو الذهب مثلًا لم يحصل البائع ذلك المقدار الذى قدره ورضى به ثمناً لسلعته ، لكن قد يقال لما كان راضياً وقت العقد بأخذ غير القروش بالقيمة من أى نوع كان ، صار كأن العقد وقع على الأنواع كلها ، فإذا رخصت كان عليه أن يأخذ بذلك العيار الذى كان راضياً به ، وإنما اخترنا الصلح لتفاوت

رخصها وقصد الإضرار كما قلنا ، وفى الحديث : لا ضرر ولا ضرار ، ولو تساوى رخصها لما قلنا إلا بلزوم العيار الذى كان وقت العقد كأن صار مثلاً ما كان قيمته مائة قرش من الريال يساوى تسعين ، وكذا سائر الأنواع ، أما إذا صار ما كان قيمته مائة من نوع يساوى تسعين ومن نوع آخر خمسة وتسعين ومن آخر ثمانية وتسعين فإن ألزمنا البائع بأخذ ما يساوى التسعين بمائة فقد اختص الضرر به . وإن ألزمنا المشترى بدفعه بتسعين اختص الضرر به ، فينبغى وقوع الصلح على الأوسط ، والله تعالى أعلم » .

من أقوال الحنفية السابقة نرى ما يأتى :

١ ـ إجماع أئمتهم على أن ما ثبت فى الذمة من النقود الذهبية أو الفضية يؤدى بمثله دون نظر إلى تغير القيمة .

٢ ـ الخلاف حول الفلوس والدراهم غالبة الغش لا المغلوبة ، والخلاف فيما يجب أداؤه فى ثلاث حالات هى : الكساد والانقطاع وتغير القيمة :

(أ) فيرى الإمام وجوب المثل فى جميع الحالات .

(ب) ويرى أبو يوسف وجوب القيمة يوم ثبوت الحق فى جميع الحالات أيضاً بعد أن كان موافقاً لرأى الإمام فى حالة تغير القيمة .

(جـ) ويرى محمد رأى الإمام عند تغير القيمة ، وفى الحالتين الأخريين يرى وجوب القيمة لكن يوم الكساد أو الانقطاع .

٣ ـ اختلف الحنفية فى الإفتاء .

(أ) فمنهم من ذكر رأى الإمام على أنه إجماع المذهب .

(ب) ومنهم من أفتى برأى أحد الصاحبين .

(جـ) ومنهم من فرق بين الكساد والانقطاع

(د) ومنهم من أخذ برأى الإمام فى بعض الحقوق ، وبرأى غيره فى بعضها الآخر .

٤ ـ ما حدث فى زمان ابن عابدين ـ المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ ـ يبين أن اختلاف الإفتاء كان نتيجة لتفاوت الرخص عند ورود الأمر السلطانى بتغيير سعر بعض من النقود الرائجة بالنقص ، ولذا قيل بالصلح لمنع الضرر عن كل من المتبايعين ، ويرى ألا مبرر للخلاف لو تساوى الرخص ، ولذلك قال : « وإنما اخترنا الصلح لتفاوت رخصها وقصد الإضرار كما قلنا ، وفى الحديث « لا ضرر ولا ضرار » ، ولو تساوى رخصها لما قلنا إلا بلزوم العيار الذى كان وقت العقد .. الخ ».

المطلب الخامس
رأى أهل الظاهر

ذكر بعض الباحثين أن أهل الظاهر يرون رد القرض بقيمته لا بمثله ، ونسبة هذا الرأى لأهل الظاهر فيه نظر .

قال ابن حزم فى المحلى (٤٦٢/٨) .

« ولا يجوز فى القرض إلا رد مثل ما اقترض ، لا من سوى نوعه أصلاً » .

وقال فى موضع آخر (٥٠٩/٩) .

« والربا لا يجوز فى البيع ، والسلم ، إلا فى ستة أشياء فقط : فى التمر ، والقمح ، والشعير ، والملح ، والذهب ، والفضة . هو فى القرض فى كل شىء ، فلا يحل إقراض شىء ليرد إليك أقل ولا أكثر ، ولا من نوع آخر أصلاً ، لكن مثل ما أقرضت فى نوعه ومقداره على ما ذكرنا فى كتاب القرض من ديواننا هذا ، فأغنى عن إعادته ، وهذا إجماع مقطوع به » .

حق الجار على جاره

للأستاذ/ محمد زين العابدين العزازي

قال رسول الله - ﷺ - : (الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذى له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم ، فله حق الجوار وحق الإسلام ، وحق الرحم ، وأما الذى له حقان : فالجار المسلم له حق الجوار ، وحق الإسلام ، وأما الذى له حق واحد ، فالجار : المشرك)

رواه أبو نعيم فى « الحلية » من حديث جابر وابن عدى من حديث عبد الله بن عمر ، الحسن بن سفيان والبزار فى مسنديهما .

قال الله تعالى :

﴿ * وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾

آية ٣٦ ـ سورة النساء

قال الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير فى تفسير هذه الآية « الجار ذى القربى الذى بينك وبينه قرابة ، والجار الجنب الذى ليس بينك وبينه قرابة .

وقال أبو اسحق فى قوله : « والجار ذى القربى يعنى الجار المسلم والجار الجنب يعنى اليهودى والنصرانى » .

رواه ابن جرير وابن أبى حاتم

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا هشام عن حفصة عن أبى العالية عن رجل من الأنصار قال : خرجت من أهلى أريد النبى - ﷺ - فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة .

قال الأنصارى لقد قام رسول الله - ﷺ - حتى جعلت أرثى لرسول الله - ﷺ - من طول القيام ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام قال : (وقد رأيته) قلت نعم ، قال : (أتدرى من هو ؟) قلت : لا ، قال : (ذاك جبريل ما زال يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) ، ثم قال : (أما أنك لو سلمت عليه لرد عليك السلام) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره) .

رواه الترمذى عن أحمد بن محمد عن عبد الله ابن المبارك .

يقول الإمام القرطبى : أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه والقيام بحقه والوصاة برعى ذمته فى كتابه وعلى لسان نبيه ، ألا تراه - سبحانه وتعالى - أكد ذلك فقد ذكره بعد الوالدين والأقربين ، قال تعالى :

﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

أى القريب ، والجار الجنب : أى الغريب . قاله ابن عباس .

وعلى هذا فالوصية بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلما كان أو كافراً ، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه .

وقد روى عن أبى شريح أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن قيل : يا رسول الله ، ومن ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه[1]) .

أكد النبى ــ ﷺ ــ ترك إذَايَتَهُ بقسمه ثلاث مرات ، وأنه لا يؤمن الإيمان الكامل من آذى جاره ، فينبغى للمؤمن أن يحذر أذى جاره ، وينتهى عما نهى الله ورسوله عنه ، ويرغب فيما رضيه الله ورسوله وحض ــ تعالى ــ عليه ورسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليكون من أهل الجنة .

فقد ورد عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رجل : يا رسول الله ، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال : (هى فى النار) ، قال : يا رسول الله ، إن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها ، غير أنها تتصدق بالأثوار من الأقط[2] ولا تؤذى جيرانها قال : (هى فى الجنة) رواه الإمام أحمد .

واختلف الناس فى حد الجيرة . فكان الأوزاعى يقول : « أربعون دارا من كل ناحية » .

وروى أن رجلا جاء إلى النبى ــ ﷺ ــ فقال : (إنى نزلت محلة قوم ، وإن أقربهم إلى جوارا أشدهم إلى أذى ، فبعث النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أبا بكر وعمر وعلياً يصيحون على أبواب المساجد ألا إن أربعين داراً جار ، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) .

فالواجب على المسلم أن يرعى حقوق جيرانه فى الحدود التى رسمها رسولنا الكريم ــ ﷺ ــ فقد جاء رجل إلى النبى ــ عليه السلام ــ يشكو جاره فقال له النبى ﷺ : (أصبر) ، ثم قال له فى الثالثة أو الرابعة : (اطرح متاعك فى الطريق) قال : فجعل الناس يمرون به ، ويقولون : مالك ؟ فيقال : آذاه جاره ، قال : فجعلوا يقولون : لعنه الله ، فجاء جاره فقال له : (رد متاعك فوالله لا أعود) .

رواه أبو داود وابن حبان والحاكم .

وقد روى البخارى عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : يا رسول الله ، إن لى جارين ، فإلى أيهما أهدى قال : (إلى أقربهما منك بابا) فذهب جماعة من العلماء إلى أن هذا الحديث يفسر المراد من قوله تعالى : ﴿ **والجار ذى القربى** ﴾ .

ومن إكرام الجار ما رواه أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) .

رواه البخارى ومسلم .

والمراد من ذلك كمال الإيمان أو المبالغة .

وما رواه مسلم عن أبى ذر قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك) فحث ــ عليه السلام ــ على مكارم الأخلاق لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة

(١) بوائق : شرور وأذاه .

(٢) الثوار الأقط : القطعة من مخيض اللبن .

والمفسدة ، فإن الجار قد يتأذى بقُتَارِ[٣] قدر جاره ، وربما تكون له ذرية فتهيج من ضعفائهم الشهوة ، ويعظم على القائم عليهم الألم والكلفة وهذا يندفع بتشريكهم فى شىء من الطبيخ يدفع إليهم ، ولهذا المعنى خص ـ عليه السلام ـ الجار القريب بالهدية ، لأنه ينظر إلى ما يدخل دار جاره وما يخرج منها ، فإذا رأى ذلك أحب أن يشارك فيه ، وأيضاً فإنه أسرع إجابة لجاره عندما ينوبه من حاجة .

وما أحسن قول القائل :

قِدْرى وقِـــدْرُ الجار واحـــدةٌ

وإليـــه قبلى ترفـــع القـــدر

ولا يهدى النزر اليسير المحتقر لقوله ـ عليه السلام ـ: (ثم انظر أهل بيت من جيرانك ؛ فأصبهم منها بمعروف) ، أى بشىء يهدى منها عُرْفًا ، فإن القليل ـ وإن كان يهدى ـ فقد لا يقع ذلك الموقع ، فلو لم يتيسر إلا القليل . فلْيُهده ولا يحتقره ، على المُهدى إليه قبوله .

لقوله ﷺ : (يانساء المؤمنات ، لاتحقرن إحداكن لجارتها ولو كراع شاه محرقا) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ .

واعلم أن حق الجوار ليس كف الأذى فقط بل احتمال الاذى فإذا كفَّ الجار أذاه ؛ فليس فى ذلك قضاء حق ، ولايكفى احتمال الأذى بل لابد من الرفق به ، وإسداء الخير إليه إذْ يقال : إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة . فيقول : يارب سل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دونى ؟ وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه ، وكان يجلس فى ظل داره فقال : ماقمتُ إذا بحرمة ظل داره إن باعها مُعْدِماً ، فدفع إليه ثمن الدار ، وقال : لاتبعها .

وقد ورد حديث جمع النبى ـ ﷺ ـ فيه مرافق الجار وهو حديث معاذ بن جبل : قلنا يارسول الله ، ماحق الجار ؟

قال :

إن استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير سرك وهنأته ، وإن اصابته مصيبة ساءك وعزيته ، ولاتؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، ولاتستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه ، وإن اشتريت فاكهة فاهدِ له منها ، وإلا فأدخلها سرا لايخرج ولدك بشىء منها يغيظون به ولده ، وهل تفقهون ماأقول لكم ، لن يؤدى حق الجار إلا القليل ممن رحم الله) « رواه الخرائطى عن عمر ابن شعيب عن أبيه عن جده » .

وجملة القول فى حق الجار أن يبدأه بالسلام ولايطيل معه الكلام ، ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ، ويقوم معه فى العزاء ، ويهنئه فى الفرح ، ويصفح عن زلاته ، ولايتطلع من السطح إلى عوراته ، ولايضايقه فى وضع الجذع على جداره ، ولايضيق طريقه إلى الدار ، ولايتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ، ويستر ماينكشف من عوراته ، ولايغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ويغض بصره عن حرمته ، ويتلطف بولده ، ويرشده إلى مايجهله من أمر دينه ودنياه .

وفقنا الله وإياكم إلى مافيه رضاه ، والعمل بكتاب الله ، وسنة رسول الله لنكون من الذين هداهم الله .

(٣) القُتَار : ريح القدر والشواء نحوها .

الفتاوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ عبدالمنعم فوده

السؤال من السيدة/ زينب م. غ :

تقول فيه :

سافرت وتركت توكيلا لشخص ذى ثقة فى إيداع وسحب أموالى من إحدى الشركات ، ثم أرسلت له بسحب جميع أموالى منها ، فامتنع عن التنفيذ وهلكت الشركة المودع فيها الأموال ، فهل يضمن المال الذى هلك والذى كان سببا فى هلاكه ؟ وهل يحق لى أخذ القدر الذى تسبب فى هلاكه من مال هذا الشخص بناءً على التوكيل الذى أعطاه لى بإيداع وسحب أمواله فى أحد البنوك وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد : فنفيد بأنه مادام الوكيل قد خالف أمر موكله وحصلت خسارة بسبب المخالفة كان الوكيل ضامنا لهذه الخسارة ، ولو امتنع عن الدفع كان للوكيل الأخذ من ماله بقدر هذه الخسارة ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال ، والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / حسن حسين حسن (مأذون شرعى)

١ ـ سيدة فوضها زوجها فى تطليق نفسها منه متى شاءت ، وكيفما شاءت ، وبأى عدد شاءت ، هكذا نص فى عقد الزواج على هذا الشرط والسؤال هو : هل يجوز لها أن تطلق نفسها منه طلقة بائنة وهو غائب عن مجلس العقد ؟

٢ – رجل توفيت زوجته ، وقبل انتهاء عدتها أراد أن يتزوج من أختها فهل هذا جائز شرعا ؟

٣ – رجل طلق زوجته وأراد أن يتزوج من بنت أختها فهل يجوز له ذلك ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد .. فنفيد عن الأول بأنه مادام الزوج قد فوض زوجته فى تطليق نفسها متى شاءت ، وكيفما شاءت ، وبأى عدد شاءت ونص على هذا الشرط فى عقد الزواج ، فيجوز لها أن تطلق نفسها طلقة بائنة وهى أن تقول : «أبرأتك يازوجى فلان من مؤخر صداق ، ونفقة عدتى منك وطلقت نفسى منك على ذلك »

فإذا قالت هذا أمام المأذون وجب على المأذون تسجيل ماتقوله وبهذا يقع طلاقها طلقة بائنة بينونة صغرى لاتحل لزوجها إلا بعقد ومهر جديدين ، وبرضاها .

وعن الثانى مادامت الزوجة توفيت وأراد الزوج أن يتزوج من أختها فلا مانع شرعا من زواجه من أختها وليس عليه عدة .

وعن الثالث : نعم يجوز له أن يتزوج من بنت أخت زوجته ، وذلك بعد انتهاء عدة خالتها المطلقة ولايجوز له الجمع بين زوجته وبنت أختها لحديث النبى ﷺ : (لاتنكح المرأة على عمتها ولا خالتها) إلى آخر الحديث

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / ح. ع. فوزى
يقول فيه : هل يقع طلاق المكره ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد : فنفيد بأنه إذا صح ما يدعيه المستفتى أنه أكره على الطلاق ، فإذا ثبت ذلك فلا يقع طلاق المكره ، لحديث النبى ﷺ : (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) على المذاهب الشافعى والمالكى وأحمد بن حنبل

والله تعالى أعلم

السؤال من س. س. من جيبوتى
هل يسقط توزيع الميراث على الورثة الشرعيين بالتقادم ؟
أفيدونا أفادكم الله .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فنفيد :

بأن الميراث لايبطل بالتقادم ، فالوارث يستحق نصيبه بعد موت المورث سواء أخذه فى الحال أم بعد مدة ، ولا يضر طول المدة بين الوفاة وأخذ النصيب ، ولا يسقط الميراث بالتقادم مهما طالت المدة ، فللورثة الحق فى تركة مورثهم ويقتسمونه بينهم بعد ترك ثلث التركة وصية من الميت إذا ثبت وجودها ، وتنفيذ الميراث واجب محتم ، ومنعه ذنب كبير يعاقب من فعله بالنار لأن الله تعالى قال فى ختام آيات المواريث .. (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) النساء ١٣ ، ١٤ .

فليتق الله من منع هذا الميراث ولن ينجيه من عذاب الله قوله : «إن الحق يسقط بالتقادم» فهذا قول باطل .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ ح. ب. المسلم الديانة والإسرائيلى الجنسية

ما حكم الشرع فى انفراد زوجين شرعيين فى غرفة .. هل تعتبر هذه خلوة شرعية ؟

اتخذ حكمان من أهل الزوجة قراراً بالتفريق دون الجلوس مع الزوج لمناقشة حل الخلاف بينه وبين زوجته ، فحكما بطلاق الزوجة طلقة بائنة صغرى وإلزامها بإرجاع ما حصلت عليه من مهر ومصاغ للزوج .

هل يجوز فى هذه الحالة إعطاء الزوجة شهادة بالطلاق تملك بها نفسها دون أن تعيد ماأخذته منه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فنفيد بأن انفراد رجل وأمرأة فى حجرة وليس معهما أخر ، وقد أغلق الباب عليهما يعتبر هذا خلوة شرعية تثبت للمرأة المهر كاملا بإجماع الصحابة على أنه من أرخى ستر أمرأة فقد وجب المهر لها كاملا .

وعن الثانى أن الحكمين إذا كانا من ناحية الزوجة فقط يعتبر حكمهما باطلا لايعتد به وحكمهما لاينفذ لأن الله تعالى يقول :

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) النساء

واتخاذ قريبا الزوجة حكماً بطلاق هذه الزوجة من زوجها دون الجلوس مع الزوج ومناقشته فى أسباب الخلاف والعمل على إزالته من بين الزوجين يعتبر عملا غير شرعى ، فلا يترتب عليه أثار قضائية ، وكون الحكمين يقولان للزوجة : أرجعى ما أخذته من مهر ومصاغ للزوج وأنك بائنة منه كلام باطل لايعتد به .

فلا يجوز أن تعطى هذه المرأة شهادة طلاق ولا تملك نفسها ولا تستطيع أن تتزوج بغيره سواء أعادت ماأخذته أو لم تعده ..

والله تعالى أعلم ،

بيان من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

لقد حرم الإسلام على المسلم أن يرتد عن دينه ، وجاء فى ذلك قوله تعالى :

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ سورة البقرة ..

وتحصل الردة بإنكار ما علم من الدين بالضرورة كالعقائد وأركان الإسلام الأساسية أو بالاستهزاء بها والطعن فى صلاحيتها لتقويم الفكر والسلوك ..

وقرر العلماء أن يستتاب المرتد لمدة فيها آراء متعددة .. فاذا رجع وتاب فيها ، وإلا وجبت عقوبته ، وجاء فى تحديد العقوبة قوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» ولا يمكن لأية عقوبة أن تتم إلا بأمرين ،

أولهما : التأكد من ثبوت الجريمة ، واستقصاء كل ملابساتها والاطمئنان إلى أنه لا توجد أية شبهة فيها ، وذلك بناء على قول النبى ﷺ «ادرءوا الحدود بالشبهات» .

ولا يكون هذا التأكد إلا بمعرفة المسئولين المختصين .. الذين يملكون من الوسائل ما يمكنهم ان يحققوا أركان الجريمة وينفوا الشبهات عنها .

وثانى الأمرين : أن العقوبة إذا وجبت لا يجوز تنفيذها إلا بمعرفة من قاموا بتحقيق أسبابها وهم المسئولون .

ومن هنا لا يجوز لأحد من الناس أن يتهم إنسانا بالردة بدون علم حقيقى بثبوتها ،وحتى لو حصل العلم بثبوتها لا يجوز له أن يوقع العقوبة عليه . فالحدود بالذات لا توكل لأحد من الناس . بل يقوم ولى الأمر بتنفيذها بعد استقصاء كل الاجراءات المطلوبة ، ومن اتهم أحدا بالكفر أو الردة دون علم حقيقى صدق عليه قول الرسول ﷺ : « من قال لأخيه يا كافر باء بها أحدهما فان كان كما قال وإلا رجعت عليه» .

ومن وقع عقوبة حدية بدون إذن من ولى الأمر فقد ارتكب إثما عظيما ، له عقوبته الشديدة فى الآخرة . ويجوز لولى الأمر أن يعاقبه عقوبة تعزيرية ، وذلك منعا للفوضى وإقرارا للأمن ، والنظام والأمن من أهم الأسباب التى تحقق للفرد والمجتمع تمتعه بحقوقه الإنسانية ، وتساعد على رخائه وتقدمه ..

وإن لجنة الفتوى بالأزهر ترى من الواجب عليها أن توضح الحكم الشرعى فيما يجد من مسائل ؛ وضعا للأمور فى نصابها ، وتلافيا لما يحدث من أضرار ، نتيجة الجهل بالأحكام الشرعية ..

وبالله التوفيق .....

الشعر والشعراء

إشراف الأستاذ/ رشاد يوسف

يا إلهىْ

للشاعر: البسيونى قنعان سُليْمان

إذا هجع الخلق والكون نام وعانق طيف السكون الظلام
هنالك بين ضلوع الدجى فؤاد بحبك ـ يارب ـ هام
وإن باح بالسر ديك أمين ولاح من الصبح بعض الجبين
أسرّ الندى لزهور الربُا فهبت تسبح فوق الغصون
وإن أدبرت خطوات المساء وبان مع الفجر ثغر الضياء
تكحل من نوره بلبل فغرد يشكر رب السماء
وإن داعب الطلّ ثغر الورود ورفَّ على الغصن سحر النشيد
سمعت الفراشة قد سبحت تباركت أنت جمال الوجود
وإن زانت الشمس وجه النهار وأصبح لاشىء تحت الستار
رأيت بعينى سجود الربا لبارئها وركوع القفار
وإن مدّ بعد الغروب الهلال حبالا من الضوء تمحو الظلال

رأيــتك فى الضوء ياخالقــى ... تهز بنــورك جنـــح الليـــالى
إلهى وفى كل شىء أراك ... خلقت الوجود وفيــه ضيــاك
وكل الشذا ذرة من شذاك ... وكل السنا ومضة من سنــاك
إلهى وكل اعتمادى علــيك ... فإن كان شرّ هرعت إلــيك
وإن كان خير بسطت يدىَّ ... وأحنــيت رأسى لشكــر يديك
وإن حطم اليأس كلَّ القلاع ... ومــزق عصف الريــاح الشراع
رأيــتك بين دموعــى سنــاً ... فعدت وقد ضاع عنى الضياع
وإن عانق القلب زهر الربيع ... وأضحت أمــانى عطــرا يضوع
رأيت شعــاعك بين المنـــى ... فعجت ، وقد زان قلبى الخشوع
وإن حف دربى كريم الـــدرر ... أو اضحـــى فراشــى حــدَّ الإبــر
سجـــدت لفضلك فى حالتـــىَّ ... فمــنك المزيــد وكشف الضرر
عجبت لمن صار مثل الغريق ... وأنكــر نورك وهـــو الشروق
فيــــاويحه ، أتّساع الطريـــق ... يكون لدى البعض يارب ضيق ؟
وأمسى يسائــل عنك الزمـــان ... ويسأل عنك خفايــا المكـــان ؟
ولـــو نظـــر الغِــرُّ فى كفــه ... أسوى سواك دقيـــق البنـــان ؟
رأيت المصابيــح بين السمــــاء ... تطل على الكون عبر الفضاء
فمــن أودع الضوء فى جوفهــا ... ومن أشعل الضوء حتى أضاء
وقـــــلت لشمس النهار تسير ... من المشرق حينا ، وحينا تحور
تأخرت يوما ؟ فقالت : أفــق ... فإن مدبـــر أمـــرى الخبير
سألت الحديقـــة عن سرهـــا ... وقـــد حَارَ عقلى فى أمرهـــا
فقــالت : ونــفسك ياصاحبـــى ... عرفت ــ بربك ــ ماكنههـــا ؟
فقلت : فمــا بــال شــوك القتــاد ... يشارك فى الغصن زهر الوداد
فقالت : ولــلشر من نفسكــم ... مهــاد ، ولــلخير منها مهــاد
فقلت : فما بال أم الطيــور ... تجوع لتشبـــــع جوع الصغير
فقالت : تباركت رب الحنان ، ... لولا الحنـــان لبـــاد الكـــثير
فقلت : فما بال هذا الغدير ... يسوق الرحيـــق ليحيـــى الصغير
فقـــالت : تراه سوى منحـــة ... ومن السحب ، أو من محيط كبيــر ؟
فيــارب نفسى وعت مايقــال ... ونحىَّ التأمـــــل عنها الضلال
فمـــن لم يجد للسؤال صدى ... فإنى وجـــدت جواب السؤال

الخداع والحرية

للشاعر: رشاد يوسف

قالــــوا أمريكــــا قد أضحت في الأرض «ملاك» الحريـــــة
تتزعـــم أحـــرارَ الدنيـــا وتقـــدس حَقَّ البشريـــه
تتلقـــى القـــادم بالترحـــاب وبـــالأشواق الوُدِّيـــه
وعلى شاطئهـــا تمثـــالٌ بالشعلـــة هادٍ وهديـــه
وسألت الواقـــع من حولي ومعـــارك حَقٍ دوليـــه
وقضايـــا النـــاس ودنياهـــم كم ضاعتْ للحَـــقِّ قضيـــه
كم حُـ كُبِّـــلَ بالأغـــلالِ وديســـت قِيَـــمٌ خُلقيَّـــة
وضميـــرٍ شَوَّهَـــهُ الـــدولار وضاعَتْ ذِمَـــمٌ مَرْعِيّـــه

يامن أغرتهم أمريكا
هذى ألوانُ الحريه

حُرِّيَـــــــــةُ زنجي فيها تتبرأُ منـــــه القَوْمِيَّـــــة
إنسانٌ فكـــرٌ وجـــدانٌ ومشاعـــرُ قَلْبٍ أخويـــه
حَرَمُـــوهُ العَـــيْشَ أذلـــوه نَبَـــذُوُه وراءَ المدنيـــه
أو ليست مأساةُ حَرَّى تلك التفرقـــةُ اللَّوْنيَّـــه ؟
أو ليســـت عنـــوَانَ هـــوانٍ .تلك الأفكـــارُ الحجريـــه ؟

***

حُرِّيَـــةُ لصٍ «بشيكاغـــو» باقٍ من عهـــد الهمجيـــه
قرصـــانٌ يَسْـــرقُ مـــن يلقـــا هُ بكـــلِّ غـــرور العصبيـــة

ويُقَــالُ سلــوكٌ مشروعٌ ووسيلــة كَسْبٍ عَلَنِيَّــه
ويصدر للعــالم رمــزاً لحضارة بلــدٍ عصريــه

***

حريــةُ ماذا هل نَنْسَى صفحــاتِ الأمس المطويــه ؟
هل نَسَى العــالم مافعــلتْ تلك القنبلــةُ الذريــه ؟
ويــلاتُ الحرب تذكرنــا وسطــورُ الحرب الدمويــه
« هيروشيمــا » وجــحيم الــنيران يُشَوِّهُ وَجْــهَ البشريــه
ومآتــمُ قامتْ للإنسانِ لَيَنْعِــى فيها الحريــه

***

حريــةُ طفــلٍ فى « فيتنــام » يَمُــوتُ بَريئــاً وضَحِيَّــهْ
يُلقــى الـطيرانُ له الحلــوى ملْء الأكيــاس الورديــه
ليُحــرك فيــه طفولتــه ليثيــرَ لُعُابــاً وشهيــه
فإذا الحلــوى سُمٌّ يُودى ببَــراءَةِ طفْــل عُذْرِيَّــه
وتموت البسمــات الخضراء وتبقــى الــرُّوحُ الثأريــه

***

حريــة ماذا و« الصُومَــالُ » بجفــن الــعَصرْ بكائيــه
أطفــال ونساء جَوْعَــى يَبْــنَ الأكــواخ الخشبيــه
حشدت أمريكــا حولهمــو ترسانــةَ حَرْبٍ نوويــه
تغتــال ملايين الجوعــى مابين صبــاح وعشيــه
حتــى الأطفــال لأمريكــا أضحــوا أغــراضاً حربيــه

***

« بغــدادُ » أمانــاً يابغــدادُ من الهجمــات الوحشيــه
كم هتكــوا ستــرك يابغــداد وعَاثُــوا باسم الحريــه
قتــلٌ ودمــارٌ وخــرابٌ ثم الأسبــاب الوهميــه
هذى أمريكــا قد نقضت كل الأعــراف الدوليــه
لتحــطِّمَ صَرْحَ عروبتنــا وتــدكَّ بنــاءَ القوميــه

***

يامـــــن أغـــرتهم أمريكـــــا بلـــد الاحـــلام الورديـــــه
يا من سلـــبتهم خير الـــدار وخير الأرض العربيـــــــه
أو بعـــد ضيـــاع الحريـــا ت نصادقُ لِصَّ الحريـــــه
أتموت النخـــوة فى الأعمـــاق ونـــرضى ذلّ التبعيـــه ؟
أننـــام ومـــلء نواظرنـــا مليـــون بلاء وبليـــه ؟
والأرض تئـــن بما تلقـــى والعـــرض مبـــاحٌ وسبيّـــه

***

ياحفنـــة رمـــل من سينـــا ياواحـــة نخل سوريـــه
ياقريـــة شـــط بالأردُنْ نِ تَضُـــمُّ جراحـــاً طبريـــهْ
يامَزجـــاً فيـــه قضيتنـــا تصرخ من قلب البريـــه
ياتـــرب القـــدس ويايافـــا ياكـــلَّ الأرض العربيـــه
ياصرخـــةَ شيـــخ فى الأَطْلالِ ودمعـــة طفـــل فضيـــه
إن طال العهـــد فلا كنـــا أو كانت قيم محميـــــه
فالثـــأر يؤرق نجوانـــا ونزيـــف الأرض الدمويـــه
سنعـــود بكـــل جلال الحق بكـــل قوانـــا الثوريـــه
سنعـــود نطهـــر أرض الله بعَضْبَـــة رُوحٍ عُمَرِيَّـــهْ
وغـــداً وبرغـــمك أمريكـــا سنشيـــد قلاع الحريـــه
ونُجمِّـــعُ شَمْـــلَ عروبتنـــا فى أشرف ساحٍ وقضيـــه

***

مَنْ أغْـــرَقَ «إيـــلات» لتهوى فى القَـــاع حُطاَمـــاً ملقيـــه
مَنْ حَطَّـــمَ «بارليـــف» شظايـــا ما أبقـــى للخـــطِّ بَقِيَّـــهْ
مَنْ كبَّـــر ظُهـــرا وتخطـــى كلَّ الأَسْوَارِ المبنيـــــه
مازالت جعبتـــــه ملأى ببطولـــة بذلٍ مصريـــه

يوم فلسطين

للشاعر: علي محمود طه

فلسطين لا راعتك صيحة مغتال ... سلمت لأجيال وعشت لأبطال
ولا عزك الجيل المفدى ولا خبت ... لقومك نار فى ذوائب أجبال
صحت باديات الشرق تحت غبارهم ... على خلجات الروح من تربك الغالى
فوارس يستهدى أعنة خيلهم ... دم العرب الفادين والسؤدد العالى
بكل طريق منه صخر منضر ... وكل سماء جمرة ذات إشعال
هو الشرق لم يهدأ بصبح ولم يطب ... رقادا على ليل رماك بزلزال
غداة أذاعوا أنك اليوم قسمة ... لكل غريب دائم التيه جوال
محا الله وعدا خطه الظلم لم يكن ... سوى حلم من عالم الوهم ختال
حمته القنا كيما يكون حقيقة ... فكان نذيرا من خطوب وأهوال
وفتح بين القوم أبواب فتنة ... تطل بأحداث وتومى بأوحال
أراد يمحو آية الله مثلما ... أراد يمحو الليل نور الضحى العالى

***

فيا شمس كُفِّى من مدارك واخمدى ... ويا شهب غورى فى دياجير آجال
ويا أرض شقى من أديمك وارجعى ... كما كنت قبل الرسل فى ليلك الخالى
ضلالا رأوا أن يسلو الشرق مجده ... وما هو بالغافى وما هو بالسالى
ألا يا ابنة الفتح الذى نور الثرى ... وطهر دنيا من طغاة وضلال
وأكرم قوما فيك كانوا أذلة ... فحررهم من بعد رق وإذلال
لك الشرق يا مهد القداسة والهدى ... قلوبا تلبى فى خشوع وإجلال
لك الشرق يا أرض العروبة والْعُلا ... شعوبا تفدى فيك ميراث أجيال
هو الشرق ألقى عن يديه قيوده ... فلا تحسبيه فى قيود وأغلال
سليه نهج ما بين عينيك أرضه ... مخالب نسر أو براثن رئبال
سليه يمج ما بين سمعيك أفقه ... زئير أسود أو زماجر أشبال
سليه الدم المهراق يبذله غالبا ... ويضرب به فى الحق أروع أمثال

***

ألا أيها الشادى الذى أطرب الورى ... بحلو حديث عن حقوق وآمال
سمعنا ، خدعنا ، وانتبهنا ، فحسبنا ... لقد ملت الأسماع قيثارك البالى
ويا أيها الغرب المواعد لا تزد ... كفى الشرق زادا من وعود وأقوال
شبعنا وجعنا من خيال منمق ... ومنه اكتسينا ، ثم عدنا بأسمال
فلا تندب الضعفى وتغصب حقوقهم ... فتلك إذاً كانت شريعة أدغال

حكاية والٍ

للشاعر : عبدالحليم المصري

قَالُوا شَكَتْ حمص «عبد الله» وَاليهَا ... شَكَتْ ثَلاثَ عَظِيمَاتٍ يُعَانِيها
شكتْ إلى «عُمَر» مِنْهُ الخُرُوج ضُحى ... وأنه لمْ يُجبْ فى الليلِ دَاعِيَها
وأنه يَخْتَفِي يَوْمًا بمنْزله ... فى كُلِّ شَهْر فما يَبْدو لرَائيهَا
وإنما «عمَر» نارٌ مُؤججة ... وليَسْ مِنْ لَفحْها وَاقٍ لصَالِيهَا

***

فَقَال : هَاتوه واشْكُوا وَهُوَ يَسمعكم ... فالنَّفس تَزجُرُهَا أقْوَالُ شَاكيهَا
وَلَا تَهَابُوه إنِّى منْهُ مُنْصِفكمْ ... حُكْمُ الرَّعيَّة يَسْرى فَوْقَ رَاعِيهَا
حتَّى إذا عَرَضَتْ «حمصٌ» قضيَّتَهَا ... أقَامَ يأخذُ للمظلُومِ قاضِيهَا
فقال : وَيْحَك عبدَالله هَلْ صَدَقُوا ؟ ... لآخُذنَّك أخْذ النَّار غاشِيهَا

الشاعر : هو عبد الحليم حلمى المصرى ولد عام ١٨٨٧ وفاضت روحه إلى بارئها عام ١٩٢٢ ـ وقد عاصر كبار الشعراء كشوقى وحافظ وكان يعتبر البارودى مثله الأعلى ، حيث سلك طريقه ودخل الجيش متأسيا به وكان من شيوخه الذين دان لهم بالفضل الشاعر الكبير أو شيخ الشعراء إسماعيل صبرى باشا وكذلك شيخ العروبة أحمد زكى باشا ، كما توثقت صلته بالكاتب المبدع محمد المويلحى ، وأقر بالأستاذية والامارة للشاعر الكبير أحمد شوقى ، وبنى عليه آمالا كبارا ـ وله عدة وقفات وطنية حوكم من أجلها ودافع عنه العديد من كبار المحامين .

وهو شاعر مجيد طوف فى آفاق الشعر وصفا وغزلا ووطنية وعقيدة وكان من أصدق الشعراء .

القصيدة : هذه واحة من أربع عشرة قصة جرت وقائعها فى عهد بعض الخلفاء والأمراء نظمها الشاعر وأخرجها فى كتاب أسماه « ديوان الأدب فى نوادر العرب » تناول فيها المواقف النموذجية المضيئة ليقدمها للمسلمين قدوة ومثلا .

والقصيدة كما نرى تبرز حقيقة العلاقة بين الحاكم والمحكومين وحرص الرعية على حقها وصدق الوالى فى القيام بواجبه ومحاسبة ولى الأمر له فى غير مجاملة أو رأفة .

ثم توضح القصيدة كيف ينفق الوالى وقته ليلا أو نهارا وكيف يقضى ليله عابدا متهجدا قائما لله ، ويقضى نهاره فى خدمة رعيته والأبيات نوع من الشعر نحن فى أمس الحاجة إليه لنلقى الضوء على تاريخنا وعظمة تراثنا ، ونقدمه أسوة وقدوة وأنموذجا ، وواضح أن القصيدة تعارض « عمرية » حافظ إبراهيم وزنا وقافية تلك العمرية التى تناول فيها شاعر النيل سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . والتى يقول فيها :

حسب القوافى وحسبى حين ألقيها
أنى إلى ساحة الفاروق أهديها

فقال : مَهْلًا أمير المؤمنين ، ولا ... تَعْجَلْ بمَنْ زَهَدَ الدُنيا وَما فيهَا
القومُ لمْ يكذبوُا أمَّا الخروج ضُحى ... فإنَّما لى أسرَار سأبْديهَا
إنَّا وُلَاةٌ ، ولا عَبْدٌ ، وَلَا أمَةٌ ... إذَا طَلَبْنا لُقَيْمات نُهَيِّيهَا
بَلْ إنْ أقَمْنَا صَلَاة الفَجرْ نَعْجِنُها ... حتىَّ إذا خَمَرَتْ قمنا نُسَوِّيهَا
قَالُوا : صَدَقت فكَمْ جِئْناكِ قَبْل ضُحى ... والدارُ يَسْمُو دُخَانٌ فى أعَاليِهَا
أمَا احْتِجَابى لَيْلًا فالحَيَاةُ لَهُمْ ... مِنْها النّهارُ ، وللتقْوىَ لَيَالِيهَا
قَالُوا : صَدَقتَ فكمْ جِئناكَ فى سَحَرٍ ... والدارُ يُسْمَعُ صَوْتٌ فى دَيَاجِيهَا
أمَا احْتِجابى يَوْما مِثْلَ مَا زَعَمُوا ... فَفيه أغْسِلُ أثْوَابى وأنْقِيهَا
قَالُوا صَدَقَتَ فَذِى الأثوابُ نعْرِفهَا ... إنْ غِبْتَ فى الدَار بَاتتْ فى نواحيهَا
فَضَمَّهُ «عُمَر» ضَمًّا وقَبَّلَهُ ... وقَالَ تِلْكَ ثَلَاثٌ فُتَّنَا فِيهَا

***

يَاقَوْم عُودُا لِوَالِيكمْ فَليَسَ لكَمْ ... مِنْه بَدِيلٌ ، وَيهْنى حِمْصَ وَاليهَا
مَادَامَ مِنْكُمْ رِجَالٌ فى صَرَاحَتِكمُ ... فَقَدْ تِنزَهَتْ الأحكَامُ تَنْزيهَا
إنْ تَسْمَنْ الشاةُ فَاعلمْ أنَّ رَاعيها ... إذَا رَأىَ مَوْرِدًا يَظْمَى وَيَرْوِيهَا
أوْ تَهْزَلْ الشاةُ فاعلم أنَّ رِاعيها ... إذَا رأىَ مَوْرِدًا يَرْوى ويُظْمِيهَا
أوْ تختفِي الشاةُ فانظرْ جِسْمَ صَاحِبِهَا ... فإنَّما هُوَ طىَ الجِسْمِ يُخْفِيهَا

العلوم الكونية

شريف

الهندسة الوراثية والأخلاق (*)

عرض وتحليل م . د . أحمد فؤاد باشا

لقد حث الإسلام على تحصيل العلم النافع وتوجيهه ليكون أداة نافعة تتيح للإنسان أن يفهم العالم المحيط به على نحو أفضل يحقق الخير والسعادة لكل البشر ، لكن تاريخ العلم فى جانبه الأخلاق لم يخل من بعض الأسماء التى خانت أمانة البحث العلمى وتجردت من صفات الحياد والنزاهة والموضوعية ، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى تضليل العلماء الحقيقيين وتبديد الكثير من وقتهم للتأكد من نتائج مزيفة .

من ناحية أخرى ، شهدت مسيرة البحث العلمى خلال العقود الأخيرة ثورات علمية وتقنية خطيرة جعلت العلماء أنفسهم يحذرون من آثارها الوخيمة على مختلف جوانب الحياة البشرية .

والكتاب الذى نعرض له هنا بالتحليل والمناقشة يقدم دراسة مفصلة عن القضايا الدينية والاجتماعية والأخلاقية التى تثيرها التطورات والثورات العلمية والتقنية بعامة ، والتطورات الطبية البيولوجية الحديثة بخاصة .

يستعرض الكتاب هذه الدراسة فى خمسة أبواب تشتمل على أحد عشر فصلا ، توضح ضرورة أن يكون هناك ضوابط وقوانين وأحكام دينية وأخلاقية تحكم استخدامات هذه التقنية بما يحفظ للبشرية تطورها الطبيعى الذى فيه صلاحها وتقدمها .

يتناول الباب الأول من هذا الكتاب تطور العلاقة بين الأخلاق والطب ، وهو عرض تاريخى

(*) ناهدة البقصمى ، « الهندسة الوراثية والأخلاق » ، تقديم د. مختار الظواهرى سلسلة عالم المعرفة (رقم ١٧٤) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ذو الحجة ١٤١٣ هـ / يونيو ـ حزيران ١٩٩٣م .

للمواثيق والعهود الطبيــة التــى كانت تهتم بسلوكيات الطبيب وعلاقته بالمرضى وذلك فى عصور الحضارات القـديمة ، ثم فى الديانـات السماوية فالعصور الحديثة حتى القرن العشرين . **وقد أغفل الكتاب فى هذا الباب ذكر أية إشارة إلى الأخـلاق الطبيــة فى الحضارة المصريــة القديمة ، كما عرض بشكل مختصر لأخلاقيات الطب فى الإسلام** ، وكان بالإمكان تفصيـل القواعد الإسلامية التى يقوم عليها علم الطب دراسة وبحثا وتطبيقا فى إطار إنسانية الإنسان الذى استخلفه الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى هذه الأرض ليعمرها ويرتقى بالحياة عليها(١) .

وينتهى هذا الباب إلى نتيجة هامة مؤداها : أن المواثيق الطبية التى يضعها البشر لأنفسهم فى إطار الفلسفات الوضعية لتنظيم علاقة الطبيب بالمريض لايكتب لها الاستمرار لأنها لاتجارى التطورات الطبية فى كل عصر . فعندما ظهرت تطورات جديدة فى مجال « البيولوجيا » الطبية خلال العقدين الأخيرين من هذا القرن ، مثل « أطفال الأنابيب » و« الهندسة الوراثية » و« استخـدام الأجهـــزة المتطـورة فى مجال الـــطب » ، وغير ذلك ، أصبحـت اللوائـح غير قادرة على تتبـــع هذه التطورات وملاحقة نموها السريع . ومن هنا فإن الكتاب يتبنى وجهـة نظـر « روبـرت فيـتش » **R.Veatch** الداعية إلى وضع نظرية شاملـة فى الأخلاق الطبية تنقذ كلا من الطبيب والمريض من مثل تلك المواقف الدقيقة . وبدلاً من أن تفطن المؤلفة إلى ما أحرزته « النظرية الإسلامية » فى هذا المجال من خلال مؤلفات علمـاء المسلـمين ، وأعمال مؤتمرات الطب الإسلامى ، نجدها ــ ربما بحكم تخصصها ــ تدعو المشتغلين بالفلسفة لكى يدلوا بدلوهم فى تنظيم الأفكار الفلسفية للوصول إلى شبه بناء فكرى منظم للأخلاق الطبية و« البيولوجية » ، ويبلغ بها التأمل الفلسفى حدًّا يجعلهـا ترى ، القـرن القـادم قرن « الأخـلاق العملية » ، لأن كل مشكلة تواجه الإنسان تثير تساؤلات أخلاقية تجعله يـبحث عن الـرد فلا يجده ــ بحسب زعمها ــ إلا من خلال الفكر الفلسفى .

● ● ●

ويستعرض الباب الثانى من الكتاب « تطور البيولوجيا فى القرنين التاسع عشر والعشرين » مع التركيز على مجالى علم الأجنة والهندسة الوراثية . وبرغم أن هذا الجزء من الكتاب يبدو فى ظاهره سرداً لتاريخ العلم إلا أنه يلفت الانتباه إلى خطورة التطورات الطبية والبيلوجية التى حدثت منذ فتح « تشارلز دارون » المجال أمام العلماء لكى يضعوا الإنسان تحت المجهر ، ويحولوه إلى مجرد أنسجة وخلايا وشرايين.

ومن أحدث الإبتكارات التى حدثت فى هذا المجال ابتكـار مايسمـــى « طريقـــة الإخصاب الصناعى » **Artificial Insemination** للتغلب على إصابة أحد الزوجين بالعقم أو ضعف يمنع إتمام الحمل ، أو خوفاً من انتقال مرض وراثى إلى الأطفال ، وتتم هذه العملية بواسطة جمع السائل المنوى من الزوج أو من متطوع أو منهما معاً

(١) يرجع فى ذلك ، على سبيل المثال :
د. إبراهيم عبد الحميد الصياد ، المدخل الإسلامى للطب ، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٧ م .

باستخدام وسائل طبية معينة ، ثم تلقح به الأنثى(٢) . وإذا كانت الزوجة غير قادرة على الحمل يستعان بامرأة أخرى بدلا منها يطلق عليها اسم «الأم البديلة» **Surrogate Mother** وكلتا الطريقتين تثيران الكثير من القضايا والمشكلات الأخلاقية والاجتماعية والدينية التى تمس حقوق الإنسان وكرامته ، فضلا عن انها تلغى أهمية حياة الإنسان وتدنس قدسيتها .

وتطورت عملية الإخصاب الصناعى بعد ذلك إلى تجارة عن طريق إنشاء «بنوك» للحيوانات المنوية بهدف تحسين الجنس البشرى والحصول على جيل من العباقرة ، وذلك بأخذ السائل المنوى من أشخاص يتصفون بالذكاء الحاد أو غيره من الصفات المرغوبة ، ثم يتم تلقيح نساء يتصفن أيضا بالصفات المرغوبة أملاً فى الحصول على جيل كامل من العباقرة والأصحاء **لكن هذه التجارة باءت بالفشل لاعتراض الكثير من العلماء ومن الرأى العام على أساس أنه يمكن عن طريق التلقيح الصناعى أن تنتشر «جينات» غير معروفة ومتنحية وضارة بالجنس البشرى . هذا بالإضافة إلى أنه لا يوجد ما يضمن أن المولود سوف يحمل صفات الوالدين نفسيهما** . وبحث تجارة هذه «البنوك» عن هدف آخر ، حسبوه إنسانيا ، غير تحسين النسل ، فوجدوا ضالتهم فى الأسر المحرومة من الأطفال ، حيث تقوم هذه «البنوك» فى الوقت الحاضر بتوفير السائل المطلوب لحل مشكلة العقم عند أحد الزوجين أو كليهما . وفى أغلب الأحيان يكون المتطوع غير معروف حتى لايكون للزوجان علاقة إنسانية معه ، ولكى لا يطالب بالطفل فيما بعد !!

نجم عن هذا السلوك قضايا أخلاقية وقانونية واجتماعية ودينية ، بالإضافة إلى تفاقم المشكلة الصحية . فالمتطوع ـ كما سبق القول ـ مجهول الهوية ، وفى الغالب لايعرفه حتى الطبيب ، وكل مايمكن الحصول عليه من معلومات هو الصفات الخارجية التى تساعد فى عملية الاختيار ، أما الأمور المرتبطة بالأمراض فمن الصعب التعرف عليها حتى لوطلب الطبيب سيرة حياة المتطوع . وإن أقصى ما يمكن معرفته هو أنوع الدم ، وخلوه من الأمراض التناسلية ، أما الأمراض الوراثية غير الظاهرة فمن الصعب معرفتها . ولهذا يقوم الأطباء عادة بجمع «السائل» من طلاب كلية الطب لضمان التاريخ الصحى لكل منهم من واقع «الملفات» الصحية الخاصة بهم . ويفضل الأطباء أن تلقح الزوجة «بسائل» شخص يحمل صفات «فسيولوجية» قريبة الشبه من صفات الزوج حتى يكون الطفل شبيها بقدر الإمكان بالزوجين . من ناحية أخرى ، يخشى البعض أن تكون هناك صلة قربى بين المتطوع والأم ، كأن يكون أباها أو أخاها وهو أمر وارد وممكن الحدوث ، خاصة وأن «السائل المنوى» للشخص الواحد يستخدم التلقيح أكثر من امرأة (من ست إلى سبع نساء) . وهكـــذا ثار جدل عام حول هذه القضايـــا وانعكاساتها على الحياة البشرية .

وفى غمرة الانغماس فى هذا الجدل حول منع أو إجازة تطبيق وسائل الإخصاب الصناعى فى الإنسان ، فوجىء العالم سنة ١٩٧٨ بولادة أول

(٢) أصدر الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، كما أصدرت المجامع العلمية الإسلامية بياناً بما يحل ويحرم من هذه الأوضاع .. مجلة الأزهر .

« طفلة أنابيب » فى انجلترا (لويز براون) على يد الدكتور « باتريك ستبتو » **P. Steptoe** وعالم الفسيولوجيا « روبرت إدواردز » **R. Edwards** ، وأطلق على هذه العملية اسم « تقنية طفل الأنابيب » أو « الإخصاب الصناعى خارج الرحم » **In- Vitro Fertilization** (٣) وسرعان مادوّت أنباء هذا الحدث الطبى الهام فى جميع أنحاء المعمورة ، وجذبت اهتمام الكثير من نساء العالم – وخاصة اللواتى كن يعانين من انسداد فى أنابيب البويضات المعروف باسم « قناة فالوب » **Follopian Tube** ، لأن العملية تمت فى البداية لعلاج هذا النوع من العقم . ورغم بعض الاعتراضات التى وجهت إلى هذه الطريقة ، فإنها استمرت حتى وقتنا الحالى ، ولا يزال الآلاف من النساء فى مختلف دول العالم يلجأن إليها حين يكتشفن أنهن غير قادرات على الإنجاب .

ويلقى الدكتور مختار الظواهرى ، فى تقديمه للكتاب ، مزيدا من الضوء حول الجوانب الأخلاقية لهذه التقنية والحدود الشرعية لتطبيقاتها فى الحالات البسيطة التى تعانى فيها الزوجة من انسداد فى « قناة فالوب » ، أو من عدم توافق ذاتى ، أو خلل فى الحركة العكسية لأنابيب البويضات ، أو وجود وسط مهبلى يقتل الحيوانات المنوية ، أو أسباب أخرى مثل قلة عدد الحيوانات المنوية أو قلة حيويتها . وقد وضعت الهيئات الدينية والأخلاقية والاجتماعية فى معظم دول العالم ، وبينها دول إسلامية عديدة شروطا واضحة ومحددة لكل ذلك ، وهى أن تكون الحيوانات المنوية من الزوج نفسه وان تكون البويضات من الزوجة وان يكون استنبات البويضة المخصبة فى رحم الزوجة نفسها . وبالرغم من هذه الحدود والشروط فلا زالت هناك اعتراضات على استخدام التقنية ذاتها من حيث المبدأ ، لأنها طريقة غير طبيعية ، وانحراف عما درج الله الإنسان عليه ، وقد ينتج عنها حمل خارج الرحم ، أو أطفال مشوهون .

وكان لزماً على المجتمع البشرى أن يتحرك ويتساءل عن المعنى المقصود من الإنجاب ، وعن جدوى تطبيقات هذه التقنية ومدى الاحتياج إليها . فبالرغم من فوائد التطبيقات البسيطة لتقنية طفل الأنابيب الظاهرة على السطح ، إلا أنها استأثرت بلباب الإنسان ليجد نفسه مندفعا إلى تخطى التمييز بين ما يتقبله الحس الإنسانى وما تلفظه الفطرة الآدمية ، وبدأ يبحث فيما بعد الحالات البسيطة ، ويتساءل متحديا : ماذا لو كان الحيوان المنوى من واهب خلاف الزوج العقيم ؟ وماذا لو كانت البويضة من واهبة خلاف الزوجة العقيمة ؟ ثم ماذا لو كان الجنين نفسه كله موهوباً من أبوين خلاف الزوجين ؟ وسار فريق من الباحثين فى غيه ، ضاربا عرض الحائط بكل أسس النَّسب المستقرة ، والأنظمة الأخلاقية والاجتماعية والدينية التى يقوم عليها المجتمع . وقد أعلن فعلاً عن أول طفل أنابيب من جنين موهوب بواسطة فريق « كارل وود » عام ١٩٨٣ م ،

---

(٣) المعنى الحرفى للكلمة الأجنبية **In-Vitro** هو « فى الزجاجة » ، ويقصد بالتعبير ككل **In-Vitro Fertilzation** عملية الإخصاب التى تتم بين البويضة والحيوان المنوى خارج الرحم ، فى زجاجة أو انبوبة الاختبار ، وتترك البويضة المخصبة لفترة معينة كى تنمو ، ثم يتم غرسها (أو زراعتها) فى رحم الانثى لاتمام مراحل الحمل .

ووصل التحدى إلى استئجار حاضنة لاستنبات الجنين ، وهى ما تسمى بالأم البديلة ـ كما أشرنا من قبل ـ وامتلأت الصحف الأجنبية بالإعلان عن :

« أم للإيجار » .

و« مطلوب رحم للإيجار » .

و« رحم خال للإيجار » .

وشهد العالم لأول مرة فى التاريخ « الجدَّة البديلة » وهى أول جدة وأم بديلة فى آن واحد تلد ثلاثة توائم ، وذلك حينما أنجبت « بات أنتونى » من جنوب أفريقيا أول ثلاثة أحفاد لها ، وهم أطفال ابنتها بعد جراحة قيصرية فى عام ١٩٨٨ م .

وتبع هذه العملية أحداث أخرى أكثر غرابة لم تكن فى الحسبان ، فهذه أم بديلة تبتز الزوجين مقابل إيجار رحمها وتطلب منهما أن يدفعا لها أكثر وإلا ستنهى حمل طفلهما .

وتلك أم أخرى بديلة تهدد حياة وسلامة الطفل الذى يستأجر رحمها باستخدام أدوية ممنوعة خلسة بعيدا عن أعين الأبوين .

وثالثة لاتقوى عاطفتها على التنازل عن الطفل بعد ولادته وتسليمه لأبويه .

وقد شهدت محاكم الولايات المتحدة أكثر القضايا إثارة فى تاريخها ، فلم تدع الأم البديلة « مارى بيت » محكمة إلا طرقت أبوابها للاحتفاظ بالطفلة التى أنجبتها من رحمها المؤجر ، لكن القانون وقف ضدها وقضى بمنح الطفلة للأم التى لم تنجب ، والتى دفعت الثمن بموجب عقد قانونى .

وأغرب من هذا أنه قد حدث عكس هذا تماما حينما استغنى الأبوان فى بعض الحالات عن تسلم طفلهما من الأم البديلة بعد ولادته ، وذلك بسبب إصابته بتشوه أو مرض وراثى خطير ، أو لأن الأبوين قد انفصلا ، أو طلقا قبل ولادته ، وهكذا أدى التمادى فى تطبيق ما بعد الحالات البسيطة إلى ظهور آثار بعيدة لم تخطر على البال .

ولم تستطع كل هذه الآثار والمحاذير أن تكبح جماح الباحثين فى تطوير هذه التقنية الطبية الخطيرة ، فقد تمادوا فى غيهم وشرعوا فى تجميد الأجنة والحيوانات المنوية لعشرات السنين لاستخدامها فى أى وقت حسب الرغبة والطلب . وهنا تعالت تساؤلات من نوع آخر :

ماذا عن تجميد الأجنة كوسيلة لحفظ الفائض منه لتلاشى قتلها ؟

ما الموقف من جنين تم تجميده ثم أذيب قبل الغرس فى الرحم ؟

وماذا عن الجنين الذى مات أبواه بينما هو مازال مجمدًا ؟

ثم ماذا لو فكرت أم بديلة فى أن تحمل فى عمها أو عمتها ، أو خالها أو خالتها ، أو فى فرد من جيل أجدادها كان مجمدًا لعشرات السنين ؟

وهكذا تزداد المشكلات القانونية والشرعية والأخلاقية تفاقما بسبب غياب الضوابط والقوانين الصارمة التى تحكم مسيرة البحث العلمى وتوجهه لما فيه صلاح المجتمع الإنسانى وتقدمه .

ولازال للموضوع بقية فى العدد القادم بإذن الله .

السقوط المهبلي وسقوط الرحم

للدكتور/ أحمد رجائي عبد الحميد

الرحم مثبت داخل الحوض بأربطة وعضلات للمحافظة على وضعه الطبيعي ولكن هناك بعض الأسباب التي قد تؤدى إلى نزول الرحم إلى أسفل مستواه . وهذا السقوط ينقسم إلى درجات :

الدرجة الأولى : ينزل الرحم عن مستواه ولكن يبقى داخل المهبل .

الدرجة الثانية : يظهر عنق الرحم على مدخل المهبل .

الدرجة الثالثة : « أو السقوط الكامل » : يخرج الرحم بالكامل إلى خارج المهبل .

أسبابه :

- عيوب خلقية مثل : الضعف الخِلْقى فى أربطة الرحم .
- تكرار الولادة وعدم ترك فترات كافية بين ولادة وأخرى ، (والحزق **STRAINING**) خلال الدور الأول من الولادة ، والقيام بالأعباء المنزلية خلال الأيام الأولى بعد الولادة .

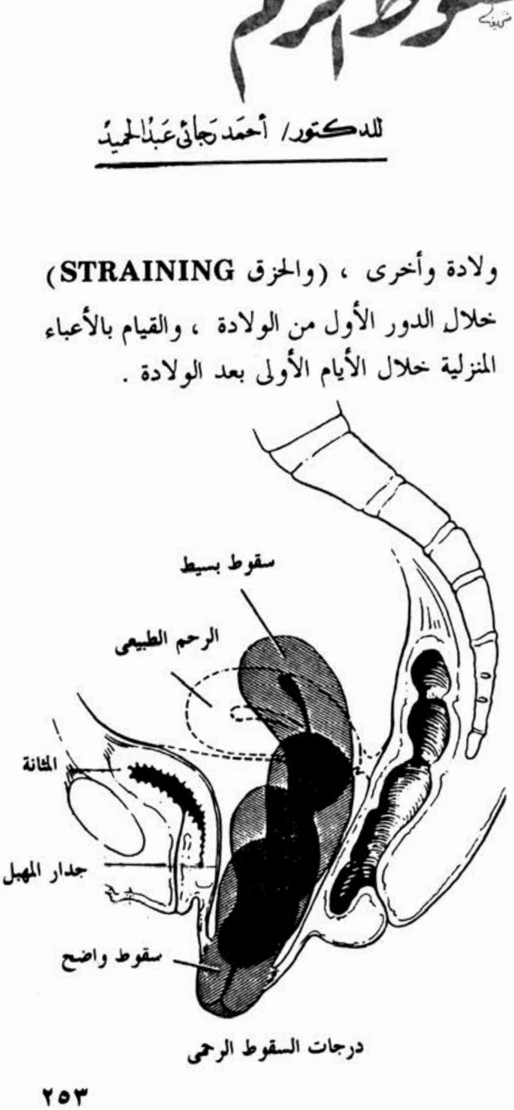

درجات السقوط الرحمي

ـ والولادات العسرة وبخاصة التى يستعمل فيها الالآت مثل (الجفت) وشفـــاط الجنين ـــ VENTOSE

الأعراض :

قد لا يكون هناك أعراض ولكن تكتشف الحالة أثناء الفحص المهبلى ، وقد تشعر السيدة بآلام فى الظهر ، وثقل فى الحوض ، وإفرازات مهبلية ، أو رغبة فى التبول المستمر واللاإرادى وإمساك مزمن ، وإذا خرج الرحم بالكامل فإنه يتعرض للالتهاب الشديد والقرح والنزف .

طرق الوقاية :

عدم (الحزق) فى أثناء الدور الأول من الولادة .

عدم بذل مجهود والراحة بعد كل ولادة حوالى ٦ اسابيع حيث يكون الرحم ثقيلا والأنسجة ضعيفة .

وجود فترات راحة بين ولادة وأخرى مدة كافية للجسم لكى يعود إلى حالته الطبيعية .

الالتزام بإتمام الولادة بطريقة سليمة ، وتجنب حدوث الالتهابات بعد الولادة .

الاهتمام بالصحة العامة .

العــلاج :

حسب الحالة وشدتها ، فقد يكون بتحسين صحة المريض العامة والعلاج الطبيعى لتقوية عضلات الحوض فى الحالات البسيطة جدا وقد تكون الجراحة لشد الأربطة ، ورفع الرحم والمثانة فى الحالات البسيطة والمتوسطة ، وقد يكون باستئصال الرحم فى الحالات الشديدة وبخاصة بعد سن الأربعين ، وغالبا تجرى هذه العملية من المهبل .

الميل الخلفى للرحم

الوضع الطبيعى للرحم هو أن يكون مائلا ومنثنيا الى الأمام ولكن فى نحو (٢٠) إلى (٣٥٪) من الحالات يكون هذا الميل إلى الخلف وهذا الميل له درجات : إما ميل بسيط أو ميل متوسط أو ميل كامل .

ومن أسبابه : العيوب الخلقية ، أو وجود ضعف فى الأربطة الماسكة للرحم ، أو بسبب التهاب مزمن فى المثانة ، أو يكون هناك التصاقات تشد الرحم الى الخلف ويتم التشخيص بواسطة الفحص المهبلى ، وفى حالة عدم وجود أعراض أو شكوى فلا أهمية مطلقا لهذه الحالة ، ولكن هناك بعض السيدات اللاتى يشكون فيها من بعض الأعراض ، وذلك فى حالات الميل المكتسب (أى غير الخلقى) مثل : آلام الظهر أو الضيق بالجماع ، أو إفرازات مهبلية وأعراض احتقان الحوض ، وأغلب هذه الأعراض لا تكون بسبب ميل الرحم ، ولكن قد يكون سببها هو المسبب لميل الرحم .

وإذا تم تشخيص هذه الحالة فلا يجب التسرع فى إجراء جراحة إلا فى بعض الحالات النادرة ، وبخاصة فى حالة إجراء جراحة لازالة سبب هذا الميل ، ويمكن بطريقة بسيطة استخدام منظار البطن لوضع حلقات بلاستيكية على أربطة الرحم الدائرية لتقصيرها ، مما يؤدى إلى تصحيح وضع الرحم ، ومن قبل كانت توضع عجلة فى المهبل لاصلاح هذا الميل ، ولــكنها لا تستعمــل

ــ حاليا ــ إلا فى حالات نادرة ، وفى حالات تأخر الحمل الناتج عن ميل الرحم يكون الحل هو تغيير وضع الجمـاع بأن تؤتى الزوجـة ــ من خلف ــ فى قبلها .

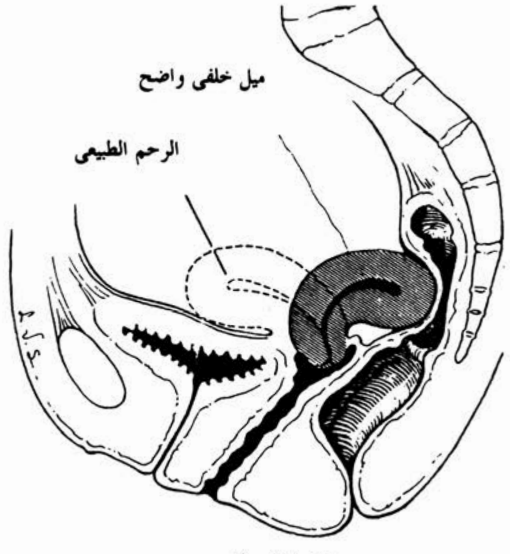

الميل الخلفى للرحم

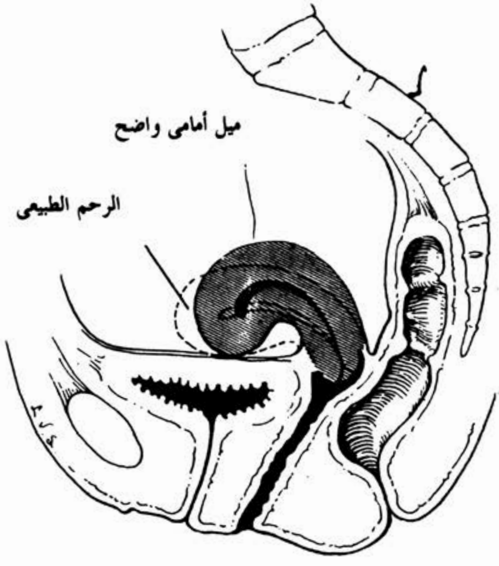

الميل الامامى للرحم

الأورام

تحدث أغلب الأورام قبل أو بعد سن اليأس وقد تحدث فى أى سن ،. فقد وقع بعضها فى أطفال صغار . والأورام منها :

الحميد مثل : الأورام الليفية وهى تكـون فى الأغلب فى السيـدات الـلاتى لم ينجبـن لفتـرة طويلة ، ومن أهم أعراضها النزف ، ويبدأ بزيادة فى كمية الدورة الشهرية ، ويكون الدم فاتح اللون ، وقد يكون مصحوبا بقطع متجلطة وقد تطول مدة نزول دماء الدورة الشهرية وتقصر المدة بين دورتين ، وهـذا يؤدى إلى ضعـف عام وأنيميا .

كذلك توجد أورام حميدة بالمبيض (أكياس على المبيض) وهى غير تكيس المبيض الذى يسبب عدم التبييض .

والخبيث مثل :

سرطان عنق الرحم : وهو بطىء النمو ويمكن اكتشافه مبكرا بأخذ مسحة دوريـة من عنـق الرحم ، والاكتشاف المبكر يفيـد فى سهولـة العلاج ، وزيادة فرص الشفاء ، ومما يساعد على ظهور سرطان عنق الرحم :

ــ الحمل أكثر من خمس مرات .
ــ بدء الحياة الجنسية فى سن مبكرة .
ــ وجود أكثر من شريك جنسى للمرأة سواء كان بزواج مبكرة ، أم غيره .
ــ الاصابة بالأمراض التناسلية .

وفى هذه الحال يكون النزف مختلفا عن حالة الأورام الليفية ؛ فيكون فى غير أوقات الدورة الشهرية ، وقد يحدث بعد جماع ، كما يصحبه إفرازات كريهة الرائحة .

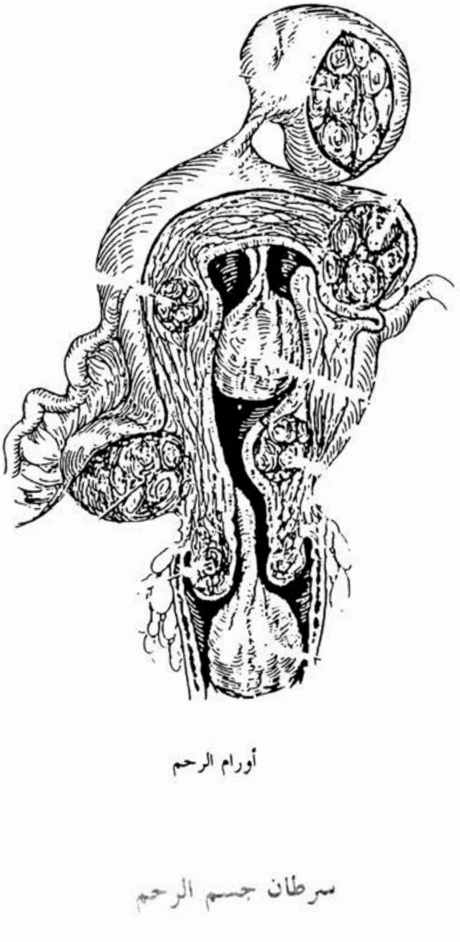

أورام الرحم

سرطان جسم الرحم

وهو سرطان نادر الحدوث ، ولكنه يحدث غالبا فى السن المتقدمة بين الخمسين والستين بخلاف سرطان عنق الرحم الذى يحدث فى سن مبكرة ، وهذه الحالات قد تكون مصحوبة :

- بسن اليأس .
- أو بعدم سبق الإنجاب .
- أو بتاريخ مرضى فى العائلة لسرطان مماثل .
- أو بمرض السكر وضغط الدم المرتفع والسمنة .

سرطان المبيض :

وهو أخطر السرطانات التى تصيب المرأة حيث إن اكتشافه غالبا لا يتم إلا بعد أن يكون قد وصل إلى درجة متقدمة .

سرطان المهبل والفرج :

وهو سرطان نادر الحدوث ، ويقع للسيدات كبيرات السن ، وفى أحوال نادرة جدا يحدث للشابات .

طرق التشخيص :

نتيجة الفحص المهبلى قد تكون أول إشارة للمرض ولذلك لابد من إجراء الفحص الدورى للسيدات فى سن الخصوبة ، وذلك من خلال :

- المسحة من المهبل وعنق الرحم دوريا .
- الموجات فوق الصوتية .
- (الكحت **CURRETTAGF**) والعينة من باطن وعنق الرحم فى حالة وجود نزيف ، ودم غير طبيعى وبخاصة حول سن اليأس .
- الفحص بالرنين المغناطيسى .

العلاج : حسب الحالة ، لكن المبدأ العام هو إزالة الورم والمنطقة المحيطة به (كحاجز أمن) مع إزالة الغدد الليمفاوية لهذه المنطقة . وكذلك العلاج بالنظائر المشعة والعلاج الكيميائى .

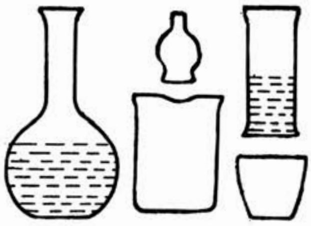

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد/ د. نجوى السيد أحمد

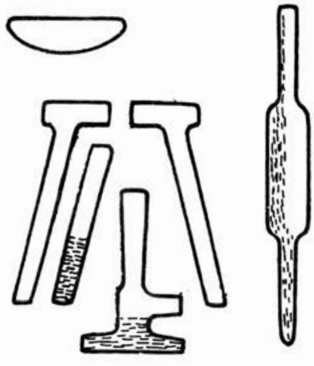

جهاز جديد

لتدمير الأورام السرطانية

توصلت إحــدى الشركات الفرنسيــة المتخصصة فى استخدام جهاز جديد له قدرة لا مثيل لها على تدمير الأورام السرطانية . وكان هذا الجهاز حتى وقت قريب يستخدم فى البحث الأساسى فى المادة النووية ، والجديد فيه أنه سيطلق أحد أشكال الإشعاعات المسماة بالعلاج الكهربائى الإيجابى ، ويتكون من حزمة كهربية دقيقة قدرتها مائتا مليون (الكترون فولت) توجه إلى الورم فتدمره بقوة تصل إلى أكثر من عشر مرات مما تستطيعه الإشعاعات الكهربية المعتادة كأشعة «إكس» وأشعة «جاما» ، وبذلك أصبح فى الإمكان علاج أورام العيون وسرطان قاع الجمجمة والقناة النخاعية دون الإضرار بالمخ أو النخاع الشوكى .

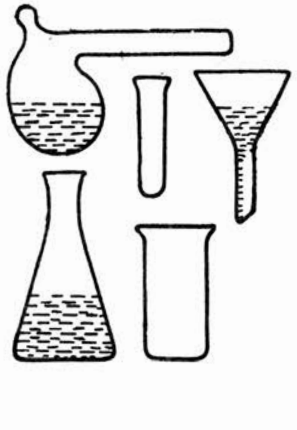

الهندسة الوراثية

لإنتاج أشجار تضىء الطريق

استطاع بعض العلماء إنتاج نباتات تبغ تتوهج فى الظلام ، وذلك عن طريق نقل «الجنية الوراثية» التى تسبب توهج المواد الكيميائية فى داخل الذباب النارى إلى المادة الوراثية الموجودة فى نبتة التبغ . وسوف يتمكنون بواسطة هذه الطريقة من صنع شجيرات صغيرة تضىء فى الظلام وزرعها على طول الطرق العامة التى تستخدمها السيارات بكثرة مما يقلل من تكاليف الإضاءة العادية .

«كمبيوتر»

يعمل بالطاقة الضوئية

أنتج الباحثون الأمريكيون أول كمبيوتر بصرى فى العالم وهو «كمبيوتر» يستخدم الضوء فى تخزين ونقل المعلومات بنفس الأسلوب الذى يستخدم به الكمبيوتر التقليدى الكهرباء ، فبدلا من استخدام ذبذبات كهربائية لنقل المعلومات من خلال الأسلاك يستخدم ذبذبات ضوئية من خلال ألياف بصرية ، وذاكرته أيضا ضوئية .

جهاز لتنقية

هواء الحجرات

اخترعت إحدى شركات الإلكترونيات الفرنسية جهازاً لامتصاص وتنقية الهواء فى الحجرات المنزلية ، حيث يلتقط الغبار والكائنات الحية الدقيقة والشوائب التى لاترى بالعين المجردة وتنتشر فى الجو . وللجهاز مرشح ورقى مكون من طبقتين يمكن فصلهما عن بعضهما إحداهما لدخول الهواء بقوة حول المحرك والأخرى لخروج الهواء النقى .

استخدام البلاستيك

لرصف الطرق

نجحت مجموعة من الشركات اليابانية فى مجال الإنشاء ورصف الطرق فى استحدام «البلاستيك» لرصف الطرق . اكتشف العلماء أن خلط «البلاستيك» مع «الأسفلت» يعطى سطحاً للطريق أقوى عشر مرات من استخدام «الأسفلت» بمفرده ، وأن الرصف بهذه الطريقة يمنع التآكل الذى تسببه الشاحنات الثقيلة للطريق . وأكد العلماء أنه لاينتج من هذا الاستخدام أبخرة سامة . وأمكن بالتجارب صنع حبيبات من نفايات البلاستيك ، وخلطها مع باقى المكونات بنسبة ٥٪ ..

بطارية جديدة

تعمل دون توقف

ابتكر العلماء الإستراليون بطارية من «الفانديوم» تتميز بأنها أكثر بطاريات العالم كفاءة ، حيث إن خلايا «الفانديوم» المقاومة للأكسدة تختزن الطاقة لوقت غير محدود لأنها تتجدد بطول الاستعمال ، كما أن قوتها تزيد ٥٠٪ وتكلفتها أقل من النصف بالمقارنة مع أنواع البطاريات الأخرى . واكتشف فريق العلماء المخترع لهذه البطارية أن مرور تيار من (سائل كهربائى) فى أكسيد (الفانديوم) يولد كهرباء تتجدد كلما أضيف السائل إلى البطارية .

تصوير نشاط بركانى على كوكب الزهرة

التقط مكوك الفضاء الأمريكى « ماجلان » مجموعة صورة حديثة لكوكب الزهرة تؤكد وجود حفرة بركانية ملتهبة ونشطة على عكس ماتوقع بعض العلماء من أنه كوكب خامل فى طريقه للاندثار .

إنتاج بروتين لتغذية الحيوانات من النفط

اتجهت بعض الدول إلى استخراج المواد البروتينية من النفط حيث إنها فتحت آفاقاً جديدة فى تغذية الحيوانات والدواجن . وتتم هذه العملية عن طريق استخدام سلالة معينة لفطر الخميرة تتغذى على المواد الهيدروكربونية المستمدة من النفط وتحولها إلى مواد بروتينية يمكن استخلاصها من الخميرة .

آلة تصوير تكشف تزوير الأوراق المالية

أنتجت إحدى الشركات اليابانية لصناعة معدات المكاتب آلة جديدة لتصوير المستندات بالألوان تكشف تزوير الأوراق المالية . تزود هذه الآلة بنظام يسجل صور أوراق النقد الخاصة بالدول الكبرى ، وسيكون بالآلة شفرة خاصة بكل نسخة تصورها مما يسهل الوصول للآلة التى صورت عليها النسخة فى حالة تزوير الأوراق المالية ، أو طوابع البريد ، أو الشيكات السياحية .

صناعة مواد عازلة من ألياف القطن

بدأ العلماء فى استخدام ألياف القطن لعزل المنازل والتجهيزات المختلفة . ويتم تصنيع ألياف القطن العازلة باستخدام آلة عادية لغزل النسيج ونوع جديد من الأفران . وتحتوى ألياف القطن الجديدة العازلة على قطن قصير التيلة مخلوط مع مادة « البوليستر » ، وهى تعادل قوة عزل الألياف الزجاجية كما أن أسعارها معقولة ، ووزنها أخف بمقدار ٦٥٪ من الألياف الزجاجية العازلة .

أشعة « الليزر » لتبادل المعلومات بين الأقمار الصناعية

تستعد الوكالة اليابانية لعلوم الفضاء بالاشتراك مع وكالة الفضاء الأوربية لإجراء تجربة للاتصال الضوئى بين الأقمار الصناعية باستخدام (أشعة الليزر) التى يمكنها أن تحمل كميات مضاعفة من المعلومات عن تلك التى تحملها (تكنولوجيا الإرسال الحالية) ، مما يجعلها فى المستقبل وسيطاً يبشر بنظام اتصالات واسع المدى وبسرعة كبيرة جداً . كما سيساعد صغر حجم الهوائيات ، وأجهزة الاستقبال لهذا النظام على جعل الأقمار الصناعية أصغر حجماً وأقل وزناً .

من أعلام الأزهر

الشيخ عبد الهادي رضوان نجا الإبياري

١٢٣٦هـ - ١٣٠٦هـ
١٨٢١م - ١٨٨٨م

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوي

عالم أزهرى كبير نبغ فى سائر العلوم الإسلامية من دينية ولسانية ولغوية ، وكان دائم الجدّ موصول الاطلاع ، لا يشغله عن التوفر على العلم شاغل مع عقلية حباه الله بها ذات قوة خارقة فى الحفظ والرواية .

ذلك هو : الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى الذى ذاع صيته ، وعلا شأنه ، وتحدث الناس بعلمه وأدبه وفضله ، ووصل ذلك إلى سمع الخديوى إسماعيل والى مصر وقتئذ فاستقدمه وأثنى عليه ، وعهد إليه فى تعليم أنجاله ؛ فثقفهم وسقاهم ما شاء له من الآداب والعلوم العربية .

يقول عنه على باشا مبارك فى كتابه بالجزء الثامن من «الخطط التوفيقية» : (فخر العلماء الأعلام ، الإمام الأريب واللوزعى الأديب ، الشاعر ، الحافظ الماهر العلامة : الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى) .

أما صحيفة (روضة المدارس)[1] فقد كتبت عنه فى عددها الثالث عشر من سنتها الأولى تقول ـ لما أرسل إليها أحد مقالاته : (ورد بقلم هذه الصحيفة وريقات هى على ما يفهم كتاب أدبى موشاة العبارة واضحة الإشارة بلسان عربى أبدت منه فضل الكتاب ظواهر برهانه ، وكل كتاب يستدل عليه بعنوانه ، كيف لا وهى من تأليف أديب عصره ، ورافع منار الأدب فى عهده ، ذى الفضل والأدب السارى ، حضرة الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى) .

ولد الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى فى (قرية أبيار) من أعمال محافظة الغربية عام ١٢٣٦ هـ التى توافق عام ١٨٢١ م ، ولما شب عن الطوق تلقى علوم القراءة والكتابة وحفظ القرآن على

---

(١) هى مجلة أدبية أمر بإنشائها الخديوى إسماعيل سنة ١٨٧٠ م وعهد على باشا مبارك وكان ناظراً للمعارف إلى الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى بنظارتها فعهد إلى ابنه الأستاذ على فهمى رفاعة برياسة تحريرها .

علماء قريته خصوصاً والده الذى كان أيضاً من علماء الأزهر وفضلائه .

وقد دفعه هواه للعلم إلى كثرة المطالعة والدرس ، وإذ تنسم والده ذلك الميل فيه شرع يلقنه علوم العربية ، ويعبد له طريق الأدب فبلغ منها فى الزمن اليسير حظاً موفوراً وقد حدث عن نفسه وذكر أنه حضر على والده فى العلوم الآتية :

١ ــ فى الحديث : الجامع الصغير والبخارى والمواهب .

٢ ــ وفى التفسير : الجلالين (السيوطى والمحلى) .

٣ ــ وفى الفقه إلى ــ المنهج .

٤ ــ وفى النحو إلى ــ الأشمونى .

٥ ــ وفى الفرائض والتوحيد وغيرها من العلوم الإسلامية .

التحاقه بالأزهر الشريف :

بعد مدارسته للعلوم السابق الإشارة إليها على والده ، سافر بعد ذلك إلى القاهرة ، لاستكمال علومه فى الأزهر ، وفى رحاب ذلك الجامع العتيد تلقى العلم على الأساتذة الفحول أمثال : الشيخ محمد الباجورى ، والشيخ محمد عليش شيخ المذهب المالكى ، والشيخ الدمنهورى .

ولما تخرج من الأزهر كلف بالتدريس فيه وذلك للإفادة من علمه وفضله .

مثابرته على التدريس فى الأزهر :

لم يكن قيامه بتعليم أنجال والى البلاد ليصرفه عن التدريس فى الأزهر لما عرف عنه من غزارة العلم ، وسعة المادة ، والتبحر فى اللغة العربية وعلومها حتى كان ثقة يرجع إليه فى حل المشكلات العلمية .

وكانت مجالس العلم والأدب يعقدها فى بيته حيث يأوى إليها النابهون ممن كان لهم به شأن يذكر كالشيخ : حسن الطويل ، والشيخ محمد البسيونى البياتى .

شهرته فى العالم العربى :

طارت شهرة الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى فى العالم العربى كله فدارت المكاتبات والمراسلات بينه وبين العلماء والأدباء والشعراء من أمثال : الشيخ إبراهيم الأحدب ، والشيخ أحمد فارس الشدياق ، والشيخ ناصف اليازجى وهم من بلاد الشام كما كانت تدعى قبل أن يقسمها الاستعمار الأوروبى بعد الحرب العالمية الأولى فى عشرينات هذا القرن إلى : دولة سوريا ، ودولة لبنان ، وإقليم فلسطين الذى طمعت فيه الصهيونية العالمية لتقيم عليه دولة إسرائيل .

وقد حدث أن احتدمت المناقشات والخلافات بين الكونت رشيد الدحداح صاحب «مجلة البرجيس» التى كان يصدرها الكونت رشيد فى باريس ، وبين الشيخ أحمد فارس الشدياق صاحب (مجلة الجوائب) التى كان يصدرها فى استامبول حول بعض المسائل اللغوية ، ودام الجدل العنيف بين الطرفين زمناً طويلاً إلى أن تدخل الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى فألف كتاباً للفصل بين الطرفين المتشاحنين عنوانه : (النجم الثاقب فى المحاكمة بين البرجيس والجوائب) .

وكان هذا الكتاب هو الفيصل فى إنهاء هذه المعركة اللغوية التى شهدها القرن التاسع عشر فى عقده السابع حيث تم ذلك عام ١٨٦٣ م .

نموذج من نثره :

جاء فيما كتبه إلى الشيخ إبراهيم الأحدب ــ عن (رسالة) : فما هذه الرسالة البديعة المنال ، البعيدة المنال إلا لآلىء فى نحور حور ، أم كواكب مشرقة فى ديجور ، وحدائق أزهار ، أم رقائق أشعار ، ومعانى كواعب أتراب ، أم معانى فرائد

آداب ، وثغور باسمة عن جمان ، أم زهور بديع فى رياض بيان ؟..

رأى نقاد الأدب فى نثره :

يرى نقاد الأدب أنه كان ـ رحمه الله ـ مولع بالصنعة مفتون بزخرف الألفاظ والطلاء حريص على السجع مترصد له ، يجتهد فى حشد المحسنات البديعة ، وقد تلتمس له الأعذار نظراً لما كانت عليه عادة عصره من الإلتزام بمثل هذه المحسنات ، لكنه لو ارتضى لنفسه السهولة والوضوح وآثر البعد عن ذلك التكلف أو مسه برفق لكان له من غزارة مادته ، ومن كرم موهبته ما يسمو به إلى مصاف الكتاب البارزين العظام الذين ترتاح النفوس إلى أدبهم ، ولكنه أغرق فى مجاراة العصر وغالى فى متابعته .

شـــعره :

كان الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى ـ فى شعره ـ يتبارى أيضاً بحشد الزخرف اللفظى والمحسن البديعى حيث أفرط فيما كان يتناوله من المجاز والاستعارة ومن أمثلة ذلك قوله :

اقطف ورود خدود الغيد بالقبل
وقل وفاء بحق للهوى قبلى
واخلع عذارك فى خال العذار ولا
تبال فالعذر عند الخال منه خلى
وكن على حذر من أسهم عرضت
لمن تعرض للألحاظ والمقل
من أعين ما رنت إلا رمت مهجا
تبيت فى وهج منها وفى وهل

آثاره العلمية :

كتب على باشا مبارك فى « خططه » عن هذه الآثار العلمية أنها تزيد على أربعين مؤلفاً نذكر منها الكتب الآتية :

١ ـ سعود المطالع :

وهو كتاب قيم دل على قدرة مؤلفه ووقوفه على شواذ اللغة وأسرارها ، ويقع فى سفرين كبيرين ومطبوع فى مطبعة بولاق عام ١٢٣٨ هـ .

٢ ـ النجم الثاقب :

وهو كتاب وضعه فى الفصل بين صحيفة (البرجيس) التى كان يحررها بالعربية فى باريس سليمان الحريرى التونسى ـ وكما قدمنا سابقاً كان صاحبها الكونت رشيد الدحداح ـ وبين صحيفة (الجوائب) التى أنشأها الشيخ أحمد فارس الشدياق فى استامبول ، وذلك فى مؤاخذات لغوية وانتصارات فى فنون إنشائية حكم الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى فيها بالتبرير لمنشى (الجوائب)، على محرر صحيفة (البرجيس) وقد طبع هذا الكتاب على الحجر عام ١٣٧٩ هـ .

٣ ـ الوسائل الأدبية فى الرسائل الأحدبية :

ويضم هذا الكتاب طائفة من مراسلاته الأدبية ، وما وقع بينه وبين الأدباء المعاصرين له من مراسلات ومكاتبات ، ولا سيما الشيخ إبراهيم الأحدب والسيد الحلوانى ، وكان يسمى الشيخ إبراهيم الأحدب فى مكاتباته بـ(أديب الشام) وقد طبع هذا الكتاب عام ١٣٠١هـ .

٤ ـ نفحة الأكمام فى مثلث الكلام :

وهو نظم رقيق يشتمل على الكلمات العربية المستعملة بفتح أولها وكسره وضمه ويقول فى مقدمته :

قد نظمت منه ما وجدته
مثلثا من بعد أن هذبته

وهو يبدأ بذكر المفتوح ثم المكسور ثم المضموم كما قال :

أبدأ بالمفتوح فيها أولاً
وبعده ذو الكسر فالضم ولا

وهـذا النظـم واقـع فى تسع عشرة ومائـة صفحة ، وتم طبعه فى السادس عشر من جمادى الأولى عام ١٢٧٦ هـ .

٥ ــ متن (الكواكب الدرية فى نظم الضوابط العلمية) :

وهو عن علوم وفنون مختلفة بذل فيـه من التدقيق ما يستحق العجب إذ ضبط مسائل فى الفقه ، والنحو ، والصرف ، واللغة ، والسيرة ، والتاريخ ، والفلك ، وغيرها ، وذلك كله فى نظم دقيق بارع دل على قدرة ناظمه وتبحره فى شتى العلوم ، وقد انتهى من كتابته فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من شعبان عام ١٣٩٩هـ .

٦ ــ كتاب المواكب العليـة فى توضيـح الكواكب الدرية فى الضوابط العلمية :

وقد شرح فى هذا الكتاب المتن السابق شرحاً دقيقاً مستفيضاً دالاً على قدرته فى علوم شتى والمتن والشرح مطبوعان فى سفر واحد .

٧ ــ باب الفتوح لمعرفة أحوال الروح :

وهو كتاب يبحث فى أمر الروح وحكمة خلقها قبل الأجساد (وفى هذا كلام) وهـو مطبوع فى المطبعة الخيرية عام ١٣٠٤ هـ ويقع فى ستة وتسعين ومائة صفحة من القطع المتوسط .

٨ ــ دروق(١) الأنداد فى أسماء الأضداد .

وقد جمع فى هذا الكتاب أسماء الأضداد فى نظم بسيط بديع .

٩ ــ نيل الأمانى فى توضيح مقدمة القسطلانى .

١٠ ــ القصر المبنى على حواشى المغنى .

١١ ــ ترويح النفوس على حواشى القاموس .

١٢ ــ صحيح المعانى فى شرح منظومة البيبا .

١٣ ــ رشف الرغاب فى المصطلح أيضاً .

١٤ ــ الحديقة فى البيان .

١٥ ــ شرح كشف النقاب .

١٦ ــ زهرة الروابى .

١٧ ــ الفواكه الجنوية فى الفوائد النحوية .

١٨ ــ الثغر الباسم فى مختصر حاشية البجورى على ابن قاسم .

١٩ ــ زكاة الصيام فى إرشاد العوام .

٢٠ ــ فاكهة الإخوان فى مجالس رمضان .

ومـن الأسف فإن كثيراً من هذه الكتب لا يزال مخطوطاً رهن مكتبة المؤلف صاحب هذه الترجمة .

آخر وظائفه ووفاته :

لما تولى الخديوى توفيق عرش مصر بعد عزل الخديوى إسماعيل لم ينس فضل أستاذه عليه فأدناه منه ، وقربه إليه وأجله وأحله رفيع المكانة وأقامه لمعيته مفتياً وإماماً فظل كذلك حتى قبضه الله سنة ١٣٠٦ هـ التى كانت توافق سنة ١٨٨٨ م .

المراجع

- كتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ــ الجزء الثانى للدكتور محمد كامل الفقى .
- مذكرة عن حياة صاحب الترجمة بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٩٢ م حرزها اللواء محمد حسان عبد الرحمن نجا (أحد أفراد عائلة الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى)

(١) كذا فى المرجع ، ولم نجده بلسان العرب ، ولعله خطأ والصحيح دورق .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

خصب العقول وجدبها

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفه

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح الزيات

هذه دعوة الى إعمال العقل وتوظيفه فيما أراد الله له ، وآيات القرآن وأحاديث الرسول ـ ﷺ ـ تنطق شاهدة على أهمية العقل لبنى الإنسان فبه يسعد وبدونه يشقى :

قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ .

سورة الملك : آية ١٠

فإذا حكم الناس عقولهم فى كثير من أمورهم لصلحت أحوالهم ولسار بهم مركب الحياة فلا تناله العواصف ولا تثنيه الأعاصير .

قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ .

لا أعرف شيئا فى الوجود أسنى قيمة ، وأعظم مقدارا من العقل فهو الذى ميز الإنسان عن سائر الحيوان ولولاه لكان من الحيوان ما هو خير منه .

لم يتميز عنه بالقوة البدنية فإن من الحيوان ما هو أقوى بدنا منه كالثور والجمل ، ولم يتميز عنه بحدة الأنياب والأظفار فإن من الحيوان ما هو أحد منه أنيابا وأظافر ، وإنما تميز عنه بهذه اللطيفة الربانية التى هى العقل .

به استحق خلافة الله فى الأرض ودانت له أحجارها ونباتها وحيوانها ، ولو أعطى النمل العقل وزاد على الإنسان بمقدار خردلة منه لكانت له الخلافة فى الأرض ، ولاستعبد الإنسان واستخدمه فى مصالحه كما يستخدم الإنسان سائر الحيوان . والأمة التى تسمو عقول أبنائها على عقول أمة أخرى تسخرها فى مصالحها كما تسخر هى الحيوانات التى هى أقل منها عقلا وأنقص إدراكا . لقد خلق الله الإنسان ولا صوف له ولا شعر ولا وبر يتقى بها الحر والبرد ، ولا أنياب له ولا أظفار تحميه من افتراس جوارح الطير وسباع الحيوان وليس له من قوة الجسم ما للجمل والحصان والثور ولكن وهبه الله العقل فكان سدادا من عوز وعوضا عن الجميع .

ولو سئلت بماذا تشير على أمتك بعد طول ما جربت ؛ وكثرة ما قرأت من كتب الحكمة والفلسفة والاجتماع لقلت إن أول ما أشير به أن تعنى بعقولها وأن تنميها وتزكيها وتبلغ بها أقصى ما قدر لها من قوة ونماء .

وإنى لأعجب للأمم التى تعنى بقوة أجسامها ولا تعنى بتقوية عقولها ، لو خيرت بين أن نخصب الصحارى المحيطة بمصر حتى تصير جنات وارفة الظلال ، وتجدب عقول أبنائها أو تخصب العقول وتجدب الصحارى لاخترت خصب العقول ولو أجدبت الأرض والبلاد .

إن خصب العقول يخصب الجدب من الأرض ، وإن جدب العقول يجدب الخصب منها وإذا بقيت على خصبها لم يحتفظ بها وغلبه عليها المخصبون عقولا والأقوياء بعقولهم .

قال الأصمعى لصبى من الأعراب أيسرك أن يكون لك مائة ألف وأنك أحمق ؟ فقال لا : إنى أخاف أن يجنى على حمقى جناية تذهب بمالى ويبقى علىَّ حمقى .

وقال النبى ــ ﷺ ــ: (ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى) .

وقال الحسن البصرى : ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما ما ، واعترف أهل جهنم بأنه ما جنى عليهم إلا ضعف عقولهم «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير» ، وقالوا العقل أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدو ، وإن الجاهل ليبلغ من نفسه ما لا يبلغه أعداؤه منه .

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ولكل قوة فى الجسد طريق لتربيتها ، فإذا مرنت بلغت كمالها ، وإذا أهملت بقيت كامنة مستورة ناقصة .

والعقل من قوى النفس له طرق لتنميته وإكماله قد عرفها اليونان فى القديم ، فأنتجوا العلوم والمعارف ، وهذه ثروتهم باقية على الدهر ، وقد عرفها علماء الإسلام فى قرونه الزاهية فشغفوا بالعلم والفلسفة وأنتجوا فيهما ، وقد هدى إليها علماء أوربة فى عصر النهضة فأنتجوا هذه المخترعات وغيروا وجه الأرض بمبتكراتهم .

ومن الطرق لتنمية العقل تكليفه بأعمال عقلية يستخرج بها المجهولات من المعلومات كمسائل الحساب والهندسة ، ومسائل العلوم الصعبة كمسائل التوحيد والأصول ، ودراسة المنطق الذى يبحث فى قوانين الفكر التى توصل إلى المجهول وكيف يحترز عن الخطأ فيها ، ومما لا شك فيه أن علماء المسلمين كانوا يعرفون هذه السبل لتنمية العقل ويستعملونها .

قال ابن خلدون : وكان شيوخنا يقولون : إن الهندسة للذهن كالصابون للثوب تغسل وسخه ، وتزيل أدرانه .

وقد بدأت النهضة فى أوربا عندما بدأوا يبحثون عن المنطق وطرق ابتكار المجهول من المعلوم ويناقشون المنطق القديم ويريدون أن ينقدوه ويزيدوا عليه ، وإنى أريد من الأمم الإسلامية أن يجعلوا العقل قوة من قواهم يعملون على تربيته وإنمائه كما يتمرنون على المصارعة وحمل الأثقال والرياضة البدنية فليست حاجتهم إلى تنمية عقولهم بأقل من حاجتهم إلى المصارعة وحمل الأثقال بل يجب أن يعلموا أن حاجتهم إلى عقولهم أشد حاجة .

وليست مصائبنا الاقتصادية والسياسية والأخلاقية إلا من عدم نمو ملكة الابتكار والاستنتاج فينا بالقدر اللازم لهذه الحياة المشتبكة .

إن منا من يدرسون علم الاقتصاد والاجتماع والتربية ، ولكن ليس منا من يتنبأ بالأزمات قبل وقوعها ويهدى أمته إلى طريق الخلاص منها ، بل إننا نخلق الأزمات بأيدينا ونضر أنفسنا بأكثر مما يضرنا به أعداؤنا .

ولعل القارىء يعجب من ذلك وسأضرب أمثالا له :

نحن الآن فى أزمة اقتصادية شديدة يتخوف منها ولاة الأمور ، وقد غلت الأسعار وبلغت خمسة أمثال أو عشرة أمثال ما كانت عليه قبل الحرب الأخيرة وهذا من صنع أيدينا ومن أنه ليس عندنا ملكة الابتكار بالقدر الذى ينجينا فى هذه الحياة المشتبكة المرتبكة .

كنا نعيش بميزانية قدرها أربعون مليونا قبل الحرب الأخيرة وكانت تكفينا وتسد حاجة الدولة فزادت بعدها إلى مائتى مليون بالتدريج ، وهذه الزيادة أكثرها من دخل غير ثابت كرسوم الجمارك ، وكان ينبغى ألا نرتب عليها نفقات ثابتة خوف أن ترجع الأمور إلى حالها ويذهب الإيراد غير الثابت ، ويبقى المصروف الثابت لا نجد له دخلا إلا الاحتياطى أو الاستدانة .

كان ينبغى أن نعلم أن هذه الحالة شاذة وطارئة والشاذ لا يجعل مقياسا ، وإنما تبنى الأمور على الأصول المطردة وعلى الأعم الأغلب .

ولكن وقعنا فى الخطأ وذهبنا نستكثر من الموظفين والمصلحة الواحدة اشتقت منها مصالح عدة ، وجعل لكل منها إدارة وكتاب ومستشارون إلخ ، وزيدت رواتب الموظفين وبذلك ألقيت هذه الزيادة فى المرتبات فى السوق وهى أموال استهلاكية وقلت السلع المطلوبة عنها فغلت الأسعار وتضخم النقد ؛ ولو أننا عشنا بميزانيتنا القديمة وزدنا زيادة يسيرة فى مصاريف الاستهلاك وضممنا الزيادة الكثيرة فى الميزانية إلى مدخر الحكومة أى الاحتياطى وأنفقنا منه فى مشاريع منتجة لكانت فرصة انتهزناها وكنا الآن من أغنى الأمم ، وكنا بذلك نجنب الأمة غلاء الأسعار وتضخم النقد الناتج من طرح مال فى الاستهلاك لا يجد السلع التى يريدها ولا تقينا تلك الأزمة المقبلة الناشئة من انخفاض فى الدخل غير الثابت الذى وظف عليه نفقات ثابتة .

كنا نزيد فى الموظفين وفى مرتباتهم وكلما زدنا كلما اندفعوا إلى السوق يستهلكونها فيها ، وكلما فعلوا ذلك زاد التجار أثمان سلعهم وكلما زادوها شكا الموظفون وكلما شكا الموظفون زدنا فى المرتبات ، وهكذا وقعنا فى هذه الحلقة المفرغة أو فى هذا الدور الذى يزيد الأول فى الثانى ويزيد الثانى فى الأول حتى يصل إلى أن يرهقنا .

وقد وقعنا فى دور آخر وهو أن الدولة تزيد فى رسوم الجمارك لتدبر المال لزيادات الموظفين وكلما زادتها زادت السلع وكلما زادت السلع شكا الموظفون فتعمد الدولة إلى زيادة رسوم الجمارك وهكذا .

أرأيتم كيف نصنع قيودنا بأيدينا أرأيتم كيف تخلق الأزمات وها نحن أولاء ، ندعو الأمة إلى التقشف وكيف تستجيب لصوت العقل وفيها هذا المال الكثير المطروح للاستهلاك ، إنه لا منقذ لنا إلا أن نعود بميزانيتنا إلى مثل ما قبل الحرب أو قريب منها فى المصروفات ، ونحذف كل زيادة جدت عليها ، إنى أعلم أن هذا فطام والفطام شديد ، ولكنه هو الدواء الوحيد .

أتدرون ماذا فعلت أمم أخرى أكثر منا تجربة وأوسع عقلا وأبعد نظرا ، خرجت إنجلترا من الحرب الثانية مدينة للدول الأخرى بالبلايين من الجنيهات لأنها كانت تنفق فى كل شروق شمس من أيام الحرب اثنى عشر مليونا من الجنيهات ، وكان يظن الناس أنها لا تجد وفاء ، وأنها عاجزة عن السداد فماذا فعلت حتى خرجت من هذه الضائقة ، لقد فرضت على نفسها التقشف وأبقت القيود على الاستهلاك التى كانت فى زمن الحرب كما هى ولم ترحم نفسها بعد أن كابدت سبع سنين شدادا ذاقت فيها الحرمان بل مدت هذا الحرمان طواعية إلى أيام السلم ، وانتهزت غلاء منتجاتها فى البلاد الأخرى وأرسلت بها إليها وحرمتها على نفسها ، وهل تجد فرصة ذهبية كهذه وتضيعها) ، إن متر الصوف الذى كان يباع بنصف جنيه أصبح يباع بأربعة جنيهات فلم لا تحرمه على نفسها وتبيعه فى أسواق العالم ، إنها أبقت نظام البطاقات فلا تأكل ولا تلبس إلا بقدر معلوم ونظام محدود .

وكانت العاقبة أن وفت كثيرا من ديونها وتخلصت من عون أمريكا واجتازت هذه الأزمة بسلام .

هاتان أمتان إحداهما خرجت من الحرب دائنة للأخرى بأربعمائة مليون جنيه ، والثانية خرجت مدينة لها ولأمم أخرى بآلاف الملايين ولكن العقل بدل الحال ، وغير المآل .

وقبل ذلك ارتكبت غلطة كبيرة فى أيام الحرب وذلك أن عند البنك الأهلى تصريحا من الحكومة المصرية بأن يصدر أوراقا نقدية بضمان الخزانة البريطانية ، فلما كثرت جيوش الحلفاء بمصر فى أيام الحرب واحتاجت إلى المئونة والكسوة ، كلفت البنك الأهلى بإصدار أوراق مصرية نقدية ، وأخذت هذه الأوراق ونزلت بها إلى الأسواق مشترية : إلى سوق اللحم والخضر والفاكهة ، وكان همها أن تحصل على حاجتها ولا تبالى بما تدفع من ثمن فأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار ارتفاعا فاحشا ، ولقى المصريون من جرائه عسرا وعنتا ، وكان يجب على الحكومة المصرية أن تدرك هذه النتيجة فتطلب من القيادة أن يكون تموين الجيوش عن طريقها ، فتشترى هى بمالا يؤدى إلى رفع الأثمان وتوزع توزيعا عادلا بين الأمة والجيوش .

وهناك مثل آخر :

ارتفع ثمن القطن عقب الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٩ حتى بلغ خمسين جنيها للقنطار الواحد ، وقد حسد مصر بعض النواب البريطانيين فى مجلس العموم ورأى أنها قد جنت من قطنها ما يسدد ديونها ، ولم يدر أن هذه الثروة الضخمة لم تلبث حتى تسربت إلى أيد أخرى كانت أحزم وأعقل وأعلم بالعواقب ، لأن المصريين جعلوا الأثمان فى هذا العام الشاذ قاعدة

وقاسوا عليها ولم يعلموا أنها نتيجة إقفار المغازل طول الحرب ، فقاسوا عليها ما يأتى من أعوام واندفعوا فى شراء الأرض التى تنتج لهم القطن الذى يبيعون قنطاره بخمسين جنيها فغلت أثمانها لكثرة الطلب ، ورأت شركات الأراضى فى ذلك فرصة فباعت ما تحت أيديها من أرض وقبضت بعض الثمن وأجلت باقية ، فلما جاءت السنة التالية هبطت أثمانه إلى خمسة جنيهات فأصبحوا مدينين بدين لا يجدون له وفاء ، فرجعت إلى الشركات أراضيها وفازت بما عجل من ثمنه ، وربما نزعت ما لهم من عقار تليد ، ثروة لم تمكث بأيدى المصريين إلا ريثما دخلت خزائنهم ثم خرجت كأنما قد عنوا بقول الشاعر :

لايألف الدرهم المضروب صرتنا
لكن يمــــر عليها وهـــو منطلـــق

لهذا كله أهيب بأمتى أن تعرف للعقل قيمته التى لا تعلوها قيمة لشىء آخر فتسعى لاستكماله فيها سعى من يعلم أنه إن حرمه هلك ، ولا تطمئن إلى شىء حتى تبلغ بعقولها مبلغ أرقى أمة فى العالم .

لم يحرص الإسلام على شىء كما حرص على أن يستعمل المسلمون عقولهم وينموها ويعيشوا بضياء عقولهم فى ظلمات هذا الوجود .

وماذا كان يفعل فى التنفير من الجهل والحمق أكثر من قوله :

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(١) .

وماذا كان يفعل فى بيان شرف العقل والعلم أكثر من قوله :

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » .
سورة الزمر

وهل هناك ما يحض على استعمال العقل وتحريك الفكر أكثر من قوله :

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ » .

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾(٢)

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(٣) .

وما أكثر ما تقرأ فى ختام الآيات أفلا يعقلون ، بل أكثرهم لا يعقلون ، ولقد ارتضى الله أن يحكم العقل بينه وبين خلقه ، فكثيرا ما تحاكم فى القرآن إليه ورضى حكمه .

ولقد بغض فى إهمال العقل وعدم استعماله وكره أن يكون أداة مهملة يطفئه صاحبه ويمشى فى الظلمات ، وقد جعله الله نبراسا يضىء له أينما سار .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ سورة البقرة

« إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ »
سورة الأحزاب .

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ﴾(٤) .

والظاهر أن الإسلام أراد من المسلم أن يعمل عقله ولا يهمله ولو أدى إلى خطأ ، ويدل على ذلك أنه جعل للباحث الذى بحث واستقصى

(١) سورة الأنفال آية ٢٢ .
(٢) آل عمران ١٩١ .
(٣) الأنعام ١١ .
(٤) البقرة ١٦٦ — ١٦٧ .

أجرين إن أصاب ، وأجرا إن أخطأ فأثابه على خطئه ولم يجعل للكسلان الذى أراد السلامة شيئا من الأجر .

هذا الهدى الإلهى حبب السالفين الأولين من المسلمين فى عقولهم فحرصوا عليها واستعملوها وكانوا يبغضون التقليد فى الدين .

فقد قال ابن مسعود : أغد عالما أو متعلما ولا تغد إمعة فيما بين ذلك — والإمعة هو : المحقب دينه الرجال —.

وقال عبد الله بن المعتز : لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان يقلد ، ولكن خلفت خلوفا أهملوا عقولهم ورضوا بالتقليد فى أمر دينهم ودنياهم واستناموا إلى الكسل العقلى فلا يقرءون إلا السهل ، ولا يقفون أمام مشاكل الحياة يبغون حلها بل يهربون منها ما دامت تكلفهم تفكيرا وعملا عقليا ، ولو مرنوا عقولهم على العمل والابتكار لوجدوا لذتهم فى العمل العقلى الصعب ولبحثوا عن المشكلات لحلها جريا وراء اللذة العقلية .

إن العقل الذى كان يعيش به أسلافنا فى حياتهم السهلة البسيطة لا يكفينا اليوم لنعيش به فى حياتنا الصعبة المعقدة فلابد من تربيته وإنمائه وتعويده حل مشكلاتنا لنعيش سعداء .

لا أدرى لم لم يفهم علماء المسلمين من هذه النصوص الكثيرة أن العناية بالعقل وتربيته وإنمائه حتى يبلغ مرتبة النظر الصحيح وحتى يمرن على العمل الفكرى ؛ ويأنف من التقليد فرض من فرائض الإسلام كالصلاة والصيام والحج ، أكانوا يريدون نصوصا أصرح من هذه وأكد إن الأوامر الدالة على وجوب ما ذكرنا لم تبلغ مبلغ الأوامر الدالة على وجوب النظر ، وعلى تحريم التقليد وعلى المحافظة على أعمال العقل وإنماء الفكر .

إنهم لو هدوا إلى ذلك لكان هناك علم واسع يشبه علم المنطق ويزيد عليه فى معرفة ما يؤدى إلى الكسل العقلى والركون إلى التقليد لتجتنب ، ومعرفة ما يؤدى إلى النشاط الذهنى والأنفة من التقليد لتتبع ، ولكان من وراء ذلك كله إنماء العقول فى البلاد الإسلامية حيث جعل فرضا متعبدا به يأثم تاركه ويثاب فاعله .

أريد أن ألفت المسلمين إلى عقولهم ليعلموا أن فيها كنوزا خيرا من كنوز الدنيا جميعها ، وما بالك بكنز إذا ملكه صاحبه جعل كنوز الدنيا كلها وكنوز الآخرة كلها تحت قدميه .

أريد أن يتدارك المسلمون ما فاتهم من العناية بعقولهم ، وأن يعلموا أنه واجب تحتمه عليهم ظروف الحياة القاسية ليتخلصوا من شرورها وآثامها كما يوجبه عليهم دينهم الذى ارتضاه الله لهم .

إننا فى هذا العصر الجديد نريد أن نرقى فى كل شىء ، نريد أن نرقى فى الزراعة والصناعة والتجارة ، وفى مستوى المعيشة ، ولن نرقى فى شىء من ذلك إلا إذا رقيت عقولنا وارتفعت إلى مستوى أعلى من المستوى الذى هى عليه الآن .

إن كل رقى يأتى من الخارج يدوم ما دام ذلك الخارج ، فإذا زال زال .

أما الرقى الذى يبقى فهو ذلك الرقى الذى يأتى من داخلنا ومن عقولنا فتستنير العقول وتنير لنا طريقنا ، وتوحى لكل فرد منا بما يجب عليه فى هذه الحياة فإذا كل شىء فى حركة ، وكل شىء فى تقدم ، وكل شىء فى نظام ، هذا هو الطريق ولا طريق سواه .

محمد عرفه
عضو جماعة كبار العلماء

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

علامات

علامة حب الله : حب القرآن .

وعلامــة حب القــرآن : حب النبــى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وعلامة حب النبـى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : حب سنته .

أبيات محببة

ذكر عن الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ أنه كان كثير الإنشاد لهذه الأبيات :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقــيب
ولا تحسبن الله يغفــل ســاعــة
ولا أن ما تخفى عليــه يغــيب

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

عن عون بن عبد الله ، قال : كان يقال : من كان فى صورة حسنة . ومنصب لا يشينه ، ووسع عليه فى الرزق كان من خالصة الله .

الحيلة ..... والصبر

سئل رجل لا يبالى بالدنيا :

لماذا لم نجدك مغتما قط ؟

قال : إن جميع المكاره قسمان :

قسم فيه حيلة ، فالاحتيال دواؤه .

وقسم لا حيلة فيه ، فالصبر شفاؤه .

كأنك تعيش الدهر كله

قيل لخالد بن صفوان : مالك لا تنفق فإن مالك عريض ؟

قال : الدهر أعرض منه .

قيل له : كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله ،

قال : ولا أخاف أن أموت فى أوله .

ذكاء ... وبخل

قال رجل لثمامة بن اشرس : إن لى إليك حاجة :

قال : وأنا لى إليك حاجة .

قال : وما حاجتك إلى ؟

قال : لا أذكرها حتى تضمن قضاءها .

قال : قد فعلت .

قال : فإن حاجتى إليك ، ألا تسألنى حاجة .

فانصرف الرجل عنه .

حقا

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

نعم الصديق صديق لا يكلفنى
ذبح الدجاج ولا شئَّ الفراريج
يرضى بلونين من كشك ومن عدس
وإن تشهى فزيتون بطسوج[1]

أخبرنى بأعجب شىء ؟

قال معاوية بن أبى سفيان لعبيد بن شريّة الجرهمى : أخبرنى بأعجب شىء رأيته فى الجاهلية ؟

فقال : إنى نزلت بحى من قضاعة فخرجوا بجنازة رجل من عذرة يقال له : حريث ؛ وخرجت معهم ، حتى إذا واروه فى حفرته انتبذت جانبا عن القوم وعيناى تذرفان ، ثم تمثلت بأبيات شعر كنت أرويها قبل ذلك بزمان طويل :

تجرى أمور ولا تدرى أوائلها
خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضيَّن به
فبينا العُسْر إذ دارت مياسير
وبينا المرء فى الأحياء مغتبطا
إذ صار فى الرمَّسْ تعفوه الأعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه
وذو قرابته فى الحى مسرور

الزَّاهد

ليس الزاهد من لا يملك شيئا ؛ إنما الزاهد من لا يملكه شىء .

دعاء

« اللهم إنك تعلم أن هذا النبى المصطفى حبيب قلوبنا وهواها ، وأنه غاية أشواقنا ومناها ، ونداء أرواحنا ومبتغاها ، فصلِّ عليه يا ربنا أجمل صلوات وأبهْاها ، وسلم عليه أزكى تسليمات وأوفاها ، وبارك عليه أتم بركات وأنماها » .

---

(١) الطسوج : مقدار من الوزن و مقداره حبتان

اللغة والنقد والأدب

القصيدة العربية

ومدى تلازم الوحدة الموضوعية لها

د / أحمد مصطفى حافظ

- ٤ -

من الصعوبة بمكان ـ إن لم يكن من المستحيل ـ أن نحاول الرجوع إلى العصور السحيقة التى سبقت ظهور الإسلام ، لننقب فى مصادرها ومخلفاتها الأدبية ، باحثين عن بدايات الشعر الجاهلى ، للتعرف على أقدم شعرائها ، مثل (ابن خزام) مثلا الذى ذكره امرؤ القيس فى إحدى قصائده .. خاصة إذا عرفنا أن هذه البدايات لم تنشأ فى عصر تدوين وكتابة ، وإنما ظهرت فى العصر الجاهلى الذى كانت الأُمِّية متفشية فيه ، ومن ثم اقتصر الأمر على قيام الشعراء بإنشاء قصائدهم فيما بينهم وبين أنفسهم وفى محافل القبيلة ، ثم فى الأسواق الأدبية منفعلين بحادث أو منظر طبيعى أو تجربة ما .

وتداوُل القصيدة أو المقطوعة ، بعد ذلك ، على الألسنة ، إذا استكملت عناصر الموهبة الفنية المتوهجة ، مما يُغرى ذواكر الحفظة باستيعابها ، وترديدها بين الحين والحين ، كما يحدث للكثير منا فى أيامنا هذه ، حينما يرون أنفسهم يترنمون ، فجأة ، بوعى أو بغير وعى ، ببعض القصائد والأهازيج التى يستمعون إليها فى المذياع ، مما يؤخر ، أو يقلل الشعور بالتعب .

ومن ثم كان يَنْبُهُ ذكر الشاعر الجاهلى الصاعد ، ويعرف اسمه بين الرُّواة والمتذوقين ، وتستحق القبيلة التى نشأ فيها ، أن تهنئها على ظهوره فيها سائِرُ القبائل ، وتُقام بهذه المناسبة الاحتفالات والمآدب .

هذا ، وإن كان ما وصلنا من الشعر الجاهلى ـ بهيئته وصورته الناضجتين ـ يجعلنا نجزم بأن هذا الاكتمال قد استغرق قرونا عدة من النشوء الارتقاء ، حتى تم تمامه واستكمل أَدَاوُهُ ، وصار على ما هو عليه من موسيقية عروضية ، فى الوزن والقافية ، لا نظير لها فى شعر الأمم التى سبقته

أو واكبته .. وليس الأمر ــ كما يقرر الجاحظ ــ أن الشعر الجاهلى قد نشأ قبل ظهور الإسلام بقرن ونصف القرن أو على الأكثر بقرنين من الزمان فذاك أمر مستحيل .

* * *

ونستطيع أن ندلل على وجود « الوحدة الموضوعية » فى القصائد القصيرة والمقطعات التى تُعد بمثابة الزخّات أو الدفقات الأولى فى بدايات الشعر الجاهلى ، متمثلة فى النماذج التالية ، التى تحفل بالتجارب الشعورية العميقة .

١ ــ للممزق العبدى[١] فى لحظة فقدان الذات :

هـل للفتى من بنـات الـدهر[٢] من واق ... أم هـل لـه من حمـــام المـوت من راق
قـد رَجَّلونى ــ ومارُجِّلتُ من شعث ... وألبســونى ثيـابـا غير أخـــلاق[٣]
ورفَّعُونى وقـالـو : أيمـــا رجـــل[٤] ... وأدرجـونى .. كأنى طـىُّ مخراق[٥]
وأرســـلوا فتيـة من خيرهم حسبـا ... ليُسْندوا ــ فى ضريح التُّرْبَ أطبـاق[٦]

* * *

هـوِّنْ عليك .. ولا تُولَعْ بإشـــفاق ... فإنما مالنـــا .. للـــوارث البـــاق
كأننى قـد رمـانى الـدهر عن عُرضٍ ... بنافـــذات[٧] .. بلاريش وأفـــواق

٢ ــ ولبشر بن أبى خازم الأسدى فيما فعل المشيب :

أجـــدَّ[٨] من آل فاطمـــة اجتنابـــا ... وأقصر .. بعـد مـا شـابـتْ وشـابـا
وشـاب لداتُـــه وعـدلـــن عنـــه ... كما أبليـــــتَ من لُبْس ثيـابـــا

---

(١) واسمه شَأس بن نهار ، وأطلق عليه لقب (الممزق) لقوله فى بيته المشهور :

فإن كنت مأكـــولا ، فكـــن خير آكل ... وإلا فأدْركْنـــــــى ولما أُمـــــزّق

(٢) بنات الدهر : الحوادث الجسام .

(٣) غير أخلاق : ليست بالية (جديدة)

(٤) أيما رجل : ياله من رجل .

(٥) المخراق : منديل ونحوه ــ انظر المعجم الوسيط .

(٦) أطباق : مفاصلى .

(٧) نافذات : يعنى سهاما تصيب هدفها .

(٨) أجَدَّ : جدَّ ــ أى أحدث اجتنابا جديدا وأقصر : كف ــ أى امتنع عن التغزل .

فإنا تك نَبْلها طاشت ونبلى ... فقد نرمى بها حقبا صيابا[9]
فتصطاد الرجال إذا رمتهم ... وأصطاد الْمُخَبَّأَةَ الكَعَابَا
وناجية[10] حملت على سبيل ... كأنّ على مَغَابِنَهَا ملابا

٣ ـ ولعروة بن الورد بن زيد العبسى ، بما يتفق فى معْناه مع ما نصت عليه الآية القرآنية الشريفة :

﴿فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ .

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه ... شكا الفقر ، ولام الصديق فأكثرا
وصار على الأدْنين كَلاًّ ، وأوشكت ... صلات ذوى القربى له أن تنَكَّرا
وما طالب الحاجَات من كل وجهة ... من الناس ، إلا مَنْ أجدَّ وشَمَّرا
فسِرْ فى بلاد الله ، والْتمس الغنى ... تَعِشْ ذا يسَار ، أو تموت فَتُعْذَرَا

وكذلك قوله فى أبياته المشهورة التى يقول فيها فى ذات المعنى :

٤ ـ دعينى للغنى أسعى ، فإنى ... رأيت الناس شرُّهم الفقيرُ
وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخير[11]
ويُقصيه النَّدىُّ وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير
ويُلْفَى ذو الغنى وله جلال ... يكاد فؤادُ صاحبه يطير
قليل ذنبه ـ والذنب جم ! ـ ... ولكنْ للغِنَى ربٌّ غفور

٥ ـ وللخنساء فى رثاء أخيها صخر :

يذكرنى طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم .. لقتلت نفسى
ولكن لا أزال أرى عجولا ... وباكية .. تنوح ليوم نحسِ
أراها والها تبكى أخاها ... عشية رزئه أو غب أمسِ
ومايكون مثل أخى ، ولكن ... أُعزِّى النفس عنه بالتَّأسى
فلا والله لا أنساه حتى ... أفارق مهجتى ويُشَقّ رمسى
وقد ودَّعتُ يوم فراق صخر ، ... أبى حسان : لذاتى وأنسى

---

(٩) صيابا : جمع صائب ـ والسهم الصائب هو المصيب .
(١٠) ناجية : ناقة سريعة . مغابن : بواطن الأفخاذ . الملاب : نوع من الطيب .
(١١) الخير : الكرم والشرف .

فيالهفــى عليـــه ولهـــف أمـــى أيـصبح فى الضـريح وفيه يمسـى ؟!

و(أبو حسان) فى البيت السابع : كنية أخيها صخر ، ويُكنى أيضا أبو أوْفى .. ومن طريف مايروى أن الأصمعى خرج على أصحابه ، فقال لهم : مامعنى قول الخنساء : يذكرنى طلوع الشمس صخرا إلى آخر البيت فلم يعرفوا . فقال : أرادت بطلوع الشمس (للغارة) ، وبمغيبها : (للقرى) !

فقام أصحابه وقبلوا أرْجله ..

* * *

٦ ـ وهذا معن بن أوْس المزنى يقول أبياتا من أروع ماقيل عن الصداقة والأصدقاء :

لعمـــرك ما أدْرِى وإنى لأوجـــل على أيّنا تغْـــدو المنيّــــة أول

وإنى أخـوك الـدائم العهـد لم أحُـلْ إنَ ابزاك(١٢) خصم أو نبابك منـزل

أحارب من حاربت من ذى عداوة وأحبس مالى إنْ غَرمت فأعقـل(١٣)

وإن سُؤْتنى يوما صفحت إلى غد ليعقب يوما منك آخــر مقبـــل

كأنك تَشْفِى منك داءً .. مساءتى وسُخطى ، وما فى ريبتى ما تعجل(١٤)

وإنى على أشيــاءَ منك تريبنـــى قديما .. لذو صفح على ذاك مجْمل

.. ستقطع ـ فى الدّنيا إذا ما قطعتنى ـ يمينك .. فانظر أىَّ كفٍّ تَبــدَّل

وفى الناس .. إن رَثّتْ حبالك واصلٌ وفى الأرض عن دار الـقلى مُتحوَّل

إذا أنت لم تنصف أخـاك وجدتـــه على طرف الهجـران إن كان يعقـل

ويركب حَدَّ السيف من أن يُضيمَهُ إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل(١٥)

وكنت إذا ما صاحب رام ظِنّتـى(١٦) وبدل سـوءاً بالذى كنــت أفـعل

قلـــبت له ظهـــر المجن فلـــم أدم على ذاك إلا .. ريثما أتحول ؟

إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكَدْ إليـه بوجـهٍ .. آخِـرَ الدهـر تقبـــل

---

(١٢) أبزاك : غلبك ، الأبيات من الطويل ، والفعل رباعى همزته للقطع ، لكنها فى اليت يجب أن تسقط قراءة .

(١٣) أحبس مالى : أجعله وقفا عليك لتدفع به دينك .

(١٤) ومافى ريتى ماتعجل : ليس يسوٴنى أى منفعه تتعجل الحصول عليها .

(١٥) مزحل : مَنْأى

فإن الوحدة الموضوعية **Organic unity** لاتقتصر على بعض القصائد القصيرة والمقطعات فحسب ؛ بل تتوفر أيضا فى بعض المطولات ، وهذا الدكتور طه حسين يقول فى معرض حديثه عن المعلقة الرابعة التى نظمها أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى ، وهو يحاور صاحب له : « .. والعجيب أن تنشأ الأساطير فى العصر الحديث ، وأن تنمو ويعظم أمرها ، وتسيطر على العقول ، مع أن عهد الأساطير قد انقضى ، وأصبح العقل الحديث أذكى وأرق ، وأدنى إلى الحذر والفطنة من أن يذعن لها ، أوينخدع بها .. .... « القصيدة العربية واقتصار وحدتها على الوزن والقافية » ــ دون المعنى ــ : أسطورة ياسيدى من هذه الأساطير التى أنشأها الافتتان بالأدب الأوربى الحديث ، والقصور عن تذوق الأدب العربى القديم » إلى أن يقول لصاحبه هذا : « أمامك قصيدة لبيد ، فأرنى كيف تقدم فيها وتؤخر وكيف تضع فيها بيتا مكان بيت ، دون أن تفسد معناها إفسادا ، وتشوه جمالها تشويها .. إنها بناء متقن محكم ، لا تغير منه شيئا ، إلا أفسدت البناء كله ، ونقضته نقضا .. » .

ولعل الدكتور طه حسين ، بهذا الدفاع الحار عن الوحدة الفنية فى الشعر الجاهلى ، والانتصار له .. أراد أن يرد للشعر الجاهلى اعتباره ، بعدما شكك فيه ، ورمى رواته بالانتحال والاختراع ، بغير حدود .

وبعد :

فقد واصلنا الحديث فى الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية من أقدم عصورها ، منذ استوت يانعة زاهرة تلقفتها الرواة وحفظوها ، فلم نكتب بشأنها عن فراغ ، ولم نضع بين أيدى ماسطرنا حوارا عقليا بحتا نلوذ به عن هرب لنقول بهذه الوحدة فى إطار فلسفى بل وضعنا بين أيدى الدارسين نماذجه المتعددة التى لاتزال بين أيدى الدارس عبر اعداد أربعة من مجلة الأزهر حتى إننا لنقول ــ واثقين مما نقول :

إن الشعر العربى كان ــ فى أقدم ماوصل إلينا (مقطعات) ثم تلاها (مطولات) وهذه المقطعات تمثلت فيها الوحدة العضوية الموضوعية كاملة تامة .

أى أن القصيدة العربية بدأت بهذه الوحدة ، قبل أن يطرأ عليها أكثر من موضوع فى بعض المطولات ..

والحديث موصول

---

(١٦) ظنتى : تُهمتى

أحكام العدد وتمييزه من القرآن الكريم

للأستاذ/ محمد عتريس إبراهيم

لغتنا العربية عبقرية حسناء ، تَدِلُّ على لِدَاتها بموسيقية كلماتها ، تلك التى لا ينضب معينها من اشتقاقات ومرادفات تنهض بأداء المعانى مهما كانت حداثتها ـ لولا تراخى الأبناء ـ وهى ترفل فى خيلائها ، عاليها ثياب سندس خضر من تتبعها واستقصاها ، وحفل تاريخه المجيد ـ من بداياته فى القرن الهجرى الأول وحتى اليوم ـ بدراسات متعمقة واجتهادات شامخة أرست قواعده ، وأقامت بنيانه راسخاً وسامقاً ، وغدونا نباهى به الأمم تراثاً تليداً .

ومن السمات التى ينفرد بها (نحونا) العربى ـ وهى سمة تضفى عليه مهابة ورواء ـ تلك الكثرة الكاثرة من المسائل التى يعج بها ، ومن ثم كثرة قواعده . فجاءت الشواهد خير معوان على حفظ تلك القواعد والتذكير بها عندما تخون الذاكرة .

و (الشواهد) جمع (شاهد) ، وهو (الدليل) . ويكون قولا مأثوراً محكم الصياغة ، ويمثل تطبيقاً دقيقاً للقاعدة النحوية ، وعلى رأس هذه الشواهد تأتى الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة .

والأحكام النحوية الخاصة بالعدد وتمييزه عديدة ومراوغة[1] ، وباتت الشواهد وسيلة

(١) كتاب « تجديد النحو » للدكتور شوقى ضيف يقول : والعدد دقيق فى تذكيره وتأنيثه ، إذ لا يجرى على قواعدهما العامة فى اللغة ، ولكل قسم من أقسامه قاعدته الخاصة فيهما . ص ٢١٥

ناجعة لاستحضارها . ويحفل التنزيل العزيز بآيات بينات فيما يتعلق بأقسام العدد : المضاف ، والمركب ، والعِقد ، والمعطوف[2] .

أولا : **العدد المضاف** وهو على قسمين :

(أ) ما لا يضاف إلا إلى جمع ، وهو : ثلاثة وأربعة وما بعدهما إلى عشرة ، وتمييزه يكون جمعاً مجروراً بالإضافة ، وفى الأغلب يكون جمع تكسير للقلة[3] ، وتثبت تاء التأنيث فى العدد إن كان المعدود (التمييز) مذكراً ، وتسقط إن كان مؤنثاً ؛ فالعدد فى هذا القسم ، مخالف للتمييز تذكيراً وتأنيثاً كما فى الشواهد الآتية :

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾

١٩٦ ــ سورة البقرة

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾

٤٣ ــ سورة يوسف

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾

٧ ــ سورة الحاقة

والحكم على المعدود بالتأنيث أو التذكير إنما يكون بالرجوع إلى مفرده ، فتقول : ثلاثة قطارات ؛ لأن مفردها (قطار) مذكر ؛ وثلاث سور ، لأن مفردها (سورة) مؤنث . قال تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾

٢٦١ ــ سورة البقرة

ذَكَّر (سبع) لأن مفرد (سنابل) سنبلة وهو مؤنث .

ومخالفة العدد للمعدود تذكيراً وتأنيثاً يشترط لتحققها شرطان : أن **يكون المعدود مذكوراً فى الكلام** ، وأن يكون متأخراً عن لفظ العدد ؛ فإن كان المعدود متقدماً أو غير مذكور فى الكلام ، جاز فى لفظ العدد التذكير والتأنيث نحو :

كتبت صحفاً ثلاثاً أو ثلاثة ، وحكم مصر بعد الثورة أربعة أو أربعٌ[4] .

أما ضبط حرف الشين فى « عشرة » ، سواء أكانت مفردة أو جزءا فى عدد مركب ، فيكون بالفتح إذا كان المعدود مذكراً ، كما فى قوله تعالى :

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾

١٩٦ ــ سورة البقرة

ويكون بالسكون إذا كان المعدود مؤنثاً كما فى قوله :

---

(٢) راجع « شرح ابن عقيل على الألفية » ص ١٦٥

(٣) ومما جاء على غير الأغلب قوله تعالى : ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قُروء** ﴾ الآية ٢٢٨ ــ سورة البقرة . فأضاف ثلاثة إلى جمع الكثرة مع وجود جمع القلة ، وهو أقْرُؤ (مفردة : قُرء) وهو الحيض فى قول أبى حنيفة وأحمد ، والمعنى الدقيق للقَرْء أنه اسم لكل وقت معلوم البداية والنهاية ، فهو بهذا التحديد ليس من المتضاد ، لكن لما كان وقت الطهر كوقت الحيض . كلاهما محدد البداية والنهاية انطبق معنى القرء عليهما .

(٤) إذا مُيز العدد المضاف بتمييزين أحدهما مذكر والآخر مؤنث ، روعى فى تأنيث لفظ العدد وتذكيره التمييز السابق منهما ؛ نحو : أقبل سبعة رجال وفتيات ، وأقبل سبع فتيات ورجال .

﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾

٦٠ ـ سورة البقرة

وإعراب المضاف يكون بالحركات الظاهرة على آخره حسب موقعه فى الجملة :

﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

٦ ـ سورة النور

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

٢٣٤ ـ سورة البقرة

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾

٤ ـ سورة النور

(أربع) فى الشاهد الأول خبر مرفوع بالضمة ، وفى الثانى مفعول منصوب بالفتحة ، وفى الثالث مجرور بالباء ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

ولو تقدم التمييز على العدد كان إعراب التمييز على حسب موقعه فى الجملة ، وأعرب العددُ نَعْتًا له . مثال ذلك : عندى كتبٌ ثلاثةٌ ، برفع (ثلاثة) نعتا لـ (كتبٌ) .

ويلحق بهذا القسم كلمة « بضع » ومؤنثها « بضعة » ، وتدل على عدد مبهم لكنه لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد على تسعة . وحكمها فى التذكير والتأنيث والإعراب هو حكم المضاف .

﴿ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾

٤٢ ـ يوسف

﴿ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾

٣ ، ٤ ـ سورة الروم

بضعةُ غلــــمان

قال ابن مالك فى ألفيته

ثَلاثــةً بالتَّــاءِ قُلْ لِلْــعَشَرَهْ
فِى عَدِّ ما آحــادُهُ مُذَكَّــرَهْ
فى الضِّد جَرِّدْ والمميِّزَاجْــرُرِ
جَمْعًا بلفظ قِلةٍ فى الأكثَــر

توضيح : أنِّثْ (بالتاء) الأعداد من ثلاثة إلى عشرة إذا كان مفرد المعدود (آحاده) مذكراً . أما حيث يكون مفرد المعدود مؤنثاً (فى الضد) فذكر العدد بتجريده من التاء . أما تمييز العدد (المميِّز) فيكون جمعا مجروراً بالإضافة إلى العدد ، وفى الأكثر يكون جمع قلة .

(ب) ما لا يضاف إلا إلى مفرد : وهو مائة ، وألف ؛ ولو اتصلت بهما علامة تثنية أو جمع مثل : مائة درهم ، ومائتا ثوب ، وثلثمائة دينار(٥) ؛ وألف عبد ، وألفا أمة ، وثلاثة آلاف فارس . وتمييزه يكون مفرداً مجرورا بالإضافة . قال تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ﴾

٢٦١ ـ سورة البقرة

---

(٥) فى الدورة التاسعة والعشرين ، لمجمع اللغة العربية أجاز كتابة كلمة « مائة » بغير الألف التى زادها القدماء لتصبح (مئة) ؛ كما أجاز فصل الأعداد ثلاثة وتسعة ومابينهما عن مئة ، فمثلا ثلثمائة تكتب هكذا : ثلاث مئة ـ وذلك من باب التيسير .

إنما زاد القدماء ألف مائة حين لم يكن ثمة نقط ولا شكل فوجدوا كلمة : مئة ، فئة ، مستوية الشكل فزادوا الألف فى مائة للفرق بينها وبين غيرها صورة ... مجلة الأزهر .

وقوله :

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

٩٦ ـ سورة البقرة

ملاحظة : يصلح الأَلْفُ تمييزا لكل أقسام العدد الأربعة (المضاف والمركب والعقد والمعطوف) . قال تعالى :

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾

١٢٤ ـ سورة آل عمران

وقوله :

﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾

١٤٧ ـ الصافات

أما المائة فلا تصلح تمييزا إلا للثلاث والتسعة وما بينهما ، وإلا للأعداد المركبة ، مثل: ثلاثمائة ، وخمسمائة ، وإحدى عشْرة مائه وخمس عشرة مائة . وإذا وقع لفظ (مائة) تمييزا للثلاثة أو التسعة أو ما بينهما فالأغلب الذى يقتصر عليه هو إفراده (٦) بالمخالفة للقاعدة .

وبالنسبة للتذكير والتأنيث ؛ فإن كلمة (مائة) ملازمة للتأنيث اللفظى فى كل استعمالاتها هى ومضاعفاتها . وكلمة (ألف) ملازمة للتذكير اللفظى دائما هى ومضاعفاتها . فمادتهما الهجائية ثابتة لا يدخل عليها تغيير من هذه الناحية ، إلا عند إلحاق المائة بجمع المذكر السالم حيث يقال : (مئون ومئين) (٧) .

ويعرب هذا القسم بالحركات الظاهرة على آخره إلا إذا كان مثنى أوجمعا فيعرب إعرابهما . قال تعالى :

﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

٦٦ ـ سورة الأنفال

قال صاحب الألفية :

ومائــةً والألــفَ للفــردِ أضِفْ
ومائــةٌ بالجمــع نَزْرًا قدرُدِفْ

توضيح : أضف مائة والألف للمفرد (الفرد) ليكون تمييزا لهما . والعدد مائة قد (يردفه) أى يأتى بعده جمع ، لكن هذا (نَزر) أى: قليل جداً . ومن هذا النزر الذى أضيفت فيه مائة إلى جمع ، قراءة حمزة والكسائى لقوله تعالى فى الآية ٢٥ من سورة الكهف

﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائةِ سنينَ وازدادوا تِسْعًا بإضافة (مائةِ) إلى (سنين) ، وترك التنوين (تنوين مائة) . كأنهم جعلوا سنين بمنزلة سنة إذ المعنى بهما واحد .

قال أبو على : هذه الأعداد التى تضاف فى المشهور إلى الآحاد نحو ثلثمائة رجل وثوب قد تضاف إلى المجموع ، وفى مصحف عبد الله « ثلثمائة سنة » . وقرأ الجمهور « ثلثمائةٍ سنين » بتنوين (مائة) ونصب (سنين) على التقديم والتأخير ؛ أى (سنين ثلثمائة) فقدم الصفة على الموصوف ، فتكون (سنين) على هذا بدلا أو عطف بيان (٨) .

---

(٦) النحو الوافى ، الجزء الرابع ، ص ٥٣٣ ـ ٥٣٤

(٧) المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص ٥٣٦

(٨) تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم .

ثانيا : **العدد المركب** :

وهو ماتركب من عددين هما عشرة مع ما دونها إلى واحد . وتنحصر فى : أحد عشر ، وتسعة عشر ومابينهما ؛ ويلحق بها بضعة عشر وبضع عشرة . سميت مركبة لأنها تركب من جزأين امتزجا واتصلا ككلمة واحدة ، ويسمى الجزء الأول : صدرَ المركب ، والثانى : عَجُزَه .

وهو يبنى على فتح الجزأين فى محل رفع أو نصب أو جر حسب موقعه فى الجملة . ويستثنى من هذا الحكم : اثنا عشر ، واثنتا عشرة إذ تعرب اثنا واثنتا إعراب المثنى فترفع بالألف وتنصب وتجر بالياء ، وتعرب عشر وعشرة مبنياً على الفتح لا محل له . فى قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾

٤ ـ سورة يوسف

(أَحَدَ عَشَرَ) مبنى على فتح الجزأين فى محل نصب مفعول به . وفى قوله :

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾

٣٧ ـ ٣٠ ـ سورة المدثر

تقديره : تسعة عشر مَلَكًا هم خزنتها كما جاء فى تفسير القرطبى . و (تسعة عشر) مبنى على فتح الجزأين فى محل رفع مبتدأ مؤخر .

أما فى قوله تعالى :

﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾

تعرب اثنتا فاعل مرفوع بالألف .

وفى قوله :

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ .

١٦٠ ـ سورة الأعراف

(اثنتى) مفعول به منصوب بالياء . وتعرب (عشرة) فى الشاهدين : اسماً مبنياً على الفتح لا محل له .

وتمييز العدد المركب يكون مفرداً منصوبا : كوكباً ، عيناً ،... الخ .

أما الحكم بالنسبة لتأنيث الأعداد المركبة وتذكيرها فيتلخص فى أن عجْزَها وهو (عشرة) يطابق المعدود دائماً فى تذكيره وتأنيثه ، وكذا صدرها إن كان لفظه : أحد ، إحدى ، اثنى أو اثنتى ؛ فإنه يطابق المعدود تذكيراً وتأنيثاً .

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾

٤ ـ سورة يوسف

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾

٣٦ ـ سورة التوبة

وتقول : عندى إحدى عشرة بنتاً .

ويقول تعالى :

﴿ **فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً** ﴾ .

وإن كان صدر العدد ثلاثة أو تسعة وما بينهما وجب مخالفته للمعدود . أما العشرة فى المركب فتطابق المعدود كما سبق . تقول : حضر حفلَ الزواج ثمانيةَ عَشَرَ رجلا وثلاثَ عشْرة فتاة .

وفى قوله تعالى :

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾

تقديرة : تسعة عَشَرَ مَلَكاً . قال ابن مالك :

وَأَحَدَ اذكُر وصِلَنْه بِعَشَرْ
مُرَكَّبا قاصدَ معدودٍ ذكَر
وقل لدى التأنيث إحدى عشْرَهْ
والشينُ فيها عن تميم كسْرَهْ

توضيح : قل أَحَدَ عَشَرَ إذا كان المعدود مذكراً ، وإحدى عَشْرَةَ إذا كان المعدود مؤنثاً . وتميم اسم قبيلة تجيز كسر (شين) عشرة المؤنثة لكنّ الأشهر تسكينُها .

ولثلاثـــةٍ وتسعـــةٍ ومـــا
بينهمـــا إن رُكِّبَـــا ما قُدِّمـــا

(ما قدما) ما تقدم من قاعدة لهذه الأعداد فى حالة كونها مضافة ، وهى ثبوت التاء مع المذكر وحذفها مع المؤنث ، تطبق عليها إن ركبت .

وأَوْلِ عَشْرَةَ اثنتَـــــيْ وعَشَرَا
إثنَـىْ إذا أنثـــى تَشَا أو ذَكَـــرَا

(أَوْلِ) اتبع ، فتقول جاءتنى اثنتا عشْرةَ امرأة واثنا عَشَرَ رجلا .

«والْيَا» لغير الرفع ، وارفع بالألِفْ
والفتحُ فى جُزأَىْ سواهما أُلِـــفْ

«الْيا» الياء . (أُلِف) فى القول المألوف الشائع . يقول : اثنا واثنتا برفعان بالألف وينصبان ويجران بالياء ، وأما العجز فيبنى على الفتح .

ثالثاً : العدد العِقد :

ويسميه بعض النحاة بالعدد المفرَد ؛ أى الخالى من الإضافة والتركيب . وينحصر ــ اصطلاحاً ــ فى الألفاظ : عشرين ، ثلاثين ، أربعين ، خمسين ، ستين ، سبعين ، ثمانين ، تسعين[9] .

وتعرب هذه العقود إعراب جمع المذكر السالم فى جميع الأحوال . وهى أسماء جمع ؛ وليست جمع مذكر سالم حقيقى ، فليس لكل منها مفرد من لفظه . قال تعالى :

﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾
١٤٢ ــ سورة الأعراف

وقوله :
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾
١٤ ــ سورة العنكبوت

وقوله :
﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾
٣٢ ــ سورة الحاقة

العقود : ثلاثين ، وأربعين ، وخمسين منصوبة بالياء ؛ والعِقد : سبعون مرفوع بالواو نيابة عن الضمة .

وتمييز العقود يكون مفرداً منصوباً . قال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾

١٥ ــ سورة الأحقاف

وبالنسبة لتذكير العقود ؛ فإنها ملحقة فى إعرابها بجمع المذكر السالم ؛ فلا يصح أن يتصل بلفظها علامة تأنيث منعا للتعارض ؛ إذ يلازمها دائماً علامتا جمع المذكر السالم (الواو والياء)

---

(٩) المقصود بالعقد هنا معنى اصطلاحى يقتصر على أعداد محصورة لها حكم خاص بها ؛ وهى تلك العقود التى تبدأ بعشرة وتنتهى بتسعين ، لكن العقد (عشرة) لا يشترك مع البواقى فى حكمها النحوى ، ولهذا لا يذكر معها .

سواء أكان معدودها مذكرا أم مؤنثا (راجع الشواهد) . ومع أن لفظها اسم جمع ملحق بجمع المذكر السالم إلا أن معدودها (تمييزها) لابد أن يكون مفرداً ، مذكراً أو مؤنثاً على حسب الحالة .

قال الناظم فى ألفيته :

ومَيِّز العشرين للتِّسعينا
بواحدٍ كأربعين حينَا
وميِّزوا مُركَّبًا بمثلِ ما
مُيِّز : «عشرون» فسوِّينْهُما

الحين : الوقت . بَيَّنَ حكم تمييز العقود ، وأنه مثل تمييز العدد المركب فيكون مفرداً منصوباً .

رابعاً : العدد المعطوف :

ينحصر بين عقدين ، كالأعداد المحصورة بين عشرين وثلاثين ، أو بين ثلاثين وأربعين ، مثل : واحد وعشرون ، أثنان وعشرون ، ثلاثة وثلاثون ، سبعة وستون .

وكل عدد محصور بين عقدين لابد أن يشتمل على معطوف (من نوع العقود) ، ومعطوف عليه (من نوع العدد المضاف إلى جمع) وأداة عطف (هى الواو) .

وحكم هذا القسم أن المعطوف عليه (ويسمى النَّيِّفْ) لابد أن يتقدم دائماً ، ويعرب حسب موقعه فى الجملة مع خضوعه لحكم المضاف إلى جمع (إلا ما كان منه دالا على تثنية فيعرب إعراب (المثنى) . وأن المعطوف يتبعه فى الإعراب ، ولكن بالحروف التى يعرب بها جمع المذكر السالم حيث أنه عِقد .

أما تمييزه فيكون مفرداً منصوباً . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « **من فرج عن مؤمن مهموم ، أو أعان مظلوماً غفر الله له ثلاثاً وثلاثين مغفرة** » .

نلاحظ من الحديث الشريف أن المعطوف عليه (ثلاثا) مذكر فخالف التمييز المؤنث (مغفرة) وهكذا فإنه إذا كان المعطوف عليه ثلاثة أو تسعة أو عددا بينهما أو كلمة بضع ، وجب مخالفته للمعدود (التمييز) تذكيراً وتأنيثاً حسب قاعدة المضاف إلى جمع . وإذا كان (واحدا) أو (اثنين) وجب مطابقته للمعدود تذكيراً وتأنيثاً . أما المعطوف – وهو العِقد – فمذكر دائماً . مثال : فى المدرسة واحد وعشرون مدرساً ، وإحدى وثلاثون مدرسة ، واثنان وعشرون إدارياً ، واثنتان وعشرون عاملةً .

وبعد ، فقد تناول المقال بالتعريف كل قسم من أقسام العدد ، وأورد الأحكام الخاصة بإعرابه ، وتمييزه ، وتذكيره وتأنيثه مشفوعة بالشواهد القرآنية الكريمة وبأبيات من (الألفية) – فمن شأن هذا تأصيل القاعدة وترسيخها . والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

المراجع :

القرآن الكريم
معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية
تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم
شرح ابن عقيل على الألفية
النحو الوافى ، الجزء الرابع عباس حسن
تجديد النحو د. شوقى ضيف

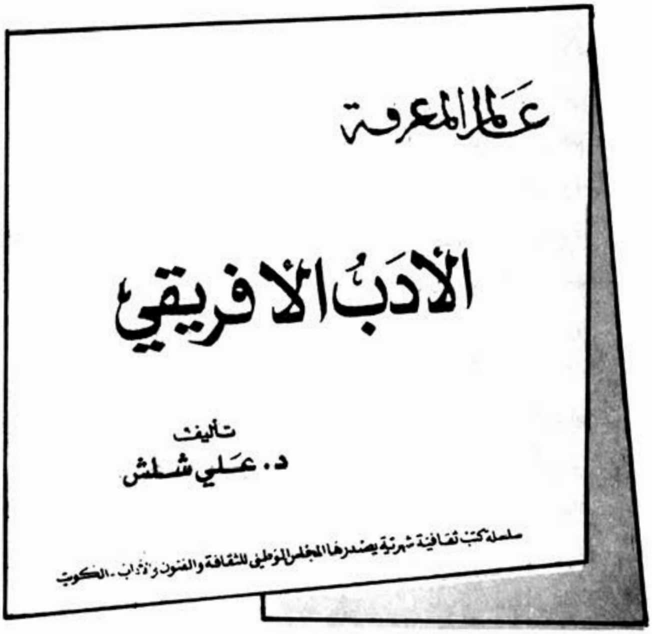

- ٢ -

عرض/ عبير عبد الواحد

واضح أن المؤلف اتخذ منهجاً فى التعريف العام بالأدب الإفريقى فهو يتحدث عن :

(أ) النشاط الأدبى المدون بلغة الأفارقة ..

(ب) ويعالج نفس النشاط فى اللغات الأوروبية الثلاث : البرتغالية والفرنسية والإنجليزية

وهو - فى الفصل الثانى - من كتابه يعالج المسرحية ، ويبين - فى الحديث عن نشأتها - اتفاقها التام مع غيرها فى النشأة بمصر القديمة واليونان ، ولكنه يضع أمام أعيننا حقيقة ليتنا لانغفلها ، وبخاصة حتى لايغفلها الدعاة المسلمون ، فيبين بتركيز شديد : كيف أن الاستعمار استغل كل ضروب النشاط الأدبى - وبخاصة المسرحية - ليدعو من خلالها إلى النصرانية ، وفى سبيل ذلك حاول البطش بالمسرح الإفريقى ، هذا المسرح البسيط الذى عالج الصراع بين البشر والقيم فى وظيفة اجتماعية تحافظ على تقاليد الجماعة وقيمها إلى جانب التعليم والتثقيف ، لذا لم يكن الرمز فيه يميل إلى الغموض .

فأما مسرح الإرساليات التبشيرية ، فإنه كان يهدف إلى تدعيم عملية التحويل إلى النصرانية ، لذلك اهتم بالقضاء على « الدراما » الإفريقية بدعوى أنها تشجع الوثنية .

وفى هذا الفصل أتاح المؤلف للقارىء أن يستوعب الخطوط العريضة للأعمال المسرحية فى القارة مبينا أن « نيجيريا » تتقدم الحركة المسرحية فى القارة يليها غيرها من البلاد .

● ● ●

فى الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن الرواية حيث يوضح أن الرواية والقصة القصيرة والسِّيَر دخلت أفريقيا كلها عن طريق الاحتكاك المباشر بالأداب الأوروبية الحديثة . ومع ذلك رأى الكثير من الإفريقيين أن الرواية ليست غريبة عن تراثهم الشفاهى الحافل بالسير الشعبية والحكايات الخيالية والأساطير .. عموماً ؛ فإن الأفارقة أضفوا على هذا الشكل الفنى الذى طورته أوروبا ـ بلاشك ـ كثيراً من الطوابع المحلية ، مما ورثوه من طرق متعددة فى الحكاية والسرد ، وعناصر خاصة باللغة والبيئة ، وأدوات مختلفة فى رسم الشخصية والحوار والتعبير عن الزمن ..

ويرى المؤلف أن التجارب الأولى فى كتابة الرواية باللغات المحلية المكتوبة شرقاً وغرباً وجنوباً أتت قبل عقود من ظهورها باللغات الأوروبية . وبالرغم من قلة هذه اللغات المحلية المكتوبة ؛ فقد أثبتت مرونتها الشديدة فى استيعاب شكل فنى معقد ومركب مثل الراوية وكانت البداية فى جنوب القارة ، حيث يوجد عدد من اللغات قام المبشرون بتدوينها ـ لأغراض دينية ـ منذ النصف الأخير من القرن الماضى .

ونظراً لظهور هذه المحاولات الأولى فى ظل حركات التبشير القوية وقتها فقد خضعت أيضاً للرقابة الدينية ، وحفلت بالمواعظ ، وسيطر عليها الاتجاه التعليمى الأخلاقى . ونجح بعض أصحابها فى تقديم روايات ناضجة فنياً . ويعّد (توماس موفولو) الذى كتب بلغة (السوتو) رائد هذه المحاولات وأكثر كتابها أصالة ونضجاً .

وفى غرب أفريقيا نشطت محاولات تأليف الراوية بلغات «اليوروبا والهوسا والإيبو» ، وكلها فى نيجيريا . كما نشطت محاولات أخرى فى الشرق باللغة السواحلية فى تنزانيا ، والكيكويو فى كينيا ، والأتشولية فى أوغندا . ولكن هذه المحاولات لم تخرج بعد عن دائرة المغامرات الفردية ، بالرغم من اختلاف المناخ الثقافى غير المثقل بالرقابة وتعنت المبشرين كما هى الحال فى الجنوب ، ومع ذلك سجلت لغة اليوروبا مجموعة من الروايات المتماسكة فنياً لروائى واحد ، يعد أبرز من كتب بها ، وهو (دانيال أولورو نغيمى فاجونوا) .

أما عن الرواية فى اللغات الأوروبية الثلاث : البرتغالية والفرنسية والإنجليزية فنجد المؤلف يتناولها فى البرتغالية أولاً ، فيقول : إن المستفرق الانجليزى «جيرالد مور» وزميله الألمانى «أولى باير» يصفان الشعر الإفريقى المكتوب بالبرتغالية بأنه «لايزيد كثيراً على أن يكون صرخة خالصة قوامها العذاب والخسران» ومع ذلك استغرقت هذه الصرخة إبداعات الإفريقيين فى اللغة البرتغالية ، حتى حرمتها من الاستقرار والتأمل الهادىء المطلوبين فى الأنواع الأدبية المركبة ، وعلى رأسها الرواية .

وكان من نتائج هذا الاستغراق أن الرواية المكتوبة بالبرتغالية جاءت ـ كما وكيفاً ـ فى ذيل الرواية المكتوبة باللغات المحلية .

وعلى العكس من ذلك كانت الفرنسية فى تجربتها مع الرواية الإفريقية . ومن ثم أتيح لها أن تكون أسبق لغات أوروبا فى إنضاج تجربة التعبير الروائى عند الإفريقيين . وقد ظهرت فيها الرواية الإفريقية على نحو مبكر من عام ١٩٢٠ .

أما عن الرواية الإنجليزية فيطالعنا المؤلف بقائمة تتضمن أسماء المؤلفين ورواياتهم ، وليس من شك أن هذه القائمة دالة على مدى نجاح الأفارقة فى هذا اللون من الأدب .

ثم يحاول المؤلف ـ بعد ذلك ـ أن يصنف الروايــة الإفريقيــة ؛ فيجــد : السيطــرة الاستعمارية ، وإرساليات التبشير ، والصدام الثقافى بين أوروبا وإفريقيا ، والروح القبلية ، وفساد الحكم .. الخ ـ يجد هذه الموضوعات وروافدها من أبرز الموضوعات التى تدور حولها الروايات ، وبخاصة تلك المكتوبة بالفرنسية والإنجليزية لا بالبرتغالية أو المحلية .

أما عن النماذج البشرية فى الرواية فأبرزها : النموذج المثالى أو البطولى ، والنموذج التقليدى الذى لم تؤثر فيه السيطرة الاستعمارية ، والنموذج الثورى ، والنموذج الأسطورى ، ونموذج العائد من الغربة بعد المنفى أو الدراسة .

أما الخواص المميزة للرواية الإفريقية فقد اختلف حولها الإفريقيون والمستغرقة فقد أشارت المستغرقة الإنجليزية آن تيبل عام ١٩٦٥ إلى أن الروائيين الإفريقيين ليسوا مهتمين بألوان البراعة فى (التقنية) ومع أنهم كانوا ـ حتى ذلك التاريخ ـ أكثر انشغالاً بالتجربة الواقعية والفكرة الطافحة فقد تطوروا أيضاً مع الزمن والنضج والنقد . فحين بدأوا الكتابة لم يكن رصيدهم المحلى من الرواية يعتد به .

كان عليهم أن يستعيروا القوالب والأشكال الأوروبية ليعبروا من خلالها عن سخطهم على أوروبا الاستعمارية ، ولكن استعارتهم لهذه القوالب والأشكال لم تكن بهدف التفنن فى الشكل ، وإنما بهدف صب تجاربهم وتسجيلها . ولعل هذا يفسر طغيان تلقائية التعبير عند جيل الرواد منهم ، كما يفسر طغيان أسلوب الاعترافات واليوميات على كتابات شباب الجيل التالى الذى تعلم معظمه فى أوروبا .

ومازالت الرواية تتميز بالبناء على التجربة الذاتية والْمَتْح من التراث الشعبى .

● ● ●

فى الفصل الرابع يتحدث الكاتب عن القصة القصيرة حيث يوضح أنها نشأت فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر ، أى بعد أكثر من قرن على ظهور الرواية ، ومع أن جذور هذه النشأة أقدم من ذلك بكثير فقد كان التطوير الأوروبى للجذور القديمة ـ مثل : الحكاية والأسطورة ـ عاملاً حاسماً فى نسبة القصة القصيرة إلى أوروبا . ولقد تأخرت القصة القصيرة فى الظهور فى (إفريقيا خارج مجال العربية) ، لا لأنها تأخرت أصلاً فى أوروبا عن الرواية ، وإنما لأن الصحافة لم تشجعها فى البداية .. ومع ذلك كان للمجلات دور بارز فى تطور القصة القصيرة ، وإقبال الكتاب عليها داخل المستعمـرات البرتغاليـة والإنجليزيـة والفرنسية . .ومن أهم هذه المجلات (مجلة الوضوح) فى جزر كاب فيردى و(مجلة الطبلة) فى جنوب إفريقيا و(مجلة الانتقال) فى أوغندا . وكان دور هذه المجلات وغيرها أقرب إلى دور المعمل الذى تم فيه تفريخ القصة القصيرة .

أما الإبداع ذاته فى مجال القصة القصيرة فهو أقل من الرواية والشعر . ويكاد يتصل ـ بوجه عام ـ بإبداع الرواية ، والأدب الشعبى فى آن واحد .

ويلاحظ المؤلف ـ كما يرى : أنه بالرغم من قدم عهد بعض الصحف فى هذه اللغات فلم يحدث أن ظهرت محاولة وطنية فى كتابة القصة القصيرة على النمط الأوروبى قبل هذا القرن . ولكن حدثت محاولات لكتابة قصص يغلب عليها القصر من ناحية ، واستيحاء الحكايات الشعبية من ناحية أخرى . ولم يحدث أن تطورت هذه

المحاولات على الطريقة الأوروبية إلا فى خمسينات القرن الحالى .. ومنذ الخمسينيات نشط بعض كتاب اللغات المحلية فى جمع الحكايات والأساطير الشعبية ، وتنقيحها أو اقتباسها . ولكن الكتابة باللغات المحلية لم ينقل منها إلى اللغات الأوروبية إلا القليل حتى اليوم . وربما كان فى بعضها نضج ، ولكن الأضواء لم تسلط عليها بعد .

أما عن تطور القصة القصيرة فى الإنجليزية فقد أشار أتشيبى إلى ريادة (بيتر أبراهامز) فى القصة القصيرة بكتابة « العهد الأسود » عام ١٩٤٢ م . ولكن القصص التى تضمنها هذا الكتاب فقيرة فنياً وفكرياً ، وإن كانت مشحونــة بالانفعــال والعواطف ، وقد مضى نحو عقد من السنين بعد هذا التاريخ قبل أن تظهر قصص قصيرة ناضجة فى جنوب إفريقيا .

ويرى الكاتب المؤلف أن أهم كتاب « القصة القصيرة » فى جنوب إفريقيا مفاليلى ، ومن المستوطنين البيض نادين جورديمر .

لقد كان الهروب والاحتجاج يميزان القصة القصيرة ، قبل أن يكتبها الجيل الجديد ، فمنذ انتفاضة الطلاب عام ١٩٧٦م ، ونجاحها فى هز مشاعر السود والبيض على السواء ، انحسر الهروب الرومانتيكى ، واندمج الاحتجاج فى الإصرار على الحق ، والإيجابية ، وتسجيــل الشقاء ، واستفزاز الشعور والعقل . ومع أن مؤلفات الجيل الأسبق صارت ممنوعة من التداول هناك ، فقد نجح الجيل الحالى فى الاطلاع عليها بشتى الوسائل ، والعزف من جديد على النغمات المحركة لها ، مع الارتباط الشديد بالتراث الشعبى المحفوظ فى ذاكرة الناس .

ثم يقدم الكاتب تحليلًا نقدياً ، لحال القصة القصيرة فى الجنوب والشمال مستخدماً أمثلة فيما يسوق من نقد ، فعل ذلك فى القصة المكتوبة بالإنجليزية ، ثم ساق لنا ما وصل إليه من دراسة ، فإذا القصة القصيرة الإنجليزية أشبه بالقصيدة الغنائية التى يبثها الشاعر نجواه ، ولكنها ـ أيضاً ـ أشبه بالمقالة البحثية التى يراعى فيها الكاتب موضوعية التناول ، ودقة التعبير . وإن هذا الجمع بين الذاتية والموضوعية هو ما يميز كتاب القصة الإنجليزية الأفارقة ، وربما يميز أيضاً زملاءهم الناطقين بالفرنسية والبرتغالية ..

فأما فى الفرنسية فيرى الكاتب إنها لا تتميز بما تتميز به زميلتها السابقة من طول خبرة وتنوع . وربما يرجع ذلك إلى قلة المجلات التى شجعت القصة القصيرة كما حدث فى الإنجليزية ، وإلى سيطرة الشعر على النشاط الأدبى طوال عهد السيطرة وما بعده . ومع ذلك ظهرت القصة فى الفرنسية فى وقت قريب من ظهورها بالإنجليزية . وكانت بدايتها الحقيقية عودة إلى التراث الشعبى من الحكايات وإعادة صياغته ، وتولى هذا العمل شاعر معروف ونصير متحمس للزنوجة ، وهو (بيراجو ديوب).. من الكتّاب بالفرنسية أيضاً (برنار دادى) من ساحل العاج ، و(عثمان سوسية) الذى له مجموعة « حكايات وخرافات من إفريقيا السوداء » التى صوّرت الريف الإفريقى وقيمه صوراً واقعية ، وكان لها أثرها الواضح فى قصص الجيل الأصغر سناً ، ولا سيما سمبين عثمان السنغالى الذى يمثل التيار الواقعى النقدى والتيار الوسط بين ديوب المتحمس للتراث الشعبى وجيل الشباب ـ الأحدث سناً ـ الذين تتروح قصصهم بين التمرد على التقاليد الفرنسية فى الكتابة والتصوير الحاد لمظاهر الخلل الاجتماعى والفساد السياسى فى بلادهم .

أما فى البرتغالية فلم تظهر بعد ـ فى الأراضى

الإفريقية التى تحررت من سيطرة البرتغال ــ نهضة قصصية تضارع النهضة الإنجليزية المحيطة بهذه البقاع ، ولعل ذلك يرجع إلى تأخر حرية إفريقيا البرتغالية عن زميلتيها الإنجليزية والفرنسية ، فضلًا عن تخلف التعليم ، وفداحة الأمية فى ظل السيطرة البرتغالية .

ثم يحدثنا المؤلف عن الملامح العامة فى هذه الألوان المختلفة من القصة القصيرة ؛ فيلاحظ أن الموضوعات المشتركة بينها تدور حول : العلاقات العرقية ، الاستعمار ، الحرب وما بعدها ، الدين ، والسحر ، حياة الريف ، حياة المدن ومظاهرها فى الجنس والسكر والدعارة والعنف ، الحب والفساد السياسى والجوع والفقر ، ومع ذلك لا يمكن حصر موضوعات القصة القصيرة إلا على سبيل التعميم والإجمال ؛ لأن التجربة الإنسانية تتفاوت زماناً ومكاناً .. وعن هذه الملامح أشارت المستفرقة الإنجليزية (أن تيبل) إلى أربع منها هى : الطابع الإفريقى ، الضحك البرىء أو الفكاهة ، الرهافة **Delicacy** ولا سيما عند الكاتبات ، فأما تصوير العنف .. فعند هذه الخاصية اعترضت على فجاجة التصوير والرسم وطابعهما التقريرى..

هذا ويضيف المؤلف إلى هذه الخواص خاصيتين ظاهرتين فى الفرنسية والبرتغالية ــ أكثر من ظهورهما فى الإنجليزية ــ وهما المَتْح من التراث الشعبى والغنائية .. والغنائية تعد هنا من آثار الشعور القوى بالذات عند الكاتب الإفريقى ، وإن كانت تحتاج إلى ضوابط فى القصة القصيرة ، حتى لا تصبح القصة مجرد مناجاة ، أو منولوج شخصى ، ويرجع المؤلف ضعف التجريب فى القصة القصيرة هنا إلى سبب ظنى يراه كائناً فى « الغنائية » .. على أنه مازال ــ والرأى للكاتب ــ مازال الشكل التقليدى سائداً ، ومازالت العقدة المأثورة التى تتطور من البداية المشوقة إلى الوسط المؤثر إلى النهاية المفاجئة سائدة أيضاً .. ومن المؤكد أن تطور الرواية الإفريقية كان أكبر من تطور هامشها : القصة القصيرة .

● ● ●

يتناول المؤلف فى الفصل الخامس والأخير من كتابه السيرة التى هى عنده : قصة حياة ، قد يرويها صاحبها فتسمى « سيرة ذاتية » ، وقد يرويها شخص آخر غيره فتسمى « سيرة » وحسب . وبهذا المعنى تعد السيرة بجنسيها من أعرق الأنواع الأدبية ، وإن كانت السيرة العامة التى يرويها ــ أو يكتبها ــ شخص لآخر أعرق وأقدم ..

وفى دراسة عنها يرى أنه من الواضح أن السيرة بجنسيها لم تكن تحتاج عند نشأتها إلى مهارة خاصة فوق حرفة الكتابة ، ولذلك لا يسلم الكاتب أنها اختراع أدبى أوروبى ، وإن نجحت فى أوروبا فى تطوير السيرة العامة والذاتية ، ولفتت بنجاحها انتباه الثقافات الأخرى إلى تطوير ما عندها من سير ، إما عن طريق النقل والترجمة كما حدث فى الأدب العربى ، وإما عن طريق الاحتكاك المباشر كما حدث مع (الأدب الإفريقى خارج مجال العربية)..

هذا الأدب الذى لا نجد فيه سوى السيرة الذاتية التى ظهرت فيه مطبوعة قبل أن يظهر فيه أى نوع أدبى آخر .

أما السيرة العامة فنادرة إلى حد كبير ــ ندرة السيرة الذاتية فى اللغات المحلية ..

إن السيرة الذاتية لم تزدهر فى اللغات المحلية

الإفريقية ، فلا توجد إشارات كثيرة إليها عند الإفريقيين والمستفرقين .. ومن هذه الإشارات نعلم أن اللغة السواحيلية فى الشرق تضم بعض السير الذاتية ، وكذلك لغة «تيف **TIV**» فى غانا .. وأما السيرة الذاتية فى اللغات الأوروبية فتكاد تقتصر على اللغة الإنجليزية . فمن الملاحظ أن السير فى البرتغالية والفرنسية قليلة إلى درجة الندرة ، وأبرز سيرة يشار إليها فى البرتغالية ليست لأديب مرموق بمقدار ماهى لمناضل سياسى ، هو (إدواردو موندلانى) ، وكانت هذه حال السيرة فى الفرنسية أيضاً ، فلم تظهر فيها سيرة بارزة إلا فى مجال السياسة والزعامة كما حدث مع (سيكوتورى) رئيس غينيا الأسبق .

بصفة عامة نلاحظ أن السير الذاتية فى الإنجليزية ـ حيث تطورت وازدهرت فيها ـ تتميز بالبساطة والسهولة فى اختيار المادة والتعبير عنها ، كما أن فيها ميلا إلى الترتيب الروائى للأحداث والشخصيات ، ولكن يظل أهم مكسب فيها ـ بعد قيمتها الفنية هو إلقاء الضوء على تجربة صاحبها فى الحياة والكتابة على السواء .

ويقول الكاتب : إن السيرة الذاتية ستظل جنساً أدبياً أسيراً لدى الأديب الإفريقى خارج مجال العربية .. ففيها يرى نفسه ، ويتأمل فى تجربته الفنية ، ومن خلالها يصل صوته إلى قارئه بعفوية وبساطة .

وأخيراً يختم المؤلف كتابه بذكر أهم الخصائص المميزة للأدب الإفريقى حيث يوضح أنه يتميز :

بالارتباط الوثيق بقضايا القارة .

وبالوضوح الذى يصل إلى حد الشفافية فى الأسلوب ، وبخاصة فيما يكتب بالإنجليزية والبرتغالية .

وبالتلقائية فى التعبير حتى ليبدو الأدب ساذجاً بعض الشىء ، وقد أدت هذه التلقائية إلى اختفاء العقلانية والسفسطة اللتين تتخمان الأدب الأوروبى .

كما يتميز بتنوع الرؤى والآراء والأساليب .

وبتغليب الذات على الموضوع .

ويرى المؤلف أن هذه الخصائص ستبقى مميزة لهذا الأدب فى المستقبل ، ولكن سيقل حتماً مانلحظه فيه من سذاجة فى الإحساس والتفكير .

ويقول المؤلف : إن على الأجيال التالية من الأدباء أن تعبر مسافة التخلف التى خلفتها السيطرة ، وتقيم تقاليد جديدة غير منعزلة عن التقاليد القديمة أو منغلقة عن التقاليد المتطورة خارج حدود القارة ..

وبعـد :

فإن مؤلف هذا الكتاب لم يكتب عن فراغ ، ولقد نقد نفسه قبل أن ينقده أحد ، ولقد سجل هذا الكتاب دور الأدب الإفريقى فى مقاومة الاستعمار ، ونجاحه فى بث شعلة الحرية ، وإثارة دواعى الوطنية حتى جنت شعوب إفريقيا ثمرة كفاحها ، وحبذا لو تمكنت تلك الشعوب من مقاومة استعمار أشد عدوانية لازال قائما فى رسالة التنصير التى لم تنجح ـ حتى الآن ـ إلا فى إعطاء الرجل الأبيض ما يشتهى من ثمار إفريقيا .

ولعل الكاتب يطالعنا من حين لحين بدراسة أكثر تخصصا فى الموضوع يتناول فيها هذا الأدب تناولًا جزئياً لا على هذا الشكل العام الذى أعطى فيه ملامح أدب قارة بأكملها ، وليس ذلك بمنقص من جهد جهيد بذله فى مؤلفه هذا ونجح فى تعريف القارىء ببعض الملامح والسمات العامة للأدب الإفريقى خارج مجال العربية .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

المعذبون في الأرض

يكاد المعذبون فى الأرض أن يكونوا هم المسلمون فقط ، حول هذا المعنى أرسل الكاتب (محمد حسنين) ـ المترجم بالرياض بالمملكة العربية السعودية ـ هذه الكلمات التى يرصد فيها أحوال المسلمين فى شتى بقاع الأرض :

ففى الهند : قام المتطرفون الهندوس بهدم «المسجد البابرى» وإقامة «معبد راما» مقامه ، وأحرقوا قرى أخرى مسلمة ، وهدموا مساجد أخرى ودنسوها ، وروعوا المسلمين البالغ نسبتهم ١٥٪ من عدد السكان ، والذين يزيد عددهم عن المائة والخمسين مليونا من المسلمين .

وفى البوسنة والهرسك : سقط الجزء الغربى من «سراييفو» بيد الصرب ، ولم نفعل لهم شيئا ولا للمسلمين فى «كسوفو» .. ولا «سنجاق» ، ولا «مقدونيا» .

وفى الصومال : لما يزل المسلمون يموتون جوعا .

وفى أرتيريا : نسيناهم تماما .

وفى أفغانستان : والجمهوريات الإسلامية الأخرى «الكومنولث» يتقاتلون بضراوة .

وفى بورما وتايلاند : تتم إبادتهم إبادة شاملة .

وفى فلسطين : حدث ولا حرج ..!

وفى الفلبين : تتجدد المأساة من (أكينو) إلى «راموس» ..!

وفى بنجلاديش : يعانون المجاعات والفقر ، والجهل والمرض .

وأخيرا بدأت المناوشات الأولى لتوجيه ضربة ساحقة لألبانيا عن طريق (حوادث حدود)

تافهة ، ولاننس أن ألبانيا الإسلامية فى قلب أوربا متاخمة للبوسنة والهرسك .. وهكذا يبدأ الانفتاح لسحق المسلمين ، والطريق آمن أمام أعدائهـم .. والتجربـة مدروسة فيمـــا حل بالبوسنة والهرسك .

ويختم الكاتب كلمته بقوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ سورة البقرة

براءة الإسلام والمسلمين من ذنب الإرهاب

بـرىء الإسلام والمسلمون مما سَمَّتْهُ حفنة من الصحفيين بالإرهاب والتطرف وماتؤدى إليه كلتاالكلمتين من آثار رأى فيهافريق من الكتاب فرصة سانحة للحمل على الإسلام بغية تصفيته خدمة للغرب ليس إلا .. لاسيما ، وهم كتاب معروفون بميولهم الشيوعية .. وهى ميول فى خدمة من يشاء .

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ سورة الصف

هذا ما حاولت الرسائل التالية أن تعبر عنه من خلال تناولها لظاهرة التطرف .

فقد كتب القارىء/ **حسن أحمد النشو** ـ المدرس بمعهد العريش الثانوى بالأزهر وتحدث عن معنى التطرف فى اللغة فقال : إنه الوقوف فى الطرف بعيدا عن الوسط ، ويكون فى الحسيات كالتطرف فى الوقوف أو الجلوس أو المشى ، وفى المعنويات كالدين والفكر والسلوك ، لكن الإسلام لايدعو إليه لأنه منهج وسط فى التصور والاعتقاد والتعبد والأخلاق والمعاملة والتشريع وفى كل شىء .

ويؤكد معه هذه الوسطية **فضيلة الشيخ/ عبدالمعبود عبدالله الجمل** ـ رئيس المعاهد الأزهرية الأسبق ـ بأن الوسطية أهم الخصائص التى مّيز الله بها أمة الإسلام .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

كما يبحث القراء ـ **رجب سيد عياد** المدرس بمدرسة صفط الشرقية الإعدادية ، **ووسيم عبدالعليم عزب** الوكيل بمدرسة أبى صقل الإعدادية بشمال سيناء بالعريش ، **ومحمد أبو اليسر** الطالب بكلية التربية النوعية بمنية النصر شعبة الإعلام ـ فى الأسباب التى تساعد على انتشار تلك الظاهرة ، ويؤكدون إننا فى حاجة

إلى التعمق فى دراستها لأن الواقع يقول أننا نتسرع دائما فى علاج الأعراض ولا نعالج المرض نفسه ، غير أنهم يركزون على غيبة القدوة الطيبة والقيم الصالحة فى كثير مما تبثه وسائل الإعلام من الأغانى والمسلسلات والأفلام الهابطة .

على أنه يجب مراعاة ذلك ونحن بصدد تمكين مجتمعاتنا من احتواء تلك الظاهرة ، فضلاً عن العناية بالمناهج الدينية وزيادة مساحتها فى المدارس والمعاهد والجامعات ذلك أن الجرعة المتاحة منها ــ حاليا ــ لاتحقق الهدف المنشود .

الجرأة فى الحق

لاشك أن العبد كلما اشتد خوفه من الله ــ عز وجل ــ كان أشدَّ جرأة فى الحق ، فنال بذلك الأمن يوم القيامة ، وكلما قلَّ خوف العبد من ربه فى الدنيا قلت جرأته فى الحق وزادت فى الباطل ففزع بذلك يوم القيامة ، لعل هذا هو ما أراد القارىء خيرى محمد إبراهيم ــ من كفر الجرايده ببيلا كفر الشيخ ــ أن يبرزه بكلمته التى جاء فيها :

الجرأة فى الحق قوة نفسية ضرورية يستمدها الإنسان من إيمانه بالله ــ عز وجل ــ ومن الحق الذى يعتنقه ومن القدر يُسلم به ويستسلم له ، ومن المسئولية التى يستشعرها . وعلى قدر نصيبه من ذلك كلة يكون عنده جرأة فى الحق وقدرة على الجهر بالرأى الصحيح الحر .

ولقد كان الصحابة الذين تربوا على يد النبى ــ ﷺ ــ أجرأ الناس فى الحق بل كان ذلك جزءاً من البيعة النبوية الشريفة «فقد روى مسلم فى صحيحه» أن عبادة بن الصامت قال : «بايعنا رسول الله ــ ﷺ ــ على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم» «وفى الحديث الذى رواة الحاكم فى مستدركه بسند صحيح» «سيد الشهداء حمزة . ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله فدخل الجنة» ولقد كان الصحابى الجليل أبو بكر الصديق أجرأ الناس فى الحق حتى قال عنه عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنهما ــ «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبى بكر» .

ويكفى فى تأكيد ذلك أن نتذكر مواقفه فى يوم موت النبى ــ ﷺ ــ وفى بيعته بالخلافة وفى إنفاذ جيش أسامة لحرب الروم وفى جمع القرآن الكريم وفى حروب المرتدين وهى مواقف ينطق كل منها بشجاعة هائلة ما أحوجنا إلى استيعابها .

ردود وتعليقات

● **القارىء محمد السعيد العزيزى .. الطالب بكلية الدراسات الإسلامية .**

سوف تجد فى هذا العدد معالجة أوسع لظاهرة التطرف والغلو فى الدين .

● **القارىء محمود عبدالعزيز شلبى .. المدرس بمعهد رشيد الثانوى .**

نشكرك على تقديرك لمجلة الأزهر ، وبمشيئة الله تكون دائماً عند حسن ظن قرائها .

● **القارىء محمد حسن فوزى .. من الجيزة بالقاهرة ، والقارىء محمد عبدالوهاب .. من مصر الجديدة بالقاهرة .**

نشكركما على هذه المتابعة المستنيرة ، وحرية النقد مكفولة للجميع .

● **القارىء أبو الورد عبدالبديع عبدالرحيم .. من شبرا الخيمة القاهرة .**

ملاحظاتك لها قيمتها ، وسوف تدرس إدارة المجلة اقتراحكم بتخصيص صفحة للتنويه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة .

● **القـــارىء م . ب . غ .. من إسنـــا بالقاهرة .**

نرجو التقدم بشكواك مباشرة إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر (بإدارة الأزهر ـ القاهرة) وسوف تجد الاهتمام اللائق بها .

● **القارىء عبدالمعز طاهر الجبود .. بمنطقة أسيوط الأزهرية بالقاهرة .**

آلمنا رحيل فقيدنا الشاعر الإسلامى الكبير الأستاذ سيد عبدالرءوف سيد ، الموجه العام للغة العربية ، والذى طالما نافح عن الأزهر بشعره عندما تعرضت له بعض الأقلام ، وكان آخر عمل نشرته له مجلة الأزهر فى عدد ذى الحجة الماضى قصيدة «تحية الأزهر» بتلك القصيدة العصماء التى حيّا فيها أمجاد الأزهر ورجاله فى ماضيه وحاضره . طيب الله ثراه وتغمده برحمته ورضوانه وجزاه خير ماجازى به العلمـــاء المخلصين .

● **القارىء رمضان إبراهيم الأقرع .. إمام وخطيب بطنطا .**

تجربتك الشعرية طيبة وسوف تزداد عمقا بالقراءة المستمره فى الشعر وعروضه .

● **القارىء م . ر . أ .. الطالب بمعهد سمنود الدينى الثانوى .**

كلمتك عن التعاون تبشر بمستقبل فى الكتابة فاستمر على ذلك .

● **القارىء خالد رسمى عبدالفضيل .. المدرس باشمون محافظة المنوفية .**

يمكنكـم الاعتماد على أبحاث مجلة الأزهـر وخواطر الشيخ الشعراوى حول تفسير القرآن الكريم ومراجعة الفقه على المذاهب الأربعة .

● **القارىء عبدالمريد قاسم أبو العلا .. من المحروسة محافظة قنا .**

لم يشر رئيس التحرير الدكتور على الخطيب فى افتتاحيتـه «لا (ص) ولا (صلعم) ولكـن ـ ﷺ» ـ المنشورة بعدد ذى الحجة الماضى ـ إلى معانى الكلمات المنحوتة الواردة فيها ظناً منه فى وضوح مدلولاتها بأذهان القراء ، أما عن كلمة «الكبتعه» التى تستوضح معناها ، فهى منحوته من جملة «كبت الله عدوك» .

● **وبمشيئة الله سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعا .**

ردود خاصة باشتراكات المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ــ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد

أنبـــاء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد : الأستاذ مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل نائب وزير الشئون الدينية بسلطنة برونـــاى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ فيهن الحاج يحيى نائب وزير الشئون الدينية بسلطنة بروناى والوفد المرافق لسيادته وذلك صباح يوم الاثنين الموافق ٢٤ من ذى الحجة ١٤١٣ هـ ـ ١٤ يونية ١٩٩٣ م بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء دعم العلاقات الدينية والثقافية بين الأزهر الشريف وسلطنة بروناى فى مجالى التعليم والدعوة الإسلامية .

كما طالب السيد نائب وزير الشئون الدينية خلال اللقاء بدعم المعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية بأساتذة من الأزهر وذلك بوصفه رئيسا لمجلس إدارة المعهد .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة كافة الاحتياجات والعمل على تلبيتها فى أقرب وقت ممكن .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية جزر القمـــر

واستقبل فضيلته الرئيس/ سيد محمد جوهر رئيس جمهورية (جزر القمر) والوفد المرافق لسيادته ، وذلك صباح يوم الخميس الموافق ١١ من المحرم ١٤١٤ هـ ـ ١ يوليه ١٩٩٣ م بمكتب فضيلته بإدارة الأزهر .

تم خلال اللقاء بحث سبل توطيد العلاقات الدينية والثقافية بين الأزهر الشريف وجزر القمر ، وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على زيادة المنح الدراسية لأبناء جزر القمر للدراسة بالأزهر ، كما وافق فضيلته على إنشاء معهد أزهرى

متعدد المراحل بجزر القمر تدرس فيه مناهج الأزهر .

وقد أشاد رئيس جزر القمر خلال اللقاء بدور الأزهر على الساحة الإسلامية والعربية والعالمية ، وذكر سيادته أن لقاءه بفضيلة الإمام الأكبر كان أهم ما يشغل باله عند حضوره إلى مصر للمشاركة فى أعمال مؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية ؛ وذلك لما للأزهر من مكانة أهلته ليكون منارة للعلم الرفيع ، وأشار سيادته إلى أنه سيعاون فى إنشاء المعهد الأزهرى .

فى نهاية اللقاء أهدى فضيلة الإمام الأكبر الضيف الكبير مصحفا شريفا ، وترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الفرنسية .

الإمام الأكبر يشهد الجلسة الافتتاحية لمنظمة الوحدة الأفريقية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الجلسة الافتتاحية لمؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية التى عقدت دورتها التاسعة والعشرين بقاعة المؤتمرات الكبرى بمدينة نصر بالقاهرة فى الفترة من الثامن والعشرين وحتى الثلاثين من يونيه الماضى .

وقدتم فى هذه الجلسة أنتخاب الرئيس محمد حسنى مبارك بالإجماع رئيسا لمنظمة الوحدة الأفريقية فى دورتها الحالية كما احتفلت المنظمة بمرور ثلاثين عاما على إنشائها .

الإمام الأكبر يلتقى وسفير الكاميرون بالقاهـــرة

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والسيد موشيلى نجى سفايو اسماعيلا سفير جمهورية الكاميرون بالقاهرة وذلك صباح يوم الأحد الموافق ١٤ من المحرم ١٤١٤ هـ ـ ٤ يولية ١٩٩٣ م .

فى بداية اللقاء قدم السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر شكر المسلمين فى الكاميرون على ما يقدمه الأزهر الشريف من إرسال المبعوثين وتقديم المنح الدارسية لطلاب الكاميرون لتلقى العلوم العربية والشرعية بمعاهد الأزهر الشريف وجامعته ، وكذلك إيفاد رجال الوعظ خلال شهر رمضان المعظم من كل عام .

وقد تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون فى كافة المجالات التى من شأنها دعم المسلمين فى الكاميرون .

قرار جمهورى بمد خدمة فضيلة وكيل الأزهر

أصدر الرئيس محمد حسنى مبارك قرارا جمهوريا بمد خدمة فضيلة الشيخ/ أحمد السيد عطا سعود وكيل الأزهر لمدة سنة تبدأ من الثامن من شهر المحرم ١٤١٤ هـ الثامن والعشرين من شهر يونيه سنة ١٩٩٣ م .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

أمريكا

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية برنامجاً للحاسب الآلى (الكمبيوتر) لتعليم مبادىء الإسلام .

والبرنامج يخاطب المسلمين وغير المسلمين ، ويقدم معلومات وفيرة عن العقيدة الإسلامية والحديث النبوى الشريف ومبادىء الإسلام وواجبات المسلم من خلال الرسوم المتحركة والخطوط والصوت والنصوص المكتوبة .

« نرجو ألا يكون فى البرامج عبث ضد الإسلام والمسلمين »

مجلة الأزهر

تقرير خطير

اعترفت الوكالة الصحفية التابعة للكنائس الهندية بأن الكنائس النصرانية تعتبر كبرى إقطاعىّ الأراضى والعقارات فى الهند على الإطلاق .

جاء ذلك فى تقرير للوكالة عن المؤتمر القومى للكنائس فى الهند ، والذى يُعقد تحت إشراف مجلس الكنائس العالمى .

بروناى

عُقدت فى الفتــرة من ١ : ٧ من محرم ١٤١٤ هـ الماضى الدورة الثامنة لمجلس الفقه الإسلامى فى (دار السلام) عاصمة سلطنة (بروناى) وبحث علماء المسلمين موضوعات فقهية متعددة كان أهمها موضوع الأخذ بالرخصة وضوابطه ، وقضايا بيع العربون ومشروعيته ، وبيوع المزايدة ، ومشروعية عملية الاستثمار بالمزايدة ، وقضايا بطاقات الائتمان و(الضمانات البنكية) .

كما تم مناقشة مسئوليات السائق فى حوادث السير من الناحية الفقهية ، وقضية حقوق الإنسان وتطور ذلك المفهوم والمبادىء التى بُنِيَتْ عليها حقوق الإنسان فى الإسلام ، وفى الأعراف الدولية كما نوقشت بعض القضايا الطبية من وجهة النظر الإسلامية من قبيل أخلاقيات الطبيب المسلم فى الحرب والسلم .

ومن الإصدارات الجديدة معجم الآيات القرآنية فى ٦٠٠ صفحة مع ترجمة إلى الانجليزية والفرنسية للكاتب إدريس الخرشاف .

غطرسة عالمية

كشفت دراسة جديدة صدرت بالانجليزية تحت عنوان (غطرسة عالمية) المغالطات الشريرة التى يروج لها الغرب لتشوية صورة الإسلام والمسلمين فى أذهان العالم ، وذلك بوصفهم بالعنف والتطرف والإرهــاب ، وأوضحت الدراسة التى أصدرها الدكتور أحمد زيدان الأستاذ بجامعة كمبردج عن طريق الوثائق والأرقام حجم المجازر والمذابح التى ارتكبها الغرب ضد المسلمين منذ الحروب الصليبية حتى يومنا هذا .

الهند

طالب مجلس التعليم الدينى لمسلمى الهند بتصحيح بعض الكتب التعليمية والمناهج الدراسية التى تسيء للمسلمين ، وحث الدكتور مسعود عثمانى سكرتير المجلس المذكور الحكومة المركزية على إجراء تلك التعديلات ، وذلك قبل بداية السنة الدراسية الجديدة ، وقام المجلس بنشر كُتيب ضمّنه التعديلات المطلوبة .

(هذا على أن حكومة الهند آخر من يتعاون مع المسلمين).

مجلة الأزهر

البرازيل

افتتح فى مدينة سَاوْبَاوْلُو بالبرازيل المؤتمر العالمى السابع لمسلمى أمريكا الجنوبية وذلك فى مقر المجلس النيابى البرازيلى حيث قال رئيس المجلس فى كلمة حفل الافتتاح :

ان بلادنا تحتضن رسميا هذا المؤتمر وتقومه بالإعجاب الشديد لما يحمل من رسالة سامية تتمثل فى شعار المؤتمر (التربية والتعليم وتحديات العصر) .. وحضر الافتتاح ١٠٠٠ من كبار الدعاة المسلمين ورؤساء الجمعيات الإسلامية وأعضاؤها ، وقال نائب برازيلى :

إن هذا المؤتمر يُعد من أهم المؤتمرات حيث إنه يؤكد أن البرازيل تفتح أبوابها بكل ارتياح للمسلمين ، وأضاف أن البرازيل تقف ضد أعمال العنصرية التى تمارس ضد المسلمين فى البوسنة والهرسك والهند وفلسطين غيرها .

الشيشان

شهدت جمهورية الشيشان ـــ إحدى الجمهورية المستقلة بآسيا الوسطى بناء (١٠٠٠

مسجد) خلال العام ونصف العام المنصرم ، أعلن ذلك سيد آحمد سعيد البك مستشار رئيس جمهورية الشيشان وأضاف بقوله : «إننا نحن الشيشانيون نفرح كأننا ملكنا الدنيا عندما يتعلم الواحد منا آية من القرآن الكريم»

باريس

أوضح إمام مسجد باريس أن الدين الإسلامى فى فرنسا يُعد الدين الثانى . الأمر الذى يتطلب تكثيف الجهود الإسلامية . وذلك بافتتاح مزيد من المساجد ، وزيادة عدد الوعاظ والأئمة لمواكبة الزيادة المطردة فى عدد المسلمين بفرنسا .

وذكر مصدر مسئول بالمعهد الإسلامى ألتابع لمسجد باريس أنه سيتم إعداد الأئمةمن خلال برنامج دراسى على مرحلتين .

قازاخستان

وُضع حجر الأساس لإنشاء أكبر مركز إسلامى لدراسة العلوم الإسلامية والإنسانية فى آسيا الوسطى بحضور رئيس جمهورية قازاخستان والدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف المصرى وعدد كبير من العلماء ، تتحمل مصر تكاليف إنشاء ذلك الصرح العلمى بالإضافة إلى جامعة مبارك الإسلامية التى بلغت تكاليفها (١٦ مليونا جنيهاً مصرياً) . والجدير بالذكر أن لمصر نشاطا فعالا فى مجال الدعوة الإسلامية فى دول آسيا الوسطى ، كما أن للأزهر الشريف دوراً رياديا فى هذه البلاد حيث يوفر كل عام المنح الدراسية لمواصلة التعليم بالكليات المختلفة بالأزهر مع تحمل كافة نفقات الدراسة والإقامة إلى جانب إرسال الدعاة ، وذلك بالتنسيق بين الأزهر ووزارة الأوقاف ، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

كندا

عُقد فى تُورنتو بكندا المؤتمر السنوى التاسع عشر لاتحاد الجمعيات الإسلامية لأمريكا الشمالية وألقيت عدة محاضرات قيمة وذلك تحت عنوان (الجالية المسلمة فى أمريكا الشمالية ـ الواجب والحماسية) وذلك لمواجهة الاحتياجات الجديدة للمسلمين فى أمريكا الشمالية فى المرحلة الراهنة من حيث الإسكان والتوطين وتعليم الأبناء العلوم الإسلامية .

ونوقشت فى المؤتمر قضايا العالم الإسلامى ومشكلات المسلمين فى كندا كما عقدت جلسة خاصة للإجابة عن الأسئلة الفقهية ، كما تم عرض فيلم عن الأوضاع فى فلسطين .

La période décisive que vivent actuellement l'Islam et les musulmans nécessite de nous tous de converger nos efforts afin de défendre le Coran et son Texte révélé contre l'attaque féroce que mène l'Occident actuellement à l'échelon mondial.

L'insistance de Berque à imposer le modernisme à l'étude du Coran et sa revendication de séparer les affaires religieuses et la société civile est non seulement incompatible avec la foi islamique mais elle est tout à fait contraire à ce que l'Eglise catholique entreprit pour frapper le modernisme. Or ce terme désigne la science qui — par sa nature — s'intéresse à étudier les textes de l'Evangile et d'y appliquer les sciences de l'Histoire et de la Critique, à cause de leur non-conformité aux découvertes scientifiques. Comment donc impose-t-on au textes coranique révélé ce qu'on refuse d'appliquer à des textes manipulés au cours des sicèles?

Enfin, il ne reste plus qu'à dire au jeune collègne, chercheur en hébreu et "le responsable de la révision des traductions française et hébraique du Coran..., désireux de précision et soucieux de lecture attentive littérale de la traduction" comme il se qualifie lui-même et qui a voulu me démontrer comment "j'ai mal compris" les propos de J. Berque — je lui demanderai donc de lire l'étude qui s'étend sur 82 pages qui forme un supplément à la traduction erronée des sens du Coran, je l'inciterai à la relire avec un vif intérêt et une plus grande attention — selon ses propres mots — puisse-t-il saisir toutes les impostures, les erreurs et les déformations qu'elle renferme et dont je n'ai mentionné que quelques-unes.

J'espère qu'il n'ignore pas — en tant que lecteur — que l'introduction est la partie du livre que tout lecteur commence à lire même s'il ne poursuit pas sa lecture. Que dire alors si le livre en question est le Coran, et l'introduction est chargée des remarques que nous avons précédemment signalées.

Que dire alors si les lecteurs n'ont que faire que de lire ces impostures en se fiant à une bonne réputation antérieure?

Enfin, comment permet-on à un spécialiste de la langue hébraique d'assumer cette tâche de réviser la traduction française impartiale de J. Berque? Il aurait fallu confier cet examen à un spécialiste en langue française connaissant bien son lexique et il reconnaîtrait alors les fautes commises par J. Berque vis-à-vis du Coran et de l'Islam.

L'attitude de J. Berque — comme nous l'avons démontrée — vient à l'unisson avec cette attaque féroce menée de nos jours par l'Occident contre l'Islam et les musulmans. Il ne faut point lui pardonner en allégant ses attitudes et ses discours avec les médias ou en subissant n'importe quelle pression.

Que J. Berque se fêche comme il lui plaira, car le Coran n'est pas un joujou pour lui ou pour tout autre mal intentionné.

Dr. ZEINAB ABDEL AZIZ

Nous connaissons tous le sens et la portée de cette revendication sur laquelle insiste actuellement l'Occident, et que Jean-Claude Barreau a exprimée dans son ouvrage "L'Islam et le Monde moderne" publié en 1991, en ces termes trop évidents et francs : "une modernité qui dure est irrévocable : l'Islam serait obligé de s'y adapter pour le plus grand bien de l'humanité ou de disparaître."

C'est autour de cette même revendication qu'ont tourné de nombreuses recherches au congrès tenu en 1978, à Colorado, sur la christianisation des musulmans et dont la traduction de J. Berque vient de pair avec cette demande. Ce congrès s'inscrit dans le cadre des opérations des missionnaires auxquelles les journaux font brièvement allusion ainsi que les Corans déformés qu'on diffuse.

En ce qui concerne la langue de J. Berque et le niveau de son interprétation, ce n'est guère ici le lieu de l'aborder en détail: cependant les fautes qui s'y trouvent ne peuvent être commises par une personne d'un tel calibre, à moins que ce ne soit fait intentionnellement. Il suffit de signaler qu'il prend à la légère le texte coranique et il suffit de même, de mentionner à titre d'exemple, ces jeux de mots dans les phrases suivantes :

"Dieu efface, remplace et confirme à son gré les révélations."

Ou tel autre exemple où il fait dire à Abou-Bakr parlant du Coran : "Pour tout Ecrit, un terme."

Tout cela outre son rejet de termes essentiels dans l'Islam comme "la mosquée" auquel il substitue des appelations propres au christianisme, tout en sachant que le terme français dérive de l'arabe. D'autre part, il insiste à traduire le mot "victoire" par "secours" comme s'il refusait d'attribuer la victoire à l'Islam ou de noter que l'Islam a été victorieux ! Ou bien il traduit la Sourate "Les Romains" par la capitale "Rome", et pour éloigner de lui tout soupçon d'erreur, il met en marge la note suivante : "Nous disons, pour des raisons d'euphonie, "Rome", où il faudrait, bien sûr, "Les Byzantins" (p 431).

Quelle flagrante erreur : car depuis quand la traduction ou le choix des termes se fait-il en se référant à l'euphonie loin de l'acception propre du terme ou en déformant ce dernier?

Le b.a.ba de la traduction signifie la probité dans le transfert du sens le plus clairement possible.

Toutefois s'il avait écrit le terme "Byzantins", il aurait orienté l'esprit du lecteur vers l'ère des conquêtes islamiques, mais c'est là une chose qu'il essaye tout le temps d'éviter ou de cacher.

Dans son interprétation railleuse, M. Berque va même jusqu'à traduire le verset Dieu ne manque pas à sa promesse) : Dieu ne manque au rendez-vous) (Sourate 3, v.9).

Si on laisse à part le sens populaire courant de ce terme, il va sans dire que le mot arabe signifie ici "la promesse" et c'est ainsi qu'il devait le traduire. Il est curieux de constater que, dans les six fois où ce mot "promesse" apparaît dans Le Coran-sans parler de ses variations — Il l'a traduit quatre fois par "rendez-vous", une fois par "pacte" et une seule fois par son sens exact et ceci dans la Sourate "Les Groupes", alors que son acception et sa portée dans le texte coranique sont les mêmes.

Est-ce là ce que le jeune collègue considère, dans l'article précité, comme jugements prononcés "à la suite d'une lecture attentive des interprétations des exégètes, qui atteint un degré inaccessible à beaucoup de musulmans? !"

Il ne me reste plus qu'à dire : Maudites soient les mains de tout musulman qui aborde le texte coranique avec le dédain et la frivolité d'un J. Berque.

D'autre part, nous ne devons pas négliger que ces millions de musulmans représentent l'entité poursuivie par les dirigeants français après l'avoir broyée et qu'on obligé à choisir entre deux alternatives : l'expulsion ou la fusion totale dans la société française avec ses croyances !

La cause ne consiste pas simplement en une "différence de certains détails relatifs aux interprétations coraniques ainsi que dans le fait de donner deux titres à certaines sourates" comme l'auteur de l'article a essayé de minimiser l'importance du sujet et sa gravité, mais ma protestation portait sur ce que J. Berque avançait dans cette étude chargée qu'il avait annexée à son interprétation, avec tous les axes qu'elle comportait qui dénotaient une attitude partiale préméditée et non par manque d'attention comme on le prétend.

Nous citerons, à titre d'exemple, quelques-uns de ces axes :

- Jeter le doute au sujet de la révélation, de l'ordre et de l'assemblage du Coran.

- L'influence du Coran par la poésie préislamique et par la pensée grecque (en insistant sur cette thèse en plusieurs endroits).

- L'influence du Coran par les Psaumes de David.

- Le Coran renferme un trait mythologique de la philosophie catastrophique de l'histoire.

- L'horrible impression que nous laisse le Coran sur Allah !

- Ajoutons à cela sa critique des normes du Coran qui sont, d'après lui, loin de la codification.

- L'ambiguité de l'expression des jugements, ce qui donna aux anciens exégètes de grandes libertés inacceptables des autres rites.

- La contradiction de la loi islamique qu'il prend comme point de départ pour attaquer l'éveil islamique et la non-séparation de la religion et de la politique.

- Le fait de soulever de nouveau le problème de la discorde relative à la création du Coran.

- Le Coran "transforme des légendes en dialogues emprunts de psychologie différencielle et de pittoresque.

- L'accusation de certains exégètes de supprimer quelques versets coraniques qui les dépassaient ou de changer leur sens.

- Que « l'Islam a pris pour son compte une partie de l'héritage préislamique et puis en assumant une partie de celui des Grecs une fois infligées à l'un et à l'autre les corrections d'un transcendantalisme rigoureux.»

- Que «le problème de l'Islam aujourd'hui est par ailleurs le divorce qui pourrait s'aggraver entre les positions de la doctrine et la marche effective du monde, voire du monde musulman lui-même. »

Il s'est mis ensuite à critiquer la tendance de l'Islam à s'orienter vers ses principes fondamentaux tout en insistant sur la nécessité d'aborder le Coran en conjugant modernité et authenticité pour convenir aux nécessités de l'époque !

Que Jacques Berque se fâche !

Par Dr. Zeinab Abdel Aziz
Professeur de civilisation et chef de département de Français.
Faculté des Lettres de Ménoufia

TRADUIT par Dr. Achira Kamel

Oui, que Jacques Berque se fâche comme il lui plaira; car le Coran n'est pas un joujou pour lui ou pour tout mal intentionné.. Je ne conteste pas la place de J. Berque en tant qu'orientaliste ou même en tant qu'ami des arabes et des musulmans, même si c'était le long de ses écrits. Mais ce qu'il vient de commettre à l'égard du Coran et de l'Islam de connivence avec cette attaque menée par l'Occident, nécessite une pause honnête et non une flagornerie inconsidérée !

Quelques articles parurent, ces dernières semaines, prenant la défense de J. Berque et de son interprétation erronée du Coran... s'accordant tous pour mettre en relief sa colère et exagérant l'accueil cordial qu'on lui réserve. Le dernier de ces articles est celui du Dr. Mahmoud Azab, maître de conférences à la Faculté des Langues et de Traduction, et spécialiste de langue Hébraique, où son auteur écrit :

"L'été dernier, 1992, nous avons rencontré dans l'un des colloques de l'Association Philosophique, le Professeur de langue française qui a soulevé ce problème. Nous lui avons répondu, devant l'auditoire, pour défendre la vérité puis pour défendre J. Berque... Nous lui avons démontré comment elle avait mécompris certains détails."

Je voudrais tout d'abord signaler que le monsieur en question entreprit de faire un commentaire sur mon allusion à l'interprétation erronée faite par J. Berque, mais ses propos étaient tout à fait différents et j'espère bien qu'il ne s'en esquivera pas; il avait dit alors : "J. Berque regrette les fautes qu'il avait commises, par manque d'attention, dans cette interprétation et il est disposé à les corriger !"

L'écart est immense entre ce qui fut dit devant l'auditoire, l'année dernière, et ce qu'il écrit aujourd'hui (dans Al-Ahram, le n- du 25/6/93) dans une tentative flagrante pour effacer l'énormité de l'erreur commise par Berque.

Bien que l'auteur de cet article fît allusion implicitement, à la disposition de Berque de "réviser, de reprendre et de corriger les erreurs", toutefois il s'exprima en une formule d'hommage et de vénération incompatible avec ce que cet orientaliste expérimenté a commis.

Il nous reste à nous demander : que signifie que M. Berque se soit excusé trois ans après la publication de son interprétation, alors que les milliers, voire même les quatre millions de musulmans résidants en France et ne parlant que le français lisent les impostures qu'il leur présente?

Quant à la maladie qui dispense temporairement du jeûne, c'est où il y a un risque de danger pour la vie. Et le voyage qui donne le droit de différer le jeûne, c'est celui qui autorise le raccourcissement de la prière. On rapporte que les compagnons du Prophète (paix soit sur lui) étaient libres de jeûner ou de ne pas jeûner pendant les voyages effectués mois de Ramadan. L'un d'eux rapporte ceci disant :

"Nous combattions avec le Prophète (paix soit sur lui), les uns jeûnaient les autres non, mais personne ne blâmait celui qui ne jeûnait pas"(2).

Mais il existe une catégorie qui n'est pas astreinte à à l'accomplissement compensatoire, elle ne doit que la rançon ou "fidya" qui consiste à nourrir un pauvre pour chaque jour de jeûne non-observé. Cette catégorie comprend les vieillards, les malades atteints d'une maladie incurable, ainsi que la femme en état de grossesse et la nourrice.

Quant à l'expiation ou "kaffara" elle est due, à la suite de l'accomplissement compensatoire, à celui qui enfreint volontairement le jeûne obligatoire. Elle consiste à affranchir un esclave, ou à jeûner soixante jours ou à nourrir soixante pauvres pour chaque jour d'infraction. Nous apprenons ceci du Hadith prophétique suivant: On raconte qu'un homme confessa au Prophète (paix soit sur lui) qu'il eut une relation sexuelle avec sa femme au cours d'une journée de Ramadan. Le Prophète (paix soit sur lui) lui demanda :

"As-tu un esclave à affranchir? l'homme répondit négativement. Peux-tu jeûner deux mois de suite? L'homme répondit : non. Le Messager de Dieu (paix soit sur lui) lui donna une quantité de dattes et lui dit : donne ceci aux pauvres à titre d'aumône. L'homme répondit : il n'y a point de gens plus pauvres que ma famille. Le Prophète (paix soit sur lui) éclata de rire et lui dit : donc, donne-les à ta famille"(1).

La majorité des juristes affirment qu'il faut obligatoirement observer l'ordre de ces expiations.

Dr. Zeinab Mohammed Sabri.

---

2. « كنا نغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى رمضان ، فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم
على المفطر ولا المفطر على الصائم .

Idem, T1 p. 374. (Traduction personnelle)

1 « هل تجد ما تعتق به رقبةَ ؟ قال لا . قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا . قال فهل
تجد ما تطعم به ستين مسكيناً ؟ قال لا . فجاء بعرق فيه تمر فقال : تصدق بهذا . فقال : فهل على أفقر
منا ؟ فضحك النبى حتى بدت نواجزه وقال : اذهب فاطعمه أهلك »

Hadith rapporté par Abou Houraïra.

(Traduction personnelle).

conque d'entre vous verra la nouvelle lune jeûnera le mois entier. Celui qui est malade ou celui qui voyage jeûnera ensuite le même nombre de jours. Allah veut la facilité pour vous, il ne veut pas, pour vous, la contrainte*. Achevez cette période de jeûne, exaltez la grandeur de Allah qui vous a dirigés. Peut-être serez-vous reconnaissants. Je suis proche, en vérité. Quand mes serviteurs** t'interrogent à mon sujet je réponds à lappel de celui qui m'invoque, quand il m'invoque***. qu'ils répondent donc à mon appel, qu'ils croient en moi. Peut-être seront-ils bien dirigés. La cohabitation avec vos femmes vous est permise durant la nuit qui suit le jeûne. Elles sont un vêtement pour vous, vous êtes, pour elles, un vêtement*. Allah savait que vous vous lésiez vous-mêmes, il est revenu vers vous, il vous a pardonné. Cohabitez maintenant avec vos femmes. Recherchez ce que Allah vous a prescrit. Mangez et buvez jusqu'à ce que l'on puisse distinguer à l'aube un fil** blanc d'un fil noir. Jeûnez ensuite jusqu'à la nuit. N'ayez aucun rapport avec vos femmes lorsque vous êtes en retraite dans la mosquée. Telles sont les Lois divines, ne les transgressez pas».

L'obligation du jeûne pendant le mois de Ramadan résulte donc des versets précités qui constituent le dogme principal du jeûne auquel s'ajoutent quelques dogmes secondaires.

En vertu de ces versets, Allah (T.P) nous renseigne sur la prescription de ce culte qui incombe à tout Mususlman, majeur, sain d'esprit, en bonne santé et à l'état sédentaire. Si le jeûne n'est pas observé pour une certaine raison, on sera astreint à l'accomplissement compensatoire ou à l'expiation.

L'accomplissement compensatoire est une obligation pour le malade ou le voyageur qui sont autorisés de différer leur jeûne jusqu'au moment où ils seront en état de le faire. Il en est de même pour la femme pendant les menstruations, ou à la suite de l'accouchement. A ce sujet, Aïcha disait que du temps du Prophète (paix soit sur lui) les femmes qui avaient leurs règles menstruelles étaient astreintes au jeûne compensatoire et non à la prière compensatoire[1].

---

* Dans le texte qorânique on remarque l'antithèse qui se trouve dans " اليسر " et " العسر ". Ce procédé n'est pas très clair dans le texte traduit de D. Masson.

L'emploi du terme "difficulté" au lieu de "contrainte" donnerait, peut-être, l'effet de l'antithèse très marquée dans le texte arabe du Qorân. Cette antithèse sera donc entre "facilité" et "difficulté".

** Le terme " عبادى " est traduit par "Mes serviteurs" qui n'est pas l'équivalent exact du terme qorânique qui est plus fort et qui signifie "esclave" et en même temps "adorateur".

*** أجيب دعوه الداع إذا دعانى *** notons l'effet phonétique de la reprise des dérivés suivants " دعوة " et " داع " et " دعانى ". Le sens peut facilement être rendu par la traduction, mais cet éloquent effet phonétique est difficile à reproduire. Nous préférons tout de même la traduction de M. Hamidullah qui semble assez correspondante au texte qorânique.

"Je réponds à l'appel de qui fait appel quand il m'appelle".

M. HAMIDULLAH : Le Saint Coran, op. cit., p. 36.

* " هن لباس لكم وأنتم لباس لهم " Cette expression est une forme du style parabolique très caractéristique dans le Qorân. Lorsqu'il s'agit d'un sujet délicat à mentionner, le style Qorânique a toujours recours aux allusions et au sous-entendu.

** Notons l'emploi du mot "fil" pour faire allusion à la finesse de la première lueur de l'aube qui suit directement les dernières minutes de la nuit qui vient de s'écouler.

1. Voir EL SAYED SABEQ : Figh El Sounna, op. cit., T1 p. 373.

LE JEUNE

Dr. Zeinab Mohamad Sabri

Le jeûne pendant le mois de Ramadan est le quatrième pilier de l'Islam. C'est une prescription divine imposée par Allah (T.P.) à Ses fidèles un lundi, au cours du mois de Chaâban en l'an 2 de l'Hégire[1]. L'objectif capital de ce culte est de préparer l'âme de celui qui jeûne à la piété en s'abstenant de manger, de boire, de fumer et de consommer l'oeuvre de chair à partir de l'aube jusqu'au coucher du soleil, pendant tout le mois de Ramadan.

Donc le jeûne obligatoire doit être accompli pendant des jours déterminés et comptés, à savoir les jours du mois de Ramadan. C'est le neuvième mois du calendrier islamique, c'est aussi le mois au cours duquel le Qorân fut révélé dans la Nuit du Destin[2]. En mémoire de cette nuit bénie, les Musulmans consacrent tout le mois au culte et au jeûne.

Toutes les dispositions relatives aux pratiques du jeûne sont données par les versets suivants :

Sourate La Vache, 183-187

(O vous qui croyez ! Le jeûne vous est prescrit comme il a été prescrit aux générations qui vous ont précédés.

— peut-être craindrez-vous Allah*

Jeûnez durant des jours comptés. Celui d'entre vous qui est malade ou qui voyage, jeûnera ensuite un nombre égal de jours. Ceux qui pourraient jeûner et qui s'en dispensent**, devront, en compensation, nourrir un pauvre. Celui qui, volontairement, fera davantage y trouvera son propre bien. Jeûner est un bien pour vous. Peut-être le comprendrez-vous. Le Coran a été révélé durant le mois de Ramadan. C'est une direction*** pour les hommes, une manifestation claire de la direction et de la loi. Qui-

---

1. Voir EL SAYED SABEQ : Figh El Sounna, op. cit., T1 p.366.

2. Les Musulmans du monde entier commémorent chaque année cette nuit qui marque la "descente" du Livre. La date culminante est l'une des nuits de la dernière décade, de préférence la nuit du 26ème au 27ème jour de Ramadan. C'est Laylat-Al-Qadr à laquelle une sourate est consacrée (no. 97).

★ لعلكم تتقون c'est un exemple caractéristique du style qorânique qui consiste à rendre des idées très riches par le minimum de mots. Cette brève expression évoque les innombrables bienfaits du jeûne et en tête l'acquisition de la piété. Nous proposons donc la traduction de M. Hamidullah qui emploie le terme "piété". "Peut-être serez-vous pieux".
M. HAMIDULLAH : Le Saint Coran, op. cit., p. 35.

** "Pour ceux qui peuvent supporter difficilement le jeûne mais qui craignent un danger sur leur vie, il y a une rançon : la nourriture d'un pauvre" Nous proposons cette traduction car l'étude de l'exégèse et du commentaire implique la traduction du sens de « يطيقونه »

*** " هدى " : ce terme qorânique n'a pas un équivalent exact en français. Il est traduit le plus souvent par "direction", "voie" ou "chemin" mair ces termes ne rendent pas le sens exact du terme qorânique qui évoque l'idée du chemin qui conduit les croyants vers la Religion vraie.

De même observons La Parole divine dans le verset numéro 35 de la Sourate "Les prophètes : [Nous vous éprouvons par le mal et par le bien, en manière de tentation] Dans le 7ème verset de la Sourate "La Caverne" on trouve : [Nous avons embelli ce qui se trouve sur la terre pour voir quel est celui d'entre eux qui agit le mieux] L'épreuve d'Allah, gloire à Lui, ne concerne pas seulement les gens ordinaires mais tous les hommes y sont soumis, même les élus qui sont les prophètes. Allah-gloire à Lui dit au 124ème verset de la sourate "La Vache" : [Lorsque son seigneur éprouva Ibrahim par certains ordres...] Mais Ibrahim a surmonté avec succès l'épreuve et Allah lui a reservé une bonne récompense, l'a protégé des injustes et l'a rendu l'Imam des gens; ainsi Ibrahim a bien récolté le gain de son effort douleureux.

Lisons le verset depuis le début jusqu'à la fin : [Lorsque son seigneur éprouva Ibrahim par certains ordres et que celui-ci les eut accomplis, Allah dit : [je vais faire de toi un guide pour les hommes. "Ibrahim dit : "Et ceci s'applique aussi à ma descendance ? Le Seigneur dit : "Mon appui ne s'applique pas aux injustes].

L'épreuve à laquelle l'homme est soumis n'a point un effet destructeur qui amène à une destruction totale, ni à la perte de toute chose; mais elle est respectée par un manque des divers bienfaits dont l'homme joint sur cette terre.

Le terme "épreuve" englobe un peu de crainte, faim, des pertes légères de biens, d'honneurs ou de récoltes. Or le mot "épreuve" cité dans le verset numéro 19 de la sourate "La Vache", ne signifie pas un anéantissement de l'ensemble des bienfaits, des grâces mais seulement d'une partie de ces biens.

Ceci est considéré comme une épreuve à laquelle le serviteur doit se soumettre; or dans le cas où il est touché par le malheur le plus grave, il le prend en patience. Même les athées qui ne croient pas en un dieu soumettent ceux qui sont doués (comme l'étudiant et celui qui cherche un travail) à des épreuves.

Ceux qui supportent le malheur avec patience seront récompensés car Allah-gloire à Lui-dit à la fin des trois versets [Annonces la bonne nouvelle à ceux qui sont patients.].

La patience ne signifie point un laisser-aller face à l'évènement mais plutôt le courage de le supporter avec patience. C'est le fait de tout ramener à Allah. Or, seuls les vrais croyants ramènent tout à Allah. C'est pourquoi le deuxième verset explique l'attitude des croyants qui espèrent gagner le Paradis; voici ce qu'ils disent : [ceux qui sont atteints d'un malheur qu'ils disent nous appartenons à Allah et nous revenons à Allah. "Chaque bienfait est un don d'Allah, s'Il le prend alors Il reprend ce qui lui est du. Ces bons propos apaisent le Coeur du croyant et l'incitent à redoubler d'efforts. Y-a-t-il un meilleur bienfait pour perpétuer la relation qui unit l'homme à son Créateur et à son Bienfaiteur ? Si nous serons ramenés corps et âmes à Allah, que valent donc la perte des fortunes, des personnes et des cultures ?

Cette attitude devant le malheur est admirable : C'est une victoire sur le malheur.

Dr. Rokeya Mahmoud GABR

L'honneur du poste est une épreuve d'après un article du Cheikh Cha'raoui dans le journal Al Akhbar (suite).

Dr. Rokeya Mahmoud GABR

L'épreuve est un examen qui existe aussi bien dans le mal : la fortune est une épreuve, la santé est une épreuve, la science est une épreuve... le prestige du poste est une épreuve... les honneurs du pouvoir sont une épreuve... l'amour des gens pour quelqu'un ou quelques uns d'entre eux est une épreuve.. l'abondance de la récolte est une épreuve ... la qualité des produits industriels et le succès de leur vente sur le marché est une épreuve. Ce sont là des formes de bienfaits qui touchent l'homme durant sa vie. Mais, c'est aussi un examen auquel Allah-Tout Puissant-soumet un de ses serviteurs ou une communauté; lorsqu' Il les couvrent de Ses bienfaits, sont-ils reconnaissants? ou ingrats! S'ils sont reconnaissants Allah leur octroie plus de biens. Par contre, s'ils sont ingrats, alors Celui qui octroie le bien peut également atteindre l'individu ou la communauté d'un mal.

Ainsi, il verra la réaction de ceux qui étaient reconnaissants auparavant et de ceux qui s'étaient habitués à ces bienfaits. Ramèneront-ils toute action à Allah? se résigneront-ils à Sa volonté en l'invoquant et l'implorant ? Ou bien seront-ils en proie à la révolte contre la destin et la volonté d'Allah ?

Il faut admettre que l'homme est éprouvé soit par le bien, soit par le mal; car Allah, qu' Il soit glorifié, qui possède les raisons de toute chose a le pouvoir d'en faire un bien ou un mal.

Prenons l'eau, par exemple, qui est à l'origine de tout être vivant; si Allah le veut, il peut en faire une pluie modérée pour irriguer la terre, alors les récoltes poussent et les fruits mûrissent; mais Allah peut de même en faire une pluie torrentielle qui innonde les récoltes, les maisons, les bâtiments et les routes.

C'est pour cela que le prophète paix soit sur lui - accueillait la pluie en ces termes : "O Allah, fais tomber la pluie autour de nous et pas sur nous". C'est ainsi que la puissance absolue s'affirme : la même chose peut-être utile ou nuisible.

Il est certain que celui qui loue Allah lorsqu'il reçoit un bienfait évoque Allah lorsqu'il est atteint d'un mal; car cela indubitablement, mènera à un bien, soit par la suppression d'un manque, soit par la foi en la sagesse du Tout Puissant. Le Cheikh Cha'raoui poursuit ainsi son commentaire :

Certains versets coraniques parlent des épreuves dans le bien et dans le mal : nous allons nous arrêter pour réfléchir sur la grande sagesse d'Allah. Le versets numéro 17 à 20 de la sourate "Al Kalame" (Noun, Par le Kalame et par ce qu'ils écrivent) Allah gloire à Lui dit : ("Nous les avons éprouvés-comme nous avons éprouvé les propriétaires du jardin qui avaient juré de faire leur récolte au matin sans faire de restrictions. Une calamité envoyée par ton Seigneur les surprit tandis qu'ils dormaient et ce fut, au matin, comme si tout avait été rasé) .

REVUE AL-AZHAR

Safar, 1414
Volume 66 - - Partie II

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

that she may find inconvenient and difficult to cover. However, when the face and hands are uncovered they should not be beautified. Scholars, concerning the question of whether the woman should cover the face, are divided in opinion into two groups. The first group interpreted the words "what appears of it) in the verse 24:31, as the face and hands, as they may find difficulty in covering them all the time. They are the parts which a woman reveals in Prayer and Pilgrimage. However, this group of commentators (Malikis, Hanafiz and Shafiis)[4] stipulated that if the face is uncoverd, it should not be made attractive by the use of ornaments or cosmatics. Moreover, a woman should not let herself appear in front of non-mahram men who might gaze at her which is an act forbidden by Allah.

The second group interpreted "what appears of it", in the verse as the ornaments such as clothes, rings and the like. Thus, the face and the hands are not exempted from the rule of covering. Therefore, a woman should not cover her face in front of anybody other than those stated in the above mentioned verse[5].

Advocates of this interpretation (Al Hanabelah, some Shafiis) use the following evidence to support their viewpoint :

(1) The Hadith narrated by Umm Salameh (may Allah be pleased with her): "When the verse of hijab was revealed, the women of Ansaar went outdoors with their heads like crows".[6] The 'Simile' compares the woman of Ansaar as crows;this indicates that they were covering their faces with their flowing clothes.

(2) What is quoted by El-Bukhari, narrated by 'Aisha (may Allah be pleased with her) under the heading "what a Muhrim (the pilgrim) Should Wear. Under this heading it is stipulated that she should uncover her face during pilgrimage and this shows that she must be covering her face at any other time.

Having discussed the above issues of 'hijab' based on the Qur'an and Hadith, it is thus noteworthy to mention that there is no statement of the type or form of the Islamic dress for women in the Qur'an or the sayings the prophet. However, it has been agreed by Fuqahaa that the woman should cover the whole body without showing its form or beauty. They also agreed that the ideal length of the dress should reach the ankles. It is not acceptable that it should not be any shorter than the ankles even if the legs are to be covered by heavy socks.

Accordingly, let every woman reconsider her attitude towards her dress as a muslim. It goes, without saying that whoever pronounce the 'Shahada' that "there is no God but Allah and Muhamed is his Messenger" should have complete submission to Allah and his orders. This includes what is stated about 'hijab', despite the fact that some women would not consider it an important matter. It is quite clear from the above discussion that 'hijab' is part and parcel of the belief in Islam and faith in Allah, and whatever suffering this may incur, if any, one should remember Allah's promise for the Obedients as in the translation of the meanings of verse (4:13) :

> "And whoever obeys God and His Messenger, He shall admit him to Gardens beneath which rivers flow, abiding therein forever; that is the great triumph." (4:13).

---

(4) Dr. el-Bauty refers the reader to the books: Ahkamul Qur'an by Ibn al-Araby, Vol 3, p. 1357, to Ahkamul Qur'an by al-Gasas, Vol 3, p. 289 and to al-Durul Mukhtar in the chapter dealing with permissibility and in permissibility Vol 5, P. 244 in the explanation by Ibn Abdin.

(5)Dr. El-Bouty refers the reader to the commentary of El-Beidawi on verse 24:31 and the book Al-Mughnie by Ibn Kudamah, Vol. 7, p. 23, as well as the book Mughnil Muhtaj Fi Menhaj et — Talebeen, Vol. 3, p. 128.

(6) Ibn Kathiir. Tafsiir AL-Qur'an Alhakiim, Vol. 3, p. 518 Cairo. Dar Ihaya'ul Kutabul Arabeyyah, n.d.)

In the Pre-Islamic period known as (Jaheleyya), women were keen on showing their beauty (to men). The neck, the bosom and the foretock were especially cared for and displayed in front of men. After the advent of Islam, its legislative rules were revealed gradually. As regards women's dress, the following verses were revealed :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن
يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ (سـورة الأحزاب)

The following is a translation of the meanings of the above verse :

> «O prophet, say to your wives and daughters and the wives of the believers to draw close round them their flowing outer garments. That is better so they may (not) (3) be known and they may not be hurt and God is Forgiving, merciful.» (33: 59)

وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ
وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ
وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾

The following is a translation of the meanings of the above verse :

> «And say to believing women to restrain their eyes, and guard their private parts, and show not their adornment except what appears of it'. And let them cast veils over their bosoms and not display their adornment save to their husbands, or their fathers, or their husband's fathers, or their sons, or the sons of their husbands, or their brother, or their brothers' sons or their sisters' sons, or their women, or what their right hands possess, or male a Hendants of no sexual desires, or children who have seen nothing of womens hidden parts. And let them not shake their legs to let it be known what they conceal of their ornaments. And repent you all to God, O you believers, so that perhaps you may prosper.» (24:31)

The verses clearly state that revealing some parts of the woman's body (i.e. 'tabarruj'), which the Arab women had been doing in 'Al-Jahiliya', is prohibited; except for what normally appears of her, i.e. that which is too difficult and inconvenient to cover. Moreover, a woman should not use any ornaments and appear in front of non-mahram men.

Hence, Muslim imams (religious leaders), without exception, have agreed that a woman should cover her body except for the face and the hands which are the parts

(3)The negative 'not' has been added here to Khatib's translation in order to make the meaning clearer. It would also be preferrable to use instead of the word close in his translation (to draw close round) the expression to 'cast down their outer garnments' as in Yusuf Ali's translation.

Hijab

"The Islamic Dress for Women" (1)

By Mrs. Iman Muhammad Hassan

Islam is a unified system which sets rules to organize the life affairs of believers and guarantees happiness for them in both this life and the Hereafter. Allah, the Almighty is One, He is the affectionate, Who loves his worshippers and His legislation is to attain the welfare of people. Islam means submission and surrender to Allah, the Almighty, Whose guidance we should follow blindly thus, the true believer who has faith in his lord is not liable to place his preference over Allah's decree. He is to obey his God exclusively in compliance with the following verse :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ (سورة الأحزاب)

> "It does not befit a believing man and woman, when God and his Messenger have decreed a matter, that they should have the choice in their affair. And whoever disobeys God and His Messenger, he then shall stray into a manifest aberration." (33:36) 2.

Thus, for a Muslim woman complying with Allah's orders should have a priority over satisfaction of her own desires. Therefore, the Islamic dress for women is not to be tampered with. Yet, women differ in their opinions and attitudes towards this dress: some conform to it while others are not; some conform to it whereas others hesitate.

The aim of this paper is to present some verses from the Qur'an, some of the sayings of the prophet Mohamed (i.e. Hadith) as well as views of 'Fuqaha' concerning this issue for those who refuse to wear the Islamic dress. The 'ulama (Muslim scholars) have written a lot on the subject, discussing the juristic rule of 'hijab' (i.e. Muslim dress) and its requirements. They give special attention to what is agreed upon by the 'Fuqaha' (Muslim jurists) and what is controversial, such as the issue of covering the Muslim woman's face. The following is a translation of a summary of Dr. El Bouty's book Ila Kull Fatah Tu'men Bellah (To Every Believing women), which is considered one of the most comprehensive discussions of hijab.

---

(1) This article is based on Dr. Muhammed Said Ramadan el-Bouty's book Ila Kull Fatah Tu'men Bellah (To Every Believing Lady), 2nd ed., (Cairo: Darul Sahwah, n.d). This book is the fourth in a series named Sawtul Azharul Sharif (The Voice of the Honourable Azhar). It discusses heavily the topic of "Hijab' documented by books of Tafsir, "Figh' and 'Hadith'. Dr. el-Bouty is a Syrian Muslim scholar who was awarded a prize in 1992 by Al-Azhar for his contribution to propagating Islam through his books.

(2) The translation of the Qur'anic verses quoted in this article is taken from M. M. Khatib's translation, authorized by al-Azhar. (London : Macmillan, 1984).

Rodwell is definitely mistaken, here, as it is well known and documented that the Qur'an during the life of the Prophet Mohamed (MPBUH) was dictated and written under the supervision of Mohamed himself as Khalifa (1983 : 38) says (3) :

> « Islamic history bears ample witness to the fact that Qur'anic revelations were recorded in writing under the Prophet's personal supervision. His scribes who were often with him and to Whom he dictated the heavenly message, were well known to their fellow Muslims ».

Khalifa also adds on page (42) :

> « It so happens that there is ample evidence proving the Prophet had set a textual order for the Surah's, both in the form of the instructions to his companion and in his recitations of successive Surahs. »

However, Rodwell carries on saying :

> « and convey no idea whatever of the development and growth of any plan in the mind of the founder of Islam, or of the circumstances by which he was surrounded and influenced ».

In the above quotation, he doubts the prophethood of Mohamed (MPBUH), and considers him the « founder of Islam ». This main idea prevails as he carries on saying on page 8.

> « The sources whence Mohamed derived the materials of his Koran are, over and above the more poetical parts, which are his own creation, the legends of his time and country, Jewish tradition based upon Talmud, or perverted to suit his own purposes, and the floating christian traditions of Arabia and S. Syria. »

Then on page 10 of his preface he contradicts himself by saying :

> « We have no evidence that Muhammad had access to the Chrisitan Scripture ».

He carries on saying :

> « There is but one direct quotation (Sura XX 105) in the whole Koran from the Scriptures; and though there are a few passages, as where « alms » are said to be given to be seen of men, and as, none forgiveth sins but God only, which might seem to be identical with texts of the New Testament, yet his similarity **is probably** merely accidental. »

From the above quotation, it is clear that Rodwell is all the time contradicting himself. He first states that Mohamed has said the words of the Qur'an in a poetic version of his own or it could have been taken from either old or New Testament. Then, later, he said that there is no evidence that he could have access to these texts, but he adds saying it might seem to be identical with the text of the New Testament. The use of this expression means that he is not sure and could not confirm the similarity.

To be continued

---

(3) For further discussions on the matter of gathering the Qur'an and when it was first written, the reader is advised to read The Sublime Qur'an and Orientalism (1983) by Mohamed Khalifa.

converted to Islam. In his view, the Qur'an cannot be translated and that his work is merely an attempt to present the meanings of the Qur'an into English. This translation was then followed in 1934 by that presented by Yusif Ali, which is most commonly used now, entitled **The Holy Qur'an.** Yusif Ali was a Muslim scholar who has had good command of both Arabic and English languages. His translation is in a way free from grave misinterpretations found in other translations like those presented by Qadyani sect. Yusif Ali has also added some comments at the bottom of each page, helping the reader to comprehend the text correctly.

In 1956, another translation into English appeared entitled **The Koran A New Translation,** presented by N. J. Dawood, which was published within the series of «The Penguin Classics». In his introduction, he says that the reason he presented this work was to supply the reader with a version of the Qur'an translated into modern English.

The translation presented by Arthur J. Arbery, in 1955, entitled **The Koran Interpreted** was published by Oxford University Press. Arbery was a Christian professor in a British University who died recently. He agress that the Qur'an being a great work should not be translated . Hence the title he chose for his translation. Depite the fact that Arbery was a non — Arab, non — Muslim, yet he had moderate views about Islam and the Qur'an.

Then, there were the three translations of the Qur'an presented by «Qadyani» sect. These three translations are done by the followers of Maraza Ghulam Ahmed El Qadyani who is known to this sect as the «Expected Christ» to come. The members of this sect have beliefs of their own and are so proud that they declare and admit it. These translations are **The Holy Qur'an** by Mawlana Mohamed Ali, first published 1918; **The Holy Qur'an** by Malik Ghulam Fareid, first published in 1969; **The Qur'an** by Muhamed Zafrulla Khan, first published in 1971. The last and most recent translation is presented by M.M. Khatib entitled **The Bounteous Koran,** and authorized by Al-Azhar in 1984 and first published 1986. Khatib, is an Egyptian Muslim who has good command of both languages and acquired a good deal of knowledge about Islamic culture.

The aim of this paper is to discuss some of the pitfals of these translators of the Qur'an, namely Revernd J. Rodwell, Arthur J. Arbery and M.M. Khatib. However, as this is merely a short paper, therefore, I'll select two or three examples from each translation. The reason for choosing these translations lies in the fact that Rodwell's was the first translation done from the Arabic text and being a member of church was affected by the Christian teachings and was against Islam. His aim was to falsify Islam as a revealed religon. On the other hand, Arbery had moderate views about Islam. He disagreed with Rodwell on many of his views, especially the belief that Qur'an is not the «word of God» revealed to Mohamed (MPBUH). The third translator, «Khatib», is a Muslim whose translation is the most recent and authorized by Al — Azhar.

In the preface to his book entitled **The Koran Translation from the Arabic,** Rodwell commented on the gathering of Qur'an and arrangement of the Suras, during the time of both Caliphs Abou Bakr El Sideeq and Othman Ibn Affaan, He mentioned that the Suras revealed in Medina were placed in the book preceding those Suras revealed in Mecca and that some Ayyahs revealed in Medina were placed in the middle of Suras revealed in Mecca and vice versa. Thus, to him (2) the Qur'an is «almost unreadable and incongruous patchwork».

---

(2) This quotation is taken from The Koran translated from the Arabic (1961 : 2) by Rev. J. M. Rodwell (First published 1861).

An Approach to the Translations of the Meanings of The Qur'an into English

Part I

By Doctor Trandil H. El Rakhway. PHD

The miracle of the Qur'an lies in its language, its beauty and eloquency of its style. It was revealed to Mohamed (MPBUH) in the 7th century for all worlds, peoples and races. Therefore, there has always been the need for the translating its meanings into other languages. In this paper, I'll present a brief review of some English translations of the Qur'an that exist up till the present day.

The first translation to be carried out by Robertus Rotensis and Hermannus Dalmata in 1143 was into Latin done in the interest of the convents during the time of the Crusades. This Latin translation was then translated into German, Italian and Hindo languages. In 1647, it was translated into French by the French Consul in Egypt André du Ryer. The first English translation to be carried out was from the French version in 1688 by Alexander Ross, which was described, "as despicable by Savory and a very bad one and no better than its French origin by Sale."(1)

In 1689 another Latin translation was presented by 'Maracci' including the Arabic text as well as extracts from the different commentaries of the Qur'an. These commentaries according to Mehana (1978) were chosen in such a way so as to give bad impression about Islam to Europeans. The translator, who was a priest and one of the leading church members, started with an introduction which was entitled 'Refutation of the Qur'an'.

It was in 1734, that George Sale presented an English translation of the Qur'an from Latin which was then considered the original English source for the translation of the Qur'an and was republished several times in Europe. From then onwords, there followed many English and other European translation of the Qur'an through which the translators expressed what they believed about Islam. This was sometimes done within the core of the translated text or in the form of footnotes or comments. This has led some Muslims such as Yusif Ali & Pitckthall to translate the meanings of the Qur'an into English in an attempt to give the reader, as far as possible, the most adequate rendering of the Qur'an into English. The first Muslim who tried to translate the Qur'an into English was Dr. Mohamed Abdel Hakeem Khan in 1905. However, the first published English translation was that presented in 1861 by Revernd J. M. Rodwell and reprinted several times entitled **The Koran translation from the Arabic.**

In 1930, there appeared another translation by Mohamed Marmaduke Pickthall entitled **The Meanings of the Glorious Qur'an.** He was a Christian Englishman, who

---

(1) Quoted by Khalifa (1983 : 65).

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part II
Safar, 1414, Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

CONTENTS

1. An approach to the Translations of the meanings of the Qur'an into English Part 1
   By : Dr. Trandil Hussein El Rakhawy

2. "Hijab", the Islamic Dress for women
   By : Mrs. Iman Muhammad Hassan

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

فهـرس العـــدد

• الافتتاحية : هجرة النبى محمد
صلى الله عليه وسلم .
للدكتور / على أحمد الخطيب ١٦١

مع الإمام الأكبر

• حوار مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر .
حول قضايا الساعة ١٦٤
• فتوى فى جناية قتل ١٧٢
• فتوى فى ملاحظات سلوكيات فئة
تتصدى للدعوة إلى الله ١٧٦
• رسالة الإمام الأكبر إلى رئيس
مجلس الشعب ١٨٢
• بيان وتوضيح ١٨٣

• مع تفسير سورة الأنفال .
لفضيلة الدكتور / عبد الجليل شلبى .. ١٨٤

• الرحمن على العرش استوى (٢) .
بقلم فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى ١٨٩

• فليغضب جاك بيرك .
بقلم الدكتورة : زينب عبد العزيز ١٩٥

• أين نحن من القرآن ؟
لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم . ١٩٩

• الحسد فى الأحاديث النبوية
للدكتور . محمد شامة ٢٠٢

• خذوا الأولاد بمنهج الإسلام
للشيخ معوض عوض إبراهيم ٢٠٨

• الله أكبر خير من الدنيا وما فيها .
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون . ٢١١

• الحل الإسلامى لمواجهة العنف
وإقرار السلام .
لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود
عسكر ٢١٤

• انبعاث الحياة الإسلامية فى
جمهوريات آسيا الوسطى .
للدكتور عبد الله نجيب محمد ٢١٩

• أثر تغير قيمة النقود فى الحقوق
والالتزامات .
للدكتور على السالوس ٢٢٣

• حق الجار على جاره .
للأستاذ محمد زين العابدين العزازى . ٢٣١

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فودة ٢٣٤

• بيان من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ٢٣٧

• الشعر والشعراء •

• يا إلهي .
للشاعر البسيوني قنعان سليمان ... ٢٣٩
• الخداع والحرية .
للشاعر رشاد يوسف ٢٤١
• يوم فلسطين .
للشاعر على محمود طه ٢٤٤
• حكاية والٍ .
للشاعر عبد الحليم المصرى ٢٤٥

• العلوم الكونية •

• الهندسة الوراثية والأخلاق .
عرض وتحليل أ. د. أحمد فؤاد باشا ٢٤٨
• السقوط المهبلى وسقوط الرحم .
للدكتور أحمد رجائى عبد الحميد . ٢٥٣

• الجديد فى العلم والتقنية
إعداد : د. نجوى السيد أحمد ٢٥٧
• من أعلام الأزهر (الشيخ عبد الهادى رضوان نجا الإبيارى) .
للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى ٢٦٠
• من روائع الماضى بمجلة الأزهر (خصب العقول وجدبها) . لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة .
إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح الزيات ٢٦٤

• طرائف ومواقف .
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٢٧٠

• اللغة والنقد والأدب •

• القصيدة العربية ومدى تلازم الوحدة الموضوعية لها (٤) .
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ٢٧٣
• أحكام العدد وتمييزه من القرآن الكريم .
للأستاذ/ محمد عتريس إبراهيم ٢٧٨
• « كتاب » (الأدب الأفريقى) (٢) .
عرض/ عبير عبد الواحد ٢٨٥

• بين المجلة والقارىء .
إعداد وتقديم د./ محمدعبدالحكيم محمد ٢٩١

• أنباء وآراء •

• أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
إعداد الأستاذ مصطفى عبد المجيد . ٢٩٧
• أنباء العالم الإسلامى .
إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ٢٩٩

Section Française

Article 3 par Dr. Zeinab Abdel Aziz (305)
Article 2 par Dr. Zeinab Mohammad Sabri (308)
Article 1 par Dr. Rokeya Mahmoud Gabr (310)

English Section

Article 2 by Dr. Trandil H. El Rakhawy (314)
Article 1 by Mrs. Iman Muhammad Hassan (317)

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. ادارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

مطلع ربيع

مطلع « ربيع الأول » ربيعٌ للمسلمين فى كل أنحاء العالم ، وفى أى فصل جاء ، فى الصيف أو فى الشتاء ، إنه ربيع أرواحهم الذى يضرعون فيه إلى الله - تعالى - أن يتلطف بهم - بإسلامهم على يدى هذا النبى الأمين الخاتم ﷺ ليقضى - سبحانه - على ماعصف بهم من محن ، وماآلمهم من إحباط ، ومانزل بهم من سخرية .. إنه ربيعهم على أى حال .. ربيع الرحمة الصادقة المتنزلة فى قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

الأنبياء - ١٠٧

إن محمداً ﷺ صاحب الرسالة التى جاءت « بدستور » البشر أجمعين ، يذكرنا بـ « آدم » على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - أبى البشر أجمعين .

فبين الرسولين الكريمين علاقة (عموم) جامعة .. ليست بين أحد من الأنبياء السابقين من قبل محمد ﷺ ومن بعد آدم ـ عليه السلام ـ فقد كانت رسالات هؤلاء الأنبياء ـ خاصة ـ لاتعدو قومهم .

من آدم ـ عليه السلام ـ كُلّ البشر

ومن محمد ـ ﷺ ـ التشريع لكل البشر .

عموم فى تناسل البشر لآدم ، وعموم فى (التشريع) لمحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ، وبذلك أوحى الله تعالى ـ إلى محمد ﷺ فقال :

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ الأنعام ـ ١٩

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف ـ ١٥٨

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء ـ ١٠٧

ولا عجب أن تنتهى الرسالة الخاتمة بقانون للبشر أجمعين ، ثم بعد : «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» فالحرية عند الله تعالى ـ حق للبشر : فمن شاء أن يُقرَّ لِرَبّه بالألوهية ، ويعبده ـ وحده ـ ويؤمن بما أنزل مخلصاً له الدين ، فهذا رضوانه .

ومن شاء أن ينأى عن تلك الحقيقة ، مجافياً شِرْعَةَ الله ـ تعالى ـ محاولا أن يتفلسف لينأى عنها ، فهى أسرع منه نَأْياً ، وأمه هاوية لِنَار حامية .

لقد نرى قطاعات فى المجتمع لاترضى بهذه الحقيقة .. لها ذلك ! لابأس !

لكن أن تفترى على الله الكذب ، وتدعى أن الدين لا يصلح لحكم الناس ، وتنشر فى الناس كتباً تَبَرَّأَ منها كاتبوها ، وأعلنوا خطأهم فيها .. إلى هنا نقول ـ لهؤلاء : إن هذا افتراء على الله ـ تعالى ـ وكذِبٌ على رسوله ﷺ وغش للمسلمين ، فإن قيل : هناك (تطرف) قلنا : وهل يعالج التطرف بالانحراف ؟ ، ومتى كان الانحراف علاجا ؟!

إن الذين يكيدون هذا الكيد يحملون على الدين نفسه ، وعلى علمائه ، وليتهم يسبرون عِلْمَ هذا الدين ويفقهون حقائقه ليعلموا ــ إذا أرادوا أن يكونوا من هذا الدين على بصيرة ــ أن العالِمَ بهذا الدين أبعد الناس وأنفرهم من طلب الحكم والسعى إليه ؛ لأنه (أمانة) وهو يوم القيامة (حسرة وندامة) .. فالعالمُ بهذا الدين ليس منافساً لأحد بحال فى هذا الميدان . شاءوا أم أَبَوْا .. فلماذا يستهدفونه ؟!!

لقد أصدر الخليفة المهدى أمْراً لسفيان الثورى ليعمل معه ، ففر الثورى ومزق المرسوم ؛ فحكم المهدى بإعدامه ، لكن الثورى نجا ، وهوى المهدى .

إن الذين يكيدون للدين إنما يحثون على التطرف ، وهم ــ جميعاً ــ تجمعهم خصائص لايضلها الباحث :

١ ــ فهم أحزاب ليس فى ميادئها قرآن كريم ولا سنة شريفة ، ولا إيمان بقومية هذه الأمة من قريب أو بعيد ، وإلا ما سخروا من دينها ، ولا من رمز هذا الدين .

٢ ــ ثم هم طلاب حكم بوسائل ماتسمح به هذه العلمانية فكل ــ فى دربها ــ يتطلع إلى أغلبية يستوى بها على مقاعد الحكم . صغيرهم وكبيرهم فى ذلك سواء .. ، ولا عجب ــ اذن ــ أن يهاجموا الإسلام نفسه ، ويقفوا من العلماء موقف تناقض مهين لو كانوايعلمون ، فإذا تحدث العالم داعيا لنبذ التهتك والعُرْى وَتلَطَّفَ فدعا أن تحتشم النساء ويتركن (البنطلون) ودعا إلى التعديل الكريم فى الإعلام صرخوا فى وجهه فرموه بالجمود ثم التطرف ثم الإرهاب ؛ فإذا نزل بالبلد الأمين أمْرٌ يُحْزِنهُ صرخوا : أين الأزهر ؟ إنه لا يؤدى واجبه ..

ترى أى واجب يريدون .. وهو إن دعا إلى معروف أنكروا عليه ، وإن أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم صرخوا فى طلبه .. ياللتناقض المهين

ويستمر الأزهر ــ من قبل ومن بعد ، ماضياً فى سبيله ــ يعمل للبلد الأمين .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

في ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

أمانة الكلمة ومسئوليتها من سمات الإسلام

كان مما قالته السيدة/ خديجة عند عودة الرسول محمد ﷺ من غار حراء مكان تعبده وخلوته إثر مفاجأة الملك له (إنك لتصدق الحديث .. وتؤدى الأمانة) هذه كلماتُ تِلكَ التى عايشته وخَبَرَتْهُ وعرفت قَدْرَهُ وعظمة مقداره ، ومقامه عند ربه ، كلمات مشرقة بنور الإيمان جاءت إلهاماً من وحى اليقين الذى تصورته مستقبلا لمحمد ﷺ .

وَصَـفَتْهُ قائلة (إنك لتصدق الحديث) فهو الصدوق المصدق وهـو الصادق الأمين ، الصدق خلقه الذى اشتهر به منذ درج على أرض مكة ، فلم يرد له أحد قولا بشبهةِ مجانبةِ الحقيقة والواقع ، فإذا قال : قالت الدنيا من حوله صَـدَقْتَ . فما جَرَّبَ عليه أحدٌ كذبا .

يروى البخارى عن ابن عباس قال : لما نزل ، قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا ، فهتف (يا صباحاه) فاجتمعوا إليه فقال : (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟) قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبا . قال فإنى : (نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ

وشهد له بهذا أبو سفيان وهو على شركه فى مجلس هرقل حين سأله عن أحواله وخلائقه ﷺ بقوله : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قال أبو سفيان : لا . ثم قال هرقل لأبى سفيان يستعيد أسئلته إليه وأجوبته عنها على مسمع من ركب قريش الحاضر مجلسه : وسألتك ، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟

فذكرت أن : لا ، فغضب هرقل وقال : أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

ولقد سجل القرآن الكريم فى آيات عديدة أن هؤلاء المعاندين كانوا يعرفون صدق الرسول ﷺ فى كل ما قال ويقول :

نرى هذا مقرراً فى قول الله تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

وفى حديث أبى ميسرة أن رسول الله ﷺ مر بأبى جهل وأصحابه فقالوا : يا محمد . والله ما نكذبك ، وإنك عندنا لصادق ، ولكن نكذب ما جئت به .

ذلك التكذيب كان بطراً واستكباراً وحسداً أن اختص الله رسوله بهذا الفضل ، يدل على هذا ما رواه الطبرى وغيره أن (الأخنس بن شريق) التقى بأبى جهل ، فخلا به فقال له : يا أبا الحكم ، أخبرنى عن محمد ، أصادق أم كاذب .؟ فإنه ليس هاهنا من قريش غيرى وغيرك ، يسمع كلامنا ، فقال أبو جهل : ويحك : والله إن محمدا لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بَنُو قُصَىّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوة ، فماذا يكون لقريش ؟

وهكذا كان الغرض السيء وغمط الحق والحسد من دوافع الكيد للرسول وتكذيب رسالته ومعاندته .

لقد كانت سجية صدق الحديث أمراً جُبل عليه الرسول ﷺ منذ خرج إلى الحياة ، وعاش بهذه الفضيلة وغيرها فى مجتمعه منفرداً بأكمل الأخلاق ، ممتازاً على قومه بأنه المثال الأعلى لمعالى المكارم ، يتحدث الناس عنه بأنه الصادق الأمين أكثر مما يتحدثون عنه باسمه .

بَعُدَ به صِدْقُه واستقامته عن مباءات ومفاسد القوم وشرورهم وتسامى بنفسه عن كل ما يخدش سيرته أو سريرته .

فهل لنا نحن المسلمين ونحن نحتفى بذكرى مولد الرسول محمد ﷺ أن نأخذ عنه الصدق فيما نقول وما نفعل ، فلا نفترى الكذب ونذيعه هنا وهناك ولا نغمط المجدين جدهم وجديتهم ، ولا نثبط العاملين الصادقين فى خدمة الدين والأمة .

وهل لهؤلاء الذين يسودون الصحائف هنا وهناك لمزاً لشريعة الله ، وصرفاً للمسلمين عن دينهم وتعاليمه ، ويعرضون أفكارهم فى صور من السخرية ، معرضين بأحكام الله التى جاء بها الصادق الأمين كتاباً متلوًّا ، ووحيا من عند الله سبحانه صار سنة متبعة أمر الله بإبلاغه إلى الناس فقال فى سورة المائدة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

الصادق الأمين ﷺ فى ذكراه كانت أمانته سابغة ظاهرة وباطنة ، أمانة على كل شىء قولٍ وفعلٍ ، على العقيدة والشريعة ، على المال وعلى الناس والأعراض والمثل والقيم . أمانة الكلمة التى حملها إلى البشر مقدراً عظمتها ومسئوليتها فكان أميناً على ما أوحى الله به إليه مبلغاً إياه للناس بالرغم مما تعرض له من متاعب ومغريات لصرفه عن هذه الأمانة .

ومن هنا كان قوله ﷺ فيما رواه أصحاب السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه :

(إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يَزِلُّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) .

وهذا هو وحى الله قرآنه يعظم الكلمة ويبين خطرها فيقول الله فى سورة الأنعام :

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ .

وفى سورة النساء :

﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ .

وفى سورة الإسراء :

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

وفى سورة الحج :

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ .

وفى سورة البقرة :

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ .

أمانة الكلمة ومسئوليتها ونقاؤها وصدقها كل أولئك ينبغى أن يكون فى حسبان أولئك الذين تعلوا أصواتهم وتسوَّد سطورهم بافتراءات على دين الله وشريعته وفى أسلوب ساخر يفترون على الله الكذب .

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

فى ذكرى مولد الصادق الأمين أتوجه إلى هؤلاء الذين يفسحون لأولئك الصحف والسطور بأن يرعوا حقوق الله فلا ينشروا تلك السخرية بالمسلمين وبالإسلام ، إذ يعرفون أن الوقاية خير من العلاج وأن نشر السموم والأفكار الرديئة التى تشغل الناس بقضايا لا محل لها ، وتصرفهم عن علاج ما آلت إليه حال المجتمع من خلل فى القيم والأخلاق أدى إلى اختلاط الأمر على الناس لكثرة ما يقرأون من متضارب القول وما يرون من سوء العمل وهذه هى نصيحة القرآن فى هذا الصدد :

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

فى ذكرى مولد الصادق الأمين ينبغى أن نستمع إلى نداء الله وتحذيره فى قوله تعالى فى سورة الأنفال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

وقول الله فى سورة البقرة :

﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

إن أمانة الكلمة ومسئوليتها فى هذه الذكرى الكريمة تقضى أن يضع كل صاحب كلمة وقلم أمامه هذه المسئولية ويستمع إلى قول الله فى سورة ق :

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ .

وقول الله فى سورة القلم :

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ .

فى هذه الذكرى المشرقة ذكرى مولد البشير النذير الداعى إلى الخير والبر رسول الله ﷺ نذكر أولئك الذين انبرت أقلامهم بالسوء نحو العقيدة

والشريعة بقول الله فى سورة يونس فيمن سبقهم من أمثالهم :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

إن هؤلاء الذين يدعون إلى هجر شريعة الله هم مَنْ نَبَّهَ الله عنهم فى قوله فى سورة الذاريات :

﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ .

فليحذرهم الناس جميعاً فإنهم لا يدعون إلى خير ، ولا يهدون إلى رشد ، ولا يقولون إلا الزور والبهتان .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ .

وفى أمثالهم قال الله فى سورة النساء :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ .

نذكر الصادق الأمين فى يوم ميلاده فهو الأمين فى الأرض وفى السماء ، رفع الله ذكره وسماه الأمين على ألسنة قومه ، ولما يبعث فيهم رسولا ، فكان الأمين عند الله وعند الناس فلم يعرف لقب (الأمين) على إطلاقه إلا لرسول الله محمد ﷺ .

لقد كذب القوم الرسالة وما كذبوه وما عابوا أمانته ، بل ظل الأمين فى قولهم جميعاً الصادق فى قولهم ويقينهم جميعاً وإن خالفوه فيما دعا إليه بلاغاً من الله إلى الناس .

﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ .

أتراهم بعد كل ذلك يبثون سمومهم وأفكارهم إفكا وبهتاناً وزورا ضد الإسلام لا يرعون لهذا الشعب المسلم الذى هو إمام أمته والحفيظ على كتاب الله وشريعته ـ مقامه ولا كيانه ـ لا يرعون الشباب الذى لم يتسلح بعد بالتجربة ولا بالقدرة على التفرقة بين هذه السخرية وبين صحيح العقيدة والشريعة .

ألم يأن لأولئك ـ وفى ذكرى مولد الصادق الأمين ـ أن تخشع قلوبهم ويقولوا للناس حسناً ويستمعوا إلى قول الله سبحانه فى سورة فصلت :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

ألم يأن لهؤلاء ـ فى هذه الذكرى العطرة ـ بدلا من أن ينكأوا الجراح ويشيعوا اليأس أن يعملوا لصالح الشعب الذى ينتسبون إليه والأرض التى يقيمون عليها ، ومعلوم لهم أن هذا الشعب مسلم لا يبتغى بالإسلام ـ عقيدة وشريعة ـ بديلا ، وإن صلاحه ويسر أمره وحفظ سماته وذاته كل ذلك رهين بإسلامه ، وأن يكفوا عن هذا التزييف وعن تلك التفاهات من الفكر البائس اليائس من زعزعة المؤمنين وإيقاع اليأس والقنوط فى قلوبهم

إن الأزهر الشريف ليهيب بأصحاب الكلمة والقلم أن يوضحوا للناس زيغ تلك الأباطيل حتى لا يظن من لم يعط قدرة على الفحص واستبانة الحق إنها كلمة صدق ، كما أهيب بمن بيدهم أمر الصحف على مختلف أنواعها ومهامها ، ومقاصدها ، أن يوقفوا نشر تلك الأباطيل التى تسخر من دين الله وشريعته ، وليس هذا حجرا على حرية الكلمة وإنما هو تقدير لمسئوليتها وحجب لما يضر ولا يسر ، ولْنُعمل قاعدة الوقاية خير من العلاج ، ولنعرف أن ما عليه بعض شبابنا من تشرذم وربما من فكر شارد يرجع إلى إباحة نشر تلك المطاعن الساخرة بالمسلمين بعقيدتهم وشريعتهم فى الصحف والمجلات التى تطلع على الناس كل يوم ، وتشكك فى العقيدة وفى الشريعة ، وتطعن فى القرآن والسنة ، وفى معتقدات ومقدسات الأمة بوجه عام .

إن أمانة الكلمة ومسئوليتها ينبغى أن يتسع مجال أعمالها وتطبيقها .

ومرة أخرى أهيب بالمسئولين عن الإعلام بكل قنواته وصحفه ومجلاته ومطبوعاته أن يرعوا الله فيما أؤتمنوا عليه وليستمعوا إلى قول الله سبحانه فى سورة المؤمنون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ وفى سورة المائدة ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

أليست تلك السخرية بالإسلام وبالمسلمين وإضلال الناس منكراً وعدواناً يجب على المسئولين أن يمنعوه حتى لا يستشرى شره ويصعب احتواء أثره فإن أثر الكلمة السيئة كالشرر ينذر بالخطر ، ولا تقولوا إننا لم نقل ما قالوا فإنكم مسئولون عما ينشر من قالة السوء وهتك الأعراض ، نعم ولنذكر أن أبابكر الصديق - رضى الله عنه قال : ياأيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾

وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة ومعنى (فلم يأخذوا على يديه) أى يمنعوه من الظلم باليد واللسان أو بالقلب ذلك لأن المعين على الشرور والآثام ونشر الأوهام والأباطيل والأضاليل كفاعلها أو شريك له ، وإذا كنا نقاوم جراثيم الأمراض ونعزل المرضى بأمراض خبيثة وقاية للغير ، إذا كنا نُعْنى بحماية الأحياء فأولى أن نعنى بحماية العقيدة والشريعة التى هى قوامنا فى هذه الحياة وعليها مآلنا عند الله ، وتتعلق بهما آمالنا فى مستقبل أفضل للأمة .

فى ذكرى الصادق الأمين نتلو قول الله سبحانه فى سورة النساء :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ .

الصلاة والسلام عليك يارسول الله فأنت الصادق الأمين ، وقد أديت الأمانة وبلغت الرسالة اللهم (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) آمين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فتوى

فى بيان بعض أحكام المضاربة
وفى حكم التعامل بالفائدة مع بعض البنوك
وحكم التعامل مع البنوك الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهـر خطـاب من المواطنة/نادية عبـــدالله إسماعيل ، موظفة بمديرية أمن اسكندرية (إدارة البحث الجنائى) وفيه ترجو التفضل بإفادتها عن :

١ ــ التعامل بالمضاربة الربح الغير الثابت .

٢ ــ التعامل مع البنك الأهلى ــ بنك مصر بالنسبة للفائدة الثابتة .

٣ ــ التعامل مع البنوك الإسلامية مثل : بنك فيصل والبنك الإسلامى .

وقد ختمت المرسلة خطابها بقولها : أفادكم الله ووفقكم للخير ودمتم لنا ذخراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الجـواب :

عن السؤال الأول :

المضاربة :

لغة : مفاعلة من الضرب فى الارض ، وهو السير فيها .

وشرعاً : عقد شركة فى الربح بمال من جانب صاحب المال ، وعمل من جانب المضارب وهذا كما جاء فى كتب الفقه الحنفى .

وفى فقه المالكية والشافعية والحنابلة تسمى المضاربة ــ قراضاً وهى لغة أهل الحجاز والقراض مشتق من القرض وهو القطع كأنه يقطع له قطعة من ماله أو قطعة من الربح ، وقيل اشتقاقه من المساواة ، يقال : تقارض الشاعران إذا ساوى كل منهما صاحبه فى المدح ، وتقارضا الثناء .

وقال الصنعانى فى «سبل السلام» ، القِراض بكسر القاف : هو معاملة العامل بنصيب من الربح وهذه تسميته فى لغة أهل الحجاز .

أدلة مشروعية المضاربة :

لا خلاف بين الفقهـاء على جواز العمـل بالمضاربة . ويستدلون لمشروعيتها بالأدلة التالية :

١ ــ من القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(١)

(١) من الآية رقم ٢٠ من سورة المزمل .

وقوله :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[2] .

ووجه الاستدلال أن المضارب هو الذى يضرب فى الأرض ويسعى بعمله فى مال المضاربة ابتغاء فضل الله وهو الربح[3] . وتدل هاتان الآيتان على مشروعية المضاربة بإباحتهما السعى فى طلب الرزق على وجه العموم ؛ وهذا هو ما تفيده هذه النصوص وغيرها بالتضافر فيما بينها .

٢ ــ ومن السنة : أن العباس بن عبدالمطلب ــ رضى الله عنه ــ كان إذا دفع مالا مضاربة شرط على المضارب ألا يسلك به بحراً ولا ينزل وادياً ولا يشترى به ذات كبد رطب فإن فعل ذلك ضمن ، فبلغ رسول الله ــ ﷺ ــ ذلك فاستحسنه ، وكان حكيم بن حزام ــ رضى الله عنه ــ إذا دفع مالا مضاربة شرط مثل هذا[4] .

ومما ورد فى تجويز المضاربة عن جماعة من الصحابة : ما أخرجه عبدالرزاق عن على ــ رضى الله عنه ــ أنه قال فى المضاربة الوضيعة[5] على المال والربح على ما اصطلحوا عليه .

وعن عمر عن الشافعى فى كتاب اختلاف العراقيين » أنه أعطى مال يتيم مضاربة . وعن عبدالله وعبيدالله ابنى عمر (أنهما لقيا أبا موسى الأشعرى منصرفهما من غزوة « نهاوند » فتسلَّفَا مالا وابتاعا به متاعا وقدما به المدينة فباعاه وربحا فيه ، وأراد عمر أخذ رأس المال والربح كله ، فقالا : لو كان تلف كان ضمانه علينا فكيف لا يكون ربحه لنا ؟ فقال رجل يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً ، فقال : قد جعلته قراضاً ، وأخذ منهما نصف الربح) ويعقب الشوكانى على هذه الآثار بقوله : (وليس فيها شىء مرفوع إلى النبى ــ ﷺ ــ إلا ما أخرجه ابن ماجه من حديث صهيب قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ ثلاث فيهن البركة : البيع إلى الأجل والمقارضة واخلاط البر بالشعير للبيت لا للبيع . لكن فى إسناده نصر بن القاسم عن عبدالرحيم بن داود وهما مجهولان) .

وينقل الشوكانى عن ابن حزم فى هذا الصدد قوله فى مراتب الإجماع : (كل أبواب الفقه لها أصل من الكتاب والسنة حاشا القراض ، فما وجدنا له أصلا فيهما البتة ، ولكنه إجماع صحيح مجرد . والذى يُقْطَعُ به أنه كان فى عصر النبى ــ ﷺ ــ فعلم به وأقره ولولا ذلك لما جاز)[6] .

٣ ــ إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مشروعية المضاربة والتعامل بها :

وتدل الآثار المفيدة لتعامل الصحابة بها ــ فى عصر النبى ﷺ وبعد وفاته ــ على أنه كان للمضاربة صور عديدة كالاتفاق على قدر معين من المال لصاحبه واقتسام الربح إن وجد بين رب المال والمضارب وكالاتفاق على ضمان العامل رأس المال أو الاتفاق على اقتسام الخسارة بين الطرفين كذلك ، وكالاتفاق على اختصاص العامل بقدر

---

(٢) من الآية رقم ١٠ من سورة الجمعة .

(٣) بدائع الصنائع للكسانى جـ٦ ص٧٩ ط أولى ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م ــ مطبعة الجمالية إدارة الخانجى .

(٤) المبسوط للسرخسى جـ٢٢ ص١٨ .

(٥) الوضعية بمعنى أن الخسارة تعود إلى رأس المال ــ المعجم الوسيط جـ٢ ص١٠٨٢ ، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ٢ ص١٤٨٨ ، لسان العرب لابن منظور جـ٦ ص٤٨٥٨ . وشرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك جـ٣ ص١٦١ ، المغنى لابن قدامة جـ٥ ص١٤٧ .

(٦) نيل الأوطار للشوكانى جـ٥ ص٢٦٦ ، ٢٦٧ ط دار الحديث .

من المال لقاء عمله واقتسام مازاد عن ذلك من الربح بينهما . وقد أبطل الفقهاء من هذه الصور المحتملة ما يخالف مقتضى العدالة فى التعاقد وما لا يتفق مع قواعد الشرع وما أشار إليه فقهاء الصحابة والتابعين من قيود على التعامل بالمضاربة لم يكن للاستقصاء النظرى بقدر ما كان لطرد الصور المحرمة للتعامل بها من أسواق التمويل والاستثمار .

٤ ـ أما الدليل على مشروعية المضاربة من المعقول والمصلحة فيوضحه السرخسى بالإشارة إلى حاجة الناس إلى هذا العقد : (فصاحب المال قد لا يهتدى إلى التصرف المربح ، والمهتدى إلى التصرف قد لا يكون له مال ، والربح إنما يحصل بهما ، يعنى المال والتصرف ، ففى جواز هذا العقد يحصل مقصودهما . وجواز عقد الشركة بين اثنين بالمال دليل على جواز هذا العقد ، لأن من جانب كل واحد منهما هناك ما يحصل به الربح فينعقد بينهما شركة فى الربح)[(٧)] .

وإذا ثبتت المضاربة بالإجماع والمعقول والسنة التقريرية وعموم نصوص القرآن الكريم وقواعد الشريعة فلا يخفى موافقة مشروعيتها للأصول .

بم تنعقد المضاربة ؟ :

وتنعقد المضاربة بالإيجاب والقبول كأن يقول صاحب رأس المال للمضارب فيه : خذ هذا المال واعمل فيه على أن لك نصف الربح أو ثلثه مثلا .

ويشترط أن يكون رأس المال نقداً ، ومعلوماً ، وأن يكون الربح شائعاً بينهما ، وأن يُعلم قدر الربح مقدراً بالثلث أو الربع أو النصف ونحو ذلك ، وليس بقدر محدد من المال وذلك بالنسبة لكل من صاحب رأس المال والمضارب ، وأن يكون القدر المشروط ـ على هذا الوجه ـ للمضارب من الربح وليس من رأس المال فقط أو منه ومن الربح معاً حتى لا تفسد المضاربة .

وقد نقل عن الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ قوله فى الموطأ (كتاب القراض باب ما يجوز من الشرط فى القراض وباب ما لا يجوز) :

قال ـ رضى الله عنه ـ فى رجل دفع إلى رجل مالا قراضاً ، واشترط عليه فيه شيئاً من الربح خالصاً دون صاحبه ، إن ذلك لا يصلح وإن كان درهماً واحداً .. إلا أن يشترط نصف الربح له ، ونصفه لصاحبه ، أو ثلثه أو ربعه ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، فإن سمى شيئاً من ذلك قليلا أو كثيراً ، فإن كل شيء سمى من ذلك حلال وهو قراض المسلمين ، ولكن إن اشترط أن له من الربح درهماً واحداً فما فوقه خالصاً دون صاحبه وما بقى من الربح فهو بينهما نصفان ، فإن ذلك لا يصلح ، وليس على ذلك قراض المسلمين[(٨)] .

وهذا يدل على أن المضاربة أو القراض الحلال لا يكون الربح فيه مبلغاً محدداً من المال ولو كان درهماً واحداً ..

ومن ثم كانت المضاربة شركة بين صاحب المال والعامل وهى اشتراك فى الربح الحاصل من هذه العملية الاستثمارية المشروعة ، والحصص يجب أن تكون نسباً شائعة من الربح لا مبالغ معينة بالنسبة لرأس المال ولا التزام على العامل فى المال بأن يعطى رب المال ربحاً مفترضاً ، فإن لم يتحقق ربح اقتصر حق رب المال على استرداد ماله وفاته الكسب المتوقع وتحمل العامل خسارة جهده .

ولا اعتبار لكون الربح فى المضاربة الصحيحة ثابتاً أو غير ثابت ، إذ الهدف أن يكون الربح واقعياً نتيجة حركة المال فى التجارة متحققاً

(٧) المبسوط للسرخسى جـ٢٢ ص١٩ .

(٨) الموطأ للإمام مالك بشرح الزرقانى جـ٢ ص١٥٧ ، ١٥٨ ط الخيرية .

باستثمار المضارب وعمله لا أن يكون مفترضاً بعيداً عن الحقيقة[٩] .

وعن السؤال الثانى :

وهو حكم التعامل مع البنك الأهلى وبنك مصر بالفائدة الثابتة ؟ فقد أصدر «المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية» بالإجماع قراراً بشأن فوائد القروض هذا نصه :

(الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الإنتاجى ، وكثير الربا فى ذلك وقليله حرام ، والإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا حرام كذلك ، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة وكل امرىء متروك لدينه فى تقدير ضرورته .

وإن أعمال البنوك فى الحسابات الجارية وصرف الشيكات ، وخطابات الاعتماد ، والكمبيالات الداخلية التى يقوم عليها بين التجار والبنوك فى الداخل ، كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة ، وما يؤخذ فى نظير هذه الأعمال ليس من الربا وإنما من باب الأجرة على هذا العمل .

وإن الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية وهى محرمة[١٠] .

هذا : والبنك الأهلى ، وبنك مصر كسائر البنوك الربوية يتاجران فى الديون بالربا .

وعن السؤال الثالث :

حكم التعامل مع البنوك الإسلامية ؟ :

والتعامل مع البنوك الإسلامية مثل بنك فيصل وغيره ، تعامل مشروع مادام لا يجرى على نظام الفوائد المحددة مقدماً ، وإنما طريقه الاستثمار بمعنى أن يستثمر المال فى تجارة أو صناعة أو زراعة ، والربح العائد من هذا هو الذى يعود على صاحب المال وعلى البنك دون تحديد سابق للربح ، بل يبقى العائد خاضعاً لواقع الربح والخسارة كل عام أو فى كل صفقة ، والربح والاستثمار بهذا الطريق حلال ، لأنه داخل فى نطاق عقود التعامل الشرعى لعقد المضاربة الشرعية وغيرها للحاجة إليه فى حركة التعامل ، ذلك أن من الناس من هو صاحب مال ولا يهتدى إلى التصرف فيه بالتجارة أو الصناعة أو غيرها ، ومنهم من هو صاحب خبرة ودراية بالتجارة وغيرها من طرق الاستثمار ولا مال له فأجيز عقد المضاربة الشرعية لتنظيم وتبادل المنافع والمصالح فى النطاق المشروع وبالضوابط المقررة شرعاً .

هـذا :

وإن الله سائل كل مسلم ومسلمة عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه[١١] .

ومما سبق يعلم الجواب عن تلك التساؤلات والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٩) راجع فى الفقه الحنفى كتاب الاختيار لتعليل المختار جـ٣ ص٢٧ ، ٢٨ وتكملة حاشية رد المحتار على الدر المختار جـ٨ ص٢٩٢ ، ٢٩٣ فى كتاب المضاربة ، وفى الفقه المالكى حاشية الدسوق على الشرح الكبير للدردير مع تقريرات الشيخ عليش جـ٣ ص٥١٧ وما بعدها وقوانين الأحكام الشرعية لابن جزى الغرناطى المالكى ص ٢١٧ فى القراض ، وفى الفقه الشافعى التكملة الثانية للمجموع شرح المهذب جـ١٤ فى كتاب القراض ص٣٥٧ وما بعدها وحاشية قليوبى وعميرة على منهاج الطالبين للنووى جـ٣ ص٥١ وما بعدها ، وفى الفقه الحنبلى المغنى لابن قدامة جـ٥ ص١٣٤ وما بعدها ثم كتاب الفقه على المذاهب الأربعة جـ٣ ص٣٤ وما بعدها فى مباحث المضاربة والقراض .

(١٠) المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهرة فى المحرم ١٣٨٥هـ/مايو ١٩٦٥م ـ قرارات وتوصيات مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية من الأول إلى التاسع ص٢٨ ، ٢٩ ط الأزهر ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١١) الفتاوى الإسلامية جـ٩ ص٣٣٤٦ وما بعدها نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

فتوى

أحكام الذبح في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر/شيخ الأزهر ـ خطاب من السيد/صلاح حسنين المدير المسئول ـ لشركة البركة للحوم الإسلامية ـ جاء فيه :

إن شركة البركة للحوم الإسلامية وهو أول مجزر إسلامى تأسست فكرته على أساس توفير اللحوم المذبوحة على الشريعة الإسلامية للجالية المسلمة فى أوربا وخاصة فى ألمانيا وتصدير مايزيد عن احتياجات المسلمين إلى البلدان الإسلامية .

ولقد واجهتهم مشاكل كثيرة من الجهات التى تعمل على تعطيل كل جهد لتطبيق قواعد الشريعة الإسلامية بالنسبة للمسلمين فى ألمانيا وخاصة مشكلة الذبح التى يتمتع بها اليهود ، وتحرم على المسلمين .

وأنه بعد مقابلة المسئولين بالسلطات الألمانية طلبوا منهم فتوى من الأزهر الشريف يكون فيها أن الذبح الإسلامى بألا يصوب على رأس الحيوان أى طلقات أو أى صواعق كهربائية ـ وأن يكون الذابح مسلما ، وأن يسمى على الذبيحة قبل ذبحها بعبارة (بسم الله ـ الله أكبر) ، وأن يكون السلاح حادا ، ولا ترى الذبيحة ـ أخرى عند الذبح ..

ثم انتهى الخطاب بقوله :

وبذلك سوف يعطون لنا تصريح الذبح بعد ذلك .

نسأل الله أن تكونوا عونا لنا وللمسلمين فى شتى البلدان .

والجـــواب

الذباح جمع : ذبيحة ، وهى: الحيوان المذبوح مأخوذة من الذبح بفتح الذال المشددة ـ وهو مصدر ـ ذَبَحَ يَذْبَحُ ، كَمَنَعَ يَمْنَعُ ..

والذبح فى لغة العرب يطلق على الشق ، وهو المعنى الأصلى ، ثم جرى استعماله فى قطع الحلقوم من الباطن عند مفصل العنق من الرأس تحت اللَّحْيَيْن[1] .

---

(١) القاموس المحيط ولسان العرب والمصباح المنير والمفردات فى غريب القرآن للأصفهانى مادة ذَبَحَ .

وللذبح فى اصطلاح فقهاء الشرع الإسلامى ثلاثة معان :

الأول : القطع فى الحلق وهو مابين اللَّبة[٢] واللَّحْيَيْن[٣] من الْعُنُق .

الثانى : القطع فى الحلق أو اللَّبة .

وهذا أعم من الأول لشموله القطع فى اللَّبة ..

والفقهاء يريدون هذا المعنى حينما يقولون : إن الحياة المستقرة هى مافوق حركة المذبوح ، أى الحركة الشديدة التى يتحركها الحيوان حينما يقارب الموت بعد القطع سواء أكان ذلك القطع فى حلقه أم فى لَبَّتِهِ .

الثالث : مايتوصل به إلى حل الحيوان الحى سواء أكان قطعا فى الحلق أم فى اللَّبة من حيوان مقدور عليه ، أم إزهاقاً لروح الحيوان غير المقدور عليه بإصابته فى أى موضع كان من جسده بمحدد أو بجارحة[٤] معلمة .

وهذا المعنى أعم من سابقيه ..

وهو المراد فى قول الفقهاء : (لا تحل ذبيحة المشرك) ..

فالمراد ما أصابه المشرك فى حَلْقِه أو لَبَّته إن كان مقدورا عليه أو فى أى موضع كان من جسده ، إن كان غير مقدور عليه[٥] .

التذكية : هى فى اللغة العربية : مصدر ذكيت الحيوان أى ذبحته أو نحرته والذكاة اسم المصدر ومعناها إتمام الشىء[٦] .

وفى الاصطلاح : هى السبب الموصل لحل أكل الحيوان البرى المباح اختيارا كما جاء فى الفقه المالكى .

وعرف فقهاء المذهب الحنفى الذكاة : بأنها السبيل الشرعية لبقاء طهارة الحيوان وحل أكله إن كان مأكولا ، وحل الانتفاع بجلده وشعره إن كان غير مأكول[٧] .

ومما سبق يتضح أن اصطلاحى ــ الذبائح والذكاة مؤداهما واحد وأن أثر كل منهما فى الجملة ــ حل الحيوان المباح أكله بالذبح أو بالتذكية ومن ثم يتبع هذا بيان الشروط الواجب توافرها فى الحيوان المذبوح على الوجه التالى :

(أ) أن يكون الحيوان حيا وقت الذبح حياة نشطة كاملة أو حياة مستقرة .

(ب) أن يقع زهوق روح هذا الحيوان بمحض الذبح فحسب دون أى سبب أو عارض آخر .

(جـ) ألا يكون الحيوان صيداً من الحرم ..

فإذا وجد سبب قبل الذبح ينسب إليه هلاك الحيوان كالانخناق أو الضرب أو النطح من حيوان آخر أو التردى لم يحل الحيوان بالذبح إلا إذا وجدت به حياة مستقرة كما إذا تحرك بعد ما أصابه على هذا

---

(٢) اللَّبة بفتح اللام ــ هى الثغرة بين الترقوتين أسفل العنق .

(٣) اللحيان مثنى اللحى ــ بفتح اللام ــ وهما العظمان اللذان يلتقيان فى الذقن وتنبت عليهما الأسنان السفلى .

والفقهاء يريدون ذلك المعنى حين يقولون (ويستحب فى الغنم ونحوها الذبح) أى أن تقطع فى حلقها لا فى لَبَّتها .

(٤) كلب الصيد المعلم ونحوه .

(٥) راجع شرح منهج الطلاب بحاشية البيجرمى جـ٤ ص٢٨٥

أول موضوع الذبائح عن التعريف والأركان .

(٦) المراجع السابقة فى أول الإجابة هامش ص٢ من هذه الأوراق .

(٧) الشرح الصغير بهامش بلغة السالك جـ١ ص٣١٢ فقه مالكى وحاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار جـ١ ص١٣٦ ــ ١٣٩ ، حـ٥ ص١٩٦ ، ٣٠٥ فقه حنفى .

الوجه حركة قوية شديدة أو ينفجر منه الدم بالذبح ، فإذا لم تكن للمذبوح حياة مستقرة كان فى معنى الميتة فلا يحل بالذكاة كالميتة[٨] .

شروط حل الذبيحة :

(أ) مايتعلق بآلة الذبح وهى : أن تكون محددة تقطع أو تخرق بحدها لا بثقلها وألا تكون سنا ، ولا ظفراً فإذا اجتمع هذان الشرطان فى شىء ، حل الذبح به سواء أكان حديدا ، أو حجرا ، أو خشباً أو غير ذلك ، كما جاء فى الحديث الشريف[٩] «عن رافع بن خديج قال . قلت يارسول الله إنا نلقى العدو غداً وليس معنا مدى فقال النبى ﷺ ماأنهر الدم ، وذكر إسم الله عليه فكلوا مالم يكن سنا أو ظفراً وسأحدثكم عن ذلك : أما السن فعظم ، وأما الظفر فمدى الحبشة ، رواه الجماعة .. وإن كان يسن الذبح بسكين حاد لأنه من باب إحسان الذبح المأمور به شرعاً .

(ب) وما يتعلق بالذابح نفسه وهو : أن يكون قادراً على الذبح عاقلا مميزاً وأن يكون مسلماً .

التسمية :

أما تسمية الذابح بقوله ـ باسم‌الله ، الله أكبر ـ على الذبيحة حين ذبحها فهو شرط للحل عند الجمهور ـ مع التذكر ـ وتسقط بالسهو .

وأما ماذكر اسم غير الله تعالى عليه عند ذبحه فهو محرم شرعاً عند الجمهور إذا علم ذلك ، أو شوهد سواء أكان الذابح مسلماً ، أم كتابياً لقوله تعالى فى سورة البقرة[١٠] . ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ .

وروى عن بعض الفقهاء (عطاء ، والزهرى ، وربيعة والشعبى ، ومكحول) حل أكله إذا كان الذابح كتابياً لأنه ذبح على الملة ، وكانت هذه ملتهم قبل نزول القرآن وأحلها فى كتابه .

وقد روى هذا عن صحابيين جليلين : أبى الدرداء ، وعبادة بن الصامت ، رضى الله عنهم أجمعين .. ،.لكن العمل بالقول الأول أولى وأحق لأنه الموافق للنص القرآنى المُحرِّم لما أهل به لغير الله .

طريقة الذبح الشرعية :

(أ) فيما قدر عليه : تكون بين الحلق ، والصدر مع ضرورة قطع الحلقوم «مجرى النفس والمرىء (مجرى الطعام والشراب)» وأحد الودجين وهما : (عرقان فى صفحتى العنق) عند الحنفية يندفع منهما أو من أحدهما الدم بالذبح .

وقال المالكية : لابد من قطع الحلقوم ، والودجين ولا يشترط قطع المرىء .

وقال الشافعية والحنابلة : لابد من قطع الحلقوم والمرىء ولا يشترط قطع الودجين بل يسن ذلك .

وما قال به الحنفية أولى وأحق لأن المقصود

---

(٨) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع جـ٥ ص٥١ فقه حنفى ونهاية المحتاج جـ١ ص١١١ فقه شافعى والمقنع جـ٣ ص٥٤٠ فقه حنبلى ، والشرح الصغير مع بلغة السالك جـ١ ص ٣٢٠ فقه مالكى .

(٩) نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص١٤١ .

(١٠) من الآية : ١٧٣ .

بالذبح هو إنهار الدم أى تدفقه وخروجه انفصالا عن اللحم .

(ب) وفى غير المقدور على ذبحه بين الحلق والصدر : كبعير نفر ، أَوْصَـال على إنسان ، أو وقع فى بئر ، فذكاته : عقْر بجرح مزهق للروح فى أى موضع من بدنه بالإجماع .

حكم أكل ماذبح بالسكين المتحركة بآلة كهربائية :

إذا كانت تقطع ما يجب قطعه فى موضع الذبح المبين سابقاً ، وكان مدير الآلة الكهربائية ممن توافرت فيه شروط الذابح اعتبر ذلك كالسكين فى يد الذابح وحل أكل ذبيحتها ، أما إذا كانت الآلة تصعق أو تخنق أو تميت بأى طريقة أخرى كالضغط كانت غير مستوفية للشروط السابق ذكرها فلا تحل ذبيحتها .

هذا : وأما سلخ الذبيحة ، وتجهيزها بالآلات الحديثة فلا مانع منه شرعاً متى كان الذبح فى موضعه الشرعى سالف الذكر وبقطع تلك العروق .

وكان السلخ والتجهيز بعد أن تبرد الذبيحة وتتوقف حركتها تماماً ، أما الذبح بطريق التدويخ بالصدمة الكهربائية طلباً لإراحة الحيوان وتخديره فهو جائز بشرط ألا يكون صعقاً أى لا يموت الحيوان بالكهرباء ، وبحيث إذا لم يذبح الحيوان عقب الصدمة الكهربائية وترك استرد وعيه وإحساسه وحركاته الطبيعية أما إذا مات بالصعق الكهربائى كان ميتة أشبه بالمنخنقة التى حرمها الله فلا يحل أكله .

والذبح بالتدويخ بالمسدس الواقذ طريقة غير جائزة فى الإسلام لأنه يدخل تحت صنف من المحرمات هو : «والموقوذة»(١١) .

ويجب أن يكون ذبح الدجاج وسائر الطيور بالسكين وليس بطريق التدويخ الكهربائى .

لما كان ذلك : فإن الذبح الذى يتم بعد تخدير الحيوانات وبعد صعق الدجاج بالكهرباء ، وبعد وقذ الأغنام والأبقار بالمسدس ، وأن التخدير الذى يتم كذلك بغاز ثانى أكسيد الكربون ـ كل ذلك ـ يؤدى إلى خنق البهيمة بشكل محقق قبل ذبحها .

ولما كان ذلك أيضاً : كان الذبح ـ مع هذه الطرق ـ من الصعق والتخدير والوقذ ـ يعتبر إهلاكاً لهذه الحيوانات وليس تذكية لها فى حكم الإسلام ، ويصيرها من قبيل الميتة المحرمة ..

وعلى المسلمين فى ألمانيا إيضاح هذا الحكم الشرعى للمسئولين عن المذابح باعتبار أن الحلال والحرام مما يدخل فى حكم الإسلام ـ عقيدة وشريعة .

هذا : وقد ثبتت حرمة الميتة وغيرها مما يلحق بها بنص قطعى فى القرآن الكريم فى سورة المائدة(١٢) .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ ..

والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(١١) من الآية رقم٣ من سورة المائدة .

(١٢) من الآية رقم٣ .

مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِذْ
أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ
وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا
وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤) ﴾ .

هذا الكلام تكملة ووصف لما كان يوم بدر فقد أنهى الحديث عن تقسيم الغنائم بقول الله تعالى :

﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾

وهو يوم بدر ، وسقنا تتمة هذا الوصف ، فالظرف هنا بدَل من يوم الفرقان ، أو هو معمول لفعل غير مذكور ، تقديرهُ اذكر أو اذكروا إذا أنتم كذا وكذا . وجوز بعض المفسرين أن يكون معمولا .. لقدير ، أى هو قدير إذا أنتم فى هذا المكان وهم فى ذاك وعددهم أضعاف عددكم ، ثم مع هذا نصركم . وأيا قدرنا من الوجوه فالآية تتمة لهذا الوصف .

والعُدوة معناها الجانب ، وهى مثلثة العين ، وقرىء بها جميعا ، والقراءة المشهورة هى الضم والكسر ، وقرىء أيضاً بالعِدْيَةِ على قلب الواو ياء وكسر العين لأن الحاجز بين الواو والكسرة حرف ساكن ، وهو حاجز غير حصين ، كما قالوا : صبية ، وهى من صبا يصبو ، وجاء فى القصوى أيضاً القصيا .

والدنيا والقصوى ، مؤنث : الأدنى والأقصى ، ومن القواعد المقررة أن فُعْلَى من ذوات الواو إذا كانت اسما تبدل واوه ياء ، كالعليا من علا يعلو ، ودنيا من دنا يدنو ، ولم تبدل قصوى فى النطق المشهور للمح الصفة التى لها فى الأصل ، وتميم تقول : القصيا ولغة الحجازيين أولى وأشهر ، والعرب تقول : استصوب الأمر ، واستحوذ عليه ، وقالوا : أغيل وأغال .

والركب أسفل منكم .. أى العير القادمة يقودها أبو سفيان ، وهو اسم جمع لراكب وهى صيغة تستعمل للجمع ، يقولون : إنهم سَفْرٌ أى مسافرون ، وشَرْبٌ ، أى شُرَّابٌ أو شاربون ، وهؤلاء جمع لأنهم كانوا أربعين ، وكانوا على ساحل البحر ، وهو مكان أسفل من المكان الذى كان فيه المسلمون .

والعدوة الدنيا هى : الجانب الأدنى والأقرب إلى المدينة ، والقصوى هى : البعدى عنها و « أسفل » منصوب على الظرفية ، أى فى مكان واقع أسفل منكم ، والواو للحال .

« الآية » تصف الحال التى كان عليها الفريقان ، وتبين ما كان عليه العدو من قوة شوكة وتكامل عدة وحسن موقع بجانب ما كان عليه المسلمون من قلة وسوء موقع ، فالمشركون أناخوا فى مكان ثابت الرمل وعندهم الماء بينما المسلمون فى أرض وعثاء تسوخ فيها الأقدام ، وكانت العير قد أفلتت ، وهذا يصور مدى مادبر الله القدير من نصر المسلمين على عدوهم مع ماكانوا فيه من وضع حرج ، وقلة عدد ونقص عُدَدٍ ، فانتصارهم وغلبتهم مع هذا كله ليست إلا صنعا من الله ، ودليلا واضحاً على كامل قدرته وتدبيره . فقد دبر مادبر من إعزاز دينه وإعلاء كلمته . وقد وعد ـ سبحانه ـ المسلمين إحدى الطائفتين ولم يبين أيها التى سيأخذون ولا أيها خير لهم وأربح ، وكانوا راغبين فى الخروج لأخذ العير ظانين أنها أيسر وأثرى ، لكن هذا النصر العظيم عاد عليهم بالربح العظيم مع مافيه من نصر دين الله وإعزاز كلمته ، ولو خرجوا .. كما كانوا يودون إلى العير واستولوا على مابها ، ماخسر المشركون إلا المال ، ويبقى لهم رجالهم وعدتهم ، ولكنهم الآن خسروا المال والرجال كما خسروا كرامتهم وسمعتهم بين العرب ، وقد حصل المسلمون على أثمن وأوفر مما كانوا يؤملونه من ربح من الصبر .

﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ﴾

أى لو تواعدتم أنتم والمشركون على هذا اللقاء

لخالف بعضكم بعضا ، فأنتم تثاقلون وتتراجعون لما تعرفونه من قلتكم وقلة عُدَدِكم مع ما لديهم من العُدَد وكثرة الرجال ، وهم يثبطهم مابث الله فى قلوبهم من الـرعب والهيبـة من رسول الله - ﷺ - ، وهم كانوا لا يقدمون على حربه إلا بعد استعداد شامل وتجميع للقبائل كما فعلوا يوم الأحزاب ، وقد رأينا أبا سفيان يجبن عن العودة لحرب المسلمين يوم أحد ، وقد قعد عن الحرب يوم بدر الثانية ، ولو تواعدوا على لقاء يوم بدر ولم يكن ثم عير ما كان نفير ولا تلاقى الجمعان ، فهم إذن يختلفون فى موعدهم . ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جمع الفريقين وهيأ لهم هذا اللقاء على غير موعد ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وهو نصر المؤمنين ، وهزيمة المشركين ، ومعنى كان مفعولا ، كان لابد أن يقضى لنصر المسلمين وهو سبحانه يقول : ﴿ ... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ـ وهو أمر مقدر فى الأزل لابد أن يكون .

وقدر بعض المفسرين ﴿كان مفعولا﴾ .. هنا بصار ، أى أصبح هذا النصر واقعاً بعد أن لم يكن وقال صاحب المنار : « ليقضى الله أمراً كان ثابتا فى علمه ، وحكمة أنه واقع مفعول لابُدَّ منه ، وهو القتال المفضى إلى خزيهم ونصركم عليهم » ..

وجملة « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حَىَّ عن بينه » بدل من ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا﴾ ويجوز تعلقه « بمفعولا » ، بمعنى كان هذا الأمر مقضياً ليهلك من هلك .. والبينة هى الحجة الظاهرة ، وبها لا يبقى اعتذار لمعتذر ، فمن مات ومن عاش ، كل عاين الحجة ، وهذه الحجة هى ما كان يوم بدر . وقد مات فيها من مات من المشركين أمثال : أبى جهل ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ومات غيرهم ، وما كانوا يتوقعون هذه الهزيمة ، ومن مات من المسلمين رأى ما حل بالمشركين ورأى رعاية الله للمسلمين ، والذين عاشوا من أولئك وهؤلاء ، شاهدوا آية الله الكبرى ، فاضطرب الكفار ودخل منهم فى الإسلام من دخل ، واستبشر المسلمون ، وثبت الإيمان فى قلوبهم ، فالبينة بما حدث فى هذا اليوم كانت جلية واضحة للطرفين . وكلمة « عن » تحتمل عدداً من المعانى كلها سائغ مستعمل فى اللغة العربية .

فهى بمعنى بعد كما فى قوله تعالى : ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ . أى بعد زمن قليل والأصل فيها هو المجاوزة ، ولكنها تضمن أو تفيد أصالة معنى السببية ، ومن ذلك « ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ » .. أى بسبب كلامك لنا ، ولا تصلح السببية هنا وتأتى بمعنى على ، كما فى قوله تعالى : ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أى فبخله عائد على نفسه ، ونقول : فلان لا يزيد عن أخيه شيئاً ، أى لا يزيد عليه ولا يفضله ، وتأتى لمعان أخرى ، تقول : صدر فى هذا عن هوى فى نفسه ، وعن توجيه من سيده . وأيا ما كان فمعنى السببية واضح فى مواضع كثيرة لها ، والبعدية فى الآية واضحة مقبولة .

وهل المراد بالحياة الحقيقة ، وبالموت الموت الحقيقى أوهما مجاز من الإيمان والكفر ، فيكون المعنى من آمن بعد هذه الواقعة كان إيمانه عن حجة واضحة مرئية ، ومن كفر وهلك أدرك أن كفره كان خطأً حقاً وضلالا باطلا .

وقرىء : يهلك من هلك .. بفتح اللام فيهما ، وفتح العين فى الماضى والمضارع إنما يكون فيما لامه أو عينه حرفا من حروف الحلق ، فهذه القراءة اذن من تداخل اللغات ، لأن هلك

يستعمل بوزن ضرب يضرب ، وعلم يعلم ، وقيل أيضاً : تستعمل بوزن منع يمنع ، وبه تستقيم قراءة الأعمش بفتح اللام فى الماضى والمضارع

وذيلت الآية بجملة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فهو سميع لما يردده المسلمون من كلمة التوحيد وشهادة الإسلام ، ولما يقوله الكافرون من كلمات الإلحاد وسباب المسلمين وشتم دينهم ، ثم يحاسب كلا بعمله .

و﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ إما بدل من يوم الفرقان ، وذلك أولى ، أو هو بدل من ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ، و﴿قليلا﴾ مفعول مطلق أو ظرف ، أى رؤية قليلة أو زمناً قليلا ، أو هو يعنى الكفار ، أى يظهرهم لك قليلين ، فهو مفعول ثالث ليرى أو لم نعتبرها بصرية ، أو هى حال . والمنام مصدر ميمى ، فالمعنى إذن إذ يريكم الله فى نومك – فهى رؤيا منامية ، وقد جاءت الرواية أنه – ﷺ – رآهم فى نومه قليلين وأخبر أصحابه بذلك فاشتد ساعدهم وقويت معنوياتهم .

ويرد على هذا أن رؤيا الأنبياء حق وأن المشركين لم يكونوا قلة .

قيل : ولعل الله أراه بعضاً منهم .

وقيل : القلة تعنى العجز والهزيمة ، والرؤى عادة تكون رمزية ثم يكون تأويلها عين الحقيقة ، وقد رأى يوسف الصديق أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له ، ثم كان تأويل ذلك سجود أبويه وإخوته له .

ورؤى أبو جهل يأكل من عذق فى الجنة وكان تأويل ذلك أن ابنه عكرمة هو الذى يستشهد ويدخل الجنة .

فالقلة هنا منبئة عن قلة الكيد وقلة البأس .

وقد نشط المسلمون واشتدوا بسبب هذه الرؤيا ، ولعل منهم من يكون قد فهمها على هذا وقد كان الصديق أبوبكر معبراً للرؤى – مع أن النبى كان قد حذر قبل ذلك وقدر عدد المشركين بالألف وأخبر أصحابه بهذا .

وليس فى كتب الحديث ما يشفى الغلة من هذه الرؤيا .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ . وفشل المسلمين حينئذ يكون فى نكوصهم وإحجامهم عن الحرب وجبنهم عن لقاء هذا العدد الكبير ، ثم يكون التنازع بينهم إذ يقدم بعض ويحجم بعض ، ويكون تلاوم بينهم وتشاد فى دخول الحرب أو الإعراض عنها ، «ولكن الله سلم» أى كتب للمسلمين السلامة من هذا النزاع وهذا الفشل ، وهو سبحانه عليم بما تكنه الصدور وما تخفيه من الأسرار والخواطر . وفى قوله تعالى :﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ الرؤية بصرية ، وقد حدث هذا فعلا ، وكان لهذا التقليل أثره المختلف فى نفوس الفريقين . أما المسلمون فنشطوا وتشجعوا ، إذ تراءى لهم عدوهم قليل العدد ، حتى قال ابن مسعود لجار له : ما أراهم إلا سبعين رجلا ، وإذن كان من الميسور فى نفوسهم أن يقضوا عليهم ، أما المشركون وكانوا قد تهيأ والحرب عاتية ، فكانت رؤيتهم المسلمين قلة مثبطة لهم ، باعثة للاستهانة بهم ، حتى قال أبو جهل عنهم : ما أراهم إلا أكلة جزور ، يريد أنهم لا يكلّفونهم شيئاً إلا مقدار ما يتناول الأكلة جزوراً ، فهو مستهين بهم مستخف بقواهم ، وهكذا كان تقليل العدو له أثره المختلف فى نفوس المتحاربين ، ليقضى الله أمراً كان لابد أن يقع ، وإليه وحده ترجع أمور الخلق جميعاً يدبرها بحكمته وعلمه .

أعظم نبي وأكرم مولود في الوجود ﷺ

بقلم الشيخ/محمد حافظ سليمان*

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ (١٥١) ﴾ (الآية ـ ١٥١ ـ من سورة البقرة)

لقد اختار الله رسوله محمداً ﷺ من أطهر الأنساب ومن أنقى الأصلاب ؛ فهو يعتز بنفسه وأصله فيقول «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة . واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم» وذلك لأن الأعراق الطاهرة إذا أصابها غيث الهدى جاءت بأطيب الثمرات وخير الجنى ، وسيدنا محمد بن عبدالله خاتم رسل الله قد اجتباه مولاه وتولاه وأدبه فأحسن تأديبه ورباه وحفظه ورعاه واصطنعه لنفسه ، وهيأه لتحمل أضخم رسالة وأعده لأعظم مسئولية وكلفه بأكبر مهمة عالمية رحمة بالبشرية لينقذ الإنسانية من ظلمات الجاهلية وضلالات الوثنية وعبادة المال والجاه والسلطان وليوجههم إلى عبادة الله الواحد الأحد الذى لا إله

* مدير عام إدارة الوعظ والارشاد سابقاً

غيره ولا رب سواه ؛ لأن التوحيد الخالص هو أصل الرسالة المحمدية الخالدة ، والإيمان بالله شعور فطرى عند أهل العقل السليم الذين يتدبرون آيات الله فى القرآن والأكوان ويتفكرون فى خلق السموات والأرض فيعرفون أن الأمر لله جميعا وهو القائل :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(الآية ٣٠ من سورة الروم)

والرسول قد حماه الله وحفظه من كل شر وضر وكان الله حسبه ، فهو يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهو الذى قال لسيد البشرية وأستاذ الإنسانية ﷺ :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾

الاية ٦ ـ ٧ ـ ٨ من سورة الضحى)

وقال له ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الشرح)

وقد منحه ربه أعظم لقب ظهر على ظهر هذه الأرض فقال له تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(الآية ـ ٤ ـ من سورة القلم)

وقال جل جلاله :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

(التوبة)

وقال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(١٠٧ ـ الأنبياء)

وقد كرمه ربه : فجعل طاعته من طاعته قال تعالى :

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ ٨٠ النساء

ورتب محبته على اتباعه ، والله سبحانه وتعالى قد صلى على النبى وملائكته وأمر المسلمين بأن يصلوا عليه فقال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

(سورة الأحزاب الآية ـ ٥٦)

وقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يلتزموا بالأدب مع رسول الله ﷺ فقال جل جلاله فى سورة الحجرات :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

(١ ـ ٢ ـ ٣ ـ الحجرات) .

يقول ابن عبـاس رضى الله عنهمـا فى هذا المعنى :

«لاتقدموا خلاف الكتاب والسنـة» وقـال مجاهد : لاتتقدموا على رسول الله ﷺ ولاتفتاتوا عليه بشيء ، «وقال الضحاك : لاتقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم» ثم لاتجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه المجرد وبرفع الصوت عليه كالنداء من وراء الحجرات كاؤلئك الذين كانوا يفعلون ذلك ممن وصفهم القرآن بأن أكثرهم لايعقلون فقال تبارك وتعالى فى وصف حالهم :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

(سورة الحجرات) .

وكان الأعراب من أهل البادية لا يعرفون كيف يحترمون رسول الله ﷺ فى لغة التخاطب وغيرها ولكن القرآن هذب مشاعرهم وأحاسيسهم ورفع مستوى شئونهم كلها بآدابه السامية وأخلاقه الرفيعة العالية ، ودروسه النافعة وعظاته البالغة فأصبحوا لايقطعون أمراً دون الرجوع إليه لأن الله قال :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

(سورة النساء)

لقد جعل الله حكمه من حكمه وجعل التسليم علامة القبول والرضا لله ولرسوله ﷺ ، وحرم مخالفة الرسول ، لأن الدعوة المحمدية تسير جنبا إلى جنب مع التسامى والاعتدال والصدق مع الله ، ولولا عناية الله برسولـه ورعايتـه له ـ وحمايته التى كانت تحرسه من الحاقدين عليـه المتآمرين على دعوته ـ لما كان شأن رسالته ماترى اليوم وقبل اليوم من نجاح وانتشار فى ربـوع الأرض ، ولقد أحـاطت بالمسلـمين فى شتـى العصور المتعاقبة خطيئات الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . بعد أن وحد الإسلام بين المسلمين توحيداً يسمو على الأوطان والألوان والأجناس والأقاليم والحدود وقد لعب الكرى بمعاقد أجفانهم حينا من الدهر حتى نسوا ان الله يقول لهم :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

(سورة الحجرات)

عَوْدٌ إلى مواكب الذكرى العطرة

كان كل رسول يبعث بلسان قومـه والله يقول :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(الآية ٤ من سورة إبراهيم)

وكل رسول من رسل الله ــ عليهم السلام ــ كان يأمر قومه باتبـاع الصراط المستقيم والاعتقـاد السليم .

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴿٢٥﴾﴾

(من سورة الأنبياء)

فكان هدفهم الإصلاح الاجتماعى ولم يكن خاتم رسل الله بدعا من الرسل بل جاء مصدقا لهم فلا يفرق بين أحد من رسله

﴿ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾

(الآية ٢٨٦ من سورة البقرة)

رسول عربى أمين وكتاب عربى مبين

﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ قال علاء الدين على البغدادى الشهير بالخازن فى تفسير هذه الآية «يعنى لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وأنه قد تم شرف العرب بشرفه وفخرهم بفخره ، وهو من عشيرتهم يعرفهم ويعرفونه بالصدق والأمانة والعفاف والصيانة وطهارة النسب ونقاء الأخلاق» وقرأ ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم وأفضلكم ورحم الله القائل : فى قيمة الأصل وعراقة النسب

«إذا اصطفيت امرءا فليكن
كريم الخصال زكى النسب
فنذل الرجال كنذل النبات
لا للثمار ولا للحطب»

«صاحب الخلق العظيم والأصل الكريم» (صلى الله عليه وسلم)

لقد نشأ صاحب الخلق العظيم والأصل الكريم ﷺ كريم الأخلاق . جم الفضائل حلو الشمائل لين الطبع عذب الحديث نقى السيرة طاهر السريرة عالى الهمة صادق العزيمة قوى الإرادة رحيماً كريماً عفيفاً عطوفاً جليل الخصال كريم الفعال وقد ألهمه الله صفاء النفس ولم يتلق هذه الشمائل عن إنسان معلم :

﴿وأنزل الله عليك الكتب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴿١١٣﴾﴾

(سورة النساء)

فهو الرحمة المهداة ، وقد فضله الله بأن جعل معجزته خالدة ــ وهى القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب تكريماً له ولكن رسالة الإسلام عالمية خالدة فليس بعد القرآن كتاب منزل وليس بعد سيدنا سيدنا محمد نبى مرسل ، فلا ينبغى أن يلتمس الناس العلم من الجهالات ولا الهدى من الضلالات وقد جرب الإسلام فى الأيام الأولى فامتدت الأرض أمناً وعدلاً وخيراً وسلاماً .

﴿ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركت من السماء والأرض﴾

(الآية ٩٦ من سورة الأعراف)

وبفضل القرآن الكريم تألفت القلوب المتنافرة واتحدت القبائل المتناحرة وأصبح الجميع أمة واحدة ومن تعاليم الإسلام انبثقت الحريات ، وروعيت الحرمات وانمحت الظلمات وصارت أرض الصخور مشرقا للنور ، ومن الإسلام استمد العرب عناصر قوتهم وسبيل وحدتهم وأسس كيانهم وقواعد كالهم ، لأن هذه الحياة

الدنيا لاتسعد بالمال الذى يوهب ولا بالفضة والذهب ولكن تسعد بصيانة بنيانها وحماية أركانها بالإيمان بالله ورسوله واتباع الصراط المستقيم والخلق القويم والمنهج السليم :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾

(الآية ٩ من سورة الإسراء)

والإسلام قادر ـ فى كل وقت وحين على أن يقيم العدل ويحقق المساواة والمؤاخاة والتعاون والمودة والتراحم بينت الناس لو أن المسلمين عملوا بقول الله تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ .. ﴾

(الآية ٢ من سورة المائدة)

فلو أنهم فعلوا ذلك لتداركهم رحمة الله وهى قريب من المحسنين والله يقول :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ . ﴾ (الآية ٨٢ ـ الأنعام)

وقد كرم الله رسوله وكرم أمته بأن جعل كتابه باقياً خالداً وقد رفع ذكره ﷺ : فلا يذكر ربنا تبارك وتعالى فى التشهد فى كل صلاة إلا ويذكر معه عبده ورسوله محمد ﷺ : وكذلك فى الأذان وفى الاقامة : وكان فضل الله عليه عظيماً ، ويقول هو عن نفسه : «فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون» (صلوات الله وسلامه عليه) رواه مسلم .

ولقد كانت رسالته ﷺ أساساً فى بناء صرح الإنسانية الفاضلة فى ظل الحضارة النافعة والمدنية الصالحة ونوراً تستضىء به الأجيال القادمة والله يقول :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾

(الآيتان ٥٢ ، ٥٣ من سورة الشورى)

وكان للمتقين إماماً

ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى للإنسانية فى أكمل صورها وأجل معانيها فالصدق والأمانة والصبر والاستقامة والشجاعة والإباء والمروءة والسخاء والرحمة التى لم يسبقه إليها أحد من العالمين والعفة والعزة كل أولئك كأن بعض الشمائل المحمدية قبل البعثة النبوية حتى سماه أهل مكة يومئذ الصادق الأمين ولكن الله سماه بعد أن أرسله رحمة للعالمين سراجاً منيراً ووصفه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم وجعله أسوة حسنة للمؤمنين أجمعين فى كل وقت وحين وقال تبارك وتعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

(الآية ٢١ من سورة الأحزاب) .

وللدعاة والمصلحين فى رسول الله قدوة حسنة وليتخذوه المثل الأعلى فى الالتزام بأخلاقه التى كانت صورة مجسدة لرسالته العظمى التى بعثه الله بها ليكون للعالمين نذيراً وقال جل شأنه :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

(الآية ١ من سورة الفرقان)

وذلك ليهتدوا للتى هى أقوم بالقرآن وبالمنهج الأمثل بسنة الرسول الأعظم ﷺ لتكون الدعوة على بصيرة ، ولن يتم هذا إلا بأن يسلم المؤمن وجهه ونفسه وقلبه إلى الله وهو محسن ليذوق طعم الإيمان ؛ لأنه رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً والأخلاق الإسلامية ليست من صنع البشر ولكنها جاءت من عند الله على يد خاتم رسل الله ﷺ :

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

(الآيتان ٣ ، ٤ من سورة النجم)

وبالأخلاق الإسلامية تقوى الروح المعنوية

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة المائدة)

وإن تعجب فعجب أن يقول البلهاء السفهاء من الناس لماذا نزل القرآن بلغة العرب مع أن رسالته عالمية ؟ : ولم كان الرسول أميا ؟ هذه أسئلة ترد فى أذهان الذين فى قلوبهم زيغ وجهاله وغباء ولا نرد بأكثر من قول الله – عز وجل – فى القرآن الكريم :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الاية ٤ من سورة إبراهيم)

والله لا يسأل عما يفعل ؛ والله أعلم حيث يجعل رسالته ، والله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ، (أهم يقسمون رحمة ربك ؟!) ولو نزل القرآن بلسان أعجمى على نبى عربى لقالوا لولا فصلت آياته !!

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ ﴾

(الآية ٤٤ من سورة فصلت)

أى لو نزل القرآن بلغة أعجمية لقالوا أقرآن أعجمى والنبى عربى ؟!!

وأما كون الرسول أميا ينزل عليه القرآن المعجز فهذا – أيضا – أمر معجز حقا ويصور هذا القرآن فيقول :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ۝ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ۝ ﴾

(الآيتان ٤٨ ، ٤٩ من سورة العنكبوت)

إنه لقول فصل وما هو بالهزل وليس بعده بيان ولا حجة أو برهان ، فقد وضحت الأدلة وشهدت البينات لأولى الأبصار والله يقول :

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(الآية ٩ من سورة الزمر)

قبس من أنوار النبوة

من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم

للشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عطاء بن يسار قال :

« لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله ـ ﷺ ـ فى التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ؛ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا » . (رواه البخارى فى صحيحه) .

الحرز : الموضع الحصين (الحصن) .

السخب والصخب : الصياح .

إن الباحث عن عظمة رسول الله ـ ﷺ ـ يجدها تنفيذاً عملياً لكتاب الله ـ عز وجل ـ ، بل يجده قرآنا يتحرك ، لا يرغب إلا فيما يرغب فيه القرآن ، ولا يحب إلا ما أحبه ، ولا يكره إلا ما كرهه القرآن ، ولا يَصْدُرُ عنه إلا ما يوافق القرآن ـ حكما وقضاء ، وحكمة وعلما وخلقا .

لقد سئلت السيدة أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن أخلاق رسول الله ـ ﷺ ـ : وهى من أكثر الناس مخالطة له ، وأقربهم إلى نفسه وقلبه ، وأعرفهم بمقامه وخلقه ـ فقالت للسائل ـ وهو سعد بن هشام ـ رضى الله عنه ـ : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، فقالت : « كان خلقه القرآن » . وسئل على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ عن أخلاق النبى ـ ﷺ ـ فقال للسائل : « هل تستطيع إحصاء نعم الله التى منحها لعباده فى الأرض ؟ فقال : كيف لى بذلك ؟ قال : كيف تريد منى إحصاء خُلُقِهِ ـ ﷺ ـ وقد وصفه الحق ـ جل جلاله ـ بقوله :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم : ٤

بينما يقول عن كل ما فى هذه الحياة الدنيا :

﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ النساء : ٧٧

ووضَّح ـ ﷺ ـ مهمته ورسالته فى كلمات موجزة ، فى قوله ـ فيما أخرجه الإمام مالك فى الموطأ ـ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

إن تاريخ رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حافل بالمكرمات ، زاخر بالمعالى ، وإن جلائل أعماله وشمائله ، مهما كتب فيها الباحثون ، فلن يبلغوا عشر معشارها .

له منـــــن لو أن معشار عشرهـــــا
على البَرِّ كان البر أنـدى من البحـــر
له همم لا منتهى لكبارهـــــــــا
وهمتـه الصغـــرى أجــل من الدهـــر

قال وهب بن منبه : قرأت فى أحد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها أن النبى ﷺ أرجح الناس عقلا ، وأفضلهم رأيا ، وأن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب رسول الله - ﷺ - إلا كحبة رمل من رمال الدنيا .

قال القاضى عياض - رحمه الله - فى كتابه (الشفاء) : اعلم أيها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل قدره العظيم ، أن صفات الجلال والكمال فى البشر نوعان :

ضرورى دنيوى اقتضتـه الجبلـة ؛ وضرورة الحياة الدنيا .

ومكتسب دينى ، وهو : ما يحمد فاعله ، ويقرب إلى الله تعالى ..

ثم هذه الصفات على فنين : منها ما يتخلص لأحد الوصفين ، ومنها ما يتمازج ويتداخل .

فاما الضرورى المحض : فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب ، مثل ما كان فى جبلته من : كمال خلقته ، وجمال صورته ، وقوة عقله ، وصحة فهمه ، وفصاحة لسانه ، وقوة حواسه وأعضائه ، واعتدال حركاته وشرف نسبه ، وعزة قومه ، وكرم أرضه ، ويلحق به ما تدعو إليه ضرورة حياته من غذائه وملبسه ومسكنه وماله وجاهه ؛ وقد تلحـــق هذه الخصال الآخرة بالأخروية .

وأما المكتسبة الأخروية : فسائر الأخلاق العلية ، والآداب الشرعية من الدين ، والعلم ، والحلم ، والصبر ، والشكر ، والعدل ، والزهد ، والتـواضع ، والعفــو ، والعفـــة ، والجود ، والشجاعـة ، والحيـاء ، والمروءة ، والصمت ، والتؤدة ، والوقار ، والرحمة ، وحسن الأدب والمعاشرة ، وأخواتها وهى التى جماعها حسن الخلق ..

وهذى الأخلاق دنيوية إذا لم يُرد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ؛ ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة .

ثم يقول القاضى عياض- طيب الله ثراه -: « وإذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا لواحد منا يشرف بواحدة منها أو اثنتين حتى يعظم قدره ، ويضرب باسمه الأمثال ، ويتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب أثرة وعظمة وذكر حسن : فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا بأخذه عد ، ولا يعبر عنه مقال ، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص من الكبير المتعال ، من فضيلة النبوة ، والرسالة والخلة والاصطفاء ، والقرب والدنو ، والوحى والشفاعة ، والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء ، والشهادة على الأنبياء والأمم ، وسيادة ولد آدم .

لقد كانت عظمة رسول الله - ﷺ - عظمة عطف وبر ورحمة ، عظمة هداية وإرشاد ، وإصلاح وتعمير ، وسلام وأمان وإعلان لحقوق الإنسان فى التقوى والعلم والإنتاج والعمل المتواصل لنفع المجتمع ، فخير الناس أنفعهم للناس .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾
الحجرات : ١٣

وصلى الله وسلم على من أرسله الله رحمة للعالمين .

أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية

- ٤ -

أ.د/ محمد عبد العليم العدوى

لقد كان لصلح الحديبية أثر كبير فى نشر الدعوة الإسلامية ، ويتضح ذلك من مناقشة شروط هذا الصلح والنتائج التى ترتبت عليه ، وأول هذه الشروط :

ـ وضع الحرب بين الفريقين عشر سنوات ، وهذا أدى إلى اعتراف قريش رسمياً بأن النبى ـ ﷺ ـ وأصحابه أصبحوا أمة لها كيانها بل دولة لها خطرها ، وأتاح ذلك الشرط أن الناس قد أمن بعضهم بعضا ، واختلط المسلمون بالكفار وبادؤوهم بالدعوة وأسمعوهم القرآن ، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين ، وأظهر من كان مختفيا بالإسلام ، ودخل فيه فى مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل ، حتى صناديد المشركين الذين كانوا يصدونه ـ ﷺ ـ وأصحابه عن البيت ، والذين كانوا يتحرشون به وأصحابه والذين أبوا أن يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم» .. أو يكتبوا محمداً رسول الله . أو جاء حليفاً لقريش .

لقد هداهم الله إلى الإسلام فى تلك الهدنة وبسبب هذا الصلح ومن هؤلاء خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعروة ابن مسعود وسهيل بن عمرة .. وغيرهم .. ودخل فى الإسلام بعد صلح الحديبية وحتى فتح مكة أضعاف من دخله . فى تسع عشرة سنة .. كان عدد المسلمين يوم الحديبية ألفا وأربعمائة وكان عددهم يوم فتح مكة عشرة آلاف .

الشرط الثانى وهو رجوع المسلمين عامهم هذا على أن يعودوا العام القادم للعمرة وظنت قريش أن هذا نصر لهم ، إنما كان فى حقيقته نصر للمسلمين وأنهم قوم مسالمون يحترمون العهود ولا يعتدون ، وأنهم بمظهرهم الرائع فى الطاعة والانقياد وضبط النفس والشجاعة إنما يضربون المثل الحى لنموذج الإنسان المسلم ..

فهذا مثلا المغيرة بن شعبة ، وكان فى الجاهلية صعلوكاً فتاكاً قطاعاً للطريق ، وها هو الآن يسمع ويطيع بل ويقف على رأس رسول الله ـ ﷺ ـ وَيَكُفّ يَدَ عَمّهِ عن أن تمس لحية رسول الله ـ ﷺ ـ .

حركت هذه النماذج وتلك المثل نفوس المشركين فجعلتهم يتفهمون هذا الدين ويقفون على حقيقة الإسلام ودعوته .

كما أظهر هذا الشرط : صلف قريش وتعنتها ، وكيف صدت المسلمين ورسول الله ـ ﷺ ـ عن زيارة البيت وليس من حقها أن تفعل ذلك لأن زيارة البيت حق مشاع لجميع العرب ، ومن ثم فإن حلفاء قريش من أمثال : الحليس سيد الأحابيش ومن أمثال : عروة بن مسعود سيد ثقيف ، وبديل ابن ورقاء الخزاعى لم يعجبهم موقف قريش هذا وصلفها .. وهدد بعضهم بأن ينفر بالأحابيش ، وقال لهم : ماعلى هذا عاهدتكم ؟.

كما انفض عن معسكرهم عروة بن مسعود وأهل ثقيف ، ونصحهم بديل بن ورقاء وأدرك كثير من

عقلاء قريش أن محمداً وأصحابه على الحق وأن قريشاً وحلفاءها على الباطل .

لقد اعتبر الخبراء العسكريون والسياسيون القدامى والمعاصرون رجوع النبى ـ ﷺ ـ على تلك الصورة بتلك المعاهدة هو من أحكم وأقوم مايمكن أن يقدم عليه قائد مسئول عن الأمة يقدر النتائج ويحسب حسابها قبل الإقدام على العمل .

كما أن الباحثين وفلاسفة التاريخ اعتبروا «صلح الحديبية» نصراً عظيماً أحرزه النبى ـ ﷺ ـ للإسلام والمسلمين(١) .

الشرط الثالث : من أراد أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، جعل خزاعة تتواثب وتدخل فى عقد النبى ـ ﷺ ـ وعهده كما حالفت بنو بكر قريشاً ، فربح المسلمون حليفاً قوياً له أهمية خاصة لقرب دياره من قريش .

لقد كانت خزاعة تميل قلبيها إلى المسلمين قبل اليوم ، وكان الإسلام قد انتشر بين أفرادها ، ولكنها لم تستطع أن تحالف المسلمين قبل هذه الهدنة ؛ لأن ذلك يهدد مصالحها الدينية بوجود البيت الحرام فى مكة الذى تسيطر عليه قريش ، وهذا بالإضافة إلى تهديد مصالحها الأخرى .

كما أن هذا التحالف وتلك الهدنة جعلت المنطقة الجنوبية (جنوب المدينة) آمنة بالنسبة للمسلمين يغدون فيها ويروحون ، بعد أن كانت أخطر ما يهدد الدعوة لأن فيها قبائل قوية ذات حضارة وعقيدة ، بينما كانت قبائل الشمال حتى حدود العراق والشام بدوية ممعنة فى البداوة .

فإذا ساعدت الهدنة وهذا التحالف على الاستقرار ، أعان ذلك المسلمين على أن ينشروا الإسلام بسرعة فائقة ، وأمنت القوة المنعة للمسلمين ، وجعلت قريشاً على الحياد فتفرغ المسلمون أيضاً لمواجهة عدو خبيث شديد الخطر ، وهم يهود خيبر الذين فقدوا الأمل فى معاونة قريش لهم ، حتى أتى موعد حسابهم فكانت غزوة خيبر ، وكان الفتح القريب وغنم المسلمون منه كثيراً وطهر الله الجزيرة من رجسهم ، فقضى عليهم نهائياً وتخلص المسلمون من أقوى أعداء المدينة فى المنطقة الشمالية ، ولتكون المنطقة آمنة عندما يحين موعد محاسبة قريش(٢) هى الأخرى .

الشرط الرابع : من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليهم .

وظنت قريش أنها بهذا الشرط تحقق مغنماً وتقف دون الإسلام حتى لايفكر أحد فى الدخول فيه ويأمنون فى فترة الهدنة ويتفرغون لتجارتهم ، وهذا أهم هدف حيوى بالنسبة لقريش .

كما كان هذا الشرط سبباً فى اعتراض كثير من الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى اعتبر هذا دنية .. وخصوصاً عندما جاء أبو جندل يرسف فى قيوده ويرده رسول الله ـ ﷺ ـ ؛ وكان وقع ذلك شديداً على نفوسهم ، ومادروا أن هذا الشرط كان من توفيق الله سبحانه وتعالى لرسوله ـ ﷺ ـ ككل شروط هذا الصلح والأمور دائماً بخواتيمها ونتائجها .

فماذا كانت نتيجة هذا الشرط ؟

وفد أبو بصير ـ رضى الله عنه ـ من مكة إلى المدينة مسلماً بغير رأى مولاه ، فكتب أزهر بن عوف والأخنس بن شريق إلى النبى كى يرده ، وبعثا بكتابهما مع رجل من بنى عامر ومعه مولى لهما يقول الواقدى : ولما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة من الحديبية آتاه أبو بصير وهو عتبة بن أسيد بن

(١) محمد أحمد باشميل ص ٣٣٠ .

(٢) الرسول القائد . الزعيم الركن محمود شيت خطاب ص١٩٨ .

جارية[٣] حليف بنى زهرة مسلماً ، قد انفلت من قومه فسار على قدميه سعياً ، فكتب الأخنس بن شريق ، وأزهر بن عبد عوف الزهرى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ كتاباً ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى استأجراه ببكر . ـ ابن لبون ـ وهو خنيس بن جابر ؛ وخرج مع العامرى مولى له يقال له كوثر وحملا خنيس بن جابر على بعير ، وكتبا يذكران الصلح بينهم وأن يرد إليهم أبا بصير .

فلما قدما على رسول ـ ﷺ ـ قدما بعد أبى بصير بثلاثة أيام . فقال خنيس أيا محمد هذا كتاب فدعا رسول الله ـ ﷺ ـ أبى بن كعب فقرأ عليه الكتاب فإذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه ، وأشهدنا بيننا وبينك ، من رد من قدم عليك من أصحابنا ، فابعث إلينا بصاحبنا ، فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ أبا بصير أن يرجع معهم ودفعه إليهما .

فقال أبو بصير : يارسول الله ، تردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ولا يصح لنا فى ديننا الغدرة ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا » .

قال أبـــــو بصير يارسول الله تردنى إلى المشركين ؟

قال رسول الله ـ ﷺ ـ « انطق يا أبا بصير وأبشر . فإن الله جاعل لك مخرجاً ، والرجل يكون خيراً من ألف رجل فافعل وافعل . يأمرونه بالذين معه » .

فخرجوا حتى كانوا بذى الحليفة ـ انتهوا إليها عند صلاة الظهر ـ فدخل أبو بصير مسجد ذى الحليفة فصلى ركعتين ؛ « صلاة المسافر » ، ومعه زاد له يحمله من تمر فمال إلى أصل جدار المسجد فوضع زاده فجعل يتغذى ، وقال لصاحبيه : ادنوا فكلا فقالا لا حاجة لنا فى طعامك .

فقال : ولكن لو دعوتمونى إلى طعامكم لأجبتكم وأكلت معكم فاستحييا ـ فدنوا ووضعا أيديهما فى التمر معه ، وقدما سفرة لهما فيها كسرة فأكلوا جميعاً وآنسهم ، وعلق العامرى بسيفه على حجر فى الجدار .

فقال أبو بصير للعامرى : ياأخا بنى عامر ما اسمك ؟

فقال : خنيس . قال :

ابن من ؟

قال : ابن جابر فقال : ياأبا جابر أصارم سيفك هذا ؟ قال : نعم قال ناولنيه انظر إليه إن شئت ، فناوله العامرى وكان أقرب إلى السيف من أبى بصير فأخذ أبو بصير بقائم السيف والعامرى يمسك بالجفن فعلاه به حتى برد ، وخرج كوثر هارباً يعدو نحو المدينة ، وخرج أبو بصير فى أثره فاعجزه حتى سبقه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ .

يقول أبو بصير : والله لو أدركته لأسلكته طريق صاحبه ، فبينما رسول الله ـ ﷺ ـ جالس فى أصحابه بعد العصر إذا طلع المولى يعدو فلما رآه رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « هذا رجل قد رأى زعراً فأقبل حتى وقف على رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقـــــال رسول الله ـ ﷺ ـ: « ويحك ، مالك ؟ » .

قال : قتل صاحبكم صاحبى وأفلت منه ولم أكد ، وكان الذى حبس أبا بصير احتمال سلبهما على بعيرهما فلم يبرح مكانه قائماً حتى طلع أبو بصير فأناخ البعير بباب المسجد ، فدخل

(٣) أنساب الاشراف ح١ ص ٢١١ .

متوشحاً بالسيف ، سيف العامرى ـ فوقف على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال لرسول الله ـ ﷺ ـ «وفت ذمتك وأدى الله عنك وقد أسلمتنى بيد العدو وقد امتنعت بدينى من أن أفتن فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال» .

وأدرك أبو بصير أنه لامقام له فى المدينة ولا مأمن له فى مكة ، فانطلق بعد إذن رسول الله ـ ﷺ ـ له حتى أتى ساحل البحر إلى ناحية تدعى (العيص)(٤) قال أبو بصير : فخرجت وما معى من الزاد إلا كف من تمر فأكلتها ثلاثة أيام .... وكنت آتى الساحل فأصيب حيتانا قد ألقاها البحر فآكلها .

وبلغ المسلمين الذين حبسوا بمكة وأرادوا أن يلحقوا برسول الله ـ ﷺ ـ قول النبى ـ ﷺ ـ لأبى بصير ـ «ويل أمه ، مسعر حرب» ، لو كان معه رجال فجعلوا يتسللون إلى أبى بصير ؛ وكان الذى كتب ماقال رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المسلمين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فلما جاءهم كتاب عمر جعلوا يتسللون رجلا رجلا حتى انتهوا إلى أبى بصير فاجتمعوا عنده ، قريباً من سبعين رجلا فيهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو .

وألف هؤلاء المعذبون القائمون المستقلون الذين لا ملجأ لهم بعد الله إلا سيوفهم وقد فروا من أهلهم وأموالهم بعقيدتهم وإيمانهم .

ألف هؤلاء قوة مغاوير (كومندو) لاتمر قافلة لقريش إلا اغتنموها ولا يرون رجُلا من قريش إلا قتلوه وإذا بقريش التى اعتبرت من قبل هذا الشرط نصراً لها وفى صالحها تنزل عن هذا الشرط راغمة وترسل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ تسترحمه وتناشده الرحم أن يؤدى إليه هؤلاء المسلمين الذين ضيقوا عليها الخناق .. فلا حاجة لنا بهم وكتب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى أبى بصير أن يقوم بأصحابه معه فجاءه الكتاب وهو يموت فجعل يقرأ وهو يموت فمات وهى فى يديه ـ فقبره أصحابه . هناك وصلوا عليه وأقبل أصحابه إلى المدينة وهم سبعون رجلا فيهم الوليد بن الوليد ابن المغيرة فلما دخل الحرة عثر فانقطعت أصبعه فربطها وهو يقول :

هل أنت إلا أصبع دميت فى سبيل الله ما لقيت

فدخل المدينة فمات بها .

وهكذا حافظ المسلمون على عهودهم كلها وانصرفوا إلى نشر الدعوة الإسلامية وهكذا بقى المسلمون محايدين وبقى الفارون بدينهم مقاتلين وبذلك تم الحياد المسلح فى أقوى مظاهرة للإسلام(٥) .

وعلاوة على ذلك فقد أخذ ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى بعث السرايا لتأمين نشر الدعوة وأرسل الرسائل والكتب إلى الأمراء والملوك يدعوهم بدعاية الإسلام .

وكان هذا أثراً من آثار صلح الحديبية ونتيجة من نتائجه الباهرة .

سرايا إلى القبائل وكتب إلى الملوك

وكانت تلك السرايا خلال العام السابع للهجرة وتبلغ عدتها عشر سرايا أرسلها النبى ـ ﷺ ـ فأدت مهمتها على الوجه الأكمل وعادت بخير كثير على الإسلام والمسلمين ودخل كثير من الناس فى دين الله أفواجاً ..

---

(٤) موضع من ناحية ذى المردة على ساحل البحر الأحمر بطريق قريش التى كانوا يسلكونها من مكة إلى الشام فى تجارتهم .

(٥) الزعيم الركن محموت شيت خطاب : (الرسول القائد) ص ١٩١ .

الخلاف الفقهى

بين الأساليب اللغوية والنظائر الأصولية

لفضيلة الشيخ / أحمد عبد الله أحمد العلمى (*)

مدخـل :

نالت الدراسة الفقهية حظاً كبيراً منَ العناية والاهتمام لم يَنَلْهُ علمٌ آخرُ منَ العلوم ، حيث عكف المجتهدون والباحثون والمحققون ـ حتى أيامنا هذه ـ على دراسةِ الفقه وعلومه ، وقد نتج عن ذلك أن خطت الدراسةُ الفقهيةُ منذ البدايةِ خطواتٍ واسعةً ، نحو النضوج والكمال ، وما هى إلا سنوات معدودات وإذا بالفقه الإسلامى يضحى قانوناً يحكم دولةً لاتغيبُ عنها الشمس .

وقد أدّى الاهتمام الشديد بالفقه الإسلامى إلى بروز مدارس فقهية مختلفة ، منها مابقى إلى يومنا هذا ومنها مالم يعمر طويلًا ، هذا فضلًا عن بعض المفاهيم الأصولية والقواعد الفقهية المتناثرةِ بين ثنايا أمهات الكتب ، وهى ماتعرف فى اصطلاح الباحثين : « بالمصادر الأولية » .

وتعدُّ المذاهب الأربعة أشهر المدارس الفقهية وإليها يرجع الفضل فى استنباط وتدوين الفقه الإسلامى وتصنيفه حسب المسائل والموضوعات ، وقد أدرك العلماء والباحثون القيمة العلمية لذلك الجهد الكبير ، وهم يقفون أمام أضخم مكتبة تزخر بأهم المراجع التى تتسم بعمق البحث ودقة الملاحظة ، وقد تأكّدَ هذا الأمر بعد ظهور مايعرف اليوم « بأساليب البحث العلمى » .

فأضاف هذا كله بعداً جديداً للعقلية الإسلامية المتميزة ، وعكس الآفاق الرحبة للبيئة الإسلامية التى ترعرعت بين ظلالها المدارس الفقهية ، ويشهد هذا على حضارة أمة أعطت للإنسانية دفقاً متجدداً من الفكر السليم واتجاهاً صحيحاً فى طرائق البحث والدراسة .

إلّا أن الدارسَ لهذه المذاهب يلاحظ بوضوح وجود خلافات فى الأحكام الفقهية المقررة فى كل مذهب ، وقد يتساءل الواحد منا : ماهو الدافع لكل هذا ؟!

وماهو السبب الذى أوجب هذا الخلاف وأوجده ؟!

وقبلَ الإجابة على ذلك التساؤل لابد من الإشارة إلى أنَّ المذاهب الفقهية بحثت الأمورَ العملية التى اصطلح العلماء على تسميتها

(*) الكاتب : المفتى السابق لمسلمى فلسطين المحتلة .

«الفروع» دون أن تبحث موضوعاتِ العودةِ ومسائلَها ، ذلك لأنَّ المسلمين على مختلف تياراتهم ومذاهبهم الفقهية يتفيئون ظلال عقيدة واحدة هى عقيدة التوحيد الخالص ، وهذه العقيدة هى أبعد ما يكون فيها تباين بين اثنين ، وهى بذلك فى منأى عن شوائب الجدل ومزالق الاختلاف ، ولعلّ قوله تعالى :

﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1]

ما يوضح هذا الأمر ويكشف عن جوانب الحقيقة فيه ، إذ أنَّ التساؤل الوارد فى هذه الآيةِ لا يمكن الاختلاف حوله وتعدد الإجابات عليه ، فلا يصح ـ إذن ـ أن يُقال : إنّ فى هذه المسألةِ رأيين ، لأنَّ ذلك معناه خروج على العقيدة ومجافاة لروح التوحيد ، ومن هنا كان موضوع الدراسة الفقهية منحصراً ضمن إطار الأمور العملية كالقضايا التعبدية وكمجال العلاقة القائمة بين البشر أنفسهم ، وما يتبع ذلك من نظم الإدارة وإقامة الحدود ونحو ذلك .

وعليه لم يكن الخلاف الفقهى بحالٍ من الأحوال بجميع صوره ومختلف أشكاله ـ متركزاً حول أسس العقيدة أو أصول الدين ، إذْ لم ينشأ خلاف حول «وحدانية الله تعالى» ، أو «نبوة محمد ﷺ ، أو الإعجاز القرآنى ، أو فرضية الأركان الخمسة ، أو ماهو معلوم من الدين بالضرورة» بل إنَّ الذين خاضوا فى مثل هذه المسائل واختلفوا فيها لم يكونوا فى حقيقة الأمر مسلمين صادقين ، بل هم منسوبون إليه دخلاء عليه ، وليس أدل على ذلك من «فرقة السبئية» التى اعتقدت آراءَ جعلت علماء الأمة يحكمون بكفرهم وبخروجهم من ربقة الإسلام .

ولعل من الأهمية بمكان أن أشير إلى أنَّ الخلاف الفقهى لم يتطرق إلى القواعد الكلية الثابتة فى الفقه الإسلامى ، إذ لم يُعرف مثلًا خلاف بين الفقهاء حول «عدد ركعات صلاة الفجر» هل هى ركعتان أو أكثر ؟ إن جميع الفقهاء يتفقون على أنها ركعتان ؛ ومن هنا يمكننا تحديد الخلاف الفقهى بأنه مقصور فى مجمله وغالبيته على الفروع الفقهية .

ثم إنَّ الخلاف الفقهى لم يفُتَّ فى عضد الأُمَّة ولم يقوض أركانها ولم ينشر نوازع الفرقة وبذور الشقاق بين المسلمين ، بل إنَّ الأمر على عكس ما يظنُّهُ المتوهمون ، إذ إنَّ هذا النوع من الخلاف لا يعنى مطلقاً معنى النزاع والخصام ؛ وإنما هو تفاوت فى المدارك الاستنباطية مما أثرى الدراسة الفقهية ووسّع أفق تصوراتها وزادها حيوية وشمولية ، بل إنَّ للأمر بعداً آخر لا يقل أهمية عما ذكرت إذ لو لم يقم الأصوليون والفقهاء باستنباط الأحكام الفقهية وتدوينها لعاش المسلمون فى تخبط وعدم وضوح رؤية ولما أمكنهم معرفة كثير من الأمور الضرورية اللازمة لتطبيق الفرائض وإقامتها ... ، فكان عملهم هذا وسيلة لا مندوحة عنها لإضاءَة شعاع المعرفة بين جنبات الأمة ، فأضحى بذلك مبعث اعتزاز وفخار بأولئك العلماء الذين لم يألوا جهداً ولم يدّخروا وسعاً فى أداء رسالة العلمِ ابتغاء مرضاة الله ، وها هى أمهات الكتب تعلن عن ذلك وإذ ذاك تملأ جنبات الأمةِ تبصرةً ونورا .

إنّ القواعد التى قررها الفقهاء لم تكن من قبيل الترف الفكرى أو الفضول الذهنى ، ولم تكن أيضاً وليدةَ التفكير الخالص ، ونتاج البحث العقلى المجرَّد ، لأنَّ التجربة الإنسانية بمفردها قاصرة عن إدراك خصائص التشريع وغاياته ؛ ومن هنا كان

---

(١) سورة إبراهيم : آية رقم ١٠ .

عمل الفقهاء فى استنباط القواعد الفقهية يعتمد على النص ومبناه ويدور حوله ، ولذلك كان النظر فى هذا النص وتحليله الخطوة الأساسية لتقرير نوعية الحكم ومدلوله ، وبما أنَّ النصوص التى بنيت عليها هذه الأحكام هى نصوص عربية ؛ فإنه يترتب على ذلك تعدد المفاهيم بعدد ما لهذه النصوص من وجوه الاعتبارات اللفظية والمعنوية : من الأفراد والتركيب ، والعموم والخصوص ، والحقيقة والمجاز ، واشتراك الألفاظ والمعانى ... ، وعليه كانت معرفة اللغة العربية والتعرف على أساليبها أمراً لا غنى للمجتهد عنه حتى يستطيع فهم النصّ فهماً صحيحاً بكل أنواع الدلالات التى يتضمنها النص عبارة وإشارة ، حيث تتداخلُ ظواهر النصوص بدلالاتها الإيحائية . وعلى ضوء ماتقدم يمكن إرجاع أسباب الخلاف الفقهى فى مجمله إلى الأمور التالية :

١ ـ الإفراد والتركيب :

ومثاله قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٢)

فقوله تعالى :

﴿**يحاربونَ الله ورسولَه**﴾ .

معناه يخالفونهما ويعصونَ أمرهما ، ويتحقق ذلك بمحاربة أولياء الله وهم المسلمون .

والمتأمل فِى هذه الآية يجد أنّ هناك فئةً من الناسِ تعيث فى الأرضِ فساداً فتقطع الطريق وتُنْزِل بالناس المكروه ، إمَّا بالقتل فقط ، أو بالصلب فقط ، أو بالقتل والصلب معاً ، أو بالإخافةِ فقط .

وقد رتب الشارع الحكيم على اقتراف تلك الجرائم واحدةً من أربع عقوبات :

(أ) التقتيل . (ب) التصليب .

(جـ) تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف .

(د) النفى من الأرض .

ومن هنا يبدو الإفراد والتركيب واضحاً فيما تتضمنه هذه الآية مما يترتب عليه ظهور أحكام متباينة ، وعليه نجد بعضاً من الفقهاء يرى توزيع العقوبة على نسبة الجريمة ، فَمَنْ قَتَل قُتِل ، ومَنْ قَتَل وسَلَب صُلب ، ومَنْ سَلَب قُطِعَ ، ومَنْ أخافَ نُفِىَ .

ومنهم مَنْ رأى أنْ يُعْطَى الحاكمُ الخيار فى إعطاء العقوبات المناسبة حسب تقديرِهِ للجريمةِ وتأثيرها على سير الحياةِ وطبيعتها .

(قال ابنُ طلحة عن ابنِ عباس ، فى هذه الآية : مَنْ شهر السلاح فى قبة الإسلام ، وأخاف السبيل ثم ظفر به ؛ وقدر عليه ، فإمام المسلمين فيه بالخيار : إنْ شاء قتله ، وإنْ شاء صلبه ، وإنْ شاء قطع يده ورجله) .

(وكذا قال سعيد بن المسيَّب ، ومجاهد وعطاء ، والحسن البصرى ، وإبراهيم النخعى والضحاك ـ كما رواه ابن جرير ، وحكى مثله عن أنس)(٣) .

ولن أتعرَّض بهذا الخصوص لكل الآراء الفقهية المتعلقة بهذه المسألة ، لأنَّها مدونةٌ فى كتب

(٢) سورة المائدة : آية رقم ٣٣ .

(٣) راجع تفسير القاسمى المسمّى (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمى . الجزء السادس صـ١٩٥٨ .

التفسير والفقه ، إلا أننى أرَدْتُ من ذلك تبيانَ السبب الذى جعل هذه الآراء تتعدد وتختلف .

٢ ـ الحقيقة والمجاز :

الحقيقة فى اصطلاح علماء البلاغة هى : استعمال اللفظ فى معناه الذى وضع له أصلًا على الوجه الحقيقى .

فى حين أنَّ المجاز عندهم هو : اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقةٍ مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الحقيقى ، مثال ذلك قوله تعالى :

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(٤) .

حيث نلاحظ أنَّ كلمتى : الظلمات والنور لم تستعملا فى معناهما الحقيقى وإنما استعملتا فى معنى آخر مجازى ، إذ يقال فى إجرائها : شُبهت الضلالة بالظلمةِ بجامع عدم الاهتداء فى كلٍ واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية ، وهكذا يُقال فى كلمة « النور » التى أُريد بها معنى الهداية والرشاد .

ومن الأمثلة القرآنية الداخلةِ فى هذا الباب والمتعلقة بمبحث الفقه ما ورد فى الآية القرآنية المتقدمة :

﴿أوْ يُنفَوْا منَ الأرضِ﴾ .

حيث اختلف فى هذا اللفظ ، إذْ إنَّ جمهور الفقهاء حملوه على المعنى الحقيقى وهو النفى من البلد الذى ارتكبت فيها الجريمة إلى بلدٍ آخر .

أما علماء الحنفية ، والكوفيون فهم : يرون غير ذلك ، ويعتبرون هذا اللفظ ذا دلالةٍ مجازيةٍ لوجود أمرين صارفين له عن المعنى الحقيقى ، وهما :

(أ) إنَّ اللفظ على جهة الحقيقةِ يقتضى النفى منَ الأرضِ كلها ، وهذا أمر لا يمكن تحقيقه بحال من الأحوال لمخالفته الواقع ومناقضته للعقل ، ومما يُقَوِّى هذا الاتجاه ما ذكره القرطبى فى تفسيره : (قال الكوفيون : نفيهم سجنهم فينفى من سعةِ الدنيا إلى ضيقها ، فصار كأنه إذا سُجنَ فقد نفى من الأرض إلا من موضع استقراره ، واحتجوا بقول بعض أهل السجون فى ذلك :

خَرَجْنَا مِنَ الدّنيا ونحنُ من أهلها
فلسْنَا منَ الأمواتِ فيها ولا الأحْيَا
إذا جاءَنا السَّجانُ يوماً لحاجةٍ
عجبنا وقُلْنا جاءَ هذا منَ الدنيا(٥)

(ب) إنَّ النفى إلى بلدٍ آخر لا يحقق المقصود من هذه الآية ، إذ ربما يتكرر الفساد مرة ثانيةً ، ولذلك كانَ لابُدَّ من صرف اللفظ عن معناه الحقيقى وحمله على المعنى المجازى ، وهو إبعاده عن الناس ودفع أذاه عنهم ويتحقق هذا الأمر بالحبس ، وعليه اختار هؤلاء الفقهاء حكم الحبس على اعتبار المعنى المجازى الذى تضمنه اللفظ .

٣ ـ العموم والخصوص :

يُعَّرف الأصوليون « العام » بأنه : لفظ يستغرق جميع مايصلح له بلفظ واحد ، ويعرفون « الخاص » بأنه : لفظ وضع لمعنى واحد دون ملاحظة الإفراد ، والأمثلة على كلا النوعين من القرآن والحديث كثيرة ومتنوعة ، وقد يتفق العلماء على عمومها أو على خصوصها ، أو قد يختلفون فى ذلك .

فمن العموم الذى لم يحصل فيه خلاف قوله تعالى :

---

(٤) سورة إبراهيم : آية رقم ١ .

(٥) « تفسير القرطبى » الجزء السادس . صـ١٥٢ ـ ١٥٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾(٦)

ومن الخصوص الذى لم يُخْتَلَف فيه قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾(٧) ، ففى هذه الآية يبدو الخصوص واضحاً بخلاف ما قد يتبادر إلى الذهن فى أول الأمر ، إذ أنَّ القول المشار إليه فى هذه الآية لم يقلْهُ جميعُ الناسِ وإنما قالَهُ رجل واحد منهم ، وهو «نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ» ، كما أنَّ جميع الناس لم يجمعوا لهم ، وإنما الذى جمع جزء منهم متمثلا ذلك فى طائفة المعاندين .

ومن الأمثلة القرآنية الداخلة موضوع الفقه والدالة على العموم والخصوص قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾(٨) .. فقوله تعالى : ﴿**وامسحوا برءوسكم**﴾ عام يشمل الكلّ والبعض ، ولذلك تباينت آراء الفقهاء ومذاهبهم فى استنباط الحكم الفقهى .

فرأى بعضهم أنَّ الباء فى قوله تعالى : ﴿**برءوسكم**﴾ تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق ، فكأنه قال : وألصقوا المسح برءوسكم .

قال الزمخشرى : «وماسح بعض الرأسِ ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه» ، أى : فيكون الواجب مطلق المسح كلًا أو بعضاً .

ومن هنا ذهب الإمام الشافعى – رضى الله عنه – إلى القول : بأنَّ المراد من هذه الآية مطلق المسح ، كأنْ يقول قائل : مسحْتُ يدى بالمنديل ، فلا يلزم من هذا أنْ يكون المسحُ بالمنديل كله ، ولذلك يجوز على اعتبار الفهم اللغوى أنْ يكون بكله أو ببعضه فاقتضى المعنى المشترك ، وهو فى هذه الآية مطلق المسح فيتحقق المسحُ بمسح بعضه ، حيث ورد فى صحيح مسلمٍ وغيره من حديثِ المغيرة أنه – ﷺ – «أدخل يده من تحتِ العمامةِ فمسح مقدم رأسه ، ولم ينقض العمامة» .

كما ثبت فى الأحاديث الصحيحة أنَّ النبى – ﷺ – مسح رأسه فأقبل وأدبر ، فكانت هذه هى الهيئة التى استمر عليها ، فاقتضى هذا أفضلية الهيئة التى كانَ النبى – عليه الصلاة والسلام – يداوم عليها ، وهى : مسحُ الرأسِ مقبلًا ومدبراً ، وإجزاء غيرها فى بعضِ الأحوال .

ويرى الإمام مالك – رضى الله عنه – وجوب مسح الرأس كله معتمداً فِى ذلك على أنَّ اسم الرأس حقيقة فى كله لا فى بعضه ، إذ لا يصحُّ أنْ يُقال لبعض الرأسِ رأسٌ ، وعلى هذا الأساس بنى حكمه الفقهى .

أمَّا الإمام أبو حنيفة – رضى الله عنه – فيعتبر هذا اللفظ عاماً مجملًا ، ولذلك يحتمل مسح الرأس كله أو بعضه ، ولا يترجّح أحدُهما على الآخر ، إلَّا أنَّ ما روى عن النبى – ﷺ – أنه مسح بناصيته ما يخصص هذا العموم ، وبما أنَّ الناصية تعادل ربعَ الرأسِ أوجب الإمام أبو حنيفة أنْ يتحقق مسحُ الربع من الرأس .

---

(٦) سورة النساء : آية رقم ١ .

(٧) سورة آل عمران : آية رقم ١٧٣ .

(٨) سورة المائدة : آية رقم ٦ .

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ الأحزاب

فى ذكرى المولد الشريف

صلاة الله - تعالى - وصلاة العباد

بقلم الشيخ / عبد المنعم سليمان مسلم
من علماء الأزهر الشريف

الصلاة فى أصل اللغة : معناها الدعاء ، والدعاء نوعان : دعاء عبادة وثناء ودعاء طلب ومسألة ، فالعابد داع كما أن السائل داع ، وبهما فُسِّر قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر الآية ٦٠ .

قيل : أطيعونى أُثِبْكم ، وقيل : سلونى أعطكم .
وكذلك فسّر الدعاء والإجابة فى الآية ١٨٦ من سورة البقرة بهذا التفسير السابق قال تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

ومما يؤيد ما نقوله فى أنّ معنى الدعاء : العبادة ، أن تكملة آية سورة « غافر » السابقة هى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ فاستبدل بكلمة « ادعونى » التى أمر الله بها فى صدر الآية ، كلمة (عبادتى) وذلك يدل على أن العبادة والدعاء شيئان لوجْه واحد .

ويؤيد ذلك أيضا ما روى الإمام أحمد بن حنبل عن النعْمان بن بشير ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : [إنّ الدعاء هو العبادة] ثم قرأ آية غافر السابقة .

واستعمال الدعاء بمعنى العبادة مستفيض فى كثير من آيات القرآن الكريم ، وبخاصة حين يكون الدعاء مستعملا فى قُرْبان المشركين المنحرف لغير الله ، واقرأ ـ إن شئت ـ قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾
سورة سبأ الآية ٢٢

فادعوا هنا بمعنى اعبدوا .

وكذلك قوله – تعالى – فى سورة النحل الآية ٢٠ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾

وكذلك قوله – تعالى – فى سورة الفرقان الآية ٧٧ :

﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾

يحتمل الدعاء هنا معنى السؤال ، ومعنى العبادة والثناء ، ولكن الثانى أرجح فالمعنى لولا أنكم تدعونه وتعبدونه : أىْ أىَّ شىء يعبؤه بكم لولا عبادتكم إياه ، وعلى هذا يكون المصدر وهو الدعاء مضافا إلى الفاعل .

وعلى هذا التفسير تكون الصلاة الشرعية باقية على أصلها فى اللغة وهو « الدعاء » فى إطار قيامها وركوعها وسجودها ، أى بشروطه – ﷺ – حيث قال : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) ، والدعاء دعاء عبادة ، ودعاء مسألة – كما قلنا – وأنت إذا نظرت إلى المصلى فى صلاته الشرعية وجْدته منذ يبدأ بتكبيرة الإحرام إلى التسليمتين ما بين دعاء : بالثناء على الله وعبادته ، أوْ دعاء بالطلب والسؤال ، فمطلع (الفاتحة) دعاءٌ بالثناء على الله بأصول الأسماء الحسنى وهى : الألوهية والربوبية ، والرحمانية ، والملكية ، ثم ثناءٌ ودعاء إلى الله بطلب الحاجة وهى : الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهكذا المصلى فى أثناء صلاته يتنقل من دعاء الثناء كما فى تعظيم الله فى الركوع ، والإقرار له بالعلوّ المطلق فى السجود ، وهكذا حتى تختتم الصلاة بدعاء السؤال والحاجة ، وهو النجاة من عذاب القبر وجهنم والمأثم والمغرم وفتنة المسيخ الدجال .

هذه هى صلاة العباد التى لا تخرج عن الدعاء الذى يُطلق على العبادة وطلب الحاجة ، فهو لفظ متواطىء لا اشتراك فيه ، لأن الاشتراك – على التحقيق – لم يقع فى اللغة ، وإنما هو يقع وقوعا عارضاً اتفاقيا بسبب تعدد الواصفين .

ثم تختلط اللغة فيعرض الاشتراك .

وننبه هنا إلى مسألة مهمة ، وهى أننا بتفسير الصلاة بمعنى الدعاء وأن الدعاء يشمل نوعى : العبادة والمسألة تكون الصلاة الشرعية باقية على حقيقتها فى أصْل اللغة ، فلا نقْل ولا مجاز .

وقد تسألنى : ولم خُصّت الصلاة الشرعية باسم « الصلاة » ، واشتهرت بذلك عند الإطلاق ؟ فالجواب : أن ذلك من تخصيص اللفظ وقصْره على بعض موضوعه كلفظ « دابة » مثلا ؛ فإنه إذا ذكر انصرف إلى [المركوب من الدواب] مع أنه حقيقة فى كلّ ما يدبّ على الأرض ، فإطلاقه على الدابة المركوبة لا يقتضى نقلا ولا مجازا ؛ فكذلك لفظ الصلاة حين ينصرف إلى الصلاة الشرعية فهو حقيقة فيه فلا يوجب نقلا ولا خروجا عن موضوعه الأصْلى فى اللغة كما يقول الفقهاء .

وبعد فهذه هى صلاة العباد ، فما هى صلاة الله – سبحانه – ؟

وقبل أن نوضح معنى صلاة الله – تعالى – نقرر أن صلاة الله تعالى – خاصة برسله وأنبيائه والصالحين من عباده .

والرأى الأصح فى معناها : أن الصلاة من الله : ثناء وتشريف وتكريم ، وليست بمعنى الرحمة كما يقول ذلك بعض المتأخرين ؛ لأن هذا

رأىٌ ضعيف ، لاتعاضده اللغة ، ولا الأساليب الأدبية القرآنية والنبوية ، واقرأ إنْ شئت قوله – تعالى – فى سورة البقرة الآية رقم ١٥٧ .

﴿ أُولَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾

فى الثناء على الصابرين ، وانظر كيف عَطف [الرحمة» على الصلوات ، والعطف يقتضى المغايرة ، فدلَّ ذلك على أنّ الرحمة غير الصلاة ، واقرأ ايضا قوله – تعالى – :

﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾

الأعراف آية رقم ١٥٦

فالرحمة تسع الآدمـــى بل تسع غيره من الحيوانات كما فى دعاء الاستسقاء : [اللهم ارحم عبادك وبلادك وبهائمك] وهكذا فأكثر المواضع التى تستعمل فيها الرحمة لايحسن أن تقع فيها الصلاة كما ذكرنا وكما فى الحديث [والشاة إنْ رحمتها رحمك الله] مصنف ابن أبى شيبة ٨/٣٤٠ فلا يصح أنْ تفسر رحمة الشاة بالصلاة عليها ، فمواضع استعمال الرحمة فى حقّ الله وفى حق العباد لا يحْسن أن تقع الصلاة فى كثير منها ، فلا يصح تفسير الصلاة بالرحمة كما هو مشهور على الألسنة .

وأيضا مما يضعف أن تكون الصلاة بمعنى الرحمة أنها لو كانت كذلك لكفى المصلى أن يقول فى تشهّده : [اللهم ارحم محمداً وآل محمد – ﷺ] ويكون قد أدّى ماعليه فى التشهد ، ولكن الأمر على خلاف ذلك ؛ بل لابد من الصلاة على الرسول ﷺ وآله ؛ بل إن بعض الأئمة أوْجب هذه الصلاة .

وأيضا فأنت قد ترحم وتعطف على من تبغضه ، ولكنك لاتصلى عليه كما أن الصلاة من مقوماتها الكلام ؛ لأنها ثناء على من يُصلَّى عليه وتنويه به ، وإشارة لمحاسنه وفضائله ، ورفع ذكره ، وهذا خلاف معنى الرحمة .

وهنا أمْر يجب التنبيه عليه وهو أن الصلاة وإن لم يكن معناها الرحمة ، إلا أن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها ، فحين تفسر الصلاة بالرحمة فذلك تفسير ببعض ثمراتها ومقصُودها ، وهذه طريقة متفشية على ألسنة اللغويين والمفسّرين حين يشرحون بعض الكلمات القرآنية والنبوية .

ومما يؤكد أن الصلاة بمعنى دعاء الثناء والتكريم والتشريف للمدعّو له قوله – تعالى – فى سورة الأحزاب :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

أنظر أول الآية تجدْ جملة خبرية تُعلمنا أن الله وملائكته يصلون على النبى ﷺ وتُختم بأمر من الله للمؤمنين بالصلاة على الرسول ﷺ والتسليم عليه ، وسنرى كيف يكون المعنى منسجما ، والربط بين صدر الآية وعجزها محكما ، حين تكون صلاة الله – تعالى – بمعنى [الثنـــاء والتكريم] وحين نفسرها – أى صلاة الله – سبحانه – بمعنى الرحمة كيف يختل النظم ويُنقض اللفظ ؟!

فالمعنى المقصود من الآية : «إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله فصّلوا أنتم عليه ، بل إنكم أحقّ وأوْلى بالصلاة عليه ؛ لما نالكم من بركة رسالته ، ويُمْنها عليكم ، وما نَضَحَتْه عليكم من عزِّ الدنيا والآخرة ، فانظر كيف يأمرنا ربنا بالصلاة على رسوله – ﷺ – عقب صلاته – جل جلاله – عليه ، وانظر إلى التساوق بين صلاة الله – تعالى — وصلاة عباده ، فصلاة عباده هى الطلب من الله ماأخبربه فى صدر الآية

من صلاته وصلاة ملائكته ، فهى ثناء على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإعــلاء لقدره ، وإظهار لفضله وشرفه ، وإرادة تكريمه وتقْريبه ، فصلاة الله ـ سبحانه ـ على رسوله ﷺ ثناءُ عليه ورفْع لذكره ، أما صلاة العباد عليه فهى سؤال الله ـ تعالى ـ أن يَفْعل ذلك به بإتمام نعمته عليه .

أمّا لوفسرنا الآية على أن صلاة الله ـ تعالى ـ هى الرحمة لم يحسن موقعها ، ولم يحسن النظم والربط بين أول الآية ونهايتها ويصير التقدير «الله وملائكته يرحمون النبى ، فادعوا أنتم له وسلّموا» وهذا غير مستساغ فى النسق القرآنى ؛ بل الصلاة المأمور بها فى الآية :

هى الطلب من الله ما أخبر به ـ فى صدر الآية ـ عن صلاته وصلاة ملائكته وهى ـ كما قلنا ـ ثناءٌ عليه ، وإظهار لفضله وشرفه فهى تتضمن من المصلى : الخبر والطلب .

وتجد على الضدِّ من هذا قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾

البقرة الآية رقم ١٥٩

فتجد أن اللعنة تصدر من الله ـ تعالى ـ ومن العبد ، فلعنة الله للشانئين تتضمن مقْته وإبْعاده وبُغضه لهم ، ولعنة العبد تتضمّن سؤال الله ـ تعالى ـ أن يفعل ذلك بمن يستحقّون هذه اللعنة .

وعلى ذلك . فلو كانت الصلاة مقصوداً بها الرحمة لم يصح أن يقال لطالبها من الله مُصلياً وإنما يقال له مسترحما كما يقال ـ لمن طلب المغفرة مستغفرا وذلك ما لم يقله أحد .

وبعد : فما أروع أن يجعل الله ـ تعالى ـ جزاء المصّلى عل رسوله ـ ﷺ ـ ثناء من الله عليه فهذه مشاكلة معلومة فى أصل الشريعة فالجزاء من جنس العمل .

رَوى مسلمٌ فى صحيحه : [أنّه من صلّى عليه مّرة صلى الله عليـــــه بها عشراً ، وأن الله ـ سبحانه ـ قال له : (من صلى عليك من أُمَّتِكَ مّرة ، صليت عليه بها عشراً)] فمن أثْنى على رسول الله ـ ﷺ ـ جزاه الله من جنس عمله بأن يُثنى عليه ويكرمه ، وهذه المشاكلة تجدها كثيرة فى أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ

« مَنْ يسّر على معسر يسّر الله عليه حسابه[١] » « ومن ستر مسلماً ستــره الله فى الدنيـــا والآخرة[٢] » « ومن نفّس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه »[٣]

ثم ـ أمّا بعد : فليس مما تستريح إليه النفس أن يقول العبد (رسول الله رحمه الله) فإن ذلك مما تشمئز منه النفوس ، لأنه لاينبغى أن يجعل مايُدْعى به الرسول ﷺ من جنس مايدعو به بعضنا لبعض ؛ بل يُدعى له بأشرف الدعاء وهو الصلاة عليه ثناء وتشريفاً وتكريماً .

زكانا الله وإياكم بالصلاة عليه أفْضل ما زكّى أحداً من أمته .

والسلام عليك ياسيدنا يارسول الله .

---

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب البر والصلة ١٩٩٦/٤ برقم ٢٥٨٠/٥٨

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الصدقات ٨٠٨/٢ برقم ٢٤١٧

(٣) الحاكم ـ كتاب الحدود ٣٨٣/٤

الأسرار
بين الحفظ والإفشاء
وموقف الشريعة الإسلامية

د/ ابراهيم سليمان عيسى (*)

السر هو ذلك المكنون الذى تضمه الجوانح والصدور ، والذى لايستطيع كتمانه والحفاظ عليه إلّا أولو العزم من الناس ، الذين كبروا على شهوات أنفسهم ، وتمردوا على حب الشهرة والذات ، وعصموا ألسنتهم عن أن تفتق حجاب السر أو تهتك ستاره ، حتى يظل فى طى الكتمان إلى ما أريد له من الزمان .

وحتى يكون فى كتمانه نجاح صاحبه وفلاحه .

والسر من الأمور التى يجب الحفاظ عليها ، ومعاقبة الذين يحومون حولها ، ويتعدون على حماها . ولقد جرت سنة الله فى خلقه على ذلك حيث يقول سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾

(الحجر : ١٦)

فهذه الآية الكريمة تنبه إلى أمرين هامين :

أولا : ضرورة استعمال الحذر فى صيانة الأسرار وبذل الوسع فى حفظها عمن يتطلع إلى تلقفها سواء كانت أسراراً شخصية ، أو أسراراً متعلقة بشئون الدولة ؛ فإن الله وضع حرساً شديداً لحفظ أسرار السماء من الشياطين .

ثانياً : التعزير بما يناسب المعتدى على السر قطعاً للعدوان فى الأرض .

إن الحافظ للسر كالكاظم للغيظ ، كلاهما يحتاج إلى قلب كبير وضمير حى وعزيمة قوية ، وفقنا الله للصواب وجعلنا من أولى الألباب .

وحفظ الأسرار مقصد شرعى ومطلب دينى ووطنى فيما يتعلق بأسرار الدولة . وخاصة فيما يتعلق (بالاستراتيجيات) وأوقات الحرب .

وجدير بالذكر أن (مادة السر) وردت فى القرآن اثنتين وثلاثين مرة بالصيغ المختلفة ، وجاءت فى كثير من الآيات مقابلة السر بالجهر ، ومقابلته بالعلن ، كما ذكر السر مقابلا بعدم الإبداء ، وكما عبر عنه بالإخفاء ، ومن هذا يمكن أن يقال : أنَّ السر هو مالا يَظْهَر ويُعْلَن ، أو مالا يُراد له الظهور والإعلان .

(*) الكاتب : من أساتذة جامعة الأزهر .

ومعنى حفظ السر ، كتمانه وعدم إظهاره وإعلانه ، فلو ظهر الشيء المراد إخفاؤه لم يعد سراً ، إلا إذا ظهر لشخص أو لأشخاص معلومين وطلب إليهم ألا يفشوه ، وألا يتعدى دائرتهم ، فيكون سراً بالنسبة إليهم ، تجب عليهم صيانته وحفظه .

وفى الحياة أمور كثيرة خافتة غير معلومة إلا لله سبحانه وتعالى ، وليس كل ما يعلم يجوز إظهاره وإفشاؤه ، إن العلم كله عند الله فعلمه ـ سبحانه وتعالى ـ شامل محيط لا يطلع عليه أحد ، من خلقه إلا من شاء قال ـ تعالى ـ :

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ .

(الجن : ٢٦ ، ٢٧)

وإذا كان إخفاء السر جزءاً من معناه أو من لوازم معناه كان هذا المعنى يوحى بالمحافظة على الأسرار وكتمانها وعدم إفشائها ، **ويكون ذلك أمراً مرغوباً فيه عقلا وشرعاً ـ كما يكون إظهاره وإفشاؤه مستقبحاً لا يجوز إلا لضرورة وفى أضيق الحدود ، إذا كانت هناك مصلحة تفوق كتمانه .**

وعن السر والعلن والجهر وعدم الإبداء وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم منها على سبيل المثال :

﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

(الرعد : ١٠)

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

(الملك : ١٣)

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ .

(ســورة النحــل ١٩)

﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ .

(فاطر : ٢٩)

﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾

(يوسف : ٧٧)

﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ﴾ .

(الممتحنة : ١)

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾

(البقرة : ٢٥٥)

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾

(الجن : ٢٦ ، ٢٧)

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(لقمان : ٣٤)

وإذا كان الحفاظ على السر واجب فإن إفشاء السر حرام ، لأنه يؤدى إلى ضرر ، فإن اختيار سِرِّيته دليل على أن إفشاءه فيه ضرر ، والضرر ممنوع شرعاً ـ كما أن إفشاءه يكون خيانة حيث يكون السر أمانة ، ويكون غدراً بالعهد وعدم وفاء بالوعد ، إذا كان هناك وعد أو عهد بصيانته سواء أكان ذلك بالحال أو بالمقـــال ، والله ـ سبحانه ـ حرم الخيانة وحرم الغدر ، وعدم الوفاء .

وتحريم الخيانة والغدر وعدم الوفاء أمور معروفة ، لأن الإسلام ينبذها والأدلة من القرآن الكريم على تحريم هذه الصفات المذكورة كثيرة ومنها على سبيل المثال :

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(النساء : ٨٣)

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾

(الأعراف : ١٠٢)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(الأنفال : ٢٧)

كما أن الأدلة من السنة النبوية المطهرة كثيرة ومنها :

« لا ضرر ولا ضرار » . وعن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : ما خطبنا رسول الله إلا قال : (لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له) رواه أحمد ، وقال : (إذا حدث رجل رجلا بحديث ثم التفت فهو أمانة) . وقال : (المجلس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق) رواه أبو داود . روى عن أم كلثوم قالت : (ما سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يرخص فى شىء من الكذب إلا فى ثلاث : الرجل يقول القول يريد به الإصلاح ، والرجل يقول القول فى الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها ، وقالت أيضاً : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً) الإمام الغزالى جـ٢ صـ١٥٧ .

وفى الفقه الإسلامى تكلم الكثير ، قال ميمون ابن مهران الكذب فى بعض المواطن خير من الصدق ، أرأيت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله ، فدخل داراً فانتهى إليك ، فقال : أرأيت فلاناً ؟ ماكنت قائلا ؟ ألست تقول : لم أره ؟ وما تصدق به .. وهذا الكذب واجب .. الأحياء جـ٢ صـ١٥٧ .

حفظ السر من مقاييس الفضل والكمال :

يقول العلماء : إن الأمين على السر أقوى وأكمل من الأمين على المال ؛ لأنَّ العفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار ؛ ولأن الإنسان قد يذيع سر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ، ويشح باليسير من ماله حفظاً له وضنا به ، ولهذا كان أمناء الأسرار أشد تعذراً ، وأقل وجوداً من أمناء الأموال ، وكان حفظ المال أيسر من كتم الأسرار ؛ « لأن إحراز الأموال منيعة وإحراز الأسرار بارزة ، يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق » .

والذى يحفظ السر رجل قوى الإرادة ، صلب العزيمة استطاع أن يجاهد نفسه ويقهر شيطانه ، ومن هنا يمكن للإنسان أن يأنس به ويستريح إليه فى صداقة أو معاملة أو غير ذلك .

والذى لا يحفظ السر ولا يبالى بإفشائه رجل فيه ثلاث صفات مذمومة :

١ ــ ضيق صدره وقلة صبره .

٢ ــ غفلته عن الحذر الذى يجب أن يكون عند العقلاء ، وسهوه عن اليقظة التى ينبغى أن يتصف بها الأذكياء فهو رجل أحمق غبى .

٣ ــ ارتكابه الضرر والمخاطرة بما لا يعرف عقباه .

وفى الكتاب العزيز :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

(الأحزاب : ٧٢)

وقال :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾
(ق : ١٨)

ومن السنة أيضاً نجد قوله ـ ﷺ ـ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ، وروى ابن عباس عن أنس « الصمت حكم وقليل فاعله » .

والجدير بالذكر أن الذى يحمل على إفشاء السر عدة أمور منها :

١ ـ العجب والفخر والزهو ، وذلك بإظهار علمه بشيء لا يعلمه غيره ، وقديماً حمل هذا الشعور بعض الناس على إيراد الغرائب والعجائب ـ وحمل أهل الكتاب ـ وبخاصة الأحبار ـ على افتراء أمور غريبة وحكايتها للناس ليظهروا لهم علمهم ، وقام القصاص بدور كبير فى اختراع القصص ، بل وفى وضع الأحاديث على الرسول ـ ﷺ ـ لاظهار مكانتهم ، واستجداء خير الناس ، أو تعظيمهم لهم ، فقد يكون الحامل للرجل على افشاء السر مثل هذا الشعور .

٢ ـ طبيعة الإنسان فى حبه اتيان ما مُنِع منه ، فإن المحظور يغرى بارتكابه إن لم تكن هناك عصمة من خُلق أو دين كما يقول القائل :

« أَحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما منعا » .

٣ ـ النكاية أو التشهير ، فإن إفشاء السر يؤذى صاحب السر إيذاءاً شديداً ، والسر سلاح خطير قد يستعمل فى الشر إن لم يكن هناك خلق أو دين .

٤ ـ الاستفادة من هذه الأسرار التى عرفها فهى معلومات يمكن له أن ينتهزها فرصة ويستعملها فى خير يفيده ، كمن يودع سر صنعته ، أو خططه الاقتصادية مثلا عند غيره من الناس فيفشيها هو باستعمالها وتطبيقها ، ويفوت بها غرضاً طيباً كان يقصد إليه صاحب السر من كتمانه وايداعه عند هذا الشخص . فإفشاء السر إما لطبيعة فى النفس ، وإما لإرادة الشر للغير ، أو حب الخير للنفس ... وغير ذلك .

فوائد حفظ السر ومضار إفشائه :

ومما لا شك فيه أن كتمان السر يساعد على النجاح فى الأعمال ، ويؤمن السالك من أخطار الطريق ، ويريح الضمير ، ويحفظ للإنسان مكاسب طيبة مادامت بعيدة عن علم الغير ، ولا يتيح للمنافس ، أو العدو فرصة يظهر بها عليه ، أو ينال بسببها منه .

وإفشاء السر موجب للضغينة ، موقع فى الحرج ، مفرق بين الأحبة ، مخرب للأسر ، مسبب فى اضطراب الأمن ، ممكن للعدو من النيل من الإنسان أو الجماعة ؛ فقد يكون عند الإنسان ثروة لو عرف الغير سرها لأغرت به اللصوص ، أو أكثرت الحساد عليه ، وقد يكون السرُّ مشروعاً علمياً لو اطلع الغير عليه لسبقه إليه ، أو تخطيطا حربيا لو عرفه العدو لأفاد منه .

ومن أجل ذلك جاء التحذير الشديد عن افشاء السر ، وجاء الأمر بحفظه وصيانته ، وتأمل قوله ـ تعالى ـ على لسان يعقوب لابنه يوسف حينما قص عليه رؤياه بسجود الكواكب له والشمس والقمر :

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾
(يوسف : ٥)

ومن السنة أيضاً ، قال عليه الصلاة والسلام « إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها المجلس ، يهوى بها أبعد ما بين السماء والأرض ، وإن المرء ليزل على لسانه ، أشد مما يزل عن

«قدميه» البيهقى . وقال : «إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم يُنشَر سرها» .

ومن المأثور نجد : «استعينوا على قضاء حاجاتكم بالكتمان ؛ فإن كل ذى نعمة محسود» ذكره الماوردى فى أدب الدنيا والدين .

قال على – كرم الله وجهه – «سرك أسيرك ، فإن تكلمت به صرت أسيره» .

وقال عتبة لابنه الوليد : «من كتم سره كان الخيار بيده ، ومن أفشاه كان الخيار عليه» الإحياء جـ٣ صـ١١٤ .

وسائل إفشاء السر لدى ضعاف النفوس :

ولإفشاء السر وسائل كثيرة فقد يكون بكلمة تقولها لغيرك فى أثناء حديث عادى ، أو لقاء عابر ، وقد يكون بإشارة صامتة لكنها عند الغير تكون معبرة عن شىء كبير ، وقد يكون بمقالة تُكْتَب أو خبر يُنْشر ، أو بمقالة صحفية ، أو تقرير عن العمل أو نشرات دعاية أو تَحَدٍّ بعدم المعرفة .. بل قد يكون إفشاء السر بمعرفة رقم «التليفون» أو بالتزام السير أو السهو أو الوجود فى شارع أو حى أو مكان معين ، وقد يكون بنظر أحد المتطفلين إلى بعض أوراق يحملها الإنسان فيعرف منها اسم حاملها وعمله ، وكثيراً مما لا يجب أن يعرف ، وقد يفشى السر بالتحسس والتجسس وقد يكون بالتحمس فى الحديث لإظهار العلم والإحاطة ببواطن الأمور ، فهذه الأشياء من وسائل إفشاء السر ، وقد يكون «فنجان شاى» فى الإذاعة أو «حول المائدة المستديرة» أو «معرفة الوجه الآخر» فى التليفزيون أو غير ذلك من التصرفات البريئة وسيلة من الوسائل الفعالة فى إظهار الأسرار ، وكل ذلك يجب التفطن إليه والحذر من الوقوع فيه . يقول الله تعالى :

﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ .

(النساء : ٧١)

وقال :

﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ .

(الحجرات : ١٢)

وفى الحديث قال – ﷺ – : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» .

رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

وقال «من استمع إلى خبر قوم وهم له كارهون ، صب فى أذنه الآنك يوم القيامة» رواه البخارى عن ابن عباس .

وروى أحمد فى مسنده عن سعيد بن المقبرى قال : «رأيت ابن عمر يناجى رجلا ، فدخل رجل بينهما فضرب صدره وقال له : قال رسول الله ﷺ : «إذا تناجى اثنان فلا يدخل بينهما الثالث إلا بأذنهما» .

غذاء الألباب ج١ ص٢٩٦ .

مجالات السر :

وإذا كان للسر وسائل إفشاء فان مجالات السر كثيرة ومتعددة فقد تكون فى القطاع الاقتصادى ، والقطاع السياسى ، والقطاع الحربى ، والقطاع الثقافى وفى جميع القطاعات ، وتكون فى المصانع والمعامل والمتاجر ، ومكاتب الحكومة ، والشركات وغيرها وتكون بين أعضاء الأسرة ، وفى محيط الأصدقاء والزملاء والعمال وفى جميع المجالات والأوساط وكل المستويات ، فكل شىء يحرص على اخفائه فإنه سر ، واذاعته بأى وسيلة جريمة .

يتبع

القيادة الإدارية

بين منهج الإسلام والنظريات المعاصرة

إعداد الدكتور/ محمد عبد الله آل ناجى (*)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم المرسلين

إن تقدم الدولة فى عالمنا المعاصر يقاس بمدى تقدمها فى مجال القيادة الإدارية . ذلك لأن سر تنمية الدول لم يعد يكمن فى مقدرتها على استخدام ثرواتها ، وإنما أيضا فى كيفية استخدامها للقوى البشرية وحملها على اكتشاف كل الطاقات الخلاقة والمبدعة لديها(1) .

تمهيـد :

هل يمكن أن يكون للإسلام نظرية فى القيادة الإدارية ؟

أعنى هل يمكن للمسلمين ـ أن يعودوا إلى دينهم ـ فيقعدوا القواعد ويرتبوا المناهج ، ويقدموا للعالم فى نهاية القرن العشرين الميلادى ، وبداية القرن الخامس عشر الهجرى ـ نظرية فى القيادة الإدارية من منظور إسلامى ؟

وبعبارة أوضح : هل فى مقدور الأمـــة الإسلامية الآن أن تقدم للعالم الذى يتخبط فى العديد من النظريات الإدارية ، نهاية مطافه والحيرة والقلق وظهور نظرية جديدة عندهم تطمس معالم النظريات القديمة حتى إذا وضعت موضع الاختبار والتجربة ، أحس القائمون عليها والمطبقون لمبادئها أنها السراب الممتد ، والتيه الذى لا نهاية له ؟؟

لقد كان للأمة الإسلامية نظرية فى القيادة العسكرية ، بهرت العالم «بتكتيكاتها» وعبقرية رجالها ، واستطاعت هذه النظرية التى تشربها رجالها من الاستيلاء على أكبر قوتين عرفتا فى التاريخ القديم باسم دولة الفرس ، ودولة الروم .

حتى قال بعض المؤرخين يصف السرعة الفائقة فى الغزو والفتح والانتصار : (إن الأرض كانت تطوى من تحت أقدامهم) .

تطوى من تحت أقدامهم لا بالغازات السامة ، ولا بالأوبئة الفاتكة ، ولا بالأساليب البربرية التى يتبعها القادة العسكريون فى عالمنا المعاصر ، وإنما حدث ذلك لأنهم كانوا يحاربون بأسلحتهم ومن ورائها أخلاقهم فكأن أسلحتهم نفسها ذات أخلاق .

وكانت لهم نظرية فى القيادة السياسية ، استطاعت فى فترة وجيزة من عمر الزمن أن تجعل الكثير من ساسة الدول يتتلمذون على أيديهم ،

(*) الباحث : عميد كلية التربية ـ جامعة الملك فيصل المملكة العربية السعودية

(1) د. نواف كنعان ـ القيادة الإدارية ـ دار العلوم ـ الرياض ١٩٨٥

ويأخذون الحكمة وفلسفة الحكم من أفواههم .

وكانت لهم نظرية فى قيادة الحكم والولاية ــ طبق بنودها وسار على قواعدها حكام المسلمين وولاتهم ، وعرفــوا مبــدأ (التفــويض) ، و(التنظيم) ، و(التخطيط) قبل أن تعرفه النظم الحديثة ، فكان لكل حاكم وزيره المفوض لمراقبة الولاة ومحاسبتهم دون الرجوع إلى الحاكم ، ولقد رصد فكر العالم الحر وقلبه كيف كان (محمد بن مسلمة) ــ رضى الله عنه ــ ، وكان الوزير المفوض لعمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ يزعج الولاة ويعنفهم إن قصروا أو تهاونوا فى حق الرعية حتى إنه أمر بإزالة الباب الذى وضعه سعد بن أبى وقاص ــ رضى الله عنه ــ على قصره فى الكوفة ــ أيام حكمه لها ــ لأنه رأى فيه حاجبا يحجب الوالى عن الرعية ، وفى ذلك تعطيل لمصالحهم وتوقف لأنشطتهم(٢) .

لقد نجحت هذه النظريات التى وضعها المسلمون ؛ لأنها كانت مستقاة مباشرة من كتاب الله تعالى : المنهج الإلهى الذى أنزله خالق الإنسان ليكون دَلِيلَهُ فى رحلة الحياة إبان قيامه بأمر الخلافة ، وتعمير هذا الكون .

إن صانع الإنسان هو منزل القرآن الذى يعلم كل جزيئة من جزيئات جسمه ، وكل ذرة من ذرات تكوينه ، وبالتالى يعلم مايصلحه :

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾

(الملك : الاية ١٤)

فلما ابتعد المسلمون عن هذا المنهج تفرقت بهم السبل واختلفت أمامهم المسالك .

لقد استطاع المسلمون فى فترة من فترات تاريخهم عندما أخذوا بهذه النظريات من كتاب الله وسنة رسوله ــ عليه السلام ــ أن يكونوا سادة وقادة ، ولم يكتفوا بذلك ؛ بل قَعَّدوا القواعد للبشرية كلها ؛ فَمَدَّنوا الدنيا وهذبوا العالم ، وقرروا الحق للإنسان ، فى كل مكان على سطح الكرة الأرضية .

ولهذا يقول (لوثر جولك) و(جميس بولك) وذلك فى صدر تقريرهما المقدم فى يوليو سنة ١٩٦٢ بشأن تنــظيم الإدارة الحكوميــة فى الجمهورية العربية المتحدة : (ومن المهم أن نعترف منذ البداية بأن أمر جهاز الحكم ليس بأهم الأمور فالمعتقدات والقيم التى يرتكز عليها تفوقه أهمية وخطورة فإذا استطاع الجهاز الجديد أن يبتعث هذه المعتقدات والقيم ، وأن يصوغها ويشكلها فى صورة نظم ؛ فإن التقدم الذى يحرزه الشعب حقا لايكمن فى النظم الحكومية ، بل فيما تقوم عليه من قوى أخلاقية وفلسفة وروحية .

لهذا كان على المسئولين عن إعادة تنظيم الجهاز الحكومى على نحو جذرى أن يستهدوا بهدى ثقافة الأمة ذاتها ، وفهم المعتقدات والقيم التى تسير عليها الأمة فى حياتها .

ثم يقولان :

وقد راعنا خلال هذا البحث أن اهتدينا إلى عدد من المعتقدات الأساسية الوثيقة الصلة بتلك المشكلات ، وإننا لنورد تلك المعتقدات فيما يلى فى صورة بالغة الإيجاز خالية مما تستحقه من إفاضة وتفصيل :

ــ شرع الله إقامة الدولة كنظام أخلاقى واقتصادى وسياسى ، وللإنسان أن يشكل هذا النظام بفضل

---

(٢) الإمام عماد الدين بن كثير ــ البداية والنهاية ص ٤ ــ ١٩٣ ط ثالثة مكتبة المعارف ــ بيروت .

ما يتاح له من اتساع فى المعرفة والخبرة والتفكير ، وذلك على أساس المبادىء الأخلاقية الأساسية المقررة .

ـ الناس سواسية أمام الله ، ومن ثم أمام القانون .

ـ ليس للحاكم ولا لرجل الدين ولا لأية طبقة أو فئة أن تحول بين المرء وحقوقه وواجباته ، أو تفصل بينه وبين الله .

ـ الاستغلال الشخصى للفرد أمر يأباه الخلق الكريم .

ـ نظام القيادة نظام مستحب من حيث المبدأ ، ولكن كل راع مسئول أمام الله عن رعيته ، وبذا يكون مسئولا عن رعاية شئون الناس ، ويبرر قيامها ما تلتزم به من مسئوليات خلقية وما تقدمه من خدمات .

ـ الأخذ بالشورى أمر لابد منـــه فى اتخاذ القرارات .

ـ نظام الملكية الفردية حق مقدس ينطوى على ضرورة استخدام الممتلكات على نحو مثمر فى تخصيص قدر من الدخل فى عون المعوزين وخدمة المجتمع والضرائب (الزكاة والإنفاق) .

ـ العمل له نبالته الخاصة ، ويستحق العامل أجراً عادلاً على عمله .

ـ الإنسان مكلف بكسب العلم وإعمال العقل ، واستخدام المعرفة التى حصلها على هذا النحو فى نفع الناس ومرضاة الله .

ويختمان هذا الاعتراف بقولهما :

إذا صح ما ذهبنا إليه فى تلك العجالة القصيرة ، فإن الثقافة الإسلامية تكون أبعد الاشياء عن إعاقة سير التقدم والتطور فى النظم الإدارية ، كما تكون أبعد الأشياء عن الدعوة إلى الطاعة العمياء ، أو التشبث بالتقاليد العنيفة إلا أن الثقافة الإسلامية تشجع الإنسان على استخدام عقله فى تقدير مقتضيات العالم الحديث مع الاطمئنان إلى القيادة المسئولة وتبادل الرأى والمشورة[٣] .

وهذا على وجه التحديد هو المنهج الذى صارت الحاجة ماسة إليه .

إن هذا البحث هو بداية ـ رحلة الألف ميل التى تبدأ بخطوة واحدة ، وفى هذا البحث سوف نستعرض نشأة وتطور الفكر الإدارى والقيادة الإدارية ، ثم نتناول أصول الفكـــر الإدارى الإسلامى من حيث المصادر التى يستند عليها ، والتراث الفكرى لرواده ، وسوف نعتمد على المنهج التاريخى والتحليلى فى معالجتنـــا لمواضع هذا البحث .

الإدارة فى تصورات النظريات الحديثة

الراصد للاتجاهات الإدارية فى عالمنا المعاصر يرى أنه يمكن تصنيفها فى نظريات ثلاث :

الأولى : نظرية الإدارة العلمية .

الثانية : نظرية العلاقات الإنسانية فى الإدارة .

الثالثة : النظرية السلوكية فى الإدارة .

وسنحاول ـ بمشيئة الله تعالى ـ أن نلقى بعض الأضواء على كل واحدة من هذه النظريات على حدة[٤] .

---

٣ ـ الدكتور/ حمدي امين عبد الهادي ، الفكر الاداري الاسلامي والمقـــارن ، الاصول العامة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص١٨٠ ـ ١٨٢ .

٤ ـ Hoy, W.K. & Miskel, C.G., **Educational Administration Theory, Research and Practice.** (2nd ed.), New York Random House, 1978.

أولا : نظرية الإدارة العلمية :

يرى بعض المفكرين الإداريين أن هذه النظرية تعتبر ثورة عقلانية فى تنظيم الإدارة بشقيها : القيادة والعمالة ؛ وتعتبر فتحا جديداً للإداريين بالنسبة للجهد الإنسانى ، وذلك بما قدمته من تطوير الممارسات الإدارية عن طريق استعمال الأساليب العلمية ، وآخر ما أنتجه العقل البشرى بالنسبة لإدارة الأعمال ، سواء ما يتعلق بالطاقة البشرية ، أو طبيعة العمل ، أو استعمال آلات الإنتاج .

هذا بالإضافة إلى ما قدمته هذه النظرية للعمل الإدارى من مفاهيم إدارية مختلفة مثل التخطيط والتنظيم والرقابة وتحمل المسئولية ، وكان من ملامح هذه النظرية ، والاهتمام الكبير بمجال التخصص فى العمل ووضع (الكوادر) المناسبة فى المكان المناسب . ويعتبر (فريدريك تيلر) (Frederick Taylor) المؤسس الأول للإدارة العلمية ، وإن كان قد سَبَقَهُ بعضُ الجهود من علماء بدءوا هذا الطريق ، ولكنه يعتبر أول من قَعَّد القواعد ، ووضع الأسس والمخطط للمنهاج المتكامل لهذه النظرية .

ومن الابتكارات التى وضعها (تيلر) فى هذه النظرية ، أنه وضع نصب عينيه كيفية الاستفادة من القدرات الإنسانية بشكل أكثر فعالية فى إنجاز الأعمال . هذا بالإضافة إلى النظام الذى أدخله ، وهو تطوير أساليب العمل عن طريق تدريب الكوادر حتى تصبح ذات كفاءة عالية فى زيادة الإنتاج ، واستطاع (تيلر) عن طريق دراسته للزمن والحركة أن يحدد الكفاءة العضلية للعمال ومقدرتهم فى إنجاز العمل بكفاءة فى فترة زمنية محدودة .

وفى كتابه : (مبادىء الإدارة العلمية) حاول أن يقدم المبادىء الأساسية للإدارة العلمية . وسنحاول ـ بمشيئة الله ـ أن نجملها فى هذه النقاط :

(أ) توجد عدة طرق مثالية لإنجاز أى عمل ما ويمكن أن تحدد هذه الطرق علميا .

(ب) أى عمل مهما بلغ تعقيده وتداخله يمكن تبسيطه وذلك بتجزأته إلى عمليات صغيرة .

(ج) على الإدارة الناجحة تدريب العمال عند قيامهم بأية جزئية من جزيئات العمل ، وتوضيحها لهم .

(د) يرى (تيلر) إبعاد العمال عن مجال التخطيط والتنظيم ، أو السيطرة كلية على بعض النشاطات المختلفة .

(هـ) إذا كان العمل الذى يقوم به العمال مرهقاً أو معقداً فعلى الإدارة أن تقدم بعض الحوافز المادية للعمال تشجيعاً لهم على تحمل المشاق فى إنجاز هذا العمل[٥] .

وإذا كان (تيلر) بتقديمه هذه المبادىء يولى اهاماماً كبيراً لزيادة الإنتاج عن طريق الكفاءة العالية فى العمل والتشغيل ، ويعتبر أن هذا لب العملية الإداية ؛ فان (فويل) (Fayol) مهندس المناجم الفرنسى والإدارى الناجح يرى أن

---

٥ – Taylor, F.W. The Principles of Scientific Managements. New York: Harper & Row, 1947.

الإدارات الناجحة تعتمد على (تراكم) سلسلة من الوظائف المتلاحقة سماها : (عناصر الإدارة) . وفى رأى (فويل) أن المرء كلما صعد نحو قمة العمل الإدارى وجد أن حاجة العمل تستدعى مهارات فنية أقل ، ومهارات إدارية أكبر(٦) .

وخلاصة النظرية العلمية فى الإدارة عند (تيلر) تتمثل ، فى زيادة الإنتاج للمؤسسة ، وزيادة الدخول للعمال .

وفى رأيه : أن الإدارة يمكن أن تنجز أكبر قدر من الإنتاج فى وقت محدد ، ويمكن من ناحية أخرى أن يكون إنتاج العمال وفيرا فى وقت محدد أيضا الأمر الذى يؤدى إلى زيادة دخولهم .

ومع هذا فقد وجه العديد من الانتقادات إلى نظرية الإدارة العلمية بسبب تجاهلها العوامل الإنسانية ، ومساواتها بين الآلة والعامل حيث ركزت جل اهتمامها على زيادة الإنتاج فحسب .

ثانياً : نظرية العلاقات الإنسانية فى الإدارة :

لاشك أن الثورة التى أوجدها (تيلر) بتطبيق نظرية الإدارة العلمية على المؤسسات كان لها أثر فعال وحماس منقطع النظير بين رجال الإدارة فى ذلك الوقت ولكن هذه الثورة المتدفقة ، والحماس الكبير أخذ يخفت شيئا فشيئا عندما برز فى الثلاثينات من هذا القرن (التون مايو ١٩٣٣) (Eton Mayo) كرائد لمدرسة جديدة فى علم الإدارة تسمى بنظرية (العلاقات الإنسانية) وأثرها الكبير فى تطوير الإدارة عن طريق المعاملات الإنسانية والعلاقات الودية بين الإدارة والعاملين فيها .

لقد قام (آلتون مايو ١٩٣٣) بدراسات رائدة لمعرفة أهم العوامل المؤثرة على زيادة إنتاج العاملين وخلص من دراساته إلى نتائج من أهمها :

إن الدافع الاقتصادى ليس هو الدافع الوحيد فى زيادة الإنتاج ؛ بل إن العوامل الاجتماعية غير الاقتصادية لها أثر فعال فى زيادة الإنتاج كما وجد أن العمال يتفاعلون مع الإدارة كمجموعة شبه رسمية وليس كأفراد .

ومن هذا يتبين لنا أن نتائج الدراسات التى قام بها (مايو) وآخرون فى أثر الجانب الإنسانى على إنتاج الموظف برزت فلسفة جديدة فى فن الإدارة قوامها العلاقات الإنسانية ، ولقد أوضح العديد من الباحثين أن هذه الدراسات تشير بجلاء إلى دور السلوك الإنسانى فى المؤسسة ، وأن له أثراً كبيراً فى تعاون المجموعة ، ودفع المؤسسة فى أداء دورها الناجح فى المجتمع(٧) .

والعلاقات الإنسانية كثيرة ومتعددة ؛ وتشمل معنويات الأفراد وترابط المجموعة ورحابة جو المؤسسة والقيادة المؤثرة ، وتفاعل العاملين فيما بينهم عن طريق التفاهم والانسجام والتعاون الكامل فيما يقومون به ، وإذا كانت الإنسانية فى تاريخها الطويل تتطلع إلى الأحسن والأجود والكمال الذى تنشده فى كل شىء ، الأمر الذى جعلها تجد فى النظرية العلمية بعض الثغرات ، والتى من أهمها : أن جعلت العاملين شبه آلات صماء يمكن زيادة إنتاجهم من خلال المكافآت والدوافع المادية فحسب ، كما أن رجال الإدارة وجدوا فى نظرية العلاقات الإنسانية بعض القصور ، والذى يمكن تلخيصه فى أن هذه

---

٦ – Fayol, H. General and Industrial Management. Trans. by Constance S., London: Sir Isaac Pitman, 1949.

٧ – Mayo, E. The Human Problems of Industrial Civilization. New York: The Macmillan Co., 1933.

النظرية تغالى فى تبسيط الأمور ، وتعتبر أن هذه النظرية هى الساحرة التى تجمع المنهج المتكامل فى تحسين الإدارة ، والسير بها نحو الكمال المنشود ، وهذا ما يخالف الواقع ، ومن أجل ذلك برزت إلى الوجود نظرية ثالثة .

ثالثاً : النظرية السلوكية فى الإدارة :

لقد كان لعلماء السلوك نظرتهم الفاحصة المتأنية بالنسبة لنظرية الإدارة العلمية ، ورأوا فيها قصوراً يتمثل فى تجاهلها للعلاقات الاجتماعية ، وأيضا كان لهم رأيهم الفاحص المدقق بالنسبة لنظرية العلاقات الإنسانية وتجاهلها للهيكلة الرسمية للعمل ، الأمر الذى دفع علماء السلوك إلى هذه النظرية الجديدة التى تجمع بين محاسن النظريتين السابقتين وتضيف إليها الجديد المتطور الذى يدفع بالعملية الإدارية إلى التقدم والازدهار .

ولقد لخص (أوينز owens) الدوافع التى حدت بالقائمين على هذه النظرية إلى تقديمها كبديل عن النظريتين السابقتين بقوله : لقد سعى المنهج السلوكى إلى إقامة وئام ودمج لهذين المنهجين المختلفين ظاهريا بما يخص تنظيم البشر ، وهذا المنهج فى جوهره ، يستخدم التفكير المنتظم كقاعدة لتحليل سمات المؤسسة ، هكذا يمكن النظر إلى المؤسسة على أنها نظام اجتماعى إنسانى يؤلفه بعدان رئيسيان : البعد التنظيمى من جهة ، والبعد الإنسانى من جهة ثانية[٨] .

وهذه المدرسة السلوكية الجديدة يمثلها مجموعة من الباحثين الإداريين من أمثال كريس آرجيس (Chris Argyris) وإبراهام ماسلو (Abtaham Maslow) ودوجلاس جريجر (Douglos Mc Gregor) وغيرهم كثير ، وتكاد تتوافق وجهات نظرهم جميعا فى موضوع الاهتمامات الجوهرية بحاجات العمال : العنصر المنتج فى المؤسسة والعمل على إرضاء الذات وحث هؤلاء الباحثين الإداريين الذين يترأسون المؤسسات العملاقة بتقديم المكافآت التى ترضى غرور العمال وتسد حاجاتهم .

ويعتبر تشستر بارنارد (Chester Barnard) المؤسس الحقيقى لهذه المدرسة المتمثلة فى نظرية علم السلوك ؛ والدارس لكتاباته فى هذا الصدد يرى أنه وضع القواعد لها وقدم التعريفات للمؤسسات الرسمية ، والأخرى غير الرسمية وأوضح أهمية الفهم الجديد للعلاقات بينهما ، ووضع منهجا متكاملا لسلوكيات المدير داخل المؤسسة وخارجها .

وبعد : فهذا عرض موجز لأهم النظريات فى علم الإدارة من وجهة نظر الباحثين الغربيين ومن يسير فى فلكهم من رجال الإدارة فى عالمنا المعاصر ؛ فهل استطاعت هذه النظريات المتلاحقة المتغايرة أن ترضى طموح الإداريين ؟ وهل وضعت أقدامهم على الطريق السليم ؟ أم أن هناك قصوراً فى هذه النظريات الثلاث أدت فى بعض الأحيان إلى زعزعة كثير من المؤسسات ، وفشل البعض الآخر .

وإذا كان ذلك فعلينا أن نتعرف على منطق النظرة الإسلامية للإدارة ونظمها لعلنا نجد فيها ما افتقدناه عند غيرها .

« يتبع »

---

٨ – Owens, R.G., Organizational Behavior in Education, (2nd ed.), Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1981.

طرسوس

من قبل الصومال والبوسنه والهرسك

كم من قبلهم من هوان أليم نزل على المسلمين ... هَوَانٌ سَوْطُهُ المهين دفع به بعض المسئولين عن المسلمين إلى الأعداء لينالوا من أبشار المسلمين وأعراضهم وأهليهم وأبنائهم وأموالهم ...

كم قبل الصومال والبوسنه وبورما وكشمير وتايلاند ، ومسلمين آخرين ...

كم من قبل ذلك من مسلمين ذاقوا العذاب الأليم ... عذاباً ماكان يستطيعه أعداؤهم لولا تلك الحفنة من المسئولين ، وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ قال ـ عليه الصلاة والسلام :

« سألت ربى ثلاثاً فأعطانى ثنتين ، ومنعنى واحدة :

سألت ربى : ألا يهلك أمتى بالسَّنَة [القحط] فأعطانيها .

وسألته : ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها .

وسألته : ألا يجعل بأسهم بينهم فَمَنَعَنِيها » . رواه مسلم .

وبعد :

فهذا الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى يحدثنا ـ بقلمه ـ عن :

[طَرَسُوس]

قال : سميت بطرسوس (*) بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح ، عليه السلام ، وقيل : إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان .. كان خادماً للرشيد فى سنة نيف وتسعين ومائة ؛ قاله أحمد بن محمد الهمذانى .

وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم .

قال أحمد بن الطيّب السّرخسى :

على طرسوس سوران وخندق واسع ، ولها ستة أبواب ، ويشقها (نهر البَرَدان) وبها قبر

(*) انظر لياقوت الرومى ـ معجم البلدان (طرسوس) حرف الطاء ، وطرسوس Tarse مدينة فى جنوبى تركيا الآسيوية حاليا .

المأمون عبدالله بن الرشيد جاءها غازياً فأدركته منيته فمات ؛ فقال الشاعر :

هل رأيت النجوم أغنَتْ عن المأ
مُون فى عزّ ملكه المأسُـوسِ ؟
غادروه بعَرْصَـتَـىْ طَرَسُـــوس
مثل ما غادروا أبـاه بطُــوس

ومـــازالت موطنـــاً للصالحين والزُهّـــاد يقصدونها ؛ لأنها من ثغور المسلمين ، ثم لم تزل مع المسلمين فى أحسن حال ، وخرج منها جماعة من أهل الفضل إلى أن كان سنة ٣٥٤ هـ فإن (نقفور) ... ملك الروم استولى على الثغور وفتح (المصيصة) ... ثم رحل عنها ونزل على طرسوس وكان بها من قبل سيف الدولة رجل يقال له (ابن الزّيّات ، ورشيق النسيمى) مولاه ، فسلما إليه المدينة على الأمان والصلح :

على أن من خرج منها من المسلمين وهو يحمل من ماله مهما قدر عليه لا يُعترض من عَيْنٍ وَوَرِق أو خُرْثى[1] ، وما لم يُطِقْ حمله فهو لهم مع الدور والضياع ، واشترط تخريب الجامع والمساجد ، وأنه من أراد المقام فى البلد على الذمة وأداء الجزية فعل ، وإن تنصر فلة الحباءُ[2] والكرامة وتقرّ عليه نعمته .

قال : فتنصر خلقٌ فأُقِرّت نعمهم عليهم ، وأقام نفرٌ يسيرٌ على الجزية ، وخرج أكثر الناس يقصدون بلاد الإسلام وتفرّقوا فيها .

وملك نقفور البلد فأحرق المصاحف ، وخرّب المساجد ، وأخذ من خزائن السلاح مالم يسمع بمثله مما كان جُمع من أيام بنى أميَّةَ إلى هذه الغاية ، وحدث أبو القاسم التنوخى قال :

أخبرنى جماعة ممن جلا عن ذلك الثغر أن نقفور لما فتح طرسوس نصب فى ظاهرها عَلَميْن ونادى مناديه :

من أراد بلاد الملك الرحيم وأحبّ العدل والنَّصفة والأمن على المال والأهل والنفس والولد وأمن السبل وصحة الأحكام والإحسان فى المعاملة وحفظ الفروج وكذا وكذا ، وعد أشياء جميلة ، فليَصر تحت هذا العَلَم لِيَقْفِلَ مع الملك إلى بلاد الروم ، ومن أراد الزنا واللواط والجور فى الأحكام والأعمال وأخذ الضرائب وتملّك الضياع عليه وغَصْبَ الأموال ، وعد أشياء من هذا النوع غير جميلة ، فليحصل تحت هذا العلم إلى بلاد الإسلام ، فصار تحت علم الروم خلقٌ من المسلمين ممن تنصّر وممن صبر على الجزية ، ودخل الروم إلى طرسوس فأخذ كلّ واحد من الروم دار رجل من المسلمين بما فيها ثم يتوكل ببابها ولا يطلق لصاحبها إلا حمل الخفّ ؛ فان رآه قد تجاوز منعه حتى إذا خرج منها صاحبها دخلها النصرانى فاحتوى على مافيها ، وتقاعد بالمسلمين أمهات أولادهم لما رأين أهالهن وقالت : أنا الآن حُرّة لا حاجة لى فى صحبتك ، فمنهنّ من رَمَتْ بولدها على أبيه ومنهنّ من منعت الأب من ولده فنَشأ نصرانياً ، فكان الإنسان يجىء إلى عسكر الروم فيُودع ولده ويبكى ويصرُخ وينصرف على أقبح صورة حتى بكى الروم رقة لهم وطلبوا من يحملهم فلم يجدوا غير الروم فلم يُكْرُوهم إلا بثُلث ماأخذوه على أكتافهم أجرةً حتى سيروهم إلى أنطاكيـة ، هذا وسيف الدولـــة حىّ يرزق (بميّافارقين) والملوك كلّ واحد مشغول بمحاربة جاره من المسلمين ، وعَطّلوا هذا الفرض ، ونعوذ بالله من الخيبة والخذلان ونسأله الكفاية من عنده .

(١) أثاث البيت أو أردأ المتاع .

(٢) الهدايا والتكريم .

الحسد في الأحاديث النبوية

-٢-

للأستاذ الدكتور/ محمد شامة

ضرر عين العائن للمعيون

انتشرت ظاهرة الاعتقاد فى تأثير عين العائن على المعيون تأثيراً مباشراً فى جميع المجتمعات الإنسانية ، ومما ساعد على انتشارها وتمكنها من نفسية الإنسان البدائى : اعتقاده بأن هناك قوى غيبية ، لها اتصال بأصحاب العين الشريرة ، تمده بالقوة التى تؤثر فى المعيون عن طريق النظر إليه ، بل أحياناً يصل الضرر إلى المحسود ــ حسب اعتقاده ــ عن طريق مدحه ، وأحياناً بمجرد الحديث عنه ، دون أن يراه الحاسد .

استولى هذا الاعتقاد على مشاعر الناس ، وتغلغل فى وجدانهم ، فنسبوا إلى الحسد كل مايرونه من آثار ضارة ، دون أن يكون لديهم مبررات عقلية ، أو تفسير منطقى ، يوضح العلاقة بين الأثر والمؤثر ، بل كان مرد هذا إلى أساطير وخرافات غامضة ، تناقلتها الأجيال ، دون أن يفكر أحد منهم فى البحث عن كيفية وصول الضرر من عين الرائى إلى المرئى الذى أصيب ــ حسب مايعتقدون ــ بمجرد نظر صاحب العين الشريرة إليه ، أو الحديث عنه ، سواء كان مدحاً أو إعجاباً ، أو كان مجرد وصف ، أو تقريراً لهيئته وشكله ، ومما يصور مدى تصورهم لتأثير العين الشريرة : أنهم كانوا يعتقدون أن ٩٩٪ ممن يرقدون فى القبور ماتوا بسبب الحسد .

وعلى الرغم من أن تجارب الشعوب وأبحاث العلماء كشفت كثيراً مما كان غامضاً من الأسباب والعلل ، فظهر للناس أسباب ما كانوا ينسبونه إلى الحسد ، إلا أن هذه الظاهرة لم تختف كلية من المجتمعات الإنسانية ، لأن بعض المرويات الدينية ساعدت على بقائها فى المجتمع ، ليس فقط فى مرحلة تخلفه وجموده ، بل صحبته أيضاً فى فترات تقدمه وازدهاره الفكرى والثقافى ، إذ نرى فى كثير من الأحيان مفكراً يدافع عن المنهج العقلى ويستخدم المنطق فى إنتاجه الفكرى ، وينقب عن الأسباب ، والعلل لما يصادفه فى تخصصه ، لكنه

فى سلوكه الاجتماعى يرتد إلى الأفكار التى انحدرت إليه من آلاف السنين ، فتراه أسير هذه المعتقدات ، خاضعاً لها كما يخضع أخوه الأمى ؛ وما ذاك إلا بسبب تلك المرويات التى تُثَبِّت هذا الاعتقاد فى وجدانه ، وتمكنه من أحاسيسه ، فيظن أنه لو رفضه ، فإنما يرفض مسلمات دينية ، الأمر الذى يوحى إليه بأن من تمام دينه : الاعتقاد فى تأثير عين العائن فى المعين .

ولو علم أن هذه المرويات ليست صحيحة لاختلف الوضع ، ولهذا سوف نبين عدم صحة ما جاء من أحاديث نبوية حول الضرر الذى يقع على المحسود مما تملكه عين الحاسد من قوة وتأثير .

فمن أشهر ما روى فى هذا الصدد :

ـ ما نسب إلى الرسول ـ ﷺ ـ من أنه قال :

« إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر » ..

هذا حديث ضعيف ، ولهذا لم يذكر فى أى من كتب الحديث التسعة التى فهرسها « ونستك »[1] وإنما أخرجه الأصفهانى فى « الحلية »[2] ، وابن عدى والخطيب فى « تاريخه »[3] من حديث جابر بن عبدالله بلفظ : « العين تدخل الرجل القبر ، وتدخل الجمل القدر » ..

وقد تفرد به شعيب بن أبى أيوب الأنصارى ، عن معاوية[4] عن هشام .. قال الصابونى[5] .

« بلغنى أنه قيل له : ينبغى أن تمسك عن هذه الرواية ، ففعل » ..

وقال الذهبى فى ترجمة شعيب بن أبى أيوب :

« وله حديث منكر ، ذكره الخطيب فى « تاريخه » »[6] .

ـ ونسب أيضاً إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال :

« كاد الفقر أن يكون كفراً ، وكاد الحسد أن يغلب القدر » ..

لم أعثر على هذا الحديث فى الكتب التسعة السالفة الذكر ، ولكن أخرجه البيهقى فى « الشُّعَب » من رواية يزيد الرقاشى . ويزيد ضعيف .

ورواه الطبرانى فى « الأوسط » من وجه آخر ، بلفظ :

« كادت الحاجة أن تكون كفراً ، وكاد الحسد أن يغلب القدر » .. وفيه ضعف أيضاً ..

ـ كما ذكر عبدالرزاق فى « المصنف » ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه مرفوعاً : « العين حق ، ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين ، وإذا استغسل أحدكم فليغتسل » وعقب عليه بأن : إسناده صحيح ، لكنه مرسل[7] .

وهذا يجعلنا نرفض الاحتجاج به ، اعتماداً على ما يحكى عن بعض المحدثين : أنهم لا يقبلون

---

(١) وهى : « صحيح البخارى » وصحيح مسلم ، وسنن أبى داود ، وسنن الترمذى ، وسنن ابن ماجه وسنن الدارمى ، والجامع الصحيح للنسائى ، ومسند أحمد بن حنبل ، والموطأ للامام مالك .

(٢) الأصفهانى : حلية الأولياء .. جـ٧ صـ٩٠ .

(٣) الخطيب جـ٩ صـ٢٤٤ .

(٤) ولفظ الأصفهانى : غريب من حديث الثور ، تفرد به معاوية .

(٥) الصابونى (٣٧٣ـ٤٤٩هـ/ ٩٨٣ـ١٠٥٧م) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل ، أبو عثمان الصابونى ، مقدم أهل الحديث فى بلاد خراسان ، لقبه أهل السنة فيها : شيخ الإسلام .. ولد ومات فى نيسابور ، وكان فصيح اللهجة ، واسع العلم ، عارفاً بالحديث والتفسير (انظر : الإعلام للزركلى) .

(٦) ذكر الذهبى .. « وقال أبو داود : إنى أخاف الله تعالى فى الرواية عنه ، قلت : ما أخرج عنه فى سننه غير حديث ، وله حديث منكر ، ذكره الخطيب فى تاريخه ، علقته عندى . مات سنة إحدى وستين ومائة » . (ميزان الاعتدال جـ٢ صـ٢٧٥) .

(٧) وصله مسلم فى « صحيحه » ونص روايته : حدثنا عبدالله ابن عبدالرحمن الدارمى ، وحجاج ابن الشاعر ، وأحمد بن خِرَاش (قال عبدالله : أخبرنا ، وقال الآخران : حدثنا) مسلم بن إبراهيم ، قال حدثنا وُهَيب عن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « العين حق ، ولو كان شىء سابق القدر . الخ .

المرسل ، ويعدونه من قبيل الضعيف الذى لا يحتج به ، لجواز أن يروى الصحابى عن تابعى ، فيكون المحذوف هو التابعى ، وسقوط التابعى قادح ، وسبب من أسباب رد الحديث[٨] .

فإذا أضفنا إلى ذلك : أن من علماء الحديث من يُعرف المنقطع بأنه : «ما سقط منه راو واحد من أول السند ، أو من وسطه ، أو من آخره[٩] ، فيكون هذا الحديث منقطعاً أيضاً ، لأنه سقط منه راو من أول السند .

ولما كان الحديث المنقطع من قبيل الضعيف الذى لا يحتج به ، فلا يجوز الاحتجاج بهذا الحديث .

ومن هذا يتبين أن الأحاديث التى جاء فيها ذكر إمكانية إلحاق الضرر بالمحسود بمجرد رؤية العائن ضعيفة ، لا يحتج بها ، فضلا عن أن هذا الاعتقاد ينافى العقل والمنطق ، ويصطدم مع الواقع الذى أثبتته العلوم التجريبية على اختلاف فروعها ، وتنوع طرق إثباتها .

وهو فوق هذا كله مخالف لمفهوم كثير من مبادىء الإسلام وتعاليمه ، بل يهدم الأساس الذى يقوم عليه الحوار مع المنكرين لوجود الله ـ سبحانه ـ ، ألا وهو أنهم أى المنكرون لوجود الله تعال لا يملكون الدليل الواضح الذى يؤيد ما ذهبوا إليه من إنكار وجود الله ، بل يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ، إذ ليس عند من يعتقد فى ضرر العائن للمعيون بمجرد النظر إليه دليل واضح على ذلك ، بل هى معتقدات بدائية ، ترسبت فى نفوس المجتمعات الإنسانية ، وتمكنت من عواطف الأفراد ، فوجهت سلوكهم تحت ضغط الخوف من المجهول ، فركنوا إليها ، واطمأنت نفوسهم بهذا التفسير الهلامى ، لما يرونه من أحداث لا يدركون أسبابها .

٣ ـ التمائـــم

استخدم الإنسان أنواعاً مختلفة من الطقوس والتعاويذ ، لدفع الأضرار التى لا يعرف لها سبباً مادياً عن نفسه ، ولحماية ممتلكاته مما قد يصيبها من الآفات والكوارث التى تجتاحها ، ولا يعرف لها سبباً مرئياً ، ولا مصدراً يشاهد بعينه ، أو يستدل عليه بمظاهر ملموسة .

فإذا غرست معتقدات آبائه وأجداده فى نفسه تصوراً معيناً لمصدر ما يصيبه من آلام ، وما يحل به وبممتلكاته من كوارث ، فإنه يمارس طقوس معينة لدفع هذا الضرر بعيداً عنه . وتختلف تلك الطقوس من مجتمع لآخر ، وتتفاوت فى المجتمعات الإنسانية بتفاوت عقائدها ، وتقاليدها ، وعاداتها ، غير أن الطقوس التى مارسها الإنسان للحماية من أثر العين الشريرة ظهرت فى مختلف المجتمعات البشرية متشابهة تقريباً ، على الرغم من تعـدد صور المعتقدات الدينية ، وتباين أشكال نظم الحياة الإنسانية ، بما فيها من عادات وتقاليد ، سواء كان لهذه العادات والتقاليد صلة مباشرة بمبادىء وأحكام تلك المعتقدات ، أو كانت دخيلة على ما تعارف عليه المجتمع ، وتمسك به كدين له ، وعقيدة يتخذها أساساً لحياته ، ونبراساً لرؤيته لهذه الحياة ، ومصدرا لتوجيه سلوكه وتعامله مع من يعيشون معه ، أو يتصلون به .

ومن الأشياء التى استخدمها الإنسان ـ منذ

(٨) د/ موسى لاشين جـ١ صـ٤٩ .
(٩) المصدر السابق صـ٣٩ .

العصور الأولى حتى وقتنا الحاضر ـ لدفع العين الشريرة ـ أى الحسد على اختلاف أنواعه وأشكاله ـ ما يعرف باسم : «التميمة» وهى شىء يلبس ـ أو يعلق ـ على أنه تعويذة سحرية ، تطرد الشر ، فقد استعمل الإنسان تمائم متعددة ، (وكانت أكثر شيوعاً بين الناس من حبوب الدواء لعلاج الأمراض ، أو الوقاية منها ، وكان المرض فى اعتقادهم هو تقمص الشياطين الجسم ، وعلاجه هو تلاوة العزائم ، فقد كان الزكام مثلا يعالج بمثل هذه العبارات السحرية : أخرج أيها البرد ، يا ابن البرد ، يا من تهشم العظم ، وتتلف الجمجمة ، وتمرض مخارج الرأس السبعة اخرج على الأرض .. دفر .. دفر .. دفر)[١٠] .

كذلك استخدمها أتباع الأديان السماوية ، إذ كان عند العبرانيين أحجبة ، فيها نصوص من التوراة ، كما علق المسيحيون صلباناً وتمائم ، احتوت على أشياء مقدسة ، ونصوص دينية .

أما نوعية المواد التى تحتوى عليها التمائم فكانت متعددة ، مثل : أسنان الحيوان ، والأحجار الكريمة ، والمعادن ، وأجزاء من نباتات مختلفة ، وكذلك نقوش لها صلة بالمقدسات ، كالصليب ، وعجلات إله الشمس ، وصور الكتاب المقدس .

واحتوت أيضاً على أشكال مختلفة من الطواطم ، أو رسوم لما يعتقد أنه يملك القوة على دفع العين الشريرة ، بعيدة عمن يحمل التميمة ، مثل : صورة الأسد ، أو الحية ، وغير ذلك مما يتوفر فيه ـ حسب الاعتقاد السائد فى المجتمع ـ خصائص طرد كل ما من شأنه أن يضر الإنسان أو الحيوان ، وكل ما يملك المرء من متاع ومال .

ومن عادة من يستخدم التميمة أن يعلقها فى عنقه ، أو يثبتها فى أى مكان من ثوبه ، كما تعلق أيضا على الحوائط ، والأبواب ، والنوافذ ، وفى فروع الأشجار ، سواء كانت فى الحقول ، أو فى الحدائق ، وتدفن أحياناً فى أساسات المنزل ، وتحت عتبة أبواب المنازل وحظائر المواشى ... الخ .

يذهب بعض الباحثين إلى أن كلمة : «تميمة» التى يستخدمها العرب والإيرانيون مأخوذة من الكلمة اليونانية «توتيليسما To Teleysma» التى كانت تدل فى اللغة اليونانية على : «الكمال» أو «الشىء الفاخر» ثم استخدمت بعد ذلك للدلالة على الوسيلة السحرية التى يباشرها المرء للحماية مما قد يصيبه من ضرر ، وانتقلت بهذا المفهوم إلى اللغة العربية ، وإلى اللغات الشرقية كلها ، كما دخلت بنفس المعنى أيضاً إلى اللغات الأوربية .

ويرى آخرون أن أصلها يرجع إلى الكلمة الهندية : «تاليسمانا Tulismana» معللا ذلك بأن من عادة الهند أن يعلق العريس قلادة فى رقبة عروسه ليلة الزفاف ويطلق على هذه القلادة بالذات كلمة : «تالى Tali»[١١] .

وربما يذكرنا هذا بما ورد فى التوراة عن الأهداب ، التى فرض على بنى إسرائيل أن يعلقوها فى أذيال ثيابهم ، فقد جاء فى سفر العدد مايلى :

«وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى إسرائيل ، وقل لهم أن يصنعوا لهم أهدابا فى أذيال ثيابهم فى أجيالهم ويجعلونها على هدب الذيل عصابة من أسْمَا نَجُونِىٌّ فتكون لهم هدبا فترونها ، وتذكرون كل وصايا الرب ، وتعملونها ولا تطوفون وراء قلوبكم وأعينكم التى أنتم فاسقون وراءها»[١٢] ..

---

(١٠) ول ديورانت جـ٢ صـ١٢٣ .

(١١) Seligmann B.II,S.3FF .

(١٢) ١٥ : ٣٧ ـ ٣٩ .

إذ من المحتمل أن يكون لهذه الأهداب صلة بالتميمة[١٣] ..

فاستخدام التميمة شائع بين الشعوب كلها « فاعتقد البابليون أن من المستطاع اتقاء شر « العين الحاسدة » باستعمال التمائم والطلاسم ، وما إليها من الرق والأحاجى ، وكانت صورة الآلهة إذا حملها الشخص معه تكفى فى الغالب لإخافة الشيطان (الذى أدخلته العين الحاسدة فى جسد المحسود) وإبعاده .

وكانت من أقوى التمائم أثراً قلادة من حجارة صغيرة تسلك فى خيط أو سلك ، وتعلق فى العنق ، على أن يراعى فى الحجارة أن تكون من النوع الذى تربط الأقوال المأثورة بينه وبين الحظ الحسن ، وفى الخيط أن يكون أسود ، أو أبيض ، أو أحمر ، حسب الغرض الذى يريد منه صاحبه ، وكان من أشد الخيوط أثراً : الخيط الذى يغزل من عنزة لم يقربها تيس ؛ وكان من الحكمة أن يستعان ـ فضلا عن هذه الوسائل ـ بالرقى الحارة ، والطقوس السحرية ، لإخراج الشيطان من الجسم ، كرشه بالماء المحمول من أحد المجارى المقدسة ، كدجلة والفرات[١٤] .

وتضمنت معانى الكلمات التى تدل عليها (أى التميمة) فى جميع لغات الشعوب :

معنى الحماية من العين الشريرة[١٥] ، فاللاتينيون أطلقوا عليها كلمة : « فاسينوس Faseinus » أو « فاسينوم Faseinum » التى كانت تطلق فى بادىء الأمر على السحر ، أو الشعوذة ، ثم أطلقت على ما يستعمل للحماية من السحر والشعوذة ، وأخيراً أصبحت علماً على التميمة ، التى تحمى حاملها من العين الشريرة .

كما وردت فى الأدب الشعبى اليهودى كلمة : « Kenea » علماً للتميمة ، إذ كان المقصود بها : كل ما يربط ، أو يعلق حول العنق ، أى الأحجبة ، التى تعلق حول الرقبة ، فقد جاء فى التلمود : أن أحد الملوك أعطى ابنته ليلة زفافها « Kenea » وقال لها : « البسى هذا الحجاب ، ولا تنزعيه من عنقك أبداً ، وإلا أصابتك العين الشريرة » .

ويحرص حاملو التميمة على عدم إخفائها تحت الملابس ، أو فى مكان خفى ، فهم يتعمدون إظهارها بقدر الإمكان ، لأن حمايتها لا تتحقق إلا إذا رآها الحسود ، إذ عندما تقع عينه عليها ، يرتد بصره إلى نفسه فينجو حاملها من آثار عينه

---

(١٣) كانت الصلاة عند اليهود المتمسكين بالدين عملا شديد التعقيد ، لا تؤدى على الوجه الصحيح ، إلا إذا غطى المصلى رأسه دليلا على الخشوع ، وربط على ذراعيه وجبهته علبا صغيرة ، تحتوى فقرات من سفر الخروج (الآيات : ١ ـ ١٦ من الاصحاح الثالث عشر) وتثنية الاشتراع ، (الآيات ٤ ـ ٩ من الاصحاح السادس و١٣ ـ ٢١ من الاصحاح الحادى عشر) وثبت فى أطراف ثيابه أهدابا نقشت عليها أهم وصايا الرب ، وكان رجال الدين يفسرون هذه الإجراءات الشكلية ، على أنها أمور لابد منها لتذكير اليهود بوحدانية الله ، ووجوده ، وشرائعه ، أما السذج من اليهود فقد أصبحوا يحسبونها تمائم سحرية ذات قوى معجزة خارقة للطبيعة .

(١٤) (ول ديورانت جـ١٤ ـ ٢٢٧) .

(١٥) تكاد الشعوب البدائية كلها تجمع على الاعتقاد فى قوة الكلمات وشر « العين الحاسدة » فلم يشك الإستراليون الأصليون فى أن الكلمات التى ينطق بها الساحر لها من القوة ما يجعلها قادرة على إصابة الشخص المعنى بها ، حتى ولو كان على بعد مائة ميل .

وبدأت العقيدة فى السحر فى أوائل مراحل التاريخ الإنسانى ، ولم يَزُل عن الإنسان قط زوالا تاماً .

وعبادة الأصنام وغيرها مما يكون له قوة سحرية ، كالتمائم أرسخ فى القدم من السحر نفسه ، وأثبت منه جذوراً فى النفس ، ولما كانت التمائم تُحَدَّد لها مناطق القوة ، بمعنى أن يكون لكل تميمة أثر فى ناحية معينة دون غيرها ، فإنك ترى بعض الشعوب تثقل أنفسها بأحمال منها ، لكى يكونوا على أهبة الاستعداد لكل ما عسى أن تفاجئهم به الأيام . والأحجبة إن هى إلا صورة متأخرة فى الظهور ، ومثل من الأمثلة التى تعاصرنا من الأصنام ، أو ما إليها من ذوات القوة السحرية ، فنصف سكان أوربا يلبسون المُدَلَّيات والتمائم ليستمدوا بواسطتها الوقاية والمعونة من وراء الطبيعة (ول ديورانت جـ١ صـ١١٥) .

الشريرة ، ولذلك سماها بعض الناس : أداة تحويل النظر ، ولذا كان من صور حملها أن توضع فى علبة صغيرة ، وتعلق فى سلسلة حول العنق ، أو يخاط عليها قطعة من القماش ، وتعلق على الجسم فى مكان ظاهر ، أو توضع فى فص خاتم ، ويلبسه من يطلب حمايتها فى أصبعه .

تعددت أشكال وهيئات التمائم ، بدرجة لا يستطيع باحث حصرها على المستوى العالمى ، فقط حصر « يوسف بيلوسشى Joseph Pielucci » فى إيطاليا وحدها أربعة آلاف نوع من التمائم وعرضها فى المعرض العالمى الذى أقيم فى باريس عام ١٨٨٩م(١٦) .

كذلك تنوعت المواد التى توضع فى التميمة ، فمن الأشياء التى تؤخذ من الأرض .. لاستخدامها تميمة :

(أ) المعادن ، وخاصة : الذهب والفضة ، إذ انتشر تعليق التمائم الذهبية والفضية حول الرقبة عند جميع الشعوب للحفظ والوقاية من الحسد ، وخاصة فى رقبة الوليد ، والعروس ، وكل من يتمتع بنوع من نضارة المنظر ، وحسن الهيئة ، وغير ذلك من الأمور التى يظن أنها تثير انتباه الحساد .

ومن المعادن التى تستخدم أيضاً : الحديد ، والصلب ، فكثيراً مانرى حوافر الحصان المصنوعة من أحد هذين المعدنين معلقة على الأبواب ، وفى مخادع الأطفال ، لتقوم بعملية طرد العين الشريرة .

(ب) النباتات : فقد شاع الاعتقاد فى المجتمعات البشرية أن أنواعاً معينة من الأشجار قادرة على الحماية من عين العائن ، فالرومان اعتقدوا أن الأشجار التى ليس فى ثمارها بذور أو نوى ، هى التى تحمى من العين الشريرة ، كما اعتقد سكان بورما أن قدر الإنسان مرتبط بالخشب الذى يستخدمونه فى بناء بيته ، ويحرص النساء فى « مدغشقر » على حمل قطعة خشب من أشجار معينة ، يثبتها فى السلاسل التى يعلقونها فى رقابهن ، أو يلبسونها على هيئة إسورة حول معاصمهن ، فتحفظهن من أعين الحساد .

وقد انتشر استخدام الشعوب للخشب بأشكال وصور متعددة لهذا الغرض ، وهو يفسر التعبير الشائع بين كل الشعوب ـ حتى التى قطعت شوطاً كبيراً فى مجال الرقى والتقدم : « امسك الخشب » ، حيث يصيح المرء بهذه الجملة ، عندما يسمع كلمة مدح ، أو إعجاب لحماية الممدوح مما قد يصيبه من جراء ذلك المديح .

وفى بعض البلاد يعلق فى رقبة الطفل تميمة ، تحتوى على قطعة من نبات الثوم ، أو اليانسون ، أو الكراوية ، أو الشبة ، أو القرنفل ، أو بعض حبات من البقول ، أو قطعة خشب أو مجموعة من سيقان الأعشاب ؛ وبعضهم يضع التميمة تحت الوسادة ، أو يعلق خرزة فى منديل الرأس .

وكل نوع من النبات يستخدم فى مناسبة خاصة ، كذلك يختلف أيضاً باختلاف من يستخدمها ، بالطفل غير البالغ ، والبنت غير المتزوجة ، حيث تعلق أشياء لا تعلقها المتزوجة ، وكذلك الزوج له نباتات خاصة ، كما أن عدد حبات البقول التى توضع فى التميمة تختلف حسب اختلاف الأحوال والأشخاص .

ويعتبر الحيوان كله ، أو أجزاء منه من الأشياء التى تستخدم للحماية من العين الشريرة ، وكذلك صورته ، فمثلا : استخدام قدماء المصريين صورة جناح النسر محفورة على صفحة رقيقة من الذهب « تميمة » .. يلبسها المرء للوقاية

(١٦) Seligmann B.II S, 7

من الحسد ، ولنفس الغرض يثبت الفنلنديون صورة النسر على أبواب حظائر الماشية ، كما يعلق البناءون فى آسيا الصغرى جمجمة قرد على كل بيت يبنونه ، فتحميه وأصحابه من الحسد .

ولم يقتصر استخدام الشعوب للحيوان وأجزائه ـ وكذلك صورته ـ على نوع واحد أو على عدد معين منه ، بل شمل كل أنواع الحيوان تقريباً ، وكذلك الطيور ، نذكر منها على سبيل المثال :

الجاموس ، و(البرص) ، والـذئب ، والحمار ، والضفضع ، والثعلب ، والكلب ، والتمساح ، والمحار ، والسلحفاة ، والنمر ، والكبش ، والتيس ، والطاووس ، والقنفذ ، والعنكبوت ، والباز ، ونقار الخشب ، وفرس النهر ، وكلب البحر ، والجعران ، والأوز العراق ، والحلزون ، والأفعى ، والغراب ، والحصان ، وعصفور الجنة ، والثور ، والبقرة ، والفأر ، والبغل ، وضفدع البر ، وسمك الكابوريا ، والأرنب ، والديك ، والفرخة ، والذباب .. وغير ذلك مما لا يستطيع المرء حصره ، ويستخدم الإنسان هذه الحيوانات أو أجزاء منها ، كما يستخدم صورها مرسومة أو منحوتة على أشكال وهيئات متعددة ، كما يلبسها بطرق مختلفة كسلاسل وخواتم ومعاصم .. الخ ، ويضعها فى الحقول ، والبساتين ، والبيوت ، وحظائر الماشية .. وغير ذلك من الأماكن التى يريد دفع العين الشريرة عنها ، أو عما بداخلها .

ومن هذا العرض الموجز ، يتبين لنا أن الاعتقاد فى أن التميمة تحمى من يحملها من عين العائن قد تمكن من نفسية الإنسان ، سواء كان مثقفاً أم أمياً وسواء كان فى مجتمع بدائى ، أم يحيط به هذا الكم الهائل من نتائج الأبحاث التجريبية .. حتى ولو كان أحد الباحثين البارزين فى مجالاتها ، أو الفلاسفة المحللين لنتائجها ، للتوصل إلى الكليات والنظريات ، إذ تبين لنا مما سبق ذكره : أن هذا الاعتقاد قد سيطر على عقول الناس جميعاً ، على اختلاف مستوياتهم الثقافية والعلمية ، فليس من النادر أن ترى مفكراً يدافع عن المنهج العقلى ويستخدم المنطق فى إنتاجه الفكرى ، وينقب عن الأسباب والعلل فى تخصصه ، ولكنه فى سلوكه الاجتماعى يرتد إلى الأفكار التى انحدرت إليه من آلاف السنين ، فنراه أسير هذه المعتقدات ، خاضعا لها ، كما يخضع لها أخوه الأمى ، إنه يلغى عقله ، فيندفع وراء معتقدات لا يقرها منطق ، ولا يستسيغها فكر ، ولا تنسجم مع مركزه الثقافى والعلمى .. بل إن الإنسان يغفل وسط هذا التيار الجارف ، المنحدر من عقائد البدائيين عن كثير من النصوص الدينية التى توضح له سخف هذه المعتقدات ، وتحذره من الخضوع لها ، وتنذره بالعقاب الأليم ، لو مارس ما توحى به هذه العقائد الباطلة .

فقد ورد فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ ما يبين بطلان الاعتقاد فى تأثير التميمة ، وتوعد من يصدق هذه الخرافات ، فيعلق تميمة للحماية من عين العائن بالعقاب الأليم ، ألا وهو عقاب المشرك ، فعن زينب ، امرأة عبد الله بن مسعود ، قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة ، فانتهى إلى الباب ، تنحنح ، وبزق(١٧) كراهية أن يهجم منا على شىء يكرهه . قالت : وإنه جاء ذات يوم فتنحنح ، قالت : وعندى عجوز ترقينى من

---

(١٧) بزق : بصق .

الحُمَّرة[١٨] فأدخلتها تحت السرير ، فدخل ، فجلس إلى جانبى ، فرأى فى عنقى خيطاً قال : ماهذا الخيط ؟ قالت : قلت : خيط أُرْقِىَ لى فيه ، قالت : فأخذه ، فقطعه ثم قال : إن آل عبد الله لأغنياءُ عن الشرك .

سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «إن الرقى ، والتمائم ، والتِّولة[١٩] شرك» ، قالت : فقلت له : لم تقول هذا ؟ وقد كانت عينى تقذف ، فكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها ، وكان إذا رقاها سكنت ؟ قال : إنما ذلك من عمل الشيطان ، كان ينخسها بيده ، فإذا رقيتها كف عنها ، إنما كان يكفيكِ أن تقولى ـ كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «أذهب الباس رب الناس ، اشف أنت الشافى ، لا شافى إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً»[٢٠] .

وعن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «من علق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق وَدَعة[٢١] فلا ودع الله له[٢٢]» .

وعنه أيضاً : أن رسول الله ـ ﷺ ـ أقبل عليه رهط ، فبايع تسعة ، وأمسك عن واحد ، فقالوا : يارسول الله .. بايعت تسعة ، وتركت هذا ؟ قال : «إن عليه تميمة» فأدخل يده فقطعها ، فبايعه ، وقال : «من علق تميمة فقد أشرك»[٢٣] ..

قال أبو السعادات : «إنما جعلها شركاً ، لأنهم أرادوا دفع المقادير ، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذى هو دافعه»[٢٤] . ولهذا منع فريق من العلماء تعليق التميمة ، حتى ولو كانت من القرآن الكريم[٢٥] .

وعلى الرغم من هذا نجد كثيراً من المسلمين لازالوا يعتقدون فى حماية التمائم من العين الشريرة ، كما كان يعتقد فيها الأوائل ، ويعلقونها بمختلف الأشكال والألوان ، كما كان يفعل البدائيون من قبلهم . ولم يقتصر هذا العمل على الأميين منهم ، بل يمارسه المثقفون أيضاً .

إن طريق المصلحين وعر وطويل ، ومحفوف بالمكاره من جميع الأنواع ، ولذلك لا يسلكه إلا من أدرك أسباب التخلف فى أمته ، وأصر على الإسهام فى عمل جاد ، لتخليصها منه ، وتوجيهها إلى ما يصلح عقيدتها ، ويقوم سلوكها ، ويدفعها إلى التقدم والرقى ، مهما كانت العقبات التى تعترض طريقه ، ومهما كانت النتائج التى تعكر عليه صفو حياته ، بحرمانه من حقوقه الأدبية والمادية ، تأديباً له على رفع صوته ضد عقائد يتمسك بها العامة ، ويدافع عنها أنصاف العلماء ومن يجرى فى ركابهم .

(يتبع)

(١٨) الحُمَّرة : مرض وبائى يسبب حمى وبقعاً حمراء فى الجلد ، ولا تدخل جراثيمه للجسم إلا من خدش أو جرح .

(١٩) التولة : مايحبب المرأة إلى الرجل من السحر .

(٢٠) أحمد عبد الرحمن الساعاتى : جـ١٧ صـ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٢١) الوَدْع : بالفتح والسكون : جمع ودعة : هو شيء أبيض يجلب من البحر ، ويعلق فى حلوق الصبيان (أى أعناقهم) وغيرهم ، وإنما نهى عنها ، لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين .

(٢٢) أى لا جعله فى دعة وسكون ، وقيل : هو لفظ مبنى من الودعة ، أى لا خفف الله عنه ما يخافه .

(٢٣) الساعاتى المصدر السابق جـ٧ صـ... وليس هذا قاصراً على تعليق التميمة فى رقبة إنسان فقط ، بل لا يجوز أيضاً تعليق التميمة فى رقبة حيوان ، ففى الصحيح عن أبى بشر الأنصارى : أنه كان مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى بعض أسفاره فأرسل رسولا : أن لا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر ، أو قلادة إلا قطعت «إذ كان أهل الجاهلية يعلقون أوتاراً على الدواب اعتقاداً منهم أنها تدفع العين عن الدابة (فتح المجيد ـ شرح كتاب التوحيد صـ١٣٣) .

(٢٤) فتح المجيد صـ١٢٩ .

(٢٥) المصدر السابق صـ١٤٣ .

أسمى الحب في الإسلام

للأستاذ/ محمد سيد حسان خفاجى

إن كلمة « الحب » تعنى : الميل النفسى والصفاء القلبى إلى ما يراه ويظنه الإنسان خيراً فى محبوبه ، من الوُدّ المشمول بالرحمة ، المستمسك بالوفاء والإخلاص .

وهذه الكلمة تحمل فى طياتها معانى الخير والبرّ يستقر أثرها فى كل قلب لا يدَّخر عن محبوبه أقصى ما عنده من مشاعر كريمة تعبيراً عن البذل والسماحة فالمحب ــ دائماً ــ طوعُ محبوبه .

وأسمى دوائر الحب حبنا لله ورسوله .

وإذا كانت محبة الله لعباده تعنى رضاه عنهم ، وإحسانه إليهم ، ولطفه بهم ، فهو يحب من عباده من يكونوا على صفته فى الرحمة ، ﴿**رحماء فيما بينهم**﴾ ، يرحم كبيرُهم صغيرَهم ، يوقّر صغيرُهم كبيرهم ، يواسى غنيُّهم فقيرَهم ، يعين قويُّهم ضعيفَهم ، يرشد عالمهم جاهلهم . يهدى حكيمهم سفيههم ، يرى المحكوم رحمة الحاكم فيطمئن إليه ، كما يرى الأبناء رحمة الآباء فتسر قلوبهم ، والمرضى رحمة الأطباء فتهدأ نفوسهم . أولئك الذين يحبهم الله .

لقد أخبرنا الحق ــ عز وجل ــ أنه يحب أصنافاً من الناس عُرفوا بصفاتهم ، فهو يحب المتقين ، والمحسنين ، والتوابين والمتطهرين ، والصابرين ، والصادقين ، والقانتين ؛ كما أنه لا يحب المعتدين ، ولا الظالمين ، ولا الكافرين ، ولا المسرفين ، ولا المفسدين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

وإذا أحب الله عبده أحبته الملائكة ؛ ثم وُضِعَت له ثمرات ذلك الحب فى الكون فأحبه أهل السماء والأرض ، مما يدل على أن حب الخلائق من حب الله ــ عز وجل .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ـ ﷺ ـ قال : «إذا أحب الله ـ تعالى ـ العبد نادى جبريل ، إن الله تعالى يحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل ، فينادى فى أهل السماء ؛ إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبُّوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض»(١) .

بل إن الحق ـ عز وجل ـ يحب من يحبه ، ويوفّق من يريد له التوفيق .

فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ بعث رجلًا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم ، فيختم بـ ﴿**قل هو الله أحد**﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال : سلوه ، لأى شىء يصنع ذلك ؟

فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، فأنا أحب أن أقرأ بها . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ أخبروه أن الله تعالى يحبُّه(٢) .

لقد أحب الله ـ عز وجل ـ أناساً يتميزون بسمات تعبر عن صدق فى النية ، وإخلاص فى القول ، وإحسان فى العمل ، وتمسك بمكارم الأخلاق ، وما حُبّنَا لهم إلا للمبادىء والقيم التى تمثلُّوا بها .

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أن رجلًا زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله ـ تعالى ـ على مدرجته (طريقه) ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربُها (تصلحها وتردها) عليه ، قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله تعالى .

قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه .(٣) .

وإذا كان الله ـ عز وجل ـ يحب الأخيار من عباده ويحفظهم برعايته ففى مقدمتهم رسله وأبناؤه يقول الله ـ عز وجل ـ عن نبيّه موسى ـ عليه السلام ـ: « **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ** »(٤) أى : أحببتك وزرعت فى القلوب محبتك ، بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك حتى أحبك ، يقول ابن عباس : (أحبه الله وحبَّبه إلى خلقه) ثم حفظته العين الإلهية فتربى مشمولًا بالحفظ والعناية .

وهو القائل لرسوله محمد ـ ﷺ ـ: « **وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** »(٥) اصبر على قضاء ربك وحكمه فيما حملك به من أعباء الرسالة ، فإنك بحفظنا وكلاءتنا نحرسك ونرعاك بالعناية الإلهية . أليس الحفظ والرعاية الإلهية ثمرة من ثمرات الحب الإلهى لرسله وأنبيائه ؟

إن حبنا لربنا ـ عز وجل ـ يعنى الإجلال والامتثال له ـ سبحانه ؛ لأنه الخالق ... بكلمة أوجدنا وأسدى علينا من نعمه مالايُعد ولا يُحصى .

ونحن نميل بالحب لمن يتصف بالرحمة والإحسان ، فماذا إذا كان الله هو الرحمن الرحيم ، المعطى الوهاب ، المنان ، الذى لا ينضب عطاؤه ولا ينتهى فضله ؟

ومحبتنا لله ـ عز وجل ـ تعنى : إيثاره على

---

(١) رياض الصالحين .

(٢) المرجع السابق .

(٣) رواه مسلم (باب فضل الحب فى الله تعالى) .

(٤) (سورة طه) الآية ٣٩ .

(٥) (سورة الطور) الآية ٤٨ .

ماسواه ، على أن يحملنا ذلك الحب على موافقة أمره والبعد عن محارمه ؛ فإن الطباع السليمة تهوى مافيه رشدها ، وتبعد عما فيه ضلالها .

يقول حاتم الأصم : (من ادَّعى حب الله من غير ورع عن محارمه فهو كذاب) فما أجدرنا أن يكون حبُّنا لله دائماً ، ويقيننا به قائماً ، وأن يكون ذلك الحب وهذا اليقين دافعاً للبذل والعطاء ابتغاء وجه الله

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[٧]

ولن يتم ذلك الحب ـ أيضاً ـ إلا بحب رسل الله وطاعتهم ، والتفانى فى سبيل المبادىء العظيمة التى أرسلوا بها وجاهدوا فى سبيل تحقيقها ، فلقد صرح القرآن الكريم بأن من يحب الله فعليه أن يتبع رسوله قولًا وفعلًا وعملًا وتقديراً

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفورٌ رحيم ﴾[٨] .

ويصور لنا القرآن الكريم والسنة المطهرة صورة من الألفة والأنس بين أمين الوحى ، ورسول الله ـ ﷺ ـ وقد انبثق ذلك التعبير من رسول الله ـ ﷺ ـ لجبريل عليه السلام شوقاً إلى الوحى وأمينه :

« يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت الآية الكريمة

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[٩]

ومن سمات التشريع الإسلامى حب الخير ، والإحساس بما يعانيه الآخرون إشفاقاً بهم ورحمة لهم ، ونشراً لمبادىء الحق والخير والسلام فيما بينهم وكأن السعادة الحقيقية فى نظر الإسلام هى إسعاد الآخرين ، وعلى المؤمنين بعد التشرف بالخشوع والخضوع ، وإفراد الحق بالعبوْدية ؛ يكون التزامهم بفعل الخيرات ، والبعد عن القبائح والمنكرات ، ليُفْلِحوا فى دنيا الناس ثم الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

أليست هذه دعوة الحب ؟

ونستطيع أن نقول : إنه مالم توجهنا التكاليف الشرعية النابعة من حب الله ورسوله والمؤمنين لتلك الثمرات الطيبة على أساس من التقوى والصلاح فإننا بذلك لم نحقق ما يصبو إليه الشرع الحنيف .

إن طريق الجنة هو الإيمان ، ولن يتحقق الإيمان إلا بالحب ، ولن يكون الحب إلا بإفشاء السلام ، فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولاتؤمنوا حتى تحابُّوا ، أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم » ؟

أفشوا السلام بينكم[١٠] .

ما أحوجنا فى تلك الظروف التى تحيط بأمتنا الإسلامية ووطننا العربى ـ أفراداً وعائلات ، ودولًا وحكومات إلى طرح الأحقاد ، ونبذ الخلافات ، ودفع مسيرة الحب ؛ ليعم الخير جميع الأرجاء ، فتفتَّح بركات الأرض والسماء .

---

(٦) الأحاديث القدسية للإمام المحدّث محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى .

(٧) سورة الإنسان (٨ ـ ٩) .

(٨) سورة آل عمران (٣١) .

(٩) سورة مريم الآية ٦٤ ونص الحديث فى كتاب رياض الصَّالحين .

(١٠) رواه مسلم .

الفتاوى

الإجابة من لجنة الفتوى

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

من/ ت. ح. ف :

ما حكم الشرع فى بيع الماشية والطيور بالميزان وهى حية لم تذبح .

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه لا مانع شرعاً من بيع الماشية وكذلك الطيور وهى حية بالميزان ولا شبهة فى ذلك والله تعالى أعلم .

السؤال من الأستاذ الطبيب م. ع. ن :

صلى الإمام بالمأمومين الصلاة الرباعية ـ فبدلا من أن يجلس للتشهد الثانى قام ليأتى بخامسة . فقال له المأموم « سبحان الله » فعرف أن هذه هى الركعة الخامسة فأتمها ثم سلم وسلم المأمومون قبل أن يسلم الإمام .

فما حكم صلاة الإمام وصلاة المأمومين ؟

الجــواب

إذا كان الإمام صلى الركعة الخامسة وهو يعرف أنها خامسة فصلاته باطلة وصلاة المأمومين أيضا باطلة .

وإذا كان يعتقد أنه يأتى بالركعة الرابعة وأن المأمومين مخطئون ؛ فصلاته صحيحة ويسجد للسهو بعد السلام وصلاة المأمومين باطلة ؛ لأنهم سلموا قبل الإمام ... والله تعالى أعلم .

السؤال من السيدة أمينة ف :

هل يجوز للمرأة التى مازالت تحيض أن تقوم بتغسيل النساء فى القرية وما الأفضل وكذلك بالنسبة للرجال . وما الحكم ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الأفضل فى غسل الميت أن يقوم بتغسيله أقاربه على أن يكون له دراية بالغسل ويكون طاهرا ليس عليه جنابة ، أما بالنسبة للنساء كذلك الأفضل أن تكون إحدى أقاربها وتكون لها دراية وتكون طاهرة وليس عليها جنابة ، فإن لم يوجد أحد من أقاربها فلا مانع من أن تقوم احدى السيدات بتغسيلها مع وجود الشروط المشار إليها أعلاه إلا إذا تعيَّنت على حائض فتقوم بتغسيلها للضرورة ، أما إذا تعينت على ذات جنابة فيجب أن تغتسل أولا ، ثم تقوم بغسل الميت ... والله أعلم .

من المهندس عادل . ب :

نتشرف بعرض الآتى :

سلعة ما من انتاج شركة قطاع عام تباع بسعر رسمى محدد هذه السلعة حرة وبيعها مكفول لجميع المواطنين نظراً لأن المعروض من هذه السلعة قليل جداً بالنسبة للمطلوب فالطلب عليها شديد جداً ولا يتوافر بيعها لجميع المواطنين لعدم كفاية الانتاج . عن طريق بعض الأصدقاء واتصالاتهم بالشركة استطيع الحصول على بعض الكميات منها بالسعر الرسمى المحدد . أقوم بعد ذلك ببيع هذه الكمية بسعر أعلى قليلا مستفيدا بفرق السعر علما بأن البيع يتم بناءا على طلب مُلّح ورغبة شديدة من الطالب مرتضيا الشراء بهذا السعر . فهل هذا الأمر حلال أم حرام أم به شبهة ؟ أفيدونا أفادكم الله ..

الجـواب

بناء على سؤال السائل فى السؤال المذكور بالورقة الواردة إلينا والخاص ببيع سلعة بأعلى سعر أكثر من سعرها المفروض فى السوق .

نفيد بأن السلعة إذا كانت طعاما للناس ومما يؤكل ويدخُل فى أقوات المسلـمين لا يجوز احتكارها أو بيعها بسعر أكثر من السعر الرسمى .

لقول رسول الله ﷺ « المحتكر ملعون » وعلى هذا فإذا كانت السلعة تدخل فى طعام المسلمين كالدقيق أو الزيت لا يجوز احتكارها أو جمعها من السوق وبيعها بسعر السوق السوداء ويكون حراما محتكرا .. والمحتكر ملعون . أما إذا كانت سلعة بعيدة عن الطعام أو الضروريات ومعروضة فى السوق بحيث يمكن شراؤها من أى مكان وعرضها هو وحدد لها سعراً أعلى لمن يرغب الشراء فهذا جائز والله أعلم .

السؤال من السيد م. ع :

١ ـ توفى رجل عن ثلاث بنات ، أولاد أخ شقيق ذكور وإناث .

٢ ـ هل يجوز بيع قطعة أرض موقوفة وقفاً خيرياً وتوزيع ثمنها على الفقراء وما الحكم ؟

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن الأول بأن للبنات الثلاث الثلثين فرضاً لعـدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ولاشيء للإناث من أولاد الأخ لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

وعن الثانى بأنه لا يجوز بيع القطعة الموقوفة وقفاً خيرياً وتوزيع ثمنها على الفقراء وإنما لا مانع من بيع هذا الوقف لصالح الوقف نفسه بمعنى إذا بيع هذا الوقف لأن ريعه ضعيف فيجوز استبداله بقطعة أخرى تدر ريعاً كبيراً لصالح الفقراء والله تعالى أعلم .

من أعلام الأزهر

الشيخ مصطفى القاياتى

إعداد الأستاذ / رجب محمد على فضلون

عالم جليل ومناضل كبير نما علمه بين جدران الأزهر وأعمدته واستطارت شجاعته واشتعل نشاطه وحبه لوطنه إبان ثورة هذا الوطن على الانجليز ، وذلك بفضل قوة إيمانه بدينه وحق وطنه ، كان من أبرز رجال ثورة سنة ١٩١٩ ، تتجلى فيه روح الحرية التى تناضل ولا تفرق بين عناصر الأمة التى يريد الأعداء دائماً النيل منها .

مولده :

ولد الشيخ مصطفى أحمد عبد الجواد القاياتى سنة ١٨٧٤ (بقرية القايات) التابعة لـ(مركز العدوة) (محافظة المنيا) ، فى أسرة عريقة ينتهى نسبها إلى الصحابى الجليل أبى هريرة ـ رضى الله عنه ، ومن هذه الأسرة ظهر قاضى القضاة شمس الدين بن يعقوب العلامة النحوى ـ وينسب للقايات ـ أيضاً ـ عبد اللطيف بن حسين أبى السقاء المدفون بقلعة الكبش التى تقع بالقاهرة بالقرب من (جامع ابن طولون) وقيل : إن القلعة شيدها الفراعنة على ارتفاع صخرى ، ويؤكد المقريزى هذا ويسميها مناظر الكبش وأحياها مرة أخرى الملك الصالح نجم الدين أيوب وربما كان لهذه القلعة دور هام فى وجدان الشيخ مصطفى القاياتى .

هذا وقرية القايات التى ولد فيها الشيخ الجليل سميت بهذا الاسم لأنها تنسب إلى (القياتية) وهى جماعة لها طريقة صوفية تسمى أيضاً (الطريقة

الخلوتية) والقايات من القرى القديمة من أعمال (البهنسا) وعائلة القاياتى أو القياتية لها دور كبير فى الناحية الدينية لا ينكرها إلا جاحد أو حاقد ، ثم شاركت فى النضال من أجل مصر وقد ذكر لى فضيلة الشيخ كامل القاياتى عضو مجلس الشورى أن ذلك كان من منطلق طيب وهو الدافع الدينى وحب الناس لبيت القاياتى .

● نشأ الشيخ نشأة دينية متأثراً بآبائه وأجداده بالقرية ثم اتجه إلى التعليم بالأزهر الشريف وأصبح من رجاله المخلصين وعلمائه الأجلاء ، وحقق أمنية والده الذى كان يود أن يكون ولداه مصطفى وإبراهيم من علماء الأزهر .

●الشيخ مصطفى القاياتى أديب وشاعر : ظهرت مواهبه الأدبية فى الخطب الخاصة بثورة سنة ١٩١٩ والمنشورات المكتوبة والبيانات الخاصة بالثورة ، أما فى الشعر فله مواقف عديدة اتسع بيانه الشعرى فيها .

● الشيخ القاياتى وثورة سنة ١٩١٩ :

استمر عطاء الشيخ الجليل خادماً لعلوم الدين المضيئة ، ثم اشتعلت حميته لدينه ووطنه عندما نفى الانجليز سعد زغلول إلى (جزيرة مالطة) فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ ، عندئذ قام الشيخ الجليل بإلقاء الخطب التى ألهبت حماس الجماهير فى كل مكان ، وقد كان لهذه الخطب الدور البارز فى زيادة إذكاء المشاعر الوطنية ، وتحولت دار الشيخ (بالسكرية) إلى منتدى يجمع قادة الثورة فيناقشوا شئونها ويحددوا أهدافها ويصدروا القرارات اللازمة لتنفيذها .

●وقد ذكر راغب اسكندر : أن ابــراهيم عبدالهادى (باشا) كان يساعد الشيخ القاياتى فى إلهاب حماس الجماهير ، وقد كان يخطب من فوق المنابر مع الشيخ الجليل .

قال راغب إسكندر : اعتقلونـــا [يقصد الإنجليز] فى (قشلاق) قصر النيل وكان من بين المعتقلين الشيخ القاياتى ومن الطريف أنهم اعتقلوا معنا (الدكتور أحمد ماهر) ـ و (النقراشى) .

● عندما نفى سعد زغلول باشا إلى «مالطة» ، تولى الشيخ كتابة المنشورات وشارك بصورة فعالة فى أعمال المقاومة ، دون أن يبالى بما يكمن ـ فى ذاتها ـ من خطر تلك المقاومة التى كان يعتبر الشيخ والدكتور أحمد ماهر والنقراشى من أعمدتها الرصينة .

● ألقى القبض على الشيخ أثناء الثورة ونفى إلى (رفح) ولم يكد يفرج عنه فى آخر مايو سنة ١٩١٩ حتى صدر الأمر مرة أخرى باعتقاله وترحيله إلى نفس المدينة فى نوفمبر سنة ١٩١٩ عندما رفض الإذعان لأوامر (اللورد اللنبى) بالإخلاد إلى الهدوء والسكينة ، واستقبل فى رفح من جانب زملائه ، وأقاموا له حفل استقبال آخر سمعوا فيه أناشيد الثورة والحرية ، وكانوا يقضون وقتهم فى الصيام وقراءة القرآن والكتب الأدبية .

● وعاد سعد من المنفى معززاً مكرماً من جانب شعبه الذى أرغم الانجليز على اتخاذ قرار إلغاء النفى وضاق الانجليز به مرة أخرى فنفوه إلى (سيشل) فى مارس سنة ١٩٢٢ وألقى القبض على الشيخ القاياتى مع زملائه وأودع ثكنات قصر النيل ثم أفرج عنه بعد ذلك .

●إعتقل الشيخ الجليل مع عبد الرحمن فهمى وفخرى عبدالنور ، ومحمد نجيب الغرابلى ، ومحمود النقراشى ، ونجيب اسكندر ، ومحجوب

ثابت ، وعبدالستار الباسل ، وتم ذلك بعد عودة سعد من (سيشل) ووضع دستور سنة ١٩٢٣ تحت سمع وبصر عبد الخالق ثروت الذى كان يشرف على لجنة الدستور .

● بعد صدور دستور سنة ١٩٢٣ أُجريت انتخابات سنة ١٩٢٤ وكان الشيخ مصطفى القاياتى من بين الفائزين ويعتبر أول برلمانى من أسرة القاياتى (كما ذكر لى الشيخ كامل القاياتى) .

● كرم الله الشيخ الجليل فاختير سنة ١٩٢٦ عميداً لكلية الآداب جامعة القاهرة .

● وظل الشيخ البطل يناضل ويكافح لايهاب الصعاب ولا يلتفت للمؤامرات ، يخدم دينه ووطنه فى حب لله ، ثم كان للناس خير قدوة لخير شعب ، وظل الشيخ القاياتى دائم العطاء حتى رحل إلى الرفيق الأعلى سنة ١٩٢٧ وشيع فى جنازة مهيبة .

رحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جناته .

المراجع :

١ ـ أضواء على تاريخ المنيا للأستاذ على بيومى .
٢ ـ دراسات فى ثورة سنة ١٩١٩ للدكتور حسين مؤنس .
٣ ـ حوار آخر ساعة مع نجيب اسكندر ..
٤ ـ جريدة الجمهورية يوم ١٩٩٢/٣/١٠ .
٥ ـ لقاء بينى وبين الشيخ كامل القاياتى .
٦ ـ القاهرة قصص وحكايات تأليف عبد المنعم شميس .
٧ ـ مجلة الأزهر العدد الصادر صفر ١٤٠٥ نوفمبر ١٩٨٤ مقال الشيخ حسن القاياتى .

إستدراك

فى العدد الماضى (صفر ١٤١٤) وفى صفحة ٢٧٨ سقط سهوا السطر الرابع من مقال « أحكام العدد وتمييزه من القرآن الكريم » نورده فيما يلى بين علامتى تنصيص داخل السياق :

وهى ، أى لغتنا العربية ، ترفل فى خيلائها ، عاليها ثياب سندس خضر من « نحوها الفريد المثير ، الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من علاقات الكلمات إلا » تتبعها واستقصاها .

وفى صفحة ٢٨٢ سقطت من الشاهد القرآنى الثانى فى العمود الأيمن الآية ٣٠ من سورة المدثر : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ما تمنيت الإمارة إلا فى هذه المرة

حين طال بالمسلمين الانتظار فى فتح حصون «خيبر» قال النبى - ﷺ - : (لأعطين الراية غداً لرجل يحبه الله ورسولُه ، ويحب اللهَ ورسولَه لا يولى الدبر يفتح الله على يديه) .

قال سيدنا عمر -رضى الله عنه- فى بعض الروايات ما تمنيت الإمارة إلا فى هذه المرة ، ولكن النبى -ﷺ- استدعى على بن أبى طالب ، فوجد بعينيه رمدا ، فتفل - ﷺ - فى عينيه ، ودعا له فبرأ كأن لم يكن بها وجع ؛ وأعطاه الراية وألبسه درعه ودفع إليه سيفه ، ثم قال : «اللهم اكفه الحَرَّ والبَرْدَ ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير من حمر النعم» ، وقاتل على -رضى الله عنه- حتى كان الفتح على يديه ، وغنم المسلمون كل ما فى الحصون من أموال .

أصعب شىء .. وأسهله

سئل حكيم عن أصعب شىء ؟

فقال : أن يعرف الإنسان نفسه .

وعن أسهل شىء فقال : أن ينصح غيره .

ثلاثة تورث ثلاثة

النشاط يورث الغنى .

والكسل يورث الفقر .

والشراهة تورث المرض .

القناعـة

عزيز النـفس من لزم القناعة
ولم يكشف لمخلـوق قِناعَــه

نفضت يدى من طمعى وحرصى
وقلت لفاقتى: سمعاً وطاعة

محاسن الرجال

قال الحسن ـ رضى الله عنه ـ اما أحسن الرجل ناطقا عالما ، ومستمعا واعيا ؛ وداعيا عاملا .

قيـــل

● لو لم يتوعد الله على معصيته ، لكان يجب أن لا يعصى شكراً لنعمه .

● لعن الله الآمرين بالمعروف ، التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به .

● الصبر يناضل الحدثان ، والجزع من أعوان الزمان .

● كل وعاء يضيق بما فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع .

● إذا لم تكن حليماً فَتَحَلَّم ، فإنه قلَّ من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم .

لجوج ، حقود ، حسود

قال عبد الملك للحجاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه ، فَعِبْ نفسك .

قال : اعفنى يا أمير المؤمنين .

قال : لتفعلن .

قال : أنا لجوج ، حقود ، حسود .

قال عبد الملك : مافى الشيطـــان شر مما ذكرت .

لكنت أخطب الناس !!

صعد «ثابت قطنة» منبر «سجستان» ، فقال : الحمد لله ، ثم ارتج عليه فنزل وهو يقول :

فإن لا أكن فيهم خطيباً فإننى
بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

فقيل له : لو قلتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس .

اختيار المصيبة

قيل : لو وضعت مصائب الناس كلها فى كَوْمة واحدة ، وأبيح لكل واحد أن يختار منها ما شاء ، لاختار كلُ مصيبته .

يريد : لاختار كل إنسان المصيبة التى صار يشكو منها عندما وقعت له ... وفى هذا دليل على رحمة الله ــ تعالى ــ إذ أصابه بما يستطيع احتماله . والله أعلم .

« دعـــاء »

اللهم اغفر لى ذنبى كله : دِقَّه وجِلَّهُ ، وأوله وآخره ، وعلانيته وسره .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

إشاعات السوء
موقف الإسلام منها

حديث لفضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن تاج
شيخ الأزهر رحمه الله

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

الشموخ والأصالة والعزة ، ستظل سمات بارزة للأزهر الشريف متمثلة فى شيوخه العظام .

فالأزهر ـ على مر العصور ـ له دور معروف ومنهج مختار وطريق لايحيد عنها ، ورسالة يعيش لها ، ومن أجلها . انطلاقاً من قوله تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل : ١٢٥)

لاتعوقه الأقاويل ، ولاتثنيه الانفعالات ، ولا تشغله الشائعات ، وهى سمات تأسست فى الماضى ودعمت فى الحاضر بشىء من التأصيل والتوضيح ..

قال فضيلته رحمه الله ..

نشرت جريدة (الأهرام) فى صباح الإثنين ١٢ المحرم (٢١ سبتمبر) ما يلى :

ثلاث إشاعات تعاقبت على أسماعنا ونحن فى الصلاة ، بين يدى الله ، نؤدى فريضة المغرب ، أمس ، قالت واحدة منها مالا يدخل ـ ولا يمكن أن يدخل ـ نطاق التصور ، وجاءت الثانية فكادت تخرجنا ـ لولا إثارة من الإيمان الصحيح ـ عن نطاق العقل . ثم جاءت الثالثة فكانت ضغثاً على إبالة ، كما تقول أمثال العرب ، وأشهد أن الإناء قد فاض بهذه الإشاعة ولم يعد فى قوس الصبر منزع ، فتوجهت إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وكنا نأتم به فى الصلاة ، وقلت لفضيلته : ألا ترون فضيلتكم أن إشاعات السوء فى هذه المرحلة التاريخية من حياتنا قد تلاحقت وتتابعت وأخذت تتآزر وتتساند حتى خيف على دعوة الحق ، فما هو حكم الشريعة السمحة فى هذا البلاء الوافد ، وفى هذه الفتنة المشتعلة التى تريد أن تقضى على الحرث والنسل ؟

والحق أن الأستاذ الأكبر قد بدا عليه الألم المرير ، والحزن الموجع الممض ، فاعتدل فى جلسته وتحدث إلينا فى انطلاق ، ووضوح ، وأبان عن كثير من الأحكام الخافية علينا ، فى موقف الفتنة من دعاة الحق والسلام :

إشاعات السوء عن شئون الأمة وسير أعمالها ، وأهداف إصلاحاتها ، ومقاصد رجالها لا تقل ضرراً فى كيان الأمة وسلامة الوطن عن التجسس للعدو على دخائلها ، ومواطن قوتها وضعفها . فكل ذلك خدمة للعدو ، وموالاة له وقد خاطب الله المسلمين بقوله ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ .

بل إن موالاة العدو ـ فى حال عدوانه ـ وترويج ما ينفعه فى مضرة الإسلام وأهله تخرج الموالين له عن تبعيتهم لأمتهم وتلحقهم بأمة عدوهم . وفى ذلك يقول الله عز وجل ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ .

ترويج إشاعات السوء :

« ومن أشد ما يوالى به المنافقون من يكيد للأمة من أعدائها ترويج إشاعات السوء والإصغاء إليها ، وقد ورد فى ذلك قول الله عز وجل :

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴾[1] » .

« وكان مما كانوا يرجفون به ما ذكره الله عنهم فى قوله عز وجل :

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[2] » .

« ولهؤلاء المنافقين خلفاء فى كل عصر من عصور الإسلام وفى كل وطن من أوطانه ، يخذلون الناس عن أئمتهم وولاة أمرهم ، ويشيعون السوء عن برامجهم وخططهم ، وهذا

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٦٠ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ١٢ .

مرض فى القلوب كما وصفه الله عز وجل ، وعلى من يصاب بهذا المرض أن يعالج نفسه قبل أن يعالج بأحكام الله » .

وفى هؤلاء أيضاً ورد قول الله سبحانه :

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾

أى أفشوه حيث لا يكون من المصلحة العامة إذاعته وإفشاؤه . وقد يكون مايذيعونه كذباً ومضراً بالمصلحة ، فيكون ذلك من الإثم المزدوج الذى طهر الله قلوب المؤمنين منه » .

« واللائق بالمسلمين إذا سمعوا قالة السوء أن يكونوا كما أراد الله للمسلمين فى قوله عز وجل :

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾(٣)

إلى أن قال سبحانه :

﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾

ولما عاد المسلمون من غزوة أحد كان فيهم من اختلفوا فى الحكم على المنافقين والمرجفين فقال فريق للنبى ﷺ « اقتلهم » ، وقال فريق « لا تقتلهم » فنزل فى ذلك قول الله عز وجل :

﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾(٤)

وفى ذلك ورد الحديث النبوى « إنها طيبة (أى المدنية) تنفى خبثها كما تنفى النار خبث الحديد » وفى رواية « خبث الفضة » .

وأول فتنة فى الإسلام ، وهى الجرأة على خليفة رسول الله وصهره سيدنا عثمان ، كان منشؤها إشاعات السوء الكاذبة ، وتضليل البسطاء وضعاف الأحلام ، فجر ذلك على الأمة من الضرر مالم تتوصل إلى مثله الدول المعادية بما لديها من جحافل وقوات حربية .

وفى الليلة الأخيرة قبل نشوب حرب الجمل توصل أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ من الفريقين إلى التفاهم على ما يرضى الله عز وجل من إقامة الحدود الشرعية على من يثبت عليه أن له يداً فى مصرع أمير المؤمنين عثمان ، وبات أبناء كل فريق فى معسكر الفريق الآخر بأنعم ليلة وأسعدها وأرضاها لله ، فما كان من قتلة عثمان ومن يتبعهم من قبائلهم إلا أن أنشبوا القتال فى الصباح الباكر ، وأشاعوا فى كل معسكر من المعسكرين بأن المعسكر الثانى هو المهاجم له على خلاف ما اتفقوا عليه بالأمس ، وبذلك كانت الإشاعات بين الطرفين أفتك بهما وأضر على الإسلام من أسلحة البغاة الفاتكة .

---

(٣) سورة النور : آية ١٢ .

(٤) سورة النساء : آية ٨٨ .

أيها المسلمون :

إن إشاعات السوء سلاح العدو ، والذى يصغى إليها يمكن العدو من الفتك بالأمة والوطن ، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، فاعملوا فى ذلك بهداية الله عز وجل وإرشاد حين يقول :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وعلى ولاة الأمر أن يتصرفوا فيمن يثبت عليهم ذلك وفقاً لحكم الله تعالى حين يقول لنبيه :

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴾ .

إن الأمة تجتاز اليوم مرحلة من أدق مراحلها فى تاريخ نضالها العنيف ، هى مرحلة تقرير المصير . وهذه المرحلة ـ بما لها من الخطر والأثر فى مستقبل الأمة وحاضرها تقتضى منا أن نتيقظ لكل ما يراد بنا ، سواء من العدو الغاصب أو من أعوانه . وأن نحذر دعاة الفتنة والذين يعملون على إشاعتها بين طبقات الأمة . ولنعلم أن هؤلاء وأولئك يستهدفون غرضاً واحداً ، ويعملون لغاية واحدة ، هى : تمزيق الشمل وتشتيت الجمع ، وتفريق الكلمة ، وإشاعة الكراهية بين الحاكم والمحكوم ، وإلقاء العداوة بين المؤتمين والمأموم .

وهم بهذا يعملون للفتنة ومن أجلها . فإذا ما تحققت غايتهم ، فإن الفتنة لا تصيبهم وحدهم ولا تصيب طائفة دون أخرى ، وإنما هى تصيب الأمة بأسرها . وقد حذرنا الله تعالى منهم ومن فتنتهم ، فقال جل شأنه :

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

واتقاء الفتنة يكون بدفعها وادحاضها . وإنزال العقوبة الرادعة على كل من يثبت عليه أنه كان سبباً فيها ، أو فى عنصر من عناصرها . ويرى علماء الشافعية أن تكون العقوبة هى (الإعدام) لكل من يثبت عليه أنه أحدث بين المسلمين فتنة . وأما علماء المالكية فإنهم يتركون الحد على هذه الجريمة لاجتهاد الإمـــام ، أى الحاكم ، ومن هنا نرى أنه لا سبيل إلى الهوادة أو المهادنة فى إقامة الحد على هذه الجريمة النكراء ، جريمة إحداث الفتنة بين الصفوف مناصرة لعدو البلاد الأكبر ، وهو المستعمر الغاصب .

فلنتق الله فى أمتنا ووطننا ، وتقوى الله تدفع كل شىء ، وتحول دون أى مكروه ، والله يوفقنا ويسدد خطانا إلى مافيه النجاح والرشاد .

وإلى هنا كان الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية ، وأصاب المحز . فأماط اللثام عن حكم الله فى مثل هذه الطامة الكبرى ، فشكـــرت لفضيلته ، واستأذنت فى نشره ، فنفضل وأذن .

المجلد الخامس والعشرون

العلوم الكونية

الهندسة الوراثية والأخلاق

عرض وتحليل م . د . أحمد فؤاد باشا

بينما كانت البشرية ـ ولاتزال ـ غارقة فى الدهشة والخوف مما آلت إليه نتائج التطبيقات الحمقاء لتقنية التلقيح الصناعى ورواج تجارة طفل الأنابيب ، ظهرت «الهندسة الوراثية» Genetic Engineering فى أوائل سبعينات هذا القرن كمحصلة طبيعية لثورة علمية وتقنية عارمة ترتكز على تطويع مادة الحياة المعروفة باسم «المورِّثات» (أو الجينات) ، وتلعب فيها علوم الوراثة الدور الرئيسى لآثارها التطبيقية فى مجالات عديدة تشمل الطب والصيدلة والزراعة والأمن الغذائى وغير ذلك .

يواصل كتاب «الهندسة الوراثية والأخلاق»[1] إلقاء الضوء على هذه التقنية الحيوية الجديدة من حيث إيجابياتها وسلبياتها والمراحل الأساسية لتطورها ، ويوضح مجموعة التجارب العلمية التى ظهرت حديثاً فى هذا المجال مثل التحكم بالجينات Genetic

(١) ناهدة البقصمى ، الهندسة الوراثية والأخلاق ، تقديم د. مختار الظواهرى ، سلسلة عالم المعرفة (رقم ١٧٤) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ذو الحجة ١٤١٣ هـ يونيو ـ حزيران ١٩٩٣ م .

Manipulation والاستنساخ الحيوى Cloning ، وإعادة تركيب جزىء الحياة المسمّى د. ن. أ Recombinant D. N. A, والذى يحمل الصفات الوراثية للإنسان .

وتعتمد هذه التجارب على اكتشاف علمى هام يقضى باعتبار جزىء (د. ن. أ) مكوَّنا من شريطين متكاملين من السكر والفوسفات والقواعد الآزوتية ، ويأخذ هذان الشريطان شكلا سلمياً حلوزنيا يسمح بالتقائهما فى نقاط معينة ، ويحمل كل شريط المعلومات الكاملة اللازمة للتحكم فى بناء «البروتينات» اللازمة لتوجيه العمليات الحيوية التى يؤدى مجموع تفاعلاتها فى النهاية إلى تكوين الكائن الحىّ . فإذا لم يتكون البروتين لسبب ما وفقا للتصميمات الهندسية التى يحددها الجمض النووى د. ن. أ. ، فإن الكائن الحىّ يصاب بمرض بسيط أو خطير . وعندما تنقسم الخليَّة ينفصل السلّمان ، ويجذب كل واحد منهما العناصر الكيميائية للقواعد الأزوتية (النيتروجينية) المتممة له ، فنحصل من جديد على البينة إلسلّمية الحلزونية المزدوجة . وبهذه الطريقة تحتفظ الخلية الجديدة بالرموز الوراثية الموجودة فى الخلية الأم .

وهكذا جاءت تقنية الهندسة الوراثية كمحصلة لاكتشافين هامين هما : اكتشاف أسرار المادة الوراثية أى : (د. ن. أ) ، واكتشاف «أنزيمات التحديد» Restriction Enzyme التى تقوم بقصّ جزىء الحمض النووى د. ن. أ فى مواقع محددة . وبذلك استطاع علماء الوراثة أن يتعرفوا على الشفرة الوراثية ويفكّوا رموزها فى كل موّرثة (جينة) ، وأن يقوموا بتحضيرها معمليا ، أو الحصول عليها من استخلاص د. ن. أ. من أى كائن حىّ أو حتى من «الفيروسات» ، ثم يقوموا بعمليات الجراحة الوراثية لاعادة ترتيبها فى مورِّثات (جينات) تماثل مورثات الإنسان[٢] .

وقد قدَّمت الهندسة الوراثية خدمات جليلة للإنسان فى مجالات عديدة . ففى مجال الطب أعطت آمالاً كبيرة فى إمكانية الشفاء من كثير من الأمراض الوراثية ، وأخطرها السرطان والايدز ، سواء باسخدامها فى التشخيص أو العلاج أو الوقاية كما تمكن العلماء من تحويل «بكتيريا» خاصة إلى نوع من الكيماويات القابلة للغزْل على هيئة ألياف يمكن استخدامها فى صناعة الأنسجة وخيوط الجراحة .

وفى مجال الصيدلة وصناعة الدواء ، أصبحت منتجات الهندسة الوراثية من لقاحات وأمصال متوفرة فى الأسواق وفى متناول المرضى . فقد أمكن ، على سبيل المثال ، تحضير أجزاء من البرنامج الوراثى لهرمون «الأنسولين» الآدمى لعلاج مرضى السكر ، بعد أن كانت تؤخذ من الحيوانات . كذلك أمكن تصنيع «أنزيم» اسمه

(٢) المقصود بالشفرة الوراثية هو تتابع القواعد الأزوتية (النيتروجينية) الأربع التى وهبها الله للحياة ، وهى الأدينين ، والجوانين ، والسيتوزين ، والثايمين ، فى كلمات وجمل تقوم بتخزين المعلومات الوراثية فى لوح محفوظ مسئول عن حياة الكائن الحىّ من الإنبات حتى الممات ، وهى المورثات(الجينات) .

«يوروكينيز» Uro Kinase لإذابة كل أنواع الجلطات التى يمكن أن تصيب الإنسان فى الشرايين أو المخ أو الرئة .

وهناك المنتجات الصناعية عن طريق الهندسة الوراثية ، مثل المطاط والبلاستيك ، والألياف ، والمبيدات الحشرية ، ومنظمات النمو ، والأسمدة والمذيبات العضوية والمنظمات البيولوجية وغيرها . كما أمكن انتاج نباتات تنمو فى المناطق الجافة أو المالحة أو تحت الثلوج ، ونباتات تستطيع تثبيت «النتروجين» الجوى وتستغنى عن التسميد . وأمكن «برمجة» سلالات من البكتريا تقوم بتخليص البيئة من الملوثات . كذلك استطاع العلماء عن طريق تربية بكتريا خاصة على غذاء من النشادر والهواء ونوع من الكحول ، صناعة طعام من البروتين يستخدم كبديل لمسحوق الصويا فى تغذية الماشية والدواجن .

لكن الأمر لم يعد مقتصراً على استخدام البكتريا كمصانع لانتاج العديد من المواد ، بل تعداه إلى استخدام هذه التقنية لنقل المورثات إلى النبات والحيوان والإنسان ، مما أثار مخاوف العلماء أنفسهم ، قبل أن يثير مخاوف المجتمع البشرى ككل . ذلك أن الإنسان أصبح الآن يمتلك - لأول مرة فى التاريخ - الوسيلة لأن يطوّع المخزون الوراثى الكامن فى جميع المخلوقات الحية بما يرضى طموحاته ، وبات يحلم باستخدام ما يسمى «جراحة المورثات» Gene Surgery لتبديل الإمكانات الوراثية للكائن الحىّ ، إما باستحداث صفات مرغوبة ، كالذكاء والنبوغ والمواهب والملكات الفائقة ، أو بإضافة خاصية لم تكن موجودة من قبل عن طريق التحكم فى الجهاز الوراثى .

وهكذا بدأت الهندسة الوراثية تأخذ منحى آخر ينذر بأسوأ العواقب ويتيح للحمقى أن يعبثوا فى أهم خصوصيات الإنسان وهى شفرته الوراثية . وسيطرت موجة من التشاؤم من إمكان حدوث مخاطر من تطبيقات الهندسة الوراثية كاستحداث كائنات حية مدمِّرة ، أو الإخلال الشديد بالأنظمة الطبيعية ، أو الفوضى فى مجريات التطور الطبيعى للأحياء . وزاد من هذا الإحساس العام بالتشاؤم تلك الأنباء التى تناقلتها وسائل الاعلام عن انتاج مخلوقات «معدَّلة» ، مثل «العنزوف» الذى نُشرت صورته لأول مرة فى عام ١٩٨٣ م على غلاف مجلة «نيتشر» Nature الأسبوعية وهو حيوان يجمع بين جنس العنز وجنس الخروف .

وبلغت حيرة المجتمع البشرى مداها حين كشف علماء الوراثة - حديثا - عن بعض طموحاتهم فى التوصل إلى نوع من الاستنساخ الحيوى للإنسان Cloning بهدف التوصل فى المستقبل إلى تحديد سلوك الجنين قبل أن يتم الحمل ، عن طريق إبعاد أو إضافة المورِّثات (الجينات)التى تحمل استعداداً لصفات وراثية مرغوب فيها ، مثل القوة الجسمانية ، أو غير مرغوب فيها ، كالسلوك العدوانى . وكانت فكرة «الاستنساخ الحيوى» مقتبسة فى الأصل مما يحدث فى الواقع لبعض الكائنات الحية التى تستطيع تحت ظروف معينة أن تتحول من التكاثر الجنسى إلى التكاثر الجسدى ، مثل الكائن البدائى المعروف باسم «الهيدرا» Hydra . هذا الكائن الذى يعيش

عادة فى المياة العذبة له قدرة على أن يتحول إلى كائن كامل النمو إذا ما تعرض للإنقسام لأى سبب من الأسباب . وهناك ـ أيضا ـ التكاثر الخضرى فى كثير من النباتات والذى ينتج عنه استنساخ لنفس النبات الأم .

وقد حققت تقنية زراعة الأنسجة Tissue Culture نجاحاً ملاحظاً فى عالم النبات . لكن الأمر يختلف كثيراً بالنسبة لعالم الحيوان ، وإن كانت بعض البحوث التى أجراها علماء جامعة أكسفورد بانجلترا أسفرت عن إنتاج ضفادع كاملة التكوين عن طريق الخلايا الجسدية . وبالطبع لم تنجح هذه التجربة إلا بنسبة ١,٦٪ ، ولاشك أن نسبة النجاح مع الحيوانات الأرقى مثل الفئران والقطط والقرود ستكون أضأل من ذلك بكثير ، وربما لا يتحقق فيها النجاح على الإطلاق[٣] . ولكن الباحثين يأملون أن يصلوا فى المستقبل إلى تحقيق ذلك ، ليس فقط بالنسبة للحيوان ولكن أيضا بالنسبة للإنسان ، بحيث يستطيعون أن ينسخوا نسخاً جديدة من الأشخاص المرغوب فيهم وشعارهم لهذه الفكرة «إعادة أينشتين إلى الحياة !!» ويسرح الخيال بهؤلاء بعيداً إلى الحد الذى يتطلعون فيه إلى استنساخ ، ليس فقط كائنات حية موجودة ، بل أيضا كائنات منقرضة (كالديناصور ، وذلك عن طريق أخذ الحمض النووى د. ن. أ. من نخاع ذلك الحيوان المنقرض .

وهكذا أصبحت الهندسة الوراثية فى أحد جوانبها اللاأخلاقية تعنى انتاج نسخ طبق الأصل من البشر ، مما يلغى واحد من أهم الخصائص التى خص اللهُ الخالقُ ـ سبحانه وتعالى ـ بها المادة الوراثية ، وهى القدرة على إحداث التباين بين الأفراد ليصبح كل فرد متفردا بين كافة البشر ، وإلا لما كان للحياة معنى . ولنا أن نتخيل كيف يكون شكل الحياة لو أن الله قد خلق كل البشر نسخاً طبق الأصل من بعضهم . وقد حدت هذه المحاذير بالأنظمة التشريعية فى العديد من البلدان إلى أن تسنّ القوانين التى تحد وتنظم القيام بأبحاث الهندسة الوراثية ، وبذلك تهدىء من روع البشرية ورعبها . لكن بعض الباحثين من ناحية أخرى ، يعتبرون مثل هذه التشريعات تدخلا فى بحوثهم وتقنيداً لحرياتهم وطموحاتهم العلمية ، ويأمل المعتدلون منهم ألا تقيد هذه القوانين أعمالهم أكثر مما يجب ، فهم يحاولون أن يقنعوا الجميع بأهمية تجاربهم لحل مشاكل البشرية : الطبية والزراعية والغذائية وغيرها .

وإزاء كل هذه المواقف المتباينة من تقنية الهندسة الوراثية ومشكلاتها التى وضعت الإنسان أمام معضلات أخلاقية وقانونية ودينية يحاول الفصل الثالث من الكتاب الذى بين أيدينا أن يربط بين مختلف التساؤلات المطروحة فى هذا المجال وبين موقف الإنسان الأخلاقى من مفاهيم مثل : الضمير ، والمسئولية ، والوجود الإنسانى ، وقدسية الحياة ، وكرامة الإنسان ، وغيرها . ذلك أن الهندسة الوراثية فى جانبها اللاأخلاقى تجعل

---

(٣) لمزيد من التفصيل راجع :
د. عبدالمحسن صالح ، التنبؤ العلمى ومستقبل الإنسان ، سلسلة عالم المعرفة (رقم ٤٨) . المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، صفر ـ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ ـ ديسمبر ١٩٨١ م .

الإنسان مجرد ظاهرة كونية كغيره من الظواهر المادية ، أو مجرد مجموعة من العناصر الكيميائية أو الرموز الوراثية يمكن عن طريق اكتشافها معرفة تكوينه الوراثى ، ومن ثم السيطرة عليه وهذا يعنى أن قدسية حياته وأسرارها أصبحت عرضة لأن تنتهك ، وأن الفوائد التى ستجنيها البشرية من البحث فى هذا المجال لاتكفى لتبرير استمراره .

ويعرض الكتاب فى البابين الرابع والخامس لمناقشة عدد من القضايا الهامة المتعلقة بتقنيات الإخصاب الصناعى والهندسة الوراثية والاستنساخ الحيوى ، موضحاً موقف الدين والفلسفة ، كل على حدة ، من هذه القضايا ، فبالنسبة لموقف الدين الإسلامى ذكر الكتاب أن الأطباء المسلمين والفقهاء معاً تنبهوا لأهمية هذه القضايا ، وأطلقوا لخيالهم وتصوراتهم العنان وفرضوا الفرضيات لتساعدهم على إيجاد الإجابات والحلول الشرعية لما هو متوقع فى المستقبل ، وإن كانوا قد ركزوا على موضوع أطفال الأنابيب مع عدم إهمالهم للموضوعات الأخرى ، على أساس أن هذا الموضوع واقع بالفعل ونمارسه عملياً ، خصوصاً أن الدول الإسلامية بدأت بفتح مراكز خاصة بأطفال الأنابيب والإخصاب الصناعى ، أما الهندسة الوراثية والاستنساخ فقد تم مناقشتهما فى المؤتمرات المختلفة على أساس أن خطورة أحدهما لم تتضح والآخر مجرد نظرية لم تطبق بعد[٤] .

ويحاول الكتاب أن يضع الموقف الإسلامى على النحو الذى عرضه فى مقارنة مع موقف الدين النصرانى وموقف الفلسفة ، ربما لتشابه المواقف الثلاثة فى إطارها العام من حيث رفضها لأى تطبيقات لاأخلاقية للعلوم والتقنيات بعامة ، وللأبحاث الوراثية بصورة خاصة ، ومن حيث أن الهدف الذى يسعى إليه الجميع هو خير البشرية ورفاهيتها . ويخلص فى النهاية إلى أن المجتمع البشرى بأسره بحاجة إلى أخلاق تتفق مع عصر «التكنولوجيا» ، فلا يمكن أن نترك أدواتنا التى صنعناها بأيدينا تستخدم للتلاعب بالحياة والتحكم فيها . وقد يقول البعض ان التطورات التى يحلم بها العلماء مازالت بعيدة جدا ، ولذلك فإننا لاشك سنتغير حين نصل إلى ذلك الزمن الذى يتحدث عنه العلماء قد يكون هذا صحيحاً ، ولكن الأصح أن نؤسس للعلم أخلاقاً وأن نحمِّل العلماء مسئولية أخلاقية دون أن نغلق أبواب الطموحات العلمية والتقنية النافعة .

---

(٤) اعتمدت الباحثة فى بيان موقف الإسلام من هذه الموضوعات على أعمال المؤتمرات الآتية :

ـ مؤتمر «الإنجاب فى ضوء الإسلام» ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، وزارة الصحة الكويت ١٩٨٣ .

ـ مؤتمر «الحياة الإنسانية : بدايتها ونهايتها فى المفهوم الإسلامى» ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، وزارة الصحة ، الكويت ١٩٨٥ .

ـ مؤتمر «الطب الإسلامى» ، وزارة الصحة العامة والمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٨١ .

ـ «ندوة عن طفل الأنبوب» الجمعية الطبية ، الكويت ١٩٧٨/١١/٣٠ ، شريط تسجيل بالاضافة إلى عدد من المقالات المنشورة فى بعض المجلات والصحف العربية ونحن من جانبنا نأخذ على الباحثة أنها اعتبرت ما جاء فى هذه المؤتمرات موقفا نهائيا لجمهور علماء المسلمين بينما هو فى حقيقة الأمر مجرد آراء واجتهادات لاتعبر إلا عن رأى أصحابها .

الحد الأقصى للسرعة الكونية في عالم الشهادة

(سرعة الضوء في الفراغ والهواء)

أ.د. منصور محمد حسب النبي *

تشرفت فى الشهور الماضية بنشر بحثى فى مجلة الأزهر بعنوان «المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية»(١) وذلك بالأعداد الصادرة فى جمادى الآخرة ورجب وشعبان ١٤١٣هـ على التوالى حيث قدمت تفسيراً لآية قرآنية كونية من (السجدة : ٥) يتم على أساسه حساب سرعة الضوء بين السماء والأرض على منطوقها ، وحيث إن المجلة نشرت فى أعدادها التالية رمضان وشوال ١٤١٣هـ مقالين للأستاذ الدكتور محمود عبدالمطلب خشان يعترض فيه على تفسيرى لآية السجدة (٥) بدعوى :

أن هذه الآية تعالج أموراً غيبية .

وبدعوى أن مبدأ «أينشتين» (الذى ينص على أن سرعة الضوء فى الفراغ أو الهواء هى أقصى سرعة كونية وأنها ثابتة ثبوتاً مطلقاً) مبدأ خاطىء فى نظر سيادته ، كما أعلن أننى أربط الظنى باليقينى فى تفسير القرآن .

وإننى إذ أشكر غيرته على تفسير القرآن ، أرى أن هذه الغيرة تجاوزت حقها حين أعلن أننى أربط الظنى باليقينى فى تفسير القرآن ، وهذا ـ والحمد لله ـ ليس من صفاتى .

كذلك تجاوز سيادته أصول اللغة حين خالف نص آية السجدة ، وصريح معناها حين جعلها قاصرة على (عالم الغيب) فقط ، مع أنها قرنت عالم الشهادة بعالم الغيب فقال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ .

(السجدة : ٦)

فالآية تشرح (قانونـــاً كونيـــاً) فى عالم الشهادة ، يعمل باستمرار ودون انقطاع .

كذلك تجاوز سيادته العلم اليقينى بإعلانه أن «نظرية أينشتين» نظرية ظنية ، بل وخاطئة ،

---

* أستاذ الطبيعة المتفرغ بكلية البنات جامعة عين شمس وعضو اللجان العلمية الدائمة للترقية بالجامعات والطاقة الذرية ورئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للإعجاز العلمى للقرآن .

(١) البحث نشر بمناسبة إلقائه بمؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم .

برغم أن «أينشتين ــ بشهادة علماء القرن العشرين ــ أعلم علماء عصره ــ فى فنه ــ باكتشافه المبدأ الأساسى للنظرية النسبية القاضى بأن سرعة الضوء ــ فى الفراغ ــ هى المطلق الوحيد فى الكون وماعداها نسبى ، وأن قيمتها (٢٩٩٧٩٢,٥ كم من الثانية) تمثل الحد الأقصى للسرعة الكونية ، وعلى أساس هذا المبدأ ظهرت قوانين النسبية الخاصة للزمان والمكان والكتلة ، وتحويل الكتلة إلى طاقة . فى أعظم قانون عرفته البشرية فى القرن العشرين والذى ينص على أن «الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء» . ولقد تم اختبار جميع هذه القوانين وثبتت صحتها عملياً وتجريبياً على مدى قرن من الزمان ، ولم يتجرأ أحد أن يدعى بأن هناك سرعة أكبر من سرعة الضوء فى الفراغ C إلا سيادة الزميل الفاضل الذى أتشرف الآن بالرد عليه فى جميع ماأثاره من نقاط والله ولى التوفيق .

١ ــ يعتبر سيادته صـ١٤٢٤ أن نظرية النسبية ظنية وليست حقيقة ، ثم يقول ــ فى نهاية تعليقه فى البند (١) : «إن هذه النظرية تحتاج إلى وقفة للفحص والتمحيص لتحرى حقيقة مغزاها وفحواها» ثم يقول إنه أورد لنا تفسيراً مخالفاً لأينشتين يغنى (كما يقول فى صـ١٥٧٥) عن تناقضات وألغاز هذه النظرية رغم أن سيادته زاد الأمر تعقيداً حين اقترح حل هذه الألغاز بهدم النظرية من أساسها بدعوى أن هناك جسيمات فى هذا الكون تتحرك أسرع من الضوء فى الفراغ ! وهذا مالاأستطيع أن أوافقه عليه ؛ لأنه من العبث أن نتحدث عن سرعة تعلو سرعة الضوء C فى الفراغ أو الهواء فى هذا الكون فسرعة الضوء C شئنا أو أبينا هى الحد الأقصى للسرعة الكونية وسوف أعود إلى هذه النقطة فى نهاية هذا المقال ؛ لأنها محور الجدال بل ومحور الكون وعلم الفيزياء على مدى الأجيال .

٢ ــ يقول سيادته : إننى لم استخدم النسبية لإجراء الحسابات فى الآية المذكورة (السجدة : ٥) ، وأنا أوافقه على ذلك فلم تكن هناك حاجة لاستخدام أى معادلة لهذه النظرية وكل مافعلته هو أننى ــ فعلا ــ قمت بالحساب الرياضى للمعادلة القرآنية التالية :

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ .

(السجدة : ٥)

ولقد حسبت طول المدار القمرى كمسافة مقطوعة فى ألف سنة قمرية وقسمت هذه المسافة على زمن اليوم الأرضى فكانت النتيجة سرعة هذا الأمر الكونى المشار إليه فى هذه الآية والتى أعطت فى حدها الأقصى سرعة الضوء فى الفراغ C المتفق عليها عالمياً وقدرها : ٢٩٩٧٩٢,٥ كيلو متر/ثانية.

ومجرد ظهور هذا الرقم فى نهاية الحساب وبمنتهى الدقة والأمانة يمثل فى حد ذاته مايلى :

(أ) معجزة قرآنية تشير إلى الرقم المطلق الوحيد فى الكون ٢٩٩٧٩٢,٥ وتؤكد المبدأ الرئيسى لنسبية «أينشتين» الذى ينص على أن سرعة الضوء هى الحد الأقصى للسرعة الكونية والتى عبر عنها القرآن الكريم بأسلوب معجز فى آية السجدة (٥) إشارة إلى أهم قانون كونى فى عالمنا ..

(ب) القرآن الكريم لايتعارض مع اليقينى من العلم ولو كان مبدأ النسبية ظنياً لما حصلنا عليه فى تفسيرنا لآية السجدة فالقرآن حق لايأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه ، فهل نستبعد هذا الوصف القرآنى المذهل لأهم مبدأ كونى فى عالم الشهادة ؟

٣ ـ يقول سيادته أنه لايوافقنى على طريقة الحساب لأن طول المدار القمرى فى ألف سنة لايعطى يوماً ضوئياً (كما أعلنت فى بحثى) بل يعطى طبقاً لوجهة نظر سيادته ١,١٢٢ يوماً ضوئياً بفارق ٠,١٢٢ يوماً ضوئياً . وأقول لسيادته : اطمئن فإن هذا الفارق البسيط يزول لو استخدم سيادته المقادير الحقيقية بدلا من المقادير الظاهرية لليوم والشهر القمرى وسرعة القمر فى مداره الخاص ؛ **لأن هذه المقادير لها قيمتان إحداهما ظاهرية للعد فقط والأخرى حقيقية للحساب فقط وصدق الحق تبارك وتعالى فى التمييز بينهما بقوله ـ عز من قائل ـ :**

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ . (يونس : ٥)

ويتضح من هذه الآية أن الحساب يختلف عن العد لنفس الشىء ؛ لأن العطف يعنى المغايرة لغوياً كما أن علماء الفلك الحديث يؤكدون وجود نظام نجمى لليوم الأرضى والشهر القمرى يجب استعماله عند الحساب ونظام آخر اقترانى (مرتبط بقرص الشمس) لامفر من استخدامه للعد عند عامة الناس ، وعموماً فالحساب يعتمد على العد ، والهدف من استعمال النظام النجمى للحساب هو التخلص من تداخل الأفلاك مع بعضها ؛ فلابد من فصل دوران الأرض حول نفسها عن دورانها حول الشمس ، وفصل دوران القمر حول الأرض عن دوران الأخيرة حول الشمس ، ومن أجل هذا استعملت مركبة السرعة المدارية القمرية لتمثل قيمة خالصة لهذه السرعة نتيجة دوران القمر حول الأرض بصرف النظر عن ملازمته للأرض وهى تدور حول الشمس . وهذا أسلوب معروف فى ميكانيكا المقذوفات وقوانين الميكانيكا العادية لحساب السرعة الأصلية واستخدام النظام النجمى فى حساب اليوم الأرضى والشهر القمرى ، وكذلك استخدام مركبة السرعة المدارية القمرية المقاسة ونحن على أرض متحركة كلها وسائل رياضية للتعبير حسابياً عما يعده البشر ، وقد نبهنا القرآن الكريم إلى ذلك فى الآية السابقة (يونس : ٥) **بأن العد يؤدى إلى الحساب وأن الرجوع للنجوم (النظام النجمى) هو الاختيار المناسب كمرجع للرصد الحقيقى وليس الظاهرى وصدق تعالى إذ يقول :**

﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ .

وحيث إن المتاح للمشاهدة عند عامة الناس هو النظام الاقترانى الشمسى بالعين المجردة لعد الأيام والشهور القمرية (برصد الهلال) فإن ما نعده نحن البشر هو المقصود فى عالم الشهادة « مما تعدون » بشرط أننا إذا أردنا الحساب فلابد من ترجمة العد رياضياً إلى القيمة الحقيقية النجمية والتى يقوم بها الفلكيون بالقياس على نجم بعيد وباستخدام الساعات الذرية ....

٤ ـ يقول سيادته أننى فَضَّلت معنى الانحناء لكلمة العروج حتى يتفق هذا المعنى مع أساس النظرية النسبية العامة «لأينشتين» (التى تنص على انحناء جميع المسارات فى الكون) وأفيد سيادته بأننى شخصياً لاألوى عنق الآية لتتفق مع نظرية علمية ولكن اللغة العربية بمعاجمها على اختلاف أنواعها تفيد بأن المعنى الأصلى للفعل يعرج هو

ينعطف ويميل أى : يسير فى انحناء وليس المعنى الثانوى « يصعد » كما يدعى سيادته ولكى نتحرى الدقة يمكن أن نقول إننا عندما نصل إلى الفراغ وحالة انعدام الوزن فإننا نفقد الإحساس بالجهات الأصلية (فوق وتحت وشمال ويمين) ، وبهذا فإن تفسير يعرج بلفظ يصعد غير جائز إلا فى الارتفاعات البسيطة كما فى قوله تعالى :

﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

أما فى الارتفاعات العالية يأتى لفظ يعرج للتعبير عن المسارات المنحنية والأفلاك الإهليجية كما فى قوله تعالى :

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ .

(الحجر : ١٤)

وهنا يتضح سر قوله تعالى :

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ .

(المعارج : ٣)

وقوله عز وجل :

﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ .

(يس : ٤٠)

فالمعارج والأفلاك المنتشرة فى ملك الله تعالى هى المسارات المنحنية وليست المستقيمة وبذلك يتضح أننى لم أترك معاجم اللغة العربية بل عرجت عليها لأعرف معنى لفظ يعرج .

٥ ـ يقول سيادته صـ١٤٢٥ « إن تدبير الأمر ، والعروج إليه ، واليوم عند الله » المذكورة جميعاً فى آية السجدة (٥) من الأمور الغيبية بدعوى أن فاعل الفعل يعرج مستتر ، وبهذا خالف سيادته أقوال المفسرين الذين أكدوا بأن آية السجدة (٥) تدل على دوام التدبير والعروج لأمر كونى يتحرك بين السماء والأرض أى فى عالم الشهادة وفى وسط معين (الفراغ) وأن اليوم فيها والسنة من أيام وسنين الدنيا المعهودة وأن الألف سنة تعبير عن مسافة السير ومقدار المسير فى فلك القمر المعادل لمسيرة الأمر الكونى فى الآية الكريمة فى يوم أرضى واحد لبيان سرعة الأمر الكونى الذى يعرج فى مُلْك الله تعالى بياناً واضحاً فى حدها الأقصى الثابت فى عالم الشهادة (بدليل عبارة كان مقداره) فإن آية السجدة (٥) تشير ألفاظها ومعانيها إلى الأشياء المعهودة لنا والتى تقع تحت قياسنا وحسابنا (مما تعدون) ، أما آية المعارج (٤) فتبين بالمثل الحد الأقصى لسرعة الملائكة فى عالم الغيب بدليل حذف عبارة (مما تعدون) وصدق الحق تبارك وتعالى :

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ .

وقوله سبحانه :

﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ ...

والآن أنتقل للرد على ما عرضه سيادته فى عدد شوال استمراراً لنقده لبحثى السابق حيث طالعنا سيادته بمعادلات بسيطة مشيراً إلى أنه يقدمها للقارىء بشرح محكم أدق الإحكام مبيناً على حد قوله إمكانية وجود جسيم تتجاوز سرعته سرعة الضوء C فى الفراغ !! هادماً بذلك أهم مبدأ عرفته البشرية فى القرن العشرين بحجة أنه يتحاشى بذلك لغز التوائم وانكماش الطول وزيادة الكتلة كنتائج غريبة ـ فى نظره ـ لنسبية «أينشتين» معتبراً أن هذه الألغاز عيوباً للنظرية النسبية .

وأنا أرفض هذا الأسلوب غير العلمى وأذكر سيادته بتجارب (بيلى) فى مركز البحوث النووية عام ١٩٦٨ على الميونات القصيرة العمر والتى يطول عمرها إذا زادت سرعتها ! وسبحان الله

الباسط القابض للزمن ! ولاتندهش عزيزى القارىء من هذا اللغز بل ومن ألغاز النسبية التى تم إجراء اختبارها جميعاً فى المعامل التجريبية وثبت صحتها ، ولكن عليك أن تندهش لاقتراح الدكتور «خشان» بوجود جسيمات أسرع من سرعة الضوء (C) ؛ لأن النتيجة عندئذ سوف تسبق المسبب لها علما بأن هذه الجسيمات التخيلية التى يسميها علماء الفيزياء (تاكيونات) لاوجود لها وإلا لأمكن نقل المعلومات بأسلوب غريب يجعلنا نكشف المستقبل ونسافر فى الماضى !!

وعموماً فإن اقتراح سيادته فى صـ١٥٧٦ بأنه من اليسير عليه فى معمله المتواضع أن يبين أن سرعة الضوء على الجانب البنفسجى لشريط الامتصاص أكبر من القيمة التى اعتمدها الدكتور «منصور» أى أكبر من سرعة الضوء C فى الفراغ فهل قيمة السرعة C اعتمدها فقط الدكتور «منصور» أم أن العلم الحديث والعالم كله وجميع العلماء اعتمدوها ؟ فأرجو أن ينشر سيادته ما توصل إليه من نتائج مدعوماً بدليل قاطع للمجلات العلمية المتخصصة .

أما استدلاله بإشعاع «تشيرنكوف» لهدم نظرية «أينشتين» فهذه مغالطة كبرى حقا لأن الإليكترونات إذا تحركت فى المواد الشفافة (مثل الماء أو البلاستيك أو الزجاج) بسرعة أكبر من سرعة الضوء فى هذه المواد (وليس أكبر من سرعة الضوء فى الفراغ C فإن إشعاع «تشيرنكوف» يتولد بلون أبيض (مزرق) نتيجة اختراق حاجز الضوء فى المادة كما تخترق طائرة حاجز الصوت فى الهواء وهنا تسألنى عزيزى القارىء كيف تخترق الاليكترونات حاجز الضوء وأنت من عشاق مبدأ «أينشتين» ؟ وأقول لك نحن لم نخترق حاجز الضوء فى الفراغ بينما اخترقناه فى الزجاج لأن سرعة الضوء تصل فى الزجاج إلى ثلثى قيمتها فى الفراغ بينما تصل سرعة الاليكترونات المسلطة من مصدر كوبلت مشع إلى ثمانية أعشار سرعة الضوء فى الفراغ أى أنها أعلى من سرعة الضوء فى الزجاج وليست أعلى منها فى الهواء فلا داعى إذاً لعرض هذا الإشعاع (المسمى باسم مكتشفه تشيرنكوف) بأسلوب يوحى للقارىء بأن هناك ماهو أزيد من سرعة الضوء فى الفراغ !!

وأما عن قانون (هبل) فى قياس سرعة ارتداد الأجرام السماوية فلم يحدث قط أن قيست سرعات أكبر من سرعة الضوء لهذه الأجرام وإلا لتعذر رصدها تماماً كما تعذر رصد الجسيمات ذات الكتلة التخيلية والتى يفترض بعض النظريين إفتراضاً نظرياً بحتا أنها تسير بسرعة أعلى من سرعة الضوء C فى الفراغ وأطلقوا عليها التاكيونات تماماً كما يتصور الدكتور «خشان» وأقول : (ربما يكون ذلك فى عالم الجن أو الملائكة لأن هذه العوالم يجوز لها أن تتحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء C لأنها لا تخضع لعالمنا المقيد بمبدأ «أينشتين»). وكل مخلوق ميسر لما خلق له ، وكل شىء عنده بمقدار ، وأؤكد أن عالم الجن والملائكة مقيد أيضاً بحد أقصى فى سرعته اعتماداً على نصوص القرآن الكريم وليس اعتماداً على التخيلات لاربط الظن باليقين ، وأختم مقالى بقوله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) ﴾

(القمر ٤٩ ـ ٥٠)

وقوله تعالى :

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

(الأنعام ٦٨)

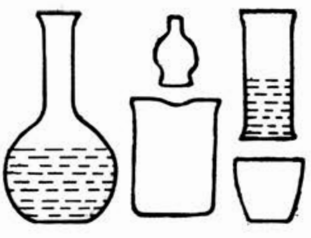

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد/ د. نجوى السّيد أحمد

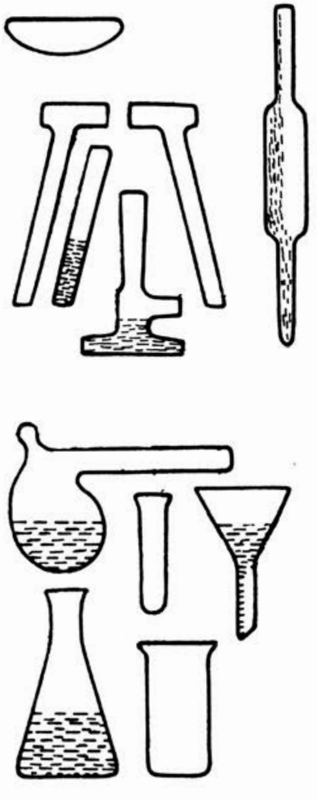

الطحالب البحرية

لزيادة إنتاج البيض واللبن

يقوم أحد المراكز العلمية الروسية بتربية نوع معين من الطحالب البحرية يعرف باسم «الكوريلا» من أجل تجفيفه وإضافته إلى أعلاف الماشية والدواجن ، فتزيد من معدل إنتاج اللبن والبيض ، ويحتوى هذا الطحلب على ٥٠ ٪ بروتين والعديد من الأحماض الأمينية والفيتامينات ، وله القدرة على زيادة وزنه سريعاً تحت تأثير ضوء الشمس ، وثانى أكسيد الكربون .

أوراق الأشجار تكشف عن مناجم الذهب

اكتشف بعض الخبراء فى اتحاد صناعة التعدين «باليابان» أنه بالإمكان تحديد مواقع رواسب الذهب تحت الأرض من خلال أوراق الشجر ؛ قام الخبراء بتحليل أوراق الأشجار التى تنمو فوق ١٢ منجماً للذهب فى «اليابان» ، وقياس كمية الذهب الموجودة بالأوراق ، ووجدوا تركيزاً عالياً لعنصر الــذهب فى أوراق بعض هذه الأشجار ؛ وقد أكدوا أن فحص أوراق الأشجار سيكون أقل تكلفة من الحفر العشوائى للبحث عن أماكن الذهب .

عسل النحل لعلاج قرحة المعدة

أكدت التجارب التى أجراها أحد علماء الكيمياء الحيوية فى «نيوزيلاندا» ، أنه من الممكن علاج قرحة المعدة بتناول عسل النحل لأن العسل يوقف انتشار الميكروبات التى تسبب العديد من قرح المعدة ، وقد لاحظ الباحث أن العسل بالإضافة إلى أنه يدمر جميع الجراثيم الموجودة على التقرح ، فإنه يعطى أيضاً حماية فعالة من أى إصابة جديدة ، كما أنه يغذى الأنسجة المحيطة بالتقرح ويسرع بالتئام الجروح .

طائرة بدون طيار لكشف أسرار ثقب الأوزون

تمكن العلماء «الأمريكيون» من اختراع طائرة صغيرة وخفيفة تطير بدون طيار وظيفتها التحليق فى الجو ببطء وعلى ارتفاعات مختلفة ، ويمكنها أن تطير فى أجواء القارة القطبية الجليدية ، لكى تأتى للعلماء بالعينات الغازية من طبقات الجو العليا ، وتطير هذه الطائرة بسرعة ٨٠ كم فى الساعة وتصل إلى ارتفاع ٥٠٠ كم فى غلاف الجو العلوى ؛ وقد اشتق تصميم محرك هذه الطائرة من تقنية الغواصات ، ولا يخضع للضغط الجوى فى طبقات الجو العليا ، والأكسجين اللازم للاحتراق موجود داخل اسطوانة معينة ، وتستطيع الطائرة الرصد بالشم والتسجيل والالتقاط ، ولديها القدرة على معرفة البلورات المتعلقة فى السحاب .

إنتاج أحدث وأصغر «كاميرا» فى العالم

أنتجت إحدى الشركات «اليابانية» أحدث وأصغر «كاميرا أتوماتيكية» ذاتية التركيز فى العالم أطلقت عليها كاميرا للجيب ، وتتميز بأن عدسة التقريب «الزوم» تدخل فى جسم الكاميرا ، مما لا يترك فيها أية نتوءات أو انتفاخات ويسهل حملها فى الجيب ، كما تتميز بالقدرة على التقاط الصور الجماعية بزاوية عريضة بالإضافة إلى التصوير المتواصل والتصوير القريب جداً ، وتقوم بتسجيل التاريخ واليوم والساعة التى التقطت فيها الصورة .

جهاز لمراقبة الحالة الصحية للنباتات

ابتكرت إحدى الشركات «الهولندية» جهاز مراقبة يساعد العلماء على مراقبة الحالة الصحية

للنباتات عن طريق التنبؤ بإمكانات التمثيل الضوئى فى النبات ، وهى القدرة على تحويل ثانى أكسيد الكربون والماء إلى جلوكوز ، يقيس الجهاز تأثير سقوط الضوء على ورقة النبات حيث تنشط جزئيات المادة الخضراء فى النبات «الكلوروفيل» فترسل الالكترونات التى يشترك بعضها فى التمثيل الغذائى .

الجهاز يساعد على تحديد ظروف النمو فى التربة وقياس آثار الكيماويات الزراعية كالأسمدة والمبيدات على التمثيل الغذائى .

منظار جديد لضعاف البصر

ابتكر الباحثون فى أحد المعاهد الطبية «الأمريكية» منظاراً خفيف الوزن يشبه سماعتى الأذنين يثبت على الرأس لمساعدة ضعاف البصر على الرؤية ، وهذا النظام الجديد لتقوية الرؤية ليس مرتبطاً بالمخ أو الأعصاب البصرية بل إنه عبارة عن «كاميرا» دقيقة مثبتة فى مقدمة الجهاز الذى يوضع على الرأس ترسل إشارات إلى أنابيب أشعة الكشف الموجودة فى ذراع الجهاز بعد ذلك تعكس مرايا صغيرة صوراً من خلال عدسات طبية إلى داخل العين ، ويعمل هذا المنظار بواسطة بطارية تركب على الحزام .

صناعة الأخشاب من البلاستيك

قام عالمان «أمريكيان» بتطوير البلاستيك حيث يتم تحويله إلى أخشاب عن طريق جمع العلب البلاستيك الفارغة التى تلقى فى القمامة ؛ وبعد تنظيفها وصهرها يتم معالجتها بسلسلة من العمليات الكيميائية للتوصل إلى مادة لها نفس خواص الخشب من حيث القابلية للثقب وتثبيت المسامير وسطحها الخارجى يقاوم الرطوبة والماء ، ولا تحتاج إلى طلاء وعمرها الافتراضى يفوق الخشب ، ويتم استخدام هذا النوع من الخشب البلاستيك فى الأرضيات وصناعة المقاعد .

سيارة حديثة تعمل بالكهرباء والغاز

أنتجت إحدى الشركات «الفرنسية» لإنتاج السيارات سيارة تعمل بالكهرباء والغاز حيث تم تطوير «توربين» غازى لها وتعتبر أسرع وأكبر سيارة ضمن مثيلاتها من السيارات الكهربائية الحالية ؛ ولا تسبب أى تلوث للبيئة ، والسيارة «الكهروغازية» تعمل بالكهرباء داخل المدن بينما تعمل بالغاز فى الطريق السريعة التى تتطلب سرعات عالية .

صفارة أمان عالية التردد للغواصين

أنتجت إحدى الشركات «الأمريكية» صفارة أمان عالية التردد للبحارة والغواصين يتم استخدامها عند الطوارىء ؛ ولصفارة الأمان مجرى إضافى يتيح قدرة نفخية وصوتية هائلة وتفوق أداء الصفارات المعروفة ؛ ويمكن سماع الصفارة وقت اشتداد الرياح وصخب الأمواج وتحت سطح الماء .

الشعر والشعراء

للشاعر الأستاذ / رشاد يوسف

سناء الرشد والكرم

لشاعرة الطليعة / عائشة التيمورية

طه الذى قد كسى إشراق بعثته ... وجه الوجود سناء الرشد والكرم
طه الذى كللت أنوار سنته ... تيجان أمته فضلا على الأمم
نعم الحبيب الذى منَّ الرقيب به ... وهو القريب لراجى المجد والنعم
روحى الفداء ، ومن لى أن أكون له ... هذا الفداء ، وموجودى كمنعدم
وما هى الروح حتى أفتديه بها ... وهى البغاث بغار الظلم والظلم
ولا يحيط به مدح ولو جعلت ... جوارحى ألسنا ينطقن بالحكم
وما سوى عزكونى بعض أمته ... ذخرا أفوز به من زلة الوصم
إلا التماسى عفوا بالشفاعة لى ... من خاتم الرسل خير الخلق كلهم

ذكرى المولد

للشاعر اللبناني/ عدنان مردم بك

هيهات يُحسِن نعتا فيك إنسان ... عيَّ البيانُ وَحَارَتْ فيه أذهانُ
قد كان للقول ميدان تصول به ... فى كل ضرب من الإبداع فرسان
فما يقول امرؤ يبغى الثناء وقد ... أثنى عليك ـ بمحض الحمد ـ فرقان
عذر الأديب عن الإعراب أنَّ له ... وقد كملت شفيعا وهو إنسان
فكنت كالنور لا يخفى على بصرٍ ... لكنما سرُّه فى الذهن حسبان
كم آية لك فى الأسماع مشرقة ... كأن سامعَها المأخوذ نشوان
شمائل كِدْنَ من طيب يَضُعْنَ كما ... يضوع فى جنبات الروض ريحان
غيظ الحسود لآيات أتيت بها ... ومبعث الغيظ فى الحسَّاد إحسان
فجاحد بك عن جهل ، ومعترف ... بالحق . والناس أصناف وألوان
وما يضير شعاع الشمس إن جحدت ... أنوارها ـ من غمار الناس ـ عميان

نصرت كل هضيم وانتصفت له ... من ظالم فغفت ـ فى الأمن ـ أجفان
خفضت جِنْحاً لمظلوم فلاذ به ... كما تلوذ بجنح الأم ولدان
كم عزَّ عبد بهدى الدين وارتطمت ... ذليلة فى مهاوى الكفر تيجان
أشهرت سيفاً على الباغين تنذرهم ... وخيرُ ما منع الطغيانَ طغيانُ
فأصبح القوم فى صف سواسية ... وليس فى الناس أحرار وعبدان

بعثتها صرخة لله داوية ... أصغت لها من ضمير القوم آذان
أسمعت من كان فى آذانه صممٌ ... فهبَّ ذو وَقرٍ وارتاع غفلان
حررت قومك من أغلال شقوتهم ... بنعمة العلم إنَّ الجهل سَجَّان

شدوتُ باسمك لما هاجنى طرب ... وعادة الطير إنشاد وألحان
تُهيجُنِى ذكريات منك ما فتئت ... كأنها فى حنايا الصدر نيران
وأعذب اللحن ما غنّاه ذو شجن ... هاجت بلابله فى الليل أشجان
حملت قلبى قربانا إليك وما ... لدى المتيم إلا القلب قربان
فاقبل هدية من وافاك معتذراً ... عن قلة إنَّ خير العرف غفران

وحي المدينة المنورة

للشاعر/ عزيز أباظة

أتـــلك روابيها العـــــلا وهضابها وهذى القبـاب المشرفـات قبـابها ؟
نعـم، إنها مثـوى الـرسول وروضه تقـــدس واديها وطـــاب ترابها
أفضنــا إليها خاشعـــات قلوبنـــا ملبيـــةً أحناؤهـــا وشعـــابها
يَلـجُّ بها شوق لأطهــر مضجـــع فتندى وقد يَشْفَى القلوبَ انتحـابها
ويملأ أطـــواء النفـــوس مهابـــة توالى تغشيها لها وانثيـــــابها
نرد الدمـــوع السافحـات ونثنـــى فلا ينثنـــى تهتـــانها وانسكـــابها
ذكـرت رسول الله والبيـــد حولنـــا تطالعنــــــا أسرابها وسرابها

ولما بلغنـــا رَاوَحَتْنَـــا مشارف يرف عليها طُهْرُهـــا وانـــتسابها
وشدّت إليها ـ أعينَ الـركب ـ روضة تعـالى على لحظ العيـــون جنـــابها
مباركـــة الأفنـــاء لماحـــة السنـــا تضوّع مسكـــاً ساحهـــا وقبـــابها
حوت (واحد الأكوان) مذ بدء خلقها إلى يوم يطـــوى كالزمـــان كتـــابها
وضمت (سراج الخلق) تهفو قلـــوبها إليـــه وتعنـــو باليـــقين رقـــابها
نبـــيٌّ جلاه الله للنـــاس حجـــةً فأقصر عنها شكهـــا وارتيـــابها
وأرسلـــه عتقـــا وأمنـــا ورحمة يضىء دياجيـرَ الوجـــود شهـــابها
وأَيَّـــده بالديـــن يصفـــو معينـــه ويضفـــو وبالأخـــلاق يذكـــو نصابها
نمتـــه القـــروم الصِّيـــدُ من آل هاشم مطهـــــرة أحسابها وثيـــابها
وقفت ومـــا سلـــمت حتـــى ترادفت خواطـــر نفسٍ يَنْتَحِيهَـــا مصابها
عِذَابٌ من الأيـــام أقلـــع أنسهـــا ولم يبـــق إلا مُرُّهـــا وعـــذابها
وأطيـاف ذكـرى، صابها طمَّ شُـهدها بروحـــى شُهْـــد الذكريـــات وصابها

على (يثرب) منـــــا سلامٌ ورحمةٌ كمـــوشىِّ أنـــداء الصبـــاح انسكـــابها

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

للشاعر السوري الدكتور/ زكي المحاسني

دع البيد ترو الحادثات وتُعْرِبِ   وتخبرك عما كان من مَجْد يَعْرُبِ
وللبيد أنظارٌ تَقَلَّبُ في المدى   على سبسب أرخى العنان لسبسب
رمالٌ أحسَّتْ كُلَّ ركب على السُّرى   فزادتْ دُجَى السَّارين فيها بغيهب
هي البحر والأمواج كثبانها التي   تقلبها الأرياح شرقا لمغرب
على جمرها الظمآن مدَّ بطرفه   فكحَّلَ عَيْنَيْه السَرابُ بمَشْرَبِ

• • •

من البيد بيد العرب هَبَّتْ أزاهرٌ   فواعجبي للرَّمل يأتي بمعجب
هي العبقريات اللواتي تلألأت   وهان لها في الدرب أصعبُ مطلب
تراءتْ لها في الجاهلية أعْهُدٌ   وقد أطلعتْ آفاقُها كلَّ كوكب
ولكنَّ نورا ساطعا فاق في العلا   وسدَّ شهابَ الشمس منه بأشْهُبِ
أتى القوم بالدِّينِ الحنيف فهالهم   وثاروا به من جاحدٍ ومكذب
وهموا به كي يقتلوه فأجمعوا   له الحَتْفَ وازدادوا شقيٌّ بالتألُّبِ
رأى الصَّحْبَ نزراً والليالي حوالكا   ولا سَيْفَ يَغْتَامُ العُدَاةَ بمرهب
فَفَارَقَ أهلا وهو يَصْبُو لمكةٍ   وما كان في هجر الدِّيَارِ بمذنب
ذَوُوا الْمَرْءِ حُسَّادُهُ يَصْلُونَهُ الْأذى   ويَصْمُونَهُ سَهْماً على كُلِّ منكب
ولكنها الأوطان تَقْسُو على الفتى   فيهجرها لاعن قِلىً وتَجَنُّبِ
كذلك جَدُّ المصطفى كان غربةً   فسار بطرفٍ دامعٍ نحو يثرب

• • •

إليك رسول الله جاءتْ مطيعةً   ذُرَا الأَوْسِ تشأوا خَزْرَجاً بالترحب
وجاءت حسانُ الذى لملم الهوى   فأولاك من شعر المديح بأعذب
هي الهجرة ازددت الثبات بأهلها   وكم فيهمو من فارس الحرب أغلب
إلى أن أتاك النصرُ واللهُ حارسٌ   أخا الحق في البَلْوَى وغير مُخَيَّبِ
فخف بك الفتح المبينُ لمكة   وقد جاءَهَا جَيْشُ الخلاص بصيِّبِ

في مولده - صلى الله عليه وسلم

موكب النور

للشاعر/ عبد الغفار الدلاش

بأبي أنت وأمي أينما سارت خطاكا
كالضحى الماتع في الأكوان قد شع سناكا
يا رسول الله يا خير الورى .. طاب هداكا
طبت في الأخرى شفيعا كرّم الله دعاكا
جلّ من سوّاك إنسانا سويًّا واصطفاكا

***

جئت والدنيا ظلام دامسٌ فاضت عراكا
منذ ما أشرقت نوراً يغمر الكون ضياكا
يا ابن عبدالله فخراً ردّد الدهر ثناكا
ينتشي الكون جميعاً كلما هبّ شذاكا
ما جنى الكونُ من المعروفِ إلا من ندَاكا
منذ ما أعليت بالتوحيد والحق نِدَاكا
طابت الدنيا بما أولته للدنيا يداكا
طبت في الدنيا يتيما .. طاب في الدهر ثراكا
و(الضحى والليل) إنّ الله حقا ما قلاكا

***

أين أمجاد الورى من فيض ما الله حباكا !
أين آيات النهى مما رأى منك نهاكا !
ما عداك المجد لكن كنت للمجد سماكا !

***

بك أسرى الله تكريماً فماذا قد أراكا !
أسعد الحظ براقا لم يرد منك انفكاكا

يا إمــام الـــرسل من للـــرسل فى القـــدس سواكا !
قد تجاوزت السمـــوٰات العـــلا . ماذا هنـــاكا !
فى غيـــوب لم تزل بالنـــور يُضفيـــه سنـــاكا !
وفيـــوض الله ـ جَـــلَّ الله ـ أولاك علاكـــا

***

أعطنـــى عينـــاً لعينـــى وهـــى ترنـــو لحمـــاكا !
أعطنـــى قلبـــاً لقلبـــى خافقـــا يرجـــو رضاكا
أعطنـــى روحـــاً لروحـــى وضيـــاءً من ضيـــاكا
ضـــل مـــن يهـــوىٰ إذا لـــم يتخـــذ ـ شرعـــاً ـ هواكـــا

***

ليت شعـــرى : كيـــف عاداك الأُلَى قبلـــوا عداكا !
كيـــف لَجُّـــوا فى عنـــاد مجرم يبغـــى أذاكا
كيـــف هامـــوا فى دجـــىٰ الباطـــل لم يبغـــوا فكـــاكا !
واستطالـــوا أن ينالـــوك فمـــا وهـــنت عُراكا
لم يدعك الله صيـــدا إنما الله حَمَـــاكا
فتـــركت الـــدار ليـــلا ثم تابـــعت سُـــراكا !

***

هَلَّـــلَ الغـــار حفيـــا وانـــتشىٰ لما رآكا
باضت الورقـــاء تمويها ومـــا تبغـــى سواكا
وأقـــامت عنكبـــوت نسجهـــا ترجـــو قِرَاكا
وتخطـــيت بحفـــظ الله ما كان شِـــراكا
ضـــل مـــن لـــم يُرزق الحبَّ ولم يعـــرف هواكـــا
عز من كان بعـــون الله يرمـــى من رمـــاكا

***

يا حثـــيث الخطـــو تمضى طائعـــاً من قد دعـــاكا
قد جثـــا التـــاريخ إكبـــاراً لنصرٍ قد أتـــاكا
وانـــتشى الدهـــر حفيًّـــا يوم أن عَزَّ حِمَاكَـــا
وتبـــارى القـــوم إنشادا يُحَيُّـــونَ لقـــاكا
(طلـــع البـــدر علينـــا) يوم بُلِّـــغت منـــاكا

حديث إلى هلال المولد

للشاعر الجزائرى / محمد الأخضر السائحى

أراك على طول المدى تتجـددُ … برغم امتداد العمر وَجْـهُكَ أمْـرَدُ
تجىء وتمضى لا تمل من السرى … كأنك لا تلقـى الـذى أنت تقصد
طويت قرونـا فى صراع مع الدجـى … ومـازلت فى قلب الدجـى تتوقـد
حملت إلى الدنيـا الـبشارة بالهدى … زمانا مضى ، والكـون بالظلـم أسود
يعـانى به كاليـوم كل مكافـح … ويهنـأ فيـه كل عات ويسعـد

• • •

طلـعت على ظلمائـه بمحمـد … فأجلى الظـلام الموهم محمـد
وأرشدنـا للـخير فى كل موقـف … ومـن غيره يهدى إليـه ويـرشد ؟
وعلمنـا كيـف السمـو إلى العـلا … وكيـف إذا رمنـا الفضائـل نصعـد
وأوصى بأن نبقـى على الحب بيننـا … فلا شىء غير الحب يبقـى ويخلـد
وقـال لنـا : إن الجهـاد فريضة … وإن ضمـان الـنصر أن تتوحـدوا
وقـال : اعمـروا هذى المساجـد إنها … حصون ، وبيت الله فى الأرض مسجد
ولا تطلبـوا فيها سوى الله ، إنما … يراد بها وجـه الإلـه ويـقصد
فليست لغير الديـن والعلـم تُبْتَنـى … ولا لسوى الأكفاء فى العلـم تسنـد
فصونـوا بها فوق المنابـر وحـدة … مدى الدهـر فيها الشمـل لا يتبـدد

• • •

وعـد يا هلال الـبشر فى كل مرة … علينـا ببشرى فى طلـوعك تسعـد
تعـودت أن ألقـاك فى كل دورة … بشعـرى ومـالى غير وصفك مقصد
فهـل كنت إلا فيك ألقـى سعـادتى … وألقـى جزائى فى الثـواب وأحصد

الشاعر : ولد عام ١٩١٨ بقرية العلية ـ تقرت

حفظ القرآن الكريم بالجزائر ، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس مكث به من عام ١٩٣٥ إلى عام ١٩٤٩ ـ عمل بالإذاعة والمدارس الثانوية حتى تقاعد عام ١٩٨٠ وهو عضو اتحاد الكتاب الجزائريين منذ عام ١٩٧٤ ، ويشارك فى كافة النشاطات الأدبية ـ له عدة دواوين شعرية أهمها : همسات وصرخات عام ١٩٦٥ ، جمر ورماد ١٩٨٠ ، إسلاميات ١٩٨٤ ، أناشيد النصر ١٩٨٥ ، بقايا وأوشال ١٩٨٧ ، الراعى وحكاية ثورة ١٩٨٨ ، ديوان للأطفال ١٩٨٥ .

موكب النور

للشاعر السعودى / حسن عبد الله القرشى

زها عيده تهفو إليه ضلوع ... وتزهو أكوان به وربوع
بمولد خير الخلق زفت بشائر ... وتاهت به فى المروتين جموع
تعالى سناه فهو مستشرق العُلا ... وجلَّ هداه الفذ فهو ربيع
مثابة آمال الورى نفحاته ... تفيض على الدنيا ندىً وتروع
هى الروض بساما، هى الصبح ناضرا ... هى البدر تغذو الروح منه شموع

***

رسول الورى منى إليك تجلَّة ... وفى القلب من نجوى هواك ولوع
فقد كنت مصباح البرية كلها ... بشير هدىً فى بردتيه سطوع
تراءيت تحبو الشرق نورا ورحمة ... وأوفضت تغزو الغرب وهو منيع
وعدت بنصر الله جمًّا مؤزرا ... ودينك موفور الجلال رفيع

***

رسول الهدى هيهات يبلغ مادح ... علاك منيفا كالزمان يضوع
بلغت ذرى المجد الذى ليس بالغ ... سواك إليه ما زهاك صنيع
ويا رب والدنيا تمور بأهلها ... وفى المسلمين اليوم شاع خنوع
تخيفهم عاد، وغصوا بغادر ... وداس حماهم آفك ووضيع
يعيشون قطعانا بمسبعة الأُلى ... يروقهمُ - مستأسدين - قطيع
تداركْهمُ يا رب، واملأ قلوبهم ... ثباتا ليغدو الشمل وهو جميع
وحُطْهم بعطف منك يأسو جراحهم ... وعفوك يا رب الأنام شفيع

صلاة الله وسلامه عليه

للشاعر/ محمود حسن إسماعيل

أصلى عليك :
وكل الوجـــود صلاة وشوق إلـــيك
ونـــور الهدى ساطـــع من يديك
وروحـــى نشيـــد من الحب يهفـــو لديك
أصلى بقلبـــى ، وأعمـــاق حبـــى
وأمشى ، وأنت الضيـــاء لدربى
وكلى حنين وشوق إلـــيك
أصلى علـــيك ، وصلى وسلـــم نور الإلـــه
وصلت علـــيك جميـــع الحيـــاه
علـــيك الصلاة .... علـــيك السلام
رفـــعت المنـــارات للحائريـــن
ونـــورت بالحق للعـــالمين
وبالعـــدل صنت إبـــاء الجبين
وَوَحْـــىُ السمـــا هَلَّ من رَاحتـــيك
وكل البرايـــا تصلى علـــيك
علـــيك الصلاة ... علـــيك السلام
أصلى علـــيك .. ضيـــاء وطهـــرا لأحلامنـــا
أصلى علـــيك .. إبـــاء ونصرا لأيامنـــا
فمـــن نور خطـــوك شع الفـــداء
ومـــن نور هديك يأتى الرجـــاء
أصلى علـــيك وصلى وسلـــم نور الإلـــه
وصلت علـــيك جميـــع الحيـــاه
علـــيك الصلاة .... علـــيك السلام

مملكة العجائب

للشاعر/ محمد الأسمر

ضاق على الضرغـام يومـا غابُــهْ　　وانقطـعت عن رزقــه أسبابــهْ
فقــال للفهــد : أشر بما ترى　　فقــال : إن الخير فى ترك الشرى
فمشيـا فى الأرض حتـى وجـدا　　غابـا حوى من الوحـوش عددا
وبصرا بالقــرد وهــو يحكــمُ　　يومــىء باللحــظ ولا يكلــمُ
منتفــخ كالليــث وهــو قردُ　　منفــرد بالحكــم مستبــدُ
له بطانــة بها الحمــارُ　　مدّخــر للــرأى مستشارُ
والبغــل فيها الشاعــر المقــدم　　وقنفـذ الجحـر الكَمِــىُّ المعلَّــمُ
والبــوم للــبشرى بكــل خيــرِ　　والببغــاوات لحفــظ السرِ
والضفــدع الصداح والمغنــى　　والــذئب قائم بحفــظ الأمــن
والجرز القــائم بالإصلاح　　والهر طاهــى اللحــم فى الأفــراح
والــدب للزمــر وقــرع الطبــل　　والفيــل للألعــاب فوق الحبــل

***

رأى الهزبــر ما رأى فزأرا　　وقــال للفهــد : أحــق ما نرى ؟
فقــال : يا مولاى حَقٌّ صدقُ　　جميــع ما يفعــل هذا الخلــق
ليس الــذى ترى من الغــرائب　　فنحــن فى مملكــة العجــائب

اللغة والنقد والأدب

صحيح

صفة صلاة النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

من التكبير إلى التسليم كأنك تنظر إليها

تأليف

حسن بن علي السقاف

دار الإمام النووي

عمان ـ الأردن

مكتبة إمام طبعي

القاهرة

عرض وتقديم الاستاذ / محمد البشير حسين نافع

مدير عام إحياء التراث الإسلامي

بالأزهر الشريف

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والهادى إلى صراطك المستقيم ، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

وبعد : فلاشك أن الاختلاف فى وجهات النظر وتقدير الأشياء والحكم عليها أمر فطرى طَبَعِىٌّ ، وكأن حكمة الله ـ عز وجل ـ اقتضت أن يكون بين الناس بفروقهم الفردية ـ سواء كانت خِلْقِيَّة أم مكتسبة ـ وبين الأعمال فى الحياة تواعد والتقاء ، وكل ميسر لما خلق له ، وعلى ذلك فالناس مختلفون وقد اختلف الأئمة فى كثير من الأمور الاجتهادية ، كما اختلف الصحابة والتابعون قبلهم وكانوا جميعاً على الهدى ؛ لأن اختلافهم لم ينجم عن هوى أو شهوة ولا رغبة فى الشقاق ، فقد كان الواحد منهم يبذل جهده وغاية ما فى وسعه ولا هدف له إلا إصابة الحق وإرضاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكذلك كان أهل العلم فى سائر الأمصار والعصور ـ يقبلون الفتاوى من غيرهم ماداموا مؤهلين ، فيصوبون المصيب ، ويستغفرون للمخطىء ويحسنون الظن بالجميع ، وكانت نظرة هؤلاء إلى استدراكات بعضهم على بعض .. أنها معونة يقدمها المستدرك منهم لأخيه ، وليست عيباً أو نقداً .

وقد أسند إلىَّ كتابة تقرير عن كتاب بعنوان **صحيح صفة صلاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم من التكبير إلى التسليم كأنك تنظر إليها للأستاذ حسن بن على السقاف**

وبعد أن اطلعت على الكتاب راعنى ماورد فيه من التجاوز والطعن على العلماء الأفاضل المشهود لهم بالعلم والتقدم فى خدمة القرآن والسنة ، فخطأ بعضهم وجَهَّل بعضهم ، وتصاعدت حدة الخلاف إلى أن وصف بعضهم بأنه فى حاجة إلى علاج لعقله[1] أو أنه على شاكلة من وصفهم القرآن الكريم بأنهم «يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين»[2] أو أنه أعمى البصيرة[3] .

ولم يكن هذا دأب العلماء قديماً حيث كانوا يختلفون فى الرأى والنظر ولا يصل هذا الخلاف إلى حد التقاذف والتناطح ـ كما هو واضح على طول الكتاب ـ وإنما كان كلامهم محوطا بالأدب واحترام حقوق بعضهم البعض .

والفاحص لهذا الكتاب يرى أن مؤلفه قد أولى مسألة الطعن والتجريح أهمية كبرى ، وكأنما هى مقصوده الأول من الكتاب ، ولو كان هدفه هو بيان الحق والنصح للمسلمين لنأى بنفسه عن هذا الأسلوب غير اللائق بأهل العلم والبحث .

وقد صنَّفْتُ التجاوزات التى وقع فيها المؤلف إلى ثلاثة أنواع .

---

(١) أنظر هامش الكتاب ٥٣٦ من ص٢٦٣ .

(٢) أنظر هامش رقم ٤١٩ من ص٢٠٨ .

(٣) أنظر هامش رقم ٢٠٣ من ص١٦٣ ـ ١٦٤

١ ــ تجاوزات سلوكية غير محمودة .
٢ ــ تجاوزات علمية .
٣ ــ تجاوزات لغوية .

إلى جانب بعض الملاحظات الشكلية التى يُمكن التغاضى عنها ، وحسبنا فى هذا العرض أن نركن إلى جانب الصدق ونتفيأ وجه الحق تحوطنا أخوة الإسلام ، وتتغلغل فى قلوبنا حرارة الإيمان بعناية الرحمن .

التجاوزات السلوكية :

أولاً : صدر المؤلف كتابه بأمور نبه عليها وعد من أولها حسن الخلق وأنه يجب على كل مؤمن أن يتحلى به ، غير أن هذه الصفة الحميدة قد أخطأته إلى حد كبير ، فسرعان ما كان ينساها أو يتناساها حين تتغلب عليه العاطفة ويسيطر عليه الغضب ويذكر اسم مؤلف كتاب «صفة صلاة النبى ﷺ» .

فلا ندرى لم هذا الحشو من الانتقاص والذم ، والانتقاد لأدنى ملابسة ويكفى أن المؤلف السقاف لم يذكر (الألبانى) فى الكتاب كله إلا بصفة «المتناقض» حتى وضع هذه الصفة الأثيرة عنه فى فهرست الكتاب

فأما واجبنا ــ إزاء النقد ــ فإنه يحتم الالتزام بحرمة المؤلفين ومنهم الشيخ الألبانى كما نحترم الكلمة التى تحق الحق وتزهق الباطل ، وهى كلمة فوق السب والانتقاص ولكن صاحب هذا الكتاب لم يعترف مرة واحدة فى كتابه بقدر هذا المؤلف اللهم إلا بالانتقاص والمذمة والقدح الذى وصل فى بعض الأحيان إلى الاستهزاء والاستخفاف والسخرية .

ولما كانت الموضوعية فى النقاش هى سبيلنا فهذه بعض فقرات من الكتاب نوقف القارىء بها على هذه التجاوزات .

ففى هامش ١٤٧ ص٨٧

يقول المؤلف تعقيبا على كلام الشيخ الألبانى «.... وفيه نعلم سخافة قول (المتناقض) !! (أى الألبانى) فى صفة صلاته» ويقول أيضا : «وهل يعرف هذا أى الألبانى[٤] هدى سيدنا محمد وهو غارق فى آلاف المتناقضات»

ومن أراد المزيد فلينظر إلى هوامش الكتاب ١٨٩ ص١١٠ ــ ١١١ ، ١٩٢ ص١١٣ ١٩٤ ص١١٤ ، ٣٦٣ ص١٨٢ ، ٣٨٥ ص١٩٠ وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

ولم يسلم من كَلْمِهِ الحجة الحافظ ابن حجر ففى ص٢٩٣ يقول المؤلف : وقد أخطأ الحافظ ابن حجر ... فى التقريب عندما اقتصر على قوله : فيه ضعيف ، ثم قال : وقد أفرط من رماه بالكذب قلت (أى المؤلف) كلا لم يفرط بل هو واقع حاله» .

ثم هو يحذر كل مؤمن من كتاب القاسمى فيقول : أما كتاب القاسمى المسمىَّ «المسح على الخفين والجوربين ، فليس بشىء ، وهو بعيد عن التحقيق العلمى ، فليحذر كل مؤمن من أن يعمل بما فيه من الأحاديث المنكرة الضعيفة والأقوال الشاذة .

(٤) ما بين القوسين من كاتب المقال لتوضيح من المقصود بالمتناقض !!

أقول : ولعل مَرد منطق اختلافُنا اليوم إلى هذا العجب بالرأى ، والطواف حول الذات والعياذ بالله تعالى .

لذلك أرانى وإياه فى حاجة ماسة إلى عود حميد إلى حقيقة الاختلاف وغايته وأن ننظر إلى اختلاف الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والتابعين وتابعيهم ومعالم أدب اختلافهم وأسباب الاختلاف فى هذه العهود الأولى وأن نتأمل تلك النماذج الواردة عن كرام الأئمة من السالف الصالح .

التجاوزات العلمية :

ومن التجاوزات العلمية التى ضيق بها المؤلف واسعا واختار من الآراء ماليس عليه العمل عند الجمهور مانراه يقول ــ فى مسألة خلع النعلين فى الصلاة :

إن الأفضل فى الصلاة خلع النعلين وأن لابسهما متنطِّعْ يدعى العمل بالسنة وهو لا يفقهها ولايفهم المراد من النصوص وما يستنبط منها ، وأن النصارى واليهود عند دخولهم إلى كنائسهم وبيعهم يصلون بأحذيتهم ، وأن السنة الصحيحة ـ عنده ـ أن النبى ﷺ كان يخلع نعليه فى صلاته ، فيتعين استحباب خلع النعلين وكراهية لبسهما لمخالفة المشركين ، واستثنى حالة الحرب والتحام الجيشين .

غير أن المسألة على خلاف ما ذهب إليه المؤلف ، فالإمام الشوكانى يذكر جواز الصلاة فى النعل وعدم خلعها[٥] ويستدل على ذلك بالأحاديث والآثار ـ فتحت عنوان «صلاة المرء وفى رجليه نعلاه» يورد حديثا أورده الإمام أحمد وأبو داوود عن أبى سعيد عن النبى ﷺ : «أنه ﷺ صلىَّ فخلع نعليه فخلع الناس نعالهم فلما انصرف قال لهم : لم خلعتم ؟ قالوا : رأيناك خلعت فخلعنا ، فقال ـ عليه السلام : إن جبريل أتانى فأخبرنى أن بهما خبثا ، فإذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثا فليمسحه بالأرض ، ثم ليصلِّ فيهما» .

وهذا الحديث أخرجه أيضا الحاكم وابن خزيمة وابن حيان والدار قطنى .

وعن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «خالفوا اليهود والنصارى فإنهم لايصلون فى نعالهم ولاخفافهم» .

قال الإمام الشوكانى[٦] وفى الباب أحاديث أربعة أخر عن أنس الأول عن الطبرانى والبيهقى ، والثانى عن البزار ، والثالث عن ابن مردويه بلفظ : «صلوا فى نعالكم» والرابع عن ابن مردويه أيضا ومن ثم ورد كلام الشوكانى تحت «الحث على مخالفة اليهود وأنهم لايصلون فى نعالهم» ، والأحاديث بذلك تدل على مشروعية الصلاة فى النعال ، بل نقل عن أبى عمرو الشيبانى أنه كان يضرب الناس إذا خلعوا نعالهم .

وقال العراقى ـ فى شرح الترمذى : ممن كان يفعل ذلك أى : لبس النعل فى الصلاة : عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وعويمر بن ساعده وأنس بن مالك وسلمة بن

---

(٥) نيل الأوطار ١٢/١ .

(٦) نيل الأوطار ١٣٠/١ ــ ١٣١ .

الأكوع وأوس الثقفى ومن التابعين سعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير وسالم بن عبدالله وإبراهيم النخعى وإبراهيم التيمى وعلى بن الحسين وابنه أبو جعفر وإلى هذا ذهب ابن قدامة(٧) .

ولايقبل من المؤلف أن يرفض حكما شرعيا بحجة أنه ينافى النظافة ويجانب الذوق ، ثم إنه فى استشهاده لهذه المسألة أتى بحديث اقتصر منه على اللفظ الذى يؤيد ما يقول وترك تكملة الحديث ثم استنبط أن الخلع هو السنة ص٣٨

مسألة استحباب تغميض العينين فى الصلاة ص٨٧

يقول المؤلف : «تغميض العينين فى الصلاة مستحب ؛ لأنه يجمع القلب ويساعد على الخشوع والتدبر» ــ ثم أتى ببعض الأقوال ظن أنها تؤيد ما انتهى إليه من استحباب تغميض العينين .

ورداً على ذلك يقول ابن القيم فى زاد الميعاد .

ولم يكن من هديه ــ ﷺ ــ تغميض عينيه فى الصلاة(٨) وأنه كان فى التشهد يومىء ببصره إلى أصبعه فى الدعاء ولايجاوز بصره إشارته . رواه أحمد والنسائى وأبو داوود وإسناده حسن .

وروى البخارى فى صحيحه عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : «كان قرام لعائشة أى ستر رقيق سترت به جانب بيتها ، فقال النبى ــ ﷺ : «أميطى عنى قرامك هذا ، فإنه لاتزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى»

قال ابن القيمّ ولو كان يغمض عينيه فى صلاته لما عرضت له فى صلاته .

وحديث عائشة ــ رضى الله عنها ــ الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى وأحمد أن النبى ــ ﷺ ــ صلى فى خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال : اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم وأتونى بأنبجانية أبى جهم ؛ فإنها ألهتنى آنفا عن صلاتى» والانبجانية كساء يتخذ من الصوف ولاعَلَمَ له من أدْوَنِ الثياب والغليظ وقد ردَّ النبى الخميصة فطلب الانبجانية بدلها جبرا لخاطر أبى جهم .

ومما يدل على خلاف ما ذهب إليه المؤلف حديث تعرض الشيطان للنبى ــ ﷺ ــ فى الصلاة ، وكان ذلك رؤيــة عين(٩) فهـــذه الأحاديث وغيرها يستفاد منها العلم بأنه لم يكن يغمض عينيه فى الصلاة .

والإمام أحمد يرى كراهة تغميض العينين فى الصلاة وقال : هو فعل اليهود .

والعجيب أن المؤلف قال فى ص٨٤ : السنة أن ينظر المصلى أمامه إلى الأرض وأن يكون خاشعاً فى صلاته ، ثم عاد وقال باستحباب تغميض العينين فأيهما أصح عنده !! ؟

سنية الجهر بالذكر الجماعى عقيب الصلاة(١٠)

يذهب المؤلف إلى أن رفع الصوت بالذكر الجماعى حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على النبى ــ ﷺ ــ ومن ثم ذهب إلى أن المسنون للذين يصلون جماعة أن يرفعوا صوتهم بالذكر بعد السلام ؛ لان القلوب تنتعش وتطمئن وتنشط بالذكر الجماعى ، ثم راح يتلمس الأدلة ليبرهن على ماذهب إليه ويرمى الأدلة الأخرى بالضعف والوضع .

ونحن نحيل الاجابة عليه للجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء المكونة من أفاضل العلماء المشهود

---

(٧) المغنى ٨٣/٢ ــ ٨٤ .
(٨) زاد المعاد ٢٩٣/١ .
(٩) زاد المعاد ٢٩٤/١ .
(١٠) أنظر هذه المسألة فى ص٢٤٤ من الكتاب .

لهم بالثقة والعدالة من أمثال الشيخ ابن باز[11]
وأرقام الفتوى هى :

فتوى رقم ٣٥٦٠
فتوى رقم ٢٩١٣ جـ٢ ص٣٧١
فتوى رقم ٢٢٥٢ جـ ٢ ص٣٧٠
فتوى رقم ٤٦٠٠ جـ٢ ص٣٧٤
فتوى رقم ٦٢٦٠ جـ٢ ص٣٧٧
فتوى رقم ٦٦٨٢ جـ٢ ص٣٧٨

التجاوزات اللغوية :

ونود أن ننوه إلى أن أهمها ما ورد فى الآيات القرآنية .

فى ص١٧ قوله «ولاتتبعوا الهوى وإن تلووا أو تعرضوا ... الخ» الآية ١٣٥ من سورة النساء .

وصوابها : «ولاتتبعوا الهوى أن تعدلو وإن تلووا ... الآية

فى ص١٠٣ ورد الخطأ فى ضبط قوله تعالى : «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشـَيطان الرجيم» والصواب ضبطه هكذا «من الشَّيطان الرَّجيم» .

وفى ص ١٣٨ ورد الخطأ فى كتابة الهمزة من قوله «إقرأ باسم ربك الذى خلق» حيث جعلها همزة قطع وهى همزة وصل هكذا : اقرأ .

فى ص١٤١ ورد خطأ فى ضبط لفــظ «ليدَّبَروا» والصواب ليَدَّبَّرُوا سورة ص آية ٢٩ ونفس الصفحة هامش ٢٥٣ ورد لفظة «تكون» «أن يكون لهم الجنة»

ص١٤٥ ورد قوله تعالى : «الإنسان على نفسه بصيرة» القيامة ١٤ والصواب «بل الإنسان على نفسه بصيرة»

ص١٨٨ وردت الآية «وما أناكم الرسول ...» والصواب وما آتاكم الرسول وفى ص٢٣٦ هامش ٤٩٩ قوله تعالى «اعونى استجب لكـــم» والصواب ادعونى أستجب لكم بهمزة قطع .

وهناك بعض التعبيرات الدراجة مثل كلمة يجوز للمرأة أن تجلس مع أجنبى فى مكان محترم وكذا يقول فى معرض حديثه على المسح على الخفين يقول : ومن ذلك نعلم أنه «يجوز المسح على الجزمة العسكرية» .

كلمة إنصاف :

ورغم كل ماذكرنا من بعض التجاوزات إلا أننا لايمكن أن نغض الطرف فنغمط حق الأستاذ المؤلف ، فهو قد بذل مجهوداً كبيراً فى جمع المادة وتبويبها ، مما يجعلنا نشكر له هذا الجهد ، والكتاب فى مجمله مفيد لعامة المسلمين ؛ لأنه قد لمس أمراً هاماً وركناً عظيماً من أهم أركان الإسلام ، وهو الصلاة .

أما دار النشر التى قامت بإصدار الكتاب فى ثوبه القشيب فمشهود لها بالمكانة العريقة فى نفوس القراء ، فصاحبها الشيخ المطيعى غنى عن التعريف .

ونسأل الله تعالى أن يثيبهم جزاء ما قدموا للمسلمين ــ وبخاصة ــ فى كتاب يتناول كيفية الصلاة الصحيحة ليكون المسلم على بينة من أمرها فيؤديها على الوجه الذى يرضى الله ورسوله ، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما نعلم ويعلمنا ما لم نكن نعلم ، إنه سميع مجيب قريب الدعاء .

(١١) أربعة مجلدات للفتاوى .

المرأة

فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى

دكتورة

اسمت غنيم (*)

١٩٨٣

دار المعارف

عرض وتقديم قسم التحرير

(*) د/ إسمت محمود غنيم ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى ، ورئيسة قسم العلوم الاجتماعية ـ كلية التربية ـ جامعة الاسكندرية .

ولدت بـ « دمياط » والتحقت بآداب الاسكندرية حيث حصلت على :

● الليسانس بدرجة جيد جداً عام ١٩٦٢ .

● وماجستير فى الآداب بتقدير ممتاز عن بحثها « العلاقات السياسية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية فى الفترة ٩٦٩ ـ ١٠٩٤م » عام ١٩٦٨ .

● والدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عن بحثها « العلاقات السياسية بين الدولة البيزنطية وجزيرة كريت الإسلامية فى الفترة ٨٢٧ ـ ٩٦١م » عام ١٩٧٣ .

وقدّمت دراسات فى العلاقات المختلفة بين الصليبيين والمسلمين منها :

(أ) الدولة الأيوبية والصليبيون .

(ب) تاريخ الأمبراطورية البيزنطية .

(جـ) زواج التحالف فى العصور الوسطى .

ونالت إلى جانب ذلك عدة شهادات تقدير من جامعة الاسكندرية وجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

اطلعت على هذا الكتاب ــ لأول مرة ــ من سنوات عدة ، فقد نشرته « دار المعارف » بمصر عام ١٩٨٣م . فى قطع ٢٩ × ١٧سم بحجم ست وأربعين ومائة صفحة ، عَمَرَتْ ببحث سد ثغرة فى المكتبة العربية حيث لم يكن موضوعه كاملا ــ من قبل ــ بين دفتى كتاب ، وتفرَّق بعض الحديثِ عنه ، فشذرة هنا ونبذة هناك .

« والموضوع » الذى درسه هذا الكتاب يحيط القارىء بوضع المرأة الغربية فى تلك الفترة ، ويعتبر دعامة لشهادة تفصيلية لتكريم الإسلام للمرأة التى جعل الله ــ سبحانه وتعالى ــ حقوقها قرآنا يُتْلى إلى يوم الدين ، يصون حقها فى الملكية والميراث والحرية ، فقال ــ تعالى :

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ .

(النساء : ٣)

وقال ــ سبحانه :

﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ .

(النساء : ٧)

وقال ــ عز وجل :

﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ .

(النساء : ١٩)

وقال ــ عز سلطانه :

﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ .

(النساء : ٣٢)

وقال ــ ﷺ :

« اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ... اتقوا الله فى الضعيفين : المرأة الأرملة والصبى اليتيم »[1] .

وفى هذا الباب أحاديث مستفيضة فى التحذير من ظلم النساء ، ونجد حق المرأة فى الشريعة الإسلامية ثابت فى اختيارها للزوج الذى ترتضيه ... وما على الباحث فى هذا الشأن إلا أن يراجع أبوابه فى الحديث الشريف والفقه .

من هنا كان موضوع هذا الكتاب من شواهد الدعوة للإسلام .

ولقد كان بود إدارة التحرير بالمجلة أن تنشره تاماً على صفحاتها لولا حوادث وموضوعات حالية ليس إلى مجاوزة أهميتها من سبيل . لكننا لن ندخر وسعاً لتقديم ماتيسر من فصوله شاكرين للمؤلفة كريم إذنها .

تناولت المؤلفة موضوعها تناولا علمياً لم تسمح ــ خلاله ، وفى تواضع مُشَــرِّف ــ بالفضفضة فى الحديث ، ولا بالمبالغة فى النتائج . وإذا استثنينا « الشعر » فى بعض مواطن الكتاب كمرجع ، ونظرنا إلى مكانة الفقه الإسلامى ــ وكنا نرجو المزيد منها فى الفصل السادس ــ فإننا أمام بحث علمى جدير بما استحقته الأستاذ الدكتورة من شهادات التقدير .. وإلى القارىء نص افتتاحية المؤلفة قبل أن نعرض بقلمها نصاً من حديثها فى (حقوق المرأة وواجباتها) .

بسم الله الرحمن الرحيم

يعتبر موضوع مركز المرأة فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى من الموضوعات المعقدة التى تحتاج لمعالجة موضوعية دقيقة ، ذلك أنها لم تتمتع بمركز ثابت حددته الكنيسة أو القوانين أو العرف

---

(١) اتحاف السادة المتقين ــ شرح علوم الدين للزبيدى ٣٥٢/٥ .

السائد ، وإنما أخذت مكانتها تتغير وتتبدل من وقت لآخر تبعاً لتغيير النظم والظروف فى المجتمع الغربى الوسيط .

وتعتبر هذه الدراسة عن مركز المرأة ووضعها فى المجتمع فى غرب أوروبا فى العصور الوسطى ، أول دراسة من نوعها تظهر كبحث قائم بذاته باللغة العربية ؛ بل وفى اللغات الأجنبية لم يظهر إلا عدد محدود للغاية من الكتب فى هذا الموضوع . وقد استلزمت دراسة هذا الموضوع الكثير من الجهد والوقت نظراً لأهمية الموضوع ودقته ، وقلة المصادر الخاصة به ، وتناثر المعلومات على شكل شذرات فى هذا الكتاب أو ذاك ، وتعدد اللغات التى كتبت بها هذه المعلومات من « لاتينية » إلى « إيطالية » إلى « إنجليزية قديمة » و « فرنسية قديمة » حيث استعملتا ـ أى اللغتان الأخيرتان ـ فى الكتابة عن المرأة ، وخاصة بعض الأبيات الشعرية التى قمت بترجمتها فساهمت فى خدمة موضوع البحث .

والبحث يعرض لوضع المرأة فى المجتمع الغربى الوسيط ، والنظريات التى تكونت عنها ، والتغييرات التى طرأت على مركزها خلال الحقب المختلفة فى العصور الوسطى ، ثم يتناول بالعرض حقوق المرأة وواجباتها كما أقرها القانون والمجتمع ، ويعرض أيضاً لفئة الراهبات وكل مايتعلق بحياة الراهبة داخل الدير ، ثم يعرض لموضوع تعليم النساء فى العصور الوسطى ، والملابس ، والدور الذى أدته المرأة الغربية فى الحياة العامة فى هذه الحقبة التاريخية .

وقد اخْتَتَمْتُ هذا البحث بدراسة مقارنة بين مركز المرأة الغربية ومركز معاصرتها المرأة المسلمة .

ثم عَرَضَت الباحثة ـ عقب ذلك ـ أهم مصادرها ، والدور الذى أدته هذه المصادر ، ثم قالت :

وبالإضافة لهذه المراجع السابقة ، هناك بعض الكتب التى وردت بها إشارات سريعة عن موضوع المرأة الغربية فى العصور الوسطى ، وأذكر منها على سبيل المثال :

كتاب المؤرخين كرامب Crump وجاكوب Jacob وعنوانه « تراث العصور الوسطى » The Legacy Of The Middle Ages الذى نشر فى (أوكسفورد) فى عام ١٩٢٦ .

وكذلك مؤلفات المؤرخين : بنتر Painter ، وهويزنجا Huiznga كولتون Coulton وغيرهم من المؤرخين .

أما بالنسبة لمصادر البحث فى مركز المرأة المسلمة ، فإن أهم مصدر هو القرآن الكريم ، وهو مصدر التشريع الإسلامى ، كذلك كتب التفسير وبعض المصادر الإسلامية لبعض المؤرخين مثل : الطبرى ، والمسعودى ، وابن الأثير والجاحظ وغيرهم .

وبقدر مابذلت من جهد ووقت فى هذا البحث ، بقدر ماأرجو أن أكون قد وفقت فى إلقاء بعض الضوء على المركز الذى كان للمرأة ، والدور الذى أدته فى المجتمع الغربى فى العصور الوسطى .

ونقدم بين يدى البحث ـ تمهيداً للعدد القادم ـ كلمة الباحثة فى البداية من « نظرة المجتمع الغربى للمرأة » .

نظـرة المجتمع الغـربى للمـرأة

للأستاذ الدكتورة / إسمت غنيم

فى المرحلة المبكرة من العصور الوسطى حيث سيطرت الكنيسة سيطرة تامة على المجتمع تكونت نظريات تنادى بأن المرأة ماهى إلا أداة من أدوات الشيطان ، وهى المحرضة لآدم على المعصية والخطيئة ، وهى لذلك لا تستحق إلا الاحتقار والازدراء ، وهذه النظرية ظهرت فى تاريخ الكنيسة منذ وقت مبكر ، ويؤيد ذلك تلك العبارة التى ترجع إلى أوجسطين ، وآباء الكنيسة الأول ، الذين قالوا :

« المرأة بوابة الشيطان ، وطريق الشر ، ولدغة الحية ، وفى كلمة موجزة المرأة موضوع خطير » .

ليس ذلك فحسب بل أن اباء الكنيسة استكثروا أن تكون للمرأة روح علوية ، فبحثوا فى ذلك وأوشكوا أن يلحقوها بزمرة الحيوان الذى لا روح له بعد فناء جسده [٢]

هذه النظرية جعلت الكنيسة تطالب رجالها بعدم الزواج على أساس أن المرأة عامل من عوامل الغواية ، ولما كان رجال الدين الذين نادوا بأخذ التنسك مثلا أعلى للحياة هم الطبقة المثقفة والذين لهم صوت مسموع فى المجتمع خلال قرون عديدة لذلك كان لابد أن تكون النظرية التى تكونت عن المرأة تنادى بأنها شيء ناقص وشرير . وقد عبرت إحدى سيدات هذا العصر عن ذلك بقولها :

« فى الواقع لن يتورع أى رجل من رجال الدين عن وصم المرأة بأية نقيصة إلا إذا كان يكتب عن امرأة من القديسات وفيما عدا ذلك لن يكتب خيراً عن نساء أخريات » .

وقد وجدت على جدار إحدى القلاع مقطوعة شعرية تصور المرارة والأسى اللذين تشعر بهما المرأة ، وتقول بعض أبياتها :

لست أدرى إذا ظل آدم يمضى حياته
يحفر ويحرث ولا يخطو للأمـــام
وظلت حواء ، تغزل ثم تنسج
لتكســـو آدم من العـــــراء
فأين آدم اللطيـــف الرقيـــق
الذى يحمـى المظلومـة حـواء ؟

ومنذ القرن الثامن الميلادى بدأت بذور (النظام الإقطاعى) تظهر فى غرب أوروبا ، وفى القرن التاسع الميلادى بلغ هذا النظام مرحلة حاسمة من مراحل نموه وتطوره ، وارتبط هذا النظام بالحياة الأوروبية فى العصور الوسطى ، سواء من النواحى السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، بل والدينية أيضاً [٣] . ولم يتغير مركز المرأة كثيراً فى ظل النظام الإقطاعى إذ اعتمد هذا النظام فى المرتبة الأولى على الحرب والقتال ، وكان القتال أهم واجب على الفرد أن يقدمه لسيدِهِ الإقطاعى ، وطالما أن المرأة لم تكن تستطيع أن تمارس القتال ؛ لذا فإن مركزها فى العرف الإقطاعى كان ثانوياً بحتا ، **ومهما بلغت من العمر فهى قاصر ولابد أن تكون تحت وصاية رجل ، والدها فى البداية ، ثم زوجها بعد ذلك وفى حالة وفاته ، تصبح تحت وصاية السيد الإقطاعى أو أكبر** أبنائها [٤] .

(يتبـــع)

(2) Heer : The Medieval World, Europe (1100-1350), London 1962, PP. 264 - 265..

(3) Eyre : European civilization, vol 3 (The Middle Ages), London, 1935, P. 100.

Hoyt & Chodorom : Europe in the Middle Ages. Third Edition U.S.A. 197, PP. 210 -250

(4) painter : Mistory of the Middle Ages, 284 - 1500, great Britain, 1979, P. 121.

القصيدة العربية

والوحدة الموضوعية

- ٥ -

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

مازالت حرب البسوس تُلقِى بظلالها وانعكاساتها على مادة هذا البحث ، لتثريها وتُعَمِّقَها ، وتُرفدها بالعديد من النماذج الشعرية المتفردة ، التى تؤكد «وفرة الوحدة الموضوعية» ، بوضوح وجلاء ، فى القصائد التى انبثقت من أحداثها الجسام ، عبر الحرب الطويلة التى نشبت بين قبيلتى : «تغلب وبكر» لمدة أربعين عاماً ، على أثر مقتل كليب (التغلبى) بيد جساس (البكرى) .

وتتسم هذه القصائد بالبناء اللغوى المتساوق ، المفعم بجيشان العاطفة ، والانفعال الحار العميق .

ولعل خير نموذج يدلل على ماقدمنا ، قصيدة الحارث بن عباد فى رثاء ابنه وفلذة كبده (بجير) ، وكان قد أرسله إلى المهلهل بن ربيعة التغلبى ، ليقتله فى (كليب) ـ إذا شاء حقنا للدماء بين القبيلتين المتطاحنتين .

إلا أن المهلهل مضى فى غلوائه ، وأقدم على قتل (بجير) فعلاً ، وقال بتبجح : بُؤْ بشِسْع نعل كليب !

يريد أن (بجيراً) ـ بعد مقتله ـ بمثابة الفداء لرباط نعل شقيقه كليب ! استهانة ببجير بن الحارث ، الذى لايرق ـ فى نظره ـ لمستوى كليب ، ومن ثم فهو لايكون كفءاً لدمه !

★★★

وحينما بلغ الحارث ـ والد بجير ـ ماحدث ، غَلَى الدم فى عروقه ، وأرغى وأزبد ، وقال يستحث قومه لمؤازرته فى الانتقام لبجير ، قولاً يفيض بدقة الوصف ولوعة الفقد وتسلسل الفكر :

لهف نفسى على بجير إذا ما ... جالت الخيـــل يوم حرب عُضالِ
وسَعَتْ كلُّ حرة الوجه تدعـو ... يالبكـــر .. غَرَّاء كالتمثـــالِ
يابجير الخيرات لاصُلْـح حتـــى ... نملأ البيـــد من رءوس الرجـــالِ

أصبحت وائــل تَعُــجُّ من الحر ب عجيــج الجمــال بالأثقــالِ
لم أكـــن من جنـــاتها عَلِـــمَ الله وإنى بحَرِّهَـــا اليـــوم صالِ
قد تجنبت وائلا .. كى يفيقــوا فأبت تغـلب علــىَّ اعتــزالى
وأشابــوا ذؤابتـــى ببـــجير قتلـــوه ظلمـــا بغير قتـــالِ
قتلــوه بشسع نعــل كلــيب ؟! إن قتـــل الكـــريم بالشسع غالِ
يابنـــى تغــلب قتــلتم قتيـــلا ما سمعنـــا بمثلـــه فى الخوالى

إلى أن يجأر من فؤاد مكلوم :

قربــا مربـــط النعامـــة منـــى لا نبيـع الرجـال بيْـع النعـالِ !
قربــا مربـــط النعامـــة منـــى لبـــجير .. فداه عمــى وخـــالى
قربــا مربـــط النعامـــة منـــى ليس قلبــى عن القتـــال بسالى

والنعامة : اسم فرس الحارث .

وهو فى الأبيات الثلاثة الأخيرة ، يكرر فى صُدُورها نفس الشطر (قرِّبا مربط النعامة منى) باهتياج ينم عن شدة انفعاله فى سورة غضبه ، للإقدام على قتل ولده بأسلوب مهين ، أقرب إلى الغيلة والغدر ، والاستهتار والإصرار على الإمعان فى سفك الدماء .

وكان الحارث قد اعتزل قومه ، فلما كثر عدد القتلى والضحايا بين الجانبين ، قال له قومه : لقد فنى قومك ..

فأرسل إلى المهلهل ابنه بجير ، يحثه على ترك القتال الذى دام لمدة أربعين عاماً ، تكفى ليُدرك المهلهل وِتْرَه ..

إلا أن المهلهل قتل بجيراً كما تقدم ، وقد ذكر المهلهل بجيرا فى إحدى قصائده ، بقوله :

وإنى قد تركت بواردات بجيرا .. فى دم مثـــل العـــبير
هتـكت به بيـــوت بنـــى عُبـــاد وبعض الغُسْم .. أشْفَى للصدور !

***

ونلاحظ أن أبيات الحارث بن عباد ، جاءت من نفس بحر وقافية مرثية المهلهل لأخيه كليب ، التى يقول فيها :

كيف صبرى ـ وقد قتلتم كليبا ـ وشقـــيتم بقتلـــــه فى الخوالى
ولعمرى لقد وطئت بنى بكــــــر بما قد جنوه .. وطْء النعـــالِ
فاشربــوا ماقد وردتم الآن منـــا واصدروا خاسرين عن شر حالِ

ثم يشترك فى البيت الأخير ، مع صياغة شطر بيت الحارث ، حين يقول :

قرِّبـــا مربـــط المشهَّـــر منـــى لاعتنـــاق الْكُمـــاةِ والأبطـــال

---

(١) وقد لفتنا لهذه الأبيات صديقنا الشاعر الكبير محمد عبدالرحمن صان الدين .

والمشهَّر : اسم جواد المهلهل .

ويعترف المهلهل فى البيت الأخير ، ببطولة خصومه من قبيلة بكر ـ أبناء عمومته ـ رغم ما بينهما من عداء وشحناء .

وفى مثل هذا المعنى يقول قيس بن زهير العبسى :

شفيت النفس من حَمَل بن بدر وسيفى من حُذيفة قد شفانى
فإن أكُ قد بَرَدْتُ بهم غليلى فلم أقطعْ بهم إلا .. بنانى !

***

ومن الأبيات التى عناها الجاحظ ـ وهى عندى ذات وحدة موضوعية واضحة ـ قوله : «إن أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه أُفرغ إفْراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً»[1] قول قيس بن ساعده الأيادى :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردأ للموت ليس لها مصادر
أيْقنت أنى لامحاً لهَ حيث صار القوم صائر

وقول بشر بن أبى خازم الأسدى معتذراً لأوس بن حارثة ، بعد أن وقع فى الأسْر ، وأراد أوس أن يقتله لهجائه إياه بقوله :

وما أوس ـ ولو سوَّدتموه بِمَخْشَىّ العُرام ولا أريب
أتوعدنى بقومك يا ابن سُعدى وذلك من ملمات الخطوب

ولم يجد بشر مفراً من (إصلاح غلطته) سوى أن يقول مادحا ومعتذراً لأوس الذى عفا عنه بعد ذلك :

وإنى لراج منك يا أوس نعمة وإنى لأخرى منك يا أوس راهب
فهل ينْفَعَنِّى اليوم أن قلت إننى سأشكر إن أنعمت والشكر واجب
وإنى قد أهجْرتُ بالقول ظالما وإنى منه يا ابن سعدى لتائب
وإنى إلى أوس ليقبل عَذْرَتى ويعفو عنى ما حييت لراغب
فهب لى حياتى ، فالحياة لقائم بشكرك فيها خيرُ ما أنت واهب
فقل كالذى قال ابن يعقوب يوسف لإخوته ، والحكم فى ذاك راسب
فإنى سأمحو بالذى أنا قائل به صادقاً ما قلت إذْ أنا كاذب

(الحديث موصول)

(١) العمدة لابن رشيق ١٧١/١

الالتزام النحوى والجرس الموسيقى للشعر

للدكتور/عبد الرءوف محمد عثمان

الشعر ديوان العرب ، فيه تظهر أمجادهم ، وبه يتفاخرون ويتنافرون ، والشعر مستحسن مندوب شرعاً إذا أدى غرضاً شريفاً لقوله عليه الصلاة والسلام « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة » (فتح البارى ١٠/٢٣٧) ولما روى من أن النبى ـ ﷺ ـ كان يستنشد الصحابة أشعارهم ليلقوها أمامه فى المسجد وكان يقول لحسَّان ـ فى شأن قريش « اهجهم وروح القدس معك ، فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع الحُسام فى غبش الظلام »[١] (مجمع الزوائد ٩/٣٧٧) أما قوله ـ ﷺ ـ : « لأن يمتلىء بطن أحدكم قيحاً حتى يَرِيَه[٢] خير من أن يمتلىء شعراً » (صحيح مسلم كتاب الشعر حديث ٢٢٥٧) فمحمول على مافيه ذم أو فحش أو إفسادٌ أو كفر[٣] .

وبعدُ : فشعرٌ هذا شأنه مكانة وقدراً وشرفاً يجعل الشاعر فى حرج وحيرة بين المواءمة والتوفيق بين إشباع عاطفته وإرضاء النحاة . فماذا يفعل أمام هذا الأسْر لقيود الشعر والالتزام بقواعد النحو ، والمحافظة على الجرس الموسيقى ذلك الصوت الخفى الذى يسرى فى أعماق النفس والذى يصطدم أحياناً بقواعد النحو بمعناه العام ؟ لذا فإننا نراه يجعل شعره فى نهجين :

النهج الأول :

شعر المواءمة : وهو الذى يتمشى وقواعد العربية أو الذى يجد له فيها مندوحة .

والنهج الثانى :

شعر المساءلة : وهو الذى يسلك فيه المسلك الصعب والمضطر يركب الصعب ـ كما يقولون ـ ولنر هذين النوعين .

---

(١) شرح متن الكافى فى علمى العروض والقوافى للدمنهورى .

(٢) فى الصحاح : ورى القبيح جوفه : إذا فسد .

(٣) انظر المجموعة الواقعة بعلمى العروض والقافية للدكتور عبد السلام سرحان .

أولًا : شعر المواءمة ــ من ذلك :

١ ــ أبيت أبكى وتبيتى تدلكى   شعرك بالعنبر والمسك الزكى

فقد حذفت النون من الفعلين فى الشطر الأول ــ وهما من الأمثلة الخمسة ــ لغير ناصب أو جازم وذلك للخفة حيث أن فى الأمثلة الخمسة طولا غير مألوف فى الفعل والفعل ثقيل فى نفسه فلا أقل من أن نخفف من ثقله بحذف النون ، ولذلك نظير من قوله عليه الصلاة والسلام «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ...»(٤) وقوله ــ أيضاً ــ: «كما تكونوا يولى عليكم»(٥) .

٢ ــ أَبَنِى كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّىَّ اللذا   قَتَلا الملُوك وَفَكَّكَا الأغلالا(٦)

وقوله من مشطور الرجز : (هما اللَّتا لو ولدتْ تميم)

لقيل فخرٌ لهم صميم

أراد (اللتان) فحذف النون وهو مرفوع على الخبرية للمبتدأ (هما) وصميم بمعنى خالص و (اللذا) خبر إن ، وإنما استجار بَلْحرث بن كعب أجمعون .

(قال اللقانى أصله بنو الحرث ، فرخم فى غير النداء بحذف النون والواو) ذكره صاحب التصريح بمضمون التوضيح ١ : ١٣٢

وبعض بنى ربيعة حذف النون من (اللذان) و (اللتان) ؛ لأن الموصول لما طال بالصلة أرادوا تقصيره لكون الصلة والموصول كالشىء الواحد .

و (اللتا) خبر المبتدأ الذى هو الضمير المنفصل (هما) وقد حذفت منه النون على لغة هاتين القبلتين كذلك .

٣ ــ حَطَمْتُ اليراع فلا تعجبى   وعِفْتُ البَيَانَ فَلَا تَعْتبى

فلكى يستقيم وزن البيت ولا يكون منفرا للسمع يجب اختيار الحرف الذى لا ينبغى تشديده فى النطق ، فالوزن السليم ذو الجرس الموسيقى يقضى بألا تشدد الطاء فى الفعل (حطمت) ولو شددت لانكسر البيت مع أن اللغة تجيز الصورتين .

٤ ــ وعلى عكس ما سبق أحياناً يقتضى وزن البيت أن ننطق بالحرف مشدداً وإذا نطقنا به غير مشدد انكسر البيت مع أنه يجوز ترك تشديده كما أسلفنا وذلك مثل :

يشرب الكأس ذو الحجا ويبقّى   لغدٍ فى قرارة الكأس شيًّا
لم يكن لى غدٌ فأفرغت كأسى   ثم حطَّمتها على شفتيَّا

---

(٤) صحيح مسلم ك١/ باب٢٢ الحديث ٩٣ .

(٥) المجزى من نحو العربية لكاتب المقال ، والحديث فى الجامع الكبير للسيوطى حـ١ صـ٦٢٩ .

(٦) وهناك رواية أخرى : يا ابن المراغة ان عمّى اللذا ، والبيت الأول وحده ، وما بعده على قول للأخطل التغلبى ، والبيت الأول فى هجاء جرير وهو من الكامل .

فكلمة (يبقى) فى البيت الأول يمكن قراءتها بسكون الباء وكسر القاف ويمكن قراءتها كذلك بفتح الباء وتشديد القاف مع كسرها ، ولكن الوزن الشعرى يحتم قراءتها بالتشديد ، وكذلك عبارة (حطمتها) فى البيت الثانى يمكن قراءتها مفتوحة الطاء بدون تشديد ، ويمكن قراءتها مفتوحة الطاء مع التشديد وهذا ما يتطلبه وزن البيت(٧) .

٥ ـ الضمائر (أنتم ، كم ، هم)(٨) ساكنة الميم ولكن الجرس الموسيقى والوزن الشعرى يستدعيان ـ أحياناً ـ ضم الميم ومدها بإشباع مثل :

فأقسم أن لو التقينـــــــا وأنتم لكـان لكـــم يوم من الشر مظلـــم

وقول بعضهم :

شكـرت جميــل صنعكـــم بدمعـــى ودمـــع الــعين مقيــاس الشعـــور

وقول آخر :

وإخـــــوان تخذتهم دروعـــــاً فكانوهــــا ولكـــــن للأعـــادى
وخـــلتهم سهامـــا صائبـــات فكانوهــــا ولكـــــن فى فؤادى

وأخيراً قول بعضهم :

هُمُ أهلـــــة غسان ومجدهـــــمُ عالٍ فإن حاولوا ملكاً فلا عجبــاً

٦ ـ ياء المتكلم يجوز نحوياً النطق بها ساكنة أو مفتوحة ، ولكن الوزن الشعرى يرشدنا ، بل ويحتم علينا أحياناً نطقها بإحدى الصورتين ولو نطقت بصورة أخرى لانكسر البيت وذلك مثل :

إنى لتطربنـــــــى الخلال كريمة طرب الغــريب بأوبــة وتــــلاقى

فالياء فى كلمتى (إنى لتطربنى) يجب النطق بها ساكنة ، ولو حركت بالفتح لانكسر البيت ، أما الياء فى البيت الآتى :

ومـــــالى إلا آل أحمد شيعـــــة ومـــــالى إلا مذهب الحق مذهب

فيجب فتحها فى كلا الشطرين ، ولو نطق بها ساكنة لانكسر البيت(٩) .

٧ ـ الضمير (هو) مضموم الهاء والضمير (هى) مكسور الهاء ولكن الوزن الشعرى قد يحتم تسكين الهاء فيهما ، ولو حركت لانكسر البيت فمن الأول قول الشاعر :

أمـــن سرق الخليفـــة وَهْـــوَ حىّ يعـــف عن الملـــوك مكفنينـــا

وقول الآخر :

فالـــدرّ وَهْـــوَ أجـــلّ شىء يقتنـــى ماحـــط قيمتـــه هوان الغــــائص

---

(٧) صفوة العروض للأستاذ عبد العليم إبراهيم .

(٨) الضمير الأول منفصل والثالث يصلح للاتصال والانفصال كما فى البيت الأخير ، أما الثانى فهو متصل حتى لا يظن به أنه (كم) خبرية أو استفهامية والبيت الثانى يوضح ذلك والاشباع هنا دون توليد حرف فهو يختلف عن الاشباع فى شعر المساءلة .

(٩) المرجع السابق .

ومن الثانى :

مررت على المروءة وَهْــيَ تبكـــى   فقـــلت علام تنتـــحب الفتـــاة

٨ ـ همزة القطع يلزم صرفيا النطق بها لكن استقامة الوزن الشعرى تستدعى أحياناً إسقاطها من النطق مثل :

ولــو ان الحيـــاة تبقـــى لحى   لعددنـــا أضلنـــا الشجعانـــا

وقول الآخر وقد وصل همزة (أَمّ) :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله   يلاق الـــذى لاقى مجير ام عامـــر

٩ ـ من الأسماء ما هو ممنوع من الصرف ، ولكن الوزن الشعرى والجرس الموسيقى يحتمان علينا أحياناً الخروج عن القاعدة المحوية يصرف غير المنصرف وذلك مثل :

ولهم أحابيـــلٌ إذا ألقـــوا بها   قنصوا النهى فأسيرهـــم مخبـــول

فقد صرف أحابيل وهى من الجمع الأقصى :

وقول الآخر :

فى أرض أنـــدلس تلتـــذ نعمـــاء   ولا يفـــارق فيها القـــلب سراء

فصرف كلمة (أندلس) وهى كلمة دخيلة .

١٠ ـ كلمة (لكن) تصلح أن تكون من أخوات (إنَّ) وأن تكون عاطفة ، ولكن الجرس الموسيقى هو الذى يرشد القارىء إلى النطق السليم فمن النوع الأول قول الشاعر :

ومـا كنت ممن يدخـل العشق قلبـــه   ولكـــنَّ من يبصر جفـــونك يعشق

ومن الثانى :

لقد كان حلماً أن نرى الشرق وحدة   ولكـــنْ من الأحـــلام مايتوقـــع

١١ ـ والوزن الشعرى هو الذى يعيّن نوع نوع نون التوكيد ثقيلة أو خفيفة أو فمثال الثقيلة :

لا تمدحـــنَّ امـــرأ حتـــى تجرِّبه   ولا تذمنّـــــــه من غير تجريب

ومثال الخفيفة :

لا يعـــدن قومـــى الذيـــن همو   سم العـــداة وآفـــة الجزر(١٠)

١٢ ـ بعض الكلمات تجيز اللغة صبطها بصورتين كلفظ (الكذب) بفتح الكاف وكسر الذال ، ويجوز كسر الكاف وسكون الذال ، والوزن الشعرى هو الدليل إلى النطق السليم وذلك مثل :

ودونكـــم مثـــلا أوشكت أضربـــه   فيكم وفى مصر إن صدقا وإن كَذِبا

---

(١٠) الجزر بضم الجيم والزاى جمع جَزور ، وفى البيت إشباع مُسَـاءَل الميم لفظ هم إذاً فالبيت قد جمع بين شعرى المواءمة والمساءلة لتولد الواو بعد الميم .

ومن الثانى قول حافظ ابراهيم فى وصف بعض الصحف :

يحلـــو بها الكِـــذْبُ لأربـــابها كأنها أول (إبريـــــــــــل)

ثانياً شعر المساءلة : من ذلك :

١ ـ إذا كان صرف الممنوع من الصرف مقبولا عندهم ويعدونه من شعر الملاءمة ؛ فإن منع المنصرف من الصرف غير مقبول ويعدونه من شعر المساءلة وذلك كقول مقرى الوحش فى زهريته :

الـروض جامـع والأزاهـر بسطـة وقنـادل الأتـرج لاحت فى الغـد

فمنع لفظ (جامع) من الصرف .

٢ ـ وإذا كان إبدال همزة القطع وصلا مقبولا عندهم وعددناه من شعر الملاءمة فإن العكس غير مقبول ويعدونه كذلك من شعر المساءلة كقول أبى العتاهية وقد قطع همزة فعل الأمر من (بنى) فقال (إبن) وهمزة (ابن) وصل كما هو معروف يقول :

أيها البـــانى لهدم الليـــــالى إبـــن ماشئت ستلقـى خرابـــاً[11]

وكقول أنس بن عباس السلمى :

لا نسب اليـــوم ولا خلـــه إتسع الخرق على الراقـــــــع

فقطع ألف الوصل فى (اتسع) وأكثر ما يكون ذلك فى النصف الثانى من البيت كما رأينا .

٣ ـ تخفيف المشدد : وقد كثر وقوعه فى القوافى المقيدة المختومة بحرف صحيح ساكن ولا مسوغ فى غيره كقول محمد بن البشير وقد خفف تشْديد الفاء فى (تجف) :

لى بستـــان أنيـــق زاهـــر غدق تربتـــــــه ليست تجِفْ

وكقول طرفة بن العبد :

أصحوت اليوم أم شاقتك هنــد ومـــن الحب جنـــون مستعــرْ[12]

بتخفيف الراء من (مستعرّ) ـ ومن ذلك تخفيف الهمزة من لفظ (البارىء) من قول أمية ابن إبى الصلت :

هو الله بارى الخلق ، والخلق كلهم إمـــاء له طوعـــاً جميعـــاً وأعبــــد

وعكس ما سبق من تثقيل المخفف كقول الشاعر وقد شدَّد الميم فى (دمّ) .

أهـــان دمّك فِرغـــاً بعـــد عزتـــه ياعمـرو نعـــيك إصراراً على الحسد

٤ ـ تسكين المتحرك وتحريك الساكن فمن الأول قول أبى العلاء المعرى وقد أسكن الجيم فى (رجل) من الشطر الثانى من قوله :

وقد يقـال عثـار الرِجْـل إلى عثرت ولا يقـال : عثـار الرَجْـل إن عثرا

---

(١١) ميزان الذهب للسيد أحمد الهاشمى .

(١٢) نسب البيت خطأ لامرىء القيس انظر ديوان طرفة صـ٤٥ .

وكتنوين العلم المنادى كقول الشاعر وقد نون لفظ (مطر) فى الشطر الأول فقال :

سلام الله يامطــــــــرٌ عليها[١٣]   ولــيس علــيك يا مطـــرُ السلام

ومن الثانى : تحريك الحرف الساكن اتباعا لما قبله كقول زهير بن أبى سلمى .

ثم استمروا وقالـوا إن موعـدكم   ماء بشرقى سلمى فيـد أو ركك

وإنما هو ركّ فلما حرك الكاف الأولى بحركة الراء فكّ إدغام الكاف ومنه تحريك الهاء من الزهر فى قول الشاعر :

تبقى صنائعهم فى الأرض بعدهــم   والغيث إن سار أبقى بعده الزهَرا

وكقول ابن الجوزى وقد حرك لام (حلم) فى قوله :

تبًّـاً لطـالب دنيـا لا بقـاء لها   كأنما هى فى تصريفهـا حُلُـــم[١٤]

وكذلك كسر آخر الكلمة إن كان ساكناً كقول عنترة وقد كسر ميم فعل الأمر من (أقدم) .

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمهـا   قيل الفوارس : ويك عنتر أقدمِ

٥ ـ اجتماع التجويزين من قصر المحدود ومد المقصور كقول أبى تمام فى محمد بن خالد

ورث النوى وحوى النهى وبنى العلا   وجلا الدُّجَى ورمى الفضا بهداء

فقد قصر (الفضاء) ومدَّ (الهدى) .

٦ ـ إشباع الحركة حتى يتولد منها حرف مدٍّ كقول امرىء القيس وقد أشبع الكسرة فتولدت ياء فى (انجل) :

ألا أيها الليـل الطويـل ألا (انجلى)   بصبح وما الإصباح منك بأمثـل

وكقول الخوارزمى وقد أشبع فتحة ميم (أقام) فتولدت الألف :

فما أنت إلا البـدر إن قلّ ضوؤه   أغبَّ وإن زاد الضيـاء أقامـا

ويكثر الإشباع فى الضمائر المتصلة كقول الشاعر وقد أشبع الكاف فى (أخاك) فصيرها (أخاكا) وفى (له) فصيَّرها (لهو) :

أخاكا أخاكا إن من لا أخاً لَهُـو   كساع إلى الهيجـا بغير سلاح

٧ ـ تغيير الإعراب عن وجهه[١٥] فمن ذلك قول الشاعر[١٦] .

سأتـرك منـزلى لبنـى تميم   وألحق بالحجـاز فأستـريحا

والوجه فى الفعل الرفع لأن فاء السببية لاتنصب إلا بعد نفى أو طلب ومن ذلك قول الراجز :

---

(١٣) هذا باعتبار أن التنوين نون ساكنة لحقت الراء المتحركة بالضم فى (مطر) .

(١٤) الحلم بتسكين اللام غير الحلم بضمها ومنه قوله تعالى من سورة النور ﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا**﴾ ..

(١٥) النكت فى تفسير كتاب سيبويه لأبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمرى .

(١٦) هو المغيرة بن حبناء التميمى .

قد سالم الحيــات منــه القدمــا
الأفعوان والشجــاع الشجعمــا

وكان الوجه الأفعوان والشجاع الشجعم (بالرفع فى الجميع) غير أن قوله : قد سالم الحيات منه القدم ، يوجب أن القدم قد سالمت الحيات لأن المسالمة من اثنين ، فلما ذكر مسالمة الحيات القدم دلَّ على أن القدم قد سالمت الحيات أيضاً فكأنه قال : وسالمت القدم الأفعوان والشجاع الشجعما فحذف لما تقتضيه المفاعلة .

ومن ذلك أيضاً قول عبد العزيز الكلابى :

وجدنـــا الصالحين ـ لهم ـ جزاء وجنــات وعينـــا سلسبيـــــلا[17]

فنصب جنات وما بعدها وكان الوجه الرفع عطفا على جزاء غير أنه لما قال وجدنا الصالحين لهم جزاء دلّ على أنه قد وجد الجزاء لهم فأضمر (وجدنا) فى الشطر الثانى ونصب به جنات وما بعدها .

٨ ـ تأنيث المذكر وتذكير المؤنث كقول عمر بن أبى ربيعة[18] :

فكـان مجنِّـــى دون من كنت أتقـــى ثلاث شخـوص كاعبـــان ومـــعصر

فحذف الهاء من ثلاثة مع أن واحد الشخوص مذكر ولكنه ذهب به مذهب النسوة لأنهن كنَّ ثلاث نسوة .

وقال الشاعر[19] فى تذكير ما ينبغى تأنيثه :

فلا مزنـــــة ودقت ودقهـــــــا ولا أرض أبقـــــل إبقــــــالها

أراد ولا أرض أبقلت ولكنه تأول الأرض بالمكان فذكّر لذلك[20] .

٩ ـ قد يحذف الشاعر مالا يجوز حذفه فى الكلام العادى قصدَ تقويم الشعر ، من ذلك تخفيف المشدد وتسكينه مع حذف حرف بعده كما فى معلّى وجعلها معلْ ومعنًّى وجعلها معنْ ، قال الأعشى ميمون بن قيس :

لعمـــــرك ما طول هذا الزمـــــن على المرء إلا عنـــــاء معــــــنْ

ومن الحذف ترخيم القوافى كقول ابن الأحمر :

أبـــــو حنش يؤرقنـــا وطلـــــق وعبـــــاد وآونـــــة أثـــــالا

ذكر سيبويه أن أثال معطوف على قوله (أبو حنش وطلق ... ألخ) فحذف الهاء وبقَّى اللام على فتحها والأصل أثالة .

---

(١٧) ذكر فى المقتضب ٣/٢٨٤ بلا عزو .

(١٨) ديوانه صـ٦٦ .

(١٩) هو عامر بن حوين الطائى .

(٢٠) انظر النكت فى تفسير كتاب سيبويه السابق ذكره .

ومن ترخيم القوافى[٢١] قول العجاج :

قواطنـا مكـة من ورق الحمـا

يريد الحمام فرخمها ، (وأمد القواطن قاطنة وهى الساكنة ، وواحد الورق ورقاء وهى التى فى لون الرماد الضارب للخضرة) .

ومن الحذف حذف النون الساكنة من (مِنْ ، وعَنْ ، ولكن) لالتقاء الساكنين كقول النجاشى :

فلست بآتيـه ولا أستطيعـه ولاك اسقنى إن كان ماؤك ذا فضل

ذكره سيبويه ومن الحذف حذف الياء من المعتل فى حال الإضافة كقول خفاف بن ندبة :

كنـواح ريش حمامـة نجديـة

١٠ ـ قد يزيد الشاعر مالا يجوز زيادته فى الكلام العادى لتقويم شعره من ذلك زيادة نون مشددة آخر الاسم كقولهم فى القطن قطنّ وهذا من أقبح الضرورات الشعرية كقول الراجز[٢٢] :

كأن مجرى دمعهـا قطنـة من أجـود القطنّـن

ويروى القطنّ بتشديد النون .

ومن الزيادة إظهار المدغَم كقولك فى رادّ رادد لأنه اسم فاعل وكما قال قعنب بن أم صاحب :

مهلا أعازل قد جربت من خلقى انى أجـود لأقـوام وإن ضننـوا

والمستعمل (ضنُّوا) بالإدغام .

ومن الزيادة تحريك المعتل كقول ابن قيس الرقيات :

لابارك الله فى الغوانـى هل يصبحـن إلا لهن مطـلب

فحرك الياء فى الغوانى .

ومن الزيادة زيادتهم الألف فى (أنا) إذا وقفوا عليه فإذا وصلوا حذفوا الألف ، فإذا اضطر الشاعر أثبتها فى الوصل كما قال حميد بن حريث بن مجدل :

أنـا سيـف العشيرة فاعرفـونى حميـد قد تذريت السنامـا

١١ ـ زوال اختصاص الاسم بأن تدخل (أل) وهى من خصائص الاسم على الفعل كما فى قول الفرزدق فى هجاء رجل من بنى عذرة :

ما أنت بالحكم التـرضى حكومتـه ولا الأصيل ولا ذى الرأى والجدل

وقول بعضهم :

يقول الخنى ، وأبغض العجم ناطقا إلى ربنا صوت الحمـار اليجـدع

---

(٢١) هناك ترخيمان آخران غير هذا وهما ترخيم النداء ، وترخيم التصغير ، إذاً فالترخيم ثلاثة أنواع .

(٢٢) هو قارب بن سالم المرى وقيل : دهلب بن قريع .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز فى غير ضرورة الشعر حتى قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى إنه من أقبح ضرورات الشعر .

١٢ ـ زوال اختصاص الفعل بأن تدخل نون التوكيد على الاسم وهى من خصائص الفعل كقول رؤية بن العجّاج :

أريت إن جاءت به أملـــــودا مرجـــــلا ويلـــــبس البرودا
ولا ترى له معـــــــدودا أقائلـــنّ احضروا الشهـــودا[٢٣]

وقوله أيضاً :

يالـيت شعـرى عنكـم حنيفـا أشاهـــرنّ بعدنـا السيوفـا

وكثير من العلماء ينكرون هذه الرواية فى الشاهدين ويقولون لم لا تكون الرواية (أقاتلون) و (أشاهرون) وأنا شخصياً أميل إلى هذه الرّواية الأخيرة وهكذا يكون الجرس الموسيقى للشعر هو المسبر الذى يوصلنا إلى النطق السليم لبنات القريض نحوياً وصرفياً ولغوياً مع التسامح أحياناً ـ رجوعاً إلى القاعدة الشرعية (المشقة تجلب التيسير) ـ وذلك مراعاة للوزن الشعرى وموسيقاه .

وبعدُ فهذه أمثلة ونماذج لشعر المواءمة وشعر المساءلة فى مواجهة الالتزام النحوى وهى بالطبع لا تمثل الشعر العربى كله أو جلّه فى هذا المجال وإنما هى عجالة لهفان ، وبُلالة صاد ، وعلالة مشوق . والله المستعان .

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ شرح متن الكافى فى علمى العروض والقوافى للدمنهورى .
٣ ـ المجموعة الوافية بعلمى العروض والقوافى للدكتور عبد السلام سرحان .
٤ ـ صفوة العروض للأستاذ عبد العليم ابراهيم .
٥ ـ ميزان الذهب للسيد أحمد الهاشمى .
٦ ـ النكت فى تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشنتمرى .
٧ ـ المقتضب الجزء الثالث .
٨ ـ الكتاب لسيبويه إمام النحاة .
٩ ـ الوافى فى العروض والقوافى صنعة الخطيب التبريزى .
١٠ ـ ديوان طرفه بن العبد .
١١ ـ ديوان عمر بن أبى ربيعة .
١٢ ـ المعجم الوسيط توزيع مكتبة الحرمين بالرياض .
١٣ ـ فن التقطيع الشعرى للدكتور صفاء خلوصى .
١٤ ـ المجزى من نحو العربية للدكتور عبد الرءوف عثمان .

(٢٣) أملود بضم الهمزة هو الناعم ، مرجّلا : اسم مفعول من رجّل وأصله مرجلا شعره . البرود جمع برد نوع من الثياب ، الشاعر يستنكر أن تكون هذه المرأة قد حملت منه ، فأنشأت تقول له هذه الأبيات ، وهى من مشطور الرجز .

نافذة على اللغة العربية في نيجيريا

للأستاذ/ صابر تعلب

لا أريد أن أدخل فى دراسة متعمقة مما يدخل فى فقه اللغة ولكن أعرض صورة موجزة لمظاهر اللغة العربية النيجيرية ـ إن صح هذا التعبير ـ وهى ملاحظات التقطتها خلال فترة إقامتى للتدريس ونشر الثقافة الإسلامية بها .

أولا ـ فى الخط :

تستعمل المدارس القرآنية الرسم المغربى فى الكتابة إلا أن مدارس وزارة التعليم تستعمل الخط الحديث فى الكتابة ، وبدأ الرسم الحديث يتسرب إلى بعض المدارس القرآنية .

ثانيا ـ فى النطق :

هناك ثمانية حروف لا توجد فى لغة « الهوسا » و« اليوربا » وهما اللغتان الأكثر انتشارا هناك وهذه الحروف هى : الثاء والحاء والخاء والذال والصاد والضاد والظاء والعين . ولصعوبة هذه الحروف عندهم يخطىء كثير منهم عند نطقها لعدم التعود عليها مثل الذال ، وكثيرا ما يترتب على الخطأ فى النطق الخطأ فى الإملاء أيضا .

ثالثا ـ فى التركيب واستعمال اللغة :

لاحظت أن قواعد اللغات المحلية تؤثر على متعلم اللغة العربية ، وأن سبب بعض الأخطاء

الشائعة فى اللغة العربية فى النطق النيجيرى يرجع إلى تأثر من يتعلمها بلغته المحلية . وعدم محاولته التخلص من تطبيق قواعد لغته النحوية والصرفية على اللغة العربية .

فمثلا فى (لغة الهوسا) يسبق الفاعل الفعل ، وهى قاعدة ثابتة لا يمكن مخالفتها ؛ ولذا تجد أن معظم الجمل عند من يتعلم العربية هى جمل اسمية ؛ لأنها أقرب إلى لغته المحلية .

وكذا إذا كان الفاعل اسما ظاهرا أتبعه بضمير مطابق له قبل الفعل ، فمثلًا ـ يقول ـ فى لغته : « محمد ياتفى » يقول بالعربية : محمد هو ذهب ، وهو كما ترى خطأ فى العربية .

وظاهرة أخرى تتعلق باستعمال الفعل المضارع ، فهو فى لغتهم يستعمل للدلالة على الماضى والحال والاستقبال ويميزون زمن الفعل بزيادة ظرف زمانى يدل عليه ، أو وجود قرينة فى الجملة تدل عليه .

مثل : نِى رُبُوتوجِيًا = كنت أكتب بالأمسِ

نِى ربوتُويتنزُ = أكتب الآن

نِى رُبُوتُو جُوبِى = سأكتبُ غدًا .

وهذا جعل البعض يخطىء عند استعمال الأفعال .

وتقع ـ أيضا ـ أخطاء عند استعمال حروف الجر كأن تستعمل فى غير محلها ، أو يستبدل حرف بآخر ، ومن الأخطاء الشائعة أيضا إدخال « ال » التى للتعريف على (المعارف) فنجد من يقول لك : كيف الأنت ؟

إن بعض هذه اللحون وجد بين بعض المسلمين من غير العرب عند انتشار الإسلام ودخول أقوام جدد فيه ، وهى من الظواهر اللغوية التى عدت من اللحن ومن أمثلتها ما ذكره ـ بكثرة ـ الجاحظ فى البيان والتبيين .

وقد يكون من المفيد مراعاة أن :

أولا : من أهم العقبات التى تواجه تعليم اللغة العربية فى نيجيريا حاليا عدم وجود وسائل سمعية وبصرية حديثة وكافية لتدريس هذه اللغة مثل : الكتب والصور والشرائط والأفلام وغيرها .
والموجود منها غير مناسب ؛ لأن أكثرها أُلِّف لتعليم الطلبة العرب ، فتراها تتكلم فى الغالب عن بيئة لا يفهمها الطالب النيجيرى . وهناك محاولات لوضع كتب تناسب التلاميذ هناك إلا أنها ليست موضوعة على أسس علمية تربوية حديثة .
فالـــــواجب إذن هو أن ينهض عدد من المتخصصين النيجيريين والعرب الذين يقومون بالتدريس بتأليف كتب مناسبة موضوعة على أسس تربوية سليمة .

ثانيا : على الدول العربية كلها دور مهم يجب أن تقوم به ازاء تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها . وأهمية اللغة العربية ـ بصفتها لغة دين للملايين من المسلمين وبصفتها لغة معترفا بها فى كل المنظمات الدولية العالمية ـ يقتضى اتخاذ خطوة ايجابية لنشرها فى العالم بوصفها لغة ثانية على نفس الطريقة التى تنشر بها اللغات الأوربية فى العصر الحاضر ويمكن تحقيق هذه الغاية بوسيلتين :

الأولى : أن تفتح الدول العربية أقساما خاصة فى جامعاتها لتقوم بدراسة وتـــدريس وبحث مشكلات تعليم اللغة العربية كلغة ثانية ، ثم تقوم بوضع أسس وأساليب حديثة من شأنها تذليل الصعوبات وتسهيل طرق تعليم هذه اللغة وتقوم الجامعات بتنظيم مؤتمرات علمية للنظر فى أحدث البحوث لتعليم هذه اللغة فى مختلف المراحل .

الثانية : إنشاء أكثر من مركز على غرار المركز الذى أنشأته جامعة الدول العربية بالخرطوم لإعداد مدرسى اللغـة العربيـة لغير العـرب ، والقيـام بدراسات لغوية ، وبحوث علمية فى هذا المجال . كما يوضع على عاتقها تـنظيم المؤتمرات العلميـة وتقديم المساعدات الفنيـة لمعلمـى العربيـة لغير الناطقين بها .

ثالثا : هناك دور مهم يجب أن يقوم به الكتاب العرب فى مجال الثقافة العربية العامة وهذا الدور هو وضع كتب خاصة للقـراء غير العـرب وغير المتخصصين فى اللغة العربية .

بعبارة أخرى : أين الرواية أو الكتاب العربى البسيط فى لغته والعالى فى أفكاره الذى يقرؤه غير العربى للمتعة الأدبية الرفيعة ..؟ والأمر يحتاج من بعض الكتاب أن يقوم بإعادة كتابة بعض القصص والروايات فى لغة بسيطة مختارة يفهمها القارىء دون مشقة . ولقد قام الإنجليز بإعادة كتابة كثير من كتبهم الأدبية إلى لغة بسيطة يفهمهـا غير المتخصص تسمى السلسلة المبسطة Simplified Series وهى مكتوبة بألفاظ مختارة فى حدود فهم المتعلم . لاشك أن مثل هذه السلسلة سيكون لها رواج كبير فى البلاد غير العربية التى تتعلم هذه اللغة .

فإذا قامت البلاد العربية بهذه الأدوار المهمة فلاشك أن اللغة العربية ستزدهر ازدهاراً كبيراً وتنتشر انتشاراً واسعاً لا فى نيجيريا فحسب ، ولكن فى البلاد الأفريقية والإسلامية كلها ؛ بل وفى العالم أجمع .

رابعا : ينبغى الاهتمام بمستوى معلمى العربية ، وبخاصة النيجيريون ، ليتمكنوا من أداء الـدور الملقى على عاتقهم ، والذى ينتظر المجتمع منهم النجاح فيه .

خامسا : كذلك فإن حاجة بعض المعلمين إلى دورات تدريبية أكثر من ضرورية مع لفت النظر إلى أهمية التنسيق مع واضعى المناهج هناك وتقديم يد العون لهم . أما بالنسبة للكتاب ، فمصادر الكتاب العربى مختلفة : بعضها مصرى وبعضها ليبى وبعضها سعودى ، وقد يكون هذا مفيدا لو أن التنوع كان فى المراجع العربية وليس فى الكتاب المدرسى الذى يكـون له هدف محدد ووظيفـة يخدمها .

سادسا : مد جسور دائمة مع التعاون مع هذه البلاد التى ترحب بكل من يريد عونها وحتى لا تترك الساحة لغيرها فالغرب نشط على الطريق بفاعلية وتنظيم .

والله أسأل أن يهدينا إلى الطريق المستقيم فهو المرشد والهادى إلى سواء السبيل . هذا وبـالله التوفيق .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

وثائق هندوسية سرية لمحاربة المسلمين

يكاد كل صباح يشرق على المسلمين بمأساة جديدة ، حتى استقر فى وجداننا أن أعداءنا قد بيتوا النية على طمس هوية الإسلام وتصفية وجوده من الأرض ؛ فبمتابعة أحوال المسلمين فى العالم وأحوال الأقليات على وجه الخصوص وما يتعرضون له من ألوان الظلم والأذى يتأكد إيماناً بقوله تعالى :

﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ .

(الآية ٢١٧ البقرة)

تلقت المجلة تقريراً مترجماً عن اللغة الهندية من القارىء/ محمد حسانين ـ المترجم بالرياض فى المملكة العربية السعودية ـ لما وقع تحت يده من الوثائق الهندوسية الجديدة ، الصادرة عن منظمة (آر . إس . إس الإرهابية) التى تحث فيها أتباعها على استخدام الأساليب المتطورة فى محاربة المسلمين ، وقد أرفق الكاتب مع ترجمته صورة ضوئية من هذه الوثائق بلغتها الهندية ، غير أن ضيق المساحة يجعلنا نكتفى بنشر الترجمة العربية التى تعكس الحقد الأسود على الإسلام والمسلمين .

« **صعوبة الترجمة** : بدت الترجمة شبه مستحيلة مع وجود كلمات كثيرة « هندية » مثل كلمة **Mlechchas** ومعناها النجسون ،

ويقصدون بها المسلمين ، وكلمة **Hindutva** معناها إثارة النزعة أو العواطف الدينية ، وقد حرصت على معرفة معانى بعض الكلمات من شخص يعرف «الهندية» والتزمت فيها الدقة الكاملة – قدر الاستطاعة – ، وهى موجهة إلى القادة المحليين وهذا نصها :

تقع على عاتقكم بعض الواجبات الإضافية فى الظروف الحالية المتغيرة ... انقلوا التعليمات التالية للمتطوعين ، والوطنيين ، وأبلغوا القيادة بصدى هذه التعليمات ... وردود الفعل عليها ، مع مواصلة الاجتماعات واللقاءات ..

١ – شراء الأسلحة والمتفجرات ، وتوزيعها على الوطنيين .

٢ – استمالة «المنبوذين» لمحاربة المسلمين .

٣ – استغلال الأحداث المحلية .. بالتلفيق والتحريف .. لإثارة العواطف الدينية بين الهندوس .

٤ – الدعوة إلى إثارة العواطف الدينية **(Hindutva)** بين أوساط الأطباء والصيادلة ، ونطق كلمة «أوم» **(Oom)** ولفظة «جاى شرى رام» (كلمة تمجيد لإلاههم) فى آذان الأطفال حديثى الولادة من المسلمين ، والتخلص من الأدوية منتهية الصلاحية ببيعها للمسلمين وحقن أطفال المسلمين .. عند الولادة .. بحقن تسبب لهم إعاقات .

٥ – نشر «الهندكة» بين المهنيين والموظفين ، والتعامل مع غير الهندوس والطبقة المنبوذة على أساس من الإخلاص للعقيدة الهندوسية .

٦ – مقاطعة حلقات «الإنجيل» وجميع البرامج ضد الهندوسية أو البرامج العلمانية .

٧ – مساعدة الضباط بإغرائهم على زيادة دخلهم عن طريق ممارسة الأنشطة غير الشرعية بين المسلمين مثل الخمور ، والمخدرات والقمار والميسر ، وفى مناطق المنبوذين أيضاً وتوريط نساء المسلمين والمنبوذين فى تجارة الرقيق وتجارة الأعراض .

٨ – إعاقة النمو الجسدى والعقلى لأطفال المسلمين الذين يذهبون للمدرسة بالمأكولات الضارة عن طريق الباعة والمتطوعين والمدرسين .

٩ – جمع أو «تلفيق» أدلة وجود «تماثيل» حجرية تثبت أن جميع المساجد والكنائس كانت معابد هندوسية أصلا .

١٠ – أن يعمل (مثيرو الفتن والقلاقل) بعيداً عن مناطقهم المحلية فى وجود عدد قليل من المشرفين المحليين .

١١ – التدريب على اصطياد الأعداء فى غفلة منهم ، لا رحمة بالأقارب أو الأصدقاء والتخلص من جثثهم حسب التعليمات السابقة .

١٢ – العمل على إثارة القوات المسلحة ضد المسلمين واستعدائهم عليهم والعكس ، وكذلك الإيقاع بين «الهاريجنز» إحدى طوائف المنبوذين وبين المسلمين .

١٣ – دعوة الطلاب والمتطوعين إلى إغواء أصدقائهم المسلمين لتعاطى «الدهاتورة» (نبات مخدر) وأنواع المخدرات الأخرى إضافة لاستثمار

جهود هؤلاء المتطوعين فى مجال « الهندكة » .

١٤ ـ حث شباب المتطوعين والطلاب على الزنا بنساء المسلمين ، أينما وجدن ، ومتى سمحت الظروف ، فى الفنادق ، فى المحال ، فى المكاتب ، فى المدارس ، بروح أبطال « سورت » ـ وهى مدينة نالها من أذاهم ما نالها ـ وممارسة الجنس بالصديقات المسلمات ، وبنات الجيران من العائلات المسلمة ، ويفضل مع العذارى والمراهقات دون استخدام واق **(Without Condoms)** حتى يحدث الحمل ، وإغراء البنات بكشف الأعضاء التناسلية ، ومنحهن الهدايا ، واللمسات والقبلات ، والمسكرات ، وتصويرهن عند ذلك (عند ممارسة الجنس معهن) .

١٥ ـ حث التجار والصاغة الهندوس أن يدبروا لاستنزاف نقود غير الهندوس ، وألا يشتروا شيئاً من المسلمين ، بل يأخذوا الأشياء رهناً .

١٦ ـ مراقبة أنشطة السيخ وأسلحتهم أثناء مراقبة أنشطة غير الهندوس ، وإبلاغ المقر الرئيسى لمنظمة **R.S.S** من أى علاقات تنشأ بينهم وبين المسلمين .

بأقلام القراء

« يالها من سياسة ظالمة مزدوجة تلك التى ينتهجها « النظام العالمى الجديد » ؛ حيث تكيل بمكيالين ؛ أحدهما للمسلمين وهو المملوء بالعقوبات والجزاءات ، والآخر لإسرائيل والصرب ومن والاهم ، وهو المشفوع بالتشجيع والغفران ، والمسلمون السبب المباشر لهذه السياسة ؛ لأنهم ارتضوها بالصمت وعدم الاعتراض .

ثانيا : لأنهم انشغلوا بأنفسهم وتفرقوا عن بعضهم ولم يعتصموا بحبل الله جميعا كما أمرنا ربنا عز وجل » .

[**محمد أبواليسر عبدالهادى ـ الدقهلية**]

فما الحل إذن ؟

الواقع أن الحل والإجابة تأتينا من مصدر قوتنا ، وهو ديننا الإسلامى مظهر حضارتنا ، ففيه تراث هذه الأمة الذى صاغ عقلها وعاطفتها وحسها ومزاجها ، لذا ننتظر من قادة الأمة وعلمائها ومفكريها ومصلحيها جهداً مطرداً فى عرض هذا التراث والإبقاء عليه ، ومن ثم يعود لنا استقلالنا الفكرى والحضارى ونخرج من هذا النفق المظلم فى واقعنا .

[**مصطفى حسن الشيخ ـ البحيرة**]

• • •

« إن لكل سورة من سور القرآن الكريم ـ ذلك الكتاب الكامل المبين ـ هدف نبيل تدور آياتها حوله وترمى إليه وتؤدى فى النهاية إلى تحقيقه ، من تلك الأهداف حث الناس على الاستجابة لله ـ تعالى ـ ورسوله ـ ﷺ ـ وتقوية

صلة المؤمن بربه ، وبناء شخصيته على أساس متين من الثقة المطلقة بالله ـ تعالى ـ والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه ، ومن ثم يتحقق للإنسان الرقى والسمو الروحى » .

[زينبى أحمد ـ المغرب]

● ● ●

«لقد دهشت عند سماعى فى مجلس الشعب بأن إصدارات كتب التنوير ـ المعادية لفكر الإسلام ـ صدرت بموافقة الأزهر الشريف ، وهالنى ماقرأت فى عدد صفر ١٤١٤هـ لمجلة الأزهر بأن الأزهر الشريف لم يطالع ما صدر من كتب ، فما معنى هذا التصرف من وزارة الثقافة ؟» .

[يحيى السيد النجار ـ دمياط]

المجلة : معناه لايخفى على ذى فطنة .

أمّةَ الإسْلامِ ... فى البُوسْنَةِ أنْهارُ الدّماءْ
مَذْبَحٌ للحقّ يَجْرِى ... واغْتِصابٌ للنساءْ
مَجلسٌ للأمْن . أينَ الأمنُ ؟ مَاهذا الهُراء ..؟
لَيْسَ للعُزَّل أمنٌ !!! إنه للأقوِيَاءْ .
وأعدّوا ما استطعتم ... قالها ربّ السماءْ
ياصلاح الدين أين السّيف أيْنَ الكبرياء ؟
إن دينَ الله يدعو ... كلَّ من يحمى اللواءْ
من يُضَحّى فِى سَبيل الله ... أينَ الأوفياءْ ؟

[من قصيدة (خفقة قلب) للشاعر : ناصر محمد عطية ـ بطنطا]

ردود وتعليقات

● القارىء/ رجب سيد عياد البرديسى ـ الباحث التربوى ببنى سويف .

مع تقديرنا لجهدك المبذول فى إعداد صحيفة الاستبيان حول تدريس الثقافة الإسلامية فى مؤسساتنا العلمية ، فإن هذه المسألة لم تعد فى حاجة إلى استطلاع لرأى المسلمين ؛ لاسيما وقد أصبحت من الأهمية بمكان ونحن بصدد تحصين شبابنا من التيارات الوافدة ، وتمكين مجتمعاتنا من احتواء ظاهرة الغلو فى الدين .

● القارىء/ عصام مصطفى قاسم ـ من المنيا بمصر .

● والقارىء/ ربيع عبد الرءوف الزواوى ـ من الاسكندرية بمصر .

● والقارىء/ محمد محفوظ العشرى ـ من الدقهلية بمصر .

● والقارىء/ على بن عبد العزيز الشبل ـ من الرياض بالسعودية .

ربما وجدتم بعض الأعداد القديمة من مجلة الأزهر فى (إدارة مشتريات الأزهر بمدينة البعوث بالقاهرة) أما الإصدارات الحديثة منها ، فهى تنفذ فور صدورها ـ بفضل الله ـ بحيث لا نستطيع أن نَعِدَ بوجود شىء منها فضلا عن بيعه أو إرساله لمن يطلبه .

● القارىء/ عبد الناصر مبارك عبد الحميد ـ من مركز الدلنجات بالبحيرة .

رجاء تخريج الحديث الذى اعتمدت عليه فى سرد صفات صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ .

● القارىء/ رضا عواد فرج ـ المهندس بمصر الجديدة .

ليس بوسع مجلة الأزهر تزويدكم بمصحف شريف طبعة خادم الحرمين ، فلم تشرُفْ بطبعه أو توزيعه . ويمكنكم الاتصال كتابة بالمستشار الثقافى بسفارة السعودية بالقاهرة .

● القارىء/ طنطاوى عبد القادر على .

● والقارىء/ محمد عباس محمد ـ المدرسان بالأزهر .

يمكنكما إرسال صورة من نتاجكم الفكرى إلى إدارة المجلة بغية فحصه وتقرير مدى صلاحيته للنشر .

● القارىء/ سعد عبد العال العقبى ـ من الزهراء مصر القديمة القاهرة .

ستبحث مجلة الأزهر اقتراحكم بضم المقالات التى نشرتها عن «تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراآت العشر» تحقيق فضيلة الشيخ «إبراهيم عطوة» فى هدية جامعة .

● القارىء/ محمد أبو اليسر عبد الهادى ـ بكلية التربية النوعية بالمنصورة .

وصلت برقيتكم شاكراً لكم حرصكم الشديد على الدقة اللغوية .

● القارىء/ وليد عبد القادر جعفر ـ من الزعفران بكفر الشيخ .

بمشيئة الله ـ تعالى ـ تلبى مجلة الأزهر مطلبك وتفسح فى مادتها المقالية القادمة مساحة للحديث عن «ظهور المهدى» وبيان مدى صحة الأحاديث الواردة عنه والقول الصائب فيه .

● الكاتب/محمد مصطفى الغمرى أبو العطا ـ المدير السابق لإدارة شبرا الخيمة التعليمية بالقاهرة .

نشكركم على تقديركم لمجلة الأزهر ، ومتابعتكم المستنيرة لهديتها فى عدد المحرم ١٤١٤هـ ، عن كتيب « نقض الفريضة الغائبة » .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً ، كما يحيط الباب قراءه علماً بأن ما يطرأ على مادتهم المقالية من حذف أو تغيير فى بعض المفردات بما يجعل المعنى أكثر دقة وأوجز لفظاً ، ليس إلا ضرورة من ضرورات النشر .

ردود خاصة باشتراكات المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ــ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافون الإدارة بهاوأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنباء وآراء

إقامة المسجد شكر وحسن ذكر

بقلم فضيلة الإمام الأكبر

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمناسبة افتتاح مسجد الحسن الثانى بالدار البيضاء ـ المغرب ـ والذى سيصادف احتفالات الأمة الإسلامية بعيد المولد النبوى الشريف .

حيث تهيىء المملكة المغربية مؤلفاً علمياً حول هذه المعلمة الدينية والعلمية ، وفى هذا الإطار وجهت الدعوة لفضيلته ؛ للمساهمة فى هذا المؤلف ليتحدث حول البعد الدينى والروحى لهذا المسجد العظيم بالنسبة للمؤمنين فى العالم.*

المسجد والتعليم صنوان فى الإسلام منذ كان الإسلام ، وارتفعت أعلامه واستعلنت جماعته وتكاثرت ، فما بنى النبى ﷺ يوم استقر فى دار الإسلام بيته حتى بنى المسجد ، الذى تقام فيه الصلاة ، وتنعقد فيه حلقات التعليم للمسلمين ، والوافدين للتعرف على الإسلام .

ومن ثم كان ارتباط المسجد بالتعليم ، كارتباطه بالصلاة ، فكما لا مسجد بغير صلاة ، كذلك ، لا مسجد بدون تعليم ، وصارت حاجة الإسلام إلى التعليم كالحاجة إلى الصلاة وصح القول بأنه : لا إسلام بلا صلاة ، كما لا إسلام بلا تعليم .

ولهذه الحاجة مضى رسول الله ﷺ على عمارة المسجد بهما ، فما انقطع عمره كله عن الصلاة وعن التعليم فى مسجده .

ولقد توارث المسلمون الحرص على إنشاء المساجد وإعمارها منارة للإسلام الذى اتخذ السلم شعاراً ودثاراً ، فجاء كتابه القرآن بمبدأ السلم العام بين الناس ، ومع الأديان السماوية السابقة عليه فأعلن : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ .

وقد كان المسجد مقراً اجتماعياً منذ أقامه رسول الله محمد ﷺ ففيه تؤدى الصلاة فى مواقيتها ، وفيه تعقد حلقات العلم وتعليم القرآن ، وصدور الفتوى فى أمور الدين والدنيا يؤمه المسلمون استزادة من العلم وعبادة ، ويفد إليه غير المسلمين تطلعاً للتعرف على الإسلام واستمدادا من إنسانيته وأخلاقه التى تغياها ، واستظهرها كتاب الله : القرآن وسنة رسول الله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ

(*) قدم للكلمة الأستاذ / عمر البسطويسى

ولعل استضافة هذا المسجد لوفد نصارى نجران فى عصر الرسالة ـ وكانت عدتهم ستين رجلا ـ والسماح لهم بإقامة صلواتهم فيه ، يستمعون لما يجرى فيه من أعباء الدعوة وابلاغ الرسالة ، ويشهدون عن قرب أخلاق الإسلام التى ربى عليها المسلمين ، ثم يطلبون إيفاد من يقضى بينهم من المسلمين ، فأوفد الرسول ﷺ معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد أشار إلى هذا البخارى وغيره[1] .

لعل هذه الواقعة تكشف بجلاء ـ عن مدى سماحة الإسلام وسلم المسلمين من عهد الرسالة ، والبعد عن الانغلاق طلباً للوفاق بين مختلف بنى الإنسان .

وفى العناية بإعداد المساجد ، وتشييدها ، والحفاظ على بهائها وروائها والدعوة إلى بذل أقصى الجهد فى تنظيفها ، وتنظيمها وتجديدها ، حتى تكون فى مظهر لائق .

روى الثقات ماقام به سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه من إعادة بناء مسجد الرسول ﷺ بالحجارة المنقوشة والجبس ، وجعل عمده ـ كذلك ـ من حجارة منقوشة وسقفه من خشب الساج[2] الثمين وقد نقل عن أبى حنيفة رضى الله عنه أنه لابأس بنقش المساجد بماء الذهب .

وروى عن عمر بن عبدالعزيز أنه نقش مسجد النبى ﷺ وبالغ فى عمارته وتزيينه ، وذلك زمن ولايته على المدينة المنورة قبل توليه الخلافة ولم ينكر عليه أحد[3] .

وفقه هذا الصنيع : أنه لاينبغى أن يتخلف المسجد فى عمارته ومنشآته عما اتخذه المسلمون فى إقامة منازلهم ، من مواد البناء وفنون العمارة ، وجمال الهندسة ، واستحداث ما استجد فى العصر من فنون تليق بوقار المسجد وبهائه ومهابته .

ولقد ذهب بعض المفسرين إلى أن فى قول الله سبحانه فى سورة الأعراف ..

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾

إشارة وتوجيهاً إلى العناية بالمسجد ، وتزيينه وتنظيمه وتنظيفه بما يتعارفه الناس فى كل عصر ومصر وإنه لتوجه صالح إلى عمر مثمر ، ومَعْلَمٌ واضح من جلالة الملك « الحسن الثانى » ملك المملكة المغربية أن يأمر بإقامة ـ مسجده هذا ـ فى الموقع الذى اختاره جلالته من « الدار البيضاء » على شاطىء المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب من بلاد الأمة الإسلامية ليؤمه المؤمنون ، وليكون المُصَلِّى فيه ، والداعى ، والذاكر ، والشاكر ، والراكع ، والساجد ، أينما وجه بصره مشاهداً سماء ربه تظله ، وبَحْر ربه الذى يُذكر بنعمه على خلقه .

وإنه لذكر محمود ، ممدود لجلالة الملك ولقومه ولأمته الإسلامية يفىء إليه أجره الذى وعد الله به من بنى مسجداً .

ثم هذا المسجد فى موقعه الذى هدى الله إليه منارة تقول للآخرين وللمارين المنبهرين ببهائه ووقاره :

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾

---

(١) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى ص٢٥٠ ، ٢٥١ وقد أشار إلى حديث مسلم فى فضائل الصحابة باب فضائل أبى عبيدة رقم ٢٤١٩ أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا : ابعث معنا رجلا يعلمنا الإسلام قال : فأخذ بيد أبى عبيدة فقال : (هذا أمين هذه الأمة) وروى البخارى قصة أهل نجران فى المغازى رقم ٤٣٨٠ .

(٢) الساج : شجر يعظم جداً ، لاينبت إلا ببلاد الهند ، وخشبه أسود رزين لاتكاد الأرض تبليه .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١ ص٥٣٩ ـ ٥٤١ ط مناهل العرفان بيروت مكتبة الغزالى ، وتفسير القرطبى جـ٢ ص٢٦٧ .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذ / مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهـــر

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماع المجلس الأعلى للأزهر صباح يوم الأحد الموافق ٥ صفر ١٤١٤هـ ــ ٢٥ يولية ١٩٩٣ حيث ناقش العديد من الموضوعات الهامة ، والتى كان من بينها موافقة المجلس على إنشاء شعبة لدراسة العلوم الإنسانية باللغة الألمانية بكلية اللغات والترجمة ــ بنين ــ بجامعة الأزهر لسد حاجة الدعاة المؤهلين على المستوى العالمى .

كما تمت الموافقة كذلك على إنشاء شعبتين للخدمة الاجتماعية : إحداهما بكلية التربية بالقاهرة ، وثانيهما بكلية أصول الدين فرع أسيوط كذلك تمت الموافقة على إنشاء المركز الإسلامى الإقليمى للفطريات وتطبيقاتها بكلية العلوم جامعة الأزهر .

الإمام الأكبر مع أئمة ودعاة العالم الإسلامى

فى إطار الدورات التدريبية التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة « بالأزهر » التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والأئمة والدعاة والدارسين فى حفل تخريج الدفعة الحادية والعشرين وذلك ظهر يوم السبت الموافق ١١ من صفر ١٤١٤هـ ٣١ يولية ١٩٩٣ حيث أجرى فضيلته معهم حواراً أجاب فيه عن كافة التساؤلات المطروحة على الساحة الإسلامية مؤكداً على ضرورة أن تكون مناصرة الأقليات الإسلامية المضطهدة بالطرق الدبلوماسية والسياسية من خلال المنظمات العربية والإسلامية والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى مشيراً إلى ضرورة دعم وتقوية تلك المنظمات باعتبارها لغة العصر المقبولة .

ثم قام فضيلته فى نهاية اللقاء بتوزيع شهادات التخرج على الدارسين بالدورة والذين يمثلون أكثر من عشر دول عربية واسلامية وأوروبية منها : انجلترا والصين وروسيا وجمهوريات الكومنولث الإسلامية .

شهد اللقاء سفراء الدول المشاركة فى الدورة ، والسيد السفير محمد أبو العينين مساعد وزير الخارجية ومدير الشئون الثقافية العامة والدينية .

كذلك شهد فضيلة الإمام الأكبر حفل افتتاح الدورة الثانية والعشرين لأئمة ودعاة العالم

الإسلامى وذلك ظهر يوم الأحد الموافق ١٩ صفر ١٤١٤هـ ـ ٩ أغسطس ١٩٩٣ ويشارك فى هذه الدورة أكثر من أربعين داعية يمثلون أكثر من عشرين دولة إفريقية وأوروبية .

وقد دعا فضيلته فى الكلمة التى وجهها إليهم إلى الابتعاد عن المسائل الخلافية التى تفرق وحدة المسلمين ، وتضيع جهودهم ، وتشيع بذور الفرقة والانقسام بينهم مشيراً إلى مسئولية الدعاة هى جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وبخاصة فى الوقت الحاضر الذى يواجه فيه العالم الإسلامى تحديات كبيرة .

شهد الحفل السفير سامى عبد اللطيف مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافية ، وقيادات الدعوة بالأزهر الشريف .

انعقاد المؤتمر الثانى للتوجيه الإسـلامى للخـدمة الاجتماعية تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر

برعاية فضيلة الإمـام الأكبر شيـخ الأزهـر نظمت جامعة الأزهر بالتعاون مع المعهد العالى للفكر الإسلامـى بمركـز الشيـخ صالح كامـل بالقاهرة فى الفترة من ١٩ ـ ٢١ صفر ١٤١٤ المؤتمر الثانى للتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية والذى شارك فى أعماله علماء من عشر دول إسلامية وعربية ونخبة من كبار علماء الإسلام والمفكرين ناقشوا أكثر من خمسين بحثاً حول تطوير الخدمة الاجتماعية فى ميادين الدعوة والإغاثة ومواجهة التطرف والانحراف ورعاية الطفولـة والمسنين .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى وجهها للمؤتمر وألقاها نيابة عنه فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر على أن الدين الإسلامى عالج المشكلات الاجتماعية بالدعوة للإنفاق فى سبيل الله وأداء الزكاة لرعاية الفقراء والمساكين وكفالـة اليتامى .

اختبارات القبول بالأزهر فى سبتمبر القادم

قررت الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية عقد اختبارات مسابقة القبـول للمرحلـة الإعداديـة الأزهرية على مستـوى الجمهوريـة يوم السبت الموافق ١٩٩٣/٩/١١ .

يشترط فى المتقدم لهذه المسابقة أن يكـون حافظاً للقرآن الكريم كله ، وأن لا يقل السن فى أول أكتوبر من هذا العام عن أحد عشر عاماً وأن يجتاز بنجاح الاختبارات المقـررة والمعلـن عنها بالمناطق والمعاهد الأزهرية .

الإمام الأكبر شيخ الأزهـر يستقبل سفير سلطنة عمان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سفير سلطنة عمان بالقاهرة صباح يوم ٢٨ من المحرم ١٤١٤هـ ـ ١٨ يولية ١٩٩٣ وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقـات الثقافية والدينية بين الأزهر الشريف وسلطنة عمان خاصة فى مجالات علوم القرآن والقراءات ، وبصفة أساسية فى مجال التعليم .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

القاهرة

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى يوم الأربعاء ٨ من شهر صفر الخير سنة ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٣/٧/٢٨ م بتوزيع جوائز نقدية بلغ مجموعها أكثر من ثلاثة وعشرين ألف جنيه مصرى عل علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف الفائزين فى المسابقة الكبرى التى كانت قد أعلنت عنها الإدارة العامة للدعوة والإعلام الدينى .

أقيم الحفل فى القاعة الكبرى بإدارة الأزهر وحضره فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف .

بدىء الحفل بالقران الكريم ثم تم توزيع الجوائز :

فاز فضيلة الشيخ شعبان محمد عوض حسن بالجائزة الأولى عن « التطرف وأسبابه ودوافعه وعلاجه » .

كذلك فاز فضيلة الشيخ شرف الدين أحمد إسماعيل شرف الدين بالجائزة الأولى عن « التكافل الاجتماعى فى الإسلام » .

طالب فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته إلى السادة العلماء بضرورة مداومة الاطلاع والاهتمام بالمظهر اللائق وحسن تخير الموضوعات التى تتناسب مع الظروف والبيئة ومستويات الجمهور .

ثم كان حفل الختام المبارك بتلاوة آى من القرآن الكريم وتوزيع الجوائز التى تراوحت بين ألف جنيه للفائز الأول من كل فرع من فروع المسابقة وبين مائتى جنيه للفائز العاشر فى كل فرع منها .

دبلوم الاقتصاد الإسلامى

تقرر إنشاء دبلوم فى الاقتصاد الإسلامى بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر يمنح درجة

دبلوم فى دراسات متعمقة للفكر الاقتصادى الإسلامى والنظم الاقتصادية الإسلاميـــة ، وما يتصل بها من دراسات . تبدأ الدراسة من العام القادم .

تم ذلك بجلسة مجلس إدارة المركز المنعقدة بتاريخ ٢١ من صفر ١٤١٤هـ ، ١٠ أغسطس ١٩٩٣م .

المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

عقد فى القاهرة فى الثانى من صفر ١٤١٤ هـ الموافق الثانى والعشرين من يوليه ١٩٩٣ م اجتماعات هيئة الرئاسة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ونوقش خلال الاجتماعات عدة موضوعات كان من أهمها مشروع شبكة المعلومـــات الخاصة بالـــدول الإسلامية ، وتوصيات الندوات التى عُقدت فى (جيبوتى) بشأن مشروعات الإغاثة الأخرى إضافة إلى استعراض شامل لنتائج الندوة العالمية للإعلام الإسلامى وإمكانية إقامة مركز إعلامى إسلامى فى ألمانيا على غرار المركز الإسلامى فى مدريد .

كما تم استعراض سُبل الإغاثة والدعم لمناصرة المسلمين فى البوسنة والهرسك وليبيريا والهند وفلسطين (ومَىْ نَمَار) .

الرياض

تعتزم هيئة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم إنشاء وقف لتمويل مشاريعها المستقبلية يتكون من أموال ثابتة ومنقولة ، ويمكن أن تكون نقداً أو أسهماً أو أصولاً فى منشئات صناعية أو زراعية أو خدمية على أن لاتُستخدم هذه الأصول فى تمويل أىّ من نشاطات الهيئة الحالية أو ميزانيتها السنوية المقررة من قبل المجلس التأسيسى للهيئة ، ويُعد هذا الوقف صدقة جارية تُنفق الهيئة من عوائدها وريعها وأرباحها على نشاطاتها المستقبلية المتعلقة بخدمة القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة إظهاراً لما يزخر به هذان المصدران العظيمان من حقائق علمية وإحصائية تنسجم تماما مع ما يتسّم به العصر من العلوم والإحصائيات .

الفلبين

تقوم جامعة الأزهر بالإشراف على معهد الدراسات الإسلامية المقرر إقامته بالفلبين ، حتى يتمكن من تأدية رسالته الجامعية الإسلامية على أعلى مستوى .

وقد وُقعت اتفاقية بين جامعة الأزهر وجامعة الفلبين بشأن إرسال الأساتذة والكتب للمعهد .

قال الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر : إن الاتفاقية تهدف إلى تشجيع الاتصال المباشر والتعاون بين الجامعـــتين وكلياتهمـــا وأقسامهمـا المختلقة وأعضاء هيئـات التـدريس بهمـا ، والمراكـز البحثيـة والمكتبـات التابعـة

لكليهما ، وكذلك المعاهد المعنية بالدراسات الإسلامية .

فرنسا

طوّر مسئولو المركز الإسلامى فى مدينة «أرانس الفرنسية» العمل الدَّعَوى فى مدينة بإدخال خدمة (الحاسوب - الكمبيوتر) فى المركز ، ونجحوا فى إنشاء مركز معلومات آلى يُجيب بواسطة الهاتف على أسئلة المسلمين الفقهية عن طريق شاشة الحاسب الآلى ، وذلك بواسطة الهاتف المتصل به .

يتلقى المركز يومياً مئات المكالمات من كافة المدن الفرنسية طلبا للمشورة الدينية .

ألمانيا

احتفل المسلمون فى ألمانيا بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على تأسيس الجماعة الإسلامية هناك وبمناسبة ٢٠ سنة على افتتاح المركز الإسلامى فى ميونخ وذلك يوم الخميس ٢ من صفر ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٣/٧/٢٢ ، هذا وقد وُجهت الدعوة الى المؤسسات الإسلامية العاملة فى ألمانيا وأوربا والعالم الإسلامى وإلى أعضاء سفارات الدول الإسلامية فى ألمانيا والمؤسسات الألمانية التى لبى الكثير منها الدعوة شاكرين مهنئين متمنين للإسلام كل تقدم وإزدهار .

أى شئ هذا الذى يمنع الاعتراف بتلك الدول ؟

طالب دكتور إبراهيم رجوفا رئيس إقليم كوسوفو دول العالم عموماً والمسلمين خصوصاً أن تعترف باستقلال دولة كوسوفو المسلمة على غرار اعتراف دول العالم بجمهورية البوسنة والهرسك .. كما طالب بإخراج القوات الصربية من بلاده ، والحيلولة دون مايمكن أن يقع من مذابح هناك .

والمعروف أن كوسوفو والسنجق هى من الأقاليم الداخلة فى الخطة الصربية لتحويل جزر البلقان وألبانيا إلى ما يسمى بدولة صربيا الكبرى .

اليونان

استقبل المسلمون فى اليونان بفرح غامر قرار الحكومة اليونانية بسحب مرسومها القاضى بمصادرة الأراضى الزراعية التى يملكها المسلمون فى «تراقيا» الغربية .

وقال الدكتور صادق أحمد النائب المستقل المسلم فى البرلمان اليونانى تعليقاً على هذا القرار : إن المسلمين فى اليونان سيواصلون المطالبة بحقوقهم من خلال القنوات الشرعية وأنهم سيحصلون عليها فى النهاية .

ملاحظة :

مسلمو اليونان «ندر» من مسلمى العالم من أهتم بشأنهم ومايتعرضون له من كيد ومضايقات نسأل الله سبحانه أن يحفظهم على خير حال .

Pour tous sont des degrés correspondant à ce qu'ils firent et ton seigneur n'est pas insoucienx de ce "qu'ils faisaient".

Le sens du Verset 123.
Sourate Les Troupeaux.

Celui qui aura fait le poids d'un atome de bien le verra.
Celui qui aura fait le poids d'un atome de mal le verra.
Le sens des Versets 6 - 7
Sourate Le Tremblement de terre

Le prophète ne cessait de rappeler aux hommes de travailler; lui-même travaillait laborieusement. Il prit part à la construction de la mosquée et aida comme un simple soldat à creuser la tranchée autour de la cité envahie et à élever les remparts pour la défense des combattants.

On rapporte que trois des fidèles furent un jour touchés d'une catastrophe pénible mais Allah le Miséricordieux les avait sauvés grâce à leurs bienfaits, à leurs bonnes actions.

Les premiers musulmans s'adonnaient à toutes sortes d'activités refusainet de vivre en parasites. Le Prophète d'Allah disait. "Tout musulman qui planterait un arbre ou cultiverait un terrain desquels ne nourriraient un oiseau, un homme ou une bête accomplit un acte louable dont il sera récompensé.

Pour conclure, il n'est pas de meilleure parole que celle d'Allah le Bienfaisant, le Miséricordieux et le Juste : Agissez Allah verra vos actions, ainsi que le prophète et les Croyants et vous serez ramenés à Celui qui connait ce qui est caché et ce qui est apparent).

Il vous fera connaître ce que vous avez fait.
Le sens du verset 106
Sourate l'Ummunité

MOHAMAD OMAR

LES BONNES OEUVRES

par MOHAMAD OMAR

L'Islam conseille aux musulmans de travailler, car le travail est la source du gain honnête et par conséquent de la vie digne. Parmi les obligations que nous impose notre religion est celle de travailler, d'agir, de bien faire, considérant ainsi que l'action est une des preuves de la foi, une sorte de conviction à l'égard de la religion d'Allah. Aussi remarque-t-on que l'action va toujours de pair avec la foi; on trouve en effet cité dans plusieurs versets du Coran.

> "Allah a promis à ceux qui auront cru et accompli des oeuvres bonnes, qu'ils auront pardon et rétribution immense.
>
> Sens du verset 9
> Sourate la Table Servie

Il dit aussi :

> "Ceux qui auront cru et pratiqué les oeuvres bonnes auront, en partage, les Jardins du Paradis.
>
> Sens du Verset 107
> Souratge La Caverne.

L'action spirituelle telle que l'adoration, l'aumône, le pélerinage est celle qui est faite directement dans l'intention de plaire à Allah le Juste afin d'obtenir Sa bénédiction et Sa grâce.

L'oeuvre terrestre n'est pas moins appréciée par le fait que la morale islamique encourage le croyant à l'oeuvre, à l'application. A cet égard, le prophète qu'Allah le bénisse et lui accorde le salut-dit que certains péchés ne sont effacés ou pardonnés que par l'oeuvre qu'accomplit le père de famille en vue de pourvoir aux besoins de ses enfants. Le prophète qu'Allah le bénisse et lui accorde le salut-estime que l'effort que déploie le croyant pour gagner son pain et celui de ceux dont il est responsable est aussi méritoire que la lutte pour la cause divine. Il ajoute : "Il n'est de nourriture bonne que elle que le fidèle gagne de ses propres mains. Le Messager d'Allah dit aussi. "Mienx vaut pour l'homme de prendre sa hâche pour couper du bois que de demander aux autres l'aumône, quitte à savoir s'ils lui donneront ou la lui refuseront" C'est pour éviter au croyant cet état d'indigence et de misère que l'enseignement de l'Islam oblige à travailler, à agir, à être utile, à ses proches et à ses semblables L'ouvrier dans l'usine travaille, le paysan dans les champs travaille de même, le médecin dans sa clinique - tous travaillent. L'important c'est que l'oeuvre soit bien dirigée, bien accomplie, d'une manière sincère, d'une façon parfaite.

De ce qui précède l'on pourrait revenir à l'histoire de la Nation Islamique telle qu'a voulu la fonder le prophète d'Allah-qu'Allah le bénisse et lui accorde le salut. En effet, le prophète Mohamad considère le travail individuel comme un point de départ, une force motrice pour un avenir meilleur. Il donne au labeur, à l'effort que déploie tout musulman le respect et l'estime qui lui sont dus. Le Coran affirme"

> Que l'homme aura (dans l'Au-Delà) seulement ce qu'il se sera évertué (à mériter) que le résultat de son effort sera vu, qu'ensuite il sera récompensé pleinement.
>
> Le sens des Verset 38 à 41
> Sourate La Lune

"A" Celui qui jeûne le mois de Ramadan avec dévotion et piété, Allah pardonnera ses pechés antérieurs"[1].

Citons aussi :

"Les prières rituelles, la prière du vendredi et le jeûne du mois de Ramadan feront absoudre les péchés à condition de s'abstenir des abominations"[1].

Nombreux sont les hadiths qui énumèrent les bienfaits du jeûne. Mais outre ces bienfaits, ce culte est une pratique de purification à la fois morale et physique. Par le jeûne, l'homme se fait, par lui-même, une juste idée de le faim, éprouve la souffrance des pauvres et devient, de ce fait, plus compatissant à l'égard de ceux qui sont moins favorisés que lui. Grâce au jeûne, l'homme est porté à mieux apprécier la valeur des dons divins qui le comblent et qui pourraient passer inaperçus tellement il est habitué à en jouir. En plus, le jeûne dépouille l'homme des impuretés morales et des mauvaises habitudes. En un mot, le jeûne rend les fidèles plus sains du point de vue physique et moral.

Dr. Zeinab Sabri

• • •

---

1. «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»

Hadith rapporté par Ahmad.
EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., T1 p. 366.
(Traduction personnelle)

1. «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه»

Hadith rapporté par Moslem.
EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., T1 p. 366.
(Traduction personnelle)

3. Le jeûne du jour douteux, celui qui précède le premier jour de Ramadan. On rapporte que le Prophète (B & S) interdit aux hommes de se hâter de jeûner avant de s'assurer de l'apparition de la nouvelle lune.

4. Le jeûne de toute l'année, le Prophète (B&S) en dit : "Celui qui jeûne toute l'année, c'est comme s'il n'avait pas jeûné du tout"(2).

En plus, une femme ne doit pas s'acquitter d'un jeûne non-obligatoire sans la permission de son mari. Moslem nous rapporte que le Prophète (B&S) a dit "Aucune femme ne doit jeûner, même pendant un seul jour, sans la permission de son mari, si ce n'est au mois de Ramadan"(3).

De même, la Tradition confirme que le Prophete (B&S) interdisait aux Musulmans de jeûner le vendredi, car c'est leur jour de fête hebdomadaire ainsi que le samedi et le dimanche, les jours glorifiés par les chrétiens et les juifs. Ainsi, il ordonnait à ses compagnons de jeûner un jour avant et un jour après le jeûne d'un des trois jours précités.

La fin des versets met le point sur une pratique traditionnelle relative au jeûne, à savoir la retraite spirituelle qui consiste à rester quelques jours dans une mosquée dans le but d'invoquer le Seigneur, et de pratiquer la prière et la récitation du Qorân. Parmi les autres pratiques traditionnelles relatives au mois du jeûne, il est aussi recommandé d'observer les prières à pauses dites "tarawih" car, d'après la Tradition, ces prières ont le mérite d'absoudre les péchés. Le fidèle peut les accomplir seul ou en assemblée, à la mosquée ou ailleurs. Leur nombre n'est pas déterminé mais on raconte que le Prophète (B&S) ne s'acquittait, pas de plus de douze rakaâs, qu'il faisait suivre d'un witr ou rakaâ unique. D'autre part, il est recommandé d'augmenter les oeuvres pies au cours du mois du jeûne, de s'abstenir des paroles obscènes ou inconvenantes, des mensonges, des injures et de toute mauvaise action qui pourrait faire obstacle au résultat du jeûne en plus, il est recommandé de réciter et d'écouter la lecture du Qorân qui ont pour objet de répandre des bénédictions infinies. L'obligation du jeûne est une marque extraordinaire de la compassion divine envers les fidèles à cause des bienfaits innombrables qui en découlent. Citons quelques paroles de notre prophète (B&S) qui mettent l'accent sur les mérites gagnés du jeûne, Abou Houraïra rapporte le hadith suivant :

---

2. «لا صام من صام الأبد»

Hadith rapporté par Ahmad, Bokhâri et Moslem.
EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., T1 p. 378.
(Traduction personnelle)

3. «لا تصم المرأة يوماً واحداً إلا بإذن زوجها ، إلا رمضان»

Idem., T1 p. 379. (Traduction personnelle)

6. Le jeûne du Jeudi et du Lundi. On raconte que le Prophète (B & S) a dit :

"Les actions sont examinées en ces jours où Allah pardonne à tout Musulman et à tout croyant"[1]

7. Le jeûne d'un jour sur deux. On raconte que le Prophète (B & S) a proféré ces paroles :

"Le jeûne qu Allah préfère est celui de Dawoud[2]; il jeûnait un jour sur deux"[3].

Comme il y a des jours où le jeûne est recommandé, il en existe d'autres où le jeûne est blâmable à savoir :

1. Le jeûne durant les jours de fête, c'est-à-dire le jour de la rupture du jeûne de Ramadan et la jour où les pèlerins offrent leur sacrifice. On rapporte ces paroles de Omar Ibn El Khattab disant que le Prophète (B & S) interdit le jeûne de ces jours.

"Après le mois de Ramadan rompez le jeûne et mangez une part des bête que vous avez sacrifiés"[4].

2. Le jeûne des jours du "tachriq", soit les trois jours qui suivent la grands fête du sacrifice (les 11,12,13 du mois de Dhoul Hidja). Abou Houraïra nous rapporte que le Messager d'Allah (B & S) a dit :

"Ne jeûnez pas en ces jours, ce sont des jours de rupture de jeûne"[1].

---

1. «إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم ولكل مؤمن»

Hadith rapporté par Ahmad (Traduction Personnelle) Idem, T1 p. 383.

2. Dawoud : Après la mort de Moïse, les Fils d'Iraël se dispersèrent et perdirent leur Bible. Leur Roi Talout donna alors l'ordre à son armée de combattre l'ennemi... C'est là que survint un jeune pasteur, Dawoud, connu par sa foi et convaincu que la seule force réelle sur la terre était la croyance en Allah, c'est ce qui fit de lui le plus fort combattant du Royaumeet, plus tard, le commandant de l'armée et le gendre du Roi. Mais la foi sincère le poussait souvent à s'isoler dans le désert afin d'invoquer Allah (T.P) qui révéla "Les Psaumes", lui accorda d'innombrables bienfaits et le choisit comme Prophète.. Voir S.A. EL ZEIN : **Les histoires des Prophètes dans le Coran**, Beyrouth, Dar Al Kitab Allubnani, 1983, 7 volumes, T6.

3. «أحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً»

EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., T1 p. 384.

(Traduction personnelle)

4. «فطركم من صومكم ، أما يوم الأضحى فكلوا من نسككم»

Idem, op. cit, T1 p. 376. (Traduction personnelle).

1. «لاتصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب»

Hadith rapporté par Ahmad, El Attabarani (Traduction personnelle)
EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., T1 p. 376.

2. Le jeûne du dixième jour du premier mois du calendrier islamique à savoir le jour d'Achoura[2], ainsi que le jour d'Arafa[3]. A ce propos Hafsa[4]. dit que,

> "Le Prophète paix soit sur lui s'en tenait à quatre choses : Le jeûne de Achoura, celui du dixième jour de Dhoul Hidja, celui de trois jours par mois et la prière de deux rakâas avant la la prière de midi"[5].

3. Le jeûne d'une boone partie du mois de Chaâban. Aïcha dit :

> "Le seul mois que le Prophète (B & S) a jeûné en entier est le mois de Ramadan et le mois dont il jeûne la majeure partie est Chaâban[1].

4. Le jeûne des mois sacrés : Dhoul Qe'da, Dhoul Hedja, Moharram et Rajab.
5. Le jeûne de trois jours par mois. Abou Dhar[2] raconte que le Prophète (B & S) ordonna à ses compagnons de jeûner le treize, le quatorze et le quinze de chaque mois. Ce jeûne équivaut à un jeûne perpétuel, à vie[3].

---

2. Aïcha raconte que Qoraïch avait l'habitude de jeûner ce jour là, Et lorsque le Prophète émigra et s'installa en Médine il y vit les juifs jeûner aussi le même jour. En demandant la raison, ils répondirent qu'en ce jou jour Allah fit que Moïse et son peuple triomphèrent sur Pharaon et sur leurs ennemis, puis Moïse jeûna ce jour. Le Messager d'Allah (B & S) dit : "Moïse est un Prophète auquel nous croyons. nous Musulmans. Il a un droit sur nous, comme il en a sur vous autres Juifs". Dès lors, il jeûna le jour d'Achoura et ordonna aux musullmans de faire de même. Mais lorsque Diéu (T.P) prescrivit le jeûne de Ramadan, le jeûne d'Achoura devint facultatif.
   Idem, p. 381.
3. C'est le dixème jour du mois du pèlerinage, Dhoul Hidja. En ce jour, les pèlerins se réunissent comme dernière étape du pèlerinage.
4. **Hafsa** : Fille d'Omar IObn El Khattab, deuxième compagnon du Prophète (B & S). Hafsa fut très jeûne quand elle perdit son mari Khonays Ibn Hozayfah, un combattant qui émigra et lutta pour défendre l'Islam. Pour honorer la veuve ainsi que son père, le Prophète (B & S) l'épousa.

5. «أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ : صيام عاشوراء ، والعشر من ذى الحجة ، وثلاثة أيام من كل شهر والركعتين قبل الغداة»

   (Traduction personnelle).

1. «ما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان وما رأيته فى شهر أكثر منه صياماً فى شعبان»

   EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., p. 382.
   (Traduction personnelle).
2. **Abou Dhar** : Il appartenait à une tribu connue par l'idolâtrie, le vol et le prigandage. Pourtant, il n'a jamais cru aux idoles. Dès qu'il entendit de l'apparition d'une nouvelle religion et d'un Prophète qui bannit l'adoration des idoles, il se rendit à la Mecque à sa recherche. En effet, il rencontra Mohamad (B & S) qui lui transmit les commandements de cette nouvelle religion. Il ne tarda pas à confesser sa foi et c'est ainsi qu'il devint l'un des six premiers Musulmans.
   K.M. KHALED : **Rigal Hawl El Rassoul**, op. cit., p. 65.
3. «أمرنا رسول الله أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض : ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة وقال هى كصوم الدهر»

   Voir EL SAYED SABEQ : **Figh El Sounna**, op. cit., T1 p. 383.

Néanmoins, les juristes trouvent qu'un jeûne compensatoire sera reconmmandé.

En plus, puisque l'obligation du jeûne pendant le Ramadan est une marque extraordinaire de la compassion de d'Allah envers Ses serviteurs en raison des bienfaits innombrables qui en découlent, il est recommandé d'accomplir un jeûne compensatoire pour la personne qui meurt avant d'avoir rempli certains jours de jeûne obligatoire[1]. Cet acte recommandé nous est enselqné toujours par un propos du Prophète (B&S), lorsqu'un homme le questionna sur ce sujet :

> **"Si elle avait une dette, la payerezvous ? L'homme répondit : oui, la dette due à Allah a la priorité d'êter accomplie"[2].**

Outre le jeûne obliqatoire du mois de Ramadan, et le jeûne compensatoire accompli ultérieurement par le fidèle, il existe le jeûne surérogatoire, recommandé qussi en vertu de la Tradition.

1. Le jeûne de six jours de Chawal[3]. On rapporte que le Prophète paix soit sur lui en dit :

> **"Jeûner les six jours du mois de Chawal après le jeûne du mois de Ramadan équi-vaut à un jeûne accompli tout le long de la vie"[1].**

---

1. Notons que cette règle n'est pas applicable en cas de prière.

2. «لو كان على أمك دين أكنت قاضيه ؟ قال نعم . قال : فدين الله أحق أن يقضى»

Hadith rapporté par Ahmad.
EL SAYED SABEQ : Fiqh El Sounna, op. cit, T1 p. 397.
(Traduction personnelle.

3. **Dixième mois du Calendrier islamique, il suit Ramadan.**

1. «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر»

Hadith rapporté par Abou Ayoub Al Ansari.
(Traduction personnelle)
Les juristes expliquent cette parole disant qu'Allah (T.P) décuple les bonnes actions, donc 36 jours de jeûne × 10 = 160 jours de jeûne. Si chaque année le jeûne est observé de cette façon, le fidèle aurait, propbalement, le qrand mérite du jeňe tout le long de la vie.
EL SAYED SABEQ : **FIqh El Sounna**, op. cit. T1 p. 380.

Le Jeûne (Suite)

par DR. ZEINAB SABRI

Mais quels sont les actes qui rompent le jeûne ? Ce sont les "mouftirates", à savoir : l'ingestion d'aliments ou de boissons, le fait de fumer le tabac, l'oeuvre de chair, les émissisons spermatiques ou prostatiques, et le vomissement volontaire et provoqué. Mais le jeûne ne sera pas considéré comme nul si un de ces actes est commis involontairement. Cette règle est prouvée par le hadith suivant :

> "Celui qui mange ou qui boit involontairement doit poursuivre son jeûne car c'est Allah qui l'a fait manger et boire"(1).

Ainsi, Allah (T.P) nous donne la permission de manger, de boire et de consommer l'oeuvre de chair le long de la nuit, ce qui prouve que l'impureté majeure ne rompt pas le jeûne si la personne se réveille le matin en état de "djanaba". Mais si le jeûne surrégoratoire est rompu... est-ce qu'il doit être refait à titre compensatoire? C'est toujours la Tradition prophétique qui répond à cette question. On rapporte que le jour de la reprise de la Mecque, le Prophète rompit son jeûne surrérogatoire en disant :

> "Celui qui pratique un culte surrerogatoire est maître de lui-même. Il a le choix de jeûner ou de manager"(2).

---

1. «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه»

Hadith rapporté par Abou Hourayrah.
EL SAYED SABEQ : Fiqh El Sounna, op. cit, T1 p. 396.
(Traduction personnelle).

2. «ان المتطوع أمير نفسه فإن شئت فصم وان شئت فافطر»

Hadith rapporté par Ahmad et Darqottni.
EL SABOUNI : Tafsir Ayât El Ahkâm, opi cit., p. 213.
(Traduction personnelle.

REVUE AL-AZHAR

RABEI AL AWAL
1414
Volume 66 — Partie III

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

However in 1968, I had the occasion to travel to London with a group of students, in order to improve my English. God the Almighty led me to the Islamic Centre at Regents Garden, run by Al-Azhar (although there are many other Islamic Centres in London, run by other nations). I declared my Islam, and was given books to teach myself how to pray etc. But, best of all, I was introduced to the late Shaikh Ahmad Hassan El-Baquri, former Rector of Al-Azhar University, who happened to be in London ror Medical treatment. He invited me to Egypt and to join the Azhar in order to study Arabic and the Holy Quran.

In October 1969, I arrived in Cairo for the first time. I got enrolled at the Islamic Girls' College at Madinat Nasr and received Arabic lessons. I was deeply impressed by Egypt, its culture and the kindness of its people who welcomed me warmly and helped me understand Islam better. Eleven months later I returned to my country and joined the university of my home-town, namely the Institute for Oriental Studies. My professors were mostly German orientalists who were full of prejudices and hostility against Islam, so that I had to hide my Islam in ordr to continue my studies till the Master's Degree.

At my university there existed a group of Muslim students from the Middle East and Indonesia, who gathered on Fridays to conduct prayers and listen to religious speeches. With their help I got to know my later husband, a Ph.D. student from Cairo. Since his parents were living in Kuwait (his father was a medical doctor), I travelled to Kuwait in the end of 1974, where we got married at the Embassy of Egypt. In summer 1975, when my husband received the Doctorship and I attained the Master's degree, we emigrated to Egypt where I have been working as a teacher and in 1977, we had our first son.

I found that it is much better to live in Egypt than in Germany because this is an Islamic country where I do not have any problems in professing my faith. Whenever I travel to Germany, in order to visit my relatives, I notice how difficult it is for a Muslim and how hard life he would have in the West. In the West, it is extremely difficult to perform prayers, to fast during Ramadan, to wear a scarf as Muslim women do, to avoid eating pork, etc.

Moreover, it is extremely difficult in the West to bring up one's children as good Muslims, since the environment exercises great influence over every child, and being a Muslim you are a kind of outsider to the westeners. Therefore, I am glad to live in Egypt, whose people are known for their kindness and whose climate is much better than that of Germany.

In 1989, I was able to make the Omrah together with my husband and my son, and to visit El-Madinah which made an everlasting deep impression on me. Last year (1990) I performed the pilgriamge (Hagg) with my husband, and I thank God the Almighty for all the mercy and guidance He has given me !

The Story of my conversion to Islam and my Emigration to Egypt :

A German student convert to Islam narrates

by Iman El-Zeiny

The story of every westerner's conversion to Islam that I have known or read about is rather unique and differs from that of other converts. In many cases, Western converts to Islam have undergone long periods of psychological, spiritual, social and even physical crises during which they were doubting in all their traditional beliefs and values. Their feeling of up-rootedness and their rejection of Western society surrounding them made them search for guidance in other directions, namely in the religions and philosophies of the East.

My own story is a unique one too, since I have become a Muslim as early as at the age of twelve. I was a pupil of the 6th class and had no contact with other Muslims. I was bron in 1950, in a rural area of West-Germany. I was a child of refugees who had been expelled from their homes in Eastern Europe after the end of World War II because they belonged to a German minority. Therefore, from the very beginning of my life, I had been in a state of insecurity, fear and need. My family belonged to the Roman Catholic Church but only by name, in reality they were free-thinkers. Thus, I was brought up without being admitted to church (baptized). At home, I was taught that there is an Almighty God, and that we are responsible for our deads, and that we have to lead a moral life. My relatives wanted me to chose by myself the right creed when I grow up, which I did. During my late childhood I was constantly searching for the right religion, and I attended church voluntarily, both the Catholic and the Protestant one (since I did not belong to either of them), and I took Protestant lessons at school, and attended Sunday-school, studying the Bible. In the end I thought of joining the Protestant Church, but God the Almighty saved me :

At that time I was reading a lot of books (reading being my greatest pleasure) on other cultures and religions. I was fascinated by the East, especially by the Islamic countries. Whenever I read some descriptions of Muslim customs and beliefs, I was deeply impressed. Finally, I asked my family to give me a translation of the Quran and a Biography of the Prophet (Peace be upon him). On Christmas Eve 1962, I was given these books as gifts and I started reading them for a couple of hours. At about Midnight I had the feeling that Christianity was wrong, and that I wanted to become a Muslim. My relatives tolerated my ideas, thinking that I was just in a romantical mood like many young people.

In the following years, I read more and more about Islam, however, often the books I could get, were written by orientalists, giving me wrong ideas. For example, I read that the veil of Muslim women was to be abolished in Muslim countries, as had been done in Turkey by Kamal Ataturk.

During all these years following my conversion to Islam in my heart and since I was living in a rural area, I did not have the occasion to meet real good Muslims and therefore did not know how to pray nor how to perform any other religious acts.

Reference :

1 — Arbery, A.J.	1964	The Koran Interpreted. London : Oxford Univ. Press. (first published 1955).
2 — Khalifa, M.	1983	The Sublime Qur'an and Orientalism. London : Longman Group Ltd.
3 — Khatib, M. M.	1986	The Bounteous Koran. London : Macmillan Press.
4 — Rodwell, Rev. J. M.	1921	The KORAN translated from The Arabic. London : J. Dent & Sons Ltd. (First published 1861).
5 — Ross, S. D.	1977	Translation As Judgment in Translation in the Humanities. edited by Marilyn Gaddis Rose. State University : New York.

المراجع العربية :

١ ـ أحمد ابراهيم مهنا : دراسة حول ترجمة القرآن الكريم .
القاهرة : مطبوعات الشعب ١٩٧٨ .

٢ ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : لجنة القرآن والسنة .
المنتخب فى تفسير القرآن الكريم .
مؤسسة التحرير للطبع والنشر ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م .

٣ ـ عبد الله أحمد بن محمود النسفى : تفسير النسفى .
مصر : دار احياء الكتب العربية .

The first and most important point is that both Arabic and English languages come from two different families of languages : Semitic and Germanic families respectively. Therefore, they have two quite different sentence structures and we would expect different kinds of problems in translation arising from the gaps between these two languages. For example, a word in one of these languages might not have an equivalent in the other; as the word "al-Rahman" for which Khatib (1986 : VI) found great difficulty in "finding English words that precisely match the Arabic meaning."

Another major point is that the translator must realize that any literary text is composed of complex set of systems in relation to other sets outside its boundaries; and thus he must not focus on one set at the account of the other. The translator must also observe the cultural differences between SL and TL and should not therefoe ignore any cultural factor. This means that the translator must be quite acquainted with cultural and social factors in both SL and TL.

The art of literary translation, therefore, necessitates that the translator be skilfully trained, have good linguistic knowledge of both SL and TL Cultural and social knowledge, good deal of imagination and common sense. He must also work hard enough to reach a translation as close as possible to the SL. The art of translating the Qur'an, however, requires in addition to the above qualities, that the translator must be a native speaker of Arabic as well as a Muslim who acquired deep knowledge of Islamic history, culture and tradition. These qualities being present in Khatib made his translation more adequate than the other previous translation mentioned above. However, as we have seen from the above discussion that even Khatib has some misinterpretations of words or verses of the Qur'an despite the fact that he is a Muslim native speaker of Arabic.

The question, then arises as to how could we allow a non-native speaker of Arabic to attempt a translation of the Qur'an?! We, native speakers, like Khatib, could sometimes find great difficulty in comprehending fully the interpretation of the Qur'an, so what about non-native speakers and non-Muslims?! It must also be noted that translation is itself a sort of judgement as discussed by David Ross (1977). It is a judgement in the sense that the translator usually selects the words taht suit the meanings he arrives at. So, who could be a judge to the meanings of the Qur'an ?! Therefore, I suggest that the translation of the Qur'an should not be an "individual effort" but rather an effort of a team of Al-Azhar scholars who have reasonable command of English as well as a team of linguists who are native speakers of Arabic and have good background on Islam and Islamic teachings. These two teams sitting and working hard together should be able to overcome most of the difficulties, misunderstandings and misinterpretations faced and presented by Khatib and previous translators. This type of translation is badly and urgently needed especially at that time when Islam is facing challenges from the west.

translated it as :

> « As for those who can afford with hardship, (there is) redemption in feeding an indigent. »

Khatib's use of the word « afford » is more suitable in rendering the meaning of the Arabic word « يطيقونه » ; as according to Webster dictionary the meaning of the word « afford » can be « to manage to bear without serious detriment ». Khatib being a native speaker of Arabic could comprehend the meanings of Qur'anic words and verses better than Araby.

in surat Al-Qasas, Ayyah 68 :

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

he translated it as follows :

> « And your Lord creates whatever he will and he chooses They have no choice... »

Khatib, similar to Rodwell, explains in a footnote the meaning of the pronoun « they » as the « false Gods ». This interpretation of the pronoun « هم » is unacceptable according to AL - Muntakhab interpretation of the Qur'an which is authorised and presented by the Supreme Council for Islamic Affairs. Al - Muntakhab interprets the pronoun to be « الخلق » meaning people and this interpretation is also supported by Al - Nasafi interpretation of the Qur'an. Furthermore, it could be also emphasized by the Ayyah following which says :

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ

translated as :

> « And your Lord Knows what their breasts conceal and what they avow ».

It must be noted that the use of word « صدورهم » translated by Khatib as "breasts", in the above Ayyah, which immediately follows the preceding one in Surat Al-Qasas, cannot be used for Gods. It is only people who can have "breasts" and not Gods. Therefore, we conclude that the pronoun « هم » in the above Ayyah must be referring to people and not false Gods as Khatib interpreted.

It must be noted, from the above discussion and illustrations, that the translation presented by Khatib being the most recent work in this line has to some extent overcomed many of the misinterpretations and pitfalls which previous translators have presented. The main reason lies in the fact that Khatib as an Egyptian Muslim scholar who is a native speaker of Arabic has good command of English, has dedicated a good deal of his time to reading classic and modern books on Islamic studies as well as studying many classical commentaries which have had a great effect on his understanding of the Qur'an ....

However, it is necessary to conclude my papper by discussing some important issues about the art of literary translation and to suggest qualities recommended for translators in general and for Qur'anic translators in particular.

actually "to be despised" which is result of being debased. The word « «المسكنة» » here means the psychological poverty and not the material poverty. The misunderstanding of the words must very well be due to the fact that no matter how good Arbery knows the Arabic language, he is still a non - native speaker of the language. thus he must be liable to make mistakes of this kind as he cannot comprehend the fineness of the Arabic language.

A third example of the misinterpretation of Arbery of the Qur'an can be seen in Ayyah 184 of Surat « Al-Baqarah » :

وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ

Which he translated as :

« and for those who are able to fast, a redemption by feeding a poor man ... ».

Here, he has used the word « able » for the word «يطيقونه» which actually means those who can bear fasting with difficulty. The word « able » used in his translation simply means «يقدر» which contradicts the proper meaning of the Ayyah which means that those who are not able to fast should make a redemption by feeding the poor.

It is of great importance, however, to look at the most recent translation of the Qur'an by M.M.Khatib entitled The Bounteous Koran and authorized by Al - Azhar in 1984. In the preface to this work, Khatib talk about «The eternal miracle of Islam » : the Qur'an which includes the best of the moral values, the perfect guide for happiness of mankind and a style which is most bountiful, compact, influential and having an un immitable means of expressing the « majesty and sublimity of God. » khatib carries on explaining some of the difficulties which he had to face in accomplishing his work. He says on page VI of the preface :

> «The most tangible difficulty that I faced, and that which surely faced those who have translated the Koran before me, was the omissions and additions of the figurative words that are of the beauty, eloquence sequence and rythemic pattern of the Book.»

Then, he carries on listing more difficulties, saying :

> « The second difficulty was the commitment to an extreme precesion in translating letter by letter and word by word maintaining the exact sequence and construction of the Arabic verse. ».

At this point, I would like to mention that Khatib in his title of the Book, he gives a subtitle in smaller print « A Translation of meaning and Commentary ». Therefore, how can this work be a translation of meaning and commentary and he did his best in "maintaining the exact sequence and construction of the Arabic verse » ! The question, then arises as to why does he want to preserve the construction of the original Arabic text when he is only translating the meanings of the Qur'an ! It must be noted that these two languages originate from different families of languages : Semitic and Germanic, and it is therefore impossible to « maintain the exact sequence ».

In order to see how he has actually dealt with the translation of the Qur'an, it would be more illustrative to give samples of his work. Khatib, unlike Arbery, in Ayyah 181 of surat « Al - Baqarah ».

وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ

This interpretation could be also confirmed by Al — Nasafi's interpretation of the Ayyah on Page 238 Vol. 4

«أي أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام» .

or in another alternative by Al — Nasafi on the same page :

«وقيل:معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله ﷺ» .

It is obvious from the above interpretations that Rodwell was mistaken to translate it as «and join those who has emigrated previously». The words «لأول الحشر» mean at the time of the first confrontation.

Moreover, in Rodwell's translation of Surat «Al — Ma'uun», Ayyah 5 :

ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

" But in their prayers are careless".

He obviously misinterpeted the meaning for there is a great difference between forgetting to pray «عن صلاتهم» and being careless in prayers. «فى صلاتهم» The use of the preposition «عن» means that people could get oblivious or forget to pray but it does not refer to those people who are praying and could forget to perform part of the prayer or recite part of what they should be saying during prayers. He also dropped the translation of the relative pronoun «هم» .

Arbery was christian and yet unlike Rodwell and Dawood, he agrees that the Qur'an being a great work should not be translated. Hence the title he chose, The Koran Interpreted, which is the interpretation of the text and not its translation. However, Arbery as a non - native speaker of Arabic has fallen into many misinterpretations of the words and sometimes verses of the Qur'an. Thus, for example, in Surat "Al - Baqarah", Ayyah 61, Arbery translated the sentence : «اهبطوا مصرا»

as,

« Get you down to Egypt ».

This is definitely a misinterpretation as the word «مصراً» marked with nunnation makes it an indefinite noun referring to any inhabited city and not Egypt. The second reason for his misinterpretation is the fact that this sentence «اهبطوا مصراً» refers to moses and his people who had finally got out of Egypt safely. Therefore, how would Moses ask them to go back.

Another example of misunderstanding the words of the Qur'an, could be seen in Arbery's translation of the last part of the same Ayyah 61 surat « Al - Baqarh » :

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ

as,

«and abasement and poverty were pitched upon them». Obviously, he was mistaken in translating the word «المسكنة» as poverty. The meaning of this word here is

(5) The interpretation of this Ayyah could also be translated as; that is their first gathering to be sent away to «Al — Shaam». The other interpretation could be translated as : God sent them away from their homes for their first confrontation with the prophet (MPBUH).

An Approach to the Translations of the Meanings of the Qur'an into English.

Part II

by Dr. Trandil Hussein El Rakhawi

The subject of the translation of the meanings of the Qur'an has been and still is of great interest and importance to Muslim scholars all over the world. It is therefore necessary, before going into the discussion of the pitfalls of the translators in rendering the meanings of some verses of the Qur'an into English, to give a brief survey of the history of the different translations of the meanings of the Qur'an and the religious back ground of some of these translators, as given in Part I in last month's edition. This survey is of great help in evaluating the translations of the verses discussed in Part II.

As we have seen before, Rodwell, who was a priest and one of the leading members of the church, was mistaken to mention in his introduction that the Suras revealed in Medina were placed in the Book preceding the Suras revealed in mecca. He also added that some Ayyahs revealed in Medina were placed in the middle of Suras revealed in Mecca and vice versa.

Moreover, Rodwell could not comprehend the discourse of the Qur'an which is full of great meanings. This can easily be illustrated by the many mistakes, misinterpretations and misunderstandings which he has fallen into in his translations of the different verses of which examples are given below :

In translating the second Ayyah of Surat «AL — Hashr»

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ

Rodwell does two major interpretations :

«He it is who caused the unbelievers among the people of the book to quit their homes and join those who has Emigrated previously».

The part in feavy print above is a misunderstanding by Rodwell for the words «لأول الحشر» . The meaning of the word «حشر» in 'El Asry' dictionary is actully the gathering of people or forces and the use of the preposition «ل» in «لأول» means «at the time of». However, according to Al — Muntakhab's interpretation of this Ayyah on page 815 (4) :

«هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ـ وهم بنى النضير ـ من ديارهم عند أول اخراج لهم من جزيرة العرب» .

(4) The interpretation of this Ayyah could be translated as : it is God who forced the unbelievers of the Book to quit their homes in the Arab peninsula at the first time they were gathered.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part III
Rabei Awal, 1414, Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

CONTENTS

1. An approach to the Translations of the meanings of the Qur'an into English Part II
By : Dr. Trandil Hussein El Rakhawy

2. The story of my conversion to Islam and my Emigration to Egypt.
By : Iman El-Zeiny

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهرس

الموضوع — صفحة

- الإفتتاحية (مطلع ربيع)
للدكتور على أحمد الخطيب ٣٢١

● مع الإمام الأكبر ●

- فى ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم
للإمام الأكبر شيخ الأزهر ٣٢٥
- فتوى فى بيان بعض أحكام المضاربة للإمام الأكبر ٣٣٠
- فتوى فى أحكام الذبح فى الإسلام
للإمام الأكبر ٣٣٤
- مع تفسير سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى ٣٣٨
- أعظم نبى وأكرم مولود فى الوجود
لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ٣٤٢
- قبس من أنوار النبوة (من أخلاق الرسول)
للشيخ على حامد عبد الرحيم ٣٤٨
- أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية
أ.د. عبد العليم العدوى ٣٥٠
- الخلاف الفقهى
لفضيلة الشيخ أحمد عبد الله العبليني ٣٥٤
- فى ذكرى المولد الشريف (صلاة الله تعالى وصلاة العباد)
للشيخ عبد المنعم سليمان مسلم ٣٥٩
- الأسرار بين الحفظ والإفشاء
د. إبراهيم سليمان عيسى ٣٦٣
- القيادة الإدارية
إعداد الدكتور محمد عبد الله آل ناجى ٣٦٨
- الحسد فى الأحاديث النبوية (٢)
للأستاذ / الدكتور محمد شامة ٣٧٦
- اسمى الحب فى الإسلام
للأستاذ / محمد سيد حسان خفاجى ٣٨٤
- الفتاوى : إعداد الأستاذ / عبد المنعم فودة ٣٨٧
- من أعلام الأزهر (الشيخ مصطفى االقاياتى)
إعداد الأستاذ / رجب محمد على فضلون ٣٨٩
- طرائف ومواقف
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٣٩٢
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر (إشاعة السوء)
إعداد وتقديم أ./ عبدالفتاح حسين الزيات ٣٩٤

● العلوم الكونية ●

- الهندسة الوراثية والأخلاق
عرض وتحليل أ. د. أحمد فؤاد باشا ٣٩٩
- الحد الأقصى للسرعة الكونية فى عالم الشهادة
أ. د. منصور محمد حسب النبى ٤٠٤
- الجديد فى العلم والتقنية
إعداد د. نجوى السيد أحمد ٤٠٩

● الشعر والشعراء ●

- سناء الرشد والكرم
للشاعرة / عائشة التيمورية ٤١٢
- ذكرى المولد للشاعر / اللبنانى عدنان مردم بك ٤١٣
- وحى المدينة المنورة للشاعر / عزيز أباظة ٤١٤
- سيرة النبى للشاعر / السورى الدكتور زكى المحاسنى . ٤١٥
- موكب النور للشاعر / عبد الغفار الدلاش ٤١٦
- حديث إلى هلال المولد
للشاعر / محمد الأخضر السائحى ٤١٨
- موكب النور للشاعر / حسن عبد الله القرشى ٤١٩
- صلاة الله وسلامه عليه
للشاعر / محمود حسن إسماعيل ٤٢٠
- مملكة العجائب للشاعر / محمد الأسمر ٤٢١

● اللغة والنقد والأدب ●

- صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم
عرض وتقديم أ./ محمد البشير حسين نافع ٤٢٣
- المرأة فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى
عرض وتقديم قسم التحرير ٤٢٩
- نظرة المجتمع الغربى للمرأة
للأستاذ الدكتورة اسمت غنيم ٤٣٢
- القصيدة العربية والوحدة الموضوعية (٥)
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ٤٣٣
- الإلتزام النحوى والجرس الموسيقى للشعر
للدكتور / عبد الرءوف محمد عثمان ٤٣٦
- نافذة على اللغة العربية فى نيجيريا
للأستاذ / صابر تعلب ٤٤٥
- بين المجلة والقارئ
إعداد وتقديم د. محمد عبد الحكيم محمد ٤٤٨

● أنبـــاء وآراء ●

- إقامة المسجد شكر وحسن ذكر
للإمام الأكبر شيخ الأزهر ٤٥٥
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذ / مصطفى عبد المجيد ٤٥٧
- أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ٤٥٩

Section Française

Article 2 :- Par, Mohamad Omar 463
Article 1 :- Par, Dr. Zeinab Sabri 469

English Section

Article 2 :- By Iman El-Zeiny 472
Article 1 :-
By Dr. Trandil Hussein El Rakhawi 478

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

هل أعلنت «العلمانية» الحرب على الإسلام ؟

وهل العلمانية لاتمثل أقصى التطرف حين تريد أن تقتحم الإسلام لتنقض بديهياته .

ثم هذا الشطط الذى تَخْلِطُ فيه الأمور فتترك دراسة الحوادث نفسها لتهاجم الإسلام .

وإذا أَعْلَنَ أحدُ أقطابها - ثم لايُكَذِّبُ ماأُسْنِدَ إليه - لِيُلْقِيَ آراءه الشخصية فيرمى الشريعة الإسلامية بالنقص ، والقرآن الكريم بعدم الوفاء بحاجات العصر ، ويردد :

● أن مقولة .. «القرآن صالح لكل زمان ومكان» لم تعد صالحة الآن .

● وأن القرآن لايشتمل إلا على مائتى آية تحتوى الشرائع والأحكام ، وهى - أى هذه الآيات - غير كافية لهذا العصر واحتياجاته .

ثم يقحم أفكاره على سنة رسول الله ـ ﷺ ـ فيرى أن :

● ماصدر عن رسول الله ـ ﷺ ـ من أقوال وأفعال لاتعد كلها وحيا .

● وعبارة : «لا اجتهاد مع النص» فضفاضة تحتاج إلى إعادة نظر

هكذابمنتهى السهولة يبسط هذا العلمانى لسانه فى القران الكريم والسنة الشريفة .

فأما كتاب الله ـ تعالى ـ فيكفينا فيه قوله تبارك وتعالى :

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة الآية : ٣

ودعوى أن آيات الأحكام فى الكتاب العزيز مائتا آية خلط لايبرأ من سوء القصد ، وقول لارجوع فيه إلى مصادر آيات الأحكام التى تصدى لها الأئمة القرطبى ، والجصاص والعز بن عبدالسلام ، وغيرهم ، قدامى ومعاصرون ، فلم يفرق هذا القائل بين (الآيات الأمهات) وما يتبعها من آيات .

ثم من صاغ هذه الآيات :

إنه ليس بشرا يخطىء ويصيب .

وليس بشرا يعجز ـ بحكم بشريته ـ عن الإحاطة بصنوف الخلق وما يصدر ، وما سوف يصدر منهم من أعمال .

إنه ليس بشرا يعيد القول ويبديه .

إنه الله .. وحده .. وكفى به عليماً حكيماً ، جعل حكمه صالحاً لإدارة الكون كله فى أى زمان وأى مكان ، وليس بضارِّهِ إنكارِ المكابرين .

وأما السنة فيكفينا ـ بياناً لدقة أحكامها وشمولها ـ قوله ـ ﷺ : «أيها الناس ، إنى تارك فيكم أمرين . لن تضلوا ـ بعدى ـ بهما أبداً : كتاب الله وسنتى» .

فأحكام السنة قائمة أبداً بنص قوله صلى الله عليه وسلم ـ هذا[1] .

وبعد :

فلمن هذا الحديث ؟

● أ للمسلمين فرداً فرداً ليقتنعوا أن كتاب الله ـ سبحانه ـ غير كافيهم ، وأن فى العلمانية الكفاية ؟

إنه ما من مسلم سمع هذا الحديث العلمانى ، أوتُلِيَ أمامه إلا ضاق به صدرُهُ ، وأحس بإثم ما قرأت عيناه ، أو سمعت أذناه ، وبرىء إلى الله ـ تعالى ـ من هذا القول الأثيم .

(١) انظر للحاكم : المستدرك على الصحيحين ١١٠/٣ ط الهند .

لمن هذا الحديث :

أ للدولة .. ؟

لا ؛ فإن الدولة جعلت الإسلام دينها الرسمى ، ومصدرها الأول للتشريع .

فلمن ــ إذن ؟

أ لمصلحة الغرب صانع العلمانية ؟

قد يكون ، فالغرب حاليا يعتبر الاستمساك بالإسلام وإحياءه ــ سلوكا وتشريعا ــ (معارضة لمصالحه) .

كذا معارضة لمصالح الغرب ، سمعتها أذناى ووعاها قلبى من (إذاعة لندن) **B.B.C** أوائل هذا الشهر (سبتمبر) ... نقلا عن (الديلى ميل) صراط الاستعمار الأثيم .

ثم هأنذا أشُـمُّ مصالح الغرب فى هذه الكلمات .. وأين .. ؟.. فى مصر .. ؟ يَالله

ولنتساءل :

كيف ــ إذن ــ تمكنت لجان الأزهر الشريف من وضع دستور الشريعة مبوبا مفصلا ، ثم رفعته إلى المسئولين بمجلس الشعب .. حيث هو الآن .. ؟

هلا اطلع هذا الداعية عليه .. وأفادنا عن مواطن النقص فيه .. ؟

ولنتساءل :

أليس كان الأجدر ، وهو يتعرض لسنة رسول الله ــ ﷺ ــ أن يذكر أى أبوابها هذا الذى ليس وحيا .. وعلاقة هذا الباب بالأحكام .

ألا ــ أيها السادة العلمانيون ، اهْنَئوا بدنياكم ، ودعوا كتاب الله لمن يحبه ، وشريعته لمن يحرص عليها .

● ● ●

رحم الله حذيفة ــ رضى الله عنه ــ قال :

«كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم كما تنفرج المرأةُ عن قُبُلِهَا لاتمنع من يأتيها . ؟

قالوا : لاندرى .!

قال : «ولكنى ــ والله ــ أدرى .. أنتم يومئذ بين عاجز وفاجر[٢]» .

اللهم إن أولياءك بِمَنْجى من العجز والفجور ، فاحفظنا اللهم .

(٢) مصنف ابن أبى شيبة ــ كتاب الفتن ١٥/١٨ .

كلمة

الرئيس محمد حسنى مبارك فى احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف

الذى نظمته وزارة الأوقاف بالاسكندرية
فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١٤١٤ هـ

العلماء الأجلاء .
الأخوة والأخوات ..
إن من أسعد ساعات العمر أن أحضر معكم هذا اللقاء الحميم الذى نحتفل فيه معاً بذكرى متجددة مجيدة ، ومناسبة خالدة سعيدة .. إنها ذكرى مولد نبينا العظيم ، ومناسبة بزوغ فجره عليه أفضل الصلاة والسلام ، فقد كان هذا المولد نقطة تحول فى تاريخ الإنسانية ، عبر بها من الضلال إلى الهدى ، كما كان هذا الفجر بداية اشراق ساطع لكل البشرية ، خلصها من كثافة الظلمات إلى تألق الأنوار فهو ميلاد خاتم الأنبياء ومتمم رسالات السماء ، والمبعوث من رب العالمين رحمة للناس أجمعين .. ولذلك فلو انصف العالم ، أو لو عرف حقيقة هذا الرسول الكريم ، لشاركنا احتفالنا بهذا اليوم الذى يستحق كل اجلال وتعظيم .

إن الاحتفال بهذا اليوم يعبر عن معانى الوفاء منا ، ويرسم لنا معالم القدوة ، كما يجسد أروع المثل للصاعد من أجيالنا .. كذلك يذكرنا الاحتفال بهذه الذكرى بأرفع القيم وأسمى المبادىء التى أرسى دعائمها صاحب الذكرى والتى هى وحى الله إليه ـ صلوات الله

وسلامه عليه ــ بعد ان اختاره هادياً ونذيراً ، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً .. فكانت هذه القيم والمبادىء دائماً سبيل النجاة الراشدة ، وطريق الهداية والصلاح ، واليد الحانية الممدوة من السماء بالسلام والعطاء للبشرية قاطبة وللإنسانية جمعاء .

الاقتداء بصاحب الذكرى

ومن هنا ، فانني أرى ــ كما رأيت دائماً ــ ان خير احتفال بهذه الذكرى ، هو الاقتداء بصاحبها والسير على هداه ، والأخذ بتعاليمه وتأسى خطاه ، واتباع ما جاء به وحياً عن ربه من قيم راقية ومبادىء سامية ، فبذلك نكون قد أفدنا من الذكرى واستجبنا لدعوة الله عز وجل ولرسوله الكريم : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

فسيرته العطرة ــ عليه الصلاة والسلام ــ من مولده إلى ان لحق بالرفيق الأعلى ، هى نموذج رائع للإنسان القويم ، الذى يجب ان يقتدى به فى كل مراحل حياته ، من الطفولة الطاهرة النقية ، إلى الصبا البرىء المتفتح ، المصون بالتهذيب والتوجيه إلى الشباب العف الملتزم المكافح ، المحصن بالقيم الاخلاقية العالية ، والأخذ بالسلوكيات المثالية السامية والمتجه إلى التأمل والتعبد دون غلو أو تطرف ، إلى الرجولة الرائعة الباهرة المهيأة لتحمل أعظم التبعات وأداء اسمى الرسالات ، بكل ما يتطلبه ذلك من ذكاء وتفتح وصبر وجلد وتقدير لجسامة المسئولية وأمانة الالتزام .

ثم استطرد قائلا : إننا ونحن ندعو إلى صحوة وطنية وقومية كبرى ، علينا ان نهتدى بالقيم الإسلامية الحقة والسيرة النبوية العطرة ، التى تعمق فى نفوسنا الشعور بوحدة المجتمع الإنسانى ، وبالمحبة والإخاء أساساً لقيام المجتمع الإسلامى المتماسك ، وبالتسامح والتعايش بين المسلمين وغيرهم ، بعيداً عن مفاهيم التعصب والبغضاء والعداء .

ومما يحز فى نفس المسلم الغيور على دينه أن يرى البعض من أبناء الأمة يسقطون فى هاوية التجاوز السلوكى والخلقى ، والتخلف الفكرى والعلمى ، والضعف الاقتصادى والانتاجى والتناحر القبلى والسياسى ، والتطرف الدينى والمذهبى ، وتلك ظواهر مرضية خطيرة ، أخرت أمتنا وأبعدتها عن مكان الصدارة الذى احتلته بجدارة لعدة قرون ، كما سببت هذه الأمراض اهتزاز صورة أمتنا وتشويهها فى عيون الآخرين وجعلت البعض يسيئون الظن بنا ويتهمون الإسلام نفسه ــ ظلماً أو خطأً ــ بتهم هو منها براء .

ودعا سيادته إلى الرقى الفكرى تأسيساً على دعوة سيدنا محمد ــ ﷺ ــ التى عالجت التخلف الفكرى والعلمى علاجاً جذرياً ناجعاً ، حيث أقام دعوته على الفكر الصحيح والعلم النافع ، الفكر الذى يتأسس على إعمال العقل واستشراف الحق ، والبعد عن الأوهام والتبعية والتقليدية .. والعلم الذى يلبى احتياجات الفرد والجماعة ويصلح أحوال الناس فى الدين والدنيا ويدفع الشعب والأمة إلى آفاق التقدم ومنازل الصدارة ، ويسمو بهم إلى مراقى السمو والتحضر .. وما أكثر آيات القرآن الكريم التى تحض على الرقى الفكرى والتقدم العلمى وما أغزر الأحاديث النبوية الشريفة التى تؤازر هذه الآيات البينات ، واستجابة من المسلمين الأوائل لهذه الدعوة إلى

الرقى الفكري والتقدم العلمى فإنهم أقبلوا بكل الشغف على مناهل الفكر الراقى ومنابع العلم النافع وراحوا يحصلون العلم والمعرفة ويؤلفـــون ويبدعون ، حتى استوعبوا كل المعارف الإنسانية التى شهدها عصرهم وما سبقه من عصور ، ثم أضافوا علوماً ومعارف كانوا هم واضعى أسسها ورواد طريقها والأعلام المبرزين فيها كل ذلك مع تفتح فكرى ونضج عقلى هائل ، اهدى للإنسانية من مفكرى المسلمين من ة تزال اسماؤهم محفورة فى سجل الخالدين .

وأما الضعف الاقتصادى والإنتاجى ، فقد قاومه محمد ـ صلوات الله عليه أشد المقاومة بقيمه البناءة ومبادئه الخلاقة ، حيث دعا بآيات القرآن الكريم وبالأحاديث النبوية الشريفة وبالسلوك المثالى القدوة ، دعا إلى العمل الجاد النافع وإلى الانتاج الغنى الوفير ، الذى يعود بالخير على الفرد والجماعة والذى يحقق تعمير الأرض بالعرق وحسن الأداء ويجعل الحياة تزدهر بالبذل وموفور العطاء ، وما أروع قول الله سبحانه :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ .. انها دعوة إلى العمل والانتاج والتعمير ، وبذل كل الجهد فى سبيل التنمية ومتانة الاقتصاد ، حتى تتحقق أرادة الله جل شأنه فى تعمير الأرض وازدهار الحياة .

كما بيَّن أنه ـ ﷺ ـ عالج التناحر القبلى والسياسى بالدعوة الملحة إلى الوحدة والاعتصام بحبل الله وبالتحذير الشديد من التنازع والتخاصم والصراع والتصادم واعتبر كل ذلك من عيوب الجاهلية المقيتة والهمجية البغيضة وقد تجلت الدعوة إلى الوحدة فى نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة . ومن آيات القرآن الكريم قوله جل شأنه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ ..

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .. وبهذه الروح الإسلامية التى تحث على التجمع والتضامن ، ترابط العرب فى العهود الأولى ، وأصبحوا بالفعـــل اخـــوة متحدين .

وفى معرض حديثه عن حرية العقيدة أوضح سيادته أن التطرف الدينى والمذهبى قد رفضه محمد ـ ﷺ ـ رفضاً شديداً وفى المقابل ، حث على السماحة ، ونادى بالرفق ، وشرع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .. كما ادان كل وسائل القهر وأساليب العنف ومظاهر التشدد . وقد تجلى ذلك فى نصوص عديدة من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف . كما تجلى أيضاً فى سيرة الرسول الكريم الذى هو المثل الأعلى فى السلوك الإسلامى القويم .. وكل تلك النصوص المطهرة والسلوكيات القدوة ، تؤكد سماحة الإسلام فى حرصه على حرية العقيدة واحترام أصحاب الرأى المخالف ورفضه إجبار أحد على اعتناق رأى معين حتى ولو كان عقيدة الإسلام .. وما أروع قول الله سبحانه فى هذا الشأن : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ وما اسمى قوله الكريم لنبيه العظيم : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

كما استنكر حوادث العنف ، وقال : إن مثل هذه السلوكيات قد جعلت البعض من كتاب الغرب وساسته يظنون أن الإسلام قد أصبح الخطر الذى يهدد كيان السلام العالمى بعد زوال الخطر الشيوعى ، وقد اعتمد هؤلاء الكتاب والساسة على أقوال وأفعال البعض ممن ينتمـــون إلى

الإسلام ، ونسى هؤلاء ـ أو جهلـوا ـ أن الإسلام فى جوهره لا يمثل إرهاباً ولا يجسد خطراً ، ولا يسبب للآخرين قلقاً أو فزعاً ، فهو فى جوهره دين المحبة والإخاء ، دين تقديس الحرية والحقوق الإنسانية ، دين العدالة والحضارة ، دين المساواة والسلام ، من أجل كل البشر ، مهما اختلفت ألونهم وتباينت أصولهم وطبقاتهم .. فالمسلمون لم ولن يكونوا مصدر تهديد ، ولا قوة إرهاب فى العالم الجديد ، ولن يمثلوا الدور الذى يخيف الإنسانية ، لأن جوهر دينهم يرفض ذلك ، ولأن تاريخهم يكذب ذلك ، ولأن كتابهم الكريم ومأثور نبيهم العظيم يحرم ذلك .. وكل ما يصدر من بعض المنتسبين إلى الإسلام من مسلك مشين هو سلوك شخصى وتجاوز ذاتى ، يتحمل مسئوليته من اقترفه ، وليس الإسلام ولا المسلمون بمسئولين عن شىء منه . ولا وجه لإدانة الدين بتصرفات بعض من يتمسحون به ، ولا وجه لأخذ المجتمع الإسلامى بسلوكيات بعض من ينتسبون إليه .

ثم ختم خطابه بقوله : ومن هنا ، فإن علينا أيها الإخوة أن نجاهد فى مجالين :

المجال الأول : مجال إصلاح أنفسنا وتصويب أخطاء المتجاوزين منا .

والمجال الثانى : تصحيح صورتنا فى العالمين ، وإبراز جوهر ديننا أمام عيون الآخرين ، حتى لا يأخذوا الإسلام بعيوب بعض المسلمين ، وحتى لا يقف العالم منا موقف العداء ، ولكى نستطيع أن نأخذ مكاننا فى النظام العالمى الجديد ، من خلال استقامتنا وتحضرنا وسلامة مسلكنا ، ومن خلال تعاوننا مع هذا العالم على إقامة العدل وتحقيق الشرعية وإقرار السلام العادل والاستقرار الاجتماعى الذى يسعد به الجميع ، إنه ليس من المصلحة فى شىء أن نعادى العالم ، ولا ان ندخل معه فى صراع لا جدوى منه ، وإنما المصلحة كل المصلحة هى ان نتعاون معه تعاون الأنداد ، وأن نحل مشكلاتنا إزاءه بالأساليب الحضارية ، كل هذا مع أخذنا بكل أسباب القوة التى تحقق لنا الندية ، وعندما نتحدث عن القوة فإنما نقصد القوة الفكرية والعلمية ، القوة الثقافية والحضارية ، القوة الاقتصادية والإنتاجية ، القوة الخلقية والسلوكية ، والقوة الدفاعية العصرية ، التى تحمى كل هذه القوى ، وتصون كل ما نحققه بها من إنجازات ونجاحات .

الإخوة والأخوات ...

إننى انتهز هذه الفرصة لأتوجه إلى أشقائى المسلمين فى كل بقاع الأمة . كما أتوجه إلى إخوتى العرب ، فى كل مكان من أرض العرب ، أتوجه إلى الجميع أفراداً وجماعات ، وأناشدهم أن نبدأ اليوم قبل الغد فى العمل على صحوة أمتنا ونهضة بلادنا من خلال أخذنا بالقيم السامية والقواعد الصحيحة لديننا الحنيف ، ففى هذه القيم صلاح لأحوالنا ، وضمان لاستعادة مكانتنا واسترجاع قوتنا ، شريطة أن نفهمها بحق ، ودون غلو أو شطط .

هذه دعوة أبعث بها من فوق هذا المنبر ، ومن أرض الكنانة قلب العروبة ودرع الإسلام .

وأرجو ان تجد هذه الدعوة ما تستحقه من استجابة من الإخوة المسلمين والأشقاء العرب فى كل مكان ، والله هو الموفق والمستعان . وكل عام وأنتم وأمتنا وبلادنا جميعاً بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة الإمام الأكبر في احتفال مصر بذكرى المولد النبوي الشريف

دعا فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر إلى الاقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى الصدق فى العمل والدعوة والتراحم على الضعفاء والفقراء والمساكين والسماحة وأمانة الكلمة .

وفيما يلى نص الكلمة :

السيد/الرئيس محمد حسنى مبارك ــ رئيس جمهورية مصر العربية فى ذكرى مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ــ نحتفى هذه الليلة بتلك الذكرى ونحن المسلمين نذكره صلى الله عليه وسلم دائما فى صلواتنا فى التحيات المباركات وفى الغدوات وفى الروحات هو شهادة رسالة جزء من كلمة الإيمان أشهد ألا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .. احتفاؤنا بذكراه هو استعادة لما يجب أن يكون عليه فى قلوبنا وفى أنفسنا وهو قدوتنا . والأسوة تكون بالعمل على ما جاء به .. وبأخذ صفاته نبراسا وقدوة وصفاته عديدة وكثيرة ملأ الدنيا بها بركة وصلاحا وكان من صفاته التى اشتهر بها الصدق فأين صدقه صلى الله عليه وسلم من صدقنا فى عملنا وفى قولنا وفى دعوتنا وفى شهادتنا وفى كل عمل نرتجيه ونقدم عليه .

إن الصدق منجاة المؤمن .. إن الصدق يهدى إلى البر .. وإن البر يهدى إلى الجنة ..

وكانت صفاته صلى الله عليه وسلم الرحمة .. فأين التراحم فيما بيننا وأين التراحم على الضعفاء والفقـــراء والمساكين .. أيـــن نحن من هذه الصفات .

من صفاته صلى الله عليه وسلم الأمانة التى اشتهر بها وكان الصادق الأمين لدى قومه ، فقد كان القرشيون يعادونه ويبتعدون عن سماعه ويؤذونه أشد الإيذاء ومع هذا هو الصادق الأمين عندهم .

وكانت ودائعهم وكانت أسرارهم وكان كل ما يملكون فى بيته أمانة لأنه لا يوجد سواه أمين .. لم يكن أمينا على الودائع فحسب بل كان أمينا على الرسالة أداها وأبلغها « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ » .. هذه هى المهمة أداها .

نعم نشهد أنه أداها وبلغها ويتبعه أكثر من مليار مسلم الآن فى أربعة عشر قرنا .

نعم أدى الرسالة وبلغها كما أمر الله سبحانه .. تحمل أمانة ومسئولية الكلمة فلم يغل فيها ولم يلغ شيئا مما أمر به .. إنها أمانة الكلمة إنها مسئولية الكلمة التى تحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لنا نحن المسلمين أن نكون من الصادقين وأن نكون من الرحماء والراحمون يرحمهم الله .. وأن نكون من الأمناء فى أقوالنا وفى أفعالنا نحمل مسئولية الكلمة الصادقة الأمينة نأمل ذلك وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة

السيد رئيس الجمهورية في مؤتمر العطاء الحضاري للإسلام

التى ألقاها السيد الدكتور رئيس الوزراء
استهل سيادته الكلمة قائلا :

فضيلة الإمام الأكبر : شيخ الأزهر الموقر .
السادة الوزراء والعلماء أعضاء المؤتمر الكرام .
السادة الحضور .
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

وأهلا بكم على أرض مصر التاريخ والحضارة موطن الأزهر وحاملة راية الإسلام ، وسعدت بكم الاسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط بيت العلماء والفلاسفة والمفكرين منذ « أفلوطين » المصرى وحتى هذه الأيام وتحية إعزاز وإكبار لكم جميعا من الرئيس « محمد حسنى مبارك » رئيس جمهورية مصر العربية الذى عهد إلى أن أنقل إلى حضراتكم هذه الرسالة .

أيها الأخوة :

لقد عرف الإنسان حضارته الأولى من هذه الأرض المباركة ، وكانت حضارة بناء وسلام واستقرار ، حضارة علم وكشف للمجهول وارتياد للآفاق ، وظل العالم كله يرتوى من هذه الحضارة ويتعلم منها آلاف السنين حتى جاء الإسلام . هذا الدين العظيم الذى قامت دعائمه منذ اللحظة الأولى على العلم وتقدير العلماء .

فكانت أولى كلمات الوحى الالهى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه شاملة لأهم وأدق جوانب المعرفة .. معرفة الخالق فى عظمته وجلاله معرفة الإنسان فى عجيب خلقه وإعجازه ، معرفة العلم فى مكوناته وأسراره ، معرفة الكون وكشف مجهوله وإرتياده :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

دور علماء المسلمين :

عرف المسلمون الأول هذا المضمون فانطلقوا إلى جوانب المعرفة كلها يلمون أطرافها ويحتوون بناءها ، ويضيفون إليها من عميق أفكارهم ما كشف الكثير مما كان يجهله العالم ولا يعرف أسراره .

وظهرت على أيديهم أعظم نظريات الطب والفلك والطبيعة والهندسة والجبر التى كانت نواة لنهضة العصر الحديث بكل ما نعرفه ونشاهده فى هذه الأيام .

إن الحضارة الإنسانية عمل متواصل منذ فجر التاريخ ، ومع تسليمنا بأنها ليست حكرا على جنس دون جنس ، وليست ملكا لجماعة دون جماعة وليست وقفا على عصر دون عصر فإننا نؤمن بأن علماء المسلمين كان لهم دور خلاق فى وضع الأسس العلمية والفكرية والإنسانية التى بها استطاع العلماء فى العالم الإنتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث .

ومن أول واجبات المسلمين اليوم أن يهتموا بالعلم والعلماء ، وأن تظهر مجهوداتهم فى مراكز البحث العلمى فى جميع المجالات ، حتى لا نكون مستوردين للتكنولوجيا والمخترعات الحديثة ، وإنما موردين لها كما كان أجدادنا العظام .

مستقبل أفضل للإنسانية :

ومؤتمركم هذا فرصة رائعة لمراجعة النفس والتماس السبل لمستقبل أفضل للمسلمين خاصة وللإنسانية عامة .

ومن أولى مهمات المؤتمر أن نتوجه إلى شعوب الأمة الإسلامية وحكامها وحكوماتها ومؤسساتها وإلى الرأى العام العالمى بالدعوة إلى تحكيم القيم التى تقررها الأديان من العدالة والحرية والمساواة مع وضع معايير لحل كل المشكلات العالمية دون تمييز ، وبيان أن المسلمين متسامحون لأن منهج الإسلام التسامح . إنسانيون لا يعرفون بغضاً ولا غدراً لا يقتلون النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ ولا الأسرى .. لا يصادرون الأرض ولا الديار ولا يعتدون على أحد نزولا على أحكام الإسلام فى الكتاب والسنة .

وأن تقول للنظام العالمى الجديد بكافة دعاته ودعاياته إن السلام الإنسانى أهم قضايا الحياة فى هذا العصر ، والعمل من أجل هذا السلام هو أقدس غاية ننشدها ونبذل من أجله أقصى طاقة وأعظم جهد ، وأن نقول للشعوب الإسلامية عليكم بالمزيد من الإلتزام بمبادىء الإسلام . اسلام الوسطية والسلام والأمن والاعتدال . الذى يدعو كل الناس إلى إعمار الأرض بالعمل الصالح والذى يقود إلى سعادة الدنيا والآخرة .. الإسلام الذى يرفض الإكراه ويقدس الحرية ويعلى من قيمة الإنسان ـ كل إنسان ـ ليصبح جديرا بالخلافة عن الله سبحانه وتعالى فى الأرض .

وسطية الإسلام واعتداله

وأن نقول لرجال الإسلام المخلصين وحدوا صفوفكم على وسطية الإسلام واعتداله . وصححوا صورتكم وصورة الإسلام أمام العالم ، ورتبوا الأولويات حتى لا تستنفد الطاقات فى الصراعات الداخلية وتضيع مجهوداتكم وتظل أممكم تعانى من الجهل والفقر والتخلف ، ويختفى مكانكم تحت الشمس وتظل أحلامكم سرابا يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

أيها السادة :

إن من أظهر وجوه العطاء الحضارى للاسلام ، ما سنته الشريعة الإسلامية الغراء من قواعد لتنظيم العلاقات بين الدول والشعوب ، وبين الدول الإسلامية وغيرها من الأمم انطلاقا من عدة أمور مبدئية تؤكد أن البشر جميعا يكونون أسرة واحدة لأن أصلهم واحد وتجمعهم العبودية لله وحده بالفطرة التى فطر الله الناس عليها .

والإسلام يقيم العلاقات بين الدول على التعاون كما تقول بذلك الآية الكريمة **«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا»** والتعارف هنا يعنى الاتصال الإيجابى لتبادل المنافع والخبرات لا للتنازع والتقاتل والخصام .

مقومات الحياة المستقرة

أيها الأخوة :

إن من أبرز ما يتميز به الإسلام فى نظرته إلى المجتمع أنه سيظل قادراً على أن يعطى هذا المجتمع مقومات الحياة الهادئة المستقرة ـ لسماحته وانفتاحه على الأديان جميعا وتقبله الآراء والثقافات المتباينة فهو البسيط الواضح الذى لا يحوى سراً ولا يحتاج إلى فلسفة لتفسير قيمه ومبادئه فضلًا عن إيمانه الكامل بكل رسالات الله إلى الأرض «وبملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله»

وهو فى نظرته إلى الفرد والجماعة يقيم توازنا دقيقا ، فلا يقلل من شأن الفرد على حساب الجماعة ولا يعلى من شأن الجماعة على حساب الفرد ولا يجعل غايته فقط العدل دون الحرية بل يجمع بينهما فى تنسيق رائع ومواءمة صادقة تجعل الفرد فى خدمة المجتمع والمجتمع فى خدمة الفرد من خلال بناء الأخلاق وربطها بالسياسة والتربية ، وتشجيع الأفراد على التضحية من أجل الأمة والمجتمع .

أساليب الحياة الراقية

أيها السادة العلماء :

نحن شعوب قديمة عريقة طالتنا يد القدم ومرت بنا عوامل كثيرة . حاولنا منذ أزمان طويلة أن نجد الخلاص لها ، وكانت محاولات فى أغلبها تعود إلى القلب والجسد وتمتلىء بالمشاعر المشبوبة بالشعر والكلمة وبلاغة الموقف .

وقد آن الأوان كى نضع آمالنا فى القوة الخلاقة الدافعة للعمل والحركة ، وأن نحتوى أساليب الحياة الراقية ، وندخل عالم التكنولوجيا الحديثة ، لكى نصارع التقدم العلمى ونسبقه فى الحركة والعمل والتقدم .

إن هذه سوف تكون بحق مظاهر عودة الروح إلى أمتنا العظيمة وتلك رسالتكم .

وأتمنى من الله لكم التوفيق والسداد . إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
فى مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام
المنعقد بالإسكندرية فى ١٠ ربيع الأول ١٤١٤ هـ

الحمدلله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد

فإن كافة العلماء والمفكرين المشاركين فى المؤتمر مطالبون بأن يبرزوا للعالم وللناس جميعا معالم الحضارة الإسلامية ليس فى ماضيها فحسب بل فى أمامها ومستقبلها .. والإسلام عندما جاء بحضارته انتقل بالإنسانية من مرحلة البداوة إلى النظام والعمل والاستقامة فالحضارة الإسلامية هى التى أرست العدل والإحسان وأقامت الإعمار والتعمير وأسست نشر العلوم والثقافة وألزمت بالتواصل مع الحضارات الإنسانية المختلفة .. إن كل ذلك وأكثر منه ننتظره من علماء الإسلام ومفكريه الأفاضل الذين جاءوا اليوم للأسكندرية ليقدموا للعالم الصورة المثلى للإسلام البعيد عن التعصب والعنف والاعتداء على حرمات الناس .. كل الناس .. فالحضارة الإسلامية ليست للذكرى والتاريخ بل هى لليوم والغد وما بعد الغد ويجب أن يعلمها من لا يعلمها ويعرفها من يجهلونها ويسمع بها القريب والبعيد ليدركوا جميعا أن الإسلام هو دين الحياة الرائد دائماً والمتجدد دائماً .. وعلينا أن نواصل أداء دورنا كعلماء لنقول لشعوبنا الإسلامية أولا وللناس جميعا بعد ذلك إن الحضارة الإسلامية ليست حضارة التدمير أو الظلم أو الانتقام بل هى حضارة ارتفعت بالإنسان فى أخلاقه وعاداته وجمعت شعوباً متباينة الألوان والثقافات والأعراق والعادات ، والإسلام هو الذى علمهم عدم الظلم وعدم التفرقة العنصرية وعدم العدوان ؛ فحضارة الإسلام هى التى غرست فى الدنيا حضارتها الحالية وينسبونها الآن ظلما إلى غير الإسلام .

حوار مع

فضيلة الإمام الأكبر

التمسك بأصول الإسلام هو طريق الوحدة الإسلامية

ولأن الأزهر الشريف هو أرفع مؤسسة إسلامية وعلمية وتربوية فى العالم الإسلامى .. فقد حملت تساؤلاتى[1] وذهبت إلى فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .. ورغم كثرة مشاغله وارتباطاته ومسئولياته إلا أنه أفسح لنا كثيراً من الوقت وكثيراً من رحابة الصدر .. حرصاً منه على إظهار الصورة الحقيقية للإسلام ..

سألت فأجاب : لم يرفض سؤالاً ولم يصادر فكرة .. وتحدث فى كل شىء يخص الشباب والتطرف والفراغ الدينى ومناهج التعليم ودور الإعلام .. وقضايا وتساؤلات أخرى تناولها حوارنا الشامل مع فضيلته والذى يقدم فيه رؤيته العميقة لقضايا العالم الإسلامى ..

كان من الطبيعى أن نبدأ حوارنا مع فضيلة الإمام الأكبر ـ صاحب الكلمة الأخيرة والحاسمة فى كل ما يتعلق بشئون الإسلام ـ فيما جرى من أحداث عنف مؤسفة تجلب العار على مرتكبيها .. وحتى نتعرف على رأى الإسلام فى هذا السلوك وفيمن أقدم عليه .

وجاء رد فضيلة الإمام الأكبر :

ـ لاشك أن الحوادث المؤسفة التى وقعت فى هذه الفترة الأخيرة فى أنحاء متفرقة أخذت طابع العنف فى التعامل مع الأحداث من جانب الذين يثيرون الشغب ويخرقون النظام مما يلفت أنظارنا ويستوقفه ، ويسترعى الانتباه من قبل كافة الجهات المسئولة بل ومن الرأى العام فى مصر .

وقال فضيلته : إنه لابد من ألا نلقى العبء كله أو المسئولية على جهة ما محددة عما حدث ولا يجب أن نفزع لما يحدث دون أن نفكر فى الأحداث الداعية إلى ذلك والمؤدية إليه ، وعلينا أن نقدر وندبر كيف نعالج ذلك بصفة نهائية .

واستطرد الإمام الأكبر قائلاً : إن هؤلاء ممن يسمون بالمتطرفين لا يجب أن نسميهم هكذا . فعن أى شىء تطرفوا وهم ينسبون إلى الإسلام أصلاً .. وكيف أنسبهم إليه وهو العدل الإلهى الذى أوضح أن من يقدم على القتل وعلى الظلم والإفساد قد تخلى وقت ارتكاب الجريمة عن إسلامه كما وصف الرسول ﷺ فى قوله الشريف : « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولايسرق

---

(١) اجرى الحوار الأستاذ : أحمد الشنوانى

كيف ننسب المتطرف إلى الإسلام وقد تخلى عن إسلامه

السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن » .

ولهذا فإنه من الإنصاف أن نبحث لمثل هؤلاء القتلة عن وصفه أو إسم آخر يناسب ما ارتكبوا من جرائم ، وأن يعاملوا على هذا الأساس .. ونحن ينبغى أن نلتزم بالواقع حين نتحدث عن مثل هذه الأمور سواء كان المتحدث من رجال الأمن الذيـــن يتصدون لهذه الحوادث ويتعقبــــون مرتكبيها .. أم كان المتحدث من رجال الإعلام حين ينقلون ذلك إلى الناس .

ومع التزامنا بهذا الواقع يجب أن نبدأ فوراً الدراسة للأسباب الباحثة لهذا الشغب .. فقد كثرت الأسباب وتضاربت ويجب دراستها بكل عناية كما يجب التنبؤ بمثل هذه المشكلات من قبل المسئولين عن ذلك وأن يسارعوا إلى احتوائها قبل أن تحدث .. فالإسلام عنى بالوقاية من الجرائم ومن الحوادث ولكل جريمة كان لها فى الإسلام وقايات وليست وقاية واحدة .. إننا لو فعلنا ذلك لما تصاعدت الأمور إلى هذا الحد الذى نراه ولأمكن احتواء الأمر والقضاء عليه فى مهده .. أما أن نترك المسائل حتى تشتعل النار ثم نلقى العبء على جهة ما فهذا أمر لا يتفق مع الصواب ومع شرائع السماء .

التخلى عن المسئولية

فضيلة الإمام الأكبر : انتشرت فى الآونة الأخيرة العديد من الظواهر الاجتماعية والتى أصبحت تمثل خطورة على مجتمعنا .. حوادث غريبة .. وقصص من إدمان المخدرات بين الشباب .. قتل .. سرقة .. رشوة .. فما رأى فضيلتكم .. وما التفسير الذى ترونه لهذه الظواهر الخطيرة ؟

ـ إن التخلى عن المسئولية بوجه عام هو السبب فى انتشار هذه الظواهر الغريبة على مجتمعنا ، ذلك أن المسئولية على نطاق الأسرة قد وهنت عراها .. فقد انصرف الأبوان عن التربية الصحيحة لمن فى مسئوليتهما من الأولاد والأخوة والأخوات .. انصرف كل منهما إما إلى الاشتغال بأمور ألهتهم عن هذه المسئولية الأولى ، وإما بسبب ماثار فى الآونة الأخيرة من التنافس بين الأبوين فى البعد عن المنزل ، وفى إهمال الواجبات الأبوية نحو الأولاد .. كما أن المسئولية المدرسية قد انعدمت أو كادت تنعدم ، وقد اتجهت كل المسئوليات ولو فى الظاهر إلى توفير الطعام والإدام ، وكأنها تعمل على تربية الأجساد دون أن تعرف أن المطالب الروحية لابد أن تتواءم مع المطالب الجسدية وأن غرس الخلق الفاضل ، والحذر من الشرور والآثام ، ونقاء الذمـــة والضمير وتكوين الوازع الدينى أمر ضرورى .. هذا الوازع الحارس الذى انزوى فى نفوس الأجيال المتعاقبة منذ أن انحسرت المسئولية كما سبق .. والعلاج .. أن تعود المسئولية والمساءلة عليها .. لكل متخل عنها .. وذلك بعد التوعية والإيضاح لجوانب هذه المسئولية وحدودها ، وعواقب التخلى عنها ، ولابد من حزم وعزم حتى تعود الأمور إلى نصابها ، وذلك لايتأتى إلا بالتربية الصحيحة فى نطاق أحكام الإسلام الذى أوصى

غيبة رقابة الأسرة والمدرسة أسفر عن انحراف الأبناء

بالأخذ بأسبابها منذ أن يكون الوليد أهلا للتربية والتعليم والتوجيه ، ولعلنا نأخذ هذه الأهلية من قول الرسول الكريم : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع .. حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » !

وأسأل فضيلته : أين دور علماء الأزهر الأفاضل من الأحداث والتغيرات الاجتماعية والتطور الذى يحدث فى مجتمعنا .. ولماذا لا يواكب علماء الأزهر التطور والتغير الاجتماعى ؟

ـ قال : هذا الذى ورد بالسؤال مخالف للواقع .. فعلماء الأزهر من هذا الشعب يعيشون حياته ، ويدركون ما فيه من تغيرات وتطورات وأحداث ، ويواجهون ما يتنافى من ذلك مع أصول الإسلام وفروعه .

الفراغ الدينى

وتطرق بنا الحديث مع فضيلة الإمام الأكبر عن الفراغ الدينى لدى الشباب الذى يجب أن يحمى ويصان من عبث العابثين خاصة بعد أن بدأ الشباب يقبل على التدين .. وخاصة وأننا تحدثنا معه طويلاً عن التطرف ..

ـ وقال الإمام الأكبر : إن علاج ذلك أمر سهل وميسور إذا أخلص الجميع النية لله ولخدمة بلادنا .

وقال : إنه لاشك أن هناك فراغاً دينياً لدى شبابنا ـ بل لدى بعض الكبار ـ من الناحية التثقيفية الدينية والإسلامية بوجه خاص فالمدارس تخلو مناهجها التعليمية من الابتدائى وحتى الجامعة من أى قدر مفيد فى هذا الشأن ، وإن ما يدرس من الابتدائى حتى نهاية المرحلة الثانوية لا يؤهل شخصاً مثقفاً بثقافة مناسبة من الناحية الإسلامية ليعرف ماهو معلوم من الدين بالضرورة وهو الحد الأدنى للثقافة الإسلامية .

ثم نأتى إلى الدراسة العليا والعالية فهى لاشأن لها بهذا إطلاقا .. مع أن الجامعات بها الشباب المتطلع والمستعد للمستقبل والذى يتاح له قدرٌ أكبر من الحرية الشخصية والفكرية والاختلاط بين الجنسين ومع هذا فنحن نهمل زرع أسس التحصين ضد الانحراف بكل صوره فى عقول الشباب وبدون هذا التحصين الغائب بغياب الثقافة الإسلامية لايمكن للشباب أن يعرف ما هو حقه وما هو واجبه .

فالأمور غير واضحة فى ذهنه .. أو بالأدق هى مجهولة !!

وعن الأزهر فى هذا السبيل قال الإمام الأكبر : إن الأزهر من خلال اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف قدم فكرة دراسة الثقافة الإسلامية فى الجامعة .. وهى موجودة من مدة طويلة فى أدراج المجلس الأعلى للجامعات عندما كان الدكتور أحمد فتحى سرور ـ رئيس مجلس الشعب حالياً ـ وزيراً للتعليم .

أين دور الإعلام ؟!

ووصل الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى حديثه

أين دور الإعلام فى نشر الفضائل الإسلامية

إلى الحديث عن دور الإعلام فى علاج الفراغ الدينى أو التطرف الدينى .. فقال :

ــ التعليم شق فيما ذكرنا .. ولكن هناك الشق الأهم والأخطر وهو الإعلام وأنا أتساءل : أين دور الإعلام فى نشر الفضائل والسلوكيات الإسلامية والأخلاقيات وإشباع حاجة القراء بوجه عام والمشاهدين للتليفزيون والمستمعين للإذاعة من الثقافة الإسلامية الرفيعة المستمدة من تعاليم الدين الصحيح غير المحرف أو المفسر حسب الأهواء ؟!

وأجاب فضيلته على سؤاله فقال إن ما يقدمه عبر هذه الوسائل الإعلامية جرعات ضئيلة للغاية تتوه وسط زحام المنوعات الأخرى التى تغلب وتشد الانتباه أكثر .

وتساءل فضيلته أين الصحافة اليومية ؟ إنها تقدم صفحة أو أقل كل يوم جمعة وفيها كلام معاد ومكرر .. ومع هذا نجد المواد الأخرى فى الصحيفة هى الغالبة .. وعلى استحياء شديد ينشر كل يوم جمعة ماسبق وأشرت إليه ثم لاشىء بعد ذلك .. وأنا أقول هذا بعد أن عاصرنا الصحف فيما مضى وهى تنشر صفحة يومية ــ وأكرر يومية ــ للأدب والسلوكيات والدين .. وليس صفحة أسبوعية إن لم تكن ربع صفحة !

ويمكننى أن أنادى الآن بوجوب أن تأخذ برامج الإذاعة والتليفزيون قدراً أكبر ومناسباً وأوقاتاً مناسبة حتى يستفيد بها الشباب وغير الشباب .. وأما برامج « الترفيه » أيا كان هذا الترفيه فينبغى أن يكون فى الأوقات المتأخرة أو دعنا نقول المناسبة للترفيه على أن يلاحظ فيها التثقيف أيضا .. وليس مجرد الترفيه الذى نراه والذى يعتبر مدرسة سيئة .. هذا ما يجب أن يكون .. وستجدون ساعتها النتائج المرضية فى أوساط الشباب ..

فضيلة الإمام ؛ خطبة الجمعة يحرص على سماعها المسلمون فى جميع أنحاء البلاد .. وفى كثير من الأحيان تكون خطبة الجمعة بعيدة عن مجريات حياتنا .. لماذا لايعمل الأزهر الشريف على تجديد وتحديث خطبة الجمعة حتى تواكب حياة الناس اليومية وتنفعهم فى دينهم ودنياهم ؟

ــ إن من أهداف خطبة الجمعة تعليم الناس أحكام الدين سواء فيما كان وما يكون ، وإذا كانت خطبة الجمعة مواكبة لما يجرى فى الحياة اليومية بين الناس لا لمجرد النقد بل مع بيان الحكم ، كانت أكثر إفادة .. ولقد واجه الأزهر الشريف هذا القصور الذى يقع فى بعض المساجد والمنتديات بإقامة الدورات التدريبية لرجال الوعظ كما تقوم وزارة الأوقاف بإقامة مثل هذه الدورات لائمة المساجد ، والأمل كبير فى أن تثمر هذه التدريبات والتوجيهات فى مواجهة ومعالجة هذا القصور .

أزهر الأمس واليوم

● فضيلة الإمام الأكبر : فى الماضى لم ينعزل الأزهر الشريف عن الحياة السياسية والاجتماعية ، بل قاد شعب مصر إلى الدفاع عن أرضه ووطنه ، فما الفرق ــ من وجهة نظر فضيلتكم ــ بين الأزهر فى الماضى وبين الأزهر اليوم ؟

أحـوال العالم الإسـلامى اليوم يأسـف لها كـل مسلم

ـ يقارن الناس فيما يكتبون ويتحدثون بين الأزهر اليوم وبين الأزهر فى الماضى ويقولون إن الأزهر فيما مضى كان رائداً وقائداً للأمة ولـلشعب المصرى بصفة خاصة فى أهم أموره ، إذ كان يعنى بل يتصدى لكل ماطرأ عليه من متغيرات سياسية واجتماعية ، وهو الـذى كان يطـالب بحقوق الشعب وأنه اليوم لم يعد قائماً بشىء من هذه المهام .. وفات هؤلاء الذين يعقدون هذه المقارنة ، ويذهبون إلى هذا المأخذ أن الأزهر فى الماضى كان هو الهيئة الوحيدة فى الشعب المصرى بوجه خاص التى تهيأت بوضعها العلمى للقيادة والريادة ، ولم يكن هنـاك قوانين قد نظـمت سلطات الدولة ولم يكن الاستقلال السيـاسى والكيان الدولى لمصر على هذا الوضع الحالى ، وإنما كانت فيما مضى إقليما يتبع مقر الخلافة الإسلامية على تنوع مقارها بين المدينة وبين الكوفة ودمشق وبغداد واسطنبول إلى غير هذه المتغيرات التى مرت بنا ، وبعد أن صارت مصر دولة مستقلة وصار لها دستورها الذى ينظم السلطات السياسية والتشريعيـة والتنفيذيـة والقضائيـة فى الدولة استقرت أكثر المهام التى كان يقوم بها الأزهر بين يدى هذه السلطات ، فالأزهر لم يتخل عن شىء من مهامه وإنما انتقلت أكثر هذه المهام إلى سلطات أخرى انشأها النظام القانونى للدولة على مثال النظم القانونية السائدة فى الدولة المعاصرة .

ويستطرد فضيلته قائـلًا : ومـازال الأزهـر الشريف ـ بحمد الله ـ جامعا وجامعـة .. له مكانته العلمية والعالمية يعرف هذا كل المسلمين داخل مصر بل وخارجها .. فهذه الوفود من طلاب العلم التى تنهل من علوم الأزهر فى مراحله المختلفة ، والتى تعد بالآلاف ، وهذه وفود علماء الأزهر المبعوثون إلى كافة أنحاء العالم الإسلامى ، حتى بين الأقليات ، ويعدون بالآلاف .. أفلا يدل ذلك على أن الأزهر مازال وسيظل ـ بحمد الله وعونه ـ جامعا وجامعة له مكانته العالمية .

● وأسأل فضيلته ـ المسلمون الذين هاجروا من بلادهـم إلى أوربـا وأمريكـا وكنـدا واستراليا .. ماذا يقدم الأزهر لهم ؟

ـ يتـواصل الأزهـر مع هؤلاء المهاجريـن من المسلمين فى أماكنهم بإمدادهم بالمطبوعات التى تيسر لهم الثقافة الإسلامية والعربية والتى توضح لهم وتصحح المفاهيم الإسلامية ، ويوفد الأزهر إلى هؤلاء علماءه فى المواسم الدينية السنوية .. لا سيما فى شهر رمضان .. كما أن فى بعض هذه الجهات علماء مقيمين مع هؤلاء المهاجرين لأداء هذه المهام وهؤلاء العلماء ينتقلون لإفادة هذه التجمعات وإرشادهم ، والتعرف على أحوالهم ومصالحهم ، كما أنهم يدعون من قبل الأزهر فى المؤتمرات الإسلامية التى تنعقد فى القاهرة ونأمل المزيد من هذا التواصل .

أحداث مؤسفة

● فضيلة الإمام الأكبر : كيف ترى أحوال العالم الإسلامى والعربى اليوم بأحداثه السياسية المتباينة ؟

لكـــل جريمـــة فى الإســـلام وقايـــات ... فلنتـــدبر

ـ شيخ الأزهر يسرح بخياله طويلا ، والأسى يملأ صدره قائلا :

لاشك أن الأحداث التى يمر بها العـالم الإسلامى الآن أمر يأسف له كل مسلم ، فمنذ العدوان على الكويت ، ومنذ حرب الخليج التى تجمعت فيها القوات الدولية والعربية ، منذ هذا الوقت وإنتهاء الحرب ، والخلافات لم تنته بعد ، ولم يعد للآن الصفاء للوحدة فى الصفوف العربية والإسلامية ، بل مازال هناك التفرق والشتات والخلافات موجودة على الأرض العربية ، وهو الأمر الذى يأسف له كل مسلم ، والأمر الذى ينبغى أن يسعى للتغلب عليه الزعماء والرؤساء والشعوب قبلهم ، فإن كثرة الخلافات والتفكك لابد وأنها تضعف من قوة هذه الأمة وتماسكها وهذا أمر ضار لمستقبل هذه الأمة لا سيما وسمة هذا العصر الوحدة والقوة ، فنحن نرى الآن تجمعات كثيرة من حولنا ليست بينها تلك الروابط القائمة بين الشعوب الإسلامية ، ومع ذلك تسعى لكى تكون وحدة واحدة فى كل شىء حتى السياسة والحكومة ، وهذه القوة التى تنشأ من وحدة بعض الشعوب التى توافقت على ذلك للمصالح الخاصة بها أمر ينبغى أن تتنبه إليه الأمة الإسلامية التى عاشت قروناً مختلفة فى اللغة والموقع ، لكنها أمة واحدة تجمع بينها قبلة واحدة وهى الصلاة ، وكتاب واحد وهو القرآن ، أصول فى الإسلام لا خلاف عليها ، كل هذه عناصر وحدة لا توجد لدى أى مجتمع إنسانى آخر ، ولعل الشعوب الإسلامية والزعماء على اختلاف مستوياتهم لعلهم ينتصرون على هذه الخلافات ، وعلى هذا الشقاق ، ولعل هؤلاء الذين يثيرون الخلافات فى كل موقع لعلهم ينظرون إلى أن هذه الأعمال تضعف بنيان هذه الأمة وتهدر كيانها ، وتهز قدرها بين الأمم والشعوب .

الوحدة الإسلامية أولى

● **فضيلة الإمام الأكبر : البعض يتحدث عن الوحدة الإسلامية ، ويتحدث العرب عن الوحدة العربية .. فما رأى فضيلتكم ؟**

ـ إن الوحدة الإسلاميـة قائمـة على أسس الإسلام ، فالإسلام قد جمع المسلمين على أصوله الخمسة فهم يصلون إلى قبلة واحدة ويصومون شهراً واحداً ويؤدون زكاة أموالهم ويحجون إلى بيت الله الحرام وكلهم يتلون كتاب الله القرآن الكريم ويتعبدون به وكلهم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وكلهم يحتكم إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة .. هذه الأصول لا توجد لدى أمة أخرى ، سابقة أو معاصرة أو حتى لاحقة والإسلام قد ألغى بين المسلمين كل الفوارق التى ينتسب إليها الناس من عرق أو لون أو جنس ، وجمعهم على الإسلام اسما ونسبا فقال :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

وقال :

﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ .

هذه الأصول قائمة لدى الشعوب الإسلامية

تركيز الاستعمار على إقامة الحدود وتقسيم الأمة

وقد عاشت هذه الشعوب قرونا طويلة فى ظل الوحدة الإسلامية ، لكن الأمر تغير حين وقعت البلاد الإسلامية جميعها فريسة الاستعمار بعد الحروب الصليبية التى استطالت لأكثر من مائتى عام .

وقد ركز الاستعمار الغربى منذ الحرب العالمية الأولى على إقامة الفواصل والحدود وتقسيم الأمة الإسلامية إلى دويلات كما لجأ إلى إثارة العصبيات العرقية والقبلية والمذهبية وزرع بين المسلمين هذه الفرقة والشتات والانقسام الذى يعيش فيه المسلمون اليوم .. ولا وسيلة لعودتهم إلى الوحدة الإسلامية أيا كان شكلها ، إلا بعودتهم وتمسكهم بأصول الإسلام ولعلهم يتخذون من منظمة المؤتمر الإسلامى سندا لوحدتهم ووسيلة إلى جمع كلمتهم حتى إذا ماتغلبوا على أسباب الفرقة والخلاف ونزلوا عند قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ .

وأخذوا بقول الله تعالى :

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾

عندئذ تكون وحدة المسلمين حقيقة واقعة وليست مجرد أمل يترقبونه ، إن الشعوب الأخرى فى عصرنا تتجمع وتقيم الاتحاد فيما بينها ، وتتعاون فى الأمور التجارية والصناعية والحربية ، وليس بينها هذه الروابط التى جاء بها الإسلام ، والتى ينبغى أن يجتمع حولها المسلمون لأنها الأسس الصالحة لتكوين الأمة الواحدة باعتبارها شرع الله لا صنع الإنسان .

تنسيق بين الأزهر والرابطة

● **على ضوء زياراتكم للمملكة العربية السعودية .. هل هناك تنسيق معين بخصوص الدور المصرى - السعودى يمثله الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامى نحو مستقبل الجمهوريات الإسلامية فى منطقة آسيا الوسطى بعد سبعين عاما من الشيوعية لربط هذه الجمهوريات بدول العالم الإسلامى ؟**

- قال فضيلة الإمام الأكبر :

هناك تنسيق قائم بالفعل بين الأزهر ورابطة العالم الإسلامى ، بل على أوسع من ذلك فى ظل المجلس الإسلامى العالمى للدعوة بالأزهر ، شاملا لنحو أربعين منظمة وهيئة إسلامية .. التنسيق بالفعل قائم .. والجمهوريات الإسلامية فى منطقة آسيا الوسطى على صلة بالأزهر ، ودعونا وفوداً من أئمة المسلمين ودعونا وفوداً من أئمة المسلمين هناك وحضروا للأزهر للمشاركة فى المناسبات الإسلامية وللمشاركة أيضا فى الدورات التدريبية للأئمة ، وبعض أبناء هذه الجمهوريات يدرسون فى الأزهر ، وتسافر بعثات من الأزهر بصفة دائمة لاستطلاع ما تحتاجه هذه الجمهوريات من الناحية التعليمية والتثقيفية وفى نفس الوقت للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية هناك .

فتوى

فى حكم زواج الحامل من زنا بمن زنى بها أو غيره وحكم الدخول بها وإذا وضعت أنثى من يتولى عقد زواجها ومن تزوج فوجدها حبلى .. هل له أن يلاعنها

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد/فيصل محمد ليوان مدير معهد المجلس الدينى ببانكوك ـ تايلاند يقول فيه :

إن إمرأة زنت فحملت ممن زنا بها ، واعترفت ، ثم تزوجت برجل يعلم أنها حامل من زناها مع غيره ، وعاشرها هذا الزوج معاشرة الأزواج ، وبعد مضى ستة أشهر تقريبا وضعت بنتا ، ومن ذلك الحين كان الزوج يقول أن البنت ليست منه ، ولا تنكر زوجته قوله .

والسؤال : هل يعتبر الزوج أبا لهذه البنت شرعا ، وهل تعتبر مدة المعاشرة بينهما بأكثر من ستة أشهر كافية فى إلحاق نسبها له فى هذه الحالة ؟

وإذا كان الزوج ليس أبا لهذه البنت فَمَنْ وليها عند نكاحها ؟

من المعروف أن هذه المرأة زنت قبل الزواج ، فهل يجوز للزوج الذى يعرف أنها حامل قبل العقد اللعان ؟

نرجو التكرم بالفتوى على آراء الفقهاء مع ذكر الأدلة والكتب

ولكم منا جزيل الشكر .

والجواب :

شرع الله النكاح ، وجعله بين الناس حلالا .

قال تعالى :

« وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (١) »

وجعل سبحانه فى الزواج سكنا ومودّة ورحمة

قال تعالى :

« وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢) » .

وحين أحلّ الله النكاح حرّم السفاح وجعله بين الناس محرما .

قال تعالى :

« وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا (٣) »

فالزنا جريمة منكرة يأباها ذوو الشرف

(١) الآية رقم ٣٢ من سورة النور .

(٢) الآية رقم ٢١ من سورة الروم .

(٣) الآية رقم ٣٢ من سورة الاسراء .

والمروءة ، وقد جَرَّمهَا الإسلام وعدّها من الفواحش المحرمة التى تستوجب الحد على مرتكبها بالجلد إن كان غير محصن ، وبالرجم إن كان محصنا .

قال تعالى :

« ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ [٤]» .

وقد روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما عن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قال :

« الرجم فى كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف[٥]» .

ومن شرائط صحة عقد النكاح المتفق عليها عند فقهاء المسلمين أن تكون المرأة المراد العقد عليها محلا صالحاً للنكاح ، خالية من الموانع الشرعية ، فلا تكون زوجةً أو معتدةً لرجل غير الذى تقدم للعقد عليها ، فإذا طلقت المرأة أو توفى عنها زوجها وهى حامل فلا يحل لها الزواج بآخر إلا بانقضاء العدة بوضع الحمل إن كانت حاملا ، أو بالحيض ثلاثا إن كانت غير حامل وممن يحضن أو بمضى ثلاثة أشهر إن كانت ممن لم يحضن .

وقد روى فى الحديث عن أبى سعيد ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم قال :

« لا توطأ حامل حتى تضع ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة[٦]» .

وروى عن رويفع بن ثابت الأنصارى ــ رضى الله عنه ــ عن النبى صلى الله عليه وسلم ــ قال :

« لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماؤه زرع غيرَه ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبى حتى يستبرئها بحيضة[٧]» .

وقد اختلف الفقهاء فى صحة نكاح الحامل من زنا :

فقال المالكية والحنابلة وأبو يوسف من الحنفية : لا يجوز نكاحها قبل وضع الحمل لا من الزانى نفسه ولا من غيره[٨]» وذلك لعموم قوله ــ صلى الله عليه وسلم :

« لا توطأ حامل حتى تضع[٩] ولما روى عن سعيد بن المسيب أن رجلا تزوج إمرأة فلما أصابها وجدها حبلى فرفع ذلك الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ففرق بينهما[١٠] .

وذهب الشافعية وأبوحنيفة ومحمد إلى أنه يجوز نكاح الحامل من الزنا لأن المنع من نكاح الحامل حملا ثابت النسب لحرمة ماء الوطء ، ولا حرمة لماء الزنا بدليل أنه لا يثبت به النسب ، لقول النبى ــ صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر[١١]» ولا تشترط التوبة لصحة نكاح الزانية عند جمهور الفقهاء ، لما روى أن

---

(٤) من الآية رقم ٢ من سورة النور .

(٥) التاج الجامع للأصول ــ كتاب الحدود جـ ٣ ص ٢٥ .

(٦ ، ٧) رواهما أبو داود والترمذى الأول بسند صالح والثانى بسند حسن ــ التاج الجامع للأصول ــ كتاب النكاح والطلاق والعدة جـ ٢ ص ٣٤٧ وهذان الحديثان فى الاستبراء للسبايا .

(٨) حاشية ابن عابدين جـ ٢ ص ٢٩١ ، جواهر الأكليل جـ ١ ص ٢٧٦ ، كشاف القناع جـ ٥ ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٩) سبق تخريجه .

(١٠) أخرجه سعيد بن منصور مرسلا عن سعيد بن المسيب ، والبيهقى مرسلا وموصولا عن رجل من الأنصار ، وفيه ابن جريج وقد عنعن .

(١١) رواه الجماعة إلا أبو داود . وفى لفظ للبخارى : لصاحب الفراش ــ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٦ ص ٢٧٩ .

عمر ضرب رجلا وامرأة فى الزنا وحرص أن يجمع بينهما[١٢] .

واشترط الحنابلة لصحة العقد على الزانية ممن يعلم بزناها توبتها من الزنا لقوله تعالى : « وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ[١٣] .

ذلك أن الزانية قبل توبتها ماتزال موصومة بالزنا ، فإذا تابت زالت هذه الوصمة[١٤] لقوله ــ صلى الله عليه وسلم : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له[١٥] » .

لما كان ذلك :

وكان الفقه الشافعى قد ذهب ــ قولا واحدا ــ إلى أنه لا حرمة لماء الزنا بدليل انتفاء أحكام النسب من إرث وغيره ، ومن ثم صحة عقد الزواج على الحامل من الزنا للزانى أو لغيره ويكره وطؤها خروجا من خلاف من حرمها[١٦] » .

وكان هذا أيضا القول المشهور عن الإمام مالك[١٧] ، وإحدى روايتين عن الإمام أبى حنيفة والقول المنسوب للإمام محمد بن الحسن .

واذْ كان ذلك يكون هذا العقد (أى على الحامل من الزنا) صحيحا مع كراهة وطئها حتى تضع حملها من الزنا عند الشافعية ، وحرمة الوطء فى هذه الحالة عند أبى حنيفة ومحمد ، وعند مالك[١٨] أقوال فقيل : يحرم ، وقيل : يكره ، وقيل : يجوز ، وقيل : يندب تركه ، وكان نسب هذه المولودة إلى أمها فقط باعتبار أنها حملت بها من الزنا وليس من هذا الزوج وهذا هو ظاهر من واقعات السؤال ، وموضع وفاق بين هذين الزوجين .

أما ولاية الزواج على هذه المولودة فليست لأحد سوى قاضى المسلمين إن وجد لأنه لا عاصب لها باعتبارها ثمرة زنا ، تنسب إلى أمها التى حملت بها سفاحا ، فصلة هذه المولودة بأمها صلة واقع طبيعى .

وتتولى هذه البنت متى بلغت عقد زواجها بنفسها فى نطاق مذهب أبى حنيفة الذى يجيز انعقاد الزواج بعبارة النساء .

ولا لعان فى هذه الواقعة ، لأن اللعان إنما يكون بين زوجين بعد اتهام الزوج الزوجة بالزنا ، ولا دليل لديه على ذلك ، وهنا الطرفان متصادقان على أن حمل هذه الزوجة من زنا قبل العقد عليها[١٩] فلا لعان بينهما .

والله سبحانه وتعالى أعلم

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

---

(١٢) بدائع الصنائع جـ ٢ ص ٢٦٩ ، حاشية ابن عابدين جـ ٢ ص ٢٩١ ، المجموع ــ (التكملة الثانية) شرح المهذب جـ ١٦ ص٢٤٢ ، حاشية قليوبى وعميرة على شرح جلال الدين المحلى على منهاج الطالبين للنووى جـ ٣ ص ٢٤١ ، ج ٤ ص٤٠ ، زاد المحتاج بشرح المنهاج جـ ٣ ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(١٣) من الآية رقم (٣) من سورة النور .

(١٤) المغنى لابن قدامة جـ ٦ ص ٦٠١ ــ ٦٠٣ ، كشاف القناع جـ ٥ ص ٨٢ ، ٨٣ .

(١٥) أخرجه ابن ماجه من حديث عبدالله بن مسعود ، وأخرجه البيهقى من حديث ابى عتبة الخولانى .

(١٦) الاقناع فى حل ألفاظ ابى شجاع مع حاشية تحفة الحبيب فى المحرمات من النكاح جـ ٣ ص ١٥٦ .

(١٧) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٢ ص ٢٥٠ .

(١٨) شرح الخرشى على مختصر خليل جـ ٤ ص ١٤٠ ، والقوانين الفقهية لابن جزى ص ٢١٩ .

(١٩) يراجع كتاب اللعان فى شتى كتب الفقه وآيات اللعان فى سورة النور .

نظرة فى

تحقيق صحفى نشرته جريدة الأهرام

للاستاذ / محمد البشير حسين نافع

صدرت الأهرام صباح الثامن عشر من ربيع الأول الماضى تحمل تحقيقا صحفيا عن الأزهر وميزانيته ومعاهده ودعاته ومدرسيه ... وأحوال الأزهر عامة .

وفى التحقيق بيانات مؤلمة جاءت على لسان فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وذلك فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى الداعية الواعى المثقف البصير بحاجات الشباب ومشاكله حتى لا يقع فريسة لمن ينتسبون إلى الدين ، ولا يكون ذلك إلا بأن يحترم الاعلام رجال الدعوة . لا ، كما نجد ما يسىء إلى رجال الدعوة بما نراه على شاشات التلفاز وغيره للأسف مما يُعدُّ عمداً .

ولقد أحسن المحقق حينما أبرز تألم فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف والشيخ محمد بشير وكيل الادارة المركزية لشئون المعاهد ، وهما يشاهدان قائمة طويلة من الأفلام والمقالات و(الرسوم الكاريكاتيرية) التى تسخر من علماء الدين وتضع العالم والجاهل فى سلة واحدة ، تساءلا : كيف لرجل الأزهر أن يحارب التطرف والتعصب وسط هذا الكم من السخرية والحط من شأنه حتى وصل الأمر إلى اهتزاز مصداقيته بين الناس ، ولا سيما بعد أن وجد فيه التافهون مادة للسخرية والتفكه ، نتيجة تأثرهم بالصورة السلبية التى رسمها الإعلام الهابط فى أذهانهم عن رجل الدين .

كذلك تناول التحقيق عددا من الجوانب الهامة

فى العملية التعليمية فى الأزهر الشريف ومعاهده :

فتناول شكوى مدرس المعاهد الأزهرية من حركات الترقيات التى لا تشملهم .

وكذلك ضعف مستوى المكافآت عن أعمال الامتحانات والحوافز الشهرية .

والنقص الصارخ فى الموازنة الخاصة بالمعاهد الدينية حيث نصيب التلميذ الأزهرى ــ وهو مصرى أساسا ــ يبلغ (١٧٠) جنيها سنويا لجميع أوجه الانفاق على العملية التعليمية بما فيها أجور المدرسين والموظفين ، بينما تنفق الدولة على طالب التعليم العام قبل الجامعى (٢٤٤) جنيها فى العام الدراسى بزيادة قدرها ٧٤ جنيها عن نظيره الأزهرى !!

فلماذا هذه التفرقة ، فهل هناك مواطن درجة أولى وآخر درجة ثانية .

ويستطرد التحقيق إلى بيان أمور عدة هامة مثل :

تدهور حالات المبانى وخاصة ما تأثر منها بالزلزال وذكر فضيلة الشيخ وكيل الأزهر أنها بلغت (٩٠٠) تسعمائة معهد أزهرى يحتاج كل منها إلى ترميم أو هدم لإقامته من جديد .

ويقدم فضيلة الشيخ محمد بشير أمثلة فيقول إن الميزانية المخصصة لمكافآت التدريس والامتحانات هذا العام ٢٥ مليونامن الجنيهات نفدت بعد إنتهاء ستة أشهر من العام الدراسى فلم يبق منها إلا أربعة ملايين جنيها لا تكفى شهرا واحدا ؛ مما أدى بنا إلى إرسال طلب عاجل أرسل إلى الجهاز المركزى للتنظيم والادارة للنظر فى هذه المشكلة .

وكشف التحقيق عن الرسوب الوظيفى بين العاملين فى المعاهد الأزهرية ، هذا الرسوب الذى وصل إلى ستة عشر عاما !!

وبرغم ذلك كله نحن مطالبون بإعداد دعاة المستقبل .

كذلك أثار فضيلة الشيخ سيد مسعود وكيل الأزهر مشكلة تطوير المناهج بما يتناسب مع متطلبات العصر ويرى فضيلته أن الحل يتلخص فى عدة نقاط أهمها :

١ ــ ضرورة ضم المرحلتين الإعدادية والثانوية فى مبنى واحد فى الأحياء والقرى ــ قليلة الكثافة السكانية ــ وبذلك ينخفض ثمن الموقع وتكلفة المبانى ، وتعديل مدة العام الدراسى والعودة فيه إلى وضعه الأصلى ٤٠ أسبوعا فى السنة .

٢ ــ تنظيم الجهود الذاتية للمواطنين فى المحافظات المختلفة وإخضاعها لنظام يكفل حسن الاستفادة منها فى إنشاء المعاهد اللازمة فى البيئات المحتاجة بمختلف أنحاء الجمهورية .

٣ ــ زيادة الموازنة السنوية حتى تتساوى نفقات طالب الأزهر بنفقات طالب التعليم العام .

٤ ــ العمل على إنشاء صندوق مركزى بالأزهر للمعاونة فى تمويل المعاهد الأزهرية من حصيلة تبرعات أولياء الأمور والقادرين والهيئات والمساعدات التى تقدم من مختلف الدول على أن يوضع لهذا الصندوق لائحة خاصة ، وتخضع أبواب الصرف والانفاق فيه للقواعد واللوائح المالية الرسمية ، على أن يخصص الجزء الأكبر من الصندوق لإنشاء وإصلاح المبانى المدرسية والمرافق التعليمية .

٥ ــ إمكان تعويض الأزهر بجزء من عائد الأوقاف التى تشرف عليها الوزارة وتخصيص نسبة من إيرادها للمعاهد الأزهرية وهذه اقتراحات بناءه نرجو أن تدخل حيز التنفيذ .

سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ .

الفئة الجماعة والطائفة ، وتستعمل أكثر ما تستعمل فى الجماعة المحاربة ، وقيل إنها لم تأت فى القرآن إلا بهذا المعنى ، إما لقتال أو مناصرة ، ومن ذلك ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾ وجاء فى شأن قارون : ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ ، وجاء فى شأن المنافقين ﴿ فما لكم فى المنافقين فئتين ﴾ بمعنى ما لكم مختلفين فى شأن قتالهم منقسمين إلى طائفتين : طائفة ترى حربهم وقتالهم لما بدا منهم من النفاق وعدم الإخلاص للمسلمين ، وأخرى ترى مسالمتهم وعدم حربهم ، وقال الزمخشرى : إن هذا هو الغالب فى استعمالها ، وجاءت الفئة فى كلام العرب وفى الشعر بمعنى الجماعة والطائفة فقط . وهى من الفعل فأى ، واويا ويائيا ، من الفأى والفأو بمعنى الصدع والشق فى الجبل ، والفئة من الجيش قطعة منه .

واللقاء يستعمل بكثرة فى مقابلة المتحاربين ، يقال لاقى أعداءه بمعنى حاربهم ، وكان اللقاء بين المسلمين والمشركين يوم بدر فى شهر رمضان : أى كانت الحرب .

والمراد بالفئة هنا فئة من الكفار الباغين ، واستغنى عن ذكر هذا الوصف لأن المسلمين لا يحاربون مسلمين ، ولا يحرض القرآن مسلماً على قتال مسلم ، بل يدعوهما إلى الصلح : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ـ فأمر المسلمين ينتهى إلى صلح وإخاء

والآية تأمر المؤمنين إذا لاقوا عدوهم فى حرب أن يثبتوا ولا يفروا ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا (أى زاحفين عليكم) فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ ونأمركم كذلك بذكر الله تعالى.

وبعض المحاربين قد يرهبون قوى عدوهم فتحملهم الرهبة على عدم الثبات ولكن الصبر على شدائد الحرب ، والثبات فى مواطن القتال مما يوئس الخصم ويحمله على الفرار ، والعرب يقولون الحرب أو النصر صبر ساعة ، ويصف الشّجعان أسباب انتصارهم بأنهم يلزمون أنفسهم الصبر على المكروه .

والأمر الثانى الذى أمرت به الآية ، هو ذكر الله تعالى كثيراً ﴿ فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ـ وهى أمر بالذِّكر ـ بكسر الذال .. والذُّكر ـ بضمها .

والأول يكون بالتسبيح والتكبير والدعاء ، وسؤال الله النصر على الأعداء ورد بأسهم وكسر شوكتهم . كأن يقول المؤمنون : اللهم أنت ربنا وربهم فانصر حزبك ، ولا تخذل دينك ، وأدعية رسول الله ـ ﷺ ـ وابتهالاته يوم بدر معروفة ، وقد أطال فيها حتى قال له أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بعض مناشدتك ربَّك .

والثانى ـ الذُّكر بالضم ـ يعنى التذكر ـ أى تذكر عظمة الله تعالى وما وعد به من ثواب المجاهدين والشهداء ، وما أعد لهم من نعيم الجنة ، وما يمتازون به يوم القيامة ، وأيضاً ما وعد به أولياءه من النصر والفوز على أعدائهم .

ولك تكتف الآية بطلب الذكر أى ذكر ، بل طلبت ذكراً كثيراً ، يظل المسلم يواليه ولا يسهو أو يغفل عنه أثناء هربه ، لأن حرب البغاة والكفار عبادة ، وأى عبادة . فالمحارب باع نفسه ، وباع الدنيا كلها بالآخرة .

ودلت التجارب ووقائع الحروب أن تذكر المسلم هذه المعانى مما يبث فى نفسه الشجاعة

ويحمله على الإقدام ، فإذا هو آثر الشهادة لا يبالى بما لدى خصمه من قوى ، بل يؤثر الهجوم عليه والنيل منها ، ولدينا مثل هذا فى قتال المسلمين يوم أحد ويوم خيبر وغيرهما من أيام المسلمين .

وذكر الله الكثير باللسان وبالقلب مما لا يسمح بالضعف أو الهيبة تتسرب إلى قلوب المحاربين ، ومما يجعلهم لا يبالون بالموت وهذا ما يهيء لهم النصر ، وقد قال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد : احرص على الموت توهب لك الحياة .

ورجاء الفلاح فى ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ معلق على الأمرين جميعاً ، وجدير بالمسلمين فى أيامنا أن يتذكروا هذا ، وأحرى بكل فرقة ــ من الجيش أن يكون بها إمام للصلاة وواعظ يذكر بأيام الله ، بدلاً من أعمال الترفيه التى تشمل الرقص والغناء وظهور النساء أو أصحاب الفن ، فهذا مما ينسى ذكر الله ، ويذكر بالمتع المادية وينسى الآخرة وما فيها من الثواب ، وهذه معاص تنأى عن النصر ، وما النصر إلا من عند الله ، ولينصرن الله من ينصره ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ .

اتبعَ طلب الذكر بطلب طاعة الله ورسوله والبعد عن النزاع .

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... ﴾

فهذا أمر بطاعة الله وطاعة رسوله فى كل شيء ، ويندرج فيه اندراجاً أولياً ما ذكر من الثبات والذكر . وطاعة الله وطاعة رسوله شيء واحد ، لأننا لا نعرف أوامر الله ــ تعالى ــ ونواهيه إلا من قِبل رسوله ، ولكن اقتران الطاعتين معا مما يكسب الطلب قوة وتأكيداً ، لما يشعر به من أن رسول الله ــ ﷺ ــ لا ينطق عن الهوى وإنما وحى يوحى ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله .

والنزاع يكون فى اختلاف الآراء ، أو حب الرياسة ، وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يوصى أصحابه ألا يختلفوا ، وقد أرسل مرة بعض أصحابه لغزو فاختلفوا ورجعوا إليه قبل أن يغزوا ، فقال لهم : ذهبتم جماعة وعدتم متفرقين ، أما والله لأولين عليكم رجلاً رجلا ليس بأعظمكم ، أصبركم على الجوع وأصبركم على العطش .

وأرسل أبا عبيدة بن الجراح مع جيش مدداً لعمرو بن العاص ، فلما حان وقت الصلاة أراد أبو عبيدة أن يؤم الذين جاءوا معه ، فقال له عمرو : لقد جئت مدداً إلى ، فأنا الأمير الذى يؤم الجيش كله ، فقال أبو عبيدة : أوصانى رسول الله ــ ﷺ ــ الا نختلف ، وتنحى له عن الإمامة .

والاختلاف والتنازع مما يولد الأحقاد ويبث الضغائن فى النفوس وإذا تنازع المحاربون واختلفت آراؤهم جبنوا عن لقاء عدوهم وضعفوا أمامه .

والتنازع من النزع ، وهو الجذب وأخذ الشيء بشدة أو حتى بغير شدة ويستعمل فى الماديات والمعنويات ، فيقال نزع الشجرة من الأرض ونزع الغصن من الشجرة ، ونزع السلطان الوالى من عمله ، وانتزع الشخص نفسه من وسوسة الشيطان ، وتنازع القوم الرأى ، إذا ذهب كل فريق إلى جانب منهم . فكأن كل واحد منهم يشد الآخر ليكون معه أو يخضع لرأيه أو ينزع ما عنده من الرأى ويقتعله .

ويقال نزع إلى الشيء أو نزعت نفسه إليه بمعنى مال ومالت إليه ، والمتنازعان يميل كل واحد منهما إلى جانب غير الذى يميل إليه الآخر .

والآية على كل حال تنهى عن الاختلاف والتشاحن .

أما قوله تعالى : ﴿ **وتذهب ريحكم**﴾ فيعنى تذهب منكم قوتكم ، وتضعف شدتكم والريح أصلاً هى الهواء ، ولذا تذكر أيضاً ، وفى القرآن ﴿ **جاءتها ريح عاصف**﴾ وتستعار للقوة والغلبة ، فنقول مثلاً : كانت الريح يوم أحد فى أول الحرب للمسلمين ثم صارت عليهم ، وتستعار للدولة لشبهها بها فى نفوذ الأمر وتوجيه الناس ، ويقولون : هبت ريح الدولة والجماعة بمعنى صارت لهم قوة وغلبة ، وفلان لا ريح له أى لا جاه له ، ويقال : هبت رياح النصر أو ركدت .

والتنازع والاختلاف من أكبر أسباب الفشل وركود رياح النصر .

واصبروا على شدائد الحرب ومكايد الأعداء ، فهذا أمر ثان بالثبات وعدم الفرار ، بدأت الآية بالأمر بالثبات والصبر وختمت به أيضاً لما له من الأثر القوى فى الغلبة والفوز . وأكد الطلب هنا بأن الله مع الصابرين معية معونة وإمداد بقوى معنوية ، ومن كان الله معه لا يغلبه أحد ، فالله ، ـ سبحانه ـ غالب على أمره .

والقرآن يأمر بالصبر فى مواضع كثيرة ، فضمن ما ذكره من أوصاف المسلمين والمسلمات فى سورة الأحزاب ذكر « الصابرين والصابرات ، وجاء فى صفات الأنبياء الذين يؤذيهم أقوامهم : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ . وفى ذكر الحرب للأعداء ﴿ .... ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ .. ﴾ .

وهناك الصبر على ما يمس الإنسان من مكروه ، فيتجمل بالصبر ولا يبدى الجزع والانهيار ، وهناك الصبر على إيذاء الجيران أو الرفاق وعدم المبادرة إلى الانتقام ورد الإساءة بمثلها : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ وهناك الصبر على الحاح الغرائز الدنيئة وعدم الاستجابة لها ، وهناك الصبر على مشاق الطاعة من قيام الليل وصيام النهار وتحمل مشاق السفر لها كالسفر للحج أو للجهاد ، والصبر على مشاق الحياة من شدة الفقر وقلة المال أو فقد شخص عزيز أو مال ، وهكذا نجد الصبر صفة جامعة لعديد من المواقف .

والآية على أى حال تعليم وتأديب للمسلمين ، وإرشاد لما ينبغى أن يفعلوه فى مواقف الحروب ، والصفة البارزة فيها بجانب الثبات والصبر هى تذكر الله سبحانه ، والاعتقاد بأنه ناصر من والاه ، ولذا لا يهمل المسلم الطاعة ولا يجنح إلى معصية .

وتاريخنا الإسلامى ملىء بصور الإخلاص لله تعالى ، وصور التضحية طمعاً فى مرضاة الخالق ، ومن أكبر الدنيا ، وغفل عن ذكر الله وتذكره اعرضت عنه معونة الله ، وتاريخنا الحديث ملىء بهذه الصور ، وإذا رجعنا قليلاً إلى الوراء وتذكرنا عرباً مسلمين كانوا فى أسبانيا وصقلية ومقدونيا وقبرص وبلاد اليونان وغيرها ثم زالوا . نجد السبب الأول وراء زوالهم تنازعهم واختلافهم وعدم صبرهم ، وبذلك نسوا تعاليم القرآن كأنه أنزل لغيرهم !!

فهل نعود الآن إلى ما كان عليه سلفنا ، وننسى أضغاننا وأحقادنا .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

من أنوار

نعمة الأمن في الإسلام

للشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى عبيدالله بن محصن الأنصارى الخطمى ـ رضى الله عنه ـ قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» .
رواه الترمذى ـ وقال : حديث حسن

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أصبحت آمنا فى سربك ، معافى فى بدنك ، عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء» .
أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان

معانى المفردات :

١ ـ السرب : النفس : وقيل قوم الإنسان .
٢ ـ معافى : من المعافاة وأصله العافية : وهى الصحة والسلامة من الأمراض والآفات .
٣ ـ حيزت : سيقت وجمعت وضمت .
٤ ـ بحذافيرها : حذافير الشيء أعاليه ونواحيه وجوانبه ـ المراد كأنه أعطى الدنيا بأسرها .
٥ ـ العفاء : التراب أو ذهاب الأثر .

عندما نعيش مع حديث ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى روايته نجده تتجلى فيه وسائل غنى النفس ، وطمأنينة القلب ، وراحة الضمير . وهذه هى السعادة التى لا تدانيها سعادة .

وإن المتأمل فى منهج الاسلام الذى إرتضاه الله لنا ديناً ، يجده يولى نعمة الأمن إهتماما كبيرا ، ويعنى به عناية فائقة ، فيجعله قسيما للطعام الذى تتوقف عليه الحياة . ولهذا أمتن الله عز وجل على

قريش ، يذكرها بنعمه آمرا بعبادته وطاعته « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ » .

وإذا كان الطعام حياة مادية للإنسان . فإن الأمن حياة معنوية له . والأمن شعور ثابت ينبع من داخل النفس ، يلازم الإنسان ، فيبعث فيه الاطمئنان والراحة النفسية التى تتمثل فى الثقة العميقة بالله سبحانه على نحو يشعر صاحبه بالسكينة ، ويشعره بالاعتماد على خالقه ـ تبارك وتعالى ـ لأنه يشعر بمعية الله سبحانه له بالحماية والحفظ ، وليس هناك قوة تستعصى على حماية الله وحفظه « أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ » الزمر

والأمن مرتبط باستقامة السلوك النابع من الإيمان الصادق الذى يعصم صاحبه من الوقوع فى الخطأ ، ولم يصدر منه ما يدعوه إلى الخوف وإذا توفرت استقامة السلوك النابعة عن الإيمان الذى يضمن الأمن . حيث يقول الله ـ عز وجل ـ فى محكم التنزيل « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ فصلت

وهكذا يتأكد ضمان الأمن للمؤمن المستقيم فى سلوكه مع الله ومع نفسه ومع الناس « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ » الأحقاف

« فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » . (سورة الأنعام ٤٨)

وإن الله عز وجل قد وعد بالعزة والسيادة والتمكين فى الأرض للمجتمع الذى يتمسك أفراده بالمبادىء والمثل والقيم « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ النور (٥٥) .

ولقد نفر الاسلام من إزعاج الفرد أو المجتمع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه أحمد وابو داود والطبرانى « من أخاف مؤمنا كان حقا على الله ألا يؤمنه من فزع يوم القيامة » .

وقال تعالى :

« وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ الأحزاب (٥٨) .

لقد شدد الله عز وجل عقوبة إيذاء المؤمنين بكل صور الإيذاء وألوانه ، سواء كان بترويعهم أو بتهديدهم أو بنهب أموالهم أو بانتهاك أعراضهم أو بسفك دمائهم ، فكل ذلك ـ بلا ريب ـ من الإيذاء وإن تفاوتت درجاته ومن ثم تكون عقوبتهم متناسبة مع ما احتملوه من البهتان والإثم المبين .

وفى موضع آخر يقول الحق سبحانه وتعالى : إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ

فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

المائدة (٣٣)

ما كان ذلك إلا لأن الدين الاسلامى يحرص على حقن الدماء وصيانة أرواح الناس ، ويعتبر القتل ظلما جريمة كبرى ، لأنها سلب لحياة المجنى عليه بغير حق ، وهدم لبنية الله ، واعتداء صارخ على حق الحياة وزعزعة لأمن وهدوء واستقرار الفرد والمجتمع .

وقد توعد الله قاتل النفس باللعنة والغضب وسوء المصير . قال تعالى :

وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾

النساء (٩٣) .

وفى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «من أصبح آمنا فى سربه» دخل فى الصباح وهو آمن فى نفسه أو مع قومه أو ممتلكه وطريقه ، معافى فى جسده خاليا من الأوجاع والأسقام ، سليما فى أعضائه وجوارحه من الافات والأمراض بعيدا عن المنغصات من الآلام وصنوف الرزايا .

وعنده قوت يومه ، عنده ما يقتات به وما يسد حاجته ، ونفقة من تلزمه نفقته غير محتاج ولا متطلع لما فى أيدى الناس . كأنه قد حاز الدنيا بأسرها . ومن أصبح مطمئن النفس سليم البدن محرزا قوت يومه وما يدفع ضرورته ، ولسد حاجته ويغنيه عن الناس فقد تساوى بمن ملك الدنيا .

سأل الحجاج الجوهرى : ما النعمة ؟ قال الأمن ، فإنى رأيت الخائف لا ينتفع بعيش . قال زدنى ، قال الصحة ، فأنى رأيت السقيم لا ينتفع بعيش . قال زدنى ، قال الشباب فانى رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش ، وجاء فى بعض الكتب المنزلة :

إنَّ عبدا أغنيته عن ثلاثة ، لقد أتممت عليه النعمة : عن سلطان يأتيه ، وطبيب يداويه ، وعما فى أيدى أخيه .

وفقنا الله لصالح القول والعمل وهدانا سواء السبيل .

الخلاف الفقهى
بين الأساليب اللغوية والنظائر الأصولية

لفضيلة الشيخ / أحمد عبد الله أحمد العبلينى (*)

٤ ـ الأدلـــة :

هناك أدلة كثيرة يحتجّ بها الأصوليون والفقهاء ويعتمدونها فى تقرير قواعدهم الفقهية ، ولذلك كان من الطبيعى تبعاً لهذا الأمر أن تتعدد الأحكام وتتباين بسبب تعدد الأدلة وتباينها وبسبب تفاوتها من حيث القوة والضعف والترجيح . ولذلك كان إختلاف العلماء فى الاعتماد على الأدلة والترجيح بينها سبب اختلاف الأحكام الفقهية وتعددها فى المسألة الواحدة .

ومن الأمثلة التى تدل على ذلك الخلاف القائم حول الاستصحاب والاستحسان. والمصالح المرسلة ، والعرف ، وقول الصحابى الذى جعله بعض الأئمة حجة يعتمد عليها ، فى حين يعتبره آخرون آراء اجتهادية لفقهاء غير معصومين ولا يترتب على مخالفتها حرج أو شذوذ فى بعض المواضع .

ومن الضرورى أن أشير هنا إلى أن قول الصحابى الذى لا يُدرك بالرأى والعقل يكون حجة فى الفقه دون خلاف ، لأنه لابُدَّ أن يكون قائله قد نقل ذلك عن سماع من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

أما قول الصحابى الناتج عن رأيه واجتهاده فهو الذى حدث فيه اختلاف ، فأبو حنيفة ومن وافقه يقول : إذا لم أجد فى كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج عن قولهم إلى غيره .

أما الإمام الشافعى فلا يرى ما رآه أبو حنيفة ، إذ لا يوجب حصر المسألة فى اطار الصحابة كما رأينا لدى أبى حنيفة ، لأنه لا يرى رأى واحدٍ معيّن منهم حجة ، ولذلك يسوغ مخالفة آرائهم جميعاً لكونها صدرت عن رجالٍ غير معصومين .

وحتى تتضح صورة الخلاف الفقهى الناشىء عن تنوع الأدلة ، لابد من الإشارة إلى الدليل الفقهى المعروف باسم «الاستحسان» والذى يمثل نموذجا واضحا لما تقدم بيانه ، حيث دار خلاف حول مسألة ما إذا كان يمكن اعتبار الاستحسان دليلا كافيا وإدراجه ضمن أدلة الشرع أو أنه ليس كذلك ؟

إن الاجابة على هذا الموضوع وذلك التساؤل

(*) الكاتب : المفتى السابق لمسلمى فلسطين المحتلة

يسوقنا إلى الحديث عن رأى المذاهب الفقهية المتعلق بهذه المسألة ، فالمالكية والحنفية يقولون بالاستحسان ويعتبرونه دليلا شرعيا وحجة فقهية دون أن تكون هناك مشاحة فى استعماله والاعتماد عليه .

وفى الوقت نفسه نجد الإمام الشافعى وابن حزم يرفضان حجية الاستحسان ويوردان أدلة كثيرة توضح السبب الذى من أجله رفضا هذا الدليل .

والشواهد الواردة فى باب الاستحسان كثيرة ، منها حَدُّ السرقة إذ الواجب فى السرقة القطع مطلقا بعد توفر شروطها وأركان موجبات الحد أو الجريمة الموجبة للحل لعموم النص القرآنى ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] غير أن القطع قد عُدِل عنه استحسانا وذلك فى عام المجاعة كما فعل عمر – رضى الله عنه – حيث أسقط الحد حتى لا يجتمع على السارق ضرران : ضرر الجوع وضرر القطع للسرقة .

٥ – تدوين الروايات وتناقلها :

إن الفترة التى دونت فيها الأحكام الفقهية كانت فترة مبكرة من تاريخ الاسلام ، كما أن تدوين السنة جاء عقب استنباط كثير من الاحكام الفقهية ، ولذلك احتمل أن يكون شيء من السنة قد بلغ قسما من المجتهدين والأئمة فى حين أنه لم يبلغ قسما آخر منهم ، أو أن يكون بلغ بعضهم عن طريق فيه ضعف لبعض الرواةِ . ومن المعلوم أن الفقهاء وعلماء الأصول قد وضعوا مقاييس وشروطا اعتمدوها قاعدة فى قبول الحديث والعمل به ، فقد يشترط أحدهم شرطا لم يشترطه الآخر ، فيعمل به الأول ويتركه الثانى . فمثلا هناك خلاف حول العمل بحديث الآحاد ، إذ نجد علماء الحنفية يقررون شروطاً للعمل به تختلف عما هو مقرر عند الشافعية مما يترتب على ذلك تباين الأحكام الفقهية ، ويدخل فى هذا الباب الخلاف القائم حول الجهر بالبسملة فى الصلاة والإسرار بها ، إذ إن هذا الأمر الخلافى قد حدث بسبب المعايير والشروط التى وضعت للعمل بالحديث .

ويذكر البَطَلْيَوْسِي مثالا يوضح به أقوال الفقهاء الذين بنوا أحكامهم على روايات تفاوتت فى الوصول إليهم ، حيث يذكر أنه : (رُوى عن عبدالوارث ابن سعيد أنه قال : قدمْتُ مكة فألفيتُ فيها أبا حنيفة وابن أبى ليلى وابن شُبْرُمة ، فأتيْتُ أبا حنيفة ، فقلت : ما تقول فى رجل باع بيعاً وشرط شرطاً ؟

فقال : البيع باطل والشرط باطل ، فأتيت ابن أبى ليلى فسألته عن ذلك ، فقال : البيع جائز والشرط باطل ، فأتيت ابن شُبْرُمة فسألته عن ذلك فقال : البيع جائز والشروط جائز . فقلت فى نفسى : ياسبحان الله !! ثلاثة من فقهاء العراق لا يتفقون على مسألة !! فعدت إلى أبى حنيفة فأخبرته بما قال صاحباه ، فقال : ما أدرى ما قالا لك ، حدثنى عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جده ، قال : نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن بيع وشرط ، فالبيع باطل والشرط باطل . فعدت إلى ابن أبى ليلى فأخبرته بما قال صاحباه ، فقال : ما أدرى ما قالا لك ، حدثنى هشام بن عُرْوةَ عن أبيه عن عائشة قالت : « أمرنى

(١) سورة المائدة – آية رقم (٣٨)

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن اشترى بَرِيرةً فأعتقها » البيع جائز والشرط باطل(*) . قال : فعدت إلى ابن شبرمة فأخبرته بما قال صاحباه ، فقال ما أدرى ما قالا ، لكن حدثنى مِسْعَر بنُ كِدام عن محارب بن دِثَار عن جابر ، قال : بعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعيراً ، وشرط لى حملانه الى المدينة ، البيع جائز والشرط جائز .

يضاف إلى ذلك أن النص الذى يستنبط منه الحكم الشرعى قد لا يكون صريحا ، فتتفاوت فيه أفهام المجتهدين ، ومثله فى ذلك اختلاف الروايات فيه . من ذلك ما روى الإمام مالك فى الموطأ عن عبدالرحمن بن عبدالقارى أنه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر يُعَلِّمُ الناس التشهد ، يقول : «قولوا التحيات لله ، الزّاكيات لله ، الطيبات ، الصلوات لله ...» وبناء على هذه الرواية اعتمد الإمام مالك هذه الصيغة لأن تقال فى الجلوس فى الصلاة .

وروى البخارى فى صحيحه عن عبدالله بن مسعود ، قال : (التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : «إذا صَلَّى أحَدُكم فليقُلْ : التحيات لله ، والصلوات والطيبات» فبلغت هذه الصيغة الإمام أبا حنيفة فاعتمدها فى الصلاة ، ومثله فى ذلك الإمام أحمد بن حنبل .

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن عباس ، قال :«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد : التحيات المباركات ، الصلوات الطيبات لله» فبلغت هذه الصيغة الإمام الشافعى فأقرها واعتمدها(٣)

ولعل ما سبق ذكره يوضح أن هذه الأحكام قامت على النصوص التى وردت مختلفة باختلاف الرواية . وربما كان هذا الخلاف لا يخرج عن نطاق اللفظ إذ إننا نرى أن المعنى فى كُلٍّ واحد فى الجوهر والمضمون .

٦ ـ الدلالات اللغوية :

من المعلوم أن جميع النصوص التى بنيت الأحكام الفقهية بموجبها هى نصوص تتألف من الكلام العربى وتتميز بروائع الاعجاز وجمال الاسلوب . ومن البديهى أن تكون هذه النصوص خاضعة لنواميس اللغة وقوانينها ، ولذلك فإن التركيبة اللغوية لها تعتبر عاملًا أساسيا وهاما فى تقرير المعنى وتعيين المراد من اللفظة اللغوية ، وعلى هذا الأساس فإن معالجة النص بهدف استنباط الحكم الفقهى منه يرتكز فى الأصل على معرفة الدلالة اللغوية ، إذ قد تظهر بعض الألفاظ وتكون ذات معان مشتركة ، مما يترتب عليه اختلاف الآراء حول تحديد المعنى المقصود ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ(٤) ﴾ فلفظ «قروء» جمع للفظ «قرء» وقد وضعه العرب لاستعمالين مختلفين بحيث يخالف أحدهما الآخر ويسمى «الأضداد» ، وليس بالضرورة أن يكون هذا الباب قاصراً على

(٢) البطليوسى (كتاب التنبيه) ص ١١٥ ـ ١١٧ طبعة ثانية القاهرة : دار المريخ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

(*) المراد أن أهلها اشترطوا أن يكون الولاء لهم فقال : ﷺ للسيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ اشترطى لهم ، ثم قام ﷺ خطيباً فقال : « ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله إنما الولاء لمن أعتق » .

فكان الشراء صحيحاً ـ والشرط باطلاً راجع سبل السلام .

(٣) أنظر كتاب «الأم» للإمام الشافعى (الجزء الأول) ص ١٤٠ وأنظر أيضا كتاب المغنى لابن قدامة (المجلد الأول) ص (٦٠٨)

(٤) سورة البقرة ـ آية رقم (٢٢٨)

الأضداد فقط ، إذ أنه من الممكن أن تدل اللفظة الواحدة على معنيين لا يطابق أحدهما الآخر إلا أنهما غير متناقضين . ويطلق اللغويون على ذلك كله اسم «المشترك اللغوى» ، حيث تدل اللفظة الواحدة منه على معنيين حقيقيين مختلفين أو أكثر من ذلك بالوضع الأصلى .

وإيضاحا لهذا الجانب لابُدَّ من الكلام على الناحية اللغوية لكلمة «القرء» وإبراز الأثر الفقهى لذلك .

(أ) القرء بمعنى الطهر : ذهب إلى هذا القول أهل الحجاز ، وحجتهم فى ذلك ما روى عن ابن عمر وعثمان وزيد بن ثابت أنهم قالوا : الأقراء هى الأطهار بعينها . وقد اعتمد الحجازيون فى ذهابهم إلى هذا القول على دليل لغوى هو قول الأعشى :

وفى كلِّ عامٍ أنت جاشمُ غزوةٍ
تَشُدُّ لأقصاها عزيم عَزَائكـا
مُوَرِّثةٍ مالًا وفى الحى رفعـةً
لِما ضاع فيها من قروء نسائكـا

والمراد هنا بالقروء الأطهار ، إذ المعنى أن الغزو قد شغله عن النساء فى طهرهنَّ . وقد ذهبَ إلى قول الحجازيين مالك والشافعى وجمهور أهل المدينة ، وأبوثور والزهرى ، كما روى أن ابن عباس قال بهذا استنادا على بعض الروايات المنسوبة له .

(ب) القرء بمعنى الحيض : ذهب إلى هذا القول الكوفيون وعامة أهل العراق توسعاً ، وحجتهم فى ذلك قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمستحاضة : «اقعدى عن الصلاة أيام أقرائك» .

أما حجتهم من اللغة فهو ما أنشده ابن الأعرابى :

يارُبَّ ذى ضِغْنٍ علىَّ فارض
له قروءٌ كقـــروءِ الحائض(٥)

ويُمثل هذا الاتجاه عمر وعلىّ وابن مسعود وأبو موسى الأشعرى ومجاهد وقتادة وعكرمة وأبوحنيفة .

ومما يتصل بهذا الجانب الخلاف القائم بين الأصوليين بشأن ثبوت اللغة بطريق القياس ، فذهب القاضى أبوبكر الباقلانى وجماعة من الفقهاء إلى جواز إثبات اللغة بطريق القياس ، معتمدين فى ذلك على أن العرب تطلق لفظ (السارق) مثلا على من يأخذ مال غيره خفية ، وحيث أنه قد وجدت المناسبة بين هذا المعنى وبين النباش الذى يأخذ أكفان الموتى صح إطلاق لفظ السارق عليه . إلا أن غالبية الأصوليين يذهبون الى القول بأن اللغة يمتنع إثباتها بالقياس وأن سبيل معرفتها يتحقق بطريق النقل عن العرب . ومما يقوى رأيهم هو أن القياس فى اللغة إثبات بالمحتمل وهو غير جائز ، وبذلك فإن الحكم لا يصح بالوضع عن طريق الاحتمال . وقد تكون لفظة «الخمر» من أهم المسائل التى شغلت أذهان الفقهاء وجعلتهم يختلفون فى تعيين المعنى المقصود منها ، فذهب

---

(٥) الفارض : المسن من الابل . واختلف فى تفسير هذا البيت وتعيين المراد منه ، فمنهم من رأى أن قائله أراد أنه طعنه فكان له دم كدم الحائض . ومنهم من رأى أن القائل أراد أن يبين أن لعداوته أوقاتاً تهيج فيها مثل وقت الحائض .

مالك والشافعى وأحمد وأهل الحجاز إلى أنها الشراب المسكر من عصير العنب وغيره ؛ لأن المسكر يخامر العقل ويحجبه عن التفكير . فى حين ذهب العراقيون وأبوحنيفة وابراهيم النخعى وسفيان الثورى وابن أبى ليلى وغيرهم الى أن الخمر هى الشراب المسكر من عصير العنب فقط ، وأن المسكر من غيره كالشراب المعمول من التمر أو الشعير أو التفاح يسمى نبيذاً .

ومما تقدم يتضح أن الخلاف فى لفظة الخمر يدور حول مسألة ما إذا يصح إطلاق هذه اللفظة على سائر الأشربة المسكرة على وجه الحقيقة أو أنها قاصرة فقط على الشراب المسكر من عصير العنب . وقد تمسك العراقيون بمذهبهم وبخاصة الأحناف منهم ، حيث رجحوا رأيهم هذا بالاعتماد على الجانب اللغوى الذى يشير الى ان اللغة لا تثبت قياسا وأن الأسماء مقصورة على مسمياتها ، لأن العرب يضعون الاسم ويخصصونه بالمحل دون أن يكون للقياس دور فيه .

٧ ـ الدلالات النحوية :

تُعَدُّ علامات الاعراب وسائل أساسية لتعيين المعنى المراد من الكلام ، ولذلك كان الاختلاف حول علامة الاعراب المتعلقة بالنص المراد استنباط الحكم الفقهى منه سبباً فى تعدد الأحكام الفقهية . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ (٦) فقرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب هذه الآية بنصب (أرجلكم) ، فى حين قرأها الباقون بالجر .

وبالنظر إلى تلك القراءتين تشعبت المذاهبُ فى صفة طهارة الرجلين ، فمنْ ذاهب إلى أن طهارتها تكون بالغسل ، ومن ذاهبٍ إلى أنها تكون بالمسح ، ومن مجيز بينهما . والسبب فى ذلك يرجع إلى صفة القراءة لكلمة (أرجلكم) ، فقراءة النصب ظاهرها يفيد وجوب الغسل باعتبار أنها معطوفة على (وجوهكم) التى حكمها الغسل ، وهذا هو مذهب الجمهور من الفقهاء .

أما قراءة الجر فظاهرها يفيد وجوب المسح لا الغسل ، لأن العطف يكون على لفظة (الرءوس) وحكم الرءوس ــ كما هو مبين فى الآية ــ المسح ، وهذا ما ذهب الأمامية إليه وبعض الفقهاء ، مثل : ابن كثير وعمرو وحمزة وأبى .

أما الرأى الثالث فيوجب الجمع بين المسح والغسل أخذاً بمبدأ الجمع بين القراءتين .

ومثال آخر يوضح أثر اختلاف الدلالات النحوية قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ (٧) فإن المعنى على اعتبار الواو فى هذه الاية واو حال النهى عن أكل متروك التسمية وذلك حينما يكون الترك فسقا ، وهو لا يصبح كذلك إلا إذا ذُكر اسم غير اسم الله عليه . وبهذا استنبط الأئمة حكمهم فى هذه المسألة بناء على هذا الوجه ، ولعل أبرزهم فى ذلك الإمام الشافعى وأصحابه .

أما إذا اعتبرنا الواو حرف عطف فإن النهى عن أكل متروك التسمية يكون نهيا مطلقا وشموليا دون

(٦) سورة المائدة ــ آية رقم (٦)

(٧) الأنعام ــ آية (١٢١)

أن يكون مقيدا بذكر اسم غير اسم الله عليه ، وعلى هذا الاعتبار يكون قوله تعالى : «وإنّه لفسق» إخباراً أن ترك التسمية فى حد ذاته فسق . وقد خصص ابن نجيم الرسالة السادسة والعشرين من رسائله لبحث متروك التسمية بحسب الأوجه النحوية الممكنة فى نص الآية .

ومن الأمثلة أيضا الاستثناء الذى يأتى بعد الجمل المتعددة ، فالإمام الشافعى وأصحابه يذهبون إلى إعادة الاستثناء على الجمل كلها ما لم يكن هناك دليل يقتضى إخراج بعضها..

أما أبوحنيفة وأصحابه فيذهبون إلى أن الاستثناء يعود على الجملة الأخيرة فقط ، ويستدلون على ذلك بنص قرآنى هو قوله تعالى :

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ (٨)

إذ أن القاعدة الفقهية تقرر عدم قبول شهادة الفاسق إلا بعد تحقق التوبة منه وأن الاستثناء هنا لا يعود على الجلد باعتباره عقوبة جسدية لا تسقط بالتوبة ، وكذلك الفسق يزول بالتوبة .

(٨) النور ــ آية (٤)

القـــــرآن
صـــالح لكل زمـــان ومكـــان

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى

نشرت جريدة العروبة الصادرة بتاريخ ١٩ من ذى القعدة سنة ١٤١٣ الموافق ١١ من مايو سنة ١٩٩٣ فى أعلى الصفحة الأولى ـ وبخط عريض سميك بامتداد الصفحة عرضاً ـ هذه العبارة المثيرة .

« جمال بدوى : القرآن ليس صالحاً فى كل زمان ومكان » هذا فى الصفحة الأولى ، أما بداخل الجريدة فقد لخصت المحررة التى تسمى « ندى محمد » ما اعتبرته مُوجزاً لما قاله الأستاذ جمال بدوى رئيس تحرير جريدة الوفد فى إحدى الندوات ، وهو يوجز فيما يلى :

١ ـ إن مقولة أنّ القرآن صالح لكل زمان ومكان لم تعد صالحة الآن .

٢ ـ لابد أن نعتمد على العقل والاجتهاد لأن القرآن لا يشتمل إلا على مائتى آية تحتوى على الشرائع والأحكام وهى غير كافية لهذا العصر واحتياجاته .

٣ ـ ما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال لا تعد كلها وحياً .

٤ ـ لا نتمسح فى الأسلاف فنعتبر كل ما جاء عنهم مقدساً ، لأن الإسلام يرفض من الإنسان أن يضع عقله أسيراً لسلطة حاكم مستبد .

٥ ـ المسلمون الأوائل لم يجدوا حرجاً ولا إثماً فى الاعتماد على العقل ، وأن عبارة لا اجتهاد مع النص عبارة فضفاضة وتحتاج إلى إعادة نظر .

٦ ـ الصراع بين المعتزلة وحماة الدين حول الأحاديث والأحكام .

وقد اهتم الكثير بما نُقل عن الأستاذ جمال بدوى ، وورد إلى المسئولين فى الأزهر ما يدل على هذا الاهتمام من قراء كثيرين أزعجتهم هذه الأقوال ، وطلبوا الرد عليها ، فأحيلت إلىّ جريدة العروبة لأناقش ما جاء بها ، ولن أتأخر .

وقبل كل شىء ، أعلن أنى أشك شكاً قامت لدى أدلته فى أن الأستاذ جمال بدوى قد أدلى بهذه

الآراء ؛ لأنى أتابع ما يكتب فى جريدة الوفد ، وأقرأ أكثر ما يُصْدِر من كتب تاريخية وثقافية ، فلم ألْحَظْ عليه تهجماً فى رأى ، أو شذوذاً فى اتجاه ، فهو الكاتب المؤمن الغيور على كتاب الله وسنة رسوله وشريعة الإسلام ، ومثله لا يتورط فى ترداد أغاليط سافرة ينكرها أهل العلم ، ولا يعرفون لها مذيعاً غير من جهلوا حقيقة الإسلام ، وَسَرَّهُم أن يقولوا عنه غير ما جاء به لحاجة فى نفوسهم ، وإذنْ فالرّدُ فى رأيى لَايُوجّهُ إلى الأستاذ جمال بدوى ، ولكن إلى مَنْ حرفّ القول عن عمد ، وما أخال الأستاذ الكبير إلا مستنكِراً ما نُسب إليه إذا أتيح له أن يطلّع عليه ، ونأتى إلى ما نُريده من النقد الكاشف لهذه الادعاءات فنقول أولًا :

١ ـ إن القول بأن القرآن ليس صالحاً لكل زمان ومكان ، لم تصدر عن عالم قرأ القرآن ودرس السنة ، وعرف طريقة الفقهاء فى القياس المجتهد الذى تندرج به الجزئيات فى كليات عامة أتى بها الذكر الحكيم ، ووضحتها سنة الرسول تطبيقاً وتفسيراً ، إنما صَدَر عمن لا يعرفون شيئاً عن أحكام الشريعة ، ومِنْ أين استمدت أصولها التى قامت عليها واضحة جلية دون التباس ، وقد كتب العلماء فى دحض هذه الفرية ، حتى أصبحت لغوا تافها يقابل بالازدراء ، وأعجب العجب فى صنيع هؤلاء المرجفين ، أنهم يعلمون أنَّ بمصر أكثر من عشرين كلية للشريعة الإسلامية وللحقوق بالجامعات المنتشرة فى شتى عواصم الجمهورية ، وكلها ـ شريعة وحقوقاً ـ تدرس الشريعة الإسلامية ، وتُجمعُ إجماعاً لا شبهة فيه على صلاحيتها وخلودها الدائم حتى يقوم الناس لرب العالمين ، أجل تدرس هذه الكليات الشريعة الإسلامية بالمنطق المؤيد بالنقل ، المعتصم بالعقل ، بحيث صارت الدعوة إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية رغبة عامة لا يجرؤ حزب من الأحزاب على التنكر لها ، وليس لها من معارض غير فلول الماركسيين الذين غرقت بهم السفينة ، فهبوا يصارعون الموج فى يأس قاتل ، ومصيرهم محتوم ، لأنه مصير الذيل بعد انقطاع الرأس .

أما جمهور الشعب المسلم ، أما آلاف الآلاف ممن تخرجوا فى هذه الكليات ، ولا يخلو من أحدهم منزل فهم واثقون بصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، ومعهم اعتقادهم الراسخ ، وعلمهم المقرر المدروس ، وإذا كان فى العامة من يريد أن يطمئن قلباً بخلود الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، فليستمع إلى نص العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ حيث قال : «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد ، وفى المعاش والمعاد ، وهى رحمة كلها وعدل كلها ومصالح كلها ، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن دخلَتْ بالتأويل» .

ومعنى ذلك أن صلاح الشريعة للتنفيذ فى كل عصر وموطن ينبع من قيامها على مصالح الناس بالعدل والقسطاس ومراعاتها ما يترتب على اختلاف الظروف والبيئات من اعتبارات لها كلها الوزن عند المشرع ، ولذلك كان الاجتهاد باباً من الأبواب الدقيقة فى علم الأصول ، له شروطه وحدوده ورجاله الفاقهون أن يقيسون المجهول على المعلوم ، ويدرجون الجزئيات فى كليات عامة ، لأن الشريعة حين تركت كثيراً من الفروع دون نص على أحكامها ، فقد تركت لمن يملك القدرة على الاجتهاد أنْ يُدخل هذه الفروع فى الكليات

العامة التى جاء بها كتاب الله ووضحها نبيه الكريم .

وما قاله ابن القيم ، وإن كان من البداءة لى الدارسين ، نجده مشتهراً بمضمونه لدى تلاميذ المدارس الثانوية ! أقول فى هذه المرة المدارس الثانوية ، فأنزل عن مستوى طلاب الكليات قليلًا ليعرف هؤلاء المتهجمون على الشريعة أنهم لا يعلمون ما يعرفه طالب السنة الثانية فى المدرسة الثانوية ، لأن كتاب (التربية الإسلامية للصف الثانى من المدارس الثانوية) قد جَلَا هذه النقطة خير جلاء حين قال مؤلفوه ص ٩٠ :

علمنا أن المصادر الأساسية للشريعة الإسلامية هى القرآن الكريم فى المقام الأول ، تليه السنة المطهرة . ولكن القرآن الكريم ثابت لا يقبل التعديل ، ولا يخضع للتطوير ، وكذلك السنة الصحيحة ، على حين أنّ المجتمعات العالمية تتغير دائماً ، وتتطور أبدا ، وقد أصبح هذا التطور سريعاً متلاحقاً فى عصرنا ، ولابد أن تكون الشريعة الخالدة قادرة على التعبير عن هذه المتغيرات وتوجيهها وتنظيمها وتقنينها ، وهذا ما علمه وأدركه مُعلّم البشرية ﷺ فنجده يوجه معاذاً إلى الاجتهاد برأيه فى القضايا التى لا يجد حُكمها صراحة فى كتاب الله وسنة رسوله .

والاجتهاد هو أن يبذل العالم أقصى طاقته ، وجهده فى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها وقد اشترط العلماء فى المجتهد شروطاً أهمها ما يلى :

أ ـ العلم بالقرآن الكريم ، معانيه وأحكام وأسباب نزول الآيات .

ب ـ العلم بالسنة ومعانيها وأحكامها .

جـ ـ التمكن من اللغة العربية ، وطرق دلالتها على المعانى .

د ـ العلم بمقاصد الشريعة ، وأحوال الناس وأعرافهم ، وما يحقق مصالحهم الدنيوية والأخروية فى زمانه وبيئته .

وقد مضى الفقهاء فى طريق الاجتهاد فوسعت الشريعة الإسلامية قضايا الناس فى أزهر عصور الحضارة الإسلامية عباسية وأندلسية وفاطمية ، ثم جاء منَ تَقَاعَس عن الاجتهاد فى عصور الضعف والتخلف فُخيلَّ لبعض الناس أن الشريعة قد وقفت ولم تسر ، حتى ظهر فى القرن الأخير من نفخ فى العصور فاتصل الخلفُ بتراث السلف ، وقام الاجتهاد فى الفتوى والقضاء وسائر الأحكام على قدم وساق ، وقُنّنَتْ مواد الشريعة تقنيناً واضحاً تقف بها أمام أحدث القوانين لترتفع عليه ! فكيف نقول بعد ذلك ، إنّ القرآن ليس صالحاً لكل زمان ومكان !

٢ ـ ثم تقول الجريدة : لابد من أن نعتمد على العقل والاجتهاد ؛ لأنّ القرآن لا يشتمل إلّا على مائتى آية تحتوى الشرائع والأحكام ، وهى غير كافية لهذا العصر واحتياجاته .

أما أنْ نعتمد على العقل والاجتهاد فى الأحكام فهذا ما لا ينكره أحد ، بل هذا هو الواقع المشاهد فى كل ما نقرأ من كتب الفقه المعاصر ، وما صدرت الفتاوى الدينية المعاصرة إلّا فى ضوء الاجتهاد العاقل بشروطه المقررة ، وإذنْ فالقول بذلك تحصيل حاصل ، أما أنّ القرآن لا يشمل غير مائتى آية تحتوى الشرائع والأحكام وهى غير كافية لهذا العصر ، فكلنا يعلم أن كتاب الله قد جاء بالكليات العامة لتندرج تحتها الجزئيات المتولدة ، ولم تضقْ هذه الكليات بمعضلة معاصرة بل كان لها حلها اليسير فى ضوء ما يلى الكتاب من سنة رسول الله ـ ﷺ ـ وأقوال الأئمة

المجتهدين ، والاجتهاد العصرى فى التطبيق والتحليل والتعليل ! وقولُ الجريدة أنّ القرآن لا يشمل غير مائتى آية ، يُغفل أن الآية الواحدة قد تتضمن أحكاماً كثيرة ، فأحكام الميراث كلها قد جاءت فى ثلاث آيات فحسب ، وقد وَسعتها جميعها ! فالعدد الرقمى لا معنى له فى ظل اشتمال الآية الواحدة على أحكام عدة ، كما لا معنى له حين نعلم أن القرآن مفسر بالسنة وقد وضحته بمزيد من الأحكام المعتبرة ، وجاء المجتهدون فأمدوا الشريعة بعطاء زاخر لا يكاد يحصر ! فهل للنص على مقدار الآيات مكان ما فى الاحتجاج بأن القرآن غير صالح لكل زمان ومكان ؟

٣ ــ وتقول الجريدة ، ما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال لا تعد كلها وحياً !

وليس ما قالته الجريدة بجديد على القارىء ، فهو من الأمور المسلمة ، وطالب الصف الثانى من المدرسة الثانوية يعرفه تمام المعرفة لأنه يقرأ فى كتابه المدرسى ما ذكره مؤلفوه حين قالوا ص ٨٦ تحت عنوان (العملُ بالسنة) وقد رجعوا فى ذلك إلى كتاب « علم أصول الفقه » للمرحوم الأستاذ عبدالوهاب خلاف ، حيث قال الأستاذ :

« ومادمنا مكلفين بالعمل بالسنة باعتبارها المصدر الثانى بعد القرآن الكريم ، فلابد أن نبين أن ما ورد عن النبى ﷺ له ثلاث حالات :

الحالة الأولى

ما ورد عنه ــ ﷺ ــ بوصف أنه رسول ومقصود به التشريع العام والاقتداء مثل :

أ ــ تأكيد حكم جاء به القرآن الكريم : كالأمر بالصلاة وإيتاء الزكاة ، والنهى عن الشرك وعقوق الوالدين .

ب ــ تفسير وتفصيل ما جاء فى القرآن الكريم كتفصيل أحكام العبادات وأحكام البيع والشراء وغيرها ، أو تخصيص ما جاء عاماً فى القرآن الكريم ، مثل تحريم الميتة والدم فقد خصصت السنة : السمك والجراد والكبد والطحال بأنها حلال .

جـ ــ إثبات حكم سكت عنه القرآن الكريم مثل : تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها **وهذه الأحكام ومثلها مستمدة من القرآن الكريم ومن مبادئه وهى ملزمة للمسلمين شرعاً .**

ما صدر عن رسول الله ــ ﷺ ــ كما يصدر عن سائر الناس ، كالأكل والشراب والمشى والقيام والقعود .

أو صدر عنه بمقتضى خبرته وتجاربه فى الحياة ، **ومثل هذه الأمور إما مستحبة أو جائزة ، إلا إذا ثبت أن شيئاً منها قصد به التشريع العام فتكون ملزمة شرعاً كالحالة الأولى .**

ما كان خاصاً به ــ ﷺ ــ وليس تشريعاً عاماً . لاعتبارات خصه الله بها كوصله صوم يوم بآخر دون أن يفطر ، **ومثل هذه الأمور من خصوصياته ولا يشاركه فيها أحد .**

وإذن فطالب المدرسة الثانوية يعلم أن من أعمال رسول الله ــ ﷺ ــ مالا يُعد وحياً ، وكان على الكاتب أن يفصل القول إذا أراد الحق لوجه الحق لا أن يترك القارىء السطحى فى بلبلة واندهاش .

٤ ــ قال كاتب الجريدة : لا نتمسح فى الأسلاف لنعتبر كل ما جاء عنهم « مقدساً » ، لأن

الإسلام يرفض للإنسان أن يضع عقله أسيراً لحاكم مستبد .

ولا يوجد أحد من الفقهاء يعتبر ما قاله أئمة المذاهب قولًا مقدساً ، بل إن كل إمام منهم يرى أن قوله صواب يحتمل الخطأ ، وقول مخالفه خطأ يحتمل الصواب ، ولا يلزم أحداً بتقليده ، وقد قال مالك رضى الله عنه : كل عالم يؤخذ من قوله وُيرد ، غير صاحب هذه الحجرة ، وأشار بيده إلى مقام رسول الله بالروضة ! وكُتب الموازنة بيْن الآراء الفقهية معروفة غير مجهولة ترجيحاً وتوهيناً ، فكيف يُقال إننا نعتبر كلام الأسلاف من هؤلاء مقدسا ! وقول الكاتب عقب ذلك إن الإسلام يرفض من الإنسان أن يجعل عقله أسيراً لسلطة حاكم مستبد صحيح فى مضمونه ، ولكن ما صلته بحكم يصدره فقيه مجتهد عن دليل اتضح لديه ، أخطأ أم أصاب ! وهل هذا الفقيه إذا اجتهد وبذل غاية الجهد فى القياس والتدليل يكون صاحب سلطة ، أو أنه يعرض رأيه لزملائه ولهم حق المناقشة والتصويب !

٥ ـ ثم قال كاتب الجريدة :

المسلمون الأوائل لم يجدوا حرجا ولا إثما فى الاعتماد على العقل ، وإن عبارة لا اجتهاد مع النص عبارة فضفاضة تحتاج إلى إعادة نظر .

وأنا أقول إن المسلمين الأوائل قد نادوا بالاعتماد على العقل ، وكان العقل دليلهم فى كل حكم فقهى اتجهوا إليه ، فهم لم يجدوا حرجا أو إثماً فقط ! بل هم دعاة التفكر والنظر ، لأن كتاب الله يدعو إلى التفكير والتأمل والنظر فى ملكوت السموات والأرض ، وتلك قضية واضحة مسلمة فلا مجال لتردادها ! أما القول بأن عبارة لا اجتهاد مع النص عبارة فضفاضة تحتاج إلى نظر ، فيردها أن نسأل من هو المجتهد ؟ أليس هو الفقيه الذى يعتمد أولَ ما يعتمد على النص فى قول الله وسنة الرسول ! وله أن يحكم على النص بالعموم أو الخصوص أو الاطلاق أو التقيد وفق ما تنطق به الأدلة ؟ فالنص إذن هاديه ورائدة ، وهو منه بمكان المصباح المضىء من سار يتخبط فى الظلام ! فالاحتياج إلى إعادة النظر لا يكون من غير الفاقهين وهم يعرفون مكان النص ، وليسوا بحاجة إلى الاستماع إلى مُنكريه !

٦ ـ أما حديث كاتب الجريدة عن الصراع بين المعتزلة وحماة الدين حول الأحـــاديث والأحكام فخارج عن كل ما نعنيه ؛ لأن نقاش المعتزلة لم يتجه إلى المسائل الفقهية فى الشريعة الإسلامية التى يدور حولها اللجاج ! بل كان نقاشهم حول الأمور الاعتقادية المتعلقة بما يسمى (علم الكلام) فلماذا نزج بهم فى مجال ليسوا من أربابه ؟ وليس كل معتزلى منكراً للحديث فى مضمار الاحتجاج بل إن من حاول ذلك لا ينكر الحديث بل ينكر نسبته لرسول الله ! والمعتزلة أهل نظر وبحث ، والإسلام يدعـــو إلى النظـــر والبحث ، فهم ومخالفوهم يتبارون فى مجال غير هذا المجال ، فلمـاذا نتحـــدث عنهم فى مجال صلاحية الشريعة للبقاء ! وهل قال معتزلى واحد إنها ليست صالحة لكل زمان ومكان ؟

لقد كان بوسعى أن أفيض فى ردّ هذه الشبهات بما يملأ كتابا برأسه ، ولكنّى أوجز القول فى تركيز دقيق لأحصر مجال النقاش فى حيز يسير ، فَيُلِمُ القارىءُ بمضمونه دون إرهاق .

ونرجو ممن يهاجمون الشريعة بالباطل أن يعلموا أن الأراجيف لا تثبت للحقائق وما هى إلا سراب يلمع ثم يختفى دون ارتواء .

نعم .. يا أستاذ عشماوى

حتى لا تكون فتنة

للأستاذ الدكتور إبراهيم عوضين

فى ضمن الحملة الوطنية المؤمنة ضد تيار العنف والإرهاب والتطرف .. كتب الأستاذ المستشار محمد سعيد العشماوى تحت عنوان (حتى لاتكون فتنة) فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٣/٥/١٩٩٣ ينبه إلى ما يتضمنه بعض ما يكتب من جنوح قد يؤجج النار من إطفائها ، ويزيد الفتنة اشتعالاً ، بدلاً من إخمادها

واستخلص الأستاذ المستشار من بين ما يثار فى ثنايا مقاومة التطرف والعنف ثلاث مسائل رأى أن لها ظاهراً يقاوم التطرف ، وباطناً رأى فيه تأجيجاً لنار الفتنة ، ورأى أن على المخلصين من أمثاله توضيح الأمر فيه ، حتى نقطع كل السبل إلى التطرف والإرهاب .

ولاريب فى أن كل مخلص لوطنه ولأمته ولدينه .. يجد أن عليه أن يؤازر كل من يسعى إلى إطفاء نار الفتنة ، وإغلاق كل المنابع دونها .

بيد أن من يتصدى لمثل هذا المسعى النبيل يجب أن يكون القاضى العادل الحق ، الذى يحرص على أن لا يلفظ إلا بما يجمع الأمة على كلمة سواء ، والذى يلتزم بالبعد عن العصبية والانفعالية ؛ لأنه يدرك أم العصبية والانفعالية لن تحقق الغاية المرجوة ، بل ستزيد النار اشتعالاً ؛ فأخطر ما يعانيه المتقاضون ، ويحرك مشاعر الثورة فى نفوسهم .. أن يلمسوا انحياز القاضى إلى جانب ، ومخاصمته الجانب الآخر :

فأولاً : لجأ الأستاذ العشماوى – من أول الأمر – إلى رفض ما تبذله طائفة من أبناء الأمة فى سبيل القضاء على تلك الفتنة ، بحجة أن لما تبذله تلك الطائفة باطنا ينطوى على سوء يراد بنا ، ويزيد النار اشتعالاً .. غافلاً عن أنه – بذلك – يتخلى عن حيادية القاضى العادل ، ويلبس مسوح قارئ الأفكار ، والمطلعين على النوايا والخواطر ؛ مستنداً فى ذلك إلى ما يستشفه من دعاء بعضهم بأن يوفق الله الحكام – أو يوفق المجتمع – إلى الحكم بما أنزل الله .

وعندئذ يرى الأستاذ المستشار أن الفرصة مواتيه ليخيف الحكام والمجتمع من هؤلاء ، ويقضى على ما قد يكون هناك من فرص تقارب أو تعاون ؛ فيذكر أن هذا الدعاء فيه إيماء إلى الآية الكريمة ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ ؛ لأن هؤلاء الداعين – فيما يفترضه المستشار كأنهم يقطعون بأن الحكومة والمجتمع لايحكمان بما أنزل الله ، وأنهما لذلك وقعا فى الكفر .

هكذا قرأ الأستاذ المستشار كلام هؤلاء ،

رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة

وهكـذا .. لمح ـ بألمعيتـه ـ ما ينطـوى عليـه دعاؤهم ، وهكذا سارع فى الحكـم عليهم ، لتعريفهم مما توهمه ستاراً يخفون وراءه نواياهم ؛ حتى يَعْزلَهم عن حياة الأمة ، ويفرض عليهم عداوتها فلا يأمنهم أحد ، ولا يَقْبل منهم قولاً ولا فعلاً ؛ لأنهم بتفسير الأستاذ المستشار ينطوون على نوايا سيئة شريرة .

وهكذا .. جَرّم الأستاذ المستشار كل دعوة أو دعاء بأن يوفقنا الله إلى الحكم بما أنزل الله ؛ لأن مثل هذا التأويل من الأستاذ المستشار أكبر دافع لأن يغلق كلُّ مؤمن فمه ، ويلتزم الصمت ـ لا ينصح ولا يدعـو ـ حتـى لايتهم من مثـل مستشارنـا بأنـه يعـادى الحكـام ، أو يعـادى المجتمع !

ولا يقف الأستاذ المستشار عند ذلك طويلاً ؛ لأنه قاض ، وقد أصدر حكماً على هؤلاء ، فأصبح حقيقة ، وما عليه بعد ذلك إلا أن يأخذ فى تفنيـد ما توهـم أنهم يقصدونـــه من وراء دعائهم .

وهنا يلجأ الأستاذ المستشار إلى استعـراض بعض الآيات الكريمة التى استقر على أن مقاصد الـداعين تعتمـد عليها ، ويأخـذ فى منـــاقشة ما يفترضه هو ؛ ليخرج فى النهاية إلى أن الآيات الكريمة التى دعت إلى تحكيم كتاب الله إذا قرئت فى سياقها تبين أنها تتحدث عن بنى إسرائيل ، وأن الرجوع إلى أسباب نزولها يؤكد ذلك

ولا أدرى سراً لاخـــتصاصه هذه الآيات بذاتها ، إلا أن يكون قد أدرك أن وراء ذلك ما يدعم مقصده من إثارة النفور بين الحكـام والمجتمـع من جهـة وبين الداعيـــة للحكـــام وللمجتمع ، حتى لايلتقوا على كلمة سواء !

ليت الأستاذ المستشار حين سمع ـ أو قرأ ـ الدعاء للحكام بتوفيق الله إياهم إلى الحكم بما أنزل الله .. أقول : ليته تذكر قول الحق تبارك وتعالى لرسوله الكريم ﷺ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١٠٥ النساء) .

إذن لأدرك أن هؤلاء الداعين إنما يريدون الخير لحكامهم ولمجتمعهم ؛ إذ يدعون الله أن يوفقهم لتحقيق ما أُنزل الكتابُ الكريم بالحق من أجله ، دون جنوح إلى مناصرة طائفية !

ليت الأستـاذ المستشار ـ حين سمع دعـاء هؤلاء ـ تذكر قول الحكيم الخبير :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ (٤٨ المائدة) .

ليت الأستـاذ المستشار ـ حين تلقى دعـاء هؤلاء ـ تذكر قول الحق جل شأنه :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ .. ﴾ (٤٩ المائدة) .

إذن .. لأدرك أن هؤلاء الداعين ما قصدوا إلا أن يحفظ الله حكامهم ومجتمعهم من تأليه الهوى ، ويقيهم ما قد يدبره لهم خصوم الحق والعدل من الانحراف عن الجادة والبعد عن الصواب ، وترك بعض ما أنزل الله ؛ تمهيداً لترك ما أنزل الله !

إن ما كان ينتظر من الأستاذ المستشار ـــ بفكره وألمعيته ـــ أن لايشغله نصف الكـوب الفارغ عن رؤية نصفه الآخر الملىء بأسباب الخير والحياة !

ولكنه ـ كما رأينـا ـــ شغـل نفسه وقـراءه

بالنصف الفارغ ، وافترض فى الداعين بالتوفيق سواء المقصد ؛ فذكر من الآيات الكريمة ما قد يتسع لقول من هنا وقول من هاك ؛ متناسياً أننا فى زمان أحوج ما نكون فيه إلى جمع الشمل ، وبث التفاؤل ، والبعد ما أمكن عن الخوض فيما يثير انقساماً ، أو ينشىء صراعاً ... وكفانا محاسبة على النوايا ، وما يترتب على ذلك من مصادرات واستبداد بالرأى ، وإيغار للصدور ، وإثارة للضغائن والأحقاد .. بعيداً عن الخطر المحدق الذى يتهدد الجميع !

وثانياً : إن الأستاذ المستشار حصر ما يُكتب وما يقال نهياً عن الإرهاب والتطرف فى الحديث والآيات التى تحرم دم المسلم والمؤمن فقط .. وأنا فى الحقيقة لم أصادف هذا الحصر من كاتب أو متحدث ... فإذا كان الأستاذ المستشار قد صادف شيئاً من هذا ، فهو محق فى تصويبه وتصحيحه ؛ لأن الكتاب الكريم والسنة النبوية قد أفاضا فى الأمر بصيانة الأموال والدماء والأعراض لكل الناس .. ثم استثنى من هذا التعميم من يقاتلوننا أو ينابذوننا الحرب .. بل إن سماحة الإسلام اقتضت النهى – حتى فى حالة الحرب – عن أن يمس بالأذى أحد ممن لا دخل لهم فى الحرب ، من الشيوخ والأطفال والرهبان فى أديرتهم .. من كل ما يؤكد أن حصر الأمَان فى المسلمين فقط مجانب لحقيقة الإسلام .

أما ما يوهم حضر الأمان فى المسلمين والمؤمنين من القرآن والسنة فإنما هو – كما قال الأستاذ المستشار – أنزل لتبيان أحكام تفصيلية فى علاقة أفراد المجتمع الإسلامى بعضهم مع بعض !

وثالثاً : يرى الأستاذ المستشار أن ما يقال بشأن حجاب المرأة قول مغرض ، لم يبين حدود الحكومة فى فرض الزى ، خصوصاً أن الحكومة لاتفرض الأخلاق ، ولاتفرض الأزياء .. ويخلص الأستاذ من ذلك لبحث آيات الحجاب ، فيذكر من بين ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٣١ النور) .

ويحاول الأستاذ أن يتخلص من وجوب التزامنا اليوم بما نصت عليه الآية فى صراحة ، وتحديد حاسم ؛ فيرجع الآية إلى سبب نزولها ، ليقرر أن الآية أنزلت لتعديل فى عرف كان قائماً وقت التنزيل .

وصنع الأستاذ المستشار مثل ذلك فى آية الجلابيب – على حد تعبيره – إذ ذكر قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ (٥٩ الأحزاب) ، ثم شفعها بذكر سبب نزولها ، من غير تعليق صريح .

فإن كان ذكره سبب النزول لتذكيرنا به ، من غير قصد إلى الإيماء بشىء آخر ، فهو بذلك يُسلِّم بأن علينا أن نأمر بمثل ذلك الحجاب ، يقيناً منه بأن سبب النزول ليس مقصوراً عليه الحكم .

وإن كان يومىء – بسبب النزول – إلى أننا فى هذا العصر لا ندخل فى ضمن هذا الخطاب ، فما دام الخطاب موجها إلى محمد ﷺ فلا شأن لنا ولا لحكوماتنا به اليوم ؛ لأن خصوص السبب يبرر تلك الحرية المطلقة ، ويبرر تحلل القائمين على الأمر من الاستجابة لأمر الله فى قوله : (قل) ... أقول : إذ كان الأستاذ يومىء إلى هذا – والله أعلم بالسرائر – فهو مما لا يتفق معه فيه عاقل ؛ لأن

مثل ذلك القول إنما يعنى إهمال القرآن تماماً ؛ لأن كل ما جاء به من أحكام إنما كانت وراء مناسبة فإذا كان كل حكم يخص مناسبته ـ كما يومىء كلام المستشار ـ فلا مكـــان إذن للقـــرآن الكريم ... وهذا مالا يقول به عاقل

فإذا رجعنا إلى الآية الأولى وجدنا أن الأستاذ المستشار قد اجتزأ منها ما ذكره ؛ ظنا منه أن ذلك الاجتزاء قد يسوغ ما يرمى إليه ؛ لأن ذكر الآية كاملة يقرر أنها لم تنزل لتعديل فى عرف كان قائماً ـ كما أوهم قراءه ـ ولكنها جاءت متضمنة أحكاماً عديدة أخرى ، تتناول سلوك المرأة المؤمنة فى علاقتها بالآخرين على وجه العموم ... حيث تَطْلب من الرسول ﷺ ـ كذلك ـ أن ينهى المؤمنات عن ابداء زينتهن إلا لأشخاص بأعيانهم ، وأن ينهاهن عن نوع معين من المشى يكشف عن زينتهن .. وذلك قوله تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

ولا أدرى ـ فى الحقيقة ـ السر وراء قطع هذا الجزء من الآية ، فأمر قاطعه إلى الله الذى يعلم السر وأخفى

بيد أن الذى أدريه أن ما كان ينتظر من قلم القاضى الذى يقصد خير أمته ـ فى مثل هذا الموقف ـ أن يقدم الصورة الإسلامية التى ترسمها الآيتان بيانا لما يجب أن تكون عليه المرأة المؤمنة فى حياتها ـ سواء فى نظراتها ، أم فى ثيابها وزينتها ، أم فى مشيتها ـ حرصاً على محاربـــة الشذوذ والتطرف بعيداً عن النهج القـويم

أما أن يدفعه تطرف بعض الناس فى تطبيق الحكم الإسلامى إلى أن يلوى عنق النصوص القرآنية ، فإذا لم يستطع لجأ إلى استذكار مناسبة التنزيل لتحجيم الحكـم ، وقصره على حالـة بخصوصها ، فهذا ينبىء بأن الأستاذ المستشار قد خلعه تطرف المتطرفين من كرسى القاضى الثابت الراسخ ، ليصبح متطرفاً أشد من المتطرفين ، وبدلاً من أن يلقى على نار الفتنة ماء يطفئها ، سارع فألقى عليها (بنزيناً) يزيدها اشتعالاً

نعم .. ياسيادة المستشار ان المسلمين اليوم فى مفترق طرق كلها شعاب ، ولن يكون الخلاص بالتخلى عن أصول الإسلام ، كما أنه لن يتحقق بالمبالغات المتطرفة الموغلة فيه بغير رفق .. ولكن الخلاص سوف يتحقق بالتمسك به ـ فى وسطيته الهادئة المتوازنة ـ من غير تفريط ولا إفراط .. فهذا وحده الكفيل بأن يتميز به المسلمون عن غيرهم ، فيلاحقهم نصر الله فى كل المجالات .

واذكر وعده سبحانه وتعالى فى قوله :

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ (٩٦ الأعراف) .

فلتضرع معى إلى الله تعالى أن يقى أمتنا الشطط ويعيذها من خطل الرأى ، وسوء المقصد ، ويحميها من كل زيـــغ وضلال ، ويعينها ـ حكاماً ومحكومين ـ على طاعة الله والتزام أوامره .

المرأة في الغرب الأوربي في العصور الوسطى

-٢-

الحقوق والواجبات

للأستاذ الدكتورة / إسمت غنيم

يقول المؤرخ « فردريك هير F. Heer : إنه لم يكن للمرأة فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى أى حق فى أى شىء ، فالقانون كان خاص بالرجال ، وحدهم ، والرجل هو صاحب السلطة الوحيد فى العائلة وفى المجتمع وفى الدولة . بل إن إحدى القواعد الثابتة فى العصور الوسطى كانت : Woman's Voice is not to be heard in public●

هذا باستثناء حق واحد فقط هو الميراث ، فقد كان من حقها أن ترث والدها أو زوجها[١] .

على أن المؤرخة بَوَر Power توضح أن القانون الإنجليزى كان يعتبر المرأة النبيلة غير المتزوجة أو التى توفى عنها زوجها ، شخصية متميزة عن العامة ، فكان يهتم بحقوقها وواجباتها لدرجة المساواة بالرجل ، فمن حقها حيازة الأرض الزراعية ، وتحرير وصية أو عقد ، ولها أن تقيم دعوى أمام القضاء أو ترفع عليها الدعاوى ، لكن بمجرد زواجها فان هذه الحقوق كلها تنسل من يديها ليستحوذ عليها الزوج .

وإذا كانت سيدة نبيلة كبيرة السن دون زوج فإنها تمنح نفوذاً وسلطة واسعة ، وتصبح شخصية هامة ذات شأن كبير فى المحيط الذى تعيش فيه ، ذات كيان عن أى رجل أقل منها حيازة للأرض الزراعية[٢]

أما فيما يتعلق بحقوقها فى الزواج ، فإنه لم يكن للفتاة من الطبقة العليا فى المجتمع أى رأى فى

(1) Heer : op . cit . p . 261 .

● وترجمة العبارة : صوت المرأة لايسمع على ملأ والمراد التهوين من رأيها .

(2) Power: Medieval Women, edited by postan, Cambridge university press, Cambridge, 1981, p . 38 .

اختيار شريك حياتها ، إذ كانت المصالح المادية هى صاحبة الرأى الأول والأخير فى هذا الأمر ، وكان زواج المصلحــــــــة Mariage de Convenance أمراً شائعاً ومألوفاً فى العصور الوسطى ، ومثل هذه الزيجات كثيراً ما أملتها المصالح التى تتعلق بالأرض ،. وكانت عبارة : «لا أدرى أية عوائق تحول دون الزواج بين أصحاب الاقطاعات الكبيرة » هى العبارة التى استرشد بها كبار السادة الإقطاعيين للموافقة على زواج بنــاتهم ، أو (قاصر) تحت وصايــة أحدهم ..

وكانت قصص الزواج هذه تمتزج فيها الفكاهة بالكآبة الأليمة ، وليس أدل على ذلك من قصة طفلة تدعى (جريس دى سلبى) ، زوجوها وهى فى الرابعة من عمرها نبيلاً عظيماً من أجل أراضيها الواسعة ، وبعد أن توفى عنها زوجها بعد عامين ، تزوجت شخصاً ثانياً ، وعندمــا أصبحت فى الحادية عشرة من عمرها تزوجها شخص ثالث[١] .

وهكذا يتضح أن الفتاة المنتمية للطبقة الأرستقراطية لم يكن لها حق اختيار زوجها ، ولم تتح لها فرصة لقبوله أو رفضه ، فكثيراً ما كانت تزف عفو الساعة ، أو تزف إلى رجل لم تره من قبل : إما لتسهيل التحالف والإمــدادات العسكرية ، أو من أجل صفقة من صفقات الضياع[٢] ، أو غير هذا وذاك من المصالح المادية البحتة .

وكانت سعادة المرأة فى حياتها الزوجية متوقفة إلى حد بعيد على الحظ ، فربما سعدت بهذا الزاوج ، أو حدث نوع من الألفة والمودة بينها وبين زوجها ، كما حدث مع (الأديبة الفرنسية كريستين دى بيزان) التى عبرت عن ذلك تعبيراً مؤثراً حين تداعت إليها ذكريات حياتها السعيدة مع زوجها الذى توفى عنها ، فقالت :

كان يحبنــــى ، وكان هذا حقــه
الذى وهبه إيــاه سن الشبــاب
ولــو استطعنــا تنــظيم كل شىء
حبنــــــا وقلبينـــــــا
لأحب كل منـــــــــا الآخر
حباً يفوق حب الإخوة والأخوات
ولكنا إندمجنا قلباً وقالباً
فى السراء والضراء[*]

(1) Grump & Jacob : op . cit . p . 414 .
بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى ، ص ١٣٩ ، ص ١٨٨ .

(٢) جمع ضيعة .

(*) اطلع الشاعر أحمد مصطفى حافظ على هذه الأبيات فانفعل بها فصاغها شعراً على الوجه التالى :

كنتُ حُبًّا له يفــوحُ عَ ضيعــة — لامتزجنا قلباً وروحــاً ووجــداً
باتقّــاد الشبـــاب فى دنيـــاه — وبلغنــــا من الغـــرام مُدْاه
ولـو اسطعت واستطاع انعطافــاً — فى نعيم أو شقـــوة تلقانــــا
لهوانـــا فى صبـــوة ترعـــاه — فى صميم الهنــــاء .. من نجواه

على أنه فى معظم الزيجات كان يحدث عكس ذلك ، حيث تظل المرأة تشقى بهذا الزواج ، وربما قضت حياتها كما قضتها « دوقة برنزويك » التى صورت حياتها مع زوجها ــ وهى على فراش الموت ــ أمام القس الذى أدلت إليه باعترافها الأخير ، فقالت :

« يأبى العزيـــز ، لماذا لا أذهب الآن إلى ملكوت السماء ؟ إنى عشت هنا فى هذه القلعة عيشة الراهبة فى الصومعة ، فما هى ألوان السرور والسعادة التى تمتعت بها هنا ، ماعدا أنى وضعت هذا القناع الزائف على وجهى ، حتى أبـدو سعيدة أمام خدمى وحاشيتى من الفتيات ، وأمام سيدات المجتمع .

إن زوجى ــ كما تعلم ــ رجل فظ ، يكاد قلبه يخلو من كل عطف واهتمام بالنساء ، أو ميل إليهن .

ألم تكـن حيـاتى فى هذه القلعـة كأنى فى صومعة ؟ »(1) .

كان هذا ما يتعلق بالفتاة من الطبقة العليا ، أما الفتاة من الطبقة المتوسطة أو الفقيرة فقد كانت أسعد حظاً ، فلم تكن على الجانب من الثروة بحيث تتحكم المصالح المادية فى اختيار شريك حياتها ، وإنما كان من حقها الموافقة على الخطيب أو رفضه . وفى حالة ما إذا لم تكن رأته من قبل ، كانت ترتب بينهما مقابلة ليتعرف كل منهما على الآخر ، فيأتى الفتى مصحوباً بأشقاء الفتاة إلى منزلها ، ثم تدخل هى إليه حافية القدمين ، عارية الرأس ويجلسان بحضور أشقاء الفتاة يتفحص كل منهما الآخر ، ولها بعد ذلك أن تبدى رأيها اما بالقبول أو الرفض(2) .

الصداق أو المهر :

وفى حالة الـزواج يصبـح على المرأة القيـام بالعديد من الواجبات تجاه زوجها ، وأول هذه الواجبات ، أن تقدم له صداق عينى أو نقدى ، يتناسب مع حالتها من الغنى أو الفقر . ففى حالة الفتاة التى تنتمى للطبقة الاستقراطية كان عليها أن تقدم لزوجها صداقاً كبيراً يتمثل فى إقطاع واسع أو مبلغ محترم من المال . أما إذا لم يتهيأ لها ذلك ، فكان من الطبيعى أن تتعرض لإدبار الرجال عنها وهو الأمر الذى كانت تخشاه الفتـاة والأسرة معا ، وكانت الأسرة غالبا ماتتخذ الاحتياطات اللازمة لتلافى هذا الأمر . فكان الوالد إذا شعر بدنو أجله فعل كل ما فى وسعه ليترك لبناته صداقاً مناسبا لزواجهن .

ولا تعفى من موضوع الصداق هذا حتى الفتيات من أدنى الطبقات ، وقد تعاون المجتمع النصرانى فى غرب أوروبا على حل هذه المشكلة فكانت إحدى أوجه الصدقات المعروفة إذ ذاك هى الجود بالصداق للفتيات الفقيرات(3) .

الزوجة مِلْكُ الزوج :

وبمجرد إتمام عقد الزواج تصبح الزوجة وجميع

(1) crump & Jacob : op. cit. p. 416.

(2) Johannes Busch : liber de Reformatione Monasteriorul, ed. Karl Grube, Halle, 1886, p . 779 .

(3) Coulton : Life in the Middle Ages, Cambridge, 1828, P . 219.

ما تملك ملكاً خالصاً للزوج ، ومن حقه نقل ملكيتها لأى شيء ، سواء كان ذلك إقطاعاً أو عقاراً أو أموالاً سائلة أو أى شيء آخر تملكه فإنه يصبح من حقه نقل ملكية هذا الشيء إليه وباسمه هو . وليس لها أية حقوق تجاه زوجها ، وكما يقول المؤرخ بنتر **Painter** كان الزوج بالنسبة لزوجته مثل الله بالنسبة له (١) .

وإلى جانب ذلك ، كان على الزوجة كواجب نحو زوجها أن تنجب له ولدا ذكراً واحداً على الأقل ، فإن كانت سيئة الحظ لدرجـــة أن لا يتحقق لها ذلك كان من السهل على الزوج أن يقنع الأسقف بفسخ عقد الزواج(٢) .

وبصفة عامة كان من أهم واجبات الزوجة الخضوع التام لزوجها ، والطاعة العميـــاء لأوامره ، والصبر على تصرفاته . ولعلنا نلم بمعلومات أوفر عن هذا الموضوع إذا ما قمنا بجولة بين صفحات كتاب « مدبر البيت الباريسى » **Managier de paris** وهو ـ أى مدبر البيت الباريسى ـ رجل ينتمى إلى الطبقة البورجوازية الرفيعة ، عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى ، وكان يبلغ الستين من عمره ، حين تزوج من فتاة صغيرة تبلغ الخامسة عشرة ، أعرق منه نسباً وقد ألف كتابه هذا لاعتقاده بأن زوجته ستتزوج غيره بعد وفاته ، فألف لها هذا الكتاب ، ودَوَّنَ فيه كل ما لديه من معلومات عن جميع ما يلزم المرأة لتكون زوجة صالحة ومدبرة بيت وسيدة كاملة ، حتى يضمن لزوجته حياة زوجية سعيدة ومستقرة فى زواجها المقبل .

وقد بدأ مدبر البيت الباريسى كتابه بفقرة طويلة عن مراعاة الدين والتقى والورع والمسلك اللائق ، ثم انتقل إلى مخاطبة زوجته الشابة قائلا :

« يجب عليك أن تهتمى بزوجك ، وتراعى حاجاته ، وأرجو منك أن تبقيه نظيف الثياب دائما ؛ فإن ذلك من جملة وظائفك » .

بعد ذلك يتحدث عن الأعمال التى يقوم بها الزوج خارج المنزل وما يتكبده من المشقة والعمل والسفر هنا وهناك ، حتى إذا عاد للمنزل على الزوجة أن « تخلع حذاءه أمام مدفأة متأججة النيران ، وتغسل قدميه ، وتعطيه جورباً نظيفاً ، وتضع على رأسه طاقية نوم جيدة الصنع ، وتغطيه بالفراء ، وتغمره بغير ذلك من الأفراح والمسرات » .

ويستطرد هذا البورجوازى الباريسى موجها كلامه لزوجته قائلا : « وأنصحك بناء على ما تقدم أن تكونى دائمة البشاشة لزوجك فى جميع غدواته وروحاته ، دائبة عليها ، وأنصحك كذلك أن تكونى مسالمة معه ، بعيدة كل البعد عن كل ما يجلب الشجار أو يؤدى إليـــه ، وتذكرى المثل الذى يقول : ثلاثة تبعد الرجل الصالح عن بيته ، سقف واكف(٣) ، ومدفأة داخنة وزوجة طويلة اللسان معنفة . لأجل ذلك أطلب إليك ـ أيتها الأخت الجميلة ـ أن تكونى

---

(1) Painter : History of the Middle Ages, p. 121.

(2) Stephenson : Medieval History, New York, 1942, p . 268.

(٣) هو الذى يتساقط منهالمطر ، ولعل العبارة كناية عن عدم كتم أسرار البيت .

محبة لزوجك ، وديعة ، دمثة الأخلاق ، حتى تنالى محبته وعطفه ورعايته » .

ولاشك أن هذا البورجـــوازى ، يعبر فى نصائحه هذه عن وجهة نظر أبناء جيله فى موقف الزوجة من زوجها ، ولعل من الطريف حقاً أن يشبه حب الزوجة لزوجها ، بإخلاص الحيوانات الأليفة لأسيادها فيقول :

« ترى بين الحيوانات الأليفة أن الكلب دائم القرب من الشخص الذى يتناول منه الطعام مبتعداً عن الآخرين ، هيابا منهم ، فَظًّا فى معاملتهم سواء أكان ذلك فى الطريق أو على المائدة ، أو فى الفراش ، فإذا لم يستطع الكلب أن يقترب من سيده ، فان عينيه تظلان متعلقتين به ، ويظل قلبه دائم الحنين إليه ، ونجد الكلب يتبع سيده ، حتى عندما يجلده أو يقذفه بالحجارة ، وهو يهز ذنبه ويستلقى على ظهره أمام سيده محاولاً استرضاءه واسترجاع عطفه ، وترى الكلب يتبع سيده أينما سار فى الغابات وفى الأدغال ، وفى الأنهار ، وإذا ما صال هاجماً على السارق أو على الأعداء .

لهذا ولسبب أقوى وأقوم ــ يجب على المرأة التى وهبها الرب إحساساً طبيعياً وجعلها مدركة عاقلة أن تحب زوجها حباً كاملاً ، مهيباً مقدساً ، ولذلك أتوسل إليك أن تكونى عظيمة الحب لزوجك ، شديدة الكتمان لأسراره »[1] .

وهكذا كان على الزوجة فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى أن تتخذ من الكلب قدوة حسنة تقتدى بها وتسير على منوالها فى الإخلاص والوفاء لسيدها .

---

(١) بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى الصفحات ١٥٠ ــ ١٥٥ .

المــوارد المالية للمــرأة فى الإســـلام

بقلم عبير عبد الواحد

وهذا العنوان يلزمنى أن أكتب تفصيلاً لتلك الموارد بلا إجمال لأمرها ، مع بيان لسندها الشرعى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تشريع الحكيم الحميد ـ سبحانه وتعالى ـ وحتى نحسم شبهات الطاعنين الذين يحلو لهم اتخاذ شئون المرأة هدفاً لسهامهم الكليلة التى لن تنال من شرعة الله ـ تعالى ـ بحال .

وهذا جانب ـ من جوانب حقوق المرأة فى الإسلام ـ له تَحَدِّيه الصارم أمام قوانين الأرض جميعاً ليعلم ذو نَصَـَفَةٍ من الناس أنَّ شرعة الله عَالية ، وأنها منصفة ذات عدل ورحمة ، وتلك صورة لما حضرنى من موارد المرأة المالية فى الإسلام .

١ ـ حقها فى النفقة عليها : سكناً وكسوة ومطعماً ومشرباً وعلاجاً .. أى ما يغطى حاجاتها جميعاً بالمعروف .

هذا الحق كفله لها الشرع الشريف فألزم به أبويها ، أو عصبتها[١] ، (نشأةً إلى الدخـــول بها) ، فلم يُضَـيِّعْها ـ كما تفعل القوانين الغربية إذا بلغت الفتاة بينهم سن السادسة عشرة ؛ فإنها لا تُلْزِم والديها بإيوائها ولا بكفالتها ، وهذا أمر معروف لا يَغْضَى له الكاتبون ضد الإسلام .

إن الأبوين ، فالعصبة ملزمون بأداء هذا الحق من حقوقها حتى تنتقل بالدخول بها إلى بيت زوجها ؛ فيكون ملزماً بأداء هذا الحق لها ؛ فإذا فقدت الزوج ـ لوفاة أو طلاق ـ كان لهذه الحقوق عودة إلزام إلى الأبوين أو العصبة فى حال افتقارها .

(١) يقصد بـ (العصبة) : الأب ـ وإن علا ـ والأبناء وإن نزلوا كالحَفَدَةِ ، والإخوة أشقاء ، أو لأب ، والعمومة وأبناؤها .

وهذا الجانب من الحق المالى بجواره إلزام من يتعلق به هذا الحق بالمحافظة عليها وصيانتها وتوفير كرامتها . وقد تكفلت مصادر الفقه الإسلامى بتفصيل هذا الحق .

٢ ـ وللمـــــرأة نصيب مالى محدد ـ من « الميراث » حَدَّدَهُ الكتاب العزيز على أى حال كان وضعها : زوجة ، أو جدة أو أُمًّا ، أو بنتاً ، أو أختاً ، وفى سورة النساء الآيات الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة ، ثم آخر آياتها تفصيل لنصيبها فى أى أحوالها قال ـ تعالى :

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾

ولا يفوتنى ـ عقب الحديث عن حقها فى الميراث ـ أن أبين هنا أمرين :

أولهما: أن المرأة ليست ملزمة بنفقة شرعية قِبَلَ نفسها ، أو قِبَلَ أحد .

ثانيهما: أنها ـ باعتبار ما كفل لها الشرع الشريف من (دمة مالية مستقلة) لها أن تستغل مالها بطرق مشروعة ، مما يجعل نصيبها المالى يتضاعف دون أن تَنْتَقِصَهُ نفقة واجبة عكس الحال فى الرجال .

٣ ـ « المهر » وهو حق مالى ثابت لها قَلَّ أو كثُر ، ليس لِوَليها أن يغفله أو يتنازل عنه[٢] ، وليس له نهاية مالية مُحَدَّدَة ، قال ـ تعالى :

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ آية ـ ٤

أى : آتوا النساء مهورهن وجوبا ، فالمهر ملك خالص لها ، ما تقدم منه وما تأخر .

قال ـ تعالى : ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة النساء

وكان عمر بن الخطاب رضى الله قد نهى عن كثرة الإصداق ثم رجع عن ذلك .. قال الحافظ أبو يعلى عن الشعبى عن مسروق قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم قال : أيها الناس ما إكثاركم فى صداق النساء !! وقد كان رسول الله وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم ، فما دون

---

(٢) إذا أغفل ولى الأمر تحديد المهر ، أو تنازل عنه ، فللمرأة الحق فى المطالبة به ، ويحدد ـ فى هذه الحال ـ بمهر مثلها من أخواتها أو بنات عمومتها ، أو بنات أخوالها ، أو خالاتها مع مراعاة الفروق الفردية ، ومراعاة قدرها والمجتمع الذى تعيش فيه .

ذلك . ولو كان الإكثار فى ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها . فلأعرفن ما زاد رجل فى صداق امرأة على أربعمائة درهم .

قال : ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا فى مهر النساء على أربعمائة درهم ؟ قال : نعم . فقالت أما سمعت ما أنزل الله فى القرآن ؟ قال وأى ذلك ؟ فقالت : أما سمعت الله يقول : ﴿ **وءاتيتم إحداهن قنطاراً** ﴾ الآية . قال : اللهم غفراً ، كل الناس أفقه من عمر . ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس انى كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء فى صدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب .

قال أبو يعلى : وأظنه قال : فمن طابت نفسه فليفعل .

إسناده جيد قوى[3] .

وينبغى ألا يفوتنا أن هذا الحق المالى فى المهر ليس خاصاً بالزوجة إذا كانت مسلمة ، فهو حقها مسلمة كانت أو كتابية .

والمهر واجب ـ أيضاً ـ للإماء المؤمنات :

قال تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ سورة النساء ـ آية : (٢٥)

أجورهن : مهورهن .

٤ ـ وتعمل المرأة ، ولا خلاف فى عملها عند حاجتها هى ، أوحاجة المجتمع نفسه إليها كطبيبة أو مدرسة لبنات جنسها ، وقد تعمل فى مهنة تخص النساء داخل بيتها ، أو لا تخص النساء كأن تكون أديبة تعكف على التأليف أو كتابة المقالات المفيدة .

ذلك كله وما شابَهَهُ للمرأة أن تمارس العمل بها موفورة الكرامة حريصة عليها لا ابتذال لشخصها فى هذا العمل ، ولا تفريط ـ فى واجبها الأُسَرِى ، ولقد دلت الشريعة الغراء على ما للشخص الذى نيط به أكثر من واجب فاستوفاه بإحسان وأمانة ـ من أجر عظيم عند الله ـ تعالى .

فأما ما كان لها من مال من هذا العمل فهو ملكها الخالص كما نص عليه أكثر الفقهاء ، وقد استشهد بعض العلماء ـ في هذا المقام ـ بقوله ـ تعالى : ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾

سورة النساء ـ آية : ٣٢

على أن ما قدمت بشأن عملها أمر لا خلاف فيه .

٥ ـ وبما للمرأة من ذمة مالية مستقلة ، فإنها تستطيع أن (تضارب) بمالها مع أمين يحسن التجارة ، ويقوم عنها بالعمل ، وقد اشترط بعض الفقهاء إذن وليها : أباً ، أو زوجاً فى هذا المقام ليس للحكر عليها ، بل صوناً لها من القيل والقال ، ومالها وربحه حق لها .

وبعد .. فذلك شىء مما كفله الإسلام للمسلمة من موارد مالية ، وحسبى أن ألفت النظر ـ هنا ـ إلى مقال الأستاذ الدكتورة إسمت غنيم ـ بنفس هذا العدد لنتبين ما فعله الإسلام للمرأة .. وما فعله الغرب بها ... ولا تزال ـ إلى

(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابونى فى الآية .

يومنا هذا ـ عرضة للتشرد والضياع بالرغم مما نسمعه من حديث الغوغاء .

ذلك ـ إذن ـ ما قدمه الإسلام ، أى ما فعله تشريعاً لا يمكن النيل منه منذ كان الإسلام من خمسة عشر قرناً إلى يومنا هذا ... إلى يوم يبعثون ..

تشريع سماوى ... وليس تشريعاً وضعياً كهذا الذى اكتسبت به المرأة شيئاً من حقها فى الغرب ، يمكن ـ فيما بعد ـ أن ينصل فيحول ، بل لقد نَصَـَلَ فى الحرب العالمية الثانية حيث أعدت المرأة للترفيه عن الجنود ،

فأما لدى أهل الكتاب فتلك هى المرأة فيما يرون : « إنها أدنى من الرجل لأنها هى التى أغوت آدم بالأكل من الشجرة المحرمة ، ولذلك فالمرأة بطبعها خاطئة » ومن هنا نشأ مفهوم الخطيئة الأصلية وجُعلت حواء متسببة فيها[٤] . ولذا يشكر اليهودى ربه صباح كل يوم على أنه لم يخلقه امرأة . كذلك فإننا نجد بعض آبائهم الأوائل أدانوا المرأة باعتبارها أقوى مصادر الخطيئة والغواية ، ويوضح « ترتوليات » الأول نظرته قائلا : « إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ، ناقضة لقانون الله »[٥] .

ولقد حدث أن قرر أحد المجامع فى رومية أن المرأة حيوان نجس لا روح له ولا خلود ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكمم فمها كالبعير لمنعها من الضحك والكلام ؛ لأنها أحبولة الشيطان[٦] . وما زالت تلك النظرة ضاربة بجذورها حتى اليوم وليس أدل على ذلك من أن بعض الأديرة فى اليونان ـ على سبيل المثال ـ ما زالت حتى الآن تحرم دخول النساء إليها[٧] .

وحينما نصل إلى طلائع العصر الحديث فإننا نجد المرأة الغربية فى مكانة متدهورة للغاية . ففى سنة ١٧٩٠م ، بيعت امرأة فى أسواق إنجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التى كانت تؤويها . وظلت المرأة إلى سنة ١٨٨٢م ، محرومة من حقها الكامل فى ملك العقار وحرية المقاضاة .. وكان تعليم المرأة يجلب لها العار ! حدث حينما كانت (اليصابات بلاكويل) تتعلم فى جامعة جنيف سنة ١٨٤٩م أن النسوة المقيمات معها قاطعنها وزوين ذيولهن من طريقها احتقاراً لها كأنها دنس . فاين حقوقها المالية فضلا عن مكانتها الإجتماعية .

---

(٤) مريم جميلة ، رحلتى من الكفر إلى الإيمان ، ص ٨٨ .
(٥) ملاحظات فى تاريخ المجتمع الإسلامى ، د/ عماد الدين خليل ص ٥٢ .
(٦) محمد رشيد رضا ، نداء للجنس اللطيف ، ص ١٣ .
(٧) مريم جميلة ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .
(٨) د/ عماد الدين خليل ، مرجع سابق ص ٤٩ .

تركيا والاتجاه شرقا

للاستاذ الدكتور / جعفر عبد السلام

زيارة لتركيا لابد ان تشبع فى النفس ذكريات عزيزة على نفس كل مسلم ، فهى عاصمة الخلافة الإسلامية لعدة قرون ، ومن ثم فالأثر الإسلامى فيها قوى .
المساجد الرائعة التى توجد فى كل مكان هناك فى المدينة العتيقة ـ استانبول ـ تلك المساجد التى تتميز بطراز معمارى خاص ، وموحد ، كلها كبيرة ونظيفة ، وقديمة أيضاً .

النقوش الإسلامية التقليدية التى تعتمد على التزويق ونقل آيات الجمال فى الطبيعة بعيدا عما فيه روح ، والمعرنصات والقباب ، والأعمدة الضخمة . الخ . وهى تدل بوضوح على قوة دولة الإسلام ، وعظمة الفن الإسلامى ، واستلهام التعاليم الدينية فى عمل (الفنان) ، والبعد عن كل مافيه شك من الناحية الدينية . كذلك فاستانبول هى مدينة القصور التى رأت وعاشت امجاد الخلافة ، والتى تحولت ، لحسن الحظ ، الى متاحف يستطيع كل شخص من أية دولة ومن أى دين ان يزورها ، ويستشعر آثار ماض عظيم ، وقوة كبيرة سادت وحكمت معظم العالم الذى كان معروفا فى وقت ما ، ثم بادت واندثرت ، ولم يبق منها سوى الاثار .

من هذه القصور ، (قصر يلدز) الذى يحوى بين جنباته مركز التراث والبحوث الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى الان ، وقد حافظ على «عقل الإسلام» بحيازته لآلاف الكتب والمخطوطات الإسلامية ، واهتم بجمع تراجم معانى القرآن الكريم الى مختلف لغات العالم الحية ، واستخدم ، الوسائل الحديثة ، كالحاسب الآلى والميكروفيلم وكذلك «ضلمة باشا» آخر القصور التى بنيت فى العصر العثمانى ، والذى عاش فيه (السلطان عبدالحميد) منزويا فى ركن قصى من أركان المدينة بعد ان اخذت شمس الحكم الإسلامى تتوارى تدريجيا ، ليعقبها ظلام دامس غشى تركيا المسلمة الربع الثانى من هذا القرن ، وحتى الآن .

غيـــــوم

والقضية المثارة فى المؤتمر الذى حضرته فى تركيا ، هى قضية المسلمين الان فى كل مكان ، قضية العلاقة بين الإسلام كدين وعقيدة

وشريعة ، ونظم الحياة السائدة فى الغرب لقد فرضت هذه القضية نفسها على تركيا وانحاز حكامها الى اتباع التحول الغربى ، والتخلى تماما عما يربط المجتمع التركى بالإسلام : دينه وتعاليمه ، وهكذا لم يسمح كمال اتاتورك لأية قوة مسلمة لكى تعيش هناك ، وعمل بكافة الوسائل والطرق على ان يشكل العقلية التركية على إنموذج الغربى وعلى أن يمسح ما على القلوب والعقول من تأثيرات إسلامية . ولقد كتب تعهدات بذلك فى وثائق رسمية أعلن فيها تخلى تركيا عن الحكم الإسلامى ، وإثبات ارتباطها بالنظم والقوانين الأوربية . بل لعله من المآسى الدامية ان قوانين الاحوال الشخصية التى تحرص كل دول العالم على ان تطبق فيها تعاليم الدين للطوائف والاقليات الدينية فيها ، نقلت من القانون السويسرى . وهكذا يطبق على أنظمة الأسرة ، الزواج والطلاق والحضانة والنفقة فى تركيا ، القانون المطبق فى سويسرا وجاهد اتاتورك وحزبه فى سبيل ان يربط تركيا بالغرب وأطلق شعار الاتجاه غربا ، ولازال هذا التيار هو التيار الأساسى السائد فى الشارع التركى بين شبابه وشاباته ، وأطفاله دون شيوخه وكهوله .

ولسبب أو لآخر ، خيب الغرب الأوربى المسيحى آمال هذه النخبة التى حكمت تركيا ، ولازالت تحكمها حتى الآن ، ولم يقبل انضمامها الى مؤسساته الرئيسية التى اعتمدت التقاليد الغربية نهجا وأسلوب حياة ، من أقصد مجلس أوربا والمجتمعات الاوربية وأعطتها دوراً هامشيا فى بعض المجالس والمنظمات الاخرى ، كحلف الاطلنطى ، ومن قبل قبلت ان تدخل فى الوفاق الاوربى ، لتكون عنصرا فى توازن القوى بينها ، لكن يبدو حتى الآن ان اوربا لن تسمح لدولة لازال الإسلام يتغلغل فى عقول وقلوب الناس فيها ، بالدخول فى دائراتها (السعيدة) .

شروق جديد :

وبرغم الارتباطات السياسية بالولايات المتحدة الامريكية والولاء للفكر والنموذج الغربى من قبل الحكام فى تركيا ، إلا ان حاكمهم الراحل - (تورجوت أوزال) - بدأ يتبين خطأ هذا الطريق ، وبدأ يشعر بأحاسيس شعبه ، وينحاز لمصالح مجتمعه ، واختط - بالتدريج - طريقا آخر ، يقدم (الاتجاه شرقا) ولم لا ، والمصالح بدأت تلوح بقوة على جانب هذا الطريق ، فالعرب لديهم قوة اقتصادية كبيرة ، معهم البترول ، وفوائض الأموال ، واستثماراتهم واسعة ويمكن التعامل معهم بحكم ما كان من روابط ، وما هو ماثل من وحدة فى الدين والعقيدة . وليس طريق المصالح وحده اذن هو الطريق الموصل للشرق ، بل هناك ايضا طريق وحدة الدين ، والاشتراك فى عقيدة والانتماء الى أمة واحدة .

وهكذا استطاع (أوزال) أن يصلى علانية ، وان يذيع التليفزيون والراديو صلاته ، وهو أمر مستغرب من الحكام العلمانيين الاتراك الذين تولوا السلطة منذ أتاتورك . وقامت تجمعات دينية وأحزاب تدعو إلى الارتباط العقائدى والاتجاه إلى الشرق ، وشهدت الساحة التركية صراعا كان لابد أن يحدث بين الاتجاهين ، واصبحت المناقشة فى أمور الدين والعقيدة مباحة فى تركيا .

قالت لى إحدى الفتيات اللاتى يعملن فى جامعة مرمرة ، وهى معيدة : إنها لاتريد الحكم بالإسلام ، فى تريد ان تكون حرة فى دخولها وخروجها ولبسها وصداقتها وحبها ، ولاتريد

قيـود الديـن ، وشاركتها الـرأى طائفــة من المجتمعات ، والمجتمعين معى على مائدة غداء بأحد فنادق العاصمة الكبرى ، وسألتنى عن التغييرات التى أحدثها السادات ـ رحمه الله ـ فى القوانين المصرية وخلصت المرأة والأسرة من القيود الإسلامية . وسألتنى : كيف تتـادون بتطبيق الإسلام ولديكم من غير المسلمين فئات وأسئلة اخرى كثيرة ، اتصورها ساذجة ، ولاتفهم الواقع المصرى ولقد تكفلت مسيحية ـ من أساتذة الأدب فى جامعة نيويورك وتدعى (منى ميخائيل) ، بالرد على كثير من هذه الاسئلة ، واعجبنى قولها : إنها مسيحية ديانة ، وثقافتها إسلامية ، فلقد تربت على العادات والفكر والثقافة الإسلامية ، ولاترى أن فى تطبيق هذه التعاليم ، مجافاة لدينها ، أو تعارضا معه .

وعلى الناحية الاخرى ناحية الأناضول ، قابلت طائفة كبيرة من الشباب ينتمون لمعهد الدراسات الإسلامية ، معهد خاص ، يتم الانفاق عليه من وقف خيرى ، به مائة من الباحثين فى الدراسات الإسلامية من علوم القرآن إلى علوم السنة ، إلى الفقه الحنفى . وهم يعدون ويشتركون مع علماء كبار من كل الاقطار الإسلامية فى عمل «الموسوعة الإسلامية» باللغة التركية ، وهم يرون انه عمل غير مسبوق فى الدول الإسلامية نفسها وكنت سعيدا بزيارة هذا المعهد حيث تناولت الغداء مع أساتذته وباحثيه ، وحدثونى عن مشكلة قديمة سمعتها فى معظم الأقطار غير العربية ، وهى مشكلة الدراسة فى الأزهر ، فهم لايخرجون بسهولـة ، وإذا خرجوا ، منهم مدرسون على حسابهم الخاص ، ولايتقدمون فى الدراسة بسهولة ، وتوجد امامهم مشكلة معادلة الشهادات ، وهى مشاكل تحتاج الى حلول ارجو ان يتسع صدر الامام الاكبر لها : وقد سعدت بوجود كلية للدراسات الإسلامية بالأناضول تتبع (جامعة مرمرة) ، وقيل لى : إنه توجد كلية مماثلة فى معظم جامعات تركيا ، لكن لا صلات لها بالخارج ، خاصة العالم الإسلامى ومصر ، والتعامل بغير التركية من الأمور الطبيعية على الجميع وهناك من يبحثون عن الحلول الوسط .

وهكذا ففى بحث عن العلاقة بني (العلمانية) و(الاصولية) حدد الباحث أسس التعايش بين الفريقين ، درأة فى ضرورة قبول الدولة الحديثة للفكر الإسلامى وتبنيه وتطبيقه بالتدريج فى مختلف نواحى الحياة ، وبالمقابل فعلى الاصوليين ان يتقبلوا دلوج العديد من الانظمة والاساليب الحديثة فى الحكم والادارة فى صيغة المشاركة بين الطرفين فى الحياة ، الى جانب القبول بالديمقراطية وبالاقتصاد الحر وبالانفتاح على العالم بمؤسساته ومنظماته المختلفة .

لابد من قبول قوانين تنظم المرور والمؤسسات العامة ، وتعاقب على صور من الخروج على القانون والمجتمع لم تكن معروفة من قبل ، والتعايش له اصوله ، ولايمكن غض النظر عن تطورات رئيسية وهامة حدثت فى مختلف المجتمعات ولن تتوقف لابد من استيعاب قدر من (التكنولوجيا) لازم للتقدم ، وللخروج من الازمات ، وليس من الضرورى ، بعد اليوم ، التزام البداية ، الغربية بل الافضل ان نتجه شرقا وان نعود الى جذور وأسس عشنا عليها ، ولم يتمكن احد من اقتلاعها او ينجح لوقت ، فى اهالة التراب عليها .

مغالطات عن مسلمى تركيا

للأستاذ/ أحمد محمد الصواف

تظل كتابات كثير من المؤرخين الغربيين خالية من الترهات ماداموا يكتبون تاريخ الأمم غير الإسلامية ، فإذا ما اتصلت كتاباتهم بالإسلام بدت منهم أمارات التعصب ومظاهر التحامل ضد هذا الدين ـ صبغة الله ـ ودوافع الحقد للدين الاسلامى الحنيف باتت مشهورة معروفة ، ولا يحتاج الأمر منا الى وقفة نبدىء فيها ونعيد ، فقد عرفت أسباب هذا الحقد بحيث أصبحت لا تخفى على أحد .

وسبيلنا فى هذا المقال أن نصحح بعض أخطاء كتبت عن مسلمى تركيا ، كتبها مؤرخ إنجليزى معروف ، من أهم سمات منهجه فى دراسة التاريخ الاعتماد على التحليل الاجتماعى للحوادث التاريخية والاستفادة بعلم النفس فى بيان أثر هذه الحوادث فى الشعوب سلبا وإيجابا بالاضافة الى حسن عرضه للحوادث التاريخية عرضا ممتعا جذابا ، تسطيع من خلاله أن تحيط بجوانب الصورة التى يقدمها عن شعب ما ، وعلى الرغم من أن هذه الصورة قد تكون صغيرة فى بعض الأحيان إلا أنها تبدو واضحة مستوعبة .

أما هذا المؤرخ فهو « ارنولدتوينبى » الذى أنعمت عليه الحكومة الإنجليزية بلقب من القاب النبلاء .

وأما مغالطاته هذه فقد جاءت فى كتابه «العالم والغرب» وتركزت فى فصل بعنوان «الإسلام والغرب» وهو الذى سيقتصر المقال على مناقشته وكشف عواره ، دون التعرض لباقى فصول الكتاب وان كانت لا تخلو هى الأخرى من أخطاء .

وكتاب «العالم والغرب» قد تم تعريبه بواسطة «نجده هاجر» و«سعيد الغز» وظهر الكتاب سنة ١٩٦٠ عن منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر ببيروت .

وقد ذكر المعربان ـ فى مقدمتهما ـ نزاهة المؤلف حينما قالا عنه :

(وهو فى هذا الفصل ـ الاسلام والغرب ـ منصف وموفق الى حد ما ، لأنه يقف عند العثمانيين ولا يذهب معنا الى نشأة الاسلام الاولى ومع ذلك فإنه لا يبخس الدعوة الاسلامية حقها ويدعو الى تآلف إسلامى مسيحى يحد من انتشار الأفكار المادية) .

وهذا الكلام لنا معه وقفتان .

أما الأولى فهى تعليلهما إنصافه وتوفيقه بأنه وقف فى حديثه عند العثمانيين ولم يذهب الى نشأة الاسلام الأولى ، وهذا تعليل غير معقبول لأنه ـ مع وقوفه عند ذلك ـ لم يلتزم جانب الحق الصريح فى كتابته عن العثمانيين كما سيأتى .

وأما الثانية فهى دعوته إلى تآلف إسلامى مسيحى يحد من انتشار الأفكار المادية وهى دعوة براقة ولكنها جوفاء ؛ لأننا قد عايشنا الغرب فوجدناه لا يعاهد إلا لمصلحته ، ولا يحابى إلا لمنفعته ، وقد بلوناه فى الحربين العالميتين فوجدناه ـ مع نقض عهوده وتجاهلها ـ يضيف الى أوجاعنا شوكة صهيونية ، تقض مضاجعنا ، وتسلب أمننا ، وتعربد فى جسد الأمة ونحن عاجزون ـ بسبب الغرب ـ عن نزعها من جسد أمتنا الاسلامية .

والمطلع على كتاب «العالم والغرب» لأرنولد توينبى «قد يُغر بأفكاره» وقد يُؤخذ بأسلوبه الطلى ، وقد يدهشه امتداد الكاتب على النفوذ الى لباب الحوادث دون الاهتمام ـ إلا قليلا ـ بما يحيط بهذه الحوادث من ضجيج قد يثير من الغبار ما يخفى حقيقتها وما ترمى إليه .

والآن إلى مناقشة أفكار المؤرخ الكبير .

١ ـ يقول أرنولد توينبى فى كتابه المذكور آنفا ص ٢٦ :

« لقد سبق وأسمينا الشيوعية بدعة مسيحية ، والاسلام كالشيوعية ، نجح فى النسبة التى توخاها لنفسه كوسيلة لاصلاح المفاسد التى كانت قد تفشت فى المسيحية آنذاك » .

وهذا الكلام لا يقره مسلم عاقل ، لأنه ينطوى على خطأ جسيم يبدو فى أنه جعل الاسلام مجرد فكرة إصلاحية ، أو هو ـ على أقصى ما تحتمل كلماته ـ مذهب كالشيوعية ، ولئن كان ماركس وانجلز ولينين قد أنشأوا الاشتراكية الشيوعية ليواجهوا بها مثالب المسيحية وقصورها فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية فإن الإسلام كما يبدو من حديث هذا المؤرخ ما هو إلا مذهب لاصلاح ما تفشى من مفاسد وعيوب .

ويؤكد زعمه هذا بقوله فى الصفحة نفسها :

« ونجاح الاسلام فى بدايته يبين أية قوة يمكن أن تكون لفكرة جديدة عندما تقترح إصلاح مذهب لايبدو أنه مستعد هو بنفسه ان يقوم بذلك »

وتلك العبارة ترسخ ما قلناه من أنه يجعل الاسلام كالشيوعية ـ كلاهما ـ عنده مذهب أو فكرة جديدة .

وهذا خطأ لأن الفكرة خاصة بالبشر فى حين أن الإسلام وحى سماوى ورسالة كبرى وشريعة دقيقة محكمة وعقيدة إلهية سامية أوحى الله بها الى أكرم عباده ، ليخرج الناس بها من الظلمات الى النور ، ومن كهوف الجهل والضلال إلى فضاء المعرفة واليقين .

والشيوعية هى التى يصح أن نطلق عليها فكرة

لأنها حضرت على فكر ماركس حين كان يتوقد صدره حقدا على أغنياء عصره ، ولئن كان الاسلام ديناً إلهياً ، فإن الشيوعية فكرة بشرية وشتان ما بين رسالة أنزلها الله الخالق وفكرة بشرية ابتدعها مخلوق .

٢ — ويقول توينبى فى ص ٣٣

« لن تحل مسألة التغريب المتزايد فى تركيا والتى كثيرا ما فتشوا عن حل لها بهذا التمثل على جرعات قليلة ، وعمليا ليس هناك إلا وسيلتان للخروج من هذه الدوامة ، فإما أن يدفع الاتراك يوما ثمن خطئهم بانهيارهم تماما وإما أن ينجوا من التصفية الشاملة بحصرهم قواهم كلها قلبا وعقلا فى التغريب ، وبعد أن كان الأتراك على حافة الهاوية تخلصوا عند آخر دقيقة باستغرابهم المتطرف بقيادة مصطفى كمال أتاتورك » .

والمؤرخ هنا بدلا من يُؤرخ الحوادث ويزنها بميزان تاريخ نزيه ، نسى أو تناسى ذلك وراح يبين للاتراك السبيل الذى ينتهجونه مبينا لهم أنه (سبيل التغريب) بالعقل والقلب معا ، ولم يكتف بذلك بل أخذ فى مدح من ساروافى هذا السبيل من قبل محاولا أن يُظهر ذلك بأنه لا مفر منه ولا منجى إلا به .

وعلى ذلك فيجب على المسلمين الأتراك — كما يريد الكاتب — أن يتزيوا بزى أهل الغرب ، وأن يأكلوا طعامهم ، وان يقلدوهم فى عاداتهم وتقاليدهم ، بالاضافة الى اعتناق مبادئهم وأفكارهم فى الاصلاح والرقى والتقدم ، والعمل على نشرها والتبشير بها .

وهذا — وأكثر منه — يتضمنه قوله : بأن على الأتراك — لكى يصلوا الى أوج القوة — أن يحصروا قواهم قلبا وعقلا فى (التغريب) .

وإنى أتسائل : ألم تكن الإمبراطورية العثمانية فى يوم من الأيام القريبة يخشاها الأوربيون ويحذرون من إغضابها ، بل ويعملون على إرضائها . فما كان سبب قوتها إذن ؟

أكان اعتناق مبادىء الغرب وأفكاره ؟!

ألم يقرأ هذا المؤرخ عن انتصارات محمد الفاتح وفتحه للقسطنطينية بعد أن ألحق بالإمبراطورية «قسطنطين» هزيمة دوّى ذكرها فى تاريخ الحروب الحديثة ؟

أكانت قوة الجيش العثمانى آنذاك كامنة فى اعتناقه مبادىء الغرب وأفكاره ؟! ، وهنا خطأ لا أريد أن أتجاوزه الى غيره حتى أصححه ، فهذا المؤرخ يقول عن الأتراك إنهم (تخلصوا عند آخر دقيقة باستغرابهم المتطرف بقيادة مصطفى كمال أتاتورك) فكأن أفراد الشعب التركى هم الذين توجهوا إلى هذا الاستغراب بمحض إرادتهم ، وبمطلق اختيارهم ، وكأنهم لم يجبروا على هذا التغريب الذى أبعدهم كثيرا عن التمسك بآداب الإسلام .

والمؤلف نفسه — يشهد على ديكتاتورية مصطفى أتاتورك وحمله شعبه على التغريب بقوله فى ص ٣٤ من الكتاب المذكور سابقا .

(وقد نجحت هذه الثورة على يد ديكتاتور يعتمد على حزب يحتكر السلطات كافة ولو لم تلجأ إلى استخدام وسائل استبدادية ديكتاتورية لأخفقت فى الوصول الى ما وصلت إليه من نتائج) .

٣ — ويقول المؤرخ عن أتاتورك فى ص ٣٤ .

(عرف مصطفى كمال حظه ، وبذكائه وتبصره أدرك أن أنصاف الحلول فى التغريب التى

كانت نتائجها دائما وخيمة على بلده تهدده الآن بالقضاء التام فأظهر عزما أكيدا وإرادة حديدية لاقناع مواطنيه بأن عليهم ان يتبعوه وكانت طريقته تكمن فى فرض طريقة العيش الغربية على الأتراك)

وأنا لا أعجب من محاولة المؤرخ إظهار أتاتورك فى صورة المجاهد النزيه الجاد الذى يعمل ويكد من أجل وطنه ، وذلك لأنه قد أنزل بالشعب التركى كل ما يتمناه الغرب لدولة مسلمة قوية .

فلا عجب ـ إذن ـ أن يثير توينبى حول أتاتورك هالة من المجد ، وكيف لا ثير حوله هذه الهالة وأتاتورك هو الذى ألغى (منصب المشيخة الاسلامية) ثم ألغى (الخلافة) وقبل ذلك (أبدل الحروف العربية بالأبجدية اللاتينية) وحرم (الأذان بالعربية) ، وحاول أن يقضى على كل معالم ومظاهر الإسلام فى تركيا حتى أنه جاهر بالفسق وعدّ (صيام رمضان) من السفاهات .

ولقد قطع الأتراك شوطا كبيرا فى التغريب حتى أنمحت ذاتيتهم وذابت ـ أو كادت ـ عاطفتهم الإسلامية ، ومع ذلك فلم يصلوا الى ما وصل إليه الغرب من حضارة وتقدم ، بل لم يبلغوا معشار ما بلغ الغرب من قوة وتقدم ، مع أنهم تغربوا بكل قواهم عقلا وقلبا . وهذا خير شاهد على فساد (نظرية التغريب) التى روج لها الاستعمار وأعوانه .

٤ ـ يقول المؤرخ فى ٣٧ :

(وقد قدم الشعب التركى بقيادة أتاتورك خدمة كبرى للعالم الاسلامى بمحاولته حل مسألة الاستغراب المعروضة على جميع الشعوب بتبنيه ـ دون تحفظ ـ الأفكار الغربية الحديثة ومن بينها القومية وغيرها)

وأنا أتساءل : أى خدمة قدمها الأتراك بقيادة أتاتورك للمسلمين ، إذا كان (إلغاء الخلافة) خدمة فهى ليست للمسلمين وإنما للغرب ودوله ، لأن الخلافة الاسلامية مع بعض ما وقع فيها من عيوب المسئولين التى لا تنكر ـ كانت تجمع تحت رايتها جميع أمم الاسلام على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، وكانت بذلك التجمع الدينى ـ أو أن شئت قلت بذلك الاتحاد ـ قوية تهابها الدول الاستعمارية التى لم يهنأ لها بال ولم يقر لهم قرار حتى استطاعو بالكيد والحيلة أن يلغوا الخلافة الإسلامية ويشتتوا الأمة الاسلامية دولا وأحزابا .

ولم يكتف الاستعمار ودوله بذلك بل راح يشيع مبدأ (القومية) فأحيوا العصبيات الجنسية بين المسلمين بعدما أماتها الاسلام حتى دب الخلاف بينهم ، وتشتت جمعهم واعتز كل منهم بقوميته فهذا مصرى .. وهذا سورى .. وهذا لبنانى .. الخ ، وتناسوا الأخوة الاسلامية التى توجب عليهم الوحدة ضد أعدائهم والوقوف صفا واحدا وسدا منيعا ضد كل غاز لبلادهم .

وبعد .. فإن مؤرخى الغرب هم الذين يكتبون تاريخ العالم اليوم ولذلك يجب علينا ـ نحن المسلـــمين ـ أن نحاذر من كتابـــاتهم ، وأن لا نأخذها على أنها مسلمات تاريخية ، بل نجعلها دائما موضع مناقشة وتحليل وبذلك نأمن الانسياق وراء ما يكتبون ، وبذلك ـ أيضا ـ نحفظ لذاتيتنا الأصالة الواعية ، ولشعوبنا الاسلامية التقدم المبنى على فهم التاريخ والاستفادة من حوادثه ، وحسبنا ما جناه علينا جهلنا بالتاريخ من ويلات وفواجع .

القيادة الإدارية

الإدارة في منهج الإسلام

– ٢ –

إعداد الدكتور / محمد عبد الله آل ناجى (*)

الإدارة فى منهج الإسلام بناء تنظيمى فى المجتمع الإسلامى يعتمد على المبادىء الأساسية فى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله (ﷺ) ويهدف إلى تحقيق مصلحة شرعية .

وهذا التنظيم لا يلتزم بنمط معين ، أو هيكل تنظيمى محدد ، ولكنه يتغير بتغير البيئة والظروف ، وملابسات العصر ، شريطة ألا يتعارض مع المبادىء والأسس الإسلامية العامة .

والتنظيم الإدارى فى منهج الإسلام جزء من النظام الإسلامى العام . يرتبط بشريعته ارتباطاً وثيقاً ويلتزم بالنظام السياسى والاقتصادى والمالى والدولى للإسلام[1] .

من هنا نعلم أن الإدارة العامة فى منهج الإسلام تطبيق للمبادىء الأساسية فى كتاب الله وسنة رسوله – ﷺ .

فمثلا مبدأ الطاعة فى الإدارة العامة أساس شرعيته قول الله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ (النساء : ٥٩) ،

وقول الرسول – ﷺ – (على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[2] .

(*) الباحث : عميد كلية التربية – جامعة الملك فيصل المملكة العربية السعودية .

(١) الدكتور / فرناس عبد الباسط البنا ، التنظيم الإدارى فى الدولة الإسلامية منهجاً وتطبيقاً ، ندوة النظم الإسلامية ، ابوظبى ١٨ – ٢٠ صفر ١٤٠٥ هـ ، الجزء الأول .

(٢) الحديث اخرجه البخارى فى باب الأحكام ، ٩ : ٨٧ وفى باب الجهاد ٤ : ٦٠ ، وأخرجه مسلم فى باب الإمارة حديث رقم ١٨٣٩ ، وأخرجه الترمذى فى باب الجهاد حديث رقم ١٧٠٧ .

ومبدأ المشورة فى الإدارة العامة يؤخذ من قوله تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ شاورهم فى الامر﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

ومبدأ المسئولية فى النظام الإدارى أساس شرعيته قول الله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ (البقرة : ٢٨٦) ، وقوله ـ تعالى : ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور : ٢١) .

وقول الرسول ﷺ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[٣] .

ومبدأ ارتباط السلطة بالمسئولية فى منهج الإدارة ومحاسبة المسئولين مأخوذ من قول الرسول ﷺ (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت ـ وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[٤] .

والتنظيم الإدارى فى منهج الإسلام ـ كما قلنا سابقاً ـ يهدف إلى تحقيق هدف شرعى . وتتسع صفة الهدف الشرعى ، فتشمل كل مصلحة تتمشى مع مقاصد التشريع فى جلب المنافع ، ودفع المضار ، حتى ولو لم يوجد حكم شرعى لتحقيقها أو دليل شرعى على اعتبارها أو إلغائها وهى ما يطلق عليه فى الفقه الإسلامى : بالمصالح المرسلة .

والتنظيم الإدارى الإسلامى : يراعى العلاقات الإنسانية المتمثلة فى الرحمة واللين والعفو ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران ١٥٩)

وقال ـ تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٠) .

وهذه الأخوة الإيمانية لا تحقق قدراً من العلاقات الحسنة بين الإدارة والأفراد يقتصر على إشباعها لحاجاتهم وتحقيق أهدافهم فقط ؛ ولكنها تتطلب وجود العلاقة الأخوية بين الإدارة والأفراد ، وبين الرئيس والمرؤوس أى بين كل أفراد البناء التنظيمى بجميع مستوياته .

فنظرة الرئيس الإدارى للمرءوس ، هى نظرة الأخ لأخيه ، وبالتالى لا يكون هناك مجال لوجود الصراعات أو التناقضات داخل التنظيم الإدارى . ولقد بين الله ـ تعالى ـ أن هذه الأخوة الإيمانية لا تنقطع حتى ولو حدث اعتداء بالقتل الخطأ على بعض أفراد المجموعة . قال تعالى :

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (البقرة

فهل وصلت العلاقات الإنسانية التى ينادى بها أنصار المدرسة السلوكيـــة إلى هذا الحد الجميل .. ؟

للإجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر فى المبحث .

القيادة الإدارية فى مفهوم النظريات المعاصرة

استحوذ تعريف القيادة الإدارية على جزء كبير من أدبيات الإدارة ، ويلاحظ أن تعاريف

---

(٣) رواه الإمام مسلم والبخارى والترمذى ، رواية مسلم فى اب الإمارة حديث رقم ١٨٢٩ ، ورواية البخارى فى باب الجمعة والاستعراض ، ورواية الترمذى فى باب الجهاد حديث رقم ١٥٠٧ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى باب الإمارة ٢١ : ١٤٢ بسنده عن معقل بن يسار المزنى قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول ، وذكره .

القيادة تتفاوت بشكل كبير حسب المنهج الذى استخدم فى الدراسة :

فبعض التعاريف اتجهت إلى تعريف القيادة على أنها : مجموعة من الصفات الشخصية .

وتعاريف أخرى اعتبرت القيادة : ولاية وسلطة رسمية .

بينما نجد أن التعاريف الحديثة تنظر للقيادة على أنها : سلوك وتفاعل وتأثير على الآخرين . فنجد بنجهام وكليورن (Bingham amd Klibourne) فى بداية الثلاثينات من هذا القرن يعرفان القائد على أنه الشخص الذى يمتلك أكبر قدر من الصفات الشخصية المرغوبة(٥) .

وعندما نأخذ بمفهوم السلطة الرسمية نجد أن بعض رجال علم الإدارة ـ أمثال مونى ورايلى **(Momy amd Railly)** يرون أن القيادة : تمثل السلطة ويجب أن تمتلك القيادة كل السلطة اللازمة لممارسة مهامها القيادية . وفى رأى هؤلاء أن السلطة الرئاسية تقدر بمفردها على حمل الجماعة على الخضوع لإدارة القائد فى كل اتجاه إدارى يوجههم إليه تجنباً للمساءلة والعقاب(٦) .

أما الكتاب السلوكين فيوجهون انتقاداً لأصحاب نظرية السلطة الرسمية ويعتقدون أن لا مجال له فى عالمنا المعاصر ، ولا يلقى تأييداً من جانب أصحاب الفكر الحديث . **ويقدم أصحاب النظرية السلوكية تعاريف للقيادة مبنية على سلوك القائد وتأثيره على الاخرين :**

فنجد همفيل (Hemphill) يعرف القيادة على أنها : (سلوك الشخص أثناء قيامه بتوجيه مجموعة لإنجاز مهمة محددة)(٧) .

ونجد فيدلر (Fiedler) يقترح تعريفاً مشابهاً حيث يقول : (نعنى بالسلوك القيادى : التصرفات المحددة التى يقوم بها القائد فى مجال توجيه وتنسيقه عمل أفراد مجموعته)(٨) .

وعندما نأخذ (مفهوم التأثير فى عمل القائد) نجد أن ستودجل **(Stodgill)** عرف القيادة (على أنها : مجموعة من العمليات « التصرفات » التى يقوم بها القائد للتأثير على نشاط مجموعة منظمة تجاه تحديد أو إنجاز هدف معين)(٩) .

أما الدكتور عبدالكريم درويش والدكتورة ليلى تكلا فيقولان : (إن القيادة الحقيقية هى التى تستمد سلطتها الفعلية من القدرة على التأثير فى سلوك الآخرين لجعلهم يقبلون النقود والسلطة

---

(٥) Stogdill, R.M. Handbook of Leadership. New York: MacMillan Free Press, 1974.

(٦) الدكتور / خميس إسماعيل السيد ، السلوك الإدارى ، الطبعة الأولى ، دار الهنا للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ .

(٧) Hemphill, J.K. & Coons, A.E. Leader behavior description. Columbus: Personal Research Board, Ohio State University, 1950.

(٨) Fiedler, F.E. A theory of Leadership Effectiveness. New York: McGraw Hill, 1967.

(٩) Stogdill, R.M., Handbook of Leadership. New York: MacMillan Free Press, 1974.

عن رضا واختيار ، وليس عن قهر ومسائلة(١٠) .

يقـول الدكتـور خميس إسماعيـل : (لذلك أصبحت نظرية السلطـة المقبولـة هي الأساس المقبول في تعريف الكتاب السلوكيين للقيادة ؛ لأنهم يعتمـــدون في تعريفهـــم على التـــأثير والاستمالة) . ثم يقدم لنا بعض التعاريف المؤيدة لوجهة نظره في ذلك ما تقوله الأستـاذ ماري باركر فوليت :

(إن القيادة : هي عملية تأثير في الجماعة أكثر منها سلطة رسمية عليهم) . وما يقوله الدكتور على محجوب :

(ويمكن تعريف القيادة بأنها : القيام بتلك الأعمال التي تساعد الجماعة وتدفع الأفراد على تحقيق أهداف الجماعة . (أو هي فن استمالة أفراد الجماعة للتعاون على تحقيق هدف مشترك)(١١) .

وهنا نجد أيضاً الانتقادات لتعاريـف بعض الكتاب السلوكيين للقيادةلتركيزهم على التأثير وعلى الجماعة وإهمال الجانب الوظيفي للقائد الذي يعنى بالتنـظيم والتنسيـق والعمليـات الإداريـة الأخرى .

يقول الدكتور (ليونارد هوايت) : إن القائد هو الشخص الذي يوجه وينسق ويراقب أعمال الآخرين(١٢) .

ويقول الدكتـور ريـدي **(Dr. Ready)** : إن القيادة هي عملية اتصالات واتخاذ قرارات(١٣) .

ولكن بعض الباحثين يرون في هذا الاتجاه في تعريف القيادة قصوراً حيث لا يفي بمتطلبات القيـادة . حيث يلاحـظ أن كل تعريـف من التعريفين السابقين يدور حول بعض المهام القيادية دون البعض الآخر .

هناك افتراضان يبدوان واضحين من تعاريف القيادة السابقة وهما :

أن سمة القيادة تشمل التفاعل بين شخصين أو أكثر وهذا ينطـوي على عمليـة ممارسة التـأثير المقصود من قبل القائد على المرؤوسين . وبناء عليه نقدم التعريف التالي للقيادة والذي نتفق في بعض جوانبه مع بعض الباحثين الذين سبقت الإشارة إليهم (القيادة هي النشاط الإداري الذي يمارسه شخص معين للتأثير على مجموعة لتحقيق هدف محدد ، بوسيلة التأثير أو باستعمال السلطة الرسمية حسب مقتضيات الموقف) .

خصائص القيادة الناجحة في التنظيمات المعاصرة

لقد وضع كثير من العلماء الإداريين والمفكرين نظريات للقيادة حسبما تمليه عليهم بيئتهم والظروف المحيطـة بهم . فجـاءت التعاريـــف والمفـــاهيم والنظريات القيادية متفاوتة ومتطورة بما يتلاءم مع

---

(١٠) الدكتـور . عبدالكريم درويش ، والدكتـورة ليلـة تكلا ، أصول الإدارة العامة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ ، نقلا عن كتاب السلوك الإداري مرجع سابق .

(١١) د. خميس إسماعيل . مرجع سابق .

(١٢) **Whit, Leonerd,** Introduction to Study of Public Administration. New York, 1962. In Dr. Khamis El-Sayed, Cit.

(١٣) Dr. Ready R.K. Communication and Leadership in the Effective Organization. in Dr. Khamis El-Sayed, cit.

مفاهيم العصر الذى عاش فيه كل منهم ، والملابسات التى حدت به إلى هذه المعالجة . وبناء عليه كانت هناك وجهات نظر خاصة فى معالجة قضية القيادة .

ويطيب لنا فى هذا البحث أن نلقى بعض الأضواء على نماذج من نظريات القيادة من وجهة نظر أصحابها ، والتى أمكن تصنيفها إلى مناهج ثلاثة فى دراسة القيادة :

أولاً : منهج السمات فى القيادة .
ثانياً : المنهج السلوكى فى القيادة .
ثالثاً : منهج الموقف فى القيادة(١٤) .

أولاً : منهج السمات فى القيادة :

يعتمد منهج السمات فى دراسته لنظريات القيادة على أن القادة يولدون بصفات قيادية معينة . ومضمون هذه النظرية أن القيادة الإدارية ترتكز على مجموعة من السمات والخصائص المعينة . وإذا ماتوافرت هذه الصفات فى شخص ما هيأته للقيام بدور القيادة الناجحة .

ولقد تأثرت هذه النظرية بما كان سائداً فى منتصف القرن التاسع عشر أن القادة يولدون ولا يصنعون ، وأن هؤلاء القادة لديهم القدرة على استقراء المستقبل ، وعلى إرغام الآخرين على طاعتهم ؛ لأن القائد فى تصورهم يتمتع بقدرات أسطورية خارقة ، تفوق ما يتصف به الشخص العادى ويمكن تلخيص هذه السمات كما يراها (رالف ستودجل) إلى ما يأتى :(١٥)

(أ) المقدرة : وتتضمن الذكاء ، وطلاقة اللسان ، والعدالة .

(ب) مهارة الإنجاز : وتتضمن المعرفة الواسعة ، وإنجاز الأعمال ببراعة وحزم وهى تعنى أن يكون القائد حازماً ، وأوامره قاطعة ومن الدلائل التى تشير إلى توفر هذه السمة لدى القائد قدرته على تمييز الجوانب الهامة وغير الهامة للمشكلة ، والاختيار بين البدائل المتاحة لحلها .

(ج) تحمل المسئولية . وهى تعنى كما يقول : (بارنارد) شعور القائد بعدم الرضا عن الفشل فى تحقيق ما عزم على تحقيقه .

وتظهر سمة الثقة فى النفس لدى القائد من خلال بعض المؤشرات أهمها : سعيه وراء أفكار جديدة ، والقدرة على التنفيذ ، وتقبل النقد من الرؤساء والمرؤسين ، والإصرار وعدم الإحباط .

(د) المكانة الاجتماعية : وتعنى أن يكون القائد محبوباً سواء داخل التنظيم أو خارجه كما تتطلب أن يكون للقائد مركز اجتماعى ومالى .

(هـ) القدرة على تفهم الموقف : وهذا يتطلب مستوى ذهنيا جيداً ومهارة فى تلبية حاجات مرؤسيه ومصالحهم . والقدرة على تحقيق أهداف التنظيم الذى يقوده .

هذه أهم السمات التى توصل إليها (رالف ستودجل) نتيجة للاستبيانات الكثيرة التى قامت بها ، أو أخذها من الباحثين الذين سبقوه فى هذا المضمار فإذا ما أردنا أن نتعرف على رأى عالم آخر نرى أن عالم الإدارة الهندى (تايجى) يصنف هذه

---

(١٤) Lipham, J. Leadership: General Theory and Research. In L. Cunningham & W. Gephart (eds.), The Science and the Art Today. Itascal, IL: J.E. Peacock, 1973.

(١٥) Stodgill, R.M. cit.

السمات إلى ثلاث مجموعات :

(أ) سمات شخصية :

تتمثل فى الصحة الجيدة ، والقدرة على التحمل ، وإدراك القائد لرسالته والتحلى بروح الصداقة ، والفهم العميق والشامل للأمور ، والأمانة والاستقامة والالتزام بالأخلاق الكريمة .

(ب) سمات سياسية :

وتتمثل فى قدرة القائد على الاستجابة للسياسة العامة ، وإدراكه للأهداف السياسية ، والمثل العليا التى يطمع الشعب فى تحقيقها .

(ج) سمات نظامية :

وهى تعنى : قدرته على الالتزام بالأنظمة ومراعاة تطبيقها بشكل جيد ومثمر على تفويض سلطاته ومعرفة الحدود التى يجب أن يلتزم بها فى التفويض .

هذا بالإضافة إلى ما توصل إليه (برادن ، وأرنست ديل) وغيرهما من العلماء والمفكرين المهتمين بالشئون الإدارية ، وتقعيد القواعد لرجال القيادة فيها . ولكنها لا تخرج عما أشار إليه (رالف ستودجل) أو (تايجى) الهندى إلا فى القليل النادر مثل كبر السن عند (برادن) والاستقرار العاطفى عند (أرنست ديل)[١٦] .

ثانياً : المنهج السلوكى فى القيادة :

يرتكز المنهج السلوكى فى دراسته لنظرية القيادة على أهمية الفرد الذى يتولى منصب القيادة ، والعوامل المحيطة به ، والتى تكون عونا له ومساعداً لنجاحه فى هذه المهمة .

ويرى بعض الباحثين أن منهج تحليل سلوكيات القائد من الناحية النفسية والاجتماعية ، والعوامل الفردية هى فى الحقيقة العوامل الأساسية فى تحديد سلوكيات القائد . ومن خصائص المنهج السلوكى أنه يفرق - عند معالجته لهذا الموضوع - بين مفهوم القيادة ومفهوم القائد .

الأمر الذى دفع (هالبين) إلى القول : بأن المنهج السلوكى لدراسة القيادة يركز على سلوك القائد فى بيئته الاجتماعية أكثر منه على القيادة على أساس أنها سمة تزيد من فهمنا لظاهرة القيادة . وبهذا التصور نرى أن هذا المنهج الذى يرتكز - أولاً وآخراً - على رصد سلوك القائد أكثر منه على الطاقة الممنوحة لهذا السلوك[١٧] .

ونظريات السلوك فى القيادة ميزت بين نمطين من أنماط السلوك القيادى سواء أكانت القيادة فى مجال المؤسسات التربوية ، أو الصناعية ، أو العسكرية وهما :

١ - الاهتمام بالعاملين .

٢ - الاهتمام بالإنتاج .

وهذان العنصران اللذان يعالجان الاهتمام بالناس ، والاهتمام بإنجاز العمل يمثلان فى رأى بعض الباحثين ، أهم منهج لدراسة نظرية القيادة فى مجال البحث والتدريب .

ثالثاً : منهج الموقف فى القيادة :

بعد أن قدمنا القواعد الأساسية عن نظرية السمات وبينا وجهة نظر العلماء والباحثين فيها يطيب لنا أن نلقى بعض الأضواء على نظرية الموقف ودورها فى القيادة الإدارية .

---

(١٦) د. نواف كنعان ١٩٨٥ مرجع سابق .

(١٧) Halpin, A.W., The behavior of Leaders. London: The Macmillan Company, 1970

يرى بعض العلماء أن نظرية الموقف تعتمد أساساً على أن القيادة لاترتبط بسمات أو مواصفات شخص بعينه يمكن أن يقوم بدور القيادة ، ولكنها ترى أن القيادة ترتبط سماتها وخصائها بموقف قيادى معين .

وبعبارة أوضح أن المواقف القيادية هى التى تفرز القائد وتجعله جديراً بقيادة مؤسسة ما أو إدارة معينة نتيجة لحسن إدارته أو سلامة تصرفه فى موقف معين . سواء أكان فى هذا الموقف فى مجال القيادة المدنية ، أو القيادة السياسية أو العسكرية .

وحجة القائلين بهذه النظرية : أن متطلبات القيادة قد تتباين فى المجتمع الواحد أو المستوى الوظيفى فى التنظيم الواحد ، كما أنها قد تختلف باختلاف ملابسات الزمن ، أو متطلبات العصر .

ويرى العديد من الباحثين أن اختلاف التنظيمات يؤدى إلى اختلاف السمات القيادية ؛ فالسمات اللازمة للقيادة المدنية ، تختلف عن السمات المطلوب توافرها فى القيادة العسكرية ، ومن الأمثلة التى يستشهد بها الكتاب على اختلاف سمات القيادة العسكرية عن المدنية أن الرئيس الامريكى (ايزنهاور) حقق نجاحاً كبيراً فى القيادة العسكرية ، ولم يوفق فى تحقيق النجاح فى القيادة الإدارية(١٨) .

واختلاف التنظيمات الإدارية فيما بينها يؤدى أيضاً إلى اختلاف السمات القيادية المطلوب توافرها فى قادة هذه التنظيمات ، إذ أن عوامل الموقف هى التى تلى سمات معينة لهؤلاء القادة .

وهناك دراسات وأبحاث قام بها العديد من العلماء والباحثين ، وكان من نتائجها أن الصفات اللازمة لقادة الأجهزة الحكومية تختلف عن السمات اللازمة لقادة المشروعات الخاصة ، كما أن سمات القيادة فى بداية أخد المشاريع العملاقة ، تختلف اختلافاً بينا عن صفات القيادة التى تتولى إدارة هذا المشروع بعد إتمامه ـ وكذلك صفات القيادة فى إدارة إحدى المؤسسات التعليمية أو الجماعية ، تختلف عن صفات القيادة فى إحدى شركات الإنتاج ، أو الإدارات الحكومية .

وبناء على ما سبق تبيانه : تكون نظرية الموقف ـ كما يرى القائلون بها ـ قد تقدمت بمفهوم مؤداه أن القيادة فى أى موقع من المواقع لاتتقيد بالسمات الخاصة بالفرد فقط ، ولكنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً فى المجال الأول بالموقف الإدارى . وهو وحده الذى يمكن أن يحدد الصفات ، أو الملامح التى ترشح هذا الفرد لمنصب القيادة فى هذا المجال أو فى غيره من المجالات . وإذا كان الأمر كذلك . فما هى الاتجاهات التى تقدم بها الباحثون فى نظرية الموقف أو الأنماط التى ترشح للقيادة حسب القواعد التى قعدها أصحاب هذه النظرية .. ؟

نماذج القيادة ومتطلباتها عند الباحثين فى نظرية الموقف

لخص الباحثون فى نظرية الموقف ثلاث قوى تتحكم فى نجاح القيادة فى عمل من الأعمال مدنياً أو عسكرياً وهى كالتالى :

---

(١٨) د. نواف كنعان ١٩٨٥ مرجع سابق .

أولاً : القوى الكامنة فى القائد :

وأهمها قدرته على تقييم الظروف ونقول : إن القوى تشمل القوى الجسدية التى تساعده على قدرة التحمل ، والقدرة الروحية ، والتى يسميها بغض فلاسفة الغرب بـ (الحدس) والتى يسميها بعض حكماء العرب بـ (الفراسة) ، والتى قال فيها الشاعر العربى : (كأن قد رأى وقــد سمعاً) .. فهذه القوى الكامنة فى شخص القائد تجعله أقدر على تحديد النمط القيادى الذى يتلاءم مع متطلبات الموقف الذى يواجهه .

ثانياً : القوى الكامنة فى المرءوسين .

وأهمها خبرة ورغبة المرءوسين فى إنجاز العمل وقدرتهم على تحمل المسئولية ، ومدى إحساس كل منهم بأهمية المشكلة التى تواجه قائدهم ، ومشاركته فى حلها أو دفع عجلة الانتاج إلى الأحسن والأجود .

ثالثاً : القوى الكامنة فى الموقف ومن أهمها :

(أ) نمط التنظيم الـذى تحكمـه قيم ومصالح ينعكس تأثيرها على سلوك القائد والعاملين فيه .

(ب) مدى فاعلية الكوادر العاملة فى التنظيم والمرتبطة بالموقف ومدى ثقتهم بأنفسهم وبقدرتهم على زيادة الانتاج ، أو البراعة فى حل المشاكل التى تعترضهم .

(ج) طبيعة المشكلة التى خلقت الموقف ، وقدرة القائد على استعمال سلطته فى التفويض لمرءوسيه .

(د) الزمن والوقت المحدد أو المقدر للخروج من هذه الأزمة ، أو وضع الحلول الملائمة لها بأقل قدر من الخسائر ــ إن كان الموقف يتحمل ذلك ، أو بدون تصميمات تذكر(١٩)

ومن هذا التحليل يتضح أن على القائد أن يستخدم النمط القيادى الذى يتلاءم مع عناصر الموقف الذى يواجهه بعد إدراكه لمتطلبات كل عنصر ، وأن استخدامه للنمط القيادى الملائم للموقف كفيل بتمكينه من أداء دوره القيادى بفعالية .

من فلاسفة الباحثين فى نظرية الموقــف (فردفيدلر) الذى عكف على دراساته فى نظرية الموقف وأبحاثه واستنتاجاته فترة ليست قصيرة والتى امتدت من ١٩٥١ حتى عام ١٩٦٧ ، وكان ثمرة وخلاصة هذه الدراسة ، أنه يتفق مع غيره من الباحثين فى أن فاعلية القيادة تتحدد بمدى ملاءمة النمط القيادى المستخدم فى موقف معين لمتطلبات هذا الموقف .

وأما عن الموقف الملائم فيرى (فيدلر) أن تحديده يتطلب وضع تشخيص دقيق للموقف الإدارى الذى يقوم به القائد ومروسيه الذيـن يشاركونه المسئولية ، والذى يمكن أن يستنبط من خلاله عناصر الموقف والتى يحصرها فى أنماط ثلاثة :

(أ) العلاقة بين القائد وموظفيـه ، ويمكـن الاستدلال على هذا العنصر من خلال المؤشرات التى تدل على الجو الإدارى للمجموعة العاملة .

(ب) البناء التنظيمى للعمل . ويعتمـد على ثلاثة تأثيرات ، وهى تأتى من .

(١٩) McPherson, R.B., Growsoa, R.L., Pitnor, N.L., Managing Uncertainly Administrative Theory and Practice in Education, Ohio: Charles E. Merrill Publishing, 1986.

١ ـ من أعلى وهى تأتى من الإدارة العليا ، ٢ ـ ومن أسفل ويدل عليها قناعة الموظفين بسياسة التنظيم ، ٣ ـ ومن خارج وتتمثل فى القوانين الحاكمة والتغيرات التى تطرأ عليه .

(ج) سلطة القائد من خلال منصبه والتى يمكن عن طريقها بذل الحوافز أو توقيع العقوبة[٢٠] .

إن النظرية الموقفية فى القيادة تؤكد على أن نجاح القائد يتأثر بالبيئة التى يمارس فيها أدواره القيادية . وعندما أراد الباحثون أن يعرفوا أكثر عن البيئة وعن عوامل الموقف التى يمكن أن تحدد فعالية القائد درسوا القائد أثناء عمله . وقد وجدوا أن العوامل الأساسية التى لها تأثير على فعالية ونجاح السلوك القيادى تعتمد على التفاعل بين عناصر الموقف والتى منها : القائد نفسه ، والمرءوسين ، والرئيس ، والزملاء فى العمل ، واحتياجات العمل ، والوقت ، وهذه معظم العوامل التى يمكن أن تظهر فى بيئة العمل فى أى وقت ، وأى تغيير فى أى واحد من هذه العناصر يمكن أن يحدث تغييراً فى العناصر الأخرى .

لكن القائد لايستطيع أن يكون فوق كل هذه العناصر ويسيطر عليها من لحظة لأخرى . مما يجعل تطوير نموذج مبنى على التفاعلات بين هذه العناصر مسألة معقدة ، ويصعب استخدامه من قبل الإداريين . ولهذا أجريت عدة دراسات لمعرفة أهم عناصر الموقف تأثيراً فى نجاح الأسلوب القيادى . واتضح من البحوث التى أجراها كل من (بول هرسى) و(بلانكارد) (Hersey and Blanchard) فى سبيل تطوير القيادة الموقفية ، أن العامل الحاسم فى نجاح القائد يكمن فى العلاقة بين القائد ومرءوسيه . فإذا تمرد المرءوسون على القائد ولم يقوموا بإنجاز العمل ؛ فإن العوامل الموقفية الأخرى التى سبق ذكرها تصبح غير مهمة لنجاح الأسلوب القيادى للقائد .

ولقد طور هرسى وبلانكارد (١٩٨٢) نموذجاً لنظرية القيادة الموقفية وكان أسلوب التطوير ينحصر فى تحديد الأسلوب القيادى المناسب تبعاً لنضج الموظفين ـ لمستوى استعدادهم ـ لإنجاز مهمة محددة . وقد تم تعريف مستوى الاستعداد للموظف بأنه : درجة قدرة ورغبة الموظف لإنجاز مهمة بعينها . حيث يقصد بقدرة الموظف هنا معرفته ، وخبرته والمهارات التى لديه لإنجاز المهمة . بينما يقصد برغبة الموظف : إرادته ، وثقته بنفسه ، ودوافعه لإنجاز المهمة المحددة له .

وبناء عليه فقد تم تحديد أربعة مستويات لاستعداد الموظف تبعا لقدرته ورغبة لإنجاز العمل :

المستوى الأول : قدرة متدنية ورغبة متدنية .

المستوى الثانى : قدرة متدنية ورغبة عالية .

المستوى الثالث : قدرة عالية ورغبة متدنية .

المستوى الرابع : قدرة عالية ورغبة عالية .

بعد هذا يقوم النموذج بربط أسلوب القيادة بمستوى التطور الذى يمر فيه الموظف كما هو موضح بالشكل (١) ، ولتحديد الأسلوب القيادى المناسب مع موظف أو مجموعة من الموظفين فإن على القائد أن يحدد المستوى الذى

---

(٢٠) **Fiedler,** F.E., The **Leadership** Game: **Matching** the Man to **the** Situation. **Organizational** Dynami**cs, 4; 6-16, 1976.**

يقف عنده الموظف .

وتؤكـد القيـادة الموقفيـة لـ (هرسى وبلانكارد) على بعدين أساسيين للسلوك القيادى ، وقد سبق الإشارة اليهما فى المنهج السلوكى وهما :

١ ـ السلوك الذى يرتكز على إنجاز المهمة ، (السلوك التوجيهى) .

٢ ـ السلوك الذى يرتكز على رضا ورفاهية الموظفين (السلوك المساند)(٢١) .

وحيث إن المنهج السلوكى فى القيادة يقترح أن يكون هناك أسلوب قيادى مثالى فى معظم المواقف الإدارية ، وتم تحديده على أنه السلوك العالى فى المساندة والعالى فى التوجيه ، فإن النموذج المتصل فى القيادة الموقفية يؤكد أن أى نمط قيادى يمكن أن يكون فعالاً فى مواقف محددة تبعا لنضج ومستوى استعداد الموظف وبدقة مستوى استعدادات مرؤسيه بإنجاز المهام المختلفة ، واستخدام الأسلوب القيادى المناسب منهم .

وفى رأينا أن هذا التصور فى القيادة الموقفية هو أكثر تطوراً وإمكانية تطبيقه أكثر واقعية من النظريات السابقة فى هذا المجال . فكل الآراء التى تمت مناقشتها عن القيادة كان الكثير منها يصطدم بالواقع عند التجربة العملية ، إذ أن هذه التجربة هى المحك وهى الفيصل فى سلوكيات القيادة ، ومدى نجاحها فى قيادة المؤسسة ورضا الناس عن أدائها .

وإذا كان الأمر كذلك فما موقف القادة الإداريين ، ورجال الفكر من نظرية الموقف ؟

هل استطاعت أن تسد كل الثغرات التى لم تتنبه لها (نظريات السمات) و(نظرية السلوك فى القيادة الإدارية) ؟ أوجد فيها المختصون فى مجال القيادة الإدارية طلبتهم فوجهوا أنظارهم إليها ، أم أن هذه النظرية كغيرها من النظريات التى يتقدم بها العلماء وتكون محل أخذ ورد ، وقبول ورفض ؟

إن الواقع يقرر ذلك ولهذا يطيب لنا أن نقدم فى عبارة موجزة آراء القادحين والمادحين لهذه النظرية .

نظرية الموقف بين القبول والرفض

يرى بعض المؤيدين لنظرية الموقف أنها أسهمت بجهد كبير فى تحديد خصائص القيادة ، وذلك من خلال تركيزها على الموقف وإبرازه كعنصر هام مؤثر فى تحديد هذه الخصائص . وفى رأيهم أيضا أن نظرية الموقف ليست وحدها العاملة فى إيجاد القائد ، وإنما تهدف أيضا إلى أن السمات التى تحدد مدى الصلاحية للقيادة تتغير بتغير الموقف ، وأن الاختيار لمواجهة موقف بعينة لا يتم إلا بعد نشاط إيجابى من جانب القائد للتعرف على حقيقة الموقف .

من هنا نرى أن نظرية الموقف لاتعنى إنكار السمات الشخصية للقائد ، ولا تقلل من قيمتها .

---

(٢١) Hersey, P. & Blanchard, K.H., Management of Organizational Behavior: Utilizing Human Resources, (5th ed.). Englewood Cliffs, Prentice Hall, 1988.

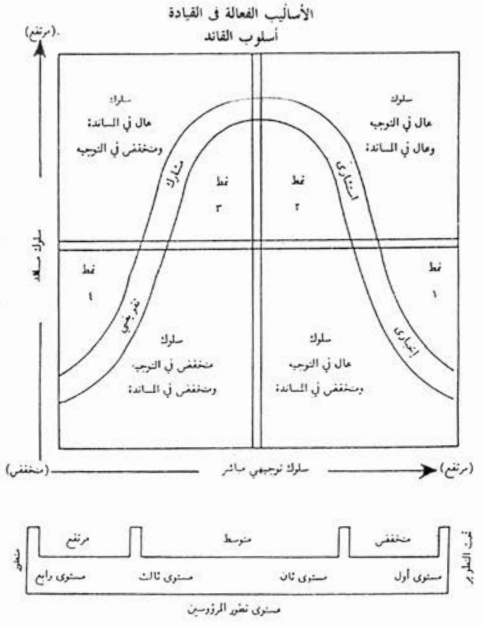

الشكل (١) نموذج القيادة الموقفيه ومستوى تطور المرءوسين

• From Paul Hersey and Kenneth Blanchard, Management of Organizational Behavior : Utilizing Human Resources, 1982, P. 248.

ولكنها تضع الموقف فى الاعتبار الأول عند تحديد السمات أو الصفات للقيادة المطلوبة .

هذه أهم الخصائص التى يقدمها أصحاب نظرية الموقف كمميزات لها . وأما عن المآخذ فيرى الراصدون لهذه النظرية أنها كثيرة ومتعددة :

أولاً : أن القائمين على هذه النظرية لم يكن بينهم اتفاق على القواعد والأسس التى تقوم عليها .

كما أنهم لم يتفقوا على عناصر الموقف الذى يمكن على ضوئه تحديد ما إذا كان الموقف ملائماً أو غير ملائم ، ويبدو هذا الخلاف واضحاً فى تحديد البعض لخصائها بثلاثة أنماط والبعض الآخر بأربعة أو نمطين فقط ، وإن كان هذا الاختلاف ــ فى رأى البعض ــ يبدو مقبولاً لأنها نظرية . والنظريات دائما تكون محلا للقبول أو الرفض ، أو الأخذ والرد(٢٢) .

وبعد ..

فإن المدارس الإدارية الكثيرة قد تقدمت بالعديد من النظريات فى خصائص وسمات القيادة الإدارية ولكنها اختلفت فيما بينها وتباينت ولم تستطع أن تصل إلى حل يرضى الجميع ، وإذا كان الأمر كذلك فلننظر ، إذا كان فى مقدور المدرسة الإسلامية أن تقدم الخصائص للقيادة الإدارية التى ترضى أقطاب الفكر فى عالمنا المعاصر ــ وتصلح لكل زمان ومكان .. ؟

(٢٢) د. عبدالكريم درويش ٨ ــ ١٩ ــ مرجع سابق .

الفتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيد/ ع . م . ع

توفى رجل عن أخوة لأم ، أخوة لأب ذكور وإناث ... فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن لأخوة الأم الثلث فرضا لعدم من يحجبهم يقسم بينهم للذكر مثل الأنثى والباقى لأخوة الأب تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ ج . أ . ح

توفى رجل عن زوجة ، وأخ ، وأخت لأم ، أخ شقيق ... فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد فنفيد بأن للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخ والأخت لأم الثلث فرضا لعدم وجود من يحجبهما يقسم بينهم بالتساوى للذكر مثل الأنثى والباقى للأخ الشقيق تعصيبا .

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ م . س . ع :

هل الغيبة والنميمة والكذب تبطل الصوم ؟

الجواب

ليكن معلوماً أن هذه الأمور محرمة فى رمضان وغير رمضان ، وهى فى رمضان أشد تحريماً لأن الصوم امساك ينبغى أن يكون عن جميع المشتهيات وماتسول به النفس .

ويكن معلوماً أيضا أن هناك فرقاً بين بطلان الصوم وبطلان ثوابه ، فبطلان الصوم معناه وجوب قضائه كالذى يأكل أو يشرب عالماً متعمداً يبطل صومه وعليه القضاء ، وبطلان الثواب معناه أن الصوم صحيح لايجب قضاؤه ، ولكن ضاع ثوابه فالذى يقترف إثم الغيبة أو الكذب مثلا صح صومه وبطل ثوابه ، فقد تعب بالجوع والعطش ولم يحصل على ثواب لهذا التعب ، وقد جاء فى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» ، كما صح أيضا «رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ، وقائم ليس له من قيامه الا السهر» وروى فى حديث مقبول أن النبى ﷺ قال فى المرأتين اللتين كانتا تغتابان الناس فى نهار رمضان «صامتا عما أحل الله ــ وهو الطعام والشراب ــ وأفطرتا على ماحرم الله» وهو لحوم الناس بالغيبة . وقال بعض الأئمة ببطلان الصيام وبطلان ثوابه بسبب الغيبة ، ويجب قضاء هذا اليوم .

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من .سيدة/ ايناس من الجمهورية العربية السورية

ماحكم الشريعة الإسلامية فى البيوع بالأجل ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن البيوع بالأجل جائزةشرعاً بشروطها المعروفة وألا يكون فيها استغلال لأن الزمن له حصة من الثمن ولهذا يفرق الشرع بين البيع بالنقد الحالى والبيع المؤجل مبيحا أن يزيد الثانى عن الأول بشرط أن يحدد الثمن الذى سيأخذه البائع ، والزمن الذى يستحق فيه هذا المبلغ .

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ محمد أحمد عبدالفتاح

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ومهر حسب الاتفاق وبعض الهدايا المستهلكة والغير مستهلكة ثم فسخت الخطبة لأسباب رآها الخاطب فما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن الشبكة جزء من المهر والمهر لاتستحقه المخطوبة الا بالعقد عليها وحيث أن الخاطب فسخ الخطبة ولم يتم العقد عليها فإن الشبكة والمهر تردان الى الخاطب وليس للمخطوبة حق فيهما لأنها أجنبية .

أما الهدايا المستهلكة لاترد الى الخاطب وانما تكون من حق المخطوبة والله تعالى أعلم ،،،

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« نصـــيحة »

قال الإمام أبو طالب المكى - رضى الله عنه - جالسوا العلماء ؛ فإنكم إن أحسنتم حمدوكم ، وإن أسأتم عذروكم ، وإن أخطأتم لم يعنفوكم ، وإن جهلتم علموكم ، وإن شهدوا لكم نفعوكم .

« التقعر فى الكلام »

قال أحد النحويين لغلامه :

هل صقعت العتاريف ؟

فقال له : زقفليم .

فقال النحوى : وما زقفليم ؟

قال الغلام : وما صقعت العتاريف ؟

قال النحوى : أردت هل صاحت الديكة ؟

فقال الغلام : زقفليم ؛ تعنى أنها لم تصح بعد !!

« لو عقلتم لعاقبتموه »

احتشد الناس لاستقبال فيلسوف . فمرت بهم امرأة ، فسألت أحدهم ، بم استحق هذا الرجل تكريمكم له ؟

فقيل لها : ويحك ؟ ألم تسمعى بالفيلسوف الذى أوجد ألف دليل على وجود الله - تعالى - فقالت : لو عقلتم لعاقبتموه ، فلو لم يقم فى ضميره ألف شك فى وجود الله ، لما اجتهد فى تقديم ألف دليل على صحة وجوده .

« اختيـــار صــعب .. »

كان الحسن بن على - رضى الله عنه - جالساً عند باب داره فى الكوفة ، إذ جاء أعرابى فسبه وسب أباه وأمه ، فنهض الحسن بن على قائلا :

« أيها الأعـــرابى ؛ أجوعـــان أنت حتـــى أطعمك ، أم ظمآن حتى أرويك ، أم ماذا بك ؟

فلم يلتفت الأعرابى إليه ، بل استمر فى سبابه ، فأمر الحسن عبده أن يأتى بكيس من الفضة ، ثم أعطاه للرجل قائلا : « عفواً أيها

الأعرابى ، فليس لدى غيره ولو كان لدى المزيد لأعطيتك » .

وعندما سمع الأعرابى منه هذا القول صاح :

أشهد أنك ابن بنت النبى ﷺ فقد جئتك أختبر حلمك .

« الأزواج ثلاثـة »

زوج بَهْر : وهو الذى يبهر العيون بحسنه وهيئته .

وزوج دهر : أى يجعل عدة للدهر ونوائب العيش ومتاعه .

وزوج مهر : أى لا يستفاد منه ولا ينتفع منه بشىء سوى المهر .

« حقـــاً »

إذا حلت الغفلة فى القلوب ، استولى عليها الذهـول ، وانسدت بصائرهـــا ، وانتـــفت فهومها ، واستـمسكت أقفـالها ، وتراكـمت ظلماتها .

العلم بالله ـ تعالى ـ

لما مات سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ قال ابن مسعود : مات تسعة أعشار العلم فقيل له : أتقول ذلك ، وفينـا جُلَّـة الصحابــة ـ رضوان الله عليهم ـ ؟

قال : لم أرد علم الفتيا والأحكام وإنما أريد العلم بالله ـ تعالى ـ .

« هكـــذا أمـــرنا »

حكى الشعبى قال : ركب زيد بن ثابت ، فدنا منه عبدالله بن عباس ، فأخذ بركابه .

فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ .

فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال زيـد : أرنى يدك ، فأخذهـا وقبَّلهـا وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهـل بيت نبينـا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

« أجـود النـاس وأذلهـم »

قيل لحكيم : من أجود الناس ؟

قال : من جاد من قلة ، وصان وجه السائل من الْمذلة .

ومن أذل الناس ؟

قال : أذل الناس معتذرٌ إلى لئيم .

« الصواب من الله والخطأ منى »

عن ابن سيرين قال : لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ ولم يكن أحد بعد أبى بكر أهيب بما لا يعلم من عمر ـ رضى الله عنه ـ ، وإن أبا بكر نزلت به قضية ، فلم يجد فى كتاب الله منها أصلا ، ولا فى السنة أثرا فاجتهد برأيه ثم قال : هذا رأيى فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأً فمنى واستغفر الله .

« دعـــاء »

اللهم إنى أبرأ من الثقة إلا بك ، ومن الأمل إلا فيك ، ومن التسليم إلا لك ، ومن التفويض إلا إليك ، ومن التوكل إلا عليك ، ومن الطلب إلا منك ، ومن الرضا إلا عنك ، ومن الذل إلا فى طاعتك ، ومن الصبر إلا على بلائك .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

مشاكل العالم الإسلامي

هل تحلها المؤتمرات

لفضيلة الشيخ عبد المجيد محمد المسلوت

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

من حين لآخر يعقد فى بعض البلاد الإسلامية مؤتمر لمناقشة أحوال المسلمين ، والعمل على حل مشاكلهم فإذا كانت خدمة الإسلام والمسلمين هى الهدف الأصيل لهذه المؤتمرات ، فإن واجب الداعين له والساعين إليها أن يمسحوا البلاد الإسلامية مسحاً دقيقاً يطهرها من كل دخيل أو خائن دساس ، أو عميل متسلط .

وليعلم الداعون إلى هذه المؤتمرات أن التاريخ قديمه وحديثه يؤكد على أن أعداء الإسلام فى ماضيه هم أعداؤه فى حاضره ، وإن اختلفت الأساليب فواجب أن تتحد الكلمة وتتوحد الآراء وتنبذ الخلافات وتدفن الأحقاد وتطمر الضغائن وتصفو النفوس إذا أردنا من هذه المؤتمرات نتيجة ترفع من شأن المسلمين ، وتدافع عنهم ، هذا هو الحق ، وإلَّا فالعفاء .

قال الأستاذ رحمه الله :

يحث الإسلام فى صميم دعوتـــه ، ولب رسالته ، على العزة والكرامة والقوة ، ويدعو المسلمين دائماً أن يكونوا أعزة على أعدائهم ، أقوياء فى نفوسهـم لا يستسلمـون لضعـف ، ولا يخضعون لهوان وذلة ، تحل بهم النعمة فلا يطغيهم بريقهـا ، ولا يبطرهـم رونقهـا ؛ بل يحترسون منها أشد من احتراسهم من النقمة . وتطوف بهم الشدائد ، وتنزل بساحتهم المحن فلا تنال منهم ، ولا يستقر لديهم أثرها إلا بمقدار ما يقتبسون منها العبرة الحسنة ، والموعظة البالغة ، ذلك أن عدتهم فى الملمات ، وسلاحهم فى الأحداث هو كما رسمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله : «إنى لا أعد للحادث الذى يحدث سوى طاعة الله ورسوله ، وهى عدتنا التى بلغنا بها ما بلغنا» ، وبهذا كان المسلمون أقوى الناس حين كان المسلم يستشعر سلطان ربه على نفسه ، ورقابته على أفعاله وتصرفاته ، لا تستهويه شهوة ، ولا تفتنه لذة ، ولا يظهر للناس بمسوح الرهبان ، وأردية العباد ، وبين جنبيه ذئاب عاوية ، وكلاب نابحة ، لا تعيش إلا فى ظلال الإثم ، وتحت جنح المعصية .

كان للمسلم ظاهر يشوق الأنظار ، ويستهوى الأنفس ، وباطن طاهر نظيف يحمده من يطلع عليه ، ويلمس أثره ، وكلاهما يستويان فى الصدق والصراحة والنجدة والفناء فى الجماعة . قد يختلف الأخ مع أخيه فى الرأى ، أو يفترق فى الوجهة ، ولكنهم كانوا يقابلون العدو صفا مرصوصاً ، لا ثغرة فيه ، ولا ضعف يعتريه — كانوا يؤمنون إيماناً صادقاً أن ما وهبهم الله من عزة بالدين ، وقوة فى اليقين ، هو شارة المجد ، ودليل السيادة ، وأنهم بذلك خلفاء فى الأرض ، ينشرون الفضيلة ، ويمكنون للعدالة ، ويرفعون لواء الأمن والاستقرار ، وبهذه العقيدة القوية التى خامرت القلوب ، وسكنت فى أعماق النفوس ، وبهذا الإيمان الراسخ استطاع أفراد قلائل أن يثبوا على ملك كسرى ودولة قيصر صائحين بدعوة الحق والعدل ، مرددين من أعماقهم شعار الإسلام وكلمته « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ووقف التاريخ يسجل فى دهشة ، والعالم يرنو فى إعجاب ، والمشفقون يتطلعون إلى الفاتحين ، وضعوا أيديهم على جنات وعيون ، وزروع وكنوز ومقام كريم . ولكن الدنيا كانت لا تزن فى نفوس هؤلاء المؤمنين جناح بعوضة ، والشيطان كان أضعف من أن يفتنهم بأغراض زائلة جعلوها تحت أقدامهم ، حتى لقد بكى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين أتى إليه بتاج كسرى وعليه من الجواهر واليواقيت مالم تقع عليه عين عربى قط ، وقال : «اللهم إنك قد منعت هذا نبيك ورسولك ، وكان أحب إليك منى وأكرم ، ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك منى وأكرم ؛ فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى» ومازال يبكى حتى رحمه من حوله .

تلك حال المسلمين الأولين الصالحين الذين فتحوا الدنيا ، وعمروا الأرض ، وأقاموا ميزان العدل ، وجعلوا الناس كما أمر الله سواسية كأسنان المشط .

ثم دالت على المسلمين أحداث ؛ وتعاورتهم خطوب أضعفت نفوسهم ، وأرخت صلتهم بربهم ، وجلبت القسوة والنسيان إلى قلوبهم ؛ فاغتروا بما تهيأ لهم من زهرة الدنيا وزينتها واستسلموا للشهوات الطاغية ، وخضعوا

للأهـواء القاتلة ، وعكـف كل على هواه ، وانطوى على رغباته لا يعنيه سوى أن يأكل ويتمتع ، ويحطب من كل ناحية ويجمع ، وإن قتل أخوه جوعاً ، وقضى جاره مخمصة ، ومن هنا طمع فيهم العدو ، وتمكن منهم الدخيل ؛ فاغتصب حقوقهم وامتص دماءهم ، واستلب أموالهم ، واحتل ديارهم ، وسلط جماعة على جماعة ، وأغرى فريقا بفريق .

هاهى ذى بلاد المسلمين ودولهم أصبحت نهبا للطامعين ولقمة سائغة للنهازين المستغلين ، كل بلـد[1] قد فتّ فيها الاستعمـار ، وأنهك قواهـا العدوان ، ودب فيها دبيب الفرقة والشقاق ، وخدعها الغاصب بالأكاذيب والأضاليل ؛ حتى زعزع إيمان الناس ، وأضعف عقائدهم ، وجعل غايتهم المنفعة وهدفهم أن يعيشوا على موائـد الطامعين .

كل دولة قد استغلت مرافقها ، واستبيحت أرضها وديارها ، وزروعها ومنتجاتها للأجنبى الذى يحاول دائماً أن ينسيها مقوماتها ، ويقضى على تراثها ، ويهدم مقدساتها ، ويجعل أفرادها عبيداً يخرجون له من الأرض ذهباً ، ويجعلون له فى الهواء سبباً ، ورضى المسلمون بهذا ، وأقاموا آمادا لا تمر بهم السنون والأعوام إلا لتزيدهم بلادة وانتكـاساً ، وظلمـة على القلـوب وقسوة فى النفوس .

ولكن شعاعاً من الإيمان كان يضىء لهم بين حين وآخر وصوتاً مجلجلا من أعماق التاريخ كان يهتـف بهم أحيانـاً ، ليوقظهـم من غفـلتهم ، ويحركهم من ركودهم ، فكان يثور الثائرون ويتمرد المتمردون محاولين القضاء على ما أصابهم من بغى أو لحقهم من ضيم ، ولكنهم لا يلبثون أن يلقوا أشد أنواع العذاب وأقسى ضروب النكال ، وتنتهى حياتهم بالسجن أو التشريد والموت الذى لا رحمة فيه .

قد يرضى الراضون طمعاً فى غنم آثم ومكسب حرام ، وقد يتملق المتملقون فيكسوهم العدو الحرير ، ويجعل تراب الأرض من تحتهم تبرا ، ولكن ذلك ليس حبا فيهم ، ولا إيثاراً لهم ، بل ليفتن المؤمنين ويزعزع عقائد المجاهدين حتى لقد بلغ الأمر أن رأينا بعض ضعاف الإيمان صغار النفوس يحملون سلاحهم على إخوانهم تأييـدا للاستعمار ، وتثبيتاً لأقدامـه . أليس هذا من الفساد الذى يدمى القلوب ويفتت الأكباد ؟ أليس هذا من تحلل العقيدة وفساد الضمائر ؟

لقد شرب المسلمون المر من خصومهم ، وهم أشداء قساة القلوب غلاظ الأكباد ، ولو أتيح لى أن أنشر بعض ما أعرف من الوسائل البربرية ، والطرائق الهمجيـة التـى يعـذب بها المسلمون ، ويفتنون عن دينهم ، ويحاربون فى عقائدهم ومشاعرهم ، ويكرهون على نسيـان مقوماتهم ومقدساتهم ، وحتى أسمائهم ـ لو أتيح لنا هذا لعرف الناس ما ينزل بإخوانهم من ألوان الفجائع التى تقشعر منها الأبدان ، وتشيب لهولها الولدان .

ونحن نخدع أشد الخديعة حين نفهم أن لوناً من ألوان الاستعمار أخف من لون ، أو أن عدواً أهون من عدو ، أو بعض هذه الدول المعتدية المستغلة أكثر رفقاً وأشد عطفاً على المسلمين من بعضها الآخر . كلا إن الغاية واحدة هى القضاء على الإسلام حتى يعبد الشيطان فى الأرض من دون الله ، والهدف واحد هو كسر هذه الشوكة التى تخز جنوبهم ، وتفت فى أعضادهـم وإن

تعددت الوسائل وتنوعت الأسباب .

ها هم أولاء المسلمون فى افريقيا شمالها وجنوبها وشرقيها وغربيها ، وفى أسيا وأوربا ، يتسلط عليهم أعداء لا يرقبون فيهم ضميراً ، ولا يرعون أقل واجبات الإنسانية ؛ فإذا أقيمت بعيداً عنا أستار حديدية تحجب صيحة الصائحين ، وآهة المتأوهين فقريب منا ألوان بشعة من الفتنة والاضطهاد يستمع إليها الضمير العالمى دون أن يستخذى وأن يخجل ، ومن غير أن يحس بعاطفة رحمة ، أو خالجة إنسانية .

ماذا صنع المسلمون للذود عن حماهم ، والدفاع عن ديارهم وأنفسهم ؟ ماذا قدموا من جهاد وتضحيات ؟ ماذا بذلوا من أرواح وأموال ؟ أى خطوة إيجابية رمقتها العيون أو سمعت بها الآذان ؟ نسمع كل آن بمحاولات للعلاج فى شكل مؤتمرات تعقد ، وتكثر وتتعدد ، ويخف المؤتمرون ويتسابق المتسابقون إلى حضور المؤتمرات ، وتنميق الخطب ، وتدبيج البيانات ، ويحاول كل خطيب أن يكون جهير الصوت ، رائع العبارة ، واضح الإشارة ، بليغ الأسلوب ، رابط الجأش ، يهز المنبر بما يستطيع من نصاعة الحجة ، وقوة الدليل ، وحسن سوق الفكرة ، وتضيع الأهداف الحقة وتبدد الأغراض المشتركة فى زحمة الإعجاب بالبلاغة والإنصات للسحر البيانى ينساب من أفواه الخطباء . وتحفل الموائد بالأطعمة التى تسابق الخطابة فى الإتقان والجودة ، ثم ينفض المؤتمرون وقد سطروا على الصحائف بضعة قرارات لا يلبث الزمن أن يطمس آثارها ، ويمحو معالمها فلا يبقى فى النفوس منها شىء .

لقد عقدت مؤتمرات كثيرة ، وسجلت محاضرها ومناقشاتها آراء واقتراحات تمخضت عنها عقول ، وتفتقت بها دراسات . فماذا بقى لنا منها بعد ذلك ؟ أى فكرة تحققت ، وأى ثمرة قطفت ؟ ماذا كسب المسلمون المشتتون داخل صفوف الأعداء وهم يرقبون الفرج وينتظرون ساعة الخلاص ؟ لقد أوشك صبرهم أن ينفد وكاد أملهم أن يتبدد ، والناس لا يزالون فى حمى المؤتمرات تائهين .

أنا لا أحارب هذه المؤتمرات ، ولا أكره انعقادها ؛ بل أدعو إليها وأجندها ؛ ولكنى أريد أن نؤمن بما نتخذه من قرارات ، وأن ننفذ ما نتفق عليه من آراء ، وأن نكافح ونجاهد فى سبيل ما نعتقد من رأى ، وما ندين به من فكرة ؛ أما أن نقول وننسى ، ونخطب ثم تذهب الخطب أدراج الرياح فذلك مالا يتفق وما نشكوه من داء ، أو يساورنا من أمراض . يجب أن نحاسب أنفسنا فى كل مؤتمر عما نفذناه من قرارات المؤتمر الماضى ، ليعرف الجميع أننا نسير إلى هدف ونتجه إلى غاية .

وبعد ــ فهل لى أن أتوجه إلى السادة المجاهدين الذين تملأ الغيرة قلوبهم ويسكن الإخلاص نفوسهم برجاء أن تتكون فى عواصم البلاد الإسلامية جمعيات قوية لإعداد المكافحين من كل لون وجنسية وتسليحهم بالأخلاق والعزائم والإيمان بالأهداف حتى إذا تم تدريبهم وآمنوا برسالة الإسلام فى أبعد غاياتها انطلقوا فوراً إلى بلادهم ، يوقظون النائم ، وينبهون الغافل ، ويحملون راية الجهاد حتى يرتفع لواء الإسلام ، وتعلو كلمة الله . وإن لنا لعودة إن شاء الله إلى بيان الوسائل التى ينهض بها المسلمون والله المستعان .

الأستاذ الدكتور

أحمد محمد الشعراوى

(١٩٠٩/٩/٥-١٩٩٠/٤/١٤)

للأستاذ/ محمود عبد الرازق عقباوى

الحديث عن أستاذنا الشيخ أحمد محمد الشعراوى سخىّ يغرى بالكتابة ، وإن تآليفه الثمينة تجعل الحديث عنه لزاما واجب الوفاء له ؛ فرأيه صائب ومعرفته ناضجة وحكمته راشدة يتحلى من الأخلاق بأطيبها وأزكاها .

ولقد أفاض الله عليه فمنحه الفهم والاعتبار ، جمع القلوب حوله بإخلاصه وجذب الأفئدة نحوه ببلاغته وحسن بيانه .

مولـــــده : ولـــــد ـ رحمه الله ـ فى ١٩٠٩/٩/٥م بالجعفرية محافظة الغربية مسقط رأسه ونبت غرسه وتعلم فى المعهد الأحمدى بطنطا ـ ثم دخل كلية اللغة العربية وتخرج منها ونال العالمية بدرجة أستاذ فى البلاغة عام ١٩٤٢م .

وظائفه : عين مدرسا بكلية اللغة العربية فى ١٩٤٢/١٠/١٧م وتدرج فى عمله بها حتى صار أستاذاً فى ١٩٦٤/١٠/١١ ، ثم ندب وكيلا لكلية البنات الاسلامية فى ١٩٦٥/٣/٢١ ثم تم نقلــــه إليها وكيـــــلا لها لمدة عامين من ١٩٦٥/٦/٢١ .. ثم جدد تعيينه وكيلا للكلية

لمدة سنتين من ١٩٦٧/٦/٢١ كما عين رئيسا للجنة إحياء أمهات كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى ١٩٧٣/٣/١٣ حتى سنة ١٩٧٩ .

وفى ١٩٧٣/٩/١٣ ندب وكيلا للجامعة لشئون الدراسات العليا بالقرار الوزارى رقم ٣٤١ سنة ١٩٧٣ .

وحصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى فى عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات .

مؤلفاته :

١ ـ دراسات فى الأدب العربى وتاريخه .

٢ ـ دراسات فى تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى فى الأندلس .

٣ ـ نصوص من الأدب الإسلامى والأموى ـ شرح ـ تحليل ـ نقد .

٤ ـ من حديث الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى ٣٣٤ ـ ٦٥٦هـ .

وأسلوب أستاذنا فى كتبه لا ادعاء فيه ولا مغالاة ، وقلما يخلو بيانه الأدبى من نادرة ظريفة أو عبارة طريفة ، كذلك لا تجد فيه تكلفا ولا تأويلا ممقوتا ، وتجد ملامح قوته وأصالته بادين فى جوانب تآليفه ـ فقد ألف الأدب طائعا فسار إليه راضيا ، ولقد كان لأبنائه نعم المشجع والنصير ، قادنا برجاحة عقله وسجاحة خلقه ودماثة سجاياه حتى صار فى أفواهنا الحديث السائغ الهنى وفى سمعنا وأبصارنا بقية الأمانى الحلوة السعيدة فله الشكر على ما أسداه إلينا من علم وخلق ، وما تعهدنا به من نصح وإرشاد .

توفى ـ رحمه الله ـ يوم الجمعة ١٧ من رمضان سنة ١٤١١هـ ـ ١٤ من ابريل سنة ١٩٩٠م وككل عظيم لايزال بعد موته منهلا عذبا تشع منه الحكمة ونبل الذكر ..

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خيرا على ما قدَّم ، والله يوفقنا لخدمة الدين والعلم والإخلاص لوطننا إنه سميع مجيب .

أبو الريحان البيروني

ومآثره في العلوم الكونية

عرض وتحليل م . د . أحمد فؤاد باشا

هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى ، ولد فى «بيرون» بالقرب من مدينة «كاث» عاصمة خوارزم سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م ، وبقى فى وطنه حتى بلغ الخامسة والعشرين ، حيث تلقى العلم على يد أبى نصر منصور بن على بن عراق ، واتصل فى هذه الفترة بابن سينا وكانت بينهما مراسلات ، ثم هاجر بسبب التقلبات السياسية إلى «جرجان» واستقر هناك نحو خمسة عشر عاماً نشر خلالها أول مؤلفاته الكبرى عن التقاويم والتواريخ ومسائل فى الفلك والرياضيات وهو «الآثار الباقية عن القرون الخالية» .

وفى عام ٤٠٧هـ/١٠١٧م لحق البيرونى ببلاط السلطان محمود الغزنوى ثم رافقه فى غزواته فى شمال غربى الهند مما أتاح له فرصة تعلم عدد من لغات الهند ، ودراسة الديانات الهندية والفلسفة الهندية بلغات أهلها ، وبعد تولى السلطان مسعود بن محمود الغزنوى زاد ارتباط البيرونى ببلاط غَزْنة (فى كابول بأفغانستان الآن) وظل متصلا به إلى أن وافاه الأجل بُعيد سنة ٤٢٢هـ/١٠٥٠م حسب أغلب الروايات .

وأثناء المدة التى قضاها البيرونى فى الهند ألف كتابه «طريق الهند» أو «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة» ، وعندما عاد الى غزنة ألّف موسوعته الفلكية «القانون المسعودى فى الهيئة والنجوم» وأطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى السلطان الغزنوى مسعود بن محمود وجاء فى «دائرة المعارف الإسلامية» أن البيرونى لما أهدى هذا الكتاب إلى السلطان مسعود أراد السلطان أن يجزيه على هذه الهدية الثمينة فأرسل له حِمْل ثلاثة جمال من نقود الفضة ، لكن البيرونى ردّها لأنه إنما يخدم العلم للعلم لا للمال .

ويعتبر البيرونى من أكثر علماء المسلمين موسوعية ولم يدَع بابا من أبواب العلوم المعروفة فى عصره إلا وطرقه ، وقد أحصى بنفسه الكتب التى ألفها فى مختلف الموضوعات وذكر أنها بلغت ٤١٧ كتابا لما بلغ هو ٦٥ سنة قمرية (حوالى ٦٣ عاما شمسيا) . وتعلّم عدة لغات منها السريانية والسنسكريتية والعبرية والفارسية ، بالإضافة إلى العربية التى أحبها وفضل التأليف بها وقال عنها : «إن الهجو بالعربية أحب إلىّ من المدح بالفارسية» .

* الكاتب : أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة ، والمقال بمناسبة انعقاد مؤتمر «المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز .. الماضى والحاضر والمستقبل» فى رحاب جامعه الازهر وتحت رعاية فضيلة لإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر خلال الفترة ١٠ ـ ١٢ ربيع الاخر ١٤١٤هـ/٢٧ ـ ٢٩ ستمبر ١٩٩٣م

وقد أشاد بمكانة البيرونى العلمية كبار مؤرخى العلم من أمثال ساخاو وسارتون ومايرهوف وألدوميللى وكارلو نيللينو وغيرهم .

الروح العلمية عند البيرونى :

أتصف البيرونى بروح علمية عالية ، ونهج منهج الاستقراء التجريبى فى أبحاثه ودعا إلى تحصيل العلم من أى مصدر أو لغة ، وكانت بحوثه تتميز بالمقارنة وتحرى الحقيقة ، ولم يتبنَّ من آراء الأولين إلا ما وافق الواقع التجريبى . وفوق ذلك كله كانت للبيرونى رسالة سامية تجلت فى ثنايا مؤلفاته وانعكست فى سلوكه وسياحاته ، فهو يرى فى وحدة الاتجاه العلمى تحقيقا لإنسانية العلم ، وكأنه كان يدعو إلى إدراك وحدة الأصول الإنسانية والعلمية بين جميع الشعوب فى عالم واحد . ففى بعض مؤلفاته يطرى اليونانيين ، ويطرى العرب ولغتهم ، وينصف الهنود ، ويعدد مزايا كل من هذه الأقوام ، ويأتى بآراء ونظريات تدلل على إيمانه بالوحدة الشاملة التى يؤدى إليها العلم ، فيوحد بذلك بين الثقافات التى تبدو متنافرة ، ويدعو إلى التفاهم على أساس المنطق والحقيقة[1] وكان يحرص على إبراز هذه السمات المنهجية فى ثنايا مؤلفاته المختلفة ، فهو – على سبيل المثال – يقول فى مقدمة كتابه «القانون المسعودى» : « .. إنما فعلت ما هو واجب على كل إنسان أن يعمله فى صناعته من تقبل اجتهاد من تقدمه بالمنة ، وتصحيح خلل إن عثر عليه ، وتخليد ما يلوح تذكرة لمن تأخر عنه فى الزمان وأتى بعده .. والبرهان من القضية قائم مقام الروح من الجسد وبجملة النوعية يحصل العلم بالاستيقان لاقتران الحجة به والتبيان ، كما يقوم بمجموع النفس والبدن شخص الإنسان كاملًا للعيان » . ويقول فى مقدمة كتابه النفيس «الآثار الباقية عن القرون الخالية» : « و«وابتدى فأقول : إن أقرب الأسباب الى ما سألت هو معرفة أخبار الأمم السالفة وأنباء القرون الماضية ، لأن أكثرها أحوال عنهم ورسوم باقية من رسومهم ونواميسهم ولا سبيل إلى التوسل إلى ذلك من جهة الاستدلال بالمعقولات ، والقياس بما يشاهد من المحسوسات ، سوى التقليد لأهل الكتب والملل .. ثم قياس أقاويلهم وآرائهم فى إثبات ذلك .. بعد تنزيه النفس عن العوارض المردئة لأكثر الخلق ،. والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق ، وهى : كالعادة المألوفة ، والتعصب ، والتظاهر ، واتباع الهوى ، والتغالب بالرئاسة ، وأشباه ذلك[2]» .

بعض مآثر البيرونى فى العلوم الكونية :

لا يتسع المجال هنا لذكر مآثر البيرونى فى العلوم الكونية على سبيل الحصر ولكن يمكن إيجاز بعض هذه المآثر على سبيل المثال فيما يأتى :

---

(١) قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، ودار الشروق ، بدون تاريخ للنشر ٣١٦

(٢) راجع فى ذلك :

– قدرى حافظ طوقان ، مرجع سابق ، ص ٣١٥

– د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤

– د. زغلول راغب النجار ود. على عبدالله الدفاع . إسهام علماء المسلمين الأوائل فى تطور علوم الأرض ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م

١ ـ سبق البيرونى علماء العصر الحديث إلى القول بأهمية اعتبار الطول المفرط فى الزمن لتفسير التغيرات التى طرأت على القشرة الأرضية لأن العمليات المؤثرة ـ رغم تفاوت حدَّتها ـ تستغرق وقتا طويلا لتبنى أو تزيل الملامح الأساسية لوجه الأرض .. ومما يدل على ذلك قوله فى وصف العصور الجيولوجية : «وعندما ندرس السجلات الصخرية والآثار العتيقة نعلم أن هذه التطورات والتحولات لابد أن استغرقت دهوراً طويلة تحت ضغط البرد أو الحر ، الأمر الذى لا نعرف وصفه أو قدره ، فإننا نشاهد الماء والهواء حتى فى أيامنا هذه يشغلان وقتا طويلا فى إتمام عملهما ، أما التطورات التى طرأت فى العصور التاريخية فقد درست وسجلت فى الصحائف» .

ومن أوضح الأمثلة على عمق تأملات البيرونى واهتماماته الجيولوجية نظريته فى تكوين سهل الهندستان والتى يشرحها هو بنفسه فيقول : «وأرض الهند من تلك البرارى يحيط بها من جنوبها بحرهم المذكور (المحيط الهندى الآن) ومن سائر الجهات تلك الجبال الشوامخ ، وإليها مصاب مياهها ، بل لو تفكرت عند المشاهدة فيها ، وفى أحجارها المدملكة الموجودة إلى حيث يبلغ الحفر : عظيمة بالقرب من الجبال وشدة جريان مياه الأنهار ، وأصغر عند التباعد وفتور الجرى ، ورمالًا عند الركود والاقتراب من المغايض والبحر .. لم تكد تصور أرضهم إلا بحراً فى القديم قد انكبس بحمولات السيول» .

وحول تكوين القشرة الأرضية وما طرأ على اليابسة والماء من تطورات خلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة بقول البيرونى : «ينتقل البحر إلى البر ، والبر إلى البحر فى أزمنة ، إن كانت قبل كون الناس فى العالم فغير معلومة ، وإن كانت بعده فغير محفوظة ، لأن الأخبار تنقطع إذا طال عليها الأمد وخاصة فى الأشياء الكائنة جزءاً بعد جزء بحيث لا تفطن لها إلا الخواص .. فهذه بادية العرب وقد كانت بحراً ، فانكبس حتى إن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض بها ، فإنها تبدى أطباقا من تراب ورمال ورضراض ثم فيها من الخزف والزجاج والعظام ما يمتنع أن يحمل على دفن قاصد إياها هناك ، بل تخرج منها أحجارا إذا كسرت كانت مشتملة على أصداف وودع وما يسمى «آذان السمك» : إما باقية فيه على حالها ، وإما بالية قد تلاشت ، وبقى مكانها خلاء متشكلًا بشكلها[٣]» .

ويلاحظ أن البيرونى فى هذا النص وضع أساسا لعلم الحفريات فعرّفها بأنها كائنات حية عاشت فى العصور القديمة ، وتوصل إلى ما نعرفه عنها حاليا من أنها قد تكون عبارة عن الكائن نفسه بجميع أجزائه مثل حفريات النمل والبعوض وبعض الحشرات التى توجد متحجرة ومحفوظة فى الكهرمان ، أو تكون بقايا الأجزاء الصلبة الهيكلية فقط ، مثل الأصداف والمرجان وعظام الحيوانات الفقارية . وتوجد هذه البقايا بدون أى تغيير فى مادتها الأصلية ، أو توجد متحجرة بعد استبدال مادتها بمادة أخرى كالجير أو «السيليكا» . وقد تكون الحفرية مجرد طابع خاص أو أثر لبقايا الكائن الحى على الصخور التى كان يعيش عليها عندما كانت رخوة لم تتصلب بعد ، وعندما تتصلب بمرور الزمن تحتفظ بهذه الطوابع أو هذا الأثر فيها .

(٣) راجع د. أحمد فؤاد باشا ، مرجع سابق ص ١٢٧

٢ ـ أرسى البيرونى فى كتابه «الجماهر فى معرفة الجواهر» الأساس العلمى لعلوم المعادن والتعدين ، واستطاع أن يصنف المعادن المختلفة عن طريق خصائصها الفيزيائية . فأثبت بطريقة عملية أن الماس أصلب المعادن ويليه الياقوت الذى هو حجر كريم تابع لمعدن «الكورانـــدم» **Corundum** وكان هذا أساسا لمقياس الصلابة الذى يستعين به العلماء حاليا لمعرفة صلابة أى معدن مجهول . كذلك طور البيرونى جهازا لقياس الوزن النوعى للمعادن بدقة تطابق تقديرات علماء العصر الحاضر بالرغم من اختلاف المستوى التقنى للآلات والأجهزة التى استعملت قديما وحديثا . وكان البيرونى يصف المعادن ويذكر مناطق وجودها وكيفية استخراجها من مناجمها ويبين فوائدها وطرق تعدينها وما يوجد معها من أخلاط وشوائب ، وهو ما يندرج حاليا ضمن علوم التعدين ، ونذكر على سبيل المثال قوله عن الياقوت أن منه الأبيض والأكهب والأصفر والأحمر ، وأن أرخص أنواعه ما يقارب البياض ، وأن عيوبه خمسة هى : النمش ولا حيلة لنا لإزالته إذا فشى وغاص وعمق ، وخلط الحجارة وهى الصخور التى تصاحبه ، والريم وهو الوسخ ، والثقب المانع عن الشفاف ونفاذ الضوء ، واختلاف الصبغ فى أجزائه فيكون بعضها مشبعا وبعضها أبلق .

٣ ـ تحدث البيرونى عن كروية الأرض وحركتها وجاذبيتها ، ووضع نظرية بسيطة لحساب محيط الأرض لاتزال تستخدم حتى الآن . وجمع فى كتابه «القانون المسعودى» جميع الأرصاد والنظريات الفلكية التى سبقته ، مع نقد موضوعى لها ، دون تحيز أو تعصب ، فهو لم يستبعد لآن يستدرك عليه من يأتى بعده مثلما استدرك هو على من قبله .

وجريا على عادة علماء المسلمين فى تسخير العلم لخدمة الدين اهتم البيرونى بمسألة تعيين اتجاه بلد بالنسبة لبلد آخر لأهمية ذلك فى تحديد اتجاه المصلين ، وذكر طريقتين :

أولاهما تعتمد على الحسابات المثلثية باستخدام قوانين الرياضيات المعروفة ، والأخرى هندسية بحتة أسماها «الطريق الصناعى لمعرفة سمت القبلة وغيرها» ولا تحتاج إلى الحسابات المعقدة تسهيلا للأئمة فى البلدان المختلفة .

٤ ـ حارب البيرونى مالا يصح من علم النجوم ودعا إلى بطلان التنجيم وتسخيف المعتقدين به ، وانتقد الذين يدّعون إمكانية تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب واهتم بدراسة عدة صناعات كانت قائمة فى زمنه ، كطلاء الأوانى الفخارية وتحضير الفولاذ المعد لصنع السيوف . كذلك اهتم البيرونى بعلم الصيدلة ، فألف كتابا أسماه : «كتاب الصيدنة فى الطب» وفيه يعرّف الصيدلانى بأنه «المحترف بجمع الأدوية واختيار الأجور من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التى خلدها له مبرزو أهل الطب ، وهذه أولى مراتب صناعة الطب ، إذا كان الترقى فيها من سفلاها إلى العليا» .. وأورد البيرونى فى هذا الكتاب معلومات كيميائية لا بأس بها وبعض الطرائق الكيميائية كالتصعيد والتسامى والتقطير والترشيح ، بالإضافة إلى تحضير عدد من المركبات الكيميائية .

وهكذا كان البيرونى عالما عبقريا حظى بتقدير علماء المشرق والمغرب فى الغابر والحاضر ، وترجم الكثير من كتبه إلى لغات عديدة .

الحشرات والحديث عنها : في القرآن الكريم والسنة النبوية والعلم الحديث

أ.د/ عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي (*)

الحمد لله رب العالمين ، صاحب كل فضل ومولیه ، وواهب كل خير ومعطيه ، ثم الصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد ولد آدم ، سيدنا محمد عبدالله ورسوله الأمين ، الذى امتن عليه ربه بنعمة العلم فقال :

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ النساء : ١١٣

ورضى الله عن كل الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(*) أستاذ الحشرات الاقتصادية ـ كلية الزراعة ـ جامعة الأزهر .

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميرى جـ ١ ص ٥٠ ط : الشعب .

وبعد : فإن العصر الذى نعيشه يعتبر ـ بغير جدال ـ عصر العلم والتقنية الحديثة ، كما أن العقلاء لا يقبلون من المعارف إلا ما يستند إلى العلم ، وذلك مَطْلبٌ يُقرُّه القرآن الكريم ويُؤَيِّده ، فَيَلْفِتُ النظر إلى التَّمَسُّك بأسباب هذه القضية ، والقرآن فى ذاته أنزله الله تعالى مفصَّلًا على علم :

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأعراف

كذلك يعيب القرآن ـ فى أكثر من موضع ـ على الخرَّاصين وأصحابِ الظُّنونِ ، هذا المَسْلَك :

﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ الأنعام : ١٤٨

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

يونس : ٦٦

﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

الزخرف : ٢٠

بل ويدعو عليهم بالقتل والهلاك :

﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ الذاريات : ١٥

باستقرائنا للقرآن الكريم وبمطالعتنا للسنة النبوية نجد أن الحشرات قد ورد ذكرها فى جملة مواضع ، من القرآن كما حفلت السنة النبوية بالحديث عنها فى أغراض شتى بما يجعلها مادة طيبة للبحث والدراسة ، وبما يتسنى لنا فى ضوئه أن نطلق عليها « أمة الحشرات » مستأنسين فى ذلك بقول الله تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ الأنعام : ٣٨

كما أصبحت نتائج الدراسات والأبحاث العلمية عن الحشرات بفضل الله وافية ومستفيضة وعلى درجة عالية من الكفاية ، يمكن معه توظيفها لخدمة فهم هذه النصوص ، ومع هذا فبالرغم من توظيف حقائق العلم ومعطياته فى فهم أسرار الكون وتجليه غوامضه ، فإن حظ الحشرات من هذه المراجعات مايزال ضيئلا أو هامشيا ، وربما يرجع ذلك فيما يرجع لاستصغار شأنها ، أو لأن تناول هذا الموضوع يحتاج إلماما جيدا بالثقافة الدينية والثقافة العلمية ، وهو سبب رئيسى فى هذا الشأن ، ذلك لأن فهم النصوص القرآنية والحديث يحتاج إلماما جيداً بعلوم القرآن وعلوم الحديث ، إلماما يتيح توظيف المعلومات العلمية توظيفا سليما وينأى به عن أن يكون محاولة للى أعناق النصوص بغرض تطويعها لفكرة ساذجة أو رأى سقيم يجعلها توغل فى الإغراب بدلا من الإبانة والإعراب .

وعليه فقد بات توظيف النتائج العلمية الموثوق بها عن الحشرات فى هذا المجال أمرا ضروريا حتى تنال المعارف العلمية شرف الانضمام إلى ركب العلوم الخادمة للقرآن الكريم والسنة النبوية .

ولاشك فى أن هذا المطلب هو واجب الأكفاء القادرين على حمل هذه الأمانة ، المستعدون لخوض غمارها ، مع الوضع فى الاعتبار أن كل ما ورد فى القرآن الكريم إنما يتلقاه المؤمن بالرضا التام والقبول والتصديق ، بما فى ذلك آيات الأحكام سواء أفهم علة الحكم أو جهلها ، وإذا ما كانت هناك محاولة جادة لفهم العلة أو لفهم

التفسير فلا بأس من الأخذ بها شريطة أن تصدر عن المختصين الأكفاء ، وألا تتعارض مع الإجماع وأن يستفاد بها فى الترجيح بين رأى وآخر فى مسائل الاجتهاد . وقد رتبت هذا البحث على النحو التالى :

١ ـ المقدمة : وهى تعطى فكرة عن أهمية البحث فى هذا الموضوع .

٢ ـ حصر الآيات القرآنية التى تتحدث عن الحشرات مع ذكر مواضعها .

٣ ـ ذكر طائفة من الأحاديث النبوية التى تتعرض لذكر الحشرات مع الإشارة إلى مصادرها .

٤ ـ الحكمة من ذكر الحشرات فى القرآن والسنة .

٥ ـ عرض بعض النتائج العلمية عن الحشرات وتوظيفها فى خدمة العلوم الشرعية .

٦ ـ اقتراح نموذج لكيفية الاستفادة من الحقائق العلمية فى الأغراض الشرعية .

فإن كنت قد وُفِّقتَ إلى ما تصبو إليه النفس فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن تكن الأخرى فحسبى أننى اجتهدت وبالله التوفيق .

أولا : حصر الآيات القرآنية التى تتحدث عن الحشرات

١ ـ البعوض :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ (٢٦) ﴾ البقرة : ٢٦

٢ ـ الجراد :

يقول الله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) ﴾ الأعراف : ١٣٣

٣ ـ دابة الأرض (الأرضة) :

يقول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ (١٤) ﴾ سبأ : ١٤

٤ ـ الذر (النمل الصغير) :

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) ﴾ النساء : ٤٠

ويقول : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ الزلزلة

٥ ـ القُمَّـل :

يقول الله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) ﴾ الأعراف : ١٣٣

٦ ـ النحل :

يقول الله تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ النحل : ٦٨ ، ٦٩

٧ ـ النمل (النمل الكبير) :

يقول الله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

النمل : ١٧ ـ ١٩

٨ ـ الفراش :

يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ القارعة : ٤

ومن هذا العرض يتضح لنا أن الحشرات على دقتها ورقتها قد ورد ذكرها فى القرآن الكريم على النحو التالى :

(أ) ذكرت الحشرات فى تسع سور من القرآن الكريم وهى :

١ ـ البقرة :

وهى السورة رقم (٢) فى ترتيب المصحف ، وهى سورة مدنية النزول وتعد من أطول سور القرآن الكريم وقد سميت بهذا الاسم وهو اسم للحيوان المعروف (البقرة) .

٢ ـ النساء :

وهى السورة رقم (٤) فى ترتيب المصحف ، وهى سورة مدنية أيضا ، وهى من السور الطوال .

٣ ـ الأعراف :

وهى السورة رقم (٧) فى ترتيب المصحف ، وهى سورة مكية النزول ، وهى من السور الطوال .

٤ ـ النحل :

رقمها فى ترتيب المصحف (١٦) وهى سورة مكية طويلة ، وقد سميت باسم نوع من الحشرات هو النحل ، والنحل حشرات اجتماعية عظيمة النفع جَمَّةُ المنافع .

٥ ـ النمل :

وهى السورة رقم (٢٧) فى ترتيب المصحف وهى سورة مكية طويلة وقد سميت باسم النمل وهو من الحشرات الاجتماعية ذات السلوك المنظم فى معيشتها .

٦ ـ سبأ :

وهى السورة رقم (٣٤) فى ترتيب المصحف ، وهى سورة مكية ، ولكنها سورة قصيرة .

٧ ـ القمر :

وهى السورة رقم (٥٤) فى ترتيب المصحف وهى سورة مكية من طوال المفصل لا من طوال القرآن .

٨ ـ الزلزلة :

وهى السورة رقم (٩٩) فى ترتيب المصحف وهى سورة من قصار السور وقصار المفصل وقد

نزلت فى المدينة ، وهى ثالث سورة مدنية تذكر فيها الحشرات .

٩ ـ القارعة :

وهى السورة رقم (١٠١) فى ترتيب المصحف وهى من قصار السور وقصار المفصل أيضا ، وهى سورة مكية ، وهى خامس سورة مكية تذكر فيها الحشرات .

(ب) فالحشرات بهذا قد ورد ذكرها فى ست مواضع من السور المكية ، ثلاث منها من السور الطويلة وهى الأعراف والنحل والنمل واثنتان من السور المتوسطة وهى سبأ والقمر ، وأخرى من السور القصيرة وهى سورة القارعة ، كما أن السور التى سميت بأسماء حشرات (النحل والنمل) مكية .

كما ورد ذكر الحشرات أيضا فى ثلاث مواضع من السور المدنية اثنان منها من السور الطويلة وهما البقرة والنساء ، وواحدة فقط من قصار السور وهى الزلزلة ، كما لم تُسَمَّ سورة مدنية باسم شيء من الحشرات .

(جـ) السور التى تحدثت عن أحوال الناس يوم البعث هى سورة القمر والقارعة ، وهما سورتان مكيتان ، وليس هناك من السور المدنية التى تعرضت لذكر الحشرات ما يشير إلى تلك المقارنة بين أحوال الناس وأحوال أيٍّ من هذه الحشرات ، ولعل السر فى ذلك هو أن أهل مكة فى جملتهم كانوا منكرين ليوم الدين ومكذبين به ، بخلاف أهل المدينة الذين آووا الرسول والمهاجرين .

(د) يوجد فى القرآن الكريم خمس سور تحمل كل منها اسم كائن حى معين ومعروف ، وهى : البقرة ، النحل ، النمل ، العنكبوت والفيل ، كما أطلق اسم الأنعام بصورة عامة على سورة واحدة وهى سورة الأنعام ، ومنه يتضح أن الحشرات قد احتلت وحدها ثلث المواضع التى ذكرت الحيوانات فيها كأسماء لسور القرآن ، وإذا ما أضفنا العنكبوت إلى الحشرات لقربه التصنيفى منها فكلاهما ينتمى إلى مجموعة كبيرة من مجاميع عالم الحيوان يطلق عليها شعبة مفصليات الأرجل **Phylum Arthropoda** إذا ما تم ذلك فإن الحشرات تحتل نصف هذه المواضع ، ومنه تتضح أهمية الحشرات فى التذكر والإنذار .

ثانيا ـ جانب من الأحاديث النبوية التى ورد بها ذكر الحشرات :

١ ـ عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « الذُّبَابُ كُلُّهُ فِى النَّارِ إِلَّا النَّحْلَ » رواه البزار وأبو يعلى والطبرانى .

٢ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : « الذُّبَابُ كُلُّهُ فِى النَّارِ يَجْعَلُهَا عَذَاباً لِأَهْلِ النَّارِ إِلَّا النَّحْلَ » ذكره الترمذى فى نوادر الأصول .

٣ ـ عن أبى أمامة الباهلى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِى جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ فِى الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِى النَّاسِ الْخَيْرَ » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

٤ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « يُجَاءُ بِالْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رِجَالٌ فِى صُوَرِ الذَّرِّ (النمل الصغير) يَطَؤُهُمُ النَّاسُ مِنْ هَوَانِهِمْ عَلَى اللهِ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى نَارِ الْأَنْيَارِ » قيل يا رسول الله وما الأنيار ؟ قال : « عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ » رواه الإمام أحمد فى

الزهد ، ورواه صاحب الترغيب والترهيب .

٥ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « يُقْتَصُّ لِلْخَلقِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى الْجَمَّاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ ، وَحَتَّى الذَّرَّةَ مِنَ الذَّرَّةِ » رواه الإمام أحمد فى مسنده بإسناد رجاله ثقات .

٦ ـ عن مجاهد قال : صاحبت عمر ـ رضى الله عنه ـ من مكة إلى المدينة ، فما سمعته يحدث عن رسول الله ـ ﷺ ـ إلا هذا الحديث : « إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ النَّحْلَةِ ، إِنْ صَاحَبْتَهُ نَفَعَكَ ، وَإِنْ شَاوَرْتَهُ نَفَعَكَ ، وَإِنْ جَالَسْتَهُ نَفَعَكَ وَكُلُّ شَأْنِهِ مَنَافِع ، وَكَذَلِكَ النَّحْلَةُ كُلُّ شَأْنِهَا مَنَافِع » رواه البيهقى فى شعبه .

٧ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « مَثَلُ بِلَالٍ كَمَثَلِ النَّحْلَةِ ، غَدَتْ تَأْكُلُ مِنَ الْحُلْوِ وَالْمُرِّ ، ثُمَّ هُوَ حُلْوٌ » رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

٨ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « بَيْنَمَا أَيُّوبُ عليه السلام يغْتَسِلُ عُرْيَاناً خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ (سرب) جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يُحْثِي فِي ثَوْبِه ، فَنَادَاهُ اللهُ ـ تعالى ـ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى ؟ قَالَ : بَلَى يَارب ، وَلَكِنْ لَاغِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ » رواه البخارى فى الغسل وقال الشافعى تعليقاً عليه : نعم المال الصالح مع العبد الصالح .

٩ ـ عن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى مِنْهَا كَافِراً شَرْبَةَ مَاء » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وكذلك رواه الحاكم وصححه .

١٠ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إِنَّهُ لَيُأْتَى بِالرَّجُلِ الْعَظِيمِ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، اقْرَءُوا : فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً » متفق عليه ، هكذا أخرجه الحافظ العراقى فى الأحياء ، أخرجه مسلم فى صحيح كتاب صفات المنافقين ٤/٢١٤٧ .

١١ ـ عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا ، وَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِى » رواه مسلم فى كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم ، حديث رقم ١٦ ، ص ١٤٧ جـ ٥ طبعة الشعب .

١٢ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « قال الله ـ عز وجل : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً » رواه البخارى فى كتاب التوحيد .

وهذا قليل من كثير حفلت به السنة النبوية الطهور عن هذه الكائنات ، وباستعراضنا هذه الباقة من الأحاديث التى تشير إلى الحشرات تدرك المعانى التالية :

١ ـ كلمة « الذُّبَابُ » من الكلمات واسعة الاستخدام ، حيث تطلق على الحشرات بصفة عامة ، قال الجاحظ : « الذباب عند العرب يطلق على الزنابير والنمل والبعوض بأنواعه كالبق والفراش والبراغيث والقمل والناموس والفراش والذباب المعروف عند الإِطْلَاقِ الْعُرْفِيِّ » .

ويتضح لنا من هذه العبارة أن الذباب يضم هذه الأنواع جميعاً بصفة إجمالية لا يشهد لها الواقع العلمى والتصنيفى ، فلو كان النمل وسائر الأنواع التى ذكرها ذباباً لما صح إطلاقُ هذه الأسماء عليها ، كما أطلقوا اسم البعوض على البق والفراش والبراغيث والقمل والناموس ، وهذا الإطلاق غير صحيح كسابقه ، ولا يخفى أن هذه العبارة تكاد تستغرق عالمَ الحشراتِ ، ولعلهم يستندون فى ذلك ويأنسون بما رواه ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ « الذُّبَابُ كُلُّهُ فِى النَّارِ » وليس هذا عذابا للذباب وإنما هو عذاب لأهل النار . كما صرح بذلك فى رواية أبى هريرة « الذُّبَابُ كُلُّهُ فِى النَّارِ ، يَجْعَلُهَا عَذَابًا لِأَهْلِ النَّارِ إِلَّا النَّحْلَ » رواه الترمذى .

٢ ـ يضرب بها المثل لهوان الجبارين على الله يوم القيامة ، حيث يكونون فى صور وفى حجم النمل الصغير الذى يطؤه الناس بأرجلهم وهم فى عرصات يوم القيامة ، ثم يذهب بهم بعد ذلك إلى « نار الأنيار » أى عصارة أهل النار .

٣ ـ كما يضرب المثل ببعضها لكثرة منافعه كالنحل فهو شبيه بالمؤمن من حيث كثرة منافعه وتعددها .

٤ ـ يُشَبِّهُ الرسول ـ ﷺ ـ حالَ الأمة فى التَّهَافُتَ على ارتكاب المخالفات بحال بعض الحشرات التى تتهافت على النار فتهلكها ، ومع هذا فإنه يحاول أن يحجزهم عن الوقوع فى الشرور ولكنهم يتَفَلَّتُونَ .

ثالثا ـ الحكمة من ذكر الحشرات فى القرآن والسنة :

لا يخلو ذكر الحشرات فى القرآن الكريم والسنة النبوية الطهور فى حكم جليلة سامية ، ونَوَدُّ أن نتعرف على معنى الحكمة قبل بيان أنواعها ، ليكون ذلك أعْوَنُ على إدْرَاكِهَا والعمل بمقتضاها .

معنى الحكمة :

للحكمة معان كثيرة ، وللعلماء فيها كلام مستفيض نَجْتَزِئُ منه ما يلى :

١ ـ ذهب ابن عباس إلى أن الحكمة المقصودة فى قوله تعالى :

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾

البقرة : ٢٦٩

تعنى القرآنَ والفهمَ فيه .

٢ ـ قال مجاهد : هى القرآن والعلم والفقه .

٣ ـ قال أبو مالك : السنة .

٤ ـ وقيل : الحكمة هى العلم النافع المُؤَدى إلى العمل الصالح .

وهذا المعنى الأخير ـ على إجماله ـ يتفق مع ما نهدف إليه ، ذلك لأن الحكمة ضالة المؤمن ، فإذا وجدها فهو أولى الناس بها ، ونحن حينما نعمل الفكر ونجيل النظر فى هذه المخلوقات الدقيقة الرقيقة ونتعرف على الأغراض التى ذكرت فى القرآن من أجلها ، فإننا بهذا إنما نحاول الوصول إلى العلم النافع بخصوصها حيث يدفعنا إلى العمل الصالح الذى يقربنا إلى الله ـ تعالى ـ

وتتلخص الحكمة من ذكر الحشرات فى القرآن والسنة فيما يلى :

أولا ـ الحشرات آية من آيات الله فى الخلق والإبداع :

فالحشرات دوابٌّ خلقها الله ـ تعالى ـ لتَقِف مع غيرها من الدواب فى صَفِّ الإعجاز وإعطاءِ الأدلة على تفَرُّده بالخلق والإيجاد ، قال ـ تعالى :

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الجاثية : ٤

فللحشرات تاريخُها الضَّارب فى القِدم ، وانتشارُها العالمى الهائل ، بحيث لا تكاد تجد بيئةً من البيئات تخلو من هذه المخلوقات ، ولها أنواعها العديدة ، هذا فضلًا عن تنوع أنماط حياتها وسلوكها ، كما أن لها طُرُزُهَا اللَّونية التى تبعث على معرفة الله وخشيته ، يقول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة فاطر

فهذا النص يوقِفنَا على سنة من سنن الله ــ تعالى ــ فى خلقه ، ألَا وهى سنةُ التَّمايُز والتَّغايُر بين الأفراد على أساس الاختلافات اللونية بينها ، يستوى فى ذلك الجماد والحيوان والنبات والإنسان ، والحشرات لها باعٌ طويل فى هذا المِضْمَار ، ففى تعدُّد ألوان أفرادها مع دقتها ورقتها ما ينطق بعظمة الله ، ثم إن الآيات ترتب خشية الله على العلم بهذه الأشياء ، وإدراك حكمتها وأحقُّ الناس بخشية الله هم العلماء الذين هَداهم الله إلى معرفة أسرار هذه الموجودات وتجعل كل ذى لب يهتف فى تِلْقَائِيَّةٍ :

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

(ســــورة المؤمنون)

ثانياً ــ الحشراتِ جند من جند الله :

حينما نطالع الآيات الواردة فى القرآن عن الحشرات بهذا الخصوص ، فإننا نجد حكمةً أخرى لها بالحكمة السابقة وَثِيقُ الصِّلة ، فالله جعل هذه المخلوقات جنداً من جنده :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ المدثر : ٣١

ينصر بها رسله وأولياءه ، ويُذِلُّ بها ويُرْغِمُ أنُوفَ أعدائه ، وسنُورد أمثلةً لذلك فيما يلى :

(١) الأرضة (دابة الأرض) تُنْهى حصارَ الرسول والمسلمين فى شعب أبى طالب بمكة :

ورد فى الصحيحين وغيرهما أن قريشاً لما بلغهم إكرام النَّجاشِى لجعفر ابن أبى طالب وأصحابه حينما هاجروا إلى الحبشة كَبُرَ ذلك عليهم وغَضِبوا على رسول الله ــ ﷺ ــ وأصحابه ، واشْتَطُّوا فى معاملتهم وكتبوا صحيفةً ظالمة جائرة تنص بنُودُها على مقاطعة بنى هاشم مقاطعةً تامة فلا يناكحونهم ولا يبايعونهم ولا يخالطونهم ، وعلَّقوا هذه الصحيفةَ فى جوف الكعبة إشَارةً إلى احترام بنودها والمبالغة فى تطبيقها ، وكان الذى كتب الصحيفة رجلٌ يقال له : « بَغِيض بن عَامِر » فَشُلَّتْ يدُه ، وحصروا بنى هاشم فى شعب أبى طالب ليلة المحرم سنة سبع من البعثة ، وانْحَازَ إليهم بنوا عبدالمطلب وقَطَعت قريشٌ عنهم المِيرَةَ والمَدَدَ ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغوا الجهدَ وأقاموا على ذلك ثلاث سنين ، ثم أُطْلَعَ الله ــ نبيَّه ﷺ ــ على أمر الصحيفة وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من ظلم وجَوْر وبقى ما كان فيها من ذكر الله ــ تعالى ــ فأخبرهم أبو طالب بذلك فارتقوا إلى الصحيفة فوجدوها كما قال رسول الله ــ ﷺ ــ فَفَكُّوا عنهم الحصار وأخرجوهم من الشعب » .

(ب) الأرضة (دابة الأرض) تُبْطِلُ ادِّعَاءَ الجن علمَ الغيب :

ولا يقــتصر دور الحشرات فى الإنـــذار والتخويف على الإنس فقط بل يتعداهم إلى الجن ، وهم من عالم ما وراء الطبيعة ، فقد امتَنَّ الله على داوود عليه السلام بتسْخير الجن له ، يعملون له الأعمـال الإنشائيــة الشاقــة ، سواء أكانت للأغراض الحربية أو المدنية ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ سبأ ١٢ و ١٣

فكانوا يدَّعون علمَ الغيب ، فأراد الله أن يُبطِل دعواهم ويردَّ كيدَهـم إلى نُحورهـم ، فلما استعْمَلهم داوود فى بناء بيت المقدس وحَانَ أجَلهُ وأعْلمَه الله به سأل رَبَّه أن يُعَمِّىَ عنهم موتَه حتى يفْرغوا من البناء ولتَبْطل دعواهم علمَ الغيب ، فقـام يصلى مُتَّكِئــاً على عصاه فى مُصَــلاهُ ، فقُبضت روحـه وهـو متكـىء عليها ، فبقـى كذلك ، وهم فيما أمروا به من الأعمال حتى أكلت الأرَضَــةُ عصاه فَخَرَّ ميتـا ، وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه كلما صلى ، وصدق الله إذ يقول :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ المهين﴾ سبأ : ١٤

وهكذا ظل الجن مسخرين يعملون فى بناء بيت المقدس معتقدين أن داوود عليه السلام مازال على قيد الحياة حتى ظهرت لهم الحقيقةُ على يَدِ دُوَيْبَةٍ صغيرة هى الأرضة التـى تسلَّلت إلى المنسأة (العصا) التى يتكىء عليها نبى الله داوود فأكلت منها حتى ضعفت عن حمل جسده فخـر على الأرض ميتا ، عندئذ أدرك الجن زَيْفَهُمْ وأنهم لا يعلمون من الغيب شيئاً ، إنما علم الغيب لله وحده ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ (ســورة الجن)

(جـ) الجراد والقُمَّل لتأديب قوم فرعون :

حينها تطاول قوم فرعون على نبى الله موسى ـ عليه السلام ـ وأنهم لم ولن يستجيبوا لدعوته لأنها فى نظرهم سحر ووهم ، على حَدِّ ما سجله القرآن عليهم فى هذا الشأن فى قول الله ـ تعالى ـ

﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف : ١٣٢

فكان أنْ شَدَّدَ الله عليهم وابتلاهم بالجدْب والقحط ، وكان للحشرات دورٌ هام كوسيلةٍ من وسائل ردْعهم وبخاصة وأن ملكهم فرعون قد تطاول على مقام الألوهية والرُّبُوبِيَّةِ ، فقال :

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ النازعات : ٢٤

وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ القصص : ٣٨

وشايَعَهُ قومُه فى هذا السَّفه ، حيث استخف بعقولهم فأطاعوه على نحو ما سجله القرآن عليهم فى قول الله تعالى :

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ الزخرف : ٥٤

ولم ينتهِ به السُّخْف إلى هذا الحد بل أراد أن يحمل نبى الله موسى عليه السلام على عبادته كَرْهًا ، وتهديده بالسَّجن على غِرَار ما يفعل المجرمون ، حيث قال :

﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ الشعراء : ٢٩

فسلَّط الله عليهم وسائلَ العقاب على نحو ما ورد فى قوله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعراف

فأكل الجراد زروعهم وثمارهم ، كما سلط الله عليهم القُمَّل ، قيل : أنه السوس (حشرات تصيب المواد المخزونة) فأجهز على مدخراتهم من المواد الغذائية ، فإذا كان الجراد قد أكل ما كان من الزروع قائما فان السوس قد أتى على ما كان منها مدَّخرا ، وقيل : ان القُمَّلَ هو القَمْلُ المشهور المعروف وهو يتطفل خارجيا على جسم الإنسان فمنه قمل الرأس وقمل العانة وقمل الجسم ، فكان يدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمتص دماءهم ، وسواء أريد به السوس أو القَمْل الحقيقى فتلك أنواع من الحشرات سلطها الله عليهم لعلهم يتوبون ويرجعون . يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الزخرف

ولما كان الجرادُ غيرَ مُتَوَطن بمصر ساغَ التعبيرُ بإرساله ضمنَ هذه المُرسلات ، وتلك سنة من الله تعالى حينما يوجه شيئاً من البلاء لتعذيب العاصين ، والنصوص فى هذا الشأن مُتضافِرَةٌ ومُتَوَافِرَة يقول الله تعالى فى شأن أصحاب الفيل :

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ الفيل : ٣

ويقول فى شأن عاد قوم هود :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ القمر : ١٩

وفى شأن قوم صالح :

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴾ القمر : ٢٧

كما أرسل عليهم الصيحة لهلاكهم :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ القمر : ٣٠

ويقول فى شأن قوم لوط :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ القمر : ٣٤

كما يعبر القرآن أحيانا عن إرسال هذه الوسائل العقابية بالقذف بها فى صورة موحية بالشدة والقسوة ، يقول تعالى :

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنبياء

(د) البعوض يدْمغ باطل النمرود :

ذكر الواحدى فى تفسيره الوسيط ، أن النمرود ابن كنعان هو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الأرض وادَّعى الربوبية(٢) .

كما ذكر الحافظ بن كثير فى تفسيره ، أن بعوضةً دخلت فى منخرى النمرود حتى أهلكه الله بها(٣) وإن كان فى النص مبالغة ، حيث ذكر أن البعوضة بقيت فى منخره أربعمائة سنة ، كما ذكر غيره تلك الواقعة بدون تحديد مدة لمكث البعوضة فى رأسه .

وعلى أى حال فَإِنَّ هذه البعوضة تمثل قذيفة إحيائيةً حيَّةً قذف بها الله رأسَ ذلكم الطاغية فأصابت دماغه (مخه) صاحبَ الفكر المنحرف المنجرف الذى قاد صاحبه إلى النكـــران والكفران ، بدلا من أن يقوده إلى اليـــقين والإيمان ، وستظل ترسانةُ الخلاق العليم مليئةً بهذه القذائف وغيرها أشكالا وألواناً لردْع الظالمين الطامحين الجامحين ، وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ هود : ٨٣

(هـ) الذباب يُذِل الله به الجبابرة :

ورد فى روضة الأخبار أن المأمون خطب ذات مرة فوقع ذباب على عينه فطرده فعاد الذباب مراراً حتى قطع عليه الخطبة ، فلما صلى أحضر أبا هزيل ــ شيخ البصريين فى الاعتزال ــ فقال له : لم خلق الله الذباب ؟ قال : ليذل به الجبابرة . قال : صدقت ، وأجازه بمال .

(و) الدَّبَرُ يحمى جثمانَ عاصم بن ثابت الأنصارى :

أورد ابن هشام فى سيرة النبى ــ ﷺ ــ أن عاصم بن ثابت الأنصارى ــ الصحابى المجاهد ــ قتل يوم الرَّجيع ، فأرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من « سلافة بنت سعد » أى ليبيعوه لها ، وكانت قد نذرت حين أصاب عاصم ابنيها يوم أحد ، لئن قدرت عليه لتشربن فى قحف رأسه الخمر ، فمنعه الدبر (الزنابير أو النحل) ، فلما حال بينهم وبينه قالوا : دعوه (أى الدبر) حتى يمسى فتذهب عنه ؛ فنأخذه فبعث الله الوادى (أى المطر الذى يسيل فى الوادى بغزارة) فاحتمل عاصما فذهب به ، وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك أو يمس مشركاً أبداً اتقاء للنجاسة ، فالمشركون نجس لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ التوبة : ٢٨

فكان عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ يقول حين بلغه ذلك : (يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته) . **ولهذا أطلق على عاصم ــ رضى الله عنه ــ حَمِيُّ الدَّبَر** . وتلك آية من آيات الله فى حفظ عباده وأوليائه ، كان للحشرات فيها دور الذَّوْدِ عن المؤمنين يوم أن صعدت الروح إلى بارئها ، إشارة إلى ضعف كيد الكافرين .

---

(٢) التفسير الوسيط للواحدى جـ ١ ص ٣٦٨ ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٣) ابن كثير جـ ١ ص ٣١٣ .

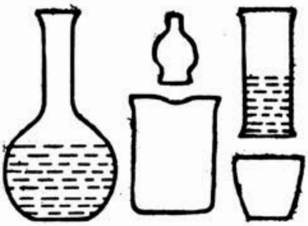

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد/ د. نجوى السيد أحمد

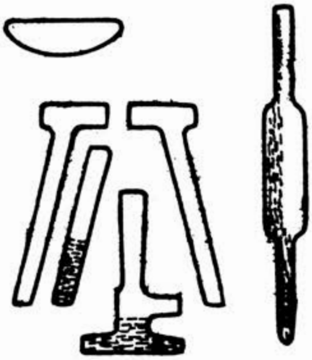

أحدث « كاميرا » للتصوير

فى أعمـــاق البحـــار

ابتكرت احدى الشركات اليابانية أحدث « كاميرا » متطورة للتصوير تحت الماء فى أعماق البحار ، وهى مزودة بغوالق عدسات متطورة تجعلها مقاومة للماء على عمق ٣٢٨ قدم تحت سطح الماء دون حماية خارجية ، وبنظام انعكاس صور تلقائى دقيق وعدسة إضافية تتيح للغواص معرفة ما ستشتمل عليه الصورة بوضوح ، بالإضافة إلى ٣ عدسات قابلة للتبادل ومقربة للمسافات تحت الماء . وتعتبر الأولى من نوعها فى العالم .

إنتاج مدفأة جديدة
من الزجاج البركانى

توصلت شركة ألمانية إلى إنتاج مدفأة تتميز بأنها سهلة التركيب ورخيصة التكاليف وتوفر الكثير من الطاقة وأكثر كفـاءة من المدافىء التقليدية . وتتكون المدفأة من ١٧ قطعة هندسية أساسها صندوق النار ، وتركب هذه القطع معاً باستخدام لاصق يتحمل الحرارة العالية وبعد ذلك يُغطى صندوق النار بالطوب الحرارى المخصص لجدران الأفران .

قطع المدفأة مصنوعة من الزجـاج البركانى الخفيف والـذى يستخـدم عادة فى الصقـل ، وكثافته عالية وله قدرة عالية على امتصاص الحرارة ومن ثم يوفرها للتدفئة بدلا من استهلاكها ، وهو غير قابل للتشقق بفعل الحرارة وأكثر مقاومة للنار من الطوب الحرارى أو المعادن .

أســلوب جديــد
لمكافحـة الســرطان

توصل الباحثون الأمريكيون إلى أسلوب جديد لمكافحة مرض السرطان قد يمكنهم فى النهاية من إزالة كل الأورام الخبيثة .

ويعتمد هذا الأسلوب على تصنيع عقاقير من بعض الخلايا المريضة بجسم المصاب وهى عملية تشبه اللقاح التقليدى حيث يتم استخدام العنصر المسبب للمرض فى مكافحة الفيروس أو البكتريا .

وقد تم تطبيق هذا الأسلوب على تسع مريضات مصابات بسرطان الغدد الليمفاوية ، واستطاع هذا العلاج أن يقضى تماماً على أى أثر للأورام التى يصل قطرها إلى سنتيمترين ونصف سنتيمتر عند مريضتين بينما أصبحت أجهـزة المناعة عنـد المريضات الأخريات مهيأة لمهاجمة أى أورام أخرى خبيثة .

بقعـة بيضـاء على
سـطح كوكـب زحـل

التقط تلسكوب الفضاء « هابل » صوراً لبقعة بيضاء كبيرة على سطح كوكب زحل وقـارن العلماء هذه البقعة بالبقعة الحمراء التى توجد على سطح كوكب المشترى ، وقد وصف العلماء هذه البقعة بأنها تشكيل كثيف من السحب تنتشر بسرعة عبر وجه زحل ، ويبدو مظهرها مشعاً وقد انتشرت هذه البقعة بسرعة ١٦٠٠ كيلومتر فى اتجاه مركز الكوكب ، وهى تعطى الآن نصف الكوكب الذى يبلغ حجمه عشرة أضعاف حجم الكرة الأرضية ، ويختلف عن الكرة الأرضية فى أنه جسم سائل ولذا فمن المحتمل أن تكون هذه السحابة هى مواد تخرج تدريجياً من أعمـاق الكوكب .

ضــمادات للقــدم
مـن البلاســتيك

أنتجت شركة بريطانية جهازاً جديداً يستخدم ضمادات بلاستيكية تحتوى على الهواء لتنشيط دورة الدم فى الأقدام العاجزة عن الحركة فى أعقاب العمليات الجراحية أو بسبب المرض ، والجهاز الجديد يقوم بضخ الهواء فى الضمادة وتفريغها منه كل ثلاث ثوان حيث يقوم الضغط المتولد عن النفخ بالضغط على أوردة القدم فتدفع الدم إلى الساق ومنها إلى القلب .

عدسة لاصقة للأذن لعلاج ضعف السمع

طورت إحدى الشركات الأمريكية فى كاليفورنيا وسائل جديدة لضعاف السمع الذين يريدون إخفاء هذا العيب عن الآخرين ، أطلقت عليه اسم « عدسة الأذن اللاصقة » . تتكون العدسة من ثلاثة أجزاء والجزء الأوسط منها محول للطاقة قطره يساوى نصف قطر عدسة العين اللاصقة ويقوم الطبيب بلصقه بطبلة الأذن . ويمكن ارتداء جهاز السمع الجديد بصورة مستمرة كما يمكن إزالته بسهولة عند الحاجة . كما يعلق بملابس الشخص ميكروفون صغير يقوم بالتقاط الأصوات ثم ينقلها إلى ملف يعمل ببطارية حيث تحول المدارات الإلكترونية المتصلة بالملف الصوت إلى تيار متذبذب يولد مجالا مغناطيسياً خلال دورانه ويشكل محولا للطاقة فتتذبذب الطبلة .

رمال الشواطىء لصناعة الساعات الرقمية ونوافذ السيارات

اكتشف الباحثون فى إحدى الجامعات الأمريكية طريقة بسيطة وغير مكلفة لصناعة نوافذ السيارات من رمال الشواطىء حيث تم تحويلها إلى مركبات كميائية يمكن استخدامها فى أغراض كثيرة مثل : توصيل التيار الكهربى وتصنيع منتجات خاصة بنوافذ السيارات وبعضها يعمل كالبلّورات السائلة التى تدخل فى صناعة الساعات الرقمية . يقوم الباحثون باستبدال مادة السيليكا فى الرمال ببعض المركبات المشتقة من البترول الخام حيث تنشىء سلسلة كيميائية طويلة من الجزئيات التى تكون المواد « المتبلمرة » العادية ، وتتم إذابة الرمال فى الكحول ومحلول قلوى يتم تسخينه لبضع ساعات فى درجة حرارة عالية فينتج مسحوق أبيض « متبلمر » يتفوق على بعض المواد المستخدمة حالياً ، والتى يدخل الكربون فى تركيبها وتستهلك العملية طاقة أقل من المعتاد .

الكمبيوتر لزراعة بعض النباتات فى الفضاء

يجرى علماء وكالة الفضاء فى أمريكا تجاربهم لزراعة الخضروات فى الفضاء حيث يُستعمل معمل عبارة عن وعاء دائرى ضخم ، ويتحكم الكمبيوتر فى معدلات الضوء والحرارة والماء وكذلك الأسمدة والغازات التى تملأ جو المعمل . وتجرى زراعة النباتات فى أوعية خاصة يمكنها الحفاظ على النباتات المزروعة ومنعها من الطفو فى الفضاء عندما تصل إلى منطقة انعدام الجاذبية ، كما تسع الأوعية سنتيمتراً واحداً من السوائل وتغطى جذورها رقائق بلاستيكية ويتم تجميع المياه المستعملة لتعاد الاستفادة منها مرة أخرى . وقد وجد العلماء أن النباتات تنمو أسرع وفى فترة أقصر فى هذه الأوعية حيث نجحت زراعة أنواع صغيرة من الخس والبطاطس وفول الصويا والقمح والأرز والجزر . كما تم تجربة زراعة بعض المحاصيل فى تربة تتكون من مزيج من الصخور البركانية ومسحوق الزجاج وهى تربة تشابه فى تركيبها تربة القمر ، وقد اكتشفوا أن الخس والقمح من النباتات التى تنمو جيداً فى مثل هذه التربة .

البحث النحوى عند الإمام النووى

فى ضوء كتابه صحيح مسلم بشرح النووى

إعداد : د. محمد عبد القادر هنادى

مقدمــة :

هذا بحث يتناول جانباً من جوانب الدراسات الحديثية النحوية التى تفتقر إليها مكتبتنا اللغوية جعلته بعنوان : « البحث النحوى عند الإمام النووى فى ضوء كتابه (صحيح مسلم بشرح النووى) » ، وقد جعلته فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ثقافة الإمام النووى اللغوية .

المبحث الثانى : الاحتجاج النحوى بالحديث النبوى وآثار الصحابة .

المبحث الثالث : منهج الإمام النووى فى البحث النحوى .

المبحث الأول : الإمام النووى وثقافته اللغوية :

الإمام النووى هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامى النووى منسوب إلى « نوا »[1] ، وأما لقبه فقد لقب (بمحيى الدين) ، وكان يكره أن يلقب به تواضعاً لله ـ تعالى ـ وكانت ولادته ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ٦٣١ هـ ، ووفاته سنة ٦٧٦ هـ .

أتقن الإمام النووى علوماً كثيرة ، وبرع فيها ، ومنها علم الفقه والحديث ، ويدل على ذلك المصنفات التى تركها فى هذين العلمين ،

(١) ونوا : بليدة من أعمال حوران بالجولان .

ومن أشهرها كتاب « المجموع شرح المهذب » فى الفقه ، و « شرح مسلم » فى الحديث . وكما برع الإمام النووى فى العلوم الشرعية ؛ فإنه كان أيضاً ذا ثقافة لغوية ونحوية واسعة ، ومما يؤكد ذلك ويبينه الدلائل التالية :

(أ) لقد أثنى عليه العلماء الذين ترجموا له ، وشهدوا بثقافته اللغوية ، قال عنه (ابن قاضى شهبة) فى كتابه « طبقات النحاة واللغويين » : أبو زكريا النووى الفقيه ، الحافظ النحوى اللغوى ، شيخ الإسلام ، صاحب التصانيف المشهورة ، « كان إماماً فى اللغة والنحو »(٢) ، وقال عنه الذهبى : « كان ـ مع تبحره فى العلم ، وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة وغير ذلك بما قد سارت به الركبان ـ رأساً فى الزهد ، وقدوة فى الورع »(٣) .

ومن العلماء الذين شهدوا بثقافته اللغوية ، محمد بن الحسن اللخمى قال عنه ـ رحمه الله : « كان عالماً بالفقه وفروعه .. مدققاً فى الحديث ، عالماً بصحيحه وحسنه ، وسقيمه وغريبه وأحكامه ، عارفاً بلغته وأسماء رجاله ، محققاً فى الألفاظ المشكلة ، عارفاً بفن التصريف وفن العربية واللغة ، كثير النقل منهما ، عارفاً بالأصلين معرفة جيدة ، وبالقراءات السبع وغيرها ، كثير الخبرة بمذاهب العلماء المشهورة والمهجورة ، لين القلب ، سالكاً طريق السلف فى الزهد فى الدنيا ، والمبالغة فى الخشوع والورع .. »(٤) .

(ب) ومما يؤكد تبحره واتقانه لعلوم اللغة العربية كتبه ومصنفاته ، ومنها : كتابه « شرح صحيح مسلم » ، فقد ثبت لى من خلال قراءتى لهذا الكتاب أن الإمام النووى كان عالماً بمذاهب العلماء فى المسائل النحوية والصرفية ، ومتتبعاً لدقائق اللغة وغريبها ، وهذا ما ذكرته مفصلا فى هذا البحث .

ومن المؤلفات التى تظهر سعة ثقافته اللغوية كتابه القيم « تهذيب الأسماء والصفات » ، ويمتاز بذكر الأسماء وضبطها ، وذكر اللغات صحيحها وضعيفها ومُوَلَّدَها ، وقد قال عنه النووى ـ فى المجموع : « قد بينت ذلك فى تهذيب الأسماء واللغات بياناً حسناً ، وهو كتاب جليل لا يستغنى طالب من العلوم عن مثله »(٥) .

ومن تلك المؤلفات التى تؤكد عمق ثقافته اللغوية كتاب « التحرير فى ألفاظ التنبيه »(٦) ، والمقدمة التى كتبها النووى تظهر أهمية هذا الكتاب ، قال ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن ذكر قيمة كتاب التنبيه : « والنوع الثانى بيان لغاته ، وضبط ألفاظه ، وبيان ما ينكر مما لا ينكر ، والفصيح من غيره ، وقد استخرت الله تعالى الكريم الرؤوف الرحيم فى جمع مختصر أذكر فيه إن شاء الله تعالى اللغات العربية والمعربة ، والألفاظ

---

(٢) طبقات النحاة واللغويين ـ ابن قاضى شهبة .
(٣) العبر ٣١٢/٥ .
(٤) السخاوى ٥٦ ـ ٥٧ .
(٥) المجموع ١١٢/١ .
(٦) كتاب التنبيه لأبى اسحاق الشيرازى .

المولدة ، والمقصورة والممدودة ، وما يجوز فيه المذكر والمؤنث ، والمجموع والمفرد والمشتق ، وعدد لغات اللفظة ، وأسماء المسمى الواحد المترادفة ، وتعريف الكلمة ، وبيان الألفاظ المشتركة ومعانيها ، والفروق بينها ، وما اختلف فيه أنه حقيقة أو مجاز ، وما يعرف مفرده ، ويجهل جمعه وعكسه ، وماله جمع ، وماله جموع ، وما يكتب بالواو والياء والألف ، وما قيل جوازه بوجهين أو ثلاثة كالربا ، وأنبه فيه على جمل من مهمات قواعد التصريف المتكررة ، وأذكر فيه جملا من الحدود الفقهية المهمة ... والفرق بين المتشابهات كالهبة والهدية وصدقة التطوع ، وكالرشوة والهدية ، وما قد يلحن فيه ، وما أنكر على المصنف عنه جواب ، وما لا جواب عنه ، وما غيره أولى منه ، وما هو صواب وتوهم جماعة أنه غلط ، وما ينكر من جهة نظم الكلام وتداخله ، والعام والخاص وعكسه ، وبيان جمل مهمة ضبطناها عن نسخة المصنف وهى صواب ، وفى كثير من النسخ خلافها ، وبيان ما أنكر الفقهاء وليس منكراً ، وبيان جمل من صور المسائل المشكلة مما له تعلق بالألفاظ ، وغير ذلك من النفائس المهمات كما ستراها فى مواضعها – إن شاء الله تعالى – واضحاً »[٧] .

وقد أشار ابن قاضى شهبة إلى أهمية هذين الكتابين من الناحية اللغوية فقال : « وصنف – أى النووى – تهذيب الأسماء واللغات وتركه مسودة ، وهو يدل على تبحره فى علم اللغة ، وكذلك كتابه (التحرير على كتاب التنبيه) فذكرته بسبب ذلك »[٨] .

ومن كتبه التى تظهر سعة ثقافته اللغوية كتاب « المجموع شرح المهذب » للإمام أبى إسحاق الشيرازى ، وهو من أعظم الكتب الفقهية فى مذهب الإمام الشافعى – رحمه الله تعالى – وقد اشتمل على فوائد عظيمة فى علم اللغة والحديث والأصول وغيرها ، قال عنه العماد ابن كثير فى طبقات الشافعية : « سلك النووى فيه طريقة حسنة مهذبة سهلة جامعة لأشتات الفضائل ، وعيون المسائل ، ومجامع الأوائل ، ومذاهب العلماء ، ومفردات الفقهاء ، وتحرير الألفاظ ، ومسالك الأئمة الحفاظ ، وبيان صحة الحديث من سقمه ، ومشهوره من عكسه ، فهو بالجملة كتاب ما رأيت على منواله لأحد من المتقدمين ، ولا حذا على مثاله متأخر من المصنفين » .

(جـ) ومما يؤكد ثقافة النووى اللغوية الشيوخ الذين أخذ عنهم العربية ، ويأتى فى مقدمتهم ابن مالك صاحب الألفية – رحمه الله تعالى – وقد ذكر ذلك ابن قاضى شهبة فى كتابه « طبقات النحاة واللغويين » ، وذلك بقوله : « كان – أى النووى – إماماً فى اللغة ، قرأ ذلك على الشيخ جمال الدين بن مالك ، ونقل عنه فى تصانيفه »[٩] . ووجدته يشير إلى ابن مالك فى كتابه « شرح صحيح مسلم » فى مواضع عدة منها

---

(٧) مخطوط (تحرير ألفاظ التبينه ورقة « ١ ») .

(٨) طبقات النحاة واللغويين ، ابن قاضى شهبة .

(٩) طبقات النحاة واللغويين .

قوله فى شرح حديث الرسول ﷺ : « لايبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل منه »(١٠) : « الرواية (يغتسل) مرفوع ، أى لاتبل ثم أنت تغتسل منه ، وذكر شَيْخُهُ أبو عبدالله بن مالك رضى الله عنه أنه يجوز أيضاً جزمه عطفاً على موضع (يبولن) ، ونصبه بإضمار (أن) وإعطاء (ثم) حكم واو الجمع »(١١) .

ومن تلك المواضع التى ذكر فيها شيخه ابن مالك قوله فى شرح حديث الرسول ﷺ : « غيرُ الدَّجَّالِ أخوفُنى عليكم » هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا « أخوفنى » بنون بعد الفاء ، وكذا نقله القاضى عياض عن رواية الأكثرين ، قال : ورواه بعضهم بحذف النون ، وهما لغتان صحيحتان ، ومعناهما واحد ، قال شيخنا الإمام أبو عبدالله بن مالك – رحمه الله تعالى – : « الحاجة داعية إلى الكلام فى لفظ الحديث ومعناه ، فأما لَفْظُهُ لكونه تضمن ما لا يعتاد من إضافة (أخوف) إلى (ياء) المتكلم مقرونة (بنون الوقاية) ، وهذا الاستعمال إنما يكون من الأفعال المتعدية ، والجواب : أنه كان الأصل إثباتها ، ولكنه أصل متروك ، فنبه عليه فى قليل من كلامهم .. »(١٢) .

ومن شيوخه أيضاً فى النحو واللغة : أحمد بن سالم المصرى(١٣) ، وقرأ عليه (الكتاب) لسيبويه(١٤) ، والفخر المالكى ، وقد قرأ عليه (اللمع) لابن جنى(١٥) .

ومما يدل لك على حبه علوم العربية أنه كان فى أول عهده يقرأ كل يوم اثنى عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً ، درسين فى (الوسيط) ، وثالثاً فى (المهذب) ، ودرساً فى الجمع بين الصحيحين ، وخامساً فى (صحيح مسلم) ، درساً فى اللمع لابن جنى فى النحو ، ودرساً فى (إصلاح المنطق) لابن السكيت فى الفقه ، ودرساً فى التصريف ودرساً فى أصول الفقه ، تارة فى اللمع لأبى اسحاق ، وتارة فى (المنتخب) للفخر الرازى ، ودرساً فى أسماء الرجال ، ودرساً فى أصول الدين(١٦) . هذا عن ثقافته اللغوية فماذا عن مصادره فيها ؟

لقد تعددت مصادر الإمام النووى فى كتابه (شرح صحيح مسلم) من كتب فى التفسير والفقه والحديث والفقه والنحو ، والذى يهمنى فى هذا البحث أن أستعرض مصادره النحوية ، وأسماء العلماء الذين أخذ عنهم ، ويمكننى أن أجمل ذلك فيما يأتى :

١ – نقل عن سيبويه – رحمه الله – فى مواضع كثيرة ، أنه أثنى عليه ثناءً عظيماً ، فجعله حينا (سيبويه العرب) ، وجعله حيناً آخر (إمام العربية) ، من ذلك ما رواه مسلم أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : « سَمِعَ أُذُنَايَ من رسولِ اللهِ ﷺ : مَنِ ادَّعى أبَاً فى الإسلامِ غيرَ أبيهِ يعلمُ أنهُ غيرُ أبيهِ فالجنةُ عليه حَرَامٌ » ، قال النووى

---

(١٠) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٨٧/٣ .

(١١) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٨٧/٣ .

(١٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٤/١٨ .

(١٣) قال عنه الذهبى : ماهر بالعربية ، محقق فيها ، توفى سنة ٦٦٤ هـ .

(١٤ ، ١٥) تحفة الطالبين .

(١٦) تذكرة الحفاظ ١٧٠/٤ – والسخاوى ، ص٦ .

ـ رحمه الله ـ : « وأما قول سعد (سمع أذناى) فهكذا ضبطناه (سمع) بكسر الميم ، وفتح العين ، و (أذناى) بالتثنية .. وحكى القاضى عياض أن بعضهم ضبطه بإسكان الميم ، وفتح العين على المصدر ، و « أذنى » بلفظ الإفراد ، قال : وضبطناه من طريق الجيانى بضم العين مع إسكان الميم ، وهو الوجه ، قال (سيبويه العرب) تقول : سمع أذنى زيداً يقول كذا »[17] .

وتحدث عن مجيء « زعم » بمعنى القول المحقق ، وذلك فى شرح حديث أنس بن مالك عندما جاء أعرابىٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال : « يا محمدُ أتانا رسولُكَ فزعمَ لنا أنكَ تزعُمُ أنَّ اللهَ أرسَلكَ » . قال النووى : قوله (زعم) و (تزعم) مع تصديق رسول الله ﷺ إياه دليل على أن (زعم) ليس مخصوصاً بالكذب والقول المشكوك فيه ؛ بل يكون أيضاً فى القول المحقق .. وقد أكثر (سيبويه) وهو إمام العربية فى كتابه الذى هو إمام كتب العربية من قوله : زعم الخليل ، زعم أبو الخطاب ، يريد بذلك القول المحقق »[18] .

ومما نقله عن سيبويه ما ذكره لدى شرح قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ : « كَانَ إحدَانَا إذا كانت حَائِضاً أَمَرَها رسولُ اللهِ ﷺ أنْ تَأْتَزِرَ فى فَوْرِ حَيضها »[19] ، قال رحمه الله : « قول عائشة (كان إحدانا) من غير تاء فى (كان) وهو صحيح ، فقد حكى سيبويه فى كتابه فى باب « ما جرى من الأسماء التى هى من الأفعال وما أشبهها من الصفات مجرى الفعل ، قال : وقال بعض العرب : قال امرأة ، فهذا نقل الإمام هذه الصيغة أنه يجوز حذف التاء من فعل ماله فرج من غير فصل ، وقد نقله أيضاً الإمام أبو حسين بن خروف فى شرح الجمل »[20] .

ومن المواضع التى نقل فيها عن سيبويه ما ذكره فى تفسير قوله تعالى « ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ »[21] ، حيث قال ـ رحمه الله ـ : « قال أهلُ العربية : معناه أى شيء لكم فى الاختلاف فى أمرهم ، و « فئتين » معناه « فرقتين » ، وهو منصوب عند البصريين على الحال ، قال سيبويه : إذا قلت مالك قائماً ، معناه : لم قمت ؟ ونصبته على تقدير أى شيء يحصل لك فى هذا الحال »[22] .

٢ ـ ومن علماء المدرسة النحوية الكوفية الذين نقل عنهم الكسائى والفراء فمن المواضع التى نقل فيها عن الكسائى ما رواه مسلم عن أبى هريرة قال : « كُنَّا قُعُوداً حولَ رسولِ الله ﷺ معَنا أبو بكرٍ وعُمَرُ فى نَفَرٍ » ، قال النووى : قوله (معنا) بفتح العين ، هذه اللغة المشهورة ، ويجوز تسكينها فى لغة ، حكاها صاحب المحكم والجوهرى وغيرهما .. قال الكسائى : ربيعة وغنم يسكنون فيقولون : (معْكم) و (معْنا)[23] .

ونقل عن أبى زكريا الفراء فى مواضع عدة ،

---

(١٧) صحيح مسلم بشرح النووى ، ٥٣/٢ .

(١٨) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٧٠/١ .

(١٩) وقت كثرة الحيض .

(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى ، ٢٠٣/٣ .

(٢١) سورة النساء ٨٨ .

(٢٢) صيح مسلم بشرح النووى ١٢٢/١٧ .

منها ما ذكره فى قول حذيفة ـ رضى الله عنه ـ : « إنَّ أميرَ المؤمنينَ ـ أى عمر ـ قالَ أَمْسِ لَمَّا جلستُ إليه » ، قال النووى : فى (أمس) ثلاث لغات ، قال الجوهرى : (أمس) اسم حرك آخره لالتقاء الساكنين ، واختلف العرب فيه ، فأكثرهم يبنيه على الكسر معرفة ، ومنهم من يعربه معرفة ، وكلهم يعربه إذا دخلت عليه الألف واللام ، أو صيره نكرة ، أو أضافة ، تقول : مضى الأمس المبارك ، ومضى أمسنا ، وكل غد صائر أمسا ، قال الفراء ومن العرب من يخفض (الأمس) وإن أدخل عليه الألف واللام »[24] .

٣ ـ ومن النحاة الذين نقل عنهم النووى العكبرى وابن السراج والفارسى وأبو بكر الأنبارى ، وسأختار لكل واحد منهم نصاً واحداً للاستشهاد على ذلك .

فمما نقله عن العكبرى حديثه عن قول رسول الله ﷺ على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ : « إنّما كنتُ خليلاً مِنْ وراءَ وراءَ » .

قال النووى : وأما ضبط (وراءَ وراءَ) فالمشهور فيه الفتح بلا تنوين ، ويجوز عند أهل العربية بناؤهما على الضم ، وقد جرى فى هذا كلام بين (أبى الحافظ الخطاب بن دحية) ، و (الإمام الأديب أبى اليمن الكندى) ، فرواهما ابن دحية بالفتح وادعى أنه الصواب ، فأنكره الكندى ، وادعى أن الضم هو الصواب ، وكذا قال أبو البقاء ـ أى العكبرى ـ الصواب : الضم لأن تقديره : من وراء ذلك ، أو من وراء شىء آخر »[25] .

ومن نقوله عن ابن السراج ما ذكره فى قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ وقد سئلت : « هل رأى رسولُ الله ﷺ رَبَّهُ ، قالت : سبحانَ اللهِ لقد قَفَّ[26] شَعْرِى لِمَا قُلْتَ » ، قال النووى : أما قولها (سبحان الله) فمعناه التعجب من جهل مثل هذا ، وكأنها تقول : كيف يخفى عليك مثل هذا ، ولفظه : (سبحان الله) لإرادة التعجب كثيرة فى الحديث وكلام العرب .. وممن ذكر من النحويين أنها من ألفاظ التعجب أبو بكر ابن السراج وغيره »[27] .

ومن نقوله عن أبى على الفارسى ما ذكره لدى حديثه عن قول رسول الله ـ ﷺ ـ : « رَأَيْتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ » فقال : « هو بنصب (أكثرَ) على أن هذه الرؤية تتعدى إلى مفعولين ، أما على الحال على مذهب ابن السراج وأبى على الفارسى وغيرهما ممن قال : إن (أفعل) لا يتعرف بالإضافة »[28] .

أما أبو بكر بن الأنبارى فقد نقل عنه فى مواضع عدة منها أنه عندما تحدث عن اسم الفعل (أفّ) قال : « فى أف » عشر لغات ، أُفِ ، وأُفَّ ، وأُفُ بغير تنوين وبالتنوين ، فهذه الستة ، والسابعة (إِفَ) بكسر الهمزة وفتح الفاء ، والثامنة : (أُفْ) بضم الهمزة وإسكان الفاء

---

(٢٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٣٤/١ .
(٢٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٥/٢ .
(٢٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٧١/٣ .
(٢٦) قام شعرى من الفزع .
(٢٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٠/٣ .
(٢٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٦/٢ .

والتاسعة : (أُفِّى) بضم الهمزة وباليــاء ، و (أفه) بالهاء ، وهـذه اللغات مشهـورات ذكرهـن كلهـن ابـن الأنبـارى وجماعـات من العلماء ، ودلائلها مشهورة ، ومن أخصرها ما ذكره الزجاج وابن الأنبارى »[29] .

المبحث الثانى : الاحتجاج النحوى بالحديث النبوى وآثار الصحابة

ويتضمن قسمين :

القسم الأول : الاحتجـاج بالحديث النبوى .

القسم الثانى : الاحتجاج بآثار الصحابة .

القسم الأول : الاحتجاج النحوى بالحديث النبوى

أولا : فى باب الأفعال :

١ ـ ذهب الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ إلى جواز إظهار ضمير الجمع والتثنية فى الفعل إذا تقدم على (لغة بنى الحارث) وغيرهم من القبائل العربية ، واستشهد على صحة هذه اللغة بطائفة من أحاديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ، ومنها ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال : ﴿ **يتعاقبونَ فيكم ملائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنهارِ ، ويجتمعونَ فى صلاةِ الفجرِ وصلاةِ العصرِ ...** ﴾ .

قال[30] فى شرح هذا الحديث : فيه دليل لمن قال ـ من النحويين ـ : يجوز إظهار ضمير الجمع والتثنية فى الفعل إذا تقدم وهو (لغة لبنى الحارث) ، وحكوا فيه قولهم « أكلونى البراغيث » ، وعليه حمل الأخفش ومن وافقه قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[31] .

ومن الآثار التى احتج بها على جواز اتصال الفعل بعلامة الجمع والتثنية مع إسناده إلى الفاعل الظاهر ما رواه مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « ذَكَرْنَ أزواجُ النبىِّ ﷺ كنيسةً رَأَيْنَهَا بأرضِ الحبشةِ يُقَالُ لها : مَارِيةُ »[32] . قال رحمه الله ـ تعالى ـ شارحاً هذا الأثر : قولها (ذكـرن أزواج النبى ﷺ) هكـذا ضبطنـاه (ذكرْنَ) بالنون ، وفى بعض الأصول بالتاء ، والأول أشهر وهو جائز على تلك اللغة القليلة (لغة أكلونى البراغيث)[33] .

وما أجازه الإمام النـووى فى هذه المسألـة النحوية هو الصواب ، وذلك لورود هذه اللغة الصحيحة فى طائفة من أحاديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ، وقد فصلت ذلك فى بحث مستقل جعلته بعنوان (لغة أكلونى البراغيث) كما جاءت فى صحيح البخـارى ومسلم ، ولا يلتفت بعد ذلك إلى من وصف هذه اللغة الصحيحة الفصيحة الثابتة بالضعف أو الخطأ .

---

(٢٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢٥/٣ .

(٣٠) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٣٣/٥ .

(٣١) الأنبياء ٣ .

(٣٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها .

(٣٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١١/٥ ـ ١٢ ، وينظر فى بقية الآثار التى احتج بها فى الأجزاء التالية جـ ٢٧/٤ ، ١٤٧/٦ ، ٢٠٢/١٣ ، ٢١٢/١٥ .

٢ ـ احتج النووى بحديث الرسول ﷺ على جواز حذف النون من الأفعال الخمسة بغير ناصب ولا جازم ، ومن الأحاديث التى احتج بها على ذلك ما رواه مسلم أنه ﷺ قال للصحابة عندما قبضوا على غلام : (وأخذوا يسألونه عن أبى سفيان ، وأخذوا يضربونه) فقال ﷺ : (والذى نفسى بيدهِ لَتَضْرِبُوهُ إذا صَدَقكُمْ وتَتْرُكُوهُ إذا كَذَبَكُمْ)[٣٤] .

قال النووى : (هكذا وقع فى النسخ « تضربوه » و (تتركوه) بغير نون) ، وهى لغة سبق بيانها مرات ، أعنى حذف النون بغير ناصب ولا جازم[٣٥]) ، ومنها ما رواه مسلم فى (كتاب الإمارة) عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قيلَ ـ للنبىِّ ﷺ ـ : ما يَعْدِلُ الجهادَ فى سبيلِ اللهِ ـ عزَّ وَجَلَّ ـ قال : (لا تستطيعُوه)[٣٦] .

قال رحمه الله : (هكذا هو فى معظم النسخ (لا تستطيعوه) ، وفى بعضها (لا تستطيعونه) بالنون ، وهذا جار على اللغة المشهورة ، والأول صحيح أيضاً ، وهى لغة فصيحة حذف النون من غير ناصب ولا جازم ، وقد سبق بيانها ونظائرها مرات[٣٧] .

ومما ورد على هذه اللغة ما رواه مسلم أن فاطمة بنت قيس طلقها زوجها فأتت النبى ﷺ فقال لها : (اِعْتَدِّى فى بيتِ ابنِ عمكِ ابنِ أُمِّ مكتوم ؛ فإنهُ ضريرُ البصرِ تَلْقَىْ ثوبَكِ عندَهُ)[٣٨] ، قال ـ رحمه الله ـ فى شرح هذا الحديث : (هكذا هو فى جميع النسخ « تَلْقَىْ » ، وهى لغة صحيحة ، والمشهور فى اللغة « تلقين » بالنون)[٣٩] .

٣ ـ استشهد الإمام النووى بحديث الرسول ﷺ على جواز إثبات النون فى الأفعال الخمسة إذا سبقت بناصب أو جازم ، وجعله لغة صحيحة ، لكنها قياسا إلى حذف النون فيها لغة قليلة .

ومن الأحاديث التى استشهد بها ما رواه مسلم عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : « قالَ اللهُ عز وجلَّ : إن أُمّتَكَ لا يزالُونَ يقولونَ مَاكَذا ؟ ما كذا ؟ حتى يقولوا هذا اللهُ خَلَقَ الخَلْقَ فَمَنْ خلقَ اللهَ ؟ »[٤٠] .

قال النووى : (حتى يقولوا) هكذا فى بعض الأصول (يقولوا) بغير نون ، وفى بعضها (يقولون) بالنون ، وكلاهما صحيح ، وإثبات النون مع الناصب لغة قليلة ذكرها جماعة من محققى النحويين ، وجاءت متكررة فى الأحاديث الصحيحة »[٤١] .

ومن الآثار التى وردت على هذه اللغة الصحيحة ماروٰاه مسلم عن الأسود ومسروق أنهما دخلا على أم المؤمنين عائشة يسألانها : أكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُبَاشِرُ وهوَ صَائِمٌ[٤٢] ، قال النووى ـ شارحاً هذا الأثر : « كذا هو فى كثير من الأصول (لِيَسْأَلَانِهَا) باللام والنون ، وهى لغة قليلة ، وفى كثير من الأصول (يسألانها)

---

(٣٤) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة بدر .
(٣٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٢/١٢٥ ـ ١٢٦ .
(٣٦) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة فى سبيل الله .
(٣٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/٢٤ ـ ٢٥ .
(٣٨) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب المطلقة البائنة لا نفقة لها .
(٣٩) صحيح مسلم بشرح النووى ١٠/١٠٥ .
(٤٠) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الوسوسة فى الإيمان .
(٤١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٥٧ .
(٤٢) صحيح مسلم ، كتاب الصوم ، باب بيان أن القبلة فى الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته .

بحذف اللام ، وهذا واضح وهو الجارى على المشهور فى العربية »[٤٣] .

٤ ـ ذهب نحاة الأندلس إلى أن اقتران خبر (كاد) بـ (أن) مخصوص بالشعر ، ووصف ابن مالك ذلك بالقلة[٤٤] ، وأجازه الإمام النووى ، وجعله لغة صحيحة واردة فى حديث الرسول ﷺ واحتج على ذلك ببعض الأحاديث ، ومنها ما رواه مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهو يحدث عن نقض الكعبة وبنائها : (هل تدرينَ لِمَ كَانَ قومُكِ رَفعُوا بابَهَا ؟ قالت : قلتُ : لا ، قال تَعَزُّزاً ألّا يدخلها إلا مَنْ أرادُوا ، فكانَ الرجلُ إذا هو أرادَ أن يدخلَها يدعونَهُ يرتقى حتى إذا كادَ أن يدخلَ دفعوهُ فَسَقطَ)[٤٥] .

قال النووى : « قوله ـ ﷺ ـ حتى إذا كاد أن يدخل هكذا فى النسخ كلها (كاد أن يدخل) ، وفيه حجة لجواز دخول (أن) بعد (كاد) ، وقد كثر ذلك ، وهى لغة فصيحة ، ولكن الأشهر عدمه »[٤٦] .

ومما ورد أيضاً على هذه اللغة ما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن الرسول ﷺ قال ـ فى حديث طويل ، وهو يحدثهم عن رؤية الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة : « فيقولُ اللهُ تعالى : أنا ربُّكم ، فيقولونَ : نعوذُ باللهِ منك ، لا نشركُ باللهِ شيئاً ، مَرَّتَيْنِ أو ثلاثاً ، حتى إن بعضكم ليكادُ أن ينقلبَ »[٤٧] .

قال رحمه الله : « قوله صلى الله عليه وسلم (حتى إن بعضكم ليكاد أن ينقلب) هكذا هو فى الأصول (ليكاد أن ينقلب) بإثبات (أن) ، وإثباتها مع (كاد) لغة ، كما أن حذفها مع (كاد) لغة »[٤٨] .

ومن آثار الصحابة التى وردت بهذه اللغة ، واحتج بها النووى ما رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : شهدنَا معَ رسولِ اللهِ حُنَيْنَاً ، فقالَ لرجلٍ مِمَّنْ يُدْعَىٰ بالإسلامِ هذا مِنْ أهلِ النارِ .. فكادَ بعضُ المسلمينَ أن يرتابَ[٤٩] .. قال النووى : « كذا هو فى الأصول (أن يرتاب) ، فأثبت (أن) مع (كاد) ، وهو جائز لكنه قليل »[٥٠] .

٥ ـ قد يحذف الفعل مع بقاء معموله ، وهذا ما أجازه النووى محتجا عليه بأحاديث الرسول ﷺ الواردة فى صحيح مسلم ، ومنها ما رواه مسلم عن عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال لى رسول الله ﷺ : (أُنْزِلَتْ علىَّ آياتٌ لم يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ : المُعَوِّذتين)[٥١] قال النووى : قوله ﷺ : (المعوذتين) هكذا هو فى جميع النسخ ، وهو صحيح ، وهو منصوب بفعل محذوف ، أى أعنى (المعوذتين)[٥٢] .

ومنها ما رواه مسلم أنه ﷺ قال لأصحابه عندما دفع من عرفات إلى مزدلفة : (أيها النَّاسُ !

(٤٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٢١٨/٧ .

(٤٤) شرح ابن عقيل ٣٢٩/١ ـ ٣٣٠ طبعة دار الفكر .

(٤٥) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها .

(٤٦) صحيح مسلم بشرح النووى ٩٥/٩ .

(٤٧) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تساقط المشركين فى النار .

(٤٨) صحيح مسلم بشرح النووى ، ٢٧/٤ .

(٤٩) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، وقد قتل هذا الرجل نفسه لأنه لم يصبر على جراح إصابته فأخبر الوحى رسول الله ﷺ فأخبر الصحابة بخاتمته .

(٥٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢٢/٢ .

(٥١) صحيح مسلم كتاب : صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة المعوذتين .

(٥٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٩٦/٦ ـ ٩٧ .

السكينةَ السكينةَ)[٥٣] ، قال رحمه الله : قوله (السكينة السكينة) مرتين منصوبا ، أى : الزموا السكينة[٥٤] .

ومن تلك الأحاديث الصحيحة التى احتج بها على جواز حذف الفعل مع بقاء معموله ما رواه مسلم عن أبى أمامة أن رسول ﷺ قال : (مَنِ اقتطعَ حقَّ امرىءٍ مسلمٍ بيمينهِ فقد أوجبَ اللهُ لهُ النارَ وحرَّمَ عليه الجنةَ ، فقالَ لهُ رجلٌ وإنْ كان شيئاً يسيراً يا رسولَ اللهِ ، قالَ : (وإنْ قضيباً مِنْ أَرَاكٍ)[٥٥] ، قال النووى فى شرح الحديث : فى كثير من الأصول (وان قضيبا) على أنه خبر (كان) المحذوفة ، أو أنه مفعول لفعل محذوف تقديره (وان اقتطع قضيبا)[٥٦] .

٦ ـ الأصل فى الفعل المضارع المجزوم أنه إذا سبق بحرف جازم حذف منه حرف العلة ، لكن النووى أجاز إبقاء حرف العلة لغة ، واستدل على ذلك بما ورد فى أحاديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ففى صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال : (مَنْ يُبْكَىُ عليه يُعَــذَّبُ)[٥٧] ، قال النووى : قوله ﷺ : (يبكى) هكذا هو فى الأصول (يبكى) بالياء ، وهو صحيح ، ويكون (من) بمعنى (الذى) ويجوز على لغة أن تكون شرطية ، وتثبت الياء ، ومنه قول الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنمى[٥٨]

أما الآثار التى احتج بها على جواز إبقاء حرف العلة فى المضارع المجزوم لغة فمنها ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ استشار أبا بكر وعمر فى أسرى بدر ، فأخذ برأى الصديق ، وترك رأى عمر ، وفى هذا يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « فَهَوِىَ رسولُ اللهِ ﷺ مَا قالَ أَبُو بكرٍ ، ولم يَهْوَ ما قلتُ »[٥٩] ، قال النووى : قوله (ولم يَهْوَ ما قلت) هكذا هو فى بعض النسخ ، و (لم يهو) ، وفى كثير منها (ولم يهوى) بالياء ، وهى لغة قليلة بإثبات الياء مع الجازم »[٦٠] .

ومنها ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « اللهمَّ عليك الملأُ من قريشٍ أبا جهلٍ بن هشام ، وعتبةَ بنَ ربيعةَ ، وعقبةَ بنَ أبى مُعَيْطٍ ، وشيبةَ بنَ ربيعةَ ، وأميةَ بنَ خَلَفٍ ، قال عبدالله فلقد رأيتُهم قُتِلُوا يومَ بدرٍ ، فَأُلْقُوا فى بئرٍ غير أنَّ أميةَ تَقَطَّعَتْ أوصالُهُ فلم يُلْقَى فى البئرِ[٦١] » ، قال النووى : (فلم يُلْقَ) هكذا هو فى بعض النسخ ، بالقاف فقط ، وفى أكثرها (فلم يُلْقَى) بالألف وهو جائز على لغة »[٦٢] .

أسأل الله تعالى أن يجعله لبنة من اللبنات المتواضعة فى صرح الدراسات النحوية التى خدمت السنة النبوية ، وأن يجزينى به خير الجزاء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله رب العالمين .

(٥٣) صحيح مسلم كتاب الحج ، باب حجة النبى ﷺ .
(٥٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨٦/٨ .
(٥٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .
(٥٦) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٠/٢ .
(٥٧) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الميت يندب ببكاء أهله عليه .
(٥٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٣٠/٦ .
(٥٩) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر .
(٦٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٨٦/١٢ .
(٦١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب مالقى الرسول ﷺ من أذى المشركين والمنافقين .
(٦٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥٤/١٢ .

القصيدة العربية والوحدة الموضوعية

٦

للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ

على الرغم مما يذهب إليه بعض المستشرقين ـ ومَنْ تابَعهم من نُقَّادنا ـ من خلوّ القصيدة العربية القديمة من « الوحدة الموضوعية » ـ وهو الأمر الذى عالجناه فى دراسة موضوعية استغرقت عديداً من المقالات بهذه المجلة حتى نبين كذب هذه الدعوى ، بل صدورها ـ ممن صدرت عنه ـ بلا روية ولا دراسة جدية ، بل ألقاها ، كما تلقاها ، ثم جاراها ، وبثها فى أجيال عدة من شبابنا الدارس للأدب العربى .. بينما تبلورت أمامنا الحقيقة واضحة جلية بوجود الوحدة العضوية فى روافد منها :

(أ) المقطوعات التى صدرت من الشاعر العربى قديماً ، قبل أن يهُلهل (المهلهل) القصيدة العربية .

(ب) ومواطن الوحدة العضوية (بعد المقطوعات) فى نماذج عدة من الشعر الجاهلى ، أوردناها متتالية فيما قدمنا من دراسة .

ولازلنا نشبع تلك القضية دراسة حتى يتبين للمنصف الدارس وَهْمَ ما أطلق بعض أولئك المستشرقين ، ومن جاراهم من النقاد ، وربما دفعنى الْخُلُق إلى استكتام حقيقة أرجو ألا أُسِفر عنها صراحة .. لكنى أتساءل :

هل عكف هؤلاء المروجون لنفى الوحدة عن الشعر العربى القديم على دراسة الأدب الجاهلى فعلاً .. ؟ هل قرأوا عطاء الشعر وتتبعوه فى مختلف دواوينه ومصادره ومواطنه خارج الدواوين .. ؟

لاشك أن إجابة المجيب هنا تحتاج إلى شجاعة أدبية عميقة ...

وبرغم ذلك ، فإننا نجد بعضاً آخر من المستشرقين بلغ بهم الإعجاب بالشعر الجاهلى حدًّا ، دفع بهم إلى العكوف ـ لسنوات عدة ـ على روائع هذا الشعر ، لدراستها دراسة وافية ، ونقل بعضها إلى لغته القومية ، كما صنع المستشرق الألمانى : (ريكرت) ، الذى ترجم أشعار امرىء

القيس ــ فيما ترجم من الأدب العربى ــ إلى الألمانية ، واستغرقت الترجمة الفترة من عام ١٨٢٨ حتى عام ١٨٤٢ ، وذلك لشغفه بالشاعر المَلِك ، كما كان يُسَمَّى : (امرأ القيس) بل إن « أوجست ميللر » ــ ابن الشاعر الألمانى « فيلهلم ميللر » ــ تَسَمَّى باسم : (امرىء القيس) ، وعمل على نشر معلقته ، مع تعليقات عليها بالألمانية ، ثم قدَّم رسالته الجامعية عنه[1] .

وعلى الجانب الآخر .. (جانب الإمامة) الذى اختاره هؤلاء المروجون لفكرة قصور الشعر العربى عن استيعابه موضوعات عدة فى القصيدة الواحدة .. على هذا الجانب نتساءل :

هل الشعر الغربى قد خلت قصائده تماما من كثرة الموضوعات فى القصيدة الواحدة ؟

هل التزم الشعراء الغربيون بهذه (الوحدة) فى كل نتاجهم ؟

ومنذ متى كان ذلك ؟

وهل لنقادنا دراسة علمية أدبية فى هذا الجانب ؟ أم اكتفوا بإشاعة القصور فى الشعر العربى القديم ، وكفى ؟

هذا الشاعر الأمريكى (إليوت) نشر عام ١٩٢٢ م قصيدة طويلة له بعنوان : « الأرض اليباب » بلغت أبياتها (٤٣٣) ثلاثة وثلاثين وأربعمائة بيت ، لم نجدها اقتصرت على موضوع واحد ، بل أطلقها الشاعر شاملة لكثير من الموضوعات ضاربا عرض الأفق ــ فى إطالته ــ برأى أستاذه الشاعر « إزرا بواند **Ezra Pound** » الذى أهدى إليه قصيدته سالفة الذكر .

ومن ثم افتقرت قصيدة « الأرض اليباب » إلى الوحدة الموضوعية ؛ فإنها :

(أ)تزخر بشخصيات أسطورية متعددة فى أغراض مختلفة .

(ب) واقتباسات من شعر (إليوت) نفسه ذات موضوعات مختلفة .

(جـ) ومن شعراء آخرين بنفس النمط ، حتى ذهب بعض النقاد المعاصرين إلى أن (إليوت) وقف على الأطلال والخرائب التى أعقبت الحرب العالمية الأولى ، بفظائعها وما أسفرت عنه من تدمير وأهوال ليسجلها بتلك القصيدة ،وإن كان إليوت قد عالج موضوعه بحشد كبير من الصور والمفارقات بصياغة تخلو من الترابط والتآلف .

وإليوت نفسه يعترف ضمنياً فى البيت رقم (٤٣٠) بهذا التخلخل ، بقوله :

(These Fragments I have shored against my ruins)

« هذه الشذرات قد اتَّخَذتُ منها دعامة لأطلالى »

وبرغم هذا التفكك وعدم التلاحم ــ الذى لاتتحقق به (الوحدة الموضوعية ــ بمعناها الأرسطى ــ فقد عدَّها كثير من النقاد فى العالم : قصيدة القرن العشرين) ! ..

الأمر الذى جعل العديد من الشعراء ، يحذون حذوها ويسيرون على وتيرتها .. كما جعلنا

---

(١) انظر مقال الدكتور عونى عبدالرءوف بمجلة (صحيفة الألسن) ــ العدد الثانى الصادر فى ذى القعدة سنة ١٣٩٣ هـ ص ٦٥ .

نقول ـ مع شوق فيما يَصُبُّونَهُ على شعرنا القديم ، وافتقاده ـ فى زعمهم ـ للوحدة الموضوعية :

أحــــرام على بلابلـــه الـــــدو ح حلال للـــطير من كل جنس ؟!

***

ومهما يكن من أمر ، فلايزال فى الجعبة الكثير من نماذج الشعر الجاهلى ، التى تموج برباط الوحدة الموضوعية ، بصورة متميزة .

ومن أروع هذه النماذج فى الشعر الجاهلى ، النموذج الذى يعبر فيه الشاعر عن ذات نفسه خير تعبير ، فى صدق وحرارة .. فهذا (حاتم الطائى) الذى ضُرب به المثل فى الجود والسخاء ، يعاتب زوجته التى تنهره لفرط إسرافه برغم أن هذا الإنفاق كان فى سبيل الخير وصنائع المعروف ، يقول :

مهلا (نوارُ) أقِلِّىَ اللوم والعــذْلا ولا تقـــولى لِشىء فات .. ما فَعَـــلا
ولا لمالٍ لنـــا قد كنت .. مُهْلكَـــهُ مهلا.. وإن كنت أعْطِى الجِنَّ والجبلا
.. يرى البخيـل سبيـل المال واحـــدة إن الجَـــواد يرى فى مالـــه سُبُـــلا
إن البخيــــل إذا ما مات يتْبعـــــه سوءُ الثناء ، ويحْوِى الوارثُ الإ بِلا
فَاقْنَـــىْ حديـــثَكِ إن المرء يتْبعـــه ما كان يبنى .. إذا ما نعشُه حُمـــلا
.. ليت البخيـل يراه النـــاس كلهـــمُ كما يراهـــم .. فلا يُقْـــرَى إذا نَزَلا
لا تعذلينـــــــى على مِاَلٍ وصَلْتُ به رَحِمًا .. وخير سبيـل المال ما وصلا
يَسْعى الفتى وحِمامُ الموت يدركـه وكل يوم يدانى للفتـــــى الأجــــلا
إنى لأعلـــم أنى سوف يدركنـــــى يومى ، وأصبح عن دنياى مشتغلا

وهكذا نرى أن امتلاء نفس الشاعر بما يقول ، جعلت شعره يتدفق بيسر وطواعية ، دون تداخل بين المعانى ، أو خروج عن الغرض الذى دعاه إلى إنشاد أبياته .

وهذه الصفات التى يتحلى بها حاتم الطائى فى الجاهلية من نخوة ومروءة ، جعلت ابنته تصفه عند رسول الله ﷺ ، بقولها عنه : إنه كان يفك العانى ، ويحمى الذمار ، ويُقْرِى الضيف ويُشبع الجائع ، ويفرِّج عن المكروب ، ويُطْعم الطعام ويُفشى السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط ، وقد أجابها رسول الله ﷺ ، بأن أباها كان يحب مكارم الأخلاق(٢) .

***

ولمعن بن أوس قصيدة فى العفة والقناعة والكَرَم ، تصف ما يماثل اتجاه الطائى فى حُسْن

---

(٢) راجع ترجمة حاتم الطائى وشيئاً من شعره لدى أبى على القالبى فى (الأمالى) والبغدادى فى (خزانة الأدب) والأصفهانى فى (الأغانى) جـ ١٧ .

هذا ، وقد ورث حاتم الطائى الكرم عن والدته ، التى عنفها أخوها لإسرافها فى الكرم ، وترك لها (صرمة) أوْدعها كل مالها من مال .. إلى أن جاءت من هوازن امرأة محتاجة وسألت (غنية) =

الصنيع ، يقول فيها :

لَعَمْرُكَ ما أهْوَيْتُ كفِّى لِرِيبة ... ولا حَملتْنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سْمعى ولا بصرى لها ... ولا دَلَّنِى رأيى عليها ولا عقلى
وأعلم أنى لم تُصبنى مصيبة ... من الدهر .. إلا قد أصابتْ فتىً قبلى
ولستُ بماشٍ ما حييت لمُنْكرٍ ... من الأمر لا يمشى إلى مثله .. مثلى
ولا مُؤْثر نفسى على ذى قرابة ... وأوثر ضيفى ما أقام .. على أهلى

هل يوجد فى هذه الأبيات ما يقبل التغيير ، بالتقديم أو التأخير ؟ أم أنها مُفَرَغةٌ فى قالب واحد متناسق ، لتؤدى المعنى الذى نظمت فيه ، دون استطراد إلى معنى آخر ، لا يمت بصلة إلى سياق القصيدة العام .. وهذه هى سِمَة الشعر المتلاحم الأبيات ذى « الوحدة العضوية » التامة .

ولا يفوتنا أن نثبت أبيات (أبى طالب) فى وصف النبى ﷺ ، وهو لايزال صغير السن ، لم يبلغ مبلغ الرجال بعد ؛ لنلمس اتصال الوحدة الموضوعية فى مطالع عصر النبى - ﷺ - :

إن (الأمين) محمداً فى قومه ... عندى .. يفوق منازل الأولاد
لمَّا تعلقَّ بالزمام ضمَمْتهُ ... والعِيش قد قلَّصْن بالأزواد[٣]
فارْفَضَّ من عَيْنىَّ دمع ذارفٌ ... مثل الجُمان مفرق ببداد[٤]
.. راعيْتُ فيه قرابةً موصولة ... وحفظت فيه وصيَّة الأجداد
ودَعَوْتهُ للسير بين عُمومة ... بيض الوجوه مصالتٍ أمجاد[٥]
ساروا لِأبْعَدَ طيّة معلومةٍ ... فَلَقَدْ تُباعد طيَّةُ المرتاد[٦]

- أم حاتم الطائى - عطاءً .. فما كان من غنية إلا أن أخذت (الصرمة) وأعطتها برمتها للسائلة وهى تقول : والله لقد مسَّنى الجوع ، فآليت معه ألا أمنع الدهر سائلا .. ثم أنشدت تقول :

لَعَمْرِى لقِدْماً عضنى الجوع عضة ... فآليت ألا أمنع الدهرَ جائعاً
فقولا لهذا اللائمى الآن : اعْفِنِى ... وإن أنت لم تفعل .. فعُضَّ الأصابعا
ولا .. ما ترون اليوم إلا طبيعة ... فكيف بتركى - يا ابن أمّ - طبائعا

وانظر كتاب (أشكال الصراع فى القصيدة العربية) للدكتور عبدالله التطاوى جـ١ ص٢٢٢ ط سنة ١٩٩١ .

والصِّرْمة : المجموعة من الإبل .

(٣) تعلق بالزمام : أمسك بمقود البعير ، قلَّصْن : استمررن فى سَيْرهن ، والأزواد : جمع زاد ، وهو طعام المسافر .

(٤) ارْفضَّ : تتابع تدفقه ، ذارف : سائل ، والبداد : اللبد تحت السرج . والباء فى (بداد) بمعنى : على ، كالمعنى فى (بهم) فى قوله تعالى : ﴿**وإذا مروا بهم يتغامزون**﴾ أى يتغامزون عليهم .

(٥) مصالت : ماضون فى قضاء حوائج الناس . واحدها : مُصْلَتْ .

(٦) الطيَّة : الجهة . والمرتاد : الطالب .

عبقرية التراث

بين النفى والاثبات

للدكتور عبدالفتاح أحمد الفاوى ●

لتراثنا زوايا أو أبعاد أربعة يمكن أن ينظر من خلالها إلى عبقريته هى : الزمان ، والمكان ، والكم ؛ والكيف .

وهى أبعاد مرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فى تراثنا مما يجعل التداخل فى الحديث عنها ـ وإن تجنبناه ـ واردا والفصل بينها ـ وإن توخيناه ـ متكلفا .

وبداية .. فربما لا يستطيع الباحث أن يحصى أو يحصر الآراء التى ترددت حول تلك العبقرية بجميع أبعادها فى تراثنا ولكنه ـ فى الوقت نفسه ـ لا يعجز أن يصنف تلك الآراء أو يجمعها فى إتجاهين أو ثلاثة :

اتجاه يبالغ ويهول فى تلك العبقرية وفى مدى ما يحتويه التراث أو يشتمل عليه من بعد حضارى يتجاوز حدود الزمان والمكان .

واتجاه يهون منها بل ربما يحذر ويبالغ فى تصوير خطر التراث وضرره .

أما الاتجاه الثالث فهو الذى يتخذ بين ذينك الاتجاهين سبيلا .

أبعاد العبقرية :

من غير اليسير الحديث عن كل بعد من أبعاد هذه العبقرية على حدة ـ كما قلنا ـ ومع ذلك سنحاوله مع توقع التداخل نظرا لارتباط تلك الأبعاد فى تراثنا .

البعد الزمانى والمكانى :

لعل الوقوف على مفهوم التراث ـ فى اللغة وفى الاصطلاح ـ مما يعين على تحديد البعد الزمانى والمكانى لعبقرية التراث ، أو مما يدخل فى تحديدهما .

تقول المعاجم : ورث : الواو والراء والثاء كلمة واحدة هى : الورث والميراث وأصله الواو ، وهو : أن يكون الشىء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب . ورث فلان المال : صار

(●) كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

إليه ماله بعد موته[1] .

ويقول الراغب الأصفهانى الوراثة والإرث : انتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقد ولا ما يجرى مجرى العقد .

ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب : قد ورث[2] .

ومنه التراث وهو : ما يخلفه الرجل لورثته وأصله : ورث أو وراث فأبدلت الواو تاء .

فالتراث والإرث والورث مترادفة .

وقيل : الورث والميراث فى المال والإرث فى الحسب[3] .

وقد وردت كلمة التراث فى القرآن الكريم بمعنى الميراث . قال تعالى : ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا[4] ﴾ أى تأكلون الميراث :

ووردت فى السنة أيضا بمعنى الميراث قال صلى الله عليه وسلم : «ولك رب تراثى[5] » .

وقد وردت فى القرآن الكريم بمعنى الميراث الدينى والثقافى أيضا قال تعالى : ﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ[6] ﴾ .

وقال : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ[7] ﴾ الآية ـ فهو وراثة الاعتقاد والايمان .

وأطلق أبوهريرة رضى الله عنه كلمة الميراث على التراث العقدى والثقافى . قال للصحابة : «أنتم هنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يوزع فى المسجد[8] » ولما انطلقوا إلى المسجد لم يجدوا إلا حلقات الذكر ، وتلاوة القرآن ، فوضح لهم أبوهريرة أن هذا هو ميراث محمد صلى الله عليه وسلم : هذا فى اللغة .

أما فى الاصطلاح : فالتراث هو : ما ورثناه عن ابائنا من عقيدة وثقافة ، وقيم وآداب وفنون ، وصناعات ، وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية[9] .

وتراث العربية يراد به كل مدونات هذه اللغة ومرويات الناطقين بها كاملة أو مبتورة دون النظر إلى جنسية الكاتب أو الراوى[10] .

تقول الدكتورة عائشة عبدالرحمن : «وحين يذكر التراث يتجه القصد منه غالبا إلى نطاق محدود يحصره فى قديم المخطوطات من علوم العربية والإسلام» وتتابع قولها : «ويخشى أن يرسخ فينا هذا الفهم القاصر المحدود لتراثنا فيغيب عنا أول ما يغيب أن تراثنا يستوعب إلى جانب ذلك كله ما ترك أسلافنا من ثمار عقولهم فى مختلف فروع المعرفة وميادين العلم من طب وعقاقير وكيمياء ونبات ورياضيات وفلك .. إلى آخر هذه العلوم التى لا تكاد تجد من يعنى بتراثها أو يحس حاجتنا

---

(١) «معجم مقاييس اللغة العربية» مادة ورث

(٢) «المعجم الوسيط» مادة ورث

(٣) «المفردات فى غريب القرآن» للراغب الأصفهانى

(٤) الفجر : ١٩

(٥) أخرجه الترمذى كتاب الدعوات

(٦) مريم ٦

(٧) فاطر : ٣٢

(٨) «مجمع الزوائد» ١٢٣/١ الهيثمى

(٩) «التراث والمعاصرة» ٢٨ : أكرم ضياء العمرى

(١٠) لأن المجتمع الإسلامى لم يكن يضع فروقا بين الشعوب والأجناس ، ولم يكن يضع قيودا على الانتقال بين الأفراد والجماعات ، ولم يقصر المعرفة على طائفة دون أخرى ، أو على علم دون آخر

أنظر : «التراث وواجبنا نحوه» ص ٥ د. كامل سعفان

إلى إعداد خبراء يشاركون علماء العربية والإسلام فى حمل الأمانة الصعبة التى يفرضها علينا وجودنا[١١] .

وتراثنا يبدأ من بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتدوين المنزل عليه من ربه عز وجل ، ويمتد بامتداد أمتنا الإسلامية خمسة عشر قرنا أو زهاءها حتى الآن .

أما ما قبل ذلك من تراث كان للعرب فى جاهليتهم فمجاله مجال آخر ، **فليس التراث العربى قبل الإسلام تراث لأمة الإسلام كما أنه ليس ماضى كل الشعوب التى أسلمت وتعربت هو من ماضى هذه الأمة ، فليس التراث المجوسى عند الفرس ، ولا الجاهلى عند العرب ، ولا الفرعونى فى مصر ولا البربرى فى بلاد المغرب ولا غير ذلك من ماضى وتراث تلك الأمم التى دخلت الإسلام بتراث لأمة الإسلام ، فتراث الأمة الإسلامية يبدأ مع بداية البعثة المحمدية ، ومع بداية دخول الإسلام فى كل مصر فتح بعد ذلك .**

غير أن هناك من يخالف ذلك ويرى أن تراث وماضى الأمم التى دخلت الإسلام هو تراث للأمة الإسلامية أيضا «فماضى كل الشعوب التى أسلمت وتعربت هو من ماضى هذه الأمة وكل الحضارات الفكرية والمادية التى ازدهرت فى أرض وطننا هى فى الواقع التاريخى ميراثنا جميعا ، نحن الذين عرفنا التاريخ من القرن الأول الهجرى أمة واحدة[١٢] .

ولا يمكن التسليم بذلك فليس تراث الجاهلية تراثا للإسلام ولا تراث المجوس والبربر والفراعنة والرومان تراثا للأمة الإسلامية اللهم إن كان المقصود أن أمتنا قد استفادت من تراث وماضى الأمم التى اعتنقت الإسلام وأفرادها يحملون معهم ثقافاتهم وحضاراتهم وتراثهم من قيم وأفكار صقلها الإسلام وهذبها وأدبها فهذا صحيح وإن كانت العبارة لا تؤدى إليه .

أما أن نذهب إلى أن تراث تلك الأمم تراث لنا وماضيها من ماضى الإسلام فهذا مالا يمكن قبوله .

البعد الكمى :

نقصد بذلك مفردات التراث ومكوناته المادية والثقافية ولا نود هنا إيراد حصر أو عدد لتلك المفردات أو المواد ولا نعد به وإنما نريد أولا تحرير أو تحديد مكان القرآن والسنة من التراث وثانيا الإشارة إلى الضخامة الكمية ، والكثرة العددية ـ بإجمال ـ لهذا التراث من خلال الحديث عما هو موجود وعما فقد منه أيضا خلال المحن التى لحقته .

أما عن مكان ومكانة القرآن الكريم والسنة من التراث ، فإن المفهوم اللغوى والمفهوم الاصطلاحى أيضا الذى أوردناه آنفا للتراث يدخلهما فيه ويدرجهما تحت عباءته . لكن ـ ولاعتبارات دينية محضة ـ نرى أن القرآن والسنة ليسا داخلين فى مفهومه أو فى قضيته أو فيما نتكلم فيه من مسائله ، وأركز وأضغط على كلمتين :

أولاهما : أن ذلك لاعتبارات دينية محضة حتى لا يتعرض القرآن والسنة لتلك الاتهامات التى يتهم بها البعض التراث ويصبحان عرضة للأخذ والرد والقبول والرفض .

وثانيتهما : أن الذى لا ينبغى أن ندرجه فى قضية التراث هو القرآن فحسب ـ لا تفسيره ـ والسنة فحسب ـ لا شروحها .. لأن تفسير

---

(١١) «تراثنا بين ماض وحاضر» ص ٨

(١٢) «تراثنا بين ماض وحاضر» ص ٩

القرآن وشروح السنة أقوال علماء غير معصومين يؤخذ من أقوالهم ويرد .

أما القرآن ، وأما السنة فغير ذلك لما لهما من العصمة ، ولذلك فإن الجدل الدائر حول التراث لا ينسحب على القرآن ولا على السنة لما لهما من العصمة وما يجب تجاههما من القبول والتمسك ، فما يوجه للتراث من نقد أو تجريح وما ينال منه من تنقص أو تهوين غير وارد أو منسحب على القرآن والسنة لأن مفهوم التراث وإن كان يضمهما إلا أنه للاعتبارات التى أشرنا إليها يجب إخراجهما منه ، وهذا مما يجعل الباحث يناقش القضية بحرية أكثر وبدون تحرج أو خوف من الاتهام بأنه يتنقص من القرآن أو ينال من السنة .

نعم : إخراج القرآن والسنة من التراث يبعد عن الباحثين هذه الاتهامات وأمثالها كما يبعدهم عن المعنى المقابل وهو المغالاة فى قيمة التراث من أجل أنه يضم القرآن والسنة ، وليست قضية «طه حسين» والشعر الجاهلى منا ببعيد فى هذا الصدد عندما طعن فى الشعر الجاهلى فاتخذ ذلك سبيلا لاتهامه بالطعن فى القرآن والسنة باعتبار أنهما من التراث الذى تناوله طه حسين بالتشكيك .

ربما كان ذلك اتجاها غير علمى وتحكما غير منهجى ، ولكنا على أية حال مضطرون إليه حتى يمكن بحث التراث وعبقريته وبعده الحضارى دون حرج أو خوف .

هذا عن مكان القرآن والسنة من التراث . أما عن ضخامة هذا التراث وكميته فإن نظرة سريعة فى المدونات التى تتحدث عن تراثنا تجعل المرء يتساءل متعجبا كيف تسنى لأمتنا كل هذا التراث بما يحمله من معارف وعلوم غيرت مجرى الحياة .

لقد أنتجت هذه الأمة ملايين المخطوطات والمصنفات غير أن معظمه قد ضاع واندثر . يقول «ول ديورانت» . «ليس ما نعرفه من ثمار الفكر الإسلامى إلا جزءاً صغيراً من تراث المسلمين» «وليس هذا الجزء الباقى إلا قسما ضئيلا مما أثمرته قرائحهم وليس ما أثبتناه إلا نقطة من تراثهم[13]» .

إن أرقام المكتبات فى الإسلام تشهد بما قدمته أمتنا من إنتاج ضخم فى المعرفة والعلم والأدب ، ولكن أين هو هذا الإنتاج الذى يحدثنا عنه العلماء ؟

يجيب عن ذلك أحد الباحثين بقوله : «فلئن كانت النشوة تملأ نفوسنا حين نتحدث عن انتشار المكتبات فى العالم الإسلامى فى عصور حضارته الزاهرة فإن الأسى يملأ قلوبنا حين نتذكر مصائر هذه المكتبات وما تعرضت له من بوار وحرائق ، لا يمكن أن نقدر خسارة العالم فيها أبدا[14]» .

وإذا أردنا أن نعرف حجم المحنة التى أصابت تراثنا فليس لنا إلا أن نقوم بمقارنة بسيطة بين ما يذكر من الكتب فى تراجم العلماء أو فى فهارس الكتب مثل «فهرست» ابن النديم وما يمكن أن نجده الآن ، فما أكثر العلماء الذين لم يبق لناشىء من إنتاجهم ، وما أكثر الذين لم يبق من إنتاجهم إلا القليل اليسير .. وكان ذلك لعاملين رئيسين إحدهما داخلى ، والآخر خارجى .

أما العامل الداخلى فهو ما اعترى العالم الإسلامى من تفكك وتفتيت وإنهاك وانهيار وما

---

(١٣) «صفحات مضيئة من تراثنا» : ص ٢٩ أنور الجندى

(١٤) «من روائع حضارتنا» ص ١٦٧ د. مصطفى السباعى

أصابه من ضروب المحن والثورات والحرائق وتسلم الحكام الجهلة زمام الأمور ، وتحكمهم فى أموال الناس وأرواحهم وكذلك ما أصاب المسلمين أنفسهم من جمود وضعف وتأخر .

ويتمثل العامل الخارجى فى الغزو المغولى ، والغزو الصليبى ، فقد تعرض العالم الإسلامى من القرن الثانى عشر وما بعده لهجمات منظمة مستمرة من الغرب والشرق بقصد تخريبه واجتياح أراضيه(١٥) .

مر التراث بمحن كثيرة ، وقوية ، ولولا كثرته وعبقريته وغزارة إنتاج أفراده لقضى عليه ومن أشد تلك المحن :

الغزو الصليبى ، والغزو المغولى ، والصراع المذهبى ، والجهل بقمة التراث ، ولكن قبل الاستطراد فى توضيح أثر تلك المحن على التراث نريد أن نصارح أنفسنا دون ما حرج أو حساسية هل ما فقدناه من تراثنا كان سيغير مجرى حياتنا ؟ .

وإذا كانت المعارك محتدمة ــ الآن ــ حول ما تبقى منه وأنه السبب فى جمودنا وتخلفنا كما يرى البعض وأن انشغال المسلمين بهذا القدر الباقى من التراث حال دونهم ، ودون الأخذ بأسباب الحضارة والتقدم فماذا لو بقى التراث كله ، وغرق القاصى والدانى بين صفحاته وأضابيره .

إن ما فقد من تراثنا كثير لاشك فى ذلك ، ولكنه من جنس ما بقى وإذا كنا نتجادل فى قيمة وعبقرية ما بقى وجدواه فأولى بنا ألا نتباكى على ما فقدناه منه أو نندم لأن الاهتمام بالتراث والانشغال به فى نظر بعض العلماء والباحثين سمة من سمات المجتمعات المتخلفة «فى المجتمعات المتخلفة مازال تراث الأمة هو مكونها الأساسى فى الثقافة والمزاج الشعبى والشخصية القومية يعطيها تصوراتها للعالم وأنماطها فى السلوك . وهو تراث تمتد جذوره إلى آلاف الأعوام : الكونفوشوسية فى الصين ، والهندوكية فى الهند ، والبوذية فى فيتنام وكامل الهند الصينية والإسلام فى المنطقة الإسلامية ، والمسيحية فى أمريكا اللاتينية ، وفى أفريقيا الإسلام والمسيحية والديانات الأفريقية(١٦) .

إذا كان هذا هو شأن التراث فى نظر هؤلاء العلماء فينبغى ألا نأسى كثيرا أو لا نأس على الاطلاق على تراث فقدناه وألا نحتفل كثيرا أو نعبأ بتراث أحرزناه .

تقابل وجهة النظر هذه وجهة نظر أخرى تنظر إلى تراثنا غير تلك النظرة أو عكسها تماما وترى أننا فقدنا بما فقد منه الكثير وغنمنا بما بقى منه الكثير أيضا لما يحتوى عليه من عبقرية ، وقيم حضارية لأن تراثنا يختلف عن تراث غيرنا من الأمم بما يحمله من حضارة عريقة لم يشهد العالم مثلها كما أنه يحمل معالم وتعاليم الإسلام ــ الدين الذى ارتضاه الله للبشرية جمعاء ــ فلئن صح الرأى السابق على تراث أمم أخرى مثل : مصر والهند والصين وغيرهم فإنه ــ عند هؤلاء ــ ليس صحيحا بالمرة بالنسبة لتراثنا لسبب بسيط هو أن تراثنا نتاج تعاليم الإسلام ، أما تراث غيرنا فنتاج وثنيات وعقائد ما أنزل الله بها من سلطان .

---

(١٥) «المكتبات فى الإسلام» ٢٠٣ ، ٢٠٤ د. محمد ماهر حمادة

(١٦) «دعوة للحوار» ١٠٩ د. حسن حنفى

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

مولد مركز عالمى للتوثيق الإسلامى

راودت فكرة إنشاء «المركز العالمى للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية» جماعة من العلماء والمفكرين المهتمين بالعمل الإسلامى فى جمهورية مصر العربية وخارجها ، من بينهم أ.د/حسن عباس زكى ، د/على جمعة ، أ.د/أحمد فؤاد باشا ، أ.د/عبدالحليم عويس ، المستشار/ على حمدى ، وغيرهم من أقطاب الفكر الإسلامى الأكاديميين والمتخصصين .

ثم شرعت هذه الجماعة فى الإجراءات اللازمة لتنفيذها ، واتخذوا لهم مقرا[1]. وانتخبوا مجلس الإدارة من بينهم ، وآلوا على أنفسهم تنفيذ توصيات المؤتمرات الدولية الخمسة للتربية الإسلامية - التى عقدت فيما بين عامى (١٩٧٧ ، ١٩٨٧م)- وحقيقة الأمر أن للمركز أهداف قومية أخرى وأوجه نشاط متعددة ، منها :

١ - تشجيع التعاون والترابط بين قادة الفكر فى العالم الإسلامى وتبادل الإنتاج العلمى الإسلامى مع الجامعات والهيئات والمنظمات الإسلامية .

٢ - الإعلام المتجدد عن حركة تبادل المعلومات الإسلامية وربط الدوريات الإسلامية العربية ببعضها وبنظائرها الناطقة باللغات الأخرى .

٣ - نشر المعارف العلمية المتقدمة على الأمة الإسلامية بهدف الوصول إلى صياغتها من منظور إسلامى للإفادة منها .

٤ - إعداد مكتبة إسلامية متخصصة ومتجددة تكون مرجعاً للعلماء وأساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا .

وهو جهد طيب تباركه «مجلة الأزهر» وتتمنى

---

(١) بالعقار الكائن فى ٢٦ ب شارع الجزيرة الوسطى بالزمالك — القاهرة .

للقائمين عليه أن يؤتى ثماره ، لاسيما وقد أصبحنا فى مسيس الحاجة إلى بذل المزيد من الجهد فى مختلف ميادين البحث العلمى سعياً إلى قيام النهضة الإسلامية المرجوة .

وحبذا لو كان هناك اتصال «بمركز التوثيق البيليوغرافى عن الإسلام والعالم الإسلامى» فى كلية الإمام الأوزاعى للدراسات الإسلامية بغية التنسيق معه فيما يتعلق بالأهداف المشتركة بينكما ، حيث سبق لهذه الكلية أن أعلنت عام (١٩٨٣) ـ بنشرة التقرير الإسلامى رقم (١٦) ـ الصادرة عن المركز الإسلامى للتربية ببيروت ـ عن إقامة هذا المركز للاتصال بالمراكز الجامعية والجمعيات العلمية ومؤسسات الأبحاث والمراكز الإسلامية ودور النشر والهيئات والوكالات الدولية المعنية بشئون المسلمين فى كل مكان ـ والتى قدَّروا عددها وقتئذ بعشرة آلاف مؤسسة ـ بغية توفير المعلومات البيليوغرافية عن العالم الإسلامى والأقليات الإسلامية بمختلف لغات العالم ، ثم تبويبها وتغذية الحاسب الألكترونى بها بموجب نظام موحد يسهل على الباحثين استخدامه والرجوع إليه ، والله ولى التوفيق .

دور الأزهر والتعتيم الإعلامى

كذلك تلقت المجلة رسالة الكاتب / أحمد طه الفرغلى المنفلوطى ، والتى تعكس تقديره للدور الريادى الذى يضطلع به الأزهر فى خدمة الإسلام والمسلمين ، وعلى الرغم من سياسة التعتيم الإعلامى فى غض الطرف عن دوره الرائد ، إلا أنه ماض فى مسيرته يدعو الناس إلى الدين عن وعى وبصيرة ، ويقف لكل دعوة باطلة بالمرصاد ، يقول فى ذلك :

لا يجهل أحد إلا حاقد أو مكابر دور الأزهر الشريف تجاه الدعوة الإسلامية منذ ألف عام أو يزيد ، فلقد كان الأزهر رمز الإسلام الصادق ومنارة العلم الصحيح وصوت الحق المدوى فى كافة المواقف على مر العصور والأيام وقلعة النضال التى تحركت منها كتائب العلماء الأبطال لمواجهة الغزاة الذين أرادوا بمصر شراً فدحروهم بقوة الإيمان والعقيدة الراسخة .

ولا يختلف اثنان على أن الأزهر الشريف تخرج منه علماء أفذاذ أجلاء حملوا لواء الدعوة الإسلامية فى كافة بقاع العالم لأنهم تخرجوا منه ، ولم يحملوا

إلا كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ فأرسوا قواعد العلم الإسلامى الصحيح بعيداً عن كافة مظاهر التشدد والاختلاف فأناروا الطريق وهدوا البشرية ومحوا ظلمات الجهل وكانوا من خيرة العلماء العاملين المهتدين المقتدين ..

ولا ينكر أحد الدور العظيم والكبير الذى يقوم به الأزهر الشريف فى كافة القضايا التى تهم الإسلام والمسلمين فى الداخل والخارج رغم التعتيم الإعلامى على هذا الدور ـ فالأزهر الشريف يقوم بدوره الرائد رغم كل الظروف التى يتعرض لها ـ فلابد أن يكون للأزهر الشريف مكان الصدارة فى كافة شئون الإسلام والمسلمين سواء داخل مصر أو خارجها ؛ فالأزهر هو حصن الإسلام المنيع الذى يزود عنه ، ليس فى مصر فحسب ولكنه فى شتى بقاع العالم .. ولا يستطيع أحد أن ينسى أو ينكر دور الأزهر ورجاله منذ قديم الزمان فالأزهر كان دائماً ومنذ القرن السادس الهجرى موئل العلماء ومأواهم إذا ما تعرضوا لتشريد أو منعوا من الصدع بكلمة الحق ، فهو موطن العلماء من جميع المسلمين من كل بقاع الأرض فلقد كان ملاذاً ومأوى لكافة علماء العالم من الترك والهند والأفغان يجتمعون على موائد العلم والكل يعطى ويأخذ .

وأثناء الغارات الصليبية على سوريا لم يجد العلماء أمامهم إلا الأزهر الشريف الذى فتح لهم صدره واستقبلهم الاستقبال الكريم اللائق بهم .

ولما جاءت حروب التتار ـ بدأ علماء العراق وسوريا يتجهون إلى الأزهر فوجدوا فيه مكان العلم المشرق والروح المصرية السمحة الطيبة .

وعندما اقتطعت الأندلس وعذب المسلمون حضر العلماء إلى الأزهر الشريف وزاولوا فيه نشاطهم العلمى العظيم .

كل هذا جعل الأزهر الشريف مشرق العلم الإسلامى وفيه المثابة والأمن وسيظل الأزهر الشريف سراج العلم الإسلامى الذى لا ينطفىء فى كل مكان .

******

دور الشباب فى بناء المجتمع

لاشك فى أن مرحلة الشباب من أهم مراحل العمر ، فهى تتميز بقوة الجسم ومضاء العزيمة وقوة الإرادة ، ولقد اغتنم الشباب فى الماضى ما حباهم الله من عقول ناضجة لم تفسدها الأهواء ، وما أنعم الله عليهم من قلوب نيرة لم يلوثها الكذب أو النفاق ، فإذا بهم ينفقون شبابهم على خير ما ينفق الشباب ؛ بل وينفقون أعمارهم كلها على خير ما تنفق الأعمار .

يضرب لذلك الأمثلة الشيخ/ محمد فتحى عبدالصادق عز ـ ليسانس الشريعة سنة ١٩٤٨ وتخصص التدريس سنة ١٩٥٠ ـ فيقول :

«هذا «أبو على بن الحسين بن سينا» درس الفلسفة والفقه ونبغ فى الطب حتى قيل إنه أول من اكتشف أورام المخ وكانت سنة ست عشرة سنة ، وهذا «إياس بن معاوية» تولى قضاء البصرة وله عشرون سنة ولما زار الخليفة المهدى البصرة خرج كبراؤها وعلماؤها لمقابلته والترحيب به وفى مقدمتهم إياس القاضى ، ولم يكن الخليفة يعرفه . فقال منكراً عليه أن يتقدم من هم أكبر منه ، كم سنّك يا فتى ؟ وأدرك «إياس» بفطنته ما يريد الخليفة من سؤاله ، فقال له : سنّى أطال الله عمر أمير المؤمنين هى سنّ أسامة بن زيد حين ولاه رسول الله ﷺ قيادة الجيش وفيه أكابر الصحابة كأبى بكر رضى الله عنه .

والإمام «الشافعى» الذى ملأ طباق الأرض علماً ومات له أربع وخمسون سنة ، كان يجد لذة ومتعة فى سهرة لتدوين العلم ويقول :

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى
من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلى طربا لحل عويصة
أحلى وأشهى من مدامة ساق

أأبيت سهران الدجى وتبيته
نوما وتبغى بعد ذاك لحاق

فإذا ما دعا الداعى إلى ملاقاة عدو يريّد أن يحتل الأرض ويستغل خيراتها أسرع الشباب إليه وهم فى أول مراحله ، وفيهم من لم يصل إلى سنّ البلوغ فكان ـ رسول الله ﷺ ـ يردّهم لصغرهم ، ولما كان بعضهم يخشى أن يحرم من شرف الجهاد ، كان يقف على أطراف أصابعه حتى يبدو طويلًا وليس صغيراً ، وبعضهم كان يبكى لأن رسول الله ﷺ لم يُجزه للقتال كما حدث من أخى سعد بن أبى وقاص وقد استشهد فى إحدى المعارك وله ست عشرة سنة ، وحدث أن غلامين من الأنصار تسلّلا بين صفوف المقاتلين ، ثم يغمز أحدهما عبدالرحمن بن عوف وقال له يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام ؟ فيقول له متعجباً ولمْ ؟ قال لأننى سمعته يسبّ رسول الله ـ ﷺ ـ والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا ، ثم غمزه الآخر وقال له مقالة صاحبه ، وبعد فترة قال لهما «عبدالرحمن بن عوف» هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه فابتدره أحدهما بسيفه وأجهز عليه ابن مسعود كما رواه البخارى فى صحيحه» .

إنهم كانوا يحرصون على أداء الصلاة فى خشوع وتضرع وإقبال على الله وطرح لشواغل الدنيا .

دخل أحد الصحابة مسجداً للصلاة فوجد به شاباً يصلى ويناجى ربه فى تضرع وتذلل ، وبعد أن انتهى من صلاته اقترب منه الصحابى وسأله : من أبوك يا فتى ؟ قال إنى يتيم الأبوين ، قال : أما ترضى أن أكون لك أباً ؟ قال فهل تطعمنى إذا جعت ؟ قال نعم : قال فهل تسقينى إذا عطشت ؟ قال نعم ، قال :

فهل تكسونى إذا احتجت ؟ قال نعم ، قال : فهل تحيينى بعد الموت ؟ قال أمّا هذه فلا ، قال فدعنى للذى خلقنى ورزقنى ، ثم يميتنى ثم يُحيين .

ردود وتعليقات

● القارىء وسيم عبدالعليم عزب ـ وكيل مدرسة أبى صقل الإعدادية بشمال سيناء .

مرحباً بك صديقاً دائماً للمجلة وفى انتظار إبداعات أخرى .

● القارىء/ محمد الضياء سيد حنفى ـ معهد الأقصر الدينى ، والقارىء/ محمد إبراهيم الدمرداش ـ بمجلس مدينة بركة السبع بالمنوفية .

نشكر لكم رصدكما لدور الأزهر ومجلته فى كشف الأباطيل الموهومة ودحض الأفكار الباطلة فى الكتب التى أُعيد نشرها بما تحمله من أخطاء تحت مسمى «سلسلة المواجهة والتنوير» . وقد لاحظتما أن المصفقين لهذه الكتب لا علاقة لهم بالبحث الإسلامى ، وكان الأجدر بهم والأكرم لهم التوفر على شىء تخصصوا فيه ، لأن البحوث الإسلامية لها فرسانها المتخصصون فى بحوثها ، وعزاؤنا ـ كما تعلمون ـ أن الساحة الفكرية ليست وقفاً على المفسدين ، فوراءهم من يحصى عليهم تهاونهم الأليم ، وهذا هو ما عكسته مجلة الأزهر فى أعدادها السابقة وهداياها المجانية .

● القارىء/ زكى محمد أبو دوح صالح ـ القاهرة :

يمكنك التوجه إلى المنطقة التعليمية الازهرية للتعرف على مدى إمكانية تحقيق رغبتك .

● القارىء/ شريف حمد فواز ـ المدرس بمعهد كوم دوار بسوهاج :

فيما يتعلق بشكواك كمدرس أزهرى من بعض أوجه القصور بالمقارنة مع نظيرك فى التربية والتعليم ، نفيدك بأن هذه السلبيات مطروحة ـ من قبل المسئولين بالأزهر ـ على موائد البحث وصفحات الجرائد ، ويمكنك قراءة المقالة المنشورة على صفحات هذا العدد بعنوان «إلى متى يطول الإهمال» .

● القارىء/ جابر محمد جابر حسين ـ رئيس مكتب تموين الرمل بالاسكندرية :

بالنسبة لمسابقة الشيخ الشعراوى التى أقيمت تحت إشراف الأزهر ، نفيد بأنه سيتم إخطار الفائزين بخطابات رسمية .

● نعتذر عن عدم نشر الباب الفرعى المعنون «بأقلام القراء» نظراً لضغط المادة المقالية على هذا العدد ، وبمشيئة الله تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً ، كما يحيط الباب قراءة الأعزاء علماً بأن مساحة الباب ذات دخل مباشر فى اختصار الكلمات المنشورة.

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذ / مصطفى عبد المجيد

الرئيس مبارك يشهد احتفال مصر بذكرى ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم

فى ليلة مباركة وعلى أرض مصر الطيبة بلد الأزهر الشريف ووسط كوكبة من علماء مصر والعالم الإسلامى احتفلت مصر بذكرى ميلاد المصطفى «صلى الله عليه وسلم» مساء يوم الإثنين الموافق ١٢ ربيع الأول ١٤١٤هـ الموافق ٣٠ أغسطس ١٩٩٣م .

شهد الاحتفال الذى أقيم بقاعة المؤتمرات الكبرى بمكتبة الاسكندرية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والدكتور رئيس مجلس الوزراء ورئيسا مجلسى الشعب والشورى وعدد من السادة الوزراء وكبار رجال الدولة ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف والسادة ضيوف مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام الذى تزامن انعقاده مع الاحتفال بذكرى ميلاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقد قام الرئيس محمد حسنى مبارك بتكريم خمسة عشر عالما ومفكرا من كبار علماء مصر والعالم الإسلامى والعربى ، كما منح سيادته جوائز الحج والعمرة وجوائز مالية لعشرين شابا من مصر وبعض الدول الإسلامية .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر كلمة جامعة دعا فيها المسلمين إلى الاهتداء بسنة صاحب الذكرى العطرة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالصدق فى القول والعمل وتحمل مسئولية أمانة الكلمة ، كما دعاهم فضيلته إلى التراحم فيما بينهم تمسكا بهديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تلك الصفة .

وفى ختام الحفل ألقى السيد الرئيس كلمة دعا فيها إلى الفهم الصحيح للدين الذى أكدته النصوص الشرعية القاطعة مشيرا إلى أن إيصال هذه الدعوة ينبغى أن تكون المهمة الأولى للدعاة والعلماء والعاملين فى حقل الدعوة ، وناشد سيادته المسلمين فى كل مكان بدعوة صادقة من

أرض الكنانة قلب العروبة ودرع الإسلام إلى العمل من أجل صحوة الأمة ونهضتها باتباع تعاليم الدين الحنيف لإبراز جوهر الإسلام فى أعين الآخرين .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الإعلام والثقافة لدولة سنغافورة

التقى فضيلة الإمام الأكبر والسيد جورج هوم وزير الثقافة والإعلام لدولة سنغافورة صباح يوم الخميس الموافق ٨ ربيع الأول ١٤١٤هـ ٢٦ أغسطس ١٩٩٣م ، ودار الحديث حول العلاقات الثقافية ودور الأزهر الشريف فى العالم الإسلامى وما يقدمه من خدمات لأبناء المسلمين فى سنغافورة ، وأبدى السيد الوزير تقديره وتقدير بلاده حكومة وشعبا للأزهر ودوره التاريخى فى العالم أجمع .

كذلك دار الحديث حول المتغيرات المنبثقة فى العالم بعد نهاية الاتحاد السوفيتى وظهور الدول الإسلامية الجديدة التى كانت تتبعه واتجاهاتها المتنوعة لاسيما فى التوجهات الإسلامية حيث اتجه بعضها إلى كل من تركيا وإيران وباكستان ، وكذلك ما يحدث الآن فى يوغوسلافيا السابقة ، كما دار اللقاء حول المشكلات المعاصرة التى حدثت وتحدث فى العالم الإسلامى والحلول المقترحة نحوها .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على دور الأزهر الشريف وما يقوم به نحو تقريب الثقافة الإسلامية لكافة الشعوب الإسلامية سواء بإيفاد المدرسين أو باستقبال الطلاب لتعليمهم فى كافة المراحل .

وقد أبدى السيد الوزير ومرافقوه الشكر والتقدير للمعلومات التى حصلوا عليها عن دور الأزهر وصلته بسنغافورة .

الإمام الأكبر يرأس اجتماعات مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام

برعاية من الرئيس محمد حسنى مبارك وبرئاسة فضيلة الإمام الأكبر نظمت وزارة الأوقاف مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام بمدينة الإسكندرية فى الفترة من ١٠ ــ ١٣ ربيع الأول ١٤١٤هـ الموافق ٢٨ / ٣١ أغسطس ١٩٩٣م ، وعلى مدى تلك الأيام الأربعة ، وبحضور ثلثمائة عالم إسلامى يمثلون اكثر من خمسين دولة إسلامية تمت مناقشة العديد من الأبحاث التى رفعت إلى المؤتمر .

وقد دارت المناقشات فى أربعة محاور هى : مفهوم الحرب والسلام فى الاسلام ، وحضارة الإسلام وعطائه فى نظم السياسة والحكم والشورى ، والعطاء الإسلامى فى المجال الإجتماعى والأسرى ، والعطاء الاسلامى الحضارى فى مجال الطب والعلوم .

وفى ختام أعماله أصدر المؤتمر إعلان الإسكندرية حيث وجه نداءين :

الأول إلى الأمة الاسلامية دعاها فيه إلى توحيد كلمتها وإعادة ترتيب أوضاعها لاسترداد هويتها .

والثانى وجه المؤتمر إلى شعوب العالم وقادته وساسته ومفكريه دعاهم إلى الإستعلاء على عداءات الماضى والارتفاع فوق بعض الصفحات السوداء فى التاريخ ، كما دعاهم إلى تبادل المعرفة والرأى والتجربة .

أكد المؤتمر فى توصياته الصادرة فى ختام أعماله على ضرورة الإلتزام بأحكام الإسلام ومبادئه السمحة التى تتميز بالوسطية للحفاظ على هوية

الأمة الإسلامية وأصالة حضارتها دونما انعزال عن الحضارة المعاصرة ودون ذوبـان فى حضارات أخرى .

كما سجل المؤتمر أسفه واستنكاره البالغ لما يجرى من ممارسات تعسفية واعتداءات وحشيـة على بعض الشعوب الإسلامية تحت سمع المجتمع الدولى وبصره ، بلغت ذروتها فى العدوان على دولة البوسنه والهرسك وبعض الأقليات الإسلامية فى بعض المجتمعات .

وقد دعا المؤتمر الدول الإسلاميـة والمجتمـع الدولى إلى بذل جهود مكثفة لدى الدول المعنية والمنظمات الدولية لوضع حد لهذه الانتهاكات والجرائم الوحشية .

• • •

وعلى هامش المؤتمر استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر بعض وفود الدول المشاركة فيه فقد استقبل فضيلته الدكتور ترمغدى طاهر وزير خارجية الشئون الدينية بأندونيسيا والسيد عبدالكافى القرشى وزير الأوقاف اليمنى والدكتور تمهيد موتيلاى محافظ مدينـة مرادى بالفلبين .

تم خلال اللقاء بحث أوضاع المسلمين فى تلك الدول ودعم سبل التعـاون بينها وبين الأزهـر الشريف لنشر الثقافة الاسلامية فيها .

زيادة عدد المنح المقررة للطلاب الدارسين بالأزهر

التقى فضيلة الإمام الأكبر قبـل ظهـر يوم الخميس الموافق ٨ ربيع الأول ١٤١٤ ـ ٢٦ أغسطس ١٩٩٣ بعدد من الصحفيين يمثلـون وكالة أنباء الشرق الأوسط وجريدتى الأهـرام والأخبار حيث طرحوا على فضيلته عددا من الأسئلة دارت حول التنسيق بين أجهزة الدعوة فى مصر ، وتطويـر التعـليم بالمعاهـد الأزهريـة ، وما يقدمه الأزهر الشريف لطـلاب الشعـوب الإسلامية .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية الدور الذى يقوم به الأزهر تجاه أبناء المسلمين من مختلف دول العالم حيث يتم تخصيص المنح الدراسية لهم كل عام مشيرا إلى زيادة عدد المنح المخصصة هذا العام حيث بلـغت (١٢٥٠) منحـة لطـلاب الشعوب الإسلامية بمعاهد الأزهر وجامعته .

وأعلن فضيلته أن هناك تنسيقاً مستمرا بين الأزهر ووزارة الأوقاف مشيرا إلى أن رجـال الوعظ التابعين للأزهر على مستوى الجمهورية والبالغ عددهم أكثر من ألفين وخمسمائة واعظ يؤدون واجبهم على خير وجه إلى جانب علماء وزارة الأوقاف من خلال خطة منسقة تعرض قبل تنفيذها على اللجنة العليا للدعوة برئاسة شيخ الأزهر .

وعن تطوير المعاهد الأزهرية أوضح فضيلته أن عملية التطوير قائمة ومستمرة وإنها تشمل الأبنية التعليمية بالإضافة إلى تدريب القائمين على العملية التعليمية بالمعاهد الأزهريـة من خلال دورات تدريبيـة خصصت لهذا الشأن ، كذلك أشار فضيلته إلى أن التعليم فى الأزهر له صيغة خاصة حيث يتميز الطالب بالأزهر عن قرينه فى التعليم العام بأنه يدرس العلـوم العربيـة والشرعيـة ، بالإضافة الى العلوم الثقافية موضحا أن المناهج الدراسية فى تطوير مستمر مع الإحتفاظ بالمناهج الإسلامية وذلك لخصوصية التعليم الأزهرى .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

العلماء المكرمون فى مصر

كرم الرئيس مبارك مساء ١٢ من ربيع فى احتفالات مصر بالمولد النبوى الشريف ١٥ من كبار علماء الإسلام وهم : د. عبدالحميد الطرابلسى وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بسوريا والشيخ جاد الرب رمضان جمعة عميد كلية الشريعة والقانون السابق بالأزهر .. والشيخ الترمذى طاهر وزير الشئون الدينية باندونيسيا ، والشيخ إبراهيم صالح المستشار الدينى برياسة الجمهورية بنيجيريا ، والسيدة نجمة هبة الله نائب رئيس مجلس الشورى بالهند ، وحفيدة أبو الكلام اذاد المفكر الإسلامى الهندى الكبير ، ومحمد يونس نائب مدير الإدارة الدولية بالجمعية المصرية بالصين ، والدكتور على فهد الزومية وكيل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، والدكتور يوسف الكتانى رئيس جمعية الإمام البخارى العلمية الإسلامية وعضو مجلس علماء المملكة المغربية ، ودومينك سبيغالية مدير معهد الدراسات الإسلامية بفرنسا ، والشيخ يوسف سليم مدير المركز الإسلامى بواشنطن ، وراجا ظفر الحب أمين عام المؤتمر الإسلامى بباكستان ، وعبدالغفور البورسعيدى رئيس المجلس الأعلى لمسلمى .... واسم المرحوم د. زكى الدين شعبان رئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق ، والشيخ نجدى صالح الخولى كبير أئمة بوزارة الأوقاف ، وشيخ مسجد الحسين بالقاهرة .

وقد اعتذر الشيخ الأمين عثمان مفتى أريتريا عن

عدم الحضور لتسلم وسام تكريمه لاصابته بأزمة قلبية ونقل للعلاج فى إحدى مستشفيات اسمرة .

زغرب :

قال الأمين العام للجنة الاغاثة الإنسانية ومقرها زغرب أن القوات الكرواتية تنتهج سياسة جديدة ضد النشاط الإغاثى بالبوسنة وأشار إلى أن قوات الشرطة الكرواتية قامت بمداهمة مقر أعضاء هيئات الإغاثة الإسلامية والعربية فى العاصمة الكرواتية . وفى نفس الوقت أكدت تقارير إخبارية أن السلطات الكرواتية قطعت خطوط الهاتف والاتصالات الأخرى لساعات عدة وأوقفت العديد من العاملين فى المجال الإغاثى وعلى أثر ذلك اتصل المجلس الإسلامى فى ألمانيا بجميع السفارات العربية والإسلامية وبعض الهيئات والمؤسسات بهدف التحرك لإيقاف هذه الانتهاكات بكل وسائل الضغط الممكنة وأرسلت رسالة للسفارة الكرواتية بالعاصمة الألمانية تطالبها بإطلاق صراح المحتجزين والموقوفين ورد كل الأجهزة والمعدات المسلوبة . ومن جهة أخرى نبه كبار المسئولين من أقطاب العالم الإسلامى إلى المخاطر التى يتعرض لها المسلمون فى كوسوفو والسنجق من عصابات صربيا التى أحشدت تمارس عدوانها ضد حرمات المسلمين ومقدساتهم فى يوغوسلافيا السابقة . وناشدوا دول العالم المتحضر ممثلة فى منظمة الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية حمل حكومة صربيا على احترام إدارة المسلمين فى تقرير مصيرهم فى إقليمى كوسوفو والسنجق وأخذ المبادرة لمنع أى اعتداء صربى همجى بربرى على المسلمين يؤدى إلى تجديد المجازر الوحشية ضدهم وأن سياسة المحاباة والكيل بمكيالين قد تكون الشرارة التى تشعل حرباً عالمياً ثالثة تكو بدايتها من شبه جزيرة البلقان .

تحذير هام :

جرت اتصالات بين قادة العمل التنصيرى فى أوروبا وروسيا لبحث نشاطات التنصير فى الجمهوريات الإسلامية بالتوقان وسيبريا وناقشوا خططاً لترجمة الإنجيل إلى خمسين لغة محلية فى مناطق الاتحاد السوفييتى السابق وستعقد دورة تدريبية لمترجمى الإنجيل فى روسيا .

القاهرة :

حذرت رسالة ماجستير نوقشت فى جامعة عين شمس حول التلفاز وأطفال المسلمين من خطر المسلسلات والأفلام التى تتسم بالعنف ولمدث ظهور بعض السلوكيات العدوانية إلى هذه البرامج وان المشاهدات لمدد طويلة للتلفاز والاتارى تسبب مايعرف بصرع الاتارى والذى بدأت الشركات اليابانية المنتجة لهذه الأجهزة فى التحذير منه كتابيا تماما كما يحدث فى التحذير من خطر التدخين وضرره بالصحة العامة .

العطاء الحضارى للإسلام :

عقد فى القاهرة فى الفترة من ٢٨ حتى ٣٠ أغسطس ١٩٩٣ المؤتمر العالمى تحت عنوان العطاء الحضارى للإسلام الذى حضره عديد من العلماء والشخصيات الإسلامية البارزة من شتى الأقطار الإسلامية والأقليات الإسلامية فى جميع أنحاء العالم وناقش المؤتمر الذى عقد برعاية شيخ الأزهر ووزارة الأوقاف العطاء الحضارى للإسلام فى العلاقات الدولية جاء فيها قضايا الحرب والسلام ومفهوم الجهاد فى الإسلام وعلاقة الدول الإسلامية بغيرها وتشجيع الإسلام للعلم والإعجاز العلمى للقرآن واتخاذ العلم سبيلاً للتقدم والرقى والازدهار البشرى .

اليابان :

عقد فى اليابان فى الفترة من ١٧/ حتى ١٩٩٣/٨/٢٥ مؤتمر عالمى تحت شعار تأثير العقيدة الإسلامية فى ميدان الصحة النفسية شارك فيه كبار الأطباء النفسيين فى أنحاء العالم وكان من بينهم أطباء مصريون قدموا بحوثاً ..... حول تأثير العقيدة الإسلامية الفعال فى التعجيل بشفاء المرضى وجدير بالذكر أن قوة الإيمان ترتبط ارتباطاً وثيقاً وإيجابياً بالصحة النفسية حيث كفل الله للمؤمنين به أمرين هما سر الصحة الإيمانية والنفسية ألا وأنهما مسألتا الرزق والأجر اللتان لا دخل للإنسان فيهما .

دمشق :

تقيم مكتبة الأسد فى الفترة من ٧ إلى ١٦ ربيع الآخر المقبل أى من ٩/٢٣ : ١٠/٢ سنة ١٩٩٣ معرض الكتاب العربى والإسلامى فى دورته السنوية التاسعة فى دمشق بسوريا وقد وجهت الدعوة إلى مختلف دور النشر والتوزيع والمؤسسات العلمية والمنظمات الإسلامية الدولية ووزارات الإعلام والثقافة والتربية والتعليم ومجامع اللغة العربية فى كل دول العالم الإسلامى للاشتراك بأحدث المطبوعات ويتخلل المعرض ندوات وأمسيات فكرية يشارك فيها نخبة ذوى الرأى والفكر الصحيح .

ماليزيا :

أوصت ندوة علمية عقدت بماليزيا بأهمية الإسراع فى انشاء مدرسة طبية هناك تعنى بالعلوم الطبية والصحية المأخوذة من القيم الإسلامية والمستنبطة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وصرح مدير الجامعة الإسلامية العالمية المنظمة للندوة بأن المدرسة المقترحة ستوضع ضمن مشروعات الخطة الخمسية السابعة للحكومة الماليزية التى تبدأ من بداية عام ١٩٩٦ وتعرف بقسم العلوم الصحية للجامعة الإسلامية العالمية والتى سيستفيد منها كل المسلمين .

الايسسكو :

تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسسكو بإعداد صور لجميع المخطوطات الإسلامية ذات الموضوعات العلمية الموجودة بمكتبة بوليفيان بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية ...... وذلك لتكون فى متناول يد الباحثين والدارسين للتراث الإسلامى وذكر مدير المنظمة أن هناك حوالى ٥ ملايين مخطوطة إسلامية باللغة العربية موجودة فى مكتبات العالم العامة لم ينشر منها فى القرن الماضى إلا مائتان ألف مخطوطة فقط وأن الملايين من المخطوطات تعرضت للسرق والحرق والتلف على أيدى الغزاة والقراصنة والمستعمرين .

بورما :

قال رئيس الجبهة الإسلامية فى دوهانجى نور الإسلام حمزة أن الحكومة البورمية لاتزال تطبق قانوناً سنته قبل عام يقضى بتجريد مسلمى روهانجيا من جنسيتهم البورمية وحرمانهم من حق المواطنة وأوضح أن هذا القانون قد سمح للحاقدين بالتطاول والاعتداء على المسلمين هناك أما حكومة بورما (ماينمار) فتفرض من جانبها حظر التجول فى مناطق المسلمين باستمرار مما يؤدى فى أحوال كثير الى أن المسلمين لايستطيعون آداء الصلاة فى جماعة وطالب سيادته فى زيارة قام بها لدولة الإمارات العربية المتحدة طالب العالم الإسلامى بالضغط على بورما لوقف انتهاكاتها المتواصلة لحقوق الإنسان وإحياءها على احترام سيادة المسلمين .

1. — Le Coran nous a dépeint dans plusieurs versets, les étapes de la formation de l'être humain — depuis qu'il est foetus jusqu'à sa mort-dans cette vie d'ici-bas. Il nous a montré aussi la destinée des humains après la fin de la vie d'ici-bas, comme on peut lire dans les versets sacrés :

"[Nous avons créé l'homme d'argile fine, puis Nous en avons fait une goutte de sperme contenue dans un réceptacle solide, puis, de cette goutte, Nous avons fait un caillot de sang, puis, de cette masse, Nous avons créé les as, Nous avons revêtu les os de chair, produisant ainsi une autre création — Qu'Allah soit béni, le meilleur des créatures ! Vous mourrez ensuite, puis le Jour de la Résurrection, vous serez réssuscités].

Sourate les Croyants, le sens de versets (12 à 16).

On peut donc voir que ces versets sacres, après avoir admirablement démontré les étapes de la création de l'être humain, se terminent ainsi par les paroles d'Allah (gloire à Lui).

Vous mourrez ensuite, puis, le Jour de la Résurrection, vous serez ressuscités].

Sourate "Les Croyants" le sens des versets de (15 à 16).

C'est à dire que, d'après ce qu'Allah a formulé, la création de l'homme passe par des stades : Le nouveau né devient un garçon, puis un jeune homme, ensuite un adulte et enfin un vieillard. Donc la destinée de tout homme le mène à la mort à laquelle aucun être humain ne peut échapper. (à suivre).

Layla Hussein Al Chaféi

"Réflexions autour du Jour Dernier d'après un article du Cheikh Tantawi, grand Mofti" (à suivre)

par Layla Hussein Al Chaféi

Le fait de croire qu'il y a un jour dernier, un jour de réssurection où aura lieu le Jugement dernier, avec la rétribution et le châtiment, est un des piliers fondamentaux de l'Islam et un des fondements de la vraie foi. L'Islam d'une personne est incomplet si cette dernière n'est pas profondément convaincue avec une foi inébranlable que ce monde ici-bas-ainsi que les objets et les créatures-est temporel. Allah seul en connaît la durée et qu'une autre vie durable et éternelle succèdera celle d'ici-bas ainsi qu'Allah-gloire à Lui l'a dit : [La vie de ce monde n'est que divertissement et jeu. La demeure dernière est certes la vraie vie. S'ils le savaient !] Sourate "L'Araignée" le sens du verset (64).

Ce qui revient à dire que le monde où nous vivons avec ses joies et ses peines (les jouissances et les plaisairs terminés est tellement éphémère qu'elle ressemble aux jouets qui attirent et réunissent les enfants pour une courte durée et dont ils finissent par se lasser par contre l'au-delà est le lieu (siège) de la vie durable, éternelle et permanente. Le mot " " dans le verset sacré désigne la vraie vie c'est-à dire la vie éternelle.

Une question surgit alors : comment la loi divine a-t-elle préparé les esprits, les coeurs et les sentiments en vue d'être âptes à accepter la foi en un jour dernier, où aura lieu le jugement des hommes, qui décidera de leur félicité ou de leur supplice éternel. Comment la chari'a, cette fois-ci a-t-elle engagé le dialogue avec les incroyants ou ceux qui doutent du jour dernier! Comment a-t-elle répondu à leurs doutes de façon à convaincre toute personne saine d'esprit? Comment a-t-elle fourni les épreuves évidentes et les arguments décisifs qui prouvent que ce jour viendra sans le moindre doute? Comment a-t-elle implanté au fond des âmes et des coeurs que ce jour est une nécessité afin que règne la justice sous toutes ses formes, afin que chacun obtienne la rétribution qu'il mérite, récompense ou châtiment? Comment a-t-elle peint les horreurs de ce jour avec un style si impressionnant et si sage qu'il pousse les saints d'esprits à s'y préparer en s'armant par la foi et les bonnes actions? Voici la réponse, à ces questions :

Le Saint Coran a adopté plusieurs voies pour implanter dans les coeurs la foi qu'il existe un Jour Dernier avec un jugement (une rétribution et un châtiment). Plusieurs propos du Prophète (paix soit sur lui) témoignent en détail de ce qui est exposé d'une manière générale dans le Saint Coran au sujet de ce jour qui est désigné sous plusieurs noms et sous des apparences impressionnantes et variées. Voici quelques moyens adoptés par le Coran en vue d'implanter la croyance en un jour dernier.

l'autre, il ne se préservait pas du contact de son urine pendánt qu'il urinait." Ensuite le Prophète (paix soit sur lui) prit une branche verte (encore tendre) la coupa en deux morceaux qu'il planta sur chacune des deux tombes : "Peut-être, dit-il, cela allègera-t-ils leurs souffrances tant que la branche ne sera pas désséchée."

CE QUI EST PRESENTE A LA VUE DU MORT MATIN ET SOIR

1. Impureté due à la façon d'uriner

Esnad : Ismaïl, Mâlek, Nafé, Abdallah Ebn Omar (A.S.L.) le Messager d'Allah (paix soit sur lui) a dit : "Lorsque l'un d'entre vous meurt, on lui montre matin et soir la place qui lui est réservée : c'est à dire au paradis s'il est destiné à être parmi les hôtes du paradis, ou en Enfer s'il sera parmi les hôtes de l'Enfer; puis il lui sera dit : "Ce sera là ta place le jour où Allah te réssuscitera."

LES PAROLES QUE PRONONCE LE MORT DURANT SES FUNERAILLES

Esnad : Qataïba, Al Laïth, Sa'ïd Ebn Abou Sa'ïd, son père Abou Sa'ïd Al Khodry (A.S.L.) a dit : "J'ai entendu le Messager d'Allah (paix soit sur lui) dire : "Lorsque le corps est placé sur le brancard et que ce dernier est porté sur les épaules, si le défunt est un homme de bien, il dit : "Empressez-vous, faites-moi avancer." Par contre, si ce n'est pas un homme de bien, il dit "Malheur à moi! Où m'emmerez-vous ?

Dr. Rokeya GABR

Esnad : Yahia Ebn Solaiman, Ebn Wahb, Younos Ebn Chéhab, Orwa Ebn Al Zobaïr a entendu Asma, fille de Abou Bakr (A.S.E.) dire "Le Messager d'Allah (paix soit sur lui) en faisant un sermon parla du supplice de la tombe qui est une épreuve pour l'homme. Lorsqu'il mentionna cela les musulmans poussèrent une grande clameur."

Ghondar a ajouté : "Le supplice de la tombe est une chose certaine."

Esnad : Ayyach Ebn Al Walid, Abdel Ala d'après Saïd Qatâda, Anas Ebn Mâlek (A.S.E.) a rapporté que le Messager d'Allah (paix soit sur lui) : "Lorsque le mort est placé dans sa tombe; que ses amis s'éloignent et qu'il entend le bruit de leurs pas sur le sol, c'est alors que deux anges viennent à lui, le mettent sur son séant et lui disent : "Que disais-tu au sujet de cet homme? (1) Le croyant répondra : "J'atteste qu'il est le serviteur d'Allah et Son Messager. On lui dira alors : "Regarde la place qui t'était réservée en Enfer, Allah te l'a échangée contre une place au Paradis," et l'homme verra ces deux places."

Qatada ajoute à cela : "On nous a dit (1) Mohammad paix soit sur lui que sa tombe devient spacieuse;" puis, revenant au hadith de Anas, il a ajouté "Quant à l'hypocrite ou le mécréant lorsqu'on lui demandera : "Que disais-tu au sujet de cet homme ? il répondra — Je n'en sais rien. Je répétais ce que les gens disaient "Les anges lui diront alors : "Tu n'a rien su et tu n'a donc rien lu du Coran ?" puis il sera frappé avec un marteau en fer et le coup sera si fort qu'il lancera un cri tel qu'il sera entendu de tout le voisinage à l'exception des hommes et des djinns."

LES INVOCATIONS QUI PRESERVENT DU SUPPLICE DE LA TOMBE :

Esnad : Mohammad Ebn Al Mothanna, Yahya, Cho'ba, Awn Ebn Abou Djohaïfa, son père, Al Barrâ Ebn Azeb, Abou Ayyoub (A.S.E.) a dit : "Le Prophète (paix soit sur lui) étant sorti un jour après le coucher du soleil, entendit un bruit." Ce sont dit-il des juifs qui subissent le supplice dans leurs tombeaux."

Selon un autre Esnad, al Nadr, Sho'ba, Awn a dit : "J'ai entendu mon père dire qu'Al Barâa a rapporté selon Abou Ayyoub (A.S.L.) qu'il a entendu le prophète dire cela.

Esnad : Mo'alla, Wohaïb, Moussa Ebn Oqba, la fille de Khaled Ebn Sa'ïd Ebn Al'As a raconté qu'elle a entendu le prophète (paix soit sur lui) faire des invocations pour qu'Allah le préserve du supplice de la tombe.

Esnad : Moslem Ebn Ibrahim, Hécham, Yahya Abou Salama, Abou Horaïra (A.S.L.) a dit : Le Messager d'Allah (paix soit sur lui) avait l'habitude (Allahomma) je me refugie auprès de toi, contre le supplice de la tombe et celui de l'Enfer, contre les épreuves de la vie et de la mort, et contre l'épreuve de l'Antéchrist." (1)

LE SUPPLICE DE LA TOMBE INFLIGE AUX COUPABLES DE MEDISANCE OU D'IMPURETE (1)

Esnad : Qataïba, Djarir, Al A'mach, Modjahid, selon Tawous, Abbas (A.S.L.) a dit : "Alors que le prophète (paix soit sur lui) passait devant deux tombeaux il dit : "Ces morts sont en train de subir un châtiment, ils n'ont pourtant pas commis de péchés majeurs puis il ajouta : "L'un deux colportait des médisances, quant à

Le supplice de la tombe

par Dr. Rokeya GABR

Voici ce qui a été dit au sujet du supplice de la tombe selon les Hadiths d'Al-Bokhari dans ce verset coranique :

"Si tu voyais les injustes lorsqu'ils seront dans le abimes de la mort, et que les Anges, leurs mains tendues, diront: Dépouillez-vous de vous mêmes vous serez rétribués aujourd'hui par le châtiment de l'humiliation.

Sourate : Les troupeaux, sens du verset (93)

Ainsi que ces paroles d'Allah-gloire à Lui-dans le Coran : "Nous allons les châtier à deux reprises après quoi ils seront livrés à un terrible châtiment". Sourate "le Repentir, le sens du verset 10

De même la parole divine :

"Le peuple de Pharaon a subi un dur châtiment :

'Ils seront exposés au Feu matin et soir-et le jour où sonnera l'heure dernière, il sera dit, "Jetez le peuple de Pharaon au sein du plus terrible châtiment." Sourate "Celui qui pardonne" le sens du verset 45 et 46.

ESNAD : Hafs Ebn Omar, Cho'ba, Alqama Ebn Marthad, Sa'd Ebn Obaïda, Al Barrâ Ebn Azeb rapporté que le prophète (paix soit sur lui) a dit : "Lorsque le mort est placé sur son séant dans sa tombe, on vient l'interroger; alors il témoigne qu'il n'y a d'autre divinité qu' Allah et que Mohammad est Son Messager. C'est à cela que se réfère la parole divine : (Allah affermit le cœur de ceux qui croient, par une parole assurée)

Sourate Ibrahim, le sens du verset 27

Ce même hadith rapporté par Mohammad Ebn Bashar selon Ghondar et selon Choba, il ajoute que ce verset fut révélé à propos de la tombe.

Esnâd 'Aly Ebn Abdallah, Ya'coub Ebn Ibrahim, son père, Saleh, Naféi, Ebn Omar (A.S.L.) a dit :

"Le Prophète (paix soit sur lui) après avoir bien regardé les cadavres jetés au fond du puits-d'Al Qalib, leur adressa ces propos : "Maintenant Vouz avez la certitude que les promesses de votre seigneur étaient véridiques." On dit alors au Prophète (paix soit sur lui); "Parles-tu aux morts? Ils m'entendent aussi bien que vous, seulement ils ne répondent point, dit le Prophète."

Esnâd : Abdallah Ebn Mohammad, Sofyan, selon Hécham Ebn Arwa le père de Hécham, a rapporté selon un hadith de "Aicha (A.S.E.) où elle rapporte que le prophète (paix soit sur lui) a dit seulement : "A présent, ils savent avec certitude que ce que je leur disais était la vérité, car Allah-Gloire à Lui a dit : (Tu ne seras point entendu des morts). Sourate "Les Romains," le sens du verset 52.

Esnad : Abdan, le père de Abdan, Cho'ba Al Ach'ath, son père, Masrouq, Aïcha (A.S.E.) a dit qu'une juive alla la trouver et mentionna le supplice de la tombe en ces termes : "Qu'Allah te préserve du supplice de la tombe."

Alors Aïcha interrogea le Messager d'Allah (paix soit sur lui) à ce sujet. Il lui répondit : "Que le châtiment de la tombe est une vérité." Et Aïcha (A.S.E.) d'ajouter "Jamais je ne vis le Messager d'Allah (paix soit sur lui) faire une prière sans demander la protection d'Allah contre le supplice de la tombe."

REVUE
AL-AZHAR

RABEI AL SANI

1414

Volume 66 — Partie IV

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

wholeness of the text resulted in what is to be called "a third language". Arberry, on the other hand, was able to convey partly the literary and aesthetic effect. However, in Asad's translation, we find that his frequent use of parenthetical glosses impeded the flow of the discourse and resulted in a patch work that has a negative communicative effect. Khatib, however, was able to meet the demands of contemporary reader by using modern English style.

In order to render an adequate translation of the Quran, there are certain conditions to be essentially observed. First of all, the translation of the Quran must be done by someone with enough sympathy and understanding of the text. Without them, the translator could not transfer its meaning adequately. Second, the translator should have command equally over the source language and the target language. If he is not well versed in words, idioms, subtleties, and the style of the source and target language, he will surely be liable to make mistakes. The translator must also be well acquainted with the related sciences, such as hadith, exegesis... etc. Translations by persons with insufficient knowledge of either language, or with insufficient background, poor knowledge of related sciences, are of little use and may misrender, if not mispresent, the meanings of the Quran. For this reason, translating the Quran should better be carried out by a translation team. The translation team should include :

a) At least one mother tongue speaker of the source language.

b) At least one mother tongue speaker of the target language.

c) Almost one person with ability to interpret the source language test i.e. to discover the meaning of the source test accurately.

d) Native speaker of the target language to revise the translation in co-operation with a native speaker of the source language.

Third, testing the translation should be done with a wide cross-section of people, including, wherever possible, both Arabs and non-Arabs, Moslems and non-Moslems. The aim to find out whether people understood the correct meaning of the original message, and whether the language used in translation is correct and clear. Through testing and checking errors, inaccuracies, confusions and unnaturalness in the translation could be discovered and corrected. Fourth, as the translation is prepared for publication editing will also be needed. This includes checking such details as spelling, punctuation, verse numbering, consistency in the use of key terms and in the translation of parallel passages; a hard and exacting part of the work, but also necessary. Fifth, in printing the translation of the Quran, a photocopy of the Arabic text taken from an authorized Arabic copy should be printed alongside the translation in order to avoid any possible misunderstanding on the part of some people that such translation is equivalent to the Quran and thus can replace it.

Those are some recommendations and suggestions which ought to be taken into consideration in any translation of the Quran.

To be continued.

the native tongue of two only [Pickthall and Arberry]. Surah "MARYAM", its time and subject-matter is also included in part I.

In translating the Quran, which is a Holy Book addressed to all people in all times, the objective aimed at, in my opinion, is to render as adequately as the target language allows, both the meaning of the text and its communicative effect. The translator should convey the contextual meaning of words according to the interpretation given by the exegesis. Also the real purport and beauty of the original language, as far as possible, should be kept in the translation. The translator's failure in conveying any of the affects the reader's comprehension in addition to misdirecting his attitude towards reading the Quran.

In this paper, therefore, the qualify assessment of the translations of Surah "MARYAM" will deal with two aspects : mismatch in meaing and mismatch in communicative effect.

Part II deals with semantic mismatches which results mainly from wrong selection of words which are due to the translator's failure to understand the true meaning of the words as found in the original, or to his inability to select the most appropriate equivalent to the contextual meaning of the original.

Part III, however, is concerned with communicative mismatches. This part is divided into texical and stylistic. The former deals with those instances of lexical mismatches such as substitutions, additions, or omissions, which affect the communicative aspect of the source test. The latter deals with mismatches of rhetorical devices found in Surah "MARYAM" such as ellipsis, metaphor, "Iltifat", non-consequential exception, and sentence linkage, which also result in mismatch of communicative effect. This part also includes the style and language used by each translator which again affect the communicative aspect of the source text. It is worth mentioning, however, that in the quality assessment, the translators are judged against the source text where the original acts as a yardstick for the translation. They are also assessed as independent pieces of writing. Each translation, however, is not studied separately, verse by verse, but I will try to show the mismatches whether semantic or communicative between the translations and the source text. For this reason, the exegesis plays a major part for it is extremely important in the careful research into the exact meaning of the source message. The exegetes consulted in this work are: Zamakhshari, Qurtubi, Tabari, Baydawi, and Al Fakhr Ar-Razi.

Part IV, however, is divided into two points : the first deals with the translation difficulties which pose problems to translators when attempting to render the meaning of the Quran into other languages. The second point includes a comparison between the five translators in order to find out how far each of them was successful in rendering both the meaning and the communicative effect of the original.

Regarding the translations selected for this study, we find that despite the lexical and semantic mismatches found in each of them, the translators had tried hard to render as adequately as possible the meaning of Surah "MARYAM". However, they differed greatly regarding the communicative effect of the message. Pickthall adopted a literal translation at the expense of the communicative effect of the message. As to Y. Ali, we find that his use of a mixture of styles and languages without preserving the

A COMPARATIVE STUDY OF THE ENGLISH TRANSLATIONS OF THE MEANINGS OF SURAH MARYAM

(AN INTRODUCTION)

PRESENTED BY MONA ABDEL GHAFFAR SALEM M.A.

The field of Islamic studies has been and still is receiving a great interest from scholars everywhere. Many translations of the meanings of the Quran have been attempted by Moslems and non-Moslems, Arabs and non-Arabs.

Being a graduate of the English Department of Al-Azhar University, I found it my duty and also my interest to look into those translations in an attempt to find out whether these translations are adequate or inadequate, and to what extent they convey the true meaning of the Quran.

I selected Surah "MARYAM" from the Quran for my investigation hoping that the comparative study of the translations of the meanings of this Surah will help in reaching to some conclusions and recommendations for an adequate translation of the meanings of the Quran.

Some Moslem scholars opposed the idea of translating the Quran and even considered such attempts to be an act of blasphemy. This is partly due to the fact that early translations of the Quran were made by missionaries and their helpmates, with the aim of distorting the Quran and its message. However, in the year 1936, AL-AZHAR under the auspice of SHAYKH MUSTAFA AL-MARAGHI, proposed a project to render an official translation of the "meanings" of the Quran. translation committee of the Quran was issued by AL-AZHAR. The matter is rather left in the hands of private individuals who go on improving upon earlier ones. One of the latest English translations of the Quran rendered by M. M. KHATIB has been authorized by AL-AZHAR in 1984.

Part I of this research includes earlier disputes over the translatability of the Quran. Also in this part there is a survey of the English translation of the Quran (complete works). It shows how the Quran has been translated for different purposes by Moslems and non-Moslems, Arabs and non-Arabs. It will also introduce to the reader the five translators selected for my comparative study of Surah "MARYAM". The five translations studied in my research are rendered in the twentieth century by Mohammad Marmaduke Pickthall, Abdullah Yussuf Ali, Arthur John Arberry, Mohamed Asad, and M. M. Khatib who represent a variety of different nationalities, religions, and languages. As to their nationality, two of the translators are English [Pickthall, Arberry], one Indian [Y. Ali], one Polish [Asad], and one Egyptian [Khatib]. Regarding their religion, two of them are Moslems [Y. Ali, Khatib], two converts to Islam — from Christianity [Pickthall] and from Judaism [Asad] — and one Christian [Arberry]. All the translators translated from Arabic, however, the target language is

Some German women have already started to oppose the dominant atmosphere of sexism in society, especially in the media and in the professional world. Moreover, many have recognized the dangers of alcoholism and drug-addiction, and some individuals may welcome a religion that prohibits the use of alcohol and drugs. It can be also noted that there are young people who find Islam attractive for various reasons, either being brought up without religion, like teen-agers in the former East-Germany, or in families that are only Christian by name; young people soon lose their beliefs and stop going to church. At school, religious instruction is not compulsory and it is a rather unimportant subject. People are not used to speak about religion in the German society, and young people are often disappointed by the apparent materialism of their parents, who would give their children a lot of money but little affection.

Since many teen-agers feel a spiritual emptiness they start searching for other religious, sects and systems. They are in need of a sound order and willing to accept the leadership of any guide. Therefore obsecure sects are gaining adherents in Germany, especially in the former East-Germany which has become a large market for missionaries of all kinds of sects and ideologies. From Asia and America young people nowadays are interested in magic and witchcraft, some have become members of cults that worship the devil. Therefore, it is high time to intensify the propagation of Islam in Germany, a rather difficult task which is undertaken by several Muslim groups all over the country. Members of these groups, both Germans and foreigners, would organize lectures on Islam and sell Islamic books in public squares, as well as discuss questions raised by the public.

However, there is another problem in propagating Islam in Germany or in other western countries : this is the splitting of Muslims into various groups. The majority of mosques in Germany is run by Turkish muslims, but there are also Islamic centers established by other nationalites like Arabs, Iranians and Pakistanis. Unfortunately, there seems to be little counnection and co-operation between these groups.

Nowadays, fears are dominant that the German environment is going to be damaged by the pollution and carelessness of man. Islam stands for the protection of environment, of plants and aninals. Man is responsible for everything Allah has given to him, and he should not waste the resources of the world.

It is worthy to say that some of these notions could attract those people in Germany who are deeply concerned with the question of how mankind is to survive in the future. Man has forgotten his creator, and instead, is worshipping his own technology and sciences. Fear of the future, of wars and catastrophes, and the lack of sound perspectives are reasons for young people to search for a religion or a system that may give meaning to their lives and guide them.

The failure of Marxism and communism as illustrated by recent developments in East Europe may be a sign to many young people that these ideologies are unable to offer solutions to the great problems of mankind. Thus we are in a world of change and transition, and it is up to the Muslims everywhere, and in the Western countries, in particular, to propagate Islam with the best possible way i.e. by discussions, books, lectures, and most of all, through excellent behaviour. Some of the German converts to Islam who were heard of were deeply impressed by those Muslims that they had come to known. Those foreign Muslims had been able to convince their German friends by their helpfulness, kindness, calmness and patience, and most of all, by their deep faith. Such people are the best ambassadors of Islam.

The Problems of Propagating Islam Among Germans, Especially women (Based on the words of a German convert)

by Iman El Zeiny

Muslims in Germany constitute a minority of about 2.5 million, who are mostly foreigners. Islam in Germany is often mixed up with political issues and, therefore, there are plenty of prejudices against Islam in its society. In the German media, there are various reports on the Islamic world which find wide-spread interest. Unfortunately, however these reports are often biased against Islam giving wrong impressions to spectators who have little or no idea of what that religion stands for. So often is Islam associated with Holy wars, Aggression, fanatism as well as terrorism. Islam is thought of as uncivilized religion : "Muslim still live in the 15the century", that means in the darkness of the European Middle Ages, some Germans, as well as other Europeans, say, stating that in Saudi Arabia, for example, the hands of thieves are cut off and adulterers are stoned to death.

Many of the Muslims living in Germany are simple uneducated labourers from Turkey, Jugoslavia, Tunis and Morocco, who German, in general, keep apart from them socially. Nowadays, there is a lot of unemployment in Germany, especially after uniting both West-and East-Germany, and uniformed people blame the foreigners for taking jobs from them. In reality, these jobs are often extremely low, e.g. waste collector and charwoman etc., which most Germans refuse to accept although the pay is good.

Concerning the position of women in Islam, there exist even more prejudices in the West : people believe that Muslim women are suppressed by men who can have several wives (Polygamy) and divorce them easily. The only role of Muslim women would be to serve their husbands and to give birth to as many children as possible. Indeed, there have been cases of Turkish workers who kept their wives and daughters at home by force, even depriving their daughters from attending school. Moreover, to many Germans, the head-covering (scarf) of Turkish women the symbol of male oppression, is unacceptable.

Keeping such examples and prejudices in mind, how can Islam be attractive to German women? In adopting Islam, wouldn't a woman be obliged to wear a scarf, which makes her an outsider at first glance! Muslim girls wearing scarfs in Germany may have some problems at scool, but after graduating they can be sure to have great difficulties in finding jobs or apprenticeships.

Therefore, it is necessary to make clear that in Islam, the head-covering of women is not a symbol for male oppression but a means of protection.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66 Part IV

Rabi AL-AKHAR, 1414 Higrah — October, 1993,

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

CONTENTS

1 — The Problems of Propagating Islam Among Germans, Especially women (Based on the words of a German convert)
by : Iman El Zeiny

2 — A comparative study of the English translations of the meanings of surah Maryam
By : Mona Abd El Ghaffar Salem.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهــرس

الموضوع الصفحة

● الافتتاحية (هل أعلنت العلمانية الحرب على الإسلام) .
د. على أحمد الخطيب ٤٨١
● كلمة السيد رئيس الجمهورية فى احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف ٤٨٤
● كلمة الإمام الأكبر فى ذكرى المولد الشريف . ٤٨٨
● كلمة السيد رئيس الجمهورية فى مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام ٤٨٩
● حوار مع الإمام الأكبر ٤٩٣
● فتوى للإمام الأكبر ٥٠٠
● نظرة فى تحقيق صحفى نشرته جريدة الأهرام
للأستاذ/ محمد البشير حسين نافع ٥٠٣
● مع سورة الأنفال للدكتور عبد الجليل شلبى . ٥٠٥
● قبس من أنوار النبوة
للشيخ على حامد عبد الرحيم ٥٠٩
● الخلاف الفقهى بين الأساليب اللغوية
للشيخ أحمد عبد الله أحمد العبلينى ٥١٢
● القرآن صالح لكل زمان ومكان
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ٥١٨
● حتى لا تكون فتنة
للأستاذ الدكتور ابراهيم عوضين ٥٢٣
● المرأة فى الغرب الأوربى
للأستاذة الدكتورة/ اسمت غنيم ٥٢٧
● الموارد المالية للمرأة فى الإسلام
بقلم عبيد عبد الواحد ٥٣٠
● تركيا والاتجاه شرقاً
للأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام ٥٣٦
● مغالطات عن مسلمى تركيا
للأستاذ/ أحمد محمد الصواف ٥٣٩
● القيادة الإدارية (٢)
إعداد الدكتور محمد عبد الله آل ناجى ٥٤٣
● الفتاوى إعداد الأستاذ عبد المنعم فودة ٥٥٤
● طرائف ومواقف .
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٥٥٦
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات ٥٥٨
● من أعلام الأزهر
للأستاذ/ محمود عبد الرازق عقباوى ٥٦٢
● أبو الريحان البيرونى
عرض وتحليل أ.دأحمد فؤاد باشا ٥٦٤
● الحشرات فى القرآن الكريم
أ.دعبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى ٥٦٨
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد د. نجوى السيد أحمد ٥٧٩
● البحث النحوى عند الإمام النووى
إعداد د. محمد عبد القادر هنادى ٥٨٣
● القصيدة العربية (٦)
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ٥٩٢
● عبقرية التراث بين النفى والاثبات
للدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوى ٥٩٦
● بين المجلة والقارىء
إعداد/ د. محمد عبد الحكم محمد ٦٠١
● أنباء مكتب الإمام الأكبر .
إعداد الأستاذ/ مصطفى عبد المجيد ٦٠٦
● أنباء العالم الإسلامى .
إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ٦٠٩

Section Française

Article 2 :- Layla Hussein Al Chafeı .. 612

Article 1 :- *Dr. Rokeya GABR* **614**

English Section

Article 2 :- By : Mona Abd El Ghaffar Salem 620

Article 1 :- by : *Iman El Zeiny* **622**

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير.. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

واحذرهم أن يفتنوك

لازال تشويه الإسلام ورسالته هدفا لأكثر من سبعين فى المائة من صحافتنا ، فمن خلال الهجوم على « الشريعة » ورميها بالقصور - إلى النيل من الأزهر وإنكار عطائه ، وغمط علمائه - يتصور المهاجمون أنهم محققون أهدافهم لا محالة .

مهلا ، ياقوم .

إن الله لا يخلف الميعاد ، ولينصرن الله من يَنْصُرُهُ ، فَارْبَعُوا على أنفسكم فلا طائل فيما تفعلون ، والله - من ورائكم - محيط . إنكم تحادون الله وفيكم وأمثالكم يقول - تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ **المجادلة ٢٠ - ٢١**

والآية واضحة فيما كتب الله ـ تعالى ـ على محاربيه ومحاربى منهجه من الإذلال والهزيمة .. إذلال لا يمكنهم مجاوزته إلى عزة ، وهزيمة ليس بعدها نصر ، وكيف ؟ والله ـ سبحانه وَحْدَه ـ هو القوى العزيز المتولى حربهم !!

ولقد حوربت شريعته ـ تعالى ـ ليس على أيديكم فقط ... حورب أمْرُها ونَهْيُها وحُدُودها وفرائضُها ، وظلت مع ذلك باقية ؛ لأنها شريعة « الباقى » ـ سبحانه ، وفيها يقول ـ لرسوله ـ ﷺ وأتباعه المخلصين فى كل مكان وزمان :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ الجاثية ١٨ ـ ٢٠ .

ويقول تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة ٤٩ ـ ٥٠ .

والآيات تتحدث عن : الشريعة ومناهضيها .. أما الشريعة ، فالآيات تعنى وجوب العمل بها ، وتشير إلى محاولات مناهضيها فى البعد عنها ، وما يجب على المسلمين الخالصين إزاءها وإزاءهم ، ووجوب الحذر من فتنتهم وفسقهم ، وفيها استدراج المولى ـ سبحانه ـ لأولئك الأذلين بذنوبهم ، ثم فشلهم فى النهاية ومن أصدق من الله حديثاً ؟

إن مناهضيها قوم يُحَادُّون الله ـ عز وجل ـ فليس من بينهم من يؤمن به قال ـ تعالى :

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾ (ســورة المجادلة)

صدق الله العظيم ، وكذبت ثم فشلت وسائل « التنوير » .

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ المائدة : ٨١ .

د. على أحمد الخطيب

مع

الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

أدب الاختلاف في الإسلام

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

أى ديـن توفـرت له دعـائم الوحـدة مثل الإسلام ؟

المحاضرة التى ألقاها صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريـف فى الجمعيـة العربيـة للتربيـة الإسلامية والمعهد العالمى للفكر الإسلامى ، وذلك عقب مغرب الأحد ٢٣ من ربيع الآخر ١٤١٤ الموافق ١٠ من أكتوبر ١٩٩٣ وهذا نصها :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

الحضور الكرام من السيـدات والسادة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

لعلنا قبـل أن نتحـدث عن أدب الخلاف نتحدث عما هو أهم من الخلاف ، وهو وَحْدَةُ المسلمين ودعائم هذه الوحدة فى الإسلام .

إن الله شرع لنا الصلاة ووجهنا إلى قبلة واحدة ، يتجه إليها المسلمون من شتى أنحاء الأرض ، وذلك ليس فى دين آخر ، ولا فى عادات أخرى ، ولا لدى أى قوم آخرين ، كل المسلمين يتوجهون إلى قبلة واحدة ، يصلون فى أوقات واحدة قد تختلف من موقع إلى موقع ولكنها : صلاة الفجر ، أو صلاة الظهر ، أو صلاة العصر ، أو صلاة المغرب ، أو صلاة العشاء .

مظاهر الوحدة بين المسلمين

نصوم شهراً واحداً فى العام يبدأ فى وقت واحد متقارب .

ونحج إلى بيت الله الحرام ، نسعى إليه من كل أنحاء الأرض .

أى دين وأى عادات وأى قوم لهم هذه الدعائم من الوحدة ؟... لا أحد .

لنا كتاب واحد حفظه الله وأبقاه كما أُنْزِل على ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

هذه علامات وهذه إيحاءات من هذه الفرائض ومما أنزل الله على رسوله ﷺ تدعونا دائماً إلى الوحدة وإلى الاتحاد ، وإلى أن نكون صفاً واحداً وأمة واحدة . هل يعوج الصف فى الصلاة ، أو أنّ الإمام الذى يتبعه المصلون يُقَوِمّ هذا الاعوجاج ؟

إننا نصفُّ أقدامنا لتكون متساوية ونتجه كلنا إلى القبلة اتجاها صحيحاً .

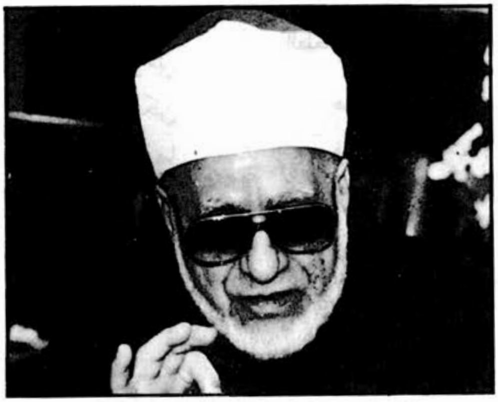

شيخ الأزهر فى اللقاء الذى عقد بالجمعية الإسلامية للتربية

رسول الله ﷺ نتلوه ونتعبد به وهو دستورنا : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ . الأنعام

دعوة المسلمين الى الوحدة

إذا كانت هذه الدعائم ــ دعائم الوحدة ــ قائمة ــ بحمد الله ــ مستقرة فيما بيننا ، حتى إن تركنا بعضها نئوب إليها سراعاً تائبين مستغفرين .

إذا كان هذا هو الذى قال عنه رسول الله ألا نستصحب كل ذلك فى أعمالنا ، فى نوايانا فى فكرنا . هذا هو الواجب علينا :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾
آل عمران : ١٠٣

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .
الأنفال : ٤٦

تلك أسس ينبغى أن نرتادها فى كل وقت وأن نستذكرها ، وألا نحيد عنها .

الاسلام وضع الضوابط الشرعية لأدب الاختلاف

لكن هل الأمة أو الأمم دائماً فى وفاق ؟

أو أن الوفاق المطلوب هو أن يتساوى الأفراد ويتساوى الناس فى كل شىء ؟

لا .. لقد خلق الله الإنسان فى نوعيات عديدة : خلقاً مختلفاً فى اللون ، وفى اللسان ، وفى الفكر ، وفى الموقع ، وفى الطول ، وفى القصر .

هناك اختلافات كثيرة طبيعية خلق عليها الإنسان ، فانعكس ذلك على فكره ، وعلى سلوكياته ، وعلى كل مرئياته فى الحياة ؛ فلا يمكن ولم يحدث أن يتفق الناس على أمر من الأمور إلا ما كان وحياً من الله ــ سبحانه وتعالى . آمنوا به .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ هود

الفرق بين الخلاف والاختلاف

قال الرازى ــ فى تفسيره : والمراد : اختلاف الناس فى الأديان والأخلاق والأفعال .

فالخلاف أمر طبعى أو طبيعى خلق مع الإنسان لكن أى خلاف محمود وأى خلاف مذموم ؟ والخلاف والاختلاف كلاهما فى لغتنا ، و « الأدب » الذى اتخذه الداعون عنواناً للمحاضرة هو : « أدب الاختلاف » فماذا عن الأدب ... أى أدب نبتغيه : الأدب يقولون عنه فى اللغة : إنه الجمع . جمع الخصال المحمودة .

وعرفه الجرجانى بأنه : معرفة ما يحترز به عن جميع الأخطاء .

وفى الأثر :

﴿ أَدَّبنى رَبّى فأحسن تأديبى ﴾ أى جمع لى جميع الصفات المحمودة وغرسها فىّ لذا كان أدب الرسول ﷺ وكان مدحه بقول الله ــ تعالى :

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾

ومن الكلمة جاءت : « المأدبة » التى يدعى الناس إليها ، وقيل لها : هذا ؛ لأنها تجمع أطايب الطعام وأطايب الشراب .

هذا عن الأدب .

فأما الاختلاف ؛ فقد عرفه الجرجانى بأنه : منازعة تجرى بين المتعارضين لتحقيق حق أو إبطال باطل ، ومن هنا قالوا : إن الاختلاف يكون عن دليل وبينة ، أما الخلاف فيكون على غير دليل ، إنما هو منازعة لمجرد الخروج على رأى .

أسباب الاختلاف :

١ ــ أسباب ذاتية أو خلقية : كالغرور بالنفس والإعجاب بالرأى واتباع الهوى ، وهذا إذا كان بسببه اختلاف كان من الاختلاف المذموم .

٢ ــ أن يكون سبب الاختلاف فكرياً : لوقوع التفاوت بين المتخالفين فى تحصيل التأهل للنظر والاستنباط وتوافر المعلومات عند أحدهما ونقصها عند الآخر .

وقد حصر الشاطبى الاختلاف غير الحقيقى فى عشرة أنواع .

وقد توافقت جمهرة العلماء على أن أمور الدين التى يمكن أن يختلف فيها إما أصول الدين أو فروعه ، وكل منهما إما أن يكون دليله قاطعاً أو لا ، فهى أربعة أنواع :

النوع الأول :

أصول الدين التى تثبت بالأدلة القاطعة كوجود الله وملائكته وكتبه ورسله .. لا مجال للاختلاف فيها .

النوع الثانى :

بعض مسائل أصول الدين مثل رؤية الله فى الآخرة وخروج الموحدين من النار ، فمن خالف الأخبار الواردة فى ذلك مكذباً لها خرج من الإسلام .

النوع الثالث :

الفروع المعلومة من الدين بالضرورة كالفروض الخمسة وحرمة الزنا والسرقة ، فليس ذلك موضع اختلاف .

النوع الرابع :

الفروع الاجتهادية التى قد تخفى أدلتها فهذا موقع الاختلاف فى الأمة .

أصلان قام عليهما الاسلام

إن أصولنا – فى الإسلام – القرآن والسنة الواردان فى قوله ﷺ : « **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى** » .

هذان الأصلان عليهما قام الإسلام لكن :

هل القرآن جاء بكل الشرائع والعقائد تفصيلاً أو أنه جاء بها جميعاً : منها المفصل ومنها المجمل ومنها ما عهد إلى رسول الله ﷺ لبيانه :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

النحل : ٤٤

فإذن لدينا مصدران : هذان المصدران تبعهما رسول الله ﷺ فى حياته : القرآن والسنة ، ومن بعده أصحابه

فى سقيفة بنى ساعدة

لنصرب بعض الأمثلة عن خلافات الراى فى العصر الأول ، وبعد وفاة الرسول ﷺ .

فى سقيفة بنى ساعدة عقب وفاة الرسول ﷺ ماذا تم ؟

اجتمع الأنصار والمهاجرون ، ورجعوا إلى أصولهم من الهجرة ، وأهل النصر من المدينة ، ورجعت كل قبيلة تنادى إلى عرقها وأصلها ، وعلت الأصوات وكثر الضجيج . كُلٌّ يقول حجته ، وكل يقول ما قَدَّمَ للإسلام . لكن من الذى حكم بين هذا الاختلاف ؟

حين جهر عمر بقوله لأبى بكر – رضى الله عنهما : أبسط يدك أبايعك ، رضيك رسول الله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا !؟

ماذا كان من القوم قاموا جميعاً ، وبايعوا أبا بكر لم ! لأن الدليل قد أقامه رجل منهم . إن الرسول ﷺ أناب أبا بكر فى الصلاة حتى إن أبا بكر تأخر وقدم عمر لأنه قوى الصوت فخرج رسول الله ﷺ يجر ثوبه – وهو مريض – وقدم أبا بكر ، وصلى خلفه قاعداً .

مصادر الاحتكام بين المسلمين

الدليل إذن هو الذى حَكم .

وهذا أول أديب فى فقه الإسلام ، وفى اختلاف الرأى فى الإسلام .

ينبغى أن يكون الدليل هو الحكم .

والأدلة معروفة .

الدليل إما من القرآن ، وإما من السنة ، وإما

لاينبغـى أن يكـون الخـلاف الفقهى مدخـلاً للفرقة

من الإجماع ، وإما من القياس ، وإما من الأدلة الفرعية الأخرى المختلف عليها : كالاستحسان والمصالح إلى أخره بهذا إذا وجد الدليل ينحسر الخلاف .

لكن لم الخلاف ؟

لم يَنْشَأُ الخلاف ، وما أسبابه فى أحكام شرعية ، أو أحكام إسلامية ـ إذا كان من سمة الإسلام ؟

إن مما اختص الله به المسلمين أن يكون لهم مصادر يحتكمون إليها ، ويأخذون منها شريعتهم وعقيدتهم ؛ فإنهم ليسوا كغيرهم ممن يأخذون من عادة أو من عرف قد يكون فاسداً وقد يكون صالحاً ، إنما الأخذ عن الله ـ تعالى :

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ يوسف : ٤٠

الحكم لله ـ سبحانه ـ فى القرآن وعلى لسان رسوله ﷺ .

فإذا كان الحكم لله فى القرآن وفى السنة فلم الاختلاف ؟

شاء الله أن يكون القرآن والسنة بلغة العرب ، باللغة التى شرفها الإسلام بنزول القرآن بها ، ولغة العرب فيها : ما هو عام من الألفاظ ، وما هو خاص ، ومنها ما هو مطلق وما هو مقيد ، ومنها ما هو من الألفاظ المشتركة ذات المعانى الكثيرة التى تتبين فى موطنٍ وفى موطن آخر تكون بمعنى آخر ؛ فكان الخلاف ومن هنا قد يقع ـ الخلاف بين الفقهاء وبين العلماء بسبب لغة النص :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ المائدة : ٦

فيما جاءت به كل جزئية من هذه الآية ستجد خلافاً فى الفهم : ستجد خلافاً فى « غسل اليدين إلى المرفقين » .

المرفق داخل أم خارج ؟، سنجد خلافاً فى مسح الرأس ، والخلاف فيه : الربع أو مقدم الناصية أو الرأس كلها ؟ ولكل وجهة . أو ذات النص .

هل تضارب الأئمة ، أو تصايحوا ، هل وقع بينهم الشجار بسبب الفهم المستند إلى النص ؟

أو أن كل واحد منهم وقف على ما ألهمه الله ، وأخذ به ، وهل نحكم على مصل لم يمسح رأسه كلها ـ كما يقول الإمام مالك : ببطلان وضوئه ، وبالتالى ببطلان صلاته ، أو أن مالكاً كان يصلى خلف من لم يتبعه ، وأن الشافعى كان يصلى خلف من لا يتبعه ، وأن الحنفية يصلون خلفهم . وهكذا كلهم تأدبوا بأدب الخلاف فى الإسلام ؛ فالتزموا بما فهموا ؛ لأن النص يعطى هذه المعانى . وهكذا .

خــلافات حــول فهـم النـص

إذا سرنا مع هذه الآية سنجد خلافات فى الفهم أدت إلى مسالك كثيرة فى العمل . هذه المسالك لا شك أنها رحمة من الله ، ولو أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون النص واحداً لكانت هناك المشقة كما عبر عن ذلك الخليفة الخامس العادل « عمر بن عبدالعزيز » ـ رضى الله

عنه ـ حين امتدح خلاف الصحابة والتابعين ، وقال : إن فى هذا الاختلاف رحمة بالناس .

هذا عن طبيعة النص الذى نستقى منه الحكم الشرعى .

وأين طبيعة البشر من هذا النص ؟

كما قلنا : البشر مختلفون فى كل الطبائع ، فى الفهم : فى العقل ، فى القدرة على التحصيل ، وقليل ماهم الذين يدركون هذه الحقائق . فأرشد القرآن المسلم بقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ ﴾

النساء : ٨٢

لم يسند المولى ـ عز وجل ـ الفهم والعلم إلى كل الناس ، وإنما أسنده إلى فئة تهيأت أو هيأها الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأهلها بالقدرة على الاستنباط والبيان والفهم ، وتلك الفئة هى التى أشار إليها فى آية أخرى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

التوبة : ١٢٢

إذن الاختلاف فى طبائع البشر ، وفى قدراتهم ، وفيما أودع الله فيهم من عقل وفهم ، وتفاوت وامتياز كل منهم فى أمر دون الآخرين كل هذا من أسباب الاختلاف فهل تؤدى هذه الأسباب إلى الخروج عن أدب الاختلاف ؟ أو ان على كل واحد أن يقف عند الحد الذى شرعه الله والذى جرى عليه المسلمون منذ أن كانوا ومنذ أن عرضوا لفهم سنة رسول الله ﷺ ؟

والدليل إذا غاب ـ ولدينا أمثلة كثيرة فى كتبنا عن أن الدليل الشرعى سواء أكان : فهما فى كتاب الله ، أو حديثا عن رسول الله ﷺ : إذا غاب ما الموقف ؟ أو ما هو الحل ؟

وسائل الاجتهاد

الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين ابتعث معاذا إلى اليمن قال له : بم تقضى يا معاذ إذا عرض لك القضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ولا آلو أى لا أقصر .

الاجتهاد إذن هو المآل والاجتهاد بالمعنى العام له أساليب كثيرة : القياس . الاستصحاب . الاستحسان . المصلحة الخ ..

واجتهد فيه السلف الصالح من العلماء وقننوه وبوبوه وأنشأوا له علماً يسمى علم أصول الفقه : وهو الأداة الصالحة التى يحصل بها العلماء المتفقهون على طرق الاستنباط وعلى اتقان الاستنباط ، هذا الاجتهاد هل يحسنه كل إنسان ؟ والاجتهاد يكون فى الطب ، أو فى الهندسة ، أو فى الرياضة ، أو فى العلوم ، أو فى الشرع . كل هذا جائز لكن لكل نوع من الاجتهاد رجاله ، ووسائله وتأهيله .

فهل من أدب الاختلاف أن يدخل إنسان فيما لم يتأهل له ؟ مهندس يعمل طبيباً أو طبيب يعمل مهندساً وهكذا . أعتقد أن من أدب الاختلاف أن يرعى كل ما تأهل له ، وما تخصص فيه ، والقرآن هو الذى يقول لنا :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

التوبة : ١٢٢

لفـــظ الدليـــــل ونصـــــه

العلم بالعرف والعادة فى الاجتهاد .

هل إذا سمع أحد العلماء كلمة أو سأله سائل كأن يقول : حلفت ألا آكل لحماً ، فأكلت السمك ، أحنث فى اليمين أم لا ؟ أبحث فى القاموس عن معنى اللحم أم أنظر كيف يتكلم الناس وكيف تسمى الأشياء بمسمياتها ؟ ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ سم كما تشاء لا ضابط للأسماء الناس تقول على السمك فى بلادنا لحم أم تقول : سمك فإذا استفتانى أحد الناس وقال : أنا حلفت بالله ، أو الطلاق ألّا آكل لحماً فأكلت سمكا ، أحنثت أم لا ؟

القرآن يقول : ﴿ **تأكلون منه لحماً طريا** ﴾ تكلم عن السمك هل أفتى بلحم طرى الموجود فى القرآن أم بما يستعمله الناس ؟ أفتى بما يستعمله الناس : لأن الحالف حلف على ما يتعامل به مع غيره ، فأنا أبحث عن العرف ، فبعض الدول العربية يقول على السمك الحيتان ، ونحن نقول عليه السمك ولو أن أحدهم قال : اللحم ، وهم يقولون عليه الحيتان ، أفتيه بأن يمينه حنث أم لم يحنث ؟ لم يحنث . هذا مما يجب أن يعلمه من يتصدى ليفتى الناس أو يجتهد فى أحكام الله .

إذن العرف والعادة كما قال مشايخنا القدامى : « والعرف فى الشرع له اعتباره وعليه الحكم قد يدار » أى أن العرف معتبر . لكن أى عرف ؟ العرف الذى نتكلم عنه : العرف الصالح وليس أى عرف ؛ لأنه كما نعلم فى بلادنا وفى بلاد غيرنا أعراف كثيرة فاسدة تخالف الإسلام فهل تكون أيضاً مصدراً لأن نحكم بها ؟ إذن ، من أهلية المجتهد أن يكون عالماً بالعرف والعادة الجارية فى البيئة التى يعيش فيها .

أثـر تفهـم القضـية فـى الحـكم

اختلف سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر على قسمة الأرض التى غنمها المسلمون فى عهد أبى بكر ، ورأى سيدنا أبو بكر قسمتها بين الفاتحين ؛ ورأى عمر عدم القسمة ، ونزل عند رأى أبى بكر ؛ لأنه ولى الأمر الخليفة ، ولما جاء دور عمر فى الخلافة ، وكانت العراق قد فتحت ومصر قد فتحت ودخلت فى الإسلام ، وجاء الفاتحون الجدد يبغون قسمة الأرض فى كلا البلدين ، فبدأ عمر يدافع عن رأيه الذى لم يؤخذ به قبلا ، وظل يقيم الحجة ، ولم يحتج لأنه أمير المؤمنين فى هذا وإنما يقيم الحجة وكانت خلاصتها ومن يأتى بعدكم ؟

ما حظ المسلمين الذين يأتون بعدكم ؟ وأين يعيشون ؟ وأين يقيمون ؟ وبعد أن كان الحوار والنقاش بين الجند وبين أمير المؤمنين اختاروا عددا يمثل الرأيين ، ثم اختصر العدد ، ثم انتهى الرأى والحوار إلى الأخذ برأى عمر – رضى الله عنه .

حين تقرأ سيرة هذا الفكر وهذا التفكير النير المستقيم الذى يقوم على الدليل وعلى الحجة ، هل نجد نشازا مما نجده فى عصرنا ؟ هل تدخل أحد ممن لا يحسن فى القضية التى يجرى بحثها ؟ لا . وانتهى رأى من اختيروا للبت فى هذا إلى الأخذ برأى عمر . ومازال الأراضى كما يقول فقه الإسلام أرض عشرية ، وأرض خراجيـــة . والأرض الخراجية هى التى فتحت بالقوة العسكرية ومازال الناس يدفعون عنها الضرائب ، وضرائب الأرض الزراعية قائمة على هذا من وقت فتحها .

فى صـدر الإسلام نماذج رائعة للاختلاف فى الرأى

فى خلافة سيدنا عمر تزوج رجل امرأة مطلقة ، وهى فى العدة عقد عليها ، فلما علم عمر فرق بينهما وحرم زواجهما ، أما التفريق ؛ فلأن العقد باطل ؛ لأنه عقد وهى فى العدة ، أما تحريم زواجهما بعد ذلك حتى بعد انقضاء العدة فجاء تعذيرا لهما ، لكن ليس تعذيراً شخصياً ، لكن عمر اتخذه مبدأ سياسة : سياسة شرعية يقولون عنها تعذيرا .

سيدنا على خالف فى هذا وحاور عمر ، لكن رأى عمر هو الذى نفذ فى خلافته وفى خلافة عثمان فلما ولى أمير المؤمنين سيدنا على ـ رضى الله عنه ـ ألغى هذا الحظر .

هذه مثل مما كان بين الخلفاء وبين السلف الصالح من حوار ونقاش فى المسائل التى يختلفون فيها بحيث يصلون إلى رأى ، فإذا انتهى الأمر إلى رأى نزل عنده الجميع ، ولم يعد هناك خلاف .

هذه المسائل ـ كما يقول العلماء « مسائل السياسة الشرعية » تختلف من وقت إلى وقت ، والحكم الاجتهادى يجوز العدول عنه إذا ما دعى الحال إليه .

نحن فى وقتنا هذا نختلف كثيراً ، فيم نختلف ؟ هل نختلف فى أصل مِنْ أصول الدين مما هو ثابت بالدليل العقلى والنقلى ؟ هل نختلف فيه ؟ لا نختلف فى ذلك والحمد لله ، لكن هناك مما يلزم الايمان به ما نختلف عليه أو ما اختلف فيه العلماء ... اختلاف على رؤية الله فى الآخرة إلى غير ذلك ، أشياء كثيرة من الفرعيات الأصولية .

هل إذا اختلفنا فى هذا يبادر أحدنا إلى الآخر بالتكفير ؟ أو أن هذه المسائل قيلت ، وقيلت فى زمن متقدم لدى المسلمين ولم يكفر أحدهم الآخر ، إذن هناك مسائل قطعية ثابتة بدليل قطعى لا فكاك منه ومن ينكره لا يخرج بإنكاره عن السنة ، أما المسائل التى لا تؤثر فى أصل العقيدة والمسائل التى ربما ثبتت بدليل ظنى فلا تأثير لها .

النصوص كما هو معروف نصوص قطعية ، ونصوص ظنية ، فى النصوص القطعية كما يقال : هى أقل القليل فى التشريع والكثير ظنى ، وقد ضربنا المثل بآية الطهارة وهى من الآيات الظنية أى : دلالة ظنية لكن القرآن قطعى الثبوت ، لكن الدلالة الظنية إذا اختلفنا فى فهمها فلا يكفر بعضنا بعضا أو يقاطع بعضنا بعضا ، نحن بحمد الله فى مصر نرجو أن نستمر كذلك يصلى الشافعى وراء المالكى ، والمالكى وراء الحنفى نصلى جميعاً خلف إمام واحد .

ونعوذ بالله أن تكون فى مصر جماعات متفرقة فإذا شذ بعض الناس فإنا ندعوهم إلى أن يكونوا فى صف المؤمنين دائما : إذن الأمور الظنية ، إن كانت ثابتة بدليل ظنى واختلف فيها الفقهاء اختلافاً قائماً على أساس ، وليس لمجرد الاختلاف . وأقول مرة أخرى : إن الاختلاف الناشىء من لفظ الدليل وفهمه ـ وكلّ فهمه صحيح بالنسبة للغة الدليل ـ أمر لاشك جائز . ومن الاختلاف السائد الذى لا ينكره أحد ولا يخرج عليه أحد ، بل لكلٍ أن يعمل ما وسعه اجتهاده فى ذلك ، ونحن نتبع المذاهب القائمة ، وهى مذاهب ـ بحمد الله ـ ثابتة ومبوبة ومقننة وفقهها واضح ونتعامل معا وسويا ؛ لأننا نتبع « محمداً رسول الله والذين آمنوا معه » ونأخذ عن

ضـرورة تفهم القضية ودراستها قبـل الحكم عليها

هؤلاء باعتبارهم سبقونا إلى العلم ، وصاروا من أهله ، وتعبوا ومهدوا لنا هذه العلوم ؛ فنحن نتلقاها عنهم ونضيف إليها ما يفتح الله به علينا إن شاء الله .

من أدب الخلاف فى الإسلام أو أدب الاختلاف أن يكون الاختلاف طلباً للمصلحة وللحكم الصحيح وألا يكون تعصباً لرأى ولا ميلا مع الهوى ولا استعلاء أو غروراً ؛ لأن التعصب للرأى دون دليل صحيح ، أو للغرور ، أو للتعالى ، كل هذا أمر مذموم وليس من أدب الاختلاف ـ إطلاقا ـ إنما الاختلاف الذى يقوم على فهم للدليل .

مرة أخرى نقول : مثـلا « وامسحـوا برءوسكم » حين اختلفوا ، اختلفوا فى تفسير حرف الباء كما يعرفه أهل اللغة وكان هذا هو سبب الاختلاف وليس اختلافا لذات الاختلاف ، حتى حين اختلفوا فى المرفق هل يدخل فى غسل اليد أو يخرج ؟ أيضا كان لذلك . نقل أن سيدنا بلال حين نزلت آية التيمم خلع ملابسه وتمرغ فى التراب فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ بين التيمم ، وقال انه ضربتان ضربة للوجه ، وضربة لليدين .

القرآن قال : « فتيمموا صعيداً طيباً » سكت ولم يبين . فهذا فهم أن التراب يكون للجسم كله . هذا الذى حدث كان قبل بيان الرسول ﷺ ولكن بعد بيان الرسول ﷺ هل يتمرغ أحد فى التراب أم يلتزم بهذا البيان ؟ يلتزم بهذا البيان الذى بينه الرسول ﷺ ولا ينبغى إذن عند الاختلاف أن يكون سبب الاختلاف مجرد التمسك بالرأى ، أو التعصب للرأى ، أو الغرور لذات الشخص .

أيضا من الأسباب التى ينبغى أن يحرص عليها كل باحث عن حكم شرعى أن يتفهم القضية التى يبحثها وأن يتفهم موضع النزاع كما يقال : القضية تدرس والعجلة فى بيان الحكم أو فى ادعاء العلم به قد تؤدى إلى الخطأ . وقد نقل أن أئمة الفقه ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يحيلون السائل على غيرهم حتى لا يحمل عبء الفتوى إذا أخطأ ، مع أن الرسول ﷺ قال : إذا أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر . وبجانب هذا قال : « من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه » تحرزا أن يحمل إثم الخطأ فى الفتوى إلا إذا لم يكن على علم ينبغى أن يتثبت وأن يدرس ، وأن يتأنى ؛ حتى لا يقع فى خطأ أو قد لا يفهم القضية المطروحة عليه ؛ فالحكم على الشىء كما قيل : فرع عن تصوره أولا . فإذا سئل لابد أن يتفهم من السائل ماذا يريد ، أو واقعة سؤاله ؛ حتى يمكن أن يجتهد أو أن يفتى فيها فتوى صحيحة مطمئنة .

نحن فى عصرنا فى حاجة إلى الفتوى الجماعية وليست الفتوى الفردية ، وليس هذا خطراً على العلماء أو على أصحاب الفهم أن يفتوا ، وإنما عند الخلاف أو عند المسائل التى تحتاج إلى فكر ينبغى أن يكون الأمر كذلك . ولنا فى صنيع أصحاب الرسول ﷺ القدوة الحسنة حين أرادوا اختيار الخليفة بعد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ماذا فعلوا ؟ اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة وتداولوا وكان الرأى شورى ، وانتهوا إلى رأى ، وخرجوا به مجمعين عليه .

سيدنا أبو بكر حين سئل عن ميراث جدة ، جاءت تطلب ميراثاً فى بنت ابنتها فقـال لها : « لا أجد لك فى كتاب الله شيئاً » إذا رجعنا إلى آيات المواريث لا نجد فيها توريث الجدة لكن هل رفض قضيتها ؟ لا ، بل قال : انتظرى حتى أسأل ، وذهب إلى المسجد فى جمع من الصحابة وسأل هل عندكم عن رسول الله ﷺ شىء فى ميراث الجدة ؟ فقام أحدهم وقال : ورث الجدة : وأعطاها السدس . فقال : هل من يشهد له ؟ قام آخر .

هل اكتفى أبو بكر بهذين الشاهدين ؟ وهل استظهار حكم ميراث لم يرد صراحة فى القرآن يثبت بحديث خبر واحد رواه اثنان ؟ لجأ إلى جميع المسلمين فأجمعوا على أن ميراث الجدة السدس . هذه الخطوات التى اتبعها أبو بكر ، لم اتبعها ؟ كان يكفى أنه قال : « لا أجد لك فى كتاب الله شيئاً » لكنه أراد أن يستوثق لصاحبة الحق فراح يسأل ؛ لأنه قد يكون الرسول أفتى وهو غائب ، أو بين أن هناك فتوى بذلك .

ثم على طريقة التأهيل العلمى الذى نقول به الآن لم يقض بخبر الواحد فى مسألة هامة أراد أن يرفعها إلى آيات المواريث الثابتة فى القرآن فلابد من اجماع المسلمين فأجمع المسلمون على ذلك .

أهمية المجامع الاسلامية واللغوية

هل نَصْنع نحن هذا إذا اختلفنا فى حكم من الأحكام ؟ هل نلجأ إلى الجماعة لنتحاور ونتناقش ؟ أعتقد أن ما برز فى عصرنا الآن من اللجان الجماعية من لجان الفتوى من مجمع البحوث الإسلامية ومجمع اللغة العربية الخ ما نشأ من تنظيمات تسد هذا النقص الذى قد يكون فى العصر الحاضر بحكم تشعب العلوم وكثرتها ، وربما تصاعدت مشاغل الحياة فى نفوس الناس ، فلا يكون متفرغاً أو ملماً بكل ما قيل فى المسألة ، إذن ينبغى عند الاختلاف بين أفراد فى بيان حكم أن يكون الترجيح لعدد أو مجمع أو لجنة يُعْرَضُ عليها الأمر حتى نرتفع باختلافنا إلى أدب الخلاف فى الإسلام ، ونعود به إلى الصفات الحميدة .

واكتفى بهذا ، وإذا كانت هناك مسألة أو مناقشة نتحدث فيها .

فتوى

فيما يقدمه غير المسلم لصديقه المسلم بعد وفاته من صلة

وهل يؤجر على ذلك

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

وبعــد :

فقد رفع للعرض على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عن أهم ما ورد فى تقرير الدكتور/سالم عجوة ـ مدير المركز الإسلامى فى نيويورك ، والذى جاء فيه :

يسأل بعض الأمريكيين غير المسلمين ماذا يفعلون لصديقهم المسلم الذى مات هل يرسلون هدية إلى أهله ؟ أو يضعون على قبره زهوراً ؟

فأجابهم الدكتور عجوة بأنَّ لهم أن يتبرعوا بمبلغ للمركز الإسلامى وهذا لصالح الميت ..

ويطلب رأى فضيلة الإمام الأكبر ..

الجــواب :

أولا : فى القرآن الكريم قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة الملك :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾

فالموت حقيقة واقعة ، وبديهية مشاهدة لا يفرّ منها فارّ .

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

والموت واقع بكل مخلوق حى من غير استثناء ، فلم ينج منه نبى لنبوته ولا رسول لرسالته ولا ذو سلطان لسلطانه ، ولا صحيح لصحته ، قال الله تعالى :

---

(١) الآية رقم ٢ سورة الملك

(٢) الآية رقم ٨ من سورة الجمعة .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(٣) .

بل ولم ينج منه شجر ولا ثمر ولا زرع ولا حيوان ، وتوصف الأرض إذا لم ينبت فيها الزرع بأنها موات .

ثانياً : إذا مات المسلم لا ينفصل بموته عن الأحياء ، فقد شرع الإسلام ما يقوم به الأحياء نحو الميت من غسل ، وتكفين ، وصلاة جنازة ، ودفنه فى قبره ، وانتفاعه بما يقدمه الغير له قريباً كان هذا الغير ، أو أجنبياً عنه بإذن أو بغير إذن ، فينتفع الميت بدعاء الأحياء له بالتثبيت عند سؤال الملكين ، فقد روى عن عثمان – رضى الله عنه – قال : كان النبي – ﷺ – إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل(٤) .

وينتفع الميت كذلك بزيارة قبره ، فعن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبى – ﷺ – قال : (لقد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة)(٥)

وعن عائشة رضى الله عنها – عن النبى – ﷺ – قال : (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد السلام عليه حتى يقوم)(٦) .

وفى الحديث الذى رواه ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة : (إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام)(٧) .

وينتفع الميت بسلام المُسَلِّمين عليه ، فقد روى عن أبى هريرة عن النبى – ﷺ – أنه أتى المقبرة فقال : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)(٨) .

كما ينتفع الميت بوضع أعواد من الزروع الخضراء مثل الورد وسعف النخيل وغيرها على قبره وبسبب ذلك يخفف عن الميت ، فقد روى ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : (مَرَّ النبى – ﷺ – على قبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير ثم قال بلى : أما أحدهما فكان

---

(٣)الآية رقم ١٨٥ من سورة آل عمران .

(٤) أخرجه أبو داود والبزار والحاكم وصححه – كتاب التاج الجامع للأصول جـ ١ ص ٤١٥ .

(٥) رواه الخمسة إلا البخارى واللفظ للترمذى – كتاب التاج الجامع للأصول جـ ١ ص ٤١٨ .

(٦) إحياء علوم الدين للغزالى مع تخريج الأخبار للعراق جـ ٤ ص ٤٤٧ حيث قال : أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور وفيه عبدالله بن سمعان ولم أقف على حاله ورواه ابن عبدالبر فى التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبدالحق الأشبيلى . وفى جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٥ ص ٧٠٤ (ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا رد عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده) . رواه ابو الشيخ والديلمى عن أبى هريرة .

(٧) كتاب الروح لأبن القيم ص ١١ . وفى ص ١٠ قال : قال ابن عبدالبر ثبت عن النبى – ﷺ – أنه قال : (ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه ، حتى يرد عليه السلام) ؛ وفى فتاوى ابن تيمية جـ ٢٤ ص ٣٣١ عن ابن عباس قال : قال رسول الله – ﷺ – : (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام) قال ابن المبارك : ثبت ذلك عن النبى – ﷺ – وصححه عبدالحق صاحب الأحكام .

(٨) رواه أحمد ومسلم والنسائى وأبو داود – كتاب التاج الجامع للأصول جـ ١ ص ٤١٨ .

يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من بوله ، ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)(٩) .

وينتفع الميت بالصدقة ، فقد روى عن سعد ابن عبادة ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : (يارسول الله إن أم سعد ماتت فأى الصدقة أفضل قال : الماء قال : فحفر بئراً وقال هذه لأم سعد)(١٠) وفى رواية للنسائى (فتلك سقاية سعد بالمدينة) .

وقد روى صاحب الفتح عن أنس ــ رضى الله عنه ــ أنه سأله ــ ﷺ ــ فقال : (يا رسول الله إنَّا نتصدق عن موتانا ، ونحج عنهم ، وندعو لهم فهل يصل ذلك إليهم ؟ قال : نعم إنه ليصل إليهم ، وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أُهدى إليه)(١١) .

وينتفع الميت بدعاء الحى له ، وقد نقل ابن عابدين إجماع العلماء على أن الدعاء للأموات ينفعهم لقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ . سورة الحشر

ولقول النبى ــ ﷺ ــ : (اللهم اغفر لأهل البقيع) قوله : (اللهم اغفر لحينا وميتنا) .

وقد شرعت الصلاة على الميت وهى دعاء له(١٢) .

وقد روى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ ﷺ ــ قال : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)(١٣) .

ومن ثم :

وعلى ضوء ما سبق من بيان كان لأصحاب هذه الواقعة من الأمريكيين غير المسلمين ــ وفاء لصديقهم ــ أن يصلوا أهله بهدية أو أن يفوضوا مدير المركز الإسلامى فى نيويورك فى وضع الزهور على قبر صديقهم المسلم ، وفى التبرع بمال براً بهذا الصديق ، صدقة جارية يناله ثوابها إن شاء الله تعالى ، ويقوم المركز الإسلامى بقبول تبرعاتهم وإنفاقها حسبما يوصوا فى شراء الزهور أو غيرها لتوضع على قبره ، ويلتمس زوار قبر الميت الرحمات من الله ــ عز وجل ــ كما أن للقائمين بهذا العمل من رجال المركز الإسلامى الأجر فى الدنيا والآخرة .

أما أصدقاء الميت من غير المسلمين فجزاء برهم ووفائهم لصديقهم المسلم يعجل لهم فى الدنيا لا ينقصهم الله من الجزاء شيئاً .

وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .

---

(٩) رواه الخمسة ــ المرجع السابق جـ١ ص٤١٣ .

(١٠) رواه أبو داود وأحمد ــ المرجع السابق جـ١ ص٤٢٠ .

(١١) رواه أبو حفص الكبير العكبرى كما فى فتح القدير للكمال بن الهمام على الهداية جـ٣ ص٦٦ فقه حنفى ، وحاشية رد المحتار على الدار المختار لابن عابدين جـ٢ ص٦٣٤ ، ٦٣٥ .

(١٢) حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين جـ٢ ص٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(١٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى ــ كتاب التاج الجامع للأصول جـ١ ص٧١ .

صلاة الجماعة بين الوجوب والندب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد :

فقد أحيل من مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مانشر فى جريدة الأخبار تحت عنوان علامة استفهام بتاريخ ١٩٩٣/٩/٢٠ للكاتب الصحفى عبدالسلام داود بشأن الاستفسار عن حكم صلاة الجماعة بعد أن أذيع من إذاعة القرآن الكريم أنها واجبة .

والجـــواب

صلاة الجماعة بين الوجوب والندب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

١ ـ الجماعة هى الارتباط الحاصل بين صلاتى المأمور والإمام ، وتتحقق بواحد فأكثر مع الإمام .

٢ ـ صلاة الجماعة مشروعة بالقرآن والسنة والإجماع ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ إلى آخر الآية :

(سوة النساء : ١٠٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد ـ الواحد ـ بسبع وعشرين درجة» رواه البخارى ومسلم والاجماع منعقد على مشروعيتها .

٣ ـ أما مدى أو درجة مشروعيتها من الوجوب والندب فقد اختلف فيها الفقهاء :

(أ) فالمالكية لهم فى ذلك قولان ، قول بأنها سنة مؤكدة فى الصلوات الخمس بالنسبة لكل مصل ، وفى كل مسجد وفى البلد ، على أنه إن قام بها بعض أهل البلد لايقاتل الباقون على تركها ، وإلا قوتلوا من أجل استهانتهم بالسنة ، وإن قام بها بعضهم سقط الفرض عن الباقين ، وهى سنة فى كل مسجد للرجال ، ومندوبة لكل مصل فى خاصة نفسه .

وهذا بالنسبة للفرائض الخمس ، أما فى الجمعة فالجماعة واجبة لأنها شرط لصحتها وأما الجنازة فهى مندوبة فيها ، وأما النوافل فمنها ماتجب فيه الجماعة ليتحقق أنه نفل كالعيدين والكسوف والاستسقاء فالجماعة شرط فيها لوقوعها سنة .

(ب) والحنفية قالوا : صلاة الجماعة سنة غير مؤكدة شبيهة بالواجب فى القوة على الأصح فيأثم تاركها إذا اعتاد تركها وذلك بالنسبة للصلوات المفروضة للرجال ، وهى واجبة لصحة صلاة الجمعة وكذلك للعيدين ، وسنة كافية فى صلاة التراويح والجنازة . أما فى وتر رمضان ففى الجماعة فيه قولان ، أحدهما مستحبة ، والثانى غير مستحبة ، بل يصليه فى بيته منفردا وقد رجح الثانى .

(جـ) والشافعية قالوا : الجماعة تكون واجبة وجوب عين فى خمسة مواضع هى : الركعة الأولى من صلاة الجمعة ، والصلاة المعادة فى الوقت ، والصلاة المجموعة جمع تقديم فى حالة المطر حيث تجب الجماعة فى الصلاة الثانية ، والصلاة التى نذر أن يصليها جماعة والصلاة المفروضة التى لم يوجد أحد يصليها جماعة إلا اثنان . وتكون واجبة وجوب كفاية على الرجال الأحرار العقلاء المقيمين بالبلد الذين ليس لهم عذر ، وتكون هذه الجماعة فى الركعة الأولى من الصلوات المفروضة إذا كان يصليها آداء . وتكون مندوبة فى العيدين والاستسقاء والكسوف والتراويح ، ووتر رمضان وصلاة القضاء خلف مثيلتها كظهر خلف ظهر ، كما تسن فى ظهر المعذورين يوم الجمعه ، وصلاة الجنازة المكتوبة فى حكم الجماعة .

(د) والحنابلة قالوا : الجماعة تجب وجوبا عينيا على كل فرد فى كل صلاة من الصلوات الخمس المفروضة بالنسبة للرجال الأحرار القادرين عليها ولو كانوا مسافرين . كما تجب فى صلاة الجمعة وفى صلاة العيدين التى يسقط بها فرض الكفاية وهى التى تؤدى أولا . وتسن لهؤلاء فى صلاة القضاء وفى صلاة الجنازة كما تسن فى صلاة الاستسقاء والتراويح وفى العيدين فى غير المرة الأولى « تحفة المذاهب الأربعة » .

ويؤخذ من هذا أن الجماعة فى الصلوات الخمس بالنسبة لكل فرد سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء وواجبة عند أحمد بن حنبل ، فلو تركها الرجل لا يعاقب عند المالكية والشافعية ويعاقب عقابا خفيفا عند الحنفية وعقابا شديداً عند الحنابلة . وهى بالنسبة لأهل البلد فرض كفاية عند المالكية والشافعية ، إذا قام بها بعضهم سقط الطلب عن الباقين ، وإذا تركوها جميعا أثموا .

٤ ـ الأدلـــــة :

أولا : رأى القائلين بأن الجماعة واجبة فى الصلوات الخمس وهم أحمد بن حنبل وتابعه على ذلك الظاهرية الذين يأخذون بظاهر النصوص وذهب إليه عطاء والأوزاعى وأبو ثور ومن أهل الحديث أبو خزيمة وابن حبان . وإن كان بينهم خلاف فى فرضية الجماعة هل هى شرط لصحة الصلاة فتبطل بدونها مع الإثم ؟ ومن أدلة الوجوب ما يأتى :

١ ـ حديث مسلم والنسائى وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أتى النبى ﷺ رجل أعمى فقال : يارسول الله ، ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد ، فسأله أن يرخص له ليصلى فى بيته ، فرخص له . فلما ولى الرجل دعاه فقال «هل تسمع النداء بالصلاة» ؟ قال : نعم قال «فأجب» . وجاء مثل هذا فى رواية أحمد وابن حبان والطبرانى ، وفيها أن الأعمى هو عبدالله بن أم مكتوم .

ووجه الاستدلال فى هذا الحديث أن الرسول ﷺ لم يرخص فى تركها للأعمى ـ وله عذره فكيف بالصحيح الذى لا عذر له ؟

٢ ـ حديث مسلم وغيره عن ابى الشعثاء المحاربى قال : كنا قعودا فى المسجد فأذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشي ، فأتبعه أبو هريرة ببصره حتى خرج من المسجد . فقال أبو هريرة : أما هذا فقد عصى أبا القاسم . ووجه الاستدلال أن تارك الصلاة مع الجماعة عاص ، وهذا يدل على وجوب الجماعة .

٣ ـ حديث مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عن أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « لقد هممت أن آمر فتيتى فيجمعوا إلى حزما من الحطب ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » فقيل ليزيد بن الأصم : الجمعة أو غيرها ؟ قال صُمَّت أذناى إن لم أكن سمعت أبا هريرة يأثره عن رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يذكر جمعة ولا غيرها ، ووجه الاستدلال أن همَّ النبى ﷺ بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة يدل على معصيتهم ، وهذا يدل على وجوبها .

ثانيا : أدلة القائلين بأن الجماعة سنة فى الصلوات الخمس وهم مالك وأبو حنيفة وكثير من الشافعية .

١ ـ حديث « إذا صليتما فى رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم ، فإنها لكما نافلة » رواه الخمسة عن يزيد بن الأسود إلا ابن ماجه . ووجه الاستدلال أنه حكم على صلاة الجماعة بأنها نافلة ويلزمه أن الصلاة الأولى وقعت صحيحة وأجزأت عن الفريضة .

٢ ـ حديث « والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام فى جماعة أعظم أجرا من الذى يصليها ثم ينام » رواه البخارى ومسلم . ووجه الاستدلال أن التفضيل فى الأجر يدل على أن الصلاة مع غير الإمام لها أجر ، ويقتضى ذلك أن تكون صحيحة ، غير أن أجر الجماعة أعظم ، ذلك أن « أفعل » التفضيل يقتضى المشاركة وزيادة كما هو معروف .

وهناك أحاديث أخرى ترغب فى صلاة الجماعة ، مما يفيد أن ثوابها أعظم من الصلاة المنفردة وإن صحت .

وقد أجاب هؤلاء على أدلة القائلين بوجوب الجماعة فقالوا :

(أ) إن عدم الترخيص من النبى ـ ﷺ ـ لابن أم مكتوم بالتخلف عن الجماعة ليس دليلا على وجوبها حتى على ذوى الأعذار ، وإنما ذلك لما يعلمه من حرص عبدالله على الخير مهما كلفه من جهد ، ولما يعلمه أيضا من ذكائه وفطانته واستطاعته حضور الجماعة بغير قائد . ويدل على هذا أن الرسول ـ ﷺ ـ رخص لغيره ممن له عذر أن يصلى فى بيته ولايذهب للجماعة فى المسجد ، فقد روى البخارى ومسلم أن عتبان ابن مالك ـ وهو ممن شهد بدراً ـ قال يارسول الله قد انكسرت بصرى ـ أى ضعف نظرى ـ وأنا أصلى بقومى فإذا كانت الأمطار سال الوادى بينى وبينهم ، ولم استطع أن أتى مسجدهم فأصلى بهم ، وودت يارسول الله أنك تأتينى فتصلى فى بيتى فأتخذه مصلى . فاستجاب له وصلى فيه ركعتين . ولايقال : إن الترخيص لعتبان ـ وهو لعذر ـ دليل على أن الجماعة واجبة على غير المعذورين لأنها لو كانت واجبة لقال له : انظر من يصلى معك فى بيتك . فعدم أمره بذلك دليلا على أن الجماعة سنة .

(ب) إن حديث الهم بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة لايدل على وجوبها ، بل يدل على عدم الوجوب لأمرين :

الأول : أن همه بترك الصلاة وإنابة واحد يصلى بالناس دليل على عدم وجوبها ، وإلا فكيف يترك النبى واجبا ؟ ولا يقال : إنه لوعاد من تحريق البيوت لأمكنه أن يجد جماعة يصلى بهم ، لأن وجود جماعة غير مضمون والثانى أن الجماعة لو كانت واجبة تستحق تحريق بيوت المتخلفين عما تأخر عن تحريقها معاقبة لهم على المعصية ، لكنه لم يفعل فدل ذلك على عدم وجوبها ، وغايته أنها هامة .

(جـ) إن أحاديث الهم بالتحريق وردت فى شأن المنافقين ، لتخلفهم كثيرا عن الفجر والعشاء وذلك فى رواية أبى هريرة نفسه التى اتفق عليها البخارى ومسلم . فقد جاء فى آخرها «والذى نفسى بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء» والعرق بقية لحم ، أو عظم عليه لحم .

والمرماتان مابين خلف الشاة من اللحم . فالحديث منصب على من يكثرون التخلف ، وبخاصة عن الفجر والعشاء ، وهذا دأب الذين فيهم نفاق . جاء فى بعض روايات الشيخين «أن أثقل صلاة على المنافقين هى الفجر والعشاء» .

(د) إن الوعيد بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة يراد به الزجر لاحقيقته ، لأن الإحراق لايكون إلا للكفار ، والإجماع منعقد على منع إحراق المسلمين .

(هـ) إن فرضية الجماعة يراد بها صلاة الجمعة كما جاء عن ابن مسعود فى صحيح مسلم . لكن رد هذا بأن التهديد يجوز أن يكون للتخلف عن الجمعة وعن الصلوات الأخرى ، وبخاصة الفجر والعشاء .

(و) إن فرضية الجماعة كانت فى أول الأمر لحرص النبى ﷺ على حضور الناس جميعا معه لتبليغ الوحى وإرشادهم ، ثم نسخ الوجوب . قال الحافظ ابن حجر : ويدل على النسخ الأحاديث الواردة فى تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفرد أى المنفرد لأن الأفضلية تقتضى الاشتراك فى أصل التفضيل ، ومن لازمه الجوار .

هذا بعض ماقيل فى مناقشة أدلة الموجبين وهى مناقشة تدل على عدم قطعية الدلالة على الوجوب ذلك إلى جانب أن الوجوب فيه حرج ، والأرض كلها مسجد .

ثالثا : أدلة القائلين بأن الجماعة فرض كفاية ، وهم الشافعى فى أحد قوليه وجمهور المتقدمين من أصحاب وكثير من المالكية والحنفية ــ حيث قالوا : يجب على أهل كل محلة أن يقيموها وإذا أقامها بعضهم سقط الطلب عن الباقين وكانت فى حقهم سنة ، وذلك لإظهار شعيرة الإسلام باجابة المؤذن وإقامة الصلاة .

وسند هذا القول ماورد من الأحاديث المؤكدة والمحذرة من تركها . ويوضحه أو يبين حكمته ما قاله ابن مسعود ــ كما رواه مسلم : لو أنكم صليتم فى بيوتكم كما صلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم . وفى رواية أبى داود «لكفرتم» . والمراد بسنة النبى ﷺ دينه وطريقته ، لا السنة بمعنى المندوب ، فان ترك المندوب لايؤدى إلى الكفر والضلال .

وهذا الرأى الثالث له وجاهته ، وهو كون الجماعة فرض كفاية على المجموع يسقط بأداء بعضهم وسنة مؤكدة فى حق الجميع ، أى فى حق كل واحد على حدة . وأداء الجماعة فى المسجد أفضل من أدائها فى البيت أو السوق ، بنص حديث البخارى ومسلم «صلاة الرجل فى جماعة

تفضل صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين درجة وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت تحبسه ، وماتزال الملائكة تصلى عليه مادام فى مجلسه الذى صلى فيه : اللهم أغرف له ، اللهم ارحمه مالم يحدث فيه » .

وقد رأى جماعة أن من له زوجة أو أولاد يصلى بهم فى بيته ولو تركهم وصلى فى المسجد مع الناس لتركوا الصلاة ـ فإن صلاته جماعة بهم أفضل من تركهم وصلاته فى المسجد ، مادام هناك من يقيم صلاة الجماعة فيه غيره . وأما حديث « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » فليس بصحبح ولو صح لكان المراد به نفى الكمال ، لا نفى صحة الصلاة ، ذكره المناوى فى «فيض القدير على الجامع الصغير » للسيوطى .

وكان المسلمون الأولون حريصين على صلاة الجماعة وإقامتها فى المسجد لمضاعفة الثواب حتى إن الرجل منهم كان يُؤْتى به يهادى بين الرجلين ـ أى يسند انه ـ حتى يقام فى الصف كما رواه مسلم عن ابن مسعود .

ولهذا الاهتمام كان الواحـــــد منهم يحس بالتقصيرإن فاتته صلاة جماعة ويكفر عن ذلك بالتصدق أو بغيره وقد اخترنا الرأى الثالث جمعا بين الأحاديث التى يشعر ظاهره بالوجوب والأحاديث التى تدل على الندب لما فيها من الفضل . والجمع بين الأحاديث أفضل من إهدار بعضها .

وهدا كله فى حق الرجال . أما صلاة المرأة جماعة فى المسجد فليست واجبة ولا مندوبة ، لأن صلاتها فى بيتها أفضل كما نصت على ذلك الأحاديث المقبولة ، ولو صلت فى بيتها جماعة كان أفضل على ألا تكون إماما لرجل ، كما هو رأى جميع الفقهاء من عدم جواز إمامتها لرجل ، ويرى الجمهور جواز إمامتها للنساء .

وإذا ورد النهى عن منع ذهابها إلى المسجد ، فذلك من أجل العلم والاستفادة كما كانت أيام الرسول ـ ﷺ ـ أما لمجرد الصلاة فبيتها أفضل وذلك توفيقا بين الأحاديث .

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

عطية صقر

مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) ﴾

أمرت الآية السابقة المؤمنين بطاعة الله ورسوله ، والصبر عند التقاء الجيشين ، ونهتهم عن التنازع والاختلاف فى الآراء ، لأن ذلك يؤدى إلى الفشل وذهاب القوى ، وقد كانت هذه الصفات المنهى عنها فى أعدائهم ، كما أن هؤلاء الأعداء لم يكونوا ذوى تقوى ولا طاعة لله ورسوله .

وهذه الآيات تنهى المسلمين أن يكونوا على شاكلة أعدائهم المشركين الذين عدموا الإخلاص والإيمان ، وكان كل همهم أن يراءوا الناس ، وأن يظهروا أمامهم قوتهم وغلبتهم ، فحين تهيئهم للخروج يوم بدر كان الخلاف بينهم شديداً ، وكان ذوو الرأى والحكمة منهم لا يريدون الخروج لهذه الحرب ، وأبدى عتبة بن ربيعة ــ وهو سيد من ساداتهم ــ رغبة فى عدم الذهاب لحرب المسلمين ، حتى بعد أن خرجوا له نصحهم بالعودة ، وقال ألصقوها بى . وحقاً لم يكن ثم داع للحرب بعد أن بعث إليهم أبو سفيان ــ رئيس القافلة ــ العائدة من الشام ، يخبرهم أنه غير طريقه وأن تجارتهم قد نجت ولا داعى لحرب ، لكن أبا جهل أصر على إظهار قواهم أمام القبائل العربية .

لهذا تقول الآية فى معناها :

لا تكونوا فى حروبكم مثل هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم تكبرا واستعلاء ومراءاة للناس

والبطر والأشر بمعنى ، وهما من باب فرح ــ يعنيان إظهار الفخر والتكبر والتظاهر بالقوة أو الغنى أو الجاه وما إلى ذلك . والرئاء مصدر رائى ، والمراد منه إظهار هذه المفاخر أمام الناس ، وهم قد خرجوا صادين عن دين الله . وقد كتب لهم أبو سفيان : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ، فقد نجاها الله . فارجعوا ، وقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم بها ثلاثاً ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالوان يهابوننا أبداً . وبدر كانت سوقاً تشهده القبائل فى شهر رمضان ، قال البغوى ، ونقل المفسرون بعده عبارته : « فواقوها ، فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر ، وناحت عليهم النوائح مكان القيان . فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم ، وأمرهم بإخلاص النية والحسبة فى نصر دينه ، ومؤازرة نبيه ــ ﷺ ــ » .

والآيات نزلت بعد بدر ، فالأمر بالإخلاص والبعد عن مثل هذه الأخلاق توجيه وإرشاد لحسن العمل فى كل حرب ، وفى كل شىء .

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ... ﴾

الظرف ههنا معمول لفعل مقدر ، أى اذكر يا محمد أو اذكروا أيها المؤمنون وقت أن زين الشّيطان لهؤلاء ، أعمالهم السيئة ، فألبسها ثوب الحسن . والعقل على ما تقدم من الذِّكر اللسانى أو الذكر والتذكر القلبى ، فهو يعنى تذكرهم هذا الحادث ، أو ذكره من بعضهم لبعض ، وذكره اللسانى أو القلبى مما يبعث الإيمان ويقوى الثقة والعزيمة ، وهذا مما يعصم من وساوس الشيطان والميل لمراودأته الخبيثة ، كما فعل بالمشركين ، وقد أوهمهم أن لا أحد من العرب يغلبهم ، سواءٌ من

المسلمين أو من غير المسلمين ، وقال : إنى جار لكم ، أى مجير وحام لكم ، قال الزمخشرى : أوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم .

وعلى هذا فتزيين الشيطان لهم أعمالهم وقوله هذا لهم إنما هو من باب التمثيل ، فالشياطين كانت منبثة فى صفوف المشركين توسوس لهم وتغريهم بعمل السوء ، كما كانت الملائكة منبثة فى صفوف المسلمين تثبتهم وتبشرهم ، وسبق قول الله تعالى :

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

« فلما تراءت الفئتان » ـ أى رأت كل طائفة الأخرى ، وقبل أن يقع القتال ألقى الله ـ سبحانه ـ الرعب فى قلوب الذين كفروا ، وخفتت وساوس الشيطان وعبرت الآية عن هذا بعبارة : « فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ » فانقطاع الوساوس بمثابة النكوص على العقبين والرجوع إلى الوراء .

وبراءة الشيطان منهم تعنى تخليه عنهم ، وتركهم فى ورطتهم ، ومثل هذا قوله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾

« إنى أرى ما لا ترون » ـ أى هو وجنوده رأوا الملائكة فى صفوف المسلمين ، والشياطين لا تقوى على مواجهة الملائكة ، ففر ويئس من نصرهم ، وخوفه من الله على هذا الوجه ليس خوفاً من عقاب الآخرة ، وإنما هو خوف من الهلاك فى الدنيا .

وجملة « والله شديد العقاب » ، تحتمل أن تكون من كلام الشيطان ، وتحتمل أن تكون جملة مستأنفة موضحة لشديد العقوبة من الله .

على هذا الوجه تكون الآية من باب التمثيل أو الاستعارة التمثيلية ، وهناك رواية تذكر أنه كان بين قريش وبين بنى بكر من كنانة من إحَن وحرب وخشوا إذا هم خرجوا لحرب المسلمين تنقض عليهم كنانة من خلفهم فيقعون بين عدوين من أمامهم ومن خلفهم ، وكادت هذه الخواطر تثنيهم وتثبطم عن الخروج إلى بدر . فتمثل لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جُعْشم ، وكان من أشراف كنانة ، ومن ذوى الكلمة والشورى فيهم ، فقال لهم : لا غالب لكم اليوم وإنى جار لكم من بنى كنانة وحافظكم ، فلا يصل إليكم منهم مكروه . وظل معهم حتى تراءى الجمعان ، وكانت يده فى يد الحارث بن هشام، فنكص وتركهم ، فقال له الحرث إلى أين أتخذ لنا فى هذه الحالة ، فقال له : إنى أرى ما لا ترون ، فقال الحرث : ما نرى إلا ضعاف يثرب ، فدفع فى صدر الحرث وانطلق ، وحلت الهزيمة بالقوم ، فلما جاءوا مكة قالوا : ما هزمنا إلا سراقة ، وبلغه ما يقولون فقال : والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم ، فلما أسلموا جميعاً ـ قريش وكنانة ـ علمت قريش أنه كان الشيطان .

ونحن نميل إلى كون الكلام استعارة تمثيلية ، وجاء حديث الشيطان ووسوسته على هذا الوجه فى غير آية ، كقوله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾

وتلك سجية الشيطان يوحى بالسوء ويزينه

للناس ، فإذا تورطوا فيه نفض يديه منهم أو عاد يلقى عليهم باللائمة . ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ... ﴾ سورة إبراهيم (٢٢)

ويبدو أن رواية تمثل الشيطان بسراقة من وضع المتأخرين ، مجاراة للذين لا يميلون إلى ادخال المجازات فى القرآن ، وهم غرباء عن روح اللغة العربية .

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾

الظرف معمول لفعل تقديره اذكر ــ على نحو ما سبق ، أو هو متعلق بزين لهم الشيطان أعمالهم ، فقد كان ذلك وقت تغرير الشيطان بالمشركين ، وإيحائه إليهم أن لا غالب لهم ، وكان منافقوا المدينة قد أرجفوا فيما بينهم أن محمداً ــ ﷺ ــ وصحبه سيقضى عليهم ، وقالوا لا طاقة لهم بملاقاة جيش يزيد على ثلاثة أمثالهم ، وهو جيش كامل العدة والمسلمون مع قلتهم تنقصهم آلات الحرب التى مع عدوهم ، وكذلك تباهى المشركون ــ وهم مرضى القلوب ــ وقالوا إن المسلمين أكلة جزور لقلتهم ، وكانت قريش قد خرجت بخيلائها وكامل عدتها ، فاستهانوا أول الأمر بالمسلمين وقالوا غرهم دينهم .

وقيل الذين فى قلوبهم مرض جماعة لم تكن قلوبهم اطمأنت بالإيمان بعد وبها شيء من الشبهة ، ولكن هؤلاء لم يكونوا ممن حضر معركة بدر ، فالمرض على هذا هو الشبهة ، وقيل إنهم فتية من قريش أسلموا بمكة ، وحبسهم ذووهم عن الهجرة ، فلما كان يوم بدر خرجوا مع قومهم لحرب المسلمين ، فلما رأوا قلتهم خامر قلوبهم الشك ، ويذكر المفسرون من هؤلاء قيس بن الوليد بن المغيرة ، والعاص بن منبه بن الحجاج والحرث بن زمعة وغيرهم ، ولكن من المعروف أنه لم يحضر بدراً منافق ولا أحد فى قلبه شك من المسلمين ، ولو كانوا كذلك ما اثنى الله ونبيه عليهم هذا الثناء ولا كان لهم كل هذا الجزاء .

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

أى من يكل أمره إلى الله مطمئنا قلبه بالإيمان به فإن الله ــ سبحانه ــ كافيه كل ما يهمه ، وينصره على عدوه ، وإن كثر عدوه ، لأن الله عزيز قوى لا يغلب ولا يمتنع عليه شيء ، وهو سبحانه حكيم يضع كل أمر فى موضعه ، ومن حكمته أنه ينصر الحق ويبطل الباطل ، وقد حدث ذلك يوم بدر ، وما كان أحد يؤكد أو يرجح أن المسلمين وهم هكذا قلة سينتصرون .

ولنلاحظ أن المسلمين بلغ بهم التوكل غايته يوم بدر ، وقد ثبتوا على لقاء عدوهم معتمدين على الله وحده ، ولم تخل نفوسهم من الخوف ، وقد رأينا رسول الله ــ ﷺ ــ يناشد ربه ويستغرق فى مناشدته حتى يسقط رداؤه من فوق كتفيه .

والمسلمون إذن مع توكلهم على الله لم يتركوا أسباب النصر ويخلدوا إلى معجزة تنقذهم وتهلك أعداءهم ، ولكن غزوة بدر مع هذا قريبة من المعجزات ، ولولا تأييد الله وإمداده هذه الفئة القليلة المسلمة ــ ما أحرزوا هذا الانتصار .

قبس من أنوار النبوة

سعادة الدنيا وشقاء الآخرة

للشيخ / على حامد عبد الرحيم

روى الإمام أحمد بسنده إلى قيس بن سعد بن عبادة قال : إن رسول الله - ﷺ - قال : « من شَـدَّدَ سلطانه بمعصية الله أوهن الله كيده يوم القيامة » .

مسند أحمد ٦/٦ الميمنية

إن الإيمان الصادق بالله تبارك وتعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر - يجعل صاحبه يعيش - لرسالة كبيرة ، ويعمل لهدف رفيع ، ويحيا فى ظل مثل عليا ، يعيش لها ويموت عليها : هى القربى إلى الله ، والتخلق بأخلاقه ، والسعى فى مرضاته ، وفى سبيل ذلك يكبح جماح نفسه ، ويقمع طغيان هواه ، ويضغط على غرائزه وشهواته حتى تستقيم على منهج ربه ، إيثاراً لما عند الله ، وابتغاءً لمرضاته ، وإيماناً بحسن الثواب عند خالقه .

لقد أبرز نبى الإسلام - ﷺ - : قيمة المؤمن بالله ، الخائف من عقابه ، الخاشع الأمين ، المؤثر للآخرة على الدنيا ، المؤمن بأن الدنيا خلقت له وأنه خلق للآخرة . فالمؤمن إذا كان تاجراً فهو التاجر الصدوق الأمين ؛ وإذا كان عاملًا فهو العامل المجتهد المنتج ، وإذا كان غنياً فهو الغنى السخى المواسى ، وإذا كان قاضياً فهو القاضى العادل المنصف ، وإذا كان والياً فهو الوالى المخلص الأمين . وإذا كان حاكماً فهو المتواضع الرحيم . وإذا كان أميناً على الأموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم .

والمؤمن الصادق هو الذى يعرف أن له رباً خلقه ورزقه وعرف أن هذه الحياة الدنيا ممزوجة بالخير والشر ، والعدل والظلم ، والحق والباطل ، واللذة والألم . وعرف أن الدنيا مزرعة لحياة أخرىٰ هى خير وأبقى ، تُجزى فيها كل نفس بما كسبت ، وتخلد فيما عملت . إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . حتى لا يكون فى عداد المفلسين الذين عناهم الرسول - ﷺ - فى قوله :

أتدرون من المفلس ؟

قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع يا رسول الله .

فقال الرسول - ﷺ - : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام .. ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وسفك دم هذا ، وضرب هذا . فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته ؛

فإن فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار « زواه مسلم » .

وإذا كان هذا شأن من عمل الصالحات وعمل السيئات . فما بال الذين لم يعملوا إلا السيئات .

إن الغلو فى حب الدنيا ـ ونسيان الآخرة ـ هو رأس كل خطيئة ، يندفع بها أكثر الناس من أجل متاع الدنيا فيبيع الأخ أخاه ، ويقتل الولد أباه ، ومن أجل الدنيا يخون الناس أماناتهم ، وينكثون العهود ، ويجحدون الحقوق ، وينسون الواجبات .

ومن أجل الدنيا يبغى الإنسان على أخيه الإنسان فيظلمه ، ويطغى عليه ويتجبر وينافق ويتزلف ، ويكتم الحق ، ويروج الكذب والزور ، من أجل منصب صغير أو كبير ، من أجل حظوة عند رئيس ، أو شهرة بين الناس . من أجل شهوة الجاه والسلطان والسيطرة والاستعلاء . من أجل ذلك كله أو بعضه يبيع آخرته بدنياه. وكأنه لا يعلم أن هناك يوماً يجازى فيه عن كل ما قدمت يداه . قال الله ـ تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات

إن الخوف من الله ينسى الإنسان حظ نفسه ، ويجتهد فى القرب من ربه ، روى أن عمر بن عبدالعزيز أساء إليه رجل حتى أغضبه ـ وهو أمير المؤمنين ـ فهم به عمر ثم أمسك نفسه وقال للرجل أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك ما تناله منى غدا ؟

ـ أى فى الآخرة ـ قم عافاك الله ، لا حاجة لنا فى مقاومتك .

والخوف من الله ـ عز وجل ـ يدفع كل صاحب مسئولية أن يقوم بأعبائها على الوجه الأكمل ؛ لأنه يؤمن بقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » رواه البخارى ومسلم وغيرهما . ويؤمن بأن الله سائل كل راع عما استرعاه . أحفظ أم ضيع . رواه النسائى وابن حبان .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال لأبى مريم السلولى ـ الذى قتل زيد بن الخطاب ـ « والله إنى لا أحبك حتى تحب الأرض الدم » فقال : أفيمنعنى ذلك حقاً .. قال عمر ـ رضى الله عنه : « لا ، قال : « فلا ضير ، إنما يَأْسَى على الحب النساء » .

وهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول له جعد بن هبيرة : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان ، أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله ، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك فتقضى لهذا على هذا .

قال : فلهزه على وقال : إن هذا شىء لو كان لى لفعلت . ولكن إنما ذلك شىء لله .

فمن آثر طاعة الله فى أى موقع كان ، رفع الله ـ تعالى ـ قدره وأعلى شأنه ومنزلته يوم القيامة ، ومن أتبع نفسه هواها ، وآثر رضاها على رضا خالقها ومولاها خاب وخسر :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

[آل عمران : ٣٠]

والعجب كل العجب لمن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وإن لحظة فى النار تنسى نعيم الدنيا مهما طال أمده ، وإن لحظة فى نعيم الجنة تنسى العبد كل ما عناه من متاعب الحياة الدنيا .

الخلاف الفقهي

بين الأساليب اللغوية والنظائر الأصولية

الفصل الأخير

لفضيلة الشيخ/ أحمد عبدالله أحمد العبليني

٨ ـ الإجماع :

يُعَدُّ الإجماع أحد المصادر الرئيسية للشريعة الإسلامية ولولاه لما تأتّى للمجتهدين استنباط كثير من القواعد الفقهية ، إلا أنّ للأمر جانبا آخر هو أنّ هذا الإجماع نشأ بسببه خلاف ترتب عليه خلاف فى الأحكام الفقهية ، ويمكن حصر هذا الخلاف فى ناحيتين :

(أ) متعلق الاتفاق : فقد تباينت آراء العلماء فى تعيين الإجماع ، فقيل : إنه مطلق الأمة ، وقيل : خصوص المجتهدين منهم فى عصر ، وفى رأى مالك اتفاق أهل المدينة ، وقيل : هو اتفاق الصحابة ، وقيل : هو اتفاق أهل الحرمين : مكة والمدينة ، أو أهل المصرين : البصرة والكوفة .

وقد ضيّق بعضهم هذا الجانب إلى حدٍّ قصرَه على اتفاق الشيخين أو الخلفاء الأربعة ..

(ب) حجيته واعتباره مصدراً من مصادر التشريع : يُعد الإجماع عند جمهور الأصوليين والفقهاء . أصلًا من الأصول وحجة تسوغ تقرير القواعد الفقهية ، إلا أنّ هذا الاتجاه قد لاقى بعض المعارضة وحتى الرفض ، فقد حكى عن النظام وجعفر بن حرب وجعفر بن مبشر أنهم قالوا : الإجماع ليس بحجة[(١)] .

ويدخل فى جملة من أنكر الإجماع الخوارج الذين يعتبرون أكثر المغالين فى رفضه ، وكذلك الشيعة فإنهم يرفضون الإجماع المتعارف عليه ويرون أنَّ الإجماع ماهو إلا اتفاق أهل البيت وأنَّ أى شيء آخر من هذا القبيل مرفوض لديهم .

وعلى ضوء ما ذكرت يتضح أنَّ الخلاف الذى

(١) محمد بن الحسن الطوسى/ عدة الأصول/ ص ٢٣٢ .

نشأ ودار حول الإجماع بشقيه السابقين قد سبب أيضاً خلافاً فى الآثار الفقهية المترتبة عليه ، ولذلك اعتبر الإجماع أحد البواعث المسببة للخلاف الفقهى .

٩ ـ القياس :

يعتبر الأصوليون القياس دليلا أساسياً من الأدلة الفقهية ، وهو يُعَدُّ عندهم الأصل الرابع من الأصول التى بنيت عليها أحكام الفقه وقواعده ، ولذلك نراهم يضعون له شرائط خاصة وقوانين مختلفة حتى غدا بذلك بابا منظماً له نظامه ومميزاته .

ومما لاشك فيه أنَّه أسهم إلى حَدٍّ بعيد فى استنباط كثير من القوانين والأحكام ، إذ من الممكن أن تظهر مسألة لا يوجد لها نص من القرآن والسنة ، الأمر الذى يدفع المجتهدين إلى استعمال الرأى والقياس ، وقد يدفع بعضهم إلى الوقوف عند النصوص ولا يسمح بتجاوزها إلى استعمال الرأى والقياس ، وهذا الأمر أدّى بالتالى إلى إيجاد اتجاهات مختلفة وأحكام متباينة .

ومن الضرورى أن أبين أنّ القياس لم يحظَ بإجماع العلماء واتفاقهم ، فقد حدث بسببه خلاف عميق بين طوائف الفقهاء والمتكلمين ، إذ حاول كل فريق منهم الانتصار لمذهبه بطرق وأساليب نقلية وعقلية على حد سواء . ويُعْتَبَرُ فقهاء المذهب الظاهرى أبرز مَنْ رفض الأخذ بالقياس كدليل من أدلة الأحكام ، وقد ظهر منهم مؤسس هذا المذهب أبو سليمان داود بن على الأصفهانى (ت ٢٧٠هـ) حيث عدّ أحد أهم الداعين إلى إبطال العمل بالقياس . وقد صور لنا الشهر ستانى موقف داود الظاهرى بقوله : (ومِنْ أصحابِ الظاهر مثل داود الأصفهانى وغيره مَنْ لم يجوّز القياس والاجتهاد فى الأحكام . وقال : الأصول هى : الكتاب والسنة والإجماع فقط ، ومنع أنْ يكون القياس أصلًا من الأصول . وقال : إنَّ أول مَنْ قاس إبليس ، وظنَّ أنَّ القياس أمر خارج عن مضمون الكتاب والسنة[٢] .

يضاف إلى ذلك أحد أعلام هذا المذهب وهو الإمام على بن سعيد بن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦هـ) يعتبر أبرز الرواد الذين حملوا لواء الإنكار على أصحاب القياس وعلى النتائج المترتبة عليه ، إذ عقد فصلًا فى كتابه «المحلّى» خصصه لقضية إبطال القياس ، وحتى يبرهن على صحة ماذهب إليه بدأ أولا بمناقشة الآراء المؤيدة لحجية القياس ثم حاول نقضها وإبطالها ، معقباً ذلك بأدلة مختلفة تشير إلى بطلان القياس وتقدح فى صحته وسلامته[٣] . إلا أنَّ الباحث يستطيع أنْ يتعرف على بعض جوانب الضعف ومواطن الخلل فيما أورده .

وقد أبان الإمام أبوبكر السر فى المواقف المختلفة حول حجية هذا الأصل ، حيث أشاد إلى أنَّ مذهب الصحابة ومَنْ بعدهم من التابعين والماضين من أئمة الدين جواز القياس وهو مدرك من مدارك أحكام الشرع ، خلافاً لمن زعم عدم جوازه وأنَّ

---

(٢) الشهر ستانى/ الملل والنحل/ جـ١/ ص٢٠٦ . تحقيق : محمد سيد كيلانى ـ القاهرة : البابى الحلبى ـ ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

(٣) ابن حزم ـ المحلّى ـ جـ١ ـ ص ٥٦ ـ ٦٢ ـ تحقيق أحمد شاكر ـ بيروت : دار الآفاق الجديدة .

العمل به باطل . وأول من أحدث هذا القول هو إبراهيم النظّام ـ وهو معتزلى ـ ثم تبعه عليه بعض المتكلمين ببغداد . ثم نشأ بعد هؤلاء رجل يقال له داود الأصفهانى ، فأبطل العمل بالقياس من غير أنْ يقف على ماهو مراد كل فريق ممن كان قبله ، ولكنه أخذ طرفاً من كل كلام ولم يشتغل بالتأمّل فيه ليتبيَّنَ له وجه فساده ، فقد قال : القياس لايكون حجة ولايجوز العمل به فى أحكام الشرع . وتابعه على ذلك سائر الظاهرة الذين كانوا مثله فى ترك التأمل ، وروى بعضهم هذا المذهب عن قتادة ومسروق وابن سيرين وهو افتراء عليهم ، فقد كانوا أجلَّ مِنْ أنْ ينسب إليهم القصد إلى مخالفة رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه فيما هو طريق الشرع بعد ماثبت نقله عنهم .

وقد أورد السرفسى أدلة الرافضين للقياس ثم عُنِى بإبطالها ومِنْ ثمّ الاستدلال بمذهب حجية القياس(٤) .

وقد ذكر الإمام محمد بن على الشوكانى أنَّ : (أول مَنْ باحَ بإنكاره النظَّام ، وتابعه قومٌ من المعتزلة كجعفر بن حرب وجعفر بن حبشة ومحمد ابن عبدالله الأسكافى ، وتابعهم على نفيه فى الأحكام داود الظاهرى)(٥) .

كما أن قسماً من الشيعة قد أنكر القياس ورفض حجيته ، فالقاضى النعمان بن محمد أحد فقهاء المذهب الإسماعيلى يفرد بابا طويلا يرد فيه على أصحاب القياس ثم يخلص إلى بطلان القياس كأحد الأصول الفقهية ، وبطلان الآثار المترتبة عليه(٦) .

وعلى ضوء ماتقـــدم يظهـــر أنَّ المذهب الظاهرى ، والمعتزلة ، وطائفة من الشيعة قد أنكروا حجية القياس ولم يَعُدُّوه دليلًا من أدلة الأحكام التى تساعد فى استنباط القواعد الفقهية . ونتيجة لذلك انعكس الخلاف الفقهى تبعاً للخلاف الذى دار حول حجية القياس وشرعيته فى أمرين :

(أ) الخلاف الناشىء بين المثبتين للقياس وبين المنكرين له ، ومثال ذلك قول النبى ـ ﷺ ـ فينا رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى : الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبرّ بالبرّ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل يداً بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربا ، الآخذ والمعطى فيه سواء .

فهذا الحديث يحرم ربا الفضل والنسيئة فى الأمور المذكورة نصاً ، إلا أنه لم تُذكر العلة الموضِّحة لهذا الحكم ، ولذلك سلك المجتهدون مسلك السبر والتقسيم لمعرفة العلة ، وبعد حصر الأوصاف الصالحة لأن تكون علةً فى الأصل تعيَّنت العلة لأن تكون «المقدار» مع اتحاد الجنس واستبعدت الأوصاف الأخرى .

ومن هنا يظهر لنا أنَّ الذين أنكروا القياس لاربا عندهم فى الحمص والأرز والزبيب لأنَّ النص لم يشتمل عليها . والذين يقولون بالقياس

(٤) أصول السرفسى جـ٢ ص١١٨ ـ ١١٩ ـ القاهرة : دار الكتاب العربى ١٣٧٢هـ .

(٥) الشوكانى ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ـ القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٢٧هـ/ ص١٨٦ .

(٦) النعمان بن محمد اختلاف أصول المذاهب ـ ص١٥٥ ـ ١٨٤ ـ تحقيق : مصطفى غالب ـ بيروت : دار الأندلس ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

يلحقونها بالأصناف الستة المذكورة فى الحديث لاشتراكها معها فى علة الحكم بطريق القياس .

(ب) الخلاف العارض بين أصحاب القياس فى قياسهم وذلك لأنَّ كل مذهب له منهجه الخاص فى استعمال القياس ، الأمر الذى ينشأ بسببه خلاف بين المذاهب كاختلاف الأحناف والشافعية وغيرهم من الفقهاء والمجتهدين .

ومما يتصل بهذه المسألة نوع يُعرف عند الأصوليين «بتنقيح المناط» ، وقد ألحقه بعضهم بمسالك العلة فى حين خالفهم آخرون فى ذلك . فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة أنه قال : (بينما نحن جلوس عند النبى ـ ﷺ ـ إذ جاءه رجل فقال : يارسول الله هلكت ، قال : مالك ؟ قال : وقعت على امرأتى وأنا صائم ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : هل تجد رقبة تعتقها ؟ قال : لا . قال : فهل تستطيع أنْ تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا . فقال : فهل تجدُ إطعام ستين مسكيناً ؟ قال : لا . قال : فمكث النبى ـ ﷺ ـ فبينا نحن على ذلك أتى النبى ـ ﷺ ـ بعرق فيه تمر ـ والعرق المِكتل ـ قال : أينَ السائلُ ؟ فقال : أنا . قال : خُذْ هذا فتصدّق به . فقال الرجل : أعلى أفقر منى يارسول الله ؟ فوالله مابين لابتيها ـ يريد الحرتين ـ أهل بيت أفقر من أهل بيتى ! فضحك النبى ـ ﷺ ـ حتى بدَتْ أنيابه ، ثم قال : أطعمْهُ أهلَك[7] .

ومن خلال هذا الحديث أوجب فقهاء الحنفية الكفارة على مَنْ أكل أو شرب عامداً فى رمضان اعتماداً على دلالة هذا النص ، ووجهة نظرهم فى ذلك أنَّ علة الكفارة إفساد الصوم ، ولذلك اشترك الأكل والشرب فى حكم الجماع لاتحاد العلة فى كل منها ، بل إنَّ بعض الأحناف قال : إنَّ الأكل أبلغ فى الجناية من الجماع ، لأنَّ الصبر عنه أشد والدعوة إليه تفوق الدعوة إلى الجماع .

أما فقهاء الشافعية فيرَوْن أنَّ الحديث يقصر الكفارة على مخالف الصوم حقيقة بالجماع فقط ، فى حين أن حكم مَنْ أكل عامداً قضاء ما أفطر ولا تجب عليه الكفارة . ويعلل فقهاء الشافعية ما ذهبوا إليه بأنَّ النص الوارد والمتمثل بالحديث النبوى الشريف يشير إلى وجوب الكفارة على مفطر رمضان بسبب الجماع وليس بسبب شىء آخر ، يُضاف إلى ذلك الاعتداء بالأكل لا يساوى عندهم الاعتداء بالجماع ، ومن هنا لا يترتب على قول الشافعية اتحاد فى العلة بين مفطر رمضان بالجماع وبين مفطره بالأكل والشرب ، ولذلك اختلف حكم كل واحد منهما بشأن الكفارة .

١٠ ـ المنطوق والمفهوم :

من الأمور المميزة التى تتصف بها ألفاظ العربية قدرتها على تحمل أكثر من دلالة غير الدلالة المتبادرة للذهن بحسب اللفظ ، الأمر الذى جعل اجتهادات الأصوليين تتباين فى تحديد نوع الدلالة وتقريرها ، فمنهم من تمسك بحرفية النصوص وظواهر الألفاظ ولم يسمح بمغادرتها إلى المعانى التى من الممكن أنْ تكون اللفظة قد احتملتها ، وهذا ما يُعرف بالمنطوق .

---

(٧) صحيح البخارى جـ١ ص٢١٨ ـ القاهرة : مطبعة محمد على صبيح بميدان الأزهر ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م .

ومنهم من يرى مجاوزة المعنى الحرفى والبحث عن دلالة أخرى تناسب السياق وتلائم الواقع لأن مجرد الوقوف عند اللفظ يقف مانعاً أمام هذا اللفظ من أنْ يؤدى الدلالة المعنوية المطلوبة ، وهذا هو المقصود بالمفهوم .

ولعلّ أبرز مثال على ذلك قوله تعالى :

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾(٨) فالامام الشافعى يأخذ بظاهر النص ويتمسك بحرفيته ذاهباً فى ذلك إلى القول بأنْ مطلق اللمس للجسد يوجب الوضوء سواء أكان بسبب الشهـــوة أم بدونها .

أما الإمام أبو حنيفة فقد ذهب إلى القول بأنَّ اللمس الوارد فى الآية لايعنى لمس اليد ، وإنما القصد منه دلالة أخرى هى الجماع ، مما يترتب على ذلك عدم وجوب الوضوء على مَنْ مَسَّ امرأة سواء أكان المس بشهوة أم بغير شهوة .

وقد يكون من المفيد أنْ أذكر أنَّ الظاهرية قد بالغوا إلى حد بعيد فى التمسك بظاهر اللفظ حتى وصل الأمر بهم إلى درجة القول بأنَّ لمس الأجنبية حتى لو كانت بنتا ساعة ولادتها ينقض الطهارة ويوجب الوضوء ، وأنَّ المرأة إذا أجنبت ثم حاضت فإنه يجب عليها فى هذه الحالة غسلان ، وأنَّ الغسل لايجب إلا بإنزال المنى ... إلى غير ذلك من الأحكام التى استنبطوها معتمدين فى ذلك على ظواهر الألفاظ غير ملتفتين إلى الدلالات المعنوية الأخرى .

١١ ـ الناسخ والمنسوخ :

قد يرد حكم فى مسألة ما ثم يعقبها حكم آخر فى المسألة نفسها مخالفٌ للحكم الأول ، مما يترتب على هذا الوضع وجود حكمين لمسألة واحدة .

وقد حاول العلماء وضع بعض القواعد والضوابط بهدف الوصول إلى حكم واحد مقبول ، منها : أنه إذا ورد نصان متعارضان مقبولان وجب البحث والاجتهاد للجمع والتوفيق بينهما بطريق صحيح من طرق الجمع والتوفيق ، وعندها يعمل بهما معاً ـ أما إذا تعذر الجمع بوجه من الوجوه فإنه يُنظر إلى جانب النسخ فإنْ أمكن علم الناسخ منهما عمل به وتُرك المنسوخ ، فإن لم يعلم رجح أحدهما على الآخر بوجه من وجوه الترجيح أرجعها العلماء إلى خمسين وجهاً . أما إذا لم يعرف المرجح فيتوقف العمل بهما حتى يظهر مرجح مراعاةً للقاعدة التى تقرر عدم الترجيح بدون مُرجِّح .

إلا أنه ولاعتبارات معينة تمسك بعض الأئمة بالحكم الأول وتمسك بعضهم بالحكم الثانى فى بعض المواضع ، وهذا هو السبب الذى جعل الأحكام تختلف فى المسألة الواحدة ، مثال ذلك ما أورده ابن قدامة فى المغنى عند كلامه على حكم القيام أو القعود حين مرور الجنازة ، حيث ذكر : (فصل ، إذا مَرّت به جنازة لم يستحب له القيام لها لقول على ـ رضى الله عنه ـ: قام رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قعد . رواه مسلم ... قال أحمد : إنْ قام لم أعبه وإنْ قعد فلا بأس . وذكر ابن أبى موسى

---

(٨) سورة المائدة ـ اية رقم (٦) .

والقاضى أنَّ القيام مستحب لأنَّ النبى ـ ﷺ ـ قال : «إذا رأى أحدكم الجنازة فليقم حين يراها حتى تخلفه» رواه مسلم[٩]

وقد أوسع الإمام أبوبكر الحازمى هذا الموضوع شرحاً وتفصيلا بحيث استوعب كثيراً من المسائل الخلافية المتعلقة بهذا الموضوع ، ولذلك نراه يخصِّص له كتاباً سماه (الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار) وقد حاول فى هذا الكتاب أن يشير إلى الآثار التى تخالف بعضها بعضا فى الموضوع الواحد وأن يصل فى النهاية إلى حكم واحد مقبول وذلك باعتماده على الناسخ والمنسوخ ، مثال ذلك ماذكره عن ابن مسعود (قال : كنا نسلم على النبى ـ ﷺ ـ فيرد علينا السلام حتى قدمنا من أرض الحبشة فسلمت عليه فلم يرد علىَّ ، فأخذنى ماقرب وما بعد فجلست حتى قضى الصلاة ، قال : إنَّ الله ـ عز وجل ـ يحدث من أمره مايشاء وأنه ـ عز وجل ـ قد أحدث من أمره أن لا يتكلم فى الصلاة[١٠] .

وبعد ، فإنَّ الخلاف الفقهى راجع فى محصلته النهائية إلى أنَّ استنباط الأحكام الفقهية مبنية على النصوص الواردة فى الكتاب والسنة ، تبعاً لمقتضى الأصل اللغوى ومايحتمله من المعانى والدلالات . وفى هذا توسيع للأفق التشريعية وتيسير على المكلفين ورحمة بهم فلا يترتب على المكلّف حرج فيما كُلِّف به ، ولعل ماذكرته فى هذه الدراسة يؤكد حقيقة ذات مبلغ كبير من الأهمية وهى أنَّ الخلاف الفقهى يعتبر ظاهرة صحيَّحة فى التاريخ الإسلامى ويشهد على عمق التفكير ونضوج الوعى بين جنبات حضارة علمية راقية مازال المسلمون حتى يومنا هذا يعيشون على ذكراها ويقتبسون من ثمارها وأنوارها .

---

(٩) المغنى ـ المجلد الثانى ـ ص ٣٦١ .

(١٠) أبوبكر الحازمى ـ الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار ـ ص ١١٣ ـ حلب : ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م تحقيق الدكتور عبد المعطى القلعجى .

أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية

الفصل الأخير

أ.د/ محمد عبد العليم العدوى

كتب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والأمراء .

ولما كانت رسالته ﷺ هى الرسالة العامة وكان خاتماً للنبيين ورحمة للعالمين فقد اقتضى ذلك أن تبلغ دعوته كل أقطار الأرض .. ولهذا أرسل عليه السلام فى ذى الحجة من السنة السادسة للهجرة - وبعد عودته من الحديبية - الكتب إلى الملوك والأمراء فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل إمبراطور الروم ، وعبدالله بن حذافة السهمى إلى كسرى فارس وعمرو بن أمية الغمرى إلى النجاشى[1] . وحاطب بن أبى بلتعة اللخمى إلى المقوقس عامل هرقل على مصر ، وبعث سليط بن عرو العامرى إلى هوذة بن على الحنفى فى أمير بلاد اليمامة وشجاع بن وهب من بنى أسد بن خزيمة إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى والعلاء بن الحضرمى إلى المنذربن ساوى صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعياد أبنى الجلندى[2] يقول الطبرى : حدثنا ابن حميد قال حدثنى ابن اسحق عن يزيد بن أبى صهيب المصرى أنه وجد كتاباً فيه تسمية من بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الخائبين (الكفار) وما قال لأصحابه حين بعثهم فبعث به (أى بالكتاب) إلى ابن شهاب الزهرى مع ثقة من أهل بلده فعرفه (أى هذا الكتاب)[3]

وفى الكتاب أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات غداة فقال لهم إنى بعثت رحمة وكافة فأدوا عنى يرحمكم الله ولاتختلفوا على كاختلاف الحواريين على عيسى ابن مريم قالوا يارسول الله وكيف كان اختلافهم ؟ قال : دعا إلى مثل مادعوتكم إليه فأما من قرب به فأحب وسلم ، وأما من بعد به فكره وأبى ، فشكاذلك منهم عيسى إلى الله عز وجل ، فأصبحوا منه ليلتهم تلك ، وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين بعثوا إليهم فقال عيسى : هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فامضوا قال ابن أسماء ثم فرق رسول الله ﷺ أصحابه فبعث سليط بن عمرو[4] .... الخ .

وعن ابن حبان أن رسول الله ﷺ قال : من ينطلق لصحيفتى هذه إلى قيصر وله الخير فقال

---

(١) وهو غير الذى أسلم وصلى عليه رسول الله ﷺ البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٢ .

(٢) انظر ابن هشام واليعقوبى والطبرى والبداية والنهاية وصحيحى البخارى ومسلم .

(٣) تاريخ الرسل والملوك، البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢٦٨ .

(٤) تاريخ الرسول والملوك . البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢٦٨ .

رجل : وإن لم يقبل ؟ قال : وإن لم يقبل . فأخذ دحية الكتاب وسافر به إلى أرض الروم فوافق هرقل وهو مقبل على بيت المقدس يزوره عقب انتصاره على الفرس .

وتناول قيصر الكتاب فقرأ فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأكارين الفلاحين .

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٥) .

وهاجت حاشية هرقل لاكتراث القيصر بهذه الرسالة ومن عرضه عليهم اعتناق هذا الدين واستدعا بلباقته السياسية دحية الكلبى وحاول إيهامه بأنه مسلم ؟

ثم أعطاه قدراً من الدنانير .. وصرفه .

وعاد دحية إلى رسول الله ﷺ بالنبأ ، فقال النبى ﷺ « كذب عدو الله وليس بمسلم ، وأمر بالدنانير فقسمت على المحتاجين (٦) .

ورد المقوقس على النبى ﷺ رداً حسناً ولم يؤمن به ولم يتهجم عليه ولما تسلم كتابه من « حاطب بن أبى بلتعة » وكان بمثل ما كتب به إلى هرقل .. قال : وما منعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده ؟ فقال حاطب ما منع عيسى ـ وقد أخذه قومه ليقتلوه أن يدعو الله عليهم فيهلكهم ؟ فقال المقوقس أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ، ثم كتب إلى رسول الله يقول : لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط(٧) سلام عليكم . أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه وتدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم فى القبط وثياب وأهديت لك بغلة تركبها « وكانت إحداهما السيدة مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ (٨) .

ولقد قبل عليه الصلاة والسلام الهدية تقديراً للعاطفة التى أملت بها ، وإن كان يرى أن الإيمان بالله وحده أفضل ما يهدى إليه وخير ما ينتظره ويعيش له .

وجدير بنا أن نذكر كلام حاطب للمقوقس ، حتى يعرف القارىء أن هذه البعوث بلغت حدا من الفقة والحصافة يستحق الإعجاب البالغ .

قال حاطب : إن هذا النبى دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى ، ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى

---

(٥) حديث صحيح من قوله (وتناول قيصر) إلى هنا أخرجه البخارى (١٣٣/٢١) ومسلم (١٦٥/٥ ـ ١٦) عن ابن عباس والآية من سورة آل عمران : ٦٤ .

(٦) أخرجه أبو عبيد فى (الأموال) ص٢٥٥ عن بكر بن عبدالله المزنى وإسناده صحيح لكنه مرسل ونقل الزرقانى فى (شرح المواهب) ٢٥٠/٣ عن الفتح أنه فى مسند الإمام أحمد .

(٧) القبط تعنى سكان مصر وقد عرفوا بهذا الاسم قبل دخول النصرانية ولذا يعد من الخطأ إطلاق كلمة قبط على من تنصر .

(٨) والثانية هى سيرين وقد أسلمنا فى الطريق ، وغلام حصى أنظر البداية والنهاية ح٤ ص٢٣٦ .

إلا كبشارة عيسى بمحمد ومادعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل .

وكل نبى أدرك قوما فإنهم أمته ، فحق عليهم أن يطيعوه ، وأنت ممن أدرك هذا النبى ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به[9] وكان نتيجة هذا الكلام الخطاب الذى ذكرناه آنفا .

كما كتب عليه السلام كتاباً إلى كسرى أبرويز : ملك فارس يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ـ سلام الله على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله . أدعوك بدعاية الله ، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس[10] .

وكان رد كسرى أن مزق الكتاب .. ويروى أنه ﷺ لما بلغه ماصنع كسرى بكتابه قال : مزق الله ملكه[11] وقد مزق فعلا بمصرع كسرى ويوقع الإسلام فى قلب والى اليمن ورجاله بعد أن علما بما حدث لكسرى بعد دعاء رسول الله ﷺ عليه وانتشر الإسلام فى الجنوب انتشاراً عظيماً .

وأرسل النبى عليه الصلاة والسلام إلى أمير البحرين كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ونبذ المجوسية حمله إليه العلاء بن الحضرمى والذى أبلغ فى ترغيبه وإبراز محاسن الإسلام له . فمما قاله .. يامنذر إنك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة إن هذه المجوسية شردين ، ليس فيها تكرم العرب ، ولاعلم الكتاب ، ينكحون مايستحى من نكاحه ، ويأكلون مايتنزه عن أكله ، يعبدون فى الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولارأى فأنظر : هل ينبغى لمن لايكذب فى الدنيا ألا نصدقه ؟ ولمن لايخون ألا نأمنه ؟ ولمن لايخلف ألا نثق به ؟

هذا هو النبى الأمى الذى ـ والله ـ لايستطيع ذو عقل أن يقول : ليت ماأمر به نهى عنه ، أو مانهى عنه أمر به ، أوليته زاد فى عفوه أو نقص من عقابه ، إذ كل منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر[12] ...

وشرح الله صدر المنـــــذر بن ساوى « أمير البحرين فرحب بالدعوة وأسلم وعرض على قومه الإسلام فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة .

هذه هى كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها بدعاية الإسلام فى فترة الهدنة بعد صلح الحديبية وقد كان لها كما أشرنا أثر كبيرفى إبلاغ رسالة الإسلام إلى جل مناطق المعمورة .. وهذا إن دل على شىء فإنما يدل .

١ ـ على أن الدعوة التى بعث بها رسول الله ﷺ ، إنما بعث بها إلى الناس كافة لا إلى قوم بأعيانهم ، وإن رسالته إنما هى إنسانية شاملة ليس لها طابع عنصرية أو قومية أو جماعة معينة ولذلك اتجه ﷺ يدعو لتبليغها إلى كل حكام الأرض وملوكها .

---

(٩) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى ص٣٧٩ .

(١٠) حديث حسن رواه ابن جبير فى تاريخه ج٢ ص٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

(١١) حديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه (١٠٤/٨) وانظر البداية والنهاية ح٤ ص٢٦٨ .

(١٢) نصب الراية ، للزيلعى ح٤ ص٤١٩ ـ ٤٢٠ .

٢ ـ ويدل عمله هذا ﷺ على أنه ينبغى على المسلمين أن يهيئوا أنفسهم للدعوة الإسلامية .

فى كل أرجاء الأرض بوسائلها وأسبابها ومن أهم أسباب ذلك المعرفة بلغة الأمم والأقوام الذين يقومون بدعوتهم إلى الإسلام وتعريفهم بمبادئه وأحكامه كما أرسل ﷺ وكل منهم يتقن لغة القوم الذين بعثه إليهم ـ كما يدل عمله ﷺ هذا مع ملاحظة التوقيت الذى جاء فيه أن على المسلمين أن يقوموا أولا بمسئولية الدعوة فيما بينهم وأن يصلحوا من أنفسهم حتى إذا قطعوا شوطاً كبيراً وفرغوا من تطبيق نظام الإسلام على حياتهم وسلوكهم آن لهم حينئذ أن يقوموا بهذا الواجب الثانى .

وقد كان النبى ﷺ قادراً أن يرسل عدداً من أصحابه إلى هؤلاء الرؤساء والملوك قبل هذا الوقت بكثير غير أن ذلك ينطوى على الإخلال بهذا الواجب الذى ذكرناه .

وينبغى أن نعلم أن إصلاح المسلمين أنفسهم هو بنفسه جزء عظيم من دعوة غيرهم إلى الإسلام .

فالناس كانوا ولايزالون يبحثون . عن المثل الصالح فى السلوك والخلق ليقتفوا أثره ويتبعوه ولو أن المسلمين اليوم كانوا معتزين بإسلامهم مطبقين مبادئه وأحكامه لرأيت ذلك الشعاع الهادى متوغلا بضيائه فى مجاهل أفريقيا وأقاصى آسيا وأوربا وأمريكا[١٣] .

من ثمرات الحديبية :

أتاحت هدنة الحديبية للمسلمين ـ كما أسلفنا ـ القضاء على اليهود فى المدينة كما أتاحت لهم السيطرة على قبائل شمالى المدينة حتى حدود العراق والشام وانتشر الإسلام بين القبائل العربية كلها كما كاتب عليه الصلاة والسلام الملوك خارج الجزيرة يدعوهم بدعاية الإسلام حيث أصبح المسلمون ـ بحمد الله ـ قوة لاتدانيها أية قوة فى بلاد العرب[١٤] .

عمرة القضاء :

فلما استهل ذو القعدة من سنة سبع خرج رسول الله ﷺ لعمرة القضاء وفاءاً لصلح الحديبية وشكراً لله سبحانه وتعالى على أنعمه .. ونادى فى الناس بالخروج وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم أحد إلا رجال استشهدوا بخيبر ، ورجال ماتوا ، وخرج معه ﷺ ألفان سوى النساء والصبيان .. وساق معه الهدى ، ولبى والمسلمون يلبون معه ﷺ ودخل عليه الصلاة والسلام ومن معه مكة معززاً مكرماًودخل المسجد يطوف بالبيت وأمر أصحابه فقال اكشفوا عن المناكب واسعوا فى الطواف ليرى المشركون جلدكم وقوتكم[١٥] .

ووقف أهل مكة : الرجال والنساء والصبيان ، ينظرون إلى رسول الله ﷺ

(١٣) فقه السيرة : للأستاذ محمد سعيد رمضان البوطى ص٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(١٤) الزعيم الركن محمد شبت خطاب : الرسول القائد ص٢٢٣ .

(١٥) أخرج أحمد ٣٠٦/١ عن ابن عباس أن قريشا قالت أن محمداً وأصحابه قد وهنتهم حمى يثرب فلما قدم رسول الله ﷺ لعامه الذى اعتمر فيه قال لأصحابه أرملوا بالبيت ثلاثاً ليرى المشركون قوتكم . فلما رملوا قالت قريش . ماوهنتهم وإسناده صحيح أنظر البخارى ٣٧٦/٣ ، ٣٩٢/٧ ومسلم (٦٦) .

وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبدالله بن رواحة بين يدى رسول الله ﷺ يرتجز متوشحا بالسيف ويقول :

خلــو بنــى الكفــار عن سبيلـــه
قد أنــزل الــرحمن فى تنزيلـــه
فى صحـــف تتلى على رسولـــه
يارب إنى مؤمـــن بقيلـــه
إنى رأيت الحمـــد فى قبولـــه
اليــوم نضربكـــم على تأويلـــه
ضربــا يزيـــل الهام عن مقبلـــة
والخليـــل عن خليلـــه[١٦]

فقال عمر رضى الله عنه : ياأبن رواحة بين يدى رسول الله ﷺ وفى حرم الله تقول شعراً .. فقال . ﷺ لعمر : خل عنه ياعمر فهى فيهم أى فى إيذائهم أسرع تأثيراً من نضح النبل[١٧] .. وفى رواية قال عليه الصلاة والسلام يابن رواحة قل لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فقالها ابن رواحة فقالها الناس كما قالها . ثم سعى ﷺ وأصحابه .. فلما كان الطواف أى السعى ـ السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة بعد أمره عليه الصلاة والسلام بإحضاره فنحر عند المروة وحلق هناك وذكر صاحب الإمتاع أنه حلقه معمر بن عبدالله العدوى كذلك فعل المسلمون وآقام عليه السلام بمكة ثلاثاً .

ثم عاد عليه الصلاة والسلام .. وهو يسير منزلاً منزلاً .. حتى قدم المدينة المنورة[١٨] زادها الله شرفاً وكرامة .. وصدق الله العظيم .

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾

ثم كان يوم الفتح الأعظم فى العام الثامن ، ودخل رسول الله ﷺ مكة من أعلاها وأمر قادة جيشه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم فدخلت سائر الفرق من أنحاء مكة الأخرى .

دخل ﷺ مكة ومعه عشرة آلاف من المسلمين وقد أحصر من قبل فى الحديبية ومعه ألف وأربعمائة[١٩] ..

وسكنت مكة ، واستسلم سادتها وأتباعها ، وعلت كلمة الله فى جنباتها ، ثم نهض عليه الصلاة والسلام إلى البيت العتيق فطاف به وأخذ يكسر الأصنام المصفوفة حوله ويضربها بقوسه ظهر البطن ، فتنكب على الأرض مهشمة متناثرة ، وهو يتلو قوله تعالى ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٢٠] ثم أمر بالكعبة ففتحت فطهرها ومحا الصور التى كانت بها[٢١] ثم أقبل

---

(١٦) أخرجه ابن هشام ٣٧١/٢ عن ابن اسحاق حدثنى عبدالله بن أبى بكر مرسلا عبدالرازق من وجهين صحيحين عن أنس كما قال الحافظ فى «الفتح» ٣٨٤/٧ وابن القيم زاد المعاد ص٣٧١ .

(١٧) أخرجه الترمذى والنسائى عن أنس رضى الله عنه فى عمرة القضاء .

(١٨) أنظر «حجة الوداع وجزء عمرات النبى ﷺ للكاندهلوى ص ٣٠٣ البداية والنهاية ج٤ ص٢٣٣ وفيها أن ارتجاز عبدالله بن رواحة الشعر كان بذى طوى .

(١٩) صحيح أخرجه البخارى وغيره فى حديث عروة مرسلا ٤/٨ ـ ٦ .

(٢٠) من سورة الاسراء الآية : ٨١

(٢١) حديث صحيح أخرجه البخارى عن ابن عباس .

عليه الصلاة والسلام وأمسك بعضادتى باب الكعبة وهو يقول : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

وصعد بلال فوق ظهر الكعبة فأذن للصلاة وأنصت أهل مكة لنداء الحق .. كأنهم فى حلم .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن محمداً رسول الله .. أشهد أن محمداً رسول الله .. الخ .

وهكذا كان صلح الحديبية وهكذا كان أثره فى نشر الدعوة الإسلامية .

يقول ابن القيم فى فصل عقده فى الإشارة إلى بعض الحكم التى تضمنتها هذه الهدنة : (وهى أكبر وأجل من أن يحيط بها إلا الله تعالى الذى أحكم أسبابها ، فوقعت النهاية على الوجه الذى أقتضته حكمته وحده .

فمنها : أنها كانت مقدمة بين يدى الفتح الأعظم الذى أعز الله به رسوله وجنده ، ودخل الناس به فى دين الله أفواجاً فكانت هذه الهدنة بابا له ومفتاحاً ومؤذناً بين يديه .. وهذه عادة الله سبحانه فى الأمور العظام التى يقضيها قدراً وشرعاً أن يوطىء لها بين يديها مقدمات وتوطئات تؤذن بها وتدلل عليها ومنها أن الهدنة كانت من أعظم الفتوح فإن الناس أمن بعضهم بعضاً وأختلط المسلمون بالكفار وبادؤوهم بالدعوة وأسمعوهم القرآن وناظروهم على الإسلام آمنين وظهر من كان مختفياً بالإسلام ودخل فيه فى مدة الهدنة وحتى فتح مكة من شاء الله له أن يدخل ولهذا سماه الله فتحاً مبيناً .

وفيه قال الزهيرى : ما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلم بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد فى الإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ولقد دخل فى هاتين السنتين مثل من كان دخل فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام والدليل على ما قاله الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة رجل فى قول جابر ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف(٢٢) وصدق الله العظيم .. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(٢٣)

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا﴾(٢٤)

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِىٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٢٥)

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين) وصلى الله تعالى وسلم على حبيبه ومصطفاه ورحمته المهداه سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

---

(٢٢) البداية والنهاية ج٤ ص١٧٠

(٢٣) سورة آل عمران ٥٣ .

(٢٤) من سورة الكهف الآية ١٠

(٢٥) سورة آل عمران ١٤٧ .

مشكلات مسلمي آسيا الوسطى

«الحل ... في الأقمار الصناعية»

أ.د. انشراح الشال

أقامت جامعة الأزهر مؤتمراً عالمياً موسعاً فى الفترة من ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٩٣ م موضوعه «المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز الماضى والحاضر والمستقبل» . وقد نوقش فى هذا المؤتمر أكثر من سبعين بحثاً تناولت الجوانب الجغرافية والاقتصادية والثقافية والفكرية للجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحادالسوفيتى (سابقاً) ؛ كما أثيرت فى المؤتمر مشكلة الأقليات(*) الإسلامية فى العالم ، وما يجب عمله نحوهم .

ويرجع اهتمامنا بالموضوع إلى أننا عشنا بالخارج فترات طويلة ، زرنا فيها عديداً من الدول فى قارات العالم كلها ، ولمسنا شخصياً مشكلة أبناء الجيل الثانى للمغتربين فى دول أجنبية عنا عقيدةً ولساناً ، مما يفسر إصرارنا المتزايد على ضرورة مد يد العون للمغتربين من أبناء الدول الإسلامية حيث طالبنا المسئولين عن الإعلام والمعنيين بأمور المسلمين فى مصر وغيرها من الدول الإسلامية بالإسراع فى وضع خطة لتدريس العربية والعلوم الإسلامية لأبنائنا فى الخارج باستخدام أحدث التقنيات التى تواكب العصر .

وفى هذا المؤتمر «المسلمون فى اسيا الوسطى والقوقاز» أثرنا الموضوع من جديد ، خصوصاً والحديث يدور عن جمهوريات إسلامية انفصلت لتوها عن الاتحاد السوفيتى «سابقاً» ، وإن كان هذا لا يعنى بالضرورة انتهاء التأثير الشيوعى .

ولا يغيب عنا مشكلة هؤلاء المسلمين ذوى الفراغ الدينى الذى يرغبون فى استيعاب حقائقه فى الوقت الذى يعانون فيه مالياً وعلمياً معاناة لا يمكنهم معها تخطى هذا الحاجز بسهولة .

كما لا يمكن اغفال الدور الذى تقوم به الحملات التنصيرية بالنسبة لأبناء المسلمين ممن يعيشون على الفطرة فى هذه المنطقة والذين كان لآبائهم فضل كبير فى بقاء الإسلام مازلنا نشيد به وأسماء هؤلاء ملء العين .. والأذن .. والقلب .

من أجل هؤلاء ومن أجل الأقليات الإسلامية المنتشرة فى مشارق الأرض ومغاربها فكرنا فى إمكانية الاستعانة بأحدث تقنية فى مجال الاتصال

(*) دكتوراه الدولة فى الآداب والعلوم الإنسانية من قسم الاجتماع وعلم النفس بجامعة بوردو بفرنسا .

(*) سبق للكاتبة الحديث عن الأقليات الإسلامية فى المؤتمر الدولى الإسلامى للبحوث السكانية المنعقد بجامعة الأزهر فى مارس ١٩٨٧ ، وشاركت ببحث «تعليم العربية والدين الإسلامى لأبناء المغتربين» .

كما تناولته فى مؤلفها «المغترب ووسائل الاتصال» دار الفكر العربى ١٩٨٧ .

ومؤلفها «قنوات للتليفزيون فضائية فى عالم ثالث ، دار الفكر العربى ١٩٩٣ .

وهى القمر الصناعى لإقامة (جسور تَوَاصُـلٍ) تتخطى الحدود السياسية والجغرافية والمكانية واللغوية والنفسية .

و(تقنية) القمر الصناعى الذى يأخذ مداره الثابت على ارتفاع ٣٦,٠٠٠ كيلو مترا من سطح الأرض ، تسمح للقمر الواحد بتغطية مساحة

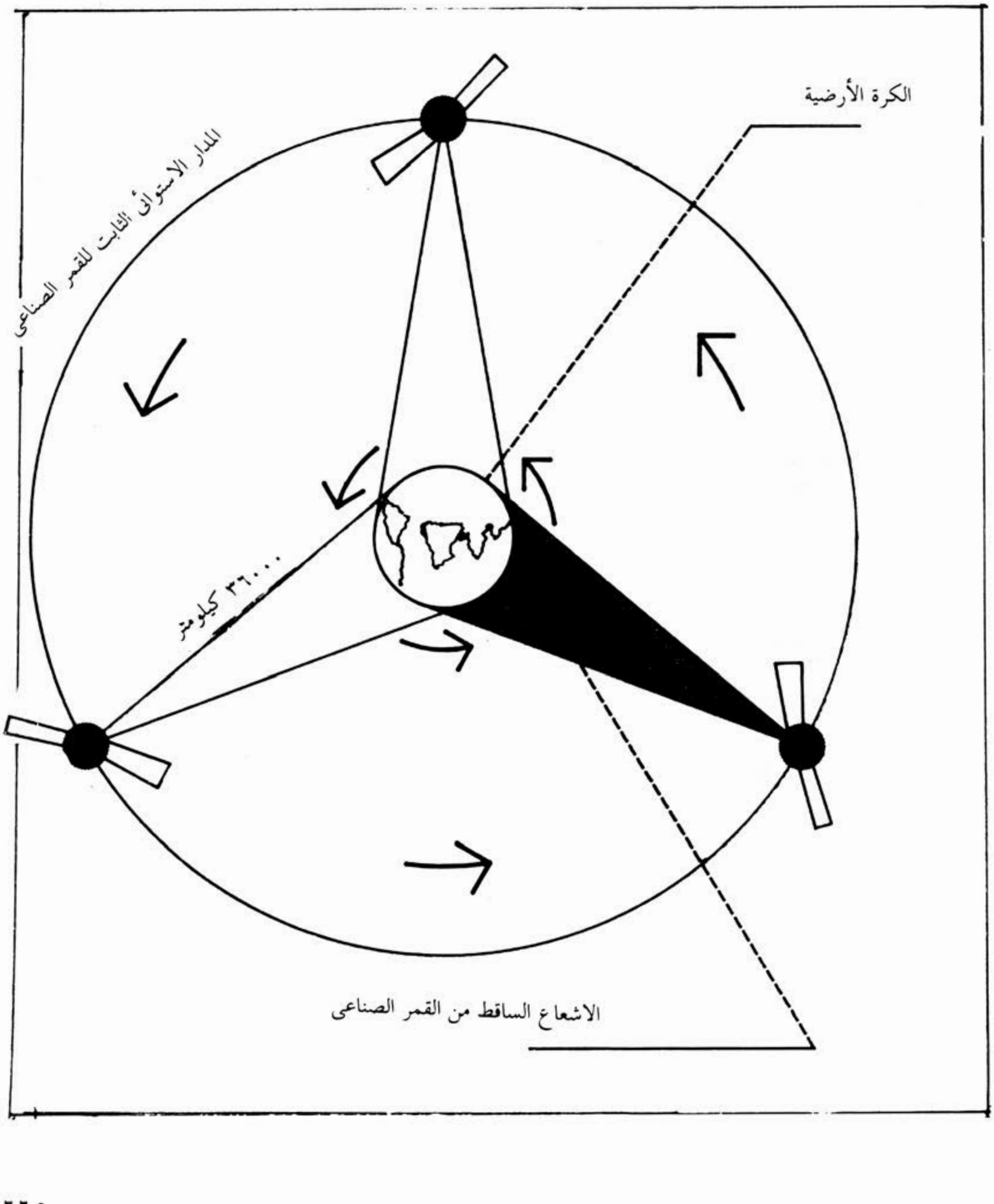

تصل إلى ثلث مساحة الكرة الأرضية ببرامج يقوم القمر بدور الوساطة فى نقلها من محطة التليفزيون الباثة إلى مشاهدى التليفزيون فى هذه المساحة(١).

أى إنه يمكن الإستعانة بثلاثة أقمار فقط لتقديم هذه الخدمة للمسلمين فى شتى بقاع الدنيا، ويمكن بخمسة أقمار لضمان الجودة ولضمان استمرارها.

والمقصود هنا من الاستعانة بقمر صناعى هو استئجار قناة على القمر أو ساعات فقط على هذه القناة، كما فعلت مصر ـ على سبيل المثال ـ عندما رغبت فى أن يكون لها قناتها الفضائية، فاستأجرت قناة على القمر الصناعى العربى (عربسات) بموجب عقد وقع فى ١٩٩٠/٦/١٢ بين اتحاد الإذاعة والتليفزيون وبين المؤسسة العربية لاتصالات الفضاء.

ومن منطلق التخصص، ولإيماننا بالدور الذى يمكن أن يكون للإعلام ـ وبخاصة التليفزيون ـ فى الدعوة الإسلامية، سألنا الأستاذ « فيتالى ناؤومييكن » عن وضع التليفزيون لديهم فى جمهوريات آسيا الوسطى، حيث نفى دخول « التليفزيون الكابلى » فى أراضيهم، وعلمنا منه وجود بعض برامج إسلامية على شاشة التليفزيون لديهم ولكنها غير كافية على كافة المستويات(٢).

ولما كانت جمهوريات آسيا الوسطى تقع فى نفس المنطقة(٣) التى تضم الدول العربية .. ولما كانت الأوضاع الاقتصادية لهذه الدول غير ميسرة .. ولما كانت المجالات الإعلامية ضعيفة المستوى لديهم .. ولما كنا بصدد المؤتمر الذى دعت إليه جامعة الأزهر .. فإننا نطرح عدة مقترحات منها :

١ ـ الاستعانة بالأقمار الصناعية وتوفير محطات وسيطة لتعليم العربية وأحكام الإسلام لأبناء هذه الجمهوريات وأبناء الأقليات الإسلامية فى الدول الأخرى.

٢ ـ يستوجب ذلك إنتاج برامج متميزة من حيث الشكل والمضمون.

٣ ـ ونفضل أن يكون القائم بالاتصال من أبناء هذه الدول المستقلة المستقبلة للبث بشرط أن يكون مؤهلًا لذلك على أن توفر لهم المنح اللازمة للتعليم والتدريب.

٤ ـ إلى أن يتم توفير هذه (الكوادر)، يمكن الاستعانة بشبابنا المسلم ممن يجيدون لغات هذه الدول فى العمل الإعلامى الموجه لمسلمى آسيا الوسطى.

٥ ـ من الممكن إرسالهم فى منح ولو قصيرة لتنشيط اللغات لديهم وللحفاظ على مستواهم ولحين الحاجة إليه وليعرفوا عن قرب طبيعة أفراد جمهورهم الذين سوف يناقشونهم.

٦ ـ إلى جانب ذلك لابدّ من توفير البرامج المتميزة بحيث تقدم على الشاشة مترجمة أو (مدبلجة) بلغات الدول المستقبلة للبث مع إرسال المصحف الشريف لهم.

---

(١) للاستزادة راجع دراستنا « الإعلام الدولى عبر الأقمار الصناعية »، دار الفكر العربى ١٩٨٧.

(٢) ويرجع ذلك لعدم توافر التمويل اللازم للتشغيل والإنتاج والصيانة، كما أنه لم يتوفر بعد الكوادر المتخصصة التى لديها الثقافة الإسلامية الرفيعة وفى نفس الوقت لديها قدرة على التأليف والترجمة والإنتاج الإعلامى بنفس لغات هذه الدول.

(٣) وهى المنطقة (١) حسب الرسم الموجود فى مقالنا الثانى فى هذا العدد.

خلفية تاريخية

عن الإسلام والمسلمين

في زيمبابوي

بقلم الشيخ: زكريا حامد ورشل

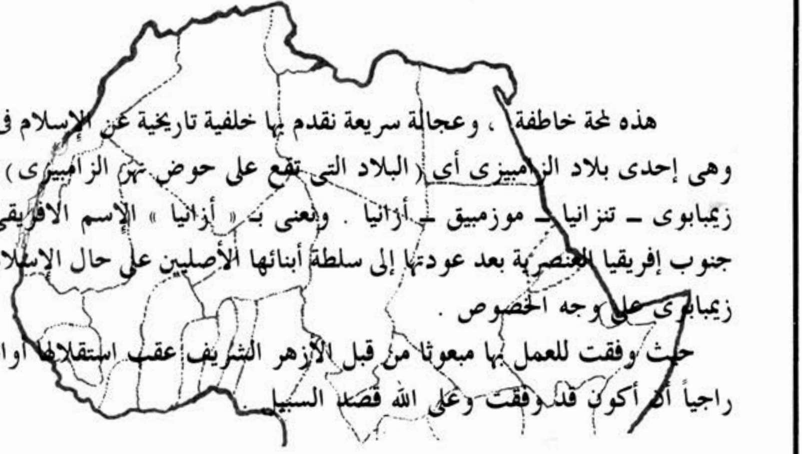

هذه لمحة خاطفة ، وعجالة سريعة نقدم بها خلفية تاريخية عن الإسلام فى « زيمبابوى » وهى إحدى بلاد الزامبيزى أى (البلاد التى تقع على حوض نهر الزامبيزى) وهى زامبيا ـ زيمبابوى ـ تنزانيا ـ موزمبيق ـ أزانيا . ونعنى بـ « أزانيا » الإسم الافريقى المختار لدولة جنوب إفريقيا العنصرية بعد عودتها إلى سلطة أبنائها الأصليين على حال الإسلام والمسلمين فى زيمبابوى على وجه الخصوص .

حيث وفقت للعمل بها مبعوثا من قبل الأزهر الشريف عقب استقلالها أوائل الثمانينات . راجياً أن أكون قد وفقت وعلى الله قصد السبيل .

موقع زيمبابوى :

تقع زيمبابوى فى الجزء الجنوبى الشرقى من قارة إفريقيا ، تحدها موزمبيق من الشرق والشمال الشرقى ، وزامبيا من الشمال والشمال الغربى .

وتقع بتسوانا إلى جنوبها الغربى بينما تقع دولة جنوب إفريقيا فى الجنوب منها .

المساحة ونشاط السكان :

وتبلغ مساحة زيمبابوى حوالى ٣٩٠ ألف كم²

وسيلة العيش بين أبنائها تقوم على الرعى والزراعة التى تعتمد على الأمطار والتى تسقط صيفاً وعليها تقوم أسباب الحياة ، كذلك تقوم حياتهم على استخراج المعادن : كالذهب والحديد والكروم والنحاس بكميات وفيرة . ويشتهر السكان بصناعة المشغولات النحاسية . وتعتبر أرضهم مخزناً للأخشاب الصالحة لصناعة الأثاث وغيره .

عدد السكان :

يبلغ عدد السكان فى زيمبابوى قرابة الستة ملايين نسمة . ونسبة المسلمين بينهم نحو ٢٠ ٪

والمسلمون جنسيات مختلفة . وسنخص مسلمى البلاد الأصليين بكلمة ضافية فى المقال ، ثم إن الهنود ويمثلون أكثرية ، يليهم المالاويون من حيث العدد ، ثم الباكستانيون فاليمنيون ، والصوماليون ، والإيرانيون . على الترتيب . كما أن بها تسع سفارات عربية وإسلامية هى على التوالى :

جمهورية مصر العربية ـ الجمهورية العراقية ـ الجمهورية الجزائرية ـ جمهورية تونس ـ والجمهورية العربية الليبية ـ فلسطين ـ جمهورية باكستان ـ جمهورية بنجلاديش .

وأصغر الجاليات بها هى الجالية المصرية نحو (٤٠) فرداً بما فى ذلك أعضاء السفارة .

والمسلمون بين : سنة ـ وشيعة ـ ومتصوفة جيلانية تسيطر على فريق كبير من أهل السنة . ومذهب الإمام أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ هو مذهب الأغلبية المسلمة وهم الهنود . وأما الوافدون من (مالاوى) و(الصومال) فعلى مذهب الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ وأما (الإيرانيون) فهم بطبيعة الحال شيعة متمسكون بفقه ينسبونه إلى الإمام جعفر الصادق ـ رحمه الله ـ ويعدونه المذهب الخامس بين المذاهب الإسلامية .

وجدير بالذكر أن هذه المذاهب لا تشكل بين أبناء هذه البلاد فرقة ما ، فإن من المعلوم أن هذه المذاهب إنما تتناول جزئيات لا صلة لها بالعقيدة الإسلامية المحررة . ولاحظت أن لكل جماعة مسجدها الخاص ، ولم يأتوا إلىَّ بقضية ووقفت فى الفصل فيها إلَّا ورأيت من الجميع استجابة فورية لما قضيت .

وعن ذكر المساجد نجد :

فى العاصمة « هرارى » وحدها خمسة مساجد وهى على الترتيب وحسب الأهمية :

١ ـ المركز الإسلامى أو المسجد الكبير « مسجد ومدرسة ودار لتحفيظ القرآن الكريم وقاعة محاضرات ، بناه الهنود ويقومون على شأنه ، والمسجد يتسع لخمسة آلاف مصل ويحيط بهذا المجمع فراغ شاسع يقدر بحوالى عشرين فداناً ويلفه سور من جميع جوانبه ويقع هذا المجمع فى حى يسمى « ريجفيو » ، ومصدر التمويل لأداء رسالته جيوب التجار الهنود وأغنيائهم فى « زيمبابوى » ودولة جنوب إفريقيا . ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، وصندوق التزامل الإسلامى بجدة ، ولجنة المشاريع الإفريقية بدولة الكويت . وكثيراً ما قمت بزيارته للوعظ وصلاة الجمعة فيه .

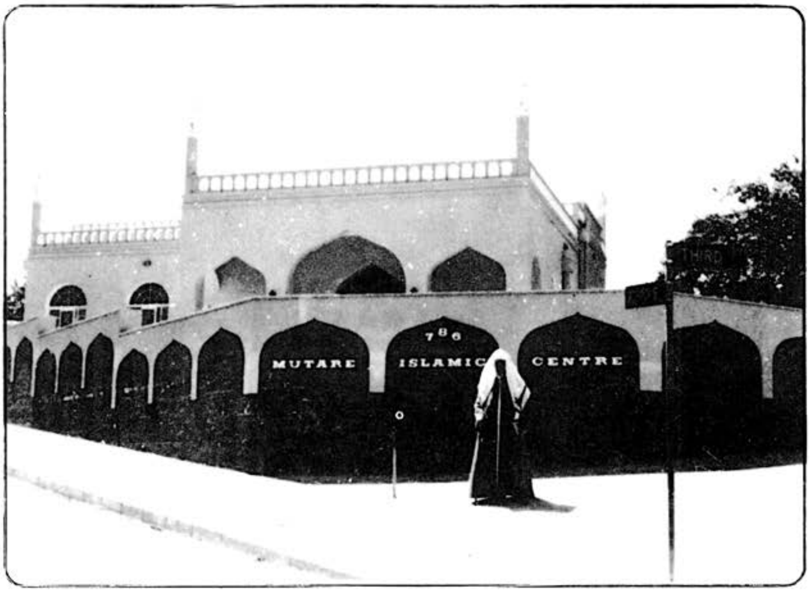

٢ ـ مسجد وسط المدينة :

ويعتبر أقدم المساجد ويتبع المركز الإسلامى فى « ريجفيو » فى كل شىء حتى فى وضع برنامج الوعظ وخطبة الجمعة ، وتكليف من يقوم بالإمامة والصلاة ، وصرف رواتب الموظفين فيه ، ويقع هذا المسجد فى منطقة النشاط التجارى وأكثر المناطق ازدحاماً برجال الأعمال والتجارة والحرف مما يشير إلى كثرة رواده وخاصة فى يوم الجمعة والعيدين والمناسبات الدينية .

٣ ـ مسجد مبارى :

وهو يحمل اسم الحى الذى يقع فيه فى إحدى ضواحى العاصمة . ويسمى « مسجد البرابرة » بناه رجل نزح من « مالاوى » إلى زيمبابوى ورواده شافعية متصوفة جيلانية ، وهم أفقر الطبقات الإسلامية يمارسون الحرف البسيطة كعمال فى المرافق العامة وغير ذلك . ولهذا تمتد أيدى المحسنين من أهل الخير لمساعدة هذا المسجد ليواصل أداء رسالته .

٤ ـ مسجد ووترفولس :

وسمى بهذا نسبة إلى المنطقة التى يقع فيها « ووترفولس » ومعناها مسقط الماء وتلحق بهذا المسجد مدرسة لتعليم أبناء المسلمين علوم القرآن الكريم والثقافة الإسلامية ويحيط به فراغ واسع من الأرض الفضاء تابعة له ، مسوَّرٌ بسور من جميع جوانبه ولهذا المسجد مجلس إدارة يدير شئونه والصرف عليه ، وقد استجابوا لاقتراح لى بالعمل على إقامة مستشفى لعلاج مرضى المسلمين بأجور رمزية حيث أن الأطباء الوطنيين فى أغلب التخصصات موجودون . وبدعوتى للأغنياء منهم ـ وهم كثير ـ تم تدبير المبلغ الذى اشتروا به

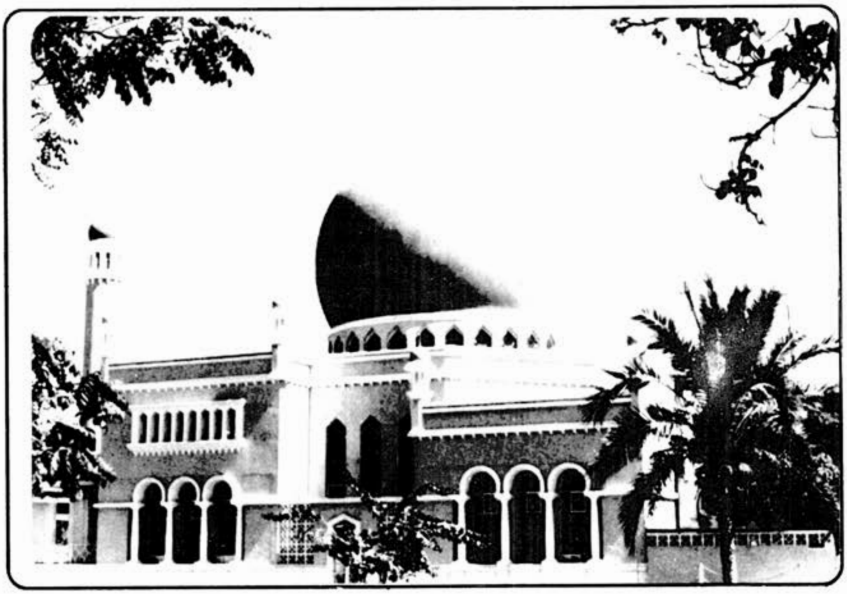

قطعة أرض فضاء تجاور حرم المسجد ، تقدر بعشرة آلاف متر مربع سجلت لهذا الغرض .

ولما كان رواد هذا المسجد كثير وله أهمية مشجعة ، صار نقطة انطلاق بالدعوة إلى أرجاء زيمبابوى. ويرأس مجلس إدارة هذا المسجد (الشيخ أحمد طالب علمى) رئيس هيئة علماء المسلمين . وهو الذى مثل المسلمين فى زيمبابوى فى الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف ، وكلمته مسموعة ، وإشارته نافذة ، وله احترامه وتقديره لدى الجميع . ورواد هذا المسجد شافعية المذهب ، شاذلية المشرب ، يقيمون جلسة صوفية يبدءونها بدرس دينى مساء كل خميس . يزدحم فيها المسجد بجموع المسلمين . وجدير بالذكر أن الشيخ أحمد علمى كان دليلنا على طريق الدعوة فى العاصمة وخارجها .

٥ ـ مسجد السنة والجماعة :

وهو مسجد أقامه جماعة من الهنود انشقوا عن بنى جلدتهم الآخرين لاعتقادهم أنهم متشددون متزمتون ، ولهذا اعتزلوهم وأقاموا لهم مسجداً خاصاً بهم . يجدون فيه فسحة من الوقت يقيمون فيه حلقات الذكر ، والاحتفالات بالمناسبات الدينية كذكرى الهجرة والمولد النبوى الشريف ، مما يعتبره الفريق الأول من البدع .

اللغة فى زيمبابوى :

هذا واللغة السائدة بين أهل هذه البلاد مسلمين وغير مسلمين ، هى اللغة الإنجليزية نتيجة لتسلط الإستعمار الإنجليزى عليها قرابة المائة عام . وهناك لغة محلية للسكان الأصليين تسمى « الشونا » ومنذ الاستقلال وانتقال السلطة إلى الأغلبية من أهل البلاد فى أوائل الثمانينات من هذا القرن الحالى (١٩٨١) أصبحت هذه اللغة المحلية مادة للدراسة فى مراحل التعليم المختلفة كلغة قومية أساسية ، وأما اللغة العربية فلا يستطيع التحدث

بها إلا الوافدون من أصل صومالى أو يمنى ، وبعض الهنود والمالاويين . تعلموها من اتصالهم ـ سابقاً ـ ببعض الدول العربية مثل : السعودية ومصر وغيرهما .

ولقد وجدت ضرورة ملحة فى تعلم اللغة الإنجليزية حتى أستطيع معايشة القوم وتسهيل مهمتى فى مخاطبتهم ، والوصول إلى الغاية المنشودة من نشر الدعوة .

● **الحالة المالية للسكان** :

ومما هو جدير بالذكر أن أغلب المسلمين وخاصة الهنود ميسورو الحال موفورو المال ، ويملكون مصادره تجارةً وزراعةً ومكاتب للأعمال الحرة كالاستيراد والتصدير ومزارع الفاكهة ومراعى الأبقار والأغنام ، ومصانع للمشغولات النحاسية . هذا ولقد لاحظت على عمال المراعى العمل بجد ونشاط فلا تجد بينهم كسولًا ، ولا خمولًا ، مع النظام والنظافة ، واحترام الوقت ، وتقديس العمل ، وذلك منهج عام لأهل البلاد ، وهم يودون أن يزداد اهتمام الأزهر الشريف بهم أكثر وأكثر . وبرغم ما يصل إليهم من مطبوعات وإصدارات من أكثر من جهة من بلاد العرب والإسلام إلا أنهم يعقدون الأمل على الأزهر وفيما يأتيهم منه .

ونحن إذ نشير إلى الهنود فى يسارهم هذا ـ ليجدر بنا أن نشير إلى أنهم يأتون من حيث اليسار فى المرتبة الثانية بعد الأوربيين الذين يمثلون ٥٪ من مجموع السكان تقريباً ويملكون أجود الأراضى الزراعية وشركات التعدين وأماكن استخراج المعادن . يليهم اليهود الذين هاجروا إلى البلاد وخاصة من مصر إبان ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ثم الطبقة المتوسطة من سكان البلاد ، فالوافدون من مالاوى ، فالبقية من أهل البلاد .

زيمبابوى تاريخياً :

بالرجوع إلى ما كتب فى هذا الصدد من مصادر استطعنا أن نخرج بالآتى :

دخل الإسلام زيمبابوى يحمله العرب المسلمون الذين وفدوا إلى البلاد من الساحل الشرق الإفريقى عام ١٥٠٠ بعد الميلاد . كما جاء البرتغاليون إلى هذه البلاد من نفس الاتجاه ، وبعد دخول العرب بمائة عام .. ثم غزا الإنجليز هذه البلاد عام ١٨٩٠ م من طريق الجنوب فى نفس السنة التى خرج فيها البرتغاليون ، ثم أطلق الإنجليز عليها اسم « روديسيا الجنوبية » نسبة إلى « رودس » أول حاكم إنجليزى إبان غزوها .

ولقد أقام العرب المسلمون مراكز تجارية على طول الساحل الشرق الإفريقى قبل مجىء البرتغاليين وتعتبر منطقة « كِلْوَه » أحد هذه المراكز التجارية ، فقد أنشىء عام ٧٠٠ بعد الميلاد ، ومازال يحتفظ بأماكنه ومساجده التى يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر .

ثم زاد التبادل التجارى بين « زيمبابوى » وساحل إفريقيا الشرقى من القرن التاسع وفى واحدة من هذه المراكز التجارية التى أقامها العرب المسلمون والتى تسمى « سوفالا » وتقع بالقرب من مدينة « بيرا » بنى البرتغاليون أحد قلاعهم ، فى عام ١٥٠٥م وكان هذا الحصن بمثابة نقطة وثوب على الإمبراطورية الأسطورية « المونوماتابا»

ولقد قامت عملية تزاوج بين سكان الهضبة الداخلية « زيمبابوى » حالياً وسكان الساحل الشرق الإفريقى ، مما ساعد على انتشار الإسلام بين شرق ووسط إفريقيا بالاتصال المباشر بين العرب وسكان هذه البلاد . وفى النصف الثانى من القرن السادس عشر حينما نزل البرتغال إلى الهضبة الداخليـــة لشن الحرب ضد إمبراطوريـــة « التوجومو » « مونوماتابا » متتبـعين إشارة « جون كانو » فى عام ١٥٦١م . واكتشفوا ليس فقط رسوخ أقدام العرب فى بلاط الملك ، بل تأثيرهم الكبير فى تسيير أمور امبراطوريـــة « المونوماتابا » وتدبير شئونها .

وبالإشارة إلى السلالات التى ازدهرت ـ إسلامياً ـ فى تلك الفترة . فلا يمكن تقديرها بالضبط ، لأن البرتغاليين فى القرن السادس عشر الميلادى استخدموا لفظ « مورو » ليعنى ببساطة أى مسلم مهما كان لونه أو لغته ، والذين يميزون بأسماء إسلامية وبالعمامة ، والتقيد بأعراف الدين الإسلامى .

وليس هناك شك فى أن بعض السكان الأصليين الذين أسلموا على أيدى التجار العرب يمثلون سلالات ثلاث ، ويتكلمون اللغـــة السواحلية ، ولغة « السيتا » وكذلك لغة « الشونا » .

ومن المحتمل أن هذه السلالات الثلاث انتشرت من شرق أفريقيا إلى المنطقة حول آثار زيمبابوى قبل ١٥٠٠ سنة بعد الميلاد وفيما بعد .. وبناء على وجود الثلاث سلالات أو بعضها .

أو المسلمين المتكلمين بالسواحلية أو لغـــة « السيتا » أو « الشونا » أو خليط من هذه المجموعات فى منطقة آثار زيمبابوى ، أثر ذلك على عادات القبائل وكذلك أعرافهم « أى تقاليدهم » الاجتماعية كطرق أكلهم وزواجهم وختان أبنائهم ، وتوافق ذلك تماماً مع عادات المسلمين .

ومما سبق يبدو لنا أن مجىء التجار المسلمين إلى هذه البلاد أثر تأثيراً كبيراً فى أهلها لدرجة أن كثيراً من أهل القبائل سموا أولادهم بأسماء المسلمين مثل على وقاسم ومصطفى وآدم ويوسف . ويسمى سكان البلاد هؤلاء المسلمين اليوم « فاريمبا » وكان أول دخول هؤلاء السكان فى الإسلام فى منطقة بحيرة فى « ماسيفينجو » عام ١٩٦١م (٢٠٠) مائتى رجل من أهم هذه القبائل الذين يعتبرون عملياً مسلمين أعيد دخولهم إلى الإسلام فى هذه السنة ، وفى سنة ١٩٧٤م دخل الإسلام أربعة عشر « كرالا » أى : مجموعة ، ومعهم خمسمائة رجل على الأقل فى منطقة « جوتو » دخلوا الإسلام ، وهناك آلاف من سكان البلاد الأصليين كلهم من « فاريمبا » يمارسون العادات الإسلامية ، ولكنهم لم يدخلوا الإسلام بعد(١).

كذلك فإن أحد الروابط الأولية بين الإسلام وزيمبابوى هو : بناء كوبرى « فيكتوريا فولس » على « نهر الزامبيـــــزى » يصل بين حدود « زيمبابوى » و « زامبيا » فى منطقة « شلالات فيكتوريا فولس » وعلى بعد (٨٠٠) ثمانمائة كم إلى الشمال الغربى من العاصمة « هرارى » ، ولقد

(١) ذلك انهم لا يأكلون الخنزير ولا ذبيحة غيرهم إلا إذا كان مسلما ، ويمارسون ختان ابنائهم .. الخ

زرت هذه المنطقة وعبرت هذا الكوبرى بين الدولتين فى عام ١٩٨٥م وهى من أجمل المناطق السياحية سحراً وجمالًا ، فى طبيعة خلابة جل صانعها الوهاب ـ سبحانه ، وتعالى .

ولهذا « الكوبرى » قصة : فبعد بداية هذا القرن « العشرين » وعلى التحديد سنة ١٩٠٤م جاءت شركة إنجليزية بعمال من شمال « باكستان » إلى « روديسيا الجنوبية » « زيمبابوى » حالياً ؛ لبناء كوبرى على «نهر الزامبيزى » عند شلالات « فيكتوريا فولس » وتم بناء هذا الكوبرى ، ولم يَعُد كل الآسيويين إلى بلادهم الأصلية ، بل بقى عدد كبير منهم فى « زيمبابوى » تفاعلوا مع البيئة الجديدة ، واتصلوا بالأفريقيين فى عدة نواح ، من التزاوج والتجارة . بعضهم بقى فى نفس مكان الشلالات ، والبعض الآخر ذهب إلى مقاطعة « ماسفينجو » واستقر البعض فى « شورجوى » ولقب نسل المسلمين الذين استقروا حول « ماسيفينجو » بلقب « خان » وتمت كثير من الزيجات فيما بينهم وبين سكان البلاد الأصليين .

وفى « هرارى » العاصمة اليوم يوجد كثير من هؤلاء « الخان » وكذلك يوجد فى منطقة الشلالات «فيكتوريا» كثير من (الأفروأسيويين) الذين يرجع أصلهم إلى سلالات مختلفة ، ويعتبر معظم المهاجرين الآسيويين من الهنود والعرب الذين بدأو المجىء إلى « زيمبابوى » فى مطلع هذا القرن .

ومازال بعض الهنود الذين تخطوا سن الثمانين يعيشون إلى اليوم فى العاصمة «هرارى» وقد جاءوا عام ١٩١٢م من مقاطعة « حيرات » فى الهند حيث بدأوا فى السفر بالسفن من ميناء « بومباى » إلى ساحل « موزمبيق » على المحيط الهندى ، ثم واصلوا رحلتهم براً من مدينة « بيرا » إلى مدينة « أم تارى » بالقطار ، وقد أتوا فى أول الأمر بدون الزوجات اللائى لحقن بهم فيما بعد ..

وقد بدأ بعضهم بالتجارة على نطاق صغير ؛ مثل بيع الفاكهة . ثم عملوا بالمناجم أو عمالًا فى المحلات التجارية إلى أن أصبح لهم محلاتهم الخاصة بهم .

وقد جاء مهاجراً كثير من مسلمى آسيا « هنوداً أو عرباً » إلى هذه البلاد ـ وبنفس الطريقة ـ ثم كان الاتصال بينهم وبين الأفارقة عن طريق التجارة .

كما أننا نلاحظ أن بعض المسلمين الآسيويين جاءوا فى هجرات متتابعة من السعودية أو الهند أو الباكستان إلى جنوب أفريقيا ، ثم رحلوا إلى زيمبابوى . إما بالقطار من خلال أراضى « دولة بتسوانا » فى الجنوب الغربى لزيمبابوى ، وإما بالطريق البرى عبر كوبرى « بيث » مثل بعض المهاجرين بحثاً عن الرزق ثم استقروا فى هذه البلاد . والمسلمون القادمون من (مالاوى) يمثلون أغلبية ، تلى عدد المسلمين الهنود .

كما يمثل المسلمون من « الملايو » أغلب المسلمين الآسيويين الذين هاجروا إلى « زيمبابوى » منذ القرن الثامن عشر الميلادى وما بعده . وانتشر التجار المتكلمون باللغة السواحيلية من « زنزبار » ومن شمال « موزمبيق » إلى « مالاوى » للتجارة مع قبائلها . وكان التجار الذين يتكلمون السواحيلية يعطون أهل الملاوى الملابس والعقود الخرز فى مقابل الحصول على

الصيد وسن الفيل ، ومنذ بداية القرن العشرين ظل الإسلام فى بلاد « المالاوى »[٢] وإلى اليوم قوياً .

ومن الملاحظ أنه منذ عام ١٨٩٠م زاد عدد المسلمين الملاويين الذين هاجروا إلى « زيمبابوى » بحثاً عن الرزق ، وبعضهم جاء لفترة محدودة ثم رجع إلى بلده ، واستقر البعض الآخر فى (زيمبابوى) كما ظل المسلمون الملاويون على إسلامهم ، وكذا ذرياتهم . وفى منتصف هذا القرن زاد عدد المسلمين الملاويين عن المسلمين الآسيويين . وجاء عدد من المسلمين الأفارقة من دولة « موزمبيق » فى الشرق ـ معظمهم جاء ـ بحثاً عن الرزق ، والعمل فى المزارع والمناجم .

والجدير بالذكر هنا . أن المسلمين لهم حرية مطلقة غير مقيدة فى ممارسة شعائرهم الدينية . على الرغم من أن الدستور فى البلاد يعتبر النصرانية الدين الرسمى للدولة .

ومع ذلك فإن قانون الدولة حيال المسلمين على وجه الخصوص جعلهم يؤدون شعائرهم بحرية ويحتفلون بمناسباتهم الدينية بلا قيد أو مضايقة من أحد برغم وجود مواكب التنصير ، وانتشار مراكزه فى أنحاء الدولة . وببرامج وامكانات هائلة ، وتحركات دائبة ودائمة بصورة لا تخفى ، مع انتشار الكنائس والإرساليات التنصيرية فى كل مكان ، إلا أن ذلك لم يشكل أى عقبة أمام أبناء الإسلام فى مزاولة شعائرهم ، والقيام بأمور دينهم . فى مساجدهم المنتشرة فى كل مدن وقرى الدولة . وبعدد مناسب لعدد المسلمين . والرئاسة العليا للدولة تحفظ للمسلمين جميلهم ودورهم الفعَّال طيلة أيام النضال من أجل التحرير من الاستعمار قرابة الخمسة عشر عاماً . ولمصر على وجه الخصوص هنا منزلة لا ينساها شعب زيمبابوى ، كما لا ينسى لها كفاحها ودفاعها فى المحافل الدولية من أجل حصول زيمبابوى على استقلالها . حتى تم لها الهدف وتحققت الغاية ، ونالت حريتها كاملة غير منقوصة ، عام ١٩٨١م ، وهم يتحدثون عن ذلك الجميل المصرى بكل فخر وتقدير .

والمسلمون هنا : يعتمدون على جهودهم الذاتية ، مع بعض المساعدات التى تأتيهم ، من بعض البلاد والجماعات الإسلامية والعربية ، فيساعدهم ذلك على بناء المساجد والمدارس .

ومركز الثقافة الإسلامية ، ولكن أكبر المساعدات تأتيهم من إخوانهم المسلمين فى جنوب أفريقيا ، الذين يقدر عددهم بأربعة ملايين نسمة ، ويتمتعون بحظ وافر فى شئون الحياة .

مادياً ومعنوياً ، ولهم مركزهم الإسلامى فى « ترانسفال » وجامعتهم الإسلامية فى « دربان » ويزاولون نشاطهم وشعائرهم فى مساجدهم التى تبلغ الألفين وخمسمائة مسجد ـ علاوة على العديد من المدارس ودور التعليم الخاصة بهم لتعليم أبنائهم مناهج الإسلام وعلومه ، كما أنهم يرفضون مساعدة الدولة لهم لتوافر نعمة الله عليهم كما قالوا ذلك لى ـ ولهم مطابعهم الخاصة التى يطبعون فيها المصحف الشريف وكتب الحديث والثقافة

---

(٢) تقع بلاد الملاو فى الشمال اشرق لزيمبابوى

الإسلامية لهم وللمسلمين فى البلاد المجاورة .. ولديهم هيئة إسلامية تسمى (هيئة علماء المسلمين) لها اتصال واتفاق مع جميع المسلمين فى البلاد المجاورة والواقعة حول حوض نهر الزامبيزى (زيمبابوى- تنزانيا- موزمبيق- سوازيلاند- بتسوانا- أنجولا- ليسوتو). عند استطلاع أوائل الشهور العربية ولتحديد مواعيد شهر الصوم والأعياد وغير ذلك .

وبعد .. فتلخيصاً لما ذكرنا نقول :

إن التعداد العام للمسلمين وقت وجودى بينهم ١٩٨٣ - ١٩٨٦م جاء كالآتى :

العدد العام : ٧١,٠٠٠ واحد وسبعون ألفاً .. تقريباً . منهم :

١٠,٠٠٠ عشرة آلاف من أصل آسيوى .

٣١,٠٠٠ واحد وثلاثون ألفاً من مالاوى فى الشمال .

٢٠,٠٠٠ عشرون ألفاً من السكان الأصليين .

١٠,٠٠٠ عشرة آلاف من موزمبيق فى الشرق .

هذا .. ويوجد العمال المسلمون :

فى المزارع والمناجم . فى المنطقة الوسطى من البلاد ، والمناطق الشرقية والجنوبية ، إذا علمنا أن بعض المناجم توجد فى كل من : جاروى - شورجوى - ماشافا - زفشافان - كوى كوى .

● **أهم المدن حيث يوجد أغلب المسلمين .**

فى أهم ثلاث مدن كبرى وهى : -(هارارى) العاصمة . (بولاوايو) (أم تارى) يوجد عدد لابأس به من المسلمين يعملون فى المصانع والتجارة ، أما معظم المسلمين من أصل أسيوى فيتركزون فى مدن كبرى كذلك ويعملون بالتجارة على طول الخط الحديدى الذى يربط شرق البلاد بغربها . مثل (أم تارى)- (مارون ديما)- (هارارى)- (شيجوتو)- (كادوما)- (كوى كوى)- (جويرو)- (شورجوى)- (سومايولا)- (بولاوايو)- وهذه المدينة الأخيرة تعتبر العاصمة الثانية من حيث الأهمية وعدد السكان وهى مدينة صناعية تشتهر بصناعة الأخشاب والنحاس والذهب ويسكنها من المسلمين قرابة الخمسة عشر ألفاً وبها ثمانية عشر مسجداً بخلاف المدارس الإسلامية ، والتى تعد بالعشرات . عرفتها وعرفت عنها ذلك بتكرار زياراتى أداءً لواجبى حيالها .

● **وفى مجال العمل :**

يعمل عدد من المسلمين الملاويين فى مناجم الذهب والكروم . وصناعة الحديد والصلب والدخان ، وكثير من الصناعات فى زيمبابوى ومنهم أطباء - محامون - مدرسون فى المدارس الحكومية . وبعض الشباب يدرسون الطب والهندسة والقانون والاقتصاد والعلوم فى جامعة (هارارى) ومنهم من يدرس العلم فى جامعات الدول الإسلامية والعربية : مثل السعودية - ليبيا - مصر وخاصة فى الأزهر الشريف .

● **أهم المدن ومواقعها من العاصمة :**

١ - هارارى .. العاصمة .

٢ - بولاوايو - العاصمة الثانية وتبعد عن العاصمة ٥٥٠ كم إلى الجنوب الغربى .

٣ - أم تارى - (منطقة الجبال السبعة) وهى من أجمل المناطق السياحية وتبعد ٢٦٠ كم إلى الشرق .

٤ ــ يافيانجا ــ وتبعد عن العاصمة ٢٥٠ كم إلى الجنوب الشرقى .

٥ ــ كوى كوى ــ وتبعد عن العاصمة ٢٢٠ كم إلى الغرب .

٦ ــ كادوما ــ وتبعد عن العاصمة ٨٥ كم إلى الغرب .

٧ ــ جويرو ــ وتبعد عن العاصمة ٢٨٠ كم إلى الغرب .

٨ ــ شيجوتو ــ وتبعد عن العاصمة ١٨٥ كم إلى الغرب .

٩ ــ كاريبا ــ وتبعد عن العاصمة ٥٠٠ كم إلى الشمال الغربى .

١٠ ــ فيكتوريا فولس ــ وتبعد عن العاصمة ٨٠٠ كم إلى الشمال الغربى وعن الأخيرة أقول هى منطقة الشلالات ومن أجمل ما أريت جمالًا وسحراً تشهد فى جمالها وسحرها بعظمة الخلاق العظيم وبديع صنعه .

● وختاما فالطريق من وإلى زيمبابوى :

(١) القاهرة ــ زيمبابوى طريق نيروبى فى كينيا مع « ترانزيت » ثمان ساعات بزمن قدره ست عشرة ساعة .

(٢) هارارى فى (زيمبابوى) طريق نيروبى مع « ترانزيت » فى نيروبى (كينيا) مع المبيت بها لليلتين .

وقد يكون السفر إلى زيمبابوى عن طريق دار السلام فى تنزانيا . وتكون دار السلام هى محطة الانتظار ذهاباً وعودة مع ملاحظة المبيت بدار السلام فى العودة ليلة واحدة . ولقد سلكت الطريقتين فى سفرى .

وفى الختام أقر بأن ما قدمته فى تلك العجالة السريعة عن الخلفية التاريخية للإسلام والمسلمين فى زيمبابوى جهد مقل ، وطاقة عاجزة ، وبتوفيق من الله وحده سبحانه وتعالى سجلنا ما عايشناه وشاهدناه ، مشاهدة العين وملاحظة الزائر ، بقراءة المسطور ، ومعاينة المنظور وعلى الله قصد السبيل ومنه العون والتوفيق .

العلمانية والخلط بين الأوراق

بقلم الدكتور / محمود صالح العدلى*

العلمانية هى مفهوم يفصل بين الدين والدولة ، أى بين الممارسة الدينية والممارسة السياسية ، تأسيسا على أن الدولة والمجتمع هما مجموع علاقات إنسانية بين البشر فقط ، ويخرج عن ذلك ـ تبعاً لهذا المفهوم ـ العلاقات الدينية ، أى بين البشر والله . فالدولة والمجتمع العلْمانيان هما ـ فقط ـ علاقات إنسانية ، وليس للإرادة الإلهية ثمة انعكاس عليها . فالبنية الاجتماعية العلمانية لاتُفرض كعملية Process من فوق Superimposed . أى من خارج النشاط الإنسانى ، بل تتكوّن فى نطاق هذا النشاط ، ومن خلاله .

والعلمانى **Secular/Seculairse** هو عكس الدينى أو الكهنوتى ؛ إذ هى تعنى العالم نسبة إلى العِلْم ، وهذه التفرقة بين الدينى أو الكهنوتى والعالم ، تجد مكانها فى المسيحية بعكس الإسلام . ومردها التفرقة بين السلطة الرّوحية والسلطة المدنية ، فالأولى تكون للكنيسة ، والثانى للولاة والأمراء .

---

* مدرس القانون الجنائى بكلية الشريعة والقانون بطنطا جامعة الأزهر

والعلمانيون بالمعنى المتقدم يحكمون ـ بصفة عامة ـ بمقتضى العقل ، ويستهدفون مراعاة المصلحة العامة ـ بالطبع وفقاً لمفهومهم لهذه المصلحة ـ دون تقيد فى ذلك بأية نصوص أو عبادات دينية .

والعَلْمانِيون كان لهم دورهم فى المجتمعات الغربية ، إذ كانوا ـ غالبا ـ مبعثا للتطور والتجديد ، الأمر الذى كان مثاراً للخلاف بينهم وبين الكنيسة ورجال الدين . ويبرز نشاطهم فى مجال الثقافة والتعليم ، فلهم ثقافتهم الخاصة ومدارسهم العلمانية ، وتحتسب الثورة الفرنسية ضمن أكبر الحركات العلمانية .

ويزج البعض بالإسلام إلى مفهوم العلمانية ، فيقولون إن الإسلام دين فحسب ، ولا ينطبق عليه معنى ، أو مبنى الدولة ، بالمفهوم الحديث . وهو قول فيه من الخلط بين الأوراق «الكثير» وفيه من التجنى على الإسلام «الأكثر» . فالأركان الأساسية للدولة ـ بالمفهوم الحديث ـ تنحصر فى ثلاثة ، هى : الشّعب «الجماعة البشرية» ، والإقليم ، والهيئة الحاكمة ؛ صاحبة السلطة على هذا الشعب وذاك الإقليم .

وتنطبق هذه الأركان ـ كل الانطباق ـ على دولة المدينة التى أنشأها الرسول ـ ﷺ ـ حيث وُجِدت الجماعة البشرية متمثلة فى الأمة الإسلامية ، ووُجِد الإقليم وهو «المدينة» ، ووُجِدت السلطة العليا متمثِّلة فى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهذه الدولة أُسست بموجب بيعة العقبة ، التى كانت عقداً اجتمعت له الخصائص العسكرية والاجتماعية اللازمة لإنشاء الدولة الإسلامية .

ويقول بعض العلمانيين أن الإسلام مكانه فى القلب والعقل معاً ، والاحتجاج إنما يكون على الدعوة للحكم بالإسلام ، وهذا القول يتصادم مع حقيقة الإسلام ، الذى يجمع بين الدين والشرع ، لدرجة أن الصحابة والتابعين أجمعوا على أن نصب الإمام واجب ، وإقامة الحدود وحفظ النظام لايتمان إلَّا بهذا النصب .

كما احتج بعض العلمانيين بأن سكوت القرآن الكريم عن تحديد أسلوب اختيار الحاكم أو طبيعة نظام الحكم يجعل القول بأن «الإسلام دين فحسب» لايعد إنكاراً لأمر معلوم من الدين بالضرورة ، وهذه الحجة مردودة من جهتين :

الأولى : مفادها أن القرآن الكريم ليس هو المصدر الوحيد للتشريع الإسلامى ولقد كشفت السنة النبوية الشريفة ـ المصدر الثانى للتشريع الإسلامى ـ عن ضرورة بناء دولة إسلامية وعن شمول الإسلام للدين والشريعة معاً .

والثانية : أن مرونة الشريعة الإسلامية اقتضت أن تُحدَد أُسس نظام الحكم الإسلامى ؛ كمبادىء الشورى والحرية والعدالة والمساواة ؛ وغيرها مما يتصل بنظام الحكم . وهذه المبادىء لها من العمومية والمرونة ، بما يكفل لها الصلاحية لجميع البشر فى كافة الأزمنة والأمكنة .

وقيل تأييدا لعلمانية الإسلام ـ أى قصر الإسلام على الدين فقط ـ أن الحكم تجربة إنسانية يلحقها وصف الخطأ والصواب ، ومن ثم ؛ فإن تصحيح هذه التجربة أمر يصير فى الإمكان القيام به دائماً ، غير أن الحكم الذى يستند على السلطة الدينية ـ وهو عبارة عن حكم إنسانى ، يمنح نفسه سلطة تتجاوز سلطة البشر ـ لا يقوم بتصحيح خطئه بسهولة ، بل إنه من الممكن ـ حسب هذه الوجهة من النظر ـ أن يضفى على نفسه نوعاً من «العصمة» تمنع ـ ابتداء ـ الاعتراف بالخطأ .

وجلى مدى تأثر هذه الحجة بالمفهوم الغربى للحكومة الدينية ، تلك الحكومة التى عُرِف عنها الكثير من التجاوزات فى العصور الوسطى ؛ حيث مارست الكثير من العسف وكبت الحريات وفيها قام رجال الكهنوت المسيحى بتجاوز حدود وظائفهم الكنيسة ، فتولوا سلطات واسعة ، وأداروا دفة الحكم بطريقة مباشرة أو من خلف الستار ، وذلك تحقيقاً لأغراضهم وأهوائهم نظراً لعدم وجود شريعة لديهم ملزمة «مفصلة» يمكن الارتكاز عليها بحسبانها فلسفة للحكم . والأمر غير ذلك فى الإسلام . فالحكومة فى الإسلام تدير المجتمع المسلم ، وفقاً لمبادىء وأهداف الإسلام . فالإسلام هو المهيمن على تشريعات وقيم ومفاهيم ومعايير أهداف هذا المجتمع ، كما يمثل الإسلام العقيدة العليا لهذا المجتمع ؛ وبه فإنه لا محل للتخوف ، من الدين فى الإسلام ، فليست لهم «عصمة» ، فهم ـ فقط ـ أهل خبرة وكفاءة وفهم ، ولا يسمح لهم بالخروج على الاختصاصات المقررة لهم ، ولا يباح لهم الحكم بأهوائهم ، فالشريعة الإسلامية تحكم الجميع ، الحاكم والمحكوم ، على حد سواء .

وملاك القول ـ فيما تقدم ـ أن التخوف من آثار تطبيق الحكم الإسلامى إنما مبعثه ـ فى حقيقة الأمر ـ الصورة المنطبعة فى ذهن البعض عن الحكم الدينى فى العصور الوسطى ـ مما دفع بالعلمانيين ـ عن خطأ أو عن عمد ـ إلى الخلط بين الأوراق ، أوإلى قياس الحكم الإسلامى ، على الحكم الدينى الذى ساد فى العصور الوسطى ، وهو خلط ممجوج ، وقياس مع فارق نأمل أن يتجاوزها الفكر الانسانى .

مستقبل الثقافة فى مصر

أ.د. محمد رجب البيومى

أرادت الهيئة المصرية العامة للكتاب أن تعيد نشر كتاب مستقبل الثقافة فى مصر ، ردًا على ما يدور فى مصر من أحداث خطيرة ، نسأل الله أن تنجو منها برعايته وحوله ، إذ ليس لها من دون الله كاشفة ، واختيار هذا الكتاب يدل على أن الذين تولوا نشره ، لم يعلموا أنه تعرض فى حياة الدكتور لنقد موضوعى ، عصف به عصفاً ، وأن الدكتور طه حسين نفسه قد رجع صريحاً واضحاً عن جوهر ما قال فيه من أشياء تمس الدين ومصر والعروبة ، وهى الأمور التى ظنها القائمون على نشر الكتاب ستغير قليلا أو كثيراً من الفكر السائد حول الإسلام والعروبة ومصر !

ولو كان الذين بادروا بطبع الكتاب يخلصون للحقيقة العلمية لكتبوا ما ينم عن اعتـراضات المفكرين الحاسمة التى دفعت الدكتور إلى أن يعلن فى مؤتمر اليونان وفى مقال افتتاحى بمجلة (المجلة) التى أصدرتها وزارة الثقافة حيناً من الدهر ما يعصف بكل ما قال عن أثر الدين الإسلامى فى مصر ، وعن صلة مصر بالعروبة ، وعن الروح العربية التى امتلأ بها الشعب عن يقين جازم لا يقل الشك ! لقد رد الدكتور طه حسين على نفسه فى مؤتمر أدباء العرب الذى انعقد فى أواخر سنة ١٩٥٧ بقاعة المتحف الزراعى ، رد على نفسه حين جاء بأفكار تقف مما قاله فى مستقبل الثقافة موقف النقيض من النقيض ، وقد نُشِـرَ خطاب الدكتور فى عدد يناير سنة ١٩٥٨ م جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ من مجلة (المجلة) وقد قال رئيس تحرير المجلة الدكتـور حسين فوزى فى كلمتـه التمهيدية عن المؤتمر : إن خطيباً من خطباء المؤتمر ، وقف يمثـل عنـدى العروبـة فى أعمـق معـانيها وأقومها ، ألا وهو الدكتور طه حسين ، أنا لا أتكلم عن الأستاذ والصديق ، ولا عن الكاتب الألمعى ، ولا عن العالم الكبير ، ولا عن صاحب اللسان العربى الموسيقى ، وإنما أحكم على خطاب عضو من أعضاء مؤتمر الأدبـاء العـرب ، قام يحاضرنا فى القومية العربية ، استمعت لخطبته ، ثم طالعتها ، وهى منشورة فى صدر هذا العدد من المجلة ، فإذا هى ما فهمته دائماً ، وما أرجو أن يفهمه أدباء العرب جميعاً من معنى العروبة .

وأنا فى هذا المقال لا أرد على ما جاء فى مستقبل الثقافة خاصاً بالتربية والتعليم ، والمدارس الأولية إصلاح المعلم ، ومشكلات التعـليم العـام ، والامتحانات والمدارس الخاصة ، وتعليم اللغـة العربية ، ومشكلات التعـليم العـالى ، وحـظ الأديب فى مصر ، وواجب مصر نحو ثقافـة الأقطار العربية وما ينحو هذا المنحى من البحث التربوى ، فكل ما قاله الدكتور فى هذا الصدد ليس بذى خطر ، وأكثره قد قيل ونوقش من قبل ، ولا تهمنا النتائج التى انتهى إليها تأييداً أو نفيـاً ، فالخلاف فى المسائـل التربويـة معهـود

منتظر ، إنما أقصر هذا المقال على ما أفاض فيه الدكتور من حديث نحو أثر الإسلام والعروبة فى مصر ، ونحو ثقافة أوربا التى يجب أن تكون وحدها مصدر الثقافة فى مصر ، وعن أثر اللغة العربية فى الكيان المصرى ضعفاً وقوة ! هذه وأمثالها موضع النقاش الجاد فيما تضمنه كتاب (مستقبل الثقافة) وسأكون حريصاً على الإشادة باساتذة كبار ، ناقشوا الكتاب بعد صدوره ، فكشفوا عن أخطائه فى صراحة سافرة ، واعتصم الدكتور بالصمت ، فلم يعقب على ما ووجه به من نقد ، إذ من شأنه أن يثير العاصفة بدءاً ، ثم لا يلتفت إلى عواقبها الفاصلة ، وتعليل ذلك لا إلى تقرير .

طريقة البحث :

حين يقرأ الناقد كتاب الدكتور يعجب لأسلوبه فى تأليفه ، فطه حسين لا يأتى بقضية يبسطها بسطاً وفياً متسلسلة المقدمات والنتائج ، لكنه يقفز قفزات غير متصلة ، ويلجأ إلى تكرار ألفه وارتضاه دون أن يكون لهذا التكرار مزية ملاحظة ، لذلك يفاجأ القارىء بأنماط من الآراء البعيدة التى تخالف ما يعرفه عن بحث ، ثم يمضى صابراً ينتظر الأدلة المقنعة على هذه الآراء فلا يجد غير قفزات متوالية لا تكاد تستقر فى مكان ، ولست أنا وحدى الذى أقرر ذلك ، فإن الذين تعرضوا لهذا الكتاب ، ومنهم من لا يقل عن الدكتور فى مكانته العلمية ، ومقدرته الكتابية . قد شكوا من هذا القفز الطائر فى أخطر القضايا ، وأهم المسائل ، إذ لو كان مجال البحث غير متعلق بالعقيدة والوطنية واللغة العربية . لسهل على لقارىء أن يعفو عما رآه من الشطط الجامح ، بل إن الدكتور ليقذف بالرأى الجارح دون أن يتطلبه البحث ، وما ذلك إلا ليثير الضجيج الصاخب بين النقاد والقراء ، وقد لمس ثمرة ذلك حين تعرض للبحث عن الشعر الجاهلى ، فترك مجال الأدب إلى الحديث عن القرآن الكريم بما يوهن بعض ما جاء فيه دون أن يتطلب البحث فى الشعر الجاهلى نفياً لوجود ابراهيم عليه السلام ، وحديث القرآن والتواره عنه ، وطبيعى أن تقوم القيامة لهذه الجرأة المشتطة . وأن تفيض الصحف محتجة صارخة ، والدكتور سعيد مبتسم بما أحدث من ضجيج ؛ لأنه لو نسف الشعر الجاهلى نسفاً ما قوبل باعتراض الجمهور ، وهياج الصحف ، **فلينتقل إلى حديث القرآن عن ابراهيم عليه السلام ليحدث الفرقعة الصاخبة ، والصراخ الهائل ، هذا ما جربه الدكتور قبل أن يؤلف مستقبل الثقافة بأكثر من عشرة أعوام ، وإذن فليتحدث عن صلة مصر بالإسلام ، وبعد مصر عن العروبة ، وضرورة السيطرة التامة لثقافة أوربا فى كل اتجاه ثقافى لأنه لا محالة سيجد الفرقعة الصاخبة التى يهيم بها كل الهيام ، وقد كان المنتظر من مثله أن يتئد كى يأتى بما يقنع ، وألا يقفز هذه القفزات السريعة كى يقنع ، ويمتع ، ولكن المفكر العربى الكبير الأستاذ ساطع الحصرى قد هاله أن يجد هذا القفز المتعجل دون تثبت ، فكتب فى مقدمة نقده لكتاب (مستقبل الثقافة فى مصر) يقول[١] بعد أن ذكر ما أشار إليه الدكتور طه فى مقدمة الكتاب من بذله الجهد الجاهد فى البحث والتفكير المتصل العميق ليهيىء للشباب طريق الفوز فى مستقبلهم**

(١) مجلة الرسالة ـ السنة السابعة ـ العدد ٣١٦ بتاريخ ١٩٣٩/٧/٢٤م .

القادم ، ذكر الدكتور ذلك مبالغاً ليعقب عليه الأستاذ ساطع الحصرى بقوله :

« غير أن من ينعم النظر فى الكتاب يشعر بعد مطالعة المقدمة بشىء كثير من خيبة الأمل ؛ لأنه لا يجد فيه من الآراء والملاحظات ما يتناسب مع وعود العنوان ، وتصريحات المقدمة ؛ فالكتاب يتألف فى حقيقة الأمر من مجموعة أحاديث ومقالات كثيرة التداخل ، قليلة التناسق ، يبدو على جميع أقسامها أثر الارتجال والاستعجال ، ويتخلل معظم أقسامها أنـــواع شتـــى من الاستطرادات ، والاستدراكات ، فكثيراً ما يقع النظر فى صفحات الكتاب على فكـرة صائبـة معروفة بأسلوب جذاب ، غير أنه يلاحظ فى الوقت نفسه كثيراً من المؤاخذات فى المقدمات التى سبقت الفكرة ، والملاحظات التى تلتها ، فيبقـى حائـراً متـردداً بين موقـف الاستساغـة والاستنكار » .

ثم يقول[٢] الأستاذ ساطع الحصرى فى ختـام بحثه المتصل الحلقات بعد أن كشف عن عوار كثير فيما أتى به الدكتور طه حسين :

« إن أول ما يلفت الأنظار فى ملاحظـات الدكتور فى هذا الباب هو خلوهـا من الأدلـة والبراهين وتكونها من سلسلة دعاوى معروضة على شكل نصوص قاطعة يجب الاعتماد عليها بدون طلب برهان ، كأن لسان حاله يقول على الدوام : آمنت أنا ، فعليكم أن تؤمنوا أيضاً » .

العقل المصرى :

إن ارتقاء أوربا العلمى ، وتقدمها فى مجالات الصناعة والطب والهندسة وغيرها ، ليس موضع اختلاف من أحد ، وأن الاستفادة من هذا التقدم الباهر قد مهدت له الأسباب وامتدت السبل من عهد محمد على دون أن يجد من يمنع هذه التلمذة المفيدة فى هذا المجال ، وما قرره رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك ومن جاءوا على آثارهما من رجال السياسة والفكر يؤكد ضرورة الاقتباس من التقدم الأوربى المعـاصر فى شتـــى ضروب العلـــوم التجريبية ، وما تدفقت البعثـات العلميـة إلى أوربا ، وما أنشئت المعامل والمراكز العلمية فى الكليات العملية إلا لتعطى بعض الثمار الناضجة عقب الاتصال العلمـى بين مصر وأوربـــا ، والدكتور طه حسين يعرف ذلك تمام المعرفة ، ولكنه يعلم أنه حين يقرره فى الأسلوب المنطقى الهادىء لا يحدث أدنى ضجيج ! فليبحث إذن عن المثيرات العاصفة التى تدفع إلى النقد الثائر ، وليزد الضرام لهيباً حين يعلن أن مصر ليست من دول الشرق وأنها من دول البحر الأبيض المتـوسط لا جغرافياً فحسب بل فكرياً واجتماعياً وتاريخياً ، وليسق الأدلة الطائرة فى غير تركيز حين يقول[٣] من حديث ممتد :

« فإذا أردنا أن نلتمس المؤثر الأساسى فى تكوين الحضارة المصرية ، وفى تكوين العقل المصرى ، وإذا لم يكن بُدٌ من اعتبار البيئة فى تقدير هذا المؤثر ، فمن اللغو ومن السخف أن نفكر فى الشرق الأوسط أو الشرق البعيد ، ومن الحق أن نفكر فى البحر الأبيض المتوسط ، وفى الظروف التى أحاطت به ، والأمم التى عاشت حوله ، وإذن فالعقل المصرى ليس عقلا شرقياً ، اذا فهم من الشرق الصينُ واليابانُ والهند ، وما يتصل بها

(٢) مجلة الرسالـة ـ السنـة السابعـة ـ العـدد ٣٢١ ـ ١٩٣٩/٨/٢٨ .

(٣) مستقبل الثقافة فى مصر ص ١٧

من الأقطار ، وقد نشأ هذا العقل المصرى فى مصر متأثراً بالظروف الطبيعية والانسانية التى أحاطت بمصر ، وعملت فى تكوينها ثم نما فى أوربا وأثر فى الشعب المصرى من الشعب المجاورة ، وتأثر بها ، وكان من أشد الشعوب تأثراً بها العقل المصرى أولا ، وتأثيراً فيها العقل اليونانى بعد ذلك .

فإذا لم يكن بد من أن نلتمس أسرة للعقل المصرى نقره فيها ، فهى أسرة الشعوب التى عاشت حول بحر الروم ، وقد كان العقل المصرى أكبر العقول التى نشأت فى هذه الرقعة سناً ، وأبلغها أثراً » .

هذا بعض ما قاله الدكتور طه ، وقد تحاشى أن يذكر هنا تأثير الشرق القريب فينص على الحضارة الإسلامية والتأثير العربى الواضح الصريح ، لا لأنه يعترف به ، بل ليموه على القارىء بذكر الهند والصين واليابان ولكنه بعد وقت قصير كشف القناع عن هذا التمويه حين أنكر فى جرأة صعبة أثر العرب والإسلام فى مصر على مدى قرون عدة ، وهو ما سنعود إليه بعد حين !

لقد تحاشى الدكتور هنا أن يذكر الشرق العربى ، وانتقل إلى الهند والصين واليابان ، ولم يكن أحد من الباحثين يذكر هذه الدول فى مجال الاقتباس الفكرى ، ولكنه القفز الطائر دون تحديد ، وهو ما حدا بعض الناقدين إلى أن يقول(٤) :

« إن وضع المسألة فى هذا الوضع تتجلى فيه مهارة الدكتور فى المناقشة ، فهو قد قسم الدنيا قسمين اثنين لا ثالث لهما ، قسم تمثله الصين واليابان ، وإن شئت فضم إليهما الهند وأندونسيا وقسم تمثله فرنسا وانجلترا ، وإن شئت فضم إليهما كل دول أوربا وأمريكا .

فلابد للإجابة عن سؤال الدكتور فى هذا الموضع أن تكون مصر أمة غربية لأنها بلا تردد وبدون شك ، تفهم الانجليزى والفرنسى أكثر مما تفهم الصينى واليابانى فى هذا الزمان ، وهذا ما قصد إليه الدكتور من توجيه السؤال على هذا المنوال ؟

ولكن ـ لا ريب ـ وجه المسألة يتغير لو كان الشرق الذى سيواجهك به غير الصين واليابان والهند وأندونسيا أى لو كان هناك قسم ثالث للدنيا يمثله الشرق العربى والمغرب العربى ومصر بينهما حلقة الاتصال .

أما الأستاذ ساطع الحصرى فإنه يواجه الدكتور بهذا السؤال معقباً على قوله : (ليس بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم فرق عقلى أو ثقافى) .

يقول الأستاذ الحصرى(٥) : أفلا يحق لى أن أسأل الأستاذ فى هذا المقام هل يدعى عن جدٍ أنه لا يوجد فرق ثقافى ما بين المصرى والفرنسى والسورى والايطالى ، إن القول بعدم وجود فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى شىء ، والقول بأنه لا يوجد بين المصرى والأوربى فرق ثقافى شىء ، فمهما آمنت بالقضية الأولى إيماناً عميقاً ، لا يمكننى أو أسلم بالقضية الثانية أبداً ، واعتقد اعتقاداً جازماً أن إنكار وجود الفرق الثقافى بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم لا يختلف عن إنكار الشمس فى رائعة النهار » .

ثم يقف الأستاذ الحصرى عند قول الدكتور طه (ليس بيننا وبين الأوربيين فرق فى الجوهر ولا فى

---

(٤) مجلة دار العلوم : ابريل سنة ١٩٣٩ للأستاذ سيد قطب .

(٥) الرسالة ـ العدد ٣١٦ ـ ١٩٣٩/٧/٢٤ م

الطبع ولا فى المزاج ، فيتساءل الحصرى قائلا :

« لا أدرى كيف يستطيع أحد أن يدعى ذلك بصورة جدية ، فإن الفروق فى الطبع والمزاج ، من الأمور التى تشاهد على الدوام بين الأمم الأوربية نفسها ، وهى تبدو للعيان بين الانجليزى والفرنسى والألمانى والايطالى ، حتى بين الشمالى والجنوبى من الفرنسيين ، والشرقى والغربى من الألمان ، السهلى والجبلى من الطليان ، وبين الريفى والمدنى والصانع والتاجر ، والمثقف والعامى من جميع هؤلاء ؟ فكيف يعقل مع هذا ألا يختلف طبع المصريين ومزاجهم عن طبع الأوربيين ومزاجهم بوجه من الوجوه ؟ إنى أميل إلى الحكم بأن الدكتور طه حسين لم يكتب هذه العبارة عن تأمل واقتناع ، بل كتبها بدافع الاستعجال وتحت تأثير توارد الكلمات » .

مصـــر والإســـلام :

أخطر ما جاء فى كتاب (مستقبل الثقافة فى مصر) هو دعوى الدكتور طه حسين أن الإسلام لم يغير العقل المصرى ، ولم يغير عقل الشعوب التى اعتنقته ، بل إن الإسلام قد مد سلطان العقل اليونانى ، وبسطه على بلاد لم يكن زارها إلا لماماً .

وتلك دعوى جريئة يعلم الأستاذ الدكتور خطرها على الحقيقة العلمية ، كما يعلم شدة وقعها على نفوس من يعرفون خطأها الفادح ، ومرماها الجائر ، لذلك أقبل على تقريرها إقبال من يصطنع الحياد بين الإسلام والمسيحية ، ليبلغ حاجة فى نفوس من يرضون عن حكمه الجائر على الإسلام فهو يقول فى بسط تعوده قارئه منه[٦] .

وجاء الإسلام وانتشر فى جنبات الأرض ، وتلقته مصر لقاء حسناً ، وأسرعت إليه إسراعاً شديداً ، فاتخذته لها ديناً ، واتخذت لغته العربية لها لغة ، فهل أخرجها ذلك عن عقليتها الأولى ، وهل جعلها ذلك أمة شرقية بالمعنى الذى يفهم من الكلمة الآن ؟

كلا ، لأن المسيحية التى ظهرت فى الشرق قد غمرت أوربا ، واستأثرت بها دون غيرها من الديانات ، فلم تصبح أوربا الشرقية ، ولم تتغير طبيعة العقل الأوروبى ، وإذا كانت فلاسفة أوربا ، وقادة الرأى الحديث (لا)[٧] يعدون المسيحية عنصراً من عناصر العقل الأوربى ، فلست أدرى ما الذى يفرق بين المسيحيـــة والإسلام ، وكلاهما قد نبع من منبع كريم واحد ، وهبط به الوحى من لدن إلة واحد ، يؤمن به الشرقيون والغربيون على السواء .

وكيف يستقيم للعقل السليم والرأى المنصف أن يقرأ الأوربيون الإنجيل ، فلا يرون به بأساً على العقل الأوربى ، ولا يرون أنه ينقل هذا العقل من الغرب إلى الشرق ، فإذا قرءوا القرآن رأوه شرقياً خالصاً ، مع أن القرآن كما يقول فى غير عوج ولا التواء إنما جاء متمماً للإنجيل ومصدقاً لما فى الإنجيل .

إذا صح أن المسيحية لم تمسخ العقل الأوربى ، ولم تخرجه عن يونانيته الموروثة ، ولم تجرده عن خصائصه التى جاءته من إقليم البحر الأبيض المتوسط ، فيجب أن يصح أن الإسلام لم يغير العقل المصرى ، أو لم يغير عقل الشعوب التى اعتنقته ، والتى كانت متأثرة بهذا البحر الأبيض المتوسط . بل يجب أن نذهب إلى أبعد من هذا فنقول ــ مطمئنين ــ ان انتشار الإسلام فى الشرق البعيد وفى الشرق الأقصى ، قد مد سلطان العقل

(٦) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٢٣ .

(٧) سقطت كلمة (لا) من المطبعة ولا يستقيم السياق بدونها .

اليونانى وبسطه على بلاد لم يكن زارها إلا لماما . ولم يستطع أن يستقر فيها استقراراً متصلا ، إلا بعد أن استقر فيها الإسلام .

فماذا يرى القارىء فى أستاذ الأدب العربى بكلية الآداب بالجامعة المصرية الذى يجزم أن العقل المصرى لم يتأثر بالإسلام ؟ وإذا كانت المؤلفات العلمية هى ثمار العقل ، وخلاصة تفكيره ، فليرجع أستاذ الأدب إلى تاريخ الحركة العلمية فى مصر منذ أشرق عليها نور الإسلام إلى عصرنا الراهن ، وليبحث معى عن أثر الثقافة اليونانية بهذه المؤلفات ، ليدرك أنها كانت بعيدة عنها كل البعد ، وطالب الجامعة المبتدىء فى دراسة الحركة العلمية بمصر ، يعلم أن الفلسفة لم تكن بين المواد الكثيرة التى خاضها المؤلفون المصريون ، وأن المنطق ما دون فى كتب المصريين إلا ليكون أحد الأسلحة المناصرة للعقيدة الإسلامية ، فإذا جاوز هذا النطاق فهو مطرح مجفو ، أين كانت دروس العلم فى مصر منذ بزوغ شمس الإسلام حتى مطلع العصر الحديث ؟ إنها كانت بمساجد الفسطاط وابن طولون والأزهر ومدارس الشافعية التى أنشأها صلاح الدين ثم مدارس العصر المملوكى ، وكل أساتذتها من شيوخ الدين ! فهل كانت هذه المدارس وهذه المساجد تدرس غير ما يرتكز على علوم الشريعة من فقه وأصول وحديث وتفسير ، أو ما يكون وسيلة لدراسة هذه الكتب من علوم اللسان : كالنحو والصرف والبلاغة واللغة ، أو ما يجلو حقائق السيرة النبوية وتاريخ الإسلام فى مده المتطاول من كتب التراجم والطبقات ! إن العقل المصرى لم يدر فى غير هذا المدار ، فأين أثر اليونانية فيه حتى يكون تفكيره غربياً خالصاً كشعوب البحر الأبيض المتوسط !

والفلسفة التى نهض بها بعض المتكلمين كانت تدور حول عقائد الشيعة فى العصر الفاطمى . وقواعد المذهب الأشعرى فى العصر الأيوبى وما تلاه ، ومن خرج عن هذا النطاق اتجه إلى الحكمة بمعناها الطبى فقرأ ما يتعلق بالأدوية والعقاقير ووظائف الأعضاء ، وإذا كان موسى بن ميمون قد نال الحظوة لدى صلاح الدين فلكونه طبيباً ، حيث وجد من يخلفه فى دراسة الطب ولم يجد من يخلفه فى دراسة الفلسفة اليونانية ، وقد قامت فلسفته على التوفيق بين الفلسفة والدين أو بين موسى الكليم ، وأرسطو ، وهو فى هذا النطاق يؤلف لنفر محدود من أبناء ملته اليهودية ! فهو إذن عن العقل المصرى بمنأى بعيد !

هذا أمر مقرر فى تاريخ الحركة العلمية بمصر منذ شرفت بالإسلام ، حتى فاجأها العصر الحديث بمنشآته العلمية ذات الفروع العلمية المتشعبة ، وإذن فقد عاشت مصر ثلاثة عشر قرناً وهى سعيدة بتأثير الإسلام فى اتجاهها الفكرى ! دون أن يشك فى هذه الحقيقة راصد أمين ، وأعجب ما قرره مؤلف مستقبل الثقافة ، هو مساواته الإسلام بالمسيحية فى التأثير شرقاً وغرباً ، فهو ينص على أن أوربا لم تتأثر عقلياً بالانجيل فيلزم من ذلك أن مصر لم تتأثر بالقرآن ، ومقارنة القرآن بالانجيل ذات خطورة علمية شاء الدكتور أن يقررها لحاجة فى نفسه ، لأن القرآن ليس كتاب أخلاق وتربية فحسب ، كما نقرأ فى الانجيل ، ولكنه كتابه تشريع وحقوق ، ودستور دولة ، وقانون أمة ، وهو بذلك يهيمن على المسلم فى كل اتجاه ، ويمتد تأثيره إلى الخطرات النفسية مع الأفعال الظاهرة ، لأن رب الناس يعلم السر والنجوى ويدعو إلى تطهير الضمائر ، وإيمان القلوب ! والدكتور يذكر أن القرآن جاء مصدقاً للانجيل ، ويسكت عن الكلام قبل أن يكتمل ، لأن القرآن مصدق لما

بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ، بمعنى أنه يصحح ما وقع بالكتب السابقة من تحريف ، وإذن فالقرآن شيء ، والإنجيل شيء ، وموقف مصر بخاصة والمسلمين بعامة من القرآن غير موقف أوربا من الانجيل !

وإني أسأل الدكتور : هل أوربا حين اعتنقت المسيحية رأت في الانجيل دستوراً قام به نظام الدولة واتبعته في المعاملات والبيوع والحدود والمواريث ونظام الأسرة أو أنها آمنت بالمسيح ، وتركت القانون الروماني كعهده دون تبديل ؟ إنها حصرت المسيحية بين العبد وربه ، وأوصت بالأخلاق الرحيمة ، والتسامح الانساني فحسب ! ومع ذلك لم تنصت أوربا إلى ما فرضته المسيحية من تسامح ، وحروبها الدامية في كل عصر تجعل القائمين بها من ألد أعداء المسيح على رغم انضوائهم تحت لوائه ، أما الإسلام ففي مصر وفي غير مصر كان الدستور الأوحد المتبع ، ومن يخالف أحكامه من السلاطين والحكام يعلم أنه بعيد عن الإسلام في اتجاهه الظالم ، ويعرف أن وراءه يوماً يعض الظالم فيه على يديه ! وقد كانت الأحكام القضائية في مصر منذ بزوغ فجر الإسلام إلى عصر إسماعيل خاضعة لنصوص القرآن ودائرة في نطاق المذاهب الفقهية التي يتصدر للحكم بها قضاة من كبار الفقهاء أفبعد هذا يقاس تأثير الإسلام في مصر بتأثير المسيحية في أوربا ؟ وتاريخ مصر واضح مشتهر في هذا المجال بحيث لا يختلف عليه اثنان !

يقول الدكتور زكي مبارك مبيناً الفرق بين الإسلام والمسيحية وتأثيرهما في ذويهما[8] : « إن الديانات تفترق ثم تجتمع ، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك خصائص للعقلية المسيحية والعقلية الإسلامية ، وهذه الخصائص تخفى على العوام ويدركها الخواص ، وكيف لا توجد هذه الخصائص بين دينين مختلفين ، مع أننا نعرف أن هناك خصائص عديدة في الدين الواحد ، حين يختلف أهله بعض الاختلاف ، اننا نعرف أن للكاثوليكية خصائص ، وللبروتستانتية خصائص ، وإننا نعرف أن للعقلية السنية خصائص وللعقلية الشيعية خصائص . فكيف جاز عندك يا سيدى أن تتوهم أن الإسلام لم يغز العقلية المصرية بتغيير وتبديل ؟

أنا لا أنكر أن مصر ورثت ما ورثت من علوم اليونان (فيما قبل الإسلام) ولكنى أنكر أن تكون مصر قد عاشت بعقلية واحدة منذ آلاف السنين .

إلى أن يقول الدكتور د. مبارك :

« الموجة الإسلامية التى طغت على مصر فنقلتها من لغة إلى لغة ، ومن دين إلى دين ، والتى قضت بأن تنفرد مصر بحراسة العروبة والإسلام بعد سقوط بغداد ، هذه الموجة العاتية لا يمكن أن يقال بأنها لم تنقل مصر من العقلية اليونانية إلى العقلية الإسلامية ، ولكن ما هى العقلية الإسلامية ، هى شيء غير العقلية اليونانية بلا جدال ! » .

ثم ما هى قصة العقلية اليونانية التى يريد الدكتور طه أن يثبت قدمها التاريخى فى مصر وبالتالى تأثيرها على العقل المصرى حتى جعلته عقلا غربياً لا شرقياً ! عقلا ينتهى إلى شعوب البحر الأبيض لا إلى الشرق المظلوم ؟

إن الدكتور طه حسين يقول[9] : إن التلاميذ

(٨) الرسالة العدد ٢١٠ ـ ١٩٣٩/١/٢٣ م .

(٩) مستقبل الثقافة فى مصر ص١٥ .

يتعلمون فى المدارس ان مصر قد عرفت اليونان منذ عهد بعيد جداً ، وأن المستعمرات اليونانية قد أقرها الفراعنة فى مصر قبل الألف الأول من ميلاد المسيح .

والتلاميذ يتعلمون فى المدارس ـ أيضاً ـ أن أمة شرقية بعيدة عن مصر بعض الشيء قد أغارت عليها ، وأزالت سلطانها فى آخر القرن السادس قبل ميلاد المسيح ، وهى الأمة الفارسية فلم تذعن مصر لهذا السلطان الشرقى الأجنبى إلا كارهة ، وظلت تقاومه أشد المقاومة مستعينة بمتطوعة اليونان تارة ، وبمحالفة المدن اليونانية تارة أخرى ، حتى كان عصر الاسكندر ، ومعنى هذا كله واضح جداً ، وهو أن العقل المصرى لم يتصل بعقل الشرق الأقصى ، اتصالا ذا خطر ، ولم يعش عيشة سلم وتعاون مع العقل الفارسى ، وإنما عاش معه فى حرب وخصام » .

وهذا الكلام يحتاج إلى تصحيح ، ففراعنة مصر قد استعانوا بمرتزقة اليونان تارة ، وبفرق من الجيش النظامى تارة ليكبتوا ثورات الشعب . وكان اليونان حينئذ يمثلون فى عين الجمهور القوة الغاشمة التى يمثلها الاحتلال المعاصر فى أكثر ربوع الشرق ! فالمسألة ليست مسألة عقلية ثقافية ولكنها ارتباط سياسى بين حاكم ضعيف ، وشعب مقيد ، وإلا فأين أثر الثقافة اليونانية فى الشعب المصرى اذ ذاك مع استثناء قلة يقومون بدراسة الفلسفة اليونانية لأنها نوع من الغذاء الفكرى ، كما ندرس فى جامعاتنا ثمار العقول الجبارة من مفكرى ألمانيا وانجلترا وفرنسا وغيرها ! أيدل ذلك على أننا تطبعنا بطابع أوربا العقلى ! إن أوربا نفسها تدرس مفكرى الشرق من الصين والهند واليابان ومصر ، وتعد البحوث الحافلة لرصد التيارات الفكرية عند هؤلاء ، أفيدل ذلك على أن العقلية الأوربية مطبوعة بالطابع الشرقى لمجرد دراسة مفكرى الشرق فى كلية جامعية ! وهل يجهل الدكتور ثورات الشعب المتعاقبة على الأفكار اليونانية الخاصة بآلهة الإغريق ، أو ينكر أن البطريق كيرللوس قد شجع جنده الخاص على اغتيال الباحثة الفيلسوفة (هباسيا) لأنّها تَدرس الفلسفة الإفلاطونية ، وتتّحدث عن لُغز الوجود والعدم ، فتصدّى لها الجمور المحتشد ، ولم يُبْقِ من جسدها موضعاً دون جراح ! ولم يهتمّ أحد بالتحقيق الجنائى بل وَجدَ الجناة كل تشجيع وتقدير ! أينْ إذنْ الأثر اليونانى فى تكوين العقلية المصرّية إذا كانت ممثّلة الثقافة اليونانية لم تجدْ مخلصاً يأخذ بأثرها من جرم فادح لا شك فى إثمه الصريح !

أماّ ثورة مصر على الاحتلال الفارسىّ ، فليست لاختلاف العقّليتين ، عقلية مصر الغربيةّ ، وعقلية فارس الشرقية ، ولكنها ثورةٌ سياسية على الاحتلال الأجنبى أياً كان موطنه ، وقد رأىَ الدكتور ثورةَ مصر على احتلال إنجلترا حتى انقشع ظلمه ، كما قرأ عن ثورة مصر على الحملة الفرنسية حتىّ تبدّد شملها قبل ثلاثة أعوام ! أيقول الدكتور إن العقل المصرى قد خالف العقل الإنجليزى أو العقل الفرنسى ؟! لو قال ذلك لسقطت دعواه ، وتبدّدَ كل ما قرّر من افتراضات ، ولكنّه لو رجع إلى الحق لذكر أن الثورة على الحكم الفارسى كالثورة على الحملة الفرنسية والثورة على الاحتلال الإنجليزى ، تدخل فى باب الحرية والاستقلال ، ولا صلة لها بائتلاف العقل عند السلام ، وباختلافه عند القتال .

المرأة فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى

للأستاذ الدكتورة / إسمت غنيم

والزوجة المثالية : هى تلك التى تتوفر فيها الصفات الثلاث[٣] : **المنفعة** ، بحيث يكسب الزوج من ورائها إقطاعاً كبيراً أو مبلغاً ضخماً من المال ، **والجمال** ، بحيث تدخل السعادة على قلب زوجها فى كل وقت ، **والإخلاص** ، بحيث تكون امرأة فاضلة تحافظ على نفسها وبيتها وأسرار زوجها[١] .

وعلى المرأة أن تقدم هذا كله لزوجها دون أن تنتظر منه شيئاً ، بل أكثر من ذلك تكون عرضة للضرب لأقل كلمة تصدر منها ويعتقد الزوج أنها أكثر مما يظنه مناسباً .

وقد أباح القانون للزوج ضرب زوجته ضرباً مبرحاً ، وكتب فى هذا الشأن الفارس الفرنسى جيوفرى لاتور لاندرى Knight of la Tour-Landry الذى عاش فى الفترة المتأخرة من العصور الوسطى ، فى القرن الرابع عشر ، كتب يقول :

« لما كان القانون قد أباح ضرب الزوجات ضرباً مبرحاً لتصحيح مسارهن ومسلكهن ، وهذا التعذيب ذا فائدة كبرى لتقويم أخلاق النساء لذلك يجب على الأب أن يمارس هذا العقاب البدنى عملياً على نطاق واسع مع بناته قبل زواجهن حتى تتعودن عليه »[٢] .

وقد أيد كتاب العصور الوسطى حق الزوج فى ضرب زوجته وإيذائها إذا خالفته أو سببت له أية مضايقة ؛ ورغم أن القانون الكنسى لم يحرم إنزال العقاب البدنى بالزوجة إلا أن الكنيسة تدخلت فى هذا الأمر ، وكل ما فعلته أنها حددت حجم العصا التى يحق للزوج أن يستخدمها فى ضرب زوجته[٣] .

ولم يترفع الرجال عن استعمال حقهم هذا ، ولم يتخلوا عنه حتى فى عصر الفروسية الذى اشتهر بأنه العصر الذهبى للمرأة فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى ، وتقول المؤرخة بور « إنه كثيراً ما نقرأ فى الأشعار التاريخية المعروفة باسم Chamsonde Jeste وفى الكتاب الذى وضعه فى القرن الرابع عشر الفارس الفرنسى جيوفرى لاتور لاندرى عن رجال يضربون زوجاتهم وهم فى ثورة من الغضب »

وقد استعمل الرجال الضرب المبرح ، وهو

(1) Coulton: op. cit. p. 219.

(2) Latour-Landry: liver pour L'education de mes filles ed. de Montaiglon Paris, 1854, p. 27.

(3) Painter: Medieval Society, New York, 1955.
: A Histery of the Middle Ages, p. 121.

الأمر الذى نهى عنه الإسلام وربما أحدثوا بهن بعض العاهات ، مثال ذلك الزوج الذى ضرب زوجته ضرباً مبرحاً أفقدها السمع باحدى أذنيها .

وقد آمنت الزوجات من جانبهن بحق الرجال فى ضربهن ، ولم ينكرن هذا الحق وهذه زوجة البورجوازى الباريسى ، تطلب منه أن يعاقبها بالضرب إذا فعلت ما يوجب ذلك وها هو يذكرها بهذا فيقول :

« فى الأسبوع الذى تزوجنا فيه ، وكنت يومذاك فى الخامسة عشرة ، توسلت إلى أن أنظر لشبابك وإلى خدماتك الصغيرة الجاهلة بعين العطف .. وقد توسلتِ إلىّ بضراعة وسألتنى بحب الرب أن لا أصلح أخطاءك بقسوة أمام الغرباء ، ولا أمام ذوى قرباناً ، وأن أنصحك وأصلح أخطاءك .. وأن أعاقبك بالضرب إذا رأيت ذلك ضرورياً ، ووعدتنى بأن لا تقصرى فى إصلاح أخطائك حسب تعليمى وإرشادى ، وأن تبذلى جهد طاقتك فى السير حسب رغبتى ومشيئتى » .

وإلى جانب واجبات المرأة تجاه زوجها ، كان عليها القيام بواجبات ، كثيرة كربة منزل ومن

ضرب النساء فى أوربا العصور الوسطى
عن :
Power : Medieval Woman, P.18, pieture No.6

الأقوال المأثورة فى هذا الصدد :

قد يرسل الطقس شيئاً من الراحة للأزواج أما واجبات المرأة فلا حد لها ولا نهاية .

فالسيـــدة من الطبقـــة الأرستقراطيـــة أو البورجوازية ، كان عليها إلى جانب عنايتها بالمنزل ومراقبة الخدم دَاخِلِهِ والإشراف على أعمالهم ، الإشراف كذلك على صناعـة المواد الغذائيـــة والملابس التى يمكـن صنـاعتها فى الإقطاعيـة ، وتخزين ما تبتاعه من الحوانيت أو أقرب مدينة أو الأسواق الموسمية السنوية ، والإشراف على عمل الخبز والجعة والجبن والزبد وتقديد اللحم وتخزينه لاستعماله فى فصل الشتاء .

كذلك التصرف فى كافة الأعمـال المختصة بالضيعة أثناء غياب زوجها وكثيراً ما كان الزوج يتغيب ، سواء فى الحج أو فى الحرب أو فى العمل أو غير ذلك من الأسباب . لذلك كان على الزوجة أن تكون على إلمام بالقانون الإقطاعى لتدافـع عن حقوق زوجها وأولادها .

والجدير بالذكر أنه برغم أن الزوجة لم تكن تتمتع بأية حقوق تجاه زوجها إلا أنها تمتعت بكل ما لزوجها من حقوق تجاه الآخرين . كذلك كان عليها اختيار العمال والمداومة على مراقبتهم أثناء تأديتهم لعملهم ، ومعرفة المواسم الملائمة للزراعة وأنـواع المحاصيل المناسبـة للتربـة ، والاعتنـاء بالحيوانات والأسواق التى تباع فيها المنتجـات الزراعية بأحسن الأسعار حتى تسوق منتجات الضيعة كذلك كان عليها التجول الدائم فى الضيعة وملاحظة الحقول والمراعى والغابات[4] .

ولعل الشاعر الفرنسى ديشامب الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر يرسم صورة صادقة للأعباء الملقاة على عاتق المرأة فى الضيعة الإقطاعية حين يقول على لسانها :

إنى مكلفة بالإشراف على كل شىء ، وليس لدى وقت لتحريك قدمىّ ، ومسئوليتى تقع فى عشرين مكاناً ، فهذا يقول لى : « الأغنام فى حاجة لجز صوفها » وذاك يقول لى : « الْحِمْلان فى حاجة إلى الفطام » وآخر يقول : « الكروم فى حاجة إلى العناية » وآخر يقول : « أنا مشغول بحرث الأرض » وآخر يقول : « لابد من مراقبة سير القطيع » وآخر يقول : « يجب أن أسلخ البقرة التى نَفَقَتْ » وآخر يقول : « لابد من تغطية الأَجْرَان والحظيرة »[5] .

وكان على السيدة قبل أن تأوى إلى فراشها بعد هذه الأعمال اليومية المرهقة أن تجوس خلال الدار تغلق الأبواب ، وتتأكد أن الخدم قد أَوَوْا إلى مضاجعهم .

ولم ينس مدبر البيت الباريسى أن يقدم النصيحة لزوجته بخصوص موضوع الخدم ، ومما قاله فى هذا الشأن :

« إذا أستأجرت خادمة (أو خادماً) وكانت اجباتها على أسئلتك بثرثرة أو بتعجرف فاعلمى أنها عندما تترك خدمتك سوف تسىء إلى سمعتك بقدر استطاعتها ، وعلى العكس إذا أطرتك وكلها ملق ومداهنة ، لا تثقى فيها ، فهى متفقة مع أحد ما على خداعك . أما إذا احمر وجهها خجلا وكانت

---

4) Crump & Jacob: op. cit. p. 418.

5) I b id: p. 423.

صامتة عندما تصححين أخطاءها فاسبغى عليها حبك وكأنها ابنتك » .

ويستطرد فى تقديم نصائحه بخصوص الخدم فيقول :

« فى المساء لابد أن يتناولوا طعامهم ثانية ، ولابد أن يكونوا قادرين على تدفئة أنفسهم حول النيران ، وبمنتهى الاسترخاء ، ويجب على الزوجة أن تغلق أبواب المنزل وتقودهم إلى الفراش ، وتضع بجانب كل فراش شمعدان ليضع فيه شمعته ويجب أن تلقنهم – بحكمة – إطفاء الشمعة بالفم أو باليد قبل الولوج إلى الفراش وليس بقذف الشمعة بقميص » .

« وإذا استخدمت خادمة تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً أو عشرين عاماً ، اعلمى أنهن فى هذا العمر يكن حمقاوات ، ولا يدركن ما يجرى فى الدنيا ، لذلك يجب أن يَنَمْنَ بالقرب من الردهة المؤدية إلى حجرة نومك . أو فى حجرة بدون منور أو نافذة منخفضة تطل على الطريق ، واتركيها تنام وتنهض من النوم فى نفس ميعادك ، واعتنى بها ، وإذا مرض أحد الخدم دعيه ينام بعيداً عن الآخرين ، وأوليه كل الحب والود والاهتمام ، وداومى على زيارته حتى يهدى إليه الشفاء »(٦) .

كانت هذه الأعباء كلها ملقاه على عاتق السيدة المنتمية للطبقة العليا ، فإذا هبطنا درجة فى سلم الطبقات الاجتماعية ، حيث لا توجد ضياع تتولى المرأة الإشراف عليها ولا خدم يعاونونها فى تنظيم شئون المنزل ، وجدنا أن على المرأة أن تقوم بكافة أنواع أعمال المنزل وحدها ، وعليها أن تمد أُسْرَتَها بكافة ما يلزمهم حتى الملابس عليها أن تقوم بغزلها ونسجها اعتماداً على نفسها .

وإذا هبطنا إلى أدنى درجات السلم الاجتماعى وجدنا من الطبيعى أن تزداد أعباء ربة المنزل ، إذ أنها كانت مضطرة بوجه عام لمساعدة زوجها فى حرفته وعليها كذلك أن تقوم بحرفة ثانوية مستقلة هذا بالإضافة لعنايتها بالمنزل والأطفال .

وبصفة عامة كان من المنتظر من ربة البيت فى جميع طبقات المجتمع الغربى الوسيط بالإضافة لأعبائها السابقة الذكر ، أن تعتنى بأفراد الأسرة فى الصحة والمرض على السواء ؛ لذلك كان عليها أن تكون على دراية بالطب ، والجراحة ، وكانت أسرار إعداد العقاقير الطبية تنتقل من الأم إلى الابنة مع وصفات عمل أطباق الحلوى وزجاجات العطر(٧) .

---

6) Power: Medieval Women, pp. 40- 52.

7) Covleon: op. cit., pp. 225- 226. Crump & Jacob: op. cit., pp. 421- 423.

دراسة
تاريخية
موثقة

هيئة كبار العلماء

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

خرَّجَ الجامع الأزهر ومازال يخرج علماء أجلاء هم ملء السمع والبصر ، ملئوا الدنيا علماً وحضارة ونوراً وزعامة وطنية شعبية ووقفوا ضد الظلم والطغيان دفاعاً عن الحق المهضوم ..

كانوا القدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة والأمثلة الكريمة للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، سواء كانت هذه القدوة روحية ، أم ثقافية إسلامية ، أم زعامة سياسية ، أم فضائل سلوكية ، مع القبول السديد والتوجيه الرشيد .

وتاريخ أعلام الأزهر قديماً وحديثاً يلقى أضواء ساطعة على تاريخ العالم الإسلامى بصفة عامة وعلى تاريخ المصريين بصفة خاصة ، وهو امتداد لتاريخ الأزهر الذى استمر لأكثر من ألف عام يحافظ على إسلام مصر وعروبة مصر وذوق مصر .

ونحن ــ المسلمين ــ فى أشد الحاجة اليوم إلى

الأسوة الحسنة والقدوة المثالية بل ان حاجتنا إلى هذه القدوة الآن تفوق حاجتنا إلى العلم ، فإن العلم حالياً أصبحت وسائله ميسرة ، بعد أن تعددت وكثرت مصادر العلم من معاهد وجامعات ودور نشر وصحافة وإذاعة ، وأضحت مناهل العلم فى متناول الدارسين والباحثين .

وسنتحدث فى بحثنا هذا عن مجموعة من أعلام العلماء هم سادة السادات الذين وقفوا فى الملمات يلاطمون التيارات الجارفة التى كادت تقضى على الأزهر فى حقبة من أحلك الحقب التى مرت بها مصر فى تاريخها المعاصر ، وهى الحقبة التى جثم فيها الاستعمار الانجليزى على صدر مصر وقلبها ، وكان من مهمة الانجليز فى مصر القضاء على الأزهر ولم تكن القوة بقاضية عليه ، فلجأوا إلى الدهاء والمكر لترك الأزهر يموت موتاً بطيئاً .

لهذا فكر المسئولون بالأزهر والغيورون عليه فى محاربة الانجليز بنفس سلاحهم .

هيئة كبار العلماء

كان القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م من أهم القوانين التى صدرت فى ذلك الوقت لتنظيم الدراسة بالأزهر فى عهد الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر .

ومن بين ما تضمنه هذا القانون إنشاء « هيئة كبار العلماء » وهى هيئة وكل إليها إعادة الحياة الجديدة إلى الجامع الأزهر ، وتتكون من علماء المذاهب الأربعة .

وقد وقع الاختيار بالانتخاب على السادة العلماء الثلاثين الآتية أسماؤهم :

(أ) فمن السادة المالكية :

١ ـ فضيلة الاستاذ الشيخ/سليم البشرى .

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد حسنين العدوى .

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/هارون عبدالرازق .

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد راشد .

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد الروبى .

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/دسوقى العربى .

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/أحمد نصر .

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد طموم .

(ب) ومن السادة الحنفية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/حسونة النواوى .

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/بكرى الصدفى .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد بخيت .

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد شاكر .

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/مصطفى أحمد حميدة .

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/أحمد إدريس .

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمود الجزيرى .

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد أحمد الطوخى .

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/إبراهيم الحديدى

١٠ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد بخاتى .

١١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد راضى .

(جـ) ومن السادة الشافعية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/سليمان العبد .

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد الرفاعى المحلاوى .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد إبراهيم القاياتى .

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد نجدى .

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالحميد زايد .

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/سعيد الموجى .

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالمعطى الشرشيمى .

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد موسى العطافى .

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد قنديل الهلالى .

(جـ) ومن السادة الحنابلة :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/أحمد البسيونى(١)

اللائحة الداخلية لهيئة كبار العلماء

كان لابد لهذه الهيئة الكبيرة من قواعد ترجع إليها فى نظامها وسيرها وسائر ما يتعلق بها ، وبخاصة أن أعضاءها وكل إليهم تدريس العلوم المختلفة بالجامع الأزهر ، ولهذا كان اختيارهم دقيقاً وبعد امتحان شاق ، وقد تكونت لجنة من داخل هيئة كبار العلماء لوضع اللائحة الداخلية للهيئة وللإشراف على التدريس ، وتطبيق مواد اللائحة بكل الدقة الممكنة .

تنص المادة الأولى من اللائحة على :

● أن الغرض من تدريس هيئة كبار العلماء تربية الملكات ، ومعرفة كيفية استنباط الأحكام من أدلتها ، فيجب على كل واحد من الهيئة المذكورة أن يكون قبل إلقاء الدرس محيطاً بكل ما يتعلق بالموضوع الذى يلقيه إحاطة تامة .

يلى ذلك المواد :

٢ ـ توزع لجنة هيئة كبار العلماء أول كل سنة دراسية العلوم المنوه عنها فى قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية على أعضاء هيئة كبار العلماء ، وتختار الكتب والأوقات التى تلائم حال الأشخاص ، ودراسة كل علم من العلوم المذكورة .

٣ ـ يراعى فى توزيع العلوم والكتب اختصاص كل واحد من الأعضاء وامتيازه فيما يعهد إليه تدريسه ..

٤ ـ يراعى فى طريقة التدريس مع ما أشير إليه فى المادة الأولى الاعتناء بتربية (ملكة المناقشة والبحث) وتعويد الطلبة على تمام الاستقلال بالفهم ، وأن يؤخذ بهم فى طريق تربية القوى الجدلية على وجه يقدرهم على دفع ما يرد عليهم من الشبه النظرية ويمكنهم من تمييز الأدلة اليقينية .

٥ ـ للجنة أن تنتدب من أعضاء الهيئة واحداً أو أكثر للمرور على الدروس التى يلقيها هيئة كبار العلماء ، وتقديم ما يراه من الملاحظات إلى اللجنة للنظر فيه ، وتقرير ما يلزم بشأنه .

٦ ـ إذا طرأ لواحد من هيئة كبار العلماء عذر يمنعه من أداء الدرس المكلف به فعليه أن يخطر شيخ الجامع الأزهر بالعذر المانع له من أداء دروسه والمدة التى تلزم لانقضائه .

---

(١) رجعنا فى (هيئة كبار العلماء) إلى دفاتر « الكوبيا » وإلى مجلس الأزهر الأعلى سنة ١٣٢٩ هـ ، ١٩١١ م ص ٤٠ ، ٤١ طبع مطبعة الاصلاح ، ورجعنا كذلك إلى بعض العلماء أو أبنائهم ـ الذين كانوا ضمن هيئة كبار العلماء ومازالوا على قيد الحياة كالشيخ صالح شرف وغيره .

ولشيخ الجامع الأزهر بصفته رئيس اللجنة أن يمنحه إجازة لا تتجاوز شهراً . وفيما زاد على ذلك يجب رفعه إلى اللجنة للنظر فيه ، وكذلك إذا تأخر أى واحد من هيئة كبار العلماء بدون إذن ولم يبد عُذراً مقبولا فيرفع أمره إلى اللجنة لتقرير ما تراه بشأنه .

٧ ـ تختص اللجنة بالنظر فى كافة الشكاوى التى تتعلق بأى واحد من هيئة كبار العلماء وكذلك تنظر اللجنة فى طلبات هيئة كبار العلماء المتعلقة باستحقاق المرتب المنصوص عليه بالمادة التاسعة بعد المائة من القانون ، وترفع ما تقرره فى هذا إلى المجلس الأعلى للأزهر ليقرر فيه ما يراه ..

٨ ـ إذا اشتغل أحد هيئة كبار العلماء ممن يتناولون المرتب المقرر للهيئة بما يمنعه عن القيام بإلقاء الدرس المكلف به على الوجه المطلوب ، قطعت اللجنة مرتبه ورفعت قرارها إلى المجلس الأعلى ليقرر ما يراه ..

٩ ـ إذا رفع لرئيس اللجنة اقتراح من أحد أعضاء الهيئة بشأن إلغاء أو تعديل أو زيادة أى مادة من مواد هذا النظام ، رفعه الرئيس إليها لتنظر فيه وتقرر ما تراه .

١٠ ـ تنعقد اللجنة فى كل شهر مرة على الأقل ، ولرئيس اللجنة عقدها أكثر من ذلك إن دعا الحال .

١١ ـ تعتبر قرارات اللجنة نافذة . إذا اجتمع من أعضائها خمسة منهم الرئيس ، وإذا غاب الرئيس أو حصل له مانع قام مقامه أكبر الأعضاء سناً ..

١٢ ـ كل ما تقرره اللجنة يعرض على المجلس الأعلى للأزهر ليتحقق من مطابقته لآخر المادة (١١٢) من القانون .

١٣ ـ يخصص لأعمال اللجنة أحد كتاب المشيخة ، ويكون لديه دفتر لقيد القرارات الخاصة بها .

١٤ ـ إذا لم يبلغ من يتناولون الراتب من هيئة كبار العلماء العدد الكافى لتنفيذ نص المادة السادسة بعد المائة من القانون جاز ندب من يكمل العدد الكافى من الموظفين الذين هم من هيئة كبار العلماء ..

● هذه هى مواد اللائحة الداخلية التى سارت عليها هيئة كبار العلماء طيلة عمرها إلى أن سميت « جماعة كبار العلماء » ـ كما سيأتى .

وقد جاء فى مشروع قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية الذى وضعته اللجنة المؤلفة بقرار مجلس الوزراء فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٨ م تعديلا للقانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م وكانت هذه اللجنة برئاسة الشيخ الإمام محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر .

جاء فيه :

مادة ١١ : تشكل برئاسة شيخ الجامعة الأزهر هيئة من ثلاثين عالماً اختصاصياً تسمى (هيئة كبار العلماء) ويعتبر ضمن أعضائها هيئة كبار العلماء الذين تتألف منهم (هيئة كبار العلماء) عند صدور هذا القانون ..

مادة ١٢ : يشترط فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء :

أولا : أن يكون سنه خمساً وأربعين سنة ميلادية على الأقل .

ثانيا : أن يكون حائزاً لشهادة العالمية مع لقب أستاذ من مدة لا تقل عن خمس سنين .

ثالثا : أن يكون مشتغلا بالتدريس فى احدى

الكليات ، أو أن يكون شاغلا لإحدى وظائف القضاء الشرعى أو الافتاء أو التدريس فى المعاهد ، أو شاغلا لمنصب من المناصب الدينية السامية التى يكون التعيين فيها بأمر ملكى ..

رابعا : أن يكون معروفاً بالورع والتقوى وليس له ماض يشينه .

خامسا : أن تقرر هيئة كبار العلماء قبول ترشيحه باغلبية ستة عشر عضواً على الأقل .

سادسا : أن يكون قد ألف كتاباً قيماً فى مادة من المواد المقررة فى إحدى الكليات الثلاث .. وأقرته لجنة مشكلة من عشرة أعضاء على الأقل تنتدبها هيئة كبار العلماء لمناقشة المرشح فى مؤلفه .

مادة ١٣ : إلى أن يحين الوقت لتطبيق الشرط الثانى من المادة السابقة يجوز انتخاب أعضاء هيئة كبار العلماء من بين الحائزين لشهادة العالمية بشرط أن يكون قد مضى على المرشح خمس عشرة سنة من تاريخ نيله هذه الشهادة ، وأن يكون قد اشتغل بالتدريس فى القسم العالى مدة خمس سنوات على الأقل ، أو أن يكون شاغلا لوظيفة فى القضاء الشرعى أو الافتاء أو الوظائف العلمية بإدارة الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، بحيث يكون وصل مرتبه إلى تسعمائة جنيه سنوياً . وكذلك يجوز ترشيح العالم لعضوية هيئة كبار العلماء إذا نال منصباً من المناصب الدينية السامية بحيث يكون مضى عليه خمس عشرة سنة من تاريخ نيله شهادة العالمية .

مادة ١٤ : يضع مجلس الأزهر الأعلى لائحة داخلية لهيئة كبار العلماء ، ويوزع الكراسى على المواد المختلفة .

مادة ١٥ : يعين كبار العلماء بأمر ملكى ..

مادة ١٦ : أعضاء هيئة كبار العلماء الذين لهم امتياز مالى بصفتهم هذه عند صدور هذا القانون يبقى لهم حق التمتع بهذا الامتياز ..

مادة ١٧ : تجتمع هيئة كبار العلماء بدعوة من شيخ الجامع الأزهر ، ويكون اجتماعها صحيحاً متى حضره أكثر من نصف الأعضاء ، وتصدر قراراتها بالأغلبيــة المطلقــة للأعضاء الموجودين فيما عدا الأحوال المنصوص عليها فى القانون ..

مادة ١٨ : إذا وقع من أحد من العلماء أيا كانت وظيفته أو مهمته ما لا يناسب وصف العالمية ، بأن طعن فى الدين الإسلامى ، أو أنكر ما علم ضرورة من الدين ، أو سلك سلوكاً شائناً **يحكم عليه بناء على طلب شيخ الجامع الأزهر ، وبإجماع تسعة عشر عالماً معه من هيئة كبار العلماء بإخراجه من زمرة العلماء . ويكون حكم هذه الهيئة بالأغلبية المذكورة غير قابلة للطعن فيه .**

ويترتب على هذا الحكم :

محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

وطرده من كل وظيفة .

وقطع مرتباته فى أية جهة كانت .

وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية : دينية كانت أم غير دينية ..

مادة ١٩ : يجوز لمن صدر الحكم عليه بمقتضى المادة السابقة أن يطلب بعد مضى خمس سنوات من تاريخ هذا الحكم إعادة النظر فى أمره . ومتى أثبت أنه سلك سلوكاً يتفق وكرامة رجال الدين ، وعدل عما صدر الحكم لأجله . جاز اعادته لزمرة العلماء .

لائحة هيئة كبار العلماء الداخلية فى المرسوم الصادر بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ م

لم تختلف قواعد (هيئة كبار العلماء) فى قانون سنة ١٩٣٠ م عنها فى مرسوم قانون سنة ١٩٢٨ م إلا فى تعديلات طفيفة حينما تولى الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى مشيخة الجامع الأزهر فكان الاختلاف فقط فى اللائحة الداخلية لهذا القانون .

فقد قرر مجلس الأزهر الأعلى بجلسته بتاريخ ٨ من ذى الحجة سنة ١٣٤٦ هـ ٢٦ من إبريل سنة ١٩٣١ م اللائحة الداخلية الجديدة لهيئة كبار العلماء التى تنص على المواد الآتية :

مادة ١ ـ يدعو شيخ الجامع الأزهر هيئة كبار العلماء للاجتماع كلما رأى لزوماً لذلك ، ويجب دعوتها فى أواخر كل سنة دراسية لتقرير خطة الأعمال العلمية التى يقوم بها كل واحد من أعضائها فى السنة الدراسية التالية . وتوزيعها عليهم حسب اختصاصهم مع تحديد نوع العمل ومقداره .

مادة ٢ ـ لا يجوز للهيئة أثناء انعقادها أن تنظر فيما عدا ما يعرضه عليها الرئيس ، ولا يعتبر اجتماعاً صحيحاً إلا إذا حضره شيخ الجامع الأزهر . فإن منعه مانع عن الحضور قام مقامه فى رئاسة الجلسة شيخ السادة الحنفية .

مادة ٣ ـ إذا لم يحضر العضو إحدى جلسات الهيئة بغير عذر مقبول يعتبر مخلا بواجبات مركزه . ويثبت ذلك فى محضر الجلسة . ويبلغ إلى العضو فإذا بلغت مرات الغياب بدون عذر أربع مرات متواليات اعتبر العضو مستقيلا من مركزه ويصبح كرسيه خالياً .

مادة ٤ ـ الأعمال العلمية التى تقوم بها هيئة كبار العلماء يجب أن تكون فى حدود المواد المقررة للكليات الثلاث بالجامع الأزهر . وتكون على نوعين :

النوع الأول : تدريس يعنى فيه بتربية الملكات ومعرفة طرق استنباط الأحكام من أدلتها وبتحقيق المسائل العلمية .

النوع الثانى : عمل أبحاث علمية فى المواضيع الهامة من المواد المذكورة تنشر فى شكل رسائل .

مادة ٥ ـ تختار الهيئة الكتب والأوقات التى تلائم حال الأعضاء فيما يتعلق بالنوع الأول . ولها أن تعين موضوعات الأبحاث فيما يتعلق بالنوع الثانى .

مادة ٦ ـ لتوزيع الكراسى تقسم مواد الدراسة فى الكليات الثلاث إلى المجموعات الأربع الآتية :

(أ) الفقه وأصول الفقه مع حكمة التشريع وتاريخ التشريع الإسلامى .

(ب) التفسير والحديث متناً ورجالا ومصطلحاً .

(جـ) التوحيد والمنطق والمناظرة والفلسفة (مع الرد على ما يكون منافياً للدين منها) والتوحيد والسيرة النبوية والأخلاق الدينية وعلم النفس .

(د) علوم اللغة العربية .

ويجب أن تمثل كل مجموعة من هذه المجموعات فى هيئة كبار العلماء بحيث لا يقل عدد كراسى المجموعة الأولى عن ثمانية كراسى (ثلاثة للحنفية ، واثنان للشافعية ، واثنان للمالكية وواحد للحنابلة) ولا يجوز أن يزيد عدد كراسى أى مذهب من المذاهب الثلاثة الأولى عن كراسى مذهب آخر منها إلا مذهب الحنفية . فإن كراسيه تزيد كرسياً واحداً . كما لا يجوز للحنابلة إلا كرسى واحد فى هذه المجموعة ولا يقل عدد كراسى المجموعة الثانية عن اثنين . وكراسى كل من المجموعتين الثالثة والرابعة عن ثلاثة .

مادة ٧ ـ إذا لم يقم العضو بما تفرضه عليه الهيئة من الأعمال العلمية بغير عذر مقبول عرض أمره على الهيئة ، ويجوز لها أن تحرمه من راتبه عن المدة التى لم يقم فيها بما فرضته عليه .

مادة ٨ ـ يجوز لشيخ الجامع الأزهر أن يعطى عضو الهيئة فى مدة الدراسة من كل سنة إجازة اعتيادية لمدة لا تزيد عن شهر ، وأن يعطيه كذلك أجازة مرضية لمدة لا تزيد على شهرين . فإن زادت الأجازة على ذلك رفع الأمر إلى المجلس الأعلى .

مادة ٩ ـ إذا أصبح أحد أعضاء الهيئة غير قادر بصفة مستديمة على أداء عمله تقرر الهيئة إحالته إلى التقاعد .

مادة ١٠ ـ تختص هيئة كبار العلماء بالنظر فى جميع المسائل التى تتعلق بأعضائها ، أو بنظام العمل فيها مما لا يخالف نصوص قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية أو نصوص هذه اللائحة .

مادة ١١ ـ يخصص لأعمال الهيئة أحد كتاب المشيخة ويكون لديه دفتر لقيد القرارات الخاصة بها .

مادة ١٢ ـ على وزير الأوقاف تنفيذ هذا المرسوم ابتـــداء من تاريخ نشره فى الجريـــدة الرسمية(٢) .

هيئة كبار العلماء وتدريسهـــم بقسم التخصص والقسم العام للأزهر !!

كان هناك صلة قوية وعرى وثيقة لا تنفصم بين هيئة كبار العلماء وقسم التخصص بالكليات فقد انعقدت لجنة هيئة كبار العلماء التى أشرنا إليها سابقاً ـ بإدارة مشيخة الجامع الأزهر فى يوم الأربعاء ٩ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ أول أكتوبر سنة ١٩٣٠م برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر . وبحضور كل من أعضاء اللجنة :

١ ـ صاحب الفضيلـــة الأستـــاذ الشيخ/عبدالرحمن قراعة .

٢ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد حسنين العدوى .

٣ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/دسوقى العربى(٣) .

٤ ـ صاحب الفضيلـــة الأستـــاذ الشيخ/عبدالمعطى الشرشيمى(٤)

٥ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد الحلبى .

ولم يحضر صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت لسفره ..

---

(٢) صدر هذا المرسوم بسراى القبة فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٤٩هـ ٦ مايو سنة ١٩٣١م وكان وزير الأوقاف فى ذلك الوقت « محمد حلمى عيسى باشا » ورئيس الوزراء اسماعيل صدقى باشا .

(٣) ولد الشيخ دسوقى العربى بقرية « منشأة عبدالله » إحدى قرى مركز السنطة غربية وتعلم بالأزهر على كبار الشيخ وتخرج وكان من العلماء البارزين بالأزهر . وكان رئيساً للجان امتحان شهادة العالمية بالأزهر وله نوادر مع الطالب طه حسين وغيره من الذين لم يوفقوا فى الحصول على شهادة العالمية .

(٤) نسبة إلى « شرشيمه » إحدى قرى محافظة الشرقية وكانت تتبع إلى سنة ١٩٢٩ م مركز بلبيس (راجع جدول وزارة الداخلية بأسماء البلاد الصمرية ص ٣٤) .

وقد نظرت اللجنة مسائل شتى ضمن جدول أعمالها ومنها توزيع جدول الدروس على حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة سنة ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م الدراسية وقررت :

أولا : الفقه وأصول الفقه

وتقوم بتدريس هاتين المادتين :

للحنفية : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد بخيت فى علم الفقه .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/أحمد الدلبشانى فى علم الفقه ..

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالرحمن عليش فى علم أصول الفقه ..

للشافعية : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد النجدى فى علم الفقه .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالمعطى الشرشيمى فى علم الفقه بقسم التخصص .

للمالكية : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد حسنين العدوى فى علم « أصول الفقه » .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/دسوقى العربى فى علم أصول الفقه .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/أحمد نصر فى علم الفقه بقسم التخصص .

للحنابلة : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد سبيع الذهبى فى علم الفقه .

ثانيا : الحديث

ويقوم بتدريسه كل من :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد الحلبى .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد السمالوطى .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالرحمن قراعة .

ثالثا : التفسير

ويقوم بتدريسه :

حضرة صاحب فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد شاكر .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/يوسف أحمد نصر الدجوى .

رابعا : علوم اللغة العربية

ويقوم بتدريسها :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/مصطفى الهياوى . فى علم النحو .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/سيد على المرصفى . فى عم أدب اللغة .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/حسين والى . فى علم البلاغة بقسم التخصص .

خامسا : التاريخ والسيرة النبوية والأخلاق الدينية

ويدرسها :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد أحمد الطوخى فى علم السيرة .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمود حمودة فى علم الأخلاق الدينية .

سادسا : التوحيد والمنطق

ويقوم بتدريسهما :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/ابراهيم بصيلة فى علم التوحيد .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد الشافعى الظواهرى فى علمى التوحيد والمنطق بقسم التخصص .

وكانت اللجنة المذكورة قد نظرت مذكرة صادرة فى فبراير سنة ١٩٣٠ بأن يكون بينها وبين قسم التخصص بالأزهر اتصال عند انعقادها فى كل عام لتوزيع الدروس على حضرات أعضاء الهيئة للاتفاق على من يقوم منهم بالتدريس فى هذا القسم والعلوم التى يسند إليهم تدريسها فيه . وتنفيذاً لقرار لجنة الهيئة هذا كتب إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ رئيس قسم التخصص فى هذا الصدد بتاريخ ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٠م . فجاء رد فضيلته بتاريخ ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ أنه يرى الاحتفاظ بحضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة : أحمد نصر/والشيخ عبدالمعطى الشرشيمى والشيخ/حسين والى والشيخ/دسوقى العربى والشيخ محمد السمالوطى(٥) والشيخ محمد الشافعى الظواهرى(٦) .

وأما فضيلة الأستاذ الشيخ/محمود حمودة فيرى أنه يعفى من التدريس نظراً لنقل القسم إلى شبرا وبعد المسافة عليه .

وبعد المداولة فى ذلك وفيما بسطه كل من حضرتى صاحبى الفضيلة الشيخ دسوقى العربى والشيخ محمد السمالوطى عضوى اللجنة من أنهما يعتذران عن التدريس بقسم التخصص لبعد مكانه ومشقة الانتقال إليه .

قررت اللجنة الموافقة على ما رأته رئاسة القسم من استمرار حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة المشار إليهم فى التدريس بقسم التخصص ما عدا حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ دسوقى العربى والشيخ محمد السمالوطى والشيخ محمود حمودة فقد قررت إعفاءهم من التدريس بهذا القسم إجابة لطلباتهم .

وقررت اللجنة أن يلتمس من حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة الذين تقررت دراستهم بقسم التخصص أن يقرأوا خمس حصص فى العلوم التى أسندت إليهم بهذا القسم فى كل أسبوع مراعاة لمصلحة الدراسة فيه .

كما نظرت اللجنة مذكرة تتضمن تقريرين قدمهما الشيخ إبراهيم بصيلة مراقب الدراسة للهيئة عن سير الدراسة لحضرات أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة فى سنة ١٣٤٨هـ الماضية يفيد أنه وجد حضراتهم قائمين بتدريس العلوم والكتب المقررة عليهم على الوجه المرغوب فيه .

---

(٥) نسبة إلى « سمالوط » إحدى قرى محافظة المنيا قديماً والآن مركز مشهور من مراكزها (راجع جدول وزارة الداخلية بأسماء محافظات ومديريات وبلاد مصر سنة ١٩٢٩) (ط المطبعة الأميرية سنة ١٩٢٩ م) ص٢١٤ .

(٦) نسبة إلى قرية الظواهرية إحدى قرى مركز فاقوس شرقية (جدول وزارة الداخلية ص٤١ عـ٢١) لكننا عثرنا فى مركز ههيا على كفر الشيخ الظواهرى (عبارة عن تسع عِزَب) كانت تابعة لناحية (المجفف ومباشر) راجع الجدول المذكور ص٣٥ نمرة ٥٤ والشيخ محمد الشافعى الظواهرى شقيق الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى . والدهما الشيخ ابراهيم الظواهرى شيخ المعهد الأحمدى بطنطا وهو مدفون بزاويته بشارع السباعى بطنطا (الباحث) .

وقد طلب بهذه المذكرة النظر فى ذلك وفيمن ترى اللجنة ندبه للمرور على الدروس التى يلقيها حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء هيئة كبار العلماء فى سنة ١٣٤٩ الدراسية وفقاً للمادة الخاصة من القواعد التى تسير عليها الهيئة .

فقررت اللجنة الموافقة على التقريرين المشار إليهما ، وأن ينـدب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم بصيلة مراقباً لدراسة الهيئة فى سنة ١٣٤٩ الدراسية .

مرتبات هيئة كبار العلماء فى ميزانية الأزهر سنة ١٩٢٠ م

لم نعثر فى الوثائق المعاصرة ـ فيما بين أيدينا ـ على المرتبات الأولى لأعضاء هيئة كبار العلماء وقت إنشائها فى ميزانية الأزهر فى ذلك الوقت . لكننا عثرنا فقط على كشف رقم ٣ ، رقم ٤ .

تعيين هيئة كبار العلماء الجدد كان بأمر ملكى بناء على ترشيح أعضاء الهيئة القدامى

عندما كان يستقيل أحد أعضاء هيئة كبار العلماء ، أو يحال للمعاش ، أو يتوفى كان لابد من تعيين عالم جديد بدله ليكتمل باستمرار النصاب القانونى للهيئة وهو (ثلاثون) عضواً وكان يتم اختيار العضو الجديد بناء على ترشيح واختيار أغلبية هيئة كبار العلماء .

وقد عثرنا على بعض الوثائق الهامة التى تؤكد ، أن عضو الهيئة الجديد يرشح أولا من أعضاء الهيئة القدامى . ثم ترسل باسمه إلى القصر الملكى(٧) فيوافق على العضو الجديد ويصدر به أمر ملكى دون تدخل من القصر فى تعيين العضو الجديد .

(١) ففى سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠ م وبناء على ما قررته هيئة كبار العلماء فى ٢ من شعبان ٢٩ يناير عين فى هيئة كبار العلماء ثلاثة من العلماء هم :

١ ـ الشيخ/عبدالمجيد اللبان الشافعى المذهب وشيخ معهد الاسكندرية .

٢ ـ الشيخ/عبدالحكم عطا المالكى المذهب وشيخ معهد الزقازيق .

٣ ـ الشيخ/محمد الشافعى الظواهرى الشافعى المذهب ومن علماء الأزهر .

(٢) فى سنة ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م ـ ١٥ يونيه ـ فى ٢٨ محرم ـ عين الشيخ /محمد عبداللطيف الفحام شيخ المعهد الأزهرى بالقاهرة ووكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ضمن هيئة كبار العلماء بناء على ما عرضه وزير الأوقاف فى ذلك الوقت(٨) .

(٣) وفى سنة ١٢٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م ـ ٢٨ صفر ١٠ يونيه ـ عين ضمن هيئة كبار العلماء (بناء على ما عرضه وزير الأوقاف(٩) ثلاثة هم :

١ ـ الشيخ/محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة .

٢ ـ الشيخ/إبراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية .

---

(٧) صدر الأمر الملكى رقم ٥٤ هذا بسراى المنتزه بالاسكندرية فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م فى عهد الملك فؤاد وكان رئيس الوزراء هو اسماعيل صدقى وكان شيخ الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى هو الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى وقد حصل كل من الثلاثة الجدد على كُسَى التشريف العلمية من الدرجة الأولى ..

(٨) صدر الأمر الملكى هذا برقم ٤٩ لسنة ١٩٣١ م بسراى القبة بالقاهرة فى عهد الملك فؤاد وكان وزير الأوقاف هو على جمال الدين .

٣ ـ الشيخ/محمود الدينارى شيخ معهد طنطا .

هذا بعض ما عثرنا عليه من وثائق تؤيد ما ذهبنا إليه من أن القصر الملكى كان لا يتدخل فى تعيين أعضاء هيئة كبار العلماء . إنما كان يوافق على ترشيح أعضاء الهيئة القدامى .

شيخ الأزهر كان ينتخب من هيئة كبار العلماء

شيخ الجامع الأزهر هو الإمام الأكبر لجميع رجال الديـــن . والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة إلى أهل العلم وحملة القرآن الشريف سواء كانوا منتمين إلى الأزهر أو غير منتمين إليه ، وهو المنفذ الفعلى العام لجميع القوانين والمراسم والأوامر الملكية واللوائح والقرارات المختصة بالجامع الأزهر . والموظفون تابعون له بهذه الصفة وخاضعون لأوامره .

وهو الذى يعين مشايخ الأروقة والحارات ويفصلهم مع مراعاة شروط الواقفين ، وطبقاً لأحكام اللائحة الداخلية .

ويُختار شيخ الجامع الأزهر من بين هيئة كبار العلماء ، ثم يرسل باسمه إلى القصر فيصدر بتعيينه بأمر ملكى(١٠) .

ففى سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م ـ ٧ ذى الحجة ٢٧ من مايو ـ عين الشيخ محمد مصطفى المراغى من هيئة كبار العلماء ورئيس المحكمة العليا الشرعية شيخاً للجامع الأزهر(١١) .

جماعة كبار العلماء

رأى بعض المسئولين فى الأزهر تغيير اسم « هيئة كبار العلماء » إلى « جماعة كبار العلماء » ولم تختلف عن سابقتها إلا بالقدر الذى سمحت به الظروف ويرأسها شيخ الجامع الأزهر أيضاً ، وتتكون من ثلاثين عالماً ويكون لكل منهم كرسى للتدريس ولا تقل سن العضو عن ٤٥ سنة ، وأن يكون معروفاً بالزهد والورع والتقوى ، وليس له ماض يشينه وأن يكون حائزاً لشهادة العالمية من درجة أستاذ ، وأن يكون قد ألف كتاباً قيماً فى مادة من المواد المقررة فى إحدى الكليات ، وأقرته لجنة مشكلة من عشرة أعضاء على الأقل ... الخ(١٢) .

مجمع البحوث الإسلامية

بقيت جماعة كبار العلماء تؤدى دورها فى خدمة الإسلام والمسلمين .

متضلعة بمصالحهم إلى أن صدر قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١ م فحل مجمع البحوث الإسلامية محل (هيئة كبار العلماء) متضلعاً بواجباتها وصار للمجمع تكوين أوسع رقعة وأعمال أكثر شمولا .

---

(٩) صدر الأمر الملكى هذا رقم ٣٥ لسنة ١٩٣٤ م بسراى القبة بالقاهرة فى عهد الملك فؤاد وكان وزير الأوقاف هو محمد نجيب الغرابلى .

(١٠) راجع المواد رقم ٦ ، ٧ ، ٨ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ م للمعاهد الدينية سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ص ٤ .

(١١) صدر الأمر الملكى رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٨ بسراى عابدين فى عهد الملك فؤاد وكان رئيس الوزراء هو مصطفى النحاس .

(١٢) راجع المواد ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ لقانون ٢٦ لسنة ١٩٣٦ م السابق ذكره .

عدد	الاســـم	المنصب	المرتب الحالى: الأصل – مليم	الأصل – جنيه	بزيادة ٢٪ – مليم	بزيادة ٢٪ – جنيه	المرتب الجديد – مليم	المرتب الجديد – جنيه	مقدار العلاوة – مليم	مقدار العلاوة – جنيه	ملاحظـــات
١	فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى	شيخ المالكية		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٢	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد راشد	مالكى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٣	فضيلة الأستاذ الشيخ دسوقى العربى	مالكى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٤	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حسنين العدوى	مالكى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٥	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد ابراهيم السمالوطى	مالكى		١٣	٦٠٠	١٥		٣٠	٤٠٠	١٤	اعتبارا من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م
٦	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف نصر الدجوى	مالكى		١٣	٦٠٠	١٥		٣٠	٤٠٠	١٤	اعتبارا من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م
٧	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد النجدى	شيخ الشافعية		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٨	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرفاعى المحلاوى	شافعى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٩	فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالحميد زايد	شافعى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٠	فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالمعطى الشرشيمى	شافعى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١١	فضيلة الأستاذ الشيخ يونس موسى العطافى	شافعى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٢	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد قنديل الهلالى	شافعى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٣	فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الهيأوى	شافعى		١١	٢٠٠	١٣		٣٠	٨٠٠	١٦	اعتباراً من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م
١٤	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف شلبى الشبرنجومى	شافعى	٧٥٠	١١		١٣		٣٠	٩٠٠	١٥	اعتبـــاراً من ٦ أغسطس ١٩٣٠ م
١٥	فضيلة الأستاذ الشيخ حسونة النووى	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٦	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد شاكر	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٧	فضيلة الأستاذ الشيخ محمود الجزيرى	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٨	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
١٩	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الحديدى	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	
٢٠	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت	حنفى		٢٠		٢٤		٣٠		٦	اعتباراً من ٢ يوليو ١٩٣٠ م
٢١	فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم بصيلة	ملكى		١٣	٦٠٠	١٥		٣٠	٤٠٠	١٤	اعتباراً من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م
٢٢	فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الدلبشانى	حنفى	٢٥٠	١٢	٧٠٠	١٤		٣٠	٣٠٠	١٥	اعتباراً من ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ م
٢٣	فضيلة الأستاذ الشيخ محمود حموده	حنفى		١١	٢٠٠	١٣		٣٠	٨٠٠	١٦	اعتباراً من ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ م
٢٤	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سبيع الذهبى	شيخ الحنابلة		٨	٦٠٠			٣٠	٤٠٠	٢٠	اعتباراً من ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ م
٢٥	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخاتى	حنفى						٣٠			اعتباراً من أول أكتوبر سنة ١٩٣٠ م قرار المجلس فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م

الفتاوى

يجيب عليها علماء لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيدة/ ز . م . ع من المعادى :

شاب يريد الزواج من بنت خالته وهو لم يرضع من أمها وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد ولكن شقيقة الشاب رضعت من جدتها لأمها مع أم الفتاة .

فما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز لهما الزواج ولا عبرة بكون شقيقة الشاب رضعت من جدتها مع أم الفتاة فالحرمة تقع على من رضع فقط .

السؤال من السيد/ س . ى . م من حلوان :

رجل تزوج من فتاة ولم يدخل بها ثم طلقها قبل الدخول والخلوة بها . ثم توفى بعد طلاقها بعشرين يوما .

فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد أن للزوجة المطلقة قبل الدخول والخلوة نصف المهر جميعه مُقَدَّمُهُ ومُؤَخَرُهُ وتستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد حتى تاريخ الطلاق . فإذا صح ما يدعيه المستفتى من أن الزوج لم يدخل بها ولم يختل بها فلا ميراث لها من الناحية الشرعية . أما إذا ثبت أنه دخل بها فلها المهر جميعه مقدمه ومؤخره وتستحق ربع تركته إن لم يكن له ولد ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .

السؤال من السيدة/ ف . م . م من الكويت :

اشتريت قطعة أرض مساحتها ٢٧٦ مترا من نقابة المهندسين بالزقازيق شرقية حيث كنت أعمل موجهة بالتربية والتعليم بالشرقية وكان ذلك فى عام ١٩٨١ م وتسلمت عقد التمليك .

وفى عام ١٩٨٤ م أجبرنى زوجى على بيع هذه الأرض لأولادى جميعاً بالتساوى للذكر مثل الأنثى وهم : أمين ، ورفيق ، وممدوح ، وسلوى ، وسامية ، وسعاد ، وسهام . وسجل هذا البيع رسمياً أمام المحكمة .

ثم سافرت سلوى وأختها التى تليها إلى الخارج وأكرمهما الله من فضله وقامتا بوضع

الأساس على هذه القطعة بموافقة الأخوة جميعا .
ثم قامت سلوى مرة أخرى ببناء دور فوق الأرض على شقتين من مالها الخاص . ثم قامت أختها التى تعمل بالخارج ببناء دور آخر فوقه من مالها الخاص على شقتين أيضا . ثم قام أحد الذكور وأخت واحدة معه ببناء دور آخر فوق المبانى المذكورة من مالهما الخاص لكل واحد منهما شقة . ثم قامت سلوى مرة أخرى ببناء دور خامس من شقتين وهو الأخير بالنسبة لتعليمات الإسكان وطبقا لقانون الإسكان الذى يمنع منعا باتا تعلية المبانى عن خمسة أدوار وبهذا تبقى من الأولاد اثنان من الذكور وهما : ممدوح وأمين ، والاناث واحدة هى سهام لم يتمكنوا من البناء لعدم إمكاناتهم المادية .

والسؤال هل من حقى شرعا الرجوع فيما كتبته لأولادى بعد أن عرفت أننى سويت بين الذكر والأنثى ، وهذا مخالف للشريعة الإسلامية وحتى يمكننى التقسيم حسب الفريضة الشرعية .. وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد ..

فنفيد بأن للمسلم أن يتصرف فى ماله كيف يشاء حال حياته مادام صحيح العقل والبدن وما فَعَلْتِهِ أيتها السائلة جائز شرعا . حيث إنك كتَبْتِ هذه القطعة لأولادك جميعا وسجلت رسميا لا يجوز لك الرجوع فى هذا البيع ، أما فيما يتعلق بالبناء من أحد أولادك البنات وأحد الذكور فلا شىء فيه كل ما فى الأمر يرجع إلى الأولاد بالتراضى فيما بينهم وليس عليك وزر فيما فعلتِهِ والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / أ .ح من السعودية :

أنا رجل أقوم بتجارة السيارات فأقوم بشراء السيارة مثلا بـ ١٢٠ ألف ريال ، ثم يحضر لى مُشْتَرٍ يشتريها مثلا بمبلغ (١٤٠) ألف ريال يعطينى مقدم مثلا ٤٠ ألف ريال ، والباق يقول إلى : اصبر علىّ شهرين مثلا .

فما حكم هذه المعاملة . هل هناك ربا وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن هذه المعاملة لا مانع منها شرعا لأنه ليس فيها ربا .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / ع.م.ع المطرية :

تزوجت من سيدة فاضلة أرملة ودخلت بها وعاشرتها معاشرة الأزواج وفجأة وجدتها تطلب منى الطلاق بدون مبرر وأنا أحبها جداً وتركت عملى الوظيفى من أجلها ولكنها أصرت على الطلاق وعندما عرفت أنها مصرة على ذلك رفضت الطلاق ولم أطلقها حتى تعطينى خمسة آلاف جنيه وفعلا دفعت لى خمسة آلاف جنيه وطلقتها على ذلك فهل هذا المبلغ يعتبر حلال شرعا وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن المال الذى أخذته من مطلقتك نظير طلاقك لها يعتبر حلالا شرعا ولا شبهة فيه .

والله تعالى أعلم .

تهنئة

للأستاذ الدكتور/ عبد العزيز غنيم عبد القادر

خليلى ما هذا البناء الممرد ... أصرحا أرى أم ذلك فى الأفق فرقد
وأى فتى أرساه إنى لحائر ... وهل للملوك الجن فى صنعه يد
قوائمه فوق الثريا ثوابت ... وذروته فى الفلك أعلى وأبعد
إلى الأزهر المعمور يعزى نوره ... إلى شرعة الإسلام يهدى ويرشد
يضوع شذى المختار منه وحوله ... من الملأ الأعلى ملائك هجد
على بابه الفاروق فى الدرع رابض ... ومن خلفه زيد وسعد ومرثد
وخالد سيف الله ، والليث حمزة ... عليهم أبو بكر أمير مسود
وهذا بلال قائم فوق سوره ... يؤذن ، والروح الأمين يردد
وفى الساح أصحاب الحديث عليهم ... ثياب من الديباج خضر ، وعسجد
أراهم جلوساً والبخارى بينهم ... يناقش أحوال الرواة وينقد
ومسلم يحذو حذوه عن يمينه ... وقدوة أصحاب المسانيد أحمد
وللسيرة الغراء فى الصرح فتية ... رووها كما كانت وفيها تفردوا
إبان ووهب وابن اسحاق منهم ... أولئك قوم للمعالى توسدوا
وفى الروح طير باهر الحسن صادح ... يقول : اسجدوا لله يا قوم واعبدوا
وصلوا على المبعوث للناس رحمة ... نبى الهدى نعم النبى محمد
فنحن بنات الأيك نعرف فضله ... ونطرى أياديه ونحن نغرد
فيا جاد : جاد الحق قد فزت والذى ... إلى دينه تدعو وفيه تجاهد
ألم تبن هذا الصرح لله حسبة ... بعزم كنصل السيف والله يشهد
ألم تبنه حصنا لسيرة أحمد ... وسنته ، حياك يا جاد أحمد
فيا نعم ما أسدت يداك لقد سما ... على ما بنى الأسلاف طرا وشيدوا
ومن يرع آثار النبى يكن له ... إلى جنبه فى جنة الخلد مقعد
فحييت يا شيخ الشيوخ وخلدت ... فعالك ، والفعل الجميل يخلد
ولازال قلب المصطفى عنك راضيا ... ولازال شعرى فى هواك يردد

صراع المعادلات

الجميلات والجمال

أ.د/ أبو ياسر الوزير (*)

جميلاتُ البِناءِ شرغن بابا ... بقصْرٍ مثل طول العمر عالى
وأمشاطُ الحوار ترى وتعلو ... فتمتزج البراءةُ بالتعالى
تخيَّلْ أنتَ أجملَ من حِسانٍ ... تُفدّين الأدلةَ بالدلال
فوالدةُ السؤال تُطيلُ جدًّا ... فيشكو الصابرون من الملال
ولكن الجمالَ أجلُّ صبْرا ... وألْحَقُ للإجابةِ بالجلال
فما ضاق الشذىّ النبوى صدرا ... ولا وقتُ الكريم بالاحتفال
لئن كان الأجلَّ بلا جدالٍ ... فقد بَقِىَ الأجلُّ على الجدال
وكان أبرَّ بستانٍ بوزْدٍ ... وأبقى للنجومِ من الهلال
صَحابيَّاتُ خيْرٍ ولىّ أمْرٍ ... وشَيْنَ بما لديه من الكمال
يَمُدّ من اضطررن إليه طوْعا ... بأيدٍ للتناول والنوال
فكنَّ إذا وردْن به مثالا ... يقومُ به أقمن على المثال
فيسمعُ ما تَهُمّ به الجوارى ... ويسمعُ ما يهيم به الموالى
فبعض الحاضرات بلا علوٍّ ... كمثل الغائبات عن السؤال

● ● ●

سلوا . كم ألف إصغاء لأنثى ... وكم صبْرٍ عليه وكم جمال
وكم من برْق فارسةٍ أتته ... تعالج عبقرية الانفعال

(*) أستاذ الأدب العربى (السابق) بمعهد اللغات الشرقية بإيطاليا ، وجامعة الفاتح فى طرابلس بليبيا .

تطوفُ على جمال الصبر حيناً ... فتغرف منه فى صبر القتال
وجوه ينظمُ الشعراء فيها ... وحتى الآن أسماط اللآلى
فهلْ تتصوَّرُ امرأةً كسيف ... وسيفاً دونها فى الاعتدال !
أكنَّ يردن أن يصبحن جنداً ... لتعدية الجمال إلى الكمال
فليس كمثلهنَّ دليلُ قومٍ ... ولا كجهادهن لسانُ حال
ولا كمضيهنّ قدومُ جيشٍ ... ولا كعلوِّهنّ نفوذ عال
ولو كانت تُحسُّ هناك أنثى ... بظلمٍ ما لضنَّتْ بالسؤال
وهل تتقدمُ امرأةٌ بنهرٍ ... وفى بيدائها إبريقُ آل !
لكل أمومة نورٌ صبورٌ ... وآخرُ مستعدٌ للقتال
يحسُّ علوَّها جُهد المُربىّ ... ويُحسن فهمَها ذوقُ المُوالى
فواكهُ أمةِ البستان شتى ... وأغلى الماسِ يُبذل للغوالى

● ● ●

لماذا جئتِ ؟ هل ترَينَّ بأساً ... بما انصرفتْ له همُمُ الرجال
وهل تَخْشيْن فى القنطارِ شكلًا ... كشكليَّاتِ عالم الانحلال
وماذا بعدَ تأنيث الأمانى ... وبعد وصولكنّ إلى السؤال
أعذن سؤالكنَّ تُرِيننا ما ... يَهُلُّ لأجل تحلية الكمال
كأنْ لم يحتجبن لدى خضابٍ ... ولم يَغرُبن فى أفق الجمال
أمْ البُرهانُ فيما اخترن طوْعاً ... أشدُّ على الرجال من القتال
كذاك القادراتُ يرون أمْراً ... ويُوصِين المُحَال بالامتثال
فربّ حمولةٍ وخُطاً ثقالٍ ... أولاتُ الحمْلِ فيها كالجمال
وكم من رحلة وخُطوط سيْرٍ ... سوى خطٍّ يُخصّصُ للرجال
أم اختصّ الرجالَ بأن يصوموا ... وضنَّ على أولاء بالاحتمال
بمن أوصى ومَنْ أوصى بألا ... يساء إليه فى نيات قالى
وألا يستردّ البحرُ فاه ... بما أغلاه للدررِ الغوالى
فهذا ـ إن جَرَتْ ريحٌ سمومٌ ... جهازُ مناعةٍ لاوقف حال

● ● ●

وليس أدلَّ فى نيات قومٍ ... على الإحسان من عمل السؤال
بتلقائية يُحْسِنَّ صُنعاً ... فهل يُحْسِنَّ صنعا فى التعالى
أكان يليقُ أن يجففِنْ دوْحاً ... وتحتطبَ الحروبُ للاشتعال
وينقصُ من ثمار الفضل عام ... ويستعلى الجواز على المحال
ومسئولية الغايات ليست ... تفرِّق بين تالِيَةٍ وتالى

ولم يُستَثنَ مسئولٌ جميلٌ ... ولا متجملون على الجمال
فوارسُ من سماء أبى هلال ... سمَوْن على التوالد والتوالى
وحُزنُ الأنبياء يَعُسُّ دوما ... فتنفرجُ استجاباتُ الكمال
وصام الشعر حين أُثيب عيدا ... لحاجة الانفعال إلى الفعال
لأجل عمارة الدنيا جميعا ... تُشَغَّلُ كلُّ بادية وآل
لهذا سالت النياتُ طيباً ... على أعمال أحمد بالنوال
فلم يك يستردُّ يديْه مما ... تردُّ به اليمينُ على الشمال
فأبدع الاجتهادُ بغير أجر ... وغير تكلف وظهور حال
وقالوا : كان . كان أشفَّ قلبٍ ... بإسراء وأبرقَ للأعالى
لأن محمداً يَردُ الأعالى ... وواقعها الأتمَّ من الكمال

● ● ●

هل الإسعافُ يحتمل التمنى ... وإمهالَ الطبيبة للسؤال
مَهامُّ النور تشخيص الأمانى ... وحكمة الارتجال والاشتغال
فمن لم يُغْطِ هذا الآن سيفاً ... يَضِنَّ غداً بهيْبة الاحتمال
فلا مدَّ السلامُ يداً إذا ما ... أصاب يدَ القلاع بالابتذال
عجبتُ لقريةٍ لا شمسَ فيها ... وهم يستكثرون من الليالى
فخبزُ الله للجناتِ حصنٌ ... لحرِّيَّاتهن من الزوال
ومن يقم الطعام به كفيلا ... يُنبأ بالحرام وبالحلال
فإن بلغ السماءَ بناءُ أم ... فأحرفه القصَارُ من الطوال
أعان اللهُ أثداءَ اليتامى ... إذا شرق الأرامل بالسؤال
وكان اللهُ فى حرس الأيامى ... إذا سقط المتاعُ من الرحال
أمينُ الدارِ أشجعُ من يحامى ... عن الضعفاء فيها والموالى
وملء الدار بستان وأمن ... وحول الدارِ ينضحُ بالنبال
ولم يتخلَّ عن صلةٍ وصبرٍ ... فهل يسعى الوصول للانفصال
فهل أر مثلهن على جمال ... ولا كمحمد بين الرجال
يُمرُّ الصبرُ يوميًّا علينا ... فلم نعثر لديه على مثال
وما سيكونُ أو ما كان فعلا ... وحتى الآن والميزانُ خالى
فإن المغْرِض العمليَّ يُحصَى ... ويُقْصِى والياً من بعد والى

● ● ●

مذبحة لمآذن

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

تشكو إلى الله ما تلقى وتبتدرُ … وقد أحاطت بها الأحداث والنذر
تشكو إلى الله بلواها وشقوتها … وحولها جمرات النار تنتثر
مآذن فى «سراييفو» أحيط بها … وداهمتها خطوب كلُّها شرر
قد أخرصوا صوتها فارتد داخلها … يرد أصداءه المحراب والحجر
ستون ألفا أبيدوا فى مساجدهم … تساقطوا ورصاص الغدر ينهمر
قاموا إلى الله والتكبير يجمعهم … ما أكملوا صلوات الله أو ذكروا
توضأوا بدماء القلب واغتسلوا … بنسمة من ظلال الخلد تنتثر
وأسلموا الروح للرحمن تسبقهم … تكبيرة بجوى الأنفاس تنفطر
وذنبهم أنهم لله وجهتهم … وهم على فطرة التوحيد قد فُطِروا
وأمهات ثكالى عشن فى وَلَهٍ … والعين دامية والقلب منكسر
أطفالهم ذُبِّحُو غَدَراً بلا سبب … مثل الذبيحة يوم النحر قد نُحِرُوا
ماتوا عراة يغطى الحزنُ أعظمَهم … تحنو عليهم شقوق الأرض والحفر
جَزُّوا الرؤوس وراحوا يعبثون بها … والله يسخر منهم مثلما سخروا
يامن لقوم على ويلاتهم صبروا … تناوبتهم ليالٍ نجمها عكر
هبت عليهم رياح الكفر لافحة … وضجت الأرض والأنسام والشجر
تناثروا فى فجاج الأرض.. يحصدهم … رصاص باغ بروح الشر يأتمر

***

تعصب تخجل الدنيا وقائعهُ … وجذوة فى حَشَا الإسلام تستعر
وقصة يدرك الأحرار غايتها … يعيدها اليوم من خانوا ومن غدروا
أحداث أندلس والقدس ماثلة … وما تنبه أقوام وما اعتبروا
يامسمع الكون هل تصغى لصيحتنا ؟ … وياضمير الليالى كيف تعتذر ؟

إبـــادة المسلـــمين اليـــوم غايتهم   قد اعلنوهـــا فمـــاذا بعـــد ننتظـــر ؟
قد أعلنوهـــا فمـــا جدوى مهادنـــة   أنبتغـــى رحمة عنـــد الأولى كفـــروا ؟
قد أعلنوهـــا فمـــا للقـــوم فى وهـــن   ألّا تحركنـــا الأحـــداث والـــغير ؟
الصمت موتٌ وويـــل القانـــعين به   يوم القيامـــة تطـــوى صمتهم سقـــر

***

كأننـــا دون خلـــق الله سائمـــة   أليس من حقنـــا مايصنـــع البشر ؟
أَذَنْبُنَـــا أننـــا نحمـــى عقيدتنـــا   وأننـــا بسيـــاج الحق .. نَدَّثـــر ؟
ولا تفـــرق بين الـــرسل شرعتنـــا   أديننـــا السمـــح يرمـــى ثم يحتقـــر ؟
تعصب وعـــــداء لا مثيـــــل له   والعـــدل فى حكمهـــم كالجور ينحـــدر
ومجلس الامـــن ــ ياللأمـــن ــ مهزلـــة   تقـــــاسم الصمت لا حس ولا خبر
وهيئـــة الأمم المعـــروف موثقهـــا   أعضاؤها فى هدوء البال قدْ وقـــروا
وحسبهم بـــث إنـــذار وتوصيـــة   يُدَبّـــجُ القـــولَ فيها باسمٌ حذر

***

أقـــولها صيحـــة كبرى أدق بها   باب الجهـــاد ليـــوم أمـــره عسر
أيخنـــق الفجـــر والأكـــوان ضارعـــة   أيطفـــأ النـــور والأمجاد تندثـــر ؟
أيتـــرك الحق يعشـــو كل طاغيـــة   بأرضه ويسوس الآثم الأشـــر
أيـن الألى أركبـــوا التـــاريخ خلفهـــم   أيـن الأشاوس أيـــن القـــادة الـــغير ؟
يا مسلمـــون ومـــا للأمـــر قائمـــة   إلا بأرض بها الإسلام ينـــتصر
يا مسلمـــون كفـــى نومـــاً وتفرقـــةً   وحولنـــا النـــار لا تبقـــى ولا تذر
من كل حدبٍ شيـــاطين وأسلحـــة   من كل ناحيـــة يجتاحنـــا الخطـــر
كأنما حادثـــات الدهـــر قد فرغت   للمسلـــمين بما يُدْمـــي ويعـــتصر
كأنما القـــوم فى وجـــدانهم عَطَبٌ   لا يعقلـــون وفى أبصارهـــم قصر
فلا تنبـــه من إغفائـــة قلـــم   ولا تملمـــل فى قيثـــارة وتـــر
أقـــولها يا بنـــى الإسلام تبصرة   فلـــيس غيركم للأمـــر يدخـــر
إن تسكتـــوا عن سراييفـــو وجـــارتها   أصاب أمتنـــا الخذلان والخـــور
طوبى لمن بايعـــوا الـــرحمن وانطلقـــوا   طوبى لمن أنفقـــوا فى الله أو نفـــروا
طوبى لمن جاهـــدوا فى الله أو حفظـــوا   محارم الله أو ثاروا أو انـــتصروا

***

حديث مع «ديدات»

شعر السيد الصديق حافظ

«دِيدَاتُ» يا صوْتَ الحقيقةِ فى زَمَان التُرَّهَاتْ
يا من تُبَارِكُهُ السَّمَاءُ وتَصْطَفِيهِ المَكْرُمَاتْ
«الرُّوسُ» قد رَحَلُوا[1] إلى تلْكَ الزوايا المِظْلِمَاتْ
وغدا سَتَرْحلُ قوةٌ كُبْرَى إلى أرضٍ مَوَاتْ
والمسلمون كما تَرَاهُمْ فِى سُبَاتٍ أوْ شَتَاتْ
أتظنُّهم أهلًا لِمِيرَاثِ النُّبُوَّةِ و(الحَيَاةْ)؟
وَهَلِ الصَّلَاةُ اليَوْمَ تَدْعُوهُمْ إلى قَطْعِ الصِّلاتْ ؟
مَنْ ذَا سَينفُخُ فى رَمَادٍ أو سَيَبْعَثُ مِنْ رُفَاتْ
إلا الذى وَهَبَ الحَيَاةَ وفى يديْه المُعْجِزَاتْ ؟
يَا فارَس الإسْلَامِ يَدْفَعُ عن حِمَاهُ العَادِيَاتْ
بالرأى والفكْرِ المنيرِ وبالعِظَاتِ المُلْهَمَاتْ
مَا كَانَ مِنْ شُرَكَاءَ لِلّهِ المُهَيْمِنِ أوْ لِدَاتْ
اللَّهُ لَيْسَ كمِثْلِه شَىءٌ ولَمْ تُدْرِكْهُ ذَاتْ
بِيَدَيْهِ ـ جَلَّ جَلَالُه ـ مَحْيَا الخَلِيقَةِ والْمَمَاتْ
لَا تَرْجُ مِنْ شَرِّ البَرِيَّةِ غيْرَ مَحْقُورِ الصِّفَاتْ
كَذَبُوا على «مُوْسَى» وَ«عيسَى» والنَّبِيِّينَ الثِّقَاتْ
وَلَقَدْ رَمَوْا «لُوطاً» و«مَرْيَمَ» والبَنَاتِ الطَّاهِرَاتْ
المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ القَانِتَاتْ
دَعْهُمْ لأَقْدَار مُقَدَّرَةٍ فَلَيْسَ لَهُمْ فَوَاتْ
الحِقْدُ يَنْمُو فِى قُلُوبِهِمُ كَوَحْشِىِّ النَّبَاتْ
فِى «البُسْنَةِ» اقْتَرَفَتْ كِلَابُ «الصِّرْبِ» شَرَّ المُخْزِيَاتْ
وبَنَاتُ آوى حَوْلَهَا تُبْدِى العَدَاوَةَ والشَّمَاتْ
والآخَرُون بمَجْلِسِ الأمْنِ اسْتَرَاحُوا للسُّبَاتْ

---

(١) السبعة الأبيات الأولى من هذه القصيدة ترجمت إلى الشيخ / أحمد ديدات فى اليوم التالى لمحاضرته القيمة فى مركز الملك فيصل .

عَبْرةُ وَفاءٍ

على الصديق المرحوم المستشار السيد عبد العزيز هندي

للأستاذ / محمد مصطفى الغنيمي

بَكَتْ الْعَدَالَةُ قَاضِيَ الْعُلَمَاءِ … سَحَّتْ عَلَيْهِ مَدَامِعُ الفُضَلَاءِ
وَلَو استطَاعَتْ جَسَّمَتْ أفْضَالَهُ … فِي كل ناحِيَةٍ بِكُلِّ وَفَاءِ
أعْطَى المكارِمَ دُونَ مَنٍّ أو أذَى … وَبَنَى عُلَاهُ عَلَى هُدىً ونَقَاءِ
وتَدَفَّقَ الدُّرُّ الثَّمِين من الحِجَا … فى كُلِّ بَحْثٍ بَاهِرَ الأَضْوَاءِ
وَسَعَى إلى الإصْلَاحِ فِي مَيْدَانِهِ … سَعْيَ النُّبُوغِ بِحِكْمَةٍ وَذَكَاءِ
وَبَنَى وتَوَّجَ بالإبَاءِ بِنَاءَهُ … قَد كَادَ يُرْسِيهِ عَلَى الجَوْزَاءِ
وَلَو استطَاعَ لصَاغَ من فَلَقِ الضُّحَى … أنْوَارَهُ لِلْعَدْلِ والإِحْيَاءِ
الخَيْر لَا يُنسَى وَإن مَات الَّذِى … أسْدَاهُ حَتَّى فى لَظَى الصَّحَرَاء
يَا أَيُّهَا القَاضِى النَّزِيهُ تَفَتَّحَتْ … بِيَدَيكَ أبْوابٌ إلَى الْعَلْيَاء
أَغْلَيْتَ مَا أَغْلَيتَ فى صَمْتٍ وَلَمْ … تَبْخَلْ ولم تَقْبَلْ هَوَى الإغْوَاءِ
رَأتْ الشَّرِيعَةُ منْكَ رَاعِيَ حَقِّهَا … فِي كلِّ نَادٍ حُفَّ بالأَرْزَاءِ
مَا سَيْطَرَتْ دُنْيَا عَلَيكَ بزُخْرُفٍ … يَغْزُو النُّفُوسَ بِخَادِعَاتِ الدَّاءِ
تَمشِى الهُوَيْنَى حِكمَةً وَحِمَايَةً … مِنْ كُلِّ مَعْسُولٍ مِن الأَهْوَاءِ
وَتَعَافُ مَا تَعْنُو الرُّءوسُ لِزَيْفِهِ … وَيَعِفُّ عَذْلكَ عَنْ سَرَابِ ثنَاءِ
لَا تَرْتَضِى إلَّا الفضيلةَ حِلْيَةً … وَتَعِيشُ عَيْشَ السَّادَةِ الأُمَنَاءِ
الحُكْمُ عَدْلٌ لَا تَلِينُ لِظَالِمٍ … مَهْمَا احْتَفَى بوَسَاوِسِ الإغْرَاءِ

تَضَعُ الكَرَامَةَ حَيْثُ يَطْمَحُ قَدْرهَا ... وَتَصُونُهَا مِنْ نَزْغَةِ الخطَّاءِ[1]
مَنْ يَسْتَحِقَّ وَظِيفَةً عُلْيَا فَلَا ... يُقصَى إلى السُّفْلَى للاستهْزَاءِ
وتَعودُ عَوْدَة كَوْكَب لمَدَارِهِ ... بَيْنَ الْكَوَاكِبِ رَاضِيًّا بِسَنَاءِ
تأْبَى الدَّنِيَّةَ ـ أَيْنَ كُنْتَ طَبيعَةً ... فِطْرِيَّةً من عِزَّةٍ شَمَّاءِ
تَحْيا نُفُوسُ الأَتقِياءِ كَرِيمَةً ... وَمَهِيبَةً فِي قِمَّةِ الأَرْجَاءِ
فى المجْلس الْأَعْلَى سَمَوْتَ ثَقَافَةً ... مَكْسَوَّة بتَوَاضُعِ العُلَمَاءِ
وَشَرَحْتَ أَسْرَارَ الحَنيفَةِ نَاجحاً ... وَعَرَضَت رَأْيَكَ صَادِق الأَنْبَاءِ
أَيَّدْتَ أو عَارَضْتَ كُنْتَ مُنَزَّهًا ... عَمَّا يُثِيرُ الخَلْفُ مِنْ شَحْنَاءِ
تَتَجَشَّمُ الصَّعْبَ المُحِلَّ لِغَايَةٍ ... شَرُفَتْ وَأَعْيَتْ أَيّما إعْياءِ
حَتَّى تَنُضَّ عَنْ الحَقيقَةِ حُجْبَها ... وَتُجِيرَهَا مِنْ حَالِكِ الإِخْفَاءِ
حُب الحقيقَةِ لِلْعَدَالَةِ حَارِسٌ ... يَحْمِى حِمَاهَا مِنْ أَذَى الْأَعْدَاءِ
يَا أَيُّها الْآوى إِلَى رَوْضِ النَّدَى ... أَنْعِمْ بِمَثْوى الرَحْمَةِ الوَضَّاءِ
شَيْخَوخَتِى حِمْلٌ ثَقِيلٌ لم يُتِحْ ... مَا أَسْتَطِيعُ بِهِ حُضُورَ عَزَاءِ
الشيخُ يَرْسُفُ فى قُيُودِ عَنَائِهِ ... حَتَّى يَجُوزَ حَيَاتَهُ لِفَنَاءِ
كل امْرِىءٍ أَضْحَى طَرِيدَ مَنِيَّةٍ ... مَهْمَا احْتمَى مِنْها بكُلِّ دَوَاءِ
الْمَوْتُ مُنْتَظِرٌ ـ وَإِنْ طالَ المَدَى ـ ... يَشْفِى مِن الْأَمْرَاضِ خَيرْ شِفَاءِ
لَا تَخْشَ مَوْتًا فَالحَيَاةُ سَفِينَةٌ ... تَنْجُو بِهِ مِنْ عَاصِفِ الأَنْوَاءِ
إنَّ السَّلَامَةَ أَنْ تَمُوتَ عَلَى هُدى ... مَلَأَ الفُؤَادَ وَفَاضَ فى الْأَعْضَاءِ
الْمُطْمَئِنَّةُ فِى نَعِيمٍ وَافِرٍ ... فِى جَنَّةٍ أَبَدِيَّةِ الإِعْطَاءِ
إِنْ طَابَتْ الأُخْرَى فكُلُّ سَعَادَةٍ ... يَحْبُو جَنَاهَا أَنْفُسَ السُّعَدَاءِ
يَا صَاحِبِى هَذِى تَحِيَّةُ شَاعِرٍ ... قَدْ صُغْتَها مِنْ مُهْجَتِى وَدَمَائِى
فَاضَتْ رِثَاءً . كُلَّ بيتٍ صَاغَهُ ... حُزْنٌ تَضَمَّخَ فِى عطرِ وَفَاءِ
نَمْ فى حِمَى الْفِرَدَوسِ مَيمْونَ الكَرَى ... تَهْمِى عَلَيْكَ سحائَبُ السَّرَّاءِ

* * *

---

(١) ذهب المرحوم مُعَارًا إلى ليبيا لوظيفة رئيس محكمة عليا فوجد الوظيفة رئيس محكمة ابتدائية فرفض وعاد إلى مصر مرفوع الرأس .

من أعلام الأزهر

الأستاذ الإمام الشيخ

محمد مصطفى المراغى

شيخ الأزهر الأسبق

ربيع الأول ١٢٩٨هـ - مارس ١٨٨١م

رمضان ١٣٦٤هـ - أغسطس ١٩٤٥م

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الشيخ محمد مصطفى المراغى كان إمام المسلمين فى عصره وحامل لواء الإصلاح الأزهرى تشريعاً وتنفيذاً ومراجعة ، وكان من الشمم الرفيع والخلق النَّزيه والترفع النبيل بمنزلة يعرفها عنه كبار الحاكمين فيعدلون سلوكهم المتغطرس فى حضرته رعاية لمقامه وخوفاً من كلمة الحق أن تحرقهم حين تَتَّقِدُ من فمه .

هكذا وصفه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فى بعض مؤلفاته وكتبه[١] .

وكتب عنه صديقه الأستاذ محمد كرد على رئيس المجمع العلمى بدمشق بعد وفاته وقتئذ يصفه عن خبرة ومخالطة فقال :

(لقد تأدب الشيخ المراغى بأدب الدين والدنيا معاً ، فإذا عاشرته تتحقق من أنه بلغ الغاية فى التهذيب الحديث مضافاً إلى ما تحلت به نفسه من فضائل الإسلام ، وإذا تحدث فى مجلس ملك قلوب السامعين ولا تلبث أن تقول : إن هذا الشيخ يصلح لإمامة الدين والدنيا ، وأهم ظاهر فى أخلاقه تجرده عن المطامع الدنيوية فقد تقلد مناصب القضاء زمناً طويلاً ولم تحص له زلة

(١) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين جـ ٣ .

واحدة ، وكانت أحكامه أمثلة للعدل والشرف)[٢] .

ولقد وصفه المرحوم عباس العقاد فقال : (إذا وجد بعد الشيخ محمد عبده من استحق لقب الأستاذ الإمام فهو الشيخ محمد مصطفى المراغى أحسن الله إليه فلقد كان من أعلام هذه المدرسة الحرة وكانت له شجاعة الرأى فيما يخالف الرأى الشائع والعرف المصطلح عليه ، وكان من ذوى الحزم والأصالة فى إدارة الجامع الأزهر يوم اشتجرت حوله منازع السياسة وتشعبت دسائس القصر الملكى ومراميه ، وكان صفا متقدما بين دعاة النهضة والتجديد)[٣] .

ميلاده ونشأته والتحاقه بالأزهر :

ولد رحمه الله فى (مدينة المراغة) من أعمال محافظة سوهاج فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٨ هـ الذى كان يوافق مارس سنة ١٨٨١م فى أسرة تتسم بالصلاح والتقوى ولما درج مدارج الصبا تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ثم انتقل إلى مدينة طهطا القريبة من بلدته فتزود من علمائها ومشايخها ببعض العلوم والمعارف الإسلامية ، ثم سافر إلى القاهرة للالتحاق بالأزهر الشريف كعبة العلم والدين فى عصره وفى كل العصور إلى ما شاء الله تعالى .

وفى رحاب الأزهر تلقى العلوم على كبار مشايخه وفى مقدمتهم الشيخ على الصالحى من شباب علماء الأزهر المحققين ، وتأثر بأسلوبه فى التوضيح والتبين كما تعرف بالأستاذ الإمام محمد عبده فأخذ عنه تفسير القرآن والتوحيد وعلوم الحكمة والتاريخ والاجتماع ، وتشبع بمبادئه الإصلاحية ومنهجه السلوكى ومواقفه الوطنية ودراساته العلمية[٤] .

تخرجه من الأزهر وتعيينه فى منصب القضاء بالسودان :

لما تقدم الشيخ المراغى للامتحان فى أوائل سنة ١٩٠٤م كان حينئذ أصغر طالب أزهرى نال شهادة العالمية وصار الأول على زملائه ، وكان الأستاذ الإمام محمد عبده من جملة ممتحنيه ولاعجابه به رشحه لمنصب القضاء فى (مديرية دنقلة) بالسودان ثم مدينة الخرطوم ولما ذهب ليودع الأستاذ الإمام قبل سفره للسودان قال له الشيخ محمد عبده : (أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضياً ، وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه إلى الحكم ، فإن الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجروح)[٥] .

اختلافه مع قاضى قضاة السودان ورجوعه لمصر ثم عودته قاضيا لقضاة السودان :

---

(٢) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية بقلم الأستاذ أحمد التاجى بتاريخ ١٤ رمضان سنة ١٤٠٧هـ ــ ١٢ مايو سنة ١٩٨٧م .

(٣) نقلا عن كتاب من منطلق إسلامى الجزء الأول تأليف الدكتور محمد رجب البيومى .

(٤) مجلة منبر الإسلام العدد التاريخى بمناسبة عيد الأزهر الألفى جمادى الأولى والآخرة سنة ١٤٠٣هـ ــ مارس سنة ١٩٨٣م .

(٥) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية ــ المرجع السابق وكتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية للدكتور محمد كامل الفقى جـ ٢ .

بقى الشيخ المراغى بالسودان فى منصب القضاء من سنة ١٩٠٤ حتى سنة ١٩٠٧م ثم اختلف مع قاضى القضاة هناك فى شأن اختيار المفتشين بالمساجد فاستقال من منصبه وعاد إلى مصر ليتولى بها بعض وظائف التفتيش بديوان الأوقاف والتدريس بالأزهر لكنه أعيد إلى السودان مرة أخرى فى سنة ١٩٠٨م فى منصب قاضى القضاة هناك وظل فى هذا المنصب نحو إحدى عشرة سنة حتى أواخر سنة ١٩١٩م وفى أثناء توليه هذا المنصب اشتعلت ثورة الشعب المصرى بزعامة سعد باشا زغلول ضد الاحتلال الإنجليزى .

وتحرك المصريون المقيمون بالسودان ليجمعوا التبرعات لأسر الشهداء فى مصر وتولى الشيخ المراغى رياسة هذا العمل الخيرى فانهالت عليه التبرعات(٦) .

اصطدامه مع رجال الحكم الانجليزى فى السودان بسبب اعتداده بشخصه ورأيه :

حين صار الشيخ المراغى قاضى القضاة فى السودان كان يصر على ألا يتقدمه الحاكم البريطانى (الانجليزى) فى موقف وحين شبت ثورة سنة ١٩١٩ أرسل وفوده لقضاة الشرع فى شتى الأقاليم ومعهم منشورات تثبت فظائع الانجليز .

فأراد الحاكم الانجليزى أن يمنع التبرع وأرسل المستر (دن) رئيس القضاء المدنى إلى الشيخ المراغى ليبلغه بذلك فرفض واحتد النقاش بين الرجلين وفجأة قال المستر (دن) للشيخ المراغى (أنا أكلمك كرئيس) .

فانتفض الشيخ المراغى ليصيح فى وجهه (من لمنت ؟ أنا رئيس مثلك كنت أفهم أنك تعرف واجبك ولاتتعدى حدود اللياقة ، فأنا قاضى القضاة ولارئيس لى هنا والحاكم العام للسودان معين بأمر من سلطان مصر والسودان ، وهو حاكم سياسى وأنا معين مثله من سلطان مصر والسودان فأنا مُمَثِّلُهُ الدينى والقضائى فلاإشراف لأحد منا على الآخر) .

وذهب مستر دن ليفضى إلى الحاكم العام للسودان الانجليزى بماقاله الشيخ المراغى فكتب إلى وزير الخارجية البريطانى فى لندن ليقول عنه : (إن الشيخ المراغى يعد من دهاة العالم) .

وعندئذ رأت بريطانيا أن تبعده عن السودان وقررت إعفاءه من منصبه حين وقف أمام ممثليها فى السودان ثابت الجأش قوى المراس فألـــغت عقده(٧) .

عودته إلى مصر للمرة الثانية ومحاولاته فى إصلاح المجتمع :

رجع الشيخ المراغى مهيباً كريماً إلى مصر ليتبوأ مركزه القضائى فى المحكمة العليا الشرعية عن جدارة وعزة نفس ، فوقف على مشكلات الأسر ومأزق الطلاق ومعضلات النفقة وأزمات الميراث وجعل بتصفح أقوال الفقهاء من جميع المذاهب ليختار منها مايريح الناس عن بصيرة موغلة فى أسرار التشريع وقضايا الأصول وموجبات القياس

(٦) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية ـ المرجع السابق وكتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية المرجع السابق .

(٧) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

والأخذ بالاستحسان وسد الذرائع ومراعاة المصالح المرسلة مما سجله الأصوليون دون تعنت فى التطبيق أو تنطع فى التعليل .

وعندما وقف أمام إصلاحاته بعض المعارضين جادلهم الشيخ المراغى بالتى هى أحسن فكتب فصولا فى ذم التقليد تعد من أبرع ما قيل فى موضوعها ، وأظهر أن قانون المحاكم الشرعية للأحوال الشخصية ـ الذى سبق له إعداد مشروعه كان رحمة للناس حين أخذت به الوزارة ، وألزمت القضاة أن يعملوا بمقتضاه .

ولئن خالفه مخالف فتلك طبيعة العلم فى كل زمان ومكان ، ومازالت الأئمة فى القديم والحديث تأتى بما يؤخذ منه ويرد دون أن يجحد لفاضل فضله ، وفى كتب الفقه الإسلامى من الآراء والمذاهب ما فيه شفاء للناس إذا أحسن التخير وصدقت النية وصحت العزيمة .

ثم ينهى الشيخ كلامه بقوله : (غير أنه لا يفوتنى ـ وقد كنت قاضيا من قبل ـ أنَّ إصلاح القانون إصلاح لنصف القضاء فحسب ، أما النصف الآخر فهو بين القاضى وبين نفسه ، لأن عليه أن يفهم الوقائع أولا كما هى بعد تلمس أدلتها ، ونقدها وبعد الموازنة بينها ، وعليه أن يبذل الجهد لئلا يطول الوقت فيفلت الحق من يد صاحبه ، وعليه أن يشعر الناس جميعاً بالاطمئنان إليه ، وأن يحملهم على الرضا بحكمه ، ولو كان عليهم ، بسيرته الظاهرة وبعده عن الشبهات)[8] .

نجاته من محاولة قتله لمنعه من الحكم فى إحدى قضايا الوقف :

حاول بعض الكبراء أن يغريه بعشرة آلاف من الجنيهات نظير أن يتنحى عن نظر قضية وقف له إذ أحس ذلك الشخص أن الشيخ المراغى لن يحكم بغير ما يعتقد أنه الحق .

فلمس الشيخ بوادر الاحتيال الدنىء فأصر إصراراً جازماً على أن يبت بنفسه فى الحكم فضاق ذلك الكبير ذرعاً بموقفه وسول له الشيطان أن يقتله فى طريقه إلى المحكمة كيلا ينطق بالحكم .

وفوجىء الشيخ بمن يلقى بماء النار عليه فتحرق رقبته ويولى الجانى هارباً ظانا أن موته محقق ولكن الشيخ تحمل النار الكاوية فى رقبته وذهب إلى المحكمة لينطق بما يعتقد أنه حكم الله ، ثم يتوجه إلى المستشفى كى يعالج إصابته وحين أقام الشيخ دعوى التعويض على الجانى كلف نقيب المحامين لمباشرة الدعوى إلا أن ذلك المحامى مات بعد المرافعة دون أن يترك لأسرته شيئاً ذا بال .

فرأى الشيخ أن يتنازل لورثة المحامى عن الآلاف التى حكمت له عن كرم وسماحة نفس[9] .

تعيينه شيخاً للأزهر ومحاولاته إصلاح التعليم به :

عين الشيخ المراغى شيخاً للأزهر فى مايو سنة ١٩٢٨ م حينما أحس كل من ملك البلاد يومئذ وزعماء الأحزاب فى مصر أنهم لا يستطيعون

---

(٨) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

(٩) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

تخطى رجل مثله بكل علمه وفضائله فاهتبل الشيخ الفرصة وجاهد جهاد الأبطال لإصلاح حال التعليم الأزهرى ليواكب متطلبات العصر .

ذلك أنه رأى الجامعة المصرية الحديثة مطمح الأنظار بكلياتها الناهضة ، وكانت الوظائف الراقية تحتضن المتخرجين منها احتضاناً بوصفهم أبناء المدارس العالية مناط الخطوة والرجاء .

وطالب الأزهر يقطع عمره الطويل فى دراسته ثم لا يعترف به أحد ، لقد حل غيره محله إذ فتحت مدرسة القضاء الشرعى لتخريج القضاة ، وهيئة دار العلوم لإعداد مدرسى اللغة العربية والدين ، وشرعت وزارة الأوقاف فى إعداد مدرسة مماثلة لتخريج الوعاظ والخطباء .

فماذا عسى يبقى بعد ذلك لمريدى وطلاب الأزهر .. ؟ ويمضى بهم العمر دون أن يشعر بهم أحد .

ورأى الشيخ المراغى أن المطالبة بحقوقهم لن تكون مقبولة منطقياً إلا إذا أعد نظام جامعى لإصلاح هذا التعليم ، وإلا إذا اتصل الأزهرى بثقافة عصره وألمَّ بحضارته المدنية وعلومه الحديثة وهيىء بسلاح مماثل لسلاح النظراء مما يقتضى إنشاء كليات أزهرية ثلاث :

تختص إحداها بالشريعة ، وثانيها بالعقيدة ، وثالثها باللغة ، وأنه لابد أن يكون الكتاب والطالب والأستاذ فى مستوى الإفادة المتحققة ، ثم لابد أن يتاح لمن يتخرجون فى هذه الكليات أن يأخذوا بنصيبهم من الحياة يعطون أمتهم من جهودهم المثمرة .

وبالفعل رسم الشيخ المراغى خطة الإصلاح واضحة النقاط وحدد الزمن وعين المنهج واختار المواد ، وأعد المشروع الضخم فى قالبه القانونى بعد أن مهد له خطيباً فى المحافل ومناقشاً فى الصحف السيارة[10] .

الملك فؤاد يعارض مشروع الإصلاح مما يضطر الشيخ المراغى للاستقالة :

لعبت الوشاية دوراً ناجحاً ضد الشيخ المراغى مما جعل الملك فؤاد يعتقد أن فى هذا التطوير للتعليم الأزهرى مايضعف قبضته على الأزهر فجمد المشروع المقترح مما اضطر الشيخ المراغى إلى الاستقالة سنة ١٩٢٩م ولما يمض على توليه مشيخة الأزهر سوى عام واحد[11] .

تعين الشيخ الأحمدى الظواهرى شيخاً للأزهر وسيره على خطة سلفه :

عندما عين الشيخ الأحمدى الظواهرى شيخاً للأزهر لم يغير شيئا من خطة الشيخ المراغى فى إنشاء الكليات الأزهرية الثلاث فتحول الجامع إلى جامعة ودب النشاط العلمى حافلا بين كلياته وكان الأساتذة فيها صفوة من الأزهريين ومن أساتذة الجامعة المصرية أمثال الأساتذة أمين الخولى وعلى الجارم وعبدالوهاب عزام[12] .

عودة الشيخ المراغى إلى مشيخة الأزهر مرة أخرى سنة ١٩٣٥م :

---

(١٠) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

(١١) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر .

(١٢) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

لم تكن للشيخ الأحمدى الظواهرى شعبيـة الشيخ المراغى ثم حدثت تصرفات أسىء فهمها وأثـارت الأزهـريين ضده فقـامت المظاهـرات والاضرابات من الطلاب فأقيل ، وأعيد الشيخ المراغى للمرة الثانية شيخاً للأزهر(١٣) .

دعوته ضد الإرساليات التنصيرية الأجنبية :

فى صيف سنة ١٩٣٣ تبنى الشيخ المراغى قضية الدعوة ضد الإرساليات الأجنبية لما ثبت مما نشرتـه الصحـف المصريـة جميعهـــا أن تلك الإرساليات قد قامت بمحاولات يائسة لتنصير عدد من المسلمين إغراء بالمال والمناصب . حتى دعت جريدة السياسة أمام هذه الوقائع المنكرة إلى إغلاق جميع الإرساليات فى مصر(١٤) .

النشاط الثقافى خلال توليه مشيخة الأزهر :

اتسم عهد المراغى خلال توليه مشيخة الأزهر بالنشاط الثقافى وتوغل شباب الأزهر فى شئون الحياة المختلفة ، وكانوا من قبل فى عزلة وانقباض وسعى لدى المسئولين بالحكومة للحصول على حقوقهم كما نال مدرس الأزهر مرتبات مجزية .

وفى عهده تم إيفاد جمهرة من نابغى الأزهر إلى أوروبا للدراسات الأدبية والفلسفية والعلمية .

ففى سنة ١٩٣٥ أُوفد إلى ألمانيا بعثٌ من الأزهريين تخليداً لذكرى الشيخ محمد عبده ، كان من بين أعضائه الدكتور محمد البهى والدكتور محمد عبد الله ماضى اللذان درسا الفلسفة والتاريخ الإسلامى .

وفى سنة ١٩٣٦ تم إيفاد الأستاذ عبد العزيز المراغى والدكتور محمود حسب الله لدراسة التاريخ والفلسفة فى انجلترا ، كما أرسل الدكتور على حسن عبد القادر لدراسة مقارنة الأديان فى ألمانيا .

ثم أرسل إلى فرنسا الأساتذة الدكتور محمد عبد الله دراز والشيخ عبد الرحمن تاج والدكتور محمد الفحام والأستاذ الدكتور عفيفى عبد الفتاح ثم انضم إليهم الدكتور عبد الحليم محمود . فدرسوا مقارنة الأديان وفى آخر ذلك العام أضيف إليهم الدكتور محمد يوسف موسى(١٥) .

أدب الشيخ المراغى وخطبه :

شب ـ رحمه الله ـ مفطوراً على حب الأدب مكثراً للاطلاع والتروى من آثاره ومما وفق إليه خطبه المنبرية يوم الجمعة إذ كانت موضع العجب والارعجاب حيث جعلت إمام المسلمين يقف والإعجاب حيث جعلت إمام المسلمين يقـف موقف رسول الله ـ ﷺ ـ والخلفاء من بعده على أعواد المنابر ليهتفوا بكلمة الله ـ داعيا إليه فى بيان ساحر(١٦) .

دروسه فى تفسير القرآن الكريم :

كانت دروسه فى تفسير القرآن مواسم عالمية خلال شهر رمضان وكانت الإذاعة المصرية تنقل هذه الدروس إلى شتى بلاد الإسلام ، وكان له

---

(١٣) الكتاب التذكارى للأزهر بمناسبة عيده الألفى ـ المرجع السابق .

(١٤) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

(١٥) كتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ـ المرجع السابق .

(١٦) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

من جودة الإلقاء وقوة الاختيار وسهولة العرض وصدق النظر وبراعة التفسير وجمال التعبير وعذوبة الصوت ما جعله مطمح العلماء وموضع احتذائهم ، إذ كانت أصوله كتاب الله وسنة رسول الله ـ ﷺ ـ ثم روائع الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ والإمام الحسن البصرى والإمام الأوزاعى وغيرهم من الأئمة الأعلام(١٧) .

موقف الشيخ المراغى من الانجليز عندما قامت الحرب العالمية الثانية :

حين قامت الحرب العالمية الثانية كان مركز انجلترا فى بدايتها ضعيفاً جرجاً إذ توالت انتصارات ألمانيا النازية على نحو يؤذن بانهزام انجلترا وحلفائها ، واضطرت انجلترا أن تذيع فى الناس أنها تحارب من أجل الإنسانية أمام دكتاتورية ألمانيا وطلب ممثل انجلترا فى مصر (لورد كيلرن) من الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى بوصفه شيخاً للأزهر أن يذيع على العالم الإسلامى بياناً يعلن فيه أن انجلترا تحارب فى سبيل الديمقراطية لترعى حقوق العدالة والأخوة والمساواة .

فتعاظم الشيخ المراغى أن يجرؤ السفير الانجليزى على طلبه فلم يشأ ان يغفل الطلبة كأن لم يكن ولكنه انتهز فرصة الاحتفال بموسم دينى فألقى أمام ملك البلاد وقتئذ خطبة رنانة توضح ما قاسته مصر والعالم الإسلامى من أهوال هذه الحرب المدمرة حين سقطت القنابل على الاسكندرية وبعض المدن المصرية فأحدثت من الضرر النفسى ما فاق الضرر المادى .

ثم هتف صريحا بأن مصر تكابد حرباً (لا ناقة لها فيها ولا جمل) وأن المتحاربين فى المعسكرين المتنابذين لا يمتان إليها بسبب .

وانتشرت خطبة شيخ الأزهر وقتئذ على الأثير فى شتى أنحاء العالم ففزع السفير الإنجليزى فزعاً شديداً ، واتصل تليفونياً فى منتصف الليل برئيس وزراء مصر حسين سرى باشا وقتئذ طالباً منه اقالة الشيخ المراغى ولما اتصل رئيس الوزراء المذكور . وكان ذلك تليفونياً قبل الفجر بالشيخ ليحتج عليه وينذره بأنه لابد ان يحيطه علماً بكل ما يقول قبل أن يخطب به ، رد الشيخ المراغى على رئيس الوزراء رداً عنيفاً وقال له : (أتريد أن أعرض عليك كلامى ؟ من أنت ؟ أنا استطيع أن أقيلك من منصبك بخطبة واحدة من فوق منبر الأزهر أو منبر الحسين ، قل هذا لمن هددك ، وانقل الحديث إلى السفير البريطانى) فآثر رئيس الوزراء السكوت(١٨) .

مواجهته لملك البلاد السابق وتمسكه بحكم الشرع أمامه :

كان الملك السابق فاروق إبان حكمه قد طلب من الشيخ المراغى أن يفتى بتحريم زواج الملكة فريدة بعد طلاقها منه فرد عل الملك بشجاعته المعهودة بقوله : (أما الطلاق فلا أرضاه ، وأما التحريم فلا أملكه)(١٩) .

مؤلفاته : من أهم مؤلفاته الأبحاث والكتب الآتية :

---

(١٧) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

(١٨) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

(١٩) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

١ ـ الأولياء والمحجورون ـ وهو بحث فقهى لا يزال مخطوطاً بمكتبة الأزهر يتناول فيه موضوع الحجر على السفهاء والذين يتولون أمورهم بعد الحجر ، وقد نال الشيخ المراغى بهذا البحث عضوية هيئة كبار العلماء .

٢ ـ تفسير جزء تبارك وهو أيضاً لا يزال مخطوطاً وقد قصد به أن يكون تكملة لتفسير جزء عم للأستاذ الإمام محمد عبده .

٣ ـ بحث فى وجوب ترجمة معانى القرآن الكريم .

٤ ـ رسالة بعنوان (الزمالة الإنسانية) كتبها لمؤتمر الأديان فى لندن .

٥ ـ بحوث فى التشريع الإسلامى ، وأسانيد قانون الزواج رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م .

٦ ـ مباحث لغوية بلاغية .

٧ ـ دروس دينية نشرت بمجلة الأزهر وقتئذ وتشتمل على تفسير لبعض سور القرآن الكريم ، وقد ألقى الشيخ المراغى هذه الدروس فى المساجد الكبرى فى القاهرة والاسكندرية وحضرها ملك البلاد فى ذلك الحين من عام ١٣٥٦هـ حتى عام ١٣٦٤هـ .

٨ ـ مجموعة من المقالات والخطب والأحاديث والكثير منها نشر فى مختلف الصحف العربية والإفرنجية ، كما نشرت نماذج منها فى نهاية كتاب الشيخ المراغى بقلم بعض الكتاب[٢٠] .

أسلوبه فى الكتابة :

بلغت كتابة الشيخ المراغى طبقة عالية من حسن الديباجة وجمال العبارة ، وإشراق المعنى وحسن السبك ولم يحاول أن ينهج نهج الساجعين المتكلفين ، وكثيراً ما كان يتمثل بالشعر العربى الرصين فى مواطن من كتاباته .

وإذا تناول بحثاً علمياً لم يبعد به عن روعة البيان وصفاء العبارة[٢١] .

مرض الشيخ المراغى ووفاته :

لما شعر الشيخ المراغى بأعراض المرض وكان فى مشيخة الأزهر دخل (مستشفى المواساة) بمدينة الاسكندرية وذلك فى أوائل شهر رمضان سنة ١٣٦٤هـ للعلاج وكان يقضى معظم وقته فى (تفسير سورة القدر) وما جاء فى شأن ليلة القدر من الآيات والأحاديث النبوية ليلقى درساً بشأنها فى ليلة السابع والعشرين من رمضان ولكن الله اختاره إلى جواره فى الرابع عشر من رمضان سنة ١٣٦٤هـ الموافق الثانى والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٥م .

رحم الله الشيخ محمد مصطفى المراغى فلقد كانت حياته تتسم بالعزة والكرامة والوقار والاحترام حتى ليرغم على إجلاله واحترامه عظماء الناس وكبراءهم فيهابونه لشخصه ثم لمنصبه .

كما أنه أعز شرف العلم والدين وصان كرامة العلماء فدان بإجلاله وتوقيره الناس جميعا فوق ما كانوا يدينون .

---

(٢٠) مقال من أعلام الفكر الإسلامى المعاصر الإمام محمد مصطفى المراغى للدكتور محمود حمدى زقزوق نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٢/٣/٦م .

(٢١) كتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ـ المرجع السابق .

من أعلام الأزهر

فضيلة الشيخ

محمد حسام الدين بدر الدين

وكيل الأزهر - رحمه الله

١٩٢٥/١١/٢٢ - ١٩٩٣/٩/٢٥

د/ عبدالحكيم عبدالرءوف عبدالرازق

ولد - رحمه الله - بـ (بلقاس) إحدى مدن محافظة الدقهلية من أسرة (شاهين) وهو ابن الشيخ عبدالحميد حسام الدين شاهين عميد الأسرة - رحمه الله - وكان والده ميسور الحال جداً بتلك البلدة « بلقاس » .

قرر والده الشيخ عبدالحميد حسام الدين أن يحفظ ابنه القرآن ويذهب إلى الأزهر الشريف - فلما بلغ الخامسة أدخله « كُتّاب الشيخ قصبى » ببلقاس فتلمذ على يدى الشيخ قصبى والشيخ أبى الفتوح الشرقاوى ، فحفظ القرآن الكريم ، ونجح فى مسابقة لحفظه فى مايو سنة ١٩٣٧ ، وسنه يومئذ اثنتا عشرة سنة فقط .

وفى سبتمبر سنة ١٩٣٧ انتقل إلى مدينة دمياط والتحق بمعهدها الدينى ، وبدأ دراسة المرحلة الابتدائية هناك بعيداً عن عائلته ، وتفوق فى هذه الدراسة وفى تجويد القرآن الكريم - وتخرج من معهد دمياط الدينى فى شهر مايو سنة ١٩٤٢ .

وفى سبتمبر سنة ١٩٤٢ انتقل إلى مدينة طنطا والتحق بمعهدها الدينى وبدأ دراسة المرحلة الثانوية مستمسكا مع ذلك بحفظ القرآن وتجويده ،

وتخرج من معهد طنطا فى مايو سنة ١٩٤٧ .
وفى سبتمبر سنة ١٩٤٧ ارتحل إلى القاهرة ليدرس بكلية أصول الدين ، واستمر بها حتى حصل فى يونيو سنة ١٩٥١ على شهادة « العالية من كلية أصول الدين » وكان ترتيبه الرابع على الدفعة التى ضمت ٧٢ من المبصرين .
واستمر فى دراسته بكلية أصول الدين عام ١٩٥١ / ١٩٥٢ فحصل فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٢ على « شهــادة العالميــة مع اجــازة التدريس » .

عمله : عمل سيادته مدرساً بالأزهر فور تخرجه وحصوله على المؤهلات السابقة فى المعهد الأزهرى الدينى بالمنصورة حتى مايو سنة ١٩٦٤ .

وفى هذه الفترة التحق سيادته بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية فى سبتمبر ١٩٥٤ ، وتخرج منها فى مايو ١٩٥٨ بدرجة « الليسانس فى الآداب » ثم التحق فى سبتمبر سنة ١٩٥٨ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة لدراسة اللغة الإنجليزية واستمر بها حتى شهر مايو سنة ١٩٦٤ حيث أجاد اللغة الإنجليزية ، وأجاد الترجمة منها وإليها .
انتقل سيادته للعمل عضواً فنياً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى يونيو سنة ١٩٦٤ واستمر فى العمل بالمجمع باحثاً حتى فبراير سنة ١٩٦٧ .

فى نهاية فبراير سنة ١٩٦٧ أوفد فضيلته للعمل مدرساً فى معهد الدراسات الإسلامية واللغات الشرقية بجامعة (باهيا) فى البرازيل فى مدينة (سلفادور) التى تطل على المحيط الأطلسى والساحل الشرقى للبرازيل ورأس قسم الدراسات العربية والإسلامية فى هذه الجامعة لمدة عام .

فى فبراير سنة ١٩٦٨ انتقل سيادته إلى ولاية (برنا **Parana**) حيث أقام فى (مدينة كورتيبا) جنوب مدينة (سانت باولو) بجنوب البرازيل حيث رأس الجمعية الإسلامية بكورتيبا ، وقام بالدعوة الإسلامية هناك وأسس مدرسة إسلامية وأقام مسجداً وتعهد الدعوة الإسلامية بكل الولاية واستمر بها حتى إبريل سنة ١٩٧٢ حيث عاد إلى مصر واستمر فى عمله باحثا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى رواق السنة النبوية .
فى سبتمبر سنة ١٩٧٣ أعير إلى نيجيريا للعمل مدرسا بجامعة (زاريا) بمدينة (سوكوتو) فقام هناك بتنظيم أعمال الدعوة الإسلامية بالاشتراك مع قاضى قضاة سوكوتو (الشيخ أحمد لمو) واشترك معه فى التخطيط لإنشاء معهد الدعوة وتخريج الدعاة فى مدينة (بيدا) وعمل كذلك مع قاضى قضاة شمال نيجيريا الشيخ (أبو بكر جمى) ثم عاد إلى مصر ثانية فى مايو سنة ١٩٧٤ .
ثم عمل مديراً للمكتب الفنى لشيخ الأزهر الشريف حتى شهر أكتوبر سنة ١٩٧٥ .
وفى نوفمبر سنة ١٩٧٥ أعير فضيلته مدرساً بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض واستمر بها حتى اغسطس سنة ١٩٧٧ وكان يقوم بتدريس الفقه ويشرف على الدراسات العليا .

ثم عاد فضيلته إلى الأزهر الشريف وعين مديراً للمكتب الفنى لفضيلة الإمام الأكبر وصار مراقبا عاما للبحوث بمكتب شيخ الأزهر سنة ١٩٧٧ ، ثم عين مديراً عاماً لشئون البحوث الفنية سنة ١٩٨١ وفى عام ١٩٨٣ صار أميناً عاماً مساعداً لمجمع البحوث الإسلامية لشئون الثقافة .

تم عين رئيساً لمكتب شيخ الأزهر سنة ١٩٨٦ ولمكتبه الفنى كذلك .

وصار وكيلا للأزهر الشريف وأمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية بالانتداب فى شهر إبريل سنة ١٩٨٩ كما عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٩٠ .

لقد بلغ سيادته الخامسة والستين فى ١٩٩٠/١١/٢١ فأحيل إلى التقاعد مع استمرار فضيلته فى العمل عضواً بمجمع البحوث الإسلامية وشيخاً لرواق السنة (لجنة السنة والمتشابهه الفرعية) .

اختير سيادته عضواً بهيئة الرئاسة ورئيس لجنة التعليم والدعوة بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة واستمر به حتى وفاته .

مثل فضيلته الأزهر الشريف فى عديد من المؤتمرات العالمية الخاصة بالشئون الإسلامية (دعوة – اقتصاد – سنة – فقه) فى كل من الدول الآتية :

البرازيل – أسبانيا – الولايات المتحدة الأمريكية – كندا – الهند – الباكستان – أندونيسيا – كوريا – ماليزيا – الأردن – نيجيريا – تركيا – انجلترا – ايرلندا – قطر – المملكة العربية السعودية .

وافته المنية فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٩٣ حيث انتقل إلى رحمة الله تعالى

تتلمذ عليه راجا محمد – وارث الدين محمد (امريكا) الامام يحيى فى جنوب (دالاس) وكثير من الدعاة فى نيجيريا وكوريا الجنوبية والبرازيل .

ترك كثيراً من البحوث التى تدور حول :

١ – منهج لفهرس السنة النبوية .
٢ – صورة الإسلام فى الدراسات الغربية .
٣ – الوحدة والثبات فى الفقه الإسلامى .
٤ – الشريعة الإسلامية ونظرات الغربيين اليها .
٥ – الأقلية الإسلامية فى البرازيل .
٦ – المختار من الشمائل المحمدية .
٧ – حرمة الحياة الإنسانية .
٨ – مشكلات الشيخوخة وقتل المرحمة .
٩ – الشيعة : فرقها المعاصرة وعقائدها .
١٠ – الحافظ المحدث : الربيع بن حبيب ومكانته الفقهية .
١١ – زراعة الأعضاء وتعريف الوفاة .

أنعم على سيادته بنوط الامتياز من الدرجة الأولى فى فبراير سنة ١٩٩١ .

له عديد من المقالات العلمية فى مجالات الفقه والحديث وسلسلة مقالات فى الفقه الاباضى نشرت فى مجلة الأزهر .

كما زود الاذاعة الموجهة لأفريقيا بالعديد من الكلمات الطيبة فى السنة النبوية .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« قيل فى تفسير آية »

قال ابن عباس ، وجعفر بن محمد والحسن البصرى فى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ إنما كان الكنز لوحاً من ذهب مكتوب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن .

وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب .

وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح .

وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل .

وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها .

لا إله إلا الله محمد رسول الله .

« حقـــاً »

ولا شىء يدوم فكن حديثاً
جميل الذكر فالدنيا حديـــث

« هشام .. وأعرابى »

دخل أعرابى على هشام بن عبدالملك ، فقال له هشام : عظنى .

فقال : كفى بالقرآن واعظاً !!

أعوذ بالله السميع العلم من الشيطان الرجيم :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

سورة المطففين

ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا جزاء من يطفف الكيل والميزان ، فما ظنك بمن يأخذه كله .

« عجبت »

قال يحيى بن معاذ : عجبت من ثلاث :

رجل يريد تناول رزقه بتدبيره ، وهو يرى تناقض تدبيره .

ورجل شغله هم غده .
وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط .

« مجامع الهوى .. وأعيانها »

مجامع الهوى خمسة أمور ، وهى ما جمعه الله ـ تعالى ـ فى قوله :
﴿ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ .
(سـورة الحـديد)

والأعيان التى تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله ـ تعالى ـ :
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤) ﴾ .
(سـورة آل عمران)

وكل ما هو لله ، فليس من الدنيا .

« وصيته »

أوصى عبدالله بن جعفر ابنته وهى تزف فقال : يا بنية إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك والمعاقبة فإنها تورث البغضاء ، وعليك بالزينة والتطيب ، واعلمى أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء .

« الإخوان ثلاثة »

قال حكيم : الإخوان ثلاثة :
أخ يخلص لك وده ، ويبلغ فى فهمك جهده .
وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته ، دون رِفْدِه ومعونته .
وأخ يجاملك بلسانه ، ويتشاغل عنك بشانِه ، ويوسعك من كذبه وأيْمانِه .

« ما يعز به السلطان »

قال ملك فارس لأحد حاشيته : ما شىء واحد يعز به السلطان ؟ قال : الطاعة .
قال : فما ملاك الطاعة ؟.
قال : التودد إلى الخاصة ، والعدل على العامة .
قال : صدقت ؛ الأمانة معقل الطاعة . والطاعة زينة الملك .

« ماذا كنت تصنع ؟! »

قال رجل لسهل بن عبدالله : إن اللص دخل دارى وأخذ متاعى .
فقال له : اشكر الله ـ تعالى ـ لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان ، فأخذ التوحيد ماذا كنت تصنع ؟

« كتاب الله قبل كتاب الخليفة »

دخل أبو النصر سالم مولى عمر بن عبيدالله على عامل للخليفة ، فقال له : يا أبا النصر إنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ، ولا نجد بدا من نفاذها فما ترى ؟ قال : قد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فأيهما اتبعت كنت من أهله .

« دعـاء »

اللهم أعنا على الموت وكربته ، والقبر وظلمته والصراط وزلته ، ويوم القيامة وروعته .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

لمن يكون تنفيذ الحدود ؟

لصاحب الفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

شرع الله الحدود زجراً عن ارتكاب الجرائم فيأمن المجتمع ، وصونا للدماء أن تذهب هدراً ، ووضع لهذه الحدود ضوابط حكماً ومقداراً ومماثلة ، على أن يكون ذلك بواسطة الإمام الذى يرعى مصالح الأمة ، أو من يعاونه ؛ لأنه من المحال قانوناً وشرعاً أن يترك هذا الأمر فى أيدى الأفراد ليقوموا به ، فينقلب الحال إلى فوضى يصعب التحكم فيها ، والسيطرة عليها فتكون الطامة الكبرى .

ولعل فى هذا الموضوع ما يلقى الضوء على هذا الأمر الحيوى الذى يمس كيان الأمة بالدرجة الأولى ، ويبين حكم الشرع فيه .

قال الأستاذ رحمه الله :

لمن يكون اختصاص التنفيذ ؟

يحسن أن نلاحظ أولًا أن الأمة المنظمة لابد لها من راع يرعاها ، ويقوم على شئونها ، ويفصل فى أمورها .. ويعينه على ذلك أهل الحل والعقد ، وأرباب المشورة والرأى ، وأصحاب القدرة على المساعدة والمعونة ؛ وأن هذه الأمة تتكون من أفراد تتعدد مصالحهم وتختلف مشاربهم ومطالبهم ، وتكثر خصوماتهم على أمور الحياة ، وقد تتضارب آراؤهم فى هذه الأمور تبعاً لمؤثرات متعددة ؛ ولا يمكن للإنسان أن يكون خصماً وحكماً فى الوقت الواحد ..

ولذلك رأى الإسلام أن يكون للمسلمين إمام يعاونه من يعاونه ، وهذا الإمام بأعوانه يرعى مصالح العباد ، ويقوم على شئونهم ، ويفصل فى خصوماتهم ، وينفذ الحدود بينهم ، متقيداً فى ذلك بالكتاب والسنة ، ولذلك قال القرآن الكريم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1]

ولو أن الإسلام ترك كل فرد يأخذ ما يراه حقا له ــ وخاصة فى الدماء ــ لكانت هناك الطامة الكبرى ، ولعادت جاهلية الأمم بفجورها وشرورها ، وطغيانها وبهتانها ؛ لان الطرف فى الخصومة لا يستبين الرشد فى خطواته وتصرفاته لو جعل نفسه حاكماً ؛ ولذلك اشترط الإسلام أن يفصل فى الخصومات من لاهوى له فيها ، واشترط للقاضى صفات وأخلاقاً تجعله بمنأى من الريب والشكوك ، وبمعزل عن التهم والظنون ؛ فكيف يمكن بعد كل ذلك الاحتياط أن يكون الفرد الخصم حكماً بينه وبين خصمه ؟!

ومن هنا روى أن ابن عمر قال : « الزكاة والحدود والفيء والجمعة إلى السلطان »[2] ؛ وأن ابن محيريز قال : « الحد والفيء والزكاة والجمعة إلى السلطان » .

وجاء فى مجمع البيان للطبرسى : « ... وأما من يتولى القصاص فهو إمام المسلمين ومن يجرى مجراه ، فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولى ، لأنه حق الآدمى ، ويجب على القاتل تسليم النفس .. »[3].

وجاء فى حاشية الصاوى على تفسير الجلالين : « فحيث ثبت القتل عمداً عدواناً وجب على الحاكم الشرعى أن يمكن ولى المقتول من القاتل ، فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولى من القتل أو العفو أو الدية ، ولا يجوز للولى التسلط على القاتل من غير إذن الحاكم لأن فيه فساداً وتخريباً »[4].

وفى كتاب (المغنى) لابن قدامة : « قال القاضى : ولا يجوز استيفاء القصاص إلا بحضرة

(١) سورة النساء : اية ٥٩ .

(٢) انظر المحلى لابن حزم ج ١١ ص ١٦٥ ، وفى الموضوع خلاف بين الفقهاء .

(٣) مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ج ١ ص ٢٦٥

(٤) حاشية الصاوى على الجلالين ج ٢ ص ٢٩٥ .

السلطان ، وحكاه عن أبى بكر ، وهو مذهب الشافعى ، لأنه أمر يفتقر إلى الاجتهاد ، ويحرم الحيف فيه ، فلا يؤمن الحيف مع قصد التشفى ، فإن استوفاه من غير حضرة السلطان وقع الموقع ، ويعزر لافتياته بفعل ما منع فعله »(٥).

ثم أشار الإمام ابن قدامة إلى من خالف فى ذلك ، وأورد لهم اعتراضاً يومى بجواز الاستيفاء من الفرد بغير حضرة السلطان ، وعمدته أن رجلًا جاء يقود رجلًا إلى النبى ـ ﷺ ـ وقال له : إن هذا قتل أخى ، واعترف القاتل بذلك ؛ فقال له النبى ـ ﷺ ـ اذهب فاقتله .

والظاهر من هذا الحديث أنه لا يصلح للاستشهاد على ما ذهبوا إليه ، لأن السلطان هنا ـ وهو النبى عليه الصلاة والسلام ـ قد علم بالجريمة بعد أن رفعت إليه ، واعترف الجانى ، وحكم الرسول بالقصاص ، ووكل ولى الدم فى القيام بهذا القصاص ، فليس هنا إذن دليل على قيام ولى الدم من نفسه بالقصاص دون علم الحاكم أو إذنه .

وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر أن القانون الوضعى اليوم ، يعاقب ولى الدم إذا أقدم على قتل القاتل قبل الحكم عليه ، ويعتبره القانون قاتلًا ، وإن تكن هناك فسحة للقاضى كى يخفف الحكم ، وهذا لا يخالف روح الشريعة الإسلامية عند كثير من الفقهاء ، وخصوصاً إذا رأى الإمام تركيز الاختصاص فى القصاص بيد الدولة ، وقد يؤيد هذا ما رواه ابن حزم فى المحلى وهو :

« إن فى كتاب لعمر بن الخطاب : « والسلطان ولى من حارب الدين ، وإن قتل أباه أو أخاه ، فليس إلى طالب الدم من أمر من حارب الدين وسعى فى الأرض فساداً شىء» . وقال ابن جريج : وقال لى سليمان بن موسى مثل هذا سواء سواء حرفاً حرفاً ، وبه ـ أى بالسند المذكور قبل ذلك ـ إلى عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى قال : عقوبة المحارب إلى السلطان ، لا تجوز عقوبة ولى الدم ، ذلك إلى الإمام ، قال : وهو قول أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وأبى سليمان وأصحابهم »(٦).

أمور يجب اعتبارها :

ثم إن هناك أموراً يجب اعتبارها وملاحظتها فى هذا المقام ، ومنها نستبين كيف يكون القصاص ، ولمن يكون ، وكيف يخطىء خطأً فاحشاً من يعميه حب الثأر عن وجه الحق فيتعجل بالقصاص دون بصيرة أو تبصر .

من هذه الأمور نعلم أن ولى الدم يكون ـ غالباً ـ أكثر من واحد ، لأن أصحاب الحق فى ذلك هم عصبة المقتول الذين يعتزون بحياته ، ويذلون بدونه ، ويحرمون من بره ومعونته ، أو بتعبير آخر : هم ورثة القتيل ؛ وهم شركاء فى حق القصاص ، فكيف يجيز أحدهم لنفسه الإنفراد بهذا الحق ، فيقدم على أخذ ثأره بيده ، فيجرم فى حق الله وحق العباد ؟!...

ومن هذه الأمور مسألة العفو من بعض المستحقين للثأر عن القاتل ، فقد ذكر الشعرانى

---

(٥) المغنى لابن قدامة ج ٩ ص ٣٩٣ .

(٦) المحلى لابن حزم ج ١١ ص ٣١٢ .

فى كتابه (الميزان) أنه قد اتفق الفقهاء على أنه إذا عفا رجل من أولياء الدم سقط القصاص ، وانتقل الأمر إلى الدية ، واتفقوا على أنه إذا كان المستحقون صغاراً أو غائبين كان القصاص مؤخراً ، خلافاً لأبى حنيفة ، فإنه قال : إذا كان للصغار أب استوفى القصاص ولم يؤخر(٧).

وقال الإمام ابن حزم فى المحلى : «العفو جائز لكل أحد ممن يرث ، وللزوجة والزوج وغيرهما ، فإن عفا أحد ممن ذكرنا فقد حرم القصاص ، ووجبت الدية لمن لم يعف»(٨).

فكيف يجوز مع هذا لفرد من أولياء الدم أن يستجيب للشيطان فيقتل القاتل أو أكثر منه ، وقد يكون غيره مريداً للعفو ، أو مريداً للدية ، وقد يكون من هؤلاء الأولياء غائب وصغير ، ولو حضر أو بلغ لعفا أو لطلب الدية ولم يطلب القصاص ؟!

لقد قال الإمام ابن قدامة فى المغنى هذه العبارة الصريحة : «إذا كان للمقتول أولياء يستحقون القصاص فمن شرط وجوبه اجتماعهم على طلبه ، ولو عفا واحد منهم سقط كله ، وإن كان بعضهم غائباً أو غير مكلف لم يكن لشركائه القصاص حتى يقدم الغائب ويختار القصاص أو يوكل ، ويبلغ الصبى ، ويفيق المجنون ، ويختاره»(٩).

فهلا تبصر ذلك المقدم على الثأر بلا روية أو تفكير ؟!

ومن هذه الأمور مسألة الآلة التى ينفذ بها القصاص ، فقال أبو حنيفة ـ كما نقل الشعرانى ـ إنه لا يستوفى القصاص إلا بالسيف ، سواء قتل به أم بغيره ، وقال الشافعى ومالك : إنه يقتل بمثل ما قتل به(١٠).

وكذلك تعرض ابن قدامة فى المغنى لوصف تنفيذ القصاص ، فذكر أنه يستحب عند الفقهاء إحضار الشهود حين القصاص ، وعلى الحاكم أن يتفقد آلة القتل التى سيستعملها ولى الدم ، حتى لا يكون بها عيب أو آفة(١١).

فهل يتصور من الأرعن الثائر الذى يريد الانتقام دون تبصر أو احتكام إلى المعدلة ، وأن يعطى هذه الناحية حقها ، أو يعدل فى الحكم عليها ، أو أن الغضب المجنون سيدعوه إلى أخذ ثأره كيفما اتفق ، وبأقسى ما يهيىء له شيطانه وهواه ؟

وهلا كان من الواجب حينئذ أن يرجع صاحب الدم إلى الإمام الشرعى ليحدد آلة القتل التى استعملت ، وليعين وسيلة القصاص التى تستخدم ؟

ولعله من المناسب هنا ـ وقد أشير إلى قيام صاحب الدم بالقصاص ـ أن نذكر أن القانون الوضعى لم ينص على تفويض الفرد طالب الثأر فى تنفيذ القصاص بنفسه ، بل لعل روحه وسوابقه

---

(٧) كتاب الميزان ج ٢ ص ١٢٠ باختصار .

(٨) المحلى ج ١٠ ص ٤٧٧ ، ومن الإنصاف للبحث العلمى أن نقول أن ابن حزم قال عقيب ذلك : «وقال آخرون : العفو للرجال خاصة دون النساء .. وقالت طائفة : من أراد القصاص فذلك له ، ولا يلتفت إلى من أراد الدية أو العفو ، ما لم يتفقوا على ذلك» ولكن ابن حزم عاد فرجح الرأى الأول ، وهو سقوط القصاص بعفو واحد منهم أيا كان .

(٩) المغنى لابن قدامة جـ ٩ ص ٣٣٤ .

(١٠) الميزان جـ ٢ ص ١٢٠ باختصار .

(١١) المغنى جـ ٩ ص ٣٩٣ .

تمنع ذلك ؛ ولكن الشريعة الإسلامية تجيز لصاحب الدم أن يقوم بنفسه بتنفيذ القصاص بعد ثبوته ، وبعد إذن الحاكم به ، مع إشراف الحاكم على ذلك التنفيذ ؛ وتقول الشريعة : إن ولى الدم يجوز له أن يوكل من يقوم له بالقصاص ؛ وإن كان ولى الدم أكثر من واحد وكلوا أحدهم أو غيرهم ، وإن تنازعوا فيما بينهم أجريت القرعة عليهم ، ومن وقعت عليه القرعة قام بالتنفيذ .

وقد لا يصعب التوفيق بين الشريعة الغراء والقانون الوضعى فى هذه الناحية إذا تذكرنا أن الإمام الشرعى يجوز له فى الإسلام أن يخصص الجائزة لمصلحة عامة أو ضرورة بينة ، فإذا اقتضت المصلحة العامة الظاهرة أن يجعل تنفيذ القصاص فى يد خاصة قادرة محسنة جاز للإمام أن يحمل الناس على ذلك .

ومن هذه الأمور عملية القتل ، فقد قال الرسول صلوات الله عليه : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة » ونحن لا نضمن أن يقوم الفرد الموتور بعملية القتل فى عدوه ويحسنها ، دون أن يسرف أو يتعسف أو يزيد ، ولعلنا نتذكر هنا ما تردى فيه الكثيرون أخيراً من مهاوى الإجرام الشنيع ، إذ تراهم يذبحون الناس ذبح الشياه ، ويقطعونهم إرباً إرباً ، وقد يسلخون الوجوه ، ويشوهون الملامح ، ويمثلون بالجثة أفظع تمثيل ؛ وذلك لأنهم يريدون إطفاء نار الثأر الأثيم ، وربما أخذوا بالظنة والشبهة ، أو أخذوا البرىء بذنب المجرم ، أو تعدوا حدود القسطاس فأخذوا مع المجرم غيره ممن لا ناقة لهم فى الجريمة ولا جمل .

ومن هذه الامور الحالة التى يجب فيها القصاص شرعاً وتمييزها من الحالات التى لا يجب فيها ، فقد أجمع العلماء على أن القصاص لا يجب إلا فى حالة القتل العمد ، دون القتل شبه العمد ، أو القتل الخطأ ؛ ويشترط كذلك للقصاص أن يكون الجانى المقتص منه مكلفاً ، فلا يقتص من الصبى والمجنون وكل من زال عقله ، لقول الرسول صلوات الله عليه : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبى حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » . وأن يكون المجنى عليه مكافئاً للجانى عند طائفة من الفقهاء (كالحر بالحر ، والعبد بالعبد) ؛ وأن يكون المقتول معصوم الدم ، فلا قصاص فى قتل الكافر والحربى ، وأن لا يكون القاتل أباً للمقتول ، فلا يقتل الوالد بولده وإن سفل ، والأب والأم فى ذلك سواء ؛ إلى غير ذلك من الشروط ، كأن يكون القاتل مختاراً ، وأن تقوم عليه البينة بالشهود أو الاعتراف .. إلخ .

فهل ينتظر من الفرد ولى الدم ــ وقد يكون أمياً أو جاهلًا أو ظلوماً غاشماً ــ أن يلاحظ هذه الشروط ، وأن يرعاها حق رعايتها ، إذا ما تركنا له الحبل على الغارب ، فذهب يرضى شهوة الانتقام بإسالة الدماء ؟!

العلوم الكونية

العلوم الكونية بين الأصالة والمعاصرة

بقلم د. أحمد فؤاد باشا

تشهد الفترة الحالية من عصرنا اهتماماً فائقاً بتاريخ العلوم الكونية وتقنياتها ، خاصة فيما يتعلق بقضية التأصيل لنشأة العلم وأولية المنهج العلمى . ولا يزال الجدل دائراً بين الباحثين حول الاجابة عن أسئلة أين ومتى وكيف نشأ العلم وتكونت « بذرة » المنهج العلمى فى فكر الإنسان ؟! فهناك من يرى أن العلم لا يمكن إلا أن يكون غربياً ، وأن الجنس الآرى هو وحده من بين أجناس البشر المؤهل لحمل رسالة العلم والتقدم العلمى ، وأن عبقرية الاغريق هى صاحبة الفضل الأول فى ابتداع العلم والتفكير العلمى . وأنصار هذا الرأى هم الأعلى صوتاً والأكثر جلبة ، وإن كانوا أضعف حجّة وأقل إقناعاً . وهناك من يرى أن فجر العلم ومنهجية التفكير العلمى قد بزغا فى بلاد الشرق القديم ، وأن التقدم العلمى عبر العصور ليس احتكاراً لجنس دون جنس ، أو موطن دون موطن ، فكل أمة من الأمم لها دورها فى صنع تاريخ العلوم على مر الأجيال ، وكل الحضارات قد تفاعلت وشاركت فى زرع شجرة العلم التى تجنى البشرية ثمارها اليوم . وأصحاب هذا الرأى هم الأخفض صوتاً ، وإن كانوا هم الأقوى حجة والأكثر اقناعاً : لأنهم يقدمون الأدلة على صواب رأيهم من واقع الوثائق التراثية المحققة ووفق منهج تحليلى مقارن يهدف إلى وضع الحقائق فى نصابها المقبول عقلياً والممكن تاريخياً ومنطقياً .

---

* الكاتب : أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

وإذا ما انطلقنا من هذه المقدمة إلى محاولة رصد واستعراض الأدبيات المعاصرة التى تعرض لقضايا العلوم الكونية وتقنياتها فإننا نلاحظ ظهور فكر جديد للدراسات التراثية يجعل من دراسة الماضى أساساً لتحليل الحاضر واستشراف آفاق المستقبل . وهنا تبرز أهمية الدراسات التراثية عموماً باعتبارها مقدمة ضرورية لأى دراسات مستقبلية ، وندعو ــ من جانبنا ــ فى هذا المقال إلى أن يحظى التأصيل الإسلامى للعلوم الكونية بمكانة لائقة فى إطار الاهتمام العالمى بقضايا التراث العلمى .

مظاهر الاهتمام العالمى بقضايا التراث العلمى :

إن الدراسة المنهجية للعلم الإسلامى والقراءة المعاصرة لنصوصه التراثية تكتسبان أهمية خاصة إذا ما أجريتا فى ضوء المفاهيم والنظريات الحديثة المنبثقة عن مختلف النشاطات الدولية المعنية بقضايا التراث العلمى عموماً ، وذلك بالرغم من صعوبة التعامل معه مقارنة بجوانب التراث الأخرى من فنون وآداب وغيرها . فالأعمال الموسيقية ، على سبيل المثال ، يمكن أن تخلّدها مدارس الموسيقى ودور الأوبرا ، وبوسعنا الاستمتاع بها فى بيوتنا وقتما نشاء عن طريق التسجيلات المرئية والمسموعة . وتاريخ الفنون يمكننا التعرف عليه بالاتصال المباشر عن طريق زيارة المتاحف المتنوعة ومشاهدة الآثار المختلفة من مساجد وكنائس وقصور وقلاع ولوحات وغيرها . كما تقوم المكتبات ومحلات بيع الكتب بتوفير الأعمال الأدبية لمختلف المراحل التاريخية . لكن الأمر بالنسبة للتراث العلمى مختلف تماماً . إذ يصعب الوصول إلى الاكتشافات العلمية الهامة والتقاطها من ثنايا السطور فى المخطوطات التى كتبها العلماء بأيديهم ، أو أعاد نسخها من جاء بعدهم . وإن ما يُعدُّ استثناءً فى الأدب مثلا ، وهو اكتشاف نص هام مجهول ، هو القاعدة فى حالة العلم ، حيث إن النزر اليسير من الأعمال العلمية المتميزة هو فقط ما أمكن العثور عليه . ثم ان النصوص العلمية ــ حتى إن وُجدت ــ تشكل صعوبة بالغة عند قراءتها ومحاولة فهمها لتحقيقها .

وعلى أية حال ، لم تُحل مثل هذه الصعوبات دون بذل أقصى الجهود لتجميع أكبر قدر ممكن من الأعمال التراثية العلمية . وقد أخذ الاهتمام العالمى بقضايا التراث العلمى فى الازدياد بصورة ملاحظة خلال العقود الأربعة الأخيرة ، خاصة بعد أن أظهرت الدراسات المتعلقة بتاريخ العلم وفلسفته أن الباحث الجيد هو الذى يكون على دراية تامة بأحدث ما توصل إليه زملاؤه فى مجال تخصصه . وأن يكون فى الوقت نفسه ملمًّا إلماماً كافياً بأصول المفاهيم العلمية المتصلة بموضوع بحثه ، وذلك من خلال متابعته الدقيقة لطبيعة نموها عبر مراحل تطورها . وهذا يعنى أن الجمع بين الأصالة والمعاصرة فى العلوم الكونية يعتبر من أهم سمات الباحث الجيد الذى يكون بلاشك أقدر من غيره على ممارسة البحث العلمى برؤية أعم ومنهج أصوب وذوق أرق .

ويمكن حصر أهم مظاهر الاهتمام العالمى بقضايا التراث العلمى فى النشاطات الآتية :

١ ــ إنشاء أقسام ومعاهد ومؤسسات علمية أكاديمية فى الكثير من جامعات العالم لرعاية تاريخ العلوم وتقنياتها .

٢ ــ إصدار أكثر من مائة مجلة دورية متخصصة فى تاريخ العلوم ككل ، أو فى موضوع

محدد من موضوعاته ، أو فى مرحلة زمنية معينة من مراحله .

٣ ـ عقد المؤتمرات الدولية بصورة دورية تقريباً كل ثلاث أو أربع سنوات ، منذ عام ١٩٢٩ م . وقد بلغت حتى الآن تسعة عشر مؤتمراً ، عقد آخرها هذا العام (سبتمبر ١٩٩٣م) فى مدينة سرقسطة Zaragoza بأسبانيا(١) .

٤ ـ اهتمام عدد كبير من العلماء والفلاسفة على حد سواء بتأليف الكتب والرسائل الأكاديمية فى مختلف موضوعات تاريخ العلم وفلسفته .

٥ ـ تنشيط الجهود المحلية والدولية لإعادة نشر الأعمال الكاملة للمبرزين من العلماء على مر العصور ، ليس فقط بهدف تخليد ذكراهم وإزكاء المجد القومى ، ولكن أيضاً بهدف إتاحة الفرصة للباحثين المعاصرين لكى يقرأوا هذه الأعمال قراءة جديدة .

وتشهد ساحة الفكر العلمى حالياً نشاطاً منظماً على مستوى العالم يهدف إلى نشر الأعمال الكاملة لكبار العلماء ، على اعتبار أنه مسئولية دولية تستوجب الرعاية والتعاون من جميع الدول ، بما فى ذلك بلدان العالم الثالث(٢) .

وقد حدث أن لجأت الهيئات المسئولة عن نشر الأعمال الكاملة للعالم الشهير « برنوللى » Bernoulli إلى تدعيم جهودها عن طريق الاكتتاب العام ، ويجرى فى الوقت الحاضر إعداد طبعة جديدة لهذه الأعمال من خلال التعاون بين أكثر من سبع دول . وسوف تصدر أجزاء هذه الطبعة تباعاً فى نحو خمسة وأربعين مجلداً كذلك أمكن إصدار مجموعة الأعمال الكاملة للعالم المتميز « أويلر » Euler عن طريق الاستعانة بامكانيات ست دول ، بالرغم من أن قاعدة العمل كانت تقع جغرافيا فى سويسرا . وقد شرعت الولايات المتحدة الأمريكية حديثاً فى تبنى هذا المبدأ لإصدار أعمال العديد من العلماء أمثال : « جاليليو » فى إيطاليا ، و« نيوتن » فى انجلترا ، و« جاوس » فى ألمانيا ، و« ديكارت » و« لابلاس » و« لاجرانج » فى فرنسا ، وغيرهم . ولا ينبغى أن يدهش المرء لطول الوقت الذى يستغرقه إنجاز مثل هذه المشروعات ، فقد استغرق إصدار أعمال عالم الرياضيات المعروف « كوشى » أكثر من خمسين سنة .

وتجدر الاشارة هنا إلى بعض صور التحيز الواضح من جانب بعض المؤرخين عندما يتجهون إلى التأليف فى تاريخ العلوم وتقنياتها لازكاء النزعة القومية ، حيث نجد بينهم من يكتب عن علم غير غربى ، لا ليؤكد حق حضارة أخرى أسقط دورها من حركة التاريخ الإنسانى ، ولكن لكى يثبت أسطورة الجنس الآرى وتفوقه ويؤكد مقولة أن العلم لا يمكن إلا أن يكون غربياً . فعندما صنَّف « نيدهام » J.Needham وزملاؤه سبعة مجلدات ضخمة (بدأ إصدارها فى عام ١٩٥٤م) عن العلم والحضارة فى الصين ، إنما كانوا يحاولون أن

(١) لمزيد من التفصيل حول المؤتمرات الدولية فى تأريخ العلم والاصدارات اللاحقة لأعمالها راجع : مجلة « العلم والمجتمع » ، العدد ٨٢/١٦٠ (١٩٩١) ، الترجمة العربية ، إصدار اليونسكو (عدد خاص عن منظورات تاريخية فى العلم) .

(٢) راجع فى ذلك مقالا هاماً بعنوان « نشر الأعمال الكاملة لعظماء العلماء مسئولية دولية » ، العلم والمجتمع ، ع ٨٢/١٦٠ (١٩٩١ م) .

يفسروا السبب الذى حال دون أن تتبع التنمية فى الصين نفس المسار الذى اتبعته الثورة العلمية الحديثة فى أوروبا ، ثم يسعون من خلال ذلك إلى تأكيد فرض ضمنى مفاده أن العلم والتقنية اللذين أينعا بالفعل فى أوروبا النهضة عالميان ، وأن كل ما هو أوروبى لابد أن يكون عالمياً . وغالباً ما يطرح أمثال هؤلاء المؤرخين المتحيزين مسألة « العلم القومى » فى صورة منافسة يحاول فيها كل فريق التصدى بحماس لا يخلو من المبالغة فى كثير من الأحيان للرد على كل ما يقلل من شأنهم فى ساحة الفكر العالمى(٣) .

دعوة إلى إحياء العلم الإسلامى :

لعل فيما قدمناه من عرض موجز لمظاهر الاهتمام العالمى بالتراث العلمى لعلماء الغرب ما يوضح مدى تقصيرنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ فى حق التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، وفى حق علمائها الأفذاذ أمثال الكندى والفارابى والهمدانى والرازى والبتانى والبيرونى والقزوينى والجلدكى وابن سينا وابن الهيثم والزهراوى واخوان الصفا وغيرهم ، حين ظلوا لأكثر من ثمانية قرون طوال يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة ، ولا نعرف اليوم شيئاً عن أغلب مؤلفاتهم ومخطوطاتهم المفقودة ، أو التى لا تزال بكراً فى مظانها ، تنتظر من يتولى البحث عنها لتحظى من جميع الباحثين بدراسات تحليلية مفصلة .

وليس هناك من شك فى أن مثل هذه الدراسات التراثية للعلم الإسلامى من شأنها أن توضح أهمية التحليل المنطقى لتاريخ العلوم وتقنياتها ، فلن يوجد فهم واقعى للعلم بدون نقد متواصل له ، وليس ثمة معرفة إنسانية لا تفقد طابعها العلمى متى نسى الناس الظروف التى نشأت فى أحضانها ، وأغفلوا المسائل التى تولت الجواب عليها .

وإذا كانت الخبرة الإنسانية تدعونا دائماً إلى الاعتبار بدروس التاريخ ، فإن تاريخ العلوم لا يدلنا فقط على المراحل الزمنية للتغيرات التى شهدها ، ولكننا نتعلم منه ـ أيضاً ـ أن المشكلات والقضايا العلمية التى تواجهنا الآن ليست جديدة تماماً ، فالأساليب التى عولجت بها هذا القضايا فى ظروف مغايرة عبر العصور لن تخلو أبداً مما يمكن أن نفيد منه اليوم أوْ غداً ، ولذا فإن أية نظرية تُطرح لنقد العلم قديماً وحديثاً تكتسب أهميتها من المبررات المنطقية التى تقدمها كمسوغ لإعادة قراءة تاريخ العلوم فى ضوء المرحلة التى يبلغها من تطوره على أساس ما يستجد دائماً من أفكار تتعلق بالجوانب المختلفة لنظرية العلم والتقنية . ومن هنا نعثر على السبب الحقيقى وراء الاهتمام المتزايد حالياً على مستوى العالم بإعادة تحليل تاريخ العلوم الكونية وتقنياتها برؤية موضوعية قدر الإمكان من خلال المؤسسات الأكاديمية والمجلات الدورية والمؤتمرات الدولية والترجمة والتأليف وإحياء تراث الأعلام فى فروع العلم المختلفة .

---

(٣) راجع فى ذلك :

Jean Dhombres, "On the track of ideas and explanations down the centuries: the history of science today" Impact of Science on Society, UNESCO, No 159, p. 190 (1990).

صور التقاط برامج التليفزيون عبر الأقمار الصناعية

م.د/ انشراح الشال

يتم نقل برامج التليفزيون من دولة المحطات الباثة إلى دولة أخرى عبر الأقمار الصناعية بصور مختلفة على النحو التالى .

الصورة الأولى :

– ما يحدث على – سبيل المثال – عند مشاهدتنا على شاشة التليفزيون المصرى لمباريات كأس العالم التى تقام فى التو واللحظة فى قارات ودول أخرى ويتم نقلها عبر أقمار صناعية تقليدية للاتصال على الهواء مباشرة ، حيث لابد وأن تلتقط الرسالة التى يبثها القمر بواسطة محطة أرضية يتوافر فيها هوائى « قصعى » (للتشابه بينه وبين القصعة التى يستخدمها عامل البناء) وهو هوائى عملاق قطره يصل إلى ٣٢ متراً كما هو الحال بالنسبة لهوائيات الاتصال (إرسال واستقبال) بأقمار تابعة لشبكة الانتلسات والموجودة فى المحطة الأرضية بالمعادى ، والتى تقوم عندئذ بالتقاط البث القمرى وتحويله إلى بث تليفزيونى (لاختلاف التردد المستخدم بالنسبة للقمر الصناعى عنه بالنسبة للتليفزيون) والرسم التالى يوضح خط سير الرسالة منذ لحظة انتاجها (أو تصويرها) إلى لحظة وصولها إلى شاشات التليفزيون داخل المنزل ، حيث يلاحظ فى هذا النظام أنه يحقق التحكم فى نوعية البرامج التى يمكن تعميم مشاهدتها والتحكم فى وقت البث وتوقيته بالنسبة لهذه البرامج على خريطة برامج التليفزيون .

الصورة الثانية لالتقاط البث عبر الأقمار الصناعية :

يشاهد حاليا فى مصر بالنسبة لهوائيات « قصعية » صغيرة الحجم منتشرة فوق أسطح بعض البنايات وفى بعض شرفات المنازل وتمكن أصحابها من مشاهدة برامج التليفزيون من عديد من الدول الأجنبية (تركيا واسرائيل وفرنسا وانجلترا وأسبانيا وأمريكا) وتقل أقطار هذه الهوائيات عن مترين (١,٤٠ و ١,٨٠ متر) ، بل وشاهدنا فى أوربا هوائيات لا يتعدى قطرها أربعين سنتيمترا (يتم تثبيتها على حائط الشرفة أحيانا) ، حيث يختلف قطر الهوائى باختلاف مكان هذا الهوائى من الشعاع المركزى لهوائى البث بالقمر الصناعى الذى يتعامل معه والذى يعد أقصر الأعمدة الهابطة من هذا القمر وأكثرها تركيزاً إذ أن الاشارة القمرية تضعف كلما يطول العمود الساقط من القمر ويستوجب ذلك ضرورة الاستعانة بهوائى أكثر كفاءة ترتبط أساساً بحجمه .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا :

كيف أصبح فى الامكان التقاط بث بعض الأقمار الصناعية بوساطة هذه الهوائيات صغيرة الحجم ؟

الاجابة ببساطة تتلخص فى أن تطور تقنية الأقمار الصناعية قد وفرت قنوات فى الأقمار الصناعية يطلق عليها اسم القنوات « غزيرة الاشعاع » أو القنوات « فائقة القدرة » ، وهى قنوات أحادية الاتجاه للاستقبال فقط (TVRO)

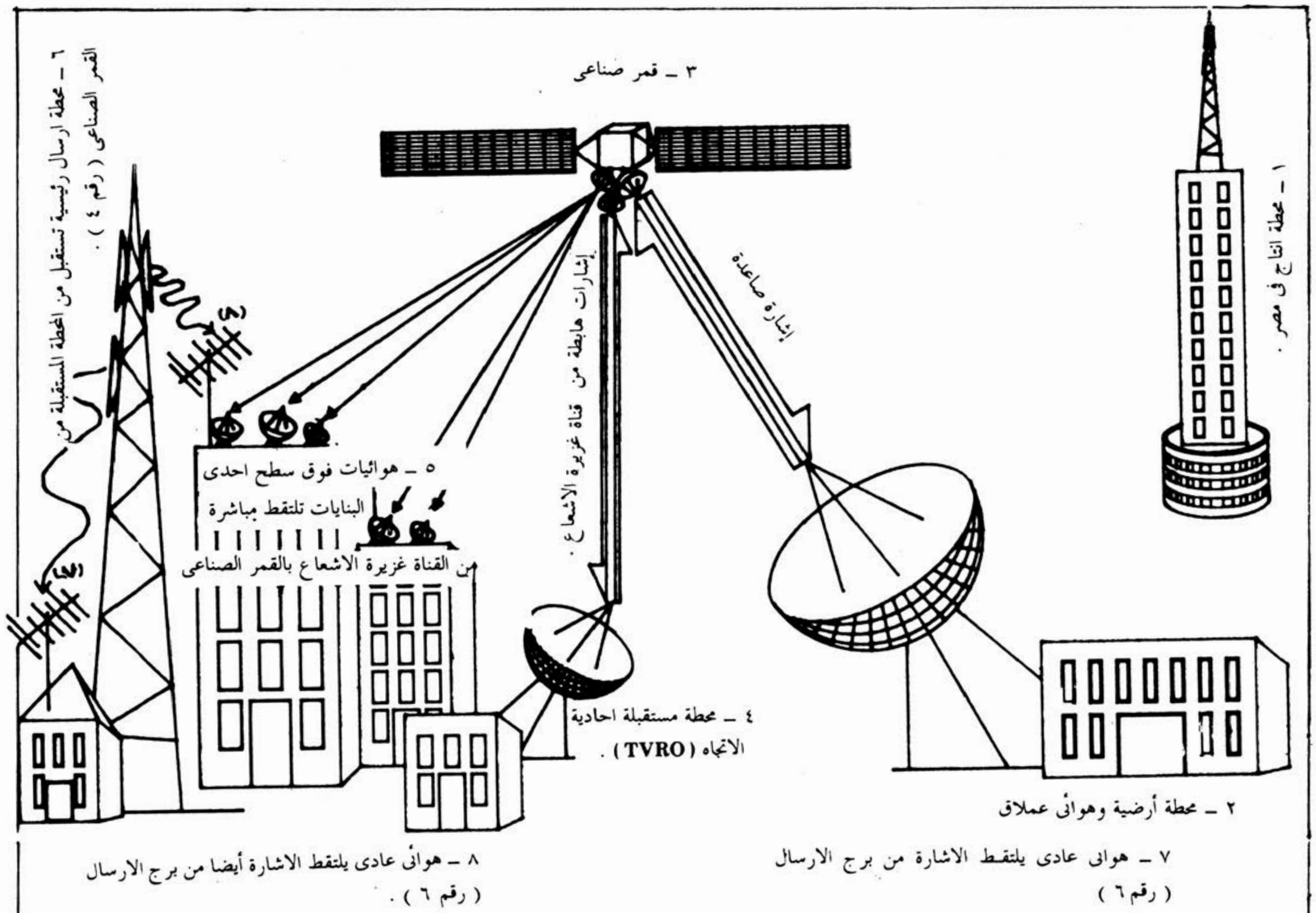

١ ـ محطة انتاج فى مصر .
٢ ـ محطة أرضية وهوائى عملاق
٣ ـ قمر صناعى
إشارة صاعدة
إشارات هابطة من قناة غزيرة الاشعاع .
٤ ـ محطة مستقبلة احادية الاتجاه (TVRO) .
٥ ـ هوائيات فوق سطح احدى البنايات تلتقط مباشرة من القناة غزيرة الاشعاع بالقمر الصناعى
٦ ـ محطة ارسال رئيسية تستقبل من المحطة المستقبلة من القمر الصناعى (رقم ٤) .
٧ ـ هوائى عادى يلتقط الاشارة من برج الارسال (رقم ٦)
٨ ـ هوائى عادى يلتقط الاشارة أيضا من برج الارسال (رقم ٦) .

إشاراتها قوية جدا ، وبذلك فهى لا تحتاج لهوائيات عملاقة ؛ وبهذا ألغت هذه الأقمار الدور الذى كانت تقوم به الدولة بالنسبة للبث الوافد لتقنين ما يمكن تقديمه من برامج لمواطنيها ، على الأقل بالنسبة لمواطنى هذه الدولة ممن لديهم الامكانيات المادية لحيازة هذه الهوائيات القصعية (وإن كانت قد بدأت تظهر هوائيات مستطيلة) . والرسم التالى يوضح خط سير الاشارة التليفزيونية من المحطة الباثة إلى شاشة التليفزيون فى المنزل باستخدام هوائيات أحادية الاتجاه .

والصورة الثالثة : التى يمكن تقديمها لالتقاط البث الوافد عبر الأقمار الصناعية على شاشات التليفزيون فى الدولة المستقبلة له تتمثل فيما حدث فى مصر بالنسبة لبرامج الشبكة الاخبارية الأمريكية المعروفة باسم « السى إن إن » (C N N) إبان حرب الخليج عندما كانت تستقبل بوساطة محطة وسيطة تابعة لاتحاد الإذاعة والتليفزيون فى مصر ويتم تحويلها بعد ذلك إلى إشارة تليفزيونية يمكن التقاطها فى المنازل بالهوائيات العادية ذات السلاميات (وذلك قبل تشفيرها واستقبالها بعد فك الشفرة باستخدام جهاز خاص بذلك للمشتركين فى هذه الخدمة التى سميت باسم « السى إن إى » (C N E) على أنها شبكة اخبارية مصرية) .

كذلك استخدم الأسلوب نفسه بالنسبة للقناة الفضائية المصرية للوصول ببرامجنا إلى أبنائنا فى « حفر الباطن » ، والبحرين والشارقة بهوائيات يبدأ قطرها من مترين (وصل سعر الواحد منها إلى أربعة آلاف دولار) ولا يزيد عن ثلاثة أمتار ، وتقوم هذه الهوائيات بالتقاط بث القناة الفضائية المصرية عبر القناة غزيرة الاشعاع للقمر الصناعى ثم تحول الاشارة القمرية إلى إشارة تليفزيونية (تحويل التردد) بحيث يمكن التقاطها بالهوائيات العادية ومشاهدتها مباشرة على شاشات التليفزيون فى محيط هذه المحطة الوسيطة (فى دائرة نصف قطرها خمسين كيلومتراً تقريباً) .

ويلاحظ هنا أن عملية الإرسال والاستقبال للبرامج تتم بالصورة نفسها التى تحدث بالنسبة للهوائيات العملاقة ، وإن كان الأمر لا يستلزم فى هذه الحالة المساحة الضخمة الواجب توافرها لاقامة هوائى عملاق ، وبذلك فإن تكاليف إنشاء محطة وسيطة لالتقاط بث قناة غزيرة الاشعاع فى هذه الحالة تقل كثيراً عن النفقات اللازمة لالتقاط البث من قنوات عادية لأقمار صناعية تقليدية تستوجب توافر هذا الهوائى العملاق .

وإلى جانب استقبال بث هذه المحطات الوسيطة عبر موجات الطيف الترددى للتليفزيون بالاستعانة بالهوائيات العادية ، فإنه يمكن استقبال هذا البث عن طريق « سلك » كابل كما هو الحال بالنسبة للتليفون ، وهو ما يحدث فى دول كثيرة حالياً حيث تقوم شركات متخصصة باستقبال البث التليفزيونى عبر الأقمار الصناعية بوساطة محطة أرضية

بحوث ودراسات بلغات أجنبية فى موضوع الأقمار الصناعية

1 - "Regards sur le journal télévisé eu Egypte".

2 - "Third World eu Eurovision".

3 - Egyptian TV and Satellites".

4 - "Les effets de la télévise sur les enfants égyptiens durant la guerre du golfe".

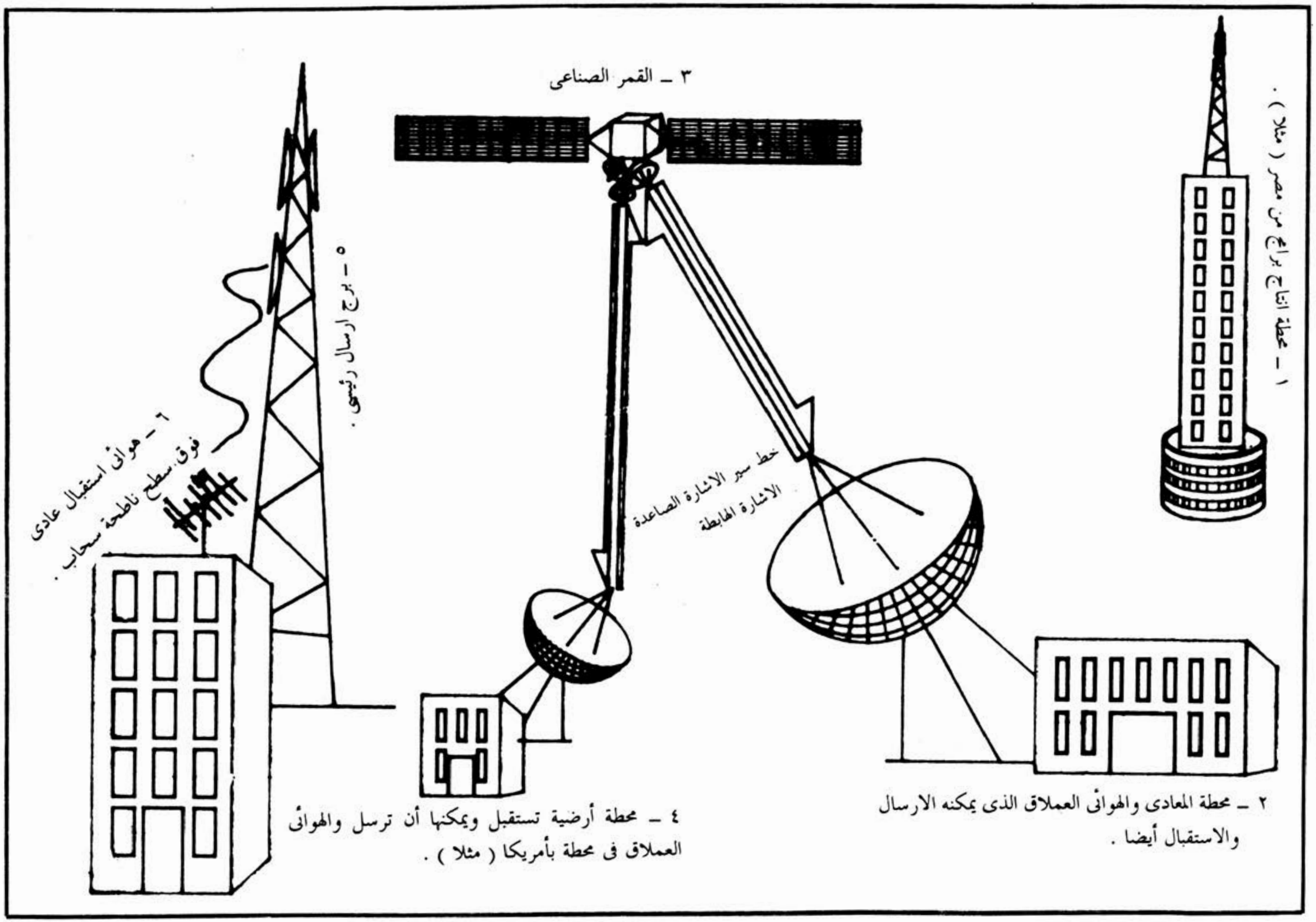
١ – محطة انتاج برامج من مصر (مثلا) .
٢ – محطة المعادى والهوائى العملاق الذى يمكنه الارسال والاستقبال أيضا .
٣ – القمر الصناعى
خط سير الاشارة الصاعدة
الاشارة الهابطة
٤ – محطة أرضية تستقبل ويمكنها أن ترسل والهوائى العملاق فى محطة بأمريكا (مثلا) .
٥ – برج ارسال رئيسى .
٦ – هوائى استقبال عادى فوق سطح ناطحة سحاب .

الحشرات والحديث عنها

في القرآن الكريم والسنة النبوية والعلم الحديث

- ٢ -

أ.د/ عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي (*)

ثالثا : الحشرات مادة لضرب الأمثال :

نود أن نعرف المقصود بالمَثَل حتى يكون ذلك أعْوَن لنا على فهم المراد منه عند الاستشهاد بالنصوص فى مواطنها .

معنى المثل : المثل كلمة مأخوذة فى الأصل من كلمة المثال بمعنى النظير ، وهو قول سائر على الألسنة ، يُشَبَّه به أمرٌ حاضِر بأمر سابق ، يسمى الأمر السابق بالمَوْرِد ، ويسمى الأمر الحاضر بالمَضْرِب ، والمثل قول موجز يُصيبُ المعنى ، فيه حسْن التشبيه وجوْدة الكناية ، فهو فى غاية البلاغة ، والمثل يروى كما ورد من غير تغيير فى لفظه ، ولا يضرب إلا بما فيه غَرَابة أو شأن عجيب ، ومنه قول النبى - ﷺ - « كُلُّ الصَّيْدِ فِى جَوْفِ الْفَرَا »(١) ومنه قول الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ [الحج : ٧٣]

(*) أستاذ الحشرات الاقتصادية - كلية الزراعة - جامعة الأزهر .

(١) كشف الخفا ٢/ ١٧٧ رواه الرامهرمزى فى الأمثال عن نصر بن عاصم الليثى سنده جيد ، لكنه مرسل ونحوه عند العسكرى قال فى القاموس فى باب الهمزة الفرأ كجبل ، حمار الوحش والجمع (فِراء) و (أفراء) .

وغير هذا فى القرآن والسنة كثير

وعليه ، فلما كانت الحشرات مخلوقات ضعيفة ورهيفة لا تقاس قدرتها بقدرة البشر ، فضلًا عن مُدَّعى الألوهية منهم فقد ضرب الله بها الأمثال فى كثير من المواطن فى كتابه العزيز للدلالة على بالغ حكمته وعظيم قدرته ، وفى هذا المعنى يقول الإمام أبو منصور : الأُعْجُوبَةُ فى الدِّلالة على وحدانية الله تعالى فى الخلق الصغير الجُثَّة والجسم أكبرُ منها فى الكِبَار العظام .

فالبعوضة أعطيت على قدر حجمها الحقير كل آلة وعضو أعطيه الفيل الكبير القوى(1). أى أن بجسمها من الأجهزة ما تصلح به حياتها كما أن بجسد الفيل ما يصلح حياته .

وضرب المثل بالحشرات فى القرآن والسنة متنوع تبعاً لتنوع الأغراض والمعانى التى يراد إبرازها ونَجْتَزِىءُ منها بذكر أمثلة للتوضيح فيما يلى :

أ ــ يضرب الله المثل بالحشرات لأنها خلق من خلقه :

روى الحسن وغيره أن الكفار أنكروا ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾

[الحج : ٧٣]

وفى قوله :

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾

[العنكبوت ٤١]

أو أنهم قالوا : الله أجل وأعلا من أن يضرب الأمثال لما نزل قوله تعالى :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾

[البقرة : ١٧]

وقوله :

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ١٩ ﴾

[البقرة : ١٩]

فأنزل الله قوله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾

[البقرة : ٢٦]

وفيها يخبر الله بأنه لا يستحى ولا يستنكف ولا يمتنع أن يضرب مثلًا أىَّ مثل كان ، بأى شىء كان ، صغيراً كالبعوضة أو ما فوقها فى الصغر ، أو كبيراً ، فكما أنه خلق هذه الأشياء ولم يستنكف من خلقها فهى على صغرها فيها من دلائل القدرة وبديع الصنعة ما تحار فيه العقول ويشيد بحكمة الخالق ، فإنه لا يستنكف أن يضرب المثل بأى شىء منها فهو سبحانه وتعالى :

﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ .

ب) فى ضرب المثل بالحشرات إشارة إلى عَجْز الآلهة المزْعومة :

إن الآلهة التى يتخذها الكافرون من دون الله ، حَجَراً كانت أم شجراً أم حيواناً أم إنساناً إنما هى أعْجز وأضْعف من الضعف فى حدِّ ذاته ، فمن صفة الإله القدرة ، وهؤلاء لا قدرة لهم حيث

لا يستطيعون خلْق شيء من هذه الحشرات كالذباب ونحوه ، ونَاهِيك عن التحدث عن قدرتهم على الخَلْق ، فعجزهم بَيِّن ظاهر وواضح وضوح الشَّمس فى رائعة النهار ، فهم من العجز بحيث لا يستطيعون إعادة ما يسْلبه الذباب منهم أو من آلهتهم إذا ما حطَّ على طعام أحدهم أو شرابه أو على ما يُقَرِّبه لإلَهِه ، ووجْه التَّحدى والعجز فى هذا أن القَدْر الذى تأخذه الذبابة بفمها أو بأرجلها على سبيل السَّلب شيءٌ من الدقة والصغر بحيث لا يمكن تقديره فضلًا عن إعادته وإرجاعه ، وأن الإنسان أضْعف فى قوته من هذا الجزء المسلوب «ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ» .

ج) تقريب لمعنى البعث فى الأذهان :

لقد ضرب الله المثل بالحشرات ليقرب إلى أذهان الناس معنى البعث يوم القيامة وما ينتابهم فيه من هوْل وفزَع ، ويقول الله تعالى :

﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾

[القمر : ٧]

فهذه الآية تقرر حقيقة يعرفها أهل الجزيرة العربية التى تتعرض لموجات من أسراب الجراد الرَّحال الذى إذا ما حط بأرض وألقى بها عصار التَّسْيَار قضى على ما بها من نبات ، وتضع إناثه بيضها فى تلك التربة بنظام محكم ثم لا تلبث الأباء أن ترحل وقد أتت على الأخضر واليابس ، فإذا ما تمت مدة حضانة هذا البيض وَوَاتَتْه الظروف فإن أفواج تلك الصغار تشق الأرض شقاً وتنتشر ، فيظن الناس أن الجراد يتولد من الأرض ، وكذلك الحال للناس يوم البعْث يخرجون من قبورهم عقيب النفخة الثانية لإسرافيل فى الصور :

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾

[الزمر : ٦٨]

د) تقريب لمعنى الضعف والحيرة يوم البعث :

يضرب الله المثل بالحشرات فى كتابه العزيز لبيان ضعف الناس وحيرتهم يوم القيامة ، وأنهم أحوج ما يكونون إلى لطف الله ورحمته ، فقد تقطعت بهم الأسباب ، وتفرقت عنهم الأحباب والأصحاب .

﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾

[المعارج : ١١/١٣]

﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾

عبس : ٣٧

وقد تكفلت سورة القارعة ببيان هذا الموقف فى قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾

سُورَةُ القَارِعَة

فيكون الناس يوم القيامة فى غاية الضعف والحَيْرة كالفراش المبثوث ، ونحن نعرف أن الفراش أنواع كثيرة ، وهى حشرات رهيفة تخرج بأعداد وفيرة وتنتشر عقب خروجها فى حالة من الضعف والحيرة لا تدرى أين تتجه ؟ ولا إلى أين تنطلق ، وقد يُغْريها ضوءُ المصباح فتتهافت عليه فَيَحْرِقها . فاللهم سلمنا فى ذلك اليوم من الذل والضعف والحيرة .. وأعطنا كتابنا بأيماننا .. وهب لنا نوراً .. واجعلنا لك من الشاكرين .

هـ) فى ضرب المثل بهذه الحشرات الدقيقة إشارة إلى حال الإنسان وكمال استعداده ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجنة ، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير . أى على صفته ، فعلى قدر ضعف الإنسان أعطاه الله من كل صفة من صفات جماله وجلاله أنموذجاً ليشاهد فى مرآة صفات نفسه كمال صفاتِ ربه ، وإليه الإشارة بقول النبى - ﷺ - «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» .

و) توضيح شفقة النبى - ﷺ - بالأمة ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم : فعن جابر رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «مَثَلِى وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الجَنَادِبُ وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا وأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِى» . مسلم ٥/١٤٧ط: الشعب . والجَنَادِبُ : هى أنواع من النطاطات التى تشبه الجراد ، وقيل : أنواع من الصراصير التى تحدث أصواتاً رتيبة ليلًا وهى المعروفة بصرصور الغيط . ونرى أن الصواب هو الأول لأن الأخيرة لا تغشى النور كالأولى .

والفراش هو أنواع الحشرات الرهيفة التى يطلق عليها الفراش والتى تقع على النار ، وقيل : غير هذا ولكن الأول هو الأصح .

ز) يضرب بها المثل لتوضيح حكمة شمول الهلاك وعمومه : ويتضح لنا ذلك فى ضوء الحديث التالى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى - ﷺ - قال : «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَهَلَّا نَمْلَةٌ وَاحِدَةً» أبو داود فى كتاب الأدب ، باب قتل الذر . وفى رواية البخارى «ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا فَأُحْرِقَ» وفى رواية أخرى له فى الجهاد «فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ» . وسبب هذه القصة كما فى بذل المجهود فى حل أبى داود : أن هذا النبى هو موسى عليه السلام على الترجيح مَرَّ على قرية أهلكها الله بذنوب أهلها فوقف متعجباً ، فقال : «يارب قد كان فيهم صبياناً ودواباً ومن لم يقترف ذنباً» ، ثم نزل تحت شجرة فجرت له هذه القصة فعاتبه الله إيضاحاً لحكمة شمول الهلاك لجميع أهل القرية ، فضرب له المثل لذلك ، أى إذا اختلط من يستحق الإهلاك بغيره وتَعَيَّن أهلاك الجميع طريقاً إلى إهلاك المستحق جاز إهلاك الجميع ، ولهذا نظائر كَتَتَرُّسِ الكُفَّار بالمسلمين ، وغير ذلك قاله الحافظ فى الفتح .

رابعاً : الإشارة إلى ما ركبه الله فى طبائع خلقه من صفات :

من حِكَم الله فى ذكر الحشرات فى القرآن إشارته إلى طبائعها ، فالبعوض والذباب مخلوق على غاية الضعف ، والأسد مخلوق بغاية القوة ، ومع هذا فإن الله أعطى البعوض والذباب جُرْأَةً أَظْهَرَها فى طيرانها فى وجوه الناس ، وتماديها فى ذلك مع مبالغة الناس فى طردها . ومن رحمته سبحانه بعباده أنه رَكَّبَ الجُبْنَ فى الأسد وظهر ذلك بتباعده عن مساكن الناس وطُرقهم ، فلو تَجَاسَر الأسد تجاسُرَ الذُّباب والبعوض لهلك الناس ، ومن عَجَبٍ عجزُ الإنسان عن هذا

الضعيف وقدرته على ذلك القوى بصيده وأسره ، ويجب أن لا يغيب عن الأذهان ما قاله القشيرى : « إن الخلق فى التحقيق بالإضافة إلى قدرة الله أقلُّ من ذرة من الهباء فى الهواء ، ويستوى فى قدرته العَرْشُ والبَعُوض ، فلا خَلْقُ العرش عليها أعْسَر ، ولا خلق البعوض عليه أيْسَر ، سبحانه وتقدس عن لحوق العُسْر واليسر .

خامساً : توظيف بعض الحقائق العلمية عن الحشرات لخدمة علوم الشريعة :

إن الحقائق العلمية التى تم التوصل إليها عن الحشرات كثيرة ومتنوعة ، وكلها يمكن توظيفها فى خدمة فهْم العلوم الشرعية فى بعض جوانبها التى تتعلق بالحشرات ، وهو أمر ميسور إن شاء الله تعالى ، ولكننا نَجْتَزِىء منه ببعض الحقائق بما يناسب حجم البحث والمساحة المخصصة له وذلك على النحو التالى :

النموذج الأول : وهو يتعلق بمعنى الآيات القرآنية الكريمة التى يقول الله فيها :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

[النحل ٦٨ – ٦٩]

وذلك فيما يتصل بالموضوعات التالية :

(١) « ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ » لقد ثَارَ بين المفسرين خلافٌ فى بيان المراد بـ « الثَّمـرَاتِ » نُورِدُه هنا ملخصاً عن الألوسى فيما يلى :

(أ) الثمرات : حمل الشجرة .

(ب) الثمرة : الشجرة ، كما فى القاموس ، وقال أصحاب هذا الرأى : إنه هو المناسب ، وفندوا الرأى السابق بقولهم : التخصيص بِحَمْل الشجرة على الثمر خلاف الواقع لعموم أكلها أى النحل للأوراق والأزهار والثمار .

(جـ) الثمرات : النوار والزهور وبه أخذ ابن عطية فى تفسيره عملًا بالظاهر لأنها (أى النحلة) إنما تأكل كل الثمار من الأشجار .

(د) الثمرات : الأوراق والأزهار وبه قال آخرون ، وأيَّدوا رأيهم هذا بقوله تعالى « كُلِى » أى أن النحل يأكل من الأوراق العَطِرة والأزهار أشياء ، ثم إنه تعالى يَقْلب تلك الأجسام فى داخل بدَنها عسلًا ثم تَقِيئُه . كما استُشهد لذلك ببعض الأشعار وبعض الملاحظات .

يقول المعرى :

وَالنَّحْلُ يَجْنِى الْمُرَّ مِنْ زَهْرِ الرُّبَا
فَيَعُودُ شَهْداً فِى طَرِيقِ رُضَابِهِ

ويقول الحريرى :

تقول هذا مُجَاجُ النحل تَمْدَحُه
وإنْ تُرِدْ ذَمَّهُ قُلْ قَيْءَ الزَّنَابِيرِ

كما أخبر الآلوسى بأنه أخبره ثِقَةٌ أنه شاهد النحل تحمل الأوراق والأزهار بفَمها إلى بيُوتها وهومِمَّا يُستأنَس به للأكل .

وحينما نمعن النظر فى هذه الآراء يتضح لنا جلياً أنها مبنية على العُرْف اللُّغوى فى الجانب الأعظم منها ، والملاحظةِ العابرة ، وكل منها فيه مقال ، فإطلاق الثمرة على الشجرة مجاز غير معروف وكونها تأكل من غيرها معلوم وغير مناف للاقتصار على أكل ما ينبت فيها ، والعموم فى كل ما يشير إليه عموم كلام البعض عرفى يجوز أن

يكون مخصوصاً بالعادة أى كلى من كل ثمرة تشتهينها ، وأما ملاحظة حملها للأوراق والأزهار فهذا أمر لا تؤيده نتائج التجارب العلمية فى هذا الصدد ، فالذى يقطع الأزهار والأوراق إنما هى أنواع أخرى لا تقوم بصنع العسل وإنما هى أنواع من النحل الملقح للأزهار وتتخذ بيوتها فى الأنفاق أو فى الأرض وتجلب، هذه القطع الورقية لتبطن بها بيوتها حيث لا قدرة لها على إنتاج الشمع ، كما يفعل نحل العسل .

وإذا كان الأمر بالآكل فى الآية قد ورد على سبيل الإطلاق فإننا نلاحظ وجود فرق واضح وهام بين الأكل الذى يحفظ على النحل حياته ويعينه على القيام بأمر معاشه ، وبين الأكل الذى يتخذ أساساً لصنع العسل ، فطعامها الذى تعيش عليه يتكون من الرحيق وحبوب اللِّقاح كمصدر غنى يمدها بالبروتين والطاقة ، أما الأشربة التى تخرجها للناس عسلًا فمصدرها الأرْحِقة المختلفة التى تقوم بجمعها من الأزهار أو الثمار أو المصادر الأخرى ثم تقوم بالعمل على تركيزها وتحسينها بإضافة الخمائر والإنزيمات التى تفرزها من غدد خاصة ملحقة بجهازها الهضمى ثم تضعها فى قُدُورِهَا فى الخلايا وتعمل على إتمام انضاجها بِحَمِىٍّ أَنْفَاسِهَا حتى إذا اطمأنت لذلك ختمت تلك القُدُورَ كُلٌّ على حِدَةٍ بِغُلَالَةٍ رقيقة من الشمع .

(٢) ﴿ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ : اختلف المفسرون فى تفسير السبل اختلافاً لا يقل عن اختلافهم فى الثمرات ونحن نورده أيضاً على النحو التالى :

ا) السبل : طرق العودة إلى البيوت بعد الأكل .

ب) السبل : طرق الذهاب إلى ما تأكله فيكون معنى كلمة كلى : اقصدى الأكل .

جـ) السبل : طرق العمل وأنواعها فى عمل العسل .

د) السبل : طرق إحَالَةِ الغذاء عسلًا .

أى أن السبل على هذه المعانى هى الطرق وأضيفت إلى الله لأنه خالقها ، أى ادخلى طرق ربك لطلب الرزق .

٣ ـ «ذُلُلًا» : حال على أى حال ، ولكن ما هو صاحبها ؟

أ) قال مجاهد : هى حال من السبل ، أى اسلكى السبل حال كونها مذللة بقدرة الله ، وهى جمع كلمة ذَلُول .

ب) ابن عبدالسلام : ذللًا حال من السبل على أن السبل تعنى مسالك الغذاء ، ولا يقصد بها طرق الذهاب والإياب ويعلل ذلك بأن النحل يذهب ويَؤُوب فى الهواء ، وليس طُرُقاً ذللا ، لأن الذلول هو الذى يذلل بكثرة الْوَطْءِ ، والهواء ليس كذلك .

وفى هذا الرأى عندنا نظر إذ أن الواقع يخالفه فالطائرات الحربية والمدنية بل والأقمار والمركبات الفضائية لها طرق جوية لا تخطِئُها إلا فى حالة العطَب، فهى تتحرك خلالها صباح مساء ، ليلًا ونهاراً ومع هذا فلم يذللها أحد إلا الله ، وإذا كان البشر قد استطاعوا تزويد هذه المركبات بأجهزة التحكم والسيطرة والتوجيه بهذه الدقة وعلى هذا النحو فإن الله القوى القادر قد أودع فى النحلة من الأجهزة ما هو أَعْقَد وأدقُّ بحيث تستطيع السَّيْرَ فى تلك الطرق التى لا تتوعر ولا تلتبس ، فالنحلة تسير فعلًا فى طرق محددة ، فيها علاماتٌ

لونيَّةَ لا يمكن تمييز بعضها إلا بالأشعة فوق البنفسجية ، كما أنها تسترشد بالشمس حتى فى اليوم الغَائِم حيث لديها القدرة على الإحساس بالضوء المُستقطَب خلال الغَيْم كما أن لها قدرة فائقة على الإحساس بالروائح الخاصة بالغذاء أو بيوتها أو بأخواتها العاملات .

وهذا كله يجعل النحل أشْبَهَ بالطيَّار المدرب الحَذِق الذى يقود طائرته فى مسار محدد ومرسوم وهذا المسار ليس له وجود ظاهرى ولكن تدلُّه عليه خرائطَه وبوصلته وأجهزةَ قياس الارتفاع وشدة الهواء وسرعته وضغطه .، فالهواء أمامه فيه طرقٌ يعرف أن بعضها مذلل يبلغه هدفَه فى أمان بينما بعضها الآخر محظور عليه ارْتِيَادُه لأنه قد يكون فيه الشدائد والمخاطر والضياع[1].

جـ) ذُلُلًا : جمع ذلول وهو المنْقاد المطِيع أى مطيعةً مستمرة وعلى هذا فذللا حال من النحل ، واستشهد أصحاب هذا الرأى بأقوال قتادة وعبدالرحمن بن زيد ومجاهد ، كما قَبِلَ ابنُ جرير الطبرى هذا الرأى والرأى الاخر القائل بأن ذللا حال من الطرق .

ولهذا الرأى الأخير وجاهته فقد عرف قدماء المصريين النِّحَالَةَ المتنقلة عَبْر النيل شمالًا وجنوباً سعياً وراء مصادر الرحيق مع تهيئة المناخ المناسب، لنشاط النحل فتراهم يذهبون شمالًا فى الصيف حيث الجو اللطيف والأزهار المتفتحة ، كما يتجهون جنوباً فى الشتاء حيث الدفء وتوافر الأزهار ، والنحل المحّمول على السفن منقاد فى كل الأحوال ، يذهب حيث شاء صاحبه ، فهى منقادة مذللة تتبع أصحابها حيث ذهبوا ، تَغْدو خِمَاصاً وتَرُوحُ بِطَاناً مع تغير المكان .

ونحن نرى أن الخلاف بين هذين الرأيين خلاف لفظى ، فمن يرى أن ذللًا حال من النحل يقصد النحل المستأنس الذى يربيه بنو آدم ، ومن يرى أنها حال من السبل فإنها أعم وأشمل حيث تطلق على البرى من النحل والمستأنس معاً ، ومع هذا فلابد لكل منهما من سبل يسلكها وطرق يعبرها .

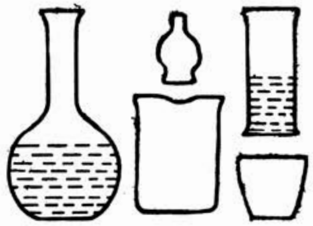

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد / د. نجوى السيد أحمد *

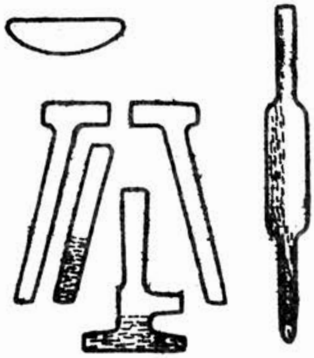

نفايات البلاستيك لإنتاج الوقود

أنشأت إحدى الشركات اليابانية أكبر مصنع نموذجى فى العالم لتحويل نفايات بلاستيك « البوليوليفين » إلى زيت وقود ومنتجات كيميائية أخرى باستخدام درجات حرارة عالية للحصول على طاقة إنتاجية تبلغ ٥٠٠٠ طن سنوياً . كما يقوم المصنع بتحويل النفايات البلاستيكية الصناعية مثل « البوليوليثين » و « البوليوبروبيلين » إلى وقود البنزين والجازولين والكيروسين أو إلى الزيوت الخفيفة الطيارة .

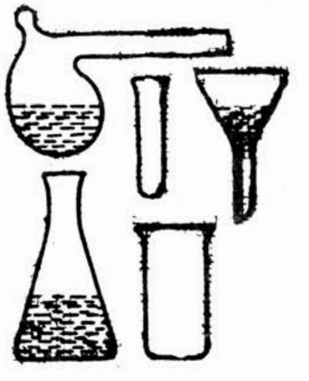

* باحثة بالمركز القومى للبحوث

أحدث زراعة للمفاصل الصناعية
بواسطة جراح آلى :

تم لأول مرة عملية زرع مفصل الفخذ لأحد المرضى بواسطة جراح آلى تحت اشراف طبيب جراح فى أحد المستشفيات العامة بولاية كاليفورنيا الأمريكية ، وقد حفر الجراح الآلى فخذ المريض وزرع المفصل الصناعى بدقة يعجز عنها أمهر الأطباء . والجراح الآلى عبارة عن « روبوت » بخمسة مفـــاصل يعمـــــل تحت إشراف « كمبيوترات » لضمان الدقة والسلامة ، كما يتم فحص المريض بالأشعة قبل إجراء العمليـــة واستخدام برنامج كمبيوتر خاص لاختيار الحجم والشكل الصحيح للمفصل الصناعى .

مشبك يطلق إشارات ضوئية عندما يجف الغسيل

اخترع طفل فرنسى عمره ١١ عاماً مشبكاً للغسيل يطلق إشارات ضوئية عندما يجف الغسيل . وقد استخدم المخترع الصغير مشبكاً عادياً للغسيل ووضع فيه مصباحاً كهربائياً صغيراً وسلكين كهربائيين وبطارية صغيرة ، حيث يطلق المشبك إشارات ضوئية بعد مرور التيار الكهربائى من السلكين إلى المصباح الكهربى عقب جفاف الغسيل .

تفسير علمى لعملية التذكر عند الإنسان :

اكتشف الباحثون فى جامعة كاليفورنيا ، بعد أن التقطوا أول صور فوتوغرافية للمخ وهو يقوم بعملية استدعاء بسيطة لكلمة ما ، أن الجانب الأيمن من لحاء الجبهة واللحاء البصرى فى المخ يعمل أثناء عملية التذكر وهو اكتشاف غير متوقع ، لأن المعلومات القديمة لدى الباحثين تقول أن الذاكرة تتشكل فى « قرن آمون » فى المخ وهو عضو صغير فى المنطقة الوسطى من المخ . وقال الباحثون أن نتائج تجاربهم تعنى أن عملية ملاءمة الكلمات المنطوقة واستكمال العبارات اللفظية تتم من خلال عملية بصرية ولا تتطلب بالضرورة فهماً للكلمة .

سخان جديد يعمل بالإشارة :

صممت إحدى الشركات الإسترالية مُنظِّماً حرارياً ألكترونياً للمياه فى الصنبور . المنظم الحرارى الألكترونى يعمل بالإشارة ، حيث يعمل بنظام الدوائر الألكترونية المطبوعة المصغرة جداً ، وهو عبارة عن لوحة تحكم مثبتة على الحائط ومزودة بخمس صمامات ألكترونية ثنائية تبعث الضوء ، ومكتوب على كل منها الغرض من الاستخدام . يتمتع الجهاز بمزايا عديدة غير الحصول على مياه ذات درجة حرارة ثابتة ، إذ أن الإغلاق « الأتوماتيكى » يحفظ الماء والطاقة الحرارية كما أن سريان الماء يمكن أن يتوقف بإشارة يد ويعاد أيضاً بالإشارة .

اكتشاف أمراض القلب
باستخدام ظاهرة الرنين المغناطيسى :

أعلنت جمعية أبحاث أمراض الشريان التاجى الخيرية فى انجلترا عن اختراع جهاز جديد لفحص الأوعية الدموية ، يستخدم ظاهرة الرنين

المغناطيسية للتنبؤ بالأمراض التى قد تسبب انسداد الشرايين ، ويأمل الأطباء فى مستشفى « برومبتون » الملكى استخدام هذا الجهاز على نطاق واسع لفحص أمراض القلب فى مراحلها المبكرة .

خريطة للأرض خالية من السحب :

تمكن العلماء من الحصول على خريطة دقيقة جداً وخالية من السحب من بين مئات الصور التى أرسلتها الأقمار الصناعية للكرة الأرضية عبر السنوات الماضية والتى تم تخزينها على أشرطة الحاسبات الآلية وعند طبعها استبعدوا أجزاء الصور التى بها سحب . والهدف من هذه الخريطة هو بناء مجسم دقيق للكرة الأرضية مصنوع من الفيبر جلاس الشفاف من الداخل ، ويتحكم فى المجسم حاسب آلى يعطيه جميع المواصفات التى تتميز بها الكرة الأرضية سواء من ناحية الحركة حول مركزها أو فى المدار الذى تدور فيه . ويصلح هذا المجسم لإجراء الاختبارات اللازمة للتنبؤ بالطقس إلى جانب تحديد التحركات فى القشرة الأرضية وغيرها من الظواهر الطبيعية .

انتاج أحدث فاكس :

تم انتاج أحدث فاكس بالأسواق الأوربية يمكنه استيعاب عشر صفحات ويقوم بدور « التليفون » المزود بذاكرة حيث يطلب الرقم بطريقة « أتوماتيكية » ، وبه جهاز للرد على المتكلم ويمكن توجيه السؤال له عن بُعد فيتولى التصوير والإملاء دون أى مساعدة ويسمى بالفاكس النشيط .

تجربة جديدة لتربية الأسماك باستخدام الموجات الصوتية :

بدأت اليابان تجربة لتربية الأسماك فى المياه الدافئة والمحيط الهادى بالقرب من شواطئها باستخدام موجات صوتية ذات تردد منخفض حيث يتم ترك السمك يعوم فى المياه بدون الحاجة إلى أقفاص سمكية أو شبكات تحيطها لتحفظ السمك . وأظهرت الاختبارات حتى الآن أن سمك سليمان الأصفر حساس جداً للصوت ويتم جذبه باستخدام موجات صوتية قوتها ٣٠٠ هرتز فى كل مرة يلقى إليه الغذاء ، وقد أثبتت التجارب أيضاً أن ٧٠٪ من السمك الصغير الذى أطلق بقى فى المزرعة السمكية .

زيت الزيتون للوقاية من الأمراض السرطانية :

أعلن فريق طبى متخصص فى علم الأوبئة بالمعهد الوطنى الأسبانى للصحة أن استهلاك زيت الزيتون يؤدى إلى تخفيض نسبة الإصابة بسرطان الثدى بنسبة ٣٥٪ . وقد قام الفريق الطبى الأسبانى باجراء الدراسة فى ست محافظات أسبانية يكثر فيها استهلاك زيت الزيتون وثبت أن حالات الإصابة بسرطان الثدى لا تتعدى ٤٠ حالة من بين كل ١٠٠ ألف نسمة . والمعروف أن أسبانيا تأتى فى مقدمة الدول الأوربية التى تقل فيها نسبة الإصابة بسرطان الثدى ويرجع هذا إلى كثرة استخدام زيت الزيتون .

البحث النحوى عند الإمام النووى

٢

إعداد الأستاذ الدكتور/ محمد عبد القادر هنادى

ثانياً : فى باب الأسماء[٢] :

١ ـ ذهب النحاة ـ ومنهم ابن مالك[١] ـ إلى أن الأصل فى [خير] و [شر] حذف الهمزةِ منهما فى التفضيل . ولا يكاد يستعمل الأصل إذ أصلهما [أخير] ، و « أشر » ، لكن الإمام النووى أجاز استعمال الأصل لوروده فى أحاديث الرسول ﷺ فمن الأحاديث التى جاء فيها اسم التفضيل [أخير] بالهمزة ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ ، قال لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ [بل أنت أَبَرُّهُمْ وأُخْيَرُهُم[٢]] ، قال النووى : « هكذا هو فى جميع النسخ ، [وأخيرهم] بالألف ، وهى لغة سبق بيانها مرات[٣] »

وروى مسلم أن الأقرع بن حابس جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : [إنَّما بايعَكَ سُرَّاقُ الحَجيجِ مِنْ أَسْلَمَ وغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ ، فقال رسول الله ﷺ : أرأيتَ إنْ كانَ أسلمُ وغِفَارٌ ومُزَيْنَةُ خيراً من بنى تميمٍ وبنى عامرٍ وأسدَ وغطفانَ أَخَابُوا وخَسرُوا ؟ فقال : نعم ، فقال الرسول ـ ﷺ ـ : فوالذى نفسى بيدهِ إنهم لأَخْيَرُ منهم[٤]] .

قال النووى : [انهم لأَخْيَرُ منهم] هكذا هو فى جميع النسخ [لأَخْيَرُ] ، وهى لغة قليلة تكررت فى الأحاديث[٥] .

وأما الأحاديث التى احتج بها على مجىء اسم التفضيل [أشر] بالهمزة فمنها ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ ذكرَ قوماً يكونونَ فى أمتهِ يَخْرُجُونَ

(١) شرح الكافية الشافية ١١٢٧/٢ والمساعد على تسهيل الفوائد ١٦٦/٢ ـ ١٦٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف وإيثاره .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢/١٤ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل غفار وأسلم وجهينة .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٧٦/١٦ .

فى فُرْقةٍ من الناسِ سيماهُمُ التَّحَالُقُ قال : هم شرُّ الخلقِ أو من أشر الخَلْقِ[٦] ، قال النووى : [هكذا هو فى كل النسخ] أو من (أشر الخلق) ، بالألف وهى لغة قليلة ، والمشهور [شر] بغير ألف[٧] .

ومنها ما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أنه ﷺ قال : [إنَّ من أشرِ الناسِ عندَ الله منزلةً يومَ القيامةِ الرجُل يُفْضِى إلى امرأتِهِ،وتُفْضِى إليهِ ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا[٨]] ، وذكر النووى أن رواية الحديث هكذا : [أشر] ، وخرجها على أنها لغة[٩] .

٢ ـ تلتزم بعض القبائل العربية ومنها قبيلة (بنى الحارث بن كعب) الألف فى المثنى فى كل الأحوال ، وقد احتج الإمام النووى على هذه اللغة ببعض الأحاديث النبوية ، ومنها ما رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع أن الرسول ﷺ قال : يثنى على ـ عامر بن الأكوع ـ عندما أصابه ذباب سيفه فمات منه بخيبر : إنَّ له لأجرانِ ، إنَّهُ لَجَاهِدٌ مجاهد قَلَّ عربىٌّ مشى بها مثْلَهُ[١٠] ، قال النووى[١١] : « قوله ـ ﷺ ـ [إن له لأجران] هكذا هو فى معظم النسخ [لأجران] بالألف ، وهو لغة أربع قبائل من العرب ومنها قوله تعالى:

﴿ إنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾[١٢]

ومن الآثار التى جاءت على هذه اللغة ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « بعثَ الرسولُ ـ ﷺ ـ سَرِيّةً وأنا فيهم قَبَلَ نجدٍ فَغَنِمُوا إبِلًا كثيرةً ، فكانت سُهْمَانُهُمُ اثنا عشر بَعير[١٣] » ، قال النووى : قوله « فكانت سهمانهم اثنا عشر بعيرا » ، هكذا هو فى أكثر النسخ (اثنا عشر) على لغة من يجعل المثنى بالألف سواء كان مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا ، وهى لغة أربع قبائل من العرب ، وقد كثرت فى كلام العرب[١٤].

وما ذهب إليه الإمام النووى من تصحيح هذه اللغة وإثباتها هو الصحيح ، لورودها فى القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾ ، فجمهور[١٥] القراء قرأها بتشديد النون ، وإثبات الألف فى اسم الاشارة [هذان] ورودها كذلك فى الحديث الشريف وكلام العرب[١٦] وهى لغة نسبها أئمة اللغة إلى كثير من القبائل العربية منهم : « بنو الحارث بن كعب ، وخثعم ، وزبيد ، وكنانة ، وبنى العنبر ، وبنى الهجيم ومراد وعذرة وقبائل من ربيعة[١٧] .

---

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب اعطاء المؤلفة ، والتحالق : العلامة والمراد : حلق الرؤوس .

(٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٧/٨ .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب تحريم افشاء سر المرأة .

(٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٨/١٠ .

(١٠) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب قتل كعب بن الأشرف ، والجاهد : الجاد فى علمه وعمله .

(١١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨٦/١٢ .

(١٢) طه ٦٣ .

(١٣) صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب الأنفال ، والمعنى : أن كل واحد كان سهمه اثنا عشر بعيراً .

(١٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٥٤/١٢ .

(١٥) الحجة فى القراءات السبع ـ ابن خالويه ص٢٤٢ ، والكشف ٩٩/٢ ، ومفاتيح الغيب ٧٤/٢٢ .

(١٦) ينظر فى الشواهد النحوية فى المصادر التالية : معانى القرآن ١٨٣/٢ ، الحجة ـ ابن خالويه ٢٤٢ ، البيان فى غريب إعراب القرآن ١٤٥/٢ ، مفاتيح الغيب ٧٦/٢٢ .

(١٧) ينظر فى البحر المحيط ٢٥٥/٦ ، وشرح شذور الذهب ٤٦ ـ ٤٧ ، وهمع الهوامع ٤٠/١ ، وحاشية ابن جماعة ٢٧٧/١ ، وشرح الجار بروى على شافية ابن الحاجب ٧٧/١ .

٣ ـ المبوب للتعجب[١٨] من ألفاظه [أَفْعَل] و[أَفْعِلْ] ، وذهب الإمام النووى إلى أنه قد يتوصل إلى التعجب بلفظ : (سبحان الله) وقد استشهد على ذلك بحديث الرسول ﷺ وجاءت الإشارة إلى ذلك لدى شرح قول عائشة ــ رضى الله عنها ــ عندما سُئِلَتْ هل رأى محمدٌ ــ ﷺ ــ رَبَّهُ : قَالتْ : سبحانَ اللهِ ، لقد قَفَّ شَعْرِى لِمَا قُلْتَ[١٩] . قال النووى : قولها : [سبحان الله] فمعناه : التعجب من جهل مثل هذا ، فإنها تقول كيف يخفى عليك مثل هذا ، ولفظة [سبحان الله] لإرادة التعجب كثيرة فى الحديث وكلام العرب ، كقوله ﷺ : [سبحان الله تطهرى بها] .

وقوله ﷺ « سبحان الله إن المسلم لا ينجس »[٢٠] .

وقول الصحابة : « سبحان الله يارسول الله » .

وممن ذكر من النحويين أنها من ألفاظ التعجب أبوبكر بن السراج وغيره[٢١] .

٤ ـ ذكر النووى : أن المضاف قد يحذف ويقام المضاف إليه مقامه ، واحتج على ذلك بحديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ــ رضى الله عنهم .

فمن الحديث قوله ــ ﷺ ــ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه : [والذى نفسُ أبى هريرةَ بيدِهِ إنَّ قعرَ جهنمَ لسبعونَ خَرِيفاً][٢٢] ، قال النووى : هكذا هو فى بعض الأصول [لسبعون] بالواو . وهذا ظاهر وفيه حذف تقديره : إن مسافة قعر جهنم سير سبعين سنة ، ووقع فى معظم الأصول والروايات [سبعين] بالياء ، وهو صحيح أيضاً ، أما على مذهب من يحذف المضاف ويبقى المضاف إليه على جره فيكون التقدير : [سير سبعين][٢٣] .

ومن آثار الصحابة التى احتج بها على جواز حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ما رواه مسلم عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : [كُنَّا مع النبىِّ ــ ﷺ ــ فى مَسيرٍ ، فَنَفَذتْ أَزْوَادُ القومِ ، فقالَ عمرُ : يارسول الله لو جمعت ما بقىَ من أزواد القومِ فَدَعَوْتَ اللهَ عليها ، فدعا عليها ، قال حتى ملأَ القومُ أزودتهم[٢٤]] ، قال النووى : قوله [حتى ملأَ القومُ أَزْوِدَتَهم] هكذا الرواية فيه فى جميع الأصول ، و[الأزودة] جمع (زاد) ، وهى لا تملأ إنما تملأ بها أوعيتها ، ووجهه أن يكون المراد حتى ملأ القوم أوعية أزودتهم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه[٢٥] .

---

(١٨) شرح الكافية الشافية ١٠٧٧/٢ .

(١٩) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب ماجاء فى رؤية الله عز وجل .

(٢٠) صحيح مسلم ، كتاب الغسل ، باب المؤمن لا ينجس .

(٢١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٠/١ .

(٢٢) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب اثبات الشفاعة .

(٢٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٧٢/٣ .

(٢٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا .

(٢٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢٤/١ ، ومما ورد فى القرآن الكريم من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه قوله تعالى : ﴿ **وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم** ﴾ أى : حب العجل ، وقوله تعالى ﴿ **وجاء ربك** ﴾ أى : أمر ربك . انظر شرح ابن عقيل باب الإضافة ٧٦/٣

٥ ـ ذكر النحاة أن (مميز العدد[٢٦]) إذا كان اسم جنس أو جمع فصل بـ[من] تقول : عندى ثلاث من الشجر ، وثلاثة من القوم ، وماجاء خلاف هذه القاعدة يحفظ ولايقاس عليه ، وقد أجاز النووى ذلك محتجاً عليه بما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : [ليسَ فيما دُونَ خمسةِ أَوْسُقٍ صدقةٌ ، ولافيما دون خمسِ ذودٍ صدقةٌ ، ولافيما دون خمسِ أَوَاقٍ صدقةٌ[٢٧]] .

قال النووى : «أنكر ابن قتيبة أن يقال : [خمس ذود] كما لايقال : [خمس ثوب] ، وغلطة العلماء ، بل هذا اللفظ شائع فى الحديث الصحيح ، ومسموع من العرب ، معروف فى كتب اللغة ، قال أبوحاتم السجستانى : تركوا القياس فى الجمع فقالوا : خمس ذود لخمس من الإبل ، وثلاث ذود لثلاث من الإبل ، وأربع ذود ، وعشر ذود على غير قياس[٢٨]» . ويفهم من كلام النووى أن هذا الاستعمال صحيح واختاره ابن عصفور ، وفى ذلك يقول ابن عقيل : «إن كان اسم الجمع يستعمل للقلة جاز ، وإن كان يستعمل للكثرة ، أو لها وللقلة لم يجز ، فتقول : ثلاث ذود ، وثلاثة نفر ، وتسعة رهط ؛ لأنها لاتكون إلا للقليل ، ولاتقول : ثلاثة بشر ؛ لأن [بشرا] يكون للكثير ، ولاثلاثة قوم ، لأن [قوماً] يكون للقليل والكثير ، واختاره ابن عصفور»[٢٩]

٦ ـ ذهب النحاة إلى أنَّ [فُلُ] اسم خص بالنداء ، وفى ذلك يقول ابن مالك فى شرح الكافية الشافية : «خصوا بالنداء أسماء لاتستعمل فى غيره إلا فى ضرورة ، فمن ذلك قولهم للرجل : يافُلُ ، بمعنى : يافلان ، وللمرأة [يافُلَةُ] بمعنى : يافلانة ، وقولهم : (يافلة) دليل على أن [يافل] ليس ترخيم [يافلان] ، مع أنه لو كان ترخيماً لوجب أن يقال فيه : [يافُلَا] كما يقال فى [عِمَاد] [ياعِمَا] ؛ لأن الترخيم لايحذف فيه مدة ثالثة[٣٠]» .

وذهب النووى إلى جواز ترخيم [يافلان] بقولنا : يافل واحتج على ذلك بحديث الرسول ـ ﷺ ـ ومنه مارواه مسلم عن أبى هريرة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : «والذى نفسى بيده لاتُضَارُّونَ فى رؤيةِ رَبِّكم .... قال : فيلقى العبدَ فيقولُ : أىْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وأُسَخِّرْ لك الخيلَ والإبلَ وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فيقولُ : بلى ...[٣١]» ، قال النووى : قوله ـ ﷺ ـ «أى فُلْ» هو بضم الفاء وإسكان اللام ، ومعناه : يافلان ، وهو ترخيم على خلاف القياس[٣٢]» .

ومنه أيضاً مارواه مسلم عن أبى هريرة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : «مَنْ أنفقَ زوجين فى سبيلِ اللهِ دعاهُ خزنَةُ الجنةِ ، كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ ،

---

(٢٦) المساعد على تسهيل الفوائد ٧٣/٢ .
(٢٧) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة .
(٢٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٥٠/٧ ـ ٥١ .
(٢٩) المساعد على تسهيل الفوائد ٧٤/٢ .
(٣٠) شرح الكافية الشافية ١٣٢٩/٣ .
(٣١) صحيح مسلم كتاب الزهد .
(٣٢) صحـ ـح مسلم بشرح النووى ١٠٣/١٨ .

أى فُلْ هَلُم[٣٣] » .

قال النووى فى شرح الحديث : « قولــه ـ ﷺ ـ : [أى فل هَلُمّ] ، هكذا ضبطناه [أى فُلْ] بضم اللام وهو المشهور ، وضبطه بعضهم بإسكان اللام ، قال القاضى : معناه : أى فلان فَرَخّم ، ونقل إعراب الكلمة على إحدى اللغتين فى الترخيم[٣٤] » .

٧ ـ من أسماء الأفعـــال [هَلُـــمَّ] ، والحجازيـون[٣٥] لايبرزون فاعلهـا فى التأنيث والتثنية والجمع ، وبنو تميم[٣٦] يبرزونه فيقولون : هلمى ، وهلما ، وهلموا ، وهَلْمُمْـــنَ ، واستشهد النووى على لغة بنى تميم بحديث الرسول ـ ﷺ ـ .

ومنه ما رواه مسلم أن الرسول ـ ﷺ ـ قال لعائشة ـ وهو يحدثها عن بناء قريش الكعبة : « ولولا حَدَاثَةُ عهدهِمْ بالشركِ أعَدْتُ ماتركُوا منه ، فإنْ بَدَا لقومِكِ من بعدى أن يبنوهُ فَهَلُمِّى لأُرِيَكِ ماتركُوا منهُ » ، قال النَووى : قوله : [فهلمى لأريك] هذا جار على إحدى اللغتين فى [هلم] ، قال الجوهرى : تقول : (هلم يارجل) بفتح الميم ، بمعنى : تعال ، قال الخليل : أصله من قولهم : لَمَّ اللهُ شَعْثَهُ ، أى جمعه ، كأنه أراد لمَّ نفسك إلينا ، أى اقرب ، و[ها] للتنبيه ، وحذفت ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعلا اسماً واحداً يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمؤنث ، فيقال فى الجماعة : [هلم] ، هذه لغة أهل الحجاز ، قال الله ـ تعالى : ﴿وَالْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[٣٧] ، وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين [هلما] ، وللجمع [هلموا] ، وللمرأة [هلمى] وللنساء [هَلْمُمْنَ][٣٨] » .

ومن الأحاديث التى جاءت على لغة بنى تميم ، واحتج بها النووى مارواه مسلم عن عائشة أن الرسول ـ ﷺ ـ أمَرَ بكبشٍ أقْرَنَ ... فَأُتِىَ به لِيُضَحِّىَ بهِ ، فقال لها : ياعائشةُ هَلُمِّى المِدْيَةَ ، ثم قال : اشحَذِيهَا بِحَجَرٍ[٣٩] .

٨ ـ ذهب النووى ـ رحمه الله ـ إلى أن بعض الأسماء تجمع على غير القياس اتباعاً لما قبلها ، أو للتناسب مع ماقبلها ، واستشهد على ذلك بحديث الرسول ـ ﷺ ـ من ذلك مارواه مسلم : أن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « مَنِ القومُ ، قالوا : ربيعةُ ، قال : مرحباً بالقومِ غيرَ خَزَايا ولا النَّدَامَى[٤٠] ... » .

قال فى شرح هذا الحديث : قوله ـ ﷺ ـ : [غير خزايا ولاالندامى] هكذا هو فى الأصول [الندامى] بالألف واللام ، و[خزايا] بحذفها ... أما [الخزايا] فجمع [خزيان] ، كحيران وحيارى ، وسكران وسكارى ، وأما

---

(٣٣) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر .

(٣٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١١٧/٧ .

(٣٥) شرح الكافية الشافية ١٣٩٠/٣ .

(٣٦) شرح الكافية الشافية ١٣٩٠/٣ .

(٣٧) الأحزاب ١٨ .

(٣٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٩٤/٩ .

(٣٩) صحيح مسلم ، كتاب الأضاحى ، باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة .

(٤٠) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب الأمر بالايمان بالله تعالى ورسوله .

[الندامى] فقيل : إنه جمع (ندمان) بمعنى [نادم] ، وهى لغة فى [نادم] حكاها القَزَّازُ صاحب (جامع اللغة) ، والجوهرى فى صحاحه ، وعلى هذا هو على بابه .

وقيل جمع [نادم] اتباعا للخزايا ، وكان الأصل [نادمين] ، فأتبع لخزايا تحسينا للكلام ، وهذا الاتباع كثير فى كلام العرب ، وهو من فصيحِهِ ، وفيه قول النبى ـ ﷺ ـ : «ارجعن مأزورات غير مأجورات»(٤١) : أتبع [مازورات] لماجورات ، ولو أفرد ، ولم يضم إليه [مأجورات] لقال : [موزورات] ، ومنه قول العرب : «انى لآتيه بالغدايا والعشايا» ، جمعوا (الغداة) على (غدايا) اتباعاً لـ(عشايا) ، ولو أفردت لم يجز إلا (غدوات)(٤١) .

٩ ـ الأصل فى [أفعل التفضيل] أنه لا يضاف إلى ياء المتكلم فى حال اتصاله بالنون ، وقد أجاز النووى ذلك ، واحتج عليه بحديث الرسول ـ ﷺ ـ ونقل فى هذه المسألة قول الإمام ابن مالك صاحب الألفية ـ رحمه الله تعالى ـ روى مسلم أن الرسول ـ ﷺ ـ قال له الصحابة : [يا رسولَ اللهِ ذكرْتَ الدَّجّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فيه ورَفَّعْتَ حتى ظنناهُ فى طائفةِ النخلِ فقال : غيرُ الدجالِ أَخْوَفُنِى عليكم](٤٢) ، قال النووى : «قوله ـ ﷺ ـ : [غير الدجال أخوفنى عليكم] هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا [أخوفنى] بنون بعد الفاء ، وكذا نقله القاضى عن رواية الأكثرين ، ورواه بعضهم بحذف النون ، وهما لغتان صحيحتان ، ومعناهما واحد ، قال شيخنا الإمام أبو عبد الله بن مالك ـ رحمه الله تعالى : الحاجة داعية إلى الكلام فى لفظ الحديث ومعناه : فأما لفظه لكونه تضمن مالا يعتاد إضافة [أخوف] إلى ياء المتكلم مقرونة بنون الوقاية ، وهذا الاستعمال إنما يكون مع الأفعال المتعدية والجواب : أنه كان الأصل إثباتها ، ولكنه أصل متروك ، فنبه علية فى قليل من كلامهم .. ولأفعل التفضيل أيضاً شَبَهٌ بالفعل ، وخصوصاً بفعل التعجب ، فجاز أن تلحقه النون المذكورة فى الحديث»(٤٣) .

١٠ ـ ذكر النحاة أن [أفعل] التفضيل يأتى من كل فعل ثلاثى متصرف تام ، قابل معناه للتفاضل ، غير مبنى للمفعول ، ولا منفى ، فإذا جاء الفعل مزيداً فإنه لابد من إتيان المصدر مسبوقاً بـ[أشد] ، أو [أعظم] نحو قولنا : زيد أشد نفعاً من عمرو ، وأجاز النووى مجىء [أفعل] التفضيل من الثلاثى المزيد ، واحتج عليه بحديث الرسول ـ ﷺ ـ الذى رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : «حوضى مسيرةُ شهر ، وزواياه سواءٌ ، وماؤُهُ أبيضُ من الوَرِقِ وريحهُ أطيبُ من المسكِ»(٤٤) ، قال النووى : «قوله ـ ﷺ ـ [مأوه أبيض من الوَرِقِ] هكذا فى جميع النسخ [الورِق] بكسر الراء ، وهو الفضة ،

---

(٤١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨٧/١ .

(٤٢) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال .

(٤٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٤/١٨ .

(٤٤) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ـ ﷺ ـ وصفاته .

والنحويون يقولون : إن فعل التعجب الذى يقال فيه [أفْعَل] من كذا إنما يكون فيما كان ماضيه على ثلاثة أحرف ، فإن زاد لم يتعجب من فاعله ، وإنما يتعجب من مصدره ، فلا يقال : ما أبيض زيداً ، ولا زيد أبيض من عمرو ، إنما يقال : ما أشد بياضه ، وهو أشد بياضاً من كذا ، وقد جاء فى الشعر أشياء من هذا الذى أنكروه فَعَدُّوهُ شاذا لا يقاس عليه ، وهذا الحديث يدل على صحته ، وإن كانت قليلة الاستعمال ، ومنها قول عمر ــ رضى الله عنه : « ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع »(٤٥) .

١١ ــ ذكر سيبويه ــ رحمه الله تعالى ــ أن [كافة] لا تأتى إلا حالا ، وقد أشار إلى ذلك فى الكتاب بقوله : [هذا باب ما ينتصب أنه حال يقع فيه الأمر وهو اسم ، وذلك قولك : مررت بهم جميعاً وعامة وجماعة ، كأنك قلت : مررت بهم قياماً](٤٦) ، وهل تضاف [كافة] ؟ ذهب الإمام النووى إلى أن [كافة] لا تأتى مضافة ، وما جاء كذلك فهو مردود ، واستشهد على ذلك بما رواه مسلم أنه ــ ﷺ ــ تليت عنده هذه الآية ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾(٤٨) فقال رجل يا نبى الله هذا لك خاصة ، قال : « بل للناس كافة » ، قال النووى : قوله : ــ ﷺ ــ : « بل للناس كافة » هكذا تستعمل « كافة » حالًا أى كلهم ، ولا يضاف : فيقال : كافة الناس ، ولا للكافة بالألف واللام ، وهو معدود فى تصحيف العوام ومن أشبههم(٤٩).

ومن الآثار التى احتج بها النووى على عدم جواز مجيىء [كافة] مضافاً إلى الاسم الظاهر ما رواه مسلم أن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ قال : [ما خَصَّنَا رسولُ الله ــ ﷺ ــ بشىءٍ لم يَعُمَّ بِهِ الناسَ كافةً إلا ما كان فى قِرَابِ سيفى هذا(٥٠)] .

قال النووى فى شرح هذا الأثر : « هكذا تستعمل [كافة] حالًا ، وأما ما يقع فى كتب كثير من المصنفين من استعمالها مضافة ، وبالتعريف كقولهم : هذا قول كافة العلماء فهو خطأ معدود فى لحن العوام وتحريفهم »(٥١).

---

(٤٥) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/٥٥ .

(٤٦) الكتاب ١/٣٧٦ ــ ٣٨٨ ــ الهيئة المصرية ط ١ ١٩٧٧ .

(٤٧) هود ١١٤ .

(٤٨) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قوله تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ .

(٤٩) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/٨٠ ــ ٨١ .

(٥٠) صحيح مسلم ، كتاب الأضاحى ، باب تحريم الذبح لغير الله فأخرج رضى الله عنه صحيفة مكتوب فيها : لعن الله من ذبح لغير الله .

(٥١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/١٤٢ .

الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية

فى عصر صدر الإسلام

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

بعد وقفتنا المتأنية مع « الوحدة الموضوعية » فى الشعر الجاهلى ، وبعد تقديمنا لآثار مختلفة من قديمه وحديثه ثبت وجودُها ، وتفاعل الشعراء بها ، كان يتعين علينا أن نمضى قُدُما لنستشرف آفاق عصر صدر الإسلام ، التى تعبق بعبير الإيمان والتقوى ، عقب خروج الناس من الظلمات إلى النور .. حيث « طرأ بالإسلام على الشعر لونٌ من سمو الغرض وسهولة التعبير وجمال اللفظ ، تأثر به من تأثر ، بمن تمثَّل الإسلام من الشعراء ، فهجر الهجاء ، وأنشد للإسلام ، ولكل غرض نبيل » كما يقول فضيلة الأستاذ الدكتور على أحمد الخطيب فى كتابه (عمر ابن الخطاب : حياته ــ علمه ــ أدبه) فقد جاء فيه : « .. وهناك أيضاً عنصر الصدق فى تصوير الأفكار النبيلة ، بمشاعر تجاربها الوجدانية ، فى واقعية لا تفوتها جزالة التعبير وجمال الأداء ، ولا يحلِّق بها الخيال إلى مبالغة ، تُحيل صدق المضمون إلى أوهام ، لها من دبيب الصنعة ما يفصمها عن المشاعر والوجدان ، وصدق التصوير »(1) . وبرغم أن سكان المدن فى الجزيرة العربية كانوا يحرصون على إرسال أبنائهم إلى الأعراب فى البادية ، لتقويم ألسنتهم فى النشأة والتكوين ، ليكتسبوا العربية الصحيحة الفصيحة ، إلا أن القرآن الكريم ــ بعد أن نزل فى لغة هى الذروة فى الصحة والدقة والبلاغة والإعجاز ــ كان فيه الكفاية ، وزيادة .. لروعة الأسلوب ، وجِدَّته وتطوُّره .. الأمر الذى يجعله بمثابة الفاصل القوى بين البيئتين : الجاهلية ، والإسلامية .. ومن هنا تغيرت ، بفضله ، العقلية العربية ، كما تغيرتْ ــ تبعاً لذلك ــ أساليب فن القول : نثراً وشعراً .. وارتقت وسمت إلى المعانى الفاضلة الرفيعة ، التى جاء بها الإسلام ، فلم يَعُدِ الشعر مثابة للفخر بالأحساب والأنساب ، أو الغزل المسف ، والهجاء المقذع ..

● ● ●

ولقد كان ينبغى على شعراء الإسلام فى صدر هذا العصر أن يبادروا بِرَدِّ شعر لا زال جاهلياً فى وثنيته ، جاهلياً فى عداوته للإسلام وقيمه ، حتى تأتى تلك المبادرة بثمارها الطيبة فى

---

(1) انظر .. الكتاب المذكور ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ط ــ بيروت .

الحديث عن الإسلام نفسه ، ومبادئه ، وليصدوا هذه التشوهات الجاهلية التى يصر عليها دعاة الكفر والوثنية .

لقد كان الشعر يحظى لدى العرب علامة بأرفع منزلة ، ومن ثم يتعين عدم التقاعس فى الرد على هؤلاء الشعراء ومن يقف وراءهم ويحرضهم على الهجاء والمكابرة .. ولم يكن شعراء الإسلام بحاجة إلى من يثير حماسهم للرد على أعدائهم ، بعد أن هز القرآن الكريم والحديث الشريف أعماقهم ، فجاشت نفوسهم بما يعتمل فيها من انفعالات ، اتسمت بالتماسك والنمو الاطِّرادى للمشاعر السامية ، التى تنبثق بعفوية وترتيب تلقائى ، حدَّدَتْه وأَمْلَتَه حرارة الدفقة الشعورية ، وأصالة البناء الفنى .. فجاءت قصائد شاعر النبى - ﷺ - سيدنا حسان بن ثابت (رضى الله عنه) بصفة خاصة بمثابة بنيان مرصوص ، فى هذا المجال ، لأن كل فكرة فيه تُسلم إلى الفكرة الأخرى التى تليها ، بتجانس لا إقحام فيه ولا انفعال دخيل ، فاتسق فكراً وبنياناً حتى ليستحيل معه نقل بيت مكان بيت ..

خذْ مثلًا دليلًا على ذلك همزيته المشهورة التى يرد بها على هجاء أبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب[٢] لرسول الله - ﷺ -

وقـال اللـه : قد أرسـلتُ عبـدا	يقـول الحـق إن نفـع البـلاء
شـهدت به ، فقومـوا صـدِّقوه	فقلتـم : ما نقـوم ، وما نشـاء
وقـال اللـه : قد سيَّرت جنـدا	هم الأنصـار عرضـتها اللقـاء
.. ألا أبْلـغْ أبا سـفيـان عنـى	مغلغلـة .. فقـد بـرح الخفـاء
هجـوتَ محمـدا فأجبْـتُ عنـه	وعنـد اللـه فى ذاك الجـزاء
أتهجـوه ، ولسـت له بكـفء	فشـركما لخيـركما الفـداء
هجـوت مباركـاً ، بَـرًّا ، حنيفـاً	أميـن اللـه ، شيمتـه الوفـاء
أمـن يهجـو رسـولَ اللـه منكـم	ويمـدحه وينصـره .. سـواء؟
فإن أبـى وأجـدادى وعرضـى	لعـرض محمـد منكـم .. وِقـاء[٣]

• • •

ويدور الزمن دوْرته ، فى سيره الحثيث من الأزل إلى الأبد ، وينتقل رسول الله - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى ، فيقول أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بعَد إسلامه وهو يبكى

---

(٢) وهو ابن عم النبى - ﷺ - وأخوه من الرضاعة ، وأحد خمسة من آل عبد مناف الذين كانوا يشبهون رسول الله (ﷺ) ، وقد أسلم بعد ذلك .

(٣) ولهذا التفانى فى الدفاع عن رسول الله ﷺ حق لحسان أن يقول :

لا إســرق الشــعـراء ما نظمــوا ... بل لا يشابـــه شعرهـــم شعـــرى

رسول الله ـ ﷺ ـ عشية وفاته ، بقصيدة من غرر الشعر الذى يزخر بعناصر الوحدة الموضوعية ، والصدق الفنى والشعورى :

أرِقْتُ .. فبات ليلى لا يزولُ ... وليل أخى المصيبة فيه طولُ
فأسعدنى البكاء ، وذاك فيما ... أُصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا ، وجلَّتْ ... عشيّة قيل : قد قُبض الرسول
وأضحتْ أرضنا ، مما عراها ، ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس ، أو كادت تسيل
نبىٌّ كان يجلو الشكَّ عنا ... بما يُوحَى إليه وما يقول
ويهدينا .. فلا نخشى ضلالا ... علينا .. والرسول لنا دليل
.. أفاطمُ إنْ جزعتِ فذاك عذر ... وإن لم تجزعى .. ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

ولاشك أن البراعة ـ غير المقصودة ـ فى استخدام أدوات الربط ، كواو العطف ، وفاء السببية وغيرهما ، بالإضافة إلى الربط بين الجو الشعورى والجو النفسى ، فى أحزان الوحدة ، كل ذلك ساعد على إخراج القصيدة بصورة معبرة ، تصور مشاعر كل مسلم بهول الفقد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

ومن بدائع شعر الوحدة العضوية فى عصر صدر الإسلام ، ما روى من أن أعرابياً وقف بين يدى سيدنا على كرم الله وجهه ، فقال : ـ إن لى إليك حاجة رفعتها إلى الله ، قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها .. حمدت الله تعالى وشكرتك .. وإن لم تقضها حمدت الله تعالى ، وعذرتك ..

فقال (على رضى الله) عنه :
ـ خُطَّ حاجتك فى الأرض ، فإنى أرى الضُّرَّ عليك ..
فكتب العربى على الأرض : إنى فقير ..
فقال على رضى الله تعالى عنه ، لعامله :
ـ يا قُنبر .. اذفَعْ إليه حُلَّتى الفُلانية ..
فلما أخذها الرجل ، مثل بين يدى أمير المؤمنين ، وأنشد :

كسَوتَنى حلة تَبْلَى محاسنُها ... فسوف أكسوك من حُسْن الثنا .. حُللا
إن الثناء ليُحيِيى ذكرَ صاحبه ... كالغيث يُحيى نداه : السهلَ والجبلا

لا تزهـد الدهــر فى عُرْفٍ بدأت به   فكـل عبـد سيُجـزَى بالـذى فعـلا

فقال على رضى الله عنه لعامله :

– يا قُنبر .. اعْطِهِ خمسين ديناراً .. أما الحلة فلمَسْألتك ، وأما الدنانير فلأدبك .. وأضاف رضى الله عنه :

– سمعت رسول الله – ﷺ – يقول :

–« أَنْزِلُوا الناس منازلهم »[٤] .

وما أروع قول معروف الكرخى ، وأدله على وحدة موضوعية وجدانية متوهجة ، حين أنشد فى السحر ، وهو يبكى :

أى شــىء تريـد منــى الذنــوبُ   شُغفـتْ بى.. فليس عنـى تغيــبُ
ما يضـــر الذنــوبَ لو أَعْتقتنــى   رحمةً بى ، فقـــــد علانى المشيب

وقول عبدالله بن رواحة ، رضى الله عنه ، وهو يحمل حملة شديدة فى إحدى الغزوات ، ويمنى نفسه بالشهادة فى سبيل الله :

يا نفــس إلا تُقْتلــى .. تمــوتى   هـذا حمــام المــوت قد صَــليتِ
ومـا تمنيــت .. فقـــد أُعْطِيـــتِ   إن تَفْعَلِـى – كفعلها – هُدِيـــتِ

وكذلك قول عبدالعزيز بن زرارة الكلابى ، حينما أوغل مع الجيش العربى فى ديار الروم ، واشتدت الملاحم بين الفريقين ، وكان عبدالعزيز يتعرض للشهادة ، حريصاً عليها ، ولكنه كان يخرج من المعارك سالماً ، فقال :

ونكبـة لو رَمَـى الرامـى بها حجـرا   أصـمَّ من جنـدل الصمان لا نصدعا
مَرَّتْ علىَّ ، فلم أطـرح لها سلبـى   ولا استكنـت لها وهْنـاً ولا جزعـاً
ولا رميـت على خصـــم بفاقـــرة   إلا رميت بخصــــم فرَّ لى جزعـــاً
ولا أزال على أرجــــاء مهلكـــــة   يسـائل المعشـر الأعـداء: ما صنعـا
.. قد عشـتُ فى الدهر أطْواراً على طرق   شتى ، فصادفت منها الليـنَ والبشـعا
كُلًّا بلـوْتُ ، فلا النعمـاء تبطـرنى   ولا تخشَّـعت من لأوائهـا جزعـــاً
ما سـدَّ من مطلع يُخشـى الهلاك به   إلا وجـدت بظهـر الغيـب مُطَّلعـا
لا يمـلأ الهــول صــدرى قبـل وقعته   ولا أضـيق به ذرعـاً .. إذا وقعـا

(الحديث موصول)

---

(٤) العمدة لابن رشيد جـ ١ ص ٢٩ .

من أدب الحرمان

الفقر والفقير «للرافعي»

عرض الأستاذ/ محمد عبد الوهاب

تمهيد :

خَلَقَ الحَظَّ جُمانا .. وَحَصَى — خَالِقُ الأشياءِ من ماء وطينْ
فَوَليدٌ تسجد الدنيا له — ووليد .. فى زوايا المهملين

فإذا كان حظ شاعر ما ، أن يكون فى زوايا المُهْمَلِين ـ على حد تعبير شوقى ـ بسبب الفاقة والحرمان ، فما عسى أن يكون موقفه من الحياة والناس ؟ بعد أن أخْطَأتْه الأضواء ، فلا يُسلَّط عليه ، ولو شعاع واحد منها ، فيبقى قابعاً فى الظِّل ، منطوياً على نفسه ، فى عُقْر داره ، ولعل أبلغ هؤلاء الشعراء جميعا : الشاعر عبد الحميد الديب ، الذى استطارت شهرته فى البؤس ، بعد قوله لعبد الحميد عبد الحق وزير الأوقاف الأسبق ، منذ سنوات عديدة :

سَمِيُّكَ عبقريُّ البؤس فَافْخَرْ — بَأبأسِ بائسٍ تحت السماء !

وهو بدوره يصور غرفته يقول فيها :

أفي غرفتى يا رب أم أنا فى لحدى ؟

ثم يقول :

فأهدأ أنفاسى تكاد تهدُّها — وأيسر لمسى فى بِنَايتها يُرْدى
ترانى بها كَلَّ الأثاث ، فمعطفى — فِراشٌ لنومى ، أو وِقاءٌ من البَرْد
وأمَّا وساداتى بها فجرائد — تُجَدَّدُ إذْ تُبْلَى على حجر صلد
تُساكننى فيها الأفاعى جريئةً — وفى جَوِّها الأمراض تفتك أو تعدى
أرى النمل يخشى الناس ـ إلا بأرضها ـ — فَأرْجُله أمْضَى من الصارم الهندى
تحملت فيها صبر أيوب فى الضنى — وذُقْتُ هزال الجوع .. أكثر من غاندى !

وبعد هذا التمهيد ــ الذى لا بد منه ــ أذكر أننى عثرت على نص نثرى بليغ لمصطفى صادق الرافعى (رحمه الله) كان موضوع خطبة بعنوان : « الفقر والفقير » ، تكلم فيها عن الفقر بصفة عامة .. وقد ألقاها فى حفل عام لجمعية الاتحاد والإحسان السورية فى طنطا ، فى السادس من ابريل سنة ١٩١٣م . وهى من آثاره القلمية التى فات تلميذه الأستاذ محمد سعيد العريان نشرها بالجزء الثالث من كتاب : (وحى القلم) للرافعى ، الذى قام بإعداده ونشره ، بعد وفاة الرافعى ، وأصدر فى حياته الجزْأيْن : الأول والثانى فقط من : (وحى القلم) ، وقام العريان باستكمال آثار الرافعى النثرية ، فى جزء ثالث .. ونثبت فيما يلى نص الخطبة التى ألقاها الأستاذ الرافعى ــ رحمه الله ــ ونشرتها المقتطف بعدد مايو ١٩١٣ .

الفقـــر والفقير[١]

فى الأرض سؤال لم تزل تُلقيهِ أطماع الناس فى كل عصر من عصور الحياة ، ولا تصيب لهُ جواباً مقنعاً ، لأن الطمع ليس لهُ طبيعة محدودة ، فهو يسأل سؤالًا غير محدود ، ويريد بطبيعتهِ جواباً غير محدود .. هذا السؤال أحد ثلاثة : هى حقائق الإنسانية الضالة عن الإنسان نفسه فى غيب الله ، يقول : ما هى الروح التى تعطى الحياة .

وتقول آمالهُ : ما هو[٢] الموت الذى يستلب هذه الحياة .

وتقول أطماعهُ : وما هو الفقر الذى يجمع للروح بين الموت والحياة ؟

كذلك نتساءل ما هو الفقر ؟ على أنه ما غير الفقر سؤال فى كل نفس إنسانية معنى من جوابه ، ولا غير الفقر قبر الأمانى الذى لم يخلق الله نفساً من النفوس ، إلا ولها ميت من الأمل فى ترابه .. بلى وإذا كان فى لغات الأفواه لفظ خالد فإنما هو الفقر . وإذا كان فى هواجس القلوب معنى خالد فإنما هو : خوف الفقر . وإذا كان للدموع الإنسانية مصب واحد تلتقى إليه من جهات الأرض فإنما هو : بين شاطئين ــ إن جاز أن يكون أحدهما الحب ــ فإن من المحقق أن أحدهما : الفقر .

إن هذه الأرض لتصبح فى كل يوم ، ولا يمكن أن يقال بحق إن فيها عملًا إنسانياً عاماً غير طلب المال ، فأحرِ بها أن تمسى فى كل يوم ، ولا يمكن أن يقال إن فيها معنى إنسانياً عاما ، غير

---

(١) خطبة ألقاء مصطفى أفندى صادق الرافعى فى الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والإحسان السورية فى طنطا فى ٦ أبريل سنة ١٩١٣ .

(٢) للنحاة والبلاغيين ، مقال فى : (من هو .. وما هو) حيث يليهما المسئول عنه . وقد طرحت الأمر على أستاذى فضيلة الدكتور عفيفى عبد الفتاح ، وقلت له : ينبغى أن نقول : ما الكتاب .. من الرجل .. مثلا ولا نقول : ما هو الكتاب .. ومن هو الرجل ، أو هذا المعنى فكان رده ــ رحمه الله ــ يقوله:
قال تعالى : « وما تلك بيمينك يا موسى » الآية من طه ١٧ .

راجع إلى الفقر . ويقولون : إنها تدور حول قرص الشمس ، وهو قول فلكى أو سماوى ، يصح إطلاقه على الأرض ، كهيئتها يوم خلقها الله أو على الأقل كما خلقها . أما الحقيقة الأرضية فإنها تدور حول قرصين : قرص اللهب وقرص الذهب . ويالله للفقير . إنه دائماً فى الجهة المظلمة .

الفقر متى ألقيته سؤالًا عاد إليك بجواب نفسه ، لأنه فصل من كل عمر كالشتاء فصل من كل سنة ، وليس فى الناس جميعاً من يصدق إذا ادعى أنه لا يعرف الفقر غير اثنين لا خير فيهما : غنى جنَّ من فرط الغنى وفقير جنَّ من فرط الفقر ، فالأول لا يعرف الفقر فى جنونه لأنه جنَّ بغيره والثانى لا يعرفه لأنه جنَّ به . ولكن من هو الفقير ؟

من هو هذا الكائن الضعيف الذى أحاط به الجهل حتى إنه ليجهل نفسهُ . وأينما اتجه أشاح عنهُ الناس بوجوههم ، فلوَوا رؤوسهم وصعرَّوا خدودهم وأمالوا أعناقهم حتى كأن كل رأس فى التواء عنقه من الشموخ والاستكبار يمثل علامة استفهام أقيمت فى وجه هذا المسكين أو علامة إنكار .

من هو هذا الحى الذى تنكرت لهُ الدنيا حتى صار فيها كأنهُ نوع شاذ من الخلق يقوى على كل شىء حتى الطبيعة ولكنهُ يضعف عن شىء واحد وهو الغنى فقضت عليه شرائع الاجتماع أن ينفق من حياته أضعاف ما يكسب لحياته . فهو إذا كدح فى العمل طوال يومه فقوت هذا اليوم عليه كثير ، وإذا لم يجد ما يطعمهُ الجوع فأطعمهُ من جسمه فذلك عليه يسير ، وإذا ذاب فى الشمس وجمد فى البرد فهو عند الأغنياء ذو طبيعتين لأنه فقير !

من عسى أن يكون هذا القوى الذى يختصمهُ المجتمع كله ويخشى أن يرتفع فيكون « قاضياً » ، ويأخذه اليوم بالجناية وهو الذى أوحاها بالأمس إليه .

ومن هذا الذى يرى المجتمع أنه إذا قدر للشريعة أن تُلحد فى قبر فلن تُدفن إلا فى هاوية من مطامعه ، وإذا حكم الله على عصر من عصور الجبابرة بالشنق فلا تكون المشنقة بجذعها وحبالها إلا من ذراعيه وأصابعه ؟

من هو الذى يجف ريق الأرض لو جف عرقه من ترك العمل ، ويخيب أمله مع ذلك فى كل غنى وهو نفسهُ للأغنياء أكبر أسباب الأمل ، يُدِلُّون عليه بالغنى ولولا أن فى فضتهم عنصراً من دمعه القيم لما وجدوا لها قيمة ، ولو لم يكن فى ذهبهم روح من دمه الكريم لما عُد أفضل المعادن الكريمة .

ذلك أيها السادة هو المدرج فى أكفان النسيان ، الذى ليس له فى الناس إلا (منكر ونكير) ، ذلك هو البائس فى بنى الإنسان ، الذى يكثر عليه القليل ويقل منهُ الكثير ، ذلك هو المتناقض فى نفسه حتى لا يصغر أن يقال فيه صغير ولا يكبر أن يقال كبير ، ذلك هو الذى يشبه أن يكون عملهُ حركة فلكية فى الأرض لآلة الغنى . ذلك كلهُ هو الفقير .

يالله ما تحمل الأرض إنساناً واحداً لا يخشى عادية الفقر ولا يتعوذ بالله منهُ ولا يرى يومهُ فى

هذه الأرض كأنه الآخرة قبل الموت يقوم الفقير بين حسابها ، وعذابها ، ويستعيذ برحيمها . من جحيمها ، ويفرُّ من أمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، ويضع فى ميزانها آماله ، فلا يزن إلا أعماله ، ويستصرخ كل من يمرُّ به فلا يسمع إلا قائلا يقول : نفسى نفسى ، ويذكر كل إنسان بمودته وكل إنسان هنالك قد نسى أو أنسى ، فينظر فإذا هو فى الناس ضائع حتى لا يعرف لهُ محلًا ، ومنفرد حتى لا يجد بينهم لشخصهِ ظلًا ، وإذا هو بالسماء وقد التهبت بأقدارها حتى كأنها فى عينهِ جمرة من البرق الخاطف ، وإذا الأرض قد ثارت بأهلها كرماد اشتدت بهِ الريح فى يوم عاصف ، فإن أقبل على الناس فرّوا من أماكنهم كأنه زلزلة تمشى وإن استصرخهم نفروا كأن فى صوتهِ فزعُ الرعد القاصف . يالله لا تحمل الأرض إلا من يعرف هذا من الفقر بل أشد منهُ ثم يبقى الفقير كأنهُ مسألة مجهولة فى حساب الناس لا هم لهم فيها إلا كثرة الطرح والضرب ثم الغلط فى النتيجة .. وتنحاز طبائع الناس كلها فى جهة والفقير وحدهُ فى جهة حتى لا يرى هذا المسكين فى العالم على سعته غير اثنين : هو ، واستبداد الغنى .

ترى أين تكون شرائع الآداب إذن . هل هى فى ضمائرنا أم هى فى كتبها ، أم صار الحق كلهُ إنسانيًا بحتاً لى عليك ولك علىّ وليس لله علينا شىء . وفصلنا أنفسنا من السماء وقطعنا الروابط التى كانت تربطنا بها ، ونبذناها فرثَّت ثم رثَّت فإذا هى على أجسام الفقراء تلك الأسمال البالية .

أيها السادة : الحقوق متى صارت إنسانية محضة ليس فيها لله شىء فكل درهم يوضع فى يد الإنسان يجعل فيها عقلًا يحكم على عقلهِ وكل رغيف يستقر فى معدته يخلق فيها ضميراً يستبد بضميرهِ ، فينفصل الإنسان من الله ويبتعد عنهُ بمقدار مايقرب من الغنى . وحسبهُ يومئذٍ فى اعتباره بعيداً جداً عن الله ورحمته أن يقال : أن بينهُ وبين ربهِ مسافة ألف دينار .. ذلك بأن عدل الله يقضى أن يكون للفقير ثروة ، وإنما الجزء المهم من هذه الثروة هو الإحساس فى ضمائر الأغنياء . والأدلة على هذه القضية (قضية الحقوق الإنسانية) كثيرة تفوت الحصر لأن كل مرابٍ جمع مالهُ من السحت والربا إنما هو فى نفسه دليل عليها . وليس أحداً أخيب رجاء ولا أحق بأن يخيب ممن يسأل المرابى إحساناً لوجه الله تعالى ، فإن الذى لا يعرف الله ــ سبحانه ــ فيما يأخذ كيف يعرف الله ــ عز وجل ــ فيما يعطى .

لماذا نرى جفاة الأغنياء يخشون من الفقر على أنفسهم فقط ولا يخشون منهُ على الفقير ؟ أظنهم يقولون : إن فى الأرض شيئين بمعنى واحد . قبور الأموات فى باطنها ، وأكواخ الفقراء على ظاهرها . وليس من فرق بينهما فى النسيان ؛ لأنهُ يشملهما جميعاً ، وإنما الفرق بينهما فى حاليهما المتناقضتين . هذا قبر ميت وهذا كوخ حى . نعم صدقوا وبروا وقالوا حقاً . أليسوا جُفاة القلوب غلاظ الأكباد . وإلا فما هو الفرق بين موت منسى كموت الغريب وحياة منسية

كحياة الفقير إلا على الفرق الذى لا يبالى به هؤلاء الأغنياء حين يكون لأحدهم ظاهر حى وضمير ميت .

وأظن أولئك الجفاة يقولون : إننا نرى الفقير لا يملك فى الأرض شيئا ، بل هو الحارس على قطعة من أرض الله يطوف حولها يومهُ . ففقر فلان التاجر الغنى مثلًا ليس هو فى الحقيقة أن لا يصيب القوت ولا يجد المأوى كغيره من الفقراء وإنما هو المتاجرة فى الآمال . بعد الأموال . وقبض الريح . بعد قبض الربح . واستقبال الأبواب والجدران . بعد استقبال الأصحاب والجيران . وهلم من هذا الباب الذى يُفتح من جهة الغنى على سائر الجهات الثلاث للحياة البائسة ، وهى : الفقر والمذلة والألم . وإنما هو رجل ككل رجال المال متى خرج المال من يد أحدهم خرج اسمهُ من أفواه الناس وحُبُّهُ من قلوبهم ويكون من أهل السعادة لو خرج هو أيضاً من الدنيا .

قُتِلَ الإنسان ما أكفرهُ :

لو أن غنياً فقد جبلًا من الذهب وأصاب رغيفاً لكان ذلك أيسر فى مذهب الإنسانية من أن لا يجد البائس المعدم رغيفاً يمسك به الرمق ويقيم منهَ باباً حاجزاً يمنع الجوع أن يُدخِلَ إليه الموتَ أو يخرج منهُ الروح . ولكن مصيبة الإنسانية فى أهلها أن الله لم يخلق إلا صنفاً واحداً من الناس على أن كل إنسان يظن أنهُ ذلك الصنف الواحد . فالغنى حين يتصور الفقر وهو لا يزال فى غناهُ لا يتصور إلا اختلال نظام الأقدار (والعياذ بالله) . واضطراب حركتى الليل والنهار . بعد أن يهوى كوكب سعدهِ الذى يصاغ من كل ذرة من أشعتهِ دينار .. ولا يرى بهذا الفقر إلا أن نقمة هابطة من السماء ولعنة صاعدة من الأرض قد التقتا عند رأسهِ الشامخ فى جو كبريائهِ . فاصطدمتا بهِ فإذا هو مُكِبٌّ لليدين وللفم عند أقدام الناس وإذا هو فقير .

هذا هو الفقر فى أوهامهم ولكنهُ فقرهم فقط .. أما سائر الناس فهم عندهم أهل باطل ودعوى . ينتحلون الفقر ويدعونهُ ليعادوا نعمة الغنى بالحسد فالجوع فقر والمرض فقر والتعب فقر والضجر فقر واشتهاء ماليس لهم فقر وقلة الأصحاب فقر وحتى لو أن أحدهم سخطتهُ زوجهُ لنسب ذلك إلى الفقر وبالجملة فكونهم ليسوا كالأغنياء هو الفقر . فإذا كان الفقر كل شىء فما هو الشىء الذى يسمى الفقر ؟

من أجل ذلك أيها السادة يخشى الأغنياء من الفقر على أنفسهم وهم أنفسهم لا يخشون منهُ على الفقير .. لأن هذا الفقير عندهم قد أصبح شخصاً آخر لا صلة لهم به فهو يكذب على الحوادث والحوادث تكذب عليهِ وجزاء سيئته سيئة مثلها . فإذا انخدعوا لهُ فبمقدار ما يتعجبون من سخافته ، وإذا أعطوهُ كان العطاء سخيفاً بمقدار ما ينخدعون . ولا ينظرون لأثر الله عليه ولكن لأثره على نفسه إذ الحقوق عندهم حقوق إنسانية ، فهيهات أن يختلج فى نفس أحدهم . أن

لو شاء الله لوضعهُ فى ثياب هذا الفقير ولوضع الفقير فى ثيابهِ . أترد مثل هذا الغنى الجاف إلى الدين ؟ إنه لهو الدين . أترده إلى الإنسانية ؟ فمن هو – إذن – إذا لم يكن من صميم الإنسانية وعين أهلها بل إنسان هذه العين . أما الحق فاذكر أموالهُ تعلم أن « الحق فى يده » .. هكذا هكذا يعطى المال أهلهُ حتى فضائل غيرهم ، ويسلب الفقر أهلهُ حتى محاسن أنفسهم .

أيها السادة : لابد من صلة معنوية بين جميع الناس على ما يكون بين الإنسان والإنسان من التباين والاختلاف فى كل شىء حتى بين الأخوين تلدهما الأم الواحدة وهما مهما اتفقا فى الحياة ومظاهرها ، فإنهما لابد مفترقان افتراق الثديين اللذين ارتضعا منهما الحياة . فما عسى أن تكون هذه الصلة العامة بين الناس ؟

تقول الشرائع : إن الصلة التى تجمع الناس بعضهم ببعض هى العدل .

وتقول العلوم : إنها العقل .

وتقول الآداب : إنها شىء من العدل والعقل يكون الإنسانية فى الضمير .

وتقول الحياة : إنهُ سبب الإنسانية وهو الرحمة .

ثم يرعد صوتُ إلهىٌّ يقصف من جهة السماء التى هى مصدر العدل والعقل والإنسانية والرحمة فيصيح بكل ما فى هذه الأشياء من القوة ويقول : كلا .. بل هو سبب الرحمة ومظهر الإنسانية وكمال العقل وفضيلة العدل وهو الفقر(٣) .

من الذى وُلدِ وفى يده قطعة من الذهب ، ومن الذى مات وفى يدهِ تحويل على الآخرة ؟ لقد وسعت الخرافات كل شىء إلا هذا . فما لنا نتحد فى البدء والنهاية ثم نختلف فى الوسط ؟ ذلك لأن بدءنا من طريق الله ونهايتنا فى طريق الله . ولكن الوسط طريق بيوتنا ومصانعنا وحوانيتنا وبكلمة واحدة طريق بعضنا إلى بعض .. وحيثما التقى الإنسان بالإنسان فإما أن تلتقى المنفعة بالمنفعة وإلا فالمنفعة بالمضرة ، فلابد من انتفاع أحدهما أو كليهما . ومن ثم يقول البخلاء ما الذى ننتفع به من رحمة الفقير . أو لا يكفيه أننا لا نرزقهُ شيئاً ، وإننا نفضل عليه فنعتد الدرهم الذى نمسكه عنه كأنه درهم أخذناه منه ، وبذلك لا يضرنا ولا ننفعه بشىء ومن جهة أخرى يكون قد نفعنا ونفعناهُ بلا شىء .

قَاتَل الله البخل وقبحهُ فما هو إلا حرص على المنفعة يشبه عبادة الوثنيين لكل ما توهموا فيه المنفعة . وإن كان للحواس نوع من الكفر بالله ، فكفر اليد فى إمساكها ، وإن الله لرحيم إذ لم يعاقب البخلاء بما يعاقبون به الناس . فليس بين كل بخيل وبين الهلاك إلا أن ينقل الله – تعالى –

---

(٣) هذه العبارة صورة أدبية .. ما كان ينبغى أن تسند إلى (صوت إلهى) .. مجلة الأزهر .

الإمساك من يده إلى جوفه .. على أن البخل إذا لم يكن بقية من الوثنية القديمة بعينها فهو على كل حال نقص من الإيمان . لأن الله وعد المحسنين والمتصدقين ثواب ما أنفقوا مكافأة على فضيلة الإحسان التى هى فى الحقيقة فضيلة الإحساس . ثم أن يخلف عليهم ما أنفقوه أضعافاً مضاعفة إذ المحسِن لا يجود بدراهمه على الله ، ولكنه يقرضه أياها قرضاً حسناً متى وضعها فى يد الإنسانية الفقيرة . فمن أمسك عن الإحسان بخلًا فإنما يشك فى وعد الله وإلا ففى قدرة الله وإلا ففى الله نفسه . فأكبر البخل عند أكبر الكفر وأصغرهُ عند أصغرهِ ، ويوم يخرج الإيمان من قلوب الأغنياء تخرج أرواح الفقراء من أجسامهم ، فيموتون بالجوع وبالعُرى وبالمرض وغيرها ، وكلها مظاهر متعددة لسبب واحد هو فى الحقيقة كفر الأغنياء كفراً فى الضمير ، لا كفراً فى اللسان .

من هنا أيها السادة لا تجدون الفقر فى أى عصر من العصور إلا بعض الخلل فى نظام الاجتماع الإنسانى ، كما أن البخل بعض الخلل فى نظام النفس الإنسانية . والفراغ الذى يجده الفقير فى بيته إنما هو موضع النعمة التى بخل بها الغنى وهو فى الحقيقة موضع التفكك أو الكسر فى الآلة التى تديرها شريعة الاجتماع .

الإنسان إنما خلق اجتماعياً وهو بشخصهِ لا قيمة لهُ ولا منفعة إلا حيث يكون شخصهُ جزءاً من مجموع . لأن اليد الواحدة فى الجسم ولو كانت يد ملك وكان فيها زمام العالم ، فإنها لا يفارقها عيب أختها المقطوعة .

و كل خلل فى النظام الاجتماعى فإنما مردُّهُ إلى طغيان بعض الأفراد وجنوحهم إلى أن تكون شخصية الواحد منهم من الكبر والعظمة بحيث توازن المجموع كلهُ . بَيْدَ أن هذه الموازنة الفردية متى اتفقت كانت إخلالًا بالموازنة الاجتماعية . لأنها تجعل كل حركة من هذا الفرد زلزلة فى المجموع كالثقل فى إحدى كفتى الميزان : إن خف ، سقطت الكفة الأخرى وإن ثقل شالت وهو السقوط إلى فوق .

والموازنة الاجتماعية لا تتهيأ إلا إذا تطبعت قوى المجموع ، فاندفعت فى تيار واحد إلى جهة معينة . ولكن الموازنة الفردية لا تستقيم إلا إذا جاءت من عكس هذه الجهة ، فتصد قوة المجموع وتبقى دائماً ذات قوة على صدها . ومن أراد الغلبة فإن ضعف خصمهِ يعطيهِ منها أكثر مما تعطيهِ قوة نفسهِ ، ولا يكون ضعف المجموع إلا من حصر الشخص العظيم قوة عقله ونفسه وضميره فى هذا السبيل الفردى لتكون منهُ الشخصية الهائلة التى تشبه ما كان فى تاريخ الوثنية من شخصيات الآلهة وأنصاف الآلهة .

وقد اضطر الناس لذلك من عهد اجتماعهم على نظام أو شريعة إلى ابتداع الوسائل للتوفيق بين قوة الفرد وقوة المجموع حتى لا يستشرى الداء فى الموازنة الاجتماعية فيفسدها ويوقع فى نظامها الخلل ولكيلا تكون خيرات المجموع كلها فى معدةٍ واحدة ، وحتى لا يبقى الناس أرقاماً يعدهم

الغنى المستبد كما يعد دراهمهُ لأنهم ثروتهُ الحية .. غير أن هذه الوسائل على اختلافها لم تكن ولم تزل إلى عهدنا عهد الاشتراكية العلمية . إلا ثورات هى مهما كانت فإنها أشبه شيء بجموح الحيوان إذ يحمى أنفهُ فيجمح ثم يسترسل فى جماحهِ ثم يشتد حتى يعتز صاحبهُ على رأسهِ ويملك نفسه منهُ ثم ماذا ؟ ثم يسكن مكرهاً بعد أن جمح راضياً ، فإن لم يسكنه الألم من صاحبهِ اسكنه التعبِ من نفسه لأن التخلص من شيء فى فطرة الإنسان لا يكون بالتخلص من إنسان بعينهِ كالحرية إن لم يكن فى نفوس الشعب المستبد لم ينفعه كل مايتمثلهُ من الآمال عند سقوط المستبد وزوال عهده ، فإن هذه الآمال الجميلة إنما هى بعض الهواء النقى الذى يتنفسهُ تاريخ الحرية المستعبدة ملء رئتيهِ حين ينبعث من الحركة التى يحدثها ذلك السقوط .

ومن هذا أيها السادة ترون أن الإنسان لا يعيش فرداً ولكنهُ حين يموت يموت فرداً .. فإذا رأيتم فقيراً منبوذاً من المجتمع منفرداً عنهُ لا يساهمهُ فى عملهِ ولا عيشهِ بل كأنهُ يعيش فى بقعة مجهولة من فؤاده فاعلموا أن إهمال ذلك الفقير إنما هو نوع من القتل الاجتماعى .

ههنا قاتل ومقتول لم يأخذ القاتل بحق من الحقوق ولا ثار لنفسهِ ولا قتل بيدهِ . أما المقتول فإنهُ لم يُقتل فى إثم اجترحهُ ولا هو جنى على نفسهِ الضعف الشديد الذى بلغ منهُ حتى جعل إهمال القوى إياهُ كأنهُ حكم عليهِ بالقتل . فترى على من تكون هذه التبعة وهى بالتحقيق ليست على القوى لقوته ولا على الضعيف لضعفه ؟

هناك اثنان : رجل فى الماء وآخر على الشاطىء ، فأما الذى فى الماء فليس بينه وبين الموت غرقاً إلا نفس واحد مبتل بالماء يغسلّ من حلقه إلى رئتيهِ وهو يرى بعينهِ الموت دائباً فى حفر قبره المائى فليس الموج المتناثر حولهُ إلا ما تثيره يد جبار الموت من تراب ذلك القبر وتحثوهُ فى وجهه بغضب ، بعيدُ عن الأحياء حتى بَعُدَ عن أن يكون لهُ قبر بينهم ، لا صلة بينهُ وبين الحياة الأرضية إلا نظرات ذلك الرجل القوى الذى يلوح فى عين الغريق كأنهُ صخرة على الشاطىء لها قوة وليس لها إرادة ولا يد . ولكن هذا الذى يشعر بصلابة الأرض تحت قدميه ويشعر بصلابة يدهِ وعضلاتهِ يشعر أيضاً بمعنى من الصلابة فى قلبه . وقد جاء إلى الشاطىء ليتنفس تلك النسمات التى يتنهد بها صدر السماء فتكون أرواحاً للأمواج تبعث فيها حركة الحياة . ما له ولهذا المنظر ؟ سواد يطفو على الماء كأنهُ هنة من المتاع أو حذاء قديم أو ريش طائر أو رأس رجل يغرق وما دفعهُ هو إلى الماء فيكون حقاً عليه أن يستنفذه ، ولا كان الغوص من صناعته فيعتمل فى إخراجه ليخرج معهُ أجر عملهِ ، وهو قوى ولكنه قوى لنفسهِ لا للضعفاء وقد جاء ليروح عن نفسهِ . وإنقاذ الغريق عمل آخر . أخذ فيما جاء لهُ وما زال يتنفس ملء صدرهِ من الهواء ومن زفرات الإنسانية ومن لعنات ذلك الغريق حتى آن لهُ أن ينصرف وترك الرجل يغرق ، وهو يقول : لا بأس أن ينقص عدد أهل الأرض واحداً فهم كثير . ترى على من تكون هذه التبعة أيضاً ؟

إذا أردتم أيها السادة أن تعرفوا ذلك فإنكم تستطيعون أن تحققوهُ بدون أن تكونوا شرطة أو

قضاة أو أهل قانون أو فلسفة ، ولكن بأن تكونوا من ذوى الإنسانية فقط . فإن الإنسانية لا ترى فى الأرض إلا الضمائر وما هذه الأجسام ألا أدوات صناعية ركبت هذا التركيب لتصلح لحياة الضمير . فالرجل قد مضى برىء اليد وبرىء القوة وبرىء العقل إذ هو لم يقتل ولم يجْنِ على القتيل ولم يحتل لقتله ، ولكن الإنسانية حين تنادى الضمائر بأوصافها فتقول أيها الطيب وأيها الكريم وأيها الشقى وأيها السافل . وتقول ـ لضمير هذا الرجل : أيها القاتل .

إذا لم يقر الأغنياء لأنفسهم بالضمائر ، ولم يلحقوا بها التبعات التى تناسبها ، فهل هم فى ذلك إلا كالمجانين لا تقر لهم الشرائع بالعقول وتخرجهم من تبعة ما يجنون على العقلاء لأنهم مجانين . وكيف ترون ذلك الغنى الفظ الذى يهر فى وجوه الفقراء ويصيح بهم كأنه ينبحهم بلغة كلبية ! .. ولا يفتأ يقذفهم بالألفاظ الجافية المؤلمة كما يقذف المجنون بالحجارة .. وإذا أعطاهم فإنما يعطيهم بقبضة فارغة وهو لا يوقر إلا من فوقه كأنه لا يرى فى الدنيا كلها اسفل من نفسه .. ولا يبالى إلا بمن يطمع فيه كأنه جالس فى (مكتب أحد المخدمين) . وقد تساوى فى الدناءة والكلف بالدنيا وقذارة الطباع ظاهرهُ وباطنهُ كأن ضميرهُ لبسهُ مقلوباً .. وصار أمر رضاه وغضبهِ وإحساسهِ وحياتهِ موقوفاً على ما يكون من أمر المعاملات كأن أخلاقهُ ليست فى نفسه ولكنها فى أيدى الناسِ .

أليس مثل هذا الغنى الدنىء رجلًا عاقلًا ؟ بلى إنهُ لَأَعْقَلُ من كل من يمدحهُ ولو كان أكبر علماء الاقتصاد ولكنهُ مجنون الضِمير بحيث لا يعقل إلا بحواسه .

استدراك

وقع خطأ فى بيت من الشعر بحاشية مقالة «المرأة فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى»، وذلك فى العدد الماضى ربيع الآخر صفحة (٥٢٨) وصحته:

كنتُ حُبّاً له يفوح شذاهُ ... باتِّقادِ الشبابِ فى دنياهُ

كما نسب الشاعر العربى «عدنان مردم» إلى لبنان فى عدد ربيع الأول بباب الشعر، وهو سورى الجنسية

عبقرية التراث بين النفى والإثبات

-٢-

د. عبد الفتاح أحمد الفاوى

ونعود الآن إلى الحديث عن محنة التراث ـ على اختلاف فى تسميتها محنة ـ وعن عواملها .

١ ـ الغزو الصليبى : تعرض العالم الإسلامى منذ نهاية القرن الخامس الهجرى لهجمات شرسة من الغرب الصليبى أراد بها استئصال الأمة الإسلامية ودرس وجودها ؛ فشن حملاته باسم الحروب الصليبية التى دمرت الكثير من معالم هذه الأمة فقتلت ، ونهبت ، وسلبت وأحرقت الكثير من المكتبات . وقد تركزت تلك الهجمات والحملات على بلاد الشام فأقامت الإمارات والممالك ، وتخاذل المسلمون بعضاً من الوقت حتى هيأ الله لهم من قام بالمسئولية وكسر شوكة هؤلاء .

وحيث إن حديثنا هنا عن تأثير هذا الغزو على المكتبات والكتب والتراث الإسلامى فإننا لن نتطرق إلى غيره .

يقول الأستاذ محمد كرد على : « ومن أهم النكبات التى أصيبت بها الكتب نكبة طرابلس لما فتحها الصليبيون وإحراق « صنجيل » أحد أمرائهم كتب دار العلم فيها وأخذ الصليبيين بعض ما طالت أيديهم إليه من دفاترها وكتب الخاصة فى بيوتهم ، واختلفت الروايات فى عدد المجلدات التى كانت فى خزانة بنى عمار أو دار حكمتهم فى طرابلس ، وعلى أصح الروايات أنها ما كانت تقل عن مائة ألف مجلد[١] » وذكر ابن الأثير فى

(١) « خطط الشام » ٦ / ١٩١ بل يذهب البعض إلى أن ما أتلفه الصليبيون فى طرابلس من الكتب بلغ ثلاثة ملايين مجلد . أنظر : « روائع حضارتنا » ص ٩٦٨ و « مواقف إزاء التراث » ٢٨

« الكامل » أن الصليبيين ملكوا طرابلس بالسيف ونهبوا ما فيها وغنموا من الأموال والأمتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يعد ولا يحصى[٢] .

والخزائن التى دمرت خزانة أسامة بن منقذ أحد أصحاب « قلعة شيزر » فقد « كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة[٣] » .

هذا بعض ما فعله الغزاة فى البلاد التى حكموها فترة من الزمن أما فى البلاد التى ما زالوا يحكمونها إلى اليوم مثل الأندلس فقد أحرقوا فيها كتب التراث الإسلامى كلها دون تفريق بين غَث وثمين ، أحرقوا المصاحف النادرة ، وأحرقوا كتب الأدب ، والعلوم ، وألوان الفنون . حيث ظنوا أن الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامى سيحول دون تحقيق مرادهم فى القضاء على الإسلام ، وإنهاء وجوده ، لأن القضاء على الإسلام فى نظرهم يقوم على الفصل بين الإسلام وتراثهم الدينى والثقافى . فأحرق رئيس « غرناطة » كل ما وقع تحت يده من الكتب العربية كما أتى الكردنيال «كسيشيش» عام ١٥١١ م ، على كل أو معظم نتاج المسلمين فى الأندلس ؛ وما فعله الأسبان أيضاً فى مكتبة « جامع الزيتونة » فى تونس لا يقل عما فعلوه فى الأندلس وكذا ما فعله الفرنسيون فى مكتبات الجزائر لا يقل عن ذلك[٥].

٢ ـ الغزو المغولى : لم يكد المسلمون يستريحون من حملات الصليبيين حتى خرج عليهم من الشرق أخطر سيل بشرى عرفه التاريخ ؛ خرج يهلك الحرث والنسل حتى خيل للبعض أن سد يأجوج ومأجوج قد انهار خرج يكتسح البلاد والعباد بأعظم مصيبة ، ومهما وصف الإنسان وحشية هذه الحادثة لن يستطيع أن يصف جزءا من فظاعتها .

يقول ابن الأثير عن حديثه عن أحداث عام ٦١٧ هـ ؛ « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارها لذكرها فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك !! فياليت أمى لم تلدنى ويا ليتنى مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً !!... فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ آدم وإلى الآن لن يبتلوا بمثلها لكان صادقاً » ويتابع بن الأثير وصف الحادثة فيقول : « ولقد بلى الإسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصائب لم يُبْتَلَ بها أحد من الأمم ؛ منها هؤلاء التتر ـ قبحهم الله ـ أقبلوا من المشرق ففعلوا الأفعال التى يستعظمها كل من سمع بها[٦] » .

وليس مجال بحثنا وصف هذه الحوادث ولكن لنقف على بعض ما فعله هؤلاء بالكتب ودورها .

فلقد دمر هؤلاء ما لا يحصى من صروحنا العلمية وكنوز ثقافتنا ومعالم حضارتنا فى « بخارى » و « نيسابور » و « الرى » و « أصفهان » ثم اكتسحوا العراق فسقطت

---

(٢) « الكامل فى التاريخ » ٩ / ٢٢٠ .

(٣) « خط الشام » ٦ / ١٩٢ .

(٤) « الإسلام والحضارة العربية » ٢٧٠ محمد كرد على .

(٥) أنظر : « حول توثيق الارتباط بالتراث العربى » ص ٤ هلال ناجى .

(٦) « الكامل فى التاريخ » ٩ / ٩٢٣ ابن الأثير .

بغداد ؛ وعكف رجال الإسلام يفتشون بين الأطلال عن ذخائر التراث فى « بيت الحكمة » والمدرسة النظامية و « المدرسة المستنصريـــة » وغيرها من دور الكتب العامرة وصروح العلم الشامخة ؛ فإذا النار قد أكلت منها ما أكلت حتى شبعت فقذف بالباقى فى النهر .

يقال إن الكتب سدت مجرى دجلة وجاز الناس عليها ما بين شطيه كأنه جسر معقود (٧) .

ويقول القلقشندى فى « صبح الأعشى » وهو يصف المكتبات فى العالم الإسلامى وما انتهى إليه أمرها : « يقال إن أعظم خزائن الكتب فى الإسلام ثلاث خزائن : إحداها خزانة الخلفاء العباسيين فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسة ؛ ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد .... فذهبت خزانة الكتب فيما ذهبت وذهبت معالمها وأعفيت آثارها (٨) » .

ويذكر الأستاذ محمد كرد فيما يذكر ما فعله التتر بالتراث فيقول (٩) : « إن هولاكو بنى بكتب العلم اصطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضاً عن اللبن ، وقيل إن ماء دجلة تغير لونه لكثرة ما ألقى فيه التتر من الكتب والأوراق ، وقيل : إنه أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة » .

وقد يكون فى هذا الكلام من المبالغة والتهويل ما فيه شأن كثير من الحوادث والأخبار التى يرويها القدماء ولكنه على أية حال يصور فداحة المحنة التى تعرض لها التراث .

٣ ـ الصراع المذهبى : ما فعلته الخلافات السياسية والصراعات المذهبية فى التراث لا يقل عما فعله الغزو الصليبى والمغولى فيه فلم تنج بقايا التراث من معارك الصراع المذهبى ؛ فحيثما أتيح لأصحاب مذهب مجال نفوذ وسلطان ألحوا على كتب خصومهم حرقاً وإتلافاً ؛ ومع أن مثل هذا التدمير كان موجهاً بصفة خاصة إلى كتب المذاهب إلا أن لهيب الحريق لم يكن يمز بينها وبين غيرها ؛

وقد كان الحكام المذهبيون يريحون أنفسهم باحراق الكتب جملة لتعذر فحص الملايين منها ، إلا أن يتاح لهم فى القليل النادر مستشار رشيد ينقذ ذخائـــر التـــراث التـــى لا شأن لها بصراع المذاهب (١٠) .

لقد كان انتصار فريق على آخر ومذهب على مذهب خسارة عامة للكتب وكارثة حضارية شاملة ؛ ففى الخلافة العباسية وفى عصورها المتأخرة جرى اضطهاد الكتب وإحراقها بل والتضييق على مؤلفيها ، ومما يذكر فى ذلك أن أحد علماء بغداد (١١) فى عهد الخليفة العباسى « الناصر لدين الله » اتهم بأنه معطل وأنه يرجع إلى أقوال الفلاسفة ، فقام ابن المارستانية وخطب خطبة لعنه ولعن معه الفلاسفة ثم أحرق خزانة كتبه (١٢) .

ويذكر القفطى ـ راوى هذه القصة ـ أن الحكيم الإسرائيلى يوسف السبتى قال : كنت ببغداد يومئذ تاجرا وحضرت المحفل وسمعت كلام ابن المارستانية وشاهدت فى يده كتاب الهيئة لابن

---

(٧) « ترثنا بين ماضى وحاضر » ٣٥ ، ٣٦ .

(٨) « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » ١ / ٤٦٦ أبو العباس أحمد بن على القلقشندى .

(٩) « الإسلام والحضارة العربية » ١ / ٣٢٣ .

(١٠) « تراثنا بين ماض وحاضر » ٣٤ .

(١١) هو : عبد السلام بن عبد القادر أبو صالح بن جنكر دوست الجيلى البغدادى .

(١٢) تاريخ الحكماء ٢٢٨ ، ٢٢٩ جمال الدين القفطى .

الهيثم وهو يشير إلى الدائرة التى مثل بها الفلك وهو يقول : « وهذه هى الداهية الدهماء والنازلة الصماء والمصيبة العمياء وبعد إتمام كلامه حرقه وألقاها فى النار (١٣) » .

وما فعل بمكتبة الخلفاء الفاطميين نتيجة التعصب كاف لبيان مدى ما أصاب التراث نتيجة التعصب المذهبى ؛ فقد اعتدى عليها الغوغاء من المماليك الأتراك فأشعلوا فيها النار واقتسم العبيد جلود كتبها فاتخذوها نعالًا يلبسونها وألقى منها عدد كبير فى النيل ، وحمل بعضها إلى سائر الأقطار وبقى منها ما سفت عليه الرياح فصار تلالا تعرف بتلال الكتب (١٤) .

وقد حدث مثل ذلك فى كل دور الكتب التى كانت بمصر الفاطمية فى مكتبة العزيز ودار العلم والجامع الأزهرى .

وبعد سقوط الدولة الفاطمية أشار جماعة من علماء الدين على السلطان صلاح الدين الأيوبى بإتلاف تراث الفاطميين من الكتب لأن فيها ضرار على الإسلام ؛ فاستجاب لهم صلاح الدين وأمر بإتلافها .

وفى حلب نهبت مكتبة « خزانة الصوفية » بسبب الفتنة التى قامت بين السنة والشيعة .

وفى شمال إفريقيا لقيت دور الكتب مصير مثيلاتها فى المشرق ، فقد حوربت كتب الغزالى وأمر أمراء المرابطين بإحراقها واستمر الحال على هذا زمن الموحدين وخاصة أيام محمد بن تومرت فى القرن الخامس .

يقول صاحب المعجب : « وفى أيامه انقطع علم الفروع وخاصة الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب .... فأحرق منها جملة فى سائر البلاد وقد شهدت ذلك وأنا بمدينة « فاس » يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار (١٥) » .

ومن هذا القبيل الكثير والكثير . سلاطين يتحكمون فى مصائر البشر : أمنا ورضينا ، أما أن يتحكموا فى الفكر والعلوم فتلك هى المصيبة .

٤ ـ الجهل بقيمة التراث : يضاف إلى ما سبق جهل بعض أبناء الأمة بقيمة هذا التراث ؛ ذلك الجهل الذى قضى أو كاد يقضى على ما تبقى منه فقد كان التراث مودعا فى المساجد والزوايا بضاعة رخيصة لا تساوى وزنها ورقاً عند خدام المساجد الموكول إليهم أمرها ؛ ورحم الله أجدادنا أودعوا مؤلفاتهم بيوت الله وهم يحسبون أنها فى دور العبادة بمأمن من الضياع ولم يدروا أن خدام المساجد والزوايا سيبيعون هذا التراث « بالكيلو » كى تغلف فيه بعض المأكولات قبل أن تظهر الصحف والمجلات وتؤدى هذه المهمة . ذكر « الكونت دى طرازى » أن خادما يدعى ابن السيمانى عين فى منتصف القرن التاسع عشر خازنا لثلاث مكتبات كبرى فى مساجد مصر وكان الرجل يستعين على العيش ببيع قصب السكر ويضع بجانب بضاعته من القصب أكواما من مخطوطات المكتبات الثلاث يبذلها لمن يدفع له القرش والقرشين (١٦) .

ومن أطراف ما يروى فى ذلك أنه كان للأمير بن فاتك ـ من أمراء مصر فى القرن الخامس الهجرى ـ مكتبة ضخمة كان يجلس فيها أكثر أوقاته ولا يفارقها ، وكانت له زوجة كبيرة القدر من أرباب الدولة ، ولكن داخلتها الغيرة من

---

(١٣) المرجع السابق .
(١٤) من « روائع حضارتنا » ١٦٨ .
(١٥) « ظهر الإسلام » ٣ / ٣٩ أحمد أمين .
(١٦) تراثنا بين ماض وحاضر ص ٣٩ .

الكتب فلما توفى نهضت هى وجواريها إلى خزائن كتبه وفى قلبها لوعة من الكتب فجعلت تبكيه وتندبه [١٧] . وفى أثناء ذلك ترمى الكتب إلى بركة ماء فى وسط الدار هى وجواريها ، وقديما قالت امرأة الزهرى : والله لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر .

وقد ازدادت معاملة التراث سوءاً إبان العصر المملوكى ، حتى جاء سلاطين آل عثمان وحملوا ما بقى من التراث إلى مركز خلافتهم وعاصمة دولتهم لا حرصاً عليها ولا انتفاعاً بها ، وإنما إرضاء لشهوة التملك والاقتناء واستكمالا لمظهرية السلطان ومجاراة للوجدان الدينى ، فراح السلاطين يبنون المساجد التى تحمل أسماءهم ويكرسون فيها الذخائر من تراث العربية والإسلام حيث بقيت هناك أكواما تملأ السراديب والدهاليز دون أن تعرف لها قيمة أو يرجى منها نفع ولعل أكثر ما نجده الآن من تراثنا نجده محفوظاً هناك ، وفى الدول الغربية التى حملت هى الأخرى على عاتقها حفظ تراثنا .

وفى تلك المرحلة بدأ نهب التراث الإسلامى إلى مكتبات أوربا ... بدأ النهب من جميع البلاد الإسلامية ، ولم يكن مقتصراً على وطن دون آخر أو مكتبة دون أخرى . فى الشام وفى العراق وفى الحجاز وفى اليمن وفى مصر إلى آخر بلاد العالم الإسلامى .

يقول الأستاذ محمد كرد على : « إن بعض دول أوربا ومنها فرنسا وجرمانيا وبريطانيا وهولنده وروسيا أخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً من تراثنا تبتاعها من الشام بوساطة وكلائها وقناصلها والأساقفة والمبشرين من رجال الدين » ويواصل حديثه فيقول : « وكان قومنا ولاسيما من اتسموا بشعار الدين ومن كان يرجع إليهم أمر المدارس والجوامع » بلغ بهم الجهل والزهد فى الفضائل أن يفضلوا درهما على أنفس كتاب [١٨] ، ولهذا نجد النسخة الأصلية للعديد من الكتب فى مكتبات أوربا فى « الفاتيكان » والأديرة والمتاحف ثم بدأت تلك المخطوطات تظهر للوجود بتحقيق المستشرقين .

البعد الكيفى :

عندما نصل إلى البعد الكيفى لعبقرية التراث نكون قد وصلنا إلى قلب ميدان هذه العبقرية وإلى قلب ميدان المعركة المحتدمة حولها وحول التراث ، ولقد مر بنا فى الصفحات السابقة أرقام إحصاءات تكاد تكون خيالية لولا يقيننا بغزارة إنتاج السابقين فى ميادين العلم والمعرفة ؛ ولكن لنا على هذا الإنتاج ملاحظتين :

الأولى : أنه أو معظمه متعلق باللغة والدين ليس منه فى العلوم العملية إلا القليل أو أقل من القليل فلا تكاد تجد بين المخطوطات إلا الواحد بعد الواحد فى الطب أو الهندسة أو الزراعة أو الفلك أو ما إليها ، وهذا يعنى أن السابقين أفنوا أعمارهم واستنفدوا طاقاتهم وعصارة عقولهم فى الميدان النظرى من العلوم ؛ وهذا الميدان فى حد ذاته مهم ولكن الاقتصار عليه وحده ، وتفرغ هذا العدد الهائل من خيرة أبناء الأمة له هو الذى نبدى عليه التحفظ ، فلو أن بعض هؤلاء نصفهم أو ثلثهم أو حتى عشرهم أو أقل من ذلك اتجهوا للعلوم العملية علوم الأرض والزراعة أو علوم الهندسة

---

(١٧) من روائع حضارتنا ١٦٩ .

(١٨) « خطط الشام » ٦ / ١٩٣ .

والصناعة ؛ وقد جاءت عشرات الأيات فى القرآن الكريم تتحدث عنها وتلفت الأنظار إليها لو وجد ذلك لكان للمسلمين شأن آخر .

نعم : وجد من كتب فى هذه العلوم من المسلمين ولكنهم أفراد وآحاد لم يجدوا من يواصل جهدهم ويستثمر أبحاثهم ، وقديماً ألف ابن سينا كتابه « القانون » فى الطب و « الشفاء » فى الفلسفة ، تلقف المسلمون من بعده كتاب الشفاء فى الفلسفة شرحا ودرسا وتحليلا ونقداً ولم يضيفوا إليه شيئاً ، واتجه الأوربيون إلى كتابة القانون فى الطب فدرسوه فى جامعاتهم واستفادوا منه وكان النواة لتفوقهم فى هذا المجال .

أرأيت الفرق بين الاهتمامين !! ومرة أخرى نريد ألا يظن بنا ظان هنا أننا نعارض اهتمام المسلمين بالجانب النظرى من المعرفة والعلوم ـ فقط ـ نقول لهم:إنهم أعطوه أكثر مما يستحق على حساب الجانب العملى .

ولم نكتف بهذا وإنما نضيف إليه الآن ـ نحن المعاصرين ـ جهوداً مضنية فى تحقيق هذا التراث فخيرة علمائنا وباحثينا غارقون فى هذا المجال .

ولا نعارض ذلك وإنما نعارض المبالغة فيه مادام المطلوب يمكن أن يتحقق بدون ذلك بكثير ؛ وهكذا شغلنا التراث مرتين مرة عند تأليفه ، ومرة عند تحقيقه .

نعم : إن بعض كتابات السلف خدمت العقيدة واللغة ولكن بعضا وبعضا كثيراً منها أساءت إليهما ، وبعضا وبعضا كثيراً منها من الزبد الذى يذهب جفاء (شروح وردود واختصارات وتعليقات) وما إلى ذلك .

ولقد ضاع من تراثنا الكثير وما نجا منه إلا القليل ولا ندرى أنحمد ذلك أم نأسى عليه فلو بقى تراثنا كله لاحتاج إلى أضعاف عددنا لقراءته وتحقيقه ؛ والقليل الذى بقى من تراثنا من الغث ومنه الثمين . فما الذى ينبغى أن يكون عليه موقفنا من التراث حتى يتسنى لنا الاستفادة منه ومن عبقريته بجهد يساوى تلك الاستفادة ؟

نستطيع أن نحدد ـ هنا ـ ثلاثة مواقف تجيب عن هذا التسؤل .

أولها : موقف القبول المطلق ويتبناه من يزعم أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئاً ، ولذلك ترى أصحابه يقبلون على التراث غثه وثمينه ليقفوا بعبقريته أمام حضارة الغرب ويتجاوزوا بها شعورهم بالنقص أمامها . ويضرب « مالك بن نبى » مثلا يجسد حقيقة هؤلاء فيقول : « إننا عندما نتحدث إلى فقير لا يجد ما يسد به الرمق اليوم عن الثروة الطائلة التى كانت لأبائه وأجداده إنما تأتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه كوسيلة مخدر يعزل فكره مؤقتا وضميره عن الشعور بها إننا قطعاً لا نشفيها(١٩) » .

وخطر هذا الموقف أنه قد يؤدى إلى أن نرتم بكسل فى أمجاد الماضى ونرفض الانتماء إلى العصر الذى نعيش فيه . إن هذا يعنى أن يتحول التراث إلى سلاح نقتل به أنفسنا بدل أن نشهره فى وجه أعدائنا . فمهما تكن من قيمة هذا التراث فلا شك أن قرونا من الظلام قد سادت العالم الإسلامى وفرضت تلك القرون أثارها على كل شيء فالباحث عن الجوهر لابد له أن ينفض أولا أكوام الغبار ، والذين يدعون أنهم سرقة هذا التراث وحفظته ولهم حق تفسيره ؛ ليسوا أفضل من خفراء الآثار جهلا به وعجزاً عن فهمه فضلا

(١٩) أنظر مواقف إزاء التراث ص ١٩ .

عن تفسيره ، وأن معظمهم لا يعرفون من التراث إلا أكوام التراب التي تجمعت طوال قرون التخلف فحجبت جوهره [٢٠].

ولذا نجد أجيالا من أمتنا تخدرت باستغراقها فى مراجعة التراث وبذلت أقصى جهودها لإحيائه لا لأجل الفائدة منه بل لأجل العيش فيه مخموراً معزولًا عن العصر ومحتوياته أو قل محاولة للهروب من الحاضر بالعودة إلى الماضى والوقوف عنده .

ثانيها : موقف الرفض المطلق بحجة أن تراثنا متخلف رجعى أو أنه ساذج سطحى ، أو أنه سلبى ذاتى ، **أو أنه كتب فى زمن غير زماننا فلا يمكن الاستفادة منه ، أو غير ذلك من الحجج التى يوردها هؤلاء والتى يريدون معها أن يطبقوا نظرية « فرويد » على التراث وأن التراث بمثابة الأب ؛** ونحن نعلم منذ « فرويد » أن الابن لا يستطيع أن يكتسب حريته ويحقق شخصيته إلا إذا قتل اباه فعلى الإنسان العربى أن يميت تراث الماضى فى صورة الأب [٢١] . ولكن نسى هؤلاء أن الابن يستفيد من خبرة أبيه ويستطيع أن يحقق شخصيته وحريته على وجه أفضل وأعقل مع وجود أبيه وأن القيم الإنسانية واحدة وإن اختلفت صيغ التعبير بحكم التقدم التكنولوجى ، وأن الكثيرين من علماء الغرب شهدوا بأن كثيراً من ثقافة الغرب وحضارته مستمدة من حضارة الإسلام وثقافته .

إلغاء التراث والبدء من نقطة الصفر بحجة أن مكونات هذا التراث يصطدم مع النظرية المادية حجة غير سديدة فالنظرة المادية ؛ جاءت فى ظروف غير ظروفنا وفى بيئة غير بيئتنا .

ومحاولة إخضاع التراث الإسلامى لمناهج غير مناهجه هى محاولة لإخراج التراث عن حقيقته فالتراث الإسلامى لا يدرس إلا فى إطار الإسلام نفسه ، كما أن محاولة تصور الإسلام من خلال بعض الآثار التى خضعت لظروف معينة قد تكون غريبه عليه تصور غير صحيح .

ثم إن جعل البديل الارتباط بالتراث العربى الارتباط بالتراث الغربى أو الشرقى سيكون ارتباطاً مصنوعاً يؤدى إلى ما هو أشد من التبعية لتراثنا لأن الانعزال عن تراث الأمة يوقع الأمة لا محالة فى التغريب **« إذا ما انعزلت عن ثقافة الآباء فإنها تقع فريسة لثقافة الآخر [٢٢] »**.

وأما رفض التراث بحجة أنه كتب فى زمن غير زماننا ؛ فغير مقبول لأن القيم الإنسانية واحدة وإن اختلفت صيغ التعبير ، فالديمقراطية واحدة سواء أكانت برفع الأيدى فى ميادين أثينا أو بمناداة الخليفة الصلاة جامعة ... والاستبداد واحد سواء أكان فى حرق روما أو قيادة المانيا إلى حرب خاسرة [٢٣] .

وأخيرا فإن أى مذهب من مذاهب الفكر والسياسة فى عصرنا هذا يبذل طاقات كبيرة للمحافظة على التراث والاستفادة منه . فالذين يذهبون مذاهب اليمين يقيمون الدنيا من أجل إحياء هذا التراث وبعثه وتسليط الأضواء عليه ، والذين يذهبون مذاهب اليسار يشهد أدبهم السياسى بأهمية تراث الشعوب ودوره فى بناء الحاضر والمستقبل وضرورة إحيائه والاستفادة من طاقاته المبدعة والخلاقة

يتبع بالقسم الأخير

(٢٠) أنظر : يوم كنا خير أمة ص ٨ محمد جلال كشك .

(٢١) « حول توثيق الارتباط بالتراث العربى » ص ٣ د / أحمد هيكل .

(٢٢) « دعوة للحوار » من سلسلة كتب المواجهة ص ١١٢ د / حسن حنفى .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

قيمة حب الوطن في الإسلام

عندما خرج سيدنا محمد - ﷺ - مهاجراً من مكة المكرمة ، نظر إليها - مودعاً - نظرة حب وشوق ، وقال قولته الشهيرة .. والله إنى لأعلم أنك خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلىَّ ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت[1] . ومن ثم يتضح لنا مدى حبه - ﷺ - لوطنه ، ذلك الحب الذى يجب أن يتوفر فى الناس أجمعين حكاماً ومحكومين .

حول هذا المعنى تلقت المجلة كلمة الأستاذ أحمد عطية الضبيلى - المفتش بوعظ الشرقية - التى جاء فيها :

« إن حب الوطن من الإيمان ، ومتى فقد الإيمان فى شخص فإنما يفقد كل معانى الخير ، كما يفقد وطنه ويكره الانتماء إليه ؛ والإنسان إذا كان يحب شيئاً فإن محبته له إنما تكون لإحسان وجده منه أو فيه .

فمثلا : نحن نحب الله تعالى لأنه المنعم علينا بالحياة وبكل شىء فى دنيانا ، ونحب رسوله - ﷺ - لأنه هدانا إلى طريق النور ، ونحب أبوينا لأنهما سبب وجودنا ونحب بعد ذلك كل محسن لإحسانه علينا . وبالتالى ننكر ونكره كل مسيىء لإساءته لنا ، وإذا كان الأمر كذلك فالوطن أولى بمحبتنا بعد الله ورسوله - ﷺ - لأننا جميعاً على أرضه ولدنا وفيه نشأنا ، وإليه مرجعنا مهما طال الزمان أو قصر .

ومصر الأزهر والنيل والحضارة والعاشر من رمضان والسد العالى . مصر بكل ذلك وغيره من المنجزات : هى أمنا ووطنا وألمنا وسعادتنا وهى بذلك تستحق منا جميعاً كل حب وولاءٍ وتقدير ووفاءٍ سواء كنا نعيش على أرضها أم فى أى بلد آخر فهى مسقط رأسنا وعهد طفولتنا وملعب صبانا ومسرح شبابنا ومقر الأهل والخلان ومدفن الأجداد والآباء من المجاهدين والمفكرين والزعماء والمصلحين .

الاحتفال الحقيقى بالمولد النبوى

لعل الاحتفال الحقيقى بمولد نبينا - ﷺ -

---

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين جـ ٣ ص ٢٨٠ طبعة السعودية .

هو فى إحياء سنته والعمل بشريعته والاقتداء بهديه فى كل ما جاء به ، ذلك أنّ المحبّ لمن يُحبُّ مطيع .

محمد حسين نور الدين ــ قنا

البث الغربى المباشر الموجه إلينا بالعداء

● عالم اليوم يموج بالعداء لكل ما هو إسلامى ، وبخاصة فى مجال الإعلام ، فالبث الغربى المباشر له لغته وأهدافه المتصادمة مع قيم الإسلام وتعاليمه ، ومع ذلك فإننا نجد البعض مولعاً بكل ما هو غربى للأسف ألم يأن لإعلامنا ــ المحلى والعربى ــ أن يقوم بدوره المنوط به فى تحصين شبابنا وأجيالنا الحاضرة قبل أن تضيع منهم هويتهم الإسلامية ؟؟

بل ألم يأن لهذا الإعلام أن يُعدِّل من غايته وأهدافه وتوجهاته بما يجعله « إسلامياً » قولا وفعلا ؟؟

يحيى السيد النجار ــ دمياط

الخوف على الإسلام من أبنائه

● ليس الخوف على الإسلام من أعدائه بقدر ما يكون الخوف عليه من أدعيائه ، الذين يشوهون صورته بالأباطيل والضلالات تحت دعاوى « التطور والحداثة والتجديد ومواكبة العصر » .

وهى دعاوٍ براقة يزينون بها سمومهم التى ينشرونها فيما تحت أيديهم من وسائل الإعلام ، والحق أن المسلمين يعرفونهم فى لحن القول ؛ ومن ثم فهؤلاء لا يخدعون إلا أنفسهم .

أحمد زكريا عبدالعزيز عبدالرحيم ــ أسيوط

حاجة الإنسانية إلى الإيثار

« الإيثار : تفضيل الغير على النفس ، وهو خلق نبيل إذا قصد به وجه الله ــ تعالى ــ إذ يدل على صدق الإيمان وصفاء السريرة ، ثم هو سبيل أكيد إلى تحقيق التكافل الاجتماعى والتعاون بين الذين يجدون أضعاف ما ينفقون ويحتاجون ، والذين لا يجدون ما يأكلون ولا ما ينفقون .

وقصص الإيثار كثيرة ومتنوعة أذكر منها قصة « شهداء اليرموك » وقد كان من خبرهم أن رجلا من المسلمين وجد ابن عمه فى الجرحى ، فقال : ما أحوجه وهو فى الرمق الأخير إلى شربة ماء ، فجاء ليسقيه فأشار الجريح المحتضر إلى جاره الجريح ، وأشار الثانى إلى ثالث ، وهكذا حتى بلغوا سبعة نفر ، فأين مجتمعاتنا من هذا الخُلق .

خيرى محمد أبو الروس ــ كفر الشيخ

ردود وتعليقات

● القارىء/مهندس حماده أحمد السمنودى ــ بمدرسة شربين الثانوية الصناعية :

نشكركم على ملاحظاتكم القيمة ومتابعتكم المستنيرة لما تنشره مجلة الأزهر ، وسوف ننشر تصويباً لنسب الشاعر السورى عدنان مردم .

● السيد/مدير عام شئون مكتبات معهد الإدارة العامة بالسعودية .

● والسيد/عميد شئون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية .

● والسيد/مدير مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض ــ السعودية :

أحلنا رسائلكم ـ التى تضمنت بيانا بأعداد المجلة التى لم تصلكم ـ إلى الجهة المسئولة عن اشتراكات المجلة (إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام شارع الجلاء . القاهرة) لاتخاذ اللازم ، ولكن عليكم مخاطبة هذه الجهة مع إرفاق صورة من إيصال الاشتراك ورقمه حتى يتسنى لها معرفة ما إذا كانت الأعداد الناقصة داخلة فى مدة الاشتراك أم لا ، والتصرف فى ضوء ذلك .

● القارىء/محمد فريد أحمد العيسوى ـ من (انشاص الرمل) شرقية :

لعل إصدارات هدية مجلة الأزهر فى شكلها الحالى تحقق رغبتك كماً وكيفاً ، أما نشر كتب التراث فيها فلا يتفق وسياستها ، فأحد هذه الكتب يحتاج إلى سنوات عدة حتى ينقضى نشر أجزائه . فى حجم هدية المجلة .

● القارىء/فؤاد السيد شعيب (لقانة) بالبحيرة :

الأزهر لا يراجع من الكتب المطبوعة فى الأسواق إلا ما يُعرض عليه منها من قبل الهيئات أو الأفراد ، فلا عجب أن يزخر الكثير منها بالافتراءات والأباطيل ، أما عن كلمتك للشباب ، فالنصيحة تكون لأئمة المسلمين وشبابهم .

● القارىء/محروس عبدالفتاح ياسين محمد ـ الطالب بكلية أصول الدين بالزقازيق :

كلمتك عن النظام الاجتماعى فى الإسلام جيدة ، ونرجو الاهتمام بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

● القارىء/ابراهيم رشدى على من (بنى مزار) قرية حلوة بالمنيا :

سبق لمجلة الأزهر الاهتمام بمسائل المواريث فى كثير من موادها ، ويجب على من يريد الكتابة فى أى موضوع مراجعة عشرات المراجع فى نفس التخصص والاستشهاد بها والإضافة عليها .. مع دعائنا لك بالتوفيق .

● القارىء/حسين السيد عبدالحميد عوض ـ مدرس المواد العربية والشرعية بالشرقية :

نشكركم على دقتكم اللغوية وثنائكم على منهج المجلة فى تحرى الدقة والإسناد العلمى وبمشيئة الله تضع إدارة المجلة فى حسبانها تحقيق رغبتك بنشر المزيد عن التجربة الشعرية والمدارس الأدبية .

● القارىء محمد أبو اليسر ـ من شربين ـ دقهلية :

وصلت رسالتك ـ التى تشير فيها إلى حرمان محافظة الدقهلية من كلية أزهرية ـ واحدة ـ عملية ، وتنوه فيها إلى قطعة أرض شاسعة تربو على المائة والخمسين فداناً تصلح لجامعة أزهرية على « تل البلامون » بشربين ، وقد أحلناها على جهة الاختصاص ، وبالله التوفيق .

● القارىء/ وسيم عبدالعليم عزب ـ العريش .

كتبتم سيادتكم الحديث الشريف الخاص بإبصار الأعمى ، رجاء موافاتنا بسند الحديث الذى تفضلتم بذكره ، حتى يمكن درء من له شبهة فى رده ، وفقكم الله ـ تعالى ـ .

● القارىء/ رمضان إبراهيم الأقرع ـ طنطا .

وصلت كلمتكم الطيبة عن « شرف الإنسان وقيمته » ، نرجو لكم خطاً متقدمة فى هذا السبيل .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً ، ويحيط الباب قراءه الأعزاء علماً بأن مساحة الباب لها دخل مباشر فى اختصار الكلمات المنشورة .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذ / مصطفى عبدالمجيد

مناقشة أوضاع المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفى رحاب جامعة الأزهر انعقد المؤتمر الخاص بمناقشة أوضاع المسلمين فى دول آسيا الوسطى والقوقاز .

بدأت أعمال المؤتمر صباح يوم الاثنين الموافق ١٠ ربيع الآخر ١٤١٤ هـ ٢٧ سبتمبر ١٩٩٢م واستمرت ثلاثة أيام تم خلالها مناقشة أكثر من خمسين بحثاً علمياً حول أوضاع المسلمين فى دول آسيا الوسطى والقوقاز وذلك من خلال دراسة المحاور الفكرية والاقتصادية والسياسية والجغرافية لتلك الدول .

وقد اشترك فى أعمال المؤتمر مائة وخمسون عالماً يمثلون مصر ودول القوقاز وبعض الدول الإسلامية .

وصرح الدكتور جعفر عبدالسلام نائب رئيس جامعة الأزهر ومقرر المؤتمر بأن الإعداد لهذا المؤتمر بدأ منذ أكثر من عام ونصف بالتنسيق بين المؤسسات الإسلامية والثقافية فى مصر وبعض الجمهوريات الإسلامية

الإمام الأكبر يستقبل القائم بالأعمال بالسفارة السعودية بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام أكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد / «أبو بكر» رفيع الوزير المفوض القائم بالأعمال بالسفارة السعودية بالقاهرة وذلك يوم الثلاثاء الموافق ٤ ربيع الآخر ١٤١٤ هـ ٢١ سبتمبر ١٩٩٣م بمكتب فضيلته .

وقد قام السيد السفير بتسليم فضيلة الإمام الأكبر شيكاً بمبلغ خمسين ألف دولار كدفعة أولى من قيمة المبلغ الذى قرر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز التبرع به للأزهر الشريف لدعم دوره فى خدمة الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة والعلوم الدينية .

الإمام الأكبر يفتتح معهد مصطفى على الأزهرى بمحافظة الاسماعيلية

قام فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ محمد يوسف الأمين العام المساعد للدعوة بزيارة لمحافظة الاسماعيلية وذلك صباح يوم الجمعة الموافق ٣٠

من ربيع الأول ١٤١٤هـ - ١٧ سبتمبر ١٩٩٣م.

حيث كان فى استقبال فضيلته والوفد المرافق السيد الدكتور أحمد جويلى محافظ الاسماعيلية والسيد الأستاذ/ مصطفى على رئيس مجلس ادارة الشركة الحديثة للإضاءة وقد أدى فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق صلاة الجمعة بمحافظة الاسماعيلية ثم قام فضيلته يرافقه السيد المحافظ بافتتاح معهد مصطفى على الإبتدائى والإعدادى الأزهرى الذى أنشأه السيد مصطفى على رئيس مجلس ادارة الشركة الحديثة للإضاءة .

الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة الكويت بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ عبدالحميد عبدالرازق البعيجان سفير دولة الكويت بالقاهرة يرافقه السيد/ عبدالقادر العجيلى مدير عام بيت الزكاة الكويتى وذلك صباح يوم الأحد الموافق ٩ ربيع الآخر ١٤١٤هـ - ٢٦ سبتمبر ١٩٩٣ بمكتب فضيلته بالأزهر .

ثم قام فضيلته الإمام الأكبر والسادة الضيوف بافتتاح معهد المرحوم الشيخ عبدالله الصباح الإبتدائى الأزهرى بالزيتون والذى تم بناؤه على نفقة الدكتورة سعاد الصباح تقديراً لدور الأزهر الشريف وما يقدمه من خدمات للإسلام والمسلمين والجهود التى يبذلها فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية والتعاون المتزايد مع دولة الكويت .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة شكر فيها بيت الزكاة الكويتى والمتبرعين بإنشاء هذا المعهد الأزهرى وتمنى لهم التوفيق فى المزيد من هذه المشاريع النافعة لطلاب العلم .

آمال الأزهر الشريف فى الفترة الثالثة

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أنه جاء إلى صندوق الاستفتاء ليقول كلمة (نعم) لاختيار الرئيس حسنى مبارك لفترة ثالثة ..

نعم لماضيه الزاهر وحاضره الباهر ومستقبله المأمول . وقال :

إننا نتمنى أن تشهد الفترة الثالثة زيادة البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة .

كما نأمل أن تتحقق على يد الرئيس المصالحة العربية والإسلامية .. مع دعم الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى ليستفيد منها كل العرب والمسلمين .

كذلك نأمل فى ظل الفترة الثالثة أن يقتدى كل أصحاب الكلمة والرأى والقلم بالرئيس مبارك فى سلوكه وأخلاقياته ، وأن يكونوا مثله من أصحاب اللسان العف والاستقامة والكلمة الطيبة حتى تخلو كل وسائل إعلامنا من أى ابتذال لتنشئة أجيال واعية من أولادنا وبناتنا .

كما اننا نأمل أن يسود الانضباط الأخلاق الشارع والمدرسة والإعلام وكافة مؤسسات الدولة .

وكان فضيلة الإمام الأكبر قد أدلى بصوته فى الاستفتاء أمام لجنة مدرسة أحمد لطفى السيد بالمنيل .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد السيد

المُسْلمونَ والغَـرْبُ

قامت المحطة الرابعة بهيئة الإذاعة البريطانية بإذاعة سلسلة من البرامج تحت عنوان « الشرق يتجه نحو الغرب » وهى من إعداد مراسلها فى شبه القارة الهندية .

وقد طلب المراسل من المستمعين فى جنوب القارة الآسيوية إبداء آرائهم فى بلدانهم ، وتناولت الحلقة الأولى (باكستان) حيث أوضح المراسل أن انشغال الغرب بما سماه الأصولية الإسلامية يستند على عدم تفهّم بعيد الغور للدين الذى يتأصل فى أعماق المسلمين ويؤكد التعبير عن نفسه فى معتنقيه وأتباعه .

وشدد المراسل على أن الغرب يتجاهل ملايين المسلمين فى دولة كباكستان يودون الحوار لا المواجهة مع الغرب كما بيّن أن الكثير من الباكستانيين يعتبرون الغرب منافقاً مرائياً يكيل بمكيالين ويزن بمعيارين ، ولا يهتم إلا بمصالحه هو فقط . فقد سلّح الغرب الأصوليين الباكستانيين دون تمييز ـ مثلاً ـ حينما كانوا يقاتلون الجيش السوفيتى فى أفغانستان أيام (ضياء الحق) فى الثمانينيات ، وكان الهدف طبعاً هو محاربة الشيوعية المعادية للرأسمالية ولم يكن أبداً تحرير الشعب المسلم من الغزو الأحمر ، لكن الغرب الآن يتهم نفس المسلمين الذين ساعدهم يوماً ما بتشجيع : ما زعمه الإرهاب الإسلامى .

وتوصل المراسل إلى أن الأساتذة فى جامعة البنجاب يدفعون ثمناً باهظاً للسلاح الذى أغرق الغرب به المنطقة فيما وصفه المراسل بقصر النظر الغربى .

ويقول الأستاذ الجامعى : إننى أشاهد أنواع الأسلحة المتوفرة لدى طلاب ينتمون لمجتمعات تدعم الحرب الأهلية الأفغانية . ومنذ ما يقارب ربع قرن قُتل أكثر من ١٧ طالباً فى جامعة البنجاب نتيجة للاشتباكات الطلابية ، وقالت الجامعة الإسلامية وهى (الحزب الإسلامى) الذى يسيطر على اتحاد الطلاب فى البنجاب : إن الغرب أفسد

باكستان ، وأن على الطلبة مكافحته . ويشرح أحد الأعضاء ـ وهو مهندس سابق عاش فى بريطانيا لسنوات طويلة ـ أسباب قناعته بالعداء بين الغرب والإسلام بقوله : إن السبب العام لذلك العداء هو رغبة الغرب فى (قَولَبَة) المجتمعات الأخرى وصياغتها حسب تصوره هو فقط ، إضافة إلى تنديده المستمر بأى آراء تخالف معاييره وقيمه الأُحَادِيَّة النظرة ويؤكد أنه ليس من حق الغرب فرض معاييره المتعلقة بالإنسان ، ولا فرض أسلوب معاملة المرأة وزيها على أى مجتمع آخر .

يقول المراسل : إن النزعة الاستهلاكية والإنجازات الاقتصادية بالشكل الغربى هى أهم المسائل التى تخشاها (الجماعات الإسلامية) والتى ترى فيها تقويضاً للإسلام حيث إنها لا ترتكز على مبادىء أخلاقية رصينة . ويرى أحد السيكولوجيين أنه مع تزايد الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية على المستوى التعليمى والاقتصادى فإن على المسلمين الاستمساك بالعادات والتقاليد الإسلامية طلباً للأمان واعتداداً بالذات .

هذا وقد زار المراسل إحدى المدارس الإسلامية التى يزداد عددها باطراد والتى زُعم أنها تمثل قاعدة تنشئة الثوريين ، ووجد أن هذا لا يمثل الحقيقة ثم استمع إلى مدير المدرسة الذى قال : إن الإسلام لا يعلم الارهاب ولا التعذيب ولا القتل ، إنما يدعو للأخوة والسلام والتسامح والتعايش مع الأديان الأخرى ، ولكنك ترى ـ والحديث لمدير المدرسة ـ أن المسلمين يواجهون المصاعب والمتاعب والاضطهاد فى شتى أنحاء العالم فى الوقت الذى ترى فيه أن النصارى متمثلين فى (نيلسون مانديلا) لا يواجهون المتاعب إلا فى جنوب إفريقيا فقط .

واختتم المراسل الحلقة الأولى بقوله :

إنه مما يؤسف له أن الغرب لا يتصور الإسلام إلا تشدداً متناسياً أن الجماعة الإسلامية والأحزاب الأخرى فى باكستان لا تمثل إلا أقلية بين المسلمين هناك ، وأن خشية الغرب من المدّ الإسلامى المتزايد تجعله يُصَمُّ السمع حتى عن الأصوات المعتدلة ، ومن ثم ؛ فإن الغرب مسئول عن دفع المسلمين دفعاً للتطرف بمماراساته المجحفة تلك «هو ومن يوالى سياساته» .

لندن

أتخذ المؤتمر الإسلامى العالمى الذى عُقد فى (لندن) بعنوان : «المسلمون فى الغرب» فى سبتمبر الماضى عدداً من التوصيات كان أهمها إنشاء مدارس متخصصة فى التعليم الإسلامى تتولى شئون التعليم بمدارس الجاليات الإسلامية ، وإقامة مدارس نموذجية لربط أبناء الجاليات والأقليات بدينهم وحمايتهم من الذوبان فى المجتمعات غير الإسلامية وتشجيع تعليم اللغة العربية وتحفيظ وتلاوة وتفسير القرآن وإنشاء مركز أوروبى للعناية بالمرأة المسلمة ، وإعداد الدعاة وتأهيلهم وترجمة الكتب والرسائل العلمية المفيدة إلى لغات الشعوب الإسلامية المختلفة ، وحض كل العاملين بمجال الدعوة على الاجتهاد فى كشف الفرق الضالة والعقائد الفاسدة ، والملل المنحلة ، والمذاهب المنحرفة ، كما أكد المؤتمرون على أهمية إيجاد هيئة شرعية متخصصة تدرس ما يواجه

المسلمين فى الغرب من مشكلات شرعية كلها ، وكذا اصدار موسوعة فقهية مختصرة باللغات الأجنبية ، كما دعا كل المدارس العاملة فى الغرب للتعرف على المشكلات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والتعجيل بحلها ، وكذلك دراسة الوجود الإسلامى من خلال أبحاث دقيقة موثقة كما أوصى المؤتمر بإنشاء مركز لرصد كل ما ينشر فى شتى وسائل الإعلام الغربى من أكاذيب وأباطيل تُشوّه صورة الإسلام ، وذلك لتفنيدها والرّد عليها ، وناشد الحكومات الإسلامية دعم ومساندة المشردين خصوصاً من البوسنة والهرسك .

أديس أبابا

عُقد فى أديس أبابا الشهر الماضى المؤتمر الإسلامى لدراسة أحوال المسلمين بالحبشة ومناقشة الدستور الجديد لأثيوبيا الذى تعمل الحكومة المؤقتة على الانتهاء من صيغته النهائية ، وشارك فى المؤتمر الذى دام تسعة أيام أكثر من مائة عالم ومفكر إسلامى من مختلف محافظات (أثيوبيا) ، بحثوا إلى جانب إبداء الرأى الإسلامى فى الدستور المزمع مطالبة الحكومة لتصحيح الأوضاع الخاصة بالمسلمين هناك والذين يمثلون ثلثى السكان تقريباً وذلك بنسبة ٦٥٪ من عدد السكان .

الأزهر

ألقى مدير المركز الدولى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر بحثاً بعنوان (أخلاقيات الطب من وجهة نظر طبيب مسلم) وذلك فى المؤتمر الدولى الخامس عن أخلاقيات الطب الذى نُظّم فى الكلية الملكية بلندن ، وتناول المؤتمر بالبحث والمناقشة أخلاقيات الطب فى ظل التقدم العلمى السريع واللهاث وراء (التكنولوجيا) العصرية فى الطب ، وأهمية النظرة الأخلاقية وجوهريتها لدى استخدام تلك الأساليب التى ينبغى أن تهتم بترسيخها المجتمعات المختلفة ذات المشارب الدينية والثقافية والعلمية المتنوعة .

On voit notre maître, le messager d'Allah (paix soit sur lui) certifier ces vérités dans plusieurs Hadiths tels que celui-ci.

"Tout musulman qui plante une semence ou cultive une plante et puis qu'un oiseau, un être humain ou un animal en mange est rétribué pour cela la récompense d'une aumône".

Parmi les propos du Messager d'Allah (paix soit sur lui), on peut citer ces paroles "Si le jour dernier a lieu et que l'un d'entre vous tient entre ses mains un cabrisseau tel un petit palmier — qu'il le plante". Quelqu'un peut dire alors : A quoi sert donc de meubler cette vie terrestre, la foi et les bonnes actions? La réponse est que cela mènera à la félicité ici-bas et dans l'au-delà; comme en témoignent les paroles d'Allah-(gloire à Lui).

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٧ سورة النحل

"Nous ressusciterons, pour une vie excellente tout croyant homme ou femme, qui fait le bien. Nous ledr donnerons leur récompense en fonction de leurs meilleures actions"

Les Abeilles, les sens des verset 97

Ceci revient à dire que celui qui fait des actes utiles, qu'il soit un homme ou une femme pourvu qu'il soit croyant, joura également du bonheur terrestre où il connaîtra la paix du coeur, la tranquillité de l'âme. De plus, dans la vie de l'au delà, il sera récompensé par une rétribution plus généreuse et supérieure à toutes les bonnes actions qu'il faisait durant sa vie terrestre.

On en conclut que nous devons reconnaître que notre vie quelque soit sa durée a une fin. Par ailleurs, même si ce monde passe par une succession de siècles, ceci n'empêche pas que tous ceux qui y vivent de la remplir par la foi sincère et les actes méritoires car c'est là le vrai chemin du bonheur en ce monde et dans celui de l'au-delà.

De nombreux versets coraniques témoignent que l'homme aussitôt qu'il quitte cette vie terrestre est jugé et par ce jugement il apprend quel sera son sort : châtiment ou rétribution. Les bienheureux commencent une vie nouvelle où ils goutent différentes formes de félicité dont nous ignorons tous la nature et qu'Allah seul connaît. Qquant aux réprouvés, ils commencent une vie de malheurs, comme en témoigne la parole divine.

Par ailleurs, les bien heureux dont le coeur est pur dans les derniers instants de leur vie, pouvant voir les prémices du bonheur qui les attend, comme on peut le lire dans le Saint Coran. C'est à dire qu'au moment de leur agonie, les anges descendent pour les rassurer et dire de ne point regretter la vie d'ici-bas vos enfants et vos biens car vous irez au paradis qu'Allah vous a promis.

Quant aux réprouvés, ils seront prévus durant les derniers instants de leur vie des supplices qui les attendent, comme Allah qu'Il soit glorifie l'a dit. سورة الأنعام ٩٣

Il existe une multitude de témoignage qui attestent tous que la tombe peut-être soit un eden soit une fosse infernale. Selon un hadith du prophète (paix soit sur lui) : "Lorsque l'un d'entre vous meurt on lui présente matin et soir la place qui lui est destinée en enfer ou au paradis; et il lui sera dit; c'est là ta place qui t'es réservée pour le jour où Allah te ressuscitera".

Layla Hussein Al Chaféi

Quelques aspects du Jour Dernier (suite)
par Lâyla Hussein Al Chaféi

Votre résurrection aura lieu certes : vous vous lèverez de vos tombes pour être jugés, rétribués ou punis.

Ce rappel des différents stades de la création de l'être humain, des cycles de sa vie, de sa fin et de l'inéluctabilité de sa résurrection, ce rappel en soi. incite à la réflexion pour tout observateur averti, et il est plein de profit et de conseils pour ceux qui écoutent les avertissements.

Toutefois, Allah-Gloire à Lui-a montré aux gens, dans des dizaines de versets que cette vie d'ici-bas n'est que temporaire — comme on l'a déjà signalé — pourtant Il nous a ordonné de bien remplir notre vie par les bonnes paroles et les actions louables, en nous occupant à faire des métiers utiles à la communauté, tels le commerce, l'agriculture et l'industrie ainsi que d'autres formes d'échanges utiles entre les gens à condition que ce soit dans les limites de ce qu'Allah a permis. Or. Allah a voulu que le but de notre existence dans ce monde d'ici-bas soit un profit et non une destruction. Nous devons chercher à l'améliorer et non à l'abîmer. Ceci a été annoncé par tous les prophètes à leur peuple.

Voici l'exemple, du prophète Saleh (paix soit sur lui) disant à son peuple : Ce qui revient à dire qu'il leur a annoncé sous forme de conseil et d'indication.

يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا

"O vous, les membres de ma communauté, adorez sincèrement votre créateur, c'est Lui-gloire à lui-qui a créé votre père Adam à partir de cette terre, vous êtes descendants et puisqu'il en est ainsi, soyez des constructeurs pour cette terre et non pas des destructeurs".

On retrouve le prophète Saleh dans une autre situation défendant à son peuple de semer la corruption sur terre en ces termes : "N'écoutez pas l'ordre des impies, qui corrompent la terre et ne s'amendent pas les poètes" le sens des versets (151-152).

C'est là un des versets les plus complets où est indiqué à l'être humain ce qu'il doit faire dans sa vie terrestre ainsi que l'exprime la parole d'Allah-gloire à Lui.

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

سُورَةُ القَصَصِ

"Au milieu des biens qu'Allah t'a accordés, recherche la demeure dernière. Ne néglige pas ta part de la vie de ce monde. Sois bon comme Allah est bon pour toi. Ne recherche pas la corruption sur la terre. Allah n'aime pas ceux qui sèment la corruption".

Le sens du verset 77-Le Récit-

3. Selon Abou Horaïra qu'Allah soit satisfait de lui, le Messager d'Allah (paix soit sur lui) a dit "Deux hommes entrés en Enfer criaient très fort". Faites les sortir dit le seigneur — qu'Il soit glorifié et adoré — lorsqu'on les fit sortir, Allah leur demanda "Pour quelle raison criez-vous tant?" Ils répondirent : "Nous avons fait cela pour obtenir Ta miséricorde". Le Seigneur leur dit : "Ma miséricorde est à vous si vous vous précipitez là où vous étiez dans le feu". Ils s'élancèrent, l'un s'y jeta; alors Allah la transforma pour lui en fraîcheur et paix; quant à l'autre il se retint debout. Alors le Seigneur lui demanda : "Qu'est-ce qui t'a retenu de te jeter comme l'a fait ton compagnon?" Il répondit : "Ô Seigneur je souhaitais que Tu ne m'y remettes pas après m'en avoir fait sortir". Ton voeu est exaucé", dit le Seigneur. Ainsi tous entrèrent au paradis par la miséricorde d'Allah. Rapporté par Al Tirmizi (chapitre des aspects des habitants de l'Enfer).

Ces deux hommes dont parle le hadith doivent être monothéistes, sinon ils ne seraient jamais entrés au Paradis. Parce que, comme il est mentionné dans le Coran, Allah pardonne tous les péchés sauf celui de lui associer une autre divinité.

Ce hadith nous montre comment un homme a gagné le paradis par son obéissance et sa soumission absolue à Allah, et l'autre par son espoir et sa confiance totale dans la miséricorde divine.

Dr. Rokeya Gabr

"LA MISERICORDE D'ALLAH"

par Dr. Rokeya Gabr

Voici quelques Hadiths Quodossiahs qui témoignent de la Miséricorde d'Allah envers Ses créatures.

1. Abdain, Abou Hamza, El A'mach, Abou Saleh, Abou Horaïra qu'Allah leur accorde Son salut a rapporté que le prophète (paix soit sur lui) a dit : "Quand Allah eut procédé à la création, Il inscrivit et Il s'y engageait par écrit dans Son livre déposé auprès de Lui sur le trône : "Ma miséricorde l'emporte sur Ma colère."

Rapporté par Al Bokhari (chapitre de l'unicité d'Allah chapitre du début de la création.

Rapporté par Moslem (chapitre du repentir)

Rapporté par Ebn Madjah Interprétation

"Allah écrit" signifie qu'Il ordonna à la plume d'écrire. L'expression est ainsi formulée pour insister sur l'importance et de la certitude de ce qui est dit.

Tout est inscrit dans le livre du destin : la récompense pour le bien comme le châtiment pour le mal. Ce Livre qui renferme la loi divine c'est la tablette préservée où se trouve présent tout ce qui régit le monde d'ici-bas. Mais le fait que cette formule soit placée sur le trône divin est une assurance que la Miséricorde et la Clémence font partie de "l'Essence Divine" tandis que la colère d'Allah n'est provoquée que par la mauvaise conduite des humains.

2. Esnad : Souvaïd Ebn Saïd, Hafs Abou Maïssara, Zaïd Abou Aslam, Abou Saleh, d'après Abou Horaïra, selon le Messager d'Allah (paix soit sur lui) Allah — qu'Il soit glorifié — a dit : "Je suis comme Mon serviteur veut que Je suis; et Je suis auprès de lui tant qu'il M'invoque". Je jure par Allah qu'Allah se réjouit du repentir de Son serviteur bien plus que celui d'entre vous qui retrouve ce qu'il a perdu dans le désert.

Interprétation : "Je m'approche d'une coudée de celui qui s'approche de Moi d'un empan, et Je m'approche d'une brasse de celui qui s'avance vers moi d'une coudée, et celui qui vient vers Moi en marchant Je viens à lui au galop."

Rapporté par Moslem (chapitre du repentir). L'Imam Al Nawawi (a.s.c.) a expliqué que l'expression "Je suis comme Mon serviteur veut que Je sois "signifie : "Je lui accorde mon pardon s'il se repent, et J'exauce son souhait et lui octroie des bienfaits s'il Me des demande". Ceci encourage les hommes à invoquer la miséricorde d'Allah et à garder toujours l'espoir en Sa clémence.

Allah qu'Il soit glorifié a dit : "Je l'entoure de Ma miséricorde et de Mes soins et Je le guide". Ainsi Allah va au-devant de Son serviteur, et Son bonheur est comparable à celui de l'homme qui retrouve une chose qu'il croyait perdue sans espoir de retour.

REVUE
AL-AZHAR

Gumada Awal,

1414

Volume 66 — Partie V

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaÿa GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

gle (he was the former christain hunter), he became the leader. He changed the whole message from a Jewish conformation of the message of Moses into christianity as we know it today, based on the hellenistic philosophy. Masses of non jews entered the group of followers and took over gradually, until the original Jewish reformation group of Jesus stopped to exist. Chrisianity lost its religious law and its historical roots.

More detailed explanation can be with quotations from the scientific books containing all the previous information. However, this is not the aim of this writting.

It is clear that the narrator could'nt believe in the jewish or christian message, their doctrines or their sources. It can not survive a critical, honest scientific examination. And again, remember that this information is from christian scientific sources. Many of these books can be found in any library in Holand. He did'nt find any trustworthy source to answer his questions. He was disappointed and did not know Where to look? He then thought perhaps, that science could bring him something to rely on. Studying to become a teacher, he started reading about psychology. After this period he started working in a lunatic asylum and followed a special pshychotherapy training course. When this was finished he opened a private practice as phsychotherapist. This was the time of examining psychoanalyses, psychology and psychotherapy.

To be continued.

Then, he had a look at other sources and the creation of the doctrines. It is said that Moses wrote a big part of the "Old Testament", the first five books. Christian scientific examinations proved that these books were written by at least five different men during different periods. That is why we find many contradictions and literary styles. The same is true for the other books of the old testament, many different writers and styles from different times.

There is also the history of Ezra. After returning from one of the deportations, the book of the old testaments was lost and burnt. Ezra and others tried to restore them out of their own memory. After finishing Ezra left out a big part because he said he made mistakes ! It can be concluded that the old testament is not a reliable source of information according to scientific standards. At the best it contains traces of the original words and acts of the prophets.

The new testament is said to contain the words and deeds of Jesus. But no word is written by him, or under his control, instruction or authority. Long after his death there were at least 200 "New Testaments". After a few ages only four which supported a certain vision were accepted and the rest destroyed. Having any than these four mentioned testaments would be punishable by death. The four gospels are called combat writtings. They had to fight other writtings and opinions in the christian community. The writers had not seen nor known Jesus. Three of them used one book of as a main source and all of them used many oral sources. After an intermediate version they wrote their final version. They contradict each other on several points, give different versions of the same events, the same incident on different dates, places and situations. This information in the old and new testament anyone can find in the christian scientific books on the bible. And they still discover new shocking facts. It is, thus, concluded that the new testament like the old testament can contain traces of reality at its best. But it can never be considered as a trustworthy fundamental doctirine of belief.

On what do christians base their fundamental doctrines? In the the new testament they said Jesus didn't come to change any letter of the law of Musa. In the several stories he only shows the Jews how to understand and apply this law. He never called himself God but surrendered himself so completely that he felt one with the Father. His ego had disappeared completely. He also called all humans children of the same father in the spiritual sense. Besides, "son of God" was a title used for the pure and to God surendered men in that time.

The narrator of this story carries on here to say that he read in the same new testament that Jesus did'nt tell people to build churches. He threw the merchants out of the jewish temple and called this the "house of God". He explained the old testament many times and was called rabi or teacher. It is also written that he refused to spread his message among others than the Jews in order "not to throw pearls before swines". He was sent only to "the peoples of the house of Israel". The first followers did'nt consider themselves belonging to any other religion than the jewish religion. They went to the jewish temple and performed the jewish religious duties. In the acts of the apostles we see them disputting with Paul about refusing the non circumsised as followers of Jesus.

With this man, Paul, came the big change. He claimed to have visions in which he met Jesus who taught him a complete new interpretation of his message. After a strug-

him the feeling that life is more than what we see and hear. Nevertheless, having learnt that there is more than pure physical plan of existence he read every book available on Hinduism, Bhuddhism, Yoga and the philosophy of old china.

The central point in their system is called "Karma" Karma is the law and knowledge of work, of cause and result. However, he wasn't sure about the sources of the books on Hinduism and Buddhism as they were attributed to them without proof. Thus could not agree with their methods and its basic philosophy. Noone could give him a satisfactory answer to any of his questions. So, he moved on with his search examining christianity.

Wanting to know what christianity had to say to his questions, he started to read the bible, over and over again. Then he studied many different scientific books about the bible, the bible explanations. whatever he found out, he discussed with different christian groups, especially the fundamentalists.

They say that Jesus is the son of God and at the same time God himself. God, who made Himself a human being to let Himself be known to mankind. Second, He is the son who came to save mankind. From what and how? Adam and Eve had been eating from a forbidden tree. This made God very angry and he punished them, letting also all mankind inherit automatically sins and punishment. But God made a long term plan to save mankind from His own cruelness. He searched for a sacrifice which could satisfy His unmeasurable anger. This sacrifice would be His own son and this blood would finally relieve Him. So, He let His son be nailed to the cross. Since God and Jesus are one, this means that He let Himself be nailed at the cross. Is'nt this suicide? After this He made His son live again (is: Himself). He promised that all who followed Him would also have eternal life. Then Jesus/God travelled to heaven were Jesus sits at the right hand of his Father, which means that he sits besides himself at his own right hand. After this they added a third person called the holy Gost who also is the same as the Father and the Son. Since Jesus had a mother called the mother of God she should also be the mother of the Father and the Gost since they are one and the same.

The sacrifice at the cross put an end to the jewish sharia (religious law) for the Christians. Were the Jews originally Gods chosen people, this was taken over by the followers of the new doctrine. These were the baptised. They remember the sacrifice of Jesus/God weekly by eating a wafer and drinking wine in a celebration. They say that this is the body and blood of Jesus.

He could'nt believe it, and he wandered: Is God the one who devides Himself into three? Is He like the old primitive tribal Gods who are in need of a blood sacrifice to satisfy their anger and need for revenge? Can't He solve or do anything in less than a blink of the eye? He, who creates all out of nothing needed a plan to save mankind from Himself? How could anyone kill Him and who was in charge of the creation at that moment? Why should He be so cruel as to let generation after generation of innocent people suffer for the sins of two human beings? What about the people before Jesus, they could'nt be baptised so they could not be saved? What about prophets like Abraham and Moses, they were not saved? Was their work worthless? And, how can God have a body and blood which you can eat and drink? He therefore deducted that these fundamental doctrines are incredible, unbelievable, illogical and primitive.

When he discussed this with the christians, they could'nt answar these questions. Many times the word miracle was the only answer. In the end they became angry and said "this is believing or not". So he did'nt.

The Story of How An American Muslim Reverted To Islam

(Based on the story he narrated)

By : Iman El Zeiny

Since this American has become a muslim, many people kept asking him the same question which is : why he chose Islam? To him the answer was easy but too long to give directly away. For this reason, he narrates the story of his life and his family after giving few facts which were useful to his story. These facts are related to the bad family ties in western countries; the rapid increase of proffessional criminality due to society corruption; the fact that health is becoming worse as a result of alcoholism, drugs, medicine, food, spiritual and mental poverty, loneliness and the migration of ill minded people to the city.

He then carries on narrating the story of his family which was composed of his father, mother, two daughter and three sons. This was during the turbulent time before world war II, when America was the promised land where everything was possible.

He carries on telling us what a miserable life he had with his family. They lived as if they evere in a concentration camp with a father behaving like a camp brute : abusing, beating, hitting and forcing his children to do abnormal and disgusting acts.

When he became fourteen, he was a stubborn, depressed and difficult boy. He hated any kind of authority, descipline or organized form of life and hence his teachers had a rough time with him. This was during the time of protest against the USA because of what they were doing in Vietnam. The maoist communist movement became popular. Then became a dedicated member and studied all the works of Mark, Lenin Stalin and Maotse Toeng. He found out through communism that man has an animal like nature, man's function was to be a small screw in a machine, man's aim in life was to fulfill his animal desire and his destiny the grave. Soon, afterwards, the party started to behave like any regular established communist party : hard, dictatorial and inhumane. He then realized that this communist party had no scientific method at all and that the human motives for changing the society cannot be compared with the temperature rising and then boiling of water. He started to wander and ask himself why did they kill thousands of people in China, Russia and after communist countries? why was and is nobody allowed to speak and decide for himself? when the revolutionary spirit died, his spirit left the party and its ideology.

Having left the communitist party and its ideologies, he then went to Europe (Brussels) and lived the European life fully; but after a while he became depressed and completely broken down. He wandered if this was what life is all about. Deciding to leave all these various nonsensical paths for the good and start searching. It became clear to him that communism is cold, unscientific, deprived from spirit, love, mercy and freedom. Capitalism, on the other hand, stimulate all animalistic pleasures and counts money only. Hence, he realized that both systems are cruel and profit from surpressing people and from perpetuating the war. Therefore, he became so hungry to find out the truth. Searching through Hinduism, Buddhesm and Yoga, he first got of book of Yoga and started exercising immediately. The meditation calmed his mind and gave

languages including English. The Ahmadiyya translation of the Quran contains renderings and interpretations related directly to the positions of Ahmadiyya and considered inacceptable by most Moslems. Their renderings of the Quran are involved in the christological deviation from orthodox Islam which characterises the Ahmadiyye thought and this vitiates their other wise painstaking and ambitious attempts to mediate the Quran to the outside world.

There have also been many translations of the Quran into English by Moslems of different nationalities, whose native language is neither Arabic nor English. For instance the translations rendered by Indian Moslems, notably by Abdul Hakim Khan (patiala, 1905), Mirza Abul Fazl (Allah abad, 1911), Mohammad Ali (Lahore, 1916), Ghulam Sarwar (Singapore, 1930), and Yussuf Ali (Lahare, 1934).

Abdullah Yussuf Ali's translation which first appeared in 1934 is entitled the Holy Quran; text translation & commentary later it appeared in various editions which carry new titles. Y. Ali states that his aim in translating the Quran is to "make English itself an Islamic language".

The volume commences with an Introduction of about twenty five pages in which he tries to inform the reader with every thing related to the Quran, its nature, background, the Makki and Madani Suras, its style, order and compilation, and universality of the book. The translation is supplemented by very copious notes and commentaries, which deal both with the meanings of the words used in the original text and form short essays on the subjects treated in the original. Being free of anti-Islamic prejudice, and his approach to the translation above mentioned, Y. Ali's work is considered one of the best English translations of the Qur'an appeared in the twentieth century.

to be continued

influence of Sale's translation was enormous, for it was the only English translation available for some 150 years. Yet, from a Moslem's point of view it is disastrous. It seems that Sale's connection with the society for promoting christian knowledge (which begun in 1720) as one of the correctors of the Arabic version of the new testament, induced him to undertake the translation of the Qur'an in order to prove that the Qur'an could not by any means stand against the spread of christianity. Sale (1836 : IX) lays stress on the futility of the Roman catholics undertaking the task of translating and says : "The protestants alone are able to attack the Koran with success, and for them I think providence has reserved the glory to over — throw." what has been mentioned earlier concerning the translation made by Ross can be applied to the translation made by Sale. Both have anti-Islamic intentions and should not be considered at all as adequate translations of the Quran. I can even recommend that they should not be included in any history of the translations of the Qur'an by any Moslem. It is enough to metnion here the fact that without enough sympathy and understanding of the source text, the translator could not transfer its meaning adequately.

With the advent of the nineteenth century, came the vise of interest in oriental studies, and the translation of the Quran attracted the attention and interest of same scholars. Rev. J.M. Rodwell first published in 1861 his version entitled The Koran : translated from Arabic, and which was taken up later by "Everyman's library" in 1909. Rodwell was also a great opponent of Islam as Sale was, though in a different manner. He did not deny the "Truth" contained in the "Koran" but he believed it to be based on christianity and Judaism. In his translation, Rodwell took liberaties in rearranging the order of the Suras of the Quran, with the objective, as he says, of reconstituting the historical sequence of its original composition. Nothing could be more taken against Rodwell's translation than the fact that he disrupted the order of the Suras and rearranged them according to what he calls their chronological order, which made it look like mass of disjointed fragments.

Along the same live of thought as Rodwell's, we find another notable English translation of the Quran by a christian viz that of E.H. Palmer, printed at the clarendon press Ox ford 1880. While Rodwell reached the great public through the enterprise of J.M. Dent & Sons Ltd. Palmer also enjoyed on equally wide circulation. Palmer found the language of the Quran too difficult to be rendered into English. He based his views on the assumption that the language of the Quran is the language of "every day life" not "elegant in the sense of literary refinement". Hence, Palmer in his translation gives the worst possible aspect to the verses of the Qur'in, ie to make them look harsh, unreasonable or unintelligible. Having done that he adds notes assuming to clear up the mess he made in the translation, but with the intention of piling up further ridicule on Islam and its adherents.

After reviewing the three notable English translations of the Quran that were most effective in the past two centuries, namely Sale's Rodwell's and Palmer's, we now move to the twentieth century that witnessed a progress in the study and translation of the Quran and the related fields of Islamic Studies. Consequently there was increase in the number of new English versions of the Qur'an rendered by scholars, such as the Ahmadiyya scholars, whose mother tongue was other than English. The 'Ahmadiyya movement which derived from Mirza Ghulam Ahmad began in the last quarter of the nineteenth century of the Islamic calender (1300 A.H.-1882/3 A.D.) Like christian missionaries, Ahmadiyya missions all over the world distribute books and tracts on their beliefs and principles. And through the history of their missionary efforts, one of their projects has been the translation of the Quran into various major

A Comparative study of the English translations of the meaning of Surah maryam

Part I.A.

Presented by Mona Abdel Ghaffar Salem

The Qur'an has been translated into approximately 122 different languages including most modern European languages as well as latin (al-Bundaq : 1983). Available information about the first translations of the Quran, according to the world Bibliography of translations of meanings of the Holy Qur'an (1986), may be summed up as follows; There were Syriac translations made by non-Moslems, in the second half of the first century A.H., in the period of Hajaj Ibn-Yussuf. There is also a possibility of the existence of a Berber translation wrilten in 147 A.H. there was in addition a persian oral translation made by Musa Ibn Sayyar Al-Aswari before 255 A.H. There is also a possibility of an existence of a chinese translation.

It was the crusades that first brought the west into close contact with Islam, but between the year 1096 and 1270 there was one attempt to translate the Quran, namely, the latin version made in 1143 by Robert of Retina and Hermann of Dalmatia, on the initiative of pierre le venerable, the Abbot of cluny. This mediaeval latin version enjoyed a considerable circulation in manuscript before it was printed four centuries later by theodor Bibliander in Basel in 1543. From this latin version was taken the Italian version of Andrea Arrivabene, which pope III ordered to be destroyed, and the church prohibited publishing latin translations of the Qur'an until the time of pope Alexander VII (1555-1567).

During the seventeenth and eighteenth centuries, several translations appeared both in latin and in French, and one of the latter, by Andre du Ryer, was translated in 1649 into English by Alexander Ross. Ross was ignorant of the identity of Mohammad (P.B.U.H), of Arabic, and of the message of Islam. He wrongly assumed that the Quran was the word of Mohammad (P.B.U.H) not the word of Allah and he considered it as "Turkish Vanities". He even sarcastically denied the use of it. Nothing can be expected from a translation done with that ignorance and for such an inglorious purpose except falsehood and deception. This work cannot be considered a translation by any standard.

Ross's edition was available to the lawyer George Sale when he set for himself the task of replacing it. Sale proclaims that Alexander Ross's English version is no other than a translation of Dr. Ryer's and it is a very bad one. Sale's translation, the Koran, which first appeared in November, 1734, was largely dependent on the new latin version made by Ludovico Marrucci, a confessor to pope Innocent XI. It was published at padua in 1698 and dedicated to the Holy Roman Gmperor Leopold I. Sale's work is one of the most famous English translations and has gone into some thirty editions in England (the latest, edited by Sir Denison Ross, in 1929) and several in America. It was translated into many languages including German, Russian and Bulgarian. The

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66 Part IV

Gumada Awal, 1414 Higrah — November, 1993

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

CONTENTS

1. A Comparative study of the English Translations of the Meanings of Surah Maryam.

   By : Mona Abdel Ghaffar Salem M.A.

2. The Story of How an American Muslim Reverted to Islam.

   By : Iman El Zeiny

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهرس

● الافتتاحية (واحذرهم أن يفتنوك)
للدكتور على أحمد الخطيب ٦٢٥
● مع الإمام الأكبر
أدب الاختلاف فى الإسلام ٦٢٨
فتوى فيما يقدمه غير المسلم لصديقه المسلم .. ٦٢٨
صلاة الجماعة بين الوجوب والندب ٦٤١
● مع سورة الأنفال
للدكتور عبدالجليل شلبى ٦٤٦
● سعادة الدنيا وشقاء الآخرة
للشيخ على حامد عبدالرحيم ٦٥٠
● الخلاف الفقهى (الفصل الأخير)
لفضيلة الشيخ أحمد عبدالله العبلينى ٦٥٢
● أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية
أ. د. محمد عبدالعليم العدوى ٦٥٨
● مشكلة مسلمى آسيا الوسطى
أ. د. انشراح الشال ٦٦٤
● خلفية تاريخية عن الإسلام
للشيخ زكريا حامد ورشل ٦٦٧
● العلمانية والخلط بين الأوراق
بقلم الدكتور محمود صالح العدل ٦٦٧
● مستقبل الثقافة فى مصر
أ. د. محمد رجب البيومى ٦٨٠
● المرأة فى الغرب الأوربى
للأستاذ الدكتورة/إسمت غنيم ٦٨٨
● هيئة كبار العلماء ٦٩٢
● الفتاوى إعداد الأستاذ/عبدالمنعم فودة ٧٠٤
● تهنئة للأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم ٧٠٦
● الجميلات والجمال
ا. د. أبو ياسر الوزير ٧٠٧
● مذبحة المآذن للشاعر رشاد محمد يوسف ٧١٠
● حديث مع ديدات
للشاعر السيد الصديق حافظ ٧١٢
● عبرة وفاء
للأستاذ/محمد مصطفى الغمرى ٧١٣
● من أعلام الأزهر
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٧١٥

● من أعلام الأزهر
د. عبدالحكيم عبدالرءوف عبدالرازق ٧٢٣
● طرائف ومواقف
للأستاذ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٧٢٦
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات .. ٧٢٨
● العلوم الكونية بين الأصالة والمعاصرة
للدكتور أحمد فؤاد باشا ٧٣٤
● الحشرات والحديث عنها (٢)
أ. د. عبدالحكم عبداللطيف الصعيدى ٧٤٢
● الجديد فى العلم والتقنية
اعداد د. نجوى السيد أحمد ٧٤٩
● البحث النحوى عند الإمام النووى (٢)
للأستاذ الدكتور محمد عبدالقادر هنادى ٧٥٢
● الوحدة الموضوعية (عصر صدر الإسلام)
للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ ٧٥٩
● من أدب الحرمان (الفقر والفقير)
للأستاذ/محمد عبدالوهاب ٧٦٣
● عبقرية التراث بين النفى والاثبات
للدكتور عبدالفتاح أحمد الفاوى ٧٧٢
● بين المجلة والقارىء
إعداد الدكتور محمد عبدالحكيم ٧٧٩
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذ/مصطفى عبدالمجيد ٧٨٢
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/مجدى عبدالحميد بشير ٧٨٤

القســم الفـرنسى

الموضوع الثانى :
ليلى حسين الشافعى ٧٨٨
الموضوع الاول :
د. رقية جبر ٧٩٠

القســم الإنجليــزى

الموضوع الثانى :
إيمان الزينى ٧٩٥
الموضوع الأول :
د. منى عبد الغفار سالم ٧٩٨

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

« فاسجدوا لله واعبدوا »

والآية الكريمة أمرٌ بالسجود لله ـ وحده ـ والإخلاص له .

وشتان بين السجود لله .. والسجود لغير الله .

شتان بين عابد لله .. وذليل ينحنى من أجل هواه .

الساجد لله رَبُّهُ الله ، واحد لا شريك له .

والساجد لغير الله آلهتُهُ شتَّى : الهوى .. الزُّلفى .. النفع ، وكم له من موبقات يغيب عنها « الهلالُ » الحقُّ ، ويمرح فيها « المحاق » .

يا سبحان الله !

إنه لا يسجد لله إلا مُؤْمِن أَيْقَنَ بحق اللهِ فَأَقَرَّه ، وتَمَثَّلَ أَمْرَ الله فَأَبَرَّه .

علم أن كلمة الله هى العُليا ؛ فهى ــ فى فؤاده ــ فوق هواه ، وهى ــ فى حياته ــ مناط خُطَاه ، يؤمن بها فى غير جدال ، لا يطوّعها لمذهب أثيم ، ولا لِهَوىً ضال ، ذلك لأنه فى مأمن من شهوة تُذِلُّهُ ، ومعصية تُضِلُّه .

أولئك هم المؤمنون حقاً ، الساجدون لله ــ سبحانه ــ المُخْلَصُون له دون سواه المستغفرون لأنفسهم وللمؤمنين .

أولئك الطيبون الذين يَعِفُّون عن نبش قبور التائبين لاختلاس آثامهم كى يحاربوا بها اللهَ ورسولَهُ والمؤمنين . فليس يفعل ذلك إلا الساجدون لغير الله ، يريدون ليطفئوا نورَ اللهِ بمعصيةٍ دَثَرَت ، وزلةٍ فَلَتَتْ تاركين ما ينبغى مقاومته من أعمال العابثين بالدين ، منصرفين إلى « مواجهة » الإسلام نفسه بشعار من ظلمات بعضها فوق بعض لا يهديها نورٌ ولا تنوير ، فما بعد الإثم من مستنقع ، ولا بعد ظلماتهم من تنوير .

يا سبحان الله ..! وإنما يتذكر أولو الألباب . ولازال الحق أحق أن يتبع ، ولازالت آيات الإسلام تمحو من الآفاق آيات المضلين ، وتدفع بالحق على ألسنة المنصفين فتبدو الشريعة الإسلامية على حقيقتها زاهرة لا يرقى إليها تشريع ، ولا ينال منها سفه الحاقدين .

حملت لنا الأنباء بـ « أخبار اليوم » ص(٦) صباح ٢١ من جمادى الأولى ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٣/١١/٦ من كلمة الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا قوله ــ فى الشريعة الغراء :

« إن حقوق النساء فى الإسلام ــ من حيث الملكية والميراث وتأمين حياتهن بعد الطلاق ، وحقهن فى مباشرة الأعمال الحرة مثل التجارة ــ وردت فى نصوص القرآن منذ ١٤٠٠ (أربعمائة وألف سنة) وهى توضح تفوق الإسلام على الغرب فى هذه الناحية ، حيث إن هذه الحقوق ــ فى بريطانيا ــ حديثة العهد ، يعود تاريخها إلى جيل جدته الملكة الأم » .

أى من نحو مائة عام فقط ، فإن الملكة الأم لا تزال تعيش ، وبعد :

فهذا ما قال تشارلز فى شىء من الشريعة الغراء سوف يُغضب ــ ولاشك ــ من الشرق والغرب على سواء أولئك الساجدين لغير الله .

د. على أحمد الخطيب

نص خطاب الرئيس

محمد حسنى مبارك

فى المؤتمر الـ "٢٧" لمنظمة اليونسكو بمناسبة تكريمه .

السيد رئيس المؤتمر
السيدة رئيسة المجلس التنفيذى
السيد مدير عام اليونسكو

اسمحوا لى فى بداية حديثى أن أتوجه لكم بالشكر والتقدير لإتاحة هذه الفرصة لى للالتقاء بكم فى هذه المدينة العريقة ونتبادل الرؤية معكم فى هذا المؤتمر الهام الذى يتواكب انعقاده مع بدء مرحلة هامة فى تاريخ البشرية .. نأمل أن نشهد نهضة إنسانية كبرى . نبنيها معا بالتعاون والتفاعل الخلاق ونبذ الصراع والتعصب والكراهية .

وتلك مهمة لابد أن يكون لمنظمة اليونسكو إسهامها الملموس فى أدائها وإنجازها بنفس المقدرة التى أدت بها رسالتها فى العقود الماضية .

وتعلمون أن بلادى ذات الجذور العربية الأفريقية والهوية الإسلامية هى دولة تعاقبت على أرضها الحضارات وامتزجت فوق ترابها الثقافات وأخذ شعبها على عاتقه منذ آلاف السنين أن يكون جسرا للوصل والتقريب بين الشعوب والحضارات ، وأن يستوعب جوهر الرسالة الإنسانية التى تقوم على الوحدة من خلال التعددية والتجانس من خلال التنوع والترابط من منطلق الشعور بوحدة الهدف والمصير .

كانت أرض مصر ساحة رحبة للتفاعل بين الحضارة الأفريقيـة الفرعونيـــة ، والحضارتين الإغريقيـــة والرومانيـــة والحضارة العربيـــة الإسلامية ، فما نتج عن هذا التلاق صراع ولا صدام بل كانت محصلته تراثا روحيا هائلا وثراء ثقافيا فريدا ، وإيمانا عميقا بأن رسالة الإنسان الذى هو خليفة الله فى الأرض هى أن يبنى ويعمر ، ويجمع ولا يفرق ويضيف ولا يخرب .

الصراع الحضارى والثقافى

السيدات والسادة ..

إننا نلتقى اليوم وعالمنا المعاصر يموج بتيارات عديدة وتتجاذبه عوامل شد وجذب لم يعهدها من قبل ، يحمل بعضها ملامح التحول والتغيير إلى الأفضل ، وينبذ البعض الآخر باحتمالات الصراع والمواجهة .. مما يلقى علينا مسئولية خاصة فى هذا المنعطف الحرج ، لكى يحسم الموقف بالانحياز الجماعى إلى جانب السلام والاستقرار فى مواجهة العنف والتوتر والقلق ، وتأكيد سيادة العقل والعلم والمعرفة ضد دعاوى الانغلاق والجهالة والتعصب .

إننا نواجه معاً ومن خندق واحد تحديا تاريخيا لا سبيل إلى تفاديه ، وليس أمامنا من سبيل سوى مواجهة هذا التحدى بالفكر المستنير ، وبإحياء الأمل بالعمل وبالدفاع المستميت عن حق الإنسان فى السلام والتنمية وإعطاء كافة الشعوب فرصة عادلة للإسهام فى صنع المستقبل .

وقد روج البعض مؤخرا لنظريات مؤداها أن العالم بعد أن تخلص من الصراعات السياسية الحادة والمواجهات العسكرية المدمرة ، قد انتقل إلى عصر يسوده الصراع الحضارى والثقافى ، وتلك مقولة على قدر كبير من الخطأ والخطر ، ولو صحت لكان معنى هذا أن الإنسان يتقهقر بدلا من أن يتقدم وينحدر بدلا من أن يرتقى لأن الصراع السياسى حتى إذا بلغ ذروته ومنتهاه فى صورة المنازلة العسكرية سيظل أخف وطأة وخطورة من الصراع الحضارى والثقافى ؛ لأن هذا الضرب الأخير من الصراع يستعصى على الحل ، ويمكث فى العقول والقلوب قرونا عديدة ، وإن كان يفتقر إلى أى مبرر أخلاق .

وإذا كان تاريخ الإنسان قد سجل فى بعض العصور صورا من الصراع العرقى والدينى والمذهبى ؛ فإن تلك الظاهرة ظلت محصورة فى فترات التدهور والانحلال وليس من المقبول أن يقال إن الإنسان يمر بمثل هذه المرحلة وهو على أبواب القرن الحادى والعشرين ويحيا مرحلة ما بعد الذرة وغزو الفضاء .

إن المنطق السليم يأبى التسليم بمقولة الصراع الحضارى ؛ لأن الحضارة توحد ولا تمزق ، تقرب بين الناس تحت مظلة العقل ، كما أن المعرفة بطبيعتها عالمية لاقومية ولا عرقية ، والعلم لا وطن له ولا حدود لذيوعه وانتشاره ، والتراث الإنسانى واحد ، والتراث الإنسانى تيار مشترك تسهم كل الشعوب فى تكوينه وإثرائه .. والتعايش والاندماج يشكلان أحد العناصر الأساسية لتطور المجتمع البشرى منذ بدء الخليقة .

إن ما نشهده فى بعض المناطق من انتكاس للقيم الرفيعة وإهدار لحقوق الإنسان تحت شعارات عنصرية وعرقية كريهة هو استثناء من القاعدة ، وخروج على قيم العصر ومبادئه ، واختبار لقدرتنا الجماعية على التخلص نهائيا من رواسب عصور

الظلام والقهر ، والتغلب على ما بقى من مظاهر التخلف والانحلال ، تمهيدا لعصر جديد يحمل للإنسان بين ثناياه كثيرا من الآمال والأحلام .

فرية ضد الإسلام

أيها الأصدقاء الأعزاء :

لقد تواكب مع هذا الطرح الخاطىء الذى أشرت إليه انتشار مقولة لا تقل عنه خطأ وبهتانا ؛ مفادها أن الإسلام ــ كدين وثقافة ــ أصبح من عوامل الشقاق والعداء بين الناس . وأنه يزرع بذور الحقد والكراهية بين المؤمنين وغيرهم من البشر .. ومن ثم فانه ينذر بأن يكون أداة لاستقطاب جديد بعد زوال الاستقطاب الذى عانى منه العالم كثيرا فى ظل الحرب الباردة ، وليس أبعد من تلك الفرية الظالمة عن الحقيقة .. فهى لا تستند إلى أى أساس نظرى من صحيح الإسلام الذى كان وسيظل إلى أبد الدهر رسالة عالمية تخاطب الناس جميعا على أساس العدالة والمساواة فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .. والناس سواسية عند الله الذى قال فى تنزيله الحكيم ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ . **الحجرات ــ آية : ١٣**

ويقول الله ــ تعالى

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ .

سورة البقرة ــ آية : ٢٥٦

وليس أصدق من هذه الكلمات فى التعبير عن روح المساواة والإخاء بين الناس بغض النظر عن أى اختلاف فى العرق أو اللون .

وإذا نظرنا إلى سلوك المسلمين فى المجتمعات التى أقاموها فى أنحاء العالم المختلفة لوجدنا أن سيرتهم ــ وخاصة فى عصور ازدهارهم ــ كانت نموذجا للتعايش والتآلف والتسامح ، ورفض التفرقة والتميز والتعصب .. فلم يقيموا السدود والحواجز فى مواجهة الشعوب الأخرى .. وانما بنوا الجسور وقنوات الاتصال وشيدوا منارات شاهقة للعلم والمعرفة .. نهلت من تراث الآخرين .. ونقلت عنهم وأضافت اليهم فتركت بصمات حضارية لن يمحوها الزمن على مر القرون .

سماحة المجتمع الإسلامى

وليس هذا فحسب .. بل إن المجتمع الإسلامى سمح بالتعدد والتنوع حتى فى داخله كما هو ثابت من تنوع الرؤى الفلسفية والاجتهادات حسب اختلاف الظروف البيئية والخلفية الحضارية . فلم يفرض نمطا معينا فى التفكير ولم يحجر على حق الإنسان فى التكيف مع الأوضاع الاجتماعية السائدة فى منطقة معينة دون أخرى .

أما الأقوال والممارسات المناهضة لهذه الروح والتى تنسب إليه فى هذا الزمان .. فهى لا تمت إلى الإسلام بأى صلة ، بل إنها دعوة معادية له تسعى إلى تشويه صورته وتزييف جوهره وتعاليمه لأن أصحابها فقدوا بصرهم وبصيرتهم ، وانقلبوا إلى معاول هدم تحاول تقويض الإسلام من الداخل بعد أن استعصى على حساده والحاقدين عليه .

لقد قامت منظمة اليونسكو بدور طليعى رائد فى إحياء الثقافة العالمية ، والحفاظ على التراث الإنسانى والتقريب بين الأجناس والشعوب المختلفة ، والتصدى للقضايا الكبرى ، والمشاكل الأساسية التى تواجه الإنسان فى تاريخه المعاصر ، وقد عنى مؤتمركم هذا ببحث أحد التحديات الخطيرة التى تهدد مسيرة الإنسان على طريق السلام والتقدم وهى قضية الانفجار السكانى .. ولا شك أن تلك القضية تشكل أحد الهموم الكبرى لكل مكترث بمستقبل الإنسانية ، وعلينا جميعا أن نقتحمها مسلحين برؤية واضحة ومنهج علمى وتعاون جماعى خلاق . مدركين تماما أن الخطر لا يقتصر على قارة دون أخرى ، لأن العالم كله أصبح قرية كبيرة لا يمكن أن يعيش أحد أحيائها بمعزل عما يجرى فى سائر أجزائها . ولذا كان لزاما علينا جميعا أن نواجه هذا الخطر كرجل واحد وخطة منسقة تتضافر فيها الجهود وتتجمع لها الموارد والإمكانات .

وقد أولينا هذه المشكلة فى مصر اهتماما لا يوازيه سوى إصرارنا على رفع مستوى التعليم والنهوض به إلى أرفع المستويات بما يسمح لنا أن نتقدم على طريق المستقبل بأقدام ثابتة وخطى واثقة جسورة .. وأن نسهم فى تطوير الحياة على هذا الكوكب على نحو يصل الماضى العريق بالمستقبل المشرق السعيد .

التغلب على عوامل الشر

إننا نحلم اليوم بعالم واحد بلا أسوار ولا حواجز ولا حروب ولا صراع ؛ فيغمرنا شعور عميق بالثقة فى قدرة الإنسان ليس فقط على اقتحام الطبيعة وتسخيرها لبناء الحضارة ونشر المدنية .. بل أيضا فى قدرته على التغلب على عوامل الشر داخل نفسه ليطهرها من نزعات الجهل والحقد والتعصب .

لدينا حلم رائع أدعوكم للالتفاف حوله .. حلم يجد جذوره فى قيم التسامح والتعايش الراسخة فى الحضارة التى أمثلها أمامكم . ويستمد قوته الدافعة فى خبرات النضال الإنسانى عبر القارات وعبر التاريخ .

واسمحوا لى أن أدعوكم من هذا المنبر للالتفاف حول هذا الحلم بعالم واحد ليس فيه حواجز ولا أسوار .

من أجل اتصال دائم ومكثف بين الشعوب ، ومن أجل ثقافة قادرة على استيعاب متغيرات العصر .

من أجل علاقة متسامحة بين الأقليات والطوائف .

من أجل تبادل واسع للخبرات بين الأمم .

من أجل الحقوق المتساوية للثقافات المختلفة للتعبير عن ذاتها .

من أجل نشر الأفكار المختلفة بحرية فى كافة أرجاء المعمورة .

من أجل حماية حقوق الأفراد فى التعليم واكتساب الخبرات .

من أجل أن يجد كل فرد فرصا متكافئة فى التعليم والعمل ، لا فرق فى هذا بين الرجل والمرأة .

من أجل تعاون دولى حكومى وشعبى لبناء مجتمع عالمى بلا فقر أو مرض أو حرمان .

ومعا سوف نمضى فى طريقنا نزرع الخير وننشر المودة والمحبة ونصنع المجد والعلا .

ومعا سوف نبلغ أهدافنا ونحقق أمانينا .

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

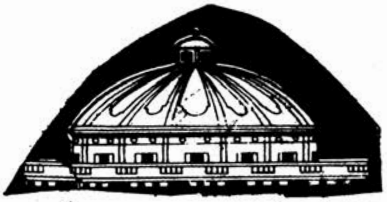

رسالة الإمام الأكبر إلى مؤتمر (*) :-

برلمان أديان العالم

عقد فى (شيكاغو) بالولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر « برلمان أديان العالم » فى الفترة من ٨/٢٨ وحتى ٩٣/٩/٤ الموافق ١٠ ـ ١٧ ربيع الأول ١٤١٤ هـ .

وقد حمل رسالة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى المؤتمر فضيلة الدكتور نجاح محمود الغنيمى أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر والذى استهل الرسالة قائلاً :

سرتنى الدعوة التى وجهتها الهيئة المشرفة على لقاء البرلمان إلى الأزهر الشريف ، من خلال وزارة الخارجية المصرية فى ١٢ يونيو ١٩٩٣م ، وقد حالت الأعباء والارتباطات المسبقة على هذه الدعوة دون مشاركة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بشخصه مع حضرات الأعضاء لبحث أوجه النشاط المختلفة لهذا اللقاء .

وإذ أشرف بنيابتى هذه أنقل إلى هذا الجمع الموقر تحيات فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وتقديره لمهمة هذا اللقاء والهدف الإنسانى الذى تغيّاه ، وإليكم نص رسالة الإمام الأكبر :

(*) نص رسالة الإمام الأكبر باللغتين الانجليزية والفرنسية فى القسم الأجنبى من هذا العدد

السيد رئيس المؤتمر .

لقد قرأت بعناية تامة المواد التى احتوتها أوراق اللقاء والتى وردت رفق خطاب الدعوة ، وأسعدنى جداً أن يكون من بين أهداف هذا اللقاء الدولى :

● تشجيع روح التوافق ، والاحتفال بالتنوع الثرى لديانات العالم بكل السماحة والاحترام المتبادل .

● تقويم وتجديد الدور الذى تقوم به ديانات العالم فيما يتعلق بالنمو الروحى الشخصى والتحديات التى يواجهها المجتمع العالمى .

ويضاف إلى ذلك ما ورد فى البند السادس من صحيفة الحقائق وهو أنه :

● سيكون الموضوع الرئيسى لهذا اللقاء دور الحياة الدينية والروحية فى مجال القضايا الكبرى لعصرنا الحاضر : كالعنف ، والفقر ، والجوع ، والعنصرية والبيئة ، وما ورد من تفسير وتفصيل لهذا البند الأخير نفسه فى خطاب الدعوة فقره ٥ :

● إن لقاء ١٩٩٣م سوف يكون أكثر من مجرد احتفال مئوى ، إذ أن حضور ممثلى العقائد الدينية للعالم فى مدينة شيكاغو سوف ييسر مجالا رحبا للشخصيات الدينية والروحية لبحث القضايا الكبرى التى تواجه المجتمع البشرى على عتبة القرن الحادى والعشرين ومن أهم هذه القضايا :

● التهديدات التى تقع على البيئة الأرضية ، والتعايش بين أقصى أطراف الثراء والفقر والعنصرية ، والاضطهاد والاستغاثة طلباً للعدالة ، والعلاقة بين الرجل والمرأة ، والسلام العالمى ..

● وكذلك ما ورد فى فقرة ٨ من خطاب الدعوة من إشارة إلى اجتماع الرؤساء الدينيين والروحيين الذى سيتم فى الأيام الثلاثة الأخيرة من اللقاء .

● وهذا الاجتماع سوف يبحث الوسائل التى تساعد على استمرار التعاون بين الأديان من أجل السلام ورفع المعاناة عن المعذبين ، والحفاظ على الكوكب الأرضى .

السيد الرئيس .. حضرات الأعضاء :

يسعدنى أن أذكر لكم أن الإسلام « ينسجم » تماماً مع هذه الأهداف والثمرات المرجوة من لقاءات هذا البرلمان العالمى للأديان .

ومن غير الملائم أن أتوقف مع كل هذه الأهداف والقضايا مجتمعة وأبين أصولها فى الإسلام .

ومن ثم ؛ فإن الحرص على الوقت يضطرنى إلى الاكتفاء بقضيتين أرى أنهما يتوافقان تماماً مع أهداف المؤتمر ، وفى الوقت نفسه هما من قضايا العصر الحاضر .

القضية الأولى :

● علاقة الإسلام بالأديان والشعوب الأخرى :

والإسلام يحرص على أن يكون أساس علاقاته مع الأديان والشعوب الأخرى هو السلام العام ، والود والتعاون ؛ لأن الإنسان ــ عموماً ــ فى نظر الإسلام هو مخلوق عزيز كرمه الله ــ تعالى ــ وفضله على كثير من خلقه ، يدل لهذا قول الله ــ تعالى ــ فى سورة الإسراء(1) :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

والتكريم الإلهى للإنسان بخلقه وتفضيله على غيره يعد رباطاً سامياً يشد المسلمين إلى غيرهم من بنى الإنسان ، فإذا سمعوا بعد ذلك قول الله ــ تعالى ــ فى سورة الحجرات[2] :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ــ أصبح واجبا عليهم أن يقيموا علاقات المودة والمحبة مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى ، والشعوب غير المسلمة نزولا عند هذه الأخوة الإنسانية .

وهذا هو معنى (التعارف) الوارد فى الآية فتعدد هذه الشعوب ليس للخصومة والهدم ، وإنما هو مدعاة للتعارف والتواد والتحاب ، تسابقا إلى الخير وإلى العمل لخدمة الصالح العام . أما الاختلاف الموجود بين هذه الديانات والشعوب ، فهذه مشيئة الله ، ولو أراد الله توحيد الخليقة ، لما أعياه ذلك ، ويقول الله ــ تعالى ــ فى سورة المائدة[3] :

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

وهذه النظرة المتسامحة للإسلام إلى العلاقات مع الديانات والشعوب الأخرى تشتد وضوحا ، إذا تأملنا فى نظرته لغير المسلمين من أهل الكتاب ، وهم الذين يؤمنون برسالة السماء والوحى ، وإن اختلفت صور إيمانهم عن إيمان المسلمين .

ففيما يختص باليهود يحدد القرآن الكريم هذه النظرة بقول الله ــ تعالى ــ فى سورة المائدة[4] :

إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ .

وفيما يختص بالمسيحية يقول الله ــ تعالى ــ فى سورة المائدة[5] :

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ .

فالتوراه أنزلت من السماء هدى ونور ، والإنجيل أنزل من السماء هدى ونور .

أما الإسلام والقرآن فيقول الله ــ تعالى ــ فى سورة المائدة[6] :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ

---

(٢) اية رقم ١٣ .
(٣) اية رقم ٤٨
(٤) اية ٤٤ .
(٥) آية ٤٦ .
(٦) آية ٤٨ .

عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾

فالقران حكم بين الكتب السابقة عليه ، وهذا رباط مشترك بينها كلها . وفيما يتعلق بنظرة الإسلام إلى رسل الديانات كلها وأنبيائها يقول القرآن الكريم فى سورة البقرة[٧] :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ

وفى حديث للرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوجه فيه المسلمين : « **لاَ تُخَيِّرُوا بين الأنبياء** »[٨] يعنى لا تفاضلوا .

فنظرة المسلمين ـ إذًا ـ إلى غيرهم من أتباع اليهودية والنصرانية ، هى نظرة الشريك إلى شركائه فى الإيمان بالله ، والعمل بالرسالة الإلهية التى لا تختلف فى أصولها العامة عن رسالة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهذا الأساس المشترك فى الاعتقاد من شأنه أن يبيح تبادل العلاقات والمنافع ، ويجيز التعامل بين المسلمين ، وهذه الشعوب فى دائرة واسعة ، إلى حد الاشتراك فى رد عدوان عام يهدد الرسالة الإلهية عامة ، كما يتسع ليشمل جوانب عديدة بما فيها الجانب الاجتماعى ، فالقرآن يبيح للمسلمين تناول طعام أهل الكتاب رضاءً وهبة أو شراء ، كما يبيح لهم التزوج من نسائهم يقول ـ تعالى فى سورة المائدة[٩] :

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ ﴾

وهذا النوع من السلام الاجتماعى يسلمنا طبيعياً إلى القضية التالية وهى :

٢ ـ السلام مبدأ إسلامى :

فالسلام هو من أبرز المبادىء الإسلامية ، إن لم يكنِ أبرزها على الإطلاق ؛ بل من الممكن أن يرقى ليكون مرادفاً لاسم الإسلام نفسه باعتبار أصل المادة اللغوية .

ولكن دعوة الإسلام نفسه تتجه فى ذلك أولاً إلى سلام النفس الإنسانية وصفائها وطمأنينتها عن طريق إضعاف شهوات غرائزها من ناحية ، وإعلاء صوت العقل فيها من ناحية أخرى .

ووسيلة التنسيق بين هذه الثنائية المكونة من الغرائز والعقل ، وبعث الانسجام الخالى من التجاذب بين طرفيها هو : الإيمان بوحدة الله فى ذاته ، وذكره على الدوام . وفى ذلك يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الرعد[١٠] :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾

فإذا تحقق السلام والصفاء فى نفوس الأفراد وقلوبهم قام مجتمع يسود السلام علاقات أفراده ، فالسلام الحقيقى لأى مجتمع قوامه سلامة نفوس أفراده وصفائها ، وطمأنينة قلوبهم ، وتخلصهم من سيطرة غرائزهم وشهواتهم ، وعوامل الضغينة والغل والحقد عن طريق الإيمان وذكر الله .

---

(٧) آية ٢٨٥ .

(٨) من حديث رواه الإمام أحمد والبيهقى عن أبى سعيد رضى الله عنه ـ جامع الأحاديث للسيوطى جـ ص ١٩٠ .

(٩) آية ٥ .

(١٠) آية ٢٨ .

وإذا اتجه الإسلام إلى المؤمنين مطالباً إياهم بالسلام فى علاقاتهم بعضهم ببعض على النحو السابق ؛ فإنه يتجه إليهم أيضا فى علاقاتهم مع الأمم الأخرى ، مطالباً إياهم بالسلام والاستقرار وعدم الاعتداء ، وفى ذلك يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة[١١] :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

أى شاركوا بنصيب إيجابى فى السلام العام حتى لا يقع عدوان على الناس .

والإسلام لا يكتفى بإقـرار مبـدأ عدم الاعتداء ، ولكنه يسعى كذلك للعمل على صيانته واستمراره ، سواء كان ذلك بين أفراد الأمة الإسلامية ، أو بينهم من جانب وبين الشعوب الأخرى من جانب آخر ، وذلك عن طريق عدم إكراه الناس ، وعدم حملهم على الإيمان بعقيدته، يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة[١٢] :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾

وهذا يعنى أن الإسلام لا يقر القسر والإكراه فى نشر عقيدته .

ولكن المسلمين مطالبون فى الوقت نفسه بمقاومة العدوان إن وقع عليهم ، وفى ذلك صيانة للسلام ، إذ دفع الاعتداء وسيلة أخرى لحفظ السلام واستقرار العلاقات البشرية ، يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة[١٣] :

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾

والمثلية هنا تعنى الوقوف عند الحدود ، والصورة التى وقع بها الاعتداء ، وفى دفعه دون تزيد وهذا تأكيد لحرص الإسلام على السلام العام لذاته ، فلا يتجاوز رد الاعتداء من المسلمين مثل ما وقع عليهم ، ولا يتجاوز المعتدين إلى غيرهم من بنى جنسهم ، يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الممتحنة[١٤] :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

ويقول الله ـ تعالى ـ فى سورة المائدة[١٥] :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

فإذا قام المعتدى ـ بعد اشتباك المسلمين معه ـ بعرض السلام ، فإن الإسلام يأمر المسلمين بقبول هذا السلام ، يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الأنفال[١٦] :

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

فالإسلام ـ إذاً ـ هو دين السلام ، فهو يطلب من المعتقدين به أن يصونوا السلام العام : فى نفوسهم ، وفى مجتمعهم ، وفيما بين مجتمهم

---

(١١) آية ٢٠٨ .
(١٢) آية ٢٥٦ .
(١٣) آية ١٩٤ .
(١٤) آية ٨ .
(١٥) آية ٨ .
(١٦) آية ٦١ .

وبين المجتمعات الأخرى ؛ فإن أوذوا فى سبيل صيانيه دفعوا الإيذاء بمثل القدر والصورة التى وقع بها ، وعندما يدفعون الإيذاء يجب ألا يخرجهم دفعه عن حد الاعتدال والعدل ، ثم إذا عرض عليهم الكف وعدم الاستمرار فى الاشتباك مع من يناصبونهم العداء قبلوا هذا العرض حباً فى السلام نفسه . فالإسلام ــ إذاً ــ هو دين السلام ؛ لأن قوامَهُ الإيمان بالله وحده ، وذكر الله ، وكلاهما يعيد السلام إلى النفوس والشعوب والمجتمعات ، وهما اللذان يخففان من طغيان المادية التى تتمثل فى الأنانية والاعتداء ، ثم فى القلق والاضطراب :

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(17) .

ومن الممكن أن أستمر فى عرض القيم الأخلاقية والسلوكية العديدة للإسلام فى العديد من القضايا ؛ ولكنى أكتفى بهذا الذى ذكرت حرصاً على الوقت .

فقط أضيف أن المسلمين قد التزموا بتوجيهات الإسلام ، ولم يقترفوا فى تاريخهم الطويل ما يشينهم ، فلم يضطهدوا شعباً ، ولم يكرهوا أحداً على الإسلام ، ولم يقوموا بعمليات تطهير عرق ، أو تفرقة عنصرية ، ولم يحدث أن أبادوا أتباع دين من الأديان الأخرى ، وليس أدل على ذلك من أن البلاد التى دخلت فى الإسلام منذ كان ، وفى العصور المتعاقبة-وللآن- ما زال بها الجمع الغفير من أتباع الديانات الذين كانوا بتلك البلاد حين دخلها الإسلام ، ولو كان الحكم الإسلامى وقتذاك قد مارس ما يمارسه أصحاب الديانات الأخرى فى العصر الحاضر ــ ما بقى فى بلاد المسلمين من أتباع الأديان الأخرى أحد .

سيادة الرئيس والأخوة الأعضاء :

ورغم هذا التاريخ الناصع للمسلمين ؛ فإن الأقليات الإسلامية تسام الخسف والهوان وسوء العذاب ، وتدور رحى التطهير العرقى والدينى والتصفية الجسدية من كثير من الحكام غير المسلمين .

لقد حدث هذا وما يزال يحدث فى كل مكان فى العالم ، فى أوروبا وافريقيا وآسيا وغيرها ، ولن أتعرض بالتفصيل لذلك ، فهذا ما تتكفل به كتب التاريخ والحضارة ، ولن أتعرض كذلك بالتفصيل للمضايقات اليومية التى يلقاها المسلمون خارج بلاد الإسلام فى كل مكان من العالم ، خاصة فى بلاد الغرب . ولكن لا بد أن أتوقف عند :

مأساة البوسنة والهرسك :

وأتساءل : كيف يحدث هذا . والعالم على مشارف القرن الحادى والعشرين .

فى القرون الوسطى ، كان يقال : إن ظروف العصر اقتضت ذلك . والآن ، وقبل انهيار الشيوعية كان المؤمنون يبتهلون إلى الله أن يكلأ أتباع جميع الديانات فى أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتى برعايته ويحميهم من سطوة الإلحاد والاضطهاد الشيوعى . فلما أن زالت الغمة حمدنا الله وشكرنا فضله ، واستبشرنا خيراً بعودة أنشطة الإيمان إلى أماكن العبادة لكل الديانات .

ولكن أخا الإيمان انقلب على أخيه :

يقطع أوصاله ، ويغتصب نساءه ، ويصفيه جسدياً ، ويطهره عرقياً ، والعالم الغربى كله يقف

---

(17) سورة يونس اية ٢٥ .

وقفة مشبوهة ، لا هو بالذى يتدخل لوقف المذبحة ، ولا هو بالذى يسمح بتدخل أطراف أخرى من خارج القارة بالمساعدة والعون ، بل على العكس يساعد المعتدى بكل الوسائل والسبل ، ويمنع المعتدى عليه حتى من الدفاع عن النفس ويوقف امداده بالسلاح والعتاد .

إن هذه القضية ـ حضرات الأعضاء ـ تمثل إحدى التحديات الكبرى فى عصرنا الحاضر ، وهى بلا شك معيار مصداقيتنا فى مثل هذا اللقاء !!

باسم الأزهر :

أقول لحضراتكم باسم الأزهر الشريف ، المؤسسة العلمية الإسلامية الأولى فى العالم : إن هذا الصمت المريب ، وتلك التحركات المشبوهة التى تجرى على الساحة العالمية متظاهرة بوقف مأساة البوسنة و الهرسك ـ ما لم تتحول إلى جهد إيجابى حقيقى ، فلن يكون هناك سلام حقيقى من أى نوع ، ولن يكون المسلمون آخر ضحايا هذه الحروب العرقية ، بل سيتبع ذلك بقية الأديان على التوالى ، حتى من يظنون أنهم يملكون المنعة والقوة ، بل ستدور الدائرة كذلك على أتباع الدين الواحد من غير الإسلام .

ومن هنا فإنى أهيب بمؤتمر برلمان ديانات العالم أن يُسْمِعَ صوته للبشرية كلها ، ويشجب هذا العدوان اللا إنسانى الذى يقع على شعب البوسنة والهرسك المسلم ، ولا يقتصر على ذلك ، بل **يبذل جهوده الفعلية لإقناع دول وحكومات الغرب للتدخل الإيجابى لوقف هذا العدوان ، الذى تراخت دول الغرب كلها والمؤسسات الدولية عامة ، بما فيها الأمم المتحدة ، عن وقفه .**

ولنتذكر جميعاً ، أنه لا يمكن أن يكون هناك سلام واحترام بين الأمم والشعوب والديانات المختلفة فى نفس الوقت الذى تذبح فيه إحدى الديانات الكبرى بيد اتباع دين آخر ، فى ظل صمت شامل مريب من الجميع ، بما يوحى بالتأييد لاستمرار هذه المأساة حتى غايتها .

وإذا سارت الأمور على هذا النحـــو ، فلا معنى لشعار تعايش الأديان ، ولا جدوى من المناداة بإرساء مبادىء السلام بين الشعوب والأمم ما لم يحترم دين كل أمة من قبل الأمم والشعوب الأخرى .

السيد الرئيس ـ الأخوة الأعضاء :

إننا ننتظر من هذا اللقاء خيراً كثيراً لصالح تعايش الأديان المختلفة ، وإحياء القيم الدينية والأخلاقية فى مواجهة طوفان المادة والانحلال الأخلاق والفكرى الذى تعانيه البشرية الآن .

أتمنى لكم كل التوفيق فى خدمة البشرية جمعاء .

والسلام عليكم من أمة الإسلام والسلام .

« كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر »

فى حفل افتتاح الدورة الثالثة والعشرين لتدريب الأئمة والوعاظ

« بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله
السادة السفراء ، الإخوة العلماء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرحب بقدوم الإخوة والأبناء من العلماء للتدريب بهذه الدورة ، والأمل أن تتحقق لكم الاستزادة من العلم والمعرفة فى علوم الدعوة الإسلامية ، وأن تكونوا مع محاضريكم تتبادلون الآراء العلمية والفقهية ، وعليكم أن تعلموا أن مبدأ دعاة الإسلام هو قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ سورة فصلت

وهذه هى خطة الأزهر دائما أن يلتزم العلماء آداب الدعوة الإسلامية ﴿ **وقولوا للناس حسناً** ﴾ كما يجب على العلماء أن تتسع صدورهم لمواجهة أية شبهات تقال عن الإسلام ، وأن يردوا عليها علمياً ، لأهمية العلم ودوره ، ومن ثم كان طلب العلم فى الإسلام من مهام المسلم يشير إلى هذا أن أول ما تنزَّل من القرآن : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ . سورة العلق

بدأت فى ١٩٩٣/١١/١ وتنتهى فى ١٩٩٤/١/٣١

يشترك فى هذه الدورة من أفريقيا : غينيا كوناكرى ، غينيا بيساو ، وتشاد

ومن آسيا : باكستان ـ الهند ـ أوزبكستان

ومن اوربا : بريطانيا ـ والبانيا ـ تتارستان ويبلغ عدد المشاركين أربعين إماما وواعظاً .

وعليكم أيها العلماء أن تنظموا وقتكم ؛ ليكون أكثره لتلقى العلم وتدارسه فى المحاضرات وفى الندوات والمكتبات ، وأن تتناقشوا فى كل ما تقرأون، وتسمعون مع أساتذتكم .

فإن هذا هو المكان الذى تصلون به ومنه إلى كل ما هو جديد ومفيد فى الإسلام والدعوة إليه .

وعليكم الاستزادة بعلوم اللغة العربية ؛ لتكونوا مستعدين للتعرف والوقوف على أحكام الإسلام وعلوم المسلمين من نصوص القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ، وآمل أن تجدوا هنا فى الأزهر أنه لا عصبية ولا تعصب إلا للإسلام ، وأننا هنا فى الأزهر لانتعصب لمذهب ضد آخر ، وأن وطننا جميعا هو سائر بلاد المسلمين ؛ لذا يجب أن نعمل للإسلام وندعو له بعيداً عن العصبية والتعصب ، وعلينا أن نعايش الناس جميعا ونتعايش معهم فى سلام لأن من مبادىء الإسلام .. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الحجرات)فالعلاقات الإنسانيةً هى الاولى للتعامل مع كافة الناس ، ولنتعلم كيف نتحدث وكيف نتحاور .. وأوصيكم أن تكونوا مقبلين على كل ما يقدم إليكم من علم ومعرفة ؛ حتى تعودوا لأوطانكم بالجديد المفيد الذى تقدمونه لمواطنيكم ، نفع الله بكم .

ولتعلموا أن الأزهر حين قام ويقوم بهذه الدورات التدريبية إنما يبتغى أن تتقارب آراء العلماء ولتنشروها دون تجاوز بين المسلمين فى كافة البلاد ؛ سعيا إلى وحدة الصف وإستقامة الناس على طريق الله المستقيم ، ذلك أن قبلتنا واحدة ويجمعنا دين واحد وكتابنا واحد هو القرآن، وأخوتنا فى الله وفى الإسلام فى مقرره وواجبه ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .. ﴾ (الحجرات ١٠)
أدعو الله لكم بالسداد والتوفيق وأن تطيب لكم الإقامة فى مصر والأزهر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

فتوى

فى حكم تحويل مقبرة قديمة إلى حديقة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعد

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من رئيس مجلس إدارة شركة الصالحية العقارية بالكويت ونصه ما يلى :

طلب فتوى بخصوص تحويل مقبرة قديمة إلى حديقة :

أرجو من فضيلتكم توضيح الحكم الشرعى فى تحويل مقبرة قديمة توقف الدفن بها حسب علمنا من سنة ١٩٥٧م إلى حديقة ؛ علما بأن عملية التحويل لن تتعرض لنبش القبور الموجودة بها ، ولكن ستتم بردم المقبرة بطبقة من الأتربة ، فوق القبور والزراعة عليها ، وأن هذه المقبرة فى وسط مدينة تجارية فى قلب مدينة الكويت تعرف بمنطقة الصالحية ، وبجوارها مجمع تجارى ضخم ، والمنطقة مزدحمة بالسيارات حتى إن الداخل إليها لا يجد مكانا لسيارته ولا يستطيع الوقوف فيها ، وتحويل هذه المقبرة إلى حديقة سيوسع على أهل المنطقة ، وذلك بشق الطريق وسط هذه الحديقة وبإيجاد أماكن للداخل والخارج فيها مع العلم بأن لجنة الإفتاء بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، أصدرت الفتوى رقم ٨٥/٦ بتاريخ ١٤ صفر ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٥/١٠/٢٨ بجواز شق طريق مجاور للمجمع فى المقبرة لمرور آليات الإطفاء فقط .

نرجو تفضلكم بإفادتنا بالحكم الشرعى فى ذلك وجزاكم الله خير الجزاء .

غازى فهد النفيمى
رئيس مجلس الإدارة
العضو المنتدب

والجواب

إن مقتضى نصوص الفقه الإسلامى المستفادة مما أثر عن رسول الله ﷺ أن المقبرة إذا خصصت لدفن موتى المسلمين صارت وقفا على ما خصصت له ؛ سواء كانت مملوكة لفرد أو أفراد أو للدولة متى صرح بالدفن فيها،وتم فعلا،صارت وقفا وإرصادا على دفن موتى المسلمين . ويلزم تأبيدها على الحال التى رصدت عليها[1] .

وإن الجبانة المندثرة إذا بطل الدفن فيها بالاستغناء عنها بأرض أخرى أو بأى سبب آخر ، وكان لايزال بها عظام بقيت على ماهى عليه استمرارا للمنفعة التى من أجلها وقفت ، إذ لايجوز نبشها شرعا فى هذه الحال لما فى نبشها من إهانة موتى المسلمين ، وهذا حرام لما روى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : (كسر عظم الميت ككسره حيا)[2] ..

وإن اندثرت ولم يبق بها أثر للموتى ، ولا شىء من العظام فالتصرف فى تلك الحال من حق ولى أمر المسلمين[3]سواء كانت أرض المقبرة موقوفة أو مرصودة لهذا الغرض ، وعندئذ فلولى أمر المسلمين الترخيص بالانتفاع بها لغرض مما يخدم المصالح العامة للمسلمين ، مالم يؤد هذا إلى نبش القبور التى لم يقع بها البلى .

وإذا كان ذلك :

فإنه عن مقبرة الصالحية بالكويت ـ المسئول عنها ، والمتوقف فيها الدفن من عام ١٩٥٧م ، والمراد تحويلها الى حديقة يشق بها الطرق وإيجاد مداخل ومخارج منها وإليها ، وأنه لن يجرى نبش مابها من قبور ولكن سيتم وضع ردم بطبقة من الأتربة فوق القبور ماتزال موجودة والزراعة عليها :

فإن جمهور العلماء على أن الميت إذا بلى وصار ترابا جاز نبش قبره ودفن غيره فيه ، أما اذا بقى شىء من عظامه غير عجب الذنب فلا يجوز نبشه ولا الدفن فيه لحرمة الموتى .

وقد ورد فى الفتاوى التتارخانية : أن الميت إذا صار ترابا فى القبر يكره دفن غيره فى قبره،لأن الحرمة باقية .

وقد تعقبه العلامة الحنفى ابن عابدين : بأن فى ذلك مشقة عظيمة ؛ فالأولى إناطة الجواز بالبلى ، إذ لايمكن أن يعد لكل ميت قبر لايدفن فيه غيره ، وإن صار الأول ترابا ؛ ولأن المنع من الحفر إلى أن لا يبقى عظمٌ أمرٌ عسر جدا فى الأعم الأغلب .

وقد اختلف الفقهاء فى جواز الحرث والزراعة والبناء على أرض المقبرة المندثرة فأجازه الحنفية كما جاء فى حاشية العلامة ابن عابدين وتبيين الحقائق للزيلعى شرح كنز الدقائق أنه :

ولو بلى الميت وصار ترابا جاز دفن غيره فى قبره وزرعه والبناء عليه ، ومثله فى شرح مراقى الفلاح على نور الإيضاح فى الفقه الحنفى مع حاشية الطحاوى ، وهذا يجرى على قول الإمام محمد ابن الحسن فى المسجد إذا تخرب واستغنى الناس

(١) الفتاوى الاسلامية جـ ٧ ص ٢٤٢٥

(٢) رواه أبوداود وابن ماجه ، التاج الجامع للاصول جـ ١ ص ٤١٠ من باب الجنائز .

(٣) الفتاوى الاسلاميـــة جـ٧ ص٢٤٢٢ ، ٢٤٢٣ ، ٢٤٣١ .

عن الصلاة فيه جاز التصرف فيه ، وقد صحح جماعة من المتأخرين هذا ومشى عليه الخصاف فى كتابه فى أحكام الأوقاف فى مسألة المسجد الذى تخرب .

كما أجاز هذا فقهاء المذهب الحنبلى ، ونص المالكية على المنع .

لما كان ذلك :

كان الأخذ بما قال فقهاء المذهب الحنفى ـ على هذا الوجه ـ وفقهاء الحنابلة هو الأولى لما فيه من رعاية للمصلحة العامة ، وباعتبار أن هذه الأرض قد عادت باندراسها أو اندثارها إلى ولاية ولى الأمر فى الدولة ، وأن بقاءها بالوضع والمكان الموصوف فى السؤال ، فيه تضييق على الناس وتعريض لصحتهم للأخطار مما يجعلها عرضة وموضعا للمهملات،أو تصير وكرا للأشرار ، ولا شك أن الوقاية خير من العلاج .

وإذا كان المعروض ليس النبش وإنما الطمر والردم بطبقات من التراب وزرعها بالأشجار كان هذا المقترح فى نطاق الجائز والمباح[1] .

وذلك بمراعاة ألا يترتب على شق الطرق داخل المقبرة كسر عظام ـ ان وجدت ـ وعندئذ ـ إذا وجدت . تجمع وتدفن فى مكان آمن بعيد عن الوطء بالأقدام أو بالسيارات،وشأن هذه الواقعة يجرى تخريجا على مسألة المسجد إذا تخرب واعترض طريق المسلمين فإنه تجوز إزالته .

والله سبحانه وتعالى أعلم

شيخ الأزهر الشريف
(جاد الحق على جاد الحق)

---

(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار جـ ١ ص ١٩٩ وكشاف القنـــاع جـ ٢ ص ١٤٤ وغيرهما مما أشير إليه فى سطور هذه الفتوى من مراجع .

مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١)
كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٥٢)
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟
مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣)

جاء فى الآية السابقة : «والله شديد العقاب» وهنا بيان لنوع من عقابه الشديد ، والخطاب فى «ولو ترى» إما لرسول الله ﷺ وإما لكل من تتأتى منه الرؤية ، ويشمل الآدميين والجن ، و«إذ» ظرف زمان ، أى لو ترى وقت وفاة هؤلاء و«لو» الامتناعية تجعل المضارع ماضياً ، كما أن «إن» الشرطية تجعل الماضى مضارعاً ، تقول : إن جاءك فأكرمه ـ فهو ـ مع كون الفعل ماضياً ـ لم يجىء ، وجواب الشرط محذوف ، والتقدير لو رأيت ما يعذب به الكفار حال موتهم لرأيت شيئاً عظيماً لا يحيط به الوصف ، وحذف الجواب فى مثل هذا التعبير أبلغ من ذكره .

وقرئت الآية تتوفى بتاءين ، ويتوفى بياء تحتية وتاء فوقية . والملائكة فاعل على أى من الوجهين . والتأنيث ليس حتمياً لأن الملائكة ليس مؤنثاً حقيقياً وإنما هى جمع تكثير لملك أو ملاك . ثم هنا فاصل بين الفعل وفاعله .

وقيل بل الفاعل ضمير أى يتوفى الله ، فعلى هذا تكون الملائكة مبتدأ ، ويضربون خبر عنه أما على كون الملائكة فاعلا ، فالجملة حال .

وضرب الوجوه والأدبار قد يعنى الجسد كله مقدمه ومؤخره ، وذلك يؤدى معنى التصميم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ ، ونحو ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ ، ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ ـ فكلها تعنى جميع الأوقات ، وقال مجاهد : إن الأدبار تعنى الاستاه ، فهم على هذا يضربون على وجوههم وأستاههم ، لأن الضرب على هذين المحلين أخزى وأشد نكالا ، قال ولكن الله كريم يكنى ، أى لا يصرح بلفظ الأستاه .

قال الإمام الزمخشرى : وبلغنى عن أهل الصين أن عقوبة الزانى عندهم أن يُصبر ثم يعطى رجل قوى البأس شيئاً كهيئة الطبق ، فيضربه على دبره ... الخ ، أو الوجوه والأدبار ما أقبل من الشخص وما أدبر .

﴿ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ إما معطوف على يضربون ، على تقدير قول ، أى الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم ـ على سبيل السخرية والتقريع : ذوقوا عذاب الحريق . أو الجملة بمعنى ويقال لهم ذوقوا . والقاتل هم الملائكة وزبانية العذاب .

ويمكن أن تكون جملة «يضربون» حالا ، أى يتوفاهم الملائكة ضاربين وجوههم وأدبارهم ، فتكون جملة وذوقوا حالا أيضا معطوفة على الحال التى قبلها ، أى يضربونهم قائلين لهم ذلك ، فجملة وذوقوا مقول لقول محذوف .

﴿**وعذاب الحريق**﴾ **تعنى مقدمة** عذاب النار ، أو ذوقوا عقاب الاخرة . **فهى إيذان لهم به** .

والاية نزلت فى قتلى بدر من المشركين ، ويحتمل التعبير أن الملائكة قالوا لهم ذلك حين عاينوا الموت وسقطوا صرعى على أرض المعركة ، وعذاب الملائكة وتقريعهم وهم بين يدى المسلمين وأمام أنصارهم المشركين ـ لا يشعر به أحد منهم ، والكافر نفسه لا يشعر بهذا إلا بعد مفارقة روحه جسده

وقيل فى هذا أيضا : إن المسلمين كانوا يضربون وجوههم أحياء والملائكة تضرب أقفاءهم وأدبارهم ، ولا نركن لهذا وقد ذكرنا من قبل ترجيح القول بأن الملائكة لم تحارب يوم بدر ولم تقتل أحداً ، وكان وجودهم تثبيتاً للمؤمن !

وأقرب من هذا وأسلس أن يكون عذاب الحريق يعنى عذاب النار يوم القيامة .

وروى الحسن عن ابن جرير أن رجلا قال لرسول الله ـ ﷺ ـ : إنى رأيت بظهر أبى جهل مثل الشراك ، فقال عليه الصلاة والسلام : ذلك

ضرب الملائكة . ولم يمل لهذا الشيخ رشيد رضا ، وقال : إن الحسن البصرى رحمه الله ــ عند المحدثين كالريح ، لا يقبض منها على شيء[1] .

قال الشيخ الآلوسى : التعبير بذوقوا للتهكم ، لأن الذوق يكون فى المطعومات المستلذة غالباً ، وذكر نكتة أخرى ، هى أن الذوق قليل من كثير ومقدمة لما يأتى بعده ، فهو إشعار بعذاب أشد . ولا ينافى هذا أن الذوق يطلق مجازاً على كل ما يحسه الشخص ، ومن هذا قول الله تعالى :

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ ، أى يحسوه ، وقوله سبحانه : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ ومثل هذا فى القرآن .

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ .

ذلك إشارة للمذكور من الضرب والعذاب ، وهو مبتدأ خبره ما بعده ، والباء للسببية ، أى هذا العذاب بسبب ما قدمتم من سيىء الأعمال وأسند العمل للأيدى توسعاً لأن أكثر الأعمال تكون بها ، ولهم أعمال ظالمة كثيرة من أقوال اللسان والسعى بالاقدام ، وسوء التفكير والتدبير ، وكلها مدرجة فى هذا ، أى هذا العذاب بسبب ما قدمتم فأنتم جناته ، وليس فيه شيء من الظلم أو العقوبة لغير سبب يستحقها .

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ .

بفتح الهمزة فى أن وهو معطوف على ما ، أى بسبب ما قدمت أيديكم وبسبب أن الله ليس بظلام ... فمن الإنصاف والعدل أن يعاقب المسيء « وألا يتساوى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه مع من آمن وصدق وعمل الأعمال الحسنة »

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة الزمر

وأيضاً لا يعاقب الله سبحانه على الذنب الصغير عقوبته على الكفر وحرب الإسلام فعدله ــ سبحانه ــ يأبى كل ذلك ، فكل مذنب يتلقى عذاباً بقدر ما ارتكب .

وكلمة ظلام إما صيغة مبالغة ، أى ليس بذى ظلم شديد ، ولكن النفى يتوجه إلى كل شيء من الظلم ولو كان قليلا ، والمعنى : ليس بذى ظلم شديد حتى يذيقكم كل هذا العذاب الشاق الأليم من غير أن تكونوا قد ارتكبتم ما يوجبه .

وقد تكون « ظلام » مجرد صفة للنسبة إلى الظلم ، كما يقال نجار وحداد . فالمعنى إذن أنه ليس بذى ظلم لعباده .

وقيل « ظلام » للتكثير لكثرة العصاة الذين يقع عليهم العذاب . وأياً ما كان التقدير فالمعنى الواضح من التعبير : أن الملائكة إذ تعذب هؤلاء

---

(١) حاش لله . ليس هذا حكم علماء رجال الحديث الشريف فى الحسن البصرى ، فهذه ترجمته وحكم العلماء فيه .

الحسن بن أبى الحسن البصرى ، كَنْيَةَ أبيه أبو الحسن ، واسمه يسار ، وَأُمُّهُ : خَيْرَة مولاة أم سلمة زوج رسول الله ﷺ وقد ، أرضعته .

والحسن أحد أئمة الهدى والسنة ، كان ــ رحمه الله ــ عالماً جامعاً رفيعاً ثقة مأمونا عابداً ناسكاً فقيهاً فاضلا كثير العلم . ذاك حكم علماء الرجال فيه إذ جمعوا له تلك الصفات العشر فأخذوا عنه الأحاديث الصحيحة الثابتة فوقفوا منه على علم لا على ريح ــ رحمه الله .

كان ــ رحمه الله ــ وسيماً فصيحاً جميلا عاصر حكم الحجاج الثقفى المعروف ، فقال ــ ليونس بن عبيد : كل شيء سمعتنى أقول [فيه] : قال رسول الله ﷺ فهو عن (على بن أبى طالب) غير أنى فى زمان لا أستطيع أن أذكر [فيه] عليا ــ يريد زمان هذا الثقفى .

قال على بن المدينى : مرسلات الحسن البصرى التى رواها عنه الثقات صحاح ما أقل ما يسقط منها ، وقال أبو زرعة : كل شيء قال الحسن : (قال رسول الله ــ ﷺ ــ) وجد له أصلا ثابتاً مَلِيًّا خلا أربعة أحاديث : أهـ .

توفى الحسن ــ رحمه الله ــ سنة عشر ومائة . وهو رأس الطبقة الثالثة من المحدثين . انظر تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣ ــ وتقريب التهذيب ١/١٦٥ ، وخلاصة تهذيب الكمال وهوامشها ص ٦٦

القوم توبخهم وتعلنهم بان الله ــ سبحانه ــ ذو عدل وإنصاف

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ .
آل عمران/ ١١

في هذه الآية وأمثالها تشجيع للمسلمين وتسلية ، فالأمم التي كانت من قبلهم كذبت رسلها وكفرت بآيات الله ، وكانت عاقبتهم أن أنزل الله عليهم عذابه ونصر المؤمنين . وربما كان فرعون وآله من أعتى وأشهر الأمم التي كذبت الأنبياء ، وقد كان من حوله هامان وقارون وملأ من قومه أخذهم الغرور ، حتى قال فرعون : ﴿ **يأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري** ﴾ ، ولم يكن الذين من قبلهم قليلي الغرور ، فقد قال قوم عاد : « من أشد منا قوة » . وهكذا كان شأن الأنبياء قبل محمد ﷺ مع قومهم ، واذن فليشتد المسلمون ولا ينل منهم عدوان قومهم وقوتهم .

والدأب ماثبت عليه الإنسان وثابر عليه ، وكان دأب هؤلاء الأمم من الفراعنة والذين من قبلهم أنهم كانوا يكفرون برسالات الأنبياء الذين أرسلوا إليهم فأخذهم الله بذنوبهم ــ قال تعالى ــ

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (العنكبوت)

فالله لا يظلم افرادا ولا أمما ولكن هم بعصيانهم يظلمون أنفسهم ، وقد نصر سبحانه المسلمين يوم بدر برغم ما كان بينهم وبين أعدائهم المشركين من تفاوت في العدة والعدد وذلك مقتضى سنته سبحانه . ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ــ قوي لا يغلبه غالب ، وإذا أراد عقاب شخص أو قوم فليس ثمت من يدفع عقابه عنهم .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

« ذلك » إشارة لما حل بهؤلاء المشركين من المهانة والعذاب والخزي ، أنه بسبب سنته الجارية العادلة أنه لا يغير الحال التي عليها أي قوم ، ولا يسلبهم النعمة التي يتمتعون بها ، حتى يغيروا هم سيرتهم والأحوال التي كانوا عليها .

وقد نلاحظ أن القرشيين وآل فرعون لم يكونوا قبل مجيء الرسل إليهم على حالة مرضية مقبولة عند الله ولا عند العقل فهم جميعاً كانوا مشركين . ولكن التغيير كما يكون من حالة حسنة إلى حالة سيئة يكون أيضا من سيئة إلى أسوأ منها ، وهؤلاء كانوا قبل مجيء الرسل إليهم غافلين ، وكانوا مع ماهم عليه من الكفر وعبادة الوثنية ، غير منغمسين فيما انغمسوا فيه بعد مجيء الرسل من الظلم ومعارضة الحق ، وما كان الله ليعذبهم دون أن يبعث إليهم رسولا ، فلما جاء الرسول فرعون أنكره واشتط في تعذيب بني اسرائيل .

ولما جاء رسول الله محمد ــ ﷺ ــ قريشاً عذبوا المسلمين الضعفاء ، وقاطعوا بني هاشم وتحولت مجالسهم ومنتدياتهم إلى مجالس سباب وشتائم ، وبذا ضم أولئك وهؤلاء إلى سيئاتهم الأولى بسيئات أكثر وأكبر ، ثم هم جاءهم الحق فعموا عنه وحاربوه وكل ذلك تغيير لما كانوا عليه .

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ــ يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون ، فعقابه لهم ليس عملا عشوائياً حتى يعتبروه ظلما . فهو سبحانه قد أحاط بكل ما هم عليه فعاقبهم به .

وقرئت الآية أيضاً بكسره الهمزة في إنّ ، فالجملة إذن مستأنفة ، مقررة لمضمون الجملة قبلها ، وليست منقطعة عما سبق .

المؤمن والنخلة

للأستاذ / أحـمد محمود أبو زيـد

يعد ضرب المثل وسيلة من الوسائل الهامة التى تقرب الفهم إلى الإنسان وتساعده فى إدراك الأشياء غير المحسوسة ، وقد ساق الحق ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الوسيلة فى كتابه الكريم فى أكثر من موضع فقال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ابراهيم

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ الكهف/ ٤٥ .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ إبراهيم/ ١٨ .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الجمعة/ ٥

وسلك رسول الله ـ ﷺ ـ هذا المسلك من ضرب المثل فى أحاديث نبوية شريفة ، فعن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، متفق عليه .

وعنه أيضاً أن النبى ـ ﷺ ـ قال :

« مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها

وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً » رواه البخارى .

ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة حديث شبه فيه النبى ـ ﷺ ـ المؤمن بالنخلة ، هذه الشجرة التى نعرفها جميعاً . فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كنا مع النبى ـ ﷺ ـ فقال : إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، وهى كالمؤمن فأخبرونى ماهى ؟ يقول راوى الحديث : فوقع الناس فى شجر البوادى ، وكنت صبياً فوقع فى نفسى أنها النخلة ولكنى هبت رسول الله ـ ﷺ ـ أن أقولها وأنا صغير القوم . فقال النبى ـ ﷺ ـ ... إنها النخلة . متفق عليه .

فما أجمل هذا التشبيه النبوى الشريف ، وما أصدقه ، فالنخلة تجسدت فيها كل صفات المؤمن المعنوية والحسية .

فهى .. أوّلًا : مستقيمة ليس فيها اعوجاج ، وتعتبر الاستقامة ألصق شيء بالمؤمن وهو على صراط فى عقيدته يؤمن بالله وحده ، مستقيم فى سلوكه على منهج الله المتمثل فى قرآنه وسنة نبيه ؛ مستقيم فى تفكيره ، وفى أقواله وأفعاله ومعتقداته ، أمامه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ الأنعام/ ١٥٣ .

وقوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الأحقاف/١٣ .

● والنخلة أصلها ثابت فى الأرض وفرعها باسق فى السماء ، كذلك المؤمن راسخ العقيدة على الإيمان بالله وتوحيده ، يتلقى مايخص حياته من السماء ، فلا هو يمينى ولا يسارى ، ولا تقدمى ، ولا رجعى ولا رأسمالى ، ولا شيوعى لكنه ربانى الاتجاه يأخذ كتاب الله دستوراً وشريعته منهاجاً لحياته بكل جوانبها من اجتماع واقتصاد وسياسة وقانون وتعليم وإعلام .

● والنخلة قوية برغم طولها وارتفاعها فى السماء لا تؤثر فيها الرياح والأعاصير ، كذلك المؤمن لا تؤثر فيه البلايا والمصائب ونوائب الدهر ؛ لأن الدنيا فى نظره صغيرة ، ولا شىء فيها يستحق أن يجزع له المؤمن فإنه يعى قول النبى ـ ﷺ ـ لابن عمر « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » رواه البخارى كما يعى قول ابن عمر : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » .

فالمؤمن يصبر على ما يصيبه فى هذه الدنيا ويعوّد نفسه على الصبر لأنه يعلم أن أمره كله فيها خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له .

● والنخلة يختلف ظاهرها عن باطنها ، فظاهرها ذو عقود وقشور وباطنها أبيض اللون طيب الطعم ، كذلك المؤمن لا يُقَيَّمُ بمظهره فقد يكون مظهره غير حسن لضيق ذات يده ، ولكن قلبه

أبيض نظيف مملوء بالإيمان بالله وخشيته ، مشغول بالقرآن وحب الناس ، خال من الحقد والغل والحسد وسوء الأخلاق . والحق ــ سبحانه ــ لا ينظر إلى صور عباده ، ولكن ينظر إلى قلوبهم فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال :

« إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » رواه مسلم .

● كما أن كل ما فى النخلة نافع مفيد فثمارها تؤكل ؛ وهى من أطيب الثمار ، وجذعها يستخدم فى التعريش ، وسعفها يستخدم فى صنع الأقفاص ، وخوصها يستخدم فى صنع الأوانى ، وليفها يستخدم فى صنع الحبال ، فللناس ــ فيها ــ منافع عديدة .

كذلك المؤمن خير كله ، عقله فى الحق ، ولسانه فى الصدق لا يعرف كذباً ولا غيبةً ولا نميمةً ولا همزاً ولا لمزاً ولا سباً ولا شتماً ، مسالم للناس ، فيده لا تعرف البطش ولا السرقة ولا الإيذاء ؛ بل تعمل وتعاون وتساعد على الخير ، بصره لا يمتد إلى الحرام ، سَمْعُهُ مصون عن التجسس وتتبع العورات ، فالمؤمن خيره مأمول وشره مأمون .

● وثمار النخلة موجود طوال العام لا ينقطع من الأسواق فنحن نأكله طازجاً ورطباً ويابسا وتمراً ، كذلك المؤمن كثير النفع والخير لمن حوله من الناس خيره لا ينقطع فهو دائم متدفق .

● والنخلة من رماها بالحجر رمته بالثمر ، كذلك المؤمن لا يقابل السيئة بالسيئة ، ولكن يقابلها دائماً بالحسنة ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت/٣٤

وقد كان النبى ــ ﷺ ــ قدوة فى ذلك للمؤمنين فقد كان يعطى من حَرَمَه ، ويصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ، يقابل جهله بالحلم والتسامح والعفو .

● والنخلة يدوم ورقها ولباسها طوال العامّ وكذلك المؤمن لا ينزع عن نفسه لباس التقوى والحياء والخشية لله طوال حياته حتى يلقى الله . والنخلة تتميز بخفة الظل فلا تؤذى ما يجاورها من الزروع والثمار كذلك المؤمن خفيف الروح يعرف حق جاره عليه ويؤديه إليه غير منقوص ؛ فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » رواه البخارى ومسلم .

● والنخلة منحها الله ــ سبحانه ــ شوكاً تحمى به نفسها وكذلك المؤمن قلبه مملوء بالغيرة على الدين والعرض والشرف والمال ، لا يتهاون أمام التفريط فى إحداها بل ، يبذل قصارى جهده فى حماية دينه ونفسه وماله وعرضه ، فعن سعيد بن زيد أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد » . رواه أبو داود والنسائى والترمذى .

أولئك هم المؤمنون حقا

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ
إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣)
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾
سورة الأنفال

تلك هى مواصفاتهم فى كتاب الله ، لاريب أن القرآن الكريم هو منهاج التربية الإسلامية المثالية للأمة المحمدية فى شتى الأزمان فى كل مكان ؛ لأنه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو هدية الله للعالمين لأن الله أرسل به رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وقال له : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (سورة الأنبياء (١٠٧)) والإسلام وهو الدين القيم قد شرعه الله لحماية الحياة من بغى المفسدين المعتدين ومن طغيان المستبدين العابثين ، وكيد الحاقدين المجرمين ، لأنه يحمى الأمن ويصون السلام ويحقق العدل ، ويرعى الأمانة وينشر الخير ويحرم الشر والضر ، ويمقت الجفوة والقسوة ؛ لأنه يدعو إلى السماحة والقناعة ، ويأخذ العفو ويأمر بالعرف وينأى بالمسلم عن مثيرات الحقد البغيض والعداء الكريه ، ولأنه هو دين التواد والتعاطف والتراحم والتعاون ، وهو الدين الذى يريد للمؤمن أن يترفع عن الخضوع المذل للنزوات الطائشة ؛ لكيلا يضر نفسه ويضر غيره باتباع أهواء النفس الجامحة الجانحة إلى الإثم بدل أن تجنح إلى السلم الذى يرى الناس فيه سبل الخير شيطان من الجِنّة والناس بخيانة أو خذلان أو معصية .

والإسلام تقوم عقيدته كما تقوم دولته على الإيمان الحق ومصالح العمل ، فإذا أراد الله بعبده خيرا وفقه ليكون من أصحاب هذه الصفات فى هذه الآيات .

وقبل الدخول فى شرح أوصاف المؤمنين حقا ، نود أن نبين للناس أن هذه الصفات التى استحق أصحابها الوصف بالإيمان الحق والدرجات الرفيعة والمغفرة والرزق الكريم جاءت بعد ثلاثة أوامر إلهية فى قوله عز وجل ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾

الأمر الأول : (فاتقوا الله) وقد تكرر الأمر بالتقوى فى القرآن الكريم كثيراً ؛ لأن التقوى تشرح الصدر وترفع القدر وتنفع الذرية والله يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (سورة لقمان ٣٣)

والله يقول فى سورة الأحزاب :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (سورة الأحزاب

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ١٠٢)

إلى غير ذلك من الآيات التى تدعو الناس إلى أن يتقوا ربهم الذى خلقهم ورزقهم وقد بين لهم أن الله مع المتقين : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (سورة الدخان ٥١)

الأمر الثانى : (وأصلحوا ذات بينكم) : وذلك لأن الصلح خير ، وقد أعد الله للمصلحين أجراً عظيماً ومقاماً كريماً فقال :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء ١١٤) : والله يكره الذين يجمعون حطب الفتنة ليوقظوها وهى نائمة ويشعلوا لهيبها وهى راكدة !

الأمر الثالث : طاعة الله ورسوله ، وتكون بمراقبة الله سراً وعلانية ، وبطاعة الرسول وبذلك يكمل الإيمان الحق ، ولاريب أن طاعة الرسول من طاعة الله والله يقول ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (سورة النساء ٨٠) وقد علق الله تعالى هذه الأوامر الثلاثة على شرط ، وهو الإيمان فى قوله عز وجل (إن كنتم مؤمنين) : أى إن كنتم مؤمنين فاتقوا الله تعالى وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله، ولكن الله رحيم بعباده، فإذا أذنب المذنب ذنبا لايبيته ربه على يأس من مغفرته : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (سورة الأعراف

جنون التأويل

ونحن اليوم نرى شراحاً أصيبوا بجنون التأويل فراحوا يتخبطون ويخطئون ويتلمسون الهدى من الضلالات والعلم من الجهـالات ، ومنهم من أضله الله على علم فاتبع هواه بغير هدى من الله ؛ فهم يطلبون النور من الظلمات تسوقهم آمال كاذبة وأطماع طاغية زائفة ؛ فيأثمون ويضلون ويجهلون أكرم الوسائل لأعظم الغايات وهـى

إرضاء مالك الملك عالم السر والنجوى وبذلك يظهر الاعتقاد من كل زيغ وإلحاد ؛ بالخشية الخاشعة لله، رجاء رحمته ومغفرته ، والله يقول:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة الأنعام ١٥٣) وهذه هى الصفات التى جاءت لبيان « من هم المؤمنون حقاً » ليجعل منها الناس شرعة لهم ومنهاجاً فيكونوا من أصحاب هذه الصفات ونذكرها فيما يلى :

صفات المؤمنين حقاً

وهذه خمس صفات للمؤمنين حقاً وهى :

١ ــ وجل القلوب عند ذكر الله

٢ ــ وزيادة الإيمان عند تلاوة آياته

٣ ــ والتوكل على الله وحده

٤ ــ وإقامة الصلاة

٥ ــ والإنفاق من رزق الله بهذه الأوصاف كانوا أهل الإيمان الحق فاستحقوا من الله عظيم الجزاء بقوله جل جلاله ﴿ **لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ، ورزق كريم**﴾ :

وقد جاءت هذه « المواصفات » للمؤمنين فى سورة الأنفال كما قلنا مسبوقة بأن المؤمنين من شأنهم : تقوى الله وإصلاح ذات البين وإطاعة الله ورسوله . جاءت موضحة ومبينة للناس سلوك المؤمنين حقاً :

الصفة الأولى : تدل على أخص صفات المؤمنين وهى أنهم عند ذكر الله يخافون ربهم وهم فى وجل وخوف وحياء من الله عز وجل يخافون خوف العظمة الإلهية والجلال لله وحده خوفاً لايفارق قلوبهم الممتلئة بوجل الهيبة والجلال نحو رب العزة ، خوف العبد الضعيف أمام ربه القوى ذى الجلال والإكرام ، خوف العبد الفقير أمام ربه الغنى القوى القاهر فوق عباده ، خوف المسكين الفانى أمام الله رب العالمين الباقى الذى بيده ملكوت كل شيء وله مقاليد السموات والأرض (جل جلاله) : فإذا ذكر العبد معصيته رجا ربه غافر الذنب وقابل التوب أن يعفو عن الزلات ويغفر السيئات ، وإذا تذكر الطاعة رجا ربه أن يتقبل صالح الأعمال ، فهو القريب المجيب : وهو يعيش بين الاطمئنان والوجل عند ذكر الله تعالى : الذى تطمئن به القلوب ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (سورة الرعد ٢٨) وقد جمع الله بين الوجل والاطمئنان فى قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة الزمر ٢٣) ومن هذا يتبين لنا أن وجل المؤمنين عام فى كل الأحوال ، وأن المؤمنين تطمئن قلوبهم بذكر الله اطمئنان معرفة ويقين وإيمان بالله رب العالمين وهو أثر من آثار ذكر الله دائما ليلا ونهاراً سراً وجهاراً : والمتقون يذكرون ربهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم : والتفكر فى آيات الله فى الأكوان ذكر ، والقرآن ذكر ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (سورة الحجر ٩) والذكر معناه عدم النسيان .

زيادة الإيمان

الصفة الثانية : زيادة الإيمان عند تلاوة القرآن : والإيمان الحق هو التصديق والعمل الصالح الذى يزيد بزيادة التلاوة مع التدبر ، وأما التصديق فهو اليقين الثابت الراسخ الذى لاينقص ، لأنه لو نقص لايكون تصديقا بل يكون شكا أو ظنا :

والإيمان بالله يزداد بالعمل ويقوى الأدلة ووضوح البرهان وشهادة البينات ، وذلك لأن التلاوة تخاطب العقل والروح بالمنطق والوضوح : وبذلك تكون اعمق اثراً فى القلب والعقل وكما جاء فى قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (سورة آل عمران ١٧٣) وهذا دليل آخر على زيادة الإيمان ، وكما قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (سورة الاحزاب ٢٢) ولاريب أن إهمال التلاوة أو التقصير فى العمل ، أيهما يسبب الضعف والزعزعة : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأعراف ١٤٦ ـ ١٤٧) .

وبهذه الأدلة القرآنية يتضح أن زيادة الإيمان بتلاوة القرآن زيادة حقيقية لاريب فيها وكذلك بالنظر فى آيات الله فى الأكوان ، لأنها تتلاقى مع آيات الله فى القرآن فى زيادة الإيمان .عند كل ذى عقل سليم وسلوك مستقيم واعتقاد راسخ متين ، والله يقول : ﴿ .... وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (سورة مريم ٥٨) لأن كلام الله يلين القلوب ويهز المشاعر ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ فهم يخشون ربهم ـ عز وجل ـ دائما .لأنهم موصولون بالله .

والله يقول ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (سورة الإسراء ٨٢) والذين لايستمعون إلى كتاب الله ولايتلونه حق تلاوته أقوام ظلموا أنفسهم فاتخذوا هذا القرآن مهجوراً يقول : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة الفرقان) ويقول جل جلاله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (سورة محمد ٢٤) وذلك لأن هذا القرآن لو نزل على صخور لتفتت من خشية الله : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الحشر ٢١) والله سيرحم المستمعين بخشوع وتدبر وإنصات لآيات الله البينات وهو القائل : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة الأعراف ـ ٢٠٤) وذلك لأن رحمة الله قريب من المحسنين .

الصفة الثالثة : أن يتوكل المؤمنون على الله وحده : وأن يفوضوا أمورهم كلها إليه ، فلا ملجأ من الله إلا إليه،ولا اعتماد إلا عليه ، وليس معنى التوكل أن يتواكل المرء فلا يعمل اعتماداً على أن الله هو الرزاق مبرراً بذلك تقاعسه عن طلب الرزق : وهذا خطأ كبير،لأن التوكل لايتم بغير عمل ، ولن يكون مؤمنا حقا من يخرج على سنة الله،فلا نجاح بغير جهد ، ولاحصاد بغير زرع ، وفى هذا يقول رسول الله ﷺ « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » : فلو ظلت الطيور فى أعشاشها لما جاءها قوتها عندها ولابد من العمل

أولا ويكون معه التوكل ، والتوكل على الله أعلى مقامات التوحيد ، وهو من أعظم القربات عند الله ، ويقول عمر-رضى الله عنه- لايقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لاتمطر ذهباً ولا فضة ، والعمل يكون مع تفويض الأمور كلها إلى الله وحده ومع اليقين التام بأن الأمر كله لله وحده (بل لله الأمر جميعا) وهذا هو التوكل بعينه ، لأنه أداء للواجب مع الأخذ بالأسباب ؛ فمن ترك العمل باسم التوكل على الله فهو جاهل بربه ، ومن يترك إعداد العدة للدفاع عن الأوطان باسم التوكل على الله قائلا لنفسه إن الله يدافع عن الذين آمنوا فهو جاهل بقول الله ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ فلولا العمل ما تحقق أمل ، ولولا العمل ما استقامت الحياة .

مر رجل برجل رآه يجمع الحطب ليبيعه وهو يتغنى ويقول :

وأكرم نفسى إننى إن أهنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقال له الرجل الذى استمع إليه : أى إكرام أنت فيه الآن ياهذا ؟ قال أكرم نفسى بعدم سؤال أمثالك !!!

وعن عبدالله بن عمر-رضى الله عنهما-قال : حفظت عن رسول الله ﷺ قوله « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة فى طعمة » (رواه أحمد والطبرانى والبيهقى)

ويقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه:إنى لأرى الرجل فيعجبنى ، فأسأل أله حرفة فإن قيل لا ، سقط من عينى ، والله يقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (سورة تبارك ١٥) : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ (سورة الأعراف ١٠)

﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ.... ﴾
(سورة لقمان ٢٠)

الصفة الرابعة : (إقامة الصلاة) : أى أداء الصلاة بأركانها وسننها مقومة الأداء سليمة الخشوع لله فى القيام والقراءة والركوع والسجود والذكر والتدبر والتوجه إلى الله بكل الجوارح ومراقبته تعالى وخشيته-سبحانه-لأن المصلى واقف بين يديه يقول لربه « إياك نعبد وإياك نستعين » وبذلك تطهر النفس من الوساوس والهواجس ، والله يقول ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (سورة طه ١٤) ويقول : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون** ﴾ (سورة العنكبوت ٤٥) ويقول رسول الله ﷺ : (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله) (رواه الطبرانى) وذلك لأن الصلاة عماد الدين والله يقول ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ (سورة البقرة ٢٣٨) .

دعوة لاصلاح النفوس

الصفة الخامسة من صفات المؤمنين هى الإنفاق فى سبيل الله لسد حاجة المحتاجين ولكفاية المعوزين وكذا لابناء السبيل ، والإنفاق يكون بأداء الزكاة المفروضة والصدقة المندوبة وفى كل أبواب الخير والزكاة حق معلوم للسائل والمحروم وفى القرآن آية جمعت بين الزكاة والصدقات ، وهى (آية البر)

التى بيّنت الذين ينفق عليهم المال على الرغم من حبه ، وهى :

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (سورة البقرة

والله يقول : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ (سورة التغابن

اغتصاب حق

إن كثيراً من الأموال المخبأة فى الخزائن فيها حق مفروض شرعاً لايملكه مدخره ؛ لانه اغتصبه من حق الفقراء والمساكين والبائسين المحتاجين ومثل هذا لم يوق شح نفسه ولم يكن من المفلحين ، بل كان من الأشحاء المقترين الذين سيطرت عليهم أنانيتهم وغلبت عليهم شقوتهم وغلت أيديهم بالأثرة الكريهة ، فلم يكن أحدهم براً تقياً ولا معطاء سخيا :

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾

(سورة الإسراء ١٠٠) وهذا الشح من الأعمال الخسيسة والصفات الخبيثة وكان ينبغى ألا يوصف بها مؤمن أبى قوى لأن الله يقول :

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (سورة محمد ٣٨) :

فانظر كيف يكون البخل وبالا على صاحبه ، لأنه يهبط بكرامته ويودى بمكانته ، وفى الحديث : (السخى قريب من الله ، قريب من الناس قريب من الجنة ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ،بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار ، ولجاهل سخى أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل) (رواه الترمذى) ذلك لأنه ليس على ظهر هذه الأرض نظام يستغنى فيه الناس عن التعاون والمواساة والبر والإحسان ليعطف القوى على الضعيف والغنى على الفقير والسليم على المريض والكبير على الصغير والله يقول :

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (سورة الإسراء ٢٦) ودعوة القران إلى الإنفاق مستفيضة ومتكررة لأهميتها لأن قضية الإيمان ترتبط بإدخال السرور على البائسين ، فذلك من حق الإنسان على الإنسان ، ومن حق الله على المسلم . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

(سورة النحل ٩٠)

أهداف عليا

إن للإسلام أهدافاً عليا منها تنشئة النفوس على حب الخير للغير بالدعوة إلى الجود والإنفاق والكرم والسخاء ، والله يقول :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...﴾ (سورة المائدة ٢)

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول

الله : أى الصدقة أعظم أجرا ؟ قال : « أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولاتمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا » (رواه البخارى) : والله يدعو عباده للإنفاق فيقول : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة الحديد

وقد سأل الرسول ﷺ أصحابه سؤالا فقال : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يارسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه . قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر » (رواه البخارى) .

والله يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة الحديد ١٨) وحسب المنفقين فى سبيل الله أن الله يقول : مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ سورة البقرة ٢٦٢) والله يقول فى الذين يفعلون الخير بالإحسان إلى الناس سراً وعلانية ابتغاء مرضاة الله :

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ (سورة البقرة ٢٧٤) .

والله يأمر بالإنفاق قبل فوات الأوان فيقول : ﴿ قُلْ لِعبادى الذينَ آمنوا يُقيموا الصلاةَ ويُنفقوا مما رزقناهُمْ سِراً وعَلانيةً من قَبل أَن يأْتى يَوْمٌ لابيعٌ فيه ولاخِلال ﴾ (سورة ابراهيم ٣١) ومما هو معروف : أن المال لاتنقصه الصدقة بل تنمية وتزيده .

الجزاء الكبير المعد لأصحاب هذه الصفات

لقد اختص الله أصحاب هذه الصفات بوصف جليل وهو الإيمان الحق ، ثم بين جزاءهم عنده بسبب إخلاصهم لدينهم القيم فقال : ﴿ لَهُمْ درجاتٌ عِندَ ربِّهم ، ومغفرةٌ ورزقٌ كريم ﴾ وهذه الدرجات العلا علمها عند الله ، وأما المغفرة فهى العفو عن السيئات ﴿ إنَّ الحسنَاتِ يُذْهِبْنَ السيِّئاتِ ﴾ والرزق الكريم هو الرزق الحلال الطيب ، وهو منة إلهية ومنحة ربانية لايعرف مداها إلا الله الرزاق العليم الذى يقول ﴿ ومَن يتقِ الله يجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ويَرْزقهُ منْ حَيْثُ لايَحتسِبُ ﴾ (سورة الطلاق ٣) ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ (سورة الطلاق ٤)

هذه هى صفات المؤمنين بنص القرآن الكريم وذلك هو جزاؤهم العظيم عندربهم الذى لايضيع أجر المحسنين : فهـل يتخـذ المتشددون أو المستهترون من هذه الصفات شرعة لهم ومناجاً وسلوكاً وأخلاقاً ؟ لكى يسلكوا سبيل المؤمنين حقا ويستحقوا جزاء المخلصين لله رب العالمين ؟ ! إنه ليس بعد كتاب الله كتاب ، وليس بعد رسول الله رسول ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

وللمتقين علامات تميزهم

يقول الله تعالى فى وصفهم فى سورة البقرة : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لارَيْبَ فِيهِ هُدىً للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويُقيمونَ الصَّلاةَ ومما رزقناهم ينفقون . والَّذِينَ يُؤمنون بما أُنزِل إِلَيْكَ وما أُنزل مِنْ قَبلِكَ وبالآخرةِ هُمْ يُوقنُونَ . أُولَئِكَ عَلى هُدىً مِن رَبِّهم وأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُون ﴾ (سورة البقرة ٢ ـ ٥) والمتقـون هم الذيـن سلمت نفوسهم من الذنوب والعيوب ، وقد طهرت فطرهم

التى خلقهم الله عليها بمحافظتهم عليها ولم يفعلوا ما يدنسها ويحول بينها وبين نور الحق الثابت القوى .

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ (سورة سبأ ٦) والمتقون يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة وينفقون فى سبيل الله ويؤمنون بكل ما جاء من عند الله من كتب الله ، فهم يؤمنون بما أنزل على خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله ، ويؤمنون بما أنزل على النبيين من قبله وهم يوقنون بالآخرة : ومتى تم لهم ذلك فقد اهتدوا إلى الحق وإلى صراط مستقيم والله يقول فيهم:﴿ **أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِن رَبِّهِم وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ ويقول : ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ** ﴾ و ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ وهكذا يبين لنا ربنا فى كثير من الآيات صفات المؤمنين الأبرار والمتقين الأخيار لكيلا يكون لجاهل عذر ، ولا لمعرض عن ذكر الله حجة .

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾

(سورة طه

يهدى للتى هى أقوم

هذا هو القرآن وهذا هو الكتاب العزيز ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت

هذا هو الإسلام الطاهر النظيف الذى بسط رداءه على هذه الدنيا فملأها عدلاً وأمناً وسلاماً والله يقول : ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿ • (سورة المائدة ٣) : ومن رحمة الله بعباده أن أرسل رسوله محمداً رحمة للعالمين ليتمم مكارم الأخلاق ، وليبدل الله به ظلام الحياة نوراً وقد جعل معجزته خالدة وهى القرآن الذى قاد به الخلق إلى الحق وهداهم به إلى صراط مستقيم والله يقول : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (سورة الشورى

وقد ترك فينا رسول الله ﷺ المنهاج والقدوة فالمنهاج هو القرآن، وأما القدوة فهى السنة قولاً وفعلاً .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(سورة الاحزاب ٢١)

الحلف لا يكون إلا بالله أو بصفة من صفاته

لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون

قال الله تعالى : « واحفظوا أيمانكم » المائدة (٨٩) .
وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »[١] ، روى أنه - ﷺ - قال ذلك حين سمع رجلًا يقول : « يلزمنى الطلاق إن فعلت كذا » فرُؤيت الكراهة فى وجهه وقام وهو يقول : أتلعبون بدين الله وأنا بين أظهركم ، ألا من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» .

قال تعالى : « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ »[٢] فالصدق فى القول أساس الثقة ، والثقة عليها مدار التعامل والارتباط ، وبالثقة يكون الاطمئنان والمحبة ، وبالثقة تنجز الأعمال ، وتستقيم الأحوال ، والمؤمن الحق صادق بطبعه ، صريح فى كل أمره ، لا يكذب ، ولا ينافق ، ولا يغش ، ولا يخادع يتمسك بالصدق ولو تضرر به ، ويرى العار والجبن فى أن يستعين بالكذب ولو انتفع منه ، فهو إن حدث صدق ، وإن وعد أنجز ، وإن اؤتمن وفَّى ، ويتمسك بدينه فلا يتلون ، ولا ينكر حقا لديه ، ولا يغتال مالا وصل إليه ، طاهر الذيل نقى السريرة ، يزن ما يقول ، ويقدر ما يعمل ، فهو فى غنى عن الحلف يؤكد به قوله ، وعن الأيمان المغلَّظة يصل بها لغرضه ، وعن القسم يبرر به عمله ، لا يجعل (الله) مضغة فى فمه ، ولا يحلف إلا لضرورة ولا يقسم إلا ليؤكد كلامه عند السامع ، فإن اسم الله جليلٌ عظيم ، لا يتهجم عليه المؤمن دائما ، ولا ينطق باليمين إلا نادرا ، فالله يقول : « وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ »[٣] لكن كثيرا من الناس لما زادت أطماعهم ، نقص إيمانهم وكثرت آثامهم فقلَّ الخير ، وعمّ الكذب بينهم ، فضاعت ثقتهم ببعضهم ، وضاعت الأمانة وفقدوا معنى الكلمة الواحدة ، فلجأوا للأيمان الكاذبة ، يحلفون جزافا ، وتجرأوا على أسماء الله تهاوناً ، واستخفافاً ، وكلما أوغلوا فى الكذب أكثروا من الأيمان ، بل ولم يتورعوا عن الكذب ، ففقدوا الثقة وسخط عليهم ربهم « فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر - كتاب الشهادات ٥/٢٨٧ وصحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان ٢/١٢٦٧

(٢) التوبة آية (١١٩) .

(٣) البقرة آية (٢٢٤) .

عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ »[٤] وإذا كان الله نهانا عن اسمه الكريم نجعله عرضة لأيماننا ولو حقًّا ، وإذا كان الله أوجب علينا كفارة لليمين المنعقدة إذا لم ينفذها الحالف ، فكيف يستبيح قوم الحلف بالله ، والقسم باسمه تضليلًا عمدا ، حتى رُخص اسم الله فى أفواه كثير من التجار يروّجون به سلعتهم ، وهان اسم الله عند المغتابين يدافعون به عن رغبتهم ، وضاعت هيبة الدين من القلوب فلاكت الألسن أسماء الله بكل تبجح وجرأة حتى لتكاد فى كثير من الأحيان تسمع لكل كلمة يمينا ، ولكل جملة قسما ، وصار من عادة الكثيرين تكرار الأيمان وترديدها ، ورسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « ويل للتاجر من تالله وبالله »[٥] ويقول : صلى الله عليه وسلم « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب »[٦] وقال أيضا : « من حلف على مال أمرىء مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان »[٧] ، ثم قرأ مصداقه من كتاب الله « إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »[٨]

الحلف بغير الله من الغفلة والقسوة

لقد عمَّت الغفلة وعميت قلوب من القسوة ، وما قدروا الله حق قدره فاخترعوا أيمانا كثيرةً بغير الله ، وأقساماً عديدة مبتدعة ، فحلف المسلم برأس أبيه وقبر أمه ، وحلف بشاربه وبلحيته ، وحلف بعينه ورقبته وابنه وابنته ، والحلف لا يكون إلا بالإله المعبود الذى نخشاه ، الإله الذى نخاف عدم البر باسمه ونخاف الكذب عند الحلف به ، وإن الحلف تعظيم وتقديس وإقرار بأن المحلوف به له علينا قدرة وسلطان ، وله فى صدورنا موضع التسليم والاذعان ، وذلك لا يكون إلا للواحد الأحد ،الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، فهل أدرك المسلم ذلك عند يمينه وقسمه بتربة والده وربما كان أشد الأبناء عقوقا بأبيه ، والرسول ـ ﷺ ـ يقول : « إن الله تعالى ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »[٩] وظن قوم أن الحلف بالأمانة مباح فى الديانة والحديث النبوى يقول : « من حلف بالأمانة فليس منّا »[١٠] وحلف قوم بالله كاذبين حانثين متعمدين ، فإذا اعتزموا البر فى اليمين حلفوا بالأولياء أو قبور الصالحين ، يخشون الناس أشد من خشية الله ، ويستبيحون اسم خالق الولى ويخافون من الولى ، ومن ضريح الولى وعتبة بابه وسجادته وحلقة مقصورته وبعد ذلك نضحك من الجاهليين ونقول كانوا عبدة أصنام وأوثان « سمع ابن عمر رضى الله عنه رجلًا يحلف بالكعبة فقال له : لا تحلف بغير الله فإنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « من حلف بغير الله فقد أشرك »[١٠] .

---

(٤) الزمر آية (٣٢) .

(٥) فى اتحاف السادة المتقين بشرح علوم الدين ٥/٨٤ كتاب آداب الكسب والمعاش .

(٦) سنن أبى داود كتاب البيوع والإجارات ٣/٦٣٠ باب فى كراهية اليمين فى البيع .

(٧) المعجم الكبير للطبرانى ١٧/١٠٩ .

(٨) البخارى ٣/٢٣٥ ، ٨/٣٣ ، ٦٤ ، وصحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان . ع آل عمران (٧٧) .

(٩) سنن أبى داود ٣/٥٧١ كتاب الأيمان والنذور ـ باب فى كراهية الحلف بالأمانة .

(١٠) أحمد ٢/٦٧ ، ٨٧ ، ١٢٥ ، فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر ١٠/٥١٦ ـ كتاب الأدب .

إعتدنا المبالغة فى القول حتى عددنا اليمين قولا فبالغنا فيه ، فحلف بعضنا بأنه برىء من دينه ، وأنه مسيحى أو يهودى والرسول - ﷺ - يقول «من حلف فقال إنى برىء من دين الإسلام فإن كان كاذبا فهو كما قال ، وإن كان صادقاً فلن يرجع الى الإسلام سالما»(١١) .

الطـــلاق :

والداهية العظمى فى اتجاه كثير من الناس الى الحلف بالطلاق ، وأحيانا لا يصدق الناس إلا من حلف بالطلاق ، ومن أقسم بالله شكوا فى قسمه وطلبوا منه يمينا يحرم عليه زوجه ، وقد روى عن رسولنا - ﷺ - قوله : «ما حلف بالطلاق مؤمن ، ولا استحلف به إلا منافق»(١٢) إن الطلاق شرع إذا استحكم نزاع الزوجين ، وتمكن البغض بينهما ، وتعسر إصلاحهما ، وتنافرت طباعهما ، وتباعدت نفوسهما ، وأصبح عيشهما محالا ، ووفاقهما بعيدا ، الطلاق أباحه الله لتلك الحال ومع ذلك كرهه وأبغضه «أبغض الحلال الى الله الطلاق»(١٣) ولذلك جعله على ثلاث دفع «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» لعل النفوس تصفو بعد كدر ، وتهدأ بعد غضب وجعل الهزل به جدا واقعا وأمراً نافذا ، ونهى عن الطلاق ، والحلف به ، فالزوجية أقدس رابطة وأشرف صلة عليها عماد الأمة ، بها بقاء النسل والنوع الإنسانى ، بها تتكون الأسر وتكون المصاهرة والنسب ، وقد يؤدى كثرة طلاق من لا دين لهم إلى العيش الحرام لكثرة إيمان الطلاق ، استهتارا برابطة الزواج العظيمة ، وتهاونا بواجباتها الشريفة ، كيف تطلق المرأة فى مجالس البيع والشراء ، وكيف يرضى ذو ضمير ذلك لنفسه ؟ وإذا كان الكثير يحلفون بالله ولم يستحلفوا ، ومنهم من يثور كالبركان بدون سبب ، ويهيج لأقل أمر ، فيخرج الطلاق من فمه بالستين وبالتسعين ، ثم يذهب غضبه الزائف ، وتنطفىء الثورة ، وتروح الفوْرةُ ، وتأتى الحسرة ، فيلجأ لهذا وذاك ليردَّ له يمينه ، ويطرق الأبواب ويبحث عن مخرج إن استطاع ، ويعيش مهموما ، ولو اتبعنا ديننا لحفظنا ألسنتنا ، وضبطنا قولنا ، وما حلفنا إلا اضطرارا ، فإذا اضطررنا لا نحلف إلا بالله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ولا يُحْلَف بالله إلا عند الظروف الملجئة ، أما الحلف بالطلاق فهو يمين أهل البدعة والجهل الذين يتخذون دين الله هزوا ، ويتلاعبون بالحرمات والكرامات .

الطلاق أبغض الحلال إلى الله :

إن الطلاق إنما شرع عندما تصير الحياة الزوجية جحيما لا يمكن استمراره أو لأسباب يراها الشرع ويقرها ذوو العقول الراجحة .

وفى الحديث «ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق» أبو داود .

حقا إن الطلاق مباحٌ ، ولكنه أبغض المباحات الى الله تعالى ، وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ، ومهما طلقها فقد آذاها ، ولا

(١١) سنن أبى داود ٥٧٤/٣ كتاب الإيمان والنذور باب ما جاء فى الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام .

(١٢) كشف الخفا ٥٢/٢ ، ٤١٧ .

(١٣) سنن أبى داود - كتاب الطلاق ٦٣٣/٢ باب كراهية الطلاق .

يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها ، أو بضرورة من جانبه ، ولسبب شرعى .

قال تعالى : «فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا»(١٤) أى لا تطلبوا حيلة للفراق . وقد جاء فى الأثر «تزّوجوا ولا تطلّقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش» قيل : رواه على .

وروى عن معاذ من حديث : «قال لى رسول الله – ﷺ – يا معاذ : ما خلق الله شيئا على وجه الأرض أحب إليه من العتاق ، ولا خلق الله شيئا على وجه الأرض أبغض من الطلاق»(١٥) الحديث .

المرأة لا تطلب الطـــلاق إلا لضرورة شرعية :

وإن سألت المرأة الطلاق من غير ما بأس فهى آثمة ، قال صلى الله عليه وسلم : «أيُّما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة»(١٦) وفى لفظ «فالجنة عليها حرام» من حديث ثوبان ورواه بعض أصحاب السنن .

وفى حديث أبى هريرة وعقبة بن عامر بسند ضعيف «المختلعات هنَّ المنافقات(١٧)» .

للطلاق حدود وأصول :

قال ابن عباس – رضى الله عنهما – لرجل طلق امرأته مائة تطليقة ما معناه : «منها سبع وتسعون أتخذت بها آيات الله هزوا» أخرجه مالك .

وأُخبر رسول الله – ﷺ – عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا : (فقام غضبان ثم قال : أَيُلْعَبُ بكتاب الله وأنا بيّن أظُهركم ؟ حتى قام رجل فقال : يارسول الله ، أنا أقتلُه) .

وفى الحديث (ثلاثةٌ جِدّهنّ جِدّ ، وهزلهُنَّ جِدّ : النّكاحُ والطَّلاق والرجعة) .

أبو داود والترمذى عن أبى هريرة

ولقد نهى الإسلام عن السعى فى الطلاق وتحريض الزوجة على طلبه .

وفى الحديث : (وليس منّا من خَبَّب امرأةً علىٰ زوجهـــا)(١٨) أى خَدَعَ وأفسد . أمـــا طلاقُ السنة ، فهو ما يبينه حديث ابن عمر وقصته مع زوجه .

طلاق السنة :

فعنه أنه طلق امرأته وهى حائض فسأل عمرُ عنـــه رسول الله – ﷺ – فقـــال : «مُرْه فلْيُراجعْها ، ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض فتطهر ، فإن بَدَا لَهُ أن يُطلقَها فَلْيطَلِّقْها قبلَ أن يَمَسَّها ، فتلك العِدَّةُ ، كما أمر الله عز وجل .

أخرجه الستة

وأخرج النسائى عن ابن عمر : طلاق السنة أن يطلقها طاهراً من غير جماع . وسأل رجل عمران ابن حصين : أنه طلّق امرأته ثم وقع بها ولم تُشْهِد علىٰ طلاقها ولا علىٰ رجْعتها ، فقال : طلقت لغيرِ السنة ، وراجعت لغير السنة ، أشهد علىٰ طلاقها وعلىٰ رجعتها ولا تعُد) .

أخرجه أبو داود .

---

(١٤) النساء الآية ٣٤ .

(١٥) سنن أبى داود ٦٣١/٢ كتاب الطلاق .

(١٦) سنن الدارقطنى ٣٥/٤ كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره .

(١٧) سنن أبى داود ٦٦٧/٢ كتاب الطلاق – باب فى الخلع .

(١٨) مجمع الزوائد للهيثمى : ٣٣٢/٤ كتاب النكاح – باب فيمن أفسد امرأة على زوجها .

أثر تغير قيمة النقود

للدكتور / على أحمد السالوس

المطلب السادس
رأى ابن تيمية

ونسب بعض الباحثين كذلك القول برد قيمة القرض لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ولكنا نجد شيخ الإسلام ينص على ما يتفق مع ما ذكره ابن حزم ـ آنفا ـ من الإجماع المقطوع به .

قال فى مجموع الفتاوى (٥٣٥/٢٩) :

« لا يجب فى القرض إلا رد المثل بلا زيادة » .

والدراهم لا تقصد عينها ، فإعادة المقترض نظيرها ، كما يعيد المضارب نظيرها ، وهو رأس المال . ولهذا سمى قرضاً ، ولهذا لم يستحق المقرض إلا نظير ماله ، وليس له أن يشترط الزيادة عليه فى جميع الأموال باتفاق العلماء . والمقرض يستحق مثل قرضه فى صفته .

المطلب السابع
القوانين الوضعية

القوانين الوضعية التى تأخذ بها معظم البلاد الإسلامية أباحت الربا المحرم ، ولكن حسماً للخلاف ، ودرءاً للتنازع ، نراها هنا تنص على ما يأتى :

إذا كان محل الالتزام نقودًا التزم المدين بقدر عددها المذكور فى العقد ، دون أن يكون لارتفاع قيمة هذه النقود أو لانخفاضها وقت الوفاء أى أثر [١]

نتائج الدراسة

من الدراسة السابقة يتضح ما يأتى :

أولًا : الالتزام بمنهج الإسلام فى السياسة النقدية يحد من التضخم ، ويساعد على منع الظلم الذى وقع بالناس نتيجة زيادة الأسعار زيادة فاحشة غير مقبولة . فربما استطعنا أن نقدم البديل فى مجال النقود كما استطعنا تقديمه فى مجال البنوك .

ثانياً : بينت السنة المطهرة أن الدين يؤدى بمثله لا بقيمته ، حيث يؤدى عند تعذر المثل بما يقوم مقامه ، وهو سعر الصرف يوم الأداء ، لا يوم ثبوت الدين .

كما بينت السنة المطهرة ـ أيضاً ـ أن أجر العامل مرتبط بتوفير تمام الكفاية ، ومعنى هذا أن الأجر يجب أن يتغير تبعاً لتغير قيمة (العملة) .

ويؤخذ من هذا البيان أن الدين إذا كان نقوداً

---

(١) الوسيط للسنهورى ٣٨٧/١ وانظر شرح هذه المادة من القانون المدنى وما يتصل بها .

فالعبرة بقدر عددها الثابت فى الذمة ، دون نظر إلى ارتفاع قيمة العملة أو انخفاضها ، على حين ينظر إلى هذا الارتفاع أو الانخفاض إذا كان الالتزام مرتبطاً بتوفير قدر من السلع والخدمات .

ثالثاً : النقود فى عصر التشريع كانت الدنانير الذهبية والدراهم الفضية ، ولذلك أجمع الأئمة الأعلام على ما يتفق مع بيان السنة المطهرة من أن الدين إذا كان من مثل هذه النقود فإنه يؤدى بمثله قدراً وصفة دون نظر إلى تغير القيمة .

رابعاً : اختلف الفقهاء فيما يجب أداؤه فى حالتى الكساد والانقطاع ، أما الغلاء والرخص فلا ينظر إليه ، ثم رأى أبو يوسف وجوب القيمة ــ يوم ثبوت الحق ــ لا المثل إذا كان الدين من الفلوس ، أو الدراهم التى تعد فلوساً ، أو غالبة الغش التى تأخذ حكم الفلوس .

الخاتمة

وفى ضوء ما سبق أختم هذه الدراسة بما يلى :

أولا : النقـــود مرجعهـــا إلى العـــــادة والاصطلاح ، وقد بينت هذا فى كتاب النقود واستبدال العملات (ص١٤٨ : ١٥٢) ولهذا كانت النقـود الورقيـة نقـداً قائمـاً بذاتـه ، له ما للذهب والفضة من الأحكام ، وبهذا أفتى مجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامى ، ومجمع الفقه المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامى ، وغيرهما .

وهذا يعنى أن بيان السنة المطهرة فى الدنانير والدراهم ينطبق على نقود عصرنا وكل عصر .

وخلاف أبى يوسف فى الفلوس لا يجرى على النقود الورقية ، لأنه لم يعد الفلوس نقوداً شرعية ، أو نقوداً بالخلقة : كالذهب والفضة ، فلو طبق رأيه فى الفلوس على نقود عصرنا لأصبحنا فى عصر بلا نقود .

ثانياً : النقود الورقية نقود إلزامية . ولذلك لا نشعر بمشكلة الكساد والانقطاع ، وإن كانت هذه المشكلة يمكن أن تقع فى القليل النادر ، كما حدث للمارك الألمانى بعد الحرب العالمية . وفى مثل هذه الحالة يمكن الأخذ برأى بعض الأئمة فى النظر إلى قيمة الدين .

ثالثاً : الموضوع فيه بيان السنة الشريفة ، وإجماع لم يرد من يخالفه من الصحابة أو التابعين أو الأئمة المجتهدين ، والاجتهاد يجب أن يكون فى ضوء النص والإجماع .

رابعاً : العقود المشروعة لا تشتمل على جهالة تفضى إلى الخلاف والنزاع ، ورد النقود الورقية بقيمتها تجعل المقرض لا يدرى ماذا سيأخذ ، والمقترض بماذا سيطالب ؟ ولا يدرى الاثنان المقياس الذى يلجآن إليه عند الخلاف فى القول بالزيادة أو النقصان أو الثبات ، وتحديد مقدار الزيادة أو النقصان .

ولهذا وجدنا القوانين الوضعية ، مع سوئها وإباحتها الربا المحرم ، تنص على أن القرض يرد بمثله عدداً دون نظر إلى القيمة .

خامساً : ما استقر فى الفقه الإسلامى من رد القرض بمثله لا بقيمته ، وهو ما تسير عليه القوانين الوضعية فى البلاد الإسلامية وغيرها من بلدان العالم ، هو ــ أيضاً ــ ما أخذت به القوانين الدولية . فالقروض الدولية ترد بمثلها عدداً . فكيف نطالب دولنا الإسلامية بترك هذه القوانين التى تتفق ولا تتعارض مع الفقه الإسلامى ؟

سادساً : الذين دعوا إلى رد القرض بقيمته نظروا إلى الانخفاض فقط ، ولو أخذ بالقيمة لوجب النظر إلى الزيادة والنقصان معاً .

وعلى سبيل المثال :

إذا اقترض أحد من أخيه فى الدول النفطية التى تعد نقودها أساساً ثمناً للنفط ، ثم انخفض النفط إلى الربع ، فما حق المقرض ؟ أهو الربع فقط ؟

فإذا أقرضه أربعة آلاف ، وهى ثمن قدر معين من النفط ، فبعد الانخفاض يكون ثمن هذا القدر ألفاً فقط . فهل من حق المقترض أن يقول للمقرض : ليس لك عندى إلا ألف ، أو مقدار كذا من النفط قيمة الألف بسعر اليوم ، وقيمة أربعة الآلاف وقت الاقتراض ؟ وإذا تركنا النفط وجئنا لغيره :

مثلا كيس الذرة وصل إلى مائتى جنيه ، ثم انخفض إلى خمسة وعشرين ، فإذا اقترض مائتين ؛ ليشترى كيس الذرة ، فهل بعد الانخفاض يرد كيس الذرة أو خمسة وعشرين جنيهاً فقط ؟

سابعاً : ربط الحقوق والالتزامات الآجلة بمستوى الأسعار بحث لموضوع كلى لا يتجزأ ، فإما أن يؤخذ به فى جميع الحقوق والالتزامات ، وإما لا يؤخذ به فى الجميع أيضاً .

فمن الظلم أن يؤخذ به فى الحقوق ويترك فى الالتزامات أو العكس . ومن الظلم ـ أيضاً ـ أن يؤخذ به فى بعض الحقوق أو الالتزامات دون بعضها الآخر . والأكثر ظلماً أن يؤخذ به فى حق أو التزام لأحد دون أحد . وعلى سبيل المثال أقول : لو أخذنا بأن القرض يرد بقيمته لا بمثله ، وكان لمصرف ما قروض مقدارها خمسة ملايين ، ولديه حسابات جارية مقدارها عشرون مليوناً ، والحساب الجارى عقد قرض شرعاً وقانوناً كما هو معلوم ، ووصل التضخم إلى ١٠٪ ، وزادت قروض المقترضين بهذه النسبة ، فيجب أيضاً أن تزيد قروض المقرضين ١٠٪ ، أى أن الحسابات الجارية يسجل لأصحابها هذه الزيادة . أفتفكر المصارف فى هذا ؟ أم أنها تريد زيادة القرض الذى هو حقها دون القرض الذى تلتزم به ؟

كما أن المصارف الإسلامية لا تأخذ ربحاً عن عملها كمضارب إلا بعد عودة رأس المال كاملا . فلو قلنا (بالقيمة) لا المثل فإن نسبة التضخم تضاف لرأس المال أولا ، ثم يوزع الربح بعد هذا . فهل ترى المصارف الإسلامية ـ لو طبق هذا ـ أنها ستأخذ أى ربح ؟ أم أن كل ما تحققه من أرباح سيكون جزءاً من التضخم ؟

ثامناً : زيادة التضخم تعنى انخفاض قيمة النقود ، ويلاحظ أن هذه الزيادة تفوق ما تحققه المصارف الإسلامية من أرباح ، وما تحدده البنوك الربوية من ربا .

فلو أن القرض يرد بقيمته فلا حاجة للاستثمار ، وللتعامل مع البنوك ، ويكفى أن نعطى الأموال مقترضاً يحتفظ لنا بقيمة القرض ، ويتحمل زيادة التضخم التى تصل ـ أحياناً ـ إلى مئات فى المائة .

تاسعاً : القرض عقد إرفاق ، له ثوابه وجزاؤه من الله ـ عز وجل ـ وقد ينتهى بالتصدق ﴿ **وأن تصدقوا خير لكم** ﴾ ، فكيف اتجهت الأنظار إلى المقترض بالذات ليتحمل فروق التضخم ومساوىء النظام ؟!

عاشراً : من حق المقرض أن يمنح ما يرى أنه أكثر ثباتاً وأقل عرضة للانخفاض . من حقه أن يقرض ذهباً ، أو فضة ، أو عملة يرى أنها أكثر نفعاً له . ولعل هذا يساعد على وجود مخرج لمن يحجم عن الإقراض خوفاً من انخفاض قيمة النقود الورقية ، فكأنه يدخر ما يرى أنه أنفع له . لكن ليس من حقه بعد هذا أن يطالب بغير المثل إذا جاء الأمر على خلاف ما توقع ، فماذا يفعل من

انخفضت قيمة مدخراته فى غير حالة الإقراض ؟

حادى عشر : التضخم يعد من مساوىء النظام النقدى المعاصر ، فهل المقترض هو الذى يتحمل هذه المساوىء ؟

أفلا يجب البحث عن أسباب التضخم وعلاجه ، وعن عيوب النظام النقدى ، ووسائل تجنبها ؟

أفلا نبحث عن نظام نقدى إسلامى نقدمه للعالم كما قدمنا له مثلا البديل الإسلامى للبنوك الربوية ؟

ثانى عشر : فى عصرنا ظهرت الدعوة إلى رد القيمة فى القرض ، ولم نكد نسمع من يقول بالالتزام بالقيمة فى البيع الآجل الذى قد يمتد أكثر من عشرين سنة ، تنخفض النقود خلالها إلى مالا يمكن تصوره وقت البيع . والمشترى يلتزم بالثمن المحدد عددا لا قيمة ، والبائع لا يطالب بأكثر من هذا ، وليس من حقه إلا ما حدد عند عقد البيع .

فلو جاز النظر إلى القيمة لكان فى مثل هذا البيع ، لا فى القرض الذى يجب ألا يكون إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى .

ثالث عشر : تغير قيمة النقود لا يظهر فى القروض والديون فقط ، وإنما يظهر ــ أيضاً ــ فى عقود أخرى . فمؤجر العقار مثلا ــ فى معظم البلاد الإسلامية ــ ليس من حقه إنهاء العقد واسترداد ما يملك إلا بموافقة المستأجر ، ولهذا يمتد العقد إلى عشرات السنين ، وقد تصبح قيمة الإيجار لا تزيد عن واحد أو اثنين فى المائة من قيمة النقود عند بدء العقد .

فالنظر إلى تغيير قيمة النقود لابد أن تكون شاملة عامة .

رابع عشر : ومن الشمول والعموم ــ أيضاً ــ وهو ضرورى وهام جداً ، أن ننظر إلى من يلتزم بالقيمة أو بالمثل .

فمثلًا الأجير الذى يأخذ راتباً شهرياً محدداً ، عندما تنخفض قيمة النقود فهذا يعنى أن راتبه قد انخفض فى الواقع العملى . فإذا كان مقترضاً ، ومديناً بثمن شراء ، ومستأجراً ، فكيف نطالبه بالزيادة العددية التى تعوض نقص القيمة قبل أن نعوضه هو شخصياً عما أصابه من نقص فى قيمة راتبه ؟

وما تقوم به بعض البلاد من زيادة الراتب نظراً للغلاء ، بما يسمى « غلاء المعيشة » يتفق مع بيان السنة الشريفة من حيث المبدأ ، لكنه غالباً لا يحقق ما أراده الإسلام من تمام الكفاية .

هذا ما انتهيت إليه من دراستى للموضوع ، والله عز وجل أعلم بالصواب ، وله الحمد فى الأولى والآخرة ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى .

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين » .

« فتاوى صدرت فى الموضوع »

إن هذه المسألة قد عرضت أمام مجلس الفكر الإسلامى فى باكستان ، فاتفق أعضاء المجلس من العلماء والاقتصاديين جميعاً أن ربط الديون بالأسعار لا مبرر له فى الشريعة الإسلامية . وكذلك نوقش هذا الموضوع فى ندوة مختصة لمداولته أقامها البنك الإسلامى للتنمية بجدة باشتراك المعهد العالمى للاقتصاد الإسلامى بإسلام آباد وذلك فى شعبان سنة ١٤٠٧هـ ، وقد حضر هذه الندوة جماعة من العلماء والاقتصاديين من بلاد مختلفة ، والقرار الذى اتفق عليه مشاركو هذه الندوة كما يلى :

١ ـ إن النقود الورقية تقوم مقام النقدين (الدنانير والدراهم) فى جريان الربا ووجوب الزكاة فيها ، وكونها رأس مال سلم ومضاربة وحصة فى شركة ، وإن قول أبى يوسف بوجوب رد قيمة الفلوس فى حالة الغلاء والرخص بالنسبة للنقدين لا يجرى فى الأوراق النقدية ، لأن هذه الأوراق النقدية تقوم مقام النقدين المتفق على عدم اعتبار الرخص والغلاء فيهما .

٢ ـ يؤكد العلماء الحاضرون فى الندوة على أن المقصود بالمثل فى أحاديث الربا والقرض المثل فى الجنس والقدر الشرعيين ، أى الوزن والكيل والعدد لا القيمة . وذلك اتباعاً لما دلت عليه السنة من إلغاء اعتبار الجودة فى تبادل الأصناف الربوية وما انعقد عليه إجماع الأمة وجرى عليه عملها .

٣ ـ لا يجوز ربط الديون الثابتة فى الذمة أيا كان مصدرها بمستوى الأسعار بأن يشترط العاقدان فى العقد المنشىء للدين كالبيع والقرض وغيرهما ، ربط العملة التى وقع بها البيع أو القرض ، بسلعة (أو مجموعة من السلع) أو عملة معينة (أو مجموعة من العملات) بحيث يلتزم المدين بأن يوفى للدائن قيمة هذه السلعة أو العملة وقت حلول الأجل بالعملة التى وقع بها البيع والقرض .

٤ ـ الأصل فى النفقات أن تقدر عينا ، ويحكم القضاء بقيمة الأعيان نقداً عند التنازع تأسيساً على مستوى الأسعار ، ومن ثم فلا حاجة لربطها بمستوى الأسعار على النحو السابق شرحه .

قرار مجمع الفقه الإسلامى

فى الدورة الثالثة لمجمع الفقه بمنظمة المؤتمر الإسلامى سنة ١٤٠٧هـ تمت مناقشة موضوع أحكام النقود الورقية وتغير قيمة العملة ، وقرر المجمع :

أولا : بخصوص أحكام العملات الورقية :

أنها نقود اعتبارية فيها صفة الثمنية كاملة ، ولها الأحكام الشرعية المقررة للذهب والفضة من حيث أحكام الربا والزكاة والسلم وسائر أحكامها .

ثانياً : بخصوص قيمة العملة :

تأجيل النظر فى هذه المسألة حتى تستوفى دراسة كل جوانبها لتنظر فى الدورة الرابعة للمجلس .

وفى الدورة الرابعة سنة ١٤٠٨هـ عرض الموضوع على المجمع فقرر تأجيل البت فيه للحاجة لاستيفاء جوانبه إلى الدورة التالية .

وفى الدورة الخامسة سنة ١٤٠٩هـ عرض الموضوع للمرة الثالثة مع مزيد من الأبحاث التى قدمها الأعضاء والخبراء ، ونوقش الموضوع باستفاضة ، وبعدها قرر المجمع مايلى :

العبرة فى وفاء الديون الثابتة بعملة ماهى بالمثل وليس بالقيمة ؛ لأن الديون تقضى بأمثالها ، فلا يجوز ربط الديون الثابتة فى الذمة أيا كان مصدرها بمستوى الأسعار .

والله أعلم

ملاحظة : قارن بين منهج المجمع الذى يمثل العالم الإسلامى ؛ ويضم عدداً كبيراً من الأعضاء والخبراء المختصين ، حيث نظر فى هذه المسألة فى ثلاث دورات خلال ثلاث سنوات ، وبين المجترئين على الفتيا فى عصرنا من غير أهل الاختصاص ! فمتى يحجر على المفتى الماجن حتى نحفظ ديننا الحنيف من عبث العابثين .

قبل أن يسدل الستار على مأساة البوسنة المسلمة؟

هل يظل تاريخ المسلمين يسطر بيد الأعداء ؟

وهل حدود بلادهم تظل رهن سياسات ترسم خارج أوطانهم ؟

إن السوابق التاريخية من قديم تشير نحو ذلك .

لقد نشرت الصحف الأمريكية خطط حرب الخليج قبل أن تحدث بسنوات، ونحن غائبون عن الساحة. ولم نتوقف طويلا أمام ما ينشر .

وإذا كانت وجوهنا قد علتها بلاهة الدهشة والاستغراب، فإن الحرب وقعت فى الخليج كما رسمت تلك الصحف .

وهذه مجلة (نيوزويك الأمريكية) (Newsweek) فى عددها الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٩٩٠م

Newsweek

NEWSWEEK : NOVEMBER 26, 1990 3

International

Thatcher's last stand?	42
Gorbachev's bleak winter	44
Laying the cold war to rest	46
Europe's new borders	48
The return of the contras?	49

تتحدث عما ستئول إليه خريطة أوربا عام (٢٠٠٠) والتى تقتضى من وجهة نظر الغرب ـ محو الإسلام من أوربا ـ كهدف أساسى لهذا القرن .

وخطوة على الطريق نشرت هذه المجلة خطط الغرب تلك الخطط التى تقدم ترجمتها مع صورتها الأصلية مجلة الأزهر .

التحرير

أوربا بلا مسلمين

أمنية الغرب عام ٢٠٠٠م

بقلم الأستاذ / صابر تعلب

Europe 2000: New Borders, New Perils

The Paris summit may be launching a new era in European affairs, but no one knows what concrete form that era will take. By the year 2000, the Continent could look radically different. New nations may form. Borders may be redrawn. Old associations will decline and new ones strengthen. Regions will meld with other regions into new epicenters of economic and cultural activity. Some of the changes may be violent. Conflict and economic misery could set off flood tides of immigration. But those crises, in turn, could force governments to cooperate. As new political entities begin to accommodate Europe's ethnic geography, nations will become more stable—if they are allowed to follow the paths chosen by their people and if the West dispenses the right blend of financial aid and political guidance. Among the places to watch:

■ **Yugoslavia:** Civil war could break out in Yugoslavia at any time. One eighth of Serbia, the largest of the country's six republics, is taken up by the province of Kosovo, dominated by ethnic Albanians who want independence from Belgrade. Serbs are also feuding with Croatia. Next year Slovenia likely will claim full sovereignty and call for Yugoslavia to evolve into a confederation of independent republics. If the central government balks, Slovenia may secede. That would put pressure on Croatia to leave the federation as

Pressure for change: *Albanians marching*

يقول كاتب المقال « باسكال بريفات »(١) :

" إن قمة باريس تبدأ عهداً فى العلاقات الأوربية ، فمع قدوم عام ٢٠٠٠ ستبدو القارة مختلفة اختلافاً جذريا ... أمم جديدة ستولد وحدود سيعاد رسمها ، اتحادات ورابطات قديمة ستضمحل وتزول ، وأخرى جديدة ستولد وتقوى ، ستتحد مناطق مع أخرى لإقامة مراكز تأثير اقتصادية وثقافية نشطة ، بعض هذه التغييرات ستكون عنيفة ، والصراع على لقمة العيش والكرب الاقتصادى سوف يدفع بفيضان بشرى من المهاجرين ؛ بل وقد تجبر هذه الصراعات الحكومات الوليدة على التعاون . **حيث تكون خريطة أوربا العرقية** قد رسمت وسيعمل الغرب على إعطاء المساعدات المادية والمشورة السياسية ضمانا لاستقرار الحكومات التى تسمح لشعوبها أن تسير فى الطريق الذى اختارته . ومن هذه الأماكن التى يجب إلقاء الضوء عليها : **يوجوسلافيا : ستشب الحرب الأهلية فى يوجوسلافيا وستصبح "صربيا" أكبر جمهورياتها الست التى ستضم إليها إقليم كوسوفو .. ذو الأغلبية الألبانية المسلمة، والذى سيحاول أن يستقل عن بلجراد ، ولكن صربيا الكبرى لن تدعه يفلت . سنجد صراعاً أيضا بين الصرب والكروات على ابتلاع البوسنة والهرسك كما أن (سلوفينيا) ستطالب بالاستقلال.ولو رفضت الحكومة المركزية طلبها فسوف تنشق عليها . كما أن كرواتيا ستخرج من الاتحاد اليوغسلافى ؟ ؟" إذن هى سياسة ترسم وتخطط وتتابع بالتنفيذ من القوى الكبرى ؟**

القيادة الإدارية

الإدارة فى منهج الإسلام

- ٣ -

إعداد الدكتور / محمد عبد الله آل ناجى

تمهيـــد :

هل الإسلام يلزم أتباعه باختيار من يكون أميراً لهم أو قائداً عليهم .. ؟

وهل الإلزام هذا يصل إلى درجة الوجوب بحيث لا يصح للجماعة الإسلامية إهماله أو التفريط فيه .. ؟

أم أن ذلك غير ملزم لجماعة المسلمين ؟ والقيادة أو الإمارة ـ فى مفهوم الإسلام ـ من المطالب الدنيوية التى يتركها لأتباعه يقررون بشأنها ما يرونه صالحاً لدنياهم ومتمشياً مع متطلباتهم .. ؟

لقد عرف الإسلام التنظيم الإدارى منذ نشأته ، وخلف لأتباعه ومعتنقيه مبادىء هامة وقواعد كلية ، وضوابط ، يمكن من خلالها تأسيس النظرية الإسلامية فى الإدارة والقيادة ذات الخصائص المستقلة . وإن تلاقت مع بعض النظريات الحديثة فى بعض الملامح والخطوط .

إن القيـادة الإداريـة ـ فى منهج الإسلام ـ ليست وظيفة من الوظائـف ، ولا ولايـة من الولايـات ، بل هى أسلـوب للحيـاة ، ومنهج للتطبيق هدفها فى النهاية تحقيق دور الخلافة ، وإرضاء الله ـ تعالى ـ وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

وجود القيادة واجب :

والإسلام يوجب وجود القيادة فى كل جماعة ذات هدف مشترك ـ أيا كان حجمها ـ وذلك حفاظاً عليها من التفرق وتحقيقاً لمصالحها أن تتردى فى هوة الاختلاف ، يقول الرسول ﷺ : (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم)(١) . لأن ذلك يؤدى إلى ضبط أمورهم واجتماع قوتهم والبعد عن التضارب والاختلاف الذى قد يؤدى إلى التفرقة والتمزق ، فالإسلام يرى فى تنصيب القيادة ضرورة شرعية ،

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٢ : ١٧٧ بسنده عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وراجع علم الإدارة العامة ومبادىء الشريعة الإسلامية للدكتور ماجد راغب الحلو ، ص ١٦١ ، ط ١٩٨٨ .

وقاعدة اجتماعية ، لا يجوز إهمالها أو تجاهلها بأى حال من الأحوال .

وإذا كان الرسول ﷺ قد أوجب القيادة لثلاثة يكونون فى فلاة من الأرض ، فلا شك أنها تكون من أوجب الواجبات لمن يسكنون الأمصار ويقطنون العمران ، وهم أعداد كثيرة ، منعاً لوقوع البغى أو الظلم أو الاعتداء أو طلب الحقوق أو غير ذلك مما يتطلبه المجتمع من إقامة العدل ، وحماية الثغور وتدبير الشئون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، كما أنها ضرورية لقيام المؤسسات العامة والخاصة بمهامها المعقدة فى مجتمعنا اليوم ، حيث أصبحت الإدارة الجيدة والقيادة الحكيمة تعتبر من أسس التقدم الحضارى فى عصرنا الحاضر .

والقيادة أو الإمارة التى يطالب الإسلام بتنصيبها هى قيادة سوية ملتزمة فلا تكون متسلطة فظة وفق الاتجاه المتطرف فى الفكر الإدارى العلمى ، ولا هى قيادة متراخية غير مبالية وفق الاتجاه المتطرف فى الفكر الإدارى الإنسانى ، بل نجدها وسطا بين هذا وذاك ؛ لأنها تنبع وتزاول أعمالها فى الأمة الوسط التى قال الله عنها :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

(البقرة : ١٤٣)

منهج الاتجاه السوى فى القيادة :

ومنهج الاتجاه السوى فى القيادة الإسلامية يتبع من قوله تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران : ١٥٩)

إن مبادىء الإسلام توصى أتباع الإسلام بعدم التهافت على طلب الإمارة ، وعندما جاء أحد الصحابة يطلب من رسول الله ﷺ أن يوليه على إمارة قال له ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (إنا لا نولى أمرنا هذا من يطلبه)(٢) .

ويروى الإمام مسلم بسنده عن أبى موسى الأشعرى قال : دخلت على النبى ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى . فقال أحد الرجلين : يا رسول الله أمِّرنا على بعض ما ولاك الله ـ عز وجل .

وقال الآخر : مثل ذلك .

فقال : (إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سأله ، ولا أحداً حرص عليه) .

وقال الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة ـ رضى الله عنه :

(يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة أكلت إليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها)(٣)

ومن هنا كان قول الله ـ تعالى :

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ٩ : ٨٠ والإمام مسلم فى كتاب الإمارة ١٤ (١٧٣٣) بسنده عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ وذكره .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى باب الجهاد باب الحرب خدعة ١٥٧ ، وأخرجه مسلم فى كتاب الجهاد باب جواز الخداع فى الحرب رقم ١٧٤٠ ، وأخرجه أبو داود فى باب الجهاد باب المكر فى الحرب رقم ٢٦٣٦ .

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(القصص : ٨٣)

وبهذا يتضح أن الإسلام عندما يطالب أتباعه باختيار القادة ويطالبهم بالإسراع فى ذلك ، فإنه فى نفس الوقت ينهاهم عن طلب القيادة أو الإمارة أو أن يفرض أحدهم نفسه على جماعة المسلمين .

وإذا كان الأمر كذلك فما خصائص القيادة الإدارية فى الإسلام ؟

خصائص القيادة الإدارية فى منهج الإسلام :

إن منهج الإسلام فى اختيار القادة والولاة ينبثق من مبدأين أساسيين هما : القوة والأمانة . هذا بالإضافة إلى المواصفات الأخرى التى يكتسبها الفرد المسلم باعتناقه للإسلام وهى :

- التقوى .
- العدل .
- القدوة الحسنة .
- الرفق والرحمة .
- القناعة بمبدأ المشورى .

أولا : القوة والأمانة :

لا يجوز فى منهج الإسلام أن يتولى الوظائف العامة فى الدولة إلا القوى الأمين ، ويعزل عنها الضعيف الخؤون ، ومرد القوة إلى القدرة على مايتولاه من عمل ، وهى تقدر فى كل أمر بحسبه فالقوة فى قيادة الحرب ترجع إلى : شجاعة القلب ، وإلى الخبرة بأساليب المعارك ، والمخادعة التى تمنع العدو من معرفة خطط المسلمين لقول الرسول ﷺ : (الحرب خدعة)(٤) .

وأيضا إلى القدرة على القتال والخبرة بمعداته وأدواته .

قال تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

(الأنفال : ٦٠)

القوة فى الحكم :

وترجع إلى الفقه بالشرائع ، وأساليب التقاضى ، والعدل الذى أمر الله تعالى به فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(النحل : ٩٠)

وإلى القدرة على اتخاذ القرارات الصعبة ، والقدرة على تنفيذ الأحكام على القوى قبل لضعيف من المرءوسين .

أما الأمانة : فمردها إلى عدم التفريط فى شئون ما ولى عليه القائد ، ومراقبة الله ـ تعالى ـ وخشيته والخضوع لشريعته ، وألا يشترى بآياته ثمناً قليلا ، يقول الله ـ سبحانه وتعالى :

﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة المائدة

وتأكيداً لمدى أهمية توافر القوة والأمانة عند اختيار الولاة فى الدولة الإسلامية نذكر ما روى عن الرسول ﷺ عندما طلب منه أبو ذر ـ رضى الله عنه ـ أن يوليه ولاية فقال : (ياأباذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها ، ووفى الذى عليه لها)(٥) .

---

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ١٦ : ١٨٢٥ .

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الجمعة وأحمد بن حنبل فى المسند ١ : ٢٨٩ ، ٣ : ٤٤١ ، ٤٨٠ (حلبى) .

وقد اعتبر اختيار من يلى عملا لجماعة المسلمين من باب أداء الأمانات ، بحيث يجب على القائد أن يولى على كل عمل أصلح من يجده ، فإن عدل عن الأصلح إلى غيره ، مع عدم وجود ما يبرر ذلك يكون قد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين ، وقد قال الله ـ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(الأنفال : ٢٧)

ومن هذه الأمانات : أمانة التعامل مع الناس ، وأمانة المعاملات والودائع المادية ، وأمانة النصيحة للرئيس والمرءوس ، وأمانة المحافظة على حرمات الجماعة ، وأموالها ، ومن أولى هذه الأمانات إعطاء القيادة والولاية لمن يستحق القيادة والولاية ولا يتخطاه إلى غيره .

يقول الرسول ﷺ : (من وَلِىَ من أمر المسلمين شيئاً فَوَلَّى عليهم رجلا وهو يجد فيهم من هو أصلح منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين)(٦) . وقال الرسول ـ عليه السلام ـ أيضا : (ما من وال يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة)(٧) .

اختبار من يلى عملا :

وكان الرسول ﷺ يجرى الاختبار لمن يريد أن يوليه إحدى الوظائف العامة ليتأكد من صلاحيته لها ، من ذلك أنه عندما أراد أن يبعث الصحابى الجليل معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ والياً وقاضياً على اليمن سأله : بم تقضى .. ؟

فأجاب : بكتاب الله .

فسأله : فإن لم تجد ؟

فأجاب : بسنة رسول الله ؟

فسأله : فإن لم تجد ؟

فأجاب : أجتهد رأيى ولا آلو .

فضرب الرسول ﷺ صدر معاذ وقال : (الحمد لله الذى وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضى الله ورسوله) .

وقد سار الخلفاء الراشدون على هدى الرسول ﷺ فى اختيار الولاة والعمال ، فكانوا لا يولون إلا الأكفاء الأمناء ومن يرونه أصلح للقيام بالعمل الذى يسند إليه

إذا اجتمعت القوة والأمانة فى أكثر من شخص :

ولكن إذا اجتمع فى أكثر من شخص (القوة ، والأمانة) ، أو وجد فى شخص الأمانة ، ولم توجد عنده القوة أو العكس . وهذه الصفات قلما توجد إلا فى القليل النادر كما يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، وأن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان يشكو إلى الله جلد الفاجر ، وعجز الثقة ، فكيف يكون الاختيار ؟

وقد عبر شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا بقوله : (فالواجب فى كل ولاية الأصلح بحسبها فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة قدم أنفعهما لتلك الولاية وأقلهما ضررا فيها ، فيقدم فى إمارة الحرب الرجل القوى الشجاع ، وإن كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز ، وإن كان أميناً . وقد قال النبى ﷺ : (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) وفى رواية أخرى : (إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق

(٦) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإمارة ٢١ : ١٤٢ بسنده عن معقل بن يسار المزنى قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ وذكره .

(٧) الحديث أخرجه أبو داود فى قضية حديث رقم ٣٥٩٢ وأخرجه الترمذى فى أبواب الأحكام حديث رقم ١٣٢٧هـ.

لهم)[٨] .

فإذا كانت الحاجة فى الولاية إلى الأمانة أشد قُدِّم الأمين ، مثل حفظ الأموال ونحوها ، وأهم ما فى هذا الباب معرفة الأصلح ، وذلك إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية ، ومعرفة طريق المقصود ، فإذا عرفت المقاصد والوسائل كان الأمر[٩] .

ثانياً : التقــوى :

سأل عمر بن الخطاب أبى بن كعب ـ رضى الله عنهما ـ عن التقوى ما هى ؟

فقال : هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟

قال : نعم .

قال : فما عملت فيه ؟

قال : شمرت وحذرت .

قال : فذاك التقوى .

والمتقى : فوق المؤمن والطائع ، وهو الذى يتقى بصالح عمله وخالص طاعته عذاب الله ـ تعالى ـ [١٠] . والتقوى أساس المفاضلة بين الناس عند الله ـ سبحانه وتعالى : وذلك بقوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات : ١٣)

وولى الأمر ـ فى منهج الإسلام ـ أو القائد إذا تحلى بصفة التقوى وكانت له سلوكاً ومنهجاً كان فى رعاية الله وعنايته يحقق على يديه النصر والنجاح ، ويجرى فى ركابه الخير والبركات ، ويلهمه التوفيق والسداد فى عمله كله .

قال تعالى :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾

(الحج الآيتان : ٤٠ ، ٤١)

والتقوى طريق إلى الهداية ، وسلم إلى الفلاح قال تعالى :

﴿ **أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾

(البقرة : ٢)

والتقوى طريق إلى إذكاء العقل ، وكشف البصيرة ، ومعرفة خفايا الأمـــور ، وحسن الاستنتاج والتنبؤ بنتائج الأمور .

قال الرسول ﷺ : (اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله)[١١] .

ثالثاً : العــدالة :

العدل الذى يتطلبه منهج الإسلام فى الوالى أو القائد ، هو العدل الشامل العام ، الذى يشمل الناس جميعاً من خلق الله ـ تعالى ـ فالعدل : حق لكل إنسان بوصفه إنساناً بغض النظر عن ديانته أو هويته ، أو جنسيته ، وهذه الصفة (صفة الإنسانية) يلتقى عليها البشر جميعاً ، مؤمنين وكافرين ، أصدقاء وأعداء ، سودا وبيضا ، عربا وعجما .

هذا العدل الذى لم تعرفه البشرية قط ـ فى هذه الصورة إلا عندما جاء الإسلام وحكم المسلمون

---

(٨) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد ١٣٢ ومسلم فى كتاب الإيمان ١٧٨ : ١١١ بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وذكره .

(٩) راجع مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية الجزء ٢٨ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(١٠) راجع تفسير القرطبى الجزء ١ ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

(١١) قال فى الدرر رواه الطبرانى والترمذى فى حديث أبى إمامة وأخرجه الترمذى أيضا من حديث أبى سعيد ، ورواه العسكرى عن أبى الدرداء موقوفا ، راجع كتاب كشف الخفا للعجلودى .

به ، وفى عهد القيادة الإسلامية للعالم أجمع ، والذى افتقدته البشرية . مرة أخرى ــ عندما افتقد العالم هذه القيادة .

ولهذا قال الله ــ تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ﴾

(النساء : ٥٨)

ويأمر الله ــ سبحانه ــ الحاكم والمحكوم بالالتزام بالعدل ، ولو كان ذلك على أقرب الناس إليه قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾

(النساء : ١٣٥)

ويقول الرسول ﷺ :

(لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)[١٢] .

ويقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة : ٨)

ويقال : إن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ دخل عليه ــ وهو يقسم الغنائم على جماعة المسلمين ــ قاتل أخيه زيد بن الخطاب ــ ولكن هذا القاتل أسلم وحسن إسلامه ــ فلما رآه عمر أشاح بوجهه . فقال له القاتل : أتكرهنى يا عمر ؟

قال الرجل المؤمن العملاق : نعم أكرهك كما تكره الأرض الدم المسفوح .

فقال القاتل : أمانِعى حقى إذن .. ؟

فقال عمر ــ الذى تربى فى مدرسة الإسلام ــ : أما هذه فلا ؛ لأن الله تعالى يقول :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة : ٨)

فقال الرجل ــ الذى لا يخاف أحداً إلا الله ــ : (إذن لا أعبأ بحبك ولا بكرهك فهذا شىء تعبأ به النساء)[١٣] .

والوالى العادل : أحب الخلق إلى الله ــ تعالى : يقول الرسول ﷺ : (أحب الخلق إلى الله إمام عادل)[١٤] .

والوالى العادل مع السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم القيامة : يقول الرسول ﷺ : سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)[١٥] .

الفصل الأخير بالعدد القادم إن شاء الله .

---

(١٢) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الحدود ، وأبو داود فى كتاب الحدود حديث رقم (٤٣٧٣) والترمذى فى كتاب الحدود باب ما جاء فى كراهية ان يشفع فى الحدود حديث رقم (١٤٣٠) .

(١٣) الدكتور / سليمان محمد الطحاوى ، عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة ، دراسة مقارنة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

(١٤) رواه الترمذى وابن ماجة رواية الترمذى حديث رقم ١٣٢٩ .

(١٥) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأذان ٦٦٠ بسنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : وذكره . والترمذى فى كتاب الزهد ٥٣ .

الأسرار

بين الحفظ والإفشاء

- ٢ -

د/ ابراهيم سليمان عيسى

السر بين الزوجين ووجوب صونه :

من القرآن نجد قولة تعالى :

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ **التحريم**

ومن السنة النبوية نجد قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضى إليه ثم يَنْشرَ سرها » ، وفى رواية « ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » رواه مسلم عن أبى سعيد . ومن وصايا العرب للعروس : ولا تفشى له سرا ، فإنك لو أفشيت سره أوغرت صدره .

سر البيوت لاينبغى أن يفشى ، ففى الحديث «عن ثابت ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ مر على أنس وهو يلعب مع الغلمان فسلم عليهم ثم بعثه فى حاجة، فلما أبطأ على أمه سألت عن السبب فقال : بعثنى رسول الله ﷺ فقالت وما حاجته ؟ فقال : إنها سر ، فقالت : لاتخبر بسر رسول الله أحدا ، قال : أنس والله لو حدثت به أحدا لحدثتك يا ثابت» رواه البخارى ومسلم .

وسر المجلس أمانة يجب أن يصان : يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ **الأنفال الآية : ٢٧**

وفى الحديث النبوى : «المجالس بالأمانة» رواه أبوداوذ . وفى الحديث : السابق «إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانه» رواه أبوداود والترمذى . والنبى ﷺ يقول : «لا إيمان لمن لا أمانة له» . كما أن مجالات السر ليست على درجة واحدة ولكنها متفاوتة، هناك مجالات للسر هامة وخطيرة يجب العناية بها إلى حد كبير ، والخطورة تأتى إما من جهة صاحب السر ، وإما من خطورة العمل والسر نفسه ، وإما من خطورة الظروف والمناسبات ، فسر

الرجل العظيم ليس كسر غيره ، وسر العمل الهام ليس كسر عمل بسيط ، والسر عند الظروف الحرجة ، ليس كالسر فى الظروف العادية ، وإليك صور إسلامية توضح ذلك كله .

أ ـ «لما تأيمت حفصة بنت عمرعرضها أبوها على عثمان ليتزوجها فاعتذر فعرضها على أبى بكر فلم يرد عليه بايجاب أو نفى ، فغضب منه أكثر من غضبه على عثمان ، فلما خطبها النبى ﷺ وقابل أبو بكر عمر قال له لعلك وجدت علىَّ حين عرضت حفصة علىّ؛ فلم أرجع إليك شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : إنه لم يمنعنى أن أرجع إليك شيئا حينما عرضت على إلا أننى كنت علمت أن النبى يذكرها ، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ـ ﷺ» رواه البخارى .

ب ـ «لما ولى عمر بن الخطاب قدامة بن مظعون بدل المغيرة أمره ألا يخبر أحدا ، فلم يكن له زاد ، فتوجهت امرأته إلى دار المغيرة ، أقرضونا زاداً لراكب فإن أمير المؤمنين ولى زوجى الكوفة ، فأخبرت امرأة المغيرة زوجها ، فجاء عمر واستأذن عليه وقال له : وليت قدامة الكوفة وهو رجل قوى أمين ، فقال : ومن اخبرك ؟ قال : نساء المدينة يتحدثن به ، فقال اذهب وخذ منه العهد» (محاضرات الأدباء للأصفهانى ج ١ ص ٧٥) .

جـ ـ قال العباس لابنه عبدالله : إنى أرى هذا الرجل ـ يعنى عمر بن الخطاب ـ يقدمك على الأشياخ فاحفظ عنى خمسا : لاتفشين له سرا ، ولاتغتابن عنده أحدا ولاتجرين عليه كذبا ، ولاتعصين له أمرا ، ولايطلعن منك على خيانة» (الإحياء ج ٢ ص ١٥٨) .

د ـ طلب بنو قريظة من النبى ﷺ أن يرسل إليهم «أبالبابة» لاستشارته فيما عرض عليهم النبى فقاموا إليه يبكون ، قالوا : كيف ترى لنا أننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ـ يقول ـ انه الذبح ، ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله ، فمضى ولم يرجع إلى النبى حتى أتى مسجد المدينة فربط نفسه بساريه وحلف ألا يحله إلا رسول الله بيده ، ولا يدخل أرض بنى قريظة أبدا ، ثم تركه النبى حتى تاب الله عليه فحله بيده . (زاد المعاد ج ٢ ص ٧٣) .

هـ ـ لما اعتزم النبى فتح مكة أمر عائشة أن تجهزه ، فدخل عليها أبوها أبو بكر وهى تعد الجهاز ، فقال : أى بنية أمركن رسول الله بتجهيزه ؟ قالت : نعم قال : فأين ترينه يريد ، فقالت والله ما أدرى ، ثم أعلم النبى الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتجهيز وقال : «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها ، لكن حاطب بن أبى بلتعة كتب إلى قريش بذلك وأرسل الكتاب مع امرأة وجعل لها جعلا فأخفته فى قرون رأسها ، وكان من أمره ما كان وكان من رأى عمر قتله ، ولكن النبى عفا عنه لأنه من أعلام بدر ، ونزل فى ذلك قول الله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾

الممتحنة الآية : ١

ففى هذه القصة ـ عدم إخبار عائشة أباها بمقصد النبى ، ومنها دعاء النبى أن يأخذ العيون من قريش حتى يبغتها ، وغضب النبى على عمل حاطب وَرَأْى عمر فى قتله ، ووعيد الله للجواسيس والعملاء .

السر فى أيام الحروب والغزوات

إن معرفة أسرار العدو وأخباره تفيدنا فائدة كبيرة فى كسب المعارك ، أو على الأقل فى دفع الخطر وإعداد العدة والاستعداد للمفاجآت ، والإسلام يأمرنا أن نأخذ الحذر ونتيقظ ونحتاط لأنفسنا عن طريق معرفتنا بخصمناوفيما يلى صور مما كان يفعله الرسول ﷺ لجمع الأخبار . ففى السنة النبوية حدث ما يلى :

(أ) أرسل سرية بقيادة عبدالله بن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف وكتب له كتابا وأمره ألا ينظر ما فيه حتى يسير يومين ، ولما فتحه بعد اليومين وجد فيه تعيين الجهة التى أرسل إليها ، والمهمة التى وكلت إليه فالجهة هى نخلة ، والمهمة هى التربص بقريش ومعرفة أخبارهم ، وكان ذلك فى شهر رجب فى السنة الثانية من الهجرة .

(ب) ذهب النبى ﷺ ومعه أبو بكر إلى بدر وقابلا رجلا وسألاه عن أخبار قريش وعرفا منه مكانهم ولما كان الرجل قد شرط عليهما أن يعرف من أى قبيلة هما؛ فقال له النبى : أخبرا نحن من ماء ، ثم انصرف عنه وحار الرجل فى معرفة هذا النسب أو هذه الجهة .

(جـ) أرسل النبى فى بدر بسبس بن عمرو ، وعدى بن أبى الزغباء ، وعرفا من حديث امرأتين تتلازمان على الماء أن عير قريش ستأتى غدا أو بعد غد ، فرجعا وأخبرا النبى بذلك خصوصا وأن العامل على الماء هو مجدى بن عمرو الجهنى صدَّق المرأتين على ما قالتا .

(د) بعث النبى عليا والزبير وسعد بن أبى وقاص مع جماعة إلى بدر لالتماس الأخبار ، فجاءوا براوية لقريش وسألهم النبى عن الأخبار ، فعرف مكانهم ، وعددهم ، وزعماءهم . والأمثلة كثيرة عن مظاهر كتمان السر عن العدو منها :

١ ـ كان النبى عليه السلام إذا أراد غزوة وَرَّى بغيرها ، كأن يقول إذا أراد غزو حنين : كيف طريق نجد ، ومياهها ومن بها من العدو ، وكان يقول : «الحرب خدعة» .

٢ ـ التزام الصمت عند الزحف ـ وورد فى الحديث عن الحسن عن قيس ابن عباد ، قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند القتال رواه أبو داود ـ وفى رواية ابن المتدرعة كانوا يكرهون رفع الصوت عند ثلاث : عند الجنائز ، وعند الذكر ، وعند القتال (فقه السنة) ج ٤ ص ١١٨ .

٣ ـ كلمة السر ، وشارات التعارف بين الجند فى المعركة ـ روى الحاكم عن عائشة ، جعل رسول الله شعار المهاجرين يوم بدر عبدالرحمن، والخزرج عبدالله ، وأخرج عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ مرفوعا : جعل الشعار للأزد يامبرور يامبرور وروى أحمد وأبو داود والترمذى حديث النبى : «إن بينكم العدو فقولوا حم لا ينصرون»

وعن سلمة بن الأكوع غزونا مع أبى بكر زمن رسول الله فكان شعارنا أمت ،أمت رواه أحمد وأبو داود ـ وأحيانا يامنصور أمت .

٤ ـ لما انتهت معركة أحد نادى أبو سفيان : أفيكم محمد ، أفيكم أبو بكر ، أفيكم عمر ؟

وقد أمر النبى بعدم إجابته ، حتى لايعود المشركون للقتال ، والمسلمون مازالت جراحاتهم دامية .

٥ ـ أرسل النبى عمرو بن العاص فى غزوة ذات السلاسل ، فأمرهم ألا يوقدوا نارا ، ولما أنكر عليه عمر ذلك ، قال له أبو بكر : دعه ياعمر فإن رسول الله لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب .

ولما عادوا وأخبروا النبى بذلك سأله فقال : كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم (الزرقانى على المواهب ج ٢ ص ٢٧٩) .

٦ ـ أوصى أبو بكر شرحبيل بن حسنة عندما بعثه فى الغزو فقال : « وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرم مثواهم ، وأقلل حبسهم حتى يخرجوا من عندك وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وليكن أنت الذى تلبى كلامهم ، واستر من عسكرك الأخبار واصدق الله إذا لقيت ولاتجبن فيجبن سواك .

٧ ـ تبديد إشاعة موت القائد ، أو إخفاء موته وقت المعركة حتى لاينهزم الجند ، أو يطمع فيهم العدو . ومن ذلك ما كان ، حين صرخ الشيطان فى أحد ان محمداً قتل ، فألقى بعض المسلمين السلاح ، ومر بهم أنس بن النضر فصرخ فيهم ما جلوسكم ؟ قالوا : إن محمدا قد قتل قال : وما قيمة الحياة بعد محمد قوموا فموتوا على ما مات عليه .

وقد حدث أن النعمان بن مقرن قائد معركة نهاوند قد مات فى أثناء المعركة فأخفوا موته حتى انتصروا . كما حدث مثل ذلك حين أخفت شجرة الدر موت الملك الصالح نجم الدين ، وكانت الحرب مع الصليبيين قائمة حتى وصل توران شاه .. وليعلم كل مسلم أن هناك أموراً تساعده على كتمان السر وهى :

١ ـ عدم تسليم السر إلى الغير إلا لضرورة قاسية .

٢ ـ اختيار من يودعهم السر إذا اقتضى الأمر ، بأن يكون فيهم عقل يصدهم عن الانزلاق ، ودين يحجزهم عن إثم هتك السر ، ونصح وإخلاص يعرفون به من محبة الخير للناس ، وود موفور يحافظون به على دوام الصداقة بحفظ السر ، وخلق الكتمان الذى يعرف به ويشتهر بين الناس .

٣ ـ الإقلال بقدر الإمكان من عدد من يعرفون السر .

قد علل علماء الأخلاق ذلك بأن الشروط المعتبرة فى الأمناء على الأسرار لا تتوفر فى عدد كبير ، فلابد أن يكون فيهم من يخل ببعضها ، فيفشى السر ، ولأن كل واحد من هؤلاء يجد سبيلا إلى نفى إشاعة السر عن نفسه ، وإحالته ذلك إلى غيره ، حيث لاتكون المسئولية منحصرة فى واحد معين .

على أنه لو سلم من إذاعتهم للسر لم يسلم من التدلل والاستطالة عليه ، لأن من ظفر بسر من فرط الإدلال وكثرة الاستطالة ، ما إن لم يحجزه عنه عقل ولم يكفه عنه فضل كان أشد من ذل الرق وخضوع العبيد .

وشواهد الأيام تثبت صدق ذلك ، ومن يملكون أسرارا للغير يستعبدونه بها فهى سلاح خطير :

نسأل الله أن يحفظ أسماعنا وأبصارنا وأفئدتنا ، وأن يربط على قلوبنا وألسنتنا حتى لانفكر إلا فى الحق ولا ننطق إلا بالحق : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

أنانية الإنسان مع نعم الله (*)

بقلم الشيخ / زكريا أحمد نور
من وعاظ الأزهـــر بأسيوط

قال تعالى فى سورة الإسراء « وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا » الآية ٨٣ .

وقال تعالى فى سورة فصلت « وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ » الآية ٥١ .

تُبرز بعض آيات القرآن الكريم جانباً من أخلاق فئة من الناس تجاه نعم الله ـ عز وجل ـ فإذا أنعم الله على أحدهم بالمال والعافية والفتح والرزق والنصر ، ونال ما يريد من أوجه الخير ، قابل ذلك الفضل من الله ـ تعالى ـ بالبعد عنه والإعراض عن طاعته وعبادته .

بينما ينبغى للمؤمن ـ وابن آدم بصفة عامة ـ مقابلة النعم بالشكر ، والطاعات المستمرة عليها وعلى تكريمه وتمييزه من بين أجناس الأرض وعوالمها .

قسوة الإنسان ورحمة الله

ومما يدلنا على قسوة الإنسان وفى مقابلها رحمة الله ـ تعالى ـ هذا الإسفاف الذى يظهر منه التحدى والكبرياء على غيره من خلق الله ، فيصعر خده ويلوى عنه فى تعاظم ، وهذا ماتذكره الآية الكريمة فى قولـه تعالى عن الإنسان (وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ) ، وهذه النأى بالجنب يصور لنا أن المدين بالنعمة لم يكفه أن يجحدها فقط .. بل تصلف إزاءها حتى كأنه هو المتفضل بقبولها ، فليس مديناً بها بل هو دائن فيها ، وليس هو صاحب اليد السفلى بل هو صاحب اليد العليا فمن حقه أن يتشامخ وذلك قلب للأوضاع فى المفاهيم والقيم ، وتلك أنانية لا ترقبها خشية من الله ، ولا تلطفها هدأة من حسن التفكير ساعة ما .

ومن رحمة الله بالإنسان أنه يمنحه النعمة تفضلًا منه لا وجوباً عليه ، بمحض فضله ، فهى رحمة

(*) اضطرت إدارة المجلة إلى حذف النصوص الواردة بالمقال لعدم توثيقها ، وطالما لفتت المجلة كُتابها الأعزاء إلى أهمية إسناد الانتاج ـ المرسل إليها ـ إسناداً علمياً ؛ فذلك أدعى إلى صلاحية نشره .

أسداها إلى عبده بمحض فضله الذى لا يليق به سوى هذا الجود من فيضه وعطائه ، والله يحب من عبده أن يتقرب إليه ، فكانت نعمه عليه ليتخذ العبد منها وسيلة التقرب منه ، ويجعلها أداة الوصل والتعرف والاستزاده من فضل الله الذى لا حدود لفضله .

قال تعالى فى سورة الحديد :

« لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ »

أثر الشكر

الشكر المفروض فى صورته الصحيحة ليس منحة من العبد لربه ، ولا مجرد قربة ، بل هو قيد للنعمة فى يد صاحبها ، وهو مجلبه للزيادة فى حجم النعمة وأنواعها .

والله ــ سبحانه وتعالى ــ يقول فى سورة النمل :

« قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ »

وقال ــ تعالى ــ فى سورة ابراهيم :

« وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ »

وقال ــ تعالى ــ فى سورة القمر :

« كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ »

وقال ــ سبحانه وتعالى ــ فى سورة النساء :

« مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ »

ومن هذه الآيات يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى تعهد لمن يشكره أن يحفظ عليه نعمته ويزيدها له ، ثم يتضح لنا أن للشاكرين فوق هذا مقاما عند الله . قال عنه علماء الإسلام : إنه فوق مقام الصابرين على البأساء .

أما من يسىء فى النعمة أو يشح بها فإن نعمته لا تستقر فى يده ، بل تكون على وشك الزوال حتى تند عن قبضته كما يند البعير المطلق من عقاله ، وهيهات أن تعود .

النعمة المشكورة والنعمة المكفورة

كانت النعمة مشكورة عند أناس فكان شكرها سياجا لها ومزيدا مطردا فيها ، ولكن الشاكرين قلة فى الناس ؛ لأنهم الصفوة الممتازة فى التفكير وفى الميول .

قال تعالى فى سورة سبأ :

يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

وكانت النعمة مكفورة عند أناس ، فقصر بذلك أجلها وتقلص عنهم ظلها ، ولم يبق لهم بعدها سوى غم يساورهم وحرمان يؤرقهم وحساب شديد ينتظرهم ، وكانت لهم العبرة لو فطنوا ، ولكن للنعمة المكفورة طغياناً وللأهواء سلطاناً فهم أنانيون .

قال تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾

ولننظر – على سبيل المثال – إلى قارون الذى كان من قوم موسى ، وقيّد الله – تعالى – له الدنيا بخيرها الموفور ، حتى فتن المتطلعون إليه فى زينته ، ونصحه عقلاء قومه أن يتريث فى غروره ولا يفرح ، وأن يثوب إلى شكر الله .

قال تعالى فى سورة القصص :

إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

ولكن قلبه كان مغلقا فلم تجد نصيحتهم سبيلا إلى وجدانه ، وطغى عليه كبرياؤه فكان جوابه :

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

القصص

وكأنه يقول إن نعمتى جاءتنى من جانبى لا من جانب سواى ؛ فإن لى من العلم فى كسب الأموال وتدبيرها ماليس لأحد مثلى ، فلست مدينا بشكر ، ولا متهما بكفر . ولكن الله لا يغفل عن من تمادى فى غيّه وضلالته .

قال تعالى :

« فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ » القصص : ٨١

وذهبت دولة قارون فى لحظة من زمن وعادت دنياه خرابا كأن لم تكن بالأمس وليس قارون هو العبرة الأولى ولا العبرة الأخيرة ، والله ينبه على ذلك بقوله :

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ القصص

ضرورة الاستجابة لله تعالى

قال تعالى فى سورة البقرة :

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

فهنا تكليف بالدعاء لله ، ووعد كريم بالاستجابة من الله . ولكن العيب كل العيب على الإنسان أن يعرض حين الرخاء ، ثم يستكين ذليلا حين الشدة والله لايحب من عبده ان يكون متناقضا مع نفسه ولا متقلبا مع ربه ؛ فإن الإيمان لا يتلون بألوان الحاجة ولايتسع للمخادعة ولا يسمح بالتقلب الزمنى بين الرخاء والشدة . فكيف يستطيب العبد دعاءه ساعة ، ويعرض عنه ساعة أخرى .

الدعاء عن عقيدة

إن الله لا ينكر على عبده الدعاء فى ساعة الشدة بل يأذنّ فيه ويقول – فى سورة الأنعام :

فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

يعنى هل تضرعوا حين البأس ؟ فإن الله هو الذى يكشف الضُّرّ ، وإنما ينكر الله على عبده أنه

لا يدعو عن عقيدة ولا يتعلق بالرجاء عن إخلاص فدعاؤه حين شدته كان دعاء المحتاج لا دعاء المؤمن القوى فى ثقته بالله أينما كان .

وعلى هذا نرى : أن المطلوب من الإنسان أن يكون على سواء فى تعلقه بالرجاء من الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى حالتىّ الرخاء والشدة ، فتلك هى الضراعة العزيزة عند الله ، وهى الوسيلة المجدية فى توثيق الصلة بالله ـ عزّ وجلّ .

وهناك صورة اخرى من صور الانانية وهى ان بعضنا يأخذه صلفه فى بعض ساعاته فلا يخشع ولا يضرع حينما يتعرض لأمر لا يحبه يتجهم للقضاء وييأس من الدعاء ويقف موقف الغاضب وكأنه أخذ على الله عهداً ألا يذيقه بأساً أو كأنه فوق الناس جميعاً ؛ فإذا مسه شىء من السوء لوى كشحه فى ضجر ، واعترض فى سخط ، وازداد يأسه ، وانصرف عن رجاء الله ، فلم تكن هذه أنانية فحسب ، بل هى قنوط لم يحسب له حساباً أو هى غطرسة وسوء أدب وضعف إيمان ، وفى هذا يقول رب العزة ـ تبارك وتعالى ـ فى سورة الإسراء :

« وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا » من الآية ٨٣

كما يقول ـ تعالى ـ فى سورة الفجر :

« فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ »

الأنانية عند الإنسان والقصص القرآنى

وإن حديثنا عن الأنانية عند الإنسان لا يقف بنا عند حدود القصص القرآنى ، وإنما هو استعداد من تلك التوجيهات حتى ترتقى أنفسنا فى سموها عن مواطن النقص والضعف ، وأنت ترى أناسا بيننا حتى من المتعلمين ، بل من الذين يقرءون القرآن ، لا يطيب لهم عيش إلا فى دخان الأنانية ، والحقد والضغينة ، والتطلع إلى ما فى أيدى غيرهم ، فهم يزاحمون الغير فى أرزاقهم المادية ، أو فى مكاسبهم الأدبية بمحاولات هزيلة عن طريق الزلفى الرخيصة إلى غير ذلك من الأخلاق المرذولة التى لا يرضاها إلا من تبلد شعوره ، وتخلف وعيه ، فاستباح مايراه الدين والعرف محظورا ، وإنك لتسمع فى كل بيئة شكوى من هؤلاء الأنانيين الذين تتصدع بهم الجماعات ، وتنتهى إليهم الفريات ، ويضطرب على يدهم الإخاء ، وكثيراً ماتدور عليهم الدائرة وتعصف بهم رذيلتهم ، وكم من أناس بلغ بهم الحظ ما بلغ ، وارتفعت بهم الأسباب الزائفة ، ثم اهتزت بهم الأنانية يوما فسقطوا فى الحضيض واختفوا عن الأعين واقترنت ذكرياتهم بأقاويل السوء فبعداً للأنانية وسحقاً للأنانيين .

الفتاوى

يجيب عليها علماء لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

س ١ - أريد تفسيراً فقهيا على المذاهب لقوله تعالى فى سورة النور : « وانكحوا ... الآية ٣٢ والأحكام الخاصة بالآية الكريمة من أمرها الصريح .

س ٢ - ما تخريج قول الرسول - ﷺ - « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه الحديث وما درجة صحته ، وأحكامه الفقهية ، وما حكم المخالف لها ؟

س ٣ - هل المخالف لنص للآية والحديث أن كان صحيحاً يكون مخالفا لنص الآية رقم ٥٢ من سورة النور « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ » .

أفيدونا أفادكم الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بقوله تعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ سورة النور

أن الله تعالى يأمرنا بتزويج غير المتزوج من ذكر وأنثى ، لأن الأيم من لا زوج له من الأحرار كما يأمرنا سبحانه بتزويج العبيد والجوارى إذا لم يكن لهم أزواج وأن على المسلم أن يلتمس الرزق بالنكاح كما ذكر النبى ﷺ .

أما الحديث فصحيح رواه أصحاب السنن والمراد به حث أولياء أمور الفتيات أن يجعلوا مقصدهم عند الاختيار لبناتهم الدين وأن يفضلوا صاحب الدين على من كان غنياً لادين عنده ومن خالف تعاليم النبى ﷺ لم يسعد فى الحياة الزوجية رجلًا كان أو أنثى لأن النبى ﷺ يقول فأظفر بذات الدين تربت يداك .

أما من خالف نص القرآن والأحاديث النبوية فإنه يخرج من الإسلام لأنه استهان بهما ، وإن تمسك بهما دخل ضمن قول الله تعالى « ومن يطع الله ورسوله الله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » .

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد محمود حامد النابى القاهرة

يتناول البعض ما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم من خلاف ما وبالأخص ما دار بين على ومعاوية رضى الله عنهما دونما فقه أو دارية بحقيقة الأحداث والوقائع ورغم أن السلف الصالح من أهل السنة والجماعة قد تناولوا تلك المسائل بما شرح صدر المؤمنين وأطمأنوا إليه . فمازال البعض يردد ادعاءات مثل :

١ ـ الطعن فى إسلام معاوية وأبيه وأمه رضى الله عنهم .

٢ ـ الادعاء بأن هؤلاء الثلاثة أى معاوية ووالديه ليسوا من الصحابة الذين أجمع العلماء على عدالتهم .

٣ ـ القول بأن الذين انحازوا لمعاوية رضى الله عنه كانوا « مرتزقة » و« كلاب سلطة » نرجو من فضيلتكم توضيح الحق فى تلك المسائل الأربع ، كما نرجو توضيح إن كان القائل بهذه الادعاءات آثم ، وماذا عليه ـ أى القائل بذلك ـ إن كان من المتعرضين للأحاديث العامة ومجامع المسلمين كالجمع وغيرها

افيدونا أفادكم الله .

بسم الله الرحمن الرحيم : لا يحل الطعن فى معاوية ولافى والديه وهم صحابة أجلاء قال فى الجوهرة :

أول التشاجـــر الـــــذى ورد
إن خضت فيه واجتـــنب داء الحسد

فلايحل الطعن فيهم خصوصاً وأن معاوية أخو أم حبيبة أم المؤمنين وأبو سفيان والدها وهند أمها ومعاوية كاتب الوحى لرسول الله ﷺ وهؤلاء الثلاثة من الصحابة الذين أجمع المسلمون على عدالتهم وكل من على ومعاوية كانا مجتهدين والمجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد وكل منهما تبعه جنده المنفذ لأوامره ولاذنب على الجندى لأنه ينفذ أمر قائده .

ومن سب الصحابة فهو آثم لقول النبى ﷺ : إذا ذكر أصحابى فأمسكوا ولقوله: «اللهالله فى أصحابى فلو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وعلى من يرشد المسلمين أن يلم بالسيرة الصحيحة وأقوال الفقهاء فى الخلاف الذى وقع بين الصحابة حتى لايخوض فيهم ولاينتقص قدرهم .

السؤال من السيد / يحيى محمود راسم

أرجو أن يقوم الأزهر الشريف بانشاء (مشروع الأضحية) على غرار المنفذ بالمملكة العربية السعودية ، وذلك بأن يتم تحصيل مبلغ الأضحية .. على أن يتم تجميعها وذبحها وتوزيعها حسب الشريعة .. لأنكم تعلمون مدى ضيق الأماكن والمساكن .. وصعوبة الشراء بل والتوزيع .. وما إلى ذلك .

أفيدونا أفادكم الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروع الأضحية فى مصر لايشكل موضوعا يشغل البال لكثرة الفقراء المحتاجين إلى لحوم الأضاحى فى مصر وكل من يذبح أضحية يجد من الفقراء ما يزيد عن لحم الأضحية ولهذا لاتقاس

الأضحية على الهدى فى السعودية لأن ملايين البشر يذبحون فى وقت واحد وفى مكان واحد، فلو لم تحفظ هذه اللحوم لضاعت على الناس، وليس ضيق الأماكن والمساكن مبرراً لعمل مشروع تجميع الأضاحى وكذلك ليس من الأعذار صعوبة الشراء والتوزيع، فما أكثر الفقراء، بل الأضحية يوزع منها جزء كبير على الجيران والأصدقاء والأقارب على سبيل الهدية .

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد/ علاء محمود هيكل المحامى دكرنس ـ دقهلية

توفى رجل وترك زوجته ، وثلاث إناث له ، وأخت لأب وأولاد ذكور لشقيقه المتوفى قبل وفاته بكثير .

فهل يرث أولاد الأخ الشقيق المتوفى قبل وفاة المورث ، وهل ترث الأخت لأب أم لا ؟ أفيدونا أفادكم الله .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنات الثلاث الثلثين فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى والباقى للأخت من الأب تعصيبا ولاشى لأولاد الأخ الشقيق لحجبهم بالأخت لأب لأنها صارت عصبة مع البنات والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/عبدالله الصعيدى ـ بلقاس ـ المعصرة شرقية :

١ ـ اضطرت المرأة إلى الخروج للعمل نتيجة الظروف الاقتصادية إلا أننا نجد بعض النساء يعملن فى مجالات لاتناسب طبيعتهن .

فما حكم الدين فى مزاولة المرأة أعمال الرجال ؟

٢ ـ بعض الفتيات يعلقن حليا ذهبية أو فضية على صدورهن ، كتب عليها آيات من القرآن الكريم للتبرك بها ، وتدخل بها الحمام .

فما الحكم فى هذا الأمر ؟

الجواب

الحمـد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد ، فنفيد عن الأول : بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خلق المرأة لتكون زوجة للرجل يأنس بها ، ويسكن إليها ، وتكون قيمة على بيته ، ومسئولة معه عن تربية أولادها ، فإذا اضطرتها الحاجة إلى العمل فلا مانع من ذلك بشرط مراعاة الآداب الإسلامية والشرعية التى أمر الله بها حين تعمل المرأة خارج بيتها مع عدم اختلاطها بالرجال ، وأن يكون عملها مناسبا لطبيعتها ، وغير ذلك لايجوز ؛ فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، والله المستعان .

وعن الثانى نفيد : بأنه لامانع شرعا من كتابة الآيات القرآنية على الحلى التى تتزين بها المرأة تبركا بكلمات الله وسنة رسوله الكريم ﷺ وإن كان الأفضل خلعها عند ارتياد الأماكن التى تكثر بها القاذورات أو النجاسه ؛ مثل دورات المياه وغيرها ، احتراما لما كتب عليها من قرآن وسنة والله الموفق ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

الشعر والشعراء

للشاعر الأستاذ / رشاد يوسف

جراح المسلمين

شعر الأستاذ/ حسين أحمد إسماعيل

أحبائى لكم قلبى وعقلى   فقلبى مِلْؤُهُ حبٌّ وشوقُ
وعقلى ملؤه ألمٌ دفينٌ   وفيه مرارةٌ : غيظٌ وحنقُ
تشابهت الدروبُ فأين دربى ؟   وأين الخيلُ .. إقدامٌ وسَبْقُ ؟
وأين الفاتحون لكل ثَغْرٍ ؟   رجالٌ سيفُهم رعدٌ وبرْقُ
وأين القائمون لكل خطبٍ ؟   رجالٌ وعدُهم لله صِدْقُ
وأين العالمون بكل أمرٍ ؟   رجالٌ علمهم بالحق حقُّ
تقدمت الدُّنا فى كل فج ...   وهذا ليلُنا للأفْق أفْقُ
أنحيا فى بلاد الله ضَعْفاً ؟   يهاجمنا الخسيس ويَسْتَرِقُّ
تفيض دماؤنا فى كل أرضٍ   وهذا جُرحنا سيلٌ ودفْقُ
جراحٌ لَاتُضَمُّ لها شفاةٌ   وأشجانٌ لها فى القلب رَشْقُ
«أمعتصماهُ» تبكى كل يومٍ   فمن للثاكلات ، ومن يرقُّ
فكل كلامِنَا قولٌ مُعَادٌ   وكلُ فِعَالِنا هُزْءٌ وحُمْقُ
يموتُ المسلمون اليومَ جُوعاً   وللغربان فى الآفاق نَعْقُ
وإخوانٌ لنا لكن علينا   فكلُ حياتِهم كأسٌ وعشقُ
أحقاً كنا للدنيا رجالا   وكانت أرضُنا للعلم شَرْقُ
وكانت أرضُنا أرضاً حَراماً   وهذى أرضُنا قَتْلٌ وحَرْقُ
بلادُ المسلمين لقد أُبيحتْ   صلاحَ الدين ياسيفاً يَشقُ
أما تصحو لقد نامت رؤانا ؟   ونامت خيلنا والليل دَفْقُ
وداس قلوبَنا وغدٌ صَفيقٌ   وتلك طباعهُ: غَدْرٌ وفِسقُ
سلاماً أرضَ أندلسٍ سلاماً   أيا سيفاً له فى القلبِ عُمْقُ
أأندُلُسَيْن أبكى أم ثلاثاً ؟   فلسطينَ التى فى القلب شَقٌّ
وفى « البوسنا » وحوشٌ هائجاتٌ   تُساندهم قلوبٌ لاترِقُّ
أقطعانٌ تُساق بكل دَرْب ؟   وكلُ كلامِنا جَهْلٌ وحُمْقُ
سبايا نحن . نضحك للبلايا   كأن الشرَ خيراتٌ ورزقُ
أعوذُ الشعرَ من لين القوافى   فهذا الشعرُ تَجْريحٌ وحَرْقُ
ألا هبُّوا فقد هبَّتْ رياحٌ   رياحُ الشَّرِّ أغلالٌ وَرِقُّ
ألا هبوا فقد هبَّتْ رياحٌ   أفيقوا فالحياة اليومَ سَبْقُ

مأساة كشمير

للشاعر: رشاد محمد يوسف

يا أمة كثرتْ فيهَا الأَعَاصيرُ ... وشَابَ نضرتَها همٌّ وتكديرُ
تنازعت أمْرَهَا ، والخلف أجهدها ... فلا تحركها تلك المحاذير
فى كل أرضٍ من الإسلام مَذْبَحَةٌ ... وللدماء مساراتٌ وتفجير
يا أمتى ـ وجراح الأهل نازفةٌ : ... هل تعلمون بما تلقاه « كشمير » ؟
تناولتها الليالى فى تقلبها ... وأرهقتها عداواتٌ وتكفيرُ
وعسكر الهند قد دكُّوا مآذنها ... فَغَابَ عن أفْقِهَا الله تكبيرُ

● ● ●

كشميرُ فى الأسر تَلْقَى الضَّيْمَ باكيةً ... ولَيْلُهَا ضارعُ الأنَّاتِ مذعور
جزيرةٌ فى بِحَارِ الكفر غارقةٌ ... ومسجدٌ من بيوت الله مهجور
مباحةُ العِرْضِ فالهندوسُ تسحقها ... والسيخُ تبطش والباقون تنصير
والموتُ يحصد أطفالا مقرَّعَةً ... بريئةً دميت فيها الأسارير
شَقُّوا بطونُ الثكالى مَزَّقُوا جَسَداً ... قد حرَّمَ الله أن يلقاه تحقير
وللضحايا أنينٌ فى مسامعنا ... والعَيْنُ باكيةٌ والعَزْمُ مقهور

● ● ●

والعَالَمُ الجامدُ الإحساسِ يَرْقُبُهَا ... وجَفْنُه عن بَنِى الإسلام محسور
ومجلسُ الأمنِ لاأمنٌ يحققه ... لكنَّه لهَوَى الأعْضَاءِ مأجور
فإنْ تحرَّك فالأهدافُ قد رسمت ... ففى الصومال مجاعاتٌ وتدمير
وفى العراق أباطيلٌ ملفقةٌ ... والْبُسْنُ أرهقها قتلٌ وتقتير
وخلفه هيئةٌ تنسى مبادئها ... ميثاقها كان للغرب مسطور

أمـينها عنــده الأسبــاب جاهـــزة ... وكل بطـــن له عذر وتبريـــر
أعــدَّ تقريـــره قبـــلا ودبَّجَـــه ... ياسوء مافعـلت فينـا التقاريـــر
فكـــلُّ شيء مبــاحٌ عندهـــم ولهم ... وكـلُّ حقٍ لأهْـلِ الحَـقِّ محْظـور

● ● ●

ياعالم الشرك ماهانت عقيدتنــــا ... فديننـــا فى أمـــان الله منصور
بقـــوة الحق والإيمان نحفظــــه ... من أن يهدِّدُهُ شركٌ وتـــبشير
وُضُوءُهـم رَوَثُ الأبقـار ماطهـروا ... وكيف يرجى لدى الهندوس تطهير ؟
قد حرّمُـوا ذبحهـا والجوع يأكلهـم ... وقد أبيحت لها الساحـات والـدور
وآخـرون لدى تمثـالهم سجـدوا ... يسبحـــون ومـــافى قلبهم نور
بُوذَا زرادشْت كونفشيـــوس برهمة ... على العقـول لهم سحـــر وتـــأثير
عقائـــد مالها وحـــى ولا رسل ... ومـا لها عنـد أهـل العلـم تفسير
لكنها نحل قامت على سفــــه ... أقامهـا الإفك والتضليـل والـــزور

● ● ●

« كشمير » تصرخ فى الآفاق ضارعـة : ... من أجـل عرضكـم ياأمتـى ثوروا
من أجل قرآنكم من أجـل ملتكـم ... من أجل حرمتكم حان الفـدا سيروا
ماذا نقـــول أمـــام الله فى ملأ ... وهـل تقـال لدى الله المعاذيـــر ؟
قال : « انفروا » واغضبوا لله واحتسبوا ... فمـا نفـرتم ومـا للقــول تأثير
ياأمتـــى لم يعــد للأمـــر تأخير ... فالأمـر ماحكـمت فيـه المقاديـــر
جراحنــا يابنـــى الإسلام قد كثرت ... والمسلمــون ملايين مغاويـــر
وعندنــــا ثَرَوَات لاحدود لها ... تضاعــفتْ ورَبَتْ تلك القنـــاطير
فغيروا مابكـــم فالوعــد مدّخــر ... حتـى يتـمَّ من الـــرحمن تغـيير
بيعـــوا إلى الله أرواحـــاً وأرصدة ... وسارعـوا فطريـق الـــنصر ميسور
« كشمير » تذبح و« الصومال » ضائعة ... وفى فلسطين والبلقـــان تذكير
أيـن الفـداء وأيـن الباذلـــون له ... والديـن بذلٌ وإقـدام وتحريـــر
فُكُّوا إسار بنـى الإسلام واعتصمـوا ... ووحدوا الـرأى فالتوحيـد دستـور
لاعيش إلا ولـلإسلام فى دمنـا ... كلُّ الـولاء وللقـرآن تقديـــر
لم يعـرف الضيم يومـاً فى مسيرتـه ... وكـلُّ أيامـه عدل وتنويـــر

● ● ●

العزف على الوتر الأخير

للأستاذ الشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين

لستُ أدرى ما مصيرى بعد موتى واندثارى
أخفتْ الأقدارُ ما ألْقاهُ فى دار القرار
رَجْفةُ تسرى بأعضائى وقلبى المُسْتطار
كلما فكَّرْت فى أنّى ـ من الإحسان ـ عار
لكن الإيمان بالرحمن يُقى لى وقارى

★★★

كُنْ أنيسى يا إلهى عندما أثْوِى بقبرى
أعْزلا من كل شىء غير إحسانى .. و .. وِزْرى
إن أقوالى وأفعالى ونبضى .. طول عمرى :
فى كتاب قد حَوَى ما غاب عن وعْيى وفكرى
لهْفَ نفسى ما مآلِى بعد موتى ؟ لسَت أدرى !

★★★

منك يا ربى إلى الدنيا ـ بلا قصْدٍ ـ أتيت
وإليك العَوْدُ حتما بعد عمر .. قد قضيت
بين إتْيانى وَعوْدى عنكَ ربى .. ما نأيَتُ
غير أن الطبع فى الإنسان يُنسِى .. ما وعيْتُ
فاغتفِرْ لى يا إلَهى فى حياتى .. ما أتيت

★★★

ما تزال الأرض بالخيْرات والنُّعْمَى تجودُ
كل يوم ، كل فصل ينفح الدنيا .. جديد
إن شمس الله ما زالت ـ إذا وَلَّتْ ـ تعود
والوجود الحىُّ يجرى فى انتظام .. لا يحيد
ما الذى يُؤْسِى ويُبْكِى أيها القلبُ العميد ؟

عاشق بالباب

شعر: ابراهيم عيسى

عاشقٌ بالباب حيرانٌ مُعَنَّى   سَمِعَ النورَ يناديه فحَنَّا
مَدَّ بالنجوى ذراعاً ضارعاً   فأى النورُ عن النجوى فَجُنَّا
وطواه الموجُ فى تيَّارِهِ   وشراعٌ فى الليالى يتَثَنَّى
شيَّبَتْ أشواقَه الدنيا وما   عاد إلا بأمانيه ... فأنَّا

● ● ●

ومشى فى الليل معصوبَ السنا   يَتَشاكى من هوى ليلى ولبنى
دربُه الغائمُ يطوى عمرَهُ   يسأل الأيامَ قلباً مطمئناً
طالما ضجَّتْ به غربتُه   مسرفاً فى ذنبه لا يتأنَّى
يحمل الخوفَ حريقاً باكياً   نادمَ الحسرة .. بالآهات مُضْنَى

● ● ●

كل أحزان الزوال ارتطمَتْ   بسؤال عن عذابٍ ليس يَفْنى
فتهاوى عند أعتابكَ يرجو   فى حماكَ رحمةً تُنبِتُ أمْنا
وهو بالذنب إلى صَفْحكَ يهفو   وهو بالحب إلى بابِكَ أدْنى
أوْرَقَ الفجرُ على بستانه   فسقَى من نوره قلباً وعَيْنا

● ● ●

نحن ماشئنا دروباً فى السُّرَى   إنما أمْلَتْ لنا الدنيا فَتُهْنا
أنتَ .. يا أقربَ لى منى .. أنا   عاشق بالباب حيرانٌ مُعَنَّى
أعْطِنِى مِن أى كَفٍّ شئتَها   فكِلَا كفَّيْكَ يا مولاىَ يُمْنَى

إنَّه المصريُّ في آياته (*)

شعر الأستاذ / عبد الغفّار الدلاش

وَاكَبَ التـــاريخ شهمـــاً بطـــلا ‏ ‏ ‏ مَا سَــــلَا الأمجادَ مهمـــا بَذَلا
كم صروحٍ خالـــداتٍ شادهـــا ‏ ‏ ‏ لم تنـــلْ منـــهُ الليـــالى معقـــلا
حكمـــةُ الأيـــامِ فى منطقـــه ‏ ‏ ‏ من قديم الدهـــرِ صاغَ المثـــلا
فاسألـــوا الأهـــرام عن آياتـــه ‏ ‏ ‏ عن فنـــون العلـــم صارت عمـــلا !

•••

واسألـــوا النيـــل الـــذى رَوَّضَـــهُ ‏ ‏ ‏ فى فروع قدَّمتـــــهُ سَلْسَـــــلَا
حوَّل الصحـــراء روضاً يانعـــاً ‏ ‏ ‏ كلَّمـــا شقَّ وأجـــرى جدولا
سجَّـــل الأحـــداث فى تاريخه ‏ ‏ ‏ فى نقـــوش الصخـــر عاشت أزلا
واسألـــوا الْبَـــرْدِىَّ عن أيامـــه ‏ ‏ ‏ دوَّن العلـــــمَ بها مختـــــزلا
إنها مصر . وهـــذا شعبها ‏ ‏ ‏ لم يَجِدْهـــا المجدُ إلا موئـــلا
هذه « هاجـــــر » لما هرولت ‏ ‏ ‏ يقتـــــدى الحجُّ بها ما هرولا
« أُمُّ ابراهيـــمَ » جاءت بعدهـــا ‏ ‏ ‏ عنـــد خيـــرِ الخلـــق حلَّت منـــزلا
وبأهلِ النيـــل وَصَّـــى « المصطفـــى » ‏ ‏ ‏ باتخاذِ الجيش منهم جَحْفَـــــلَا

•••

اسألـــوا التـــاريخ عن آياتـــه ‏ ‏ ‏ واسألـــوا النـــاس على كلِّ الملا

★ نظراً لضيق المساحة اضطررنا لاختيار أبيات من هذه القصيدة الغراء فمعزرة للشاعر الكريم .

عن نصير الحق يُعْلِــــى شأنــــه بَالــــغ البـــأسِ يُذِلُّ الباطــــلا
أذهــــل الدنيــــا بما وَرَّثَهَــــا من فنــــون كان فيها مذهــــلا

• • •

وفنــــــون الحرب مازال بها سَيِّــدَ الميــدان فيمــا حصَّــلا
ذلك « الأستــاذُ » عمــلاقُ النُهــى كيــف أثــرى الدهــر فيمــا نحلا !
دائمـــــاً يمضى إلى أمجاده طاهــر الثــوب عفيفــاً بطــلا

• • •

هذه مصر وهــــــــذا شعبها خيرهـــــا الخير توالى وابــــلا
شيـــد الإسلامُ فيها « أزهــــراً » جاوز السُّــحْبَ سنــاءً وَعُــلَا
قدَّم الأعلامَ فرسان الهدى صاغهــم للحــق فى دنيــا الْمَـــلا
ومنــــــارات على طول المدى تكشف الزيــف وتُــزرى الباطــلا
تنشر العلــــم نقيًّــــا خالصاً تجعــل التوحيــد فيــــه أوَّلا

• • •

قبلــــةَ التــــاريخ فى أيامـــــه لم يزل سحـــرُك فيــــه مثــــلا
يا منــار الأرض يا أفـــق الـــورى يا حيـــناض العلــــم ظلَّت منهلا
فى أذان يملأ الدنيـــــــا صدىً يجعـــل الكـــون جميعـــاً ثِمـــلا
إنما الطاغــــوت فى إسرافــــه لم يكــــن إلا مقيتـــا ممحـــلا
دمَّــــر الشر الــــذى دبَّــــره ومضى عنـــا بعيــــداً وَ .. جلا
إنما المصرىُّ فى إقدامــــــــه يقهــــر الأرزاءَ مهمــــا أُثقِـــلا

صرخة معلم

بقلم الشاعر/ تمام مخلوف *

قم بالمعلم واترك التبجيلا ... كاد المعلم أنْ يضلّ سبيلا
ضاقتْ عليه حياته وتكدّرتْ ... بالله كيف ينير بعدُ عقولا
لا خير فى بلد يذلُّ معلما ... بئس الحياة إذا قَتَلْتَ رسولا

الجهل يرفل والرذائل تزدهى ... وترى الظلام إذا رأيت بديلًا
ادْعُوا رجال الاقتصاد جميعَهمْ ... يتداولون الرأى والتحليلا
كيف الحياة براتبٍ لم تبقه الـ ... أسعار إلا مُوطَأً مقتولا

هَبْ أنه نال المقابر مسكنا ... وأقام فوق رفاتها مذلولا
وأُقِيل من دَفْع المقدّم رأفةً ... وغدا المعذّب بعد ذا مسئولا
وأراد أَنْ يحيا براتبه فقطْ ... حتى يقيِّضَ ربُّهُ تبديلا

ترك الملابس واكتفى بإزارِهِ ... والعيش دون إدامه مأكولا
لم يتّخذْ زوجا وليس بعائلِ ... وبصحة لم يغدُ بعدُ عليلا
وتشقّقَتْ قدماه من بعد الوجَى ... فى غلظة شاهت وجاكت فِيلا

لا شكَّ أنّ الجوع مُورده الردى ... صدق الذى زعم المجاعة غولا
أو هكذا يا مصر يُجزَى وارث الرسل الكرام مذلّةً ومُحُولا
فمن الذى يا مصر يمضى حاملا ... قَبسَ الحضارة صائغاً إكليلًا

ظلموك يا مصر الحضارة عندما ... سلبوا الوقود فأطفئوا القنديلا
كيف الرخاء إذا فقدتِ معلمًا ... يبنى العقول ويُحسِن التشكيلا

كيف الشجاعة إن فقدتِ معلما ... حرًّا شجاعاً لا يهاب نصولا
إنّ المعلم إنْ أهَنتَ حياته ... أهداك عقلا مُظْلِماً مشكولا

* مدرس ثانوى بالأزهر - فرشوط - قنا

قلبي لمصر فدى

قصيدة الشيخ: سراج الدين معزوز

قلبي لمصر . قديماً كنت أهواها … والحمد لله أنا اليوم زرناها
ها مصر ، ها بلد الأبطال من قدم … كم عبقرى سما قد رام سكناها
وكم نبيّ عظيم القدر حَلَّ بها … بنوره فأضاءت منه أرجاها
فاذكر بذاك خليل الله حين أتى … أهدت له من بنات الطهر أزكاها
فهاجر أم إسماعيل قد هجرت … ماليس يحمد عند الله مولاها
فأنجبت خير من يرجى لمكرمة … يا فخر مصر بما الرحمن أولاها
واذكر بذا يوسف الصديق جيء به … ظلما فبُدِّل عطفا عند مولاها
لما تبناهُ ذاك القَيْل مغتبطاً … حتى تبوأ عزاً إذ تولاها
أولاد يعقوب جاءوا فى مجاعتهم … ولم يخب قط من يرتاد مرعاها
فكان ما قصه الرحمن من كرم … ومن جزيل صلات دام ذكراها
وتلكَ أُسْرةُ الخير إذ بَعُدَت … عن القساةِ فكانت مصر مأوها
فاستقبلوا الخير بالترحيب ، واحتفلوا … كأنما حَلَّ فيهم يوم بشراها
واذكر مقوقس من بعد إذ وردت … رسالة المصطفى قد جل فحواها
فكاد يُسْلِمُ لولا خوف أمته … واختار من طيبات الأرض أغلاها
هدية لرسول الله وافتتحت … من بعدهِ مصر صلحا يا لبشراها
تلك الروابط من صهر ومن نسب … بحكمة الله فيها سر مغزاها
وصية المصطفى تكفيكمو شرفاً … يا أهل مصر بما يحويه معناها
تلك المآثر يبقى الدهر يذكرها … فخراً ويقصر عنها من تقصاها
حسبي بما قلت فيها عند مطلعها … قلبي لمصر . قديماً كنت أهواها

---

(١) الشاعر عضو وفد (غينيا بيساو) فى الدورة العالمية الثالثة والعشرين للأئمة والوعاظ التى تنظمها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية* بالأزهر الشريف .

من علمائنا المعاصرين

محمد زاهد الكوثري

- ١ -

أ.د / محمد رجب البيومي

يُطلقون وصف الراوية على من يحفظ الكثير من روائع الشعر العربي ، فلماذا لايتسعون فيطلقون هذا الوصف على من قرأ كتب التراث الإسلامى فى شتى فروعه المختلفة قراءة الدارس المستوعب الناقد ، ومن تتبع المخطوطات الإسلامية عربية وغير عربية فى شتى الأقطار المترامية ليقرأها فى فروعها المختلفة ، إننا نعهد من يتخصص فى دروس التشريع من فقه وأصول وتفسير وحديث لايلم بكتب العقيدة ودقائق علوم التوحيد والمنطق والفلسفة ودعك من علوم اللسان كالنحو والصرف والبلاغة واللّغة والأدب ، فما بالنا نجد الأستاذ الكوثرى يقرأ كتب التراث الإسلامى فى شتى مناحيه ، قراءة ترشحه لأن يكون أمين هذا التراث فى مختلف تياراته ، لأنه لايقرأ قراءة المتعجل بل قراءة الفاحص الناقد البصير ، حتى لنعجب حين نجد من يحققون كتب الكلام يتطلعون إلى مصباحه المضىء ، فنظنهم وحدهم تلاميذ الرجل على حين نرى رجال الفقه على مختلف مذاهبه يعشون إلى ضوئه حين تنبهم المسائل ، وتتدجى وجوه الرأي ، فيجدون شفاء الصدور ، واطمئنان اليقين ، فإذا كان المجال لمحققى كتب اللسان العربى ، فإن استشارة الكوثرى لهم ضرورة ملزمة ، إذ يجمع المحققون على اختلاف مشاربهم ، وتنوع اتجاهاتهم على إحاطة هذا الحبر فى شتى الميادين ، وما شهدنا إلا بما رأينا ، فقد كان مجلسه العلمى فى مسجد أبى الذهب المقابل للجامع الأزهر الشريف بعد صلاة الجمعة فى كل أسبوع مجال تسابق علمى بين المحققين إذ يعرفون أن الرجل الكبير لايبخل بعلمه على أحد ، وقد يستحيون من كثرة التردد على منزله العامر بالعباسية ، فينتهزون فرصة صلاة الجمعة بمسجد أبى الذهب ليردوا مورده العلمى ، والكوثرى الجليل رحب الصدر ، رحب العلم معاً ، وطبيعى أن يكون هؤلاء الكبار ممن لايسألون عن غير العويص المستغلق ، وما أعياهم اكتشاف وجهه بعد طول الدأب ، وعناء المراجعة ، ولكن من غير الطبيعى - إلا لدى من اختصه الله بفضله - أن يكون المسئول الكبير ملما بكل مايسأل عنه ، وكأنه سئل من قبل فدرس ونقب حتى اهتدى إلى الرأى الصائب ، مع بديهة حاضره تقوم مقام الروية المتئدة عند سواه ، وقد يأتيه باحث بمخطوط نادر يظن أنه وحده الذى اطلع عليه ، فهو يباهى به مباهاة لاتقف عند حد ، ثم يفاجأ بأن الكوثرى قد قرأ المخطوط فى أكثر من نسخة ، وأنه

يشير عليه بالاطلاع على مخطوطات أخرى فى مكاتب العالم الإسلامى عربية وغير عربية ، كما يقدم إليه المخطوط النادر ، فيعرف من طريقة نسخه من الكاتب ؟ وفى أى سنة كتب ؟ ويبدى احتمالات شتى لاتلبث بعد الفحص أن تصير إلى حقائق ، إننا نعرف كثيرا من الفضلاء يحرصون على جمع المخطوطات ، ولهم جهدهم المشكور لما بذلوه من وقت ومال واطلاع ، ولكننا لا نجد مثيلا للكوثرى فى قراءة هذه المخطوطات واستيعابها على نحو فريد ، ولعلنا نعترف بالفضل لأهله حين نذكر فى هذا المجال الشيخ طاهر الجزائرى ، والشيخ خليل الخالدى ، وأحمد باشا تيمور ، ولكن الكوثرى قد أربى عليهم بما قرأ واستوعب فى اللغات الإسلامية من عربية وتركية وجركسية وفارسية ! إن هؤلاء الأفاضل قد وقفوا عند التراث العربى وحده ، ولكن الكوثرى تجاوز هذا النطاق إلى ماهو أرحب وأوسع ، وقد يترجم نقولا مختلفة من هذه اللغات إلى العربية ويقدمها هدية لمن يسأله دون أن يحرص على نسبة الترجمة إليه ، وهى مثالية عليا نادرة الوجود .

زاهد أصيل

أذكر أن الأستاذ العقاد حين تحدث عن الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى رحمهما الله قال فى مقدمة حديثه[1] هو فريد عصره غير مدافع ، ولطالما قيلت هذه الكلمة عن عشرات من حملة الأقلام فى عصر واحد كلهم فريد فى عصره ، إلا أننا نقولها اليوم عن محمد فريد وجدى لنعيد إليها معناها الذى يصدق على الصفة حرفا حرفا ، ولاينحرف عنها كثيراً أو قليلاً حتى فى لغة المجاز ، نعم الفريد حتى فى لغة الجناس لأن اسمه فريد !

وما قاله العقاد عن فريد ، وانطباق الوصف الدقيق على اسمه ، أقوله عن (زاهد) فما رأينا من كبار العلماء من زهد فى المناصب العلمية المغرية على ما تمنحه من جاه ممتد ، ومال مسعف ، وعيش رافه كما زهد الأستاذ زاهد الكوثرى ، لقد دعى الى أن يكون أستاذا للغة التركية بمعهد اللغات لشرقية قبل أن ينضم إلى كلية الآداب ، فرفض ، لأنه رأى بين أساتذة المعهد مستشرقين يخفون مالا يبدون ، وليس من خلقه أن يزامل من لا يثق فى طويته ، ودعى لأن يأخذ أجرا على ما يقوم به من عناء التصحيح والتوثيق والتقدمة لبعض كتب التراث ، فرفض على شدة احتياجه ، وضيق ذات يده ، لأن ذلك فى رأيه قد يحول دون ثواب الآخرة ، وما عند الله أبقى وأفضل ! لقد قدم إليه تلميذه الناشر الكبير الأستاذ حسام القدسى مائة نسخة من كتاب قام على تصحيحه عاما كاملا فأبى ، وقال أخاف الا يجتمع ثواب الدنيا مع ثواب الآخرة ، وفى أزمة مالية مرهقة حين اشتدت به العلة ، وزادت تكاليف العلاج شاء تلميذه الأستاذ أحمد خيرى أن يمده بثمن الدواء وفاء لما قام به من تعليمه وتهذيبه وآثر أن يبيع كتبه الثمينة بثمن بخس ليجد ما ينفق دون مرارة تلحقه ، وقد أراد الأستاذ الكبير محمد أبو زهرة أن يكون الكوثرى أستاذا للطلاب بقسم الدراسات العليا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وكان الرجل يعانى أعباء الشيخوخة فقال لأبى زهرة ، ليست لدى القوة الجسمية التى أطمئن إليها فى تأدية الدرس على الوجه المنشود ! وألح أبو زهرة قائلا إن مجرد حديث الكوثرى مع الطلاب كسب أى كسب ، وأنه يتحدث مع كبار العلماء فيبهرهم ، فليجرب ذلك مع الطلاب ! ولكن الكوثـــرى قال :

(١) رجال عرفتهم للأستاذ العقاد ص ١٤٧ ط بيروت .

التدريس أمانة ، وله عندى ميزان خاص أخاف على نفسى أن أتجاوزه ، ولقاء الله قريب ! وخرج الأستاذ أبو زهرة من بيت الكوثرى ، وهو يضرب كفا بكف ، ويقول : عندنا من يدخل قاعة المحاضرات ، ولايستحيى من نفسه أن يصرف الوقت فيما لايفيد ، وهذا الكوثرى فى ضيق من العيش ، وضرورة لثمن الدواء ، يستشعر فداحة الموقف العلمى ، وينهاه ضميره الأدبى أن يتهيأ للتدريس ، مع أنه أهل له !! ثم يبعث زميله الأستاذ على الخفيف إلى الكوثرى مرة أخرى فيجده مصمماً على مايريد ! فيتكرر الرفض ، ويخرج الخفيف هو الآخر ليضرب كفا بكف !

وقد أحسن الأستاذ أبو زهرة كل الإحسان ، حين قال عن الكوثرى فى مقدمة كتاب (مقالات الكوثرى) الذى طبع بعد رحيله مجموعا من الصحف الدينية التى كان يؤثرها بنتاجه الغزير[٢] .

« إن ذلك الإمام الجليل لم يكن من المنتحلين لمذهب جديد ، ولامن الدعاة إلى أمر بدىء لم يسبق به ، ولم يكن من الذين يسمهم الناس بسمة التجديد لآن التجديد ، بل كان ينفر منهم ، فإنه كان متبعا ، ولم يكن مبتدعا ، وأنا مع ذلك أقول إنه كان من المجددين بالمعنى الحقيقى لكلمة التجديد ليس هو ما تعارفه الناس من خلع للربقة ، ورد لعهد النبوة الأولى ، وإنما التجديد هو أن يعاد إلى الدين رونقه ويزال عنه ما علق به من أوهام ، وبين للناس صافيا كجوهره ، نقيا كأصله ، وإنه لمن التجديد أن تحيا السنة ، وتموت البدعة ، ويقوم بين الناس عمود الدين ، ذلك هو التجديد حقا وصدقا ، وقد قام الإمام الكوثرى بإحياء السنة النبوية ، فكشف عن المخبوء بين ثنايا التاريخ من كتبها ، ثم عكف على جهود السابقين من الذين قاموا بالسنة ، ورعوها حق رعايتها ، فنشر كتبهم » .

وما قاله الإمام أبو زهرة يجب أن يكون موضع الاهتمام والنظر ، لأن من الكاتبين من يرى التجديد هدما لابناء ! بل منهم من يرى التجديد فى الشذوذعن الطريق السوى ، والافتيات على السابقين بغيا دون علم ، وليس ذلك بتجديد بل هو تدمير وتخريب .

ظروف حياة

ينتهى نسب الكوثرى إلى الجركس ببلاد القوقاز ، وللجراكسة عزيمة صلبة ، يعرفها من يقرأ سيرهم فى الحروب واقتحام الأهوال ، وأبناء الجراكسة من العلماء يحملون هذه العزيمة فى مضمار العلم والثقافة ، فلهم اعتزاز بالرأى ، ومجاهرة بالحق ، وعدم الخضوع لما يرونه باطلا فى الاتجاه ، وتلك صفات بارزة عرف بها الأستاذ محمد زاهد الكوثرى من عهد الطلب إلى أن سعد بجوار ربه الكريم ، صحبته هذه العزيمة طالبا حيث برز على أقرانه فى مجال الدراسة ونال الشهادة العالمية فكان الأول بين زملائه . وعين مدرسا بجامع الفاتح مباشرة لما شوهد من نبوغه المبكر ، ولكن الاتحاديين حينئذ قد أرادوا انتقاص المواد الدينية من جداول الدراسة لتحل محلها العلوم الحديثة ، فرأى الكوثرى أن يجهر بالمعارضة دون حذر ، ولاحظ الاتحاديون الاتراك صلابة موقفه فخافوا أن يلتف حوله من يستطيع إقناعهم باتجاهه ، وعملوا على إبعاده عن الاستانة مدرسا فى معهد فرعى وسط الأناضول ، ثم رأت الجامعة أن

---

(٢) مقدمة (مقالات الكوثرى) للأستاذ أبى زهرة ص (ب) ط أولى .

يعين أستاذا للشريعة الإسلامية عن طريق الامتحان بين المتسابقين من حملة العالمية مع الخبرة فى التدريس فتقدم الأستاذ الكوثرى للامتحان ، فوقع عليه الاختيار ، وغاظ الاتحاديين أن يرجع من الأناضول مرق إلى هذا المنصب الخطير ، فاكتفوا بانتداب أستاذ آخر دون تعيين أحد ، ولكن صيت الكوثرى دفع به إلى مجالات علمية حتى صار وكيلا للمشيخة الإسلامية فأصبح الرجل الثانى فى المنصب الدينى إذ لايتقدمه غير شيخ الإسلام فحسب ، ثم جهر بمعارضته الشديدة لهدم مدرسة دينية أراد الاتحاديون تحويلها إلى مستشفى عام ، وبادر فرفع دعوى إلى المحكمة المختصة موضحا أن المدرسة ذات وقف متعين ولا سبيل إلى إلغائه ، ولم تصل المحكمة إلى حكم عادل لأن الكماليين قد احتلوا الاستانة ، وأصبح أمرهم بالغ النفاذ ، بحيث لايخضع لرقابة قضائية فهدمت المدرسة ، وبدرت دلائل فصل الدين عن السياسة والدعوة الى العلمانية ، فجند الكوثرى جبهة لمحاربة هذا الاتجاه ، وصدر الأمر باعتقاله ، فلم يخف على نفسه قدر خوفه على إسكات أصوات المعارضة لهذا الحدث المنكر ، ورأى أن يفر بدينه مجاهدا إلى الله ، ليستطيع أن يتحدث بما يشاء ففر وحيداً أعزل من كل شيء وطاف ببلاد المشرق متنقلا بين القاهرة ودمشق حتى استقر بالقاهرة ، ونزل أول أمره برواق الأتراك بالأزهر ، فعرف الطلاب مكانته وتجمعوا حوله ، ولكن ظروف حياته ظلت بين الجذب والشدة لأنه لم يسع إلى منصب علمى ترشحه له كفاءته الواضحة ، وكان من عارفى فضله من أبدوا استعدادا لمعاونته ولكنه أصر على الانطواء الوظيفى دون الانطواء العلمى ، ولعل تجاريبه الأولى بتركيا قد اقنعته بالبعد عن ميادين التنافس ، وقد نشر من التحقيقات العلمية ما قربه لذوى النباهة من أساتذة العلم ، وكان فى الرجل تواضع كريم ، فأراد إحياء سنة السلف فى رواية الحديث النبوى واتصل بشيخ الشافعية بمصر ليروى عنه (المسلسل) عن مشايخه ، كما اتصل بالشيخ يوسف الدجوى أحد كبار العلماء فى زمنه ليروى عنه موطأ مالك ، وفى أثناء مقامه بدمشق روى كتاب الشمائل للترمذى عن السيد محمد بن جعفر الكنانى بالجامع الأموى بدمشق ، ولم يكن الشيخ طالبا صغيرا حتى يحرص كل الحرص على هذه الروايات ، ولكنه كان فى مستوى من يأخذ عنهم ، بل كان يفوق بعض من جلس بين أيديهم ، وهم يعلمون ذلك عنه ، ولكنهم جميعا يحيون سيرة السلف فى امتداد الراوية إلى هذا العصر ، وقد رأيت بنفسى أحد مجالس الحديث النبوى بدار العلامة يوسف الدجوى وشاهدت العلامة الكوثرى يقرأ فى خشوع حديث الموطأ ، والدجوى فوق كرسيه يسمع فى يقظه وانتباه ، وكان المشهد عجيبا ، تحدثت عنه بإفاضة فى إحدى مجلات الأزهر تحت عنوان (مقارئ الحديث فى مصر)[3] فليت هذه المقارئ تعود .

أنصار ومعترضون

لكل مفكر تلاميذه المؤيدون ، ومخالفوه المعترضون ، وتلك ظاهرة صحية دون جدال ، فمازال اختلاف الرأى سبيلا إلى إيضاح الحق إذا خلصت النيات وسلمت الضمائر ، وقد نزل الكوثرى القاهرة ، وهو صاحب رأى فى مسائل الدين ، وشئون التاريخ ، ينافح عنه ، ويعارض مخالفه ، فمن الطبيعى أن يلتف حوله من ينحو منحاه ، كما أن من الطبيعى أن يجهر خصومه

(٣) مجلة الأزهر : جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ .

بمعارضته ولهم تلاميذهم الذين يؤيدونهم فى الصحف ، وينقدون مايرونه محتاجا للنقد من أقوال المخالفين ، وقد قلت إن الكوثرى صلب « صخرى » المكسر ، لايسكت عن نقد ، ولايغمض عن اعتراض ، وإذا كان قد جاهر الكماليين والاتحاديين فى تركيا مع سلطانهم القاهر ، وبطشهم الغادر ، فإن مجاهرة مخالفيه من علماء مصر مأمونة العاقبة إذ لاخطر فيها على أحد ، فله أن يقول ما يريد متى يريد ! وقد قال الرجل آراءه الصريحة فى اتجاهات المجددين من ذوى الإصلاح الدينى ، وهذا ما يحمد له ، كما أن مما يحمد لمخالفيه أنهم واجهوا النقد بالنقد دون افتيات وتلك سبيل الفضلاء !

وقد يقال إن بعض الطلاب من شباب المندفعين قد هاجموا الرجل بمقالات صاخبة ، ولكن الكوثرى نفسه قد هاجم الطلاب والأساتذة معا بمقالات صاخبة ، وفى هؤلاء الكبار شيخ الأزهر الإمام المراغى والعلامة الشيخ عبدالمجيد سليم المفتى الأكبر وشيخ الأزهر أيضا والأستاذ الكبير محمود شلتوت شيخ الأزهر من بعد ، والأستاذ أحمد شاكر شيخ المحدثين فى عصره والقاضى الكبير ، وكنت أوثر أن ينهض باحث مخلص بكتابة مؤلف عن هذه الحركة العلمية الخصيبة ، بعد أن ذهب أصحابها إلى رحمة الله ورضوانه ، وكلهم مخلص أمين ، أجل كنت أوثر أن ينهض باحث لكتابة مؤلف تحت عنوان (الكوثرى بين مؤيديه ومعارضيه) ليرى الخلف بعض جهاد السلف فى حومة العلم ، ومضمار التجديد ، وليتصل التاريخ العلمى اتصال الحلقات الممتدة فى نظام دقيق ، وإذا كان المراغى وعبدالمجيد سليم وشلتوت ممن يذهبون فى الإصلاح الدينى والتفكير الإسلامى مذهب الإمام محمد عبده ، فإن الكوثرى رحمه الله لم يعف الأستاذ الإمام من انتقادات متتابعة ! وهو بذلك يعيد معارك الفكر الإسلامى فى أخصب عهوده ، حين كانت آراء أبى حنيفة والشافعى وأبى يوسف ومحمد بن الحسن ومالك بن أنس والليث بن سعد موضع جدل كبير .

ومما يبعث على الارتياح أن مقام هؤلاء جميعا كان موضع التكريم من القارىء المعاصر ، فقد كان الكوثرى - على حدة صياله - موضع التقدير من أساتذة الأزهر الشريف ، ومن طلابه ، إذ كان له حواريون مخلصون من طلبة الكليات الأزهرية ، ومن أساتذتها المرموقين ، وكان الشيخ عبدالمجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين يعده باحثا إسلاميا منقطع النظير ، كما كان الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى يراه ساعده الأيمن فى اتجاهه الفكرى ، وقد أجبره على السكنى معه هو وعائلته فى بيته بعزبة النخل فى ضواحى القاهرة ، حين كان الكوثرى يسكن بالعباسية ، وقد تعرضت لقنابل الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية فلم يأمن الدجوى أن يعود الضرب ثانية فيتعرض صاحبه لما يخشاه ، كما أن الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق شيخ الأزهر كان يختص الكوثرى باهتمامه إذ عرف فضله العلمى فيما حققه من كتب التراث الإسلامى خاصا بالفلسفة التى كان الأستاذ مصطفى عبدالرازق أستاذا لها بكلية الآداب بالجامعة المصرية حيناً من الدهر ، أقول ذلك قبل أن أعرض بعض مناحى الخلاف الفكرى بين الكوثرى ومعارضيه الكبار وكلهم خيار من خيار ..

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

نظام الإسلام السياسى

لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمود النواوى

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

قد تطرأ على بعض العقول أفكار شاذة أو تأويلات فاسدة أو تفسيرات خاطئة لبعض نصوص الشريعة الإسلامية ؛ فتضطرب المفاهيم وتختلط التعاليم ، وتحدث البلبلة ؛ فيقع المحظور .

وهذا المقال تقويم بالحجة من الكتاب والسنة ، وأخذ بحجز من تسول له نفسه أن يغوص فى بحر الشريعة وهو لا يحسن السباحة .

ولو فقه الناس لتركوا لأهل الاختصاص ما يخصهم ، فهم به أولى وبأسراره أعلم ، فلا ندعى العلم بما لا نعلم فنقع فى المحظور المنهى عنه شرعا .

قال الأستاذ رحمه الله :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ محمود اللبابيدى الحلبى مقالا فى مجلة (رسالة الإسلام) التى تصدر عن دار التقـــريب بين المذاهب الإسلامية وذلك فى العدد الصادر فى المحرم سنة ١٢٧٢ هـ أكتوبر سنة ١٩٥٢ م والبحث جليل والمقال ضاف يشهد لكاتبه بطول النفس وسعة الاطلاع ، وقد استطاع فيه بنشاطه الذهنى وقوة تخريجه أن يوفق إلى حد ما بين نظريتين أشار إليهما فى مقاله وادعى أن كلا من القائلين بهما لو تعمق فى دراسة الإسلام لالتقى مع صاحبه ولم يختلفا .

فإحداهما : تقول : إن الإسلام رسالة لا حكم ، ودين لا دولة ، وهى تتمثل فى كتابى الأستاذين على عبد الرازق ، « الإسلام وأصول الحكم » ، ومحمد خالد ، « من هنا نبدأ » .

والثانية : تقول إن الإسلام نزع جميـــع السلطات من البشر وجعل الحكم لله فى الأمر كله ، وقال فى التوفيق : إن الفريق الذى نزع الحكم عن الإسلام نظر الى ما صار إليه المسلمون من الركود والخمول وفساد الحال ، فظن أن الداء فى الحكومة التى مزجت بين الدين والسياسة ، فنصب نفسه محاربا لهذا النوع .

وأما الفريق الذى يرى أن الاسلام دين الحكم والتشريع فى كل ما يلابس شئون الحياة فإنه نظر إلى ما فيه المسلمون من الضعف وفقد الثقة بالنفس ، حتى صاروا يتعلقون بكل نظام سياسى مهما كان متعارضا مع نظام الأسلام ، فيقولون إن الاسلام ديمقراطى أو اشتراكى أو شيوعى ، فأراد أن يكافح هذه النزعة من الاستخذاء ، وقام بدراسة سطحية لبعض النصوص .

وقد تحامل على هذا الفريق ــ وهو على الحق عند التحقيق ــ لأنه نتيجة تعمق فى نصوص الإسلام ، لا نتيجة دراسة سطحية ؛ فالاسلام موجه للناس فى كل ما يتعلق بشؤنهم ، مهيمن على جميعها ، لم يترك شيئا إلا بينه تفصيلا أو إجمالا ، وترك للراسخين فى العلم الاجتهاد على ضوء قواعده ، لا يخرج عنها عمل ما ، ولا يشذ عن أحكامه تصرف ، وقد انتهى من تعقيبه على هذا الرأى بأن رمى أصحابه بأنهم ظنوا أن الدواء فى إحاطة الشريعة الإسلامية بأسوار من الحماية تقيها شر التعديل والتحوير ، وكان فى غنى عن أن يسوق هذه العبارة التى تدل على قلة تقديره للإسلام . ولقد ردد معناها وبعض ألفاظها فى صورة أخرى . وتورط فى سياقتها ؛ فكان قوله حشوا مفندا كما أبين للقارىء الكريم بعد أن أشير إلى ما تضمنه المقال بعد ذلك من بحوث ، ليكون حديثى تصويرا للمقال كله . ولأكون قد أجلت فى سمينه وغثه ، وإن تكن الحسنات مذهبة للسيئات ففى الحق أن سيئات هذا المقال أفظع من أن تغطى على عوارها حسنة ، وعند الله ــ سبحانه ــ التوفيق والهداية .

قام الأستاذ بعد ذلك بدراسة وجيزة كما يقول للنظرية السياسية فى الإسلام فى خطوطها الرئيسية ووزعها على مباحث أربعة :

١ ــ هل للإسلام نظرية سياسية ؟

٢ ــ ما مصدر السلطة السياسية فى الإسلام ؟

٣ ــ هل يربط الإسلام بين الدين والسياسة ؟

٤ ــ إلى أى مدى يربط الإسلام بين الدين والدولة ؟

وأحسن فى البـــحث الأول استـــدلالا واستنتاجا ، ولطف مذهب وصحة رأى ، وتستطيع أن تتصور فكرته فى فقرتين متفرقتين فى هذا البحث :

الأولى قوله : ويقينى أننى بعد هذا أستطيع أن اقرر ــ بكثير من العزيمة والثقة ــ أن الإسلام دولة ، وأن للإسلام نظرية سياسية واضحة المعالم هى نظرية الحكم الدستورى النيابى القائم على حق

الترشيح وحق الانتخاب وحق المعارضة .

والثانية قوله : نخلص من كل ذلك للقول بأنه قد ثبت ثبوتا قطعيا أن للإسلام نظرية سياسية واضحة المعالم ، هى الحكم الشورى المنطوى على حق الترشيح وحق الانتخاب وحق المعارضة ، وقد عرفها المسلمون وطبقوها فى صدر دولتهم تنفيذا للقاعدة الدستورية الواردة فى الآية الثامنة والثلاثين من سورة الشورى « وأمرهم شورى بينهم » .

وذهب فى البحث الثانى إلى أن مصدر السلطة هو القانون الإسلامى وقال : إنه لا يعرف متجرئا تجرأ على إبطال العمل بالكتاب والسنة من الخلفاء والملوك والأمراء والولاة والحكام فى كافة الممالك التى أظلها العرب ، ولكنه كانت تجرى مخالفات وهذه المخالفات لا يمكن أن تبطل عمل القانون . وقال قبل الفراغ من هذا البحث .

« فلم يبق والحالة هذه إلا أن نقرر أن حكم القاعدة الدستورية المكتوبة (وأمرهم شورى بينهم) ما يزال مستمرا » ــ ثم أخذ بعد ذلك يبين طريق الشورى ويحاول أن يناضل عنها وهى لا تحتمل خلافا من عاقل ، فجاهد فى غير عدو ، وزلت به قدمه ــ كما سأبين لك ــ فالفكرة فى ذاتها سليمة ولكنه تطرق فاستطرد الى غيرها وياليته استطراد فى مفيد ، ولكنه كان حشوا مفسدا ، ورأيا فائلا ، ومذهبا ضالا .

وفى البحث الثالث ، يرى أن الإسلام يربط بين الدين والسياسة أقوى رباط ويقول : إن مفهوم الإسلام فى جوهره تحقيق قوله تعالى « إتقوا الله » والتقوى هى توفير العنصر الأخلاقى ، وإن السياسة يجب أن تخضع لإطار الدين أى : تخضع لمبدأ أخلاق ينفى عنها الظلم والعدوان .

وقال : إن الدين إذن عبارة عن العنصر الأخلاقى ، وتحقيق وجوده فى كل مرفق من مرافق الحياة ، وهو ما عبرت عنه الكلمة المأثورة « الدين المعاملة » ، وأطال فى بيان مزايا الإسلام فى ذلك المقام وفضله على سائر الأديان ، وأحسن كثيرا .

وفى البحث الرابع قال : إن الجانب الأخلاقى فى الإسلام يقوم على يقظة الضمير الإنسانى تحت مراقبة الله وحده ، وجميع العبادات فى الاسلام لهذا الغرض بالسياسة .

وخلص من ذلك الى أن ربط الإسلام بين الدولة والدين لا يتعدى ربط الأخلاق وعاد يناقش النظريتين السابقتين بإطلاقهما ، ويدلل لذلك . وانتهى فى فصل المقال وتلخيصه إلى أن للإسلام نظرية سياسية هى أرقى أشكال الحكم ، وأنه يربط بين الدين والدولة لا على أساس تأسيس حكومة دينية ، بل على أساس ربط السياسة بمكارم الأخلاق فى حدود مرنة .

وهذا الكلام يحتمل المناقشة ولكنه قد لا يحتمل . فأما ما لا يحتمل فهو ما أورده فى نهاية البحث الثانى وهو بصدد تحديد الحكم الشورى ، ثم الاستدلال على الشورى ومناقشة ما يتوهم من خلاف عليها .

وإلى القارىء الكريم العبارة ثم المناقشة قال :

« وتبعا لهذه القاعدة المكتوبة فإن مصدر السلطة السياسية يكون فى يد جمعية تشريعية ينتخبها المسلمون بمحض اختيارهم من أهل المشورة فيهم ، أى أن الأمة هى مصدر السيادة والسلطان بنص الدستور . أما القول بأن شريعة الاسلام شريعة إلهية فلا تقبل التعديل كغيرها من الشرائع السماوية فأعتقد أن هذا القول لا ينسحب على الإسلام لأن دستوره قد قال بقاعدة النسخ ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ

﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1] . **ولا يتوهمن أحد أن هذه الآية قد انتهى حكمها بوفاة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما يتبادر الى ذهن بعضهم .**

كلا ، فإن القرآن قد نص على أن الأمة وحدها هي مصدر السيادة والسلطة وليس الله . نعم كان الله هو المشرع ابتداء ، ثم صار التشريع إلى الأمة انتهاء . لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى رد هذه السلطة إلى الأمة حين قال (وأمرهم شورى بينهم) » .

وهذا الكلام فاسد لا يعززه دليل ، ولا يقوم عليه برهان . فهو يرى أن قاعدة الشورى تقتضي أن مصدر السلطة السياسية فى يد جمعية تشريعية إلخ . وليت شعري متى كان هذا الاستلزام ، ومن قال إن كون الأمر شورى لا يكون إلا على هذا ؟ وهل جهل المسلمون الأولون ذلك يوم كانوا يحكمون على ما أنزل بلا تحريف ولا تزيد ؟! لقد سارت السلطة السياسية منذ عهد محمد ﷺ فلم يلتزم المسلمون فيها ذلك ، وإنما كان الدستور كما ذكره هو نفسه هو حكم الإسلام ، فاذا غم أمر على أمير من الامراء جمع أقرب الناس من أهل الرأى ، فجمع آراءهم . ولقد كان الواحد منهم يرى الرأى فيرد عليه ، فإن وجد الدليل المقنع رجع عما قال ، كما جرى لعمر بن الخطاب حين أراد أن يبطل التغالى فى المهور فاحتجت عليه امرأة بقوله تعالى ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ فرجع عما قال ، وقال الجملة المشهورة : « أخطأ عمر وأصابت امرأة » وإن لم يجد الدليل المقنع فلا يرجع كما فعل ابو بكر فى قتال مانعى الزكاة ، وحاول عمر أن يرده فلم يستطع ؛ لأن ذلك شيء كان فى عهد النبى ﷺ فلابد أن يقاتل دون تحقيقه .

إن هذه الجمعيات التشريعية التى يذكرها نظام مدنى غربى ، فنحن نريد أن نلزم الناس به ، لماذا ؟ قال الأستاذ : لأن الله ـ سبحانه ـ أمر بالشورى ، لكن الشورى شيء أوسع مما قال ، وهى بالاجماع لا تكون إلا فيما أشكل ولم يكن فيه نص من كتاب الله ولا سنة رسول الله . ولكنه يقع فيما أنكر على الناس من التعلق بكل نظام سياسى أجنبى .

ثم زعم ـ وياسوء ما زعم ـ زعم أن شريعة الإسلام تقبل التعديل بخلاف غيرها من الشرائع . وهذا إثم كبير وضلال بين ؛ فإن شريعة الإسلام عامة لكل زمان ومكان من يوم أرسل الله محمدا حتى يرث الأرض ومن عليها « لا تبديل لكلمات الله ذلك الدين القيم » قامت أحكام الشريعة فى كل ما يتعلق بشئون الناس من أولها إلى آخرها ـ خاصها وعامها ـ تشق طريقها فى الأمة الإسلامية لا يجرؤ أحد على أن يخالف شيئا منها إلا إذا كان ظالما مضطهدا وشاذا مخالفا ، فكل ما فيها دستور مطرد فى كل مكان ، وممتد الى آخر الزمان . فأحكام الولايات وجميع السياسات فى داخل البلاد وخارجها ، على ما أمر الله وأنزل ، فإن وقع شيء لم ينص عليه أو جزئية لم تقع فى عهد النبى ، ردت إلى أولى الأمر من المسلمين ليستنبطوا لها حكما من الأدلة الشرعية المعروفة : الكتاب ، والسنة والإجماع ، والقياس .

فالجهاد فريضة قائمة بقيوده الشرعية لا يجوز النكوص عنه ، ولا العدول عن القول بوجوبه ، وحماية البلاد الإسلامية واجبة شرعا ولا يصح فى هذا خلاف ولا تعديل .

والزنا حرام ، والربا حرام ، والخمر حرام . والبيع بأنواعه الشرعية على ما حكم الله ورسوله

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٦

بلا تغيير ولا تبديل فى شىء من ذلك .

ولو جاز التعديل ، لصح القول بحل الزنا أحيانا كما يقول به بعض المدنيين ، وكما تورطت فيه بلادنا وغيرها على خلاف أحكام المسلمين .

لو جاز التعديل لأبيح شرب الخمر إذا رأته الجمعية التشريعية ، ولصح التعامل بالربا ، ولكان لها أن تغير فى نظام النكاح والطلاق والإرث وما إلى ذلك . وجميع هذه اللوازم بشعة منتفية ، والقول بها إلحاد خارج على حكم الملة ، نعوذ بالله من الضلال .

يا هذا قد أكمل الله الدين بما شرع من شرائع خالدة ، وبما وضع من رخص قائمة ، وبما سن من قواعد محكمة ، لا يشذ عنها شىء من الوقائع أبدا . ولكن على الناس أن يجتهدوا ويستنبطوا من أدلة الشرع أحكام جميع الوقائع كما تطبق القوانين والدساتير العامة ، وإلا تحقق الحكم بغير ما أنزل الله « وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ » والظـــالمون والفاسقـــون بنص الكتاب(٢) .

فمن أين يقع التعديل والتغيير كما زعمت ؟ إن الشورى لا تملك أن تنحرف عن أحكام الدين الحق ، وإنما هى فيما أشكل أمره ، واختلف وجه النظر فيه ، فهى ترجح وجهة على أخرى ، وتزيد الحاكم معرفة بجمع الأدلة ، والتذكير بالدعائم التى ترتكز عليها الأحكام ولا يقبل فيها قول بغير برهان صحيح ، ودين متبع . قال الله سبحانه وهو أصدق القائلين : « فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا »(٣) .

شريعة الاسلام تقبل التعديل ؟! لقد كبرت كلمة تخرج من فم قائلها إن يقول إلا كذبا ، فإنما التعديل للشىء المائل الجائر . وأحكام الإسلام كلها اعتدال وعدل ، ما لجأ إليها فرد أو جماعة إلا كانت قواما وقصدا ونصفة ومفزعا ورحمة ، ولا اضطربت مسالك الحياة بأمة فرجعت إلى ميزانها إلا هدأت وسلمت . ولقد طوف بها المسلمون الأولون فى آفاق الأرض ، يطبقونها فى كل بقعة ويوجهون اليها فى كل أمة ، حتى أعلنوا عنها بخير دعاية وحببوها الى الناس ؛ فدخلوا فى دين الله أفواجا ، لأن الله سبحانه قد جعل فيها من السعة والقوة والنصفة والرحمة ما يكفل لها ما أعد الله من خلود ودوام إلى يوم الدين .

يجب أن يعلم الناس أن الدين هو الدين ، وأن أحكامه الآن فى السياسة وفى غير السياسة هى ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه ، وأن يذكروا قول الصادق المصدوق محمد ﷺ : « افترقت اليهود والنصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة » . قيل : من هى يا رسول الله ؟ قال : التى على ما أنا عليه وأصحابى »(٤) فمن عدل فى دين الله — ومعاذ الله أن يقبل دينه تعديلا — ومن غير أو بدل ، فقد خالف ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه ، وقد شاق الرسول ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، فحسبه جهنم وساءت مصيرا .

يجب أن يعلم الناس أن لا حاكم إلا الله فيما أجمع عليه المسلمون : فإن من قال من الفرق بأن للعقل حكما فسره بأنه يستطيع أن يدرك الحكم فيما لا نص فيه بحسب ما فيـه من مصلحة

(٢) سورة المائدة الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧

(٣) سورة النساء آية ٥٩

(٤) أخرجه الشيخان فى صحيحيهما

تقتضيه ؛ لأن أحكام الشرع معللة بالمصالح ودفع المفاسد .

وحتى إن من قال بالقياس من المسلمين منع القياس وهو دليل شرعى عند وجود النص ، مما يدل على أنه لا تبديل لكلمات الله ولا تغيير فى أحكام الله .

ولكن علماء الغرب قالوا : إن الدين « يتأقلم » فصرنا نقول كما يقولون ، ونحتال للاستدلال لذلك من كلام الله وسنة رسوله . والمسلمون جميعا منذ بعث محمد ﷺ يشددون النكير على من يخالف شيئا من الكتاب أو السنة ، ويحاسبون أهل البدع والاختراعات ، ويتحاشون الوقوع فى بعض المستحدثات ، ولاسيما بعد أن حذر من ذلك سيد المسلمين بقوله : « من يعش منكم فسيرى اختلافا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى : عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنَ كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وبعد ـــ فهذا قول كان جديرا بعدم الرد عليه لمخالفته ما علم من دين الإسلام بالضرورة ولكن لما كان فى المقال وجاهة فى بعض البحث وخلابة فى بعض القول ، خشيت أن يضل القارىء عن سبيل الله فيظن أن شريعة الإسلام كما يزعم بعض ضعفاء الدين تقبل التغيير ومسايرة المدنية والفناء فى مقتضياتها المادية . وإباحة الربا والزنا والسفور والاختلاط ونكاح (الكونتراتو) وحظر الطلاق وما إلى ذلك مما يخشى أن يتورط فيه المسلمون فيفقدوا البقية الباقية من هذا الدين .

ثم انظر إلى ما استدل به الكاتب على جواز التعديل بالجمعية التشريعية كما يقول :

إنه يستدل على ذلك بأن فى الشريعة الإسلامية نسخا ؛ ليبرهن على أنه يركب متن العمياء ويخبط خبط العشواء ، نعم إن فى الشريعة الإسلامية نسخا كما تقول ، ولكن ليس النسخ إلى جمعية تشريعية كما تزعم ، إنه لا ينسخ أحكام الله إلا الله أو رسوله بوحى منه إذا كان الحديث قطعى الدلالة كالقرآن الكريم وهل تقول الآية التى استدللت بها إلا ذلك ؟ إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول « ما ننسخ من آية » ولا يقول : ما ينسخ المشرعون من آياتنا ، تعالى الله عما تقول !!

أهذا مبلغك من العلم على الاستدلال للجمعيات التشريعية ؟ ما أظن إلا أن هذا القول له خبىء ، إلا أن يكون قضاء على العقل فى ساعات محنته !

أما نحن فنقول إن الجمعيات التشريعية جائزة ، وإن الشورى مشروعةبالآيتين اللتين سقتهما ، وبدلالة العمل المطرد فى الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وبدلالة المنطق القويم والعقل السليم ، فما ندم من استشار كلما التبس أمر أو فدح عبء وأثقل ، ولا شورى إلا عند اللبس وعند عدم وجود النص .

أما أن تستدل على ذلك بصحة النسخ ، وتسوق الآية الكريمة تزجى بها الباطل وتجوز بها التغيير فى أحكام الله فذلك إلحاد فى آيات الله ، وضلال عن قصد السبيل ..

لقد نص علماء الأصول على أن الإجماع نفسه (وهو دليل شرعى له خطره) ليس من حقه أن ينسخ ؛ لأنه لا يكون إلا بعد انقراض زمن النسخ .

ثم ماذا ؟ ثم يتمادى الكاتب فى باطله فيزعم أن هذه الآية لم ينته حكمها بوفاة الرسول ﷺ

وجعل ذلك توهما ! ووصفه بأنه يتبادر إلى بعض الأذهان ! وهو الحق كما علمت ، فإن الناسخ هو الله ، ولا نسخ أبدا بعد رسول الله ، وإلا ذهب الدين وعاد الناس كما كانوا فى جاهليتهم ، فلا مدنية مهذبة كما اغتر بها الجاهلون ، ولا علم رادع كما نشاهد فى أحوال العلم والمدنية من الضلال والعدوان .

ولقد تمادى فى تعاميه عن الحق ، وران على قلبه ما اجترأ على الله والدين والعلم ، فعزز حكم الجمعيات على آيات الله ، ونسخها لكتاب الله ، واطراد ذلك النسخ بأن القرآن نص على أن الأمة وحدها مصدر السلطات ، وليت شعرى أين هذا النص ؟

وزعم أن الحكم كان لله إبتداء ثم صار الى الأمة انتهاء . وكل مايستدل به على ذلك (وأمرهم شورى بينهم) فانظر إلى الإفلاس فى الحجة ، ومنطق التزوير والمهاترة ، هل آية الشورى هى التى فعلت هذا كله فجعلت الحكم لابد أن يكون بجمعية تشريعية وجعلت النسخ جائزا بل واجبا بأقوال الرجال . وأوجبت أن يكون الحكم للأمة وحدها لا لله انتهاء ؟! .

اللهم إننا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . اللهم أنقذ أفكار هذه الأمة من سموم الإلحاد وزيفه ، وثبتها بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة يارب العالمين .

محمود النواوى
المفتش بالأزهر

المجلد الرابع والعشرون

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الدنيا عدوة بكل وجه

قال عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه : الدنيا عدوة أولياء الله ، وعدوة أعداء الله ، أما أولياء الله فأهمتهم !! وأما أعداء الله فغرتهم .

« أخى »

تصبر للعواقب واحتسبها
فأنت من الحوادث فى اثنتين
تريحك بالمنى أو بالمنايا
فإن الموت إحدى الراحتين

« اكتف بأحدهما »

كتب بعض البلغاء كتاباً بليغاً إلى المنصور يشكو فيه سوء حاله ، وكثرة عياله ، وضيق ذات يده ؛ فكتب المنصور فى جوابه : البلاغة والغنى إذا اجتمعا لامرىء أبطراه ، وإن أمير المؤمنين يشفق عليك من البطر فاكتف بأحدهما .

« أجناس من الناس »

قد يسعى إلى باب السلطان أجناس من الناس كثير : أما الصالح فمدعو ، وأما الطالح فمقتحم ، وأما ذو الأدب فطالب ، وأما من لا أدب له فمختلس ، وأما القوى فمدافع ، وأما الضعيف فمدفوع وأما المحسن فمستثيب ، وأما المسيىء فمستجير ، فهو يجمع البر والفاخر والعالم والجاهل ، والشريف والوضيع

« لا تعجب بنفسك »

تكلم ابن الجوزى فى معنى قوله - تعالى - ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ مدة عامين فأعجب بنفسه !

فوثب إليه رجل فى المجلس ؛ فقال : يا ابن الجوزى ؛ ما يصنع ربنا فى هذه الساعة ؟! فسكت وختم المجلس .

« لأهل الخير علامة يعرفون بها »

كتب رجل من أهل العراق إلى ابن الزبير حين بويع :

« سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو » أما بعد :

فإن لأهل الخير علامة يعرفون بها : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والعمل بطاعة الله ؛ واعلم أنما مثل الإمام مثل : السوق يأتيه ما زكا فيه فإن كان بَرًّا جاءه أهل البر ببرهم ؛ وإن كان فاجراً جاءه أهل الفجور بفجورهم .

« قالـــوا .. »

● أعدل البر أن تَقِيسَ الناس بنفسك ، فلا تأتى إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك .

● لايوقعنك بلاء خلصت منه فى آخر لعلك لا تخلص منه .

● من أفضل البر : الصدق فى الغضب والجود فى العسرة ، والعفو عند المقدرة .

« مَنْ الأَوَّاب ؟ »

قال عبيد بن عمير : الأواب الذى يتذكر ذنوبه ، ثم يستغفر منها .

وقال مجاهد : هو الذى إذا ذكر ذنبه فى الخلاء ، استغفر منه . وقال سعيد بن المسيب : هو الذى يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .

« حقـــــا »

من راقب الله فى خطرات قلبه ، عصمه الله فى حركات جوارحه .

« ليس الدين سبباً من أسباب التأخر »

قال الشيخ محمد عبده فى الرد على من يقولون : إن الدين سبب من أسباب التأخر : .

كذب الخراصون ، إن الدين أول معلم ، وأهدى أستاذ ، وأرشد قائد للأنفس إلى اكتساب العلوم والتوسع فى المعارف ، وأرحم مؤدب ، وأبَصر مُرَوِّض يطيـــع الأرواح على الآداب الحسنة ، والخلائق الكريمة هو الذى رفع أمة كانت من أعرق الأمم فى التوحش والقسوة والخشونة ، فسما بها إلى أرق مراق الحكمة والمدنية فى أقرب مدة ، وهى الأمة العربية .

« شـــــهوة الرمـــان »

قال الخواص : أصابتنى شهوة الرمان ؛ فخرجت فى طلبه ، فرأيت رجلاً فى البرية والذباب قد آذاه !!

فقلت له : لو كان لك حال مع الله لدفع عنك ذلك .

فقال لى : وأنت لو كان لك حال مع الله لدفع عنك شهوة الرمان .

« دعـــــاء »

اللهم نجنا برحمتك من النار ، وعافنا من دار الخزى والبوار ، وأدخلنا بفضلك الجنة دار القرار ، وعاملنا بكرمك وجودك يا كريم يا غفار .

رسائل الإنسان إلى الكوكب الأحمر

بقلم
أ.د/ أحمد فؤاد باشا

إن رحلات الفضاء العديدة التى تمَّت حتى الآن قد ساعدت كثيراً على تزويد الإنسان بمعلومات قيِّمة عن تاريخ الكون ، وكشفت عن حقائق هامة ، ليس فقط بالنسبة لكوكب الأرض الذى نعيش عليه ، ولكن أيضاً بالنسبة لمختلف كواكب المجموعة الشمسية . وسوف نعرض فى هذا المقال لبيان حصيلة ما أسفرت عنه البعثات الفضائية إلى كوكب المريخ المعروف بالكوكب الأحمر .

حقائق علمية عن المريخ :

ينتمى المريخ إلى مجموعة الكواكب الصخرية الشبيهة بالأرض ، وهى ـ بحسب بُعدها عن الشمس ـ عطارد والزهرة والأرض والمريخ ، وتتكون الكواكب الصخرية غالباً من مواد صلبة وكثيفة تغطيها أغلفة جوية طفيفة فى أحسن الحالات . ويظهر المريخ من خلال المنظار الفلكى ككرة حمراء تتخللها بعض المناطق الغامقة اللون ، ويوجد فيه قطبان متجمدان وغيوم بيضاء وعواصف غبارية شديدة ، ويدور حوله قمران هما : «فوبوس» و«ديموس» . وتبلغ سنة المريخ ٦٨٧ يوماً ، وهى فترة دورانه حول الشمس ، فى حين يبلغ يومه ٢٤ ساعة ، وهو زمن دورانه حول نفسه ويساوى تقريباً يوم الأرض .

أما جوّ المريخ فتبلغ كثافته ١٪ فقط من كثافة جوّ الأرض ، وهو مكوّن غالباً من ثانى أكسيد الكربون مع كميات صغيرة من بخار الماء والنتروجين ، وتتفاوت درجة حرارة الكوكب الأحمر كثيراً من ١٠٥°م تحت الصفر عند القطبين إلى ٢٠°م ظهراً عند خط الاستواء . ومع أن قطر المريخ يبلغ ٦٧٨٠ كيلو متر فقط ، أى نصف قطر الكرة الأرضية ، فإن مساحة اليابسة فيه تساوى نظيرتها فى كوكب الأرض . وبالنسبة لجاذبية المريخ فإنها تساوى تقريباً ثُلث جاذبية الأرض(١) ، ويعنى هذا أن الشخص الذى وزنه ٧٥ كيلو جراما على الأرض لا يزيد على سطح المريخ أكثر من ٢٩ كيلو جراما .

احتمالات الحياة على المريخ :

ولقد أثار المريخ شغف الإنسان منذ القدم ،

* الكاتب : أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

(١) يبلغ متوسط عجلة الجاذبية السطحية للأرض ٩,٨١ متراً لكل ثانية مربعة ، وللمريخ ٣,٨ متراً لكل ثانية مربعة .

وكان بعض أصحاب الخيال العلمى يظنون أنه مأهول بالسكان ، وأن حضارة راقية تقوم عليه الآن وتنافس حضارتنا القائمة على الأرض . ففى عام ٢٨٩٧م ظهرت رواية مشهورة بعنوان «حرب الكواكب» روج فيها مؤلفها هـ. ج. ويلز للإعتقاد السائد آنذاك بأن المريخ ، الكوكب الأحمر الذى يحمل اسم «إله الحرب» Mars ، كان كوكباً متحضراً قبل أن تنشأ الحضارة على الأرض ، وأن الانسان ليس وحده فى هذا الكون الشاسع ، «فهناك على الشاطىء الآخر من الفضاء ، عقول تبدو عقولنا بالمقارنة معها مثل ماهى بالمقارنة مع عقول الحيوانات المفترسة البائدة ، عقول جبارة وعدوانية ترقب الأرض بعيون حسودة وتدبّر خططها ضدنا بعزم ورويَّة»[٢] . ولا تزال هذه الرواية محتفظة بقوة تأثيرها على عقول العامة فى العالم الغربى حتى يومنا هذا[٣] .

وكان طبيعياً أن تؤثر مثل هذه الأفكار على اتجاهات الفلكيين وتصوراتهم لدرجة أن الكثيرين منهم كرسوا جُل جهودهم من أجل إثبات وجود حياة على المريخ . ففى عام ١٨٧٦م أعلن عالم الفلك الإيطالى جيوفانى سكيابازيللى Giovanni Schiapaselli أنه اكتشف بواسطة تلسكوبة وجود قنوات على سطح المريخ ، ورأى أن هذه القنوات تبدو فى مجال رؤية مقرابه (تلسكوبة) على هيئة شبكة معقدة من الخطوط المستقيمة المفردة والمزدوجة التى تتقاطع مع المناطق اللامعة من الكوكب ، وكل هذا يتطلب ــحسب زعمهـ تصميماً دقيقاً لا يقدر عليه إلا كائن مفكر . وبلغ الهوس فى أوروبا وأمريكا مداه من جراء هذا الاعلان ، لدرجة أن أحد المولعين بعلم الفلك من سكان مدينة «بوسطن» ، واسمه «برسيفال لويل» P.Lowell أقام مرصداً كبيراً فى موقع يتميز بالرؤية الجيدة التى لا تعوقها الغيوم أو أضواء المدينة[٤] ، ورسم خريطة تفصيلية لمعالم المريخ وأقنيته التى ظنها من أعمال سكان متحضرين قاموا بحفرها لتوجيه المياه الذائبة من القطبين نحو خط الاستواء حيث المناخ الأكثر دفئاً أنسب للحياة فى المدن الاستوائية .

ولم تسلم تصورات بعض الفلكيين من الاعتقاد بوجود حياة على المريخ حتى بعد أن زودتهم مركبات الفضاء بصور تم التقاطها عن قرب للعديد من التكوينات على سطح المرتفع «المريخى» المعروف باسم «إيليزيوس» ، وقد وصف البعض هذه التكوينات بأنها حقل من الأهرامات رباعية الأوجه . كذلك تم تصوير أشكال ذات هياكل مستقيمة تشبه المنشآت الصناعية فى المنطقة الجنوبية للكوكب ، والتقطت صور فى منطقة نصف الكرة الشمالى لأطلال مريخية مماثلة للأهرام المصرية فى شكلها . ومن الطبيعى أن تثير هذه

---

(٢) راجع فى ذلك : فرنسيس ليرى ، المريخ بين الواقع والخيال ، رسالة اليونسكو ، يناير ١٩٩٣م .

(٣) فى عام ١٩٣٨م أدرك الممثل الأمريكى المعروف «أورسون ويلز» مدى تأثير هذه الرواية وقدم عنها تمثيلية إذاعية أثارت الرعب فى قلوب ملايين الأمريكيين الذين ظنوا أن سكان المريخ يقومون بهجوم حقيقى ، وأذاع البعض حينئذ نبأ ظهور أول إنسان آلى «روبوت» ضخم يمسح الأرض بأشعة الموت «المريخية» وينشر الموت والخراب فى كل الأنحاء . لمزيد من التفصيل راجع المرجع السابق .

(٤) فى عام ١٨٩٤ شيد «لويل» مرصده بعيداً عن منزله على القمة المعروفة بقمة المريخ فى منطقة فلاجستاف بولاية أريزونا حيث يسود جوّ مستقر نسبياً يقل فيه وهن إضاءة الصور الفلكية فى التلسكوب إلى الحد الأدنى .

الصور خيال الكثيرين ، فلا أحد يمكنه تأكيد ما إذا كانت هذه الأشكال مجرد تكوينات جيولوجية أم لا . وفى حالة ما إذا كانت كل هذه الآثار المريخية غير طبيعية ، فهل يعنى هذا أن مخلوقات أخرى فى الوجود قد وصلت إلى المريخ وشيدت صروح هذه الآثار ؟!

أهم الرسائل التى أرسلها الإنسان إلى المريخ :

استطاعت تقنية الفضاء الحديثة أن تحدث قفزة نوعية فى أبحاث الفيزياء الفلكية وفحص الكواكب وأقمارها عن طريق إرسال بعثات فضائية فى مدارات محددة : وكانت أولى البعثات الفضائية الناجحة هى رحلات « مارينر » ٤ و ٦ و ٧ التى اقتربت من الكوكب الأحمر خلال الستينات ، ثم رحلة « مارينر ــ ٩ » التى دارت حوله لأول مرة فى عام ١٩٧١م على مدار يبعد عنه ١٣٠٠ كيلو متر فقط . وقد أوضحت الصور الجوية التى أرسلتها مركبات « مارينر » أن الجزء الجنوبى من كوكب المريخ ذو تضاريس تختلف عن تضاريس الجزء الشمالى ، ودلت الدراسات على أن هذا الكوكب قد مرّ خلال تاريخه بمراحل حافلة بالأنشطة البركانية وتعرية الرياح وحركات القشرة الكوكبية المصاحبة لزلازل مريخية . وإن أحد أهم مكتشفات « مارينر ٩ » هو أنه توجد على سطح المريخ خطوط وبقع تتغير حسب الفصول ، ويعزيها العلماء إلى الغبار الذى تحمله الرياح الفصلية .

وبالرغم من أن الحقائق العلمية والصور الجوية التى جمعها العلماء لكوكب المريخ تؤكد أنه ليس ملائماً لأى نوع من أنواع الحياة المتقدمة التى نعرفها على وجه الأرض ، فإن نجاح مهمة « مارينر ٩ » حفز وكالة الفضاء والملاحة الأمريكية « ناسا » Nasa على أن ترسل سفينتى فضاء لفحص تربة المريخ واستكشاف ما قد يوجد بها من كائنات حية مجهرية ، وحددت لذلك موعد الذكرى المئتين لاستقلال الولايات المتحدة فى ٤ يوليو ١٩٧٦ ولأسباب تتعلق بعملية الهبوط تأجل هذا الموعد أسبوعين ، وفى ٢٠ يوليو ١٩٧٦م حطت سفينة الفضاء « فايكنج ــ ١ » على سطح المريخ ، وذلك بعد انقضاء سبع سنوات كاملة على سير أول إنسان على سطح القمر ، وبعد ٤٥ يوماً هبطت السفينة الثانية « فايكنج ــ ٢ » . وجرى انتقاء مواقع محددة ذات أهمية خاصة للهبوط ، فحطت « فايكنج ــ ١ » على طرف أخدود فى المنطقة المسماة « كريس بلانيتيا » Chryse Planitia (وهى كلمة يونانية تعنى أرض الذهب) قرب نقطة تلاقى أربع أقنية متعرجة أعتقد أنها كانت قد حفرت فى العصور الغابرة من تاريخ المريخ بواسطة الماء الجارى ، كما هبطت « فايكنج ــ ٢ » على بعد ٣٠٠٠ كيلو متر شمال شرق منطقة تسمى « سيدونيا » Cydonia يعتقد ، حسب بعض الآراء النظرية ، أن بها كميات قليلة من الماء على الأقل فى وقت ما من السنة المريخية . وكانت كلتا المركبتين مجهزتين بذراع خاص لأخذ العينات ميكانيكياً من تربة المريخ ونقلها ببطء فى حجرة اختبار على أوعية صغيرة تشبه القطار الكهربائى ، حيث يتم تحليلها كيميائياً وبيولوجيا للبحث عن جزيئات عضوية أو حياة جرثومية فى الرمل والتراب ، ولم يتضح بشكل قاطع أى أثر لوجود مركبات عضوية أو وحدات كربونية . ولما كانت الحياة التى نعرفها على الأرض قائمة على كائنات تحتوى على

الكربون ، فإن نتائج فحص آلاف الصور التى أرسلتها «فايكنج» كانت مخيبة لآمال الذين هيأوا أنفسهم لتصديق فكرة وجود حياة على المريخ .

ويخلص عالم الفيزياء الفلكية «كاريل ساجان» Carl Sagan ـ من خلال خبرتـــه فى هذا المجال ـ إلى القول بأن المريخ ليس الأرض ، لكنه يستدرك قائلا : «ربما توجد كيمياء غير عضوية فريدة فى التربة المريخية ، قادرة بنفسها على أن تؤكسد المواد الغذائية ، فى غياب الجراثيم ، وربما توجد بعض المواد غير العضوية الخاصة ، أو المواد الوسيطة غير الحية فى التربة المريخية والتى تستطيع اجتذاب غازات الجو وتحويلها إلى جزئيات عضوية .. لكن مثل هذه الفرضيات لا تحملنا على القول بوجود دليل ملزم على وجود الأحياء المجهرية فى كوكب المريخ»(٥) .

ولم تتوقف رسائل الإنسان إلى الكوكب الأحمر بالرغم من العوائق المادية الكبيرة ، وبسبب كارثة مكوك الفضاء الأمريكى «تشالنجر» الذى احترق بركابه السبعة فى فبراير عام ١٩٨٦م . ففى ٢٥ سبتمبر ١٩٩٢ تم إطلاق المجس الفضائى «مراقب المريخ» Mars Observer بواسطة الصاروخ «تيتان» فى رحلة تستغرق أحد عشر شهراً من الأرض إلى المريخ ، وتم وضع المجس فى مدار يبعد ٣٩٠ كيلو متر عن قطبى المريخ ليمكث سنة مريخية كاملة (٦٨٧ يوماً) يرسل خلالها صوراً تحليلية للمناطق الجليدية والكثبان الرملية ، ويتيح تمييز تفاصيل دقيقة لمناظر فى حدود المتر ونصف المتر . ويعتقد بعض العلماء أن مثل هذه الصور من شأنها أن تكشف ما إذا كان هناك شكل من أشكال الحياة البدائية ، الموجودة حالياً أو المتحجرة ، وربما تساعد على تفسير ما حدث للمياه التى لابد أن تكون قد تدفقت على المريخ منذ ملايين السنين .

ويبدو أن المريخ سوف يحظى خلال السنوات المقبلة بالنصيب الأكبر من أبحاث الفضاء من خلال برامج واعدة يشترك فى تنفيذها أكبر عدد ممكن من الدول التى حققت نجاحاً فى هذا المجال(٦) . ويخطط العلماء حالياً لمشروع يقضى بارسال مجسَّيْن يدوران حول المريخ وينقلان إلى سطحه مختبرات ثابتة ومتحركة تساعد فى إجراء دراسات عن إمكانية العيش على سطح هذا الكوكب . وفى مشروع آخر يخطط العلماء لاطلاق محركات وظيفتها إحضار عينات من تربة المريخ إلى الأرض ، ويندرج هذا المشروع فى إطار الإعداد لبعثات فضائية مأهولة سوف تبدأ مع مطلع القرن الحادى والعشرين .

---

(٥) كارل ساجان ، الكون ، الترجمة العربية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ربيع الآخر ١٤١٤هـ ـ أكتوبر/ تشرين أول ١٩٩٣م ، ص١٢٣ .

(٦) على سبيل المثال ، سوف تتولى سفينة فضاء يابانية دراسة الطبقات العليا لجو المريخ فى عام ١٩٩٦م ، ولأول مرة تتعاون خمس دول فى مجال الفضاء تأهباً لارسال بعثة من آدميين إلى المريخ فى القرن القادم . وهو مشروع لا يمكن تحقيقه إلا بتعاون عدة دول ذات إمكانيات تقنية عالية .

أضواء على تاريخ طب المجتمع

د/ سيد أحمد محمد خليل

الهدف من هذه المقالة إلقاء بعض الأضواء على تاريخ طب المجتمع من خلال علاقة قواعده الأساسية برسالة الإسلام ..

وقد وجد أن أساسيات طب المجتمع متأصلة ويمارسها المسلمون من خلال معارف جيدة واتجاهات إيجابية ، وحفظ آيات كتاب الله ــ تعالى ــ وأحاديث النبى « محمد » ﷺ .

وهنالك أمثلة ، توضح :

النظافة الشخصية الشاملة التى مارسها المسلمون منذ فجر الإسلام حيث يقول الله تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾

[سورة الأعراف : ٣١]

وكذلك فى أحوال أمراض الحجر الصحى ، يقول النبى « محمد » ﷺ : « إذا سمعتم بوباء الطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإن كان بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها »(١) .

وأيضاً من ناحية السلوكيات تجاه الأمراض المعدية ، قال النبى « محمد » ﷺ « وفر من المجذوم فرارك من الأسد »(٢) .

وقد اشتملت رسالة الإسلام على مناقشة الصحة النفسية والاجتماعية مع الحفاظ على التمتع الأمثل بالصحة البدنية والعقلية للإنسان عموماً ، وللمسلم خصوصاً ، يقول الله تعالى :

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ۝١١ ﴾

[سورة الشمس : ٧ ــ ١٦]

لذلك ، فإنه من الممكن أن نقول : إن تاريخ طب المجتمع متأصلة جذوره أساساً من رسالة الإسلام وأن قواعده يطبقها كل مسلم فى المجتمع .

الكاتب : عضو هيئة التدريس بقسم طب المجتمع بكلية الطب « بنين » جامعة الأزهر .

(١) الكنز ٢٨٤٣٨ .

(٢) ابن ماجه كتاب الطب الحديث ٣٥٣٩ جـ ١١٧١/٢ .

فطب الفراعنة المصريين القدماء منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، والطب الذى كان يمارس بواسطة الإغريق والروم ، بعد هذا التاريخ ، لم يكن طباً يمارسه أبناء المجتمع ..!!

وعلى هذا ، فلابد أن يكون هناك اتصال واتفاق وثيق بين الدين الإسلامى وعلم طب المجتمع . ومن المعلوم أن انتشار الأمراض الجنسية وخاصة مرض فقدان المناعة المكتسبة ـ أكثر بين غير المسلمين ..!!

الهدف من هذه الدراسة وطريقة البحث :

هدفنا من البحث إظهار كيف أن رسالة الإسلام شاركت فى بداية علم « طب المجتمع » ولتوضيح ذلك بدأتُ فى عمل مسح لبعض المراجع الطبية والعربية والإسلامية بالمكتبات الخاصة بها ، وذلك لجمع المعلومات ، ومعرفة تعانقها مع بعضها ، لمناقشتها للوصول لهذا الهدف . وقد نقلت ترجمة معانى الآيات القرآنية ، (عند ترجمة هذا البحث للإنجليزية) ، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة ، والرأى الآخر على كامل السعة والرحب لمناقشة هذا الموضوع.

والذى نوقش قبلا بالمؤتمر الطبى العالمى المنعقد بمستشفى الحسين الجامعى بجامعة الأزهر سنة ١٩٩٢ (أكتوبر) الرعاية الطبية .

النتائج بعد مراجعة ما كتب فى هذا المضمار :

الاعتبارات العامة فى الوضع الراهن :

إن تاريخ ممارسة الطب عموماً ، وكذا « طب المجتمع » خصوصاً قد بدأ بالفعل منذ فجر رسالة الإسلام المُنَزَّلَة على النبى محمد بن عبدالله ﷺ وقبل ذلك لم يكن طب المجتمع معروفاً لعامة الناس ، ولكن لأشخاص أو مجموعة مخصوصة على أنه أحداث طبية لازمة لهم فقط ..!! مثل طب المسيح عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ المؤيَّد من الله ..

يقول الله ـ تعالى ـ :

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

سورة آل عمران

ومثل آخر ، فقد كان القدماء المصريون يحفظون جثث موتاهم بالتحنيط منذ خمسة آلاف عامٍ قبل الميلاد وهذه الأمثلة وغيرها لاتعتبر طباً للمجتمع ..!!

ولما كان طب المجتمع يشمل العلوم الآتية : علم الصحة العام والشخصى (الخاص) والطب الوقائى ، والصحة النفسية والعقلية والاجتماعية ، وصحة البدن الجيدة وعلم الوبائيات والصحة المهنية ، فإن القواعد الأوَّلِيَّة لتلك العلوم ممثلة فى طب المجتمع كانت ومازالت موجودة فى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد ﷺ

ففى حالة الصحة العامة والخاصة (الشخصية) يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) ﴾

[سورة المائدة]

وفى حالة الثقافة والغذاء يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

[سورة الأعراف : ٣١]

وبالنسبة للنظافة الشخصية والعامة، فقد روى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: « إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بتراب طهور » وقال ﷺ: « لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » صحيح مسلم.

أما عن الطب الوقائى، ونظام الحَجْرِ الصحى، والوبائيات، فقد قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة النحل : ١١٥]

وقال النبى ﷺ: « إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه »(٣) وهذا قانون الحجر الصحى.

ويقول ـ ﷺ ـ: « لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، وفر من المجذوم فرارك من الأسد »(٤).

حالات الأمراض المعدية والوبائيات:

إن تاريخ الوبائيات ممتد منذ تاريخ الحروب والمجاعات، وتعرض الإنسان لما حوله من أشياء غير لائقة، وعندما سافر الإنسان بصعوبة، فإن الكائنات الدقيقة (الميكروبات) أخذت استعدادها لمضايقته(٥).

إن الصحة النفسية والاجتماعية مع صحة البدن والعقل كانت من الموضوعات التى لم تفرط فيها رسالة الإسلام، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

[سورة الشمس : ٧ ـ ١٠]

وقوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة الأنفال : ٥٣]

وقد روى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن

---

(٣) كنز العمال جـ ١٠ ص ٧٨ الحديث ٢٨٤٣٨ مكتبة الحلبى.

(٤) ابن ماجه كتاب الطب حديث ٣٥٣٩ جـ ٢ / ١١٧١.

(٥) الأمراض المعدية: وبائياتها وممارسة علاجها: تأليف أ.ب. كريستيك بلندن ونيويورك.

رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « نعمتان مغبون فيهما ابن آدم : الصحة والفراغ »[٦] .

أما بالنسبة للصحة المهنية ، فلقد كان العرب المسلمون ، يعملون بالتجارة وغيرها من المعاملات ، وغير ذلك من المهن التى كانوا يقومون بها ، فكان بعض منهم يمرضون الجرحى ، ويؤهلون المعوقين نفسيا واجتماعياً وجسمانياً ، مراعين فى كل ذلك الأهداف الوقائية تجاه كل حادثة أو أذى ..!!

ولأن طب المجتمع إنما هو للتطبيق الفعلى والممارسة القويمة من الناس ، فقد نعى الله على أولئك الذين يقولون مالا يفعلون فقال تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[سورة البقرة : ٤٤]

وقال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

[سورة الصف : ٢ ، ٣]

بقى أن نوضح بعض الأمثلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولها علاقة وثيقة بطب المجتمع .

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة النحل : ٦٩]

ويقول ـ ﷺ ـ : « لم يخلق الله داء إلا وخلق له الدواء » ، صحيح البخارى ، كتاب الطب .

ويقول تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ .. ﴾

[سورة المائدة : ٣]

ويقول ـ ﷺ ـ : « الحمى حرارة جهنم فاطفئوها بالماء » ـ راجع صحيح البخارى وقد رأينا اتجاه الأطباء إلى استعمال كَمَّادَات الماء البارد بدلًا من استعمال العقاقير المسكنة أو الخافضة لما ثبت أن فيها ضرر على المريض من ناحية الحساسية الكيماوية والعضوية وغيرها ..!! فوصيته ـ ﷺ : إذا شرب أحد من الإناء فلا يتنفس فيه ، وإذا كان فى قضاء الحاجة فلا يلمس أعضاءه الخاصة بيده اليمنى وإنما التنظيف باليد اليسرى ؛ لأن الأكل وغيره إنما يكون باليد اليمنى فلا تنتقل عن طريقها ـ إذا استعملت ـ أى أشياء من أنواع الأذى المؤدية إلى المرض ..!! حفاظاً قويماً منه ـ ﷺ ـ على سلامة الأمة ، ووقاية لها من الأمراض

وقوله ـ ﷺ ـ : « لولا أن أشق على المؤمنين لأمرتهم بتأخير العشاء وبالسواك عند كل صلاة » الكنز جـ١٩٤٦٥/٧ ؛ تعليماً لأمته النظافة الشخصية للأسنان ، ووقاية لهم من أمراض الأسنان ؛ ولأنها عنوان الصحة فهى تعمل على طحن الطعام ؛ لتوصيله مناسباً للهضم والامتصاص إلى الأمعاء ، علاوة على ما تؤديه من جمال لصاحبها فى جميع النواحى ..!!

« ولقد ظهرت الحضارة العربية بسبب التشريع الإسلامى عندما أفل نجم حضارة الروم والإغريق ، وأصبح ذلك واضحاً فى بغداد ، والقاهرة ، وقرطبة حيث بنيت المستشفيات

(٦) صحيح البخارى ، كتاب الطب .

وجعلوا فيها حجرات للعزل بين المرضى ..!! أما الآن فإن أوروبا وأمريكا الشمالية لهم دور كبير فى تطوير طب المجتمع يذكر لهم ، ويذكر لهم – أيضاً – أنهم لم ينسوا أنهم استفادوا من رسالة الإسلام وطوروه بعد ذلك ..!!(٧) .

نخلص من هذا أن رسالة الإسلام لديها الكثير من المعارف والاتجاهات والممارسات فى مجال طب المجتمع ، ولو وقفنا عليها وطبقناها لكنا خير الأمم ، قال تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران : ١١٠]

التوصيات :

● لابد أن نرجع إلى أصول المراجع الإسلامية ؛ لنتعرف على حقيقة تاريخ طب المجتمع من خلال المنظور الإسلامى ؛ كى نربط بين هذا العلم وبين التعاليم الإسلامية .

● كثير من المشاكل الصحية يمكن حلها بسهولة من خلال تطبيق السلوك فى المنهج الإسلامى .

● تطوير طب المجتمع الإسلامى ، ومحاولة تنشئته وتنظيمه بما يتفق ومتناول كل إنسان يصبو إلى الصحة العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية والمهنية وتفادياً للوبائيات ، ووقاية من الأمراض .

المراجع :

١ – القرآن الكريم.

٢ – صحيح البخارى : ترجمة عربية إنجليزية لأحاديث الرسول – ﷺ – بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٨٧ ، قام بها محمد محسن خام .

٣ – الأمراض المعدية : وبائياتها ، وممارسة علاجها ط.٣ بلندن (ليفنج ستون) سنة ١٩٨٠ م تأليف أ.ب. كريستك .

٤ – تاريخ الصحة العامة ، تأليف ب.س. فراسر ، ط ٤ – هوبسون بلندن ، ونيويورك سنة ١٩٧٥م .

٥ – أساسيات طب المجتمع ، تأليف : س.م ماكاهون ، ط٧ ، بلندن ، ونيويورك سنة ١٩٨٩م .

٦ – الطب من القرآن والسنة النبوية الشريفة تأليف محمد عبداللطيف ط. دار المعارف سنة ١٩٨٦م بالقاهرة .

٧ – طب النبى محمد – ﷺ – والعلوم الحديثة تأليف محمد النسيمى ط. مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨٧م .

٨ – الطب النبوى ، لابن قيم الجوزية نشر دار الوعى بحلب – سوريا سنة ١٤٠٦هـ .

٩ – نظرية وتطبيق الصحة العامة ، تأليف د. هوبسون ، ط ٤ بلندن ونيويورك سنة ١٩٧٥م .

---

(٧) نظرية وتطبيق الصحة العامة تأليف : د. هويسون ، الطبعة السابعة بجامعة اكسفورد بلندن ، ونيويورك .

الحشرات والحديث عنها

في القرآن الكريم والسنة النبوية والعلم الحديث

-٣-

أ.د/ عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي (*)

بطـــون النحـــل

إذا كانت الآية القرآنية الكريمة قد أشارت إلى أن الشراب الذى يخرجه النحل إنما يخرج من البطون ، فإن جمهور المفسرين يرون أن هذا الشراب يخرج من أفواهها ويكون التعبير عن البطون مجازا ، على اعتبار أن كل ما يخرج من داخل الجسم فهو من باطنه ، فى حين ذهب غيرهم إلى أن هذا الشراب إنما يخرج من أدبار النحل .

ونحن نرى أن كلا من الرأيين محاولة اجتهادية تعتمد أساسا على المعنى اللغوى وقرائن الحال الدالة عليها ، ولم تخضع للاسترشاد بالقرائن والحقائق العلمية الثابتة فى هذا الخصوص ، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى ندرتها ، فضلا عن ندرة المتخصصين فيها آنذاك ، أما وقد أصبحت تلك المعلومات متوفرة ؛ فلا بأس بالاستعانة بها لترجيح رأى أو تقويته ، لتقف الحقائق العلمية على قدم وساق مع العلوم الأخرى الخادمة للقرآن الكريم كعلوم اللغة والأدب ، وحتى نوضح المراد ببطون النحل فإننا نوجز القول عنها فى النقاط الآتية :

(*) أستاذ الحشرات الاقتصادية ــ كلية الزراعة ــ جامعة الأزهر .

(١) كشف الخفا ٢/١٧٧ رواه الرامهرمزى فى الأمثال عن نصر بن عاصم الليثى سنده جيد ، لكنه مرسل ونحوه عند العسكرى قال فى القاموس فى باب الهمزة الفرأ كجبل ، حمارُ الوحش والجمع (فِراء) و (أفراء) .

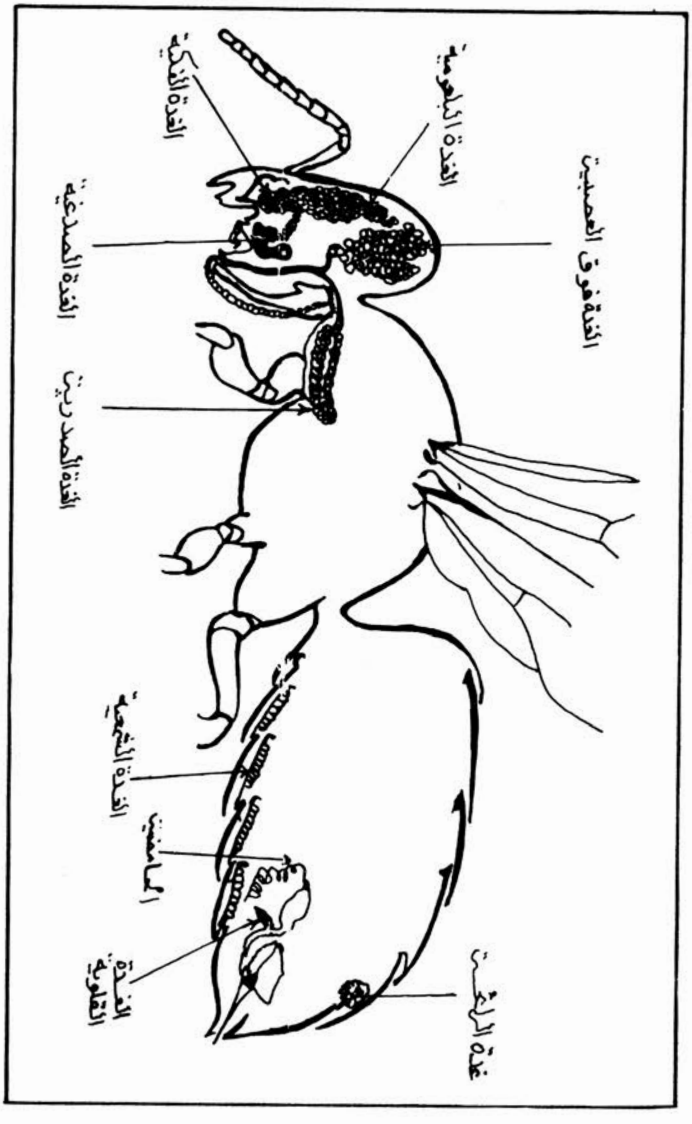

شكل رقم (١) مناطق جسم عاملة النحل والغدد الإفرازية الموجودة بها

أولاً :

مناطق جسم النحل من الناحية الشكلية أو الظاهرية :

يتكون جسم النحلة كما فى الشكل رقم (١) من ثلاث مناطق وهى :

١ ـ الرأس HEAD .

٢ ـ الصدر THORAX .

٣ ـ البطن ABDOMEN .

وتتكون من تسع حلقات ، لا يظهر منها إلا ست حلقات فقط ، فى حين تتداخل الحلقات الثلاث الأخيرة لتختفى فى الحلقة السادسة ، ويمكن التمييز بين أفراد الطائفة عن طريق شكل وحجم هذه المنطقة ، فبطن الملكة طويل مدبب

ولا تغطى الأجنحة نهاية البطن ، فى حين تكون بطن العاملة قصيرة ومدببة ، وبطن الذكر عريض مستدير الطرف كما فى الشكل رقم (٢) .

ويوجد أربعة أزواج من الغدد الشمعية فى منطقة بطن العاملة ، فى الجهة البطنية لكل من الحلقات ٣ و ٤ و ٥ و ٦ فقط كما توجد غدة أخرى يطلق عليها غدة الرائحة SCENT GIAND وتوجد فى الجهة الظهرية للحلقة البطنية السابعة شكل (١) ووظيفتها إفراز مادة طيارة ذات رائحة خاصة يهتدى بها النحل السارح فى الحقل عند عودته إلى الخلية أو فى اتصال بعضه ببعض .

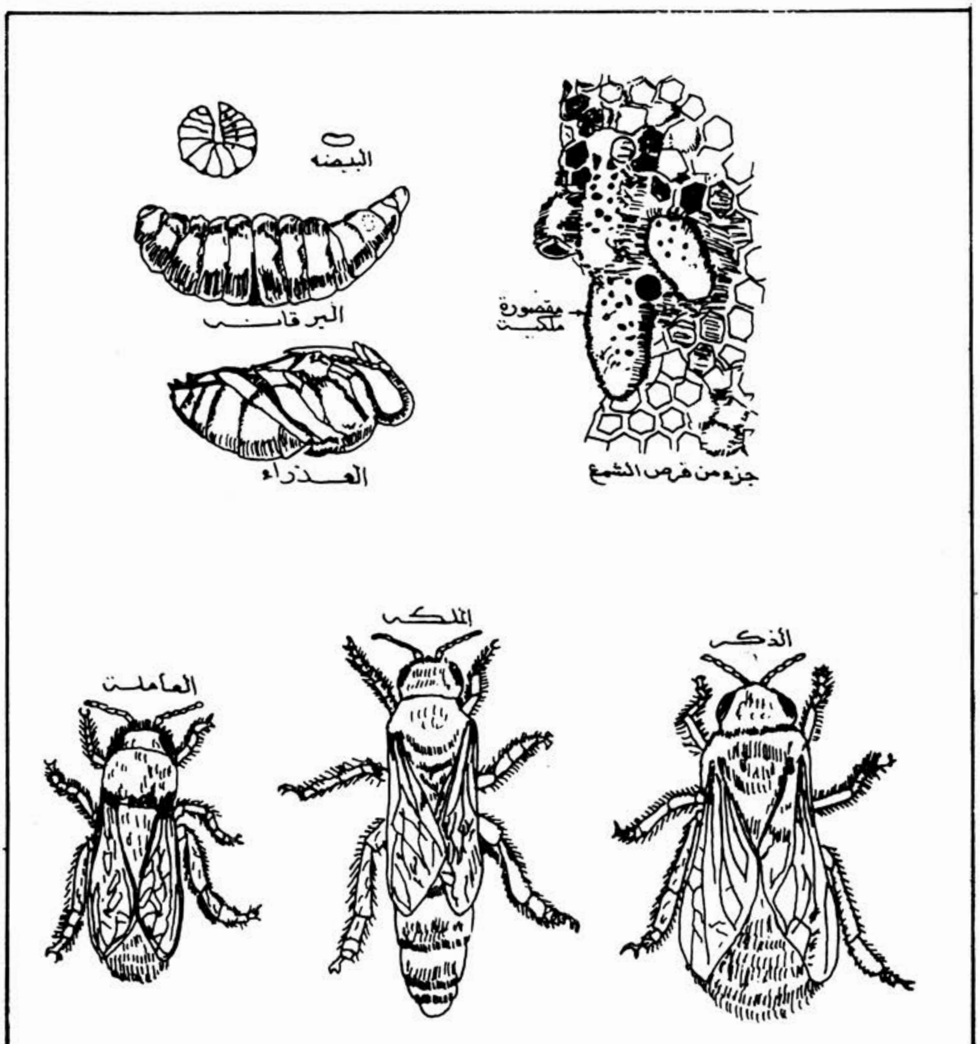

شكل رقم (٢) أفراد ودورة حيات طائفة نحل العسل

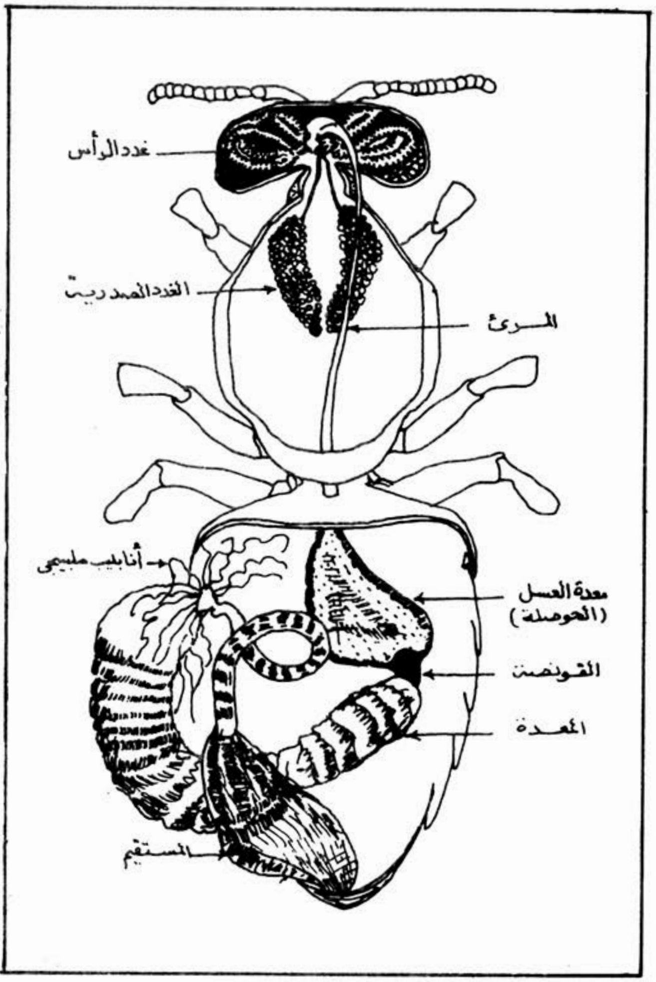

شكل رقم (٣)
القناة الهضمية وملحقاتها
فى عاملة نحل العسل

ثانيا :
مناطق القناة الهضمية ومواقعها داخل جسم العاملة :

تبدأ القناة الهضمية بفتحة الفم وتنتهى بفتحة الشرج ، وتتكون كما فى الشكل رقم (٣) من المناطق الآتية :

الجزء الأول : FORE-GUT وهو أنبوبة دقيقة تبدأ بفتحة الفم وفى مقدمتها تقع أجزاء الفم وتعرف هذه الأنبوبة بالمرئ ESOPHAGOUS وتمتد بطول منطقة الصدر ، وتستمر حتى بداية منطقة البطن ، وفى هذه الحالة تأخذ شكل كيس كمثرى يطلق عليه معدة العسل HONEY STAMACH ويعرف هذا الجزء فى الحشرات الأخرى بالحوصلة CROP ويليها القويصة PREVENTR IEULUS وهى صمام يتحكم فى دخول المواد التى تنتقل إلى المعدة الحقيقية فيما بعد .

الجزء الأوسط MID-GUT وهو عبارة عن المعدة الحقيقية التى تهضم الطعام الذى تحتاجه النحلة لغذائها ، ويطلق على هذه المنطقة VENTRICULUS .

الجزء الخلفى HIND-GUT ويتكون من أنبوبة دقيقة يطلق عليها الأمعاء الدقيقة INTESTINE SMALL ويليها جزء قصير ومتسع يطلق عليه المستقيم RECTUM .

ثالثا :
ملحقات الجهاز الهضمى :

يلحق بالجهاز الهضمى – السابق وصفه – مجموعة من الغدد التى تلعب أدوارا هامة فى صنع العسل وصنع الشمع وتجهيز عسل النحل كما يوضحه الشكل رقم (٣) وهى :

١ – الغدة البلعومية PHARYNGEAL GLAND وتقع أعلى مقدم المخ وتقوم بافراز الغذاء الملكى لتغذية كل من الملكة واليرقات ، وتكون هذه الغدد ضامرة فى الملكات وغير موجودة أصلا فى الذكور .

٢ – الغدة الفكية MANDIBULAR GLAND وتدر هذه الغدة إفرازا يستخدم أساسا فى تطرية الشمع وقت بناء الأقراص الشمعية ، وقد يخطىء البعض فيعتقد أن هذه الغدة هى التى تقوم بعمل الشمع ، والصواب ما ذكرناه ، ويرتبط إفراز هذه الغدة وإفراز غدد الشمع بعمر العاملة ، كما لا توجد هذه الغدد أصلا فى أى من الملكة أو الذكور حيث لا يوجد بأى منها غدد شمعية ، وهذه الغدد لا تعمل إلا فى تجهيز الشمع .

٣ – الغدة اللعابية SALIVARY GLAND وهى غدة مركبة تتكون من أربعة أجزاء ، يقع الزوج الاول منها فوق مؤخرة المخ ، ويعرف بالغدة فوق العصبية POSTCEREBRAL GLAND أما الزوج الثانى فيقع فى منطقة الصدر ويطلق عليه الغدة الصدرية THORACIC GLAND وتدر هذه الغدد سائلا يطلق عليه اللعاب وهو غنى بالخمائر اللازمة لتحويل مادة السكروز (سكر ثنائى) الموجود فى الرحيق إلى نوع أبسط يطلق عليه السكر المحول ، وهو أحادى (جلوكوز + فركتوز) وهو سهل الهضم والامتصاص ولا يضر بمرضى السكر حيث لا يحتاج إلى مادة الأنسولين .

٤ – الغدة الصدغية POSTGENAL GLAND ولم تكتشف بعد وظيفتها على درجة التأكيد وان كانت لا تخلو من فائدة .

رابعا :
الاستنتاج :
نخلص من كل ما سبق إلى ما يلى :

١ – أهمية بطون النحل : فمنطقة البطن بالنسبة للعاملة منطقة خصبة ، حيث تخرج منها أشربة كثيرة فيها الغذاء وفيها الشفاء ، كالعسل ، والفالوذج (الغذاء الملكى) هذا فضلا عن مادة علك النحل ذات الفوائد الطبية الجمة .

٢ – إن التعبير فى الآية الكريمة « يخرج من بطونها » تعبير يجب حمله على الحقيقة بدلا من حمله على المجاز ، فذلك أولى والواقع العلمى يؤيده ، ومع هذا فلا بأس من مؤازرة كل من المعنيين للآخر بدلا من الإغراق فى إطلاق اسم البطن على الفم أو غيره بدون مبرر .

٣ – إذا قصرنا معنى الشراب فى الآية على العسل فإن التعبير يظل فى أرفع وأقدس مكان من الدقة ، ذلك لأن السائل الذى تخرجه النحلة من فيها لا يطلق عليه عسل فور خروجه ، وإنما هو

شراب ، فما زال قوامه رهيفا حيث تكون نسبة الماء فيه نحو ٦٠٪ فى المتوسط ، وإنما يصير عسلا بعد أن يوضع فى قدوره ومستودعاته داخل الخلية حيث تقوم العاملات المقيمات بالخلية بإنضاجه وتهويته وتركيزه ، ويصح أن نطلق عليه حينئذ العسل لأنه قد أخذ قواما سميكا فنسبة الماء به قد انخفضت إلى نحو ٢٠٪ .

هذا وتختلف ألوان العسل ومكوناته تبعا للمصادر التى تم جمعه منها .

وإذا توسعنا فى معنى الشراب ليشمل الأنواع المذكورة غير العسل فيكون اختلاف ألوانها أمرا لا يحتاج إعمال فكر ولا إجهاد ذهن .

٤ ــ والعسل بناء على ذلك ليس نباتيا محضا ولا حيوانيا محضا ، وإنما هو خليط من هذا وذاك ، فالنحلة تتناول الرحيق من مصادره النباتية وتصب عليه خمائر اللعاب فيتحول إلى سكريات أحادية ويستقر بمعدة العسل فترة فيها تركيزة نوعا ما ، حيث يسمح لجزء من مائة بالمرور خلال مصفاة خاصة ، ثم يعاد الشراب المتبقى والمركز عن طريق الفم .

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت .
شهدا وقل للشهد من حلاكا؟
والله فى كل العجائب ماثل
إن لم تكن لتراه فهو يراك

النموذج الثانى :
ازالة التناقض فى فهم حديث أصل الجراد :

عن أنس وجابر ــ رضى الله عنهما عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه كان إذا دعا على الجراد قال « اللهم أهلك كباره ، واقتل صغاره وأفسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء » فقال جابر : أتدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره ؟

فقال النبى ــ ﷺ ــ « إنما هو نثرة حوت فى البحر » أى عطسته ــ رواه ابن ماجة فى كتاب الصيد ، حديث رقم ٩ .

ونحن نرى أن هذا الحديث وإن كان قد ورد بشأن إباحة الدعاء على الجراد بالهلاك إلا أنه قد تعرض لأصل الجراد ونشأته ، وهذا الحديث بقدر ما فيه من غرابة فإنه بحاجة إلى حسن توجيه ، وهو ما سنناقشه فيما يلى :ــ

١ ــ لقد كان مقتضى السياق أن يجيب النبى ــ ﷺ ــ إجابة تتضح من خلالها إباحة الدعاء بهلاك الجراد ولكن الإجابة قد أضافت إلى الحديث وجها من أوجه الغرابة حيث عبرت بالسائل إلى الحديث عن نشأة الجراد وأصله بدلا من تعليل إباحة الدعاء بهلاكه وقال المناوى تعليقا على الحديث : إن الجراد من صيد البحر كالسمك يحل للمحرم أن يصيده .

٢ ــ كما أدرك الدميرى هذا التناقض بين صدر الحديث وعجزه فحاول التوفيق بينهما فقال « المراد أن الجراد من صيد البحر فيحل للمحرم أن يصيده وقال المناوى فتراه أخفق من حيث أراد أن يوفق ذلك ، لأنه سلم بأن الجراد عطسة حوت فيكون من صيد البحر فيأخذ حكمه بالنسبة للمحرم ولمن فى الحرم .

٣ ــ أما الامام ابن كثير .. فقد أورد فى تفسيره ما نصه : « قال هشام : أخبرنى زياد أنه أخبره من رآه ينثره الحوت فقال من حقق ذلك ؟ إن السمك إذا باض فى ساحل البحر فنضب الماء عنه وبدا للشمس أنه يفقس كله جرادا طيارا » ا.هـ .

٤ ــ وما أورده ابن كثير بالرغم مما فيه من الغرابة فانه يصلح ملاحظة تقترب بنا رويدا إلى ما نود الوصول إليه استنادا على نتائج التجارب

والملاحظات العلمية التى توضح لنا سلوك هذه الحشرات بالنسبة لوضع البيض ، ونحن فى هذا لا نريد الافتيات على الحديث الشريف ، وإنما نبغى تيسير فهمه مستأنسين فى ذلك بقول النبى ـــ ﷺ ـــ أنتم أعلم بشئون دنياكم (رواه مسلم) ونص هذا الحديث ليس معنيا بالعقيدة .

٥ ـ من الثابت علميا أن أناث الجراد تضع بيضها فى التربة شريطة أن تكون من النوع الخفيف الذى تتوفر له رطوبة نسبية ملائمة (من ١٠ ـــ ١٥٪) وساحل البحر الذى سبق ذكره هو بيئة تتوفر فيها نسبة الرطوبة المطلوبة ، كما تنمو بها بعض الأعشاب والنباتات من جراء ظاهرة المد والجزر ، مما يجعلها بيئة تغرى الجراد بالتغذية على هذه النباتات ووضع البيض فى تربتها (شكل رقم ٤) أى أن الجراد يضع بيضه على ساحل البحر وبعد مضى فترة الحضانة فى التربة يصادف

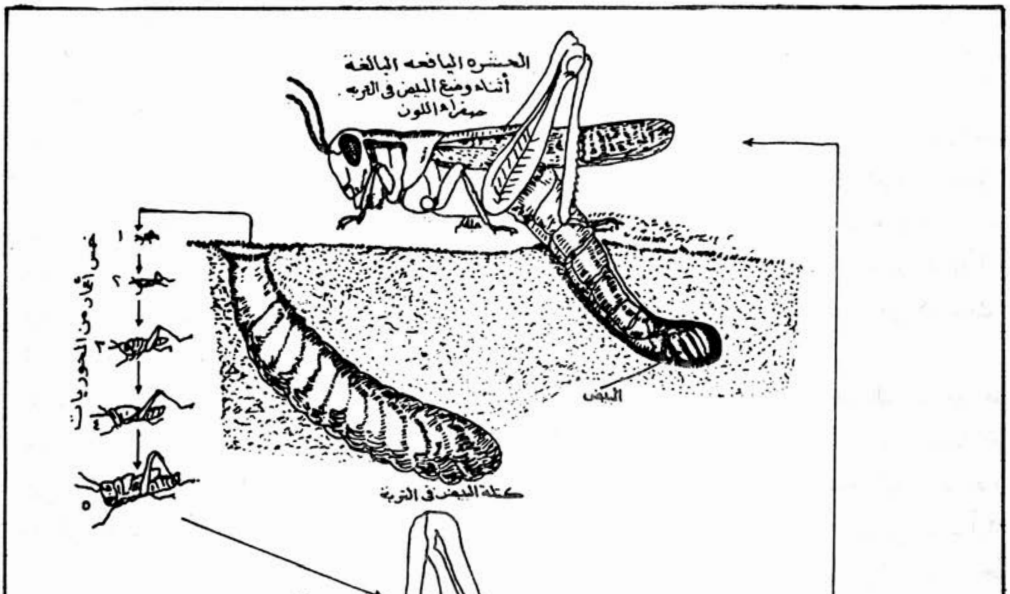

شكل رقم (٤) دورة حياة حشرات الجـــراد .

فقسه انحسار المياه عن الشاطىء فيراه الناس فيظنون أنه متولد من الحيتان ثم يتناقل الناس هذه المعلومات على نحو ما ورد فى الحديث .

٦ ـ ومن هذا العرض يتضح لنا أن فهم الحديث على هذا الأساس يكون أوفق ويزيل ما يبدو فيه من تناقض ، وبخاصة أنه قد تعلق بالأخذ به حكم فقهى فالجمهور .. على أنه برى يضمن هو وبيضه بالقيمة على المحرم وفى الحرم فلو وطئه المحرم عامدا أو جاهلا ضمن ، ولهم أدلة كثيرة على ذلك وقال العبدوى أن أبا سعيد الخدرى قال : لاجزاء فيه وحاكاه ابن المنذر عن كعب الأحبار وعروة ابن الزبير فإنهم قالوا : هو من صيد البحر لا جزاء فيه واحتجوا بالحديث المتقدم وغيره .
وحكى الرافعى فى باب الربا ثلاثة أوجه :
أحدها أنه ليس من جنس اللحوم قال فى « الروضة » وهو الاصح .
الثانى أنه من اللحوم البريات .
الثالث أنه من اللحوم البحريات .

خامسا :
الطريقة المثلى لتوظيف النتائج العلمية لخدمة الأغراض الشرعية :

أرى أن تشكل لهذا الغرض لجنة خاصة تتكون من :
١ ـ الأساتذة الأكفاء فى تخصصات الشريعة الإسلامية واللغة العربية .
٢ ـ الأساتذة الأكفاء فى التخصصات العلمية والإنسانية ممن لهم اهتمام بتوظيف بحوثهم ومؤلفاتهم وأعمالهم العلمية فى خدمة الشريعة الإسلامية وتيسير فهمهما وتقريبهما للأذهان .

اختصاصاتها :

تقوم هذه اللجنة أساسا بالعمل على إزالة الفجوة المتوهمة والجفوة المصطنعة بين العلم والدين من خلال الموضوعات التالية :ـ
١ ـ وضع تعريب دقيق للمصطلحات العلمية المستخدمة ليسهل على الطلاب والدارسين الوقوف عليها والاستفادة منها ، وليكون للأزهر دور الريادة والسبق فى إبراز مثل هذا العمل المفيد الذى يسهم بلا شك فى إثراء اللغة العربية من منطلق أن الدراسة فى جامعة الأزهر تتم باللغة العربية أساساً .
٢ ـ إنشاء مقرر دراسى عام على درجة عالية من الكفاية يختص بإبراز دور علماء العرب والمسلمين فى إثراء الحياة الفكرية والعلمية ، مع ربط الحاضر بالماضى فى هذا الصدد بما يتعلق ببعث الحضارة العربية وإظهار أثر العرب والمسلمين فى تطور الإنسانية وتقدمها ، ويكون هذا المقرر أحد متطلبات الجامعة بمعنى أنه يدرس على مستوى الجامعة .
٣ ـ تطعم المناهج العلمية ببعض هذه النماذج فى المعاهد الأزهرية للمرحلتين الإعدادية والثانوية حفزاً لهمم الطلاب فى مرحلة مبكرة .
٤ ـ تقييم الأعمال العلمية التى تقدم إلى هذه اللجنة بهذا الخصوص .
٥ ـ نشر الأعمال الجيدة والاتصال بالجهات المعنية لتنسيق العمل على طريقة الاستفادة بها .
٦ ـ تنظيم الندوات واللقاءات التى تقدم فيها مثل هذه الأعمال الهادفة .

التلوث البيئى فى مصر

أسبابه ونتائجه

للدكتورة / ماشاء الله حسن حسنى

مما لا شك فيه أن التقدم العلمى و (التقنى) الحديث فى القرن العشرين قد صحبه كثير من المضاعفات والآثار الجانبية التى تركت بصماتها على البيئة والطبيعة التى يعيش فيها الإنسان ؛ فقد انتشرت المخلفات الصلبة والسائلة والغازية الناتجة عن التفاعلات فى الماء والهواء والغذاء حتى أصبح التقدم العلمى سلاحا ذا حدين : فهو علامة على الحضارة والرقى والازدهار فى العلم من ناحية ، كما صار مؤثراً ضاراً على الأجواء والبيئة المحيطة بنواتجه الضارة من عناصر كيمائية و « بيولوجية » من ناحية أخرى .

هذه المضار تؤثر فى نشاط الإنسان وصحته وتؤدى إلى أمراض كثيرة وخطيرة .

ومن ثم فقد نشأت علاقة مزدوجة التفاعل بين الإنسان والبيئة المحيطة به ، فالإنسان بعلمه وتجاربه « الكيمائية والبيولوجية » والنووية يؤثر فى البيئة تأثيراً ضاراً ويلوثها ، والبيئة الملوثة بدورها تؤثر فى صحة الإنسان .

ومظاهر التلوث البيئى كثيرة ، فنحن نجدها فى الهواء الذى نستنشقه (نقياً) فتصلح به صحة الإنسان ، و (غير نقى) فتعتل به ، والأمر كذلك فى المياة التى نغتسل بها ونشربها .

وقضية التلوث البيئى تتصل أساساً بهذين النوعين من التلوث : تلوث الماء وتلوث الهواء .

ونظراً إلى أن هذه القضية تعتبر من أهم المشكلات القومية فى مصر فى وقتنا الحاضر ؛ فقد حظيت باهتمام كثير من الباحثين سواء فى مصر أو فى الخارج ، هؤلاء الباحثون الذين قاموا بدراسة أسباب التلوث البيئى المختلفة وتأثيرها على نشاطات الإنسان وصحته ، وذلك للتوصل إلى حلول وعلاج لهذه المشكلة الخطيرة المتمثلة فى الهواء والماء .

الهـــواء :

مكونات الهواء معروفة ، وأهميته للحياة العامة لا تحتاج إلى بيان ، ولكن فى كثير من الأحيان تحدث تغييرات فى مكوناته نتيجة لعوامل التلوث

التى قد تكون : غازية أو إشعاعية ، أو من عوامل أخرى مثل : الأتربة والدخان ، والمواد العالقة فى الجو ، والمتصاعدة كالرذاذات .

أنواع التلوث فى الهواء

١ ـ التلوث بالغازات :

(أ) أكاسيد الكربون :

وهى نواتج الاحتراق الكامل والغير كامل لوقود السيارات ، والاستخدام المنــزلى ، والتدخين فى الأماكن المغلقة . وقد ازدادت هذه (الأكاسيد) زيادة ملموسة خاصة فى غاز ثانى أكسيد الكربون نتيجة للتوسع فى استخدام المصادر الحضرية للوقود مثل الفحم والبترول ، وهذه الزيادة لها أثر على درجات الحرارة الجوية ؛ لأن لجزئيات ثانى أكسيد الكربون أثراً أشبه بأثر (الصوبة الزجاجية)[1] فى زيادة درجة الحرارة ، ويزيد من هذا العامل تزايد الغبار والدخان والدقائق الترابية العالقة والمنتشرة فى الجو ، وهذا يرجع إلى اتساع الرقعة السكانية ، وتزاحم المدن وتزايد ما يتصاعد منها من دخان وغبار ، يضاف إلى هذه العوامل ضيق الرقعة الخضراء ، ونقص الكساء النباتى الطبيعى مما أدى إلى قلة استيعاب الطبيعة الخضراء لغاز ثانى « أكسيد الكربون » .

مضار هذا النوع من التلوث :

وهذا النوع من التلوث يسبب التهابات فى الجزء العلوىّ للجهاز التنفسى ، وفى الشعيبات الهوائية ، كما أن غاز أول « أكسيد الكربون » له قابلية للاتحاد مع (هيموجلوبين) الدم ، فيقلل من قدرته وسعته على حمل غاز الأكسجين إلى أعضاء وأنسجة الجسم ، مما يسبب الصداع وعدم الاتزان ، وقد يؤدى إلى هبوط فى الدورة الدموية والقلب فالوفاة .

(ب) ثانى «أكسيد الكبريت » و « أكاسيد النيتروجين » :

وهى ناتجة من حرق الوقود فى المصانع المختلفة والمتعددة ، وفى الاستخدامات المنزلية ، ويتم تفاعل هذه الغازات فى الجو مع بخار الماء ، وينتج عنها (حامض الكبريتــــــيك) و (حامض النيتريك) ، **مما يسبب** المطر الحمضى الذى يلوث بدوره المياه العذبة خاصة فى البحيرات ، ويفسد الحياة والثروة السمكية فيها .

وهذا النوع من التلوث فى حالته الغازية مهيج ومثير لأغشية الجهاز التنفسى ، ويسبب الربو الشعبى مما يؤثر على كفاءة الرئتين ، ويؤدى فى النهاية لهبوط فى القلب والرئتين .

٢ ـ التلـــــوث بمركبـــــــات « الكلوروفلوروكربون » :

وتلك المركبات هى التى تستعمل كرذاذات وتستخدم فى المواد العطريــة ، والمبيــدات الحشرية ، ومزيل العرق .

هذه المركبات يتصاعد منها الرذاذ إلى طبقات الجو العليا وتؤثر فى جزئيات (طبقة الأوزون) ، تلك الطبقة بالغة الأهمية لبقاء الحياة على سطح الأرض ، وهى الدرع الــواقى للإنسان من (الأشعة فوق البنفسجية) التى تسبب سرطان الجلد .

٣ ـ التلوث بالإشعاع :

وهو الناتج عن استخدام المواد المشعة فى الطب

والطاقة النووية ، مثل ما يصدر من أجهزة الأشعة التشخيصية (أشعة اكس) ، والنظائر المشعة التى تستخدم فى تشخيص ومعرفة أماكن الأورام ، كذلك العلاج بالإشعاع فى حالة الأمراض السرطانية .

وهذا النوع من التلوث يسبب أنواعا كثيرة من السرطانات .

هذه الأنواع الثلاثة من التلوثات يُضاف إليها فى مدينة القاهرة ما يسمى بالتلوث الضوضائى .

وهذا التلوث ناتج من الضوضاء والأصوات الصاخبة التى تصدر من : مكبرات الصوت ، وآلات الحفر والبناء ، ووسائل المواصلات من سيارات ومركبات وقطارات ، وضوضاء المصانع ، والأصوات الآدمية والحيوانية .

وهذا النوع من التلوث يسبب ضعفاً مؤقتاً أو مستديماً فى السمع ، والشعور بالضيق والتوتر ، واضطراب النوم إلى اضطرابات نفسية وعصبية مع الصداع ، وعدم التركيز .

التلوث فى المياه :

مصادر المياه فى مصر هى نهر النيل والآبار الجوفية . وأول القضايا البيئية فى مجال المياه العذبة تتضمن وصول المياة النقية إلى الناس لاستخدامهم الشخصى ، تلك مسألة تتصل أيضاً بوجود وسائل الصرف الصحى .

أنواع التلوثات :

١ ــ تلوثات « بيولوجية ــ بكتيرية ــ فيروسية » ــ ديدان وطحالب وتوالد الباعوض .

٢ ــ تلوثات تعد كيميائية : مبيدات حشرية ــ زيوت ــ شحوم ــ رصاص .

وغالباً ما يكون التلوث من هذين النوعين مجتمعين فالمياه العذبة الجارية فى شبكات الرى والصرف تتعرض للتلوث نتيجة ما يتسرب إليها من إفرازات المناطق السكنية ، والمجموعات الصناعية ، وما يصل إليها من مياه الصرف الزراعى المحملة ببقايا المبيدات والأسمدة والأملاح .

من هنا نجد أن المياه العذبة تتلوث « بمواد نيتروجينية و « فوسفاتية وعضوية فتزيد ــ بدورها ــ من نمو الطحالب والأعشاب المائية على نحو طافح يستهلك أغلب موارد « الأكسجين » الذائب فى الماء ليصبح الماء بعد ذلك غير صالح لحياة الأحياء المائية ، كما أن بعض هذه المواد سام وضار بالكائنات الحية والإنسان .

أسباب التلوث :

١ ــ الصرف الصحى :

تعانى شبكات الصرف الصحى فى المدن من زيادة الكميات الواردة إليها عن طاقتها ، هذا بجانب انقضاء العمر الافتراضى لها ، ويرجع ذلك إلى الزيادة السكانية فى المدن ، والتوسع الغير مخطط فى الأحياء المختلفة ، والتقصير فى علاج المخلفات .

هذا وفى القرى المحرومة من خدمات الصرف الصحى يلجأ أهلها إلى الطرق البدائية لقضاء حاجتهم ، وغالباً ما تكون بجانب مجرى مائى ، كما أن المراحيض الصحية فى المساكن والمساجد والمدارس ، تلقى بمخلفاتها فى المجارى المائية والمصارف والترع .

٢ ــ مصارف تصب فى المسطحات المائية ، ونهر النيل :

(أ) **مخلفات المصانع**

(ب) « **الكيماويات**» الزراعية ، مثل المخصبات ومبيدات الآفات الزراعية . وهى عبارة عن مواد « كيميائية » سامة تتسبب فى حدوث حالات تسمم .

(جـ) النقل النهرى والعائمات :

ويدخل فيها البواخر السياحية ، ومراكب الصيد والتجارة والعائمات السكنية . وجميعها تلقى بمخلفاتها فى نهر النيل .

هذا بخلاف ما سببه السد العالى من آثار جانبية مثل بطء التيار فى مجرى النهر مما أتاح الفرصة لتراكم الملوثات ، ونمو الطحالب ، ونمو نبات ورد النيل .

وهذا النوع من التلوث يسبب أنواعاً من التسمم منه الحاد ومنه المزمن ، وكثير من أمراض الجهاز الهضمى والعصبى .

العلاج لكل من :

١ ـ تلوث الهواء :

لكى نقلل ـ وليس نمنع ـ تلوث هواء البيئة المحيطة بنا يجب :

أولًا : إصدار قانون جاد لحماية البيئة من التلوث يقضى بتنظيم عمليات احتراق الوقود والمخلفات والنفايات الصناعية الغازية ، واستخراج واستخدام البترول حسب تعليمات الصحة الدولية وأحدث الطرق المتبعة فى الدول الصناعية المتقدمة .

ثانياً : وضع المبيدات الحشرية تحت بند السموم ، وتنظيم تداول واستخدام المواد المشعة ، وارتداء الدروع الواقية وقت الاستخدام .

ثالثاً : وضع قانون لمنع التدخين فى الأماكن المغلقة مع تهوية هذه الأماكن فى فترات معينة لتجديد هوائها .

رابعاً : كذلك يوضع قانون تراعى متابعته للحد من الضوضاء يعمل به وليس قانوناً على الورق .

٢ ـ وتلوث المياه :

ولمنع هذا التلوث ينبغى :

● ● صيانة وتجديد شبكات الصرف الصحى لتتناسب مع الضغط الحالى .

● ● اختيار طرق بسيطة غير مكلفة لمعالجة المخلفات السائلة الصناعية .

● ● إلزام الشركات والمصانع بعلاج مخلفاتها السائلة قبل صرفها خاصة مصانع السكر والزيوت والصابون والأسمدة والصباغة والتجهيز و « الكيماويات » لأن هذه المصانع تعتبر مخلفاتها أشد خطورة . منها : الزيوت ـ الشحوم ـ المواد العضوية ـ المعادن الثقيلة ـ والسموم .

● ● كما يجب عند إنشاء أى مصنع جديد أن يشترط على القائمين عليه علاج هذه المخلفات قبل التصريح بإنشائه .

● ● التنسيق بين خدمات المياه والصرف الصحى .

● ● أن يحظر ـ حظراً مطلقاً ـ الصرف نهائياً فى نهر النيل والبحيرات العذبة ..

المراجع :

١ ـ تقرير المجلس القومى للخدمات والتنمية الاجتماعية ١٩٨٩/١٩٩٠ .

٢ ـ مجلة العلوم الحديثة ، مايو سنة ١٩٨٣ .

٣ ـ مجلة العلوم الحديثة ، أكتوبر سنة ١٩٨٣ .

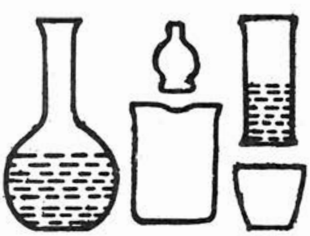

الجديد في العلم والتقنية

إعداد د / نجوى السيد أحمد [*]

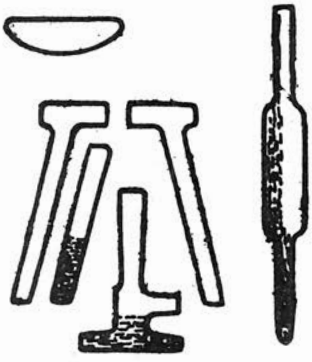

أحدث طريقة لعلاج قصور الجهاز المناعى :

بدأت فى أمريكا أول محاولة لعلاج قصور الجهاز المناعى للإنسان باستخدام « الجينات »[1] . فقد قام أحد الأطباء فى المعاهد الوطنية الصحية الأمريكية بعلاج طفلة فى الرابعة من عمرها ، ولدت بدون نظام مناعة عن طريق أخذ خلايا كريات دم بيضاء من جسم الطفلة ، وحقنها بـ (جين) صناعى يساعد على توليد « انزيم » أ.د.أ (ADA) الذى يحتاج إليه الجسم لعلاج قصور الجهاز المناعى وضخها مرة أخرى فى مجرى دم الطفلة ، وتكرار مرات العلاج أمر ضرورى ؛ لأن خلايا كريات الدم البيضاء لها فترة عمر محددة .

---

(١) الجينات : نقط على « الكروموسومات » حاملات الصفات الوراثية .

تقنية حديثة لجراحة
الأعصاب بدون مبضع :

شهدت السنوات الأخيرة تقدماً ملموسا فى مجالى التصوير الإشعاعى والجراحة خاصة فيما يتعلق بالأمراض المستعصية العصرية . ففى فرنسا جرى مؤخراً تطوير جهاز للتصوير بأشعة « جاما » يطلق عليه « وحدة جاما » كان قد اخترعه لأول مرة جراح أعصاب سويدى منذ سنوات ، وتعتمد هذه الوحدة على النشاط الإشعاعى فى معالجة الأورام ، ورسم صورة واضحة ثلاثية الأبعاد للدماغ ، وتعيين مكان التورم فيه بدقة لا يتعدى الخطأ فيها ملليمتر واحداً حيث يتم علاج الورم عن طريق تصويب حزم إشعاع جاما نحوه .

قلم خاص « للكمبيوتر » :

تم إنتاج أحدث قلم صمم خصيصاً لأعمال الحاسب الآلى ، وهو يسهل عمليات التصميم والكتابة ، وكذلك الرسومات فى الحاسبات الآلية . ويستعمل قلم الحاسب تماما مثل القلم الرصاص لذلك يكون طبيعياً فى الاستخدام ويوفر وقتاً طويلا للعاملين فى هذا المجال .

النباتات ترفض
لمس الإنسان :

أثبت فريق بحث فرنسى أن الأشجار والنباتات وخاصة نباتات الزينة تتأثر بشدة عند تعرضها للمس الإنسان بطريقة عشوائية ، وتنمو بدرجة أقل من تلك التى لاتتعرض للمس . وأكدت الأبحاث أن خمسة (جينات) وراثية على الأقل بالنبات تتفاعل سلبياً عند لمس الإنسان للشجرة مما يؤدى إلى تجميد نمو النباتات كرد فعل طبيعى للضغط العصبى عليها .

لدائن جديدة تتلاشى
عند الاستغناء عنها :

أنتجت شركة بريطانية عبوات من البلاستيك تتلاشى ذاتياً عند الاستغناء عنها نهائياً ، وذلك بعد معاملتها بنوع خاص من البكتريا اللاهوائية . ويتميز هذا المنتج الجديد بمقاومته العالية للصدمات بالإضافة إلى قدرته على حفظ ما بداخله لفترات طويلة .

تليسكوب فائق الدقة :

تمكنت شركة يابانية للإلكترونيات من اختراع « جهاز استقبال تليسكوبى » يرصد الأشياء فى الفضاء بدقة خارقة ويستهلك طاقة أقل . والجهاز يزن ٣٥ كيلو جراماً ، وطوله ٧٠سم وقطره ٢٦سم ، وقد تم استخدام عناصر موصلة فائقة فى صنعه لتخفيض حجمه ووزنه وزيادة دقته عن الأجهزة المستعملة حاليا . والتليسكوب الجديد يفيد فى رصد حركة الأشياء بالفضاء كالثقوب السوداء ومجموعة المجرة التى لاترى بواسطة التليسكوب البصرى .

« ميكانيكى الكترونى » للسيارات :

تمكن العلماء الإنجليز من ابتكار جهاز إلكترونى جديد يتم توصيله بمحرك السيارة

للكشف عن العطل وسببه ، والجهاز مزود بثلاثة أشرطة مسجل عليها المعلومات عن جميع أنواع السيارات فى العالم ، وقد أثبتت التجارب الأولية لهذا الجهاز زيادة دقته .

نظام غذائى لعلاج
الآلام المفاصـــل :

أكد فريق طبى نرويجى أن اتباع نظام غذائى نباتى معين يفيد فى علاج مرض التهاب المفاصل شبه الروماتيزمى . فقد أخضعت الدراسة بعض المرضى لنظام غذائى يتكون من شاى الأعشاب والثوم وحساء الخضروات والعصائر ، وبعد أسبوع خضعوا لنظام غذائى يخلو من اللحوم ومنتجات الألبان والأسماك والموالح وملح الطعام والسكر والتوابل القوية والشاى والقهوة ، وبعد ثلاثة أشهر سمح للمرضى بتناول الحليب ومنتجات الألبان فتحسنت حالة المرض وقل الألم .

فوائد طبية للشاى :

توصل بعض الباحثين اليابانيين إلى أن الشاى يمنع الإصابة بالأنفلونزا ، ويحول دون تسوس الأسنان ، ومادة « الصابونين » المستخلصة من الشاى الأخضر تمنع السرطان والبلغم فى الجسم . وأن مادة « الفلافين » بأوراق الشاى الأسود تقتل فيروس الأنفلونزا ، فقد قام الباحثون بحقن فيروس الأنفلونزا فى الشاى المخفف إلى ٢٥٪ من قوته العادية ففقد قدرته على العدوى فى خلال خمس ثوان ، كما أثبتوا أن « التغرغر » بالشاى له فعالية فى منع الأنفلونزا ؛ لأن المرض ينتشر بسرعة فى خلايا الأنف والحنجرة .

حاسب آلـــى
لمراقبـة الأجنـة :

تمكنت شركة من ابتكار جهاز كمبيوتر مهمته مراقبة الجنين داخل الرحم ، ويقوم هذا الجهاز بتسجيل نبض وحركة الجنين والمشاكل التى يتعرض لها . والجهاز الجديد عبارة عن آلة صغيرة الحجم تستخدم ذبذبات عالية التردد من الموجات الصوتية . يتم بواسطتها مراقبة نبضات قلب الجنين وحالته الصحية ، وتعرض النتائج من خلال جهاز الكمبيوتر .

طاقة الرياح لإنارة
أكشـــاك التليفونات :

ابتكر مهندس يعمل فى هيئة الاتصالات البريطانية طريقة جديدة لاستغلال قوة الرياح فى إنارة أكشاك التليفونات ، وتعتمد هذه الطريقة على وضع مروحة فوق كل كشك تولد طاقة كافية لانارة الكشك طوال الليل ، وتتميز هذه الطريقة بقلة تكاليفها ، وعدم الحاجة إلى توصيل كل كشك بمصدر للتيار الكهربى .

دراجة هوائية فضائية :

تم تصميم مركبة خاصة خفيفة الوزن وصلبة الهيكل تقاوم أعنف الرياح ، وتسير ليس بمحرك ، وإنما بـ « دواسات دراجة » مما يقتضى أن يكون قائدها صاحب عضلات شديدة فى قدميه للتمكن من التحليق والطيران مسافة تراوح المائة كيلو متر فى أقل من ٩ ساعات طيران تقريباً .

البحث النحوي عند الإمام النووي

- ٣ -

إعداد الأستاذ الدكتور/ محمد عبد القادر هنادي

ثالثا : فى باب الأدوات والحروف :

زيادة الباء فى ستة :

زيادتها للتوكيد

١ - تزاد الباء توكيدا فى مواضع ستة هى : «الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر والحال والتوكيد(١)

واحتج الإمام النووى على زيادتها للتوكيد بحديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة - رضوان الله عليهم - ، فمن الحديث ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ قال لعمرو بن العاص : « ابسطْ يمينك فلأبايعك ، فبسط يمينه ، قال : فقبضتُ يدى ، قال : مالك ياعمرو ، قال : قلتُ : أردتُ أن أشترط ، قال : تشترطُ بماذا ؟ »(٢) ، قال النووى : « قوله ﷺ : (تشترط بماذا) هكذا ضبطناه بإثبات الباء ، فيجوز أن تكون زائدة للتوكيد كما فى نظائرها(٣) ، ومن الآثار التى احتج بها على مجىء الباء زائدة للتوكيد مارواه مسلم عن ابن عباس أن الرسول ﷺ مَرّ بقبرين ، ثم دَعَا بعسيب رطب فشقه باثنين ، ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا »(٤) ، قال النووى : قوله : (باثنين) هذه الباء زائدة للتوكيد ، و(اثنين) منصوب على الحال ، وزيادة الباء فى الحال صحيحة معروفة »(٥) .

---

(١) همع الهوامع ، ٢/٢٢ .

(٢) صحيح مسلم ، وتمامه : قال : قلت : أن يغفر لى ، كتاب الايمان ، باب الاسلام يهدم ما قبله .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٣٨ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ، ووجوب الاستبراء منه .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٣/٢٠١

حذف حرف العطف (الواو):

٢ ـ استشهد النووى على جواز حذف حرف العطف (الواو) بالحديث الشريف، ومنه ما رواه مسلم عن عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، فكان يقول: «التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله»[٦]، قال فى شرح هذا الحديث: «حديث ابن عباس» التحيات المباركات الصلوات الطيبات تقديره: والمباركات، والصلوات، والطيبات، ولكن حذفت الواو اختصارا، وهو جائز فى اللغة[٧]، وروى مسلم عن أبى موسى الأشعرى فى حديث الرسول ﷺ الذى علّم فيه الصحابة الصلاة، ومما جاء فيه (وإذا قال: (سمع الله لمن حمده) فقولوا اللهم ربنا لك الحمد[٨]، قال النووى، قوله: (ربنا لك الحمد) هكذا هوهنا بلا (واو)، وفى غير هذا الموضع (ربنا ولك الحمد)، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإثبات الواو وبحذفها، وكلاهما جاءت به روايات كثيرة، والمختار أنه على وجه الجواز، وأن الأمرين جائزان، ولا ترجيح لأحدهما على الآخر[٩].

(عن) قد تفيد الاستعانة:[١٠]

٣ ـ ذكر ابن هشام أن (عن) الجارة تأتى مفيدة معنى الاستعانة، وقد قاله ابن مالك، ومثل عليه بقولهم: رميت عن القوس؛ لأنهم يقولون أيضا: رميت بالقوس، وأجاز الإمام النووى ذلك، واحتج عليه بحديث صحيح رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبْرِدُوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»[١١] قال ـ رحمه الله: قوله (فأبردوا عن الصلاة)، (عن) تطلق (بمعنى الباء)، كما يقال: رميت عن القوس، أى بها[١٢]

اللام الجارة بمعنى (فى):

٤ ـ هل تأتى اللام الجارة بمعنى (فى)؟. أجاز النووى ذلك، واستدل على ماذهب إليه بالحديث النبوى، ومنه مارواه مسلم عن عتبان ابن مالك أن الرسول ﷺ دخل بيته.. فقال قائل «أين مالك بن الدُّخْشُن، فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحبُ الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: لا تُقلْ له ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يريدُ بذلك وجه الله»[١٣]

قال ـ رحمه الله ـ فى شرح الحديث: «قوله ﷺ: «لا تقل ذلك» أى: لا تقل فى حقه ذلك، وقد جاءت اللام بمعنى (فى) فى مواضع كثيرة نحو هذا[١٤].

ومن الآثار التى احتج بها على جواز مجىء اللام بمعنى (فى) ما رواه مسلم عن أبى هريرة أنه قيل: يارسول الله، الرجلُ الذى قلت له آنفا إنه من أهل النار، فإنه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات[١٥]»

---

(٦) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد فى الصلاة.

(٧) صحيح مسلم بشرح النووى ٤/١١٦.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد فى الصلاة.

(٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٤/١٢١.

(١٠) المغنى ١٩٨.

(١١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الابراد بالظهر فى شدة الحر.

(١٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٥/١١٨.

(١٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة فى التخلف عن الجماعة لعذر.

(١٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٥/١٦٠.

(١٥) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب غلظ تحريم الانسان نفسه، وقد صدق الرسول عليه السلام لأن الصحابة وجدوا الرجل بعد ذلك قد قتل نفسه لأنه لم يصبر على جرحه.

قال النووى: «أى قلت فى شأنه ، وفى سببه ، قال الفراء وابن الشجرى وغيرهما ـ من أهل العربية: اللام قد تأتى بمعنى (فى) ، ومنه قوله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة[16] أى فيه[17]) .

إلحاق هاء السكت كُلَّ محرّك

٥ ـ قال ابن مالك فى كتابه[18]: «شرح الكافية الشافية» وهو يتحدث عن (زيادة هاء السكت فى الوقف): (ويجوز أن تلحق هذه الهاء كل محرك حركة بناء لازم نحو (كيف) و(ثم) و(أن) ، وقد احتج الإمام النووى على قول ابن مالك بحديث للرسول ﷺ رواه الإمام مسلم فعن أبى هريرة قال: «وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قَصْعَة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحبَّ الشاة إليه ، فنهس نَهْسَةً فقال: أنا سيدُ الناس يوم القيامة ... فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال: ألا تقولون كَيفَهْ؟ قالوا: كَيْفَه يارسول الله ، قال: يقوم الناس لرب العالمين»[19] وساق الحديث .

قال ـ رحمه الله: «قوله ﷺ: (ألا تقولون: كيفه ؟) إن هذه هى (هاء السكت) تلحق فى الوقف ، وأما قول الصحابة (كيفه يارسول الله) فأثبتوا الهاء فى حالة الدرج ، ففيها وجهان حكاهما صاحب التحرير وغيره ، أحدهما: من العرب من يجرى الدرج مجرى الوقف ، والثانى أن الصحابة قصدوا اتباع لفظ النبى ﷺ الذى حثهم عليه»[20] .

القسم الثانى: الاحتجاج بآثار الصحابة:

من آثار الصحابة التى احتج بها الآثار التالية ، فى استعمال (ما) للعاقل:

١ ـ استشهد الإمام النووى على جواز استعمال (ما) للعاقل بآثار الصحابة ، ومنها مارواه مسلم عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال «ليس المسكين بهذا الطَّوَّاف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، قالوا: فما المسكين يارسول الله ؟ قال: الذى لايجد غنى يُغْنيه»[21] .

قال ـ رحمه الله ـ فى شرح هذا الحديث[22]: «قوله (فما المسكين ؟) هكذا هو فى الأصول كلها (فما المسكين) ، وهو صحيح؛ لأن (ما) تأتى كثيرا كصفات من العقل كقوله تعالى «فانكحوا ما طاب لكم من النساء[23] .

ومنها ـ أيضا ـ ما رواه مسلم عن عمرو بن عبسة السلمى ـ رضى الله عنه ـ قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ بمكة ، فقلت له: ما أنت ؟[24] قال: أنا نبى ، فقلت: ومانبى ؟ قال: أرسلنى الله» ، قال ـ رحمه الله: «قوله: (فقلت له: ما أنت) هكذا هو فى الأصول (ما أنت) ، وإنما قال: (ما أنت) ، ولم يقل (من أنت) ؛ لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته[25] .

---

(١٦) الأنبياء ٤٧ .

(١٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢٢/٢ .

(١٨) شرح الكافية الشافية ٢٠٠٠/٤ .

(١٩) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب الشفاعة.

(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٧٠/٣ .

(٢١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب النهى عن المسألة .

(٢٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣٠/٧ .

(٢٣) النساء ٣ .

(٢٤) صحيح مسلم ، بابب الأوقات التى ينهى عن الصلاة فيها .

(٢٥) صحيح مسلم بشرح النووى ١١٥/٦ .

زيادة (مِنْ) فى الموجب :

٢ ـ اشترط النحاة على جواز مجىء (من) حرف جر زائد ثلاثة شروط(٢٦) :

أحدها : تقدم نفى أو نهى أو استفهام .

والثانى : تنكير مجرورها .

والثالث : كونه فاعلا ، أو مفعولا به ، أو مبتدأ

وذهب الأخفش إلى جواز زيـــادتها فى الإيجاب(٢٧) .

وتناول الإمام النووى هذه المسألة فى شرح صحيح مسلم ، وأيَّد مذهب الأخفش ، واحتج على الجواز بآثار الصحابة ، منها مارواه مسلم عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : (كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر ... فلما أردت ان أبْتَنِىَ بفاطمة ، واعدت رجلا صَوَّاغاً من بنى قينقاع يرتحل معى فنأتى بإذْخِر أردت أن أبيعه من الصواغين ، فأستعين به فى وليمة عرسى) ، قال النووى : «قوله (أردت أن أبيعه من الصواغين) هكذا هو فى جميع نسخ مسلم ، وفى بعض الأبواب من البخارى (من الصواغين) ففيه دليل لصحة استعمال الفقهاء فى قولهم : بعت منه ثوبا ، وزوجت منه هندا ، ووهبت منه جارية وشبيه ذلك ، والفصيح حذف (من) فإن الفعل متعد بنفسه ، ولكن استعمال (من) فى هذا صحيح ، وقد كثر ذلك فى كلام العرب ، وقد جمعت من ذلك نظائر كثيرة فى تهذيب اللغات فى حرف الميم مع النون ، وتكون (من) زائدة على مذهب الأخفش ومن وافقه فى زيادتها فى الواجب(٢٨) .

ومما ورد فى القرآن الكريم على جواز زيادة (من) فى الإيجاب قوله تعالى : «ولقد جاءك من نبأ المرسلين»(٢٩) ، «يغفر لكم من ذنوبكم»(٣٠) ، «يحلون فيها من أساور من ذهب(٣١) ، «يكفر عنكم من سيئاتكم(٣٢) .

حذف جواب (لو) لدليل

٣ – قال السيوطى – رحمه الله تعالى : (ويحذف جواب (لو) لدليل ، وهو كثير فى القرآن ، ومنه قوله تعالى : «ولو أن قرآناً سُيِّرَتْ به الجبالُ أو قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى»(٣٣) أى لكان هذا القرآن»(٣٤) ، واحتج الإمام النووى على جواز حذف جواب (لو) بآثار الصحابة ، ومنها ما رواه مسلم عن سهل بن حنيف – رضى الله عنه – قال يوم صفين : اتهموا رَأْيَكُمْ على دينكم ، فلقد رأيتُنى يوم أبى جَنْدَلٍ ولو أستطيعُ أن أردَ أمرَ الرسول – ﷺ – ما فتحنا منهُ فى خُصْمٍ إلا انفجرَ علينا منهُ خُصْمٌ(٣٥) .

قال النووى فى شرح هذا الأثر : قوله (ولو أستطيع أن أرد) هكذا وقع هذا الحديث فى نسخ صحيح مسلم كلها ، وفيه محذوف وهو جواب (لو) تقديره ، ولو أستطيع أن أرد أمـــره – ﷺ – لرددته ، ومنه قولـــه تعالى : «ولو ترى إذ المجرمون»(٣٦) «ولو ترى إذ

---

(٢٦) المغنى ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٢٧) المغنى ٤٢٨ .

(٢٨) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٦/١٣ .

(٢٩) الاحقاف ٣١ .

(٣٠) الأنعام ٣٤ .

(٣١) البقرة ٢٧٠ .

(٣٢) الكهف ٣١ .

(٣٣) الرعد ٣١ .

(٣٤) همع الهوامع ٦٦/٢ .

(٣٥) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسيرة ، باب صلح الحديبية .

(٣٦) السجدة ١٢ .

الظالمون فى غمرات الموت»(٣٧) ، «ولو ترى إذ الظالمون موقوفون»(٣٨) ، ونظائره ، فكله محذوف جواب (لو) لدلالة الكلام عليه ، وأما قوله : (ما فتحنا منه فى خصم) ، فالضمير فى (منه) عائد إلى (اتهموا رأيكم) ، ومعناه: ما أصلحنا من رأيكم وأمركم هذا ناحية إلا انفتحت أخرى ، ولا يصح إعادة الضمير إلى غير ما ذكرناه»(٣٩) .

زعم بمعنى (قال) :

٤ – ذهب النووى إلى أن الفعل (قال) يأتى بمعنى (زعم) ، وينصب مفعولين ، واحتج على هذا بآثار الصحابة – رضى الله عنهم – ومنها ما رواه مسلم عن : أنس بن مالك قال : جاء رجل من أهل البادية فقال : يامحمد ، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال : صدق .... وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ، قال : صدق ... قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ، قال : صدق ... قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا ، قال : صدق ... قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، قال : صدق(٤٠) .

قال النووى فى شرح الحديث : «قوله : (زعم رسولك أنك تزعم أن الله أرسلك) فقوله (زعم) وتزعم مع تصديق رسول الله ﷺ إياه دليل على أن (زعم) ليس مخصوصا بالكذب والقول المشكوك فيه ، بل يكون – أيضا – فى القول المحقق والصدق الذى لاشك فيه ، وقد جاء من هذا كثير فى الأحاديث ، وعن النبى ﷺ ، قال : «زعم جبريل كذا» ، وقد أكثر سيبويه – وهو إمام العربية – فى كتابه الذى هو إمام كتب العربية من قوله : (زعم الخليل ، زعم أبوالخطاب) ، يريد بذلك القول المحقق ، وقد نقل ذلك عن جماعات من أهل اللغة وغيرهم ، ونقله أبوعمر الزاهد فى شرح الفصيح عن شيخه أبى العباس ثعلب عن العلماء باللغة من الكوفيين والبصريين(٤١) .

الماضى من (يوشك) :

٥ – أجاز النحاة مجىء الفعل الماضى من (يوشك) واحتج النووى على ذلك بآثار الصحابة ، ومنها مارواه مسلم : أن عبدالله بن عمر – رضى الله عنهما قال – فى قوله تعالى : «فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا» : (لو رُخِّصَ فى هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد(٤٢) .

قال النووى : «قوله (لأوشك إذا برد عليهم الماء) معنى (أوشك) ، قرب وأسرع ، وقد زعم بعض أهل اللغة أنه لايقال : أوشك ، وإنما يستعمل مضارعا ، فيقال : يوشك، وليس كما زعم هذا القائل ، بل يقال : أوشك أيضا ، ومما يدل عليه هذا الحديث مع أحاديث كثيرة فى الصحيح مثله(٤٣)

تأتى (الحال) من النكرة :

٦ – قال ابن مالك : «قد يجىء صاحب الحال نكرة خالية من جميع ما ذكر من المسوغات ، من ذلك ما حكى يونس أن ناسا من العرب يقولون : مررت بماءٍ قِعْدَةَ رجل(٤٤) ،

---

(٣٧) الأنعام ٩٣ .
(٣٨) سبأ ٣١ .
(٣٩) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٤٢ – ١٤٣ .
(٤٠) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب أركان الاسلام .
(٤١) صحيح مسلم بشرح النووى ١/١٧٠ .
(٤٢) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب التيمم .
(٤٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٤/٦١ .
(٤٤) الكتاب ١/١٧١ .

وروى سيبويه عن الخليل - (إجازة) : (فيها رجل قائما)[٤٥] ، وعن عيسى إجازة : (هذا رجل[٤٦] ، قال سيبويه : ومثل ذلك : عليه مائة بيضا »[٤٧] .

واحتج الإمام النووى على جواز مجىء الحال من النكرة بما رواه مسلم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : «أقبل رجل حراما مع النبى ﷺ فخر من بعيره فَوُقِصَ وَقْصًا فمات[٤٨] .

قال النووى - رحمه الله : قوله : (أقبل رجل حراما) هكذا هو فى معظم النسخ ، ويكون حالا ، وقد جاءت الحال من النكرة على قلة[٤٩] .

جواز إضافة العدد المعرفة إلى نكرة :

٧ - منع جمهور النحاة إضافة العدد المعرف إلى اسم نكرة ، وأجازه النووى محتجا عليه بآثار الصحابة - رضى الله عنهم :

ومنها مارواه مسلم عن جابر بن عبدالله - رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ رَمَلَ الثلاثة أطواف من الحجر الى الحجر[٥٠] ، قال - رحمه الله : قوله (رمل الثلاثة أطواف) هكذا هو فى معظم النسخ المعتمدة بتعريف الأول وتنكير الثانى فمنعه جمهور النحويين ، وهذا الحديث يدل لمن جوزه ، وقد سبق مثله فى رواية سهل بن سعد - رضى الله عنه - فى صفة منبر النبى ﷺ قال : «فعمل هذه الثلاث درجات» ، وقد رواه مسلم هكذا فى كتاب الصلاة ، وقد سبق التنبيه إليه[٥١] » .

---

(٤٥) الكتاب ٢٨٧/١ .

(٤٦) الكتاب ٢٧٢/١ .

(٤٧) الكتاب ٢٧٢/١ .

(٤٨) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب مايفعل بالمحرم اذا مات .

(٤٩) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣٠/٨ .

(٥٠) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب اسحباب الرمل فى الطواف والعمرة .

(٥١) صحيح مسلم بشرح النووى ٩/٩ - ١٠ .

خزائن المخطوطات

بجمهورية أوزبكستان الإسلامية

د. عبدالله نجيب محمد

رحلة عبر التاريخ :

مع استقلال جمهورية أوزبكستان وتخلصها من الحكم الشيوعى المنهار ، تتجه أنظار العالم الإسلامى إلى هذه الجمهورية الوليدة ، التى كانت يوماً ما فى القرن السادس عشر الميلادى ، إحدى القوى الإسلامية الكبرى فى العالم . مثلما كانت مدينة طشقند إحدى كبريات العواصم الإسلامية فى ذلك الزمن وكانت تزخر بالمساجد ودور العلم ، تموج بالعلماء والشعراء والفلاسفة من جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وقد ثبت الآن تاريخياً — وعلى يد مستشرق أوزبكستان — أن عصر النهضة فى آسيا الوسطى قد بدأ قبل عصر النهضة الأوربية بأكثر من قرنين ، وأن آسيا الوسطى قدمت للبشرية عدداً من الشعراء والكتاب والمفكرين والعلماء أغنوا الثقافة الإسلامية بمنتجاتهم الفكرية والروحية التى قل نظيرها فى العالم كله آنذاك .

معهد أبى الريحان البيرونى :

من المعالم الرئيسية فى أوزبكستان معهد الاستشراق المسمى باسم العلامة الكبير « أبى الريحان البيرونى » ، التابع لأكاديمية العلوم ، وبهذا المعهد مجموعة ضخمة من المخطوطات الشرقية ، لا تقل من حيث غناها وقيمتها العلمية وأهميتها التراثية عن أية مجموعة من المجموعات المحفوظة فى أية خزانة من خزانات المخطوطات الشرقية فى عواصم العالم الإسلامى والأوروبى .

ومن أهم الكنوز الموجودة بها : مؤلفات نوائى ، والرودكى ، وجامى ، والفردوسى ، وهى من أهم الآثار الأدبية فى العالم ، وكنز من كنوز العبقرية الإنسانية .

ولقد دلتنا الأبحاث التاريخية التى قام بها باحثو المعهد وكذلك التراجم التى قدموها للمخطوطات التى تم وصفها وفهرستها ، دلتنا على هذه الذخائر الثمينة التى ورثناها عن هؤلاء المؤرخين والفلاسفة والشعراء والمفكرين .

تاريخ خزانة المخطوطات :

تأسست مكتبة (طشقند) الحكومية عام ١٨٧٠ وفتح بها قسم للمخطوطات الشرقية ، وبلغ عدد المخطوطات بها عام ١٨٨٩ حوالى ٩٠ مجلداً ، وبعد عام ١٩٥٢ زاد عدد المدونات

والآثار القديمة التى جمعت وضمت إلى هذه المكتبة ، حتى بلغت الآلاف من الكتب النادرة والمجموعات الكاملة .

ومن المجموعات النادرة مجموعة لـ (شريف جان مخدوم) وهو أحد أمناء مدينة (بخارى) وهى فريدة من نوعها ، وتتضمن هذه النسخة عدداً من الرسائل التى بعثها علماء الدولة وشعراؤها وشخصياتها إلى الشاعر والمفكر الأوزبكى الكبير (على شير نوائى) ، أحد أشهر كبار الكتاب فى عصره ، وكذلك توجد مجموعة الرسائل الأصلية للشاعر الكبير (عبدالرحمن الجامى) ومع هذه المجموعة نفسها توجد نسخة فريدة من نوعها (خمسة نظامى) لأمير (خسرو الدهلوى) المشهور بشهرة بالغة فى الهند ، وهذه النسخة تضم ثلاث قصائد من خمس كان الشاعر الغنائى الكبير (حافظ الشيرازى) قد أعاد كتابتها .

ومن نوادر المخطوطات بهذه الخزانة أيضا : ما كتبه (جواهر لال نهرو) رئيس وزراء الهند الأسبق فى كتابه (اكتشاف الهند) وتضم المكتبة ـ أيضاً ـ عدداً من المخطوطات المكتوبة باللغة السنسكريتية ، ومنها بعض ما كتبه (أمير خسرو) التركى الأصل الذى عاش فى القرن الرابع عشر ، فى فترة حكم سلاطين الأفغان ، وكان شاعراً عظيماً كتب أشعاره باللغة الفارسية وكتب ـ كذلك ـ بالسنسكريتية ، كذلك كان موسيقياً فذاً أدخل على الموسيقى الهندية الكثير مما هو جديد ، ويعتبرونه ـ أيضاً ـ مبتكراً للآلة الشعبية الموسيقية المشهورة فى الهند (سيتار) .

وأمير خسرو ـ أيضاً ـ واحد ممن كتب عدداً من الأغانى الفلكلورية بالأردية ، وهذه الأغانى ما تزال معروفة حتى الآن ويمكنك أن تسمعها فى بعض قرى ومدن شمال الهند ووسطها .

والجدير بالذكر أن عدداً من المخطوطات التى تضمها الخزانة فى طشقند ، قد نقل إليها من (سمرقند) عاصمة التيموريين ، ومكتبة بخارى المسماة باسم ابن سينا ، والمتحف المسمى باسم « الخوارزمى » عالم الرياضيات والفيلسوف الزائع الصيت فى العالم كله .

ومن المؤلفات القديمة المحفوظة ـ أيضاً ـ فى خزانة طشقند مؤلف للفقيه المعروف فى الشرق بابن (سلامَ توفى سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م) مؤلف باسم (غريب الحديث) . وغير ذلك كثير مما تزخر به هذه الخزانة العامرة ، كما تضم مؤلفات باللغات الإسلامية جميعاً آنذاك وهى : العربية والتتارية والتركمانية والأيغورية والأوزبكية والطاجيكية والأردية والبوشتو (الأفغانية) والآزربيجانية والتركية وغيرها من لغات شعوب الشرق الإسلامية فى تلك المرحلة من مراحل الاندماج التى لا نظير لها فى تاريخ العمران البشرى كله تلك المرحلة التى لم تلق حظها من الدراسة الكافية على يد علماء ومفكرى المسلمين .

هذه المؤلفات المتنوعة بعضها فى التاريخ ، وتاريخ الأدب ، والفلسفة ، والقانون ، وعلوم الفلك ، والفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، واللغة ، وعلم العقاقير ، والجغرافيا ، والموسيقى ، والزراعة ، والفنون الجميلة وغيرها .

وغنى عن القول أن لمجموع هذه المؤلفات ـ بهذا التنوع النادر ـ أهمية بالغة فى دراسة تاريخ شعوب آسيا والهند وباكستان وأفغانستان وإيران وبلدان الشرق الأخرى ، وقد كانت هذه المنطقة

ملتقى التجارة وملتقى الثقافة وبوتقة الانصهار العرق والثقافى والدينى فى العالم كله .

المؤلفات التاريخية :

وفى عجالة كهذه لا نستطيع أن نحصر كل ما بهذه الخزانة العامرة بالمؤلفات والموسوعات ، ولكن لا بأس من إشارة ولو ضئيلة فهذه المكتبة تضم (تاريخ الطبرى) بأجزائه ، وهو فى التاريخ العام كتبه بالعربية أبو جعفر بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م ، وتوجد له ترجمة بالطاجيكية لأحد علماء بخارى وهو (مير أبو على ابن محمد البلعمى ، الذى أضاف إلى الأصل بعض المعلومات الجديدة من مصادر فارسية أردية وإسلامية ومسيحية ، كما توجد له ترجمة بالأوزبكية تعتبر النسخة الوحيدة فى العالم ، كذلك يوجد « مروج الذهب ومعادن الجوهر » فى التاريخ العام أيضاً كتبه بالعربية أبو الحسن على ابن الحسين المسعودى وله ترجمة بالأوزبكية فى مدينة (خِيْوَة) لمُلا أتانياز آخوند بن خواجه نياز ، وسعيد عبدالله بن عوض خواجه وآخرين ، ومنها أيضاً نسخة فريدة من تجارب الأمم لابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م ، والكامل لابن الأثير المعروف والمتوفى سنة ٥٦٣هـ/ ١٢٣٢م ، وله ترجمة أيضاً بالأوزبكية فى خيوة لمحمد شريف آخوند ، (ونور الله مفتى) وآخرين ، ومنها تاريخ (جهان كَشا) (تاريخ غازى العالم) الذى كتبه خواجه علاء الدين أتاملك بن خواجه بهاء الدين محمد الجوينى المتوفى سنة ٦٢١هـ/ ١٢٨٣م ومنها مؤلفات الجوينى فى تاريخ ايلخانات وشاهات خوارزم والمخطوطة المحفوظة فى الخزانة هى إحدى أقدم النسخ فى العالم ، ومن مفاخر المكتبة أيضاً « جامع التواريخ » لفضل الله رشيد الدين بن عماد الدولة الذى يقول عنه المستشرق المعروف ت . بارتولد لم يكن لدى أى شعب لا فى آسيا ولا فى أوروبا مثل هذا المؤلف فى القرون الوسطى ، ولهذا الكتاب ترجمة أوزبكية لمحمد على بن درويش على بخارى وهى مخطوطة وحيدة فى العالم .

ومن نوادر المخطوطات أيضاً « سبحة الأبرار » لدرويش محمد بن رمضان و « روضة أولى الألباب » لبناكتى و « تاريخ كزيدة » (التاريخ المختار) للقزوينى و « روضة الصفا » لمير خواند و « حبيب السير » لخواندمير وتحقيق ولايت أى : بخارى تاريخى لأبى بكر محمد بن جعفر نرشخى ، وهو بالعربية ، ومعروف عندنا باسم « تاريخ نرشخى » وله ترجمة بالطاجيكية باختصار لأبى نصر أحمد بن محمد القبوى ، وفيه معلومات قيمة عن تاريخ بخارى .. تأسيسها ، وعمارتها ، وطوبوغرافيتها ، والقرى المنتشرة حولها والعلماء الذين عاشوا بها وحكامها وغير ذلك .

ومن نوادر الخزانة أيضاً « روزنامه غزوات هندوستان » أى : (يوميات الحملة على الهند) الذى كتب بأمر من تيمور لنك لمعاصره (غياث الدين على) وهو مصدر أساسى لحملات تيمور على الهند والحوادث المتعلقة بهذا الأمر .

ومن المؤلفات – أيضاً – مؤلف شرف الدين على يزدى « ظفر نامه تيمورى » أى : كتاب انتصارات تيمور ، وهذا المؤلف مزين برسوم رفيعة المستوى ولها قيمة فنية عالية ، ومنها مؤلف « مجمع البحرين » لعبد الرازق السمرقندى ، ويضم عرضاً للحوادث المتعلقة بتاريخ آسيا الوسطى وإيران وأفغانستان وآذربيجان ودولة « أوردا الذهبية » ابتداء من فترة حكم تيمور .

ومثل هذا الكتاب ـ أيضاً ـ « شيبانى نامه » عن شيبانى خان حاكم أوزبكستان ألفه (بنانى) و « بابر نامه » أى : مذكرات السلطان بابر لظهير الدين محمد بابر و« عبيد الله نامه » عن عبيد الله خان لحافظ تنيشى بخارى ، و « تاريخ راقم » لسيد راقم ، و «شجرة ترك » أى : شجرة نسب الأتراك وشجرة تراكمه أى : شجرة نسب التركمان لأبى الفارابى خان و « عبد الله نامه » عن عبد الله خان ولمحمد أمين بخارى ، و (فردوس الإقبال) لشير محمد مؤنس ، و (رياض الدولة) و (فريدة التواريخ وجامع الواقعات) لسلطانى أى : « مجموعة الواقائع السلطانية » ، وكلسن دولت (جنينة زهور السعادة) لمحمد رضا آكهى ، و « منتخب التواريخ » لمحمد حكيم خان و (أنساب السلاطين وتواريخ الخواقين) لملا ميرزا عالم ، وغيرها الكثير والكثير .

ويجدر بنا ـ أيضاً ـ أن نشير إلى أن الخزانة تحتوى على الكثير من المؤلفات التى تتناول تاريخ الهند ، والدول الإسلامية ـ التى نشأت على أرضها ـ وثقافتها وعلاقاتها السياسية . وهذه هى إحدى المراحل المهمة فى تاريخ الإسلام بهذه البلاد الشاسعة منذ قيام امبراطورية البابريين التى أسسها ظهير الدين محمد بابر . وكتب فى تلك الفترة عدة مؤلفات تاريخية منها : « طبقات أكبر شاهى » ظهير الدين محمد بابر .

وكتب فى تلك الفترة عدة مؤلفات تاريخية منها : « طبقات أكبر شاهى » لخواجة نظام الدين أحمد بن محمد الهروى الذى توفى (١٠٠٣/١٥٩٥م) وهى من أهم مصادر دراسة تاريخ الهند فى تلك الفترة ، ومن أروع المخطوطات أيضاً وأقيمها مؤلف العالم الهندى سنجان رى منشى « خلاصة التواريخ » يصف فيه الحوادث التاريخية منذ القدم حتى اعتلاء الامبراطور (أورنكزيب) العرش ، وبه معلومات قيمة عن علوم الهند وإيران فى تلك الأزمان .

ومن المؤلفات التى تلقى الضوء كذلك على تاريخ المسلمين فى الهند « تاريخ فرشته » لمحمد قاسم هندوشاه ، ويتضمن معلومات ثمينة لمؤرخى الهند ، والمؤلف يحمل كذلك اسم « كلسن إبراهيم » : (حديقة زهور إبراهيم) ويقع فى مجلدين ، وقد كتبه محمد قاسم بتكليف من إبراهيم الثانى ، ولهذا الكتاب ترجمة أوزبكية .

ومن المؤسف أننا لا نستطيع أن نتخلى عن الاختصار فى مقالة كهذه ، ولكنى أود أن أقول: اننى بعد اطلاعى على مقتنيات هذه الخزانة العامرة ، وجدت أنها جديرة بعناية المسلمين فى بلادنا .

بل هى جديرة بالرحلة إليها وتصوير مقتنياتها ودراستها على أيدى شبابنا فى الأزهر الشريف ، وجامعاتنا الأخرى ؛ حتى نستكشف تلك الصفحات الرائعة من التاريخ الإسلامى العظيم التى أريد لها أن تطمس ، وتندثر .

﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ .
(الصف ٨)

القصيدة العربية

والوحدة الموضوعية

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

بين الباحث والأديب :

حتى لا تختلط الأمور أكثر مما اختلطت يجب أن نذكر مفاهيم متفق عليها ، لا يجادل ـ بشأنها ـ من يعارضون ما أثبتناه من وجود « الوحدة العضوية » فى الشعر العربى فى أقدم عصوره ، ولا من يسلمون بنتائج هذا البحث .

إننا حين نستمع لشاعِر نابغة يلقى بإحدى روائعه نسترسل معه بعواطفنا ووجداننا نستمتع بموسيقى كلماته ـ داخلية كانت ـ من رفيع معانيه وليدة طبعه وتجربته وانفعالاته المتزنة ، أو ـ خارجية ـ تزهو بإطارها ورنينها المتسق عبر مختلف الأوزان ، فنقضى معه وقتا من أجمل أوقاتنا سُمُوًّا بأرواحنا ، واستمتاعا بفن جميل يرقى بنا ذَوْقا ووجدانا .

لكننا حين يُطْلب منا « بحث » عن شعره فنحن ـ معه ـ بعقولنا ، فالبحث ـ وإن كان فى ميدان الأدب ـ هو بحث علمى لايجوز فيه ـ إطلاقا ـ تجاوز « المراجع » ولا شطحات الوجدان ، وكلما أخلصنا فى تتبع أجزاء البحث ، وما إلخ ما تجرنا إليه جزيئاته اتسعت مراجعنا فاستوعبنا حقائقه ، وانتهينا منه إلى نتائج قاطعة ، ووضعنا الشاعر ـ كما فعل أسلافنا ، رحمهم الله تعالى ـ فى طبقته التى لا يَتَدَنَّى عنها ، وقد يرتفع عليها مادام يعطى الشعر حقه من جهد وعاطفة ووجدان متزن .

وكم نأسف ـ حين نسجل بأسى ـ أن من كبار معاصرينا من لم يسمح لنفسه أن يعكف على دواوين شعرائنا القدامى ، ويستوعب أمرها ، ولا يكتفى بنظرة سطحية إلى « المعلقات » والقصائد الشهيرة فقط ، ثم يحكم على الشعر العربى بأنه شعر لا وحدة عضوية ، ولا موضوعية فيه .

وها نحن بعد أن أوْعَبْنا القضية بحثا فى الشعر الجاهلى ، عرجنا إلى الشعر الإسلامى ، لنقدم منه نماذج فريدة من شعره ذى الوحدة العضوية التى لا يستطيع أن يتمحل فيها معاند مهما فعل وبالغ . وهذه بعض نماذج منه فى الاعتذار ، وغيره من أبواب الشعر :

اعتذار الزِّبَعْرَى لرسول الله ﷺ .

كان الزبعرى واسمه : عبدالله بن الزبعرى بن قيس بن عَدِىّ القرشى من بنى سهم ـ من أشد أعداء الإسلام ورسول الإسلام محمد ﷺ وأطال فى عداوته واستطال ، وأرسل شعره هجاء فى هذا الميدان ، ثم تاب وأناب ، وساءه ما انطلق به لسانه ، وآلمه أن يقف من الحق هذا الموقف ؛ فأنشد هذه الأبيات يخاطب بها رسول الله ﷺ :

مَنَــــعَ الرقـــــادَ بلابــــلٌ وهمومُ ... والليــــلُ معتلـــج الـــــرواقِ بَهيـــمُ
مِمَّـــا أتـــــانى أنَّ أحمَدَ لامنـــــى ... فيـــه فَبِتُّ كأننـــــى محَمـــــوم
يا خيَـــــر من حَمَــــلَتْ على أوصالها ... عَيْرَانـــــــة سُرُحُ اليديـــــن غَشَومُ
إنى لمعتـــذر إلـــيكَ مِنَ التــــــى ... أسديتُ ؛ إذْ أنـــــا فى الضلال أهيم
أيَّـــام تأمـــرنى بأغـــوى خُطَّـــةٍ ... سَهْــــمٌ وتأمـــرنى بها مَخْـــزُومُ
وَأُمُـــدُّ أسبـــابَ الهوى ويقـــودنى ... أمْـــرُ الغـــواةِ وأمرُهـــم مشئـــومُ
فاليـــومَ آمـــن بالنبـــى محمـــدٍ ... قلبـــــى . ومخطـــــىءُ هذه محروم
مضتْ العـــداوةُ وانـــقضت أسبـــابها ... وأتت أواصر بيننـــــا وحُلُـــــوم
فاغفـــرْ فِداً لك والـــــداى كلاهما ... وارْحَــمْ ؛ فإنك راحـــم مرحـــومُ
وعلـــيك من سمة الملـــيك علامـــة ... نُورٌ أغَـــرُّ وخاتَـــمٌ مختـــومُ
أعطـــاك بعـــدَ مَحَبَّـــةٍ برهانَـــهُ ... شَرَفـــاً وبرهـــانُ الإلَـــهِ عظيـــمُ(1)

● ● ●

وهذا الحطيئة :(2) جَرْول بن أَوْس بن جُؤَيَّة بن مخزوم بن مالك ـ المخضرم ـ من بنى عبس بن بغيض من قيس عَيْلان ـ طال لسانه فى أعراض الناس إرهابا لهم وابتزازا لأموالهم ، فَرَمى ـ فيمن رَمَى ـ الزّبرقان بن بدر بن امرىء القيس التميمى السعدى ـ رضى الله عنه ـ أحد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فشكاه إلى عمر بن الخطاب ـ وأجمع النقاد على ثبوت التهمة ، فألقى عمر بالحطيئة فى السجن .

وفى السجن خلا الشاعر لذنبه ، وآلمه ماجنى لسانه ، ورمته الليالى فرنا إلى بيته وولده ، وأدرك سوء قَوْله ، وعاد فكره حسيرا إلا من أمل أن تكون رحمة الله ـ تعالى ـ تنال من قلب عمر فأرسل إليه بتلك الأبيات تصور ما آل إليه حاله :

ماذا تقـــــول لأفـــــراخ بذى مَرَخ ... زُغْب الحواصل : لا ماء ولا شجــــــرُ(3)
ألْقـَيْتَ كاسبَهـــم فى قعـــر مُظْلمـــة .. ... فاغْفرْ .. ـعليك سلام الله ـ يا عمـــر

(1) انظر لابن الأثير ـ أسد الغابة ٣/٢٣٩ ترجمة رقم ٢٩٤٤ ط الشعب ـ القاهرة

(2) نفس المرجع ١٣٣/٧

(3) ذو مرخ : اسم وادٍ بالحجاز زغب الحواصل : حمر الحواصل من الطوى .

أنت الأمين الذى ـ من بعد صاحبه ... ألقى إليك مقاليدَ النُّهى البشر
لم يُؤْثروك بها ، بل قَدَّموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الأُثَرُ [٤]
..فَامْنُنْ على صِبْيةٍ ، بالرَّمْل مسكنهم ... بين الأباطح .. تغْشاهم بها القِرَرُ [٥]
أهلى فداؤك ، كم بينى وبينهم ... من عرض داوية ، تعمى بها الخُبر [٦]

ولشدة أسْر هذه الأبيات وتأثيرها ، وتماسكها كالبنيان المرصوص أحدثت رَدَّ الفعل المنشود لدى سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وهو من أحذق الناس بفنون الشعر والبلاغة ـ فعفا عنه . وأعطاه ما يقطع لسانه عن أعراض الناس .

● ● ●

وإذا تتبعنا البحث ، وجدنا « الوحدة » بين الشاعرات الصحابيات من أمثال : زينب بنت العوام القرشية أخت الزبير بن العوام ـ رضى الله عنهما ـ فى رثائها للزبير[٧] ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بنت عم عُمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ فى رثائها لزوجها عبدالله بن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما ـ وفيه تقول .

رَزِيتَ بخير الناسِ بعد نَبِيِّهم ... وبعد أبى بكر ، وما كان قصَّرَا
فآليتُ لا تَنْفَكُّ عينى حزينة ... عليك ، ولا يَنْفَكُّ جلدىَ أغْبَرَا
فَللهِ عينا من رأى مثله فتى ... أكَرَّ وَأحْمَى فى الهياج وأصْبَرَا
إذا شرعت فيه الأسِنَّةُ خاضها ... إلى الموتِ حتى يترك الرمحَ أحمرا

● ● ●

ولون آخر نسمعه من هند بنت أُثاثة بن عَبَّاد بن عبدالمطلب بن هاشم القرشية ـ رضى الله عنها ـ أسلمت بمكة قديما ، وحين سمعت شعر هند بنت عتبة ـ ضد المسلمين ، وكانت هند لم تسلم بعد فقالت تجيبها بنفس وزن وقافية كلمات هند بنت عتبة :

خَزيت فى (بَدْرٍ) وغَيْر بدرِ ... يا بنت وَقَّاعٍ عظيمِ الكُفْرِ
صَبَّحَكِ الله غَداةَ الفجر ... بالهاشميين الطِوَال الزُهر

---

(٤) الأثر : جمع أُثْرَة ، وهى المكرمة .

(٥) القِرَر : جمع قِرَّة : وهى شدة البرد .

(٦) الداوِية : الفلاة الفسيحة .

(٧) نفس المرجع ١٨٣/٧ ، ١٨٤ . وانظر رثاء نُعْم امرأة شَمّاس بن عثمان المخزومى فى رثائها زوجها نفس المرجع ٢٨٢/٧ ، وأم نُبَيْط الأنصارية ٤٠١/٧ . ويروى أنه استمع لها رسول الله ﷺ .

بكُـــلِّ قَطَّـــاعٍ حُسَامٍ يَفْـــرِى حَمْـزَةُ لَيْثِـى ، وعَلِـىُّ صَـقْـرِى ..

وهند بنت عتبة أسلمت عام الفتح ـ رضى الله عنها .
(أنظر : أسد الغابة ٧/٢٨٨)

• • •

وهذا رأس الخوارج قطرى بن الفجاءة التميمى الذى عثر به فَرَسُه فأرداه قتيلا سنة ثمان أو تسع وسبعين ، وهو الرجل الذى هزم أكثر من جيش للحجاج الثقفى . كان ابن الفجاءة من الشعراء الفحول ، لم يلتو بشعره ليحدث به فى غير وَاقِعِهِ .. تأخذ أبياته بأعناق بعضها بعضا فى وحدة عضوية وحديث صادق يندر مثيله الذى يجمع بين هاتين الخاصتين .

وهذه أبيات له يصور فيها حديث نفسه إذ تدعوه لينجو بجلده فى أحد المعارك ، ويعترف ـ بذلك ـ فى لحظة نادرة من صدق الشعور ، ويتحدث عن موقفه حيالها وقضائه على وسواسها .. يقول :

أقــول لها ـ وقــد طارت شعاعـــا ... من الأبطـــال : ويحك لن تُراعـــى[٨]
فإنك لو سألت بقـــــاء يَوْمٍ ... على الأجـل الـذى لك لن تُطاعـــى
فصبرا فى مجال الموت ، صبرا ... فمـــا نيـــل الخلـــود بمستطـــاع
ولا ثوب البقـــاء بثـــوب عِزٍّ ... فيُطـوَى عن أخـى الخنـــع اليراع[٩]
سبيـــل الموت غايـــة كل حىٍّ ... فداعيـــه لأهـــل الأرض داع
ومـــن لا يعتبـــط يسأمْ ويهرمْ ... وتُسْلمـــه المنُـــون إلى انقطـــاع[١٠]
ومـــا للمـــرء خير فى حيـــاة ... إذا ماعُـــدَّ من سقـــط المتـــاع

و(الحكمة) فى الأبيات الأخيرة ذروة تلك الوحدة حيث تلتحم التحاما وثيقا بصدق الشاعر فيما عناه من وجوب طرح الفزع إلى اقتحام المعركة ، ولتكن النهاية فيماقدره الله ـ تعالى ـ أى أنها التحام وثيق بفاعلية التجربة ووجدانها ، وأثرها الفكرى فى نفس الشاعر .

---

(٨) طارت شعاعا : تبددت من شدة الخوف . تراعى : تفزعى .
(٩) أخو الخنع : الذليل الخانع . اليراع : الجبان .
(١٠) يعتبط : يموت بغير علة .
والمقصود بإسلام المنون له إلى انقطاع : أى أن الموت حينا يتخطف أصدقاءه من حوله ، يشعره بأن الدنيا قد خلَتْ إلا منه ، وأنه أصبح ـ مثلا ـ كأهل الكهف يعيش فى زمان غير زمانه ، ناسه غير ناسه .

تبيان وإيضاح

بقلم الأستاذ/ على محمد نجيب المطيعى

اطلعنا على مجلة الأزهر الغراء عدد ربيع الأول ١٤١٤هـ (سبتمبر ١٩٩٣م) فوجدنا فيها عرضاً لكتاب قامت مكتبتنا بنشره ، وهو كتاب « صحيح صفة صلاة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من التكبير إلى التسليم كأنك تنظر إليها » وهو من مؤلفات السيد/ حسن بن على السقاف ، وقدم هذا العرض أو التقرير الأستاذ الفاضل/ محمد البشير حسين نافع ـ مدير عام إحياء التراث الإسلامى بالأزهر الشريف ، والذى ختم تقريره بكلمة إنصاف تضمنت الثناء على المجهود الكبير الذى بذله المؤلف فى جمع المادة العلمية وتبويبها ، كما قال سيادته : إن الكتاب فى مجمله مفيد لعامة المسلمين رشاد ـ أكرمه الله ـ بدار النشر وبمؤسسها فضيلة العالم الجليل الشيخ محمد نجيب المطيعى ـ يرحمه الله تعالى ـ وهذا الإنصاف شهادة نعتز بها ، ووجدنا به بعض الملاحظات التى يتعين الرد عليها إحقاقاً للحق وهى كما يلى :

أورد أستاذنا الفاضل فى تقريره قبل شهادة الإنصاف ثلاث ملاحظات سماها (تجاوزات) للمؤلف فى كتابه وقد صنفها إلى ثلاثة أصناف :

أما الأولى فهى كما اطلق عليها (تجاوزات سلوكية) وذكر فيها سيادته أن المؤلف وصف الألبانى بصفة « المتناقض » وهذا رأى علمى للمؤلف كونه عن الألبانى بعد دراسة عميقة[1] لجميع مؤلفاته وقد أثبت الأستاذ حسن السقاف هذه التناقضات ودونها فى مؤلف مستقل بعنوان (تناقضات الألبانى الواضحات فيما وقع له فى

(١) إثبات التناقضات شىء ووصف المؤلف بـ (المتناقض) شىء آخر لا يجوز فى باب النقد مطلقاً .. مجلة الأزهر .

تصحيح الأحاديث وتضعيفها من أخطاء وغلطات) ، وقد بين الأستاذ السقاف بالحجة الواضحة والبرهان القاطع تناقضات الألبانى فى حكمه على الأحاديث، وهذا هو رأى كثير من علماء السنة فى الألبانى، وقد ألف الكثير منهم كتباً فى الرد عليه وأذكر منهم على سبيل المثال: الأستاذ الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر فى كتابه « مكانة الصحيحين » ، والأستاذ/ محمود سعيد ممدوح فى كتابه « تنبيه المسلم إلى تعدى الألبانى على صحيح مسلم » والأستاذ أرشد السلفى الأثرى فى كتابه « الألبانى شذوذه وأخطاؤه » .. الخ .

ونضيف أن الشيخ حسن السقاف قد أورد ليس فقط ــ مئات من التجاوزات، ولكن آلاف من التناقضات التى وقع فيها الألبانى ، فهو يصحح أحاديث فى كتاب ، ويضعها فى كتاب آخر أثناء تخريجاته للأحاديث والآثار النبوية وقد بلغت هذه التناقضات نحو سبعة آلاف تناقض .

وإن كنا لا نختلف مع الأستاذ/ محمد البشير فى أن العلماء قديماً كانوا يختلفون فى الرأى والنظر ، ولا يصل هذا الخلاف إلى حد التقاذف والتناطح ، ولكن إذا كان سيادته قد راعه ما أسماه بالتجاوزات .. فما قوله فى تناقضات الألبانى التى كشفتها هذه المؤلفات التى أشرت إليها من قبل ، وما قوله فى تضعيف الألبانى لبعض أحاديث صحيح مسلم[٢] ، وقد ألف الحافظ ابن الصلاح فى الدفاع عن هذا الكتاب العظيم، ورد على جميع الشبهات حوله فى كتابه « صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط » .

وإذا كان الأستاذ/ محمد البشير قد راعه وصف الألبانى بالمتناقض فماذا يقول عن وصف الألبانى للإمام أبى حنيفة فى كتابه صفة صلاة النبى بما لا ينبغى أن يوصف به عالم من صغار العلماء فضلا عن أن يوصف به هذا العلم الشامخ فى الفقه وعلوم الدين ؟ فأين التأدب مع العلماء ؟[٣]

ومن ثم يتبين أن هناك فرقا بين الاختلاف فى الرأى وأدب الحوار، وبين كشف الستار عما فاق التجاوزات ، إن سلسلة التناقضات بلغت ثلاثة مجلدات كبيرة إلى الان ، ويمكن لها أن تزيد . ولكل ماسبق نرى أن المؤلف السيد/ حسن السقاف حين وصف الألبانى بالمتناقض[٤] لا يكون هذا تجاوزاً ولكن هذا ما أثبته عليه بالفعل فى هذه السلسلة من الكتب ، بعد القراءة المتأنية لجميع مؤلفاته .

● ● ●

وأما الثانية وهى ما أطلق عليه الأستاذ/ محمد البشير (التجاوزات العلمية) فهى ليست فى الحقيقة تجاوزات ، ولكنها آراء فقهية لم يكن المؤلف هو مبتدعها ، والاختلاف فى المسائل الفقهية العديدة أمر وارْد ومسلم به ، وإلا ما وجد الاجتهاد بين العلماء ، ومادام الاختلاف قائماً ومبنياً على الأصول الفقهية المعلومة لدى الفقهاء ، فلا يصح لنا أن نصف أمثال هذه الخلافات بأنها تجاوزات وقد تعلمنا من أساتذتنا الأفاضل أن العالم إذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، وإن

---

(٢) كان ينبغى أن يساق ــ ولو شاهد ــ واحد يؤكد هذا القول .... .

(٣) كان ينبغى تقديم هذا النص من كتاب الشيخ الألبانى نفسه ... وهذا الذى لم يحدث .

(٤) وجدنا ــ للأسف ــ هذا الوصف مقروناً باللمز والسخرية ...

اجتهد فأصاب فله أجران . ونقول للأستاذ البشير أن الأمر كما هو معلوم أن المناهج الأصولية والآراء المذهبية قد جعلت للحق فى المسائل أكثر من وجه ، فالحق فى الأمور الخلافية قد لا يحتمل مجرد رأى واحد فحسب بل للحق أوجه متعددة ،

وهذا هو رأى العلماء الأفاضل من السلف الصالح وتابعيهم من العلماء المعاصرين ولعل هذا ما تشير إليه القاعدة الأصولية «الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد» . والحقيقة أن الآراء التى رجحها المؤلف هى الآراء التى عليها العمل ، وأن المؤلف لم ينف أو يهمل الآراء المخالفة لما رجحه فأين التجاوز ؟

أما الملاحظة الثالثة فهى ما أسماه سيادته : (التجاوزات اللغوية) ، وقد رجعنا إليها ، فوجدنا أنها مجرد أخطاء مطبعية مثل مكان (الهمزة) أو (الشدة) أو ما إلى ذلك من أخطاء الطباعة التى لا يخلو منها كتا ، ونحن نَعِدُ بتدارك الأخطاء المطبعية ونمنع حدوثها فى الطبعات المقبلة – إن شاء الله – ونرجو من أستاذنا ألا يعتبرها تجاوزات فأخطاء المطابع فى كل المطبوعات ، ولن نذهب بعيداً إذ أن فى مقالة الأستاذ محمد البشير نفسه، وفى هذه المجلة الغراء نجد فى آخر جملة «إنه سميع مجيب قريب الدعاء» وصحتها هى : «إنه سميع قريب مجيب الدعاء» وحسبنا أن مثل هذه الأخطاء المطبعية غير مقصودة . وأخيراً أتقدم بالشكر العميق لمجلة الأزهر العظيمة ، وعلى رأسها فضيلة الدكتور على الخطيب الذى أتاح لنا أن نسجل شكرنا لفضيلة الأستاذ محمد البشير حسين نافع على مجهوده العظيم فى نقد كتاب (صحيح صفة صلاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم على صفحات مجلة الأزهر) وأختتم قولى بأن التنزه عن الخطأ صفة كتاب الله تعالى، والعصمة للأنبياء. فاللهم علمنا منه ما جهلنا، وانفعنا بما علمتنا، وفقّهْنا فى أمور ديننا ، فأنت ياربنا سميع عليم ، وعلى كل شىء قدير ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

لغة القرآن بين كيد الأعداء وغفلة الأبناء

تكتسب اللغة العربية أهمية خاصة من بين لغات العالم أجمع ؛ لأنها لغة القرآن الكريم الذى أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ .. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ (الشورى : ٧)

ولقد شهدت اللغة العربية أوج ازدهارها فى عصورها الأولى ، غير أنها ما لبثت - نتيجة غفلة أبنائها وتعدد اللهجات وغزو الثقافات الأجنبية - أن اعتراها بعض الضعف والاستعجام على ألسنة أبنائها .

وتلك رسالة تلقتها المجلة - فى هذا الصدد - من القارىء/ محمد عبدالمحسن أحمد - المدرس بإدارة طلخا التعليمية ، يبرز فيها دور الاستعمار فيما أصاب اللغة العربية واعتراها :

لقد عرف أعداء الإسلام قدر اللسان العربى ، وأدركوا - تماما - عمق تأثيره وأبعاد خطورته وكيف أنه سد منيع يحول دون تحقيق الكثير من أهدافهم ومآربهم .

ولقد كشف عن ذلك « وليم جيفور بلجراف » بقوله : « متى توارى القرآن ومدينة مكة فى بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يسلك سبيل الحضارة التى أبعده عنها محمد ﷺ وكتابه .

ومن ثم لايمكن فى اعتقادهم أن يتوارى القرآن إلا بالقضاء على لغته ، فالمقصود إذن من هذه الحرب الشعواء التى لاهوادة فيها هو القرآن الكريم ، فليست المسألة مجرد تطوير لغوى - كما زعموا - وإنما يستهدفون القرآن الكريم عن طريق لغته ، فهم يدركون أن اللسان العربى إذا ضعف واستعجم فلن يستطيع المسلم فهم القرآن ولا تدبر

إعجازه ؛ وبالتالى يبتعد المسلم عن منهجه وحينئذ يمكن أن يتشكل ـ بأى شكل ـ يريده أعداء الإسلام .

وتاريخ الاستعمار فى مصر والمغرب العربى وبلاد الشام ، بل والبلاد غير العربية التى كانت تستخدم العربية ـ نطقاً ورسما أو رسما فقط ـ يسجل هذه المحاولات الآثمة لقطع لسان هذه الأمة أو تعجيمه .

الأهداف الخفية لهذه الحملة الاستعمارية

والاستعمار ـ فيما اتجه إليه ـ يصدر عن خطة محكمة وفهم واع لتاريخ هذه الأمة وعروبة لسانها ولعل أهم أهدافهم :

١ ـ تحويل الإسلام من سلوك واقعى إلى مجرد تراث نحتفى به فى المناسبات .

٢ ـ تحويل القرآن إلى متحف عندما يستعجم اللسان ونعجز عن فهمه ، هنالك نستجيب لواقع ـ هيهات أن يحدث ـ يخططون له فنكتبه بالعامية ، وعند ذلك يتجرد من دلالة إعجازه وعربيته .

٣ ـ تمزيق وحدة الأمة التى حملت مشعل الحضارة إلى العالم منذ القرن السابع الميلادى ، إذ تنقطع رابطة من أقوى الروابط التى تربطها وهى رابطة اللسان العربى أو وحدة اللغة .

٤ ـ إلغاء التراث الإسلامى بحيث لايتاح لهذه الأمة الاستفادة منه ، وبناء حاضر قوى على أساس من البديل الغربى المطروح .

أعظم الخطر

على أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن هناك خطراً آخر يكمن فى قبول مبدأ التطوير الذى ينادون به بحجة التجديد أو الحداثة أو مواكبة العصر ، إذ التطوير هو الشرك الخفى الذى ينصبه الدهاة الغواة إذا فشلت وسائلهم الظاهرة ؛ ولأن قبول مبدأ التطوير يعنى أن كل فئة تتخذ لها طريقاً ومنهجاً فى التطوير حسبما ترى بين مُفَرِّط ومُفرِط ، ومُضَيِّق وَمُوَسِّع ومتوسط ولن يقف الأمر عند حد ، بل تتسع شقة الخلاف بين الأطراف ـ فيما بين مؤيد ومعارض ـ ويتحقق للقوم ما يريدون ، على أن هذه الخطة ترتكز على :

١ ـ الدعوة إلى العامية

٢ ـ الدعوة إلى ما يسمى باللغة الوسيطة .

٣ ـ الدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتينى كما حدث فى تركيا ـ على سبيل المثال ـ فقد قال « كامفماير » المستشرق الألمانى « إن قراءة القرآن وكتب الشريعة الإسلامية ستصبح مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية » .

٤ ـ الدعوة إلى تجديد النحو والبلاغة .

٥ ـ تغريب الأدب .

وقد كانت وسائلهم التى اعتمدوا عليها فى تحقيق اهدافهم هى :

١ ـ الاستعانة بمدارس التعليم الأجنبى

المنبثة فى كل مكان من أنحاء العالم العربى

٢ ــ الاستعانة بمراكز وإرساليات التبشير .

٣ ــ الاستعانة بالصحافة

٤ ــ الدعوة إلى الاستغراب وربط مصر بثقافة اليونان وحوض البحر المتوسط

ويقوم بتنفيذ هذه الخطة :

١ ــ المستعمرون أنفسهم

٢ ــ طائفة الأذناب والعملاء

٣ ــ المستغربون ، وهم المفتونون بظاهر مدنيتهم .

على أنه ينبغى التنبيه على أن هذه الحرب كانت ولازالت سجالاًوقد كانت أعين المخلصين لهم بالمرصاد ، تقف فى وجه المستعمرين وتطارد الأذناب وتنبه المستغربين المفتونين ليثوبوا إلى رشدهم وتنجلى عن بصائرهم سحائب الضلالة ، فيعرفوا قدر الدين الحق ولسانه العربى المبين .

مجلة الأزهر فى سطور .....

حوَّل إلينا مكتب رئيس الهيئة العامة للاستعلامات رسالة القارىء الجزائرى/ السيد نصرات جمال .. من لبامه ولاية الوادى بالجزائر ، والتى يهدى فيها تحيته العميقة لمجلة الأزهر ، ويعرض صداقته للمجلة ، ويطلب تزويده بنبذة عن مجلة الأزهر ، ونحن إذ نرحب به صديقاً دائما نلبِّى رغبته بتلك النبذة عن مجلة الأزهر وسياستها التحريرية :

تأسست مجلة الأزهر عام (١٣٤٩ هـ) لتكون ناطقة بلسان حال الأزهر ومؤسساته العلمية فى نحو عشرة أبواب جامعة لمختلف العلوم الدينية والعربية والأدبية ، مضافا إلى ذلك دراسات باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وفى خلال خمسة وستين سنة ــ هى عمرها ــ تعاقب عليها عدد من رؤساء التحرير الذين تطورت المجلة على أيديهم إخراجاً وتحريراً .

ويتولى الأستاذ الدكتور/ على أحمد الخطيب رئاسة تحريرها ــ حالياً ــ ابتداء من شهر صفر ١٤٠٣ هـ الموافق أكتوبر (١٩٨٢) ، ومنذ ذلك الحين وهو يختط لها سياسة تحريرية علمية منظمة تُلبِّى حاجة القارىء الملحة إلى العلوم والمعارف العربية والإسلامية وتغطى رسالة جامعة الأزهر بمختلف كلياتها ، وقد وضع لها صيغة جادة للبحث فى الأدب واللغة والنقد والشعر والعلم والطب ، إلى جانب ما تحمله المجلة ــ أساسا ــ من الدراسات والبحوث الإسلامية ؛ فأخذ من كل شىء بطرف فى توازن جعل من المجلة جامعة تزود قارئها بالفتاوى والقضايا الإسلامية المعاصرة ، وتمده بالمعارف الأدبية والتاريخية والفكرية والطبية والاختراعات الجديدة .

أما دورها وأثرها ــ كمجلة إسلامية ثقافية ــ فى النهضة الحديثة ، فهذا ما تترجمه نسبة « مرتجعات » المجلة المنعدمة ، ويعكسه فى ذات الوقت الطلب المتزايد عليها من شتى أنحاء العالم الإسلامى ولله الحمد والمنة .

محرر الباب

الواقع الإسلامى والمتغيرات الدولية

كتب السيد/ يحيى السيد النجار ـ الحزاوى ـ دمياط

قال تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل ٨٩) .

إن الخروج من دائرة أزماتنا العربية والإسلامية لا يتحقق إلا بإعادة صياغة العقل الإسلامى وتأهيله وفق ما جاء به كتاب ربنا ـ عز وجل ، حينئذ نخرج مما نحن فيه من الإحباط والانكسار واللامبالاة ، وشتى السلبيات التي ابتليت بها مجتمعاتنا .

وإذا كنا ـ جميعاً ـ ندرك عظمة العقل الإسلامى لاستنارته بالقرآن الكريم وسنة رسولنا ﷺ وكفى بهما سندا وعزا وعصمة من التشتت والهلاك ، فلماذا نستبدله بالذى هو أدنى .

هناك مخطط استعمارى ظهرت مخالبه فى البوسنة والهرسك وكشمير وبورما وتايلاند وغيرها من بلاد آسيا الوسطى ، فى محاولة تمزيق العالم الإسلامى وتفتيته حتى لاتقوم له قائمة ، لكن آمالنا واحدة برغم كل تحديات الحاضر ، وعلينا العمل المخلص الدءوب من أجل جمع أوصال الأمة الإسلامية ، لتعود كسابق عهدها أمة الإسلام ، كما أرادها الله عز وجل أمة واحدة .

تحية للأزهر ومجلته

بسم الله الرحمن الرحيم

وكتب فضيلة الشيخ أحمد على حسنين ، واعظ بالجمعية الشرعية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وبعد :

الله أكبر الله أكبر فليرتفع شأن الأزهر
الله أكبر الله أكبر فليرتفع صوت الأزهر

تحية للأزهر شيخاً وعلماء وهيئات .. وتحية خاصة لمجلة الأزهر الناطقة بلسان الحق والهدى ، والتى حملت راية الدفاع عن دين الله عز وجل .

وليس هذا بالغريب على مجلة يشرف عليها رجال وأى رجال .. وكفاهم فخراً وشرفاً أنهم سليلو بيت العلم وأمانة الكلمة ..

حقاً لقد كثرت الطعنات الموجهة لصدر الأمة فى عقيدتها وشريعتها من أصحاب الأقلام المسمومة .. وليس هذا بعجيب فهذا عهدنا بهم .. ولكن العجيب الغريب سؤالهم : أين الأزهر ؟!!!

وهم لا يصْغون إلى رأى العلماء ونصيحة العقلاء .. وضاقت صحفاتهم عن استقبال كلمة الحق أو رأى أهل العلم .. ثم ضلت أقلامهم الطريق عن إنصاف أهل الفضل والتقى وراحت تتطاول على الأزهر ورجاله .. والله وحده يعلم أنهم ما قصدوا الأزهر ولا بعض رجاله ، ولا هفوات البعض وإنما قصدوا الطعن فى أغلى ما تملكه مصر ألا وهو الإسلام الحنيف نفسه .

ردود وتعليقات

● الكاتب الأستاذ/ عبدالجواد على ـ الصحفى بجريدة الأهرام بالقاهرة :

وصلتنا تحيتكم الكريمة لمجلة الأزهر والعاملين عليها ، وتقديركم لدورها الذى تضطلع به فى نشر الثقافة الإسلامية وحماية عقل الأمة من سيول التدفق الوافد من الشرق والغرب ـ كما تفضلتم وذكرتم ـ وأسرة المجلة تشكر لكم تحيتكم وإعجابكم الطيب بمادة المجلة التحريرية ، وبعون الله تكون دائماً عند حسن ظن قرائها .

● القارىء/ جلال محمد على طلحه ـ بمعهد كفر الدوار الدينى بالحدائق .

انتقال الطالب للسنة الأعلى وهو يحمل بعض مواد التخلف من السنة السابقة ، نظام معمول به فى الجامعات ، وليس فى المعاهد الأزهرية الإعدادية والثانوية ، لذا أرى أن تصبر وتدع اليأس وتجتهد فى طلب العلم لتعويض ما فاتك .

● القارىء/ على سليمان أبو زيد ـ بكالوريوس هندسة الأزهر عام (١٩٧٣) .

ستدرس إدارة المجلة التوسع فى نشر الأخبار المتعلقة بالمعاهد الأزهرية فى خطتها القادمة بإذن الله ـ تعالى .

● القارىء/ محمد يوسف السعيد نصر ـ كفر الغاب ـ شربين ـ دقهلية .

مرحبا بك صديقاً دائماً للمجلة ، ونرى أن مجلة الأزهر ما تبوأت مكانتها المرموقة فى أرجاء العالم الإسلامى إلا بفضل أبحاثها العلمية المتعمقة .

● القارىء/ زكريا درويش عبداللطيف ـ الموفد إلى جامعة فرتسواف ببولندا .

نفيدكم بأن العدد المطبوع ـ حالياً من مجلة الأزهر يصعب معه التوزيع المجانى .

● القارىء/ أحمد الفيصل سيد حنفى ـ بمعهد الأقصر الدينى .

● والقارىء/ عطية عبده عطية ـ ملامس ـ مركز منيا القمح ـ شرقية .

نشكر لكما اهتمامكما ومتابعتكما المستنيرة ، وقد تداركنا هذا الخطأ المطبعى .

● القارىء/ عزت إبراهيم محمود ـ بشارع الشيخ عليش بحمامات القبة . القاهرة .

نشارككم التألم لظاهرة إلقاء الصحف والمطبوعات فى الشوارع ، واستخدامها كأكياس للبضائع لدى الباعة برغم ما تحتويه من آيات وأحاديث لها حرمتها ، واقتراحكم بتخصيص « ملحق دينى » فى الصحف يضم كل المعلومات الفقهية والأحكام الدينية ، اقتراح طيب على أنه ينبغى أن ندأب على التنبيه ليظل نشر الوعى الدينى هو الحل لعلاج هذه الظاهرة .

● القارىء/ محمد فريد أحمد ـ من مركز بلبيس ـ شرقية .

● والقارىء/ محمد قطب فضل الله ـ تفتيش الإصلاح الزراعى بالغبشة ـ بحيرة .

ليس من اليسير نشر كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » ـ وأمهات كتب التراث عموماً ـ على أجزاء بحجم هدية المجلة ، لأن ذلك يستغرق سنوات ، كذلك يعتبر اختصارها مخلًا بالفائدة التى أفنى مؤلفوها حياتهم من أجلها .

● القارىء/ أشرف عبدالشافى ابـراهيم ـ بقنا ـ نجع حمادى .

رجاء تخريج الحديث النبوى المتعلق بجزاء المتكبرين والجبارين .

● القارىء/ أحمد حسن.. تاجر الجملة بالبحر الأحمر .

أحلنا شكواك إلى مكتب شكاوى المواطنين بإدارة الأزهر .

● القارىء/ رمضان ابراهيم الأقرع ـ أحد أئمة وخطباء طنطا ـ غربية .

صورة الجامع الأزهر الثابتة على غلاف مجلة الأزهر الناطق باسم الأزهر أمرٌ له دلالته الواضحة ، وعادة لا تتغير أغلفة المجلات العلمية ، ونحن نرحب بك صديقاً للمجلة ، وأما عن أهم شرط للنشر فى مجلة الأزهر فهو الإسناد العلمى للمادة المكتوبة وتخريج الآيات والأحاديث النبوية فى بحث علمى جيد ، وعسى أن تتسع صفحات المجلة ـ قريباً ـ لعودة باب الإمام والخطيب .

● القارىء/ عبدالفتاح محمد المظالى ـ بالعوايد ـ الاسكندرية .

ستبحث إدارة المجلة إمكانية نشر كتيب « رمضان خير وبركة » للشيخ/ محمد البنا (بك) الذى سبق نشره بعدد رمضان (١٤٠٦) ـ بمشيئة الله ـ تعالى .

● القارىء / حسين عبدالحميد نيل .

يمكنك إرسال صورة من إنتاجك الذى تودُّ نشره فى مجلة الأزهر لتقرير مدى صلاحيته للنشر ، على أن لا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وأن تكون مادته علمية موثقة .

● القارىء/ محمد سمير حراز ـ الطالب بمعهد رشيد الأزهرى .

بشأن تخصيص باب فى المجلة « للشباب » نرجو توضيح رؤيتكم أكثر .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عـمر البسطويسي • مصطفى عبد المجيد

الرئيس مبارك يلتقى وأعضاء لجنة تنسيق العمل الإسلامى

التقى الرئيس محمد حسنى مبارك ووفد لجنة تنسيق العمل الإسلامى وهيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة صباح يوم الثلاثاء ٤ من جمادى الأولى ١٤١٤هـ الموافق ١٩ من أكتوبر ١٩٩٣م ، حضر اللقاء فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

كانت لجنة تنسيق العمل الإسلامى التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى قد عقدت اجتماعاتها بالقاهرة يومى ٢ ، ٣ من جمادى الأولى ١٤١٤هـ ١٧ ، ١٨ من أكتوبر ١٩٩٣م بدعوة من الأزهر الشريف وبرياسة فضيلة الإمام الأكبر والدكتور حامد الغابد أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى .

وقد ناقشت اللجنة مشروعاً للتنسيق الدائم فى مجال الدعوة الإسلامية بين كافة الدول والمنظمات والهيئات الإسلامية أعدته لجنة الخبراء بالمنظمة ؛ تنفيذاً لقرار مؤتمر القمة الإسلامى الذى عقد فى (داكار) عام ١٩٩١ .

يهدف المشروع إلى التنسيق بين المنظمات الإسلامية الرسمية والشعبية فى مجال الدعوة الإسلامية وتحديد مراكز لتدريب الدعاة وتثقيفهم عن طريق وضع مناهج تربوية تقوم على الالتزام بالكتاب والسنة .

وقد أقرت اللجنة فى ختام أعمالها خطة التنسيق تمهيداً لعرضها على اجتماعى وزراء خارجية الدول الإسلامية وقمة رؤساء الدول الإسلامية القادمين .

كلمة الإمام الأكبر بلجنة التنسيق

أيها السادة الحضور : لعلكم طالعتم الورقة التى فى أيدى حضراتكم واستمعتم إلى معالى الأمين العام الدكتور حامد الغابد .

إن نظرة إلى مشاكل العالم الإسلامى ، وما قامت به المنظمة حيال كل مشكلة ، وما تسعى إليه - كما تفضل السيد السفير الكويتى بالحديث

والتنويه ــ لَبَعْضُ ما يجب على هذه اللجنة الموقرة أن تواجهه فى دراستها لهذه الورقة ، ولهذا العمل الهام الذى انعقدت اللجنة من أجله ، وهو التنسيق بين المنظمة وبين دول المنظمة وشعوبها ، بين العمل الشعبى والرسمى فى مجال العمل الإسلامى .

نحن فى حاجة أيها الأخوة إلى أن نوجه جهدنا لوضع سياسة تنسيقية ــ وأؤكد على كلمة التنسيق ــ لهذه الجهود المبذولة سواء من الحكومات أو من الشعوب نحو الالتقاء لعمل الدعوة الإسلامية أولا ، وإعلام الآخرين بماهية الدين الإسلامى وأهدافه ومقاصده .

إن المسلمين منذ أن كان الإسلام إنما يبتغون دائماً سعادة الإنسانية ورفاهيتها ، ويجعلون للأخوة الإنسانية أركاناً هامة فى حياتهم ، وفى سياستهم ، فما كان بينهم صاحب دين آخر ظُلِم أو قُتِل أو شُرِّد أو اغْتُصِب فى ماله أو عرضه .

هذا ما أدعوكم إلى أن نتدارسه ، ومرة أخرى أن نستظهر العلل ونضع العلاج وننسق هذا العلاج كيف يكون .

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الإمام الأكبر يترأس اجتماعات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

رأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماعات هيئة الرياسة والهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، كذلك شهد فضيلته جانباً من اجتماعات لجان التمويل والاستثمار والنشر والإعلام والمعلومات والمتابعة بالمجلس وذلك فى الفترة من ٣ ــ ٦ من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ١٨ ــ ٢١ من أكتوبر الماضى ، وقد تم فى هذه الاجتماعات استعراض أنشطة اللجنة الفرعية بالمجلس ودراسة القرارات والتوصيات الصادرة عن اجتماعات هذه اللجان والمحالة إلى الهيئة للنظر فيها واتخاذ القرارات التنفيذية بشأنها .

وفى صباح يوم الأربعاء الخامس من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ٢٠ من أكتوبر عقدت الجلسة الافتتاحية لاجتماع الهيئة التأسيسية الخامس برئاسة فضيلة الإمام الأكبر وبحضور فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف نائباً عن الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء الذى ألقى كلمته فى تلك الجلسة السيد الدكتور وزير الأوقاف مؤكداً أن مصر رئيساً وحكومة وشعباً لن تتأخر يوماً عن مساندة المسلمين ونصرة قضاياهم والدفاع عن حقوقهم فى كل أرجاء الدنيا .

مشيراً إلى أن العالم الإسلامى يمر بمرحلة شائكة تستلزم تضافر الجهود وبذل كافة المساعى بحثاً عن حلول عادلة لمشاكله مشيراً كذلك إلى أهمية دور المجلس فى تلك المرحلة .

اختتم المجلس أعماله مساء يوم الخميس السادس من جمادى الأولى ١٤١٤هـ الموافق ٢١ من أكتوبر حيث أصدر العديد من القرارات والتوصيات الهامة أدان فيها ما تقوم به الحكومة الروسية بشكل سافر فى الحرب الدائرة فى « البوسنة والهرسك » مناصرة للصرب والكروات ، وقد دعا المجلس كافة الدول الإسلامية إلى مقاطعة الصرب والجبل الأسود (يوغسلافيا السابقة) فى كافة التعاملات السياسية والاقتصادية ، مع تقديم كل ما يمكن من

دعـــم مالى لمؤسسات الإغاثـــة الإنسانيـــة والإسلامية ؛ للقيام بعملها فى إيواء المشردين من مسلمى البوسنة وعلاجهم .

كذلك أدان المجلس بشكل جماعى تصرفات (إسرائيل) فى الأراضى العربية المحتلة ومحاولاتها الدائبة لتهويد القدس العربية ، واستنكر المجلس قرار المحكمة الإسرائيلية العليا باعتبـار المسجـد الأقصى والمنطقـة المحيطـة به أرضاً إسرائيليـة ، وإخضاع أعمال ترميم وإعمار المسجد الأقصى للقوانين الإسرائيليـة . وطـالب المجلس بالعمـل المكثف من خلال الحكومات والرؤساء والملوك والمنظمات الشعبية العربية والإسلامية للحفاظ على عروبة وإسلام المسجد الأقصى الذى يعد من أهم المقدسات والأوقاف الإسلامية .

كلمة الإمام الأكبر فى الهيئة التأسيسية

الحمـد لله والصلاة والسلام على سيدنـــا رسول الله ﷺ

الحفل الكـريم : السلام عليكـم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فأرحب بحضراكم جميعاً فى هذا اللقاء الخامس للهيئة التأسيسيـة للمجـلس الإسلامـى العـالمى للدعوة والإغاثة .

ولقد استمعتم وقرأتم عن هذا المجلس ومهمته ، وفى جدول الأعمال الكثير الوفير عن أنشطته بالتعاون مع الأعضاء المنتسبين إليه من الأعضاء والجمعيات .

لاشك أن هذا اللقاء فرصة مواتية لهذا الجمع من رجال العلم والثقافة العاملين المهتمين بأمور المسلمين أن يتدارسوا مشكلات الأمة الإسلامية .

لقد قدم هذا الجمع من نواحـى الأرض ؛ ليقدموا النصح وليجمعوا الكلمة ويقاوموا النزاع والخلاف الذى ينشب هنا وهناك ، ويشغل الأمة الإسلامية عن أداء واجب الرسالة المنوطة بها نحو أمتها ونحو مهمتها الصالحة كأمة تحمل رسالة الله .

أيها الإخوة إنكم مدعوون أن تواصلوا البحث الذى نرجو أن يسفر عن جهد رغبة لصالح العمل والمسلمين وإنا لملتقون .

مؤتمران طبيان تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر نظمت جامعة الأزهر مؤتمرين طبيين : المؤتمر الأول نظمته كلية الطب « بنين » فى الفترة من ٥ ـ ٨ من جمادى الأولى ١٤١٤هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٣ من أكتوبر الماضى وكان موضوعه « طب الطوارىء » وكيفيـة التعامـل مع الكـوارث الطبيعيـة وغير الطبيعية واستخدام (أشعة الليزر) فى مجالات الطب المختلفة ، حضر المؤتمر لفيف من أساتذة الطب بالدول العربية والإسلامية .

أما المؤتمر الثانى فقـد نظمتـه كليـة الـطب « بنات » فى الفترة من ١١ ـ ١٤ من جمادى الأولى ١٤١٤هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٩ من أكتوبر الماضى لمناقشة بعض القضايا الطبية ذات الجوانب الشرعية مثل : الإجهاض والعلاقات الجنسية غير الشرعية المسببة لمرض (الايدز) ومنع الحمل ، والتقليح الصناعى .

شهد فضيلة الإمام الأكبر الجلسة الافتتاحية لهذا المؤتمر حيث طالب فضيلته علماء الـطب بضرورة إعداد دراسة لتاريخ الطب الإسلامـى

تعرف بمشاهير الأطباء من المسلمين ، مشيراً إلى أن الإسلام عرف الطب باعتباره عملا إنسانياً قديماً وضرورياً للناس ، فعرف الأجهزة التعويضية قبل أن يعرفها الطب الحديث .

وقد أصدر المؤتمر فى ختام أعماله العديد من التوصيات طالب ـ فى بعضها ـ بضرورة الاهتمام بالطب النبوى والإسلامى واتخاذ الخطوات الجادة لتدريسه بكليات الطب ، كما دعا إلى تعريب الأبحاث الطبية حتى يتمكن علماء الدين من العمل على ضوئها فى مجال الإفتاء ، وأوصى المؤتمر بضرورة نشر الوعى الدينى ودعم مقررات الدراسة فى كليات الطب بجامعة الأزهر بمناهج عن تاريخ الطب الإسلامى .

الإمام الأكبر يشهد تخريج دفعة جديدة من أئمة ووعاظ العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الحفل الختامى للدورة التدريبية الثانية والعشرين التى نظمتها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر لعلماء البلاد الإسلامية وذلك بعد ظهر يوم الأحد الموافق ١٥ من جمادى الأولى ـ ٣١ من أكتوبر ١٩٩٣

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى ألقاها فى هذه المناسبة على أن مهمة الدعاة وعلماء الدين أن يجمعوا الناس ولا يفرقوهم ، وان يقولوا للناس حسنا ، كمبشرين لا مفرقين ، كذلك عليهم أن يصححوا الأخطاء الواقعة فى فهم العقيدة والشريعة حتى يثبتوا أن الإسلام دين واحد له نبى واحد وكتاب واحد ، مشيراً إلى أن المذاهب التى ندرسها فى العقيدة والفقه إنما هى أفكار ترجع إلى مصدر واحد هو الكتاب والسنة .

كما ناشد فضيلته علماء العالم الإسلامى أن يجمعوا شعوبهم على الحق والصواب ، وأن لا يشيعوا الفرقة بينهم بسبب أمور فرعية ليست من أصول الشريعة ولا من أركان العقيدة .

كما طالبهم فضيلته بأن يكونوا رسلا فى أوطانهم يجمعون الناس على دين الله الواحد وأن يرتفعوا بمستواهم الفكرى والثقافى فى كل مجالات الحياة لمواكبة العصر . ثم قام فضيلته فى نهاية الحفل بتوزيع شهادات التخرج على الأئمة والدعاة الذين شاركوا فى هذه الدورة ممثلين لأكثر من عشر دول من مختلف قارات العالم .

شهد الحفل السيد السفير سامى عبداللطيف مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافة وبعض سفراء الدول المشاركة فى الدول .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

أمريكا

صادق مجلس أمناء الكلية الأمريكية الإسلامية « بشيكاغو » فى دورته الثالثة عشرة على التقرير الثانى عشر لمجلس أمناء الكلية ، وقرر تقديم الدعم اللازم لتنشيط العمل بالكلية ، واتخذ التدابير لتأمين ميزانية العام « الأكاديمى » الحالى ، وناشد المجلس جميع الدول والهيئات الإسلامية تقديم الدعم المادى والمعنوى للكلية لتمكينها من أداء رسالتها الهادفة إلى زيادة وعى ومعرفة المسلمين الأمريكيين وغيرهم بالثقافة والتراث والحضارة الإسلامية .

والمعروف أن الكلية أنشئت منذ عشر سنوات بمبادرة من المجلس الدائم لصندوق التضامن الإسلامى وبتأييد من المؤتمر الإسلامى الحادى عشر لوزراء الخارجية وذلك لرفع مستوى الجاليات الإسلامية الأمريكية ، وتخرج المعلمين الذيـــن يدرسون الإسلام بمدارس الولايـــات المتحدة .

الأخلاق بين النظر والعمل

عُقدت بالرباط ندوة فكرية تحت شعار « الأخلاق بين النظر والعمل » شارك فيها أكثر من ثلاثين باحثاً إسلاميا . وركزت الندوة فى جلسات دامت يومين على إعادة الاهتمام بالجانب الأخلاق والإنسانى أمام زحف القيم المستجدة التى ارتمى معتنقوها فى أحضان المادة فقط ، واعتبار الأخلاق الإسلامية هى البديل الأخلاق الوحيد القادر على كبح جماح المادة والتخفيف من غلوائها بالإضافة إلى منع وسائل التقنية الحديثة من تلويث القيم الإسلامية الأصيلة .

وكانت الجلسة الأولى بعنوان الأخلاق وأصول التراث الإسلامى وأسس ذلك فى السنة النبوية اقتداء بالمواقف الشريفة التى دعت إلى حسن الخلق

وامتثالا للمقولة المأثورة فى وصفه ﷺ بأن خلقه القرآن ، وأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان قرآنا يمشى على الأرض .

الهند

أطلع رئيس جمعية علماء الهند الشيخ أسعد مدنى المسئولين فى الحكومة المركزية فى نيودلهى على نشاطات علماء جمعيته خصوصاً فى مجال التعليم والاقتصاد وذلك طلباً لمساعدة مسلمى الهند وتحسين أحوالهم . ويشمل البرنامج التعليمى بناء المدارس الإسلامية والكليات والتعليم المهنى والمكتبات ، وأما البرنامج الاقتصادى فيشمل إقامة صندوق لمساعدة المسلمين وآخر للمنح الدراسية وثالث للعمل الخيرى لمساعدة الأرامل والأيتام .

تجربة فريدة

فى تجربة فريدة من نوعها تلقى خطب الجمعة فى ٩ مساجد بالكويت بلغات منها المليبارية والسريلانكية والهندية والبنجالية وخصصت الحكومة تلك المساجد لمسلمى الجاليات الأجنبية وغير العربية ويشرف قسم الجاليات الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف الكويتية على هذه الخطوة التى تتبعها خطوات أخرى .

حول القدس

عَقدت الإيسيسكو الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافى استجابة لتوصية المؤتمر العام الرابع للمنظمة الذى عقد منذ عامين فى الرباط وذلك لمناقشة ما تمثله مدينة القدس من تراث ثقافى وحضارى ولإدانة ما تقوم به اسرائيل من محاولات تهديد المدينة .

استدراك

وقع خطأ مطبعى فى البيت الأول والبيت الرابع عشر من قصيدة « تهنئة » للأستاذ الدكتور / عبدالعزيز غنيم بعدد (جمادى الأولى) صفحة (٧٠٦) وصحة الأول :

خليلـــىَّ ما هذا البنـــاءُ الممـــردُ أُصِرْحاً أرى أمْ ذاكَ فى الأفق فرقَدُ

وصحة البيت الرابع عشر

وفى الدَّوح طيرٌ باهرُ الحسن صادحُ يقول : اسجدوا لله ياقومُ واعبدوا

كما نأسف للخطأ المطبعى الذى وقع بصفحة (٥٧٦) من عدد (ربيع الآخر) حيث ذكر اسم نبى الله داود (عليه السلام) ، وصحته سليمان (عليه السلام) .

سقط اسم الأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندى كاتب مقال « هيئة كبار العلماء » صفحات مطوية من تاريخ الأزهر المنشور بالعدد الماضى ص ٦٩٢ لذا لزم التنويه .

Tous ceux qui ont pris part à la calomnie ont couru à leur perte. Le chef des calomniateurs fut Abdallah Ebn Obey Ebn Saloul. Rentrée à Médine, je tombai malade. Je restais ainsi pendant un mois. A mon insu, les gens ne faisaient que colporter des calomnies à mon sujet. Ce qui m'intriguait, c'était le comportement du prophète salut et bénédiction sur lui — qui n'affichait plus pour moi la même prévenance dont il m'entourait auparavant quand je me trouvais malade. Il se contentait d'entrer, de saluer en disant : "comment va celle-là?".

Moi, je ne me doutais de rien, jusqu'au jour où je commençai à me rétablir. Un jour, comme je sortais avec Om-Mistah (la tante maternelle de Abou Bakr) pour satisfaire mes besoins, hors de la ville. Nous n'y allions que de nuit, n'ayant pas d'eau près de nos habitations. En marchant, Om-Mistah s'empêtra dans son vêtement et trébucha. "Malheur à Mistah" dit-elle. "Quelle abominable parole que celle que tu dis là ! Tu médis d'un homme qui a pris part au combat de Badr?" lui dis-je. "Petite, dit-elle, n'as tu pas entendu ce qu'on dit à ton sujet?". C'est alors qu'elle me raconta l'histoire. J'en fus encore plus malade. Je rentrai chez moi. Le prophète-salut et bénédiction sur lui-comme d'habitude vint et dit : "comment va celle-là?". Je répondis : "permets-moi d'aller chez mes parents". Il me le permit. Je voulais en me rendant chez eux apprendre de leur bouche ce qu'on racontait à mon sujet. Arrivée chez eux, je questionnai ma mère sur ce que les gens me reprochaient. Elle me dit : "ne t'afliges pas ma petite. Par Allah toute femme qui jouit d'une certaine beauté et qui est aimée de son mari est enviée et chicanée de ses co-épouses". "Quoi? est-ce là ce que les gens disent de moi?" lui répondis-je. Puis je passais la nuit en larmes, sans fermer les yeux et le lendemain aussi.

La révélation ayant tardé, le prophète — salut et bénédiction sur lui — demanda avis à Ossama Ebn Zaïd et Ali Ebn Abou Taleb, pour savoir s'il devait me répudier. Ossama dit ce qu'il pensait de mon innocence et montra l'affection qu'il portait à la famille du prophète — salut et bénédiction sur lui : "C'est ton épouse, dit-il et je n'en pense que du bien". Quant à Ali, il répondit : Allah ne t'a pas imposé de restrictions en matière de mariage et les femmes sont nombreuses. D'ailleurs tu peux interroger l'esclave Barira, elle te dira la vérité". Le prophète-salut et bénédiction sur lui-appela Barira et lui dit ; "As-tu des soupçons sur Aïcha". "Je jure, dit-elle, par celui qui certes t'a chargé de la mission de prophète, que je n'ai rien à lui reprocher sauf qu'elle est jeune et qu'elle s'endort, laissant la pâte à la portée de la brebis qui vient en manger." Le jour même, le prophète-salut et bénédiction sur lui-monta en chaire et se plaignit de Abdallah Ebn Saloul en ces termes : "Serais-je incorrect si je demande justice à un homme dont la calomnie a nui à ma famille? Je jure par Allah que je ne soupçonne aucune infédilité de ma femme. Les gens incriminent un homme dont je ne pense aucun mal. D'ailleurs, il ne s'introduisait chez moi qu'en ma présence". A ce moment Sa'd Ebn Mo'az (chef de la tribu des Aous à Médine) se leva et dit : "Ô, messager d'Allah, je jure qu'avec ton autorisation, je peux m'en charger de le punir. Si c'est quelqu'un de la tribu des Aous, je lui trancherai le cou, s'il est de la tribu de nos frères les khazrag, nous exécuterons l'ordre que tu nous donneras". A ce moment Sa'd Ebn Abada chef des khazrag-qui pourtant était un homme vertueux, mais que les paroles de Sa'd jetèrent dans le chauvinisme-se leva et dit en s'adressant à Sa'd : "Menteur ! par Allah tu ne le tueras pas. Tu n'en auras pas le courage". Et voilà que Ossaïd-cousin de Ebn Mo'az-se lève et dit : "C'est toi le menteur ! par Allah nous le tuerons."

Hoda Cha'raoui

Sanction de la calomnie
(Récit du "Ifk"

par Mme Hoda Cha'raoui

La calomnie est un péché majeur. Allah a qualifié son auteur de pervers. Il a recusé son témoignage et il a ordonné de le soumettre à la peine de flagellation. La peine encourue par l'auteur de "qazf"[1] est de 80 coups de fouet, selon la prescription divine.

Le prophète-salut et bénédiction sur lui — a ordonné de flageller avec 80 coups de fouet les gens de "Ifk", les calomniateurs de Aïcha, son épouse.

La finalité recherchée par cette sanction est la souvegarde de la réputation et de la dignité du musulman, la préservation de la société contre les vices et les actes immoraux qui peuvent se propager parmi les musulmans, alors que ces derniers doivent être les modèles de pureté et d'intégrité.

En voici donc le récit tel que l'a raconté Aïcha et qui nous fut rapporté par Al-Bokhari : "Chaque fois que le prophète-salut et bénédiction sur lui-partait en voyage, il tirait au sort parmi ses épouses pour disigner celle qui aurait la faveur de l'accompagner. Ce fut mon tour de partir avec lui, lors d'une compagne dans la contrée de la tribu des Béni mostalak.

A ce moment, le port du voile était déjà institué. Je voyageai donc en palanquin à dos de chameau.

La mission du prophète-salut et bénédiction sur lui-terminée, nous prîmes le chemin du retour. A l'approche de Médine, après avoir campé pendant le jour, le prophète-salut et bénédiction sur lui-ordonna la nuit de lever le camp. Pendant que les hommes faisaient les préparatifs du départ, je me suis éloignée pour satisfaire un besoin. Or, à mon retour, je me suis aperçue en tâtant ma poitrine, de la disparition de mon collier. Je suis donc retournée sur mes pas pour le chercher et ceci fut la cause de mon retard.

Les personnages chargées de mon palanquin le replacèrent sur le dos du chameau en pensant que je m'y trouvais. Leur erreur s'explique par le fait que les femmes d'alors ne pesaient pas lourd, car, elles mangeaient sobrement. Les hommes soulevèrent donc le palaquin qui était vide. J'étais alors jeune (elle n'avait pas encore atteint 15 ans). comme j'avais retrouvé mon collier après leur départ, je revins au camp qui était vide. Je me suis dit qu'ils ne manqueront pas de remarquer mon absence et de revenir pour me chercher. Je m'assis donc à ma place et le sommeil me gagna.

Safouan Ebn El Mouattal assurait l'arrière garde de l'armée pour ramasser les objets oubliés après le départ de celle-ci. Il passa près de moi et remarqua la silhouette d'une personne endormie. Il se dirigea vers moi et poussa une exclamation en disant : "Nous appartenons à Allah et c'est vers lui que nous retournerons". Son exclamation et l'agenouillement de son chameau me réveillèrent. Il mit le pied sur le genou de la bête et je pris place sur la monture. Le chamelier conduisit la bête par la bride et nous réjoignîmes l'armée à midi, alors qu'elle faisait la sieste.(2)

---

1. Note Il s'agit de qualifier quelqu'un d'adultère ou de dire : "J'ai vu un tel en état d'adultère ou de sodomie".

2. Note 2 : ici on l'accusa d'adultère pour avoir passé la nuit avec Safouan.

"Plus tard, après qu'ils eurent vu les signes, il parut bon (aux Egyptiens) d'emprisonner (Joseph) pour un temps."

Le choix de Blachère est tranchant d'autant plus qu'il ne signale pas les autres éventualités possibles en note.

Aussi la présence de ce terme "Egyptiens" suggère fortement une entité nationale, une "civilisation" et suppose implicitement, une autre collectivité rivale ou adverse quand la discorde éclate entre les deux groupes dans le sens des versets 71 à 76.

De ces exemples divers, nous pouvons dire que la traduction dans le cas du Coran ne peut signifier qu'une interprétation, qu'une lecture subjective très certainement fragmentaire : le Coran possède une pluralité et une richesse infinie de significations. La tradition exégétique qui remonte à 14 siècles est là pour le prouver.

Ceci doit être indiqué dès le titre de l'ouvrage : c'est un et un seul sens des versets coraniques. C'est aussi une traduction, il faut le signaler dans le titre ou le sous-titre car les théoriciens assurent que dès le premier contact avec le livre — donc le titre — le rapport qu'entretient le lecteur avec l'ouvrage, se précise. Ainsi toute confusion est écartée et nous n'aurons pas de phrases pareilles à celle-ci décrivant la traduction de Jacques Berque :

"Ce n'est pas un Coran en français, c'est un Coran français."

(Le Monde diplomatique. Février 1991).

Pour terminer, nous pouvons dire que nous n'avons fait que signaler quelques aspects des problèmes de la traduction du Coran, domaine très épineux et qui mériterait tellement plus d'efforts de la part des futurs chercheurs. Cette tâche — très lourde — incombe en premier aux Musulmans capables de présenter aux non arabophones le Message divin adressé à tous les humains. Il faut aller au devant de cet intérêt croissant des Occidentaux et satisfaire leur curiosité au lieu de se trouver dans une situation embarrassante, à savoir le fait de se défendre contre les incorrections présentes dans leurs traductions.

Quelle solution allons-nous choisir?

Dr. Hedaya Machhour.
Faculté de Lettres. Université du Caire.

Régis Blanchère traduit par :

"Ne désespérez point de l'esprit (rûh) d'Allah."

Cette erreur de la part du traducteur peut amener une interprétation anthropomorphiste n'ayant aucun rapport avec le sens voulu dans le Texte initial.

Un même mot au singulier peut avoir deux mots différents au pluriel (ce sont des paronymes), nous avons ce cas avec le mot " عبد " qui donne au pluriel " عباد " et " عبيد ". Ces deux mots possèdent deux sens distincts puisque " عباد " signifie "fidèle" ou "croyant" tandis que " عبيد " signifie "esclave" ou "serviteur".

Le verset 24 : إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ

En parlant de Joseph, Allah le qualifie d'être parmi les fidèles. Ceci est traduit ainsi par Denise Masson :

"Il fut au nombre de Nos serviteurs sincères."

Masson n'a pu distinguer entre les deux termes. Elle a, aussi, commis une autre erreur avec le temps verbal choisi, à savoir le passé simple. Dans la phrase initiale, il n'y a pas de verbe : c'est une phrase nominale dont la valeur est intemporelle, hors temps pour assurer que Joseph est l'un parmi les fervents adorateurs d'Allah sans situer ce jugement divin dans le temps. Le passé simple nous donne tout à fait le contraire : situer un acte précis en un moment déterminé dans le passé.

Un autre exemple pour les temps verbaux avec le verset 6 :

Masson traduit par : وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ

"Ton Seigneur te choisira, il t'enseignera l'interprétation des récits."

En interprétant le rêve de Joseph, Jacob emploie délibérément le présent car dans sa prescience, le fait que Joseph fasse ce rêve signifie qu'Allah l'a déjà élu. Autrement dit, la réalisation du rêve est déjà amorcée, le "présent" est donc indispensable pour traduire cette certitude qui ne peut être donnée par le "futur".

La polysémie est un phénomène de la langue qui concerne les mots recouvrant plusieurs sens comme par exemple le mot "في دين الملك" au verset 76 :

Il n'est pas question dans ce verset de la "religion du roi" comme le dit Masson mais plutôt de la "loi du roi d'Egypte". Cette confusion est dûe-peut-être à l'emploi du mot " دين " selon cette première acception à plusieurs reprises dans la Sourate de Joseph.

Avec Blanchère, il y a une tendance très marquée pour désambiguïser les pronoms présents dans les versets coraniques, c'est-à-dire remplacer le pronom par le mot auquel il se rapporte. Mais très souvent, le cas n'est pas si simple, on ne sait pas au juste ce que remplace le pronom : le verset coranique accepte plus d'un sens, le pronom peut avoir plus d'un substitut comme dans le verset 35.

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ

Le pronom " لهم " peut renvoyer à plus d'un groupe :

- Les Egyptiens.
  - l'intendant et ses proches.
  - les témoins de la scène où Joseph est accusé. Blanchère traduit ainsi :

LA TRADUCTION "DU SENS" DES VERSETS DU CORAN.

par Dr. Hedaya Machhour

La traduction "du sens" des versets du Coran connaît un très grand essor au moment actuel dans toutes les langues étrangères, même les moins répandues. Les chiffres en témoignent : d'après un recensement récent — celui du World bibliography of translation of the meanings of the Holy Qur'an. Printed translations 1515-1980. il — existe 557 traductions complètes et 883 traductions fragmentaires en 65 langues étrangères jusqu'à l'année 1980.

En langue française, cet intérêt ne cesse de croître puisque dans deux années successives — 1990 et 1991 — trois traductions sont parues, ce sont celles de René Khawam, Jacques Berque et André Chouraqui.

Il va sans dire que ce mouvement s'effectue indépendamment de la volonté des Musulmans. Autrement dit, aucune — ou presque — autorité musulmane n'est consultée ou possède le droit d'empêcher la parution d'une traduction, voire de la rectifier.

Une exception est faite avec la traduction de Denise Masson, autorisée par El Azhar et revisée par docteur Sobhi El Saleh. Les corrections sont rares et les erreurs abondent comme nous allons le voir à travers quelques exemples.

Cette absence sur le plan officiel est relayée par une grande lacune sur le plan académique. Les chercheurs musulmans bilingues — à part quelques exceptions — n'accordent pas un intérêt véritable à ces ouvrages présents sur les marchés français et francophones pour en discuter la valeur, leur impact sur le lecteur, leur degré de crédibilité, leur écart par rapport au Texte coranique, leur "objectivité", (etc.). Il est surtout indispensable d'étudier l'évolution de ce mouvement pour dégager la vision de l'Autre sur l'Islam et sur le Coran car nous ne pouvons nier le rôle de ces traductions dans la formation d'une certaine image chez les non arabophones, image qui n'est pas toujours en faveur des Musulmans.

Une modeste contribution a été dernièrement présentée à travers notre thèse de doctorat intitulée : "Etude comparée de trois traductions françaises d'un Récit coranique : vie de Joseph." Dans cette étude, nous avons essayé de discuter les divers problèmes qui se posent et s'opposent à la traduction du Coran sur divers plans : le paratexte le lexique, la syntaxe et la sémantique. Il s'est avéré que le défi lancé par le Coran à tous les humains jusqu'à l'éternité, à savoir le fait de présenter rien de semblable, n'a point été levé par les traducteurs.

D'une part, il est difficile — voire impossible — de reprendre ou de donner tous les sens ou toutes les interprétations d'un verset ou d'un mot. D'autre part, la traduction présentée recouvre parfois un contresens, une altération, un ajout ou une omission.

Pour ne pas nous lancer dans des notions abstraites, nous allons nous en tenir à quelques exemples très représentatifs tirés de la Sourate de Joseph.

Commençons par un trait purement formel, celui des signes diacritiques. Nous savons pertinemment que nous pouvons obtenir des homonymes (mots s'écrivant de la même manière mais de sens tout à fait différents) en modifiant ces signes comme par exemple au verset 87. " رُوحٌ " و " رَوْحٌ "

Le mot " رُوحٌ " signifie "esprit" tandis que " رَوْحٌ " signifie "bonté" ou "miséricorde".

وَلَا تَأْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ

les Nations Unies, ont négligé d'arrêter.

Souvenons-nous tous qu'il ne peut y avoir une paix et un respect entre les nations, les peuples et les diverses religions alors qu'en même temps, les adeptes d'une des grandes religions subissent des massacres par les adeptes d'une autre religion, sous le silence suspect et total de tous, ce qui laisse croire à un appui pour que cette tragédie dure jusqu'à sa fin.

Si les choses vont continuer de la sorte, le slogan de "coexistence entre les religions" perdra sa portée; il serait vain de réclamer l'établissement du principe de la paix entre les peuples et les nations tant que la religion de chaque nation n'est point respectée des autres.

Monsieur le Président

Mes frères membres

Nous espérons beaucoup de bien de cette rencontre pour l'intérêt de la coexistence des différentes religions et pour faire revivre les valeurs religieuses et les règles de conduite face à la tyrannie de la matière, au relâchement des moeurs et de la pensée dont souffre actuellement l'humanité.

Je vous souhaite tout le succès au service de l'humanité entière.

Que la paix soit sur vous de la part de la nation de l'Islam et de la paix.

Texte de l'allocuation du grand Imam Cheikh Gad Al-Haq Aly Gad Al-Haq, Cheikh d'Al-Azhar, prononcée au Congrès du "Parlement des Religions du monde", tenu à Chicago, aux Etats-Unis, à l'Hôtel Palmer. House du 28/8 au 4/9/93.

Cette allocution a été prononcée, par intérim, par le professeur docteur Nagah Mahmoud Al-Ghoneimi, professeur de foi et de Philosophie à l'Université d'Al-Azhar.

Préparé pour la Section Française par le Professeur Docteur Achira Kamel Ahmed.

ont adopté l'Islam, depuis son origine à travers les siècles successifs, et jusqu'à nos jours, on trouve un nombre considérable d'adeptes gardant leur religion et qui s'y trouvaient lors de la conquêté islamique. Si le pouvoir islamique à ce moment-là avait pratiqué ce que les adeptes des autres religions font à l'époque actuelle, il n'y aurait plus dans les pays musulmans personne parmi les adeptes des autres religions.

Monsieur le président
Mes frères membres

Malgré l'histoire impeccable des Musulmans, nous voyons que les minorités musulmanes subissent l'affront, l'humilitation et la souffrance. Un grand nombre de chefs d'état non-musulmans pratiquent la purification ethnique et religieuse ainsi que l'élimination physique. Ceci s'est passé et se passe encore partout dans le monde : en Europe, en Afrique, en Asie... Je n'exposerai pas cela en détail, car c'est là l'objet des manuels d'histoire et de civilisation. Je n'aborderai pas non plus les vexations ou agacements que subissent, tous les jours, les Musulmans dans tous les pays non-islamiques et tout particulièrement en Occident. Mais je dois m'arrêtér à ceci :

La tragédie de la Bosnie-Herzégovine et me demander : comment ce drame peut-il se passer au monde au seuil du XXème siècle ?

Au Moyen-Age, on disait que les circonstances du siècle l'exigeaient. Maintenant et avant la chute du communisme, les Croyants imploraient Allah pour qu'Il protège les adeptes de toutes les religions en Europe de l'Est et à l'Union Soviétique et les sauve de la tyrannie de l'athéisme et de la persécution communiste.

Quand le désastre prit fin, nous remerciâmes Allah et louâmes Son mérite; nous nous réjouimes de pouvoir reprendre les exercices de la foi dans les lieux de prière de toutes les religions; mais le confrère dans la foi se tourna contre son frère : il commit contre lui les pires massacres, viola ses femmes, le tua et détruit son ethnie pendant que le monde occidental gardait une attitude suspecte : ni il intervenait pour mettre fin au massacre ni il permettait à d'autres partis d'apporter l'assistance et l'aide. Par contre, il aidait l'agresseur par tous les moyens, empêchait même la victime de se défendre et arrêtait la fourniture d'armes et de renfort.

Cette cause, messieurs, représente l'un des majeurs défis de notre ère; elle est sans nul doute le critère de notre crédibilité dans cette rencontre!

Au nom d'Al-Azhar, premier établissement scientifique islamique au monde, je vous dis que ce silence et ces mouvements suspects qui se passent sur la scène mondiale prétendant mettre fin à la tragédie de la Bosnie-Herzégovine, s'ils ne deviennent un véritable effort positif, il n'y aura en ces lieux aucune véritable paix. Les Musulmans ne seront pas les dernières victimes de ces guerres ethniques, mais les autres religions y succomberont à leur tour successivement, même ceux qui croient qu'ils possèdent la force; ce sera bientôt le tour des adeptes d'une même religion autre que l'Islam.

De là, j'incite le congrès du Parlement des religions du monde à se faire entendre par toute l'humanité, à dénoncer cette agression inhumaine que subit le peuple musulman de la Bosnie.

En outre, le Parlement doit déployer de véritables efforts pour convaincre les états et les gouvernements occidentaux d'intervenir positivement afin de mettre fin à cette agression que tous les pays de l'Occident et les organismes internationaux, y compris

désapprouve la violence et la contrainte dans l'expansion de ses principes. En même temps on exige des Musulmans qu'ils résistent à toute agression qu'ils subissent, pour garder sauf l'Islam. Car le fait de repousser l'agression est un autre moyen de maintenir la paix et de stabiliser les relations humaines. Allah-gloire à Lui-a dit dans la Sourate "La Vache":

"Celui qui commet contre vous une agression, commettez contre lui une agression pareille." le sens du verset 794.

La similitude dans ce cas, signifie respecter les châtiments légaux et repousser de la même manière tout agression subie. Ceci certifie que l'Islam tient à maintenir la paix générale pour elle-même, la riposte à toute agression ne devant pas dépasser la forme d'agression que les Musulmans ont subi, ni s'étendre à leurs concitoyens non-agresseurs; Allah — gloire à Lui — a dit dans la Sourate "La mise à l'épreuve" :

"Allah ne vous défend pas de fréquenter ceux qui ne vous ont jamais combattus à cause de la religion et qui ne vous ont jamais fait sortir de vos maisons. Il ne vous défend pas d'être bons et justes avec eux. Allah aime ceux qui sont justes." le sens du verset 8 Allah — gloire à Lui — dit dans la Sourate "Le Festin" : "O vous qui avez cru ! veillez avec loyauté et désintéressement à l'application de la loi d'Allah et témoignez en toute justice. Que votre aversion pour un peuple ne vous porte pas à ne point être justes. Soyez justes, cela est plus proche de la piété." le sens du verset 8.

Si l'agresseur, après les hostilités avec les Musulmans, propose la paix, l'Islam ordonne à ces derniers de l'accepter, conformément à la parole divine dans la Sourate "Les Dépouilles" :

"S'ils penchent pour la paix, penche pour elle et remets-t'en à Allah. Il est certainement l'Audiant et le Sachant par excellence." le sens du verset 61.

L'Islam est, par conséquent, la religion de la paix; il exige de ceux qui croient en lui de faire la paix générale : dans leur âme, leur communauté et entre celle-ci et les autres communautés. S'ils subissent une offense en voulant maintenir la paix, ils repousseront l'offense de la même manière qu'ils l'ont subie; et quand ils procèdent à cela ils ne doivent pas s'écarter de la modération et de la justice. Si on leur propose de cesser les hostilités et d'arrêter les combats avec leurs adversaires, ils accepteront cette proposition pour l'amour de la paix même. L'Islam est donc la religion de la paix; il repose sur la foi en Allah seul et l'évocation d'Allah qui ramènent la paix à l'âme, aux nations et aux communautés. Ces deux facteurs diminuent la tyrannie du matérialisme qui apparaît sous forme d'égoïsme, d'agression, d'inquiétude et de trouble.

"Allah appelle à la demeure du salut et guide qui Il veut vers une voie rectiligne". Sourate Jonas le sens du le sens du verset 25.

Il m'est possible de passer en revue les valeurs morales et les nombreuses règles de conduite propres à l'Islam dans plusieurs situations mais je me contenterai de ce que je viens de mentionner pour l'économie du temps. J'ajouterai seulement que les Musulmans se sont soumis aux directives de l'Islam et au cours de leur longue histoire, ne commirent aucune oeuvre qui pût les déshonorer : ils ne persécutèrent aucun peuple, ils ne contraignirent personne à se convertir à l'Islam, ils ne procédèrent pas aux opérations de purification ethnique ou de discrimination raciale. Ils n'ont jamais exterminé les adeptes des autres religions. La meilleure preuve en est que dans tous les pays qui

envergure comprendra également divers aspects y compris l'aspect social. C'est que le Coran permet aux Musulmans de manger la nourriture, donnée ou achetée, des gens du Livre. Il leur permet aussi de choisir leurs épouses parmi les femmes de ces dermiers. Allah-gloire à Lui — dit dans la Sourate "Le Festin" :

"Aujourd'hui on vous a permis tout ce qui est bon et pur. Le manger de ceux qui ont reçu le Livre vous est licite et votre manger leur est licite. On vous a permis les femmes chastes parmi les croyantes et les femmes chastes parmi ceux qui ont reçu le Livre avant vous, une fois que vous leur avez apporté leurs dots en en faisant des épouses chastes et non des prostituées ou des maîtresses". le verset 5 ce genre de paix sociale nous mène, tout naturellement, à la cause suivante :

2 — La paix est un principe de l'Islam :

Car la paix est un des principes saillants de l'Islam, s'il n'est en effet, le plus saillant. Elle peut même s'élever pour être synonyme du terme "Islam" lui-même, si l'on envisage l'étymologie de ce mot. L'Islam même prêche tout d'abord la quiétude de l'âme humaine, sa pureté, sa tranquillité par l'affaiblissement des instincts d'une part et la suprématie de la voix de la raison d'autre part.

Le moyen de coordination de ce dualisme composé d'instincts et de raison, le moyen de les mettre en accord loin d'un tiraillement entre les deux pôles est par la foi en l'unité d'Allah en lui même et par Son évocation régulièrement. C'est dans ce sens qu'Allah — gloire à lui — dit dans la Sourate "Le Tonnerre" :

"Ceux qui ont cru et dont les coeurs se rassurent à l'évocation d'Allah. N'est-ce point à l'évocation d'Allah que les coeurs se rassurent." le sens du verset 28.

Si la paix et la quiétude se réalisent dans l'âme et le coeur des individus, une société s'établira où la paix règne entre ses membres. La paix véritable pour toute société est à base de quiétude de l'âme de ses membres, de tranquillité dans leurs coeurs, de leur délivrance de la domination de leurs instincts et de leurs plaisirs sensuels, ainsi que des facteurs de rancune, de haine, de fiel par la foi et l'évocation d'Allah.

Si l'Islam réclame des croyants la paix dans leurs relations mutuelles, comme précédemment mentionné, il s'adresse de même à eux dans leurs relations avec les autres nations, leurs demandant d'assurer la paix la stabilité et la non-agression. C'est dans ce sens qu'Allah-gloire à Lui — dit dans la Sourate de "La Vache" :

"O vous qui avez cru ! Entrez pleinement dans la paix (de l'Islam) et ne suivez point les pas de satan, il est assurément pour vous un ennemi déclaré." le sens du verset 208.

Il entend par là : Faites un effort positif pour assurer la paix générale afin d'éviter toute agression contre les hommes.

L'Islam ne se contente pas d'approuver le principe de la non-agression, mais il s'efforce en même temps de le sauvegarder et le maintenir, que ce soit entre les membres de la communauté islamique ou bien entre eux, d'une part, et les autres peuples d'autre part. Ceci en ne les contraignant pas, en ne les forçant pas à adhérer aux préceptes de l'Islam. Allah-gloire à Lui dit dans la Sourate de "La Vache :"

"Pas de contrainte en religion." le sens du verset 256 ce qui veut dire que l'Islam

Cette vue conciliante de l'Islam vis à vis des relations avec les religions et les autres peuples apparaît plus évidente si nous considérons sa vue à l'égard des gens du livre, non musulmans qui croient au message de Dieu et à la révélation, même si leur croyance diffère de celle des Musulmans.

Quant aux juifs, le Saint Coran détermine cette vue par les paroles d'Allah — gloire à Lui — dans la Sourate "Le Festin" : "Nous avons descendu la Torah contenant une bonne direction et une lumière. C'est sur la base que rendent la justice à ceux qui ont suivi Moïse les prophètes qui se sont soumis à Allah ainsi que les gens au comportement divin et les docteurs (de la foi) vu la sauvegarde du livre d'Allah qu'on leur a confiée et vu la surveillance qu'ils exerçaient sur son application. Ne craignez pas les gens et craignez — Moi et ne troquez point Mes versets contre un prix dérisoire. Celui qui ne juge pas d'après ce qu'Allah a fait descendre, ceux-là sont les Mécréants." le sens du verset 44.

Quant au christianisme, Allah-gloire à Lui-dit dans la Sourate "Le Festin" :

"Nous avons enchaîné sur leurs traces par l'envoi de Jésus fils de Marie confirmant la Torah venue avant lui. Nous lui avons apporté l'Evangile contenant une bonne direction et une école de morale pour les gens pieux. Que les adeptes de l'Evangile jugent d'après ce qu'Allah y a fait descendre "et celui qui ne juge pas d'après ce qu'Allah a fait descendre, ceux-là sont les Dévergondés." le sens des versets 46-47.

La Torah fut révélée comme une bonne direction et une lumière; l'Evangile fut révélé comme une bonne direction et une lumière.

Quant à l'Islam et au Coran, Allah-gloire à Lui-dit dans la Sourate "Le Festin" :

"Nous t'avons fait descendre le Livre en toute vérité confirmant ce qui l'a précédé du livre et le dominant. Juge entre eux d'après ce qu'Allah a fait descendre et ne suis pas leurs passions en t'écartant de ce qui t'est venu comme vérité." le sens du verset 48.

Le Coran a jugé entre les livres qui l'ont précédé, ceci est un lien commun à tous.

Quant à l'attitude de l'Islam vis à vis des messagers et des prophètes de toutes les religions, le Saint Coran démontre dans la Sourate "La Vache".

"Le Messager d'Allah a cru à ce qui lui a été descendu de la part de son Seigneur, ainsi que les Croyants. Tous ont cru en Allah, à Ses Anges, à Ses livres et à Ses Messagers. Nous ne faisons aucune différence entre aucun de Ses Messagers." le sens du verset 285.

Dans un hadith du Messager d'Allah Mohammad paix soit sur lui s'adressant aux Musulmans : "Ne donnez la préférence à aucun des prophètes." (1)

Par conséquent, les Musulmans considèrent les autres adeptes du Judaïsme et du christianisme comme leurs associés dans la foi en Allah, et dans la pratique de la révélation divine dont les origines ne diffèrent en rien de celle d'Ibrahim (salut sur lui).

Cette base commune de foi rend possible l'échange de contacts et d'intérêts, permettant une plus grande communication entre les Musulmans et ces peuples, allant même jusqu'à combattre ensemble tout ce qui menace le message divin en général; cette

1 — Hadith rapporté par l'Imam Ahmad et Al Bayhaqy d'après Abou Sa'id.

— Au cours de cette réunion, on examinera les moyens qui aident à poursuivre la coopération entre les religions en vue de la paix et pour alléger la souffrance des damnés et sauvegarder la planète.

Monsieur le président.

Messieurs les membres.

J'ai le plaisir de vous annoncer que l'Islam est compatible avec ces objectifs espérés des rencontres de ce Parlement international des religions. Il est inconcevable que je m'attarde à démontrer les origines de ce objectifs réunis dans l'Islam. De là, pour épargner le temps je me contenterai de deux causes qui, à mon avis, conviennent parfaitement aux objectifs du Congrès et qui sont, en même temps, parmi les causes de l'époque actuelle.

La 1ère cause :

C'est la relation de l'Islam avec les religions et les autres peuples.

L'Islam est soucieux de fonder ses relations avec les religions et les autres peuples sur la paix générale, l'affection et la coopération; car l'homme selon l'Islam est une créature digne, honorée par Allah — gloire à Lui — et préféré à beaucoun de Ses créatures, comme le montre la parole divine dans la Sourate "Le Voyage Nocturne" le sens du verset 70 :

"Nous avons honoré les fils d'Adam. Nous les avons transportés par terre et par mer. Nous leur avons octroyé leur part de bonnes choses et les avons préférés à plusieurs de Nos créatures."

L'honneur divin réservé à l'homme et sa préférence constituent un lien élevé qui rattache les Musulmans aux autres hommes. Dès qu'ils entendront la parole d'Allah-gloire à Lui — dans la Sourate "Les Chambres" :

"O Humains, Nous vous avons créés à partir d'un mâle et d'une femelle et Nous avons fait de vous des peuples et des tribus afin que vous vous connaissiez entre vous. Le plus noble d'entre vous pour Allah est le plus pieux. Allah est parfaitement sachant et bien informé." le sens du verset 13. Ils devront établir des relations d'affection et d'amitié avec les adeptes des autres religions ainsi que les peuples non musulmans, conformément à la fraternité entre les humains.

C'est là le sens de "se connaître" tel qu'il apparaît dans le verset; car la diversité de ces peuples n'est pas sujet de dispute et de rupture mais elle est un facteur qui permet la connaissance d'autrui, l'affection et l'amitié, en rivalisant pour faire le bien et pour être au service de l'intérêt général.

Quant à la divergence existant entre ces religions et ces peuples, elle relève de la volonté d'Allah; car si Allah avait voulu unir Ses créatures, Il y aurait parvenu aisément.

Allah-gloire à Lui — dit dans la sourate "Le Festin" : "Achacun de vous Nous avons établi une législation et une voie bien claire. Si Allah avait voulu, il aurait fait de vous une nation unique, mais Il veut vous éprouver dans ce qu'Il vous a apporté. Courez à qui mieux mieux après les bonnes choses ! c'est vers Allah qu'est votre retour à tous. Il vous informera alors de ce qui était l'objet de votre désaccord. le sens du verset 48.

Son Excellence Docteur Daivd Ramage Président du Parlement des Religions du monde Vénérable Audience

La Paix soit sur vous et la Bénédiction d'Allah

C'est avec plaisir que j'ai reçu l'invitation adressée à Al-Azhar par le comité organisateur du congrès, à travers le ministère égyptien des Affaires étrangère le 12 Juin 1993. Des obligations et des engagements antérieurs à cette invitation ont empêché Cheikh Al-Azhar de participer en personne avec les membres vénérables, à l'étude des diverses activités de cette rencontre.

Le Révérend Grand Imam Cheikh d'Al-Azhar a confié au professeur docteur Nagah Mahmoud Al-Ghoneimi-professeur de foi et de Philosophie aux Universités d'Al-Azhar et du Sultan Qabous, au Sultanat d'Oman le soin de participer aux travaux de cette rencontre et de prononcer ce discours au nom d'Al-Azhar.

C'est avec cet honneur que je transmets à cette assemblée vénérable les compliments du Grand Imam le Cheikh Gad Al-Haq Aly Gad Al-Haq, Cheikh d'Al-Azhar ainsi que son appréciation de la mission de cette rencontre et de l'objectif humain qu'elle poursuit.

Voici de texte du message :

Monsieur le président du Congrès

J'ai lu avec grand soin les sujets inscrits dans les papiers de ce Congrès joints à l'invitation, j'éprouvai un vif plaisir en constatant les objectifs de ce Congrès international.

— encourager l'esprit d'entente; célébrer la riche variété des religions du monde avec conciliation et respect mutuel.

— Réformer et renouveler le rôle joué par les religions du monde quant au développement moral personnel et aux défis auxquels fait face la société internationale.

Ajouter à ce que renferme le paragraphe du journal" Al-Haqâeq" à savoir :

— Le sujet principal de cette rencontre sera la rôle de la vie religieuse et spirituelle dans le domaine des grandes causes de notre ère : la violence, la pauvreté, le faim, le racisme et l'environnement. Avec l'explication de ce même paragraphe dans la lettre d'invitation au paragraphe 5.

— La rencontre de 1993 sera plus qu'une simple cérémonie du centenaire, car la présence des représentants des fois religieuses du monde, dans la ville de Chicago, permettra d'assurer à ces personnalités un vaste domaine pour examiner les grandes causes qui font face à la société au seuil du XXI siècle, dont les plus importantes sont :

— Les menaces à l'environnement, la co-existence entre l'extrême richesse, l'extrême pauvreté et le racisme, de même entre la persécution et l'appel à la justice, la relation entre l'homme et la femme, la paix mondiale.

— Au paragraphe 8 du discours de l'invitation, on fait allusion à la réunion des chefs religieux et spirituels qui aura lieu les 3 derniers jours de la rencontre.

REVUE AL-AZHAR

Gumada Al Akhira
1414
Volume 66 — Partie VI

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

of man. "Women are the twin halves of men," declared the prophet, and "Paradise lies underneath the feet of your mothers."

The Quran reminds us that Allah created all things in pairs, each one having its particular function, suited to its own peculiarities in physique and physiology. In the economic sphere, women can earn money and possess property just as men do.

The mutual relation of husband and wife is described in the Quran as that of a single soul in two bodies. Women can be a scholar or a source of knowledge just as men can. There are many examples of women scholars in the history of Islam and the biggest source of knowledge in the life of the prophet is Aisha. According to Bukhari (56:62:63, 65), when the circumstances require it, women can even take part in actual fighting during the war.

Prayer is our first daily work and our last. With the other prayers we cut our working and recreation hours into pieces in order to purify ourselves continuously and feel His presence under all circumstances. The prayer reinforces His presence in our hearts.

Islam is the only way to bring peace to the single human and to the world as a total. It unites all religious truths and corrects their errors, it meets all the moral and spiritual requirements of humanity. There is no compulsion in religion, that is a basic Islamic idea. We surrender ourselves not to an enemy, out of fear or an outside compulsion. We surrender ourselves out of love to our Creator, an inside submission to His will.

He found in the Quran that all prophets brought the same message but that their followers changed the books, just as he found out through science.

The Quran is a thrustworthy source. Even among orientalist there is little doubt about its origin and preservation. It is famous for its unequalled linguistic beauty. And if it deals with scientific facts its assertions are completely in agreement with the latest scientific developments (recent linguistic books make this very clear). No human could ever create such a book out of his own fantasy.

The Quran is the "planet users guide" written by the One who created it and therefore knows the best way to use it. He also gave an example how to practise the Quran in daily life through the one whom He instructed with this "users guide", the mesenger Muhammad.

God leads us if we only look and listen to His signs. I found this to be true in my own life. All meaningless looking suffering and searching became meaningfull in the end. Now he has experienced human life and suffering from many sides. And finally he was led to Islam, as if he was prepared for it.

Islam teaches life as a coherent totality, just like science shows that everything is connected with everything. Islam means how to pray, how to work, how to behave, how to dress etc, nothing is excluded and everything explained with reasons. It deals with economics, politics, law and order, with the total material, social, psychological and spiritual welfare.

From the psychological point of view, if it is applied well and not stressed one sided, it keeps the balance in man. It doesn't surpress "Child" in man nor does it ignore "Parent" in man and it stresses the importance of continuous searching for knowledge. It considers it as a duty to fill our "data processor" with information. It doesn't forbid technology, sports, films music and nice things, but it stresses that its being allowed or forbidden depends on the way we use or do things, on our motives and its outcome.

While western life replaces human social intimacy by poorer substitute excitement, Islam places social relations and human psychological intimacy as the first priority again. Moreover, clothes are not used to make us look like delicious pieces of meat but are there to stress the importance of the delicious human personality.

He also found in Islam the spirituality he was looking for. Not a spirituality outside life, but in the middle of daily life. In fact, Islam makes the whole life spiritual and it stimulates him to remember Allah walking, sitting, standing etc. and to do everything as He asks him to do.

One of the most important aims of Islam is, the purification of the soul and the reconstruction of the society on the principles of th Quran and the life of the prophet. In Islam there is a balance between the individual and the society. Everyone is personally responsible and accountable to Allah. "Allah does not change the condition of any people unless they first change what is in their hearts" (Sura XIII : 12). The prophet also said : "All creatures of Allah form the family of Allah, and he is the best loved of Allah who loved best His creatures." From the material as well as from the spiritual point of view Islam recognizes the position of woman to be the same as that

At the same time a new moral is presented. Man should be free to do what he wants, to live as he prefers to do. This uncontrolled freedom opens the way for being the slave of one's desires, the big "C".

Thus; in the west it goes so far that the more welathy people use surgery to "lift" their faces and other body parts and lift weights. In this way they temper with what God has created even that the use of paint, called make-up, is also made available for men.

So, first they manipulate the Child in man, after this they try to convince the Parent in man with twisted reasoning in logical language with which they fill the "data processor" in the human brains. Other opinions are attacked with the same logic.

By this total system, the balance in the human personality is completely disturbed. This is the reason why many people are unhappy, depressed and negative. Thus they all are searching for continuous new excitement because nothing can make them happy for long (the latest fashion, the newest records, films kinds of food, the most exciting holydays and fun fairs, the latest rage etc.). An illness like "Aids" recently called the greatest threat to mankind, proves the destructiveness of disobeying the laws of nature by moral decay. But one is not allowed to mention this otherwise one is accused of discrimination.

The personalities in disorder natural create a society in disorder. There is no individual balance and harmony and also no social balance. "This is the bankruptcy of western life, the idea that a consciousness is created out of nothing, based on the ever changing human ideas.

ISLAM, MY LAST STEP.

A very bad picture is presented about Islam in the media and in many books. Getting good information is difficult. He came in contact with Islam through the western Sufi Movement. This movement proclaims the Islamic idea about the unity of religious ideals and uses Islamic mysticism. It concludes that differences in religion doesn't matter since in reality there is only one ideal presented in different forms. Thiker evenings are held and religious services in which exerts from the books of the worlds religions are read. This universal ideal attracted him for a long time. But cutting out the differences between the religions and the religious laws ("they only belonged to a certain period and place"), made it appear to float in the air. After many years he left the movement, but the period was very important for him. He met some very special people and it brought him in contact with the heart of Islam, the Thikr or remembering of Allah.

His interest in Islam became stronger through contacts as a teacher of the English language with Turkish people. He searched for good information about Islam and found it at the Dutch Islamic Information Centre. Stpe by step many prejudices disappeared.

What struck him was the belief in One total, unimaginable and all powerful God, without bounderies. Everything created by a power and intelligence far beyond the realm of the senses and the law of cause and effect. How stupid the idea that paintings have painters, buildings builders but the genius planet came as a coincidence.

THE STORY OF HOW AN AMERICAN MUSLIM REVERTED TO ISLAM (BASED ON THE STORY HE NARRATED)

By : Iman El Zeiny

Before finally speaking in this part, about how he found Islam, it seems necessary to summerize the way western life was going.

Family life is not very strong. Most of the time there is no mutual bond of care and respect. Many parents don't live according to a moral ideology and don't supply their children with a coherent view and way of life. They have no answers to the questions of life. They only provide everything in the material sphere. After a certain age parents are put away in an old age peoples home. In this way they don't cost you money, don't cause trouble and you only have to visit them once in a while (sometimes not at all). The majority of the population has no planned path in life, consider religion as out dated and don't know their reason for living. Depression, suicide and negative attitude are well known facts. A minority try to search for anothere way of life.

We know that every human builds his consiousness out of what parents, teachers, older people and the media show them. This is called in the communication theory the Parent with a capital P. Everyone has the big P in his personality. You can imagine that most children build a very weak "P" or moral consciousness and caring attitude.

Every human has the "Child" with a capital C in his personality. The part in him/her that hate's restrictions, like's to do what he/her wants immediately, like's excitement, can be full of joy, is creative and intutive. So it can be an inner source for creativity, joyfull living. But with a very weak moral consiousness and directing power ("P"), the bad side of the "C" will be stimulated. And than it turns out to be an egoistic, violent power, only interested in fast here and now exitement.

That is exactly what the temporary western culture is stimulating with its films, music, clothing, materialism, advertising and compulsion to buy etc. Search for excitement, do and take what you want now, let nothing cause you any trouble and don't care about anything else. Easily the soft pleasant poison flows silently into the hearts.

If you let a child choose between sweets and good healthy food, he/her will choose the sweets. After a while it will refuse all food and only eat sweets, destoying its health very quickly. That is exactly what happens with followers of the western culture.

The money makers don't argue with you about opinions, morals or consequences. They use "sweets" to poison you. They produce clothes which let men and women think they look atractive to other people, or which let them look "very special" and interesting. They even wear sun glasses to be interesting (many times on top of their head).

Constinuously directing their messages to the excitement of loving "C" in each of them.

cal chapters." Hence Dawood has rearranged the Suras of the Quran not according to the chronological order adopted by some of his predecessors but in a manner according to his own personal view point. To find a particular surah in his translation one must refer to a table of content which includes the original arrangement along side his own. Dawood's rearrangement of the Suras is one of the reasons why it is considered by Muslims as deliberately distortive of the Quran.

One of the recent translations of the Quran that is sufficiently note worthy to be mentioned if, for no other reason, than that its author was a Jewish convert to Islam is that rendered by Mohammad Asad in 1980 entitled, The Message of the Quran. Asad claims his translation to be a first attempt at a really idiomatic, explanatory rendition of the Quranic message into a European language. Therefore, he deemed it necessary to add to his translation a considerable number of explanatory notes in order to express the "many facets" of the Quranic message. He claims that none of the translations rendered by his precedessors, whether Muslim / or non-Muslims, has so far brought the Quran nearer to the hearts or minds of the people raised in different religious and psychological climate, and that their translations have remained but "distant and faulty echoes" of the Quran's meaning and spirit. "These translations", Asad (1980:ii) states, "have not been able to reveal something, however, little, of its real depth and wisdom." Unless the translator is able to reproduce within himself the conceptual symbolism of the language in question) Asad maintains, his translation will only convey the outsehll of the literary matter and will miss the inner meaning of the original. Asad's translation is again one of the best recent translations of the Quran. Similar to Y. Ali, the abundant foot notes and appendices, Asad added to his work made it easier for the target language reader to understand the meaning of the original text.

One of the more recent translations, if not the latest, is that rendered by an Egypttian Muslim, Dr. M.M. Khatib, which was published in 1986 and entitled The Bounteous Koran. Khatib's version is authorized by the General Department for Research Writing and Translation, Islamic Research Council, Al-Azhar, in 1984. The receiving committee in it's report, which Khatib prints a translation of it at the beginning of his work, describes the translation to be "very accurate in its construction, perfect in its idioms, precise in its expression of the original meaning, not incongruous, free of all odd or equivocal views the style is easy and impregnable" (Khatib 1986). The Committee regards his translation to be viable for publication, and quite nearer to the acceptance of the majority of Muslims in the different continent; "a unique translation which is neither an imitation nor a repetition of the previous translations (Khatib 1986).

Khatib states in his Introduction that his translation of the Quran is only a translation of the meaning of the text and could not really reflect its real spirit or grandeur. Khatib states that the translation renders one particular meaning, while "ostentive" and "figurative" words found in the original Quranic text "are meant to be left to the imagination of man throughout the ages" (1986 : vi). As Dr. Khatib is a Muslim Arab vested in English, it is supposed that he has possessed the minimum requirements for a translator of the Quran.

This was a brief account of each of the different translators of the Quran. Previously presented was a review of the most notable English translation of the Quran (complete works), most of which are available and widely circulated.

To be continued

A COMPARATIVE STUDY OF THE ENGLISH TRANSLATIONS OF THE MEANING OF SURAH MARYAM PART IB

By Mona Abdel Gaffar Salem

Another twentieth century version is Richard Bell's, The Quran Translated, with a critical re-arrangement of the Suras. His so-called reconstruction extend as far as individual verses and even part of the verse. "The translation," states Bell (1937 : vii) "goes frankly on the assumption that the Quran was in written form when the redactors started their work, whether actually written by Mohammad himself as I personally believe, or by others at his dictation." Advancing well beyond the position taken up by Rodwell in the previous century, Bell quite literarlly took the Quran to pieces and put it together again. As he set up his translation in a kind of tabular form to indicate his views of how the discourse originally ran, it is virtually unreadable and quite erroneous. The awkward manner in which he printed his translation besides, being one of the reasons why Bell's translation is not so popular, is confusing to the reader who needs to have detailed knowledge of the text in order to benefit from Bell's work.

In 1953, Arthar John Arberry rendered his translation of selected passages from the Quran entitled, The Holy Quran : An Introduction with Selections. Two years later he presented his complete translation of the Quran entitled, The Quran Interpreted. Arberry is a well-known English Orientalist, and his translation, similar to Y. Ali's, is free of any anti-Islamic prejudice or distortion. Arberry, though not a Muslim, "I am no Muslim, nor could ever be" (1953 : 31), clearly acknowledges in the Introduction that the Quran is a divine revelation," so characteristic, so powerful, so highly emotive, that any version whatsoever is bound in the nature of things to be but a poor copy of the glittering splendour of the original" (1955:24). Arberry (1953:11) states his purpose "to make the study and understanding of the Quran easier for the general English reader ..." He aims to reproduce something which might be accepted as echoing however faintly, the sublime rhetoric of the Arabic Quran. Arberry, on the other hand, prefers to label his version as an interpretation, conceding the orthodox claim that the Quran is virtually untranslatable, and prays that this interpretation, "poor echo though it is of the glorious original may instruct, please and in some degree inspire those who read it" (1955:25).

In 1956, N.J. Dawood published his translation entitled The Koran : A New Translation, in the Penguin classics, and was reprinted many times since. Dawood is a non-Muslim Iraqi scholar who, contrary to Arberry, states that he would avoid turning the text into an interpretation rather than a translation, and has even "taken pains to reproduce ambiguities as they are and wherever they occur, providing at the same time as many explanatory notes as needed" (1956 : ii).

Dawood (1956 : ii) aims "to present the modern reader with an intelligible version of the Koran in contemporary English." In his translation, Dawood abandoned the traditional arrangement of the Suras, and rather begins with what he calls the "more biblical and poetical revelations," and ends with "the much longer and often more topi-

Azhar except for Islam and we are not fanatic to a certain sect against another, and we always feel that we all have one nation and one country it is the whole Land of all Muslims. So we are asked to call for Islam far from any fanatic way, and we should live peacefully with others because peace is a main rule in Islam that :"

So the human relation has the priority in the field of treating others, and we have to learn how to talk and make dialogue with others.

I advise you to pay attention for whatever you learn. Al Azhar, by helding such Seminars, wishes to reconcile among the different views of the scholars, and you should do your best to spread the moderate views of Al Azhar among your citizins and countries without any exaggeration. And since we have one Quibla and there is one religion unites us, so we have to do our best to embody our unity in front of Allah.

I pray to Almighty Allah to bless you all and to have a good stay in Egypt and at Al Azhar.

The Speech of His Emenince Grand Sheikh of Al Azhar in the inauguration of the Twenty Third Seminar for trainning Imams and preachers from 1-11-1993 : 31-1-1994

Translated by : Ahmad Abdel Khalek

In the Name of Allah, most Gracious, most merciful, peace and blessings of Allah be upon his prophet,

Your Excellencies Ambassadors,

Dear scholars dears Brothers,

Peace and Blessings of Allah be upon you,

We inaugurate this seminar with great pleasure of your attending to be trainned hoping to get use of every branch of knowledge for the cause of Islamic Da'awa and you should prove a good example with your teachers and to discuss the different scientific views with them. You should learn that the main principal for the Muslim scholars and preachers is the ward of Allah : "Who is better in speech than one who calls to Allah, works righteousress and says "I am of those who bow in Islam"?" Sura 41 verse 33.

And this is the plan of Al Azhar that the scholars should always be attached to the kind and polite rules of Islamic Da'awa as it is mentioned in the Holy Quran "Speak fair to people" Sura 2 verse 83.

We should also face any false sayings, against Islam, so kindly and to correct those sayings through the way of science and authentic knowledge. And because of the important role of science and knowledge in Islam so it is a main job of the Muslim to search them since the first revealed verses of the Quran say : "Read in the name of thy Lord who created-created man out of a (mere) clot of congealed blood — Read and Thy Lord is most Bountiful-He Who taught (the use of) the Pen — Taught man that which he knew not. Sura 96 verses from 1-5

You have to arrange your time and to pay attention for your lesson during the lictures and to get benifit from the Seminars and Libraries and to discuss whatever you read or listen with your teachers, because Al Azhar is the place in which you can reach every useful and new thing in Islam and Islamic Da'awa.

You should also increase your knowledge about Arabic Language to prepare yourselves to get up with the main rules and branches of Islamic knowledge through the texts of the Holy Quran and the tradition of the prophet, peace and blessings of Allah be upon him. I hope that you will find and be Sure that there is no fanaticism at Al

In the Middle Ages, it is said, "It is due to the circumstances of the age."

Now, before the collapse of communism, people of faith were praying to God to have care and mercy for followers of all the religions, and to protect them from the assault of atheism and communistic persecution, in Eastern Europe and the Soviet Union when the affliction was over, we praised God and thanked His Good Deeds. We expected good out of the restoration of faith and of worship for all religious, but brothers in faith turned against their brothers : cutting them into pieces, raping their women, eliminating them corporally, and purifying them ethnically. This happened while the western world stood still in a suspicious way.

It would neither interfere to stop the massacre nor would permit other parties from outside Europe to help and assist. On the contrary, the west would help the aggressor with all means and ways, preventing the victim even from the right of self-defence, stopping supplies of equipment and arms.

Respected Members of this Parliament, this issue represents one of the big challenges of our contemporary age. It is, no doubt, the measure of our truthfulness in such gathering as we have now !!!

In the name of noble Azhar, the first Islamic Academy in the whole world, I declare here : This suspicious silence, these suspected movements on the international field, pretending to stop the tragedy of Bosnia and Herzegovina. Unless positive efforts are really made, there can be no real peace of any kind. Nor will Muslims be the last victims of these ethnic wars, for sure; other religions will follow in their footsteps, even for those who think themselves possessors of power and authority. Even more, the followers of same religion other than Islam would come to the arena.

For all this, I appeal to the Parliament of World religions to let its voice be heard to all humanity, denouncing this inhuman aggression against the Muslim people of Bosnia and Herzegovina. It should also spare no effort to convince the western states and governments to take a positive stand and stop this aggression which, regrettably all the western countries and all international institutions, including the United Nations, failed to stop.

We should all remember : there can be no peace and mutual respect among nations, peoples and different religions, while the followers of one of the major religions are slain by followers of another religion, under the shadow of a wholesale suspicious silence, which insinuates support in order to allow the tragedy to go on to its end.

So, if things are permitted to go on like this, there would be no real significance of the motto of "Co-existence of Religion." The calling to lay the foundations of peaceful principles among peoples and nations would be useless, unless each nation's religion is respected by other nations and peoples.

Mr. Chairman, Brothers Members :

We are expecting much good out of this gathering, for the benefit of the co-existence of different religions, and the reviving of moral and religious values in opposition to the deluge of materialism, moral and thought disintegration that humanity undergoes. Now I wish you all success in the service of all humanity.

Peace Be Upon You from the Nation of Islam and Peace

أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ

"O Ye who believe ! Stand out firmly for God, as witnesses to fair dealing, and let not the hatred of others to you make you swerve to wrong and depart from justice. Be just : that is the next to piety : and fear God, for God is well-acquainted with all that ye do." S. V. 8.

If the transgressor, after the start of battle with Muslims, demanded peace, Islam orders Muslims to accept this demand of peace. The Quran is more specific when it reads :

وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

But if the enemy inclines towards peace do thou (also) incline towards peace and trust in God : for He is the One that Heareth and Knowth (all things)." S. VIII, 61.

Thus, Islam is the religion of peace : it demands Muslims to keep general peace : in themselves, in their societies, and between their society and other societies. If they undergo transgression through keeping peace, they are requested to defend themselves in a manner similar to the transgression in quality and quantity.

On facing transgression they are requested to be moderate and just. Then if the enemy asked for a cease fire to hostilities, they are ordered to accept this offer out of love of peace itself.

وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

Thus, Islam is the religion of peace, because it is based on faith in one God, and remembering Him, both of which restore peace to souls peoples and communities, as well as mitigating the tyranny of materialism incorporated in egotism, aggression, anxiety and upset. The Quran reads :

"But God Doth Call to the home of peace : He Doth Guide Whom He Pleaseth. To a way that is straight." S. X. 25.

Ladies and Gentlemen,

It is possible for me to go on speaking about numerous Islamic moral and behavioural values on different issues. But for the sake of brevity and convenience I will be content with what I have discussed. I have only to add that Muslims are committed to Islam's directions and guidance, through their long history, up to now, they have done nothing scandalous : they never persecuted any other people, nor forced anyone to believe in Islam. They never committed ethnic purification nor racial discrimination. They never eradicated followers of any of the other religions; which is evidenced by the fact that all countries governed by Islam still have their non-Muslim citizens in great numbers. If Muslims had had the same practices of the followers of other religions in contemporary life, now, there would have been none of them in Muslim countries.

Mr. Chairman, Brothers Members,

Notwithstanding this unsullied history of Muslims, yet Muslim minorities are still subject to humility, degradation and severe torture. They are still victims of ethnic and religious purification and corporal elimination by many of non-Muslim rulers. This is seen on a large scale all over the world : Europe, Africa, Asia etc. I need not mention details, because they are available in books of history and civilization. Nor would I mention any details of the daily harassments Muslims are met with abroad, all over the world, specially in the west.

But I have to stop at the tragedy of Bosnia and Herzegovina inquiring : How could such a thing happen in the world on the threshold of the 21st century?

Thus when peace and purity are worked out in the souls and hearts of individuals, the outcome is a society where peace dominates the relations of its individuals. So, for any society, a real peace is based on the peace, purity and tranquillity of its individuals' souls, as well as their freedom from the domination of their instincts, lusts, and elements of hatred, grudge and rancour — through faith (belief) and remembrance of God.

When Islam takes the direction of believers, demanding them to have peace in their relations one with another, as previously mentioned, it also takes interest in their relations with other nations, demanding them peace, settlement and non-aggression.

The Quran reads :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

"O Ye who believe ! Enter into peace wholeheartedly; and follow not the footsteps of he evil one: for he is to you an avowed enemy." S. II. 208.

Which means, participate positively in the common peace in order that no aggression against people will take place.

Islam does not stop at confirming the non-aggression principle, rather it acts towards its maintenance and continuity, no matter was this among individuals of the ıslamic nation, or among them, on the one part, and other peoples, on the other part. This is worked out through non-compulsion of people and non-forcing them to believe its proper creed. The Quran reads :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾

"Let there be no compulsion in religion." S. II. 256.

Which mans: Islam does not tolerate compulsion and force to propagate its creed. Notwithstanding, Muslims, in the meantime, are requested to resist aggression wherever it occurs. Doing this, they are maintaining peace, because defending oneself against aggression is another means to keep peace and stabilize human relations, the Quran reads :

فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ

"Then if anyone transgresses against you, transgress ye in like manner against him." S. II. 194.

The "in like manner" means to stop at the limits, in the same way the transgression happened and with no additions in attacking back. This emphasizes Islam's care for general peace for itself.

Thus the Muslims' defence would not transgress the limits of the enemy's attack, nor would they transgress the violators to other persons out of the same nationalities. The Quran reads :

لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

"God forbids you not, with regard to those who fight you not on account of religion, nor drive you out of your homes, from dealing kindly and justly with them : for God loveth those who are just." S. LX. 8.

Not only this, but Muslims are also ordered to be just and deal justly with their enemies. The Quran, on another occasion, reads :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ

"The Apostle believeth in that which hath been revealed unto him from his Lord and so do the believers. Each one believeth in God, His angels, His scriptures and His apostles — we make no distinction between any of His apostles..." S. II. 285.

In a saying by the Apostle (S.A.W.) wherein he guides Muslims, it reads :

« لاَ تُخَيِّرُوا بين الأنبياء »

"... Do not make preference among prophets...(1) which means : do not make comparisons... Thus the Muslim's view of non-Muslims, whether followers of Judaism or Christianity, is one of a partnership in the belief in God and the working out of the Diving Message, whose general origins do not differ from the Message of Abraham, (Peace Be Upon Him). This common foundation of belief would allow exchanges of relations, services and dealings between Muslims and other peoples on a large scale to include participating in defending the common Divine Message against any aggressive threat, as to include, as well, many other sides, the most important of which is the social side : the Quran permits Muslims, of their own accord, to eat the food of the people of the scripture, either through a gift or purchase. The Quran also permits Muslims to marry their women. It reads :

ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ

"This day are all good and pure things made lawful for you. The food of those who have received the scripture is lawful for you, and your food is lawful for them. And so are the virtuous women of the believers and the virtuous women of those who received the scripture, revealed before your time (lawful for you) when ye give them their marriage due dowers, and live with them in honour, not in fornication, nor taking them as secret concubines...". S. V. 5.

Naturally, this kind of social peace would lead us to the next issue, which is :

2. Peace As An Islamic Principle :

Peace is one of the most prominent Islamic principles, if not the most prominent of all. Rather, peace can be sublimated to the level of being synonymous with the word Islam itself, (at least as far as the linguistic root is concerned).

To put this into effect, the call of Islam itself takes, first, the direction of peace, purity and tranquillity of the human souls. Through the weakening of the lusts of the basic instincts on the one hand, and elevating the voice of mind on the other hand.

The means of coordinating this duality of instincts and mind, and to make full harmony between their two extremes, is : having faith in God's oneness in Himself, as well as remembering Him permanently.

The Quran reads :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ

"(Those who believed and whose hearts find tranquillity in the remembrance of God. Verily it is in the remembrance of God that hearts find tranquillity)." S. XIII. 28.

another in goods works. Unto God ye will all return, and He will then inform you of that in which ye dispute." S. V., 48.

This tolerant view of Islam in its relations with other religions and peoples is clearer upon contemplating Islam's view to non-Mulsims from among the peoples of the book (Jews and Christians) which are believers of the message of Heaven and Revelation, notwithstanding the difference in their faith from that of Muslims. As for the Jews, the Quran specifies this view through the following words :

إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ
وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

"It was we who revealed the Torah, wherein is guidance and light, by which the Prophets who resigned (to God) judged the Jews, and the rabbis and the Doctors of Law (judged) by such of God's scripture as they were bidden to observe, and there unto were they witnesses. Therefore fear not mankind, but fear Me. And barter not My revelations for a little gain. Who so judgeth not by that which God hath revealed : such are disbelievers." S. V. 44.

As for Christianity, the Quran stipulates the following :

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

"And in their footsteps we sent Jesus, Son of Mary, confirming that which was revealed before him in the Torah, and we bestowed on him the Gospel wherein is guidance and a light, confirming that which was revealed before it in the Torah, a guidance and an admonition to those who fear God. Let the people of the Gospel judge by that which God hath revealed therein. Who so judgeth not by that which God hath revealed, such are evilsvers."S.V. 46-47.

So, the Torah was revealed as guidance and light as was the Gospel revealed as well as guidance and light.

As for Islam, the Quran specifies the following :

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ

"And unto thee have we revealed the scripture with the truth, confirming whatever scripture was before it, and a watcher over it. So judge between them by that which God hath revealed, and follow not their desires away from the truth which hath come unto thee...". S. V. 48.

Thus, the Quran is an arbiter for the previous scriptures, which, in itself, forms a common bond among them all.

As for Islam's attitude towards messengers and prophets of all religions, the Quran reveals the following :

"...this meeting will consider ways to continue inter-religious cooperation for peace, the relief of suffering, and the preservation of the planet."

Chairman, Respected Members,

It is my pleasure to tell you that Islam is in full harmony with those expected goals and fruits of the meetings of this Parliament of the world's religions.

It is practically impossible to talk about all these goals and issues, tracing their sources in Islam. Thus, bearing in mind the constraints of time, I am obliged to limit myself to two issues with which the conference's goals are reconciled, and which as well represent two major contemporary issues.

1. The First Issue : The relation between Islam and other religions and peoples : Islam cares much that the basis of its relations with other religions and other peoples should be one of general peace, love and cooperation.

Man, generally, in Islam's point of view, is a dear creature, being mobilized and preferred to many of God's creatures. To this, the Quranic verse reads :

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا

"We have honoured the sons of Adam; provided them with transport on land and sea; given them for sustenance things good and pure; and conferred on them special favours above a great part of our creation." S. XVII, 70.

God's honouring of man through his creation and his preference to other creatures, in itself, is a sublime tie with which Muslims are bound to other human beings. Later on, when they listen to Almighty God's words in S. XLIC, 13, which reads :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

"O Man Kind ! Lo, we have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Verily the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you. And God has full knowledge and is well acquainted (with all things)."

They feel it their duty to establish cordial and affectionate relations with followers of other religions and non-Muslim peoples in compliance with this bond of human brotherhood.

This is what is meant by "knowing one another" « لِتَعَارَفُوٓا۟ » included in the verse. Thus, the purpose of multiplicity of these peoples is neither enemity nor destruction; rather it is a motive for knowing one another, loving one another, and being on friendly terms one with another, aiming at the good and putting into effect the common interest.

The differences seen among these religions and peoples are realized through God's will, for if He wills his creation unified, it would not be difficult at all. To this meaning the following verse reads :

لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟
ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

"To each among you have we prescribed a law and a traced-out way. Had God willed it He could have made you one community. But His plan is that He may try you by that which He Hath Given you (He Hath Made you as you are). So, but we are one with

The message of his Excellency the Grand Sheikh of Al-Azhar*

RESPECTED REVEREND DR. DAVID RAMAGE, CHAIRMAN OF THE BOARD OF TRUSTEES OF THE COUNCIL FOR A PARLIAMENT OF THE WORLD'S RELIGIONS.

Ladies and Gentlemen,

Peace of God, His Mercy and His Blessings Be Upon You.

The invitation extended to noble Azhar by the Board of Trustees of the Council, through the Egyptian Ministry of Foreign Affairs (on June 12, 1993), has pleased me. Nevertheless, for reasons related to heavy responsibilities and prearranged appointments, Shaikh of Al-Azhar will not be able to participate in person, in the various activities of this Assembly.

Consequently, Shaikh of Al-Azhar has entrusted me Dr. Nagah Mahmoud El-Ghoneimy, Professor of Creed and Philosophy in Al-Azhar University and Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman, to participate and make this presentation in his name.

Being honoured by this commission, I convey to this respected gathering the greetings of His Excellency, the Grand Shaikh of Al-Azhar, Gad El-Hak Ali Gad El-Hak and his respect and estimation for the task and the important human goals this assembly is aspiring after.

Mr. Chairman,

I have read very attentively the materials included in the brochure of this Parliament and the invitation letter. I was very pleased to recognize among the goals of this gathering the following :

— "To encourage the spriti of harmony and to celebrate with openness and mutual respect, the rich diversity of the World's religions.

— "To assess and to renew the role of the religions of the world in relation to personal spiritual growth and the challenges facing the global community."

To this, we may add a sixth (6) item from "Fact Sheet," (point 9) which reads :

"A major theme of the Parliament will be the role of religious and spiritual life in relation to the critical issues of our time, including violence, poverty, hunger, racism and environment."

This point, in fact, is taken up in the letter of Invitation, expressed in the following manner :

"The 1993 gathering will be more than a centenary celebration. By bringing together the World's religious faiths in Chicago, it will provide a forum for religious and spiritual persons to address the critical issues which face the human community at the threshold of the 21st century. These include threats to the global environment, the coexistence of extremes of wealth and poverty, racism, oppression and the cries of justice, the relations between men and women, and world peace."

As well, in paragraph 8 of the same letter, with a reference to the assembly of Religious and Spiritual leaders which will convene for the final three days of the Parliament, it reads :

(*) The message of his excellency the grand Sheikh of Al-Azhar to the Board of Trustees of the council for parliament of the world's religious, in Chicago.

الفهـــــرس

● الافتتاحية (فاستجدوا لله واعبدوا)
للدكتور على أحمد الخطيب ٨٠١
● نص خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك ٨٠٣
مع الإمام الأكبر
● رسالة الإمام الأكبر إلى مؤتمر برلمان أدباء العالم ٨٠٨
● كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى افتتاح الدورة الثالثة والعشرين لتدريب الأئمة والوعاظ ... ٨١٥
● فتوى فى حكم تحويل مقبرة قديمة إلى حديقة . ٨١٧
● مع سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى ٨٢٠
● المؤمن والنخلة للأستاذ أحمد محمود أبو زيد .. ٨٢٤
● أولئك هم المؤمنون حقاً
بقلم فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ٨٢٧
● الحلف لا يكون إلا بالله
لفضيلة الشيخ أحمد محمد بن طاحون ٨٣٥
● أثر تغيير قيمة النقود
للدكتور على أحمد السالوس ٨٣٩
● أوربا بلا مسلمين (أمنية الغرب عام ٢٠٠٠)
للأستاذ صابر تعلب ٨٤٤
● القيادة الادارية (٣)
اعداد الدكتور محمد عبدالله آل ناجى ٨٤٦
● الأسرار بين الحفظ والافشاء
للدكتور ابراهيم سليمان عيسى ٨٥٢
● أنانية الانسان مع نعم الله
بقلم الشيخ زكريا أحمد نور ٨٥٦
● الفتاوى إعداد الأستاذ عبدالمنعم فوده ٨٦٠
باب الشعر والشعراء
● جراح المسلمين شعر حسين أحمد اسماعيل .. ٨٦٤
● مأساة كشمير للشاعر رشاد محمد يوسف ... ٨٦٥
● العزف على الوتر الأخير
للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين ٨٦٧
● عاشق بالباب للشاعر ابراهيم عيسى ٨٦٨
● انه المصرى فى آياته للشاعر عبدالغفار الدلاش ٨٦٩
● صرخة معلم للشاعر تمام مخلوف ٨٧١
● قلبى لمصر فدى للشيخ سراج الدين معزوز ... ٨٧٢
● من علمائنا المعاصرين (محمد زاهد الكوثرى)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ٨٧٣
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات ٨٧٨
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٨٨٥
● رسائل الانسان إلى الكوكب الأحمر
للدكتور أحمد فؤاد باشا ٨٨٧
● أضواء على تاريخ طب المجتمع
للدكتور سيد أحمد محمد خليل ٨٩١
● الحشرات والحديث عنها
أ. د عبدالحكم عبداللطيف الصعيدى ٨٩٦
● التلوث البيئى فى مصر
للدكتورة ماشاء الله حسن حسنى ٩٠٤
● الجديد فى العلم والتقنية
اعداد الدكتورة نجوى السيد أحمد ٩٠٨
اللغة والنقد والأدب
● البحث النحوى للإمام النووى (٣)
اعداد الأستاذ الدكتور محمد عبدالقادر هنادى ٩٩١
● خزانة المخطوطات
للدكتور عبدالله نجيب محمد ٩١٧
● القصيدة العربية والوحدة الموضوعية
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ٩٢١
● تبيان وايضاح
للأستاذ على محمد نجيب المطيعى ٩٢٥
● بين المجلة والقارىء
إعداد الدكتور محمد عبدالحكيم محمد ٩٢٨
● أبناء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذين عمر البسطويسى ، مصطفى عبدالمجيد ٩٣٤
● أنباء العالم الإسلامى للأستاذ مجدى بشير ... ٩٣٨
القسم الفرنسى
● الموضوع الثالث ٩٤١
● الموضوع الثانى ٩٤٤
● ترجمة كلمة : الإمام الأكبر ٩٥١
القسم الانجليزى
● المقال الثانى ٩٥٦
● المقال الأول ٩٥٨
● ترجمة كلمة فضيلة الإمام الأكبر ٩٦٠
● ترجمة رسالة الإمام الأكبر ٩٦٧